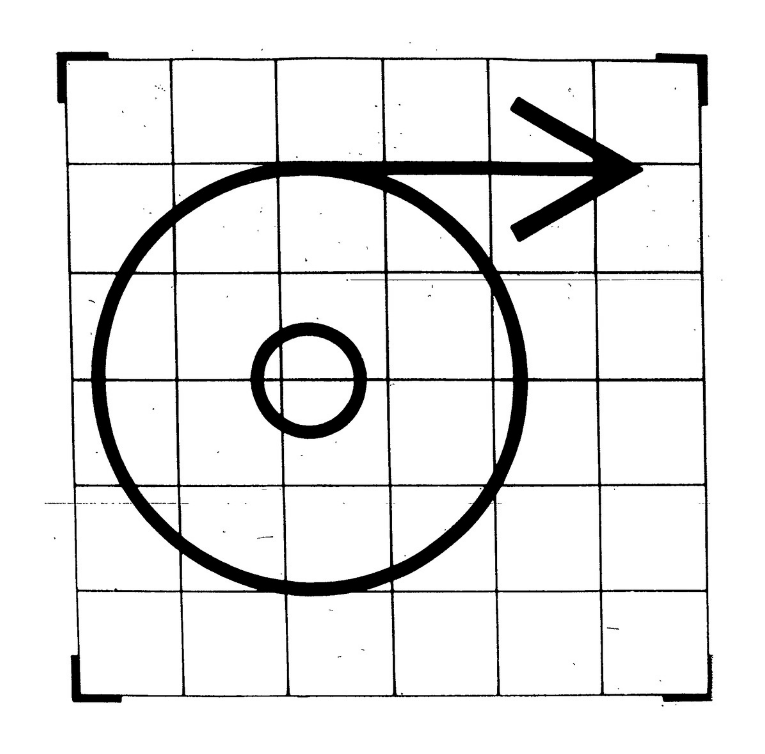
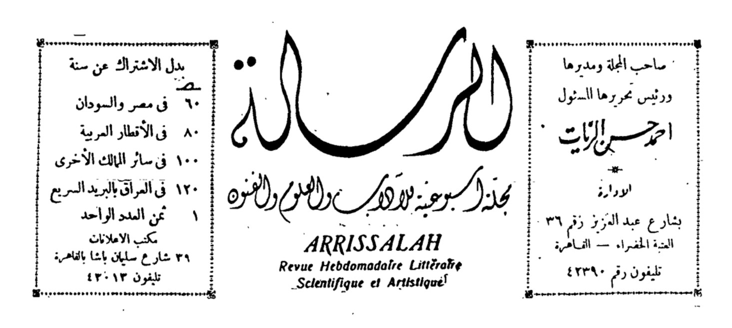


Début de bobine

NF Z 43 120 1

PROVENANCE DE LA COLLECTION



1933

Janvier - 25 décembre

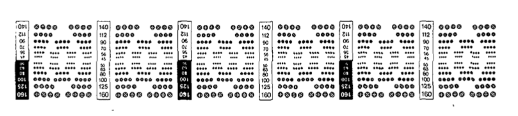
(s.n. - 25)

ECHELLE DE PRISE DE VUE



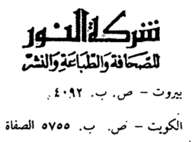
Rx11

A.C.R.P.P

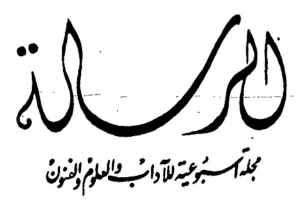


MIRE ISO N° 1
NF Z 43-007
AFNOR
Cedex 7 - 92080 PARIS-LA-DÉFENSE

graphicom 338 57 70


شركة النور
للصحافة والطباعة والنشر
بيروت – ص. ب. ٤٠٩٢
الكويت – ص. ب. ٥٧٥٥ الصفاة

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

أصدرها في القاهرة

احمد حسن الزيات

من ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣ حتى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٥٣

أعيد طبعها بالتصوير بإشراف

الدكتور محمد يوسف نجم

طبعت على مطابع دار صادر

بيروت

١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

عقد اتفـــــــــــاق

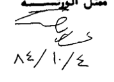
بموجب هذا الاتفاق قد تنازلت انا الدكتور / علاء احمد حسن الزيـــــات بصفتي ـ ونائبا عن ورثة المرحوم الاستاذ / احمد حسن الزيـات ـ قد تنازلت عن حقوقي وعن حقوق موكلي ـ الورثة لشركة النور للصحافة والطباعة والنشـــــر ببيروت بلبنان . ويمثلها مستشارها الادبي الدكتور / محمد يوسف نجــــــم اللبناني الجنسية ـ في اعادة طبع ونشر مجلة " الرسالة " التي كان يصدرهـــا المرحوم الاستاذ / احمد حسن الزيات .

على ان تقوم الشركة المذكورة بطبعها بافضل وسائل التصوير المتاحــــــــة وعلى ان تقوم الشركة باهداء مجموعة كاملة من مجلة الرسالة للدكتور علاء احمـــــــد حسن الزيات . ومقابل ذلك يحق للشركة ايضا مقاضاة اي شخص اخر يعتـــــدي على هذا الحق .

كما اقر بانني لم امنح هذا الحق لناشر اخر من قبل .

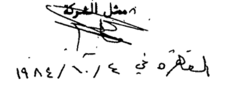
كما تتعهد الشركة بالبدء في طبع المجلة خلال سنة من تاريخه .

ممثل الورثـــــة



٤/١٠/٨٤

ممثل الشركة



القاهرة في ٤/١٠/١٩٨٤

الرسالة

١

الرّسالة ... مؤسّسة لا مجلّة

د. سُعاد الصّباح

عندما طُرحت عليّ فكرة الإسهام في مشروع إعادة طبع مجلة (الرسالة) التي كان قد أصدرها المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيّات في القاهرة بين عام ١٩٣٣ وعام ١٩٥٣ لم أتردّد لحظة واحدة في القبول .

مجلة (الرسالة) ، ليست كأية مجلة أدبية ظهرت في العالم العربي ، ولكنها مؤسسة ثقافية كبرى لا تقلّ من حيث الأهمية والتأثير ، عن منظمة اليونسكو ، وجامعة الأزهر ، وكامبريدج ، وهارفرد ، والأكاديمية الفرنسية .

إنها تراث بكل ما تحمله كلمة التراث من أصولية ، ومنهجيّة ، وارتباط بالأرض والتزام بالقيم الفكرية الكبرى .

لقد غطّت مجلة (الرسالة) الخريطة الثقافية للعالم العربي تغطيةً شاملةً على مدى عشرين عاماً ، وكانت المدرسة التي تخرّج منها أعلام الأدب والشعر والنقد في مصر والعالم العربي . فمن ظهر اسمه على صفحاتها ، كان من المبشّرين بالدخول إلى جنة المشاهير في عالم الأدب . ومن لم ينشر اسمه ، بقي خارج أسوار الجنة .

والذين عاصروا مجلة (الرسالة) في عصرها الذهبي ، يجمعون على القول إن المثقفين العرب كانوا يعتبرون اليوم الذي تصدر فيه (الرسالة) يوم عيد حقيقي ، ويتخاطفونها عند وصولها إلى المكتبات كرغيف الخبز الساخن ، لأن الذي لم يكن يقرأ (الرسالة) ، لم يكن معتبراً في عداد المثقفين وأهل المعرفة .

إذن فإعادة الحياة إلى (الرسالة) هي إعادة الحياة إلى حقبة من أجمل الحقب في تاريخنا الأدبي ، أعطت فيها الأرض العربية قممًا شامخة في عالم الفكر والإبداع ، وتلاقت جميعاً على أرض مجلة (الرسالة) .

ولأن الجيل الجديد ، لا يعي الدور التثقيفي الخطير الذي لعبته مجلة (الرسالة) في تكوين العقل العربي ، وفي صياغة الذوق الأدبي ، والإحساس الجمالي في فترة الثلاثينيات ، والأربعينيات ، ومطلع الخمسينيات ، فإن إيقاظ اسم (الرسالة) في ذاكرة الأجيال الجديدة ، لا يعتبر عملاً ثقافيًا فحسب ، وإنما يعتبر عملاً قوميًا وحضاريًّا وثوريًّا من الطراز الأوّل . فالثقافة والمعرفة والفكر لا تنفصل أبداً عن حركة التاريخ ، ومقوّمات الأرض ، وطموحات الثورة .

ومن هذا المنظور الثقافي والقومي معاً ، ننطلق في مشروعنا بإشراف الزميل الباحث د. محمد يوسف نجم الأستاذ في الجامعة الأميركية في بيروت ، آملين أن نكون قد حافظنا على أشجار هذا البستان الثقافي اليانع والله من وراء القصد .

كلمة النّاشر

محمد خالد طاهر القطمة

يسجل تاريخ الشّعوب مراحل نهوض وكبوة ، وإشراق وخمول ، فتتجلّى ملامح كل مرحلة في التقدم العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والتشريعي ، والعسكري أحياناً ، أو في عكس ذلك من نضوب روح العطاء وضعف الإسهام الحضاري . وقد عرف العالم العربي مراحل النهوض ، كما عرف مراحل الكبوة وانحسار القدرة على بناء الإنسان والمجتمعات ، وذلك عبر تاريخه الطويل الممتد آلاف السنين . لقد أعطت أرضنا الأبجدية والتشريع الدنيوي الراقي وكانت ذروة مجدها في هبة التنزيل السماوي للأديان الموحدة لله وباسمه فيها ، وكانت الفتوحات المحمدية حقبةً غيّرت وجه التاريخ وأقامت الإمبراطوريات وهدمت ما خرج منها في عداء الرسالة المحمدية . وظلّت الشعوب العربية في تقدم وتأخر وفي مدّ وتراجع لأكثر من ألف وثلاثمائة سنة ، ثم اتصلت بأسباب التقدم التي بدأت رياحها تهب من الغرب مع أواسط القرن التاسع عشر ، فأخذ العرب يندفعون صوب الثقافة الجديدة ومصادرها اندفاع المشوق إلى التقدم . القادر عليه .

وكانت النقلة التاريخية في دخول الطباعة حياة العرب . وفي ظهور الكتب والمجلّات والصحف ، على اختلاف وتنوّع فيها شمل العلوم على اختلاف فروعها . والثقافة بمختلف فنونها . وقد برزت في الثلث الأوّل من القرن العشرين مدارس الأدب الجديدة ، وأخذت الأفكار الحديثة طريقها إلى الانتشار . والتمست المواهب سبيلها إلى الظهور ، فإذا بالعالم العربي يعيش عرس خروج الفكر العربي من الانغلاق والضعف ، وإذا بالشعر والنثر والنقد والترجمة تصبّ في جداول خصبة من عطاء العقل والنفس .

في هذه الحقبة المضيئة من تاريخنا المعاصر عرف العرب . الروّاد الأعلام في الثقافة العربية الطالعة في بهاء العقل وتفتح ينابيع الذات المشرقة . وفي هذه الحقبة صدرت مجلة « الرسالة » المصرية لصاحبها ورئيس تحريرها الفذّ المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيّات . وعلى مدى عشرين عاماً كانت الرسالة منارة فكرية ، تضيء عالم الثقافة العربية وتشكل « مدرسة » ، كما تقول الدكتورة سعاد الصباح في كلمتها هنا . ولأن « الرسالة » مدرسة حقيقية جامعة ، لذلك كان لا

بدّ لمن عاش أيامها أو عرف بها بعد توقّفها عام ١٩٥٣ ، أن يقوّم أثرها الضخم في حركة الثقافة والنشر ، خلال عشرين عاماً تمسكت فيها بميثاق الرقي والتفوق في نشر الكلمة العربية الصادقة المعبّرة . ولعلّ من دلائل فعلها المؤثّر أن تكتب عنها ، وحتى يومنا ، الدراسات . وأن يتقدم الباحثون برسائلهم لنيل الشهادات الجامعية العليا عن بحوث لهم في دراستها وتقويم أثرها الفكري العظيم .

وفي إطار الايمان بواجب إحياء التراث العربي الخلّاق ، وبعد جهود أثمرت إعادة طبع ونشر عدد من المجلات المتميّزة التي ظهرت في الحقبة التي أشرنا إليها ، أخذ الدكتور محمد يوسف نجم ، أستاذي ، يسعى ويجدّ في السعي إلى إحياء مجلة «الرسالة» ، وإيصالها إلى المعنيين بشأن الثقافة العربية المعاصرة ليحفظ هذا الإرث من الضياع ،أو من البقاء حصراً لدى قلّة قليلة من أهل الحرص والاهتمام . وقد وجد ، كما وجدت ، في الدكتورة سعاد الصباح ، الأمل في إيقاد شعلة «الرسالة» ثانية . وجعلها في متناول الأدباء والمثقفين ومراكز الدراسة والجامعات والمؤسسات الثقافية . إن استجابتها للإسهام في إعادة ظهور «الرسالة» قد جعلت تحقيق هذا العمل ممكناً ، وأتاحت بذلك لنا الفوز بشرف نشر هذه الموسوعة التراثية القيمة ، وفتحت أمامنا آفاق النظر في دراسة خطّةٍ متكاملة لإحياء ما يُمكننا إحياؤه من تراث العربية الثري ، مهما تكن الصعوبة كبيرة والمعاناة في أداء الأمانة مضنية .

الرّسَالة .... الجَامِعَة

د. محمّد يوسُف نجْم

كانت الرسالة بالنسبة إليّ وإلى أبناء جيلي الجامعة الشاملة التي طفنا بحرمها منذ أيام الدراسة الابتدائية قبل عهدنا بالحياة الجامعية بزمن بعيد. عانينا منها آنذاك الكثير، إذ كنّا نشقّ أرضاً صلبة للوصول إلى المعادن الكريمة المخبوءة في جوفها. كانت صلتنا بالحرف قد توطّدت بعض الشيء، وشدونا بعض العلم بفضل جيل من الأساتذة كانوا من الصفوة المختارة علماً وخلقاً ووطنية، وجّهونا فأحسنوا توجيهنا، وهدونا إلى سواء السبيل. وحثّونا على أن نقرأ وأن نكثر من القراءة، وخاصة في رسالة الزيّات. إذ كانوا يرون، عن حقّ، أن كل الصيد في جوف الفرا.

وازدادت عنايتنا بالرسالة في المرحلة الثانوية، بازدياد المشاغل والهموم والآمال... مشاغل الوطن وهموم الأمة وآمال المستقبل. وكنا نرى في الرسالة طَلِبتَنا مما تحتاج إلى معرفته نفوسنا الغضة الطامحة المتطلعة إلى المعرفة والتفوق والإتقان. واستمرّت عناية معلّمينا بنا وبها، وخصّص أحدهم، وكان علماً من أعلام البيان، يوماً في الأسبوع للرسالة؛ نُحضرها معنا إلى قاعة المطالعة، فيشير علينا أن نقرأ بعض مقالاتها ونلخّصها. وأن نختار لأنفسنا أروع الجمل وأجمل الألفاظ، ندّخرها لنقيم عليها دعائم أساليبنا في المستقبل.

وحين دخلنا الجامعة، كانت الرسالة الرفيقة الدائمة. كانت توفّر لبعضنا متعة القراءة، وللبعض الآخر كانت مرجعاً نلوذ به لنستزيد علماً في هذا الفرع أو ذاك من فروع تخصصنا. ونلجأ إليه في إعداد البحوث التي كان يكلّفنا بها شيوخنا.

وفي الدراسات العليا كانت الرسالة المرجع الذي لا غنى عنه لكل متخصص في الأدب العربي، وبخاصّة الحديث، شأني أنا. وعندما انتقل بعضنا من صفوف الطلبة إلى صفوف المعلمين، كانوا يجدون في الرسالة ما يعينهم على إعداد محاضراتهم. وتدريب طلابهم في الدراسات العليا على البحث والتأليف.

رحلة طويلة كادت أن تكون نصف قرن ما مللت الرسالة فيها ولا جفوتها. بقيتَ الرفيق والمعلم والملاذ، وبقيت نسختي التي بناها جيل بعد جيل من أسرتي. قائمة أمامي لا تبرح

مكانها ولا أرفع النظر عنها .

ولقد استطاعت الرسالة أن تحتفظ بمكانتها العلمية في نفسي وفي نفوس أبناء جيلي ، وأجيال سبقت ، وأجيال لحقت ، لأنها كانت السبّاقة إلى طرح العديد من القضايا التي كانت تشغلنا وما تزال : القديم والجديد ، أو ما سمّي فيما بعد التراث والمعاصرة أو الأصالة والمعاصرة . الإسلام الصحيح البريء من شوائب البدع والتعصب وضيق النظر . العروبة الرشيدة النيرة التقدمية . ضرورة التعمّق في دراسة الأدب الغربي والإفادة منه في تطعيم أدبنا والنهوض به ، العناية بالأسلوب والحرص على سلامة اللغة وصفائها ، وكان الزيّات نفسه فارساً من فرسان الأسلوب وأميراً من أمراء البيان .

وبعد أن توقفت الرسالة عن الصدور في مطالع الخمسينيات ، أخذت أحس أنا وأبناء جيلي وتلاميذي بالفراغ الذي تركته ، وخاصة بعد أن انتشرت المجلّات الأدبية الحديثة ، التي لم تستطع أيّ منها أن تسدّ الثغرة الثقافية الواسعة التي خلفها توقف الرسالة . فهي دونها علماً وفكراً وأسلوباً ، وأقلّ منها عناية بالتوجيه القومي والروحي السليم . الكثرة من أصحابها وكتابها يصدرون عن مبادىء وقيم بعضها مستورد والآخر مبتسر مرتجل ، يعرضون أفكارهم في ثياب مهلهلة وأساليب يعوزها البيان والسلامة . وفكّرت ، وفكّر غيري في بعث الرسالة ، في صورتها التي ظهرت عليها منذ **١٩٣٣** حتى **١٩٥٣** ، لكي يتاح لمن كان في مثل طموحنا وتطلعنا الثقافي من أبناء هذا الجيل أن يطّلع عليها ويفيد منها ما أفدنا ، فصحفها ما زالت مشرقة بنور البيان الرائع والفكر الساطع ، والقضايا التي طرحها صاحبها والأعلام من كتّابها ما تزال حيّة ثرّة ترافق الجيل بعد الجيل من أبنائنا .

ظل بعث الرسالة أملاً من آمالي وحلماً ما يزال يعتادني ، وخاصة بعد أن وفقني الله إلى بعث عدد من المجلات التي كان لها دور كبير في تكوين المثقف العربي في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن . ولكن ضخامة حجمها وارتفاع كلفة إصدارها كانا يحولان دون ذلك .

ولقد سعدت أعظم السعادة حين نمى إليّ أخي وتلميذي الأديب محمد خالد القطمة ، أنه قرّر أن يكون بعث الرسالة مشروعاً من مشروعات داره الناشئة ؛ وأن الأديبة الدكتورة سعاد الصباح ، ترغب في أن تكون لها اليد الطولى في هذا البعث الثقافي ، عرفاناً منها بفضل الرسالة وتقديراً لدورها العظيم في تكوين أجيال من المثقفين العرب .

وعهد إليّ أن أتولّى الإشراف على هذا العمل الثقافي الرائع ، فقبلت شاكراً مزهوًّا . واتصلت بالأستاذ الدكتور علاء أحمد حسن الزيّات ، شبل ذاك الأسد علماً وفضلاً وخلقاً ،

بسم الله الرحمن الرحيم

عقد اتفـــــــــــاق

بموجب هذا الاتفاق قد تنازلت انا الدكتور / علاء احمد حسن الزيـــات بصفتى ـ ونائبا عن ورثة المرحوم الاستاذ / احمد حسن الزيـــات ـ قد تنازلت عن حقوقى وعن حقوق موكلى ـ الورثة لشركة النور للصحافة والطباعة والنشـــر ببيروت بلبنان • ويمثلها مستشارها الادبى الدكتور / محمد يوسف نجـــم اللبنانى الجنسية ـ فى اعادة طبع ونشر مجلة " الرسالة " التى كان يصدرهـــا المرحوم الاستاذ / احمد حسن الزيات •

على ان تقوم الشركة المذكورة بطبعها بافضل وسائل التصوير المتاحـــة وعلى ان تقوم الشركة باهداء مجموعة كاملة من مجلة الرسالة للدكتور علاء احمـــد حسن الزيات • ومقابل ذلك يحق للشركة ايضا مقاضاة اى شخص اخر يعتـــدى على هذا الحق •

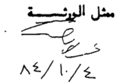
كما اقر باننى لم امنح هذا الحق لناشر اخر من قبل •

كما تتعهد الشركة بالبدء فى طبع المجلة خلال سنة من تاريخه •

ممثل الشركة

القاهرة فى ٤/١٠/١٩٨٤

ممثل الورثـــة



٤/١٠/٨٤

ملاحظ على الترقيم

وقعت أخطاء في ترقيم صفحات المجلة أرى أن أشير إليها حتى لا يلتبس أمرها على القارىء :

المجلد ٧/ س ٤ ج ٢ أرقام الصفحات ١٧٦١ - ١٧٨٠ محذوفة في الأصل .

المجلد ١١/ س ٦ ج ٢ أرقام الصفحات ١٥٦١ - ١٥٦٤ مكررة .

المجلد ١٦/ س ٩ ج ١ أرقام الصفحات ٣٩١ - ٤٩٠ محذوفة في الأصل .

المجلد ٢٣/ س ١٢ ج ٢ يبدأ بصفحة ٥٤١ وينتهي بصفحة ٨٠٠ ثم يقفز إلى صفحة ٨٨١ وينتهي بالصفحة ١٠٩٩ .
ثم يقفز بعد الصفحة ١٠٩٩ إلى الصفحة ٢٠٠٠ وينتهي بصفحة ٢٠٢٠ ويقفز ثانية إلى الصفحة ١١٢١ .

المجلد ٢٩/ س ٥ ج ٢ أرقام الصفحات ٨٥٩ - ٨٨٥ مكررة .

المجلد ٣٢/ س ١٧ ج ١ أرقام الصفحات ٤٣٧ - ٧٣٨ محذوفة في الأصل .

المجلد ٣٣/ س ١٧ ج ٢ بدأ ترقيمه بصفحة ١٠٥١ بدلاً من ٧٥١ .

هذه أخطاء في الترقيم وليس لها علاقة بمادة المجلة فهي كاملة .

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة
التليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل اسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الاول (القاهرة فى يوم الأحد ١٨ رمضان سنة ١٣٥ — ١٥ يناير سنة ١٩٣٣) السنة الاولى

الرسالة

... وأخيراً تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة : وما سلط على نفوسنا هذا التردد إلا نُذُر تشاع وأمثال تروى . . وكلها تصور الصحافة الأدبية فى مصر سبيلا ضلت صواها وكثرت صرعاها فلم يوفِ أحد منها على الغاية ، والعلة أن السياسة طغت على الفن الرفيع ، والأزمة مكنت للأدب الرخيص ، والأمة من خداع الباطل فى لَبْس من الأمر لا تميِّز ما تأخذ ما تدع ! فلما تناصرت على هذه الوساوس حجج العقل ، ونوازع الواجب ، وعِدَات الأمل ، أصبحت الأسباب التى كانت تدفع إلى النكول بواعث على الاقدام وحوافز للعمل ، لأن غاية (الرسالة) أن تقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع ، وبهرجَ الأدب بتثقيف الذوق ، وحيرة الأمة بتوضيح الطريق.

أجل هذه غاية الرسالة ! وما يَصْدِفنا عن سبيلها ما نتوقع من صعاب وأذى ، فان أكثر الناهضين بها قدطووا مراحل الشباب على منصة التعليم ، فلا يُعييهم أن يُخلقوا بُرْد الكهولة على مكتب الصحافة ، والعملان فى الطبيعة والتبعة سواء ، ومن قضى ربيع الحياة فى مجادب ذلك ، لا يشق عليه أن يقضى خريفها فى مجاهل هذا !

أما مبدأ الرسالة فربط القديم بالحديث ، ووصل الشرق بالغرب . فبربطها القديم بالحديث تضع الأساس لمن هار بناؤه على الرمل ، وتقيم الدَّرَج لمن استحال رقيه بالطفور ! وبوصلها الشرق بالغرب تساعد على وجدان الحلقة التى ينشدها صديقنا الأستاذ احمد أمين فى مقاله القيم بهذا العدد

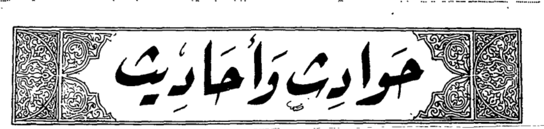
والرسالة تستغفر الله مما يخامرها من زهو الواثق حينما تَعِد وتتعهد . فان اعتمادها على الأدباء البارعين والكتاب النابهين فى مصر والشرق العربى ، واعتصامها بخلصانها الأدنين من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهم صفوة من خرَّجت مصر الحديثة فى مناحى الثقافة ، إذا اجتمعا فى نفسها مع ما انطوت عليه من صدق العزم وقوة الايمان أحدثا هذه الثقة التى تشيع فى الحدث عن غير قصد .

على أن للرسالة من روح الشباب سندا له خطره وأثره ، فانهم أحرص الناس على أن يكون لثقافتهم الصحيحة مظهر صحيح . وما دامت وجهة الرسالة الاحياء والتجديد ، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد ، فلابد أن يتوافيا على مشرع واحد !

فالى أبناء النيل وبَرَدى والرافدين نتقدم بهذه الرسالة ، راجين أن تضطلع بحظها من الجهد المشترك فى تقوية النهضة الفكرية ، وتوثيق الروابط الأدبية ، وتوحيد الثقافة العربية ، وهى على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل وقوة الرجاء فى الله ؟

احمد حسن الزيات

يشترك فى تحرير المجلة :
الدكتور طه حسين
وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر



حوادث وأحاديث

شوقي وحافظ

تصدر الرسالة والأسى لا يزال يرمض القلوب على حافظ وشوقي. ولئن رمت المنون لسانهما الذليقين بالصمت الأبدي، فقد تركت حظيهما يتنازعان الذكر على ألسن الناس. وكان حظ شوقي في مماته كما كان في حياته شديد السطوع قوي البهر فكسف حظ أخيه! وكاد حافظ البائس يضيع في شوقي المجدود كما ضاع موت المنفلوطي في موت سعد!

كان لشوقي المأتم الحافل، والتأبين الفخم، والوفود تترى، والحفلات تقام، والمراثي تفيض بها الصحف، والحكومة تطبع كل ذلك بالطابع الرسمي فتزيده أبهة وروعة! وكان لحافظ المأتم المتواضع، والجنازة الصامتة، والتأبين الموعود. وأصدقاء خلص يئنون في كل حين أنة، ثم يتركونها تتلاشى كما يتلاشى الرجع البعيد!!

الزعامة والشعر

خلا ميدان الشعر فجأة من قائديه العظيمين فحدث في صفوف الشعراء اضطراب وفوضى! وقام في (السقيفة) المقلدون والمجددون يقولون: منا أمير ومنكم أمير! وهناك أرسل الدكتور طه حسين حكمه المعروف فزاد الخلاف شدة والجدال حدة! قضى للعراق بامارة الشعر التقليدي، فغضبت مصر! وكان الاستاذ الهراوي أشد المصريين حنقاً واعنفهم خصومة. فهو يقول في استكبار وانفة. انه بايع الشاعرين، مبايعة على الشيخين! ثم ينشد في ذلك أبياتا فيها معارضة وفيها شدة وفيها جمال، وينتهي الى أن هذا الحكم قد أخزى مصر وقضى على نهضة الشعر!! ثم يعود فيستطرد الى لوم الناقدين والمجددين، وينعى على وزارة المعارف انصرافها عن تعضيد الشعر، ويقترح عليها بوالله أن تنشيء في ديوانها قلماً يسمى قلم الشعراء تحمل عنهم فيه أكلاف العيش، وتغلق عليهم باب الغرفة، ثم تقول لهم: قولوا شعراً! وتمنى صديقنا الهراوي أن يطلب الى الوزارة أن تزود كل شاعر بسبحة يعد عليها أبيات الشعر، كما يعد صوفيو التكية كلمات الذكر!!

أما شعراء الشباب الذين لا يجرون على أسلوب الهراوي والزين والكاشف ومحرم ونسيم: فهم راضون ببراءة مصر من معرة التقليد ماضون كل المضي الى التفوق والتميز من طريق الانتاج والتنافس.

وسورية؟

وسورية التي تجعل من خمائلها ورباها وادي عبقر، وتدل بشعرائها المجددين في الوطن والمهجر، لا يرضيها أن تمر الزعامة بأرضها الى العراق دون ان تحيي أو تلتفت على الأقل! فلقد هبت (العاصفة) تدافع رأي الدكتور في حدة وعنف، وتقول مع السيد نجار: ما للدكتور يرسل الزعامة الى العراق في طيارة، وكان يكفيه ان يرسلها الى صاحبها مطران في سيارة.؟

والعراق؟

والعراق هل اغتبط بهذه الزعامة؟ أما الرصافي فيرجو ان يكون خليفة لشوقي وحافظ ثم يسعه ما وسعهما من حكم التاريخ وتقدير النقد. وأما الزهاوي فأنا اعلم انه يؤثر ان يكون في ساقة المجددين على أن يكون في طليعة المقلدين. والظاهر أن شعراء العراق قد سرهم هذا التفضيل على علاته، ولكن ساءهم أن يوجه الى شاعرين معينين. فقد نشر «اديب متقاعد» في جريدة الأخبار البغدادية فصلا قيما ينكر فيه استعمال الامارة والدولة في لغة الشعر. ويتساءل عمن جاد على شعراء مصر بهذه الألقاب. ويلاحظ بالحق حرص المصريين على الألقاب وزهد العراقيين فيها. ويشكر للدكتور طه ترجيحه العراق على أية حال، ولكنه ينكر رأيه في تعيين جهة الزعامة، (لأنه رأي فرد بعيد عن العراق فلا يصح الاستناد اليه في حكم من الاحكام)

ثم تعصف النخوة في رأس الشاعر الشاب محمد مهدي الجواهري فيرسل اضبارة كبيرة من شعره الى الدكتور طه وكأنه يقول له: لو كنت قرأت هذا الشعر لما وجهت الزعامة الى غير هذا الشاعر!

واذن؟!

واذن نستبيح صديقنا الدكتور أن يدعها الآن فوضى حتى تسفر جهود الشباب عن عبقرية هذا الزعيم!..

مصر فى دورة الفلك

للدكتور محمد عوض محمد
الاستاذ بمدرسة التجارة العليا

على الرغم منى أعود الى التفكير فيك، وعبثاً أحاول أن أصرف فكرى الى حديث غير حديثك، وذكر غير ذكرك..

ولماذا أصرف فكرى عنك ؟..

ألأنى آلم اذ أفكر فيما تعانين، وما قد عانيت على مر السنين؟.

ألم تعد فى النفس بقية من الشجاعة ؛ فأقابل بها الحقيقة : وان كان أعذب ما فيها علقما مريراً ؟..

ألعلى أخشى إن أدمنت التفكير فيك، أن أكون أبداً مقطب الجبين، سجين الكآبة، ثائر الفؤاد ؛ لا أستقر على قرار. ولا أعرف للحياة لذة : فلا يبسم لى ثغر، ولا تقر لى عين ؟

***

لماذا أصرف الفكر عنك ؟

ألأنى رويت من نميرك، وغذيت من ثراك، ونشقت من نسيمك، ورتعت فى رياضك، وأظلنى دوحك، وأطربنى شدو غناء أطيارك. وهدانى بدرك المنير الى سراج الجمال، وسماؤك الصافية الى وحى الخيال، ونجومك اللامعة الى جلال الكون. وشمسك المشرقة الى قدرة الخالق ؟

مع هذا أحاول أن أصرف فكرى عنك ؟ فأى عقوق هذا العقوق ؟ وأى جحود هذا الجحود ؟

***

أى مصر !

لقد كنت من قبل عظيمة جليلة. كنت من قبل ورأسك يسامى النجم. وقد ترامت على أقدامك الأمم ؛ لتقتبس منك النور : وتلتمس منك الهداية. لقد كنت وفى كفك الهائلة صولجان من الذهب دو كرة مشرقة لامعة. يوم أن كانت الشعوب الأولى فى ظلامها الحالك ؛ مالها موئل غيرك ؛ يوم لا نور الا نورك ؛ ولا هدى الا هديك.

كانت فى كفك كنوز الحضارة ؛ وكنت تنثرينها بسخاء : للقريب والبعيد. فباتوا وهم أغنياء بما التقطوا من خيراتك، وما اقتبسوا من هباتك.

ثم حالت الحال، فأمسيت وقد تحطم الصولجان، وكسر الجناح وانتهك الحمى ! وذل الأنف العزيز وانسكب الدمع العصى !!

فماذا دها الكون ؟ وأى اصبع قد أدارت الفلك تلك الدورة الهائلة، حتى قلبته رأساً على عقب ؟..

يقولون انك قد عقمت !.

عقمت فأصبحت لا تلدين الأحرار، ولم يعد ثراك ينبت الأبطال !

أجل يزعمون أن تربتك لم تعد تخرج الا الزعانف والقزم : الذين همهم من العيش شهواتهم. ويعيشون فوق ثراك كالحشرات الطفيلية، يستمرئون خيره، ويحتسون رحيقه، ثم لا يخطر لهم أن يذودوا عن حوض رواهم، وموئل آواهم، ودوحة أظلهم فرعها وغذاهم ثمرها .. ماهم بالرجال ولا بأشباههم، ولا يجرى فى عروقهم دم، بل جبن مذل. وخنوع مهين !.

يقولون هذا كله عن بنيك يامصر. فياليتهم كذبوا فيما ادعوه ويا ليت بنيك ينهضون لتكذيبهم !

أى مصر !

يقولون ان العام ربيع بعده صيف، يتلوهما خريف وشتاء. فهل مضى ربيعك وبان ؟

أكتب لك الشتاء الأبدى والزمهرير السرمدى ؟

ان كان هذا حكم الدهر فما أجوره !

ان كان هذا هو القضاء فما أقساه !

محمد عوض محمد

حلقة مفقودة

للأستاذ احمد أمين
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

فى مصر حلقة مفقودة لانكاد نشعر بوجودها فى البيئات العلمية مع أنها ركن من أقوى الأركان التى نبنى عليها نهضتنا . وفقدانها سبب من أسباب فقرنا فى الانتاج القيم والغذاء الصالح

تلك الحلقة هى طائفة من العلماء جمعوا بين الثقافة العربية الاسلامية العميقة وبين الثقافة الاوربية العلمية الدقيقة ، وهؤلاء يعوزنا الكثير منهم ؛ ولا يتسنى لنا ان تنهض الا بهم ، ولا نسلك الطريق الا على ضوئهم .

ان أكثر من عندنا قوم تثقفوا ثقافة عربية اسلامية بحتة وهم جاهلون كل الجهل بما يجرى فى العصر الحديث من آراء ونظريات فى العلم والأدب والفلسفة لا يسمعون بكانت وبرجسون ، ولا بأدباء أوربا وشعرائها ، ولا بعلمائها وابحاثهم . اللهم الأسماء تذكر فى المجلات والجرائد والكتب الخفيفة لاتغنى فتيلا ولا تستوجب علما — وطائفة أخرى تثقفت ثقافة أجنبية بحتة يعرفون آخر ما وصلت اليه نظريات العلم فى الطبيعة والكيمياء والرياضة ويتتبعون تطورات الأدب الاوروبى الحديث وما أنتج من كتب وروايات وأشعار ، ويعلمون نشوء الآراء الفلسفية وارتقاءها الى عصرنا ، ولكنهم يجهلون الثقافة العربية الاسلامية كل الجهل . فان حدثتهم عن جرير والفرزدق والاخطل أشاحوا بوجوههم وأعرضوا عنك كأنك تتكلم فى عالم غير عالمنا ؛ وان ذكرت الكندى والفارابى وابن سينا قالوا ان هى الا أسماء سميتموها مالنا بها من علم ، وماذا نحصل من هؤلاء الا على جمل غامضة ومعان عميقة لا تفيد علما ولا تبعث حياة — وبالأمس كنت أتحدث مع طائفة من المتعلمين عن « البيرونى » العالم الاسلامى الرياضى المتوفى سنة ٤٤٠ ﻫ وما كشف من نظريات رياضية وفلكية وان المستشرق الألمانى « سخاو » يقرر أنه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره . وأنه يدعو الى تأليف جمعية لتمجيده واحياء ذكره تسمى جمعية البيرونى . فحدثنى أكثرهم انه لم يسمع بهذا الاسم ولم يصادفه فى جميع قراءاته وهو يعرف عن ديكارت وبيكون وهيوم وجون ستوارت مل كثيراً ، ولكنه لا يعرف شيئا عن فلاسفة الاسلام . ومثل ذلك قل فى الأدب العربى والأوربى والعلم العربى والأوربى كل ثقافته العربية فى كتاب القواعد وأدب اللغة للمدارس الثانوية ان كان قد بقى منها شىء فى ذاكرته

هاتان الطائفتان عندنا ، يمثل الأولى خريجو الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء ، ويمثل الأخرى نوابغ خريجى المدارس العصرية والبعثات الأوربية . أما الذين حذقوا العربية والعلوم الاسلامية ونالوا حظا وافرا من الثقافة الأجنبية فأولئك هم الحلقة المفقودة فى مصر ، وفقدانها سبب الركود فى الحياة العقلية والأدبية

ذلك أن الأولين اذا أنتجوا فعيب انتاجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر ، وانما التزموا التعبير القديم فى الكتابة ، والنمط القديم فى التأليف ، وتحجرت أمثلتهم ومل الناس بلاغتهم ، وعمادها رأيت أسدا فى الحمام وعضت على العناب بالبرد وعشرة أمثلة من هذا الطراز . ومل الناس نحوهم ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيدا حسنا وجهه ، وسئم الناس منطقهم ، وكله الانسان حيوان وكل حيوان يموت فالانسان يموت وهذا حجر وكل حجر جماد فهذا جماد — ضجوا بالشكوى لأن الناس لا يسمعون منهم ، وضج الناس بالشكوى لأنهم لا يأتون بجديد ولا يضعون القديم فى شكل جذاب ، ولا يلمسون الحياة التى يحيونها ولا البيئة التى يعيشون فيها فانصرفوا عن الناس وانصرف الناس عنهم ورضوا أن يعيشوا فى جوهم الخاص ورضى الناس منهم بذلك وسلكوا سبيلا غير سبيلهم واتبعوا دليلا غير دليلهم

وأما الآخرون فضعفت ثقافتهم العربية الاسلامية ، فلما أرادوا أن يخرجوا شيئا لقومهم وامتهم أعجزهم الأسلوب والروح الاسلامى . فلم يستطيعوا التأليف ولا الترجمة وحاولوا ذلك مرارا فلم يفهم الناس منهم ما يريدون وسبوا القراء ورموهم بالضعف والانحطاط ، وسبهم القراء ورموهم بالعى وانهم لا يفهمون ما يكتبون . فعاشوا فى أنفسهم ولأنفسهم ورضوا من الغنيمة بالاياب

كان من نتيجة ذلك أن الأدب العربى الاسلامى والعلم العربى الاسلامى والفلسفة العربية الاسلامية على غناها ظلت دفينة لا ينتفع بها ، تنتظر جيلا جديدا يسيغها ويهضمها ويبرزها فى شكل تألفه الناس ، وأن الأدب الغربى والعلم الغربى والفلسفة الغربية حرم منها أكثر الشرقيين ولم يصل اليهم الا نوع خفيف ينشر فى المجلات والجرائد وأمثالها يقرؤها الناس ليطردوا بها الضجر أو يستعطفوا بها النوم ، فأما أدب غزير وعلم عميق وكتب محترمة ومجلات قيمة فقليل نادر

والذى جر الى فقدان هذه الحلقة أن التعليم عندنا سار فى خطين متوازيين لم يلتقيا ، فالتعليم العربى الاسلامى سار فى خط ، والتعليم المدنى الحديث سار فى خط آخر . ولم تكن هناك محاولات جدية لتلاقى الخطين أو ربط بعضهما ببعض

لا أمل فى اصلاح هذه الحال الا بالعمل على ايجاد الحلقة المفقودة

وهى تذوق الثقافتين، والاغتراف من المنهلين. واخراج أدب وعلم وفلسفة غذيت بما للعرب والاسلام من ثقافة، ولقحت بما للاوروبيين من ثقافة ومنهج. فيها اللغة العربية قوية رصينة وروح الاسلام قوية متينة. وفيها ما للاوروبين من عرض للمسائل جذاب ونهج فى الكتابة رشيق وفيها مقارنة شهية بين ما أنتجه الاولون والآخرون

لو تم ذلك لرأيت التاريخ الاسلامى يعرض على القراء فى شكل محبوب يقرأونه ويستسيغونه، ورأيت الأدب العربى يقدم الى الجمهور فى ثوبه الجديد فيألفونه ويحبونه ورأيت الفلسفة الاسلامية يغاص عليها غوصاً عميقاً ثم تخرج من أصدافها وتجلى للقراء درة لامعة.

هذا هو السبب فى نجاح رفاعه باشا ومدرسته فأنتجت انتاجا غذى عصرهم بل كان فوق كفايتهم: فقد أرسل رفاعه الى فرنسا بعد ان درس فى الأزهر وتعمق فى العربية والعلوم الاسلامية فلما حصل على الثقافة الفرنسية وضع يده على المنبعين فأخرج هو ومدرسته للناس ما استساغوه وأحبوه ونهضوا به ولم يكن كذلك من لحق بهم وخلف من بعدهم.

وقد كان اخواننا الهنود أسبق منا الى ايجاد هذه الحلقة والانتفاع بها. اخرجوا التاريخ الاسلامى فى ثوب جديد على نمط ما يكتب الغربيون ولكن بروح اسلامى وكتبوا فى الدين الاسلامى والفقه الاسلامى بلغة العصر وروح العصر ونظام العصر كما فعل السيد امير على والسيد محمد اقبال فقد تضلع هذان العالمان الجليلان من الثقافة الاسلامية والأوروبيــة: وأشرب قلباهما حب الاسلام فأخرجا كتباً يقرؤها الشباب المثقف فيحبها ويحب موضوعها ويستزيد منها. ويقرؤها الشاب المتعلم المتخصص فى الطبيعة والكيمياء فيجدها تتمشى مع العلم الذى ثقفه والنهج الذى ألفه — وتقرأ للسيد محمد اقبال فتجده يعرض لفلسفة «كانت» فاذا هو فيها دارس عميق والغزالى فاذا هو باحث دقيق ويقارن بين النصرانية والاسلام فيكشف عن باحث خبير فيما يكتب ويعرض لشعراء الألمان كجوته فيحلله تحليلا يدعو الى الاعجاب ويتكلم فى المعتزلة والصوفية فاذا هو قد تغلغل فى أعماقهم واستبطن دخائلهم ثم عرض تعاليمهم كما يعرض الاوروبى فلسفة قومه شيقة عذبة لذيذة.

ولكن الهنود يعرضون ــ وأسفاه ذلك باللغة الانجليزية فلا يغذون جمهورنا ولا يسدون حاجة العالم العربى انما تغذى الشرق بهذا يوم توجد هذه الحلقة المفقودة فى العالم العربى كمصر والشام فيحيى آثار الأولين بأسلوب الآخرين: ويوم يكسر هذا الحاجز الذى يحجز بين علم الشرق وعلم الغرب، ويوم يلوى الخطان المتوازيان فيلتقيان؟

احمد أمين

أثر الثقافة العربية

فى العلم والعـــالم

بقلم احمد حسن الزيات

— ١ —

الشعوب كالأفراد. فيها من يولدون على حكم الطبيعة، ويعيشون على هامش الحياة، ثم يغوصون فى ظلال العدم، لا ينعم بهم وجود. ولا يغنم منهم انسان، ولا يعبأ بهم تاريخ. وفيها من يقبلون اقبال الربيع ينضرون الحياة بالجمال. ويمرعون الأرض بالخصب. ويفيضون على الدنيا سلاما ووئاما وغبطة! أولئك الذين يصطفيهم الله من خلقه لاعلاء حقه، فيودعهم سره ويحملهم رسالته فيعيشون لأجلها، ثم يموتون فى سبيلها، بعد ان يخلدوا فى صدر الزمان وعلى وجه الأرض آثار جهادهم فى الله، وجهودهم للناس، وفضلهم على المجتمع. وهؤلاء هم أدلاء ركب الحياة، وحمال ألوية الخليقة يقلون قلة الصفوة. ويبطئون ابطاء الخير ولكن آثارهم تشغل ذهن العالم. وأخبارهم تملأ سمع الزمن!!.

هذا التاريخ على طوله وفضوله لم يسجل من الأمم التى بلغت رسالات الله بالخير والجمال والحق الا أربعا: العبران فى الدين والسلم. واليونان فى الفن والعلم والرومان فى النظام والحكم. والعرب فى كل أولئك جميعاً!

— والعرب فى كل أولئك جميعا — فقرة أقولها وأنا أعلم أن الشك فيها سيحك الآن فى بعض الصدور. لأن ما أقرته التعاليم المريضة فى الأذهان من أن اليونان والرومان هم مصادر الثقافة العالمية. وأن العرب أعجز بفطرتهم عن العلم. وأبعد بطبيعتهم عن التمدن. يجعل هذه القضية على اطلاقها سخيفة!

لقد آن للنظر الصحيح أن يرى، وللعقل المجرد آن يحكم!. أما الأحكام التى صدرت عن موتورى الشعوب وتجار العقائد ووراث الأحقاد فلا وزن لها فى نظر المنطق ولا شأن لها فى رأى العلم

كان العرب فى الشرق فاتحين وحاكمين فلا بدع أن تعصف ثورة العصبية. وتقوم دعوة الشعوبية. وتظهر فكرة الاسماعيلية والاسحاقية. ويبقى من آثار ذلك مانشاهده اليوم وقبل اليوم فى سياسة الترك والفرس من ازورار عن العربية واضطغان على العروبة. وكان العرب فى الغرب فوق ذلك شرقيين ومسلمين فلم يكن بد من تصادم العقائد وتعارض الطبائع وتحكم الجهالة.

محاضرة ألقيت فى صالة المحاضرات بالجامعة الامريكية فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢

فتنشأ محاكم التحقيق . وتصدر عقوبة التحريق والتمزيق . ويشاب التعليم بالتضليل والتلفيق . ويبقى من آثار ذلك أن تظل كنيسة الحمراء تقرع نواقيسها أربعاً وعشرين ساعة قرعاً متداركا فى ثانى يناير من كل عام ابتهاجا بجلاء العرب عن الأندلس! فكيف يرجى من هؤلاء وأولئك الاقرار بفضل العرب على الثقافة . والاعتراف بجميلهم على الحضارة . وفى النفوس من غلبة الفاتح وتر . ومن عظمة الحاكم حقد . ومن دين المجاهد احنة . ومن سلطان الدخيل نفور ؟ والنهضة الحديثة لم تستطع بفلسفة ديكارت وحرية الفكر ونزاهة التعليم أن تصفى العقول من شوائب هذه المذهبية القديمة ، فلا يزال نفر من العلماء يكابدون ازدواج الشخصية فيهم . فهم يجمعون فى اهاب واحد بين رجلين مختلفين: حديث يتأثر بالدراسة الشخصية والبيئة الخلقية والفكرية . وقديم يتكون على بطء من تراث الأجداد ومخلفات القرون . وهذا الرجل العتيق هو الذى يتكلم فى أكثر الناس ، فيملى عليهم الآراء ، ويلبس عليهم وجوه الحق . فاذا تنبه الرجل الحديث وتكلم وقع صاحبهما فى التناقض وتعسف من جرائهما فى الحكم . وأصدق الأمثلة على هذا الصنف من الباحثين العالم المؤرخ (ارنست رنان) خالق فكرة السامية والآرية ، وأعدى الكتاب للامة العربية . فان ازدواج الشخصية فيه جعل آراءه فى العرب متناقضة يدفع آخرها أولها . له محاضرة معروفة عن الاسلام ألقاها فى السربون ؛ وقد جهد أن يدلل فيها على وضاعة شأن العرب فى التاريخ وقلة غنائهم عن العلم ؛ ولكن الرجلين القديم والحديث كانا يتعاوران الكلام على لسانه فينقض أحدهما ما أبرمه الآخر . فبينما هو يقول مثلا : « ان العلوم والآداب والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للعرب وحدهم طوال ستة قرون ؛ وان التعصب الدينى لم يعرفه المسلمون الا بعد أن دالت دولة العرب وخلفهم على ولاية الاسلام الترك والمغول » اذا به يقول بعد ذلك : « ان الاسلام كان لاينفك مضطهداً الفلسفة والعلم وانه جعل من دون الحرية الفكرية سداً فى كل بلد احتله » . ثم يعود فيفيض القول فى فضل العرب على القرون الوسطى وفيما كانت عليه اسبانيا من الرخاء والارتقاء فى عهدهم . فاذا فرغ من ذلك سارع الرجل القديم فيه الى القول بأن الذين نهضوا بالعلم من المسلمين لم يكونوا من العرب وانما كانوا من سمرقند وقرطبة واشبيلية ؛ وأنساه شيطانه أن هذه البلاد عربية وأن الدم العربى والعلم العربى قد تغلغلا فى أصولها منذ طويل ؛ وأن تقسيم العرب الى عرب وعرابوفون سلاح لاتفلت منه أمته نفسها اذا حلل هذا التحليل نسبها وأدبها . ثم تنتهى المعركة بين الرجلين فى (رينان) بقوله فى صراحة مفاجئة : « مادخلت مسجداً قط الا تملكنى انفعال شديد هو لو أفصحت عنه نوع من الأسف على أنى لم أكن مسلماً ! »

على أن هناك فريقا من صفوة العلماء الأوربيين تحرروا من حكم الهوى، وتحللوا من قيد الغرض، فأقروا الحق فى نصابه، وارجعوا الفضل الى أهله سنجعلهم شهودنا فى اثبات ما نقول . فأن أشد ما شهد امرؤ على نفسه واقرب الآراء الى الحق رأى الفرد فى جنسه

كان العالم شرقه وغربه فى أوائل القرن السابع للميلاد قد استحال كونه الى فساد . فحضارته تتحطم بالترف والرخاوة . وسياسته تتحكم بالغلو والأثرة ؛ وأخلاقه تتفكك بالسرف والشهوة . وعقائده تتنزى بالجدل والتعصب ودماؤه تهدر بين الروم والفرس لغير غرض أسمى ولا مبدأ مقدس . وكانت شعوبه منذ طويل قد فقدت مثلها العليا فهى تعيش عيش الهمل السوائم : فلا عظمة روما تحفز الرومان ، ولا مجد السلف يهز الفرس ، ولا سمو الغاية يسدد وثبة البربر .

على هذه الحال خرجت أمة العرب برسالتها الدينية والخلقية الى هذا العالم المنقض والهيكل البالى فجددت اخلاقه على الرجولة ؛ وطبعت عقيدته على التسامح ، ورفعت مجتمعه على المحبة : وصمدت للجهاد والفتح فى سبيل هذا المثل الأعلى لا تطمح من دونه الى سلطان ولا تطمع من ورائه فى غرض حتى انشأت فيما دون القرنين ملكا طبق الأرض . وحضارة هذبت العالم وثقافة حررت العقل ولم يكن ذلك مستطاعا لغير الأمم الموهوبة التى هيأها الانتخاب الطبيعى لتبليغ رسالة او تجديد دعوة او تحقيق (اديال Ideal) . وكأين من امة قوضت سلطان أمة او امم . ولكنها لم تعد ما يفعل منسر من اللصوص سطا على قافلة او قطيع من الوحوش عدا على قرية فالشعوب الجرمانية والهونية والسلافية تعاقبت غاراتها على الرومان فى الشرق والغرب فاجتاحوا ملكهم ؛ والقبائل التركية والمغولية قد دهموا العرب فثلوا عرشهم . ولكن شعباً من هذه الشعوب لم يصبغ قلبه للمدنية ؛ ولم يجد فتحه على الانسانية فظلوا بعداء عن الحضارة غرباء عن العلم الا ماكان من ترويجهم بعد لحضارة المغلوب وثقافته

اما القبائل العربية فلم يكادوا يضعون عن كواهلهم عتاد الحرب وينفضون عن وجوههم غبار الصحراء ؛ حتى صعدوا فى مراقى الحضارة بسرعتهم فى طريق الفتوح . واستطاعوا ان يرفعوا على انقاض اليونان والرومان والفرس حضارة ثابتة الأصول باسقة الفروع لايظهر فى عناصرها المختلفة الا روح الاسلام وفكر العرب ثم كانت من القوة بحيث طاولت الدهر . وصاولت الغير .

« البقية على ص ١٨ »

فى تعدد الاوضاع

البلبلة والضياع

للاستاذ عبد القادر المغربى
عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربى علم من أعلام الادب وعضو نابه من أعضاء المجمع العلمى العربى وقلم بارع من أقلام مجلته الزاهرة . وله بمصر وصحافتها صلة قديمة . فاقد تولى التحرير بجريدة المؤيد حينا من الدهر كانت مقالاته فى النقد والاجتماع موضع الاعجاب من صفوة الشباب وناشئة الكتاب لطرافة أسلوبها وحرية تفكيرها . وقد ثقف اللغة التركية فى عهد الكهولة فاستمد منها فى جهاده الادبى قوة عظيمة . ولا يزال الاستاذ بجلد الشبيبة وحكمة الشيخوخة يزاول التعليم فى كلية الآداب بدمشق والتحرير بمجلة المجمع وقد تفضل أيضاً فنخ بعض هذا الجهد القيم «مجلة الرسالة»

أعرض على حضرات قراء هذه « الرسالة » مثالا واحداً من أمثلة الحيرة التى تعترى النقـلة والمترجمين عند ما يريدون وضع كلمة جديدة أو نقل كلمة أعجمية الى لغتنا العربية ولاسيما اذا كانت من مصطلحات العلوم الفلسفية أو النفسية أو الاجتماعية .

كثيراً ما تتردد فى كتابات المشتغلين بالفلسفة الحديثة كلمتا Objectif و Subjectif ويريدون بكلمة Objectif التفكير فى الأمور من حيث مظاهرها الخارجية ومن دون أن يكون للانفعالات النفسية تأثير فيها .

أما Subjectif فيريدون بها التفكير فى الأمور لا من حيث مظاهرها الخارجية بل من حيث وقعها فى نفس المفكر وتأثيرها فى شعوره الباطنى .

هذا ما يمكن أن يقال فى تفسير الكلمتين تفسيراً اجماليا . ولما أراد كتاب العرب أن يضعوا لها كلمتين عربيتين اختلفوا فى الوضع أو الاختيار اختلافا كبيرا .

وربما كان أسبق هؤلاء الواضعين كتاب الاتراك . فقالوا فى ترجمة Subjectif وهو ما نفكر به باطنياً « لاهوتى » وفى وفى ترجمة Objectif وهو ما نفكر به خارجياً « ناسوتى » .

وقام من الأتراك العثمانيين كاتب المعى هو بابان زاده أحمد نعيم فاستحسن أن يقال مكان لاهوتى « أنفسى » ومكان ناسوتى « آفاقى » نسبة الى كلمتى « الأنفس والآفاق » ناظراً فى ذلك الى الآية القرآنية الكريمة (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

أما كتاب العرب فى مصر فربما كان نجارى بك رحمه الله هو أول من أعلن ترجمة هاتين الكلمتين الى العربية فى معجمه الكبير (الفرنسى والعربى) المطبوع سنة ١٩٠٥ م

فقـد فسر كلمة Subjectif وهو ما نفكر به باطنيا بكلمة « جوهر » وفسر كلمة Objectif وهو ما نفكر به خارجياً بكلمة « عرض » .

ثم جاء بعد نجارى من كتاب مصر من ترجم كلمة Subjectif « بالذاتى » وكلمة Objectif « بالموضوعى » .

وقال غير هؤلاء بل نترجم Subjectif « بالفاعلى » وكلمة Objectif « بالمفعول » .

ثم وصل الى كتاب العرب فى العراق : فترجم الأستاذ الكبير ساطع بك الحصرى كلمـة Subjectif وهو ما نفكر به باطنيا بكلمة « شخصانى » نسبة سريانية الى كلمة « شخص » على حد قولنا « جسمانى وروحانى » فى النسبة الى الجسم والروح — وفسر كلمة Objectif وهو ما نفكر به خارجيا بكلمة « شبحانى » نسبة الى « الشبح » الذى يرى من بعيد . ملاحظا أن معنى « الشبح » يراد أحيانا من كلمة Objectif ومنه تسمية البلورة الصغيرة فى آلة التصوير الشمسى Objectif وهى التى تلتقط صور الأشباح الخارجية فترتسم فيها

ولم يكد يذيع الأستاذ ساطع بك رأيه فى ترجمة الكلمتين ويبرهن على صحته حتى عارضه الاستاذ اسماعيل مظهر فى مجلة (العصور) مدعياً أن ترجمة كتاب مصر لهما « بالذاتى » و« بالموضوعى » خير من ترجمة الاستاذ ساطع لهما « بالشخصانى » و« الشبحانى » .

وسئل الأب انستاس الكرملى عن ترجمة هاتين الكلمتين فأجاب فى مجلد السنة السادسة من مجلة (لغة العرب) بما نصه : يقابل Objectif فى لساننا كلمة « الذهنى [١] » والثانى Subjectif يقابله فى لغتنا كلمة « الخارجى » . قال أبو البقاء فى كلياته عن الأول كذا وعن الثانى كذا . . .

ثم نقل الأب الكرملى عبارة أبى البقاء بطولها وقفى عليها بقوله : (فأنت ترى من هـذا أن تعريف كل من « الذهنى » و« الخارجى » تعريف صحيح على ما يفهمه الافرنج فى هذا العهد . ولا نعرف للحرفين المذكورين كلمتين أخريين . ومن يعرفهما فليذكرهما لنا ا هـ)

هذا ماقاله كتابنا على اختلاف امصارهم فى ترجمة هاتين الكلمتين . وقد دار محور النزاع بينهم حول سبعة أزواج من الكلم وهى :

١ – كذا فى الأصل ولعل صوابه بالعكس

« البقية على ص ١٤ »

اللغة العربية

كأداة علمية

للدكتور علي مصطفى مشرفة
الأستاذ بكلية العلوم

تجتاز اللغة العربية فى عصرنا الحالى مرحلة من مراحل تطورها سيكون لها أثر واضح فى مستقبلها . فاللغة التى كان عرب البادية يتكلمونها بسليقتهم فيصفون بها حياتهم ويعبرون بها عن مشاعرهم فى صحرائهم وبين إبلهم وآرامهم والتى صارت بعد ذلك لغة الكتاب والفلاسفة فى عصور المدنية الاسلامية : يتناولون بها سائر المعانى الأدبية والفلسفية . تلك اللغة قد كتب عليها أن يصيبها الخمول فتبقى مئات السنين بعيدة عن مجهودات البشر الأدبية والفلسفية والعلمية ثم هانحن نراها اليوم وقد بعثت من مرقدها فى ثوب جديد فصارت لغة الكتابة والتأليف ، لغة الخطابة والتعليم فى عصر انتشرت فيه مدنية جديدة وعمته حضـــارة مستحدثة : تختلف فى مظهرها الخارجى وفى المحمل العقلى المرتبط بها اختلافاً بيناً عن حضارات القرون الوسطى . فاللغة العربية تبعث اليوم كما بعث الفتية بعد أن ضرب على آذانهم فى الكهف سنين عددا فتجد نفسها فى عالم جديد موحش لا تأنس اليـه ولا يأنس اليها وهو لعمرى موقف نادر تقفه لغتنا لعله فريد فى بابه . لذلك كان لزاماً على الأدباء والمفكرين من أهل اللغة العربية فى عصرنا الحالى أن يحوطوها بعنايتهم وأن يهيئوا لها أسباب الحياة الطيبة فى بيئتها الجديدة حتى تتكيف بالبيئة وتجنح اليها كما تتوتر لها البيئة وتحتويها فاللغة كالكائن الحى فى تفاعل مستمر مع البيئة التى تحيط به فاما تلاءماً فاشتد الكائن وتكاثر ونما واما تنافراً فاضمحل وتضاءل وهلك .

واذا نحن قارنا البيئة الفكرية الحديثة بما كانت عليه فى أيام ازدهار الحضارة العربية فلعل أول ما يسترعى نظرنا من الفوارق تغلب الروح العلمية على تفكيرنا الحديث ، فالمدنية الحالية كما يدل عليه تاريخها مدنية علمية ، مدنية كشف واختراع ، مدنية استنباط وتحليل ، ولذا كان مظهرها الخارجى غاصاً بالآلات والعدد تكتنف الناظر اليها عن اليمين وعن الشمال ، فلا عجب أن تشعر لغة العيس والشيهام بوحشة بين الطيارات والمدافع الرشاشة ومما لاشك فيه أن التقدم الذى حدث بمصر وفى سائر البلاد العربية فى العصر الحالى قد كان من شأنه العمل على المقاربة بين اللغة العربية الحديثة وبين بيئتها . فمن ناحية قد تطورت اللغة بأن دخلت عليها كلمات وعبارات مستحدثة نشأت الحاجة اليها كما تغيرت معانى الألفاظ ومدلولات التراكيب بما يتفق والتفكير الحديث . وهجرت الألفاظ الغريبة علينا أو التى لا لزوم لها ، فنشأ عن ذلك تهذيب فى اللغة قربها الى عقولنا وساعد على حسن استخدامها . ومن ناحية أخرى بانتشار التعليم بين طبقات الامة وبزيادة تبحر متعليها فى مختلف العلوم والفنون قد انتشرت الألفاظ والتراكيب العربية وشاع استعمالها فى طول البلاد وعرضها كما تكونت طوائف من العلماء والمفكرين بيننا يكتبون ويخطبون ويؤلفون فى سائر العلوم والفنون فنشأت ثروة من الأدب العلمى والأدب الفنى الحديثين يصح أن تتخذ مرجعاً لعلماء اللغة فى دراستهم للغة العربيـة الحديثة . الا اننا مع ذلك لا نستطيع أن نزعم أن الشقة بين اللغة وبيئتها قد تلاشت تماما . فلا تزال هناك مدلولات عديدة لم تتسع اللغة للتعبير عنها بحيث يشعر المتعلم منا بنقص فى لغته عندما يحاول الكلام فى كثير من المواضيع العلمية والفنية . كما أنه من ناحية أخرى يوجد نقص كبير فى عدد المتعلمين الذين يحسنون الكتابة أو الخطابة بلغة متفق على صحتها .

وبعبارة أخرى كل مايمكن أن يقال ان اللغة العربيـة الحديثة لا تزال فى دور التكوين .

لو اتيح لنا ان ننظر الى مستقبل اللغة العربية فترى ماذا نجد ؟ هل نجد لغة واحدة يكتبها ويتكلمها المتعلمون من اهل مصر واهل العراق واهل الشام وغيرهم من الأمم العربية بفروق ضئيلة : لا تزيد على الفروق بين لغة اهل استراليا ولغة اهل انجلترا . وهل تكون هذه اللغة قريبة من اللغة العربية التى اكتبها الآن قرب لغة الانجليزى المتعلم الآن من لغة شكسبير ؟ ام هل نجـد لغات مختلفة لغة فى مصر واخرى فى العراق واخرى فى لبنان ، مثلها كمثل اللغة الألمانية واللغة السويدية واللغة الهولندية فى تقاربهـا وتباعدها ، كل لغة متأقلمة بلهجة اهلها ولا صلة بين ابها وبين لغة هذا المقال الا كالصلة بين اللغة الألمانية واللغة اللاتينية . وبعبارة اخرى هل ستحيا اللغة العربية وتنتشر او ستموت وتندثر وتحل محلها لغات اخرى ! ان مآل اللغة العربية فى مستقبلها متوقف علينا نحن اليوم . فاللغة كما قدمت فى دور التكوين ولذا ففى يدنا قتلها وفى يدنا احياؤها . اما قتلها فيكون بالجمود بها عن تطورها الطبيعى كما يكون بعـــدم التعاون بين الأمم المختلفة من اهلها على توحيدها والمحافظة على وحدتها . واما احياؤها فيكون بالتبصر والحكمة وحسن الرعاية والتمشى بها فى السبيل الطبيعى لرقيها كلغة حية واحدة

ومن حسن الحظ أن لدينا اليوم من الوسـائل ما نستطيع به المحافظة على لغتنا فى مصر وفى سائر البلاد العربية . فانتشار المطبوعات وسهولة الانتقال من بلد الى أخرى والاذاعة اللاسلكية كل هذه عوامل قوية على توحيد اللغة وتعميمها اذا نحن أحسنا استخدامها وتنظيمها

ولست أتعرض فى هذا المقال للغة الأدبية بل أترك ذلك لأدبائنا وكتابنا وانما أريد أن أشير الى بعض الصعوبات التى تصادف لغتنا اليوم كأداة للتعبير العلمى . فمن جهة لا تزال كمية التأليف العلمى فى مصر وفى الأقطار العربية ضئيلة بحيث لا يمكن بحال ما أن تعتبر ممثلة لحالة العلم فى العالم اليوم . ومن ناحية أخرى يعوز المؤلفات العلمية الموجودة التهذيب كما يعوزها التجانس فى المصطلحات ، فكثير من المدلولات العلمية لا توجد الصيغ اللفظية لها ، وبعض المدلولات توجد لها صيغ اما ضعيفة أو غير صالحة . كما أنه توجد فى بعض الأحايين صيغ متعددة للمدلول الواحد مما يؤدى الى نوع من الفوضى فى أدبنا العلمى يجب علينا تلافيها . والطريقة المثلى للتقدم تكون بتأليف لجان من الاخصائيين لمراجعة المؤلفات الموجودة وتهذيبها والعمل على تجانسها كما تكون بتكليف القادرين منـا وتشجيعهم فرادى ومجتمعين على وضع المؤلفات فى مختلف الفروع العلمية حتى تتألف لنا ثروة من الأدب العلمى يصح أن يعتمد عليها علماء اللغة فى استخلاص المصطلحات والعبارات العلمية فى لغتنا الحديثة وتحديد معانيها ومدلولاتها بمعاونة العلماء الاخصائيين فى ذلك . ويجب أن أذكر بهذه المناسبة أن من العبث أن يحاول علماء اللغة وضع المصطلحات العلمية وضعاً قبل ورودها فى المؤلفات العلمية وشيوع استعمالها فان ذلك يكون من باب التسرع وقلب النظام الطبيعى لتطور اللغة وهو فى الغالب مجهود أكثره ضائع اذ لا يمكن التنبؤ بما اذا كان مصطلح من المصطلحات سيبقى ويدخل فى صلب اللغة أو سيموت ويحل غيره محله .

بقيت نقطة اريد ان اتعرض لها وهى العلاقة بين المصطلحات العربية ومصطلحات اللغات الحية الأخرى . ففى رأيى انه من الجائز استعمال مصطلح اجنبى فى لغتنا — بعد تحويره ليتفق مع ذوق اللغة واوزانها — بشروط ان يكون هذا اللفظ مستعملا فى جميع اللغات العلمية الأخرى او فى معظمها . ومثل هذه الالفاظ تكون فى الغالب مشتقة من اصل اغريقى او لاتينى لا جناح علينا نحن اذا اشتققنا منه كما اشتق غيرنا . اما الالفاظ الأجنبية المقصورة على لغة واحدة او لغتين فرأيى ان يكون له عندنا لفظ عربى مرتبط بأدبنا وتفكيرنا .

ولا يتسع المجال لزيادة التفصيل فليس المراد من هذا المقال ان أدخل القارىء فى مسائل فنية هو فى غنى عن بحثها وانما ارجو اكون اثرت من نفسه الاهتمام بهذا الموضوع الذى هو من اهم المواضيع المرتبطة بحياتنا وتقدمنا .

على مصطفى مشرفه

رسالة الاديب فى مصر

بقلم الأديب عبد الحميد يونس

وقف الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل وقفة طويلة فى كتابه « الأبطال » عند البطل فى صورة الأديب وعرفه بأنه « .. الرجل الذى يردد لنا نفسه الملهمة ، وأقول الملهمة لأن مانسميه بالعبقرية أو الصدق أو الموهبة أو صفة البطولة التى لا نجد لها اسما خليقاً بها تدل على أن الأديب هو الذى يعيش فى أعماق الأشياء ؛ فى الحقيق فى الالهى : فى الخالد الذى يوجد أبداً والذى لا تراه الدهماء ، لأنه يختفى وراء الزائل الحقير دائماً أبداً . الأديب هو الذى يذيع هذا الخفى للناس بالقول او بالعمل : وحياته اذن قطعة من قلب الطبيعة الذى لا يعتوره الفناء » ثم استعان بآراء الفيلسوف الألمانى (فختِه) الذى اذاع سلسلة محاضرات فى موضوع « طبيعة الرجل الأديب » قال فيها ان كل الأعمال التى يعملها الناس والأشياء التى تقع عليها ابصارهم فى هـذه الدنيا ليست الا ثوباً او مظهراً احساسياً يجثم وراءها ما أسماه « فكرة العالم الالهية » . وهى « الحقيقة التى توجد فى اعماق المظاهر جميعاً » وهى بالطبع لا تظهر لعامة الناس لأنهم يعيشون بين المظاهر والماديات . فرسالة الأديب أن يميز لنفسه وللناس هذه الفكرة الالهية بما فيها من روعة وجمال وقوة وان يقف الى جانبها معجبا متعجباً ؛ وان يذيعها فى الناس حتى يكونوا انعم بحياتهم واقدر على فهم وجودهم . عليـه ان يسمو بهم فوق رغبات العيش المادى من طعام وشراب وكساء وان يحررهم — ولو الى حد ما — من قيود الزمان والمكان .

وأظنك تستطيع ان تتخذ هذا التعريف مقياساً توازن به بين الأدب الحى والأدب الميت . فكما يوجد فى هذا العالم اطباء ودجالون يدعون الطب كذلك يوجد ادباء وادعياء يدعون الأدب . واذا كنت تحرص الحرص كله على التمييز بين النقود الصحيحة . النقود

الزائفة وهى التى تحصل بها على اغراضك المادية فالأجدر بك ان تكون أكثر حرصاً على التمييز بين الآثار الأدبية الصالحة والآثار الأدبية الزائفة وهى التى تحصل بها على أغراضك الروحية

والأديب يولد ولا يصنع – كما يقول الانجليز – أى أنه رجل لا يكتسب صنعة الأديب بالتعلم والمران مالم يكن موهوباً بطبيعته. بيد أن هذه الموهبة كالشجرة مالم تثقف وتشذب فلن تؤتى أكلها لذيذاً شهياً . . .

نخرج من هذا بأن الأديب فى مصر هو الأديب فى غير مصر وأن رسالته هنا هى بعينها رسالته هناك وكل مافى الأمر اختلاف طرائق التعبير . على أن مهمة أديبنا أشق من مهمة الأديب الغربى لأن الغربيين يعرفون لأديبهم قدره فيبسطون له فى الرزق حتى ينصرف الى الانتاج الأدبى الصالح بينا ينكر المصريون أديبهم ويضيقون عليه الخناق وهم ان اعترفوا له بشىء فانما يكون هذا الاعتراف بعد أن يفارق هذه الدنيا. ولهذا دون شك أثره البالغ فى خلق الأديب فهو اما أن يتزلف الى السلطات الحاكمة أو يترضى الأمراء والزعماء فاذا لم يستطع هذا أو ذاك أخذ يتملق الجمهور ! ولا تتهمنى بالمبالغة فأمامك تاريخنا الأدبى الحديث فهو حافل بأسماء الأدباء – وأشباه الأدباء – الذين كانوا أقرب الى المتسولين منهم الى أى شىء آخر . والذين انحطوا بصناعة الشعر والنثر الى الدرك الأسفل حتى أصبح الأدب نوعاً من «البهلوانية» فى التعبير فأذا ألحت عليهم الحقيقة اتخذوا فى اذاعتها فنون اللف والدوران والمواربة ! وما أقل أولئك الذين عافت نفوسهم التمسح بأذيال السادة او التعلق بأردان الجماهير ! والأديب – بل وشبه الأديب – معذور لأن الجماعة لا تريد الا من يسليها ويدخل السرور عليها اما الذى يكشف لها عن المثل العليا ويظهرها على الفرق بين حاضرها وهذه المثل فهو ابغض الناس اليها !

والأديب المصرى الذى يريد أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل يصطدم بعقبتين كلتاهما صعبة شديدة . فما بالك اذا علمت أنهما متآخيتان ، هاتان العقبتان هما « السياسة والتقاليد »

اما السياسة فقد طغت علينا وأفسدت مزاجنا الأدبى حتى اضطربت موازين النقد فى ايدى الكتاب ورجال التعليم يجورون فى احكامهم على الأدباء جوراً ظاهراً : والطلاب والقراء فى حيرة ليس مثلها حيرة . واسرفت السياسة فى طغيانها واشتدت جنايتها على الأدب حتى انصرف الأدباء الى السياسة وادركوا أن الشهرة الأدبية لن تأتيهم الا على حساب الشهرة السياسية !

والتقاليد أمرها غريب حقاً فهى من محاربتها للادب والأدباء تتستر وراء الدين حيناً ووراء السياسة حيناً آخر. تظهر مرة وتختفى مرات . وويل للاديب الذى يتهم بالالحاد . وويل للاديب الذى يتهم بالخيانة . وويل للاديب الذى يتهم بالاباحية ! لو كان موظفاً طرد من وظيفته . ولو كان عالماً جرد من شهادته . ولو كان كاتباً حورب فى صحيفته !

على ان الأديب القوى هو الذى يصمد لهذا كله ويمضى فى اذاعة رسالته مؤمناً بانتصاره . او قل . بانتصار آثاره تدفعه الفكرة الالهية التى فيه . فاذا اعترف له ابناء عصره بفضله عليهم وعلى الأجيال المقبلة من بعدهم فذاك . والا فقد كتب اسمه فى ثبت الخالدين . . .

وأدباء مصر فى هذا الزمن هم «الطلائع» التى تتعرض للاخطار وتتلقى عن بقية الجيش السهام تتلوها السهام؛ والطلقات تعقبها الطلقات . فعليهم أن يضربوا المثل الصالح لأبناء الجيل الجديد

وانى لأعلم أن مهمة الأديب المصرى فى الجيل المقبل ستكون أسهل من مهمة اخيه فى هذا الجيل لأن الأخير عليه الى جانب مهمته الأساسية مهمة اخرى هى « التمهيد » وتعبيد طرائق التعبير من نحت الفاظ . واصلاح الفاظ . ومن خلق قوالب ادبية لم يكن لها فى تقاليد الأدب العربى وجود كالدرامة والشعر القصص والمقال الاجتماعى وما يتطلبه هذا كله من التغيير فى قواعد النظم والكتابة .

* *

وليذكر اولئك الذين يغرمون بتأليف الجامع اللغوية ان اصلاح اللغة لا يقوم به النحاة والعروضيون واصحاب الابحاث «الفيلولوجية» وانما يقوم به الأدباء والأدباء وحدهم لأنهم بطبيعة رسالتهم اقدر على ابتكار الألفاظ التى تتلاءم مع المعانى والأساليب التى تتفق والأغراض . ثم هم اقدر على اذاعة هذه الأساليب وتلك الألفاظ فى الناس ثم يأتى بعدهم اصحاب النحو والعروض وعلوم اللسان يستخرجون من آثارهم القواعد العامة ويرتبونها ويصنفونها ويضعون المطولات والقواميس فيها !

فليمض الأدباء المصريون – وهم قلة – فى تحقيق الرسالة السامية التى وجدوا من اجلها والتى يعيشون لها . والتى يجب ان يموتوا فى سبيلها كما يموت كل صاحب رسالة يؤمن برسالته وليكن عزاءهم خلود آثارهم : واحر بالناس ان يقدروا الأديب الذى لا يعيش لنفسه وانما يعيش لهم ! . .

عبد الحميد يونس



العبقرية والقريحة
أو
شوقى وحافظ

بقلم احمد حسن الزيات

لجيعة الشعر العربى فى حافظ وشوقى يعز عليها الصبر، ويعوز منها العوض، ويصرف أساها الناقدين عن تقويم الميراث العزيز الى تعظيم الموروث الأعز. وليس مما يزكو بالمنصف أن يجشم نظره رؤية الحق من خلال الدموع، فان فى ذلك اعتداء على العقل أو إساءة إلى العاطفة. وهذه الكلمة انما نستجيز ذكرها اليوم لأنها إلى الهتاف بالعظيمين أقرب منها إلى النقد، ولأن مايكتب عنهما الساعة إنما هو تقييد لعفو الرأى وتمهيد لأسباب الحكم الصحيح.

شوقى شاعر العبقرية وحافظ شاعر القريحة. وتقرير الفرق بين الموهبتين هو تقرير الفرق بين الرجلين. فالقريحة ملكة يملك بها صاحبها الابانة عن نفسه بأسلوب يقرر الفن ويرضاه الذوق. ومن خصائصها الوضوح والاتساق والأناقة والسهولة والطبعية والدقة. أما العبقرية فضرب من الالهام يستمر استمراراً تجدداً فتلازم أحياناً وتنفك حيناً. ومن أخص صفاتها الأصالة والابداع والخلق. فالرجل العبقرى إذن يعلو ثم يسفل تبعاً لقيام العبقرية به أو انفكاكها عنه. وهو يتشخب الشعر غالباً فيرسله من فيض الخاطر كما يجىء، دون تنقيح له ولا تأنق فيه، ثم هو فى عظام الأمور سباق وفى محاقرها متخلف، لأن الجليل يوقظ خاطره ويحفز طبعه والتافه الوضيع ينخزل عن مكانه فلا يبلغ موضع التأثير فيه وقد يعى لسبب من الأسباب بعامى الأشياء أو سوقى الآراء، فيبعث فيه من روحه ما يحييه، ومن حرارته ما يقويه، ومن أشعته ما يظهر فيه الطرافة والجدة كما تظهر الشمس كرات التبر فى عروق الصخور! فالقريحة كما ترى توجد الضورة والعبقرية تبدع المخلوق. ومزية الأولى فى الصنعة وتقديرها فى التفصيل، ومزية الأخرى فى الابتكار وتقديرها فى الجملة. فاذا قرأت قصيدة لذى القريحة راقك منها جرس الحروف ونغم الكلمات واتساق الجمل وبراعة البيت، ولكنك تفرغ منها وليس لها أثر فى نفسك ولا صورة فى ذهنك. أما العبقريات فحسبك أن تذكر عنوانها لتشعر بها، وتتصور موضوعها لتتأثر منها.

ذو القريحة يقول مايقول الناس، ولكنه يصوره بقوة ويؤديه بدقة وينسقه بذوق ويهذبه بفن، وذوو العبقرية على نقيضه. ينظر ويشعر ويفكر ويقدر على طريقته الخاصة. فاذا وضع خطة أو رسم صورة أو بحث فكرة أخرجها على طراز فذ فتحسبها مبتكرة وقد تكون مسبوقة، لأنه استطاع بقوة لحظه ولقانة طبعه أن يريك فروقاً لم ترها، ويقفك على تفاصيل لم تتصورها. ويفجر لك النهر من حيث لم يستطع غيره أن يفجر الجدول. والرجل العادى ينظر بالعين فكأنه لسطحيته لم ير! والعبقرى يرى باللمح فكأنه لزكانته لم ينظر!

على أن هناك فرصاً للكمال تجتمع فيها على الوئام العبقرية والقريحة، فيسلم الفنان حينئذ من التفاوت القبيح بين إصعاده وإسفافه، أو بين جيده ورديئه. لأن العبقرية إذا غفت خلفتها القريحة، والقريحة إذا كبت سندتها العبقرية. على ذلك تستطيع أن تقول إن أبا نواس وأبا فراس والشريف من رجال القريحة وإن أبا تمام وأبا العتاهية والمتنبى من رجال العبقرية، وإن البحترى وابن الرومى ممن جمع فى الكثير الغالب بين الموهبتين. وتستطيع

كذلك أن تعلل أمثال قول البحترى فى أبى تمام: جيده خير من جيدى ورديئى خير من رديئه؛ وقول الأصمعى فى أبى العتاهية: إن شعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والخزف والنوى. وقول الثعالبى فى المتنبى: كان كثير التفاوت فى شعره فيجمع بين الدرة والآجُرَّة، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء. وقولهم فى ابن الرومى: إنه امتاز بتوليد المعنى واستقصائه وسلامة شعره على الطول

اخطرْ ببالك بعد ذلك حافظا تجد أول مايبهرك منه لفظه الموثق وأسلوبه المشرق وقافيته المروضة وصوره الأخاذة. فأما الروح والموضوع فأصداء منبعثة من الماضى فى فردياته وآراء مقتبسة من الحاضر فى اجتماعياته. فحافظ لم يستطع لضيق مضطربه وقصور خياله وضعف ثقافته أن يعنى بغير الشكل والصورة. وكانت هذه العناية من اليقظة والحرص بحيث لم تغفل عن خلل ولم تعى بصقال. فاذا تهيأ للشعر أو للنثر عمد الى الآراء التى تختلج حينئذ فى النفوس وتستفيض فى المجامع وتتردد فى الصحف، فيجمعها فى باله ويديرها فى خاطره ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ ويسبكها فيجيد السبك. وتقرأ بعد ذلك أو تسمع فاذا نسق مطرد واسلوب سائغ وشىء كأنك سمعته من قبل ولكن عليه طابع حافظ ووسمه

وحافظ يتحمل من بناء القصيدة رهقاً شديداً. لأنه يلدها فكرة فكرة، ويبضها قطرة قطرة، ويتصيد المعانى فيقيدها فى مفردات أو مقطوعات، فربما وقع له ختام القصيدة قبل مطلعها، وعثر على عجز البيت قبل صدره. ثم يعود فيرتب هذه الأبيات لأدنى ملابسة وأوهى صلة! وتجىء الصنعة البارعة فتخدعك عن الخلل بالطلاء، وعن التفكك بارتباط الأسلوب

ثم أخطرْ ببالك بعد ذلك شوقى تجده غير محدود بالصنعة ولا مقيد بالشكل. وإنما هو فيض يسخر بالحدود، ونور ينفذ من الستور، والهام يتصل باللانهاية، وشاعر كالمتنبى أو كهوجو يفتح مطلع القصيدة فكأنما يفتح لك باب السماء! فأنت من شوقى حيال شاعر روحه أقوى من فنه، وشعره أوسع من علمه، وحكمته أمتن من خلقه، وقدرته أكبر من استعداده، فلا تشك فى أنه وسيط لروح خفية تقوده، ورسول لقوة إلهية تلهمه. ثم تفارقه حيناً تلك الروح وتفرق عنه هذه القوة فيعود رجلا أقل من الرجال، وشاعراً أضعف من الشعراء، فينظم فى افتتاح الجامعة ومشروع القرش وما الى ذلك، فيأتى بما لا وزن له فى النقد ولا مساغ له فى الذوق!

وشوقى تحت وحى العبقرية يتنزل عليه الموضوع جملة، ثم يشغله عن تفاصيله التفكير فى الغاية والتحديق فى الغرض فيرسله من فيض الخاطر شعراً متسلسلا متصلا تضيق عن معانيه ألفاظه كما تضيق شطئان الرمل عن الفيضان الجائش المزبد.. ومن ثم كان التجديد والتعقيد والتدفق والعمق من أقوى خصائص شوقى، كما كان التقليد والبساطة والكزازة والسطحية، من أبين خصائص حافظ.

وهنا تحجز القلم عن وجهه فلا نمعن فى تحليل شاعرينا اليوم، فان لذلك إبانه ومكانه. ثم نرسل العين هتانة المسارب أسى على ماض طويل انقطع، ونغم جميل تبدد، وحلم لذيذ تقضى. وكاهنين من كهان عطارد طواهما الخلود، ثم ترك بعدهما رسالة الشعر عرضة للشعوذة والجمود.

احمد حسن الزيات

فى تعدد الاوضاع

(بقية المنشور على ص ٩)

لاهوتى . ناسوتى
أنفسى . آفاقى
جوهر . عوض
ذاتى . موضوعى
فاعلى . مفعولى
شخصانى . شبحانى
خارجى . ذهنى

ومن هذا نرى النقلة والمترجمين لا يرجعون فى ماشجر بينهم الا الى انفسهم. ولا يستمدون الحكم فى فصل الخلاف اللغوى الا من ذوقهم . والأذواق مختلفة . ولا تحكيم مع اختلاف المحكمين. والقراء حيارى بين هذا المترجم، وذاك الواضع. وفى تعدد الأوضاع . البلبلة والضياع. فلم يبق الا أن يتولى المجمع أمر الوضع، فيجمع الشتات ويرأب الصدع .

المغربى

حلقات الادب

في الفسطاط

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مدينة الفسطاط منذ القرن الثاني للهجرة مركزاً للتفكير والآداب. يحج اليه كثير من أعلام المشرق. وكانت مصر قد أخذت تتبوأ مكانتها الفكرية والأدبية بين الأمم الاسلامية. منذ استقرت شئونها السياسية في ظل الدولة العباسية. ولم تكن مصر منذ افتتحها الاسلام أكثر من ولاية تابعة للخلافة. ولكنها كانت بين ولايات الخلافة أشدها احتفاظاً بشخصيتها وألوانها القومية: وكانت منذ البداية تأخذ بنصيبها في بناء صرح التفكير الاسلامي: ولكنها كانت تشق في هذا الميدان طريقها الخاص. وكانت منذ الفتح مركزاً هاماً للسنة والرواية، يحتشد فيها جماعة كبيرة من الصحابة الذين اشتركوا في الفتح والتابعين الذين عاصروهم[1]. وفي القرن الأول أيضا وضعت بذور الحركة الأدبية فنمت وأزهرت بسرعة. حتى أنه يمكن القول أن مصر كانت منذ القرن الثالث قد كونت أدبها العربي الخاص. ولم يأت القرن الرابع حتى كان هذا الأدب يتميز بخواصه المصرية القوية مما عداه من تراث التفكير العربي في المشرق والأندلس.

وكانت الفسطاط عاصمة الاسلام في مصر منذ قيامها عقب الفتح سنة ٢١ ﻫ (٦٤١ م) حتى منتصف القرن الرابع. وقد قامت بجوارها مدينتا العسكر والقطائع دهراً[2]. ولكن العسكر كانت مركزاً للامارة والادارة فقط، وكانت القطائع وهي مدينة بني طولون مدينة بلاط فقط، أما الفسطاط فكانت قلب الاسلام النابض في مصر. ومهد التفكير والآداب في تلك العصور. وحتى بعد أن قامت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ ﻫ (٩٦٩ م.) لم تفقد الفسطاط أهميتها الفكرية والأدبية، بل لبثت بعد ذلك عصوراً تشتهر بحلقاتها ولياليها الأدبية، وكانت هذه الحلقات والليالي الأدبية من محاسن الفسطاط. يشيد بأهميتها وجمالها أدباء المشرق والمغرب الوافدين على مصر. وكانت في الواقع نوعا من الأبهاء الأدبية Salons يجتمع فيها الأدباء والشعراء، للقراءة والسمر والجدل والمساجلة. وكانت مهاد اللقاء والتعارف بين الأدباء المحليين والنزلاء الوافدين من عواصم الاسلام الأخرى. وقد بدأت هذه الحلقات الأدبية في الفسطاط منذ القرن الأول. ولكنها كانت في بدايتها دينية فقهية، وكانت لها أهميتها في تمحيص السنة والرواية. وكانت تجمع بين جماعة من أقطاب الفقهاء والحفاظ والمحدثين الذين يعتبرون في الطبقة الأولى بين فقهاء الاسلام ورواة السنة. مثل يزيد بن حبيب، والليث بن سعد، وعبد الله بن وهب[1] ثم الشافعي وأصحابه. ثم اتخذت هذه الحلقات طابعاً أدبياً، فكان يمزج فيها بين الكلام والأدب. وكان معظم فقهاء هذا العصر أدباء أيضاً يأخذون من الأدب بحظ وافر. ولبعضهم في النثر والشعر براعة خاصة. ونستطيع أن نذكر من هؤلاء الامام محمد بن ادريس الشافعي قطب الشريعة وحجة التشريع، فقد كان أيضاً أديباً مبرزاً له في الشعر والنثر محاسن وروائع وكذلك آل عبد الحكم الذين نذكرهم بعد: وأبو بكر الحداد قاضي مصر: والحسن بن زولاق المؤرخ فقد كان هؤلاء جميعاً من كبار الفقهاء والأدباء. وكان الفقه والحديث والادب تمتزج معاً في مجالسهم وأسمارهم.. ولعل أبهى حقبة في هذه الحلقات الشهيرة في تاريخ الفسطاط مستهل القرن الثالث الهجري ففي ذلك الحين كان الامام الشافعي نزيل الفسطاط وكان مدى الأعوام التي قضاها بمصر منذ قدومه اليها في أواخر سنة ١٩٨ﻫ[2] (٨١٣م) حتى وفاته في رجب سنة ٢٠٤ﻫ (٨١٩م) قطب الحركة الفكرية فيها وكعبة الصفوة من فقهائها وأدبائها يجذبهم اليه غزير علمه ورفيع أدبه. وبارع خلاله. وكانت حلقات الفسطاط الأدبية شهيرة قبل مقدمه ولكنه اسبغ عليها بهاء وسحرا وروعة وكان ابو تمام الطائي الشاعر الأكبر اذا صحت الرواية عن مقدمه الى مصر صبياً واشتغاله بسقي الماء في المسجد الجامع يغشى هذه المجالس الأدبية في حداثته وفيها تفتحت مواهبه الأدبية والشعرية والظاهر أنه كان طبقاً لهذه الرواية يقيم في الفسطاط في خاتمة القرن الثاني او فاتحة القرن الثالث أعني في نحو الوقت الذي كان فيه الشافعي نزيلها[3]. وكان أشهر هذه الحلقات أو الأبهاء حلقة بني عبد الحكم. وهم أسرة مصرية نابهة كثيرة المال والوجاهة:

[1] يفرد ابن عبد الحكم فصلا طويلا لذكر الصحابة الذين دخلوا مصر وروى أهل مصر عنهم (فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ وما بعدها)

[2] مدينة العسكر أقامها الجند العباسيون في شمال الفسطاط سنة ١٣٣ﻫ (٧٥٠ م) ومدينة القطائع أنشأها احمد بن طولون شمال الفسطاط ... في ... أيضا سنة ٢٥٦ ﻫ (٨٧٠ م)

[1] توفي يزيد بن حبيب سنة ١٢٨ﻫ، والليث بن سعد سنة ١٧٥ﻫ وعبد الله بن وهب سنة ١٩٧ ﻫ

[2] هذه هي رواية الكندي (أمراء مصر ص ١٥٤). ولكن ابن خلكان يقول إن مقدم الشافعي الى مصر كان في أوائل سنة ١٩٩ (١ ص ٥٦٦) ورواية الكندي أرجح في نظرنا

[3] راجع ابن خلكان في ترجمة أبي تمام (١ ص ٣١٢)

[4] ابن خلكان في ترجمة عبد الله بن عبد الحكم (١ ص ٣١٢)

أنجبت عدة من كبار الفقهاء منهم عميد الأسرة عبدالله بن عبد الحكم المصرى ، وهو من أقطاب الفقه المالكى وأولاده محمد وسعد ابنا عبد الحكم وكلاهما فقيه ومحدث كبير وعبد الرحمن بن عبدالحكم أقدم مؤرخ لمصر الاسلامية [١] . وقدكان بنو عبد الحكم منذ القرن الثانى أعلام الفقه والتفكير والأدب فى مدينة الفسطاط وكانت دارهم كعبة العلماء والأدباء ومنتدى للدراسات والأسمار الأدبية الرفيعة [١] ، وكانت حلقاتهم العلمية والأدبية تجذب أكابر العلماء الوافدين على مصر من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، فلما قدم الامام الشافعى الى مصر كان بنو عبد الحكم أول من استقبله وأكرم وفادته : وأمدته الأسرة النابهة بالمال ونظمت له سبل الاقامة والدرس؛ وكانت أول من انتفع بعلمه وأدبه [٢] وبث مقدم الشافعى فى آداب الفسطاط روحا جديدة واشتهرت مجالسه وحلقاته الفقهية والأدبية . وكانت حقبة علمية أدبية زاهرة (١٩٨ — ٢٠٤ هـ)

وكانت حلقات المسجد الجامع الى جانب الحلقات الخاصة ، أشهر المجتمعات العلمية والأدبية العامة وكان المسجد الجامع أو جامع عمرو منذ انشائه سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) قلب الفسطاط الفكرى وكانت تعقد فيه مجالس القضاء الأعلى كما كانت تعقد مجالس الفقه والأدب الخاصة . وصحن المسجد الجامع شهير فى تاريخ الفسطاط الأدبى وقد كان مدى قرون ندوة فكرية أدبية جامعة وكانت بين جدرانه توجه حركة التفكير والآداب فى مصر الاسلامية . ويبدو مما كتبه مؤرخو الفسطاط فى هذا العصر أن هذه الحلقات كانت دورية وكانت منظمة برغم صفتها الخاصة . وأنها كانت تعقدكل يوم تقريباً فى المسجدالجامع . ولكن الظاهر أن أهمها ما كان يعقد فى عصر يوم الجمعة : وأن مجالس الجمعة كانت تعتبر كموسم اسبوعى يغص المسجد فيه بجمهرة الفقهاء والأدباء والقراء والنظارة . وفيها كانت البحوث الكلامية . والمناظرات الأدبية . والمطارحات الشعرية والرواية التاريخية تنظم فى حلقات فرعية أو متعاقبة [٣]

وكانت هذه الحلقات الأدبية الشهيرة تتأثر بتطور السياسة والأهواء السياسية والدينية . اذ كانت موئل التفكير والدعوة الى

---

١ توفى عبد الله بن عبد الحكم سنة ٢١٤ هـ وتوفى ولده عبدالرحمن سنة ٢٥٧ هـ وابنه محمد سنة ٢٦٩ هـ

٢ ابن خلكان (١ ص ٣١٢)

٣ راجع فى الاشارة الى حلقات عصر الجمعة بالمسجد الجامع — ابن زولاق فى كتاب أخبار سيبويه المصرى (الصورة الفوتوغرافية للمخطوط المحفوظ بمعرض دار الكتب وهى رقم ٤١٢٠ تاريخ) ص ١٣ و ١٤ و١٦ و ١٧

مختلف المذاهب الفقهية والأدبية . فنى سنة ٢٢٦ هـ مثلا أمر محمد ابن أبى الليث قاضى قضاة مصر تنفيذاً لرغبة الخليفة الواثق بالله ، بالقبض على جميع الفقهاء والمحدثين والأدباء باسم الامتحان فى مسألة خلق القرآن وهى المعروفة بالمحنة فملئت السجون بالمنكرين لخلقه من العلماء والأدباء ، وأغلق المسجد الجامع فى وجه المالكية والشافعية ، وفضت حلقاتهم العلمية والأدبية ، ومنعوا من زيارة المسجد ، ومن بث آرائهم ونظرياتهم [١] واخذبنو عبد الحكم فوق أخذهم بالمحنة بتهمة أخرى . هى تبديد أموال طائلة ائتمنوا عليها من على بن عبد العزيز الجروى ، وهو زعيم خارج تغلب حينا على بعض نواحى مصر ثم أخمدت ثورته . واتهم بالخيانة . وقضى بمصادرة أمواله ، فاتهم باخفائها بنو عبد الحكم ، وقبض عليهم وعذبوا واستصفيت أموالهم أداء لما قضى به وتوفى بعضهم فى السجن (سنة ٢٣٧ هـ) ثم أفرج عنهم بعد ذلك . ولكن هذه المحنة ذهبت بوجاهة الأسرة النابهة وجاهها وهيبتها [٢] فاضمحل نفوذ هذه الفكرة وتضاءلت أهمية هذه الحلقات الأدبية الباهرة التى اشتهرت بتنظيمها وعقدها زهاء نصف قرن . وفى نفس هذا العام أمر الحارث بن مسكين قاضى القضاة بمطاردة الفقهاء الحنفية والشافعية واخراجهم من المسجد الجامع وقطع أرزاقهم وحظر اجتماعاتهم [٣]

وهكذا شتت شمل المجتمع الفكرى فى الفسطاط حينا وانزوت حلقاتها الأدبية الزاهرة حتى منتصف القرن الثالث ولكنها عادت فانتظمت وازدهرت واستعاد المسجد الجامع هدوءه وسكينته وردت حرية الاجتماع والدرس . وجاءت الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ) (٨٦٨ - ٩٠٥ م) فأزهرت فى ظلها الآداب والفنون وكان أحمد بن طولون أميراً مستنيراً يحب العلوم والآداب ويرعاها بتعضيده وحمايته ، ويجل مجالس العلم وحلقات الأدب [٤] . وكانت الفسطاط ومسجدها الجامع أيضا مثوى الحلقات والمجالس العلمية والأدبية فى هذا العصر : لأن مدينة القطائع التى شيدها ابن طولون لم تكن كما قدمنا سوى مدينة بلاط وبطانة . ونبغ فى هذه الحقبة القصيرة عدد كبير من الأدباء والشعراء . وبكت دولة الشعر . دولة بنى طولون عند ذهابها أيما بكاء فقال شاعرها سعيد القاص من قصيدة طويلة رائعة ـ :

---

١ الكندى تسمية قضاة مصر — ص ١٢٧

٢ الكندى — كتاب القضاة — ص ١٣٧ و ١٣٨

٣ » » » — ص ١٤٢

٤ ابن خلكان - ١ ص ٦٩

طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها
بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن
أمر على الاسلام فقدا من القطر
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا
كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيئا ضاع من بعد أهله
لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم
فبورك من دهر وبورك من عصر

وفى أوائل القرن الرابع كانت المسطاط تضم جماعة كبيرة من أقطاب المفكرين والأدباء وكانت ابهاؤها ومجالسها الأدبية حافلة زاهرة . ففى تلك الفترة اجتمع من زعماء التفكير والأدب أبو القاسم بن قديد وتلميذه أبو عمر الكنـــدى مؤرخ الولاة والقضاة . وأبو جعفر النحاس المصرى الكاتب والشـــاعر . وأبو بكر الحداد قاضى مصر ، وأبو القاسم بن طاطبا الحسنى الشاعر ، وأبو بكر بن محمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى . والحسن بن زولاق المؤرخ الأشهر ١ وكثيرون غيرهم : فكان لأجتماع هذه الصفوة العلمية والأدبية البارزة فى هذه الفترة أثر كبير فى ازدهار الحركة الفكرية بمصر فى أوائل القرن الرابع . فكانت حلقات الأدب فى أوج نشاطها وكان المسجد الجامع يومئذ جامعة حقة يموج بهذه الاجتماعات العلمية والأدبية الشهيرة . وكانت دولة التفكير والأدب فى بغداد قد أخذت فى الضعف والاضمحلال وأخذت مصر تتأهب للقيام بدورها فى رعاية التفكير الاسلامى فى المشرق وكان بنو الاخشيد ، محمد بن طغج وولداه انوجور وعلى ثم وزيرهم الخصى النابه كافور . مدى دولتهم التى استمرت زهاء ثلث قرن (سنة ٣٢٤ — ٣٥٨ ه) (٩٣٥ — ٩٦٩ م) حماة للعلوم والآدب . وقد انتهى الينا من آثار الحسن بن زولاق المؤرخ . أثر هام يلقى ضياء على تاريخ الحركة الأدبية المصرية فى هذا العصر وهو كتاب « أخبار سيبويه المصرى » ، وهو أبو بكر بن موسى الذى سبقت الاشارة اليه وقد كان صديقا لابن زولاق وزميلا له فى الدرس على ابن الحداد . ٢ وكانت له أخبار وملح ونوادر أدبية

١ توفى بن قديد سنة ٣١٢ ه وأبو عمر الكندى سنة ٣٥٠ ه وأبو جعفر النحاس سنة ٣٣٨ ه وأبو بكر الحداد سنة ٣٤٥ ه وابن طباطبا الحسنى سنة ٣٤٥ ه وسيبويه المصرى سنة ٣٥٨ ه والحسن بن زولاق سنة ٣٨٧ ه

٢ راجع السيوطى — حسن المحاضرة — ج ١ ص ٢٥٤ وراجع بحثى عن الحسن بن زولاق فى ملحق السياسة الادبى عددى (٢٨٤٦ و ٢٩٠٦)

٢ ١

طريفة عنى ابن زولاق بجمعها فى هذا الكتاب . وفى دار الكتب نسخة خطية وحيدة من هذا الأثر لاريب أنها من أقدم المخطوطات العربية التى وصلت الينا بل لقد انتهينا فى تحقيق شأنها الى انها أقدم مخطوط أدبى مصرى وصل الينا وأنها من آثار عصر الفسطاط ذاته وبخط ابن زولاق نفسه ١ .

وفى أثر ابن زولاق هذا اشارات كثيرة إلى حلقات الفسطاط الأدبية فى عصره أعنى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى . ويبدو من سياق كلامه ان المسجد الجامع كان مثوى لأهم هذه الحلقات وأشهرها وأنها كانت كما قدمنا دورية منتظمة تعقد على الأغلب فى عصر يوم الجمعة وتجمع بين الفقهاء والأدباء . وينعقد فيها الجدل الكلامى والحوار الأدبى والشهرى . والظاهر أيضاً أن هذا الجدل أو الحوار كان ينتهى أحياناً الى بعض ما ينتهى اليه فى عصرنا من مرارة واتهام وتراشق ران بعض المفكرين الأحرار كانوا ينقمون من عصرهم ما نقم من عصرنا أحيانا من اعتداء على حرية الرأى والبحث وأن بعضهم كان يرمى بتهم المروق والالحاد اذا أطلق لنفسه حرية البحث والرأى على نحو ما يشير اليه سيبويه المصرى فى قوله من قصيدة أوردها ابن زولاق

اما سبيل اطراح العلم فهو على
ذى اللب أعظم من ضرب على الراس
فان سلكت سبيل العلم تطلبه
بالبحث أبت بتفكير من الناس
وان طلبت بلا بحث ولا نظر
لم تضح منه على ايقان ايناس
وانبذ مقالة من ينهاك عن نظر
نبذ الطبيب بذل القرحة الآسى ٢

وهذه ظاهرة فكرية خطيرة يسجلها الشاعر المصرى على عصره اعنى أوائل القرن الرابع (حول سنة ٣٢٠ — ٣٤٠ ه) وهى تدل على أن الجدل العلمى والأدبى كان يرتفع يومئذ الى مرتبة الايمان والعقيدة أحيانا وينحدر أحيانا أخرى الى درك التراشق والمهاترة . كذلك هنالك فى قول الشاعر ما يدل على أن بعض

١ راجع تحقيقا مستفيضا كتبت به فى شأن هذا المخطوط مويدا بالوثائق والادلة الخطية والتاريخيه وقد نشر مع صور فتوغرافية لهذه الوثائق فى ملحق السياسة الادبى عدد ٢٧٨٥

٢ راجع هذه القصيدة بأكملها فى كتاب أخبار سيبويه (ص ٩ من المخطوط وما بعدها) واعتقد ان فى هذه الابيات تحريفا يرجع الى صعوبة القراءة نظرا لقدم المخطوط وتخريمه فى مواضع كثيرة . ولكن معانيها ظاهرة متناسقة

المفكرين والأدباء كانوا يؤثرون الصمت على الجهر بآرائهم خيفة الاتهام والوقيعة .

وقد كانت حلقات المسجد الجامع بلا ريب أهم الحلقات الأدبية العامة ولكن هناك فى أقوال ابن زولاق ما يدل على أنها كانت تعقد أيضاً فى بعض المساجد الأخرى فمثلا كان الشاعر الأكبر أبو الطيب المتنبى الذى وفد على مصر سنة ٣٤٦هـ (٩٥٧م) ليستظل بحماية بنى الأخشيد يجلس فى مسجد يعرف بمسجد ابن عمروس وهناك يجتمع اليه الأدباء والشعراء : وكانت حلقة المتنبى بلا ريب من أهم مجالس الشعر والأدب والفلسفة فى هذا العصر[١] هذا وأما عن الحلقات والأبهاء الخاصة فيشير ابن زولاق الى المجالس العلمية والأدبية التى كان يعقدها محمد بن طغج (الأخشيد) وولده أنوجور[٢] ثم مجالس الوزيرين ابن الفضل جعفر بن الفرات والحسين بن محمد الماردانى[٣] . والظاهر أن هذه المجالس والحلقات الأدبية كانت يومئذ من تقاليد الحياة الرفيعة وكانت نوعا من الترف الذى يأخذ به الأمراء والعظماء والأسر الكبيرة فان لهم جميعاً على نحو ما بينا فى سير الأبهاء الأدبية فى تلك العصور أكبر نصيب وذكر ، ويرجع اليهم فى أقامتها ورعايتها أكبر الفضل .

للبحث بقية **محمد عبد الله عنان**

١ راجع ص ٤٨ و ٤٩
٢ ص ٣٦ من المخطوط
٣ ص ٣٣ و ٤٠ من المخطوط

أثر الثقافة العربية

« بقية المنشور على ص ٨ »

واخضعت لسلطانها حضارات لم تخضع لفاتح من قبل . وسخرت لدعايتها خصوماً لم يتحرزوا من آثارها بعد .

ولو رحنا نتلمس أسرار هذه القوة وأسباب تلك العظمة وجدناها أولا فى الهام الطبع وسلامة الفطرة وجاذبية المثل الأعلى وثانياً فى القابلية الطبيعية لفقه الحضارة . وهى صفة لا تكتسب عفو الخاطر ولا طوع التقليد . وانما تتأصل فى الشعب بتقادم عهده فى الثقافة وطول رياضته على التمدن . فالعرب لم يكونوا جميعاً كما يصورهم الأدب القديم جفاة الطباع بداة الاجتماع . وانما كان منهم فى اليمن والحجاز والشام والعراق متحضرون لابسوا أرقى أمم العالم بالتجارة منذ ألفى سنة ، وكان لهم قبل الاسلام ثقافة أدبية ومدنية لغوية لم يكن من المعقول أن تظهرا فى التاريخ فجاة . فان تطور الأفراد والشعوب والأنظمة والعقائد تدريجى بطىء لا يبلغ كماله الا حالا على حال ودرجة بعد درجة . والحق أن الأخبار والآثار والعقل تتناصر كلها على اثبات حضارة عربية فى المدن الجاهلية . واذا كان بدو الجزيرة هم الذين انتجوا الشعر وفتحوا الفتوح فان حضر الحجاز هم الذين حكموا الناس ونشروا المعرفة وأقاموا الحضارة . (لها بقية)

من طرائف الشعر

السكران

الفأس والشجرة

للدكتور محمد عوض محمد

كانت الفأس قطعة من حديد
وحدها لا تطيق حزاً وقطعاً
فرأت دوحة فقالت : « هبيني
يالك الخير ! من فروعك فرعا ! »
امنحيني يداً . تشـــدى بها از
رىفأزداد في البرية نفعاً
فحبتها فرعاً متينـــاً . وظنت
أنها أحسنت بذلك صنعاً !

باتت الفأس بعدها ذات حول
يصدع الصخر والجنادل صدعا
وتناست أنى لها ذلك الحول
فجاءت لدوحة الأمس تسعى . !
أن هوت نحوها بقسوة ذى غل
وحقد كأنه حقد افعى
ضربتها ضربات طالب ثأر
فهوت للثرى : فروعاً وجذعا ! !

وهى الحياة

أوجهكَ هذا الكونُ ياحُسْنُ كله
وجوهٌ يفيض البشرُ من قسماتها
وتستعرضُ الدنيا غريبَ فنونها
وتعرب عن نجواكَ شتَّى لغاتها
ولولاكَ ماجاش الدجى بهمومها
ولا افترَّ ثغر الصبح عن بسماتها !
ولا سعدتْ بالوهم فى عالم المنى
ولا شقيتْ بالحبِّ بين لِداتها !
ولا حَيَتْ الفنَّانَ إلهامَ فنِّه
ولا رُزِقَ الابداعَ من نفحاتها
فواأسفا يا حسن للَّحظة التى
تطيش لها الأحلام من وثباتها !
وواأسفا ياحسن للَّحظة التى
يعزُّ على الأوهام جمع شتاتها !
وماهى إلا الصمت والبرد والدُّجى
ودنيا يشيع الموت فى جنباتها !
فناء تضجَ الريح من ظلماته
وتفزع فيه البوم من صرخاتها
وتنتثر الأزهار من عذباتهـــا
وتَعْرى الغصون النُّضْرمن ورقاتها
ويغشى السماء الجهمُ من كل ديمة
تخدِّد وجه الأرض من عبراتها
هنالك لا الدنيا ولا البهجة التى
عرَفْتَ . ولا الأيام فىضحكاتها !
ولكن رَوِىَ النفس التى كنت حبها
ونافثَ هذا السحر فى كلماتها
مضت غير شعر أودعت فيه وحيَها
إليك فخذ ياحُسن وَحيَ حياتها !

على محمود المهندس

الشاهنامة

وهى الملحمة الفارسية الكبرى ألفها الفردوسى وترجمها البندارى وحققها وعلق عليها وقدم لها

الدكتور عبد الوهاب عزام
الأستاذ بكلية الآداب

وهى من الكتب العالمية التى لا يصح أن يجهلها أديب
تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة
وثمنها ٧٠ قرشاً

في الأدب الشرقي

صفحات من الشعر الهندي

- ١ -

من ديوان رسالة الشرق

لشاعر الهند العظيم محمد إقبال

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
المدرس بكلية الآداب

محمد اقبال هو شاعر الهند العظيم ، وأكبر شعراء الاسلام فى عصرنا . درس الفلسفة فى انجلترا وألمانيا وتزود من الفلسفة القديمة والحديثة ما شاء له الذكاء والاجتهاد ، وعلم الفلسفة فى جامعات الهند سنين كثيرة . وهو اليوم قائد من قادة الأفكار فى الهند .

وله من الشعر دواوين عدة بلغ فيها الغاية . نظم واحداً منها باللغة الأردية وسماه « بانك درا » أى صلصلة الجرس . ونظم خمسة بالفارسية وهى :

« زبور العجم » . « واسرار خودى » . « ورموز بى خودى » (اسرار الذاتية ورموز اللاذاتية) . « ويام مشرق » (رسالة المشرق) وقد جعله جواباً للقصائد المشرقية التى نظمها الشاعر الألمانى جوته . وآخرها « جاويدنامه » (الكتاب الخالد)

والقطع المترجمة هنا مأخوذة من « پيام مشرق »

الحياة :

بكى سحاب الربيع فى جنح الليل فقال :
ان هذى الحياة بكاء مستمر !

فتلألأ البرق الخاطف أن « قد غلطت . انها لمحة من الضحك !. » ليت شعرى من أخبر البستان بهذا ، فهو حديث مستمر بين الندى والورد .؟!

الله والانسان :

الله

خلقتُ العالم من ماء واحد وطين واحد ، فخلقتَ أنت الفرس والتتار والزنج . خلقت من التراب الحديد ، فخلقت أنت السيوف والسهام والمدافع ، وخلقتَ الفأس لأغصان الشجر والقفص للطائر الغرِّيد .

الانسان

خلقتَ الليل فخلقتُ المصباح . وخلقتَ الطين فخلقتُ الآنية : خلقتَ الصحارى والجبال والرُّبى فخلقتُ الجنات وحدائق الورد والطرق المشجرة .

أنا الذى صنع المرآة من الحجر ! .

وأنا الذى صنع الدواء من السم ! .

البراعة :

سمعت البراعة تقول : لستُ كالنحلة ينال الناس أذاها .

ولست كالفراشة ، فانى أشتغل ولا أحمل منَّة لأحد . إذا صار الليل أشد حلكا من عين الظبى أنرت بنفسى لنفسى الطريق !! .

الحقيقة :

قالت العقاب بعيدة الرأى للعنقاء : ان الذى يراه ناظرى سراب !

فأجاب ذلك الطائر : أنت ترين . ولكنى أعلم أنه ماء .

فارتفع صوت السمكة من لجة البحر : أجل يوجد شيء وهو فى هياج واضطراب ! ! . .

الحكمة والشعر :

ضل أبو علي [١] فى غبار الناقة ، وأخذت يد الرومى [٢]

---

(١) ابن سينا (٢) جلال الدين الرومى الشاعر الصوفى الكبير

بستر المحال !

هذا غاص حتى ظفر بالجواهر . وذاك دار مع الغثاء على وجه الماء .

الحق إن لم تكن فيه حرقة فهو حكمة . وانما يصير شعراً حين يقبس من نار القلب !..

الوحدة :

ذهبت الى البحر فقلت للموج المصطخب : أنت فى طلب دائم فما خطبك ؟ فى جيبك آلاف اللآلىء ، فهل فى صدرك كما فى صدرى ، جوهر من القلب ؟!.

فاضطرب وجزر عن الشاطىء ولم يحر جوابا !.

ذهبت الى الجبل فسألت ما هذا القرار ؟ ألا ينال مسمعك آهات المحزونين وصيحاتهم ؟! إن يكن العقيق فى أحجارك قطرات من الدم فحدثنى فانى مُرَزّأ .

فانقبض وصمت ولم يحر جوابا !.

قطعت طريقا سحيقا وسألت القمر : يا جوّاب الآفاق ! هل قدر لك منزل لم يوجد ؟ العالم من شعاع وجبك حديقة من الياسمين. فهل نور شامتك من تجلى قلب لا يوجد ؟

فرأى رقباء بين الأنجم ولم يحر جوابا !.

تخطيت القمر والشمس وصرت الى حضرة الخالق . قلت ليس فى عالمك ذرة واحدة تعرفنى ! العالم خلو من القلب ؛ وأنا ، هذه القبضة من التراب كلها قلب !. المرج جميل ، ولكنه ليس كفء نغماتى .

فتبسم ولم يحر جوابا !.

الحور والشاعر .

جواب منظومة جوته (المسماة الحور والشاعر)

الحور :

لا ترغب فى الخمر ولا ترفع بصرك الىَّ . عجيب أنك لا تعرف طرائق الصحبة !

هذه الأنفاس التى تصهرها والغزل الذى تغنى به كلها نغمة الطلب وكلها حرقة الأمل .

أى عالم من الجمال خلقتَ بألحانك ؟ فهذه إرم تلوح لى كطلسم من السيمياء .

الشاعر :

تخدعن قلوب السائرين بكلام لاذع ، ولكن لذته لا تبلغ وخزة الشوك ! ماذا أصنع ؟ ان فطرتى لا تسكن الى المقام وان له نفسٌ قلقا كالصبا بين الحدائق !

كلما اطمأن ناظر الى وجه جميل خفق قلبى وراء وجه أجمل

إنى أريد من الشرر نجماً، ومن النجم شمساً . لا أبغى منزلا فان موتى أن أقر . كلما تناولت قدحا من حميا الربيع قمت فأنشدت غزلا آخر مشوقا الى ربيع جديد . انما أطلب غاية الذى لا غاية له بعين لا تصبر ، وقلب دائم الرجاء . تموت قلوب العشاق بجنة الخلد لا بألحان الألم والغم . والمؤاساة .

نسيم الصبح :

آتى من صفحات البحار وقمم الجبال ، ولكنى لست أدرى من أين أذهب !

أبلغ الطائر المحزون رسالة الربيع . وأنثر فى منزله روضة الياسمين .

وأتقلب فى المرج والتف على أغصان الشقائق ، فأبعث من مسامها اللون والرائحة . وأتملق رفيقا رفيقا بأوراق الورد والزهر حتى لا تنوء أغصانها بجولانى !.

واذا رأيت شاعرا هاجه غم العشق خلطت بنغماته نفسا بعد نفس .

الصقر والسمكة :

قالت سمكة صغيرة لفرخ الصقر :

ان كل ما ترى من سلاسل الأمواج هو البحر . فيه وحوش أشد زمجرة من الرعد القاصف . وفيه صنوف الأهوال ظاهرة وخفية . وفيه السيول جائشة تقلع الصخور ، وتغشى كل شىء . وفيه جواهر متلألئة ولآلىء نيرة . وليس الى الخروج منه سبيل ! هو فوقنا وتحتنا وفى كل مكان . هو أبد الدهر فى مائج متلاطم . لا يناله من دوران الأيام زيادة ولا نقص .

اتقد وجه السمكة بحرقة الحماسة . فضحك فرخ الصقر ، وارتفع من الساحل الى الدوح وصاح : أنا الصقر فمالى وللأرض ؟ ان الصحارى ، وهى بحار ، تحت أجنحتنا . دع الماء وتعود سمة الهواء . حكمة لا تدركها الا العين البصيرة .

العشق :

هذه الكلمة الآخذة بالقلوب ، والتي هي سر وليست بسر .
أنا أخبرك من سمعها وأين سمعها :
استرقها الندى من السماء فأوحاها الى الورد ، وسمعها عن الورد البلبل (١) ، ونشّتها عن البلبل ريح الصبا

هراء (٢)

(نغمة حادى الحجاز)

يا ناقتى الخطارة وظبيتى المطارة
وعدّتى واشارة (٣)
والمال والتجارة ودولتى السيارة
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

جميلة الرواء مطربة الرغاء
محسودة الحوراء وغيرة الحسناء
مُنْيَةَ الصحراء !
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

كم عصت في السراب في وقدة اليباب
وسرت لم تهابى في الليل كالشهاب
والنوم عنك نائى
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

وطمة غيم غدى سفينة الرواد
كالخصر في البوادى تمضين في سداد
فلذة قلب الحادى !
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

حرقنت برمد وسيرك الأنغام
يتعبث لقمد لا الجوع والأوام
والسفر المدام

(١) عشق البلبل للورد يضرب به المثل عند الفرس
(٢) تذكر هذه المقطعة بأرجوزة أبى العلاء المعرى التى وضعها على لسان سائق الحاج . ومطلعها : دنياك تحدو بمسافر والمقيم جاهلها .
(٣) الشارة الزينة والرواء

حثى الخطى قليلا منزلنا قريب

* * *

مسيبة فى اثنين مصبحة فى قرين
ترين حزنى الوطن كالخزر تحت المفن
أيد غزال الختن ! (١)
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

منذ السماء نعسا خلف التلال خنسا
والصبح قد تنفسا مزّق هذا الغلسا
والريح ترحى نفسا
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

لحنى دواء السقم والروح مل نغمى
يحدو الركب كلى من جارح وبلسم
هلم بنت الحرم !
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

(١) بلاد مشهورة عند الفرس بظبائها ومسكها

في الأدب الغربي

الشاعر المحتضر

قصيدة من عبقريات لامرتين

ترجمها وأهداها إلى روح شوقي

احمد حسن الزيات

تحطمت كأس عمري وهي مُترعة . وتصرمت حياتي زفرات في كل نَفَس ، ودَمعاً بامسا كما ما أرسلت من عبرات وحسرات . وقرع الموت بجناحه الناقوس الباكي عليَّ مؤذناً بساعتي الأخيرة . فليت شعري أنوح أم أغنى ؟؟!.

لأغنِّ مادامت أناملي لا تزال على القيثار ، لأغن مادامت المنون تلهمني. وأنا على باب الآخرة ما تلهم البجعة من صرخة موزونة وأنة ملحونة . وإذا لم تكن النفس شيئاً غير الحب والألم فلم لا يكون وداعها لحناً قدسياً ؟؟!.

ان القيثار يبعث أجمل أنغامه حين ينكسر . والمصباح يرسل أبهى أضوائه حين يخمد ، والبجعة ترفع طرفها الى السماء حين تسلم الروح . والانسان وحده يرجع البصر إلى الوراء ليعد أيامه ويبكيها !!

وما هذه الأيام التي تستدر حوالب عينيه ؟؟ شمس تشرق متقطعة ، وساعات تمر متشابهة . وخير تمنحه ساعة فتسلبه أخرى ، ثم عمل يتلوه راحة ، وألم يتبعه أحياناً حلم ! ذلك هو اليوم . ثم يمحو آيته الليل !

* * *

ليبك ذلك الذي أشتد على حطام الدنيا حرصه ، وتعلق بأمانيها سببه ، ثم يرى حبل مستقبله يَنبَتُّ ، وظل آماله يتقلص ! أما أنا فأترك الدنيا في سهولة ويسر لأن جذوري منها كجذور النبتة الرخوة من الأرض ، تهب عليها رياح المساء فتقلعها !

الشاعر أشبه شيء بالطيور العوابر ، لا تعشش على الضفاف ولا تقع على غصون الغاب . وانما تهدهد نفسها على متون الموج ، ثم تمر مغردة على بعد من الشاطىء ، فلا يعرف الناس من أمرها ، غير مايسمعون من صوتها !

أبداً لم تدرب يدي على الوتر الرنان يد مخلوق : لأن ماتلهمه روح الله لا تُعلِّمه يد انسان . فالجدول لا يتعلم كيف يجرى في المنحدر، والنسر لا يتعلم كيف يشق بجناحيه الهواء ، والنحلة لا تتعلم كيف تؤلف العسل !

الناقوس تقرعه القوارع في مكانه العالي ليوم بشرى أو يوم نعي ، فينوح مرة ويشدو مرة ، وانا كنت بهذا الناقوس أشبه ! طهرني الألم كما طهره اللهب . وحركت الأوتار المختلفة أوتار قلبي فأخرجت لكل عاطفة نغمة !

أنا كالقيثارة (الايولية)(1) تعزف طول الليل من تلقاء نفسها على خطرات النسيم . وتمزج خرير المياه بأنينها الرخيم .

(1) نسبة الى ايول (Eole) وهو فى أساطير اليونان والرومان اله الهواء وابن جوبتير . وهذا الضرب من القيثارات ينصب فى الهواء فيعزف وحده على هبوبه

فيقف السائر حيران دهشاً مما يسمع ! يطرب ويعجب ولا يدرى مصدر هذه الزفرات المقدسة !

* * *

قيثارتى تخضل غالباً بالدموع ! وما الدموع للبرء إلا كندى السماء للأرض ! وهيهات أن ينضج القلب تحت السماء الصافية ! فالكأس المصنوعة يسيل منها عصير الكروم، والريحان الذابل إذا وطئته قدماك ، تضوّع شذاه بين خطاك !

* * *

حلق الله نفسى من نغمة محرقة، فمن يتصل بها يحترق بلهبها ! فياعجباً لمنحة القدر !! أنا أسرفت فى الحب ومن ذلك الاسراف أموت ! ما لمست شيئاً قط إلا حال إلى رماد ! كذلك رجوم السماء الساقطة على أشجار الخلنج ، تنطفىء بعد أن تدمر كل شىء !

* * *

ولكن العمر ! لقد استوفى أجله ..والمجد ! آه ! ومايعنينى من صدى نغمة باطلة تنتقل من عصر إلى عصر ، وسمعة كاللعبة البراقة تنحدر من جيل إلى جيل ؟ ! أيها الذين وعدهم المجد سلطان الغد ! استمعوا إلى هذا اللحن الذى يخرج من قيثارتى ! هل تجدون لرنينه أثراً فى الآذان ، بعد ما حمله الهواء الى غير هذا المكان ؟!

* * *

شهد الله أنى منذ حييت لم أذكر هذا الاسم العظيم الا بازدراء ، ولطالما عصرت هذه الكلمة التى اخترعها هذيان الانسان فلم أجد غير هواء ، هنالك لفظتها كما تلفظ الشفتان قشرة يابسة .

* * *

فى سبيل هذا الأمل الخالب ، فى هذا المجد الكاذب ، يرى الانسان فى مجرى الزمن اسمه وهو عابر ، فيتلقفه التيار، وتضعفه الأيام كلما سار ، حتى يصير حطاماً تعبث به أمواج الدهر ، ثم تحمله على غواربها من عصر إلى عصر ، حتى تلقى به فى لجج النسيان !

* * *

أنا كذلك ألقى اسمى بين هذه الأسماء العائمة ، على هذه الأمواج المتلاطمة ، ثم اتركه على هوى الرياح والأمطار يطفو ويرسب ! فهل يكون بذلك شأنى أعظم ومقامى أرفع ؟ ولماذا وكل ماهنالك اسم ؟ ! وهل تسأل البجعة الطائرة فى جو السماء اذا كان ظلها لا يزال طافياً على أديم هذه الغبراء ؟!

تسألنى لماذا كنت أغنى (١) ؟ سل البلبل لماذا تتجاوب أغاريده وأناشيد الجدول طول الليل ؟ ! أنا أنشد ياصحابى كما يتنفس الانسان،ويشدو العصفور، ويعزف الهواء، ويخر الماء !

* * *

الحب والدعاء والغناء ثلاث تقسّمن كل حياتى ! . . ولم آسَ ساعة الموت على فائت مما يتشوف اليه الناس فى دنياهم إلا على زفرة حارة تتصعّد الى الله ،وسكرة طروبة تهبط من القيثار ، وصمتة عاشقة تعمق حين يتعانق قلب وقلب !

* * *

إن مثولك خاشعاً أمام الجمال تسمع رجفان أوتار المزهر ، وترى حديث الهوى يمتزج مع أنغامه ، ويسرى فى حشاك ، وتستقطر الدموع من العين المعبودة كما يستقطر النسيم انداء الفجر من الزهرة المطلولة . . .

* * *

وترى طرفها الشاكى يصّعد حزيناً فى السماء كأنما يطير مع النغم ، ثم يرتد واقعاً عليك وهو بالحرارة العفيفة يجيش، وتبصر من خلال أهدابها المسبلة شعاع نفسها كالنار المضطربة فى حلك الليل البهيم . . .

* * *

وترى ظلال أفكارها على جبينها الزاهر ترف ، والكلام على شفتيها المثقلتين يموت ، ثم تسمع بعد هذا الصمت الطويل هذه الكلمة ترن حتى تبلغ أذن الجوزاء ! هذه الكلمة كلمة الآلهة والناس هى : «انى أحبك !»

ذلك هو الذى يساوى فى الحياة زفرة !!

---

(١) يريد بالغناء الشعر

زفرة ! ! حسرة ! ! كلام لا معنى له !

على جناح الموت.روحى تطير الى السماء ! تطير الى حيث ترى العين شعاع الأمل يضىء ! تطير الى حيث طارت النغمة التى خرجت من مزهرى ! تطير الى حيث صعدت جميع زفراتى !.

الايمان — وهو عين الروح — قد اخترق ظلماتى كما تخترق عين العصفور ماوراء الظلال الحزينة . ثم باحت لى غريزته النبوية بما استسر من حظى ! وكم مرة اقتحمت نفسى آفاق المستقبـــل حتى بلغت السماء محمولة على أجنحة اللهيب. فتقدمت بذلك الموت !

لا تنقشوا اسمى على قبرى الكئيب العابس . ولا تثقلوا بالبناء ظلى الخفيف . إن قليلا من الرمل يكفينى ! لست وأسفاه حريصاً ولا غيوراً !. ثم لا تتركوا من الفراغ أمام القبر إلا مقدار مايضع الزائر العابر ركبتيه !

حطموا هذا المزهر وذرّوا حطامه فى الهواء والماء واللهب فانه لم يجاوب أهازيج النفس إلا بنغمة واحدة ! ان مزهر الساروفين (١) ير تجف تحت أناملى ! وعما قليل أعيش معهم فى عالم النغمات ، وأقود بقيثارتى ألحان السموات !

وعما قليل ! ! ان يد الموت الثقيلة قدقطعت الوتر !

انقطع بعدأن أرسل فى أمواج الهواء ، نغمة شاكية صماء . صمت مزهرى البارد يارفاق ! نخذوا مزاهركم.وأدخلوا نفسى عالم البقاء . بين خفق الأوتار وترجيع الغناء ! . .

(١) الساروفين : طائفة من الملائكة

العراق كما رأيته

كتاب تحت الطبع سننشر منه فصولا فى اعداد الرسالة الآتية .

احمد حسن الزيات

بيت الراعى

للشاعر الفرنسى الفريد دى فنى

مهداة من المترجم الى الأستاذ الجليل احمد لطفى السيد بك

الى إيفــا (١)

— ١ —

إذا كان قلبك وهو يتخبط عانياً كالنسر الجريح — لفرط ما أبهظته الحياة — قد قضى عليه أن يحمل كقلبى فوق جناحه المهيض عالماً بارداً مضنياً !

اذا كان لايخفق بغير نزيف جرحه الأبدى ، وقد أصبح لا يرى الحب : نجمه الصادق ينير له الأفق المتلاشى !

— ٢ —

اذا كانت نفسك المكبلة كنفسى .قد أضنتها الأغلال ومر الطعام ، فتركت المجداف فوق زورقها المنحوس ، وأطلت برأسها المتقع باكية على صفحة الماء باحثة وسط الأمواج عن طريق مجهول . فرأت — وهى ترتعد — كلمة الجماعة مرقومة فوق كتفها بالحديد ! (٢)

— ٣ —

اذا كان جسمك الحيىّ الرعديد تخجله النظرات . وهو يضطرب بالأهواء الدفينة !

(١) ايفا اسم امراة يهدى اليها الشاعر قصيدته كما اهدى اليها قصيدة أخرى هى « الروح الخالصة » الا أن حقيقة هذه المرأة التاريخية غير متفق عليها . فن النقاد «كبول بورجيه» من يذهب الى انه اسم يرمز به الشاعر للمراة على الاطـــلاق . ومنهم من قال بل هى زوجته . ومنهم من قال بل هى مدام دورفال الممثلة المعروفة. وقد كانت معشوقة الشاعر وقد اشرنا الى ذلك فى المقال الذى نشرته مجلة الجامعة المصرية لنا فى العام الماضى عن دى فنى

(٢) يشير الشاعر فى هذه الفقرة الى عقوبة قديمة .كان يحكم فيها على المذنب بالتجديف فى قارب باستمرار . فهو يشبه النفس فى نزاعها مع صروف الحياة بتلك العقوبة اذ لا يستطيع الفرار وكيف السبيل وهو يحمل فوق كتفه كلمة الجماعة. ويعنى بها الشاعر من ناحيـــة المذنب ختم السجن . ومن ناحية النفس الأوضاع الاجتماعية .

اذا كان يبحث لجماله عن حرم مصون . بحكم إخفاءه ، عن المستهتر الجارح !

اذا كانت شفتك تجففها سموم الكذب وجبهتك الجميلة تحمر خجلا اذا مرت باحلام مجهول غير عفيف . يراك أو يسمعك !.

— ٤ —

اذا فارحلى بشجاعة[١] اهجرى المدن . لا تدنسى بعد اليوم قدميك بغبار الطريق ، أشرفى من سماء أفكارنا على المدن الذليلة كأنها صخور القدر لاستعباد البشر ! الغابات المترامية والحقول . المنبسطة ملاجىء فسيحة، طليقة ، كأنها البحر يحيط بجزر معتمة . سيرى بين الحقول وبيمينك زهرة !

— ٥ —

الطبيعة تنتظرك فى صمت رهيب . العشب يرسل فوق قدميك سحابة الماء ، وزفرة الوداع التى ترسلها الشمس فوق الأرض تحرك زهر الزنبق ، فكأنه المباخر . الغابة قد نقبت صفوف أشجارها المترامية . وها هو الجبل يختفى والسيسبان ينشر مقاعده العفيفة فوق الأمواج الناصلة[٢]

— ٦ —

ها هو ذا الشفق المحب يتوسد الكرى وسط الوادى . فوق زمرد العشب، وذهب الحشائش . تحت القصب الحية ، فى المجرى المنعزل ،وتحت غابة الأحلام التى ترتعد فى الأفق . هاهو يتمايل متسللا وسط عناقيد الزهور البرية ، يلقى معطفه الرمادى فوق شواطىء المياه ،ويشق عند ظهور الليل باب سجنها !.

(١) نلفت نظر القارىء الى ان الجواب على الفقرات الثلاث الأولى هو قوله « اذا فارحلى بشجاعة » والقارىء يلاحظ ان الشاعر تكلم فى الفقرة الأولى عن القلب وفى الثانية عن النفس وفى الثالثة عن الجسم. ثم أجاب فى الرابعة عليها فهو يقول اذا كان قلبك أمره ماوصفت ونفسك كذلك وجسمك أيضاً اذا فارحلى بشجاعة . . . الخ

(٢) هذا تشبيه تمثيلى الا أن الشاعر حذف بعضا من المشبه لامكان ادراكه عقلا . هو يشبه حالة المدن وحولها الغابات والحقول بحالة أو بهيئة الجزر وحولها مياه البحار

— ٧ —

فوق جبل قصب كثيف لا تستطيع أقدام الصائد أن تتخلله . يرفع رأسه الجامح الى ما فوق جباهنا . ويؤوى فى الليل الراعى والعريب . تعالى أخف فيه حبك وخطيئتك المقدسة[١]. فاذا اضطرب أو لم يكن علوه كافياً شيدت لك بيت الراعى!

— ٨ —

يسير الهوينا على عجلاته الأربع . سقفه لا يعلو فوق جبهتك وعينيك سيسبغ الياقوت وخداك على عربة الليل لونهما ! المدخل عاطر والمخدع واسع معتم . هنالك بين الأزهار سنتخذ وسط الظلال فراشا صامتا لشعرنا المجتمع!

— ٩ —

سأزور إن أردت بلاد الجليد . هنالك حيث يشع نجم الحب[٢] ويلتهب !. هنالك حيث تصطدم الرياح ويحاصرها الجليد !. هنالك حيث يختفى القطب تحت الثلوج . سنسير كما تشاء المصادفات الى غير سبيل مقرر . وفيم اهتمامى بالزمان؟ وفيم اهتمامى بالمكان ؟سأقول جميلا ما تراه عيناك جميلا ![٣]

— ١٠ —

ليهد الله ذلك البخار الصاعق إلى غايته فوق تلك القضب الحديدية التى تخترق الجبال ليقم ملك كريم على ذلك الموقد الصاخب عند مايدب تحت الأرض أو يهز بجبروته القناطر . عند مايخترق المدن بأسنان نيرانه التى تلتهم المراجل أوعندما يقفز الأنهار بوثبات أسرع من وثبات الوعل ،وقد حما قفزه[٤]

(١) فسر البعض قوله (خطيئتك المقدسة) على أن القول موجه لمدام درفال حيث انها كانت متزوجة ، فحبها للشاعر يعتبر خطيئة. ولست ادرى بم يستطيع ان يفسرها من يقول : ان القول موجه للمرأة اطلاقا . او لزوجة دى فنى نفسها .

(٢) الراجح أن الشاعر يقصد القمر

(٣) تعتبر الفقرة الأخيرة من أول قوله « سنسير » الى آخر الفقرة من احسن ما كتب الشعراء ولا شك ان القارىء يقدر ذلك

(٤) ابتداء من الفقرة العاشرة الى آخر الجزء الأول من القصيدة كما سيرى القارىء يتكلم الشاعر عن السكك الحديدية التى مد اول خط منها فى فرنسا حوالى منتصف القرن التاسع عشر وقبل نشر هذه القصيدة بقليل وقد حدثت اثناء ذلك حادثة فظيعة

— ١١ —

مالم يسهر الملك ذو العينين الزرقاوين على طريق البخار. مالم يحلق فوقه ويحميه وسيفه بيده . مالم يعد كل دفعة من دفعات الرافعة . مالم يستمع الى كل دورة من دورات العجلة فى رحلتها الجبارة . مالم يلق ببصره على الماء وبيده على النار كى يتهلل الموقد السحرى بالنصر . كفانا حجر صغير يلقيه طفل ![1]

— ١٢ —

لقد عجل الانسان بركوب ذلك الثور الحديدى الذى يدخن ويصفر ويخور . وما يعلم أحد ماذا يحمل هذا الأعمى الخشن فى جوفه من زوابع عاصفة ! هاهو المسافر يسلمه راضياً كنوزه ! ويلقى اليه بوالده العجوز وأبنائه رهائن كما كان يفعل الفينيقيون بما يقذفونه فى جوف ثورهم المشتعل ناراً ليرده ترابا يلقيه تحت أقدام إله الذهب[2]

— ١٣ —

على أنه يجب أن نقهر الزمان والمكان. فاما نصروا اما موت التجار يتنافسون . والذهب يتساقط كالمطر من دخان البخار الذاهب ! الزمان والغاية هما العالم فى نظرنا ! كل يقول لنفسه هيا . ولكن لا سلطان لأحد على ذلك التنين الذى اخترعه أحد العلماء . انا نلعب بما هو أقوى منا جميعا !

— ١٤ —

وعلى كل ليختط كل شيء سبيله. وليحدم النظر العمل فيحمله على أجنحة النار ما اتسع رحاب قاطرات البائع لكل نبيل . وما خدمت تشريف العواطف . لتحل البركة على التجارة ذات الرمز الموفق مادام الحب الذى يعبث بالمعقول قد أصبح فى مكنته أن يخترق فى يوم دولتين كبيرتين ! .

— ١٥ —

ومع هذا فما لم نكن إزاء صديق يرسل صيحات اليأس . وحياته مهددة بالخطر . أو أزاء فرنسا التى تدق البوق لتدعونا الى ساحات الوغى أو اتصال العلم أو إزاء أم تحتضر فى سرير موتها . وتود جاهدة أن تلقى ببصرها الرقيق الحزين على ذويها قبل أن تغمض عيناها الى الأبد !

هلك فيها خلق كثير مما حمل الشاعر على السخط عليها وتفضيل الرحلة بالعربات ذات الخيل . وهو فى ذلك مدفوع بكرهة المدنية وما تبتكره الميكانيكا من جهة . ومن جهة أخرى بمزاجه الارستقراطى وبمزاجه الشاعرى . الذى يفضل سكون العربة على ضجيج القطار وهذا الجزء من القصيدة للأسف ضعيف على خلاف الأجزاء الأخرى . حيث تدفق ابياته بالمعانى الجميلة واما هنا فلا ترى الا تشبيهاً ضعيفاً والامعان وعبارات لا شعر فيها ولا خيال لتدليلها فوق ما يجب إلى عالم الوقائع . هذا الى مايحيط بها من غموض يفسد مبناها ويذهب بجمالها ولنضرب لذلك مثلا تشبيه القطار بالثور وما الى ذلك . مما يراه القارىء فى النص الذى حافظنا عليه فى النقل بكل ما استطعنا لننقل الشعر بقويه وضعيفه

(١) يريد الشاعر ان يقول انه مالم يسهر ملك على السكة الحديدية . . . الخ لكفانا حجر صغير يلقيه طفل تحت القطار لحدوث الحوادث المروعة . فالشاعر ترك بقية الفكرة لامكان ادراكها عقلا

(٢) نقف قليلا عند هذه الفقرة من أول قوله « ويلقى اليه بوالده العجوز الى آخر الفقرة لنحللها قليلا مظهرين ما فيها من غموض فاولا يلاحظ القارىء اننا أمام عدة تشبيهات مزجها الشاعر مزجاً غير مفهوم فهو أولا يتبه والد المسافر وابناءه . وان شئت فقل للوضوح ركاب القطار برهائن الحرب التى كانت تقدم من العدو لعدوه عند الهدنة ضماناً لتنفيذ شروط الصلح فان لم ينفذ المتعاقد ماقبله من شروط أعدم خصمه ما استلمه رهناً من أشخاص فهناك معنى المقامرة على حياة هؤلاء الاشخاص وكذلك الأمر فى ركاب القطار فما يعلم أحد ايصلون سالمين أم لا وهو ثانياً يشبه نفس الركاب بالضحايا التى كان الفينيقيون يقدمونها لالههم بعل المسمى مالوك ثم هو يشبه قطار السكة الحديدية بثور قرطاجنه الا أنه — وهذا مصدر الغموض — يقول ان المسافر يقدم أبناء وآباء رهائن الى القطار كما كان الفينيقيون يقذفون بالبشر أحياء فى جوف ثورهم مع أن الفينيقيين ما كانوا يقدمون البشر كرهائن بل كضحايا ثم قال ليرده ترابا يلقيه تحت أقدام إله الذهب . وقوله هذا يجوز كما هو فى الأصل الفرنسى وبالتالى فى الترجمة — أن ينصرف كل من الاله بعل والقطار مع أنه لا يقصد الا القطار . فالقطار وحده هو الذى يهلك الناس فى سبيل الذهب عندما ينقل البضائع من مكان الى آخر . ونضيف الى ذلك أن إله قرطاجنه لم يكن كما ظن الشاعر على شكل الثور . بل على شكل زاحفة كبيرة وانما تجده مقصوراً على شكل ثور عند اليهود فقط . وهذا بعد زمن الفينيقيين بكثير .

البقية على ص ٣٣



النوم واليقظه

بقلم الدكتور احمد زكى
الاستاذ بكلية العلوم

النوم . ما أحلاه ! أو هكذا يقول مجهود اللاعب قد استنفد النهار طوقه واستفرغ قواه .

النوم ما أعزه وأغلاه ! أو هكذا يقول المريض تعذر عليه القيام وسرى السقام فى عظامه بصنوف الآلام . فلا هو بالصحيح الصاحى فتحمله كالناس رجلان . ولا بالغافل العافى فتغمض له عينان !. امساؤه كأصباحه ونجوم ليله كشمس نهاره !.

النوم . ما أروحه ! أو هكذا يقول المكروب أفعم الهم صدره حتى كاد يصدعه . وثار الفكر الملح برأسه حتى كاد يطير به . يطلب النوم فيتأبى عليه . والنوم كالسائمة الهائمة تشرد عن طالبها . فيحتال عليه بالفكر اقتناصاً . فيفكر ثم يفكر ، ولكن فى دائرة لا مبدأ لها ولا منتهى !.

النوم كالهواء والماء غلا حتى عز أن يكون له ثمن . منحة الله العظمى ، وعطيته الكبرى ، لا يستأثر بها غنى ولا توصد الخزائن دونها عن فقير . وعمت فلم يختص بها الانسان . فكان للخلائق أجمعين أنصبة منها . حتى النبات له من ذلك نصيب !.

نعم حتى النبات ! فهو فى النهار يعمل كالانسان سعياً وراء القوت ، فيأخذ من الهواء أكسيد الفحم فيهضمه ، فأما الفحم فيستبقيه غذاء صالحا يزداد به فى الجسم بسطة وفى الأفرع انبثاقاً ، وأما الأكسجين فيطلقه فى الجو فضلة لا حاجة به اليها حتى اذا جاء الليل كف عن العمل وهجع الى الصباح ليعود الى ما كان عليه فى أمسه !.

غريب فعل هذه الشمس فى الخلائق . تغيب فتنام الأرض ومن عليها . وتطلع فتنشر أشعتها اليقظة والحياة ، أو الأصح أن نقول إن نصف الأرض ينام حيث الشمس غائبة بينما نصفها الآخر صاح حيث الشمس طالعة . فالنوم واليقظة دواران كالشمس يدوران على الناس من المشرق الى المغرب

وعلاقة الشمس بالنوم ليست مصادفة وليست عادة ابتدعها الانسان ثم ألفها . ولكنها علاقة اقتضتها طبيعة الحياة وطبيعة الأجسام الحية وطبيعة النوم كذلك . ومن أجل هذا عمت حتى شملت كل ذى حياة . حتى السمك يقل حسه فى الليل ويهدأ حيث هو من الماء . . ومن أطرف ما رأيت أنهم أعلنوا فى لندن منذ أعوام خلت أن الشمس ستكسف بعد طلوع الشمس بقليل . وكنا نسكن بظاهر المدينة فقمنا مبكرين نشهد هذا المشهد الجليل . فذر قرن الشمس وخرجت الطيور على العادة من أوكارها تسعى الى الرزق ، ولكن ما هى إلا أن احتجبت الشمس وحل الأرض ما يشبه الغسق حتى وجدنا هذه الطيور تعود الى أوكارها زرافات ووحدانا مخدوعة عن صباحها ، ولم يكن بعد قد جف نداه .

وهذا نظام كما ذكرنا عام اقتضته ضرورة الحياة ، وله شواذ إلا أنها لا تكون إلا لضرورة من ضرورات الحياة كذلك . فكما نرى بين الناس من يضطره العيش الى القيام والناس هجوع . والى الهجوع والناس قيام . نرى من الحيوانات كالمفترسة ما يلبس رداء الظلام يتحسس فريسة نائمة ، ومنها الضعيف الهياب كالحشرات والجرذان يتخذ من الليل نهارا يطلب القوت تحت ستاره فى أمان واطمئنان . ومن النباتات أجناس رخصت لها الطبيعة بمثل هذا الشذوذ . فبينا

نرى الكثير من الشجر تتهدل أغصانه بعض الشيء وتغمض أزهاره وتحبس عطورها بمغيب الشمس . نرى القليل كنبات التبغ يسير على النقيض فتتفتح أزهاره فى الليل ويفوح طيبه وما كان للطبيعة أن تأذن لهذا النبات فى رخصة كهذه لولا أن فيها حياته وبها ضمان إنساله . فان فَراش الليل ينجذب الى الزهرة الذكر بشذاها ، فيحط عليها طلباً لجناها ، ثم يشيل عنها متحملا بلقاحها ، فيحط به على زهرة أنثى فيتم أثمارها .

أما جوهر النوم وكنهه فقد حار فيهما العلماء كما حاروا فى كل شيء يتصل بالمخ وتوابعه من حيث الصحة والمرض ومن حيث الادراك والتفكير . ولا غرابة فى ذلك . فالانسان امتاز من الكائنات بخلقه ، والمخ أعقد ما فى هذا الخلق . وبه ساد الخلائق ، وبه تحكم فيها وورث الأرض . وبه سيرت أجرام السموات . غير أنه مما لا شك فيه أن النوم يعطل فى الانسان التعقل والتفكير ، وكذلك الاحساس . وتلك جميعها من مظاهر اليقظة . ولا تدوم فترة ما بين اليقظة والنوم أكثر من دقيقة أودقيقتين ، وعندئذ يدخل الرجل الصحيح المعافى فى النوم كما يجب أن يكون . وتنقطع الصلة بينه وبين هذا العالم ساعة أو ساعتين ، تكون فيها صحيفة ذهنه بيضاء من كل شر أو خير . فهو كالميت وليس ميتا . ثم تقرب الصلة بعد ذلك بينه وبين العالم الحى . وهنا تتدخل الأحلام . وليس النوم ذو الأحلام بالنوم العميق . ولا أدل على ذلك من أن أحلام النائم تتأثر بما يحدث حوله ، فقد يقع كتاب فى الغرفة فيتمثل للحالم كأن بيتاً ينهد . أو جبلا ينقض . كذلك تتشكل أحلام النائم وفقا لما يحدث فى جسمه ، كأن تتوعك أمعاؤه أو تتخم معدته فتضيق أنفاسه فيرى أن لصاً مجرماً أخذ بتلابيبه وضيق عليه الخناق . أو أنه أُلقى به فى اليم فسد عليه الماء منافس الهواء . فالرؤى على هذا نوع من الكرى بين الوسن الخالص واليقظة الخالصة . ولا تكون راحة الجسم فيها تامة . ولو جمعته بالحور الحسان على أرائك من خز وجمان وكما كان الدخول فى النوم تدرجا كان الخروج منه تدرجا ولا يستغرق هذا التحول أكثر من دقيقتين .

ومع ان الانسان يتعطل تعقله وحركته اذا هو نام إلا أن أعمال جسمه الأخرى التى لا تتصل بمراكز المخ الرئيسية لا تتعطل ولا تكاد تتأثر إلا قليلا ، فالقلب يدق ولا تقل دقاته الا يسيراً ، والمعدة تفرز العصارات الهضمية ، والأمعاء تتحرك حركاتها الدودية ، ويجرى امتصاص الطعام فيها بمقدار ما يجرى فى الصحو . والدورة الدموية تجرى كعادتها . إلا أن مخ النائم يقل دمه ، بينما يكثر الدم مقابل ذلك فى الأعضاء والأطراف لاتساع أوعيتها . ففقر الدم فى المخ نتيجة من نتائج النوم ، وكثيراً ما يكون سبباً من مسبباته . ألا ترى أنك اذا أكلت فأثقلت جاءك النعاس فلم تستطع لسلطانه دفعاً ؟ وسبب هذا أن المعدة تجذب الى نفسها أكثر الدم ليعينها على الهضم فيقل نصيب المخ منه . كذلك تقل حرارة الجسم فى النوم تبعاً لنقص نشاطه ، فان كل عمل من أعماله نتيجة تفاعل كيميائى يصحبه احتراق بعض مادته . فاذا قل نشاط الجسم قل احتراقه فقلت حرارته . واذا نحن قدرنا نتاج احتراق الجسم فى الأربع والعشرين ساعة بنحو ٣٠٠٠ سعر حرارى وجدنا أنه ينتج من ذلك القدر ٦٠٠ من الأسعار فى ثمانى الساعات التى ينامها ، وينتج ٧٥٠ منها فى ثمانى الساعات التى يستريح فيها غير نائم ، والباقى وقدره ١٦٥٠ ينتجه فى ثمانى الساعات التى يكد فيها ويعمل . ولقلة دخل الجسم من الحرارة أثناء النوم يتغطى المرء حين ينام بكل موصل ردىء للحرارة كالألحفة ونحوها ليقل خروج الحرارة منه فيتم بذلك توازنه الاقتصادى . ومن أجل ذلك أيضاً يختل هذا التوازن على الأغلب والناس نيام ، فيصابون بأزمة داخلية يعبرون عنها بالبرد .

وقد وضع العلماء نظريات عديدة فى أسباب النوم لا داعى للالمام بها لأنهم لم يجمعوا على احداها . وقد حاول قوم فى عصر المحاولات الغريبة ـ الذى نحن فيه ـ أن يستغنوا عن النوم بالمران . فكانوا كمن يحاول أن يستغنى عن الشراب والطعام . ويختلف القدر اللازم منه للانسان باختلاف عمله وحركته وخموده . كذلك يختلف على ما هو معروف باختلاف الأعمار . فالطفل الرضيع ينام أغلب يومه . ثم تقل حاجته منه حتى تبلغ فى الشباب ثمانى ساعات ، ثم تزيد فى القلة فقد تنزل فى الشيخوخة الى ثلاث ثم تعدم بالطبع عند نفاد الزيت واحتراق الفتيل .

احمد زكى

العالم النسائي

تباشير الانقلاب*

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

تحي الرسالة صديقها الزهاوي بقصره الجديد من ضاحية بغداد تحية طيبة، وتعده بأن تعنى بدرس آثاره وتحليل أشعاره عناية ظاهرة. ثم تعاتبه في رقة ولطف على أن يختار لعددها الأول هذه القصيدة

من بعد ما انتظرت حقابا ... ثارت فمزقت الحجابا
عربية عرفت أخيراً ... كيف تنبذ ما أرابا
كان الحجاب يسومها ... خسفاً ويرهقها عذابا
ان الألى قد أذنبوا ... هم صيروه لها عقابا
وسيطلب التاريخ من ... ناس لها ظلموا حسابا
سألت لها حرية ... تغنى فما لقيت جوابا
حتى إذا ما استيأست ... خرقت بأيديها النقابا
فرأت أمام سفورها ... للمجد أفنية رحابا
ذهبت كزوبعة لها ... صخب فأحمدت الذهابا

أحسنت يابنة يعرب ... صنعاً وأتبعت الصوابا
فلقد كفاك غضاضة ... ذاك الشقاء بما أصابا
ليس الجمود سوى خنو ... ع قد يجر لك التبابا

ان الحياة لتبتغي ... في عصرنا هذا انقلابا
ظهرت تباشير له ... تبني المنى منها قبابا
خوضي الى المجد الأثيـ ... ـل ـ اذا أردتيه[1] ـ الصعابا
وتنكبي الوهد الذي ... يخفيك واطلي الهضابا
أما العباب فانه ... ان حال فاقتحمي العبابا
الحق حقك فانشديه ... في محاولة طلابا
واذا أبوا تخذيه منهم ... في محاججة[1] غلابا
لا تعبئي أبداً بغر ... بان يواصلن النعابا
وذري من الدين القشو ... ر جميعها وخذي اللبابا
لا خير في ناس اذا ... ألحمتهم ولوا غضابا
عزووا الحجاب الى الكتا ... ب فليتهم قرأوا الكتابا!
ان التعصب مانع ... أن تبصر العين الصوابا

ما عاش شعب نصفه ... قد شل من داء أصابا
الحق يزهق باطلا ... قد زين، والصدق الكذابا
ما كان خدرك غير سجن ... مظلم يولى اكتئابا
قولي اذا أخطأت أخطأ ... ت. أو أصبت لقد أصابا

اني لأرجو أن أرى ... التوقير في الفتيان دابا
وألوم من مردوا فلم ... يبغوا عن السفه اجتنابا
كم من خراف حين أد ... جى ليلها انقلبت ذئابا
لما رأت خماً طرياً ... أبرزت ظفراً ونابا

ولرب فاتنة العيو ... ن لحاظها تحكي الحرابا
وترى خصائل شعرها ... فتخالها تبراً مذابا
زفت الى وحش فسلت ... في حيازته اكتئابا
وأجاعها شحاً ولم ... يحسب لجوعتها حسابا
هل ظن أن المرهق الـ ... ـغرثان يلتهم الترابا
ولقد يغلي منها الأسى ... فتفجرت تبكي المصابا
ان الأسى إما غلى ... ليفجر[2] الصم الصلابا

ونعاتب الأقدار لو ... يسمعن من أحد عتابا!
ولقد يخر الدمع محمراً ... فتحسبه شهابا
ذم الجهالة انها ... ما أورثت الا خرابا
قالت ألا بعداً لمن ... سمع الدعاء وما أجابا

* أنشدها في الحفلة التي أقيمت للمؤتمر النسائي العربي في نادي لورنس خضوري ببغداد.

[1] كذا

[2] كذا

يا ماء أهلى أين أنت فأننى أشكو اللهابا

يا قبر « ليلى » أنت تحوي فيك زنبقة كعابا
حيتك واكفة الحيا تهمى فتدكب انسكابا
كم مثلها من نسوة يرجين [1] فى الصبر الثوابا
يلوين من جور الرجا ل — وقد تبرمن — الرقابا
أولست فى وأد البنا ت من الرجال ترى العجابا
مالى رجاء فى الشيو خ وانما أرجو الشبابا
من كل وثاب اذا أغريته اقتحم الصعابا

الناس فى الآراء يختلفون بعداً واقترابا
بسم المنى لأقلهم خطأ وأكثرهم صوابا

انى أرحب بالألى بلد الرشيد بهن طابا
من سيدات للعرو بة جئن يرفعن القبابا
أولينا النعم الرغا ب وما توخين الثوابا
بل خدمة الوطن العزيز بهن عن بعد أهابا
نعم سأشكرها ومن لا يشكر النعم الرغابا ؟!
وكذاك تشكر كل أر ض عضها الجدب السحابا
يا « نور » هذا الحفل قد جازت بطولتك النصابا
لا تحسبي للمرجفين ومن روى عنهم حسابا

(1) كذا

الجمال والحب

هل يشترط الجمال فى المرأة لاثارة الحب ؟

آراء طائفة من أعلام النساء والرجال

هل يجب أن تكون المرأة حسناء لكى تحب ؟ هذا سؤال طرحته صحيفة نسوية فرنسية ظهرت حديثاً هى « جريدة المرأة » J. de la Femme ، وتقدمت بسؤالها الى جماعة من الأكابر ذوى الرأى والمكانة الاجتماعية ، رجالا ونساء . وقد رأينا لطرافة هذا الاستفتاء ، أن ننقل خلاصة ما أدلى به أولئك الكبراء فى هذه المسألة النفسية الخطيرة .

الرأى النسوى

ونبدأ بما يراه الرأى النسوى فى ذلك ممثلا فى أقوال طائفة من شهيرات النساء .

قالت مدام دوسان الفنانة الباريزية الكبيرة التى تعد نموذجا من أبدع النماذج لجمال الفرنسية وسحرها ، والتى تحمل أرفع أوسمة « الشرف » وتشغل فى المجتمع الباريزى أرفع مقام :

« ماذا يعنى أولا أن تكون المرأة حسناء ؟ يوجد ألف شكل لتكون المرأة حسناء ، وألف آخر لتكون جذابة ، ومائة ألف أخرى لكى لا تكون قبيحة ! والحسن ليس شرطاً فقط لكى تحب المرأة ، ولكن يجب أن تكون المرأة حسناء لأسباب كثيرة اخرى ، يجب ان تكون حسناء بالصدقة . فى مدننا المروعة حيث تأبى الأشجار ذاتها الحياة ، يغدو القوام النسوى الساحر آخر بهجة تقدمها الطبيعة للأعين . ويجب ان تحاول المرأة ان تكون حسناء ، فتلك مدرسة بديعة للارادة . صحيح ان المراة الحسناء تكون احياناً فوزاً مدهشاً للطبيعة ، ولكنها اكثر ما تكون امراة استطاعت ان تصلح زينتها وان تصقل رواءها ، او بعبارة اخرى امراة استطاعت ان تكون قاسية على نفسها . وقد نعتقد متى فاجأنا احدى اولئك النسوة تنظر الى المرآة خلسة انها تعجب بنفسها . وهذا خطأ كبير . فهى فى الحقيقة تدرس نفسها ، وتضبط نفسها بصرامة خفية . وتتقدم فى تفهم وسائل الحسن . ولكنها لن تعترف بذلك مطلقاً . ولها فى ذلك كل الحق .

ولا يوجد حسنان متماثلين . فقد يكون الجمال هو وسامة الخلقة . ولكنه قد يكون ايضاً بشرة وردية وشعراً اشقر ، او يكون نبرة الصوت . أو طريقة الابتسام . ولو دققنا البحث فمن

ذا الذى لا يتمتع بلمحة من الجمال ؟

على انه يجب البحث وراء الجمال لاعتبارات صحية : والصحة من انفس موارد الجمال . وواجب الا يغرينا منظر الجمال السقيم ، فهو كالأثواب الغريبة ، قلما يتاح له النجاح . ولكن اضطرام الحياة ، والتفاؤل ، والحماسة وسائل محققة للاحتفاظ بصباحة الطلعة ، وثبات القامة ، ولمعان العين

ولكن ماذا يجب لكى تحب المرأة ؟ هذا هو لب السؤال . حقاً ان الحسن لا يهتز ، ولكنه ليس بذى عصمة ، والجمال مثل المال ، لا يحقق السعادة حتما . هذه المرأة الفتية النحيلة ، ذات الجمال الخطر ، التى تسحرك على لوحة السينما حيث يقتتل اثنان من اجلها . قد ارادت فى الأسبوع الماضى ان تنتحر بالسم لأن الرجل الذى تحبه هجرها من اجل فتاة صغيرة من الرعاع لا ميزة لها الا انها تحسن الطهى . ولكن تأمل ايضاً هذه المرأة التى تسير جامدة دون تأنق ، فان لها زوجا يعبدها منذ عشرين سنة لانها فى نظره تجمع بين كل المحاسن . ان المسألة كلها حظوظ فقط

ومع ذلك فيجب أن نجتهد فى استكمال روائنا ، وفى الظهور بذيعات مشرقات ، اذ ان ماتثير من اهتمام او حماسة يشرق بدوره من حولنا . فنحن نعجب بجمال الممثلات ، ولكن روح ادوارهن هو الذى يذكى هذا الجمال ويطيل اجله

هل يجب ان تكون المرأة حسناء لكى تحب ؟ اود ان اجيب انه يجب ان تحب المرأة لكى تكون حسناء »

* * *

وقالت مدام لوسى ديلارى مردروس الكاتبة والمثالة الشهيرة :

« لست اعتقد ان الجمال شرط لاثارة الحب . فالجمال مسألة مفاجأة وظهور على المسرح . ونحن نعتاد النظر اليه كما نعتاد القبح ، وهذا هو الخطر . ونحن نعرف الكلمة السائرة : انها حسناء حتى لا ينقصها شىء . ولكن من سوء الطالع الا ينقص المرأة شىء ، اذ يجب ان يمكن المرء من العناية والاختراع لأجل انسان ما . فهذا التعاون من جانب ذلك الذى نحب ضرورى جداً . والرجل يذكر دائما ان حواء قد خلقت من احد اضلاعه . واذن ففى بعض الأحوال قد تفوق جاذبية القبح جاذبية الجمال ؛ فان محيا قبيحاً يثير الجزع والألم ، ويحاول المرء ان يصلحه بلا انقطاع . وليس معنى ذلك ان المرأة يجب ان تكون قبيحة لكى تحب . ولكنى اعتقد أن الحب لا تذكيه خلقة الشخص ، ولكن يذكيه الهامه . وكذلك دلالة محياه ، فان دلالة ساحرة افضل من خلقة وسيمة »

* * *

وقالت مدام ماريز باستيه الطيارة الشهيرة :

« لست أعتقد أن الرجل يبحث عن الجمال فى المرأة أكثر مما نبحث عنه نحن النساء فى الرجل . ومن سوء الحظ أن يعرف الرجل أنه جميل وهــــذا ينطبق أيضاً على بعض النساء الحسان . وعلى أى حال فان الحسان يظفرن بكثير من النجاح . فهل يحبهن الرجال أكثر من غيرهن ؟ ولكن الأخريات أين هن ؟ يخيل الى انه لا توجد ثمة وجوه قبيحة .

* * *

وقالت مدام جنى وهى اخصائية شهيرة فى شئون الجمال والزينة

« ان ما يدهشنى دائما هو ما ألاحظه من ضآلة الدور الذى يؤديه الجمال فى الحب . فالرجل تغريه اشياء غير الجمال . ولست أستطيع أن أجد لذلك أى تفسير ، فهنالك نساء متبذلات ونسوة من أحط الرعاع ، يرتكب من أجلهن رجال ممتازون أشنع ضروب الطيش . واذن فلنقل مثل ما قالت كارمن : ان الحب لا يعرف أى قانون . »

رأى الرجل

واليك رأى الرجل فى تلك المعضلة الاجتماعية الدقيقة . ممثلا فيما ادلى به بعض اكابر الرجال :

قال الأستاذ هنرى روبير عضو الأكاديمية الفرنسية ونقيب المحامين السابق :

« لا بأس ان تكون المرأة جميلة ، ولكن ذلك ليس ضرورياً وانى لأفضل مائة مرة امرأة ذكية طيبة القلب وليست عاطلة من الوسامة على امرأة وافرة الحسن ليس لها قلب ولا ذكاء .

ان المواهب العقلية فى المرأة لها قيمة كبيرة . وللذكاء النسوى دقائق ندهش لها بحق . والنساء اللواتى يخلبننا هن اولئك اللاتى يستطعن ان يقلن شيئا . فهنالك شىء لا يمكن وصفه . وهو اوقع جداً فى اثارة الحب من الجمال : ذلك هو السحر . وهنالك من ضروب السحر نوع لا استطيع مقاومته . ذلك هو سحر الصوت.

بعد فما قيمة المبادىء فى هذا الموضوع ؟ ان الانسان حيوان العادة ، فاذا ما اعتاد شيئا فانه لا يعنى بالتحليل » .

* * *

وقال نيكولا سيجور الكاتب الأشهر :

« ان الجمال مقر ملوكى للحب ، والخفاء هو الذى يجعله ينفتح ظافراً مختاراً . والمرأة الحسناء هى قدس طبيعى ، بل هى التنزيل الوحيد على الأرض .

وللجمال اهمية كبرى فى اثارة الحب . وهو هبة ارفع من المواهب والعبقرية والفضيلة ،اذ ان المراة الحسناء يجتمع فى شخصها كما يقول رينان . كل ما تستخلصه العبقرية بمشقة وفى لمحات ضئيلة

ولهذا فان ظهور امرأة حسناء يضع الرجل امام المعجزة وجها لوجه.ويثير فى نفسه اضطرابات كتلك التى يعرضها هوميروس بأسلوبه الخالد حينما يصف اجتماع شيوخ طرواده على الاسوار وهم يلعنون المراة الغريبة التى جاءت لتبث فى مدينتهم بذور الخراب والموت . ولكن هيلانة ما كادت تظهر حتى نهض اولئك الذين يلعنونها مضطربين يقول بعضهم لبعض : انه حق ان نتحمل الضرر من اجل امراة لها ذلك الحسن .

وفى باريس نعرف كما عرف اليونان الأقدمون . ان الجمال مقدس وانه لؤلؤة الخليقة . والصورة المادية الوحيدة لما نسميه المثل الأعلى .

على ان هنالك خواص عجيبة اخرى تحل محل الجمال . وتخلق الجمال لدى المراة التى لم تحظ بقسامة الخلقة . ولا ريب ان السحر والظرف . والذكاء تجذب الرجل وتخضعه . وما تغنمه الحسناء توا بظهورها . تستطيع ان تغنمه اية امراة اخرى بوسائل اخرى

ويخيل الى ان ما يأتى بعد الجمال . هو خصب الحياة . وانتعاش الملامح . وما يستشفه الرجل من الحساسية حلال المحيا . فهذه تؤثر فيه تأثيراً قوياً ناجعاً » .

وقال الدكتور شابا عضو المجمع العلمى ورئيس جمعية الفنانين :

« لا ريب ان الجمال يعاون كثيراً على اثارة مشاعر الحب . بيدانه يوجد نساء غير حسان. ولكنهن اكثر جاذبية من الحسان. وللسحر خفاء لا يعلل . فان السحر الذى تبثه امراة ما فى نفس رجل ما . قد يقتصر احياناً على هذا الرجل .

ولكل امراة على الأقل لحظة من السحر . وهذه اللحظة قد تقرر مصير حياتها كله . ويحدث احياناً ان نرى نساء هن نماذج الجمال باردات منكمشات . فاذا هن بقبس يسطع فى العين ، او حركة فى جانب الثغر . فيحدث ذلك تغيراً فى المحيا . وهذه الحالة تقع كثيرا للفتيات المحدثات . واذاً من المهم ان نكتشف لديهن ما هو خاف عليهن وعلى ذويهن . وما قد يعود يوما عاملا فى اثارة الحب الذى يثرنه .

قال الدوق ليفى ميربو المؤرخ الأشهر :

« ليس الجمال شرطاً لاثارة الحب . فاذا احب رجل امراة وافرة الحسن . فهو غالباً آخر من يلاحظ جمالها . ولا ريب انه يكون سعيداً بذلك . ولكن الجمال لم يكن اول ما اثار اضطرابه الأول . فالذى يثير ذلك هو الهام الحب . ذلك الالهام السهير الخالد . هو السحر الذى يتطور بتطور العصور . وليس وسامة الخلقة وانتظام التقاطيع . فان جوزفين بوهاربه لم تكن وافرة الحسن ، وكانت كليوباطرة ــ تلك المرأة الهائلة ــ اقل جمالا من اوكتافيوس » ؟

١ ٣

بيت الراعى ــ بقية المنشور على صحيفة ٢٧

ــ ١٦ ــ

لنتجنب السكك الحديدية (١) مادامت الرحلة بها مجردة عن كل لذة ، حيث تجرى على تلك الخطوط وكأنما هى سهم انطلق فى الفضاء من قوسه الى غرضه ، وسط أزيز الهواء. وهكذا ترى الانسان وقد قذف به الى بعد لا يستنشق ، ولا يرى من الطبيعة الاضبابا خانقاً يخترقه برق خاطف !

ــ ١٧ ــ

لن نسمع بعـــد اليوم وقع سنابك الخيل على الطرق الملتهبة . وداعا أيتها الرحلات البطيئة ! تلك الأصوات التى نسمعها عن بعد ! ضحكات المارة توقف العجلات عن السير. ثم تلك المنعطفات غير المتوقعة فى مختلف المنحدرات ، صديق نلقاه فننسى معه الزمان. الأمل فى الوصول الى مكان مهجور فى وقت متأخر !

ــ ١٨ ــ

لقد تغلبنا على الزمان والمكان ! لقد مد العلم حول كرة الأرض خطاً مستقيماً نحساً لقد ضيقت معارفنا من فضاء الأرض وأصبح خط الاستواء عبارة عن حلقة صغيرة ضيقة . لاصدفة بعد اليوم . سيتخذ كل وجهته لا يعدو المكان الذى يحتل من بدء الرحلة غارقا فى تقديرات صامتة باردة !

ــ ١٩ ــ

محال على الأحلام الوادعة الملتهبه بالعاطفة أن ترى قدمها الأبيض معلقاً بها (٢) من غير أن ترتجف مشمئزة لأنه لابد لها من أن تلقى على كل مرئى نظرة طويلة كالنهر المتدفق وأن تسجوب فى لهفة كل شىء وأن تدرس فى عناية كل سر الهى. وأن تسير وتقف ، وتسير ورأسها منحن .

(١) بعد أن ذكر الشاعر المستثنيات بذكر القاعدة فى هذه الفقرة فهى تكملة الفقرة السابقة .أى أن الشاعر يقرر كقاعده أنه يجب أن تجتنب السكك الحديدية ،ثم يستثنى حالات هى المذكوره سابقا أى حالة الصديق الذى يريد أن يرى صديقه بسرعة ففى هده الحالة كما فى حالة نداء فرنسا لأبنائها لتدعوهم الى الحرب أو الى العلم ثم فى حالة الأم المحتضرة التى تود رؤية ذويها للمرة الأخيرة ، فى هذه الحالات فقط يجيز الشاعر ركوب القطار

(٢) بها أى بالسكة الحديدية والمقصود القطار

(لها بقية) محمد مندور

عضو بعثة كلية الآداب بفرنسا

القصص

على هامش السيرة

حفر زمزم

للدكتور طه حسين

— ١ —

كان عبد المطلب سمح الطبع رضى النفس سخى اليد حلو العشرة عذب الحديث . وكان عبد المطلب أيضاً قوى الايمان تملك قلبه وتسيطر على نفسه نزعة دينية حادة عنيفة ، ولكنها غامضة، يحسها و يخضع لها ، ولكنه لايتبينها ولايستطيع لها فهما ولا تفسيراً . أبوه من مكة حيث التجارة والثروة ،وحيث المكر والدهاء ،وحيث الوثنية السهلة التى لا تحرج فيها ولا مشقة . وأمه من يثرب حيث الزراعة والصناعة اليسيرة ، وحيث اليهودية تجاور الوثنية فتضعفها وتنقص من ظلها وتكاد تمحوها ، وحيث الاخلاق اللينة والشمائل ، الحلوة وحيث الظرف ونعومة الحياة .

ولد فى يثرب ومات عنه أبوه فلم ينقله الى مكة فنشأ بين أخواله وتأثر بحياتهم وتخلق بأخلاقهم وسار سيرتهم حتى بلغ الشباب أو كاد ، ثم أقبل عمه فانتزعه من اقليمه السهل الهين الى اقليم آخر صعب عسير،تجدب فيه الأرض ولا تبتسم له السماء الا قليلا . يرحل أهله الى الآفاق و يفد على أهله الناس من جميع الآفاق . فهم يأخذون من الناس و يعطونهم و يبادلونهم الاخلاق والشمائل كما يبادلونهم المنافع وعروض التجارة ، ولعل أخلاق يثرب وخصال مكة قد اختصمت فى نفس هذا الغلام ، ولعل اختصامها قد طال ،ولعل اختصامها قد قصر. ولكنها على كل حال قد انتهت الى شىء من الاعتدال آخر الأمر . فلم يكتمل الفتى شبابه حتى كان فتى من قريش ، ولكنه يمتاز من بقية فتيان قريش . فيه ذكاؤهم وفطنتهم وفيه إباؤهم وعزتهم ولكن،فيه دعة لم تكن مألوفة عندهم ، وفيه شدة فى الدين قلما كانوا يرضونها أو يبسمون لها . على أن خصلة أخرى ميزته منهم أشد التميز ، فلم يكن يصدر فى حياته ، كما كانوا يصدرون عن الروية والتفكير وطول التدبر ، وانما كانت تدفعه الى العمل والاضطراب فى الحياة قوة خفية يحسها ويأبى عليها ويغلو فى الاباء ، ولكنه يضطر الى أن يذعن لها و يصدع بأمرها ، وكانت هذه القوة تصدر اليه أمرها فى أشكال مختلفة، تدفعه الى العمل حينا ، وكأنها ارادته الخاصة قد ملكت عليه حسه وشعوره ؛ فهو لا يستطيع عنها انصرافاً ولا يملك لها خلافاً . وتتمثل له حيناً آخر شخصاً واضح المخايل بين الصورة ، يلم به اذا اشتمله النوم فيأمره أن يأتى كذا وكذا من الأمر . وتنتهى اليه مرة ثالثة صوتاً رفيقاً ولكنه ملح يملأ أذنيه يقظان، و يملأ أذنيه نائماً يحثه على أن يأتى كذا وكذا من الأمر ، وكان فى هذا الصوت غموض وكان فى هذا الصوت ابهام وكان فى هذا الصوت جلال مصدره هذا الغموض والابهام، وكان الفتى ينكره و يرتاع له ، وكان الصوت يغمره و يلح عليه . وكان الفتى يخاف هذا الصوت و يهواه ، وكان الصوت يتجنب الفتى حتى يؤيسه من نفسه ، ، يلم به فيكثر الالمام . ولم يكن هذا الصوت يقع فى أذن الفتى بألفاظ كالتى تقع فى آذان الناس انما كان يصطنع ألفاظاً خاصة غريبة الجرس غريبة المعنى .

كانت اليه رفادة الحاج وسقايته بعد عمه المطلب ، فكان يطعم الناس إذا حجوا البيت ويسقيهم ، يجمع لهم الماء فى أحواض من الأدم ، وكان يجد فى جمع هذا الماء لسقاية الحجيج جهداً وعسراً فبينا هو نائم ذات يوم أو ذات ليل، أتاه آت رأى شخصه ولم يتبين له سمة ولا شكلا وقال له فى صوت رفيق غريب فيه أنس وفيه وحشة: احفر (طيبة) قال · وماطيبة؟ فانصرف

الشخص وانقطع الصوت ، وأفاق الفتى وفى نفسه ذعر وعجب وأمل . وحاول أن يعود الى النوم لعله يرى هذا الشخص . أو يسمع هذا الصوت أو يتبين هذا الحديث ولكن النوم كان قد خاصم عينيه وانصرف عنه مع هـذا الشخص الغريب . ففكر وأطال التفكير، وقدر وأطال التقدير، وتقلب فى مضجعه فأكثر التقلب ، حتى ضاق بالنوم واليقظة وسئم مضجعه . فجلس يرق ببصره الحائر الى السماء لعل شمس النهار او نجوم الليل تفسر له هـذه الرؤيا ، ويخفض بصره الى الأرض لعله يجد فى إطراقه تفسير هذه الرؤيا ، ويمد بصره نحو الكعبة لعل صنما من هذه الأصنام المنصوبة يوحى اليه بتعبير هذه الرؤيا . ولكن السماء صامتة والأرض ساكنة وعلى أصنام الكعبة شىء كأنه الوجوم ؛ فيرتد الى الفتى بصره متعباً مكدودا ، وتهوى نفسه الى قرارة ضميره لعلها تجد لهذا الرمز تأويلا ، فلا تجد شيئا ، فيشتد بها الذعر ويزداد فيها العجب ، ويبقى لها الأمل . وينهض الفتى فيضطرب مع الناس فيما يضطربون فيه من أمور الحياة

ثم يقبل الليل ويأوى الفتى الى مضجعه ، وقد أنسى كل شىء الا أنه قد مشى كثيرا وأجهد نفسه كثيرا ، وانه أشد ما يكون حاجة الى أن يبسط عليه النوم جناحيه . ها هو ذا مغرق فى نوم هادىء مطمئن ، قد هدأ من حوله كل شىء واطمأن فى نفسه وجسمه كل شىء . ولكن ما هذا الشخص الغريب يقبل ساعيا اليه فى أناة ، حتى اذا دنا منه قال له فى صوت رفيق غريب فيه أنس وفيه وحشة « احفر بَرَّةَ » وجسم الفتى هادىء مطمئن ولكن نفسه ثائرة مضطربة ، ولسانه يتحرك فى ثقل وصوته ينبعث من بين شفتيه خفيفا رقيقا بهذه الكلمة (وما برة :) فينصرف الشخص وينقطع الصوت ، ويفيق النائم وجلاً مذعوراً معجباً آملاً ، ويفكر ويقدر ويتقلب . ثم ينهض فيسأل السماء ولكنها صامتة ! ويسأل الأرض ولكنها ساكنة ! ويسأل أصنام الكعبة ولكنها مغرقة فى البله والوجوم ! ويضيق الفتى بنفسه وبالسماء والأرض والأصنام فيهيم على وجهه يلتمس فى الحركة والاضطراب نسيان هذا الطائف الذى يفزعه ويغريه . ثم يعمل الناس فى أمور الحياة . وينقضى النهار بخيره وشره وحلوه ومره ، ويقبل الليل شيئاً فشيئاً فيبسط أرديته السود على ما يحيط بمكة من جبال وآكام وما يزال يمد فى هذه الأردية حتى يغمر كل شىء ويستر كل شىء لولا هذه المصابيح الضئيلة التى تشب فى الأرض . وهذه النجوم القليلة التى تضطرب فى السماء . وقد سمر الفتى مع السامرين فسمع أحاديث التجار عن غرائب الأقطار ، هذا يحدث عن قصور بصرى وعظمتها وهذا يحدث عن الخورنق والسدير وهذا يذكر غمدان ، وهذا يصف أخلاق اليمانين ومكرهم بالتجار وهذا يتحدث عن سذاجة أهل الشام وانخداعهم لغربان العرب . وهذا يذكر ما أفاد من ربح حين باع الأدم فى الحبشة ، وهذا يذكر للقوم ما حمل لهم من خمر بيسان ، وهم فى أثناء هذا كله يتندرون على العجم والأعراب ، ويتفكهون بأحاديث اولئك وهؤلاء ، ويسخرون من أولئك وهؤلاء . حتى اذا تقدم الليل واطمأن كل شىء تفرقوا ، ونهض الفتى ثقيلا فمشى الى بيته متباطئاً يود لو فر من النوم ، ويود مع ذلك لو نام فألم به هذا الطيف . انظر اليه ! انه ليتردد أيقذف بنفسه فى امواج النوم هذه التى تتمثل أمام عينيه . لم يبق على الشاطىء يقظان يداعب النوم ولا ينام ليتردد ما استطاع ، ليمتنع على النوم ما وسعه الامتناع ، فان هذه الأمواج المصطخبة أمامه ، تستطيع أن تطغى على الشاطىء فتغمره ، وتغمر معه كل شىء . وكيف يستطيع هذا الفتى أن يمتنع عليها وما استطاعت أن تمتنع عليها جبال مكة هذه التى تحيط بها من كل ناحية ! انظر أترى حركة ؟ اسمع ! اتحس نبأة ؟ كل شىء هادىء ! كل شىء مطمئن ! فما نبوُّك وما امتناعك ؟ هلم الى النوم لا تخف شيئاً ! ان هذه الأمواج تريح ولا تغرق ، أقبل الى هاتين الذراعين اللتين تمتدان اليك فستنس بينهما كل شىء ، ومن يدرى لعلك تجد بينهما شفاء لنفسك الحائرة ! وأطبق الفتى جفنيه واندفع أمامه فاشتملت عليه أمواج النوم كما اشتملت على غيره من الناس والأشياء . ولكن ماذا ؟ هذا شخص يتقدم ساعياً هادئاً كأنه عش على الهواء حتى اذا دنا يمشى ، من الفتى قال فى صوت رفيق غريب . فيه أنس وفيه وحشة « احفر المضنونة » جسم الفتى هادىء ، ولكن صورة من الحيرة قد ارتسمت على جبهته ، وهذا صوت خفيف رقيق ينبعث بين شفتيه وهو يقول : ما المضنونة ؟ فينصرف الشخص وينقطع الصوت ، ويفيق الفتى مذعوراً مأخوذاً ، قد أظلم فى نفسه كل شىء ، وأحاط اليأس

بعقله وقلبه وضميره . لا يرتفع بصره الى السماء ولا ينخفض الى الأرض،ولايمتد الى أصنام الكعبة، ولكنه يدور حائراً!و ينهض الفتى وهو يقول: ما أرى الا انى سأجن ! لئن أصبحت لآتين الكاهن، فلعلى أجد عنده من هذا العارض شفاء .

أقبل أيها الصبح ، اسرع فى الخطو : ارفق بهذه النفس الحائرة، هلم الى سوطك المشرق المضىء، فبدد به هذه الأشخاص الماثلة ، فرق بهذه الظلال المضطربة من حولى . و يقضى الفتى ليلا طويلا ثقيلا، حتى اذا كست الشمس بضوئها النقى ظواهر مكة و بطاحها أسرع الفتى الى المسجد يريد أن يقص أمره على الكاهن . ولكنه لا يكاد يبلغ مجالس قريش فى فناء المسجد، حتى تذهب عنه حيرته و يفارقه وجومه ، و يمتلىء قلبه اطمئناناً وثباتاً ؛ ماذا ؟ أأزعم للكاهن انى مجنون وتشيع فى هذه المقالة و يضحك منى حرب بن أمية ولداته و يتندر على فتيان مخزوم؟ . كلا ، ما أكثر هذه الخيالات التى تسكن الى نفسها فى قبور الموتى ! وتختبىء فى الكهوف والأغوار ما أضاءت الشمس، واستيقظت الطبيعة. فاذا أظلم الليل ونام الكون انتشرت هذه الخيالات فى الجو فمنها ما يصعد فى السماء يرعى النجوم،ومنها ما يهبط الى الأرض يروع الناس . وما أرى أن هذا الطائف الذى يؤرقنى منذ ثلاث إلا خيالا من هذه الخيالات لعله ظل ميت من موتى قريش قد أنسيه قومه فهم لايزورونه ، ولا يقربون اليه لعله شيطان من هذه الشياطين التى تلح على الانس فتتقاضاهم الطاعة وتخضعهم لسلطانها كرهاً . لعله نذير من احد الآلهة يطالب بالضحية والقربان ، لقد مضت أيام ولم تقدم الى الآلهة شاة ولم ينحر لهم جزور ، ولم تصطبغ أرض المسجد بهذا الدم الحار القانى الذى تحب الآلهة لونه ورائحته . إيه ياعبد المطلب: تقرب الى الآلهة بضحية ترضيهم لعلهم يرضون، ولعلهم يكفون عنك هذا الشر ! وأقبل الفتى على مجلس من مجالس قريش ، فتحدث وسمع ولكنه كان شارد النفس فلم يطل الحديث ولا الاستماع ونهض مولياً ، فلما انصرف عن القوم قال حرب بن أمية لمن حوله أرأيتم الى سرى بنى هاشم، انى لأراه محزوناً، وانى لأعرف فى وجهه الهم، لم يحدثنا اليوم عن مآثر أبيه ومفاخر عمه .

ومضى الفتى الى أهله ،فلما دخل على امرأته انكرت عودته اليها من الضحى ، فاستقبلته دهشة وهى تقول ! إيه ياشيبة ما خطبك ؟انى لأنكرك منذ أيام .أراك مؤرق الليل ،قلق النهار، قليل الحديث ، طويل التفكير . ولقد هممت أن أسألك مرات، ولكنى خشيت ردك على وانتهارك لى . فانى لأعلم فيكم معشر قريش رقة للنساء ،ودعابة معهن ولكنى لا أجد عندك ما أجد عند قومك، فأنت صامت اذا خلدت الى أهلك، وأنت مقطب الجبين إن أظلك معهم سقف . تحدث مايحزنك؟ اخرج عن هذا الصمت الذى لزمته ، كن رجلا من قريش ،أشرك أهلك فيما يعنيك، لقد أذكر يوم أنبأنى أبى أنك خطبتنى اليه . لقد فرحت بهذا النبأ، لقد كنت أتحدث الى اترابى فى البادية بأنى سأصبح امرأة من قريش، اجد من نعمة الحياة ولينها ومن طرف الزوج ورقته مالا يجدن تحت خيام بنى عامر بن صعصعة ،ولكنى وجدت نعمة ولينا ،ووجدت حباً وعطفاً،ووجدت عناية لا تعدلها عناية،ولم أجد احب ما كنت أطمح اليه ،لم أجد منك ابتسام الثغر ،ولا انبساط الجبين ،ولا انطلاق اللسان.قالت ذلك وانتظرت هنيهة . فأجابها زوجها بصوت هادىء حزين . عزيز على يا سمراء ما تجدين من حزن .وما تحسين من خيبة الأمل . انى لأحبك كما يحب الظمآن ما ينقع غلته من الماء العذب . انى لآنس اليك انسا يزيل عن نفسى كل هم و يحبب الى الحياة و يرغبنى فيها . انى لأشتاق فى التحدث اليك والاستماع لك والانس بك .ولو خيرت لما عدلت بمجلسك مجلس قريش ولا بيتك فناء المسجد ودار الندوة . ولكن .قوة خفية عاتية طاغية تملك على نفسى وتأخذ على كل سبيل وتدفعنى الى حيث لا أدرى ولا أريد . ايه يا سمراء . انى لمؤرق الليل ،قلق النهار مفرق النفس منذ ليالى،وانى لأخشى على نفسى شراً . هذا طائف يلم بى اذا أغرقت فى النوم فيأمرنى بصوت رفيق غريب ،فيه انس وفيه وحشة أن أحفر شيئاً يسميه طيبة و يسميه برة و يسميه المضنونة ،فاذا سألته عما يريد انصرف شخصه وانقطع صوته ،وافقت حائراً مذعوراً . لقد هممت ياسمراء أن أقص رؤياى هذه على الكاهن ،وأن أصف له ما أرى وما أجد.ولكنى أشفقت أن يتحدث الناس عنى انى مجنون .أو أن يتندر بى فتيان قريش فيقولوا : ان له رئياً من الجن .أشيرى ماذا ترين؟قالت سمراء : هون عليك ولا تغل فى الخوف ولا تسرف فى الاشفاق،

ما أكثر ما يلم أمثال هذا الطيف بالناس عندنا فى البادية . فلا يحفلون ولا يأبهون . ومع ذلك فما يمنعك أن تتقرب انت الى الآلهة فى غير توسط الكاهن، ولا توسل به، ثم فضح لهم وقرب اليهم فسيرضون، وسيرضى الفقراء والجائعون. وسيغيظ ذلك قوماً من قريش..

وما هى إلا ساعات حتى كان فناء المسجد يموج بالناس . فيهم الفقراء ، قد أقبلوا من البطاح والظواهر . وفيهم الأغنياء قد أقبلوا يقدمون الضحايا بين أيديهم . هؤلاء يتنافسون أيهم يغلى الضحايا ويكثر منها وأولئك ينتظرون ويمنون أنفسهم بغريض اللحم وجيده . لقد سمعوا أن عبد المطلب يريد أن يضحى ، وان بنى هاشم قد حفلت لذلك ، فكرهت أمية أن لا تفعل فعلهم وكرهت مخزوم أن تسبقها عبد مناف ، فأقبل أشراف قريش يستبقون فى التضحية ، ويتنافسون فى القربان ! تنافسوا . تنافسوا أيها الأشراف ! استبقوا أيها الاغنياء ! فان فى ذلك شبع الفقراء وسعادة لأشقياء .

وقضت مكة يوما دامياً سمينا . كثر فيه الطعام وكثر فيه الشراب ورضيت فيه الأصنام، وسعد الفتى بما رأى ، ونسى الفتى ما كان يهمه وينغصه. وقدر الفتى أن قد صرف عنه الشر ورد عنه المكروه، ورضيت سمراء . فتحدثت كثيراً ، وسمعت كثيرا وأضحكت زوجها وابنها الحارث بملح الأعراب، ونوادر البادية. وقالت لزوجها وهى تمسح رأسه : أحبب إلىَّ بهذا الطائف الذى أرقك وأضناك ، فقد حقق أملى وأرانى ما كنت أطمح اليه . ورسم فى قلبى صورتك جميلة خلابة . فان أراك منذ اليوم — مهما تكن الخطوب — إلا باسم الثغر، منبسط الجبين، مطلق اللسان . وهل السعادة إلا لحظات قصار ، نصيبها ولا ننتظرها ولا نقدر لها حسابا! فما أسعد القلب الذى يحتفظ بهذه اللحظات حين تمر . ويتخذها ذخراً للأيام ، وما يعرض فيها من الخطوب قال عبد المطلب: إذن فأنت راضية ياسمراء إن رضاك ليقع من نفسى محزونة موقع الماء من الأرض المجدبة. انعمى بما أنت فيه. وانتظرى أن يقدر الله لك خيراً منه . فلو قد صرفت عنى هذه القوة العاتية الطاغية لأريتك ياسمراء كيف تطيب الحياة . وكيف ترق حواشى العيش.

وأوى الفتى إلى مضجعه راضياً مسروراً . واستقبل النوم مبتهجاً له راغباً فيه، ولكن هذا الشخص يقدم عليه ساعيا فى هدوء ، كأنما يمشى فى الهواء، حتى اذا دنا منه انحنى عليه، ووضع على جبهته يداً باردة خفيفة، وقال فى صوت رفيق غريب. فيه أنس وفيه وحشة. احفر زمزم . واضطرب جسم الفتى كله واضطربت نفس الفتى كلها وانفتحت شفتاه عن هذه الكلمة : وما زمزم ؟ قال الطيف بصوت رفيق مؤنس. قد فارقته الغرابة والوحشة ومازجته سخرية ورحمة. «لا تنزح ولا تذم ، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم » قال الفتى : « الآن قد وعيت» فتولى عنه الطيف باسما وهو يقول: «الله أنتم أيها الناس لا يكفيكم الوحى، ولا تفقهون إلا سجع الكهان . رويداً عما قريب سيضىء الصبح » ونهض الفتى مبتهجاً مسرورا . فلما أصبح دخل على سمراء مشرق الوجه مضىء الأسارير . قالت وهى تسمو اليه: أيهما أحب إلى نفسى اشراق وجهك أم اشراق الشمس؟ ما أرى إلا انك قضيت ليلا هادئا . قال : انعمى صباحا ياسمراء لقد طابت الحياة منذ اليوم، ان هذا الطائف الذى يلم بى منذ ليالى، طائف خير يأتى بالنعمة والغيث ، انه يأمرنى أن أحتفر فى فناء المسجد بئراً، فلأفعلن منذ اليوم، ولئن ظفرت بها ليشربن الحجيج فى غير جهد ولا عسر . هلم ياحارث خذ معولا ومكتلا ومسحاة واتبع أباك . ويتبعنه الماء إلى عرفات . .

(يتلى) طه حسين

الشيخ عفا الله

قصة مصرية

(بقلم الاستاذ محمود تيمور)

حدثني صديق، قال:

منذ عشرين عاماً كنت أسكن جهة درب سعادة. ذلك الحي القديم ذا الشارع الضيق والمباني المتزاحمة الأثرية. وكنت اذ ذاك في التاسعة عشرة من عمري أحضر لامتحان الشهادة الثانوية. وفي أوقات فراغي كنت أجلس أمام البوابة أتفرج على الرائح والغادي. وكان يمر أمام الدار ـ من وقت لآخر ـ شيخ بملابس بسيطة ضامر الوجه، بلحية خفيفة فيها آثار الشيب ظاهرة. هادىء المشية. يسير في وقار. منكس الرأس على صفارته يناجيها بألحان شجية. فكنت أستوقفه وأطلب منه أن يسمعني شيئاً من أنغامه. وكانت جميع ألحانه تحوي كثيرا من معاني اليأس والحنو. ولاحظت أنه قنوع يرضى بالقليل. وكان اذا استرسل في صفيره خيل لك أن الصفارة تكلم وتنوح كأنها تحاول أن تفشي سراً! وهو على طهارة قلبه ومظاهر الصلاح الناطقة على وجهه، لا يؤدي اي فرض من فروض الصلاة، ولا يذهب الى الجامع مطلقا! ولا يتكلم عن شيء اسمه مغفرة ورحمة. واذا ذكر اسم الله أمامه طأطأ رأسه ذليلا، وتمتم بألفاظ متقطعة غير مسموعة!.

وتوثقت بيني وبين الشيخ ألفة ساذجة. وحاولت أن استوضحه حقيقة آلامه فلم يرض ان يبوح لي بشيء. فاحترمت رغبته وصممت أن لا افاتحه في هذا الموضوع. وظل الرجل وقتا ما لغزا لا استطيع الوصول الى حله. ومرت الأيام والشيخ يزورنا مرة في الأسبوع فاحظى منه بألحان شجية، وحديث هادىء جميل!. وكان يسترسل في الكلام بعض الأحيان فتفلت منه من غير وعي بعض جمل وكلمات بدأت تكشف لي شيئا من سره. وكان ينشد لي كثيراً من المواويل الريفية في الحب والتشبيب بالنساء وكان اذا لفظ كلمة «الغيط» لفظها مفخمة منغمة واتسعت عيناه ولمعت بوميض غريب. واتسع صدره وتمددت طاقتا انفه وهو يستنشق في شغف الهواء الذي يحسبه هواء الريف. ثم يعقب ذلك تنهد حار عميق. ومناجاة طويلة لصفارته وباغتته ذات يوم بقولي:

ـ أقسم بالله لقد اكتشفت سرك ياشيخ «عفا الله»!

فارتعد مذعوراً. واتممت كلامي:

ـ انك فلاح من الريف

فنظر الى بحيرة وقال بعد تردد:

ـ وهل استطيع ان انكر «اصلي»!

ـ وانك تتألم من حب دفين.

فأمسك بيدي وشد عليها، وقال:

ـ اسكت ياسيدي، اسكت:

ـ وانك ارتكبت معصية كبرى. وتريد التكفير عنها

فامتقع وجهه ونظر الى محملقا. وقال:

اعالم سري..؟ اعالم سري؟..

واخذت استدرجه في القول حتى لان. وبدأ يروي لي قصته كالآتي:

لم اكن أدعى بالشيخ «عفا الله» فيما مضى. بل كنت اعرف «بسرحان» وهو اسمي الحقيقي وكان لي اخ يدعى «محمد الرخ» كان اماما لمسجد القرية التي نشأت فيها. وكان قد تجاوز الأربعين، بينما كنت في السابعة عشرة. وكنت اعتبره كأبي واحبه حبا عظيما وكان هو الآخر يحبني كابن له: وقد حفظني القرآن وعلمني اصول الدين واشركني معه في خدمة المسجد. وكنت قد بدأت اتعلم الصفير في ذلك العهد على شيخ طريقة مجذوب يجيد التوقيع على الصفارة وانشاد القصائد الصوفية. ولما برعت في الصفير كان يلتف حولي على باب الجامع. بعد العشاء. جمع كبير من الفلاحين يستمعون الي.

وكانت زوجة اخي قد توفيت منذ عام، فتزوج بفتاة في الخامسة عشرة لم تقع عيني على املح منها. لها جاذبية غريبة سحرتني وخبلت عقلي. رأيتها للمرة الأولى فلم اتمالك ان احببتها حبا تملك على جميع مشاعري وكبلني بالرغم مني بقيود ظالمة لم استطع التخلص منها. وخجلت من نفسي ومن اخي، واعتبرت هذا الحب الشائن اكبر خيانة لذلك الشخص. الذي وهبني حنانه واخلاصه وثقته واردت ان احطم هذه العاطفة الذميمة، ولكني لم استطع فكتمتها في قلبي ولم ابح بها الا لصفارتي! فقد كانت عزائي الوحيد في نكبتي.

وكنت اتعمد ان لا اخلو بزوجة اخي واتحاشى ان اكلمها الا في الأمر الضروري. وكنت امكث بعيدا عن الدار في عتمة الليل. اناجي حبي بألحان الشكاية والنوح. وحدث مرة ان كنت في موضع خلوتي غير بعيد عن الدار. اصفر في شبه غيبوبة، وانا ملتذ بآلامي اذ شعرت باحساس غريب فرفعت رأسي. والتفت حولي فوجدت «هنية» زوجة اخي جالسة غير بعيدة عني تنظر الي في صمت وخشوع. فذعرت وقمت من فوري وانا اقول:

ـ أنت هنا . . ؟

ـ منذ برهة وجيزة . . . انى أحب صفيرك وأشعر عند سماعه برغبة فى البكاء .

وتحركت أريد الهرب . فامسكت بطرف جلبابى وقالت :

ـ لماذا لا تريد أن تجلس ؟

فصرخت بالرغم منى قائلا . .

ـ دعينى !

فنظرت الى دهشة ولم تتكلم . ثم قالت :

ـ ما الذى يدعوك الى كرهى . لماذا تهرب منى . .

وبغتة أجهشت بالبكاء . فشعرت كأن قلبى يتمزق وأن دماغى يحترق . ثم هبطت عليها دفعة واحدة . وأخذتها بين ذراعى . وأنا أقول . . .

ـ أنا أكرهك ياهنية ! . . .

وانحنيت عليها أشبعها ضما وتقبيلا معبرا عن حبى الكبير بأحر العبارات . . وكانت الفتاة مستسلمة الى فى نشوة وغرام ! .

وبينما نحن على هذا الحال اذ طرق سمعنا أصوات من بعيد فصحونا من حلمنا اللذيذ . ورأينا على جسر الترعة أشباحا تسير متمهلة . فاضطربت هنية وهمست فى أذنى قائلة :

هذا أخوك عائداً مع المستأجرين .

ثم قامت دفعة واحدة وقالت :

ـ سوف أسبقه الى الدار . متخذة طريق الغيط .

وقامت تعدو كالظبى المذعور . وأنا أراقبها فى لهفة حتى ابتلع الظلام شبحها الجميل ! وسرت أناالى الدار متمهلا فى طريق الجسر . فوجدت أخى قد جلس أمام الطعام منتظراً حضورى . ولما رآنى صاح بى مداعبا :

أيصح أن تتركنا ننتظرك . تعال يا ملعون وشاركنا الطعام ! . أريد أن أقص عليك كيف أجرت الفدادين هذا العام بقيمة لم اكن أحلم بها .

وجاءت « هنية » ووضعت العيش أمامنا . وجلست مبتعدة قليلا عنا . وبدأنا نأكل . وكنت منهمكا فى تفكيرى . لا أفهم شيئاً مما يرويه لى أخى . مع تظاهرى بالاصغاء اليه . وكنت أرفع بصرى بين وقت وآخر نحو (هنية) فأجدها مسبلة الأجفان فى شبه ذهول تأكل بحركات ميكانيكيه . ووجهها ممتقع . وحدث مرة أن رفعت نظرها الى . واشتبكت عينانا . وخيل لى أن وجهى يدنو من وجهها . وان شفتينا على وشك التلاق . وبغتة سمعت صرخة اهتزت لها الدار فارتعت . وتنبهت لنفسى فرأيت (هنية) تشهق بالبكاء . قائـــلة :

لا استطيع ! لا استطيع !

وهب أخى فزعا نحوها . وضمها الى صدره وهو يقول :

ـ مالك ياهنية ؟ . مالك ؟

ليس لى رغبة فى الأكل . دايخه . أريد ان أنام .

ـ قومى ياحبيبتى لتستريحى . .

وقامت متجهة نحو حجرتها وهى معتمدة على ذراع اخى . وكنت شاهد هذا المنظر وانا فى شبه خبل . اشعر بأنى قد تحجرت وصرت جزءاً من الأرض التى انا جالس عليها .

وعاد اخى بعد هنيهة . وقال لى :

ـ المسكينة اجهدت نفسها اليوم فى أعمال الدار .

وكنت لا اطيق أن أنظر الى اخى فى هذه اللحظة وتصورته وحشا يريد افتراسى ! فقمت من فورى ووجهتى الباب . وسألنى أخى :

ـ الى اين ؟

ـ الى الجامع . اريد ان اصلى العشاء . ثم اقفله وأعود .

وخرجت اعدو الى مأواى المختار ـ الذى قابلت فيه (هنية) منذ وقت قريب ـ وارتميت على الأرض امرغ وجهى فى الموضع الذى كانت جالسة فيه . وانا انشج نشيجا حارا وامضيت ليلتى هناك ، وانا لا يهنأ لى مضجع . ابكى واغفو واحـــلم . ثم اصحو برجفة تزلزل جسمى . وكان يتراءى لى شبح أخى فى يقظتى ونومى . يحوم حولى يريد ان يقتلنى . فكنت العنه بأشنع اللعنات . وفى الفجر غلبنى نعاس عميق ، لم أصح منه الا عنــــد الظهر . وفتحت عينى واردت النهوض فخانتنى قواى . اذ كنت اشعر بآلام شديدة وضعف هائل .

فجلست مستندا الى جذع شجرة خلفى واخذت استعيد قواى شيئا فشيئا . وكان الغم يخيم على قلبى . وشعور الندم الشديد يكتسح نفسى . فقمت مهرولا نحو الجامع . واعتذرت لأخى عن تأخيرى بمختلف الاعذار ثم هبطت على يده اقبلها . وانا اقول له :

ـ انى احبك يا أخى !. واقسم بالله انى احبك حبا لم يضمره ابن لابيه . اريد دائما ان انال رضاك وعفوك . قل لى اتحبنى ؟ .

فأجابنى : . !

ـ ما هذا الكلام ياسرحان . هل رأيت منى غير الحب الكبير ؟ . انت ابنى بل انت افضل من ابنى :.

ونظرت الى اخى فوجدت آيات الاخلاص مرتسمة على وجهه . فاندفعت اقبل يديه من جديد : وانا ابكى بصوت عال . وانتابتنى نوبة عصبية شديدة . فارتميت على الأرض فى حالة تشبه الصرع . ولما افقت وجدت نفسى ممددا فى ركن من اركان الجامع : واخى بجانبى مهموم الخاطر من اجلى ؛ يمرضنى ويحنو على .

ومضى اسبوع وانا لا اقصد الدار الا فى أوقات قليلة . وكثيرا ما كنت أتناول الطعام فى الجامع ، وانام ليلا فيه ، ولو استطعت لامتنعت بتاتا عن الذهاب الى المنزل . ولكنى كنت احتاط للامر حتى لا يتشكك اخى فى سلوكى . وكنت اجاهد ما أمكن فى سبيل ضبط عواطفى وأكلم « هنية » أمام اخى كلاما عاديا متحاشيا دائما النظر اليها . واذا تصادف وخلونا نحن الاثنـــان برهة صغيرة ظللنا صامتين مكبى الرأس واذا تقابلت الاعين اهتزت منا الاجسام كأن مستها الكهرباء .

ومضت الأيام والنار تأكلنى أكلا . أنام نوماً سيئاً . وأقضى يقظتى فى شبه أحلام مشوشة . واذ أديت صلاتى أخطأت الأداء ، وكان قلبي مسرحا لمختلف الاحساسات المتباينة . الغضب والرحمة . والكفران ، والتوبة والحب والبغض تتطاحن كلها باختلاط .

وتركت الدار — يوماً — بعد منتصف الليل بقليل و خرجت أعدو كالوحش المطعون وأنا أردد :

— انه معها فى الحجرة . انهاله.. وهو يتمتع بها . . .

وهمت على وجهى لا أدرى أى وجهة أقصـــد . واخيرا وجدت نفسى امام الجامع فدخلته بدون وعى وارتميت على الأرض اعض يدى واضرب رأسى فى الحائط. وأنا مازلت أردد قولى :

انه معها فى الحجرة .. انها له . وهو يتمتع بها . . .

وبينما كنت على هذه الحالة. شعرت بيد وضعت على كتفى .فالتفت مذعورا . فاذا « هى » امامى . . هى « هنية » فى تلك الساعة الموحشة من الليل وفى ذلك المكان المنعزل . فأخذتها بين ذراعى بلا كلام واحتضنتها بوحشية وانا أهذى

وأمضيت معها ساعة غرام عنيفة .من أشهى ساعات الوجود. وأقسم لك أنه ليس على وجه الأرض منذ خلقت الدنيا شخص نال مثل نعيم تلك الساعة . انها ساعة تساوى أعمارا بأكملها .

وبعد ذلك نمنا متعانقين . . . وتنبهت فاذا الباب يقرع . واذا ضوء الشمس يغمر المكان . وسمعت صوت أخى يقول :

ـ افتح ياسرحان

فوجدتنى أجيب بلا وعى :

ـ سأفتح فى الحال

وكان للجامع نافذتان مشبكتان بالحديد . وليس ثمة مخبأ تستطيع أن تختبئ فيه هنيه أو منفذ تنفذ منه الى الخارج . فاختبل عقلى . ولكن خاطراً مر برأسى فقلت لها هامسا!

ـ اصعدى الى السطح . . اصعدى سريعاً

فقامت هنية وصعدت فى الحال الى السطح : وقمت أنا الى الباب ففتحته . وتظاهرت بالفتور الشديد ودخل أخى وعليه شىء من مظاهر الغضب . وقال :

ـ أما زلت تنام فى المسجد ياسرحان؟ أليس لنا دار تسعك معنا؟

ـ يحلو لى الآن أن أتعبد فى المسجد حتى مطلع الفجر ! . .

وجلس أخى صامتاً . وبعد برهة تكلم بلهجة قلقة .

ـ لقد استيقظت من النوم : فلم أجد هنية بجانبى . وقد بحثت عنها طويلا فى الدار فلم اعثر عليها . .

فارتجفت . ولكنى تغلبت على ضعفى وقلت

ـ لعلها تكون قد خرجت لتملأ جرتها من الترعة

ـ ربما . . انما . . . .

ثم ابتلع ريقه وتمتم بكلمات لم أفهمها وقام وقال:

ـ هيا نصل الصبح!

وقمنا الى الصلاة . ولكن اى صلاة هذه التى اديتها فى ذلك الوقت . كانت صلاة للشيطان لا لله!

وانتهت الصلاة . وبدأ الناس يفدون على الجامع واصبحت فى حالة يرثى لها . واخيرا خرج اخى عائدا الى الدار . وما كاد يفعل حتى انسللت صاعدا الى سطح الجامع لأدبر حيـــلة لهرب هنية . وما كانت اشد دهشتى حينما رأيت السطح خالياً . ودرت فيه وانا كالمخبول ابحث هنا وهناك . وشعرت باحساس غريب يجذبنى نحو حافة السطح . وما كدت اشرف منه الى الأرض حتى صرخت مرتاعاً . ووجدت نفسى بعد لحظة على الأرض ولا ادرى كيف نزلت . وكانت هنية ملقاة بجوار الجدار تئن انينا خافتا فدنوت منها وانا فى جزع ولهفة وامسكت بها وسألتها عما اصابها ففتحت عينيها بصعوبة وقالت:

ـ لقد انكسرت ياسرحان . انكسرت!

وكانت تعض على شفتيها محاولة كتم تأوهاتها!

فاحتضنتها وأنا أواسيها وأشجعها . وسمعتها تقول :

ـ آلامى لا تطاق . . انى اموت !

وحملتها بكل عناية واحتراس . وأنا أكاد أجن من الحزن. وذهبت بها الى دار أم عبد الجليل . وكانت امرأة وفية ولى محبة . وأخبرتها بشىء من الحقيقة ورجوتها أن تذهب الى أخى لتبلغه خبرا ملفقا . فقامت المرأة من فورها الى داره .

ونقلوا هنية الى دارنا وقد أشاعت أم عبدالجليل انها سقطت من سطح منزلها بينما كانت تأتى بوقود لها !

ومضى يومان وهنية تعيش فى أتون متقد من آلام لا يتصورها العقل . أما انا فكنت أذهب الى زريبة المواشى. وأحكم اقفالها

على . ثم انهـــال على وجهى باللطم . وانفجر فى نواح طويل وأنا أقول :

أنا سبب كل هذا !. أنا الذى يجب أن يعذب !. انا الذى يجب أن يموت !

وماتت هنية فى اليوم التالى ودفناها فى قرافة القرية باحتفال بسيط . اما حالتى يوم وفاتها فقد اعترانى خبل غريب . فلم أصدق أنها ماتت . وكنت أؤدى عملى الذى كلفت به فى مأتمها ببســاطة وهدوء، بل كان يعترينى بعض الأحيان نوبات ضحك يعقبها ذهول ووجوم . ولكن بعد أيام بدأت أشعر برد فعل شديد . فأخذت اهيم فى الغيطان : وأختبىء فى الذرة . وانا ابكى واندب بلا انقطاع . واخيرا هدأت حالتى نوعا فعدت الى عملى فى الجامع . ولكن مرآى ذلك الجامع كان يزيد شجونى وعذابى . فتمثل أمامى جريمتى كلما وطئت عتبته ويخيل لى انى اسمع صوت سقوط جسم من اعلى السطح الى الارض . فتعترينى قشعريرة واخبى يدى وجهى فى يدى واجهش بالبكاء.

لقد عملت المستحيل لكى اضلل اخى وابعد شكه من ناحيتى وتحملت اكبر العذاب فى سبيل اخفاء جرمى . ولم اكن اجسر على النظر اليه . وكان يخيل الى انه يرفع يده فى وجهى يريد سحقى

ومضت الأيام وسرى ينمو ويتضخم فى قلبى فأشعر بثقله الهائل . ويخيل الى فى كل وقت ان قلبى يتمزق وان السر يطير منه ويعلن الى الملأ فضيحتى . وكانت ايام عذاب لاظن عذاب الجحيم يفوقها .

وفى ليلة عقب صلاة المغرب خرجت لأروح عن نفسى قليلا فقادتنى قدماى بدون شعور الى المكان الذى سقطت فيه هنية بجوار حائط الجامع . وبغتة قابلت اخى وجها لوجه ولا ادرى ما الذى ارسله الى فى هذه الساعة وفى هذا المكان . اهى المصادفة أم شىء آخر . لا ادرى !. ووقفنــــا امام بعضنا بالقرب من ذلك الجدار الرهيب . وشملنا الصمت برهة . وبغتة وجدت نفسى اصرخ واقول :

ـ لا تقربنى !. لا تقربنى !.

واندفعت اجرى كالمجنون اهيم على وجهى . وكان هذا آخر عهدى بأخى وبتلك الديار !. وأخذت منذ ذلك الوقت اطوف المدن، واعيش عيشة الطريد الشريد.

ثم اطرق الشيخ عفا الله صامتا . وشاهدت دمعة تنحدر فى بطء على خده . فقلت وانا شديد التأثر بما سمعت .

ـ لماذا لا تعود الى صلاحك . وتطلب مغفرة الله .

فرفع عينيه وقال :

ـ لقد تألبت على الأقدار وسأظل حتى نهاية ذلك المتمرد العاصى .

ثم سحب صفارته من عبه فى هدوء، واخذ يوقع عليها لحنا شجيا فيه معنى الصبابة والتضحية . وكان منتشيا بلحنه يتذوق انغامه الدفينة فى شبه غيبوبة مسكرة .

فى الاكاديمية الفرنسية

انتظم فى سلك الاكاديمية الفرنسية أخيرا عضوان جديدان هما الكاتب القصصى بيير بنوا . والمؤرخ الاشهر جوسلان لينتر . والأول هو أصغر « الخالدين » سنا . فهو لا يتجاوز الاربعين من عمره . مع انه لا يرقى فى الغالب الى هذا الشرف الرفيع سوى رجال قطعوا معظم مراحل العمر وأشرفوا على الستين أو السبعين . وينتمى بيير بنوا الى أسرة من الضبــاط وقد كان أيام الحرب الكبرى ضابطا فى الجيش . فلما انتهت الحرب عاد الى الأدب . وسرعان ما ظهر فى ميدانه . وحاز ذروة الشهرة حينما اخرج روايته الشهيرة « الاتلانتيد » . وهو يتربع اليوم فى كرسى المؤرخ الشهير لافيس .

° ° °

واما المؤرخ لينتر . فهو باحث محقق اشتهر بالاخص بتحقيقه فى تاريخ الثورة الفرنسية . وله فى ذلك « باريس ايام الثورة » « وسقوط الجيرونديين » وقد اشتهر بتاريخ مختصر كتبه عن نابليون يمتاز بطرافته وفكاهته وقد حل فى الأكاديمية مكان الروائى الشهير « رنيه بازان » وهو يربى على السبعين من عمره . ولكنه ما زال وافر الانتاج يشتغل بالتحرير فى جريدة « الطان » ويكتب فيها باب « التاريخ الصغير » .

اعتــذار

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر كثير من الابحاث والابواب فنعتذر لحضرات الكاتبين . وموعدنا بها العدد الثانى ان شاء الله

العالم المسرحي والسينمائي

بنات اليوم على مسرح رمسيس

للأستاذ محمد توفيق يونس

بدأ الموسم التمثيلي هذا العام متأخراً عن موعده العادي. وكان أسبق الأيدي الى هصر الستار عنه فرقة رمسيس بتمثيلها رواية « بنات اليوم » لمديرها الأستاذ يوسف وهبي. وهي قطعة ناجحة في أربعة فصول شائقة الموضوع. قوية الحوار. سريعة الحركة الا أن فيها بعض الطول. وكلامنا عن الرواية يتناول أمرين موضوعها وبناءها. أما الموضوع فحيوي جليل خليق بالعناية والنظر. هو موضوع الأسرة المصرية الذي طالما أثار الانتقاد. وبعث على التشكي

فبنات اليوم من الروايات ذوات الفكرة التي تبحث في نظام الأسرة وتنبه الى الخطر الذي تتعرض له من الزواج المبني على اختلاف المشارب. وتباين الطباع. وتنافر الأهواء. الذي تعقده المصادفة ولا يقوم على أساس من حرية الاختيار وائتلاف المزاج

أحسن المؤلف اختيار موضوعه واجاد بسطه وان كان قد عني بالتأثير أكثر من عنايته بالتحليل والتعليل.

جمع المؤلف بين اثنين مختلفي الأفكار برباط الزواج وقد نكد حظ الزوج به وساء طالعه فزوجته تختلف عنه عقلية ومزاجا ولكنه سرعان ما يجد في اختها (لطيفة) فتاة تستطيع أن تفهم سر نفسه وتنظم أمور حياته. ويحلو الحب للعاشقين ولكن الزوجة (خديجة) تعلم أمرهما اذ يعثر أبوها على رسائل باللغة الفرنسية تبادلها الحبيبان فيطلب منها قراءتها فتعرف الحقيقة ولكنها تكتمها. مدعية أن ليس فيها ما يريب. ولكن لطيفة تحمل فتأتي الى عيادة حبيبها وزوج اختها (الدكتور صادق) ليجهضها بعد أن ادعت انها مسافرة الى ضيعة احدى قريباتها. ولكن خديجة تفاجئها فاذا علمت ان اختها في خطر نسيت نفسها واهتمت بأمرها. ولكن الحالة تتحرج بدخول « سامي » خطيب لطيفة وابن عمها. وتنقذ الزوجة الموقف ثانياً فتدعي ان اختها اصطدمت بسيارة فجاءت الى الطبيب.

تنقضي فترة من الزمن يأتي بعدها عم لطيفة يطلب يدها لابنه سامي فيوافق الأب ولكن الابنة ترفض فلا يأبه لها ويمضي في تنفيذ ارادته. وتخلو لطيفة بابن عمها فتعلن اليه انها لا تستطيع أن تقبله زوجا لأنها لا تحبه. ويعود الأب فيملي عليها ارادته ولكنها لا تطيع. فيثور ويحتد فتضطر الفتاة الى ان تعلن ان رفضها الزواج من ابن عمها انما كان لانقاذه وتسأل سامي أيقبل ان يتزوج من فتاة ساقطة سلمت نفسها لغيره. فيجن جنون الأب ويسألها عن الجاني فيجرد صادق بالواقع بعد ان يبنته أن جهله وغطرسته وتشبثه بتزويج ابنته الكبرى قبل الصغرى كالتاجر الذي يريد التخلص من بضاعته القديمة قبل الجديدة قد دفعهما الى هذا الموقف الأليم ولكن الأب لا يسمع ولا يرحم فاذا البيت شعلة من نار تحاول لطيفة أن تطفئها فتلقي بنفسها في النهر فيلحق بها صادق وسامي

وتنجو لطيفة ويطردها أبوها فتبحث عن عمل وتلجأ الى بيت حقير يأويها. اما صادق فيسجن لقاء جريمته ثم تنقضي مدة السجن فيعود الى حبيبته ويتفقان على ان يغادرا البلاد معاً ليستأنفا الحياة من جديد. ثم تقبل خديجة وابنها ترجو من زوجها ان يتركه لها فيودعهما باكيا مستغفرا. ولهذا الموقف اثره في نفس لطيفة فتأبى الرحيل مع صادق حتى يبقى لزوجته وابنه وتسأل سامي ان كان يقبل توبتها ويرضى بها زوجة فيوافق راكعا.

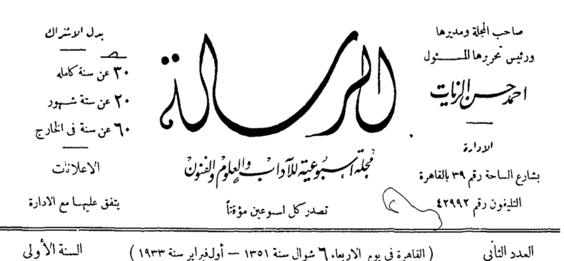
هذا مجمل الرواية او بالأحرى مجمل الحادث الأصلي فيها ولم نعرض من الأشخاص الا الأساسين في العمل فالرواية مليئة بالحوادث مزدحمة بالأشخاص وكان اجدر بالمؤلف ان يسير الى غايته قدما حتى لا يضعف اثر الحادث الأصلي في الرواية ولا يقطع سلسلة العمل الأساسي بمشاهد ثانوية وشخصيات فضولية. هذه المشاهد في ذاتها قوية الوضع وتلك الشخصيات خفيفة الظل. ولكن قيمتها بالنسبة الى الرواية ضئيلة وصلتها بها واهية. واثرها عكسي في الواقع يخمد من حدة الشعور ويعوق وجهة الدفع الروائي نحو النهاية.

وكذلك يقطع العمل اثناء الرواية بحلول تكاد تكون حاسمة يمكن ان تقف الرواية عندها والروايات الحديثة تنتهي بدون خاتمة ولا حل تاركة المجال للتفكير والتأمل.

وفي الرواية شيء من التصنع كتصريح الزوج انه هو المعتدي على عفاف اخت زوجه. وعلى عمل الأب على زج زوج ابنه في السجن مع ما في ذلك من فضيحة للاسرة جميعها.

اذا غضضنا النظر عن هذه المآخذ استطعنا ان نقول ان الرواية جميلة قوية مؤثرة ذات مواقف درامية صادقة ومناظر انسانية رائعة تسترعي سمع المشاهد وتأسر لبه

ولا عجب فقد درس الأستاذ يوسف وهبي المسرح وخبر الجمهور فضرب على اوتاره الحساسة واستطاع ان يظفر منه بالاعجاب والاقبال ولا يسعنا نحن الا ان نحييه ونهنئه ونرحب به عاملا من عوامل بناء المسرح المحلي ؟



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة
التليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدر كل اسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثانى — (القاهرة فى يوم الاربعاء ٦ شوال سنة ١٣٥١ — أول فبراير سنة ١٩٣٣) — السنة الأولى

رسالة الشباب

عن يسارك وأنت خارج من ميدان الأبرا الى عابدين باب عتيق ضخم، لا تجد بينه و بين جيرته انسجاما فى طراز، ولا التئاما فى ذوق، تدخله فكأنما تدخل داراً من دور الترك، أو ديرا من دور الروم: دهليز قاتم رحب، وفناء كالح رطب، ودرج رخامي يصعد بك طبقتين الى جمعية القرش!

فى هذا الربع الموحش يعمل الشباب النضر! ومن هذا الطابق الرهيب ينبثق الروح الذى يهز القلوب، ويشغل الاذهان، ويملأ الصحف، ويحرك الايدى ويرصد الأهبة لافتتاح (مصنع الطرابيش) عما قليل!

يشترك فى تحرير المجلة:
الدكتور طه حسين
وأعضاء من لجنة التأليف والترجمة والنشر

تدخل فتجد مقترح المشروع وكاتب سره وهو فتى لا تزال على محياه لألاء قسمات اليفاعة! يجلس فى غرفة عارية من الأثاث، على مكتب مغطى بأشتات الورق ومن حوله رفاقه الأبرار يجيبون دعاءه، أو يناقشون آراءه، أو يطلبون امضاءه، والعواطف المشبوبة البريئة تجيش فى هذه القلوب الغضة فتنسيها فى النهار الراحة وفى الليل النوم! جلست هنيهة فى هذه الغرفة الجرداء الوسيعة أرى الاخلاص يتمشى فى التخيل، والأمل يتدفق فى الحديث، والشباب المرح اللاهى يحول الى كد دائب وصبر غالب ووقار مرهوب، ثم أسمع اخبار اللجان ومعدات المهرجان وحركة المطبوعات وجمع التبرعات واصدار التذاكر الى مختلف الجهات، فقلت فى نفسى: يا لله! أقيادة جيش تقرر الخطط وتحفظ السلام وتعز الوطن. أم خلية نحل تدير الأمر وتجمع الرحيق وتصنع العسل؟!

***

لقد كان الشباب فى نهضتنا السياسية الروح الذى أحيا الشعور، والضوء الذى هدى الجمهور والدعوة التى دار عليها الرأى!

وهاهم أولاء فى نهضتنا الاقتصادية يرفون رفيف الأملاك حول بنك مصر وشركاته؛ ويضيفون الى هذا البناء الرفيع المحكم شرفات تزيده جمالا وروعة! يريدون — والشباب قادر اذا أراد — أن يتجمع من القرش الواحد رءوس أموال لمصانع شعبية. كما يتجمع البحر من قطرات المطر، والجبل من ذرات الرمل!!

فمن ذا الذى لا يساهم فى هذا المشروع الخطير بهذا القرش الحقير وفى كل لحظة تلفظ اليد أمثاله فى توافه الأشياء وصغائر الامور!

ان نشئنا ليؤدون رسالة الشباب كما تؤدى الزهور رسالة الفردوس ولقد رأيت اخوانهم فى فلسطين والشام والعراق ينتعشون بهذا العبير، ويسيرون على هدى هذا الشعاع.

فافسحوا فى المجال لعزم الصبي ينهض برأى الكهولة! فان الوطن لا ينهض الا بشبانه. وان الشجر لا يثمر الا بأغصانه،

أما الشيوخ فكالجذوع، هم الاصل والمدد والسند، ولكنهم ألصق بالارض وأميل الى السكون وأقرب الى الجمود، فلا تقوى على تحريكهم رياح الامل، ولا تغرد على حضنهم طيور السماء!

احمد حسن الزيات

خواطر وصور

خواطر

« قروش » فكرية

مهداة الى « القروش » النقدية !

للاستاذ عباس محمود العقاد

الشعور السعيد

أسعد الشعور ما امتزج فيه شعور الانسان بنفسه وشعوره بغيره ، أو ما كان فيه الشعور بالغير ضربا من الشعور بالنفس . ومن هذا القبيل شعور الأب بابنه والحبيب بحبيبه والمشهور بشهرته : يرى نفسه في غيره ويرى غيره في نفسه ، فيلتقي فيه الرضى عن النفس والرضى عن الدنيا . وهما تمام الرضى الذي يحيل الألم والشقاء سرورا وسعادة

∴

كراهة الاخيار

قد يكون الشرير الذى يشتد بغضه لأهل الخير من أقرب الاشرار الى الاخيار . لانه يحس بما فقد ويحس بما امتاز به غيره فيحسدهم . والحسد اعجاب معكوس ، أما الشرير الذى لا يبغض أهل الخير فادراكه للخير قليل ، وطلبه للامتياز والرجحان ضعيف

∴

حرية الفكر

فرق بين من يجترئ على العقائد الراسخة لقوة فى نفسه ، وبين من يرتاب فيها لتحلل فى طبيعته يعجزه أن يمسك العقيدة القوية ويحتويها

∴

اصابة الجاهل

الساعة المعطلة تكون أضبط الساعات جميعا في لحظة من اللحظات ، وكذلك العقل الصغير الخابي يصيب مرة حيث لا تصيب كبار العقول

***

أنانية الشيوخ

دين المنفعة يغلب على الشيخوخة لأنها عهد الضعف والادبار ، لا لأنها عهد الخبرة والمعرفة

∴

العظماء

حاجة الناس الى العظيم حاجتهم الى ارضاء غرورهم لا الى ارضاء غرور العظيم

الشعر والشيخوخة

اذا قال الشيخ لا حاجة بي الى الشعر فلا ترث للشعر بل ارث له هو لانه ينعى نفسه

واذا قالت الأمة لا حاجة بي الى الشعر فصدقها . واعلم أنها قد شاخت ، فلا حاجة بها الي الشعر ، ولا لي غيره من علامات الفتوة والحياة

∴

الخوف وحب الحياة

الخوف المفرط من الموت علامة الجهل بقيمة الحياة لا علامة المعرفة بتلك القيمة ، لان الذى يؤثر كل حياة على كل موت يقبل الحياة على أي شكل من الأشكال ، ويقبلها على أقبح الاشكال ، والذى يقبلها على أقبحها لا يعرف لها قيمة تصان

∴

الزهد والنقمة

الزاهد الذي يروض نفسه على الزهد بتقبيح الدنيا ليس بزاهد ، لانه لا يترك الا نجسا قبيحا حين يترك دنياه ، ولأشرف منه نفسا ذلك الذى ينعم بالدنيا لانها عنده نفاسة وجمال

∴

تفاؤل القوة والضعف

يتفاءل المرء ثقة منه بالقدرة على مغالبة الخطوب ، أو قلة مبالاة بعواقب الهزيمة ، وهذا تفاؤل القوة

ويتفاءل المرء خداعا لنفسه كي لا يجشمها التأهب لملاقاة الخطوب والتفكير في عواقبها ، وهذا تفاؤل الضعف

∴

الانتقاد والحرية

ليست كثرة الانتقاد دليلا على الحرية فى كل حين

ان الناس يكثرون الانتقاد حين يجهلون الحرية ، لانهم لا يرون للآخرين حقا فى التصرف كما يشاءون

∴

الكبرياء

الكبرياء اعتداء ، أو رد اعتداء

***

الواقعيون والخياليون

التعويل على المحسوسات دأب جميع الناس ، لكن صاحب النفس الكبيرة يحس ما لا يحسه أصحاب النفوس الصغار ، فيعده هؤلاء من الخياليين .. لأن محسوساته غير موجودة عندهم ، فهي ضرب من الخيال .

صور

صديق

للاستاذ احمد أمين

— ١ —

الأستاذ بكلية الآداب

لي صديق ، اصطلحت عليه الاضداد ، وائتلفت فيه المتناقضات ، سواء فى ذلك خلقه وخلقه وعلمه .

حيي خجول ، يغشى المجلس فيتعثر فى مشيته ، ويضطرب فى حركته ، ويصادف أول مقعد فيرمى نفسه فيه ، ويجلس وقد لف الحياء رأسه ، وغض الخجل طرفه ، وتقدم له القهوة فترتعش يده وترتجف أعصابه ، وقد يداري ذلك فيتظاهر أن ليس له فيها رغبة ، ولا به اليها حاجة ، وقد يشعل لفافته فيحمله خجله أن ينفضها كل حين ، وهى لا تحترق بهذا القدر كل حين ، وقد يهرب من هذا كله فيتحدث الى جليسه ليذهب نفسه وخجله ، ولكن سرعان ماتعاوده الفكرة فيعاود الهرب ، وهكذا دواليك حتى يحين موعد الانصراف ، فيخرج كما دخل ، ويتنفس الصعداء حامدا الله على أنه لم يخر صعقا ، ولم يدركه حينئذ كربا وقلقا .

من أجل هذا أكره شيء عنده أن يشترك فى عزاء أو هناء . أو يدعى الى وليمة أو يدعو اليها ، يشعر أنه عبء ثقيل على الناس وأنهم عبء عليه ، يحب العزلة لا كرها للناس ولكن ستراً لنفسه ، ويأنس بالوحدة وهى تضنيه وتبريه .

ثم هو — مع هذا — جريء الى الوقاحة ، يخطب فلا يهاب ، ويتكلم فى مسألة علمية فلا ينضب ماؤه ، ولا يندى جبينه ، ويعرض عليه الامر فى جمع حافل فيدلى برأيه فى غير هيبة ولا وجل ، وقد تبلغ به الجرأة أن يجرح حسهم ، ويدمى شعورهم فلا يأبه لذلك ، ويرسل نفسه على سجيتها فلا يتحفظ ولا يتحرز .

يحكم من يراه فى حاله الاولى أنه أحيا من مخدرة ، ومن يراه فى الثانية أنه أوقح من ذئب وأصلب من صخر ، ومن يراه فيهما أنه شجاع القلب، جبان الوجه .

* * *

وهو طموح قنوع ، نابه خامل ، يرمى بهمته الى أبعد مرمى ، وتنزع نفسه الى أسنى المراتب ، وتحفزه الى أبعد المدارك ، فيوفر على ذلك همه ، ويجمع له نفسه ، ويتحمل فيه أشق العناء ، وأنكر البلاء ، ولا يسأم ولا يضجر . وكلما نال منزلة ملها، وطلب اسمى منها . وبينا هو فى جده وكده ، وحزمه وعزمه اذطاف به طائف من التصوف، فاحتقر الدنيا وشؤونها ، والنعيم والبؤس والشقاء والهناء وسمع قول المتنبي :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة ... فما المجد الا السيف والطعنة البكر
وتركك فى الدنيا دويا كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

فهزيء به وسخر منه ، واستوطأ مهاد الخمول ورضى من زمانه بما قسم له ، وبينا يأمل أن يكون أشهر من قمر ، ومن نار على علم ، يسافر فى الشرق والغرب ذكره ، ويطوى المراحل اسمه اذا به يخجل يوم ينشر اسمه فى صحيفة ، ويذوب حين يشار اليه فى حفل ويردد مع الصوفية قولهم « دفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه » يعجب من يراه مجدا خاملا ، ومعرفة نكرة . وعاملا مغمورا .

وأغرب مافيه أنه متكبر يتجاوز قدره ، ويعدو طوره . ومتواضع يخفض جناحه ، وتتضاءل نفسه . يتكبر حيث يصغر الكبراء . ويتصاغر حيث يكبر الصغراء . يتأله على العظماء حتى تظن أنه نسل الأكاسرة ووارث الجبابرة ويجلس الى الفقير المسكين يؤاكله ويستذله، هو نسر أمام الأغنياء ، وبغاث لدى الفقراء لا تلين قناته لكبير ، ويخزم أنفه الصغير.

يحب الناس جملة ، ويكرههم جملة . يدعوه الحب أن يندمج فيهم ، ويدعوه الكره أن ينفر منهم فحار فى أمره ، فامتزج الحب بالكره ، فاستهان بهم فى غير احتقار .

صحيح الجسم مريضه . ليس فيه موضع ضعف ولكن كذلك ليس فيه موضع قوة . يشكو المرض فيحار فى شأنه الطبيب فيحنق على الاطباء ويرميهم ، بالعجز وما العاجز الا جسمه لم يستطع أن ينوء بنفسه .

كذلك كان رأسه . مضطرب . مرتبك . كأنه مخزن مهوش ، أو دكان مبعثر وضع فيه النعل القديم بجانب الحجر الكريم ، يؤمن بقول الفقهاء :القديم على قدمه ، ثم يدعو الى التجديد. ويتلاقى فيه مذهب أهل السنة بمذهب أهل النشوء والارتقاء، ومذهب الاختيار بمذهب الجبر، وحب الغني بمذهب أبي ذر وتجتمع فى مكتبته كتب خطية قديمة قد أكلتها الارضة ، ونسج الزمان عليها خيوطه ، وأحدث الكتب الأوروبية فكرا وطبعا وتجليدا . ولكل من هذين ظل فى عقله ، وأثر فى رأسه . يسره تأبط شرا فى بداوته وصعلكته «وجوته» فى حضارته وامارته ويؤمن لشاعرية هذا وذاك . يسمع الى الملحدين فيصغى اليهم . والى المؤمنين فيحن شوقا لذكراهم يهمل فى صلاته ويحافظ على صومه. ان ألحد فكره لم تطاوعه طبيعته، وان كفر عقله آمن قلبه. ومن أصدقائه السكير والزاهد، والفاجر الداعر والعابد .وكلهم على اختلاف مذاهبهم يصفه بأنه يجيد الاصغاء كما يجيد البليغ الكلام

* * *

سرت معه سيرة من جنسه ، فأحببته وكرهته ، ونقمت منه ورحمته ، وكنت آنس به وأستوحش منه ، يبعد عني فأتوق اليه ، ويطول مقامى معه فأتبرم به .

وأخيرا ، لم يقو جسمه على هذه الأضداد مؤتلفة ، والمتناقضات مجتمعة . فعاجله الشيب فى شبابه ، وتقوس ظهره فى ربيع عمره ،



مشروع القرش

دلالته على مبدأ التضامن القوى

للدكتور محمد حسين هيكل بك

أذاعت جماعة مشروع القرش فى العام الماضى أكثر من نشرة كتب فيها كبار الكتاب وذوى الرأى حتى لقد أصبح الانسان يشعر حين يفكر فى كتابة شىء جديد للمشروع وأصحابه بشىء من المشقة غير قليل . ذلك شأنى على الأقل لأنى لا أريد أن أتناول موضوعا الا أن يكون له مساس أو اتصال بالقرش ومشروعه . وقد طلبت الى جماعة القرش منذ اعتزمت اصدار هذا العدد من «الرسالة» أن أكتب ففكرت وفكرت حتى انتهيت أخيرا الى ما أكتب اليوم عن دلالة هذا المشروع من ناحية الاتجاه الاقتصادي وتأييده لمبدأ التضامن الاقتصادى Solidarité على غيره من المبادىء وتأييده لهذا المبدأ فى حدود الاقتصاد القوى أكثر من تأييده اياه فى المدى الواسع الذى يعتبر العالم كله وحدة اقتصادية يجب أن تعمها روح التضامن من غير تقيد بالتفكير القومي ومن غير خضوع للمبادىء الاشتراكية المتطرفة .

أنا لا أظن أن الذين بدأوا التفكير فى مشروع القرش بدأوه متأثرين بهذا المبدأ الاقتصادى أو ذاك . بل أغلب الظن أنهم بدأوه متأثرين بخضوع مصر الاقتصادي لغيرها من الأمم خضوعا تستطيع بشىء من المثابرة أن تتخلص من نيره . واذن فهى فكرة الاستقلال الاقتصادى تدفع اليها عاطفة وطنية كالعاطفة التى دفعت الى النهضة فى سبيل الاقتصاد السياسى هى التى حركت فى نفوس السابقين الى فكرة مشروع القرش الدعوة الى مشروعهم وابرازه من حيز الفكرة الى حيز العمل . لكن ذلك لا يغير شيئا من دلالة المشروع على نحو ما قدمنا بل هو يزيده تأييداً . فلو أن فكرة الاستقلال الاقتصادي وحدها هى التى كانت الدافع والمحرك ولم تخالطها فكرة التضامن القوى لرأينا الدعوة الى هذا الاستقلال تلبس ثوبا آخر وتظهر فى صورة أخرى . ومن قبل دعا الداعون الى تأليف شركة لانشاء بنك مصر تحقيقا لفكرة الاستقلال الاقتصادى ونجحت الدعوة نجاحها الباهر ومن قبل فكر بنك مصر وألف الشركات المختلفة التى يساهم فيها ويشرف عليها وكان لها من التوفيق الحظ الاكبر . وفى هذه الظروف جميعا كانت فكرة الاستقلال الاقتصادى هى الحافز الأول ، وكانت العاطفة الوطنية التى تطمح الى هذا الاستقلال طموحا صادقا هى أكبر عون على الاكتتاب ثم على النجاح .

وكان ممكنا انشاء مصنع للطرابيش على الطريقة التى أنشئت بها شركة غزل ونسج القطن ، وشركة مصايد الاسماك ، وكان ممكناً انشاء مصنع للاصواف بالطريقة ذاتها . لكن مشروع القرش تأثر بالفكرة التى قدمنا فوجهته فى سبيل الاستقلال الاقتصادي وجهة جديدة ! وجهة تضامن عام فى حدود الاقتصاد القوى لا يطبعها الطابع الفردى الذى يطبع الشركات المختلفة التى تصبو أولا وبالذات الى الربح ، بل يطبعها طابع الايثار من جامعى القرش ومؤلفيه ومنظمى استثماره الايثار الذى يجعل المرء يحب لغيره ما يحب لنفسه ويعمل لخير غيره بمقدار ما يعمل لخير نفسه . وان كان ايثاراً محدودا بالحدود القومية . ولهذا الايثار القومى عذره وفضله . له عذره فى أنه رد فعل طبيعى لاثرة الغرب وحرصه فى أن يستأثر بخيرات العالم كله وارزاقه تاركا للشرق ما يكفى لاقامة حياته كى يجد ويشتغل أجيرا لحساب الغرب الذى يؤيد أثرته هذه بالمدفع والغواصة والطيارة وله فضله فى انه انهاض قومى لمصر كى تشعر بما تقدر عليه من غير كبير مشقة أو تضحية . وانهاض يقوم به شبابها فتيات وشبانا الخير الوطن غير ناظرين جزاء الا أنهم أدوا للوطن خدمة شعروا بأن أداءها واجب عليهم .

والشعور بالتضامن الاقتصادي على الوجه الذى يلقى شباب القرش على الناس درسه مقدمة لحيوية قوية تربط الامة بروابط التضامن

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وأصبح مترهل العضل ، منسرق القوى ، يظنه من رآه أنه بلغ أرذل العمر ، ولداته فى رونق الشباب وميعة النشاط .

بلغنى مرضه ، فلم أدركه الا جنازة فشيعته الى أن أنزل حفرته وأجن فى رمسه ونفضت من ترابه الأيدى !

وعدت موجع القلب باكيا ، ضيق الصدر ، مكروب النفس ، أخذني من الحزن عليه ما تنقض منه الجوانح ، وتنشق له المرائر ، فعلمت أن حبى له كان أعمق من كرهى اياه ، وأن نقمتى عليه لم تكن الا مظهراً من عطفى عليه ، وأنى كنت أقسو عليه رحمة به !

رحمة الله عليه فقد حطم بعضه بعضا ، ومضى قتيل روحه شهيد نفسه !

الأكيدة فيما سوى الميدان الاقتصادي من مرافق حياتها . فالرجل الذي يدفع القرش ويلبس طربوشاً مصرياً ثمن معتدل يشعر بانه يؤدي خدمة وطنية تعود عليه هو في الوقت نفسه بفائدة سريعة . وهذه احدى فضائل التضامن في كل شيء . وهذا الشعور يجعل كل مصري يقدر أن كل خدمة يؤديها الانسان لوطنه وكل قرش يدفعه له يعود عليه وعلى أمثاله بفائدة مضاعفة لما دفع . فكما أن قرشك الذي دفعته في العام الماضي سيجعلك تلبس الطربوش تدفع ثمنه خمسة عشر قرشا بدلا من خمسين كذلك يجب أن تسأل عن كل قرش تدفعه ماذا يعود عليك أو على الوطن من نفعه ؟ فاذا لم يعد بمثل هذه الفائدة المضاعفة دل على أن الذين أئتمنوا عليه يغتالونه وأنهم لذلك غير أمناء ، وأنهم لا يقدرون معنى التضامن القومي وواجبهم ازاءه بل يقدرون فائدتهم الشخصية ناسين فائدة مواطنيهم ، ناسين بذلك فائدة الوطن ، مضحين بمصالحه في سبيل منافعهم الذاتية ، وفي سبيل وصولهم السريع الى الثروة على حساب غيرهم .

اذا صدقت رسالة مشروع القرش التي قدمنا وكانت بشيراً بتقدير المصريين لمبدأ التضامن ولو في الحدود القومية فقد آن للمصريين أن يستبشروا حقا بمستقبل قريب تتطور فيه النظرة الي الحياة من مختلف نواحيها تطوراً محسوساً . فنظرية التضامن لا تقف عند الميدان الاقتصادي بل تمتد به الى ميادين النشاط جميعا ، وفي مقدمتها ميدان الانتاج الفكري والفني . ونظرية التضامن لا يحدها زمن ، بل هي تقوم على أساس أن الثروة المادية والثروة المعنوية لأمة من الامم هما جميعا ثمرة مجهود الاجيال المتعاقبة ، وأن لاهل القبور فيها نصيباً اكثر مما لاهل الدور ، وأننا جميعا وحدة متماسكة في السعي والعمل بدأت من أول الزمن ان كان للزمن أول وتستمر على الزمن ما بقي الزمن . فاذا وقر الشعور بهذا الرأي في النفوس كان من آثاره أن يحس كل بانه مدين للمجموع اكثر مما هو دائن له ، وان تضامنه مع المجموع في المجهود العائد على المجموع وعليه بالفائدة من خضوعه لسلطان الانانية الغرور . وهنالك يشعر حقا بان واجباً عليه أن يبني لا أن يهدم ، وأن يكون منتجا اكثر منه مستهلكا ؛ وأن يعمل لخير غيره عمله لخير نفسه . وهنالك تزول البغضاء من النفوس فتحل محلها المحبة وتتلاشى فكرة التنافس لتقوم مقامها فكرة التعاون ويقضى في النفوس على شهوات الحقد والغيرة والغرور الكاذب لتقوم مقامها فضائل العطف والحنو والتواضع الجميل . وأنت قدير متى صورت هذا التطور كله لنفسك أن تصور الشجاعة الجديدة التي تغمر وادينا الخصب الجميل وأن تقدر سعة الخطوات التي تخطو في سبيل الحق والخير والسعادة .

لعل شبان القرش وفتيانه يوافقونني على أن هذه النوازع النفسية الجميلة تجول بخواطرهم مبهمة عند البعض اقل ابهاما عند الآخرين ولعلهم اذا خلوا الى أنفسهم وفكروا في الامر يرون أنهم لم يفتحوا عهد مصنع الطرابيش أو مصنع الصوف وكفى ، وانما هم يفتحون السبيل الى طور جديد يريدون أن يطبعوا به حياة وطنهم . ولعلهم يقدرون عظمة هذا الطور الجديد وعظمة ما يجب على الشباب من مجهود تنهض بعدته أجيال الشباب المتعاقبة لتزيده قوة وأثماراً . ثم لعلهم يحسون أن في الحياة قرشا غير القرش المادي الذي أدفعه من جيبي . فيها القرش المعنوي والقرش الروحي الذي يعاون على اذكاء معنى التضامن الروحي في النفوس بمقدار ما يعاون القرش المادي على تحقيق معنى التضامن الوطني في الحياة الاقتصادية . هذا القرش المعنوي . وهذا القرش الروحي ، الذي يستطيع كل مصري أن يؤديه استطاعته اداء القرش المادي — في أي ناحية يجب أن ينفق وأي مصنع يجب أن يقام كي تزمن آثاره ؟! هذا ما أترك للشباب البحث فيه ويقيني أنهم مهتدون الي خير ما يثمر البحث في هذه الناحية كما اهتدوا الي خير ما أثمر البحث في ناحية القرش . ؟ وهم أقدر على تصوير التضامن المعنوي والتضامن الروحي وما يثمران !..

مجمع اللغة العربية الملكي

لأستاذ كبير

في مجلة باريس التي ظهرت أول يناير فصل قيم ، دقيق مستفيض عن المجمع العلمي المصري ، الذي أنشأه بونابرت في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ . تقرأه فيعجبك لفظه العذب وأسلوبه المتين ، ودقة صاحبه في البحث وعنايته بالتفصيلات ، وعنايته قبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء بتمجيد فرنسا وبونابرت ، وما كان لهما من أثر بعيد في احياء مصر الحديثة ، وتمهيد السبيل أمامها الى الرقي المادي ، والمعنوي جميعاً .

وربما أحسست — وأنت تقرأ هذا المقال — شيئاً من الحزن الخفي يمازج هذا الفخر الظاهر ، الذي يملأ نفس «المسيو ف . شارل لرو» كاتب هذا الفصل . لأن هذا الجهد العنيف الخصب المعجز ، الذي أنفقه الفرنسيون أثناء اقامتهم القصيرة بمصر في أواخر القرن الثامن عشر لم يؤت الثمر الذي كان ينتظره بونابرت وأصحابه ، والذي كان الفرنسيون يودون أن يكون شيئاً غير الفخر والذكرى .

ولعلك تعلم أن هذا المجمع العلمي المصري الذي أنشيء في القاهرة منذ قرن وثلث قرن ، على نظام المجمع الفرنسي ، وسعى الى نفس الاغراض العلمية والادبية التي كان يسعى لها هذا المجمع وسعى بعد ذلك الى أغراض عملية كانت تحتاج اليها سياسة الفاتحين وادارتهم . لعلك تعلم أن هذا المجمع لا يزال قائماً الي الآن أعيد تنظيمه سنة ١٨٥٩ وهو الآن يعمل كما كان يعمل آخر القرن الثامن عشر يبحث أعضاؤه عن الرياضة والطبيعة والطب والعلوم الاقتصادية والسياسية والفنون والآداب ، ويبحث الآن كما كان يبحث من قبل عن حلول عملية لبعض

المسائل التي تمس الزراعة والري والصحة وما الى ذلك وهو يعتبر كأنه فرع من المجمع العلمي الفرنسي المستقر في باريس ولأعضائه اذا ذهبوا الى مدينة النور أن يشهدوا جلسات هذا المجمع . وهو دولي كما يقولون فيه علماء يمثلون الاجانب الذين يقيمون في مصر على اختلاف جنسياتهم، وفيه مصريون . ولكن مصر لا تكاد تحسه ولا تشعر به وان اعانته الحكومة المصرية بالمال ، وان كثر ماينشره من الكتب والمذكرات، وان أصدر نشرته في نظام واضطراد لأن لغته ليست اللغة العربية وانما هي اللغة الفرنسية غالباً والانجليزية أحياناً . ولست أدرى أنشر هذا الفصل في مجلة باريس بمناسبة المرسوم الملكي الذي صدر في منتصف الشهر الماضي بانشاء المجمع الملكي للغة العربية أم هي مصادفة مطلقة ؟ أرادت أن تشتغل مجلة من أكبر المجلات الاوروبية بالمجمع العلمي المصري القديم ، في الوقت الذى تشتغل فيه الصحف المصرية والأندية المصرية بالمجمع الملكي الجديد .

ولكن شيأً يدعو الى التفكير على كل حال حين نقرأ الفصل الذى نشرته مجلة باريس وهو نشاط الفرنسيين واسراعهم الي انشاء هذا المجمع وفتور المصريين وابطاؤهم في انشاء مجمعهم اللغوي.

أيام قليلة لا تكاد تبلغ الخمسة كفت لأن يتكلم بونابرت في مجمعه العلمي الى بعض العلماء الفرنسيين الذين كانوا يرافقونه ويصدر اليهم أمراً بأن يجتمعوا فيضعوا له نظاماً ويرشحوا له أعضاء ولأن يجتمع هؤلاء العلماء فيضعوا النظام ويرشحوا الأعضاء ولأن يصدر المرسوم ويعقد المجمع جلسته الأولى وماهي إلا أسابيع قليلة حتى يجمع العلماء الفرنسيون الذين كانوا متفرقين في الاسكندرية ورشيد ليأخذوا مجالسهم في مجمع القاهرة ولا يكاد يعقد المجمع جلسته الاولى حتى يبدأ البحث وتقرأ المذكرات وتنشر الرسائل وكانت المطبعة والمعامل قد أعدت من قبل وماهى إلا أعوام حتى يظهر هذا الاثر الخالد لهذا المجمع وهو كتاب وصف مصر.

أما نحن فنفكر في مجمعنا اللغوي منذ أعوام طوال ونحاول انشاءه فلا نوفق . فكرنا فيه ان صدقتنا الذاكرة في أوائل هذا القرن وقبل الحرب الكبرى وفكرنا فيه وحاولنا انشاءه أثناء الحرب وفكرنا فيه بعد الهدنة وفكرنا فيه بعد الاستقلال. وأعددنا له مشروعا ومشروعا ومشروعا وكان بعض هذه المشروعات يضيع فلا يهتدى اليه ، وبعضها ينام فيطيل النوم وبعضها يقبر قبل أن تنبعث فيه الحياة . وأخيراً وبعد التفكير والتقدير ، وبعد الذهاب والاياب، وبعد السفر والاقامة صدر المرسوم ، وقيل في البرلمان ان المجمع اللغوى قد أنشيء . وهو قد أنشيء حقاً مادام المرسوم الذى ينشئه ويحدد أغراضه ويرسم شكله ويبين له خطة العمل قد صدر ونشر وتحدثت عنه الحكومة في البرلمان . ولكنه منشأ بالقوة لا بالفعل ، لأن مكانه لم يعرف وأعضاءه لم يختاروا وأبحاثه لم تنشر ، والوجود بالقوة خير من العدم علي كل حال . انفق بونابرت أياما لينشيء مجمعاً ينتج بالفعل في واد مجدب من العلم والفن والادب . وأنفقت مصر

تلاميذ علماء تنشيء مجامعها وتنشر أبحاثها .

وشيء آخر يدعو الى التفكير حين نقرأ الفصل الذى نشرته مجلة باريس . فالمجمع المصرى القديم الذى أنشأه بونابرت لم يكن مقصوراً على جنسية بعينها ، وكان فيه منذ انشائه قسيس يونانى شرقى ، وهذا المجمع لايزال الى الآن دولياً ، لاتستطيع أمة أن تقول ان لها فيه الكثرة حتي ولا مصر التى تؤويه وتنفق عليه وتمكنه من الحياة ونشأ عن ذلك ان مصر هذه التى تؤوى وتمد بالمال لا تستطيع أن تقول إن مجمعها المصرى يعترف بلغتها على أنها اللغة الرسمية ومجمعنا اللغوى الجديد دولى أيضاً ، سيمثل فيه الشرق العربى كله ، وستمثل فيه أمم أوروبية مختلفة ، يشتغل بعض أبنائها باللغة العربية . وقد تكون اللغة العربية لغة المجمع الجديد وقد يستعين أعضاؤه بالفرنسية أحياناً وبالانجليزية أحياناً أخرى، وربما كانت هذه اللغة أو تلك أيسر وأدنى الى أن يفهم بعض الاعضاء بعضاً . وكذلك يكون في مصر مجمعان دوليان أحدهما علمى قديم والآخر لغوى جديد . وكذلك تضرب مصر للناس أحسن الامثال في الايمان بأن العلم يجب أن يكون فوق الاوطان والقوميات واللغات الخاصة !

وشيء آخر يدعو الى التفكير حين نقرأ الفصل الذى نشرته مجلة باريس ، وهو أن المجمع الذي أنشأه بونابرت كان يعقد جلساته في اتصال غريب لايعرف الراحة ولا الهدوء ، وهو الآن يعقد جلساته مرات في الشهر أثناء سنة العمل ، لا يستريح الا في الصيف حين يتفرق الاعضاء .

أما مجمعنا اللغوى الجديد فسيجتمع شهراً في العام في الشتاء أو في الربيع ، فاذا فكرت في أن المجمع العلمى المصري واحد من مجامع تعد بالعشرات . وأنه لو استراح من العمل لم يكد العلم يحس كثيراً وأن مجمعنا اللغوى الناشيء بالقوة سيكون يوم ينشأ بالفعل واحداً من مجامع لاتبلغ أصابع اليد الواحدة عداً ، وأنه يريد أو يراد له أن يضع معاجم في اللغة منها العادى ومنها التاريخى وأن يجدد اصطلاحات العلوم والفنون وينشيء منها مالم يوجد وأن يشرف بعد هذا كله على حياة الادب واللغة وصفائهما . نقول اذا فكرت في هذا كله وافقتنا على أن انعقاد مجمعنا اللغوى شهراً كل عام في الشتاء أو في الربيع أقل جداً من أن يتيح له النهوض ببعض ما يطلب اليه . ولكن المجمع اللغوى قد وجد على كل حال ولو بالقوة « وماش خير من لاش » كما يقول المثل ومن يدرى لعل أعضاءه لا يكادون يجتمعون لاول مرة حتي تشرب قلوب بعضهم حب بعض ويعز كل منهم علي صاحبه ويكرم في نفسه ، فلا يفترقون بل يبقون في القاهرة يعملون طول الخريف وطول الشتاء وطول الربيع ، ولا يتفرقون في الصيف الا كارهين ! .

صور من التاريخ الاسلامي

ابو ذر الغفاري

للاستاذ عبد الحميد العبادي

الأستاذ بكلية الآداب

العربي القديم من أبسط الناس طبيعة ، وأوضحهم سريرة ، وأصرحهم لسانا ، وأشدهم استمساكا بما يراه الحق ، وأعظمهم حمية، أن يجرى عليه ذل أو ضيم . ثم هو من أكثر الناس قناعة ، وأرضاهم من حطام الدنيا بالكفاف .

ذلك الخلق ، الذي قد لا ترضى عن بعض نواحيه النظريات الاخلاقية الحديثة ، يرجع الى البيئة الطبعية والاجتماعية التي نشأ العربي فى حجرها ، صيغ على مثالها . فالبادية محدودة الحاجة ، ونظام القبيلة الاجتماعى انما هو نظام الأسرة مكبرا . وكم للناس من فضائل هي وليدة بيئتهم ، وان شئت فقل : كم من فضائل الناس ماهو مرزوق غير مجلوب ، وموهوب غير مكسوب ! .

ولقد جاء الدين الاسلامى مطبوعا فى جملته بالطابع العربى ، موسوما بسمته ، قد سلك الى الحقيقتين الدينية والاجتماعية أقرب السبل ، وعبر عنهما أوجز تعبير وأبلغه . فهو من ناحية يأمر بالتوحيد المحض ، ومن ناحية أخرى يأمر بالتسوية بين الناس فى الحقوق العامة ، وبالأخذ من الدنيا بحساب .

ولكن شاء الله أن ينبعث العرب من جزيرتهم غزاة فاتحين ، وان يحوزوا مواريث أمم التبس عليها أمر الحقيقتين المذكورتين ، فلم يلبث العرب ان تأثروا بتلك الأمم وانتقلت اليها أدواؤها وأصابهم ما أصابها من لبس واضطراب . فأما الحقيقة الدينية السهلة فقد صيرها غلاة الفقهاء والمتكلمين ، وأهل الأهواء والنحل ، أمراً صعبا مستصعبا ، له ظاهر وباطن ، وقريب وبعيد .

ليس من موضوعنا أن نفيض فيما طرأ على الحقيقة الدينية في صدر الاسلام ، ولكن موضوعنا مقصور على ما عرى الحقيقة الاجتماعية فنقول ان هذه أيضا قد ضل عنها رجال السياسة ضلالا بعيدا . فأفسدوا بذلك النفس العربية الساذجة ، وأبدلوها بالزهد فى الدنيا شغفا بها ، وتهالكا عليها . نعم ان أبا بكر وعمر أنفقا جهدا غير يسير فى سد ذرائع هذا الخطر ، وبدءآ فى ذلك بأنفسهما . فكانا مضرب المثل في القناعة والزهد وخشونة العيش . وحاول ثانيهما أن يحمل الناس على القصد والاعتدال فلم يقسم بينهم الارض المفتوحة عنوة ، ثم زاد فمنع قريشاً من الخروج الى البلدان المفتوحة الا باذن وإلى أجل . فلما شكوه خطبهم خطبة قال فيها تلك المقالة التى تفيض قوة وتصميما . . . . . ألا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات من دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا ! إني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها ان يتهافتوا فى النار ، فلما ذهب عمر لسبيله وولى عثمان تنفست قريش وسرى عنها ، وأقبلت تستغل لين ذى النورين وحياءه الجم . فانطلقت الى الامصار تقتنى المال الوافر والعقار الواسع والاقطاعات المترامية على ضفاف دجلة والفرات والنيل ، وتتملك أرضا هي بحكم نظام عمر وقف على عامة المسلمين يشتركون جميعا فى غلته . فأثرت قريش وبطرت ، وصارت الى رفاهة عيش لم تلم لها من قبل بخيال . يحدثنا أبو الحسن المسعودى فيقول : « وفى أيام عثمان اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والدور ، منهم الزبير بن العوام ، بنى داره بالبصرة وهى المعروفة فى هذا الوقت . . . . . وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والاسكندرية وما علم من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية . وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار . وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمى ، ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناسة بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك (!) وبناحية سراة (؟) أكثر مما ذكرنا ، وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج ؛ وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم ، وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفا . وقد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس غير ماخلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار . وابتنى المقداد داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات ، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن . ومات يعلى بن أمية وخلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك» ثم يقول المسعودى « وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الأموال فى أيامه ، ولم يكن مثل ذلك فى أيام عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة »

مهما يكن من المبالغة فى هذا النص ، فهو لاريب يشير الى حال كانت لابد مثيرة لمعارضة حادة غير هازلة ، فالعهد بصاحب الشريعة الاسلامية وشيخين كان لايزال قريبا . ومبادىء الاسلام الديمقراطية لم تمح بعد من الاذهان ، وقد وجد نوعان من المعارضة لهذه الحال : نوع يستند الى العنف والقوة المادية . وكان بالأمصار الكبرى ، حيث الجند الذين شدوا الدولة بسيوفهم والذين أصبحوا يرون قريشاً استأثرت بحقهم فى الفيء ، وبلسان هؤلاء يقول شاعر من أهل الكوفة : —

يلينا من قريش كل عام ... أمير محدث أو مستشار

لنا نار نحرقها فنخشي ... وليس لهم فلا يخشون نار

ومن هذا القبيل معارضة اهل المدينة . ولكنها كانت ذات صوت خافت ممجمج لأن المدينة لم تعد محل القوة النادية فى الدولة العربية فقد خلفها فى ذلك الأمصار المذكورة . والحق ان الاوس والخزرج قد أدوا الواجب الذى من أجله لقبوا (بالانصار) ثم أخذ نجم مجدهم السياسى فى الافول . وأما النوع الآخر من المعارضة فكان يستند الى الدليل الشرعى والى مبدأ الحق والعدالة . وهذا كان يحمل لواءه عاليا رجل قوال اللسان ، ثبت الجنان ، صريح فى الحق كل الصراحة : ذلك أبوذر الغفارى .

* * *

كانت غفار من القبائل الضاربة حول المدينة ، وكانت فى الجاهلية تحترف قطع الطريق واعتراض القوافل التى تمر من أرضها وهى حرفة لم يكن بها بأس فى عرف ذلك الزمان ، فنشأ أبوذر نشأة أعرابية ، واتصف بما يتصف به الاعراب عادة من صدق اللهجة وصراحة القول ، ومرن على حياة البادية بما فيها من خشونة وسذاجة . ويقال انه بقوة عقله وصفاء ذهنه أدرك ما عليه قومه من فساد العقيدة ، فاطرح الأوثان ووحد الاله وذلك قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين . فلما نبيء عليه السلام وبلغت أباذر دعوته ، وجد مشاكلة قوية بين هذه الدعوة وبين ما كانت نفسه اطمأنت اليه من قبل ، فرحل اليه من فوره ، وما هو إلا ان لقيه وسمع منه القرآن حتى أسلم وكان خامس خمسة هم كل الجماعة الاسلامية اذذاك . ولقد أبى إلا أن يجهر فى مكة بدينه الجديد فتعمدته قريش بالأذى ثم ذكرت أنه من قوم تمر عيرها من أرضهم ، فكفت عنه .

عاد أبوذر بعد ذلك الى البادية فدعا قومه الى الاسلام فأسلم بعضهم ، ثم أسلم سائرهم عندما هاجر الرسول الى المدينة ، وبذلك أصبحت غفار من القبائل التى ظاهرت الرسول فى محاربته قريشاً . وقد لبث أبوذر فى قومه الى أن تمت الهجرة وانقضت أيام بدر وأحد والخندق ثم قدم المدينة وخرج مع الرسول فى غزوة تبوك ولزم صحبته الى أن توفى عليه السلام فكان بذلك من أكبر رواة الحديث .

وقد وردت أحاديث تشير الى أخلاق أبي ذر فيروى أن النبى سمعه يقول لآخر « يابن الامة » فقال عليه السلام « ما ذهبت عنك أعرابيتك بعد » وتخلفت بأبي ذر راحلته عن الجيش فى غزوة تبوك فتركها وادرك الجيش ماشيا وحده فقال الرسول « . . . يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده » وورد فيه أيضا « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من ذى لهجة أصدق من أبي ذر »

وأقام أبوذر بعد وفاة الرسول بالمدينة ، فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب ألحقه عمر فى العطاء بأهل بدر تشريفا لقدره وان لم يكن منهم ، ففرض له خمسة آلاف درهم فى السنة . ثم خرج الى الشام ، وغزا مع معاوية ارض الروم سنة ٢٣ هـ و جزيرة قبرس سنة ٢٧ هـ

* * *

فلما وقف تيار الفتوح العربية منتصف خلافة عثمان أقام أبوذر بالشام فرأى ما آل اليه المسلمون من الحال التي سبق وصفها . رأى رجال الدولة تسمى الفيء مال الله توصلا بهذه التسمية الخادعة الى الاستئثار به أو التصرف فيه كما يشاءون . ورأى المجتمع قد استحال فريقين متباينين : أغنياء مترفين وفقراء معدمين ، فأثارت تلك الحال حفيظة أبي ذر وهو الذى شهد دورة الفلك كاملة ، ورأى العرب فى جاهليتهم وما صاروا اليه فى خلافة عثمان ، فنصب نفسه لمكافحة تلك الحال مهما جر عليه ذلك . فأعلن برنامجه فى الاصلاح . فاما الفيء فيجب أن يسمى (مال المسلمين) لا (مال الله) وأما الاغنياء فيجب أن يرد فضل أموالهم على الفقراء ، وذهب أبو ذر الى ان المسلم « لاينبغى له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شيء ينفقه فى سبيل الله أو يعده لكريم » أخذ ذلك من ظاهر قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » وبذلك البرنامج أصبح أبو ذر داعية اشتراكيا صريحا . وقد شاعت دعوته فى فقراء الناس ومحاويجهم فثاروا بالاغنياء وطالبوهم أن يشركوهم فى أموالهم ، فتوجه الاغنياء بالشكوى الى أمير الشام لذلك العهد : معاوية بن أبي سفيان .

أحب معاوية قبل كل شيء ان يختبر صدق أبي ذر فيما يدعو اليه ، فبعث اليه فى جنح الليل بألف دينار ولما كان الصبح أرسل اليه يستردها بحيلة احتالها فوجد أبا ذر قد فرقها كلها ، فعلم معاوية أن الرجل يفعل ما يقول . فأقبل يجادله فيما يدعو اليه وعلى سبيل الترضية له قبل ان يسمى الفيء (مال المسلمين) بدلا من (مال الله) ولكن أباذر أصر على أن ينزل الاغنياء عن فضل أموالهم للفقراء ، وعبثا حاول معاوية أن يقنعه بان الآية التى يستدل بها انما نزلت فى أهل الكتاب وحدهم . وأعيا معاوية أمر أبي ذر فجنح الى أخذه بالشدة فنهى الناس عن مجالسته وتهدده بالقتل فلما لم يجد كل ذلك رفع أمره الى عثمان فأمره بإشخاصه اليه ، فأشخصه اليه على شر حال .

لم يكن أبو ذر فى المدينة أسعد منه فى الشام فقد حاول عثمان أن يصرفه عن دعوته ، ويريه أنه لا يملك ان يجبر الناس على الزهد وعلى أن يؤدوا غير فريضة الزكاة ، وان كل الذى يملك هوان يدعو المسلمين الى الاجتهاد والاقتصاد . ولكن أبا ذر كان يريد برنامجه كاملا ، وولع به أهل المدينة والتفوا حوله ، فرأى عثمان آخرة الامر ان يحصر الخطر فى أضيق دائرة ممكنة فنفى أبا ذر الى الربذة وهى مكان فى البادية ناء عن المدينة . والظاهر أن عثمان لم يرد أكثر من إبعاد أبي ذر عن الناس ، فالروايات تقول إنه أجرى عليه رزقا يناله كل يوم وأنه لم يمنعه من الاختلاف الى المدينة من حين لآخر حتى لا يرتد أعرابياً .

لم يكن أبوذر ثائرا ولكن طالب اصلاح ارتآه . ومما يدل على عدم نزوعه الى الثورة أنه وهو فى منفاه مر به ركب من أهل الكوفة ممن كان منحرفا عن عثمان فطلبوا اليه أن ينصب راية يلتف حولها كل من كان على شاكلته وشاكلتهم ، فأبى ذلك بتاتا ونهاهم عنه : وأما مذهبه فى الاصلاح فلا شك أنه ابن بجدته ، فالاسلام لا يحظر الثروة ولا الملكية ، ولا يوجب على المسلم حقا فى ماله غير الزكاة ، وكل ماينهي عنه الاسلام فى هذا الصدد انما هو ان تجعل الثروة غرضا مقصودا لذاته .

وعندى أن حركة أبى ذر الاشتراكية تمت بسبب قوى الى حركة مزدك الشيوعى الذى ظهر بفارس على عهد قباذ وكسري انوشروان ، والذي كاد يقلب نظام المجتمع الفارسى رأسا على عقب لولا عزم أنوشروان وحزمه . فاذا عرفنا أن اليمن خضعت لفارس قبيل الاسلام وان يهوديا من أهل صنعاء يعرف بان السوداء ادعى الاسلام فى خلافة عثمان وجعل يطوف الامصار الاسلامية داعيا الى الثورة ، وأنه هو الذى حرك أبا ذر لما آنس فيه من الميول الاشتراكية ، اذا عرفنا ذلك كله فقد وضحت الصلة بين الحركة الشيوعية الفارسية القديمة وبين الحركة الاشتراكية التى أوشكت أن تقع فى الدولة الاسلامية على عهد ثالث الخلفاء الراشدين .

***

لبث أبو ذر فى منفاه نحو ثلاث سنين يعانى ألم الوحشة وكبر السن وخيبة الامل فلما أدركه الموت فى سنة ٣٢ كانت وفاته مؤثرة ودالة على شدة ثباته على مبدئه حتى النهاية ، وعلى أنه حقا قد مشي وحده ومات وحده ، يروي ابن سعد فى طبقاته أنه عندما حضرت الوفاة أبا ذر حارت امرأته فى أمرها لتوحدها فى تلك الفلاة « فكانت تشد الى كثيب تقوم عليه فتنظر ثم ترجع اليه فتمرضه ، ثم ترجع الى الكثيب ، فبينا هى كذلك اذا هى بنفر تخد بهم رواحلهم كأنهم الرخم على رحالهم ، فألاحت بثوبها ، فأقبلوا حتى وقفوا عليها ، قالوا مالك ؟ قالت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه . قالوا ومن هو ؟ قالت أبوذر . ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ، ووضعوا السياط فى نحورها ، يستبقون اليه حتى جاءوه . فقال لهم ... ... ولو كان لى ثوب يسعني كفنا لم أكفن الا فى ثوب هو لى ، أولا مرأتى ثوب يسعني لم أكفن الا فى ثوبها ، فأنشدكم الله والاسلام الا يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو نقيباً أو بريدا . فكل القوم قد كان قارف شيئا من ذلك الا فتى من الانصار قال انا أكفنك فانى لم أصب مما ذكرت شيئا ، أكفنك فى ردائى هذا الذى علي وفى ثوبين فى عيبتى من غزل أمى حاكتهما لى . قال أنت فكفنى .... فكان ذلك الفتى الانصارى هو الذى تولى تجهيزه ثم دفنوه جميعا .

وهكذا انطفأ سراج هذه الشخصية الفذة العجيبة . أنها لاشك من تلك الشخصيات التى يقدمها الزمن عادة بين أيدي الاحداث

العلم والخلق

للدكتور منصور فهمى استاذ الفلسفة بكلية الآداب

وجهة العالم فى أن يدرك الأمور على ما هى عليه ، ونشاطه فى أن يكسب للمعرفة من ميدان الجهل ، وأن ينشر النور حيث يخيم الظلام . ووجهة الخلقي فى أن يصور الأمور على ما ينبغى أن تكون عليه الأمور ، وأن يلفت الأنظار الى مثل عليا تحفز بالناس للتسامي اليها والارتفاع بأنفسهم وبالحياة الراهنة الى ما هو أرفع من أنفسهم وأرفع من الحياة الراهنة .

ولطالما اضطربت الافهام واستغلق الأمر على الباحثين حين تعرضوا لاستجلاء الصلة بين العلم وبين الأخلاق فحسبوا أن الوشائج بينهما مقطوعة حين نظروا الي وجهتين مختلفتين : وجهة من يصف ويملل ، ووجهة من يرتضى مثلا ويوجه اليه ، وجهة من يهز صوته الفكر ويتردد صدى هذا الصوت بين جوانب الدماغ ، ووجهة من تؤم نغماته تجاويف القلب وتسرى فى أقنية الدم ، وعلى أسلاك العصب لتدفع بالنفس كلها الى العمل .

ولطالما رأى غير قليل من المفكرين أن العلم النظرى وثمراته التطبيقية لاتؤثر فى الناس لتهذيبهم على نحو ما تؤثر العقائد الدينية والفلسفة والمثل العليا ، حتى أن بعض قادة الفكر فى الزمن الحديث أمثال « بسكال » و « ديكارت » اصطنعوا لانفسهم ذلك الرأى فحطوا العلم ليحدوا فى الدين وفى العرف مرشدا لسلوكهم ومأمنا لأحكامهم وتقديرهم فى اتخاذ الحسن من الأفعال وتجنب القبيح منها ، وفي اتخاذ السبيل لراحة النفس واطمئنانها . بل قد ذهب غير قليل من مفكرى عصرنا الى إساءة الظن بالعلم فحملوه أوزار الحروب القاسية ، وأخطار الفراغ الممل ، وأضرار الثورات الاجتماعية العنيفة ومساوىء المطامع والتنازع الحاد، حتي وقد بالغوا فى لوم العلم الى حد أن يروا على نحو ما يرى « اينشتين » فى أنه ذلك المسىء الى الحريات الانسانية ، فمن ينظر الى تلك المصانع وما فيها من آلات متنوعة ، وأعمال موزعة ، يتبين أنها تتناصر جميعاً على استعباد عدد من العمال وفير ، وتسخيرهم تسخيراً آليا تضمحل معه نفوسهم ، وتهن من تأثيره كرامتهم، بل ربما يذهب الذاهبون فى مذهبهم العدائى للعلم الي

الخطيره إنذارا للناس واقامة للحجة عليهم اذا لج بهم الغرور فلم يرعووا ولم يزدجروا .

على أن روح أبى ذر لم يكن ليغيب مع جثمانه فى تلك الفلاة البلقع ، فقد ظل صوته داويا الى أن تحقق ما أنذر به المدينة من « غارة شعواء وحرب مذكار » ووقعت الفتنة الكبرى التى يقال أنها أنتجت كل فتنة حدثت فى الاسلام . ولقد كانت غفار ممن نهض فيها وألقى فى نارها حطبا .

حد أقسى مما تقدم ، فلا يشفع له عندهم فضـل المحسن الى البشر اذ يقاوم الأمراض الفتاكة ، وييسر المسافات البعيدة ، ويرفه الخلق فى كثير ، فمع ذلك ورغم ذلك قد ينكرون على العلم قيمته وفضله لأن من يستطيع الاحسان فى شئ قد تكبر تبعته ويعظم أثمه اذا هو استخدم سلاحه للاساءة والعـدوان وهو عارف لمواضع الاحسان . وأى اساءة أعظم من اساءة الحروب المرزئة بجهود العلم ؟ وأى عدوان أشد من تحويل عدد عديد من الناس الى صنف من المخلوقات يستغرق فى الانتاج شهوة ومن غير قصـد ، ويستغرق فى الاستهلاك شهوة ، ومن غير حد ؟ .

على أن هذا النحو من النظر العدائي ربما كان بعض مصدره ما تتعرض اليـه النفوس والملفات أحيانا من الخلط بين الوسائل وغاياتها ، وبين العلل ومعلولاتها ، وبين الحال وبين المحل مما هو شائع ذائع .

وعلى هذا النحو خلط الكثيرون بين العلم المحض الخالص وبين نتائج العلم وتطبيقاته فى شؤون الحياة ، وكذلك قد ظلموه على نحو ما يظلم السيف المهند فى يد الجندى الجبان

وليس حظ السذج والعامة فى الخلط بين العلم وتطبيقاته بأربى من حظ بعض الخاصة وأشباههم فى هـذا الأمر . فقد يطلب الكثيرون من معاهد العلم ودوره أن تفيض عليهم وعلى أبنائهم من المتعلمين بما ينتفع به الناس انتفاعا عملياً حتى شاعت فى السنين الأخيرة عندنا وعنـد غيرنا من الأمم بدعة العلم العملى والتعليم العملى ونادى بها أكثر من كاتب ، وقال بها أكثر من مشتغل بشؤون التعليم . ولو أنصف هؤلاء وهؤلاء لاعترفوا للعلم بطبيعته النظرية ، وقدروا له حرصه على المعرفة لذاتها فحسب ، دون تقدير لنتائجها الضارة أو النافعة .

لكن غير المشتغلين بالعلم الخالص من أفراد الناس بخاصة هم الذين وجهوا نتائج العلم للخير وللشر وللحسن وللقبيح ، دون أن يكون للعلم فى ذاته دخل فى ذلك التوجيه . فما على العلم اذن وماله اذا ما استخدم الانسان بعض آثاره ليعيث بها فسادا أو ليصلح بها فى الوجود ؟ .

ليس فى قانون البحث العلمى ما يلزمنا أن نحكم بأن غازا من الغازات يجب أن يتوجه لحيث يحيي أو لحيث يميت ! وليس فى قانون العلم أن جوهرا من الجواهر يجب أن يكون سما ناقعا أو بلسما نافعا ! لكن طبيعة الانسان بما فيها من رفعة أو ضعة هى التى تستخدم السم لتجعل منه الدواء أو لتجعل منه الداء ، وهي التى تستخدم الشىء الواحد ليكون نعمة أو نقمة . فمدار الخير أو الشر اذن انما هو منوط بالانسان . . . على أن الناظر المدقق لو أنه تأمل مليا لوجـد أن العلم يشمل عدة عناصر تهيء النفس للتسامي والخير . ذلك لأن العلم بشىء من الأشياء ، وتكشف الحق فى جهة من الجهات ، واطلاق النور فى مكامن الديجور كل ذلك انما يشعر بعظمة العقل وجدارة الانسان ، وفى الشعور بالعظمة والجدارة أول مصدر للخلق ونبالته . ولست أريد فى هذه الكلمة الوجيزة أن أتعرض لما يحدثه العلم واصطناعه فى تقوية الاستعدادات الخلقية الكريمة ، وحسبي أن أنبه طالب العلم الى أن العلم فى جوهره نبيل وأن المنتمي اليه يجب أن يكون نبيلا . فيا طالب العلم لا تأثم فى حقه فتتوجه به الى منخفض من الحياة ، والى ما فى الدنيا من ضعة ! واعمل دائما على أن تعلو بعلمك الى السماء وتحلق به حيث شرف النفس ورفعة المقصد وآفاق المعانى السامية وعالم الخير

التجديد فى الدين

للاستاذ أمين الخولى المدرس بكلية الآداب

مقال لمشروع القرش ، وحول مشروع القرش ، يحضر النفس ذكر الشباب ، والتضامن والاستقلال والحياة والقوة وتجديد مجد مصر .. ثم نحن الآن فى رمضان : صوم وزهد وتدين .. فمن تداعى هذه المعانى يأتلف العنوان « التجديد فى الدين »

عنوان قد يطلع على البعض جريئا بل ربما كان مزعجا لكثير من المتدينين الذين يتعجلون الحكم على الاشياء قبل اختبارها ويتدرونها بتلك الأحكام الغاضبة السريعة . فان يفعلوا ذلك قبل الفراغ من المقال فهذا هو الذي يفقد أحكامهم قوتها وحرمتها . وإن يتريثوا حتى يقرؤا فسيرون أنهم كثيرا مايثورون فى وجه من لا يستحق منهم الا التقدير .

عنوان قد يكون نابيا قلقا عند غـير المدينين . لأنهم يرون فى الشيوخ صورة المحافظة المسرفة ، بل يعتبرونهم حجر عثرة فى سبيل التجدد على اختلاف ألوانه . ويحملونهم تبعة الكثير مما أوقف الشرق وأخره . ويرونهم جند الرجعية ومعقلها . ويصدر الكثيرون عليهم أحكاما رهيبة . لكنها سرية قل من يجرؤ على مجاهرتهم بها . فأصحاب تلك الآراء والأحكام قد يعدون هذا العنوان دعابة مازحة ومفارقة فكهة . لكنهم إن يتعجلوا الحكم كذلك قبل أن يقرؤا فهذا بعض تطرفهم الذى يفقد جهادهم قوته ويعوق نجاحه . وإن يطمئنوا حتى يقرؤا فسيرون أن كثيرا مما ثاروا فيه على الدين ليس من الدين فى شيء وأن الدين غير المنتسبين الى الدين .

العنوان حقيقة صحيحة صريحة لا فكاهة فيه ولا مروق « ان شاء الله » . ففى الدين فكرة واضحة عن التجديد تبين ناموسا كونيا وتنبه الى سنة اجتماعية مطردة لا تتبدل . اذ ورد فى الحديث « ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها » أو ما هذا معناه . وهو حديث صحيح نص على صحته متقدمون منهم البيهقى والحاكم ومتأخرون منهم ابن حجر والعراقى .. وراجت فكرة التجديد فى الاسلام . وعني العلماء ببيان مجددي كل مائة وتعيين اسمائهم ، وأعمالهم والترجمة لهم ... ولا أريد هنا وفى هذه الالمامة الصحفية ، أن أعنى باستقصاء تاريخ فكرة «التجديد فى الدين» بل أكتفى بأن أشير فى

ذلك الى مجموعة تنتظم من خير التجديد والمجددين صورة كاملة من الهجرة الى اليوم ، وهى تتألف من منظومة للسيوطى فى هذا الموضوع سماها « تحفة المهتدين فى بيان أسماء المجددين » ومطلع هذه المنظومة :

لقد أتى فى خبر مشتهر رواه كل حافظ معتبر
بأنه فى رأس كل مائة يبعث ربنا لهذى الامة
منا علينا عالما يجدد دين الهدى لانه مجتهد

وعلى هذه المنظومة شرح للشيخ محمد المراغى المالكى الجرجاوى الذي عاش فى القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين وسمى هذا الشرح « بغية المقتدين ، ومنحة المجدين ، على تحفة المهتدين . . . الخ » . شرح فيه منظومة السيوطي ثم أكمل أسماء المجددين نظما الى عصره وشرح نظمه على طريقة شرحه نظم السيوطى[1]

وفى بيان الدينيين لمعنى التجديد تراهم يقولون : انه نفع الامة ، ودفع المكاره عن الناس ، ونصرة الحق وأهله ، واحياء ما اندرس من أحكام الشريعة ، وماهى من معالم السنن وما خفى من العلوم الدينية ويتحدثون عن تغير الحياة واستحداث أشياء تحتاج الى تناول جديد وحسبك من قولهم فى معنى التجديد ماورد فى المجموعة السابقة من عبارة النظم والشرح ممتزجتين وهى : « وانما كان مجدداً لانه أى المبعوث فينا مجتهد وشأن المجتهد التجديد . . . . » ولئن اكتفوا فى الأزمنة الاخيرة بالاجتهاد المقيد فحسبهم انناطوا التجديد بالاجتهاد وفسروه به وأبعدوه عن التقليد الذى هو آفة العقول وعلة الجمود . وتراهم حين يعدون أسماء المجددين فى كل طبقة قد يعددون المجددين ويخصون كل مجدد بفرع من فروع العلم أو العمل . فيوسعون الدائرة توسعة محمودة

تلك فكرتهم فى تجديد الدين : وانها لفكرة فى التجديد متزنة رزينة مقدرة لنظام الحياة وتدرجها معادية للجمود وقاضية عليه قاتلة لاهله . . . . واذا كان الدين وهو وحى الهى والاسلام وهو رسالة لا رسالة بعدها هو الذى يقرر لاهله أن نظام الحياة العاملة يحوجه الى التجدد ويهيء الله له على الزمن من ينفي عنه مظاهر الجمود وعوامل الوقوف ؛ اذا كان هذا حال الدين ، وذلك شأن الاسلام ، فمرافق الحياة ، وظواهر المعيشة التى لاثبات لها ولا استقرار ، والتى هى وليدة الظروف وصنعتها ، أشد حاجة الى التجدد والتغير . . . . . واذا كانت البعثة الدينية التجديدية منة على المتدينين ، وفضلا من الله ونعمة ، فالمنتسبون الى الدين حين يقاتلون المبعوثين لهذا التجديد ، ويجمدون على ما وجدوا عليه آباءهم ، انما ينكرون نعمة الله ، ويصدون عن سبيله ويبغونها عوجا — وما هم ببالغيه — وهم ، وبين أيديهم ذلك الاثر ، وعليهم ذلك الواجب لا يأثمون بجمودهم اثما واحدا ! بل آثاما كثيرة : اثم لانهم لا يتجددون واثم لانهم لا يجددون واثم لانهم يعوقون المتجددين المجددين فى تعنت أصم لا يميز الخبيث من الطيب مهما تبينا ولا يعرف داعى الله من داعى الشيطان

(١) ان هذه المجموعة مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٨٧ تاريخ

مصر والتجديد فى الدين

وما ننسى أن الكلمة لمشروع القرش وحول مشروع القرش فلنعد الى مصر المتجددة بجهاد شبابها مصر ذات الحيوية الفياضة وصاحبة الشخصية الخالدة والتى أسدت الى الانسانية والحضارة أطهر الأيادى وأشرفها على تطاول السنين وتمادى الايام . نعود لنقول ان مصر كعادتها فى ذلك قد اضطلعت من تجديد الدين بالحظ الاوفر وساهمت فيه بالنصيب الاكبر على سعة الامبراطورية الاسلامية وترامى أرجائها وانتظامها الواسع الأفيح أقطار الدنيا القديمة . فأنت حين تعرض أسماء أولئك المبعوثين المجددين على رؤوس المئات خلال الثلاثة عشر قرنا من تاريخ الهجرة تراهم يعدون هكذا :

في المائة الاولى عمر بن عبدالعزيز
« « الثانية الشافعى
« « الثالثة ابن سريج العراقي أو ابو الحسن الاشعرى
« « الرابعة الباقلانى أو الاسفرايينى
« « الخامسة الغزالي
« « السادسة الفخر الرازى
« « السابعة ابن دقيق العيد الشافعى
« « الثامنة البلقينى أو غيره
« « التاسعة السيوطي
« « العاشرة الرملى أو غيره
« « الحادية عشرة عبد الله بن سالم البصرى
« « الثانية عشرة الدردير
« « الثالثة عشرة أحمد الشرقاوى
« « الرابعة عشرة . . . . ؟

وتجيل نظرك فى هذه الجريدة من الاسماء فترى — كما لاحظ القدماء أنفسهم — ان الكثرة المطلقة من هؤلاء المجددين مصرية رجال أنجبتهم وآوتهم وعلمتهم مصر ذات الفضل العتيد على المدنية منذ عرفها بنو آدم ، فبين هؤلاء الثلاثة عشر مجددا ثمانية من المصريين هم : عمر بن عبدالعزيز وليد مصر الناشىء بها والشافعي الذى حمته وفيها علم وابن دقيق العيد القشيرى المنفلوطى ، والبلقيني المنسوب الى بلقينة قرب المحلة والسيوطى والرملى المنسوب الى رملة قرب منية العطار تجاه مسجد الخضر والدردير العدوى والشرقاوى الجرجاوى ... وان شئت عددت لمصر منهم تسعة فمصر فى القرن الرابع عشر الهجرى هي قلب الشرق الخافق وعقله المفكر وقد تصدرت فى شجاعة ونبل لحمل أعباء تلك القيادة منذ بدأ ذلك الشرق يمسح عن عيونه آثار النوم ويتهيأ ليقظة نشطة باهرة تمدها عزمة قاهرة تكتب له النجاة وترد له حقه فى الحياة ... ولا أريد اليوم أن أسمى مجدد هذه المائة أو مجدديها من المصريين حتى لا أحابى أحداً ، ولا ألقن رأيا وانما أترك الكلمة فى ذلك لشبان الشرق وشبان مصر .

« البقية على صفحة ١٨ »



حلقات الادب فى الفسطاط

للاستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

لبثت الفسطاط عاصمة الاسلام فى مصر منذ قيامها سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) . وفى ذلك العام كان الفتح الفاطمى ، وكان قيام القاهرة المعزية التى وضعت خططها الاولى فى شعبان سنة ٣٥٨ ، ونشأت القاهرة بادىء بدء مدينة ملكية فقط لتكون قاعدة للدولة الجديدة ومنزلا للخلافة الفاطمية (١) ، ونشأ جامعها الازهر الذى أسس بعد قيامها بأشهر قلائل (جمادي الاولى سنة ٣٥٩هـ) مسجدا للامامة الجديدة فقط . ومضى زهاء نصف قرن قبل أن تبدو العاصمة الجديدة فى شيء مما تميزت به بعد ذلك بين الامصار الاسلامية من عظمة وروعة وبهاء ، وقبل أن يبدأ الجامع الأزهر تاريخه الادبى الباهر . ولكن ظل الفسطاط بعد ذلك عصورا تحتفظ بمكانتها الادبية ، ولبثت حلقاتها ولياليها الادبية شهرة بين أدباء المشرق والمغرب . وبدأ الجامع الازهر ينافس المسجد الجامع فى حلقاته ومجالسه الادبية منذ عهد الخليفة العزيز بالله ، اذ استأذن وزيره الشهير يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ ان ينظم بالازهر على نفقته بعض مجالس القراءة والفقه . وفى خاتمة القرن الرابع ، فى عهد الحاكم بأمر الله ، انشئت دار الحكمة بالقاهرة ونظمت مجالسها ، فكانت مثوى للمجالس العلمية الكلامية والفلسفية

ولسنا نتحدث عن القاهرة ومكانتها العلمية والادبية بين الامصار الاسلامية فى العصور الوسطى ، ولا عن أزهرها الذى غدا فيما بعد أعظم جامعة اسلامية ، كذلك لسنا نتحدث عن دار الحكمة ومجالسها الشهيرة التى كانت تتخذها الخلافة الفاطمية اداة لتحقيق دعوات دينية فلسفية غامضة ، فذلك ليس من موضوعنا . وانما نتتبع تاريخ الفسطاط الادبى ، بعد قيام القاهرة ، منافستها العظيمة الفتية

فقدت الفسطاط اهميتها السياسية والرسمية ، ولكنها احتفظت عصورا أخرى بأهميتها الاجتماعية والادبية وفى فترات كثيرة كانت تتفوق على القاهرة بطابعها الادبي . وهذا ما يشيد به بعض أدباء المشرق والاندلس الوافدين على مصر فى عصور مختلفة . ومن هؤلاء أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الاندلسى الذى وفد على مصر في اوائل القرن السادس الهجرى (٢) في عهد الافضل شاهنشاه . ودرس الحركة الفكرية والادبية فى مصر يومئذ وكتب عنها رسالة لم يصلنا سوى شذور قليلة منها . وفي هذه الشذور (٣) يتحدث ابن أبى الصلت عن بعض أدباء مصر وعلمائها ، ومجالسهم واجتماعاتهم مما يدل على ان الفسطاط كانت ماتزال مركزا هاما للحركة العلمية والادبية ووفد ابن سعيد الاندلسى الى مصر بعد ذلك بنحو قرن ، نحو سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠م) ، ولبث بها أعواما طويلة يدرس شئونها واحوالها ، واذا بالفسطاط ما تزال تحتفظ بأهميتها الادبية ، واذا بها ماتزال مثوى للأدباء ومركزا لأبهاء الادب ، واذا لياليها الادبية ما تزال شهيرة . ويفرد ابن سعيد فى كتابه « المغرب فى حلى المغرب » فصلا كبيراً للفسطاط عنوانه : « كتاب الاغتباط في حلى الفسطاط » (٤) يتحدث فيه عن المدينة ، وزياراته لها واجتماعاته بأدبائها ، ولا سيما شاعرها الكبير جمال الدين أبى الحسن الجزار ، أشهر شعراء مصر فى هذا العصر ، وما لقيه من كرم وفادته وشهده من رائع أدبه ، وقد كان الشاعر الكبير يومئذ ، على ما يظهر شابا في عنفوان شاعريته لأنه توفي بعد ذلك بنحو أربعين سنة فى (٦٧٩هـ ١٢٨٠ م) (٥) وهو صاحب الارجوزة التاريخية الشهيرة المسماة « بالعقود الدرية فى الامراء المصرية » وفيها يستعرض ذكر أمراء مصر وملوكها منذ عمرو بن العاص الى الملك الظاهر بيبرس (٦) . وكانت

(١) راجع تاريخ القاهرة ونشأتها وتطوراتها ، وتاريخ خططها فى كتابى « مصر الاسلامية » و « تاريخ الخطط المصرية » .

(٢) توفى امية بن ابى الصلت الاندلسى سنة ٥٢٩ هـ

(٣) توجد عدة صحف مخطوطة من هذه الشذور ، ذيل بها كتاب « أخبار سيبويه المصرى » الذى سبقت الاشارة اليه (وهو مخطوط بمعرض دار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ) . ومما يدل على ان هذه الشذور انما هى جزء من رسالة كتبها امية بن أبى الصلت عن مصر ، هو اشارة ابن ابى اصيبعة اليها فى كتاب مناقب الاطباء (ج ٢ ص ١٠٦) ، وكذلك اقتباس ابن القفطى منها فى كتابه « اخبار الحكماء » (ص ١٢٧)

(٤) راجع هذا الكتاب فى مجموعة الكتب التى يضمها كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد الاندلسى . ومنه اربع مجلدات مخطوطة بدار الكتب هى الوحيدة منه . وليست متصلة ولا متناسقة لانها جزء من الكتاب الاصلى فقط (رقم ٢٧١٢ تاريخ) . وقد نشر المستشرق تاكلت منه قسما هو « كتاب العيون الدعج فى حلى بنى طغج »

(٥) راجع ترجمة جمال الدين الجزار فى السيوطي — حسن المحاضرة — (ج ١ ص ٢٧٢) . وقد اورد له ابن سعيد ايضا ترجمة في « المغرب » و المجلد الثاني من المخطوط الورقة ١٤١

(٦) نشرت هذه الارجوزة برمتها فى حسن المحاضرة (ج ٢ ص ٤١)

الفسطاط قد عادت يومئذ فاستردت كثيرا من بهائها السالف ، وأهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الملكية الجديدة التي أنشأها الملك الصالح في جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط (سنة ٦٣٨هـ) واتخاذها قاعدة للسلطنة ، وانتقال البلاط والحاشية اليها ، وسكن كثير من الامراء والكبراء بالفسطاط في الصفة المقابلة لنهر النيل، وهو ما يشير اليه ابن سعيد في قوله ، « وقد نمى ووح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية (جزيرة الروضة) ، وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة ، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر »

ويشير ابن سعيد في كتابه السالف الذكر الى ليالي الفسطاط واجتماعاتها الشائقة في الليالي القمرية ، وأشهرها ما كان يعقد في القرافة مما يلي المقطم في قبة الامام الشافعي التي كانت قد أنشئت على قبره . وكان المسجد الجامع قد عفت أهميته شيئا فشيئا مذ قام منافسه القوى ، الجامع الازهر وغيره من المساجد والمدارس الجامعة بمدينة القاهرة ، ولكن نراه ما زال حتى القرن السابع مثوى للأدب واجتماعاته ، ورغم عفائه وقدمه ونسيان أمره ، كانت تعقد في عرصاته حلقات للقراءة والدرس ، وهو ما يشير اليه ابن سعيد أيضا خلال وصفه للمسجد الجامع في منتصف القرن السابع ، بيد ان هذه الحلقات لم تكن من الاهمية والرونق والانتظام مثلما كانت عليه في القرون الاولى يوم كان المسجد الجامع مجتمع الامراء واقطاب التفكير والادب . وكانت يومئذ أقرب الى الصبغة المدرسية . ومع ذلك فقد بقي للمسجد الجامع حتى ذلك العصر ـ كثير من ذكرياته الادبية المجيدة . وهي كعبة الادباء والشعراء . يجتمعون فيه كلما سنحت فرص الاجتماع لعقد الاسمار والمطارحات الادبية . واليك نموذجا لهذه الاجتماعات الشهيرة اورده ابن فضل العمري في موسوعته الكبيرة « مسالك الابصار في ممالك الامصار » في حديثه عن المسجد الجامع .

« حكى علي بن ظافر الازدي . قال : روى لي أن الاعز أبا الفتوح ابن قلاقس . وابن المنجم اجتمعا في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها الهلال للعيون . وبرز في صفحة بحر النيل كالنون . ومعهما جماعة من غواة الادب الذين ينسلون اليه من كل حدب . فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربة . وأبي مستقرها حارة ذاهبة . وقد شمرت للمغرب الذيل . واصفرت خوفا من هجمة الليل . والهلال في حمرة الشفق . كحاجب الشائب أو زورق الورق . فاقترحوا عليهما أن يصنعا في ذلك الوقت النزيه . على البديه . فصنع ابن قلاقس :

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وابقت شعاعا منه يخلفها
كأنما احترقت بالماء في الغرق
وللهلال ، فهل وافى لينقذها
في أثرها زورق قد صيغ من ورق ؟

وصنع ابن المنجم :

يارب سامية في الجو فت بها	أمد طرفي في أرض من الافق
حيث العشية في التمثيل معركة	اذا رآها جبان مات للفرق
شمس نهارية للغرب زاهية	بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا	من سورة الطعن ملقى في دم الشفق

« وحكى علي بن ظافر أيضا ، قال : اخبرني ابن المنجم الصواف بما معناه : قال ، صعدت الى سطح الجامع بمصر في آخر رمضان مع جماعة فصادفت به الاديب الاعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك علي بن مفرج بن المنجم وشجاعا المغربي في جماعة من الادباء . فانضممت اليهم . فلما غابت الشمس وفاتت ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم ان يعملا في صفة الحال . فكان ماصنعه نشو الملك:

وعشى كأنما الافق فيه	لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمـ	ـس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا	را فاعطى الرهين نصف سوار

وكان الذى صنعه ابن قلاقس :

لاتظن الظلام قد أخذ الشمـ	ـس واعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق اقرض الغرب دينـ	ـارا فاعطاه رهنه خلخالا (١)

ونحن نعرف أن الشاعر المصري الاسكندري الاشهر ابن قلاقس كان من شعراء النصف الاخير من القرن السادس الهجرى (٥٣٢ — ٦٠٧ هـ) وكذلك ابن المنجم من شعراء هذا العصر. واذن فقد كان المسجد الجامع ، حتى أوائل القرن السابع منتدى لأكابر الادباء والشعراء ، وكانت الفسطاط لا تزال شهيرة بلياليها وحلقاتها الادبية ، حتى بعد ذلك بنحو نصف قرن على نحو ما يشير اليه ابن سعيد الاندلسي .

***

ومنذ أواخر القرن السابع الهجرى نرى الفسطاط تفقد اهميتها الاجتماعية والادبية شيئا فشيئا ، ونرى المسجد الجامع وقد غمره النسيان والعفاء . وقلما نظفر في سير القرن الثامن بما ينبىء عن مكانة الفسطاط أو أهميتها الاجتماعية أو الادبية . بل نرى الفسطاط في هذا العصر تنتهي الى ضاحية متواضعة لمدينة القاهرة . ونرى القاهرة تغمر بعظمتها وبهائها وأهميتها العلمية والادبية عاصمة الاسلام الاولى في مصر. ونراها مثوى كل حركة فكرية أو أدبية . ونرى الجامع الازهر كعبة العلماء والادباء ، لا في مصر وحدها بل في العالم الاسلامي كله ، على أن مؤرخ الآداب في مصر الاسلامية لا يسعه ـ حين يعالج تاريخ الآداب في عصور الاسلام الاولى الا أن يلاحظ أهمية الدور الكبير الذي أدته الفسطاط وحلقاتها ولياليها الادبية ، وأداه مسجدها الجامع في تطور الحركة الفكرية والادبية في مصر .

(١) مسالك الابصار ج ١ (طبع دار الكتب) ص ٢١٠ و ٢١١

من طرائف الشعر

نداء للشباب

كن قوياً ، كن عزيزاً

للدكتور محمد عوض محمد الاستاذ بالتجارة العليا

أتحنو عليك قلوب الورى ... اذا دمع عينيك يوما جرى ؟
وهل ترحم الحمل المستضام ... ذئاب الفلا أو أسود الشرى ؟
وماذا ينال الضعيف الذليل ... سوى أن يحقر أو يزدرى ؟
لقد سمع النسر نوح الحمام ... فلم يعف عنها ولم يغفرا
بل انقض ظلما ليغتالها ... وأنشب في نحرها المنسرا
ومارد عنها الاذى ذلها ... ولا انها ماجنت منكرا
فكن يابس العود صلب القناة ... قوي المراس متين العرى !
ولا تطامن لبغي البغاة ... وكن كاسراً قبل أن تكسرا
وأولى لمن عاش مثل الثرى ... ذليلا لو احتل جوف الثرى
قلوب الأنام كصم الصفاة ... وشق على الصخر أن يفجرا
أرى أيدياً لاغتيال تمد ... فأجدر بها الآن أن تبترا !
اذا كنت ترجو كبار الأمور ... فأعدد لها همة أكبرا !
طريق العلا أبداً للأمام ... فويحك هل ترجع القهقرى ؟
وكل البرية في يقظة ... فويل لمن يستطيب الكرى !

كن جميلا تر الوجود جميلا

للاستاذ ايليا أبو ماضي

أيهذا الشاكي وما بك داء ... كيف تغدو اذا غدوت عليلا
ان شر الجناة في الأرض نفس ... تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى ... ان ترى فوقها الندى اكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئا جميلا
ليس اشقى ممن يرى العيش مرا ... ويظن اللذات فيه فضولا
أحكم الناس في الحياة أناس ... عللوها فاحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه ... لا تخف أن يزول حتى يزولا
واذا ما أظل رأسك هم ... قصر البحث فيه كي لا يطولا
أدركت كنهها طيور الروابي ... فمن العار أن تظل جهولا
ماتراها والحقل ملك سواها ... تخذت فيه مسرحا ومقيلا
تتغنى والصقر قد ملك الجو ... وعليها والصائدون السبيلا
تتغنى وعمرها بعض عام ... أفتبكي وقد تعيش طويلا
تتغنى وقد رأت بعضها يؤ ... خذ حياً والبعض يقضى قتيلا
فهي فوق الغصون في الفجر تتلو ... سور الوجد والهوى ترتيلا
وهي طورا على الثرى واقعات ... تلقط الحب أو تجر الذيولا
كلما أمسك الغصون نسيم ... صفقت للغصون حتى تميلا
فاذا ذهب الاصيل الروابي ... وقفت فوقها تناجي الاصيلا
فاطلب اللهو مثلما تطلب الا ... طيار عند الهجير ظلا ظليلا
وتعلم حب الطبيعة منها ... واترك القال للورى والقيلا
فالذي يتقي العواذل يلقى ... كل حين في كل شخص عذولا

***

أنت للأرض أولا وأخيراً ... كنت ملكا أو كنت عبدا ذليلا
كل نجم الى الافول ، ولكن ... آفة النجم ان يخاف الافولا
غاية الورد في الرياض ذبول ... كن حكيما واسبق اليه الذبولا
واذا ما وجدت في الارض ظلا ... فتفيأ به الى أن يحولا
وتوقع اذا السماء اكفهرت ... مطرا في السهول يحيي السهولا
قل لقوم يستنزفون المآقي ... هل شفيتم من البكاء غليلا
ما أتينا الى الحياة لنشقى ... فاريحوا أهل العقول العقولا
كل من يجمع الهموم عليه ... أخذته الهموم أخذاً وبيلا

***

كن هزارا في عشه يتغنى ... ومع الكبل لا يبالي الكبولا
لا غرابا يطارد الدود ... في الارض وبوما في الليل يبكي الطلولا

***

كن غديرا يسير في الارض رقرا ... قا فيسقى عن جانبيه الحقولا
تستحم النجوم فيه ، ويلقى ... كل شخص وكل شيء مثيلا
لا وعاء يقيد الماء حتى ... تستحيل المياه فيه وحولا

***

كن مع الفجر نسمة توسع الاز ... هار شما وتارة تقبيلا
لا سموما من السوافي اللواتي ... تملأ الارض في الظلام عويلا
ومع الليل كوكبا يؤنس الغا ... بات والنهر والربى والسهولا
لا دجى يكره العوالم والنا ... س فيلقى على الجميع سدولا

***

أيهذا الشاكي وما بك داء ... كن جميلا ترى الوجود جميلا

في الأدب الشرقي

الأدب الفارسي والأدب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام
الأستاذ بكلية الآداب

— ١ —

أمة ذات حضارة فاتت التاريخ أوليتها، ونظم أمرتها الحقب الطويلة يقوم عليها ملوك مسلطون رفعوا الى مستوى فوق البشر أقدامهم، وأقر لهم بهذا رعاياهم، وقد طار صيتهم في الآفاق فملأ جيرانهم رهبة واكبارا. أمة ذات دين نصر الملوك ونصروه فاشتد قوامه على كل مخالف وارهبوا كل متبوع. نزلت هذه الأمة أرضا وسطا بين مهد الآريين والساميين يجاورها في الغرب بابل وأشور، ويصاقبها في الشرق الهند. ثم يتصل بها من الشمال والشمال الشرقي الترك والصين. فاض بها سلطانها حتى غزت اليونان في عقر دارهم، وغزت كثيرا من أوروبا الشرقية الجنوبية. وملكت الشام وفلسطين ومصر. وكانت الحرب من بعد سجالا بينها وبين الروم. كانت بلادها طريقا للتجارة بين الشرق والغرب. وموصلا بين حضارتيهما. وكانت موئلا للفلسفة اليونانية. وملجأ للعائذين من فلاسفة اليونان. تلكم أمة الفرس التي يقول فيها مهيار:

قومي استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رءوس الحقب!
عمموا بالشمس هاماتهم وبنوا أبياتهم بالشهب!

وأخرى من الأمم عريقة في البداوة وأبية على كل عسف، حديثة عهد بالخضوع حتى لسلطان الله، أنضجتها البداوة فاذا هي قوية نشيطة ذكية متوقدة، وأورثتها معيشتها وحروبها ضروبا من العزة والشجاعة والفروسية والصبر على المكاره، والقناعة بالقليل، وجمع كلها وأنار قلوبها الدين، وتلكم هي أمة العرب.

— ٢ —

بينما كان الاسلام يجمع شمل العرب كان الفرس مسيطرين على عرب الحيرة يتخذونهم عونا على الاعراب، وعلى الرومان — كما كان الرومان يستعينون بالغساسنة في الشام — وكان الفرس كذلك مسيطرين في اليمن والبحرين. وقد أعظم العرب شأنهم فهابوهم وسموهم الاسد، وسموا قبائل ربيعة التي كانت تجاور الفرس وتأبى عليهم أحيانا — ربيعة الاسد من أجل ذلك — وعرفوا من أخبارهم وعاداتهم ما جعلوه مضرب المثل، وعرفوا كذلك دينهم حتى يقال إن من بني تميم من كان يعبد النار. وفي ذكر القرآن للمجوس كثيراً دلالة على هذا.

فلما استقام للعرب أمرهم خلص اليمن بغير عناء وأسلم الفرس هناك، حتى قاتلوا مع المسلمين الاسود العنسي المتنبيء، وكذلك أجلى عامل كسرى على البحرين أيام أبي بكر، وأسلم هناك من أسلم ودفع الجزية من بقي على دينه. ثم تمادي بالمسلمين الفتح فاذا هم يقاتلون في جهات العراق عربا وفرساً قد تخالطوا حتى لم يتميز بعضهم من بعض وحتى كان العرب بدأ مع الفرس على العرب إبان الفتح فخالد بن الوليد يقول لأهل الحيرة: أعرب أنتم فما تنقمون من العرب؟ فيحتجون لعربيتهم بأنهم ليس لهم لسان غير العربية، تغلغل المسلمون في فتح بعد آخر، صلحاً وحرباً فاذا هم ينازلون الاكاسرة أنفسهم، وأيقن الفرس أن الامر جد لاهزل، وكان قد اجتمع امرهم بعد الفرقة ليزدجرد الساس فساقوا على العرب جيشاً حشدوا فيه من عدد الحرب وجندها مالا عهد للعرب به، ولم يكن بد للعرب من المقاومة فاستنجدوا الخليفة عمر فأهمته حرب فارس، وندب الناس اليها فتثاقلوا اعظاما لأمر الفرس واستفز عمر العصبية العربية، ورضى أن يدعى الى الحرب مسلمهم وغير مسلمهم. وقد اهتم الفرس بأمر القادسية أيما اهتمام، وارتقب العرب عقباها من العذيب الى عدن أبين ومن الابلة الى ايلة — كما يقول الطبري

وكانت القادسية أول موقعة عظيمة حشد لها الجمان مااستطاعوا، ولكنها لم تكن أعظم الوقائع ولا آخرها فموقعة نهاوند التي سماها العرب فتح الفتوح، وهي آخر الوقائع العظيمة، كانت بعد القادسية بسبع سنين، وبينهما وقائع، وكان ملك الفرس يزدجرد، لا يزال يكر على العرب في الحين بعد الحين، ويستمد الترك وقد تعقبه العرب الى أقصى الشرق، واستمر على ذلك حتى سنة ٣١. سبعة عشر عاما بعد القادسية فبينا يتهيأ لصلح العرب على بعض الاقاليم قتله بعض اتباعه كما قتل دارا من قبل. وبينا يتعقبه الاسكندر المقدوني. وبذلك تم للعرب الاستيلاء على فارس رغم الثورات التي كانت تظهر في الحين بعد الحين الا جهات في طبرستان وجيلان لم تفتح الا بعد قرنين وبقي بعد ذلك امراء في جهات نائية قرونا طويلة.

— ٣ —

فتح العرب الاقطار باسم الدين فلم يكن الا أن يسلم الفارسي فاذا هو واحد من المسلمين الفاتحين، ثم كان حكمهم على رغم مصائب الحروب وفظائعها عدلا لا عنف فيه. وكان في الفرس على هذا من وجدوا في الفتح الاسلامي مخلصا من اضطهاد ديني، فقد كانت الزردشتية شديدة على من شذ عنها، أو وسيلة الى جله ...

فالديلم من جند الفرس أعانوا المسلمين (بعد القادسية وأسلموا) وعاونوا فى واقعة جلولاء ، ثم استوطنوا الكوفة . ونجد من الفرس مثل (أبي الفرخان) الذى عاون العرب فى فتح الرى فولى عليها . ونجد مرزبان مرو يخذل يزدجرد ويرسل أمواله بعد ان قتل الى أمير العرب هناك .

وقد أعطى العرب الفرس الذين قاتلوا معهم حظهم من الغنائم وفرض عمر فى العطاء لمثل المرزبان فى المدينة وأحسن العرب الى الفلاحين الذين لم يقاتلوا . ويقول الطبرى (عن أهل فارس) وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا فى زمن الاكاسرة فكانوا كأنما هم فى ملكهم الا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم فاغتبطوا وغبطوا. وقد بقى الفرس أحراراً فى دينهم وبقيت معابد النار فى الجهات كلها ولا سيما فى فارس . فقد حكى المؤرخون كالاصطخري وابن حوقل أنه لاتوجد قرية فى فارس بغير معبد للنار ، وأن جمهور أهلها من عبدة النار وانهم فى شيراز لا يمتازون من المسلمين فى مظاهرهم وكانت معابد النار تحمى ويعاقب مخربوها .

وانما تناقص عدد الزرد شتيين بدخول كثير منهم فى الاسلام ، وقد دخلوا فيه أفواجا حتى شكا عامل خراسان الى عمر بن عبد العزيز قلة الجزية فأرسل اليه إن الله بعث محمداً صلعم هاديا ولم يبعثه جابيا . على انهم بقوا كثيرين الى عصر قريب . ويقول Khonikof أن كرمان حين حاصرها محمد خان قاجار كان فيها ١٢ الف أسرة زردشتيه

انما افيض فى هذا لأبين أن العرب والفرس بعد الفتح لم يكونوا فى نضال مستمر . وان العرب لم يستعبدوا الفرس كما يحسب بعض الناس . لم يفعل العرب الا ان حطموا الحدود الوطنية فشاركوا الفرس فى جماعة اوسع . ونالوا من العلوم والآداب التى تعاونت عليها الامم الأسلامية ، ونالوا عليا المناصب . فالبرامكة مثلا كانوا يدبرون للعباسيين ملكا أعظم وأوسع مما كان يدبره بزر جمهر لانو شروان .

— ٤ —

الآداب الفارسية الحديثة تؤرخ من القرن الرابع الهجري (تقريباً) — كما يأتى — فماذا أصاب اللغة الفارسية فى ثلاثة القرون التى تلت الفتح الاسلامى ؟ وماذا أصاب الفرس في هذه القرون ؟

فى اجابة هذين السؤالين يجب أن نفرق تفريقاً تاماً بين الكلام على الفرس ، والكلام على اللغة الفارسية .

فاما اللغة الفارسية فالكلام عنها من جهتين : من حيث أنها لغة تخاطب ومن حيث أنها لغة العلم والأدب . فاما من الوجهة العلمية فقد وقفت اللغة وقفة طويلة ، ولم يؤلف فيها الا كتب قليلة معظمها فى الدين ، ويمكن ان يقال انها عقمت تماماً بعد قرنين من ظهور الاسلام ، والكتب التى ألفت فى العصر الاسلامي وبقيت على الزمن لا يتجاوز عصر المأمون، وهى كتب دينية قليلة أرادبها الزردشتيون الدفاع عن دينهم والابقاء عليه — ولكن كان للغة الفهلوية عمل اعظم من هذا وأبقى أثراً هو حفظها آداب الساسانيين . وتاريخهم فى كتبها لتكون مصدراً للترجمة الى اللغة العربية ، ولتكون من بعد أساساً للآداب الفارسية الحديثة فقد بذل رجال الدين أو الموابذة وملاك الأراضى أى الدهاقين جهدهم فى حفظ كتبهم ، وكان الساسانيون من قبل ذوى عناية بالكتب وحفظها . ويمتاز اقليمان فى ايران بأن كانا موئل الآثار الفارسية : فارس وخراسان — كما امتازت طبرستان بوعورة ارضها وكثرة غاباتها فبقى فيها استقلال الفرس مدة طويلة — فاما خراسان فكانت مبعث الشعر الفارسى الحديث ، واما فارس مهد الدول الفارسية القديمة فقد لاذ بجبالها جماعات من الزردشتيين . فعكفوا على درس آدابهم القديمة وحفظ كتبها فحصن شيز فى جهة ارجان كان مسكن مجوس خبراء بايران وتاريخها . وكان به صور الملوك والعظماء وتاريخهم ، هكذا يقول الاصطخرى وابن حوقل ، ويؤيد هذا مايقوله المسعودي : انه رأي فى اصطخر عند اسرة فارسية كبيرة كتاب الملوك يتضمن صور الملوك وأزمنتهم ووصف آثارهم . ويتصل بهذا ما رواه صاحب الفهرست عن أبي معشر ان الفرس القدماء خزنوا كثيرا من كتبهم فى اصفهان فى بناء عظيم بقى الى زمان ابى معشر ، وان الناس عثروا على كتب فيه ، ثم يقول ابن النديم « اخبرنى الثقة أنه انهار سنة ٣٥٠ أزج آخر عن كتب كثيرة لايهتدي الى قراءتها . والذى رأيناه بالمشاهدة ان أبا الفضل ابن العميد أرسل هاهنا فى سنة نيف وأربعين كتباً متقطعة أصيبت باصفهان فى سور المدينة وكانت باليونانية الخ

ففى أمثال حصن شيز وبناء اصفهان حفظت الكتب القديمة التى ترجمت الي العربية أيام الدولة العباسيه .

« لها بقية »

« بقية المنشور على صفحة ١٣ »

ياشبان الشرق — هأنتم أولاء تطالعكم قوى الجديد من حيث تخشون عناصر الجمود ؛ وهاهو دا الاسلام الدين الحي يدفعكم دفعا الى مسايرة نواميس الكون ؛ ومجاراة نظم الجماعات الانسانية ؛ وهذا تاريخكم المجيد يغذى حاضركم الحديث فلا عذر اليوم لكم اذا لم تبعث تلك العزمات لتسمع الدهر صوتاً طالما أصغى اليه أزمانا وحدا له فسار ؛ ومضى حيث صرفه واحتكم فيه

يا شباب مصر : ها كم ماضيا مجيدا في الصدارة والزعامة ، لم يدع ميدانا الا حله وها هي ذى مصركم معلمة الدنيا قد أنهت اليكم لواء هذه الزعامة وقد بايعها الشرق وعرف مكانها وعاندها الغرب وجحد حقها . والحياة العاملة اليوم انما تكتب للامة الصناع والشعب الدءوب فلابد أن تتصدر مصركم ماتصدرت من سائر الميادين قديما وسيبنى ثبات شبابها بمشروعهم العملى صروحا سامقة من القوة المادية تشهد أن الذين عرف أسلافهم كيف يحمون الفلسفة ويعمرون العلم ويذودون عن الاديان يعرفون هم جيدا كيف يوصلون الصناعة على أساس أبقى على الدهر من الدهر



حزن اولمبيو

لفيكتور هوجو

ترجمة ابن عبد الملك

لم تكن الحقول غبراء ، ولا السماء كدراء حين أقبل يقضي ذمام هذه الربوع التى سال فى ثراها قلبه الجريح المثخن وانما كان ضوء النهار يتألق فى أفق لازوردى غير محدود ، ويتدفق على بساط من أديم الارض ممدود . وكانت النسائم عابقة بالعطور ، والمروج حافلة بالخضرة والزهور .

***

وكان الخريف طلق الجوانب ، والسماء مذهبة الحواشى ، والربى حانية الخمائل المونقة على السهل وقد ضربت فى خضرتها صفرة قليلة .

والطيور هاتفة بأغاريدها الشجية القدسية ووجوهها الى الله الذى يمم عليه كل كائن ، ويسبح بحمده كل شىء ، كأنما كانت تقول له شيئا عن الانسان !!

*
* *

أراد الولهان أن يرى كل شىء : يرى الغدير الطامى الذى يصطفق بجانب العين ، والطلل البالي الذى استنفد ما في كيسهما بالصدقة ، وسرحة الدردار العتيقة المعوجة وخلوات الحب فى أجواف الغاب المترامية ، والشجرة التى استغرقا تحتها فى القبلات فذهلا عن كل شيء .

*
* *

بحث عن الحديقة والبيت المنعزل والبستان الحادر ، والدرابزون الذى يغيب البصر من خلاله فى ممشي منحرف . وكان يمشي منكسر الوجه من الحزن . شاحب اللون كثير الهم فيرى وا أسفاه لدي كل شجرة شبح الايام الخوالي يقوم منتصبا على وقع خطاه المتئدة الثقيلة ! .

***

تجول طول النهار علي طول المسيل وقد ملك اعجابه وجه السماء الضاحك ، ومرآة البحيرة المصقولة .

ثم قيد بصره ماراعه من صور الطبيعة فى الحقول ، فتأملها مليا ثم ذهب مع احلامه حتى المساء .

تجول طيلة النهار ذاكراً والمنى عليه مخاطره اللذيذة ناظرا من اعالى السوج دون أن يجرؤ على الولوج كانه صعلوك من صعاليك الهند .

فلما آدنت الشمس بالمغيب احس فى صدره وحشة القبر وفى قلبه لوعة الهم ، فجأر بالشكوى وهتف بالنجوى يقول :

***

أيها الالم ! لقد اردت انا المشترك الخاطر المسعور الفؤاد ان أعلم هل الاناء لايزال محتفظا بالسائل ؟ وان أري ماذا فعل هذا الوادى السعيد بما خلفت فيه من قلبي ؟ .

ما اقدر الزمن اليسير على ان يغير كل شىء !

ايه ايتها الطبيعة ذات الوجه الضاحك والجبين الاغر ! ما اسرع ماتنسين ! وما أشد ما تقطعين العلائق الخفية التى تربط قلوبنا بكثرة استحالاتك وتغير حالاتك ! .

***

ان غرفنا التى اتخذناها من ورق الشجر الألف قد تهدمت .

والشجرة التى حفرنا عليها اسمينا قد ماتت أو تحطمت

وورودنا النابتة فى الحظيرة قد عبثت بها ايدى الاطفال الذين يقفزون فوق الحفرة !

والعين التى كانت تشرب منها ساعة القيظ وهى هابطة من الغاب قد قام على موردها جدار ! !

لله ما كان أجمل يدها حين كانت تغترف بها الماء ثم تدعه يتساقط من خلال أصابعها كنثير اللؤلؤ الرطب ! !

***

لقد رصفوا الطريق الغليظ الوعر الذى كنا نسير فيه جنبا الي جنب فترتسم على رمله التى قدمانا ، ويكون أثر قدمك الرقيقة الانيقة بجانب قدمى سخرية حسناء ، وضحكة استهزاء ! !

***

والحاجز الحجري الذى قام على حد الطريق حقبة طويلة ذلك الحاجز الذي كان يحلو لها أن تجلس فوقه فى انتظارى قد هد ركنه اصطدام العجلات الموقرة بالاعباء ، وهى آيبة تئن فى المساء ! !

***

والغابة أصبحت حطاما هنا وبقت أدواحها هناك ! ولم يكد يبقى من كل ما حللناه وتقمصناه شيء حي !

واكداس الذكريات تذروها ارياح الأربع ككومة من التراب الخامد [illegible]

واويلتاه ! ألم يعد لنا اذن وجود ؟ هل مضت مدتنا وانقضت لذتنا ؟ أما يرجعها الى صرخاتنا الضارعة الضائعة شيء ؟

النسيم يداعب الغصون وأنا أبكي ! ومنزلي ينظر الي ولا يعرفني !

* * *

والآن سيمر غيرنا من حيث مررنا ، وسيرد آخرون هذا المورد الذي عنه صدرنا ، والحلم الذي بدأناه سيواصلون رؤياه ، ولكنهم مثلنا لا يستطيعون أن يبلغوا مداه !

* * *

وذلك لأن الناس في هذه الحياة لا ينمون ولا يكملون ، سواء في ذلك الحبشيون والطيبون

وسيستيقظون جميعا في مكان واحد من الحلم ، اذ كلهم يبدأون في هذا العالم ثم يتممون في غيره

* * *

أجل ستأتي نوبة آخرين ، فينعمون في ظلال هذا السكن الساكن الآمن الفاتن بما وهبت الطبيعة للحب من خيال وجلال ولذة !

***

وسيرث غيرنا حقولنا وطرقاتنا وخلواتنا ، ويستولي من لا تعرفين على غابتك يا حبيبتي ! ويقبل بعض النسوة الموج الى هذا الماء يترددن فيه فيكدرن غمره الذي لمسته قدماك العاريتان فتقدس !

***

يالله ! اذن ذهب الحب الذي أحببناه في هذا المكان باطلا ! ولم يبق لنا شيء من هذه الربوات المزهرة التي امتزج فيها لهبانا فانصهر بهما جسمانا واتحد قلبانا

هيهات قد استرجعته الطبيعة التي لا ترحم ولا تألم !

* * *

بالله نبئني ايتها المسايل المرعة ، والجداول المترعة ، والمرائش الموقرة بالمناقيد ، والاغصان المثقلة بالاعشاش والاغاريد ! وخبرني ايتها المغائر والآجام والادغال ! هل تطربن قلباً غير قلبنا بهذه الاغاني ، وتناغين حباً غير حبنا بهذه الاناشيد ؟

* * *

لقد كنا ندرك مرامي كلامك ، ونجعل مشاعرنا كلها اصداء لرجع انغامك ، ونرهف اسماعنا لالتقاط ما يبدر احياناً من بليغ شمرك . دون أن نميط الحجاب عن خبيئة سرك !

* * *

ايتها الطبيعة الحلوة في هذا الخلاء الجميل !

متى رقدت انا وهي تحت صفائح القبر فهل تظلين جامدة أمام موتنا وموت حبنا ، توالين حفلاتك واعيادك ، وتواصلين بسماتك وانشادك ؟

الا تقولين نصيبينا اذا ما رأيتهم يجولان بين ربى وحقول ... وفيا الفا من جبالك وغاباتك ، ما يقوله جميع الاصدقاء لاخوانهم القدماء من سرائر القلب ونجاوى الضمير ؟

* * *

هل تستطيعين أن ترى دون أن يلوعك الحزن ويرمضك الاسى شبحينا يطوفان بمواقع خطواتنا ، ومواضع خلواتنا ، وان تريهما تقودني في عناق مكتئب الى ينبوع منتحب يئن في خفوت وهمس ؟

* * *

واذا ما لجأ عاشقان الى جوارك ، واختفيا عن العواذل تحت ستارك ، وخبآ سرورهما بين ازهارك ، فهل تسرين اليهما هذه الكلمة :

« أيها الراتعان في رياض الحياة ! اذكرا من طوح بهما الدهر في قفار الموت ! »

* * *

لعمرك ماهذه الروج والعيون والغابات والسموات والبحيرات والسهول والحزون الا عارة مستردة ! يعيرنا الله اياها لحظة من الزمن لنضع فيها قلوبنا وأحلامنا وغرامنا ثم يستردها .

* * *

ثم يطفىء بعد ذلك سراجنا ، ويدفن في حلك الليل شعاعنا . ثم يوحي الى الوادي الذي انطبعت فيه صورنا ونفوسنا أن يطمس آثارنا ، ويمحو أسماءنا وأخبارنا .

* * *

لا بأس ! ! انسينا أيتها الدار ! واسكرينا أيتها الحديقة ! ولا تذكرينا ياظلال ! واحتل عتبتنا ياعشب ! وغط آثار قدمينا ياعوسج ! وغردي أيتها الطيور ! وتدفقي أيتها الجداول . وتكاثري أيتها الأوراق . فان الذين طويتم صحيفة ذكرهما لا ينسيان !

وكيف ننسى وأنتم خيال الحب نفسه ! أنتم الواحة التي يلاقيها المسافر في وقدة الصحراء ، والخلوة العظمى التي بكينا بها أحر بكاء ، وكل منا يده في يد الآخر !

* * *

كل الاهواء تمضي مع العمر . بعضها يحمل نقابه وبعضها يحمل مديته كدبر النحل [1] يسافر جذلان شاديا وجماعته تضمحل وتذل وراء الاكمة .

* * *

الا اياك أيها الحب فلا شيء يمحوك ! انت السحر وانت الفتنة ! وسواء أكنت مشعالا بدويا أم مصباحا حضريا فأنت الذي تشرق في العيون وبين الضلوع ، وتستولي علينا بالبسمات وخاصة بالدموع ! ان الناس في الشباب يلعنونك ، ولكنهم في المشيب يعبدونك !

(١) دبر النحل افواجه

بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دفني

— ٢ —

— ١ —

أيها الشعر[1] أيها الكنز . ياجوهرة العقل . انعواصف القلب كزوابع البحر لن تستطيع أن تعوق رداءك المتعدد الصبغة عن أن يجمع ألوانه ، لكن ما ان يراك السوقة وانت تلمع فوق جبهة نبيلة حتى تضطرب حواسهم لبريق سنانك الناصل في أعينهم ، الغامض على افهامهم ، فتنطلق ألسنتهم بالنيل منك وقلوبهم تكاد تنخلع من الهلع .

— ٢ —

انما يخشى حماسة الالهام[2] ضعاف النفوس . أولئك الذين لا يقوون على الاستقلال بعبئه والصبر على لظاه . وفيم تنكبه[3] والحياة تضاعفها نيران العاطفة ولكم من قبس الاهي تصيبنا ناره من حين الى حين . تلك هي الشمس وهو الحب وهي الحياة ومع ذلك فهل من أحد يود ان تنطفيء نارها . اننا نعتز بها ونحن ساخطون عليها .

— ٣ —

لقد استحقت إلهة الشعر[4] ابتسامات التهكم وأمارات الاستهتار التي يستثيرها مرآها منذ أن اتجهت ببصرها الى العاهرين فاضطرب مقالها ونزل صدقها منزل الشك وحرم عليها ان تلم الحكمة وأصبحت اليوم اذا صاحت بعابري الطريق ان أفسحوا أفسح لها السائر فى غير هيبة ولا احترام

— ٤ —

يالك من فتاة لاعفة لها . ياليتك صنت وقارك يا سليلة ارفيوس . اذا ما كنت تذهبين الى حيث لا يليق بك الى الشوارع وملتقى الطرق تنشدين الاغاني بصوتك المختنق المتهدج . اذا ما كنت تلصقين بجانب فمك باقة الشعر اللاذعة كالذبابة ، وبجانب عينك الزرقاء معنى الرمز المستهتر .

— ٥ —

لقد سقطت منذ حداثتك . ففي اليونان اسكرك عجوز[5] بقبلته وكان أول من خلع عنك ثوب كهنوتك ثم أجلسك على فخذيه بين جماعة الشبان ، ولا يزال على جبينك آثار من عض قبلاته ! وفي ولائم هوراس كنت تغنين وأنت تتململين بالشراب، وجاء فولتير فقادك الى البلاط تحت أبصارنا جميعا .

— ٦ —

يالك من قسيسة[6] خبت نارها . هاهم أعظم الناس خطرا لا يضعون على جباههم من تاجك الا بعضه . هاهم تقف أقدامهم وكأنما يتعثرون في خطاياك حتى أنه لمن الاهانة لاحدهم الا يكون الا شاعرا . ينثرون أفكارهم مع رياح المنصة فتدور بها عمياء كالقدر ثم تحملها الى غير مستقر .

— ٧ —

متكبرون متعاون في مواقفهم الكاذبة وان مادت الارض تحت أقدام أولئك التريبون[7] خطبهم الفانية تتملق الجماهير التى تلتف حولهم وتصفق لعباراتهم ولتك الجماهير الذين يتجددون باستمرار فى هذه المسارب الضيقة . هؤلاء النظارة لا يحملون لأولئك الممثلين السياسيين الا ازهارا لا رائحة لها وما لها من غد فى أغلب الأحيان .

— ٨ —

افقهم تحده جدران صالتهم حيث يقومون بألعابهم الكاذبة والشعب يسمع عن بعد ضوضاء جدالاتهم ولكنه لا ينظر الى تلك الالعاب الا كما ينظر أبناؤه ونساؤه مضطربين الى ذلك الحدث العجب . آلة البخار ذات المائة ذراع .

— ٩ —

تري الفلاح المتم يسخط عندما يوقف محراثه ويترك فلاحته لينتخب ومع ذلك هاهو أحد محامي اليوم قد استقر فى أعماق نفسه احتقار ما نصيبه الخلود . ذلك المحامى الذى يشك فى خلود النفس

---

(١) فى هذا الجزء من القصيدة يتكلم الشاعر عن الشعر ويتطرق الى هجاء المجالس النيابية وهو فى ذلك ربما كان متأثرا بسقوطه الموالى فى الانتخابات كما أنه يحقد على لامارتين وهيجو عندما تركا الشعر احتقارا لامره ليندمجا فى سلك السياسة . يتخذ الشاعر جانب الشعر ليدافع عنه معارضا بينه وبين الخطب السياسية التى تفنى بفناء ساعة القائها .

(٢) يقصد بحماسة الالهام حماسة الشعر .

(٣) أى تنكب الالهام أى الشعر .

(٤) وضعنا آلهة الشعر ونحن نفضل فى الحقيقة أن ننقل كلمة الميز Muse كما هى لان هذا اللفظ من جهة شبه أممى ومن جهة أخرى متصل وله مدلول تاريخى لا يؤديه قولنا آلهة الشعر وما علينا الا ننقله عن اليونان كما نقله غيرنا من الامم .

(٥) يقصد به الشاعر هوميروس .

(٦) اللفظ الفرنسى Vestale وباللاتينية Vestales وهو مشتق من Vesta الهة النار عند الرومان فال Vestala هى قسيسة تلك الالهة وكان أولئك القسيسات يخترن من بين الاطفال الذين لا يقل سنهم عن السادسة ولا يزيد عن العاشرة وتوكل اليهن طول حياتهن حماية النار المقدسة فى كل عائلة . فاذا انطفأت منها النار جلدوها وان خانت عفتها اعدموها ولا شك ان لفظ قسيسة لا يحمل هذه المعانى كلفظ Vestala الذى له أصل اشتقاق معروف كما له معنى تاريخى .

(٧) يشبه الشاعر نواب فرنسا « بالتريبون الرومانى » من حيث ان كلا يمثل الشعب وفيني شاعرنا معروف بكرهه للحكم النيابى وهو ارستقراطى الاصل أو من الاشراف يفضل دائما الحكم الملكى ويدافع عن حقوق الملوك كما يظهر ذلك بوضوح فى قصيدته النبوءت Las Aracles حيث يشبه الدساتير بالرمال التى تنهار تحت من يتكيء عليها .



بين الكاس والطاس

بقلم الدكتور احمد زكى

أستاذ الكيمياء بكلية العلوم

الخمر قديمة كالانسان ، خلقها من خلق الهم ، وأبدعها من أبدع الحس ، وأرادها أن تبقى على الدهور والاحقاب من أراد ألا يكون الكون خيرا كله ولا شرا كله

الخمر لا وطن لها لأن الأرض وطنها ، عرفها المصرى والفينيق ، والاغريق والرومانى ، ويعرفها التركى والالمانى ، والفرنسى والامريكى ، والخمر لا دين لها فقد اعتنقت جميع الاديان ؛ عصرها كهان المجوس ، وباركها أحبار اليهود ، واتخذها يسوع رمزا لدمه فعتقها من بعده القسيسون والرهبان ، وحرمها الاسلام فاستحلها الخلفاء لما صارت الخلافة ملكا عضوضا لم يحل لهم أنس الا بها ولم يطب نغم الا عليها ولا لذ غزل الا فى دبيبها ونشوتها

والخمر لا مدنية لها فقد عرفتها كل المدنيات ، عرفتها ابان اشراقها ونشأتها وازدادت بها علوا وهي فى كبد سمائها وأوج صولتها ، ثم غربت على الاكثر فيها كما تغرب الشمس فى لجة البحر المحيط . كذلك شربها المدني فى كؤوس من ذهب بين عمد المرمر وعلى رنين القيثار ، وشربها الوحشى حيث لا كأس غير صحاف القرع ولا عمد غير غاب النيل ، ولا رنين غير زمر القصب وقرع الطبول

وجاءت المدينة الحاضرة بعلمها وعددها ، وبطبها واحصائها وبتجاريبها فى الافراد وتجاريبها فى الجماهير ، وخرجت على أن لعنة الناس فى الخمر وخسرهم فى ذوب الرحيق . وتكونت فى كل أمة أمة تدعو الى السبيل الجديدة وتبشر بالرسالة الجديدة باسم العلم وباسم الاقتصاد فى قوى العمال لزيادة الانتاج . وزادت الدعاية حتي أن أمة من أكبر الأمم عددا وأكثرها عدة وأحدثها حضارة صوت ناخبوها بتحريم الخمر ، فصدر القانون بطلاق بنت الحان ، فأغلقت الخمامير واهدرت الدنان ، وحاطوا امريكا بسياج ثقيل من عسس يمنع الداء أن يدخل ، والداء بالجسم دفين ، والجسم قد يعتل من جرثومة تغزوه ولكن أكثر علته من جرثومة للموت ولدت فيه . وماهي الا سنة فأخرى حتى سالت الخمر فى امريكا سيلان الماء فيها ، سدت عليها منافذ الماء ، ومهابط السماء ، فتفجرت كالزيت من منابع فى أرضها ، فى عقور ديارها ، فعبها الناس اغترافا ، وعبها رجال القانون معهم ؛ ومتى أبطل مداد الاوراق ماجرى به مداد الاعراق ؟ ولما أصبح القانون ، ذلك الشيخ الوقور المهاب ، يصفع فى السر أقل ويصفع فى الجهر أكثر جاء منتخبوهم منذ اسابيع فرحموا الشيخ فعقروه ، وهكذا عادت الخمر الشيخة تتهادى الى عرشها ، فلما استقرت فيه نظرت للانسان فابتسمت وكان من ورائها الاجيال فابتسمن أيضا

وبعد فما الخمر الا الكحول ، وهو ماء ولا ماء ، ماء فى مظهره ونار فى مخبره ، وقد اتخذ أشكالا عدة ، وأسماء عدة فأسموه البيرة وأسموه النبيذ وأسموه الوسكى وكل هذه تحويه ان قليلا أو كثيرا وهى تفقد أسماءها بفقده ، ومن السخف ما يباع أحيانا بانه بيرة لا كحول فيها . والبيرة تنتج من تخمير الشعير وبها ما بين ٤ الى ١٠ فى المائة من الكحول ومقدار لا بأس به من أجسام صلبة ذائبة شبه السكر نتجت من تحلل النشاء الذى كان بالشعير . والبيرة المعتادة لونها أصفر وطعمها مرير بسبب عشب يضاف اليها . والنبيذ ينتج من تخمير عصير العنب وبه ما بين ٦ الى ٨ فى المائة من الكحول ولونه أحمر ويتعاطاه الكثير من الفرنجة على الطعام كما يتعاطون الماء . وهناك نوع آخر من النبيذ ويسمى البرط وبه ما بين ١٥ الى ٢٠ فى المائة . وبالانبذة غير الكحول مواد سكرية وحوامض كحامض الطرطير تعطيها طعما ذاعقا . أما حسن طعمها وطيب ريحها اللذان يشيد بهما الشعراء فيرجعان على الاكثر الى اتحادات بين ما بالانبذة من حوامض وما بها من كحولات اذ (تتأستر) هذه بتلك فتنتج مايشبه الزيوت العطرية طعما وطيبا . ويزيد هذا (التأستر) على الزمن ، لذلك تختزن الخمر فلا ترى الشمس أحقابا طوالا قال ابو نواس يتمدحها

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلة ثم قصت قصه الأمم

وأما الشمبانيا فهى أخت النبيذ ، فأبوهما الكرم ، الا أن لونها اصفر ، ويرجع هذا الى أنهم يعصرون العنب سريعا فلا يمهلون الصبغة التي بقشرته أن تجري فى العصير فتخمره ، وغير هذا فانهم يختزنون هذا العصير في ابان تخمره فى زجاجات مقفلة سنتين وثلاثا فينحبس بها غاز الكربون الناشيء من التخمر تحت ضغط كبير ، لذا تفور الشمبانيا عند فتحها ، ولذا كان طعمها حريفا كالكازوزة بسبب هذا

الغاز ومقدار الكحول الذي بها كالذي بالنبيذ تقريبا

ويوجد عدا هذه من الاشربة الروحية أنواع لاحصر لها يختلف مقدار الكحول الذى بها اختلافا كبيرا ، ومن ذلك الوسكى ويحضر من تخمير الحبوب ثم تقطيرها ، والكونياك ويحضر بتقطير النبيذ ولذلك ترتفع نسبة الكحول بكليهما الى ٣٠ و٦٠ فى المائه . ومن الناس من يتخذ من كحول الحريق شرابا وهو يحتوى نحوا من ٩٠ فى المائة من الكحول الخالص ويضيفون اليه أصباغا وزيوتا تجعله غير سائغ فى الحلق، ولكن حلوق الجهال من الفقراء يسوغ فيها كل كريه مرير

ويشرب المرء الخمر كائنة ما كانت فتمتص المعدة فالامعاء الكحول الذى بها امتصاصا سريعا فيذهب الى الدم ثم الى كل غشاء من أغشية الجسم فيحترق فيها الى غاز الكربون والماء احتراقا سريعا كذلك ، ولا تبقى منه بالجسم بقية ، فهو ليس بطعام بالمعنى المعروف ويخرج مقدار من الكحول قد يعلو الي ٨ فى المائة فى البول ومن الرئة فى التنفس، لذلك تشم رائحته فى الفم . ومن الناس من يسترق الشراب ثم يحسب أن رائحته علقت باشداقه فيغسل فاه حاسبا أنه قد تستر، ويسيرفى الناس مطمئنا ورئتاه تدفعان بالسر فى صوت جهير أبلغ من صوت الشفاه

ويتعاطى الناس الكحول للاثر الذى يكونه فى المخ والأعصاب فأول ما يحدثه نشوة تثور فيها قوى المخ فيشتد الفكر ويحتد الخيال ولكنه فكر ثائر وخيال مضطرب ، وتزول عن الانسان أثناء ذلك الدقة فى العمل ويقل ضبطه للامور فتكثر الاخطاء . قام الاستاذ (دلنج) أستاذ فن العقاقير بجامعة ليفربول بتجارب على زوجه فكان يسقيها مقادير مختلفة من الكحول ويملى عليها قطعا تكتبها على الآلة الكاتبة ويعد الاخطاء . وخرج من ذلك علي علاقات طريفة بين مقادير الكحول وبين الاخطاء الناجمة دلت فى مجموعها على أنه بالرغم من حدة الذهن وسرعة الالهام تقل قدرة الضبط فى الانسان . قيل لشاعر فكه فى ذلك فقال : اذن لا بأس علي من الخمر ، استوحى بها فى الليل ، وأصحح اخطاء الوحى بالنهار . ولعل من أجل هذا أن من الشعراء والكتاب من كان لا يكتب الا اذا شرب ، وذلك مشهور عن الكاتب الانجليزي المعروف شارلس دكنز، فقد كان لا يكاد يستفيق، كان كالشمعة يضيء للناس وهو يحترق . وتعقب دائما فترة الايحاء هذه فترة خمود عميق يكل فيها الذهن وتتثلم الحواس

وفعل الخمر بالعواطف يناهض فعلها بالعقل ، فمن الناس من يخف به الفرح حتي ليذهب بوقاره ، ومنهم من تأتيه الكآبة فلا يكاد يحبس دمعه ، ومنهم من يرتاع فيهلع قلبه خوفا وفرقا ، ومنهم من يشجع فيغفل عن عواقب الأمور . ومن المثل الاخيرة الجراحون فان منهم من لا يستطيع حمل مشرط الا اذا نقع حواسه بنقيع ابنة العنب . ولعل هذا ما حدا الى الجمع بين الخمر وبين كل لذة ولا سيما ما اتصل منها بعاطفة كالغناء والنساء . وهو الذى جمع كذلك بين الخمر وبين كل كآبة ، فكم من عزيز قوم تجهمت له الحياة فى حب أو وشيجة أو مال فلم يطقها ، ولم يطق الموت ، فأمات نفسه حيا بالكاس تتلوها الكؤوس . وقد وجدوا ان المستهلك من الشراب يزيد فى الضائقات المالية التى تعترى الامم زيادة كبرى

ولعل اخطر ما فى الشراب الافراط فيه حتى تتأصل عادته . يشرب الشارب فيكثر ، ويشرب والمعدة ملأى بالطعام ويشرب وهى خالية فيكون امتصاص الجسم له فى الحال الاخيرة أشد و سريانه فى الدم أسرع والى المخ اوحي ؛ فتقصر فترة الانتعاش الاولي الى العدم ، وتسرع الحواس فتغيم والبصر فيتغبش فيرى الواحد اثنين ، وتصيت الاذن ويخف الرأس ويضيع الحكم علي الامور ويرغو الفريسة ويزبدو تأخذه رغبة فى الشجار والتحطيم، ثم يسقط جسدا هامدا فى غشية تتعطل فيها قوى المخ جمعاء الا النزر اليسير الذى يكفى لاجراء الدم واخراج الانفاس، ثم يصحو من نوم عميق محموم الجسد مصدع الرأس نافد القوي ، بالاذن رنين لا يسكت، وبالقلب وحبة لا تسكن ، فلا يجد خلاصا من تلك الاعراض المؤلمة الا باعادة الجرعة وهى حقا تزيلها وتزيلها سريعا . قال الاعشى

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

ولكنه شفاء لايدوم الا قليلا ، فيأخذ المسكين يتداوى من داء بداء حتى يصبح الشراب عادة أشد تأصلا فى اعراقه من تأصل الروح فيها ، وتسوء فى هذه الاثناء معدته لان الكحول مهيج شديد لاغشيتها ، ويعتريه فيه التهاب مزمن لا تنفع فيه حيلة الاطباء ، وتتحلل مادة كبده فتتليف أو تتدهن ؛ وتقل مقاومة الجسم عامة للامراض، ولكن أخطر من هذا أن المخ يفسد فيصبح صاحبه فى اضطراب دائم ورعشة لا تهدأ ، واذا هو أتاه النوم العاصى فبأحلام مروعة أروع منها احلام اليقظة اذ ترى عينه فى الجهرة الجرذان تخرج من الحيطان، والزبانية تختبيء له فى كل الاركان، وتسمع أذنه الاحياء المتحركة تسبه والأشياء الجوامد تلعنه ويتسابق جسمه وعقله الى الفناء فى منحدر زلق لا تقف الرجل فيه !



على هامش السيرة

حفر زمزم

للدكتور طه حسين

(٢)

لاهم قد لبيت من دعاني وجئت سعي المسرع المعجلان
ثبت اليقين صادق الايمان يتبعني الحارث غير وان
جذلان لم يحفل بما يعاني لاهم فلتصدق لنا الامانى
مالى بما لم ترضه يدان

كان صوت عبد المطلب يندفع بهذا الرجز عريضا يملأ الفضاء من حوله ، نقيا يكاد يبعث الحنان فيما يحيط به من الاشياء . وكان كل شيء مستقراً لا يضطرب فيه الا هذا الصوت العريض النقي والا هذه الذراع التي ترتفع بالمعول قوية ثم تهوى بها عتفرة ثم تدعه الى المسحاة فتغرف بها التراب في المكتل ، والا هذا الغلام الناشيء يرقب حركة أبيه ويسمع صوته ورد عليه رجع هذا الصوت كلما وصل في الدعاء الى هذا البيت.

لاهم فلتصدق لنا الاماني

حتى اذا امتلأ المكتل حمله بذراعيه الضعيفتين وأسرع في شيء من الجهد الى خارج المسجد فألقى مافيه ثم عاد وأبوه يرفع المعول في الجو ويهبط به الى الارض ويملأ فضاء البيت بصوته النقي العريض والعرق يتصبب على جبينه ولكنه لا يحس جهدا ولا يجد اعياء . وكانت الشمس قد ألقت على الارض رداء من النور نقيا ولكنه ثقيل همد له كل شيء وأوى له الناس الى بيوتهم يقيلون . وانقطعت له الحركة وخفتت الاصوات الا هذه الجنادب التي يروقها وهج الشمس ويسكرها لهب القيظ فتصدح بالغناء اذا سكت كل شيء ، وقد أخذ الغلام يحس لذع الجوع وحر الظمأ ولكنه لا يقول شيئا بل لا يكاد يفكر في شيء ، انما سمعه وقلبه لصوت أبيه ، وعيناه للمكتل والتراب ، ونشاطه لأفراغ المكتل اذا امتلأ . وهما في ذلك اذا غلام يسعى قد أرسلته سمراء يحمل الى الرجل والغلام شيئا من طعام وشراب ، حتى اذا انتهى اليهما وضع ثقله وقال : مولاى هذا غداؤك وغداء الصبي قد أعدته سيدتي العامرية هيئته بيدها وهي تعزم عليك لتصيبن منه ولترفقن بنفسك ولترفقن على هذا الصبي الحدث : لقد قال الناس جميعا وهدأ كل شيء لهذا الوهج الذي يصهر الابدان ويحرق الجلود وأنت فيما أنت فيه من جد يضني وجهد يهلك لا تقيل ولا تستريح ولا تريح هذا الطفل الذي لم يتعود الجهد والعناء . بعض هذا يبلغك ما تريد . ولكن عبد المطلب لم يسمع للغلام الا بأذن معرضة ، ولم يستقبله الا بوجه مشيح ، انما هو ماض في رجزه واضطراب يده بالمعول ارتفاعا في الجو وهبوطا الى الأرض ، والصبي يتبعه بسمعه وقلبه ، ولكن عينه ربما اختلست نظرة قصيرة ملؤها الجوع والظمأ والنهم الى هذه السلة وما فيها . وربما وقف ذهنه الصغير عن متابعة أبيه وانصرف الى مافي هذه السلة يعدده ويحصيه ويتمثله . أن فيها لشواء غريضا وان فيها للبنا يمازجه عسل هذيل الذي حمله خاله فيما حمل من هدايا البادية حين أقبل يزور أخته منذ أيام . وان فيها لماء عذبا ومن يدرى ؟ لعل سمراء قد نقعت فيه شيئا من زبيب الطائف ، فانها تجيد ذلك وتحسنه . وعبد المطلب ماض في رجزه وفي حركة يديه بالمعول والمسحاة وقد امتلأ المكتل فيهم الصبي أن يحمله ليلقي مافيه ويدنو الغلام يريد أن يعينه في ذلك . ولكن عبد المطلب ينهره نهرا عنيفا

« اليك ياغلام فالهذا الامر الا عبد المطلب وابنه .

ويمضي الصبي بالمكتل ويعود ، ولكن الرجز قد انقطع وذراع عبد المطلب لا تضطرب بالمعول صعودا وهبوطا ، وانما هو مطرق الى الحفرة ينظر فيها فيطيل النظر ثم يرفع بصره الى السماء فيطيل رفعه ثم ، يدير عينه من حوله كأنه يريد أن يلتمس شيئا أو أن يلتمس أحدا . ثم يدعو ابنه في صوت ملؤه الدهش والحيرة والرضى والاشفاق :

« هلم ياحار أنظر أترى ماء ؟ — كلا يا ابت وانما أرى ذهبا وسلاحا ؟ — ومع ذلك فلم أوعد بذهب ولا سلاح ، وانما وعدت بالماء أسقي الحجيج : انوراء هذا الامر لسرا . ولكن هلم يابني فما أرى الا أن الظمأ والجوع قد أجهداك » .

وأقبل الرجل وابنه على السلة فاصابا مما فيها ذاهلين واجمين ما أحسب أنهما وجدا لما يصيبان طعما وأحسا له ذوقا ، يصرفهما عنه هذا الذهب الذي يتوهج في الحفرة وهذا السلاح الذي يظهر أنه كثير ثقيل . حتى اذا فرغا من طعامهما عاد عبد المطلب الى الحفرة فيستخرج مافيها واذا غزالان من ذهب نقي ثقيل واذا سيوف ودروع . فيكبر ويرفع صوته بالتكبير ويسرع اليه أفراد قليلون كانوا قد بدأوا يفدون الى المسجد كدأب قريش حين كانت تخف وطأة القيظ . فاذا رأوا هذا الكنز دهشوا ثم تصايحوا ثم يفيض الخبر فيتجاوز المسجد واذا شباب قريش وشيوخها يقبلون سراعا مزدحمين يسرع بعضهم حب الاستطلاع ويسرع بعضهم الآخر الطمع في الغنيمة ويسرع بفريق منهم باعث ديني غامض فيه خوف وفيه رجاء وفيه اكبار للآلهة وتوقع

للمعجزة الخارقة . حتى اذا توافوا جميعا واستوثقوا من أن عبد المطلب قد وجد كنزا وعرفوا حقيقة هذا الكنز وقوموا ذهبه الخالص وصناعته البارعة وما فيه من سيوف ودروع أداروا أمرهم بينهم . لمن يكون الكنز؟ قال هشام بن المغيرة انما هو لقريش فقد وجد فى المسجد وكل ما وجد داخل الحرم فى أرض عامة فهو لقريش وقال حرب بن أمية : انما هو لبنى عبد مناف خاصة فهم الذين احتفروا وهم الذين ظفروا وما ينبغى لقريش أن تغلبا على خير ساقته الينا الآلهة وتنازع القوم وطال النزاع واختصم القوم واشتدت الخصومة وعبد المطلب صامت مطرق لا ينطق بكلمة ولا يأتى بحركة . هنالك صاح به حرب : مالك لا تقول وانت الذى وجد الكنز وانت أحقنا بان ترى رأيك فيه ! . قال عبد المطلب فى هدوء وأناة ما ينبغى أن يكون الكنز لأحد حتى نستشير الآلهة فما حفرت ولا ظفرت الا بأمر خفى وما أرى الا أن للآلهة فى ذلك ارادة وقدرا لا نبلغهما حتى نسأل الكهان . هنالك وجمت قريش وغضب بنو عبد مناف وانكروا جميعا فى انفسهم أن يشرك عبد المطلب معهم الآلهة فى هذا الكنز الدفين. ولكنهم لم يقولوا شيئ وما كان لهم أن يقولوا شيئا ! ومن الذى يستطيع أن يرد قضاء الآلهة ؟ حمل الكنز ادن الى الكعبة وأقبل القوم الى الكاهن يسألونه أن يضرب بالقداح وها هو ذا يضرب بقداحه ثم يضرب ثم يضرب بين قريش والكعبة فتخرج القداح للكعبة ثلاثا ويصيح عبد المطلب لقد ظهر قضاء الله فليكن ما أراد ! تفرقوا يامعشر قريش . . تفرقوا يا بني عبد مناف فليس لأحد منكم فى هذا الكنز نصيب . أما هذا الذهب فسيضرب صفائح على باب الكعبة ، وأما هذه السيوف فستعلق عليها ، وأما هذه الدروع فستدخر فى خزائنها . ثم التفت الى ابنه وقال هلم ياحارث اتبعني لنمض فيما كنا فيه وتفرقت قريش وفى صدورها غل وحنق . ولكن ثلاثة نفر من أهل الظواهر انتحوا ناحية وأقاموا يرددون الطرف بين الكنز والكعبة وعبد المطلب. ثم انصرفوا وقد فهم بعضهم بعضا . وأصبح الناس ذات يوم واذا الكعبة قد جردت مما علق عليها من ذهب وسلاح .

وراح عبد المطلب مع المساء الى أهله محزونا مكدودا راضيا مع ذلك لم يفارق قلبه الأمل . فاستقبلته سمراء فاترة لم تسع اليه ولم تبتسم له . ولكنها لم تعرض عنه ولم تتجهم له . فلما سألها عن هذا الفتور أطالت الصمت وألح فى السؤال . قالت : وبم تريد أن أبتهج ولم تريد أن أبتسم ؟ لقد علمت منذ زفنى أبى اليك انى قد تزوجت رجلا لا كالرجال . لقد أحببتك ولكنى أنكرتك . لقد أملت فيك ويئست منك . ثم عاد الى الأمل أول أمس ثم ها أنت ذا ترد الى اليأس مظلما حالكا قبيح الوجه بشع المنظر كأنه الغول . ماذا!؟ يلم بك الطائف أربع ليال يهيب بك ويلح عليك رامزا حينا مصرحا حينا مصراً دائماً حتى اذا اذعنت لأمره وانتهيت الى ما سبق اليك من خير وادخر لك فى الارض من غنى زهدت فيه وانصرفت عنه واشفقت أن تسلمه الى قريش أو الى عبد مناف . فيقال « القى بيده ونزل عن غنيمته فصرفت ذلك عنك وعنهم الى هذه البنية تحليها بالذهب وتعزها بالسلاح ! وماذا تصنع الاحجار القائمة بذهبك وسلاحك!؟ لله أنتم يامعشر قريش!؟ انكم لتكبرون من هذا البناء المنصوب مالا نكبر نحن في البادية ولولا حاجاتنا ومنافعنا لما هبطنا الى بطاحكم هذه حاجين ولا معتمرين ولكنكم قوم ضعاف تكبرون مالا يكبر ويغركم أن أفئدة الناس تهوي اليكم تحسبونهم يقبلون اليكم بالدين وينصرفون عنكم بالطاعة ، وانما يقبلون عليكم بما عندهم من عروض . وينصرفون عنكم بما تحملون لهم من الآفاق .. هلا طاولت قريشا وانتظرت بهذا الكنز حتى تروح الى ، لقد كان فيه غنى لك ولهذا الصبي الذى تمنيه وتضنيه منذ ألم بك ذلك الطائف . هلا تريثت واصطنعت الاناة اذاً لاحتويت الكنز ولأصبحت أغنى قريش وأكثرهم مالا ولما استطاع بنو عبد شمس ان يكاثروك بما يملأ خزائنها من الدراهم والدنانير . اذاً لأقبلت اليك بنو عامر بقوتها وبأسها فاعزتك ومنعتك من قريش ولكنك أشفقت وملأ قلبك الفرق وعبثت بنفسك بقية من كبرياء فأفقرت نفسك وقضيت على ابنك هذا أن يكون دون بنى حرب ثروة ومالا . قال عبد المطلب محزونا : هونى عليك يا سمراء وأقلى اللوم فما أرى انك تفقهين مما ترين شيئا . لا أحب لوجهك هذا النضر أن تعلوه غبرة الحرص على المال وما أحب لصوتك هذا العذب أن تشوبه مرارة الحديث عن المال . وما أرضى لك وان نسلتك أشراف بني عامر أن تمضي من أمر قريش ان فيكم أهل البادية لطباعاً غلاظا ونفوساً يملؤها الطمع أنتم لا تحسون الدين ولا تقدرون الغيب ولا تؤمنون الا بما ترون ولا تخافون الا القوة الظاهرة . لقد كنت أحسب أن مقامك الطويل بمكة قد غير نفسك بعض الشىء فاذا أنت اليوم كما كنت يوم انحدرت من بادية نجد الى هذه البطحاء . هونى عليك ولا تشغلى نفسك بما لست منه فى قليل ولا كثير . لقد أمرنى الطائف أن احتفر ووعدنى أن أجد الماء لأسقى الحجيج لا أن أجد الذهب لأغنيك وأدخل الخصب على بني عامر . فليس هذا الذهب لى ولا لقريش وانما مخبوء لأمر يراد واني لمن قوم لا يحبون الغصب ولا يستأثرون بما ليس لهم ولا يعتدون الحقوق ، فان تكن غلظة الاعراب وجفوة البادية وجحودها قد شاقتك فدني رحالك غداً والحقى باهلك فهم أحق بك وأدنى اليك . قال ذلك ونهض مغضبا وتركها واجمة بهذا الحديث العنيف تقاوم غيظا لم يلبث أن استحال الى دموع غلاظ تحدرت على خديها كأنها لؤلؤ العقد قد خانه النظام .

وارتفع صوت عبد المطلب بالتكبير حتى امتلأ به المسجد وفاض من حوله وحتى اضطربت له مجالس قريش فى أفناء البيت فخف الناس اليه وهم يقولون : ماترى ابن هاشم هذا الا مطروقا يلقى من الجن شططا ويريد أن نلقى منه شططا . اقبلوا اليه سراعا يزدحمون وقد آلي اشرافهم لئن وجدوه قد ظفر بكنز أو عثر على غنيمة ليغلبنه عليها وليعطنه منها نصيب رجل من قريش وانتهوا اليه . وهو يكبر ويصيح هذا طي اسماعيل هذه بئر زمزم ، هذه سقاية الحاج ، لقد صدق الوعد وتحقق الأمل .

فنظروا فاذا عبد المطلب قد وجد الماء ، واذا هو يستقى فيشرب ويسقى ابنه ، ويرسل الماء بيديه من حوله كأنه يريد أن يسقي الارض والهواء والناس . هنالك ابتسموا له ورفقوا به وقالوا: لقد بررت بقومك ياشيبة وانبطت لهم هذا الماء يستقون منه اذ ضنت عليهم الينابيع فوصلتك رحم ، لنعرفن لك قريش هذه اليد . قال ما أنتم وذاك ؟ هذه بئرى قد حفرتها ، وكشفت طيها بأمر هبط الى من السماء . وهذا شرب ساقه الله الي سأسقيكم منه ان أردت . ولكني أسقى الحجيج منه قبل أن أسقيكم فبذلك أمرت وأنا على ذلك قائم . قالوا يا ابن هاشم انك لتسرف على نفسك . وتشط على قومك وتختلق على السماء . ان هذه الارض ليست لك وانما هى لله ثم لقريش ، وان كل ماوجد فيها فهو لله ثم لقريش ، وانا لم نشهد أمر السماء حين تنزل اليك ومتى تنزل أمر السماء على الناس الا من طريق الكهان . فأين الكاهن الذى أمرك أن تحتفر ؟ قال : يا قوم خلوا بينى وبين الماء . فوالله لن تبلغوا منى شيئا انكم تكثرونني بعددكم وعديدكم . ولكن الذى أمرني باستنباط هذا الماء حرى ان يردعنى كيدكم ويحميني من ظلمكم . انكم تستضعفونني حين ترون أني ابو واحد ولكن الذى سخرني لهذا الأمر خليق أن يمنحني من الولد من أكاثركم به واني أقسم لئن منحنى من الولد عشرة ذكورا أراهم بين يدى لأضحين له بواحد . وسمع بنو عبد مناف مقالة عبد المطلب فثارت نفوسهم وتعصبوا له وقاموا من دونه يردون عنه عدوان قريش وكاد الشر أن يقع بين القوم ولكن عبد المطلب قال : ياقوم فيم قطع الارحام وحفر النعم واراقة الدماء ؟ اني والله ما أوثر نفسي من دونكم بشيء فان أبيتم أن تؤمنوا لى فهلم الى حكم فليقض بيننا . قال الملأ من قريش لقد أنصفكم ابن أخيكم من نفسه . فليكف بعضكم عن بعض ولنحتكم الى كاهنة بني سعد هذيم فما نعرف ابصر منها بمواقع الحكم .

وكانت قافلة قريش تتجهز للرحلة الى الشام فأجمع القوم أن يصحبها رسلهم الى الكاهنة في معان . فلما فصلت العير صحبها عبد المطلب فى عشرين من بنى عبد مناف وأرسلت قريش معها عشرين من بطونها المختلفة ومضى القوم ترفعهم النجاد وتحطهم الوهاد حتى طال بهم السفر ونفد ما كان معهم من ماء واشتد بهم الظمأ وأحرق أكبادهم الصدى وغدوا ذات يوم فى فلاة مبسوطة يحار فيها الطرف دون أن يهتدى الى أمد ليس فيها عين ولا بئر ولا شجرة ولا عشب وانما هى أرض ملساء جرداء تقع عليها أشعة الشمس الملتهبة فتلهبها تحت الاقدام وقد يئس القوم من كل روح وقنطوا من كل وجهة فاجتمعوا يتشاورون . قال قائل منهم ياقوم انما هو الموت فأنتم بين اثنتين : اما أن تموتوا ضيعة وتصبح أجسامكم نهباً لسباع الارض والجو لا تواريكم يد فى التراب ولا تؤوى نفوسكم الى جدث تطمئن فيه واما أن يقوم بعضكم على بعض ويوارى بعضكم بعضا فيكون لكل منكم حفرته ونعرف نفوسكم اذا هامت فى الفضاء الواسع وألمت بأطلها في بطاح مكة وظواهرها كيف تهتدي إلى أجسادها فتلم بها وتسكن اليها . والرأى أن يحتفر كل منكم حفرته ، وان تقيموا فأيكم ذهب الصدى بنفسه ، وراه أصحابه وبكوا عليه . فلا يذهب منكم ضيعة الا رجل واحد تمتد به الحياة الى أقصى أجل . قال ذلك قائلهم ونهض فأخذ يحفر حفرته . وتثاقل القوم بعض الشيء يفكرون فى أولادهم وآخرتهم ويذكرون مكة ومن تركوا فيها من أهل وولد ومال . ويذكرون الشام وينظرون الى ما كانوا يحملون اليها من تجارة ويفكرون فيما كانوا ينتظرون أن يحققوا فيها من ربح . وتقدم رسل قريش الى الكاهنة يتلاومون فى البئر وفى خصومتهم لصاحب الحق. ثم ينهضون والموت يثقل نفوسهم فيعمد كل منهم الى سنان يخط به حفرته فى الارض .

كل ذلك وعبد المطلب ساكت ساكن لا يقول ولا يومئ ، ولكنه نهض فجأة وقال بصوته العذب العريض : يا معشر قريش ما أعجزكم ! ها أنتم أولاء تلقون بأيديكم وتنتظرون الموت وتقطعون ما بينكم وبين أهلكم وولدكم من أسباب الحياة ، وان فيكم لبقية من قوة وان فى ابلكم القدرة على الحركة وفضلا من النشاط لا والله ما أنا بمسلم نفسى للموت حتى يكرهني عليها ، هلم فاضربوا في هذه الأرض فلعل الله أن يجد لكم من هذا الضيق فرجا » ووقعت ألفاظ عبد المطلب هذه من نفوس الناس موقع الغيث واذا الآمال تحيا . واذا النشاط يتجدد واذا القوم ينهضون الى رواحلهم واذا هم يؤثرون أن يتخطفهم الموت على أن يسعوا هم اليه وينهض عبد المطلب الى راحلته حتى اذا جلس عليها وزجرها نهضت به وهمت لتندفع ولكن ماذا ! ماذا يسمع القوم ؟ ماذا يرون ؟ هذا عبد المطلب يصيح بأعلى صوته مكبرا وهم يتفتون فاذا عين غزيرة قد انفجرت تحت خف الراحلة واذا هى تفور واذا الماء ينبسط من حولها فينقع غلة الارض المحترقة قبل أن ينقع غلة القوم الظماء !

هلم يا معشر قريش الى الماء الرواء ! قد فجره الله لكم من الصخر الصلد . هلم فاشربوا واسقوا ابلكم واملأوا مزادكم هلم فانعموا بهذا الماء الصافى النقى البارد فى هذه الفلاة القاحلة المحرقة .

والقوم يضجون بالرضى والغبطة وان للابل من حولهم لأطيطا ملؤه الرضى والغبطة أيضا . ومن ذا الذى زعم أن نفوس الناس وحدها هى التي تجد اللذة والألم وتشعر بالسرور والحزن . روى الناس ورويت الابل ، ورويت الارض وقالت رسل قريش لعبد المطلب عد بنا ياشيبة الى مكة فقد قضى علينا وان الذي نجاك في هذه الصحراء وأنقذنا بك من الهلاك هو الذى سقاك فى مكة وساق اليك ما تروى به الحجيج

وأقبل البشير على سمراء ينبئها بان زوجها قد عاد اليها سالما موفورا مظفرا . فقالت وعلى ثغرها ابتسامة الكئيب المحزون : « حبذا شيبة مسافرا وحبذا شيبة مقيما ! ولكن شيبة لن يخلص لى منذ اليوم . انه لا يريد كثرة الولد . وأي نساء قريش تستطيع أن تمتنع عليه . ثم أشرقت شمس الغد على عبد المطلب وهو يسعى الى عمر بن عائذ المخزومى ليخطب اليه فاطمة وهى ام جماعة من ولده بينهم عبد الله

طه حسين

صديق الكلاب

بقلم احمد حسن الزيات

شرب عبد الواحد [1] وسقانا ثلاثة أقداح من الشاى العطر . ثم أطلق من حنجرته القوية جشاءة طويلة عريضة كخوار العجل ، ثم حضأ النار بأنامله وشبع ضرمها فى بقية الفحم ؛ ثم أشعل منها (سيكارته) العربية وأرسل فى رفق دخانها الرقيق الادكن . وبانت على معارف وجهه شهوة الكلام . وكان كلبي الصغير قد لاذ من قرس البرد بجانب للموقد ، فهو ينطوى وينتشر تبعا لما يغلب على جو الغرفة من نفخ النسيم أو لفح اللهب . فرأيته يطيل النظر اليه فى طرف ساكن ووجه ساهم . فقلت له مداعبا : لعلك ذكرت بالكلاب حبيبتك وهي فى خبائها بين كلابها وشائها . فابتسم ابتسامة العذراء الخفرة وقال : الحمد لله ماذكرت على فترى حياة البر [2] مذ هجرته ، ولكنى ذكرت رجلا كان فى بغداد يدعى (أبا الكلاب) . فسألته وما حديث أبي الكلاب هذا ياعبد الواحد ؟ فلمع فى عينيه البشر؛ لان سروره كان فى أن يتحدث وتسمع . وذهب به شيء من التيه لأن شعوره بانه يعلم مالا تعلم يرفعه قليلا فوق قدره ، لذلك تراه عند الحديث يجلس جلسة النظير، ويلهج لهجة الامير، ويقرر تقرير العالم .

قص على هذه الاقصوصة وهو منها على يقين جازم ، وما كان أسرنى وأسرك لو استطعت أن أنقلها اليك بلغته الجلية التى تأخذ من لحن بغداد ومن لحن البادية . على أنى سأحاول ما أمكنني القدرة أن أترجمها ترجمة صادقة تكشف عن أثرها فى نفسه وفعلها فى نفسى

***

كان فى بغداد منذ خمسين عاما أسرة كريمة تعتز بنسب العرب من جهة الاب . وتتصل بنسب الترك من جهة الأم فهى مزاج معتدل من عقليتين متباينتين لا يجمع بينهما غير الدين . والدين فى مثل هذه الحال يكون أوثق عقدا وأمتن أسبابا لقيامه مقام الجنسية الجامعة والعصبية القريبة؛ فالوالدان صالحان تقيان لا يفهمان من العروبة الا النبوة والقرآن ، ولا من التركية الا الخلافة والسلطان ، ولا يعرفان عن بغداد وفروق الا أنهما بلدان فى وطن واحد ، والولدان جيلان باران يكبر الذكر منهما الانثى بخمس سنين ، وقد درجا معا من مهد الفضيلة، ثم ترعرعا فى حنان الابوين على كفاف من العيش يؤتيه متجر غير نافق .

لم يشغل عبد الواحد باله كثيرا بتفصيل حياة هذه الاسرة الصغيرة . فكان كلامه عنها مرسلا مجملا لا يحلل طبيعة شخص ، ولا يحدد تاريخ حادث ، ولا يعين مكان منزل، حتى أسماء الاب والابن والبنت لم يجد فى ذكرها مايفيد الحديث ! .

فهو يحذف مايزعمه فضولا ويسير قدما الى هيكل الموضوع وعقدة الحادث ، فيقول ان الغلام كان عمره اثنى عشر ربيعا حينما صحب خاله الى الاستانة . والاستانة يومئذ كانت منتجع الخواطر ومهوي القلوب الطامحة الى السطوة أو الثروة أو العلم . فهل كانت هجرته الى دار الخلافة تثقيفا لنفسه ، أو تخفيفا عن أبيه ، أو مساعدة لخاله ، على تدبير متجره وماله ؟ كل ذلك يجهله راوى الحديث فما يعلم الا أنه شدا شيئا من العلم فى احدى مدارس القسطنطينية تحت عين وليه وعونه ، ثم اندفع فى غمار المدينة الصاخبة يداور الامور ويتلمس المكاسب، ثم أوغل فى مدن البلقان وشعاب الاناضول، حينا فى خدمة الجيش، وحينا فى طلب العيش حتى انقطع علم ما بينه وبين أهله .

كان الغريب النازح يهاجم الاخطار فى كل فج ، ويصارع الاقدار فى كل لج، وكل همه أن يجمع من المال مايضمن له ولاسرته خفض العيش فى ظلال بغداد الجميلة . فلما ملأ الدهر يديه بما أمل كان وا أسفاه وبيته قد أدبر، وربعه قد أقفر، وحلمه قد تبدد !! فان والديه البائسين قد ألح عليهما من بعده الحزن والضر والفقر حتى انطفأ سراجهما فى حولين متعاقبين بعد انقطاع خبره ببضع سنين . وأما البنية اليتيمة فقد حنا عليها بعض ذوي المروءات من أهل البيوتات فضمها الى حرمه ، وواسى يتمها الحزين بعطفه وكرمه .

عاد المهاجر الى وطنه يحمل فى جيبه المال وفى قلبه الآمال فما وطئت قدماه ثرى العراق الذهبي حتى ازدحمت الذكريات على خاطره ، ومرت الحوادث المزعجات أمام ناظره ، ولكن شعوره بلذة العودة الى الارض التى أبصر عليها الدنيا ، والسماء التي تقبل منها الروح ، والهواء الذى رف عليه بالصبى، والماء الذي نضح قلبه بالنعيم ، والاسرة الحنون التى يراه اليها الشوق . والمستقبل الباسم الذى ينتظره فى بغداد . قد شعب فؤاده وشفى كبده ومسح مابه .

عرف المحلة والدار بعد لأى لطموس المعالم القديمة . ثم قرع الباب بيد مرتجفة فاذا المالك الجديد يخرج اليه ! فاقبل عليه المسكين لهفان ضارعا يسأله : هنا كان مهبط نفسى فاين أبى ؟ وهنا كان مسقط رأسى فاين أمى ؟ وهنا كان لى مهد وأخت وملعب وجيرة ، فقل لى بربك ياسيدى اين عمل بكل هؤلاء القدر ؟ وكان بين المسئول والسائل حوار قصير عرف منه البائس أن ريح المنون قد عصفت بأهله . فارتد الى الفندق لا يملك دمعه ولا قلبه ، ثم قضى حينا من الدهر ذاهب القلب يكابد غصص الكرب ويعالج مضض الهموم حتى رأم الزمان والايمان جروح صدره .

***

(١) عبد الواحد رجل بدوى كان يقوم على خدمتى وانا ببغداد

(٢) بريد الصحراء

وقع فى نفس الوحيد الحزين ان يتزوج ليعيد الى سجل الوجود أسم أسرته فاقترحت عليه جارة له عجوز أن تخطب اليه فتاة يقولون ان بينها وبين بنى فلان عاطفة رحم . ويؤكدون أنها تنزع الى عرق كريم لطبعها المهذب وجمالها المحتشم فاطمأن قلب الخطيب الى رأى الخاطبة واختلفت العجوز بينه وبين ولى الفتاة حتى تم الوفاق وسمى الصداق وعينت ليلة الزفاف .

زفت العروس الى زوجها فبهره ما رأى من جمال واحس من ظرف وسمع من أدب ، فافتر فى وجهه السرور وحمد الله على حسن توفيقه ، ثم انقضى شهر العسل على خير ما يجد زوج من زوجه . وفى ذات ليلة تجاذب العروسان اطراف السمر وشققا بينهما الحديث حتى افضى الى علاقتها بوليها فلان (بك) فاحب الزوج ان يعرف درجة القرابة بينها ، فنضت الفتاة من طرفها ، وشاعت حمرة الخجل فى وجهها ، وقالت فى صوت خافت متهافت من الخزى والخوف: الحقيقة ان ليس بينى وبين هذا الرجل قرابة ! ! وانما هو نبيل محسن آوانى وربانى بعدما فجعنى البين فى أحى ، والموت فى أبى ، وأما يومئذ فى حدود الثانية عشرة . ثم تتابعت الاسئلة من الزوج ، وتسارعت الاجوبة من الزوجة ، وكان كلما انجاب عن خبايا الغيب حجاب امتقع لونه واقشعر بدنه ، واشتد وجيب قلبه ، وكانت هى كلما رأت منه ذلك نسبته الى انخداعه فى أصلها فمضت تفصل المأساة وتصور الفاجعة بالكلام والدمع ، عسى أن تعطف قلبه على مصابها ، فلا يفكر فى طلاقها وعذابها ، ولكنها لم تكد تمس الحجاب الاخير حتى رأت زوجها قد تفزع شعره وانتفخ سحره وارتعدت أطرافه ، ثم انفجر صارخا يهذى : واويلتاه ! وامصيبتاه ! لقد تزوجت أختى ! .... ثم خر مغشيا عليه . فلما ثاب اليه بعض رشده نظر الى أخته فوجدها فاقدة الوعى فتركها وابتدر الباب وخرج مسرعا لا يلوي على شيء ولا يلتفت الى أحد ! .

. . .

خرج طريد القدر من بيته خروج (أوديب الملك [1]) من قصره ، ثم هام فى الطرق الضيقة المتشابكة يسأل الرائح والغادى عن مفتى بغداد ، فلما أدخل عليه باح له بسر الخطيئة فهول عليه الركن بعقابها ، وبالغ فى جرائرها وأعقابها . ثم أفتاه بعد الاستشارة والاستخارة والرؤيا ان الله لا يكفر هذا الجرم الا اذا صدف عن متاع الحياة ، وخرج عن أثيل الملك ، واستتر بأخلاق الثياب ، وقضي بقية عمره فى جمع الخبز للكلاب الشوارد !

ادعن الخاطىء البريء لحكم الفقيه الاحمق ونزل للزوجة الاخت عما يملك ، وارتدى طمرا من غليظ الكرباس وحمل على عاتقه مخلاة

(١) فى الأساطير اليونانية ان اوديب الملك نفى عليه أن يقتل أباه ويتزوج أمه فلما نفذ القضاء على غير علمه فقأ عينيه وخرج من طيبة هائما تقوده ابنته انتيغون

« البقية على ص ٣٢ »

« بقية المنشور على صفحة ٢١ »

ويستند فى خلود أقواله هو [1] . أيها الشعر انه يسخر من رموزك الموقره وأنت للمفكرين الحقيقيين موضع الحب الذى لا يفنى .

—١٠—

كيف تصان الافكار العميقة ما لم تتجمع نيرانها فى ماستك النقية التى تحفظ سناها المتركز تلك المرآة الصافية الوهاجة المتينة — بقايا مايبيد من دول — ذلك الحجر الخالد الذى تعثر به اقدامنا عندما نبحث عن انقاض المدن الفانية فلا تجد لها من أثر .

—١١—

أيتها الماسة الفريدة ليضىء شعاعك للعقل الانسانى مواضع خطواته البطيئة المتخلفة . ليضمك الراعى على قمة منزله لكى نستطيع أن نرقب عن بعد الشعوب تطوى سبيلها . لما يصح النهار وما نزال عند أوائل أشعته الفضية التى تسبق بزوغ الفجر وتميز أفق السماء من مستوى الارض .

—١٢—

ما تكاد الشعوب تفطن لنفسها وسط حشائش العوسج التى نبتت حولها وهى غارقة فى سباتها . ها قد أخذت أيديهم المتضافرة تشق سوقها لصنع الجهاز الأول [2] . ما تزال البربرية تمسك أقدامنا فى غمدها . وما يزال رخام الازمنة الساحقة يغلنا الى ما فوق خواصرنا . ما أشبه كل رجل نشيط بالاله « ترميس [3] » .

—١٣—

على أن روحنا الوثابة تفيض بالنشاط ، فلنشق الحجب عن مكنون قواها والمكنون موجود وان توارى عن النظر . للنفوس عالم تجمعت به كنوزها وان لم نستطع لها لمسا . بين احضان الله تضام الوحود وفى منطقه تركزت حكمة البشر كما تركزت أجسامنا فى فضاء الأرض .

محمد عبد الحميد مندور
ليسانسيه فى الآداب

(١) قصد بذلك لامرتين .

(٢) ماذا يريد أن يقول الشاعر وما معنى الجهاز الاول أمر تحيرت فيه ألباب الشارحين وأما هنا أعرض رأيى كما أبديه لاحد الاساتذه وسربه وتتخلص فى أن الشاعر يعطينا تشبيها تمثيليا أحد طرفيه الانسان وهو غارق فى الجهل الذى طغى عليه وهو نائم والطرف الآخر جماعة من الناس ناموا وفى أثناء نومهم نما حولهم العوسج حتى غطاهم فلما استيقظوا أخذوا من فورهم فى أعمال الفأس أى الجهاز الاول لحصد تلك الحشائش فالجهاز من جهة التجريد هو عقل الانسان الذى يعمله فى الجهل ليحصده ومن جهة التجسيم هو الفأس التى تحصد الحشائش .

(٣) فى هذه الفقرة تظهر قدرة الشاعر على استنباط المعانى والصور فكلها مستوحاة من تمثال الاله « ترميس » له المعبود عند الرومان فلقد بلغ من احترام حق الملكية عند الرومان ان كانوا يحدون أملاكهم بتمثال اله حتى يسكون نصيب من يتعدى غله اشقاء الايدى وكانوا يمثلون هذا الآله نصفه الاعلى صورة رجل ونصفه الاسفل قاعدة من الرخام . فتصور الشاعر الاله رجلا حبسنا نصفه الاسفل فى رخام ومن ذلك شتق معانيه فنحن غارقون فى الجهل الى ما فوق خواصرنا كالاله « ترميس » وكل رجل نشيط يشبه الاله « ترميس » فى أن نصفه الاسفل مسجون فى بحار الجهل كما أن نصف ذلك الاله مسجون فى الرخام والجهل يمسك أقدامنا فى غمده كما يمسك الرخام ذلك الاله .

مدام دی لوزی

بقلم اناتول فرانس

من « علبة الصـــدف »

— ١ —

دخلت فمدت بولين دی لوزی إلى يدها . ثم لزمنا الصمت حينا. وكانت قد ألقت فى شىء من الاهمال على أحـد الـكراسى طرحتها وقبعتها من الخوص

وفتحت على المعزف صلاة أورفيه . ثم دنت من النافذة ، ونظرت الى الشمس تهبط فى الافق الدامى . فقلت لها آخر الأمر ، أتذكرين الـكلمات التى نطقت بها منذ عامين يوما بيوم ، فى أسفل هذا التل ، وعلى شاطىء هـذا النهر الذى تديرين اليه عينيك الآن ؟ أتذكرين انك ، وأنت تديرين حولك يدى المتنبئة ، قد أريتنى معدما أيام المحنة ، أيام الجرائم والهول ؟

لقد وقفت على شفتى اعلان حبى اليك وقلت : «عش ، وجاهد فى سبيل العدل والحرية ! » سيدتى ، لقد مضيت جريئا منذ دلتنى على الطريق يدك الى أغمرها كما كنت أحب بالدموع والقبل . لقد أطعتك ، فـكتبت ، وخطبت . أنفقت عامين أجاهد فى غير هوادة أولئك الاغمار الجياع الذين ينشرون الاضطراب والبغض ، والزعماء الذين يسحرون الشعب بهذه المظاهر العصبية يصورون بها حبا كاذبا ، والجبناء الذين يضحون فى سبيل الفوز القريب .

فاضطرتنى الى الصمت بحركة من يدها وأشارت أن استمع ! هنالك سمعنا فى ثنايا الهواء المطر ، هواء الحديقة حيث تصدح الطير ، صيحات بالموت تأتى من بعيد : «الى المشنقة أيها الأرستوقراطى !.. ليوضع رأسه على الرمح ! » .

وكانت شاحبة ، سا كـنة قد وضعت اصبعا على فمها .

قلت ، انما هو الطلب يجد فى اثر أحد البائسين . فهم يهاجمون الدور ويقبضون على الناس نهارا وليلا فى باريس . ولعلهم يدخلون هنا . يجب على أن أنصرف حتى لا اعرضك للشر . فمع أنى لا أكاد أعرف فى هذا الحى ، فأنا فى هذه الايام ضيف خطر .

قلت : أقم !

وللمرة الثانية مزقت الصيحات الهواء الهادىء فى المساء . وكان يخالطها وقع الخطى وطلق النار. كانوا يدنون وكنا نسمع : « سدوا المنافذ ، لايفلت الوغد ! »

وكانت مدام دی لوزی ظاهرة الهدوء ، يعظم حظها منـه كلما قرب الخطر .

قالت لنصعد الى الطبقة الثانية ؛ فقد نستطيع أن نرى من ثنايا النافذة ما يحدث خارج البيت .

ولـكنها لم تـكد تفتح الباب ، حتى رات فى الدهليز رجلا ممتقعا مختلط الهيئة ، تصطك أسنانه ، وتصطدم ركبتاه من الاضطراب . وكان هذا الشبح يغمغم بصوت مختنق : انقذونى خبئونى ! . . . هاهم أولاء .. لقد اقتحموا بابى ؛ واغاروا على حديقتى .. هم يدنون..

— ٢ —

عرفت مدام دی لوزی « بلونشونيه » الفيلسوف الذى يسكن الدار المجاورة ، فسألته فى صوت شديد الخفوت :

هل بصرت بك طاهيتي ؟ فهى يعقوبية !

أجاب لم يرنى أحد .

قالت الحمد لله ، أيها الجار !

ثم قادته الى غرفة نومها حيث تبعتها . ولم يكن بد من الحيلة ، ولم يكن بد من أن نجد مخبأ تخفى فيه «بلونشونيه »أياما ، أو ساعات على الاقل ، حتى تخدع الطالبين وتتعبهم . واتفقنا على أن اراقب المسالك الى البيت حتي اذا آذنتها انسل الصديق البائس من باب الحديقة الصغير .

ولم يكن فى اثناء ذلك يستطيع أن يثبت على قدميـه . كان رجلا مصعوقا.

وحاول أن يفهمنا أنهم يجدون فى طلبه ، هو عدو القسيسين والملوك ، لانه إئتمر بالدستور مع مسيو « دی كزوت » وأنضم فى ١٠ اغسطس الى المدافعين عن قصر التويلري. ولم يكن هذا كله الا اتهاما دنيئا . انما الحق أن «لوبان » كان يتبعه بحقده وموجدته ؛ كان لو بان جزاره ، وكثيرا ما هم أن يضربه بالعصى ليأخذه بأن يحسن وزن اللحم، ولـكنه الآن يرأس لجنة الحى الذى يقوم فيه حانوته .

وبينا هو يغمغم بهذا الاسم مختنق الصوت ، خيل اليه انه يرى لوبان نفسـه ، فأخفى وجهه بيديه . وكان لوبان يصعد حقا فى السلم . فأحكمت مدام دی لوزی رتاج الباب ودفعت الشيخ خلف ستار .

ودق الباب ، وعرفت بولين صوت طاهيتها ، التى كانت تصيح بها أن افتحى ، وان لجنة البلدية بالباب ومعها الحرس الوطنى ، يريدون أن يفتشوا ، يزعمون أن بلونشونيه فى البيت ، وأنا واثقة بأنهم مخطئون ، فما كنت لتخفى وغدا كهذا ، ولـكنهم لايريدون تصديق.

فصاحت مدام دی لوزي من وراء الباب حسن ! فليصعدوا ! أطلعيهم على البيت كله من أسفله الى أعلاه .

وسمع البائس بلونشونيه هذا الحوار فأغمى عليه خلف ستارة ، ولم ترد عليه الحياة الا بعد مشقة حين نضحت صدغيه بالماء . فلما أفاق قالت الغادة للشيخ فى صوت خافت : اعتمد على صديق ، واذكر أن النساء مكرة .

ثم اقبلت في هدوء ودعة كما لو كانت تعانى بعض شؤون البيت الى السرير ، فجذبته من مكانه قليلا، وفضت الغطاء واستعانت بى فهيئت بين وسائده الثلاث فراغا مما يلى الحائط .

وبينا هي في ذلك اذا ضجيج عظيم للاحذية ، والقباقيب ، والكرانيف والأسواط الثلاث يسمع في السلم . فقضينا ثلاثتنا دقيقة ملؤها الروع ، ولكن الضجيج صعد قليلا قليلا فوق رءوسنا . فعرفنا أن الحرس قد بدأوا بقيادة الطاهية اليعقوبيه يفتشون على البيت . وكان السقف يضطرب ، وكان يسمع للقوم نذير ، وضحك غليظ ، وضرب بالأرجل والحراب في الجدران . فتنفسنا ولكن لم تكن في الوقت سعة . واعتنت بلونشونيه على أن يدخل في الفراغ المهيأ بين الوسائد .

وكانت مدام دى لوزى ، تهز رأسها وهى تنظر الينا . فقد كان للسرير بعد هذا العبث شكل مريب . فحاولت ان ترده الى هيئته الأولى ، ولكنها لم تفلح .

قالت : لا بد من أن انام فيه . ثم نظرت في الساعة ، فاذا هى السابعة مساء .

فقدرت ان اسراعها الى النوم في هذه الساعة سيبعث الريبة . ولا سبيل الى التفكير في تكلف المرض : فان الطاهية اليعقوبية خليقة أن تفضح هذا المكر .

فلبثت على هذا النحو مفكرة لحظات ، ثم اذا هى في هدوء وبساطة وحياء ، ملؤه الجلال تخرج من ثيابها أمامى ، ثم تدخل في سريرها وتأمرنى أن أخلع نعلى واتجرد من ثيابى وهى تقول : يجب أن تكون خليلى وأن نفاجأ في هذه الحال . فاذا اقبلوا لم تجد من الوقت ما تهيىء فيه زيك وتصلح من شكلك . فتفتح لهم في لبسة المتفضل وقد انتثر شعرك . . .

وكان كل شيء قد تم كما قدرنا حين هبط الحرس الوطنى صاخبا ساخطا .

وأخذ بلونشونية البائس رعشة عنيفة كان السرير يضطرب لها اضطرابا .

وكان تنفسه من القوة بحيث كان يجب أن يسمع من خارج الغرفة .

قالت مدام دى لوزى : يا للخسران لقد كنت شديدة الرضى بهذه الحيلة . وبعد فلا ينبغى أن نيأس فلعل الله ان يعيننا .

واضطرب الباب لصدمة قوية .

قالت : من الطارق ؟

فاجيبت : هم ممثلوا الامة .

قالت : ألا تنتظرون حينا ؟

قيل : افتحى والا كسرنا الباب .

قالت : هلم فافتح ياصاحبى .

وما هى الا ان كانت المعجزة فانقطع اضطراب بلونشونيه وزحيره بغتة .

وكان أول الداخلين لوبان وقد اتخذ منطقته وتبعه اثنتا عشرة حربة .

فأدار بصره بين مدام دى لوزى وبينى ثم قال : بخ ، بخ ! لقد استكشفنا عاشقين ! معذرة أيتها الحسناء !

ثم التفت الى الحرس وهو يقول : انما الاخلاق للثائرين . ولكن هذه للصادفة رغم حكته قد ملأته سرورا .

فأقبل حتى جلس على السرير وأخذ بذقن الحسناء الارستقراطية وهو يقول : نعم ان هذا الفم لم يخلق ليردد في الليل والنهار : أبانا الذى في السماء !

ولو قد فعل لعظمت الخسارة ، ولكن الجمهورية قبل كل شيء . انما نبحث عن الخائن بلونشونيه . هو هنا ، لا اشك في ذلك . لا بد لى منها . لأ تقدمنه لتضرب عنقه . ولأ كونن بذلك سعيدا .

قالت : فتشوا عنه اذن .

فنظروا تحت الاثاث وفي الخزائن ، وادخلوا الحراب تحت السرير ، وجسوا الوسائد بالخناجر .

وكان لوبان ينظر اليه بمؤخر عينه وهو يحك أذنه . فاشفقت مدام دى لوزى أن يوجه اليها أسئلة محرجة ، فقالت : انت تعرف البيت كما أعرفه ياصاحبى . فخذ المفاتيح وطوف بمسيو لوبان بكل مكان . وانا اعلم انك ستجد لذة وسرورا في ارشاد المخلصين للوطن .

فقادتهم الى الكهف حيث نثروا مافيه من حطب وشربوا عددا ضخما من القنانى . ثم شق لوبان بكرقته الدنان المترعة . فلما خرج من الكهف الغارق في النبيذ أذن بالرحيل . فصحبتهم حتى اغلقت من دونهم الباب ، وأسرعت أعلن الى مدام دى لوزى أن قد نجونا .

فلما سمعت هذا النبأ عطفت رأسها الى الفراغ بين السرير والحائط ، ونادت : مسيو بلوشونيه ! مسيو بلوشونيه .

فأجابها رجع نفس ضئيل .

هنالك صاحت الحمد لله ! لقد روعتنى فقد كنت أرى انك قضيت ! . ثم التفتت الى قائلة : مسكين انت أيها الصديق لقد كنت تجد لذة عظيمة في أن تقول لى من حين الى انك تحبنى ، لن تنولها لى بعد اليوم .

رفائيـل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

نقلها الى العربية

احمد حسن الزيات

العالم النسائى

شعورى نحو مصر والمصرية

كاتبة هذا المقال سيدة سويسرية واسعة الثقافة دقيقة الملاحظة صافية الشعور وقد وعدت الرسالة أن توالى الكتابة فى هذا الموضوع فلها الشكر

(المحرر)

مصر اسم يخلب اللب ويسحر القلب ويستثير حتى فى أجفى الناس طبعاً صورة هذا البلد الفاتن والطبيعة الخصيبة والبدر اللامع ويلهم النفوس ذكرى هذا الماضى العريق والمدنية القديمة والعظمة الفرعونية وقصص الف ليلة وليلة الرائعة ، وقد انهكتها جهود المدنية الاولى فاستجمت بعد هذا الشوط البعيد حقبة طويلة من الدهر ما تزال تتذوق فيها خيال هذا الماضى العظيم وسلطانها السالف !

وكم من عاشقين غمرتهم شمسها الضاحكة بالفرح والسعادة ودفء القلوب !

وكم من خياليين جاشت نفوسهم فى ربوعها ومجاليها بالأخيلة السعيدة والاحلام البهيجة !

وكم من مترفين ملأوا فراغ حياتهم وخيالهم بمباهجها ومناظرها وقضوا شهوة التطلع من عجائبها ومن المتناقضات فيها !

أليست تجمع فى الواقع الكثير من هذا التناقض ؟ فيجاور الجاه العريض والرغد الوفير البؤس الساحق والفقر المدقع ؟

ألست ترى السيارات الفخمة ذات الفرش الوثيرة عند مداخل الملاهى والغلمان الضريرين يستدرون الرحمة ويسألون العطف فى أسمال رثة ؟ !

على أن المدنية تسير فيها الآن بخطى واسعة سريعة ففى الحين بعد الحين يبدو بين الناس رأى ناضج أو صناعة رائجة فتكون الدليل الساطع على الفوز والنجاح . على أن كثيرا ما فارت حماسة الناس ثم قرت ، واتقدت شعلتهم ثم خبت ، ما أشد حاجتهم الى ملكة الاستمرار والاستقرار !

ولطالما سئلت عن رأيى وشعورى فى مصر . وكان جوابى واحدا لا يتغير ، انها ككل بلاد العالم فيها الطيب والخبيث ، على أننا اذا قدرنا ان العوامل الاجتماعية وظروف الحياة تخلق الامم كما تخلق الفرد وجب الا يغيب عن أذهاننا تأثير هذه الظروف والعوامل حين الحكم على مصر التى تجاهد الايام لاستعادة عظمة القرون الاولى

فاذا أردت أن أتحدث عن شىء فيها فأنا أتحدث عن أقوى العوامل أثرا فى تكوينها ، وهو المرأة فى مختلف أطوارها وادوارها ومسؤولياتها وواجباتها

وقد يبدو للنظرة الاولى أن أثرها ضئيل ، فما وجه العلاقة والخطر بين هذا المخلوق الخانع قليل الحظ من العلم ومن عظمة الأمة ومجد الوطن ؟

لقد قضيت الآن فى مصر ثلاث سنين شعرت فيها بجاذبية غريزية تجذبنى نحو المرأة ، وأغلب ظنى انها تحتاج الى عناية اكثر وجهد أوفر ، فانها أس الحركة الروحية وجماع الأسرة وروحها الجياشة وشريك الزوج ومربية الاطفال وربة الدار

ولقد استطعت أن أقدر وأنا أعيش فى بيئة مصرية محضة أن المرأة لا تستطيع أن تكون كل ذلك الا اذا بذلت أعظم مجهود وتغلبت على كل صعوبة فانها ما تزال ترسف فى أغلال العادات وتعليمها لا يزال ناقصا ، وشعورها العميق الذى ولده التقليد القديم بأنها مخلوق تافه الشأن ضئيل الوجود يقتل فى نفسها أسمى معانى الحياة

وهى بطبيعتها مقلدة غير مستقلة ، فكم شاهدت سيدات الأسرة الواحدة لا يختلفن فى القناع والمعطف والفراء وقد نبذن عصابة الرأس الشرقية التى كانت تلائم الوجه الشرقى كل الملاءمة

على أن البدء عسير عادة ، والمرأة المصرية ما تزال فى خطوات التطور الاولى ، بل قد يكون البدء فى بعض الأحيان مثيرا للاشفاق والنقد ، فاننا اذا لاحظنا زينتها وتجملها رأينا ما يبعث أحيانا على السخرية ، فليس أضحك من وجه شرقى اللامح زاد الكحل عينيه الدعجاوين سوادا ، وشفتين خضبهما الاحمر القانى ، وشعر قد حاله الاوكسجين الى أصفر فاقع

فنصيحتى الى المصرية العزيزة أن القصد والبساطة فى التجمل والزينة هما سر رشاقة المرأة وأناقتها .

كامل

(يتبع)

اشتراك الفتاة فى الحياة العملية

أنا ان اقدمت على الخوض فى هذا الموضوع فلست أبشر بمبدأ جديد لم تعرفه مصر، أو افتح بابا موصدا فى هذا البلد العزيز فكلنا يعرف ما تقوم به الريفية المصرية من الاعمال فهى والرجل على قدم المساواة فى العمل بل قد تبذه فى كثير من نواحى الحياة مما يقصر عنه باع فلاحنا وتضرب فيه الريفية بسهم عظيم، على اننى بمعالجة هذا الموضوع أريد أن أوجه النظر الى حياة الفتاة المدنية فاستعرض بعض نظمها وأتتبع بعض أدوائها علنى أوفق الى ايصال صوتى اليها

وفى نطاق هذه الكلمة أخرج من دائرتى بنات الطبقة الفقيرة المعدمة فهؤلاء غير ملومات ولا يمكن أن ينسب اليهن أو الى أوليائهن أى تقصير فهن بحكم ظروفهن قد هدتهن الطبيعة الى استنباط وسائل العيش فكن أقدر من غيرهن على خوض غمار الحياة على رغم ما بهن من فاقة وما يحيط بهن من املاق، ولكننا أنظر الى فتاة الطبقة الوسطى وفتاة الطبقة الغنية لأرى هل نظرت احداهما الى الحياة نظرة عملية تتفق وعصرنا الحديث؟

قد ينكر البعض على هذا التساؤل ولكنى أريد أن أصل الى الحقيقة لا يشوبها ملق ولا يموهها خداع، أريد أن أنظر الى اخواتى وأترابى بعين الحقيقة والواقع

حقا ان البعض متعلمات والبعض مقبلات على التعليم ولكنى أرى الكثيرات لا يأخذن الحياة بعلمهن فيمهدنها لمستقبل عملى مجيد. أرى الكثيرات وقد قنعن بقشور التعليم دون اللباب وقبعن فى عقر دارهن مكتفيات ببضع كلمات جوفاء يتشدقن بها خلال التفنن فى التبرج وقضاء الساعات أمام المرآة.

الحق ان مثل هذه النتيجة لا تساوى عناء الدرس وليس فيها لهذا البلد غناء.

هلا كان منهن من نظرن الى أنفسهن والى وطنهن وجعلن من حياتهن متسعا لخدمة الاثنين! ماذا يفيد الأمة وآنساتها متأنقات جميلات ولكن على حساب الرجل التعس الذى يعولهن؟ ماذا يفيد الأمة وآنساتها مستهلكات غير منتجات منفقات ثروات الرجال فى المخازن الاجنبية لقاء ثوب أنيق أعجبهن وأداة زينة استغوتهن؟ أريد أن تستثمر الفتاة العلم الذى تعلمت. أريد أن تشعر الرجل انها لم تعد ذلك الحيوان المدلل الذى يعيش على حسابه ولمتعته. أريد أن تقاسم الفتاة الرجل فى العمل والكسب والتمتع بالحياة. أريد فتاة مصرية عاملة تعمل وتزاحم فى الحياة بالمنكبين تستشعر لذة العمل وتنهض بمصرنا العزيزة وتربأ بنفسها أن تكون قعيدة البيت أسيرة المرآة، أريد الفتاة التى تثأر لحولها الماضى الطويل وتستقبل الدنيا بنفس ملؤها العزم والحزم تزينها الكرامة ويتوجها العفاف.

ترى هل من تستجيب لدعائى؟ ترى هل من تنهض من أجل مصر؟ ان قلب مصر ليخفق، وان مصر لتزخر بالحياة وان هوالا أن نتسابق الى العمل حتى نهز العالم بجلال نهضتنا ونمضى كما بدأنا مصريين لنا نفوس أبية وأيد فتية وأثر فى الحضارة غير منكور

نجية ابو العلا
مدرسة بمدرسة غمرة الابتدائية

صديق الكلاب بقية المنشور على صفحة ٢٨

ومضى يقرع كل بيت ويقصد كل مطعم فيجمع الفتات والخبز ثم يقف بالميدان فيقسمه بالسوية على من اجاب الدعوة من كلاب الحى.

لم يمض غير قليل حتى عرفه الناس وألفه الكلاب فصار يمشى فى الازقة وخلفه منها قطيع، وينام فى العراء وحوله من شدادها حرس مطيع، وعين الوجبة العامة فلا تجد كلبا طليقا فى بغداد الا أجاب نداءه. وتناول من يديه المحمومتين غداءه، ولكن الوالى رأى على طول الزمن أن يدى أبى الكلاب على رعيته عافية وربيع فسمن هزيلها وكثر قليلها حتى اختنق بلهاثها النهار؛ وصم بنباحها الليل، وأصاب الناس من عضاضها وأمراضها شر كبير. فأقام فى ظاهر المدينة حظيرة واسعة ثم أمر الشرطة فصادوا الضوارى وألقوها فيها. فكان أبو الكلاب على عادته يجمع الطعام والعظام ثم يذهب الى ضيوف الحظيرة فيطعمها ويسقيها ثم يتهالك على الارض من اللغوب فيرقد مكانه حتى الصباح.

وفى ضحوة يوم من الايام أولم الوالي لاسراه وليمة السفاح فما نجا من بعدها لاهث ولا نابح، وجاء ابو الكلاب فرأى آلافه الخلصاء على أديم الارض صرعى لا يتملقن بعين ولا يبصبصن بذنب!! فمظع على المسكين أن يرى مثال الصداقة عوت وشبح الجريمة يحيا فتساقط بجانب السور مهدود القوى صريع اليأس ولبث مكانه لا يأكل طعاما ولا يذوق مناماً حتى لحق بربه.

النقد

لاتينيون وسكسونيون

أرضى أم نسخط حين تعنى الصحف السيارة بالأدب والنقد وحين تتفق مع كبار الأدباء والنقاد على أن يحرروا لها ما تحتاج اليه من الفصول فيهما ؟ فى ذلك مايدعو الى الرضى من غير شك فهذه الصحف السيارة منتشرة وهى أشد انتشاراً من الكتب وأدنى الى نفوس الناس وعقولهم والى عيونهم وآذانهم من المحاضرات والأحاديث فهى اذاً تخدم الادب والنقد حين تذيع رسالتهما فى أكثر عدد ممكن من الناس وهى اذاً تخدم الناس حين تنشر فيهم الثقافة الأدبية وترفع دهماءهم الى حيث يستطيعون أن يروا ويذوقوا جمال الأدب الرائع وآيات الفن الرفيع . وهى لهذا وذاك تخدم الأدباء والنقاد أنفسهم لأنها تعرفهم الى اكبر عدد ممكن من الناس فى أقطار مختلفة من الارض فترفع ذكرهم وتعلى قدرهم وتنشر دعوتهم وتكسب لهم الأنصار والمؤيدين وهى بعد هذا كله وقبل هذا كله تخدم نفسها حين تستعين بالأدباء والنقاد على كسب القراء وتستعين برضى القراء على احتكار الادباء والنقاد . كل هذا حق ولكن هناك حقا آخر يظهر أن ليس من سبيل الى الشك فيه وهو أن عناية الصحف السيارة بالأدب والنقد لا تخلو من ضرر، ومن ضرر قد لايكون قليلا . فالأدب والنقد فى حاجة الى الاناة والروية وامعان التدبر واطالة التفكير فاذا لم يظفر الأدب والنقد بهذا كله فهما عرضة للضعف والفتور وهما عرضة للتقصير والقصور وهما عرضة لتجاوز الحق والتورط فى الباطل وهما عرضة بهذا كله للاساءة الى أنفسهما وللاساءة الى الادباء وللاساءة الى القراء أنفسهم . فانما يكون الخير فى نشر الادب والنقد اذا نشرا على وجههما جميلين رفيعين منصفين متبرئين من هذه العيوب التى تفسد جمال الفنون العليا . وأظنك لا تخالفنى فى أن حياة الصحف السيارة وضروراتها وحاجتها القاهرة الى أن تظهر فى نظام وتصدر فى وقت معين وتعطى قراءها ماتعودت أن تعطيهم فى كل يوم أبعد الاشياء عن ملاءمة ما يحتاج اليه الأدب والنقد من الأناة والروية ومن التدبر واطالة التفكير . ولعلك قرأت فى بعض الكتب التى قصت علينا حياة اناتول فرانس وفصلت لنا بعد موته اطرافا من سيرته وأطواره فى حياته الادبية انه شقى بهذا ثم تعوده فسخر منه وازدرى الصحف والأدب والقراء ونفسه أيضاً وعبث بهذا كله . فكان فى بعض الاحيان من أقل الناس عناية بما يكتب للصحف وتحريا فيه للحق ولا سيما حين كان يكتب لبعض الصحف الاجنبية كان يلفق لهذه الصحف أى شىء ويضع اسمه فى آخره ويأخذ أجره على هذا التلفيق ساخراً بالصحيفة وقرائها معتزاً باسمه منتفعاً بما يقع فى يده من المال كل شهر أو كل أسبوع[1]

ويعظم على الأدب والنقد خطر ما تحتاج اليه الصحف السيارة من السرعة والنظام حين لا يكون الادباء الذين يكتبون لها فى الأدب والنقد مقصورين على أدبهم ونقدهم بل تضطرهم ظروف الحياة العامة والخاصة الى أن يتجاوزوهما فيكتبوا فى السياسة أيضا . فهذه السياسة على أنها من حيث هى شر على الادب لأنها تستغرق من جهد الأديب وميوله وعواطفه مقداراً عظيما كان ينبغى أن يخلص للادب ، يشتد شرها ويعظم لأنها تتأثر هي ايضا بحاجة الصحف الى النظام والسرعة وبطوء الاحداث السياسية وتطورها واضطرار الكاتب الى أن يتبع هذا التطور ويسايره ويكتب فى ألوانه المختلفة . فاذا أضفت الى هذا كله أن للأديب أو الناقد حياته الخاصة بقسميها المادى والمعنوى وحياته الاجتماعية التى تضطره الى أن يستقبل ويزور ويجامل ويتقبل المجاملة ، عرفت مقدار الجهد الضئيل الذى تظفر به فصول الادب والنقد فى الصحف من الادباء والنقاد .

خطرت لى كل هذه الخواطر حين قرأت فصلا قيما نشرته جريدة الجهاد الغراء لصديقى الاستاذ عباس محمود العقاد صباح الثلاثاء ١٧ يناير .

أراد الاستاذ العقاد أن ينقد كتاب الاستاذ أنطون الجميل فى شوقى شاعر الامراء . ولم أكن أشك فى أن الاستاذ سيشتد على الكتاب ومؤلفه وعلى شوقى أيضا . فمذهب الاستاذ فى الادب العصرى معروف وأقل ما يوصف به أنه بعيد كل البعد عن الاعجاب بشعر شوقى وعن الاقرار للذين يعجبون بهذا الشعر . وقد أشارك

---

(١) انظر كتاب Anatole France en pantoufles بقلم سكرتيره بردسون ص ٣١٨

الاستاذ فى كثير جدا من آرائه فى شوقى والمعجبين بهما . ولكن الشىء الذى أخاف فيه الاستاذ أشد الخلاف . والذى أكتب من أجله هذا الفصل هو هذه المقدمة التى بسطها بين يدى نقده لكتاب الاستاذ أنطون الجميل . وعرض فيها لما سماه نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين . وأحب ألا يغضب الاستاذ العقاد اذا اصطنعت الصراحة فى بسط رأيى فى هذا الفصل فلعله يوافقنى على أنه فى حقيقة الامر غير راض عن الكتاب ولا مؤمن ولكنه أراد أن يكون ناقدا مجاملا لبقاً فاستعار من اللاتينيين ما يعيبهم به من المجاملة واللباقة فى النقد لم يرد أن يصارح الأستاذ أنطون الجميل بأن كتابه لا يرضيه من كل وجه لأنه حريص على مقدار ولو محدود من المجاملة بين الزملاء . ولم يرد أن يعيد على الناس حديثه فى شوقى وشعره لان شوقى قدمات منذ وقت قصير والنظم الاجتماعية تقضى بشىء من المجاملة للموتى وللذين رزئوا فيهم أشهراً على أقل تقدير . لم يرد هذا ولا ذاك . ولم يكن يستطيع أن يهمل كتاب الاستاذ انطون الجميل فضلا عن أن يقرظه تقريظا خالصاً لان فى هذا أو ذاك ظلماً لرأيه وكتماً لما يعتقد أنه الحق فسلك فى نقده هذه الطريقة الغريبة التى لا تخلو من التواء . اعتذر للاستاذ انطون الجميل بثقافته اللاتينية وأخذه المذهب اللاتينى فى النقد عما تورط فيه من خطأ بين وحكم غير مستقيم على شعر شوقى . ولست أدرى أظفر الاستاذ العقاد بارضاء الاستاذ انطون الجميل أم لم يظفر ؟ أوفق الى مجاملته أم لم يوفق ؟ أوفق الى مجاملة شوقى والذين رزئوا فيه أم أخطأه هذا التوفيق ؟ لست أدرى ولكني أعلم علم اليقين أنه ظلم الثقافة اللاتينية وظلم النقد اللاتينى وظلم قراءه جميعا وأظن أن ارضاء الاستاذ انطون الجميل أو مجاملته لأهون على الاستاذ العقاد وأهون على الاستاذ الجميل نفسه من ظلم العلم والأدب والقراء جميعا .

وأغرب ما فى هذا الفصل الذى كتبه الاستاذ العقاد تناقض لست أدرى كيف تورط فيه . وهو فيما أعلم من أشد الكتاب المعاصرين فى الأدب استقامة فى الحكم وايثارا للقصد وحرصا على الاصابة فى التفكير . بدأ الاستاذ فصله بأن من العسير جدا أن يوفق الناس الى الحق حين يعممون أحكامهم على الأمم والشعوب . وعلل ذلك تعليلاً حسنا مستقيما ولكنه لم يلبث أن التمس لنفسه وسيلة للحكم العام على الأمم والشعوب . بل على ما هو أعم من الأمم والشعوب على الأجناس . فزعم أولا ان للاتينيين مذهبا فى النقد وان للسكسونيين مذهبا آخر وأن هذين المذهبين يختلفان فيما بينهما أشد الاختلاف . وزعم بعد ذلك ان أخص ما يمتاز به المذهب اللاتينى « الاناقة » . وأخص ما يمتاز به المذهب السكسونى « البساطة » أو « الفطرة » . وفسر هذا بأنك اذا قرأت الناقد الفرنسى رأيت رجلا أنيقا لبقاً يتقدم فى أحد الصالونات كأنه الذى ينقده على الاوضاع الاجتماعية المألوفة مجاملا متكلفا وقد يومىء ايماءً خفيفا الى بعض العيوب ولكن على سبيل النكتة أو على سبيل الحيلة فى التماس الدفاع عن هذا الكاتب الذى ينقده أو الرجل الذى يقدمه الى الصالون . أما الناقد السكسونى فهو لا يحفل بالاوضاع الاجتماعية . وانما يهجم بك فورا على الحياة الفردية على الحقيقة الانسانية ، على الرجل من حيث هو رجل لا من حيث هو فرد من جماعة . ومعنى هذا ان نقد اللاتينيين سطحى مخالف لأصول العلم وان نقد السكسونيين هو النقد العلمى الصحيح الذى تجد فيه الفائدة وتجد فيه الغناء . وأنا احب أن يعذرنى الأستاذ العقاد اذا قلت له فى صراحة انى كنت انتظر منه كل شىء الا التورط فى هذا الخطأ الصارخ والظلم المبين .

فليس من الحق بوجه من الوجوه ان الاختلاف بين النقاد اللاتينيين والسكسونيين عظيم الى هذا الحد الذى يتصوره الاستاذ . فليس هناك نقد لاتينى ونقد سكسونى ، وانما هناك نقد فحسب . نقد يعتمد على هذا الذوق الفنى العالى الذى أحدثته الثقافة اليونانية اللاتينية وورثته عنهما الأمم الحديثة على اختلاف أجناسها وبيئاتها . فكل النقاد من الفرنسيين والايطاليين والالمانيين والانجليز قد قرأوا آيات البيان اليونانى واللاتينى وذاقوا آيات الفن اليونانى والرومانى وكونوا لأنفسهم أو كونت لهم هذه القراءة ذوقا عاما مشتركا بينهم جميعا يختلف فى ظاهره ولكنه لا يختلف فى جوهره لأن هذا الجوهر واحد مستمد من هوميروس وبندار وسوفوكل وارستوفان وافلاطون وسيسيرون وتاسيت ومن اليهم . ثم وهذا النقد الحديث يعتمد على أصول أخرى غير الذوق ، أصول تشبه العلم أو تحاول أن تكون علما . وضعها ارسطاليس ومن جاء بعده من نقاد اليونان والرومان وسموها علم البيان . يعتمد النقد الحديث عند الامم الاوربية مهما تختلف اجناسها على هذين الاصلين: الذوق الذى تكونه الثقافة اليونانية اللاتينية ، والعلم الذى وضعه ارسطاليس وأصحابه . وللاستاذ أن يدرس على مهل وفى أناة وروية من شاء من النقاد المحدثين فى أى أمة من الامم الأوروبية فسيرى أن هؤلاء النقاد جميعا يتفقون فى أن نقدهم يقوم على هذين الاصلين اللذين أشرت اليهما . فاذا اختلفوا بعد ذلك فانما يختلفون فى الاشكال والصور باختلاف أمزجتهم الخاصة وباختلاف البيئات التى يعيشون فيها ويكتبون لها

عسير جدا أن يقال اذاً إن هناك نقدا لاتينيا ونقدا سكسونيا وأن هذين النقدين يختلفان فى الجوهر والطبيعة ، ثم اعتذر الى الاستاذ

بعد هذا من أني لا أستطيع ولا أظن ان أحداً يستطيع أن يقره على رأيه في النقد اللاتيني ، بل أنا لا أقضي العجب من تورط الاستاذ في اعلان هذا الرأي الغريب فليس من الحق أن النقد اللاتيني سطحي وليس من الحق أن هذا النقد يعتمد على الاوضاع الاجتماعية ويهمل الانسان من حيث هو انسان . هذا كلام لا يمكن أن يقبل مع أن من الاشياء المقررة التي يتلقاها الشبان في المدارس أن قوام الادب الفرنسي الكلاسيك انما هو بالضبط : الغاء هذه الفروق والاوضاع الاجتماعية التي تمتاز بها الأمم والشعوب فيما بينها بل التي تمتاز بها البيئات المختلفة في أمة بعينها والاتجاه الى الانسان من حيث هو انسان الى هذا القدر المشترك بين الناس جميعا من العقل والشعور . على هذه القاعدة يقوم الأدب الفرنسي الكلاسيك كما يقوم عليها الادب اليوناني القديم . والأدب كله بما فيه من شعر ونثر ونقد ، فكيف يقال في أدب يقوم على هذا الأصل انه سطحي يقوم على الظواهر والاوضاع الاجتماعية .

ولأدع الادب بمعناه العام ولأتحدث عن النقد وحده ولن أحدث الاستاذ عن نقد بوالو وفولتير وغيرهما من النقاد الذين عاشوا قبل الثورة فان حديث هؤلاء يطول ، وانما أتحدث الى الاستاذ عن النقد الفرنسي في القرن الماضي ، واسأله كيف يستطيع أن يقول ان هذا النقد سطحي يعتمد على « الاناقة » و« اللباقة » والاوضاع الاجتماعية ويهمل الحقيقة الانسانية البسيطه ؟ ألم يقرأ سانت بوف ؟ ان قراءة فصل واحد لهذا الكاتب الذى ملأ الدنيا نقداً لانه أنفق في النقد صفوة حياته تقنع الاستاذ ومن هو أقل من الاستاذ جداً الماماً بالادب والنقد بأن سانت بوف كان أبعد الناس عن أن يكون رجلا من رجال الصالونات يقدم الكتاب والشعراء الى الناس في أناقة ولباقة وظرف ومجاملة . ولعل الاستاذ يعلم أن أهم ما أخذ به سانت بوف من العيب انما هو تعمقه أسرار الناس وبحثه عن دخائلهم وتتبعه لحياتهم الفردية فيما ينبغي أن يعرف وما ينبغي أن يجهل ، وعرضه هذا كله على الناس لأنه كان يرى أن فهم الادب رهين بفهم الشخصية الفردية للادباء الذين ينتجونه . ولو قد وقع شوقي رحمه الله بين يدى سانت بوف كما وقع لامرتين لقرأ الاستاذ العقاد في نقد شوقي صحفا ترضيه كل الرضى وتخالف كل المخالفة ماقرأه الاستاذ في كتاب صديقنا انطون الجميل .

لم يكن سانت بوف رجل صالونات وانما كان يغشى الصالونات فيرى مايحدث فيها ويتخذه وسيلة لتعرف مايقع من وراء الأستار . كان أقل الناس انخداعا بما يتحدث به الادباء عن أنفسهم وبهذه الصور الخلابة التي يعطونها لحياتهم فيما ينشئون من شعر أو نثر ، وكان يبلغ بذلك أقسى القسوة . فليقرأ الاستاذ ان اراد أحاديث الاثنين وليقرأ الصور وليقرأ كتابه عن شاتوبريان وأصحابه وليقرأ كتابه عن بورويال.

وتين ؟ ماذا يقول الاستاذ عنه ؟ أكان صاحب أناقة ولباقة واعتماد على الاوضاع الاجتماعية وهو الذى أنفق جهداً عنيفا ليقيم النقد الادبي على أساس من العلم ؟ وقد قرأ الاستاذ من غير شك لا أقول كتبه في نقد الفرنسيين بل أقول كتابه في تاريخ الأدب الانجليزي .

زعموا أن بشار أسئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ؟ ففضل جريرا وقال فيما قال ان النوار امرأة الفرزدق ماتت فبكاها النخات برثاء جرير لامرأته :

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

فليسمح لي الاستاذ أن اذكره بأن الانجليز أنفسهم لا يزالون يعتمدون الى الآن على كتاب تين في تاريخ الآداب الانجليزية ومع ذلك فليس أدبهم في حاجة الى من يؤرخه من الاجانب .

وبرونتير ماذا يقول فيه الاستاذ ؟ أكان صاحب أناقة ولباقة وظرف وصالونات وهو أقل النقاد الفرنسيين حظا من هذا كله ، وهو أول من حاول أن يقيم النقد الادبي على مذهب دروين في تطور الانواع وفي النشوء والارتقاء . وأميل فاجيه ولنسون وبيديه وجول لمتر واناتول فرانس وبول بورجيه وبول سودى والنقاد الذين لا يزالون يملؤون الصحف والمجلات الكبرى في فرنسا نقدا في الادب والفن ، مابال الاستاذ لا يقرؤهم ليتبين أحق أن النقد اللاتيني يعتمد على الاناقة واللباقة والاوضاع الاجتماعية والتماس النكتة .

لقد فرغت الآن من قراءة فصل للكاتب الفرنسي مارسل دوشومان في مجلة العالمين التي صدرت في أول يناير لو قرأه الاستاذ لعرف أن النقد الفرنسي أبعد ما يكون النقد عن لهو الصالونات وظرفها . في هذا الفصل يحاول الكاتب أن يهدم اسطورة آمن بها الادباء جميعا عن حياة شاتوبريان كانت تصور دعابته ولهوه وكان هو قد انتهي في آخر حياته الى تصديقها والتخييل الي الناس أنها قد وقعت بالفعل فاذا الكاتب يثبت بالادلة القاطعة ان هذه الاسطورة لا تعتمد على أساس ويعتذر الى القراء لأنه أضاع عليهم قصة غرامية كانوا يجدون فيها لذة وجمالا . كلا ليس النقد اللاتيني سطحيا ولا يستطيع من قرأ منه شيئا ذا بال أن يقول إنه سطحي بل هو مضطر الي أن يقول مع الكاتب الفرنسي برونتيير ان النقد الحديث انما نشأ ونما وآتى أطيب الثمر واصحه وألذه في فرنسا وفي فرنسا وحدها .

وأنا أحب الا يظن الاستاذ العقاد اني أدافع هنا عن الثقافة اللاتينية على حساب الثقافات الاخرى . فأنا من أشد الناس اكبارا للثقافة السكسونية واعجابا بما عرفت منها . ولكني كنت وسأظل من أقل الناس حديثا عنها وحكما عليها لأني لا أحسنها وأحب ايضا الا يعتقد الاستاذ اني أكتب هذا الفصل متأثرا بالثقافة اللاتينية التي نشأت عليها كما نشأ الاستاذ انطون الجميل . فالناس جميعا يعلمون اني نشأت على الثقافه العربية الخالصة ولم أتصل بالثقافة الاوروبية الا بعدان تقدم بي الشباب.

انما هو الحق الذي يجب أن يقال ، والعلم الذى يجب أن ينصف والقراء الذين يجب أن نجتهد في الا نقدم اليهم الا مانثق بانه الحق الذى لاغبار عليه . والحق الذى لاغبار عليه في هذه المسألة هو أن الاستاذ العقاد تعجل وجامل فأخطأ الصواب، وأقام أحسن الدليل علي أن التعميم في الاحكام علي الشعوب مزلة للاقدام وسبيل الى الظلم .

أما بعد فان لي في كتاب الاستاذ انطون الجميل رأيا ان لم يظهر في هذا العدد فسيظهر في العدد الذى يليه .

الشلوك

عمالقة السود وأكثر الهمج وحشية

للرحالة الكبير الاستاذ محمد ثابت

الشلوك طائفة من الزنج تحتل قسما من منطقة السدود في أعالي النيل ويحكمهم ملك يسمي (Ret) ولا يزالون يتعقبون ملوكهم الي الجد السادس والعشرين ودولة هذا الـ (Ret أو Mek) كما يلقبونه تمتد غرب النيل بين كاكا وتونجا وشرق النيل من جنوب كودوك الى التوفيقية وعلى ضفتي الرباط الاولى ولهم نحو ١٣٠٠ قرية من أكواخ مخروطية من القش والطين يسكنها نحو أربعين ألفاً. وهم خاضعون تماما لملكهم الذى يبلغه الجواسيس كل أمر جل أو صغر أولا بأول ؛ ومن أقصى حدود بلاده الى مركزه المختار في فشودة على بعد ستة أميال من كودوك . وهم معروفون بالقوام السمهري وبطول السوق وبروز عضلاتهم ، جلدهم لامع براق والمقاتل منهم لا يرى خارج كوخه بدون حربته الطويلة ذات السن العريض. ومعها حربتان قصيرتان (ولا يحملون الاقواس والسهام) وسلاح من خشب كأنه الوتد مدبب الطرف ويستخدمون صحافا بعضها من خشب مستدير والبعض من جلد فرس الماء



(زينة الشعر عند رجال الشلوك)

وأخص ما يسترعي النظر شعور الرجال التى يرسلونها تنمو ثم يشكلونها أشكالا غريبة بعد أن تبطن بروث البقر . أما النساء فيحلقن مقدم الجمجمة ويتركن شعراً قصيراً جداً في مؤخرها فتبدو المرأة كأنها صلعاء . ويتعهد شعر الرجال (حلاق) عمله محترم لديهم يتوارثه عن أجداده وهو في شهرته ومقامه يلي الرماة والمقاتلة ، يأتي الرجل ويجلس أمام كوخ الحلاقة في الشمس المحرقة ويبدأ الرجل غسل الشعر ونفشه بيول البقر ثم يترك مدة في الشمس تناهز نصف ساعة وانت ترى القمل والحشرات تجرى على رقبة الرجل ، وأيدى الحلاق والرائحة الكريهة منبعثة منها تعبق في الجو . وخلال ذلك يعد الحلاق المادة التى سيشكل بها الشعر . فيأتي بإناء من فخار ويخلط به بعض الطين والروث والبول والصمغ ويمحنه ثم يبطن به الشعر في مهارة فائقة ثم يجفف في الشمس ويأخذ في قطع زوائد الشعر بمدية حادة ويدهن جسد الرجل ببول البقر الذي يستخدمونه جميعا رجالا ونساء. بعد ذلك يرش فوق الشعر مسحوقا من حرق روث البقر ممزوجا بالثرى ليأخذ الشعر لونه المطلوب . والعادة أن يتعهد الحلاق شعر رجلين معا لكي يعرف كل نظام شعره اذا ما رأى شعر أخيه ولا نستخدم المرآة عندهم . وأجر هذا العمل شاة أو معزى ، ويغلب أن يتعهد الشبان شعرهم هكذا قبل الزواج والحرب وقبل الرقصة الدينية. ولكيلا يفسد نظام الشعر اذا أحس ايلام الهوام التى تتزايد في رأسه كل يوم يضع الحلاق أثناء العملية ابراً من الخشب فتخلف خروقا منها يمكن للرجل أن يحك رأسه بعصى مثلها . وأصعب ما يعانيه الشخص من شعره ليلا اذ ينام على قطعة من خشب يرفعها حاملان وهو لا ينجو من هذا العذاب ولا من عذاب القمل الا اذا مات أحد أفراد العائلة ، فعندئذ يجب حلق الرأس وتركها حتى ينمو الشعر ويستأنف تعهده من جديد .

ومما يعانيه شبانهم الاختبار الذى يجوزونه كي يحوزوا لقب المقاتلة في سن الخامسة عشرة فتصحب كل واحد منهم خليلته ويذهب الجميع الي ضفة النهر ، وتمسك كل خليلة برأس صاحبها وتميلها نحو النهر وتأخذ في تشجيعه على أن يحتمل ما سيحل به من ألم. وسرعان ما يجيء طبيب ويشق جبهة الغلام بمدية حادة فلا يجرؤ واحد أن يتأوه والا كان خزيا كبيرا وبعد ذلك تغسل الفتاة الدم في النهر وتنتهي الحفلة . وكل صبية

هذا الجيل يلقبون باسم حيوان معين يتخذ شعارهم كالاسد أو الادمى وما اليها وكثيرا ماتقطع المدية شريانا فيموت الصبى من كثرة ما يفقده من الدم ، والذى يعيش منهم يصبح مساهما فى بقر القبيلة ويخول له الحق فى الاشتراك فى الرقص العام وينظر اليه الجميع نظرهم الى الرجال وقبيل اجتياز هذا الاختبار يعتبرون اطفالا مفتقرين الي حماية الرجال وينامون فى اكواخ الخدم

والشلوك أهل مياه وانهار لا عمل لهم سوي الرعى وصيد حيوان السمك فهم يسيرون فى المياه بسرعة مدهشة حتى ولو عاصوا فيها الى أكتافهم . ولايذبحون ماشيتهم قط بل يستمدون منها اللبن . وبعدذلك تستخدم بدل النقود فى المبادلة وهى لديهم مقدسة ويبتاعون من النوبيين شمالهم الفول السوداني وهو غذاء رئيسى عندهم وقلما يزرعون شيئا ، اللهم الا بعض الذرة والطباق فهم كسالى . وكل عائلة تحل كوخين أوثلاثة يحوطها سور فى جانبيه داخل اصطبل . البيوت نظيفة تحوى ثلاثة أكواخ واحد للزوج وزوجه والثانى للطبخ والثالث للخدم والاولاد . وأحب مشروباتهم المريسة وزوارقهم جذور منقورة من نخيل ، أو أعواد توثق فى شكل مجوف يحمله الرجل اذا شاء والشلوك اذا صادوا فرس الماء حفظوا لحمه لوقت الحفلات ، واذا صاد أحدهم فرسا بدون مساعدة غيره لبس سوارا من عاج حول ذراعه وكثيرا ما يهاجمهم وحش كالاسد والفهد فيرديه الواحد منهم بحربته وعندئذ يأخذ جلده ليحفظه ويلبسه فى الحفلات ليدل على بسالته



(صيد الفهود)

(رقصة بنات الشلوك)

والشلوك يعيشون فى قري مكتظة عكس أمم البارى والنوير الذين لاتزيد مجموعتهم على عائلة واحدة فالشلوك لهم نظام عائلى وثيق وقانون موحدلذلك قلما تقتتل شيعهم وكثيرا مايستعملون السم الذين يلطخون به سهامهم فى قتل الغير وملكهم لا يذوق طعاما ولا شرابا الا بعد أن يتناول من أحد تابعيه قبلة . أما زينتهم فعقود من خرز ملون تلبس صفوفا بعضها فوق بعض وقد تغطى الرقبة كلها وقسما من الصدر وهى دليل الغنى والجاه ويلبسها الرجال أيضا . واللون الازرق عندهم يشير الحظ السعيد لذلك يلبسه الاطفال فكلما كبر الحرزدل على جاه أبويه وبعض الشبان يلبسون سوارا فى الساعد والعقب ، وهذا يدل على أنهم قتلوا من الحيوان أسداً أو فهدا أو فيلا . والطبخ والزراعة اوالخزف والمريسة وحمل المياه من عمل النساء . أما الرجال فلا يصح لهم أن يقوموا بهذه الاعمال المهينة الا اذ طعنوا فى السن ولعمل المريسة يوضع بعض الذرة فى سلة مع مزيج من مسحوق روث البقر والثرى وكلها توضع فى ماء راكد لمدة أسبوع حتى تتخمر ، ثم تنقل الى جرة من فخار وتغلى فى الماء ويؤخذ السائل العلوي ويبرد ثم يشرب ، وكلما نضبت أضيف الماء اليها وأعيد غليها وهكذا وهذا الخمر قوي مسكر

(منازل الشلوك)

ويظن بعض الناس خطأ أن اللحم أهم غذاء لديهم على أنهم لايأكلون الالحوم السمك وأفراس الماء ، أما لحوم البقر فلاتؤكل الا فى الحفلات . ومن أطعمتهم المحبوبة خليط من مسحوق الفول السودانى والذرة والسمك النيء تطهي فى جرة من فخار ، وكذلك لحم فرس الماء يمزج بالفول السودانى وعشب اسمه

صفصاف . وتكثر حفلات الرقص بعد شرب المريسة فى الليالى القمرية خصوصا ليلة البدر وكلهم يرقصون والحراب فى أيديهم ، وقد لعب الخمر بلبهم ويقرع القوم طبولهم المزعجة وسط القرية التى تجمع بيوتها فى شكل دائرة تتوسطها ردهة فسيحة والطبول تقرع من وسطها فى باكورة الصباح اعلانا للناس بأن حفلة الرقص ستقام الليلة وكلما اختلفت قرعات الطبـــول اختلفت حركات الرقص ودلت على الغرض منه أهو للمطر أم الحرب أم الدين أم الفتيات أم الموت ورقصة الفتيات تبدأ بعد بزوغ القمر مباشرة والغرض منها تعـــارف الفتيان بالفتيات اذ ترى الفتيان قبـل الغروب مرحين انتظارا لملاقاة فتياتهم ويصرفون زهاء الساعة فى تمهيد شعورهم ولبس جلود القطط والانمار والتحلى بصنوف لا تحصى من الخرز والودع وما اليها وقبيل الغروب تفد الجماهير شبانا وشيبا وتصف جرار المريسة بحجومها الكبيرة وسط الدائرة والى جانبها أطباق من الذرة واللحم نصف المطبوخ فاذا ظهر النور بدأ المسنون من النساء والرجال فى دائرة ومن داخلها جماهير الشباب من الجنسين ويظلون مرحين يتحادثون حتى يقبل الزعيم ومن خلفه أتباعه يحملون الطبـــول وأدوات الموسيقى فينصت الجمع ويتداخل الفتيان والفتيات فى صفين ثم تعزف الموسيقى والطبول وبين آن وآخر يرتل الكل أغنية .. وما تكاد تنتهى حتى يعلو قرع الطبل وتموج صفوفهم وبيدهم الحراب التى تتلألأ فى ضوء القمر ، ثم يسرع أحدهم الى الوسط مخترقا صفوف الشابات والشباب وهناك يتمايل ويهاجم كأنه يصارع وحشا ثم يعاد الغناء ثانية ، وبعد ساعة على تلك الحال يشرب الكل المريسة ، ويبدو صف آخر من الراقصين



(رقصة القمر عند فتاة الشلوك)

بعد انسحاب الاول الذى يظل عاكفا على جرار المريسة يرتشف منها ما يشاء ، وأخيرا يختلف الكل فى الرقص تاركين الحراب ويتقدم كل شاب فى صف الشبان الى فتاة فى صف الفتيات وترفع السواعد بمحاذاة الاكتاف ويقفز كل زوج قفزات منتظمة لكن دون أن يلمس الفتى خليلته والفتيات يظهرن دلالهن ويحاولن اسر الرجال واستمالتهم بما يفرق ما تأتيه المرأة الغربية ، فهى مثلا تهز ثدييها بين آن وآخر ثم ترفع عنهما قطعة القماش المزخرفة ثم تعيدها وكثيرا ما يفعل ذلك أمام القاضى فى المحاكم فتؤثر فيه وما يكاد الليل ينتصف حتى تكون المريسة قد أخذت بلبهم فيختلف الحابل بالنابل وبمجرد انسحاب الزعماء والمتقدمين فى السن تأتى الشبان والشابات بما لا يتصوره العقل بل وبما يستنكره الخلق الفاضل القويم

الزواج : ولا تتزوج الفتاة قبل الخامسة عشرة وبفضل رقصة الفتيات يمكنها أن تتعرف بالكثير من الفتيان ، والزوجة يمكن شراؤها بالقطعان . وللرجل شراء ما استطاع من الزوجات ، لأن ذلك دليل الجاه والغنى ، وقبل أن تتم صفقة الشراء هذه يجب أن توافق هى على هذا الزوج وفى العادة تكون قد رغبت فيه ابان حفلات الرقص ، وهى تحب أن يكون غنيا بقطعانه ومزارعه ، والعجيب أن الفتاة تؤثر الزوج الذى يستطيع بماله أن يشترى زوجات كثيرات غيرها . وقبل اتمام الزواج تقدم الهدايا (الشبكة) كعشر من المعزى وثلاث من الحراب وعشرين خطافا للصيد (سنارة) وما اليها وخلال تلك الفترة يبدأ التعارف بينهما — نظام شبيه بنظام الغرب — ففى حفلة الرقص يقود الأخ



(الحلاق عند الشلوك)

أخته الى حلقة الرقص والخجل يبدو على وجهها وهناك يسألها زعيم القبيله أن تعترف بجميع علاقات الحب التي حصلت مع فتيان آخرين من قبل وهي تخشى الا تقول الصدق لأن الاخبار كلها تصل الزعيم أولا بأول . وبعد تلك المداولات بين الزعماء والعروس تقرع الطبول فينصت الجميع وهنا تكرر الفتاة ذكر أسماء الفتيان الذين أحبوها من قبل فيحضر كل منهم الى وسط الدائرة ويحكم عليه بغرامة من الماشية والاغنام ومتي جمعت تلك القطعان قدمت كلها مهراً للزوج أما الفتاة فلا عقاب عليها متي صدقت في الاعتراف ومتى أقر الزعماء ذلك ولا عار على الفريقين من ذلك فالاعتراف من جانب الفتاة والغرامة من جانب الفتي عقاب كاف وترضية حسنة . والظاهر أن هذا التصرف لا يرمي الى منع الفساد الخلقي بقدر ما يرمى الى تزويد الزوجية بالمال والمتفرجين بالطعام والشراب والرقص

وعند ميلاد غلام تقدم الهدايا للأب من قطعان يربو عددها بالتوالد حتى اذا ما أضحي الطفل رجلا قدمت له بعد أن يجوز (حفلة الرجل) ، واذا مات أحدهم دفنت الجثة أمام الكوخ الذى كان يقطنه ويلف الجسم في أفخر ما كان لديه من ثياب ان وجدت والى جانبها الاسلحة وأدوات الطبخ وكل ما يلزم للحياة الاخرى ما عدا أدوات الزينة . والجسم يمد في القبر على ظهره وتوضع تحت الرأس وسادة من خشب للرجال ومن قش للنساء والاطفال واذا مات الزعيم دفن داخل باب كوخه وأغلق سنة كاملة بعدها يهدم وعند دفن الميت تقام حفلة (رقص الموتى) فيجتمع الأهل وقد لطخوا جسومهم برماد من حرق روث البقر وولول الجميع وفق قرعات الطبول البطيئة ويمثل الراقصون مايدل على شجاعة المتوفى وفضله ويقدم الناس لأهله الطعام والشراب وتستهلك مقادير عظيمة من المريسة وقبل شروق شمس اليوم التالي ينسي الحزن بتاتا

وفي رقصة الموت يمثلون موقعة يؤخذ فيها النساء والاطفال والماشية أسري وهذه الرقصة تقدم في أى وقت من النهار بمجرد سماع القوم لقرع الطبول نداء لها فيتزين كل بما لديه من أدوات البسالة من ريش وجلود وحراب وما اليها ويتقدم المقاتلون ذهابا وجيئة ويضربون الارض بأرجلهم وحرابهم التي كثيرا ما تنثني أو تتكسر ثم يهاجمون الاكواخ التي فيها أسراهم ويسوقونهم فيها بشراسة زائدة وسط تهليل يصم الآذان مسرعين نحو الزعيم والدماء تسيل من الجروح التي تخدش بها وجوههم وجسومهم ثم يتقدم الطبيب بعد فيضمدها بعصير بعض الاعشاب

واذا قام نزاع بين قبيلتين أدى الى قتال عنيف ولا تتنازل احداهما عن الأخذ بالثأر الا اذا تساوى عدد الضحايا من الفريقين ولا تمكن لأية قوة منعهم لأنهم يلجأون الى صيد الناس بسهامهم المسمومة تاريخهم : ويرجح بعض الكاشفين انهم وفدوا من منطقة البحيرات ولم يحلوا مكانهم هذا الا منذ أربعة قرون وفي سنة ١٥٠٤ غزوا سنار لكن غزاهم البقارة سنة ١٨٦١ وفي ١٨٧٤ ثاروا على الحكومة المصرية في السودان وفي ١٨٩٠ خلال ثورة المهدي ثاروا ضد تجار الرقيق من العرب والدراويش لكنهم هزموا وسيق عدد كبير منهم الى أم درمان ولهذا السبب نجدهم يبغضون العرب ، ويظهر انهم يمتون بصلة الى الدنكا وبعض قبائل البحيرات مثل (كافرونڈو) لتقارب لغاتهم وبعض عاداتهم

الدين : ولهم آله اسمه (فوك Fok) قادر ومسيطر خلق كل شيء الا أنهم خاضعون لما يسمونه نيكوانج (Mek) وهو خليط من الوثنية وعادة الاجداد والارواح ، فهم يرون أن أول جد لهم هو نيكوانج الذى يعمل وسيطا بينهم وبين الاله الاعظم الذى لا يدركه أحد وهو (فوك) فهم يقولون في وقت الضيق (أن فوك قد غضب علينا) ويصلون لنيكوانج للشفاعة وروح هذا تحل كل ملوكهم Mek ويرون أن روح الموتى تزورهم في المنام وتؤثر على حياة الاطفال ، وهم يتخيلون الله دوامة هوائية تنتابهم كثيرا وتحمل الرماد عقب احراق العشب في عمد سوداء عالية ، ويقولون بأن الله أسود اللون لأنه لا يرى ويسكن الظلام ، واذا مات الانسان عاد الى ربه وعند الصلاة يقول الشلوك : يا آلهى اتركنا وحدنا ننجو فأنت عظيم ، لا يمكن لاحد أن يتكلم معك انت الله ومن تقتل منا يموت . أنت مقر روحنا فاتركنا ننجو والباقون يستمعون وهم منصتون وحرابهم في أيديهم بعضهم واقف والبعض راكع . ولتقريب فكرة الآلهة من الناس يفترضون له وكيلا شبيها بالانسان هو نيكوانج . يتوسلون اليه قائلين : نيكوانج قد أعطاك الله الارض فاحكم الشلوك وارج لنا ربك يجعل البقرة التي سنذبحها قربانا مقبولا لديه ، ثم يقتلون البقرة ويغسلون دم الحربة بالماء ويخلطون هذا الماء بالروث الذى يخرجونه من أحشائها ويرشونه على الناس جميعا . ورأيهم في الخلق يتلخص في ان الله هو الخالق خلق طبقتين مسطحتين : العليا وهي السماء والسفلى هي الارض ثم خلق النبات والشجر . وأول حيوان ظهر الجاموس ثم الانسان وكلم الله الجاموسة قائلا . تعالى غدا أعطك حربة فسمع الانسان ذلك وذهب خلسة لما خيم الظلام فلم يره الله فتقدم وهو يمشى على أربع وينفر كأنه الجاموس فقال الله من هذا؟ فأجاب أنا من له قرون متجهة الى الوراء فخدع الله وأعطاه الحربة ولما جاءت الجاموسة تخور قال الله ألست أنت التى أخذت السلاح مني؟ قالت لا بل الانسان فأعطاها قرونه وأهاجها على الانسان أبي لاقته .

ولما خلق الانسان كان أحمر اللون لأنه شكل من طين النهر ثم ذهب الى التربة السوداء وخلق الجنس الاسود ولما انتهي من خلقه فرك يديه فسقط الطين منها فتاتا هو القمل الذى التصق بشعر الانسان وثنايه ولذلك اخترع له الله الموسى للتخلص منه . وفريق منهم يرى ان الله أمر زوجته فولدت توأمين أسود وأبيض وكانت تحب الاسود وتبغض الابيض وأمر الله بتربيتهما . وحدث مرة أن مد الاب رجله وأمر أن يلعقها أو الدهان فخضع الابيض لانه عبد وأبي الاسود فأحب الله لذلك الابيض وحاباه وقال لزوجه ان ابنى هو هذا

وسيأملكه شئ الاسود يبيع فيه ويشترى ويشمه به ويحه ... يسوده على كل شئ .

والطبقة الاستقراطية تشمل (Ret أو Mek) وأولاده نيارت (Nia ret) وأحفاده نى آريت (Nia-ret) وأحفاد أحفاده كوانى آريت (Kwaniaret) وهؤلاء فقط هم وارثو الملك أما العائلات المتفرعة عن الملوك الاقدمين فتسمى أورورو (Ororo) ولهم نفوذ عظيم الى هؤلاء طبقة قوية Kujurs وهم أطباء السحر تتمثل فيهم قوة القسس والاطباء وام نيكوانج يسمى كيى يا (Kieya) تتمثل فى التمساح ولذلك قدسوه وفى كل قرية هيكل لنيكوانج وهو كوخ باسق حوله كوخان عاليان يزين أعلاها خراب بيض النعام وذلك لان نيكوانج وفد من الصحراء يمتطى نعامة . واذا مات الملك تزوج صغار زوجاته من بعض أقربائه أما الطاعنات فى السن فيصبحن حفر المعابد وبنات الزعماء هن بنات نيكوانج وعند زواجهن تقدم الضحايا لزوجة نيكوانج الكامنة فى بطن التمساح فيؤخذ عنز ويذبح على حافة نهر . وعجيب أن تفد التماسيح لا كل اللحم أما اللحم فيرسل لحارسات المعابد وهم اذا رأوا دوامة رائية سجدوا لظنهم أن الله (فوك) يسير مختبئا فيها وهذه العواصف تكثر فى شهور الجفاف خصوصا بعد اشتعال النار الذى يكثر عندئذ فى العشب والغابات .

واذا تخلف المطر اقاموا رقصته لمدة ثلاث ليال أو أربع حول معبد نيكوانج عند الغروب وهذه هى الرقصة الوحيدة التى يلبسون لها الاردية والعادة أن ينتظر الزعيم (كوجور) بعد الجفاف متحينا فرصة يرجح نزول المطر فيها ثم يقرع الطبول للرقص ويصلون وهم وقوف ووجوههم الى السماء فى غير حراك ساعات طويلة وكلهم ايمان بأن المطر سينزل سراعا وفى داخل المعابد ترى مذبحا للضحايا من الغنم يقام من الخشب وترى فوقه بعض الطعام والمريسة يقدمها كل من أراد التقرب من الوسيط نيكوانج .

حفلة تتويج الملك : والملك (Mek) ينتخبه زعماء القبيلة من افراد العائلة المالكة وفى يوم التتويج يفد من فاشوده الى الضفة الجنوبية لنهرهم المقدس يحوطه جامع الحرس بحرابهم ويجتمع أهل القبائل بجيوشهم سائرين من القرى يحواسبوعين على الاقدام ويجب الا يتخلف احد الزعماء ويلبس الملك جلبابا مخططا وحزاما مزدوج اللون الازرق والاحمر وطربوشا أحمر قانيا وهو شعار الملكيه ثم يركب حمارا ويظهر على ضفة النهر يحوطه الجند من العمالقة وعليهم الجلباب الاحمر فيحيي الجماهير للملك بحرابهم المرفوعة حتى يجلس على جلد نمر ويقدم أهل كاكا اقصى بلاد الشلوك شمالا عجلا أبيض ويقدم أهل تونجا اقص بلادهم جنوبا فتاة صغيرة . والبلاد يقسمها النهر المدنى قسمين جار Garr ، ولواك Luak ولكل منهما زعيم ويجب هذين زعماء القرى فيتقدم أهل الشمال بالثور الى النهر فى مواجهة الملك ويهجم زعيمهم فيخترق جسم الثور بحربته ثم تتبعه سهام سواس من كل جانب فيسقط الثور ويسيل الدم الى النهر ثم يتقدم زعيم الجنوب الى الملك ويسلمه الفتاة عارية فيتسلمها الملك ويصيح الكل قائلين (أيوه ! أيوه !) وعندئذ يمكن لاهل الشمال ان يتخطوا النهر الى الضفة الجنوبية ويبدأ التتويج بأن يغسل الملك بالماء الساخن ثم بالماء البارد لكيلا تؤذيه تقلبات الجو حرا وبردا ثم يعامل بخشونة وقسوة من الجميع وعليه ان يطيع ويخضع لكي يتعلم التواضع ثم يركع له الجميع اجلالا لانه ابن نيكوانج ثم يلبسونه خفا فى قدميه من جلد فرس الماء الغفل الخشن يمشى به على مضض فيفهم معنى الفقر والتقشف ثم يقدم له الخدم بعض لحم الغزال وفرس الماء اشارة الي توافر اللحم والقناعة فى أكله ثم تقدم المريسة بمقادير كبيرة لكن عليه الا يسرف فى شربها ليدلهم على انه قنوع ثم يجرى اليه ثلاثة شبان بحرابهم تصوب الى صدورهم فيدفعها الملك بيده الى تلك الصدور حتى تدمى دلالة على انه سيحكم حكما صارما لكنه فى عدل . ورحمة وأخيرا يقف الملك ويخاطب الزعماء ثم يتقدم منثنيا فيركع الجميع اجلالا — وهذا ما يفعله القوم دائما كلما رأوا الملك — وهو يتكلم فى تؤدة ووقار فيجيب القوم بصيحاتهم (أيوه! أيوه!) كلما فاه بعبارة واحدة

فى التليفون

بين بتاح فى عهد احمس بطل استقلال مصر
وعبد الجليل أحمد مطوعى القرش

— ألو ! ألو ! من أنت ؟ — أنا بتاح ومن أنت ؟

— أنا عبد الجليل

— فى أى مدينة تكون وما جنسيتك .

— أنا فى البدرشين ، أنا حيث تمثال رمسيس العظيم ملك مصر الفاتح ، أنا فى منف . . . العاصمة العظيمة التى امتلأت فى عهدكم بالحكماء والقضاة ورجال العلم والفن فأين أنت ؟

— أنا فى نفس المدينة لكن يخيل الى أن زمنا ما يفصلنا . انه يشبه الجبال العالية والصحارى المديدة الفسيحة . فأية أعجوبة هذه التي جعلت الارواح تعبر الازمان . لقد أثار اعجابنا عجلاتنا التى تطوى الارض طيا ولكن هاهو ذا شىء عجيب آخر يطوى الزمن لكن ماذا تفعل فى منف .

— أنا أعمل عملا جليلا . لو استطعت أن تمد يدك وراء الأجيال الى يدي لشعرت بالدم يجرى فيها حارا ملتهبا ان الفرح الذى يملأ نفسي لتتضاءل أمامه كنوز العالم ومفاخره

— ان الذي تقوله عجيب . . . فأنت تصف ما أحس به تماما . فاني انتفض سعادة واني لاشعر أن الدنيا تصغر في عيني أمام هذا المبدأ العظيم الذي تخرج مصر لتحققه . فهل أنتم تفعلون ما فعلناه نحن منذ قرون . ماذا تفعل في منف ؟

— اني هنا اجمع القرش — تجمعون القرش ؟ ماذا تعني

— أعني أننا نجمع من كل مصرى شيئا يتبرع به . شيئا تافها من ثروته . فاذا جمعنا هذه الثروات الضئيلة جمعنا ثروة ضخمة — وماذا تفعلون بهذه الثروة الضخمة ؟ لست أفهمك فلعل الاتصال الذي بيني وبينك قد اضطرب ، فان عقلي لا يستطيع أن يدرك من الذي يجمع هذه الثروات الصغيرة ولمن يجمعها — ثم لماذا . آه ، لعلكم تخشون المجاعة فتجمعون اليوم ما يقيكم شرها غداً وليس هذا شيئا عجيبا . لا ياصديقي لسنا نجمع هذه الثروات الصغيرة لشيء مما يجري في بالك . بل نجمعها لنشيد بها مصانع تخرج لنا ملابس نلبسها وما كل نأكلها ، وأثاثاً نؤثث به بيوتنا .

ولكن من الذي يقوم بهذا الجمع ؟ — الشعب ، الشبان الذين أنا احدهم . فأنا أترك العاصمة حيث الراحة والترف والهدوء . لأجوس خلال منف التي أصبحت قرية صغيرة فيصيبني التعب ، والتي احيانا الاعراض ، وأري غالبا الفقر ، فتذهب نفسي حسرات في الحالين ومع ذلك لست أيأس ولا انتهقر

— انه احساس الامة ، بدأ غامضاً ، ثم اتضح شعوراً ثم استحال فكرة ثم تجسد عملا .

— لابد أن تكونوا شعبا ناضجاً جدا . ان القوة التي فيكم هي القوة التي خلقنا بها الفنون وأوجدنا العلم ولكن في نفسي سؤالا يضايقني فدعني أسألك اياه ! ماذا كنتم تلبسون قبل هذه المصانع التي تريدون تشييدها . هل كنتم عراة . ثم ماذا كنتم تأكلون . هل كنتم في صوم ؟ — لا ، لقد كنا نشترى ثيابنا من غيرنا من الدول كذلك كنا نبتاع طعامنا . هل سمعت صرختي التي دوت . لقد أحسست بمثل مروق السهم في جسمي حين سمعتك تفوه بهذه الحقيقة المريرة . لقد شعرت بالألم ، حين عرفت أن احفادنا يعيشون متسولين لا يعرفون كيف يحيكون ثوبهم أو يصنعون طعامهم . . أنتم أهون من العبيد ماذا كنتم تفعلون لو منعوا عنكم الطعام ، وحجزوا عنكم الثياب . — اطمئن ، اطمئن يا أخي . فمصر اليوم من أولها الى آخرها في ثورة على هذا الحال الأسود . وهو ينقشع وتبدو من بعد اضواء فجر جميل . فها أنا ذا قلت لك اننا نخرج فنؤسس مصانع تغسل عن كرامتنا هذه الاهانة التي جعلتك تصرخ . ومصر أنت تعرفها تستطيع ان تنتج لابنائها كل شيء الثياب التي يلبسون ، والطعام الذي يأكلون . ولكن ابناء أوروبا القارة التاجرة التي لم تعرفوها ، عودونا أطعمة خاصة ، وألوانا من الثياب بعينها ، فأصبحنا لا نستطيع ان نعيش بدونها فاستوردناها منهم . ثم خلقوا لنا صنوفا من الزينة فاشتريناها منهم ودفعنا ثمنها غاليا . وبذلك تسربت أموالنا الى جيوبهم .

***

ان أشد أنواع الاستعباد استعباد الروح والفكرة . ففي بلادنا اليوم أعداء ولكنا لا نحس بهم لان معتقداتنا ونظام حياتنا وأسلوب تفكيرنا ، لم يصلوا اليها ولم يؤثروا عليها . فنحن أحرار ولكنهم هم أنفسهم المستعبدون فقد جاءوا الى مصر فغيرت عاداتهم وأخلاقهم وجعلتهم أمة جديدة — لعلك انت في منف لتحارب هؤلاء الاعداء — نعم ، أنا مع مئات الالوف من أبناء مصر كل منا في صدره قلب لو وضعت يدك عليه لأحسست بعالم يهتز ويموج ، في أيدينا سهامنا وأقواسنا وهي تشتعل حرارة هي حرارة هذه القلوب . ثم ترتفع من حناجرنا أهازيج هي أهازيج الفوز والانتصار . وأمامنا قائد هو أحمس تحيطه الافئدة وتجرى وراءه الارواح ، وتتابعه العيون . لا يقول شيئا الا فعلناه ولا يشير بيده الا أسرع اليه الشباب كله في جسمه جروح لا تعد وفي جبينه شج هو خير من تاج . سنسير اليوم صفوفا صفوفا تحجب كثرتها قرص الشمس ، وتسير أقدامنا تطرق الارض طرقة متسقة موسيقية تطمئن لها الروح فتنشط لها النفس . ثم تتقدمنا العجلات الحربية فيها الشبان الذين كشفت ثيابهم عن أذرعهم القوية الجبارة ، وصدورهم التي ترتفع وتنخفض انتظارا للمعركة التي يرتفع فيها اسم مصر ، اني سعيد يا أخي ، اني سعيد ، فدعني أغني وأرقص . فان ساعة الفوز قادمة — ولكن ألا تفكر في انك قد تموت !

— أموت ! ما أبدع وما أروع ! وهل ثمة ميتة أعز من هذه الميتة ؟ لقد مات في معركة أمس صديق لي فلما اقتربت منه أساعده وجدت شفتيه تضطربان وعليهما بسمة . ثم همس في أذني .. ما أسعدني ليهبك الله شرف هذا الموت ! »

ولقد أصاب سهم جنب ابن عمي ، فذاق عذابا لو نال الاهرام لذابت ، ولكنه كان يغمض عينه ويضغط على شفتيه ، وتملأ الصفرة صفحة وجهه وهو لا يكاد يئن . انه يستعذب الألم ، انه يستطيب العذاب ، ما دام ذلك من أجل هذا الوطن الذي نعيش فيه . ان مصر لتهب القوة والجلد والصبر . انها لتخلق من الجبناء الضعفاء مغامرين اقوياء . دعني ياصديقي أغنى فان ساعة المعركة قادمة ، سنمضي مثلكم في جيوشنا السلمية : صفوف منظمة ، أساليب محكمة وايمان يملأ القلب . كل سنة نشيد مصنعا تصنع فيه الكرامة المصرية التي تشيدة سليمة من جديد . وفي كل لحظة تبشر بعصر التي وهبت للدنيا الفن والحكمة ، وعلمتها الزراعة والصناعة ورفعت للعالم مشعلا لم يرتفع له منذ آلاف السنين ،

سيد فتحي رضوان

سرير رقم ٣٣ المستشفى الإسرائيلي ١٥ يناير سنة ٩٣٣

العالم المسرحي والسينمائي

للاستاذ محمد توفيق يونس

خاتمة الرواية الجديدة

أصاب بتقدي على رواية (بنات اليوم) شيء من البتر أثناء الطبع جعل قولي في خاتمة الرواية وحلها غير مفهوم فأحببت أن أوضح هذه الفكرة فأقول :

قام على هذا الموضوع خلاف شديد بين أنصار المذهبين الرومانتيكي والواقعي . فهؤلاء يأخذون على أولئك ختامهم الروائي الذي ينتهي في المآسي بالذبح التام والقتل الشامل . وربما ادخلوا بعض أشخاص الرواية في هذه الخاتمة لأنها أسهل طريق للتخلص منهم . أما في الكوميديات فغالبًا ما يسدل الستار على مكافآت عظيمة ، وجوائز سنية ، وعيش رغيد يبعد عن الحقيقة كل البعد .

رأى الواقعيون أن المسرح وهو قطعة من الحياة يجب ألا ينفصل عنها . فليس من الفن والواقع في شيء أن يعامل المؤلف القطعة التي اختارها من الحياة كأنها كائن قائم بنفسه . لذلك كان من الواجب عليه ، وهو يسير بروايته الى الغاية ، أن يترك في نفوس جمهوره أثراً بأن الدنيا لا تزال مستمرة الحركة فيخرجون وهم يشعرون — بعد أن كوفئت الفضائل ، وعوقبت الرذائل ، وخفقت الرغائب — أن أشخاص الرواية لم يزيدوا ولم يقلوا عن كونهم آدميين سيجدون ولا شك أفراحا جديدة وأحزانا أخرى مكتوبة لهم في سجل القدر . أما في الروايات القديمة فقد كان المؤلف يجعل النهايات حاجزا بين الحاضر والمستقبل كأنما العالم بعد ختام روايته قد وصل الى نهايته .

الخاتمة على مسرح رمسيس

رفع الستار وبدأت الرواية . الحوار شائق لذيذ ، والعمل محكم جميل ، والتحليل قوي دقيق ، ولكننا نشعر كما تقدمت الرواية وتما العمل بجو أجنبي ، فالحادث غريب ، والبيئة غريبة ، والأشخاص غير مصريين وان كان الكاتب (الاستاذ طاهر حقي) قد أعارهم اسماءنا وألبسهم ثيابنا . فليست الرواية مصرية في الواقع : واذا كان الكاتب قد اقتبسها فكان ينبغي أن يعرضها في صيغة تلائم الذوق المصري ، ويغنى فيها باللون المحلي حتى لا يجد المشاهد نفسه في جو لا يحسه ولا يألفه ولا يتأثر به . وأمام أشخاص لا تدنيه بهم معرفة ولا تربطه بأحدهم صلة . واذا كان التوفيق بين فكرة الرواية الأصلية والصبغة المحلية متعذرا فكان أجدر به ترجمة الرواية كما هي حتى لا يسيء الاقتباس ، ويخطيء المغزى ، ويخدع الجمهور

أما التمثيل فلم يكن في مجموعه صحيحا متسقا . ونجاح الرواية في الواقع يرجع الى بطلتها السيدة فاطمة رشدي ، فقد لبست دورها ببراعة وحذق وكانت في موقفها في ختام الفصل الثاني جديرة بالاعجاب حقا .

الرواية السينمائية المصرية

شهدت القاهرة هذا الأسبوع محاولتين جديدتين في سبيل إيجاد الرواية السينمائية المصرية الصحيحة ، (الزواج) للسيدة فاطمة رشدي ، ثم « كفرى عن خطيئتك » للسيدة عزيزة أمير وهي أول من وضع الحجر التاريخي للسينما المصرية . وهذه حركة تقابلها بالغبطة ، وإن كنا نلاحظ على رواياتنا السينمائية بوجه عام عدم توفر الأصول الفنية فيها ، وكثرة ما بها من نقائص وعيوب . ولن تقوم الرواية السينمائية المصرية وتنهض الا على أساس من المعرفة الصحيحة والدرس الطويل . ومن الضروري أن يعهد بها الى فنيين زاولوا السينما وأدركوا دقائقها ، وفهموا حقائقها ، وعرفوا أسرارها . واذا كانت جهود الافراد تعجز عن القيام بما يتطلبه هذا الاستعداد من نفقات ، فلدينا شركة قائمة هي شركة مصر للتمثيل والسينما تستطيع أن تسد هذا الخلل وتقضى هذه الحاجة . ولنا وطيد الأمل أن تدخل الميدان وتساهم في وضع أساس الرواية السينمائية المصرية فتستقدم الخبيرين نسترشد بفنهم ونهتدي بتجاريبهم حتى ينتظم العمل من وجوهه الفنية جميعا .

ولقد رأينا ما كان لاشتراك المسيو روبير بدروز المخرج بشركة جومون في رواية « كفرى عن خطيئتك » من أثر جميل وتقدم محسوس فخرجت الرواية واضحة متسقة منتظمة . ولا يسعنا نحن الا أن نرحب بهذه الخطوة الجيدة وأن نقابل بالتشجيع ونذكر بالخير مجهود عزيزة أمير والسادة احمد الشريعي وتوفيق المردنلي ومحمد صلاح الدين وزكى رستم

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك

ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثالث — «القاهرة فى يوم الأربعاء ٢٠ شوال ١٣٥١ — ١٥ فبراير ١٩٣٣» — السنة الأولى

بين السوامر والصحف

الرسالة وقراؤها :

خرجت الرسالة الى قرائها على الحال التى سمحت بها صعوبة البدء وأثالة العمل . فاستقبلوها استقبالا ماوقع فى الظن ولا تعلق به الأمل .

ولا يزال البريد يحمل الينا كل يوم رسائل الاصدقاء والقراء تفيض بحسن الظن ، وجمال العطف ، وكرم التعضيد ، ومحض النصيحة . ومن هذه الرسائل الكريمة ما يستحق النشر لدقة ملاحظته ، أو رقة أدبه ، أو سداد رأيه : ولكن دورانه على الثناء والتقريظ يجعل فى نشره اتهاما لخلق الرسالة .

وقلما تجد انبل عاطفة من رجل يغنى بعملك لذاته ، ثم يحمّل نفسه ووقته جهد الكتابة اليك صفحات فى تأييده وقدره ، ثم لا يريد بعد ذلك ان يبوح لك باسمه !!

فالى هؤلاء تتقدم الرسالة بموفور الشكر على ما يرجون لها من خير ، وما ينيطون بها من ثقة ، وتسأل الله أن يؤكد لها أسباب التوفيق حتى تتحقق الظنون وتصدق الأمانى .

آراء القراء :

من الكرام الكاتبين من يطلب الى الرسالة المزيد فى التعمق والافاضة ، ومن يرغب فى شيء من الفكاهة والبساطة ، ورأى الأولين ان تقصر على أدب الخاصة ، ورأى الآخرين أن تستدرج ذوق العامة . والرسالة ترجو ان توفق بين الرأيين بأن تتخذ طريقها بين بين ، ثم تنشر الحين بعد الحين اعدادا خاصة بما تجمع لديها من البحوث المستفيضة والدراسات العميقة والقصص الصافية .

لأشاغيل طرآنية :

للاستاذ محمد بك مسعود أثر جميل على الثقافة العامة منذ طويل ،

فهرس العدد

يشترك فى تحرير المجلة
الدكتور طه حسين
وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ بالقاهرة

وعهد القراء بأسلوبه سائغ المورد مأنوس اللفظ فيما نشر من صحف وألف من كتب . ولكنه منذ توفر على محاكاة الاستاذ وحيد في تحقيق اللغة ، ومباراة شيخ العروبة في تمحيص التاريخ ، بدت على أسلوبه الصحيح أعراض الغرابة التي تلازم اللغويين ، والاعتداد الذي يساور العلماء .

ولا نحب أن نعرض لهذه الروح المنبثة في المناظرة (الطرطوشية) وأمثالها . فانها بين عالمين جليلين لا يجهلان أن المن يفسد العلم . وأن شهوة التغلب تظلم الحقيقة . إنما نرغب الى الاستاذ مسعود أن يوافقنا على أن حياة اللغة في أحياء اللفظ الذي لا نظير له في مألوف الكلام ، أما استبدال صيغة مهجورة بصيغة مشهورة كاستعمال اشاغيل بدل شواغل ، وطرآنية بدل طارئة ، وصروحة مكان صراحة ، وقذورة في موضع قذرة ، ومشيوخاء بدلا من شيوخ ، فاحياء شر من الموت ، وبيان اغمض من الغي !!

التجديد والتقليد :

صديقنا الهراوي على تجديده ينكر التجديد ، ويزعم ان كلمتي قديم وجديد ينقصهما التحديد ، وكنت احب أن اكون بجانبه حين قرأ في الاهرام (نفثات شاعر) لصديقه وزميله الاستاذ نسيم اذن لأخذت إعترافه بأن في الشعر جديداً وقديماً ، وان الحطيئة قد يسمى عبد المطلب وقد يسمى نسيما : والا فالى من كان ينسب هذا الشعر لو لم ينشر تحته اسم صاحبه ؟

وما زعزعتني الحادثات كشامخ ... رسا بهضاب فوقه وآكام
وللدهر مرنان رددت سهامها ... وقابلتها من جعبتي بسهام
فقدت صديقي اللذين تبوآ ... من الشعر أعلى ذروة وسنام
واصبحت في جيل تنابى ودهم ... وساء ثوائي بينهم ومقامي
وليس لهم غيري اذا جد جدهم ... وخطب الرزايا حولهم مترام
ولو شئت كانت لي زعامة شعرهم ... وكنت لمن يأتم خير امام
شوارد تزري بالحطيئة هاجيا ... وتعيي جريرا في مديح هشام
له الحمد ثم الحمد ماذر شارق ... وما در غيم بارق بزهام
وما ذرعت بطحاء مكة اينق ... تحن بارزام لها وبغام
وماشدت الأكوار فوق متونها ... وقيدت بشزر محصد وزمام

وبعد فان الشاعر الذي يجعل الشعر جبلا وجملا ويتخيل الهضاب والآكام والجعاب والسهام والارزام والبغام ، ويذكر بطحاء مكة وأكوار النوق وهو في رياض الجزيرة وعلى ضفاف النيل ، ويزعم انه موئل قومه وليس من الزعامة في كثير ولا قليل ؛ لا يسوغ في العدل الأدبي أن يقيد على حساب هذا الجيل : إن تعدد الاساليب في العصر الواحد أثر طبيعي لاختلاف العوامل المؤثرة في كل شاعر : ولكن الاسلوب الذي لا ينسجم مع أمور الحياة : ولا يتصل بشعور الاحياء . لا يدخل في هذه الاساليب . ولا يدل وجوده على شاعر ولا أديب

الشبان والشيب

كتب الاستاذ ابراهيم المصري فصلا قيما في البلاغ عن أدباء الشباب وأدباء الجيل الماضي ، نعي فيه على هؤلاء استئثارهم بالمجد واحتكارهم للشهرة وانكارهم في سبيل ذلك جهود الشباب . وخشي ان يكون ذلك الائتمار المضمر بالأدب الشاب تخوفا من انهزام أدب انتشر لخلو الميدان ، واشتهر بطول الاعلان ، فلا يحتمل بطبعه التنافس والنقد . وقال ان شيوخ الكتاب في الغرب لاخلاصهم لرسالتهم الادبية وثقتهم بملكاتهم الفنية ، يسددون خطى النبوغ الناشئ ، ويرفعون ذكر الشباب الموهوب ، ويمهدون السبيل لخلافة الجيل الحاضر ، ثم يهيب بالعزائم الفتية ان تعلن الحرب المشروعة على هؤلاء القادة الذين كسبوا هذه العناوين من غير جهد ، ونالوا هذه النياشين من غير حرب .
والرسالة تقر الاستاذ المصري على رايه وترى من الجناية على الأدب ان تطغى اثرة الكهول على هذا الطموح ، وان تكون الهيمنة على الصحافة وسيلة الى كبت هذا الروح ، وتعلن انها بطبيعتها ومبدئها ستكون ملتقى الوئام بين الجيلين ، وسفير السلام بين الفريقين

العراق ومجمع اللغة العربية .

ينام صديقانا الحصري والزهاوي ملء الجفون في قصريهما المتقابلين على طريق الاعظمية ولا يعلمان انهما اقضا مضجع وزارة المعارف المصرية ليلة : فقد روت الصحف المحلية أن الاستاذين الكبيرين جميل صدقي الزهاوي وساطع بك الحصري رفضا ترشيحهما لعضوية المراسلة للمجمع وجرى في خلال ذلك ذكر لجنة التأليف والترجمة ، فظنت السياسة أن هذا الترشيح كان اقتراحا من لجنة التأليف والترجمة التابعة للمجمع ، واذن يكون هذا الرفض تسفيها للوزارة من جهة . ودليلا على اعراض البلاد العربية عن المجمع من جهة أخرى

فأخذ الوزارة من مقال السياسة المقيم المقعد ، واصدرت بلاغا رسميا تكذب فيه أن يكون منها عرض ، ومن الاديبين رفض . ووجه الوفاق بين المعارف والسياسة أن لجنة التأليف والترجمة هذه ليست تابعة للمعارف المصرية وانما هي لجنة من لجان المعارف العراقية ، تنظر في تأليف الكتب العربية ونقل المؤلفات الغربية . أما كيف دخل في اختصاصها ترشيح الاعضاء ، فذلك أمر تسأل عنه وزارة (الزوزاء)

مسارح الأذهان

الأدب والعلم

للأستاذ أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

مرت كلمة الأدب والعلم فى اللغة العربية فى أدوار عدة . استعملوا كلمة الأدب أحياناً فيما يرقى الخلق ويهذب النفس واستعملوها أحيانا بمعنى أوسع حتى عدوا أفحش شعر لجرير والفرزدق والاخطل أدبا . وعدوا خمريات أبى نواس وغلمانياته أدباً كما يعد الفنان بعض الصور فنا وان كانت صورة لوضع مستهجن أو فعل فاضح . وكذلك الشأن فى كلمة العلم ، كانوا أحيانا لا يستعملونها إلا فى العلم الدينى ، ثم توسعوا فى معناها حتى شمل كل ما ينتجه العقل والفن .

وفى العصور الحديثة فرقوا بين الأدب والعلم ورسموا لكل دائرة . ومن ثم كانت الصحيفة أو المجلة أحياناً أدبية ، وأحياناً علمية ، وأحياناً أدبية علمية . وأصبح من المضحك أن نقول علم الأدب لأن العلم غير الأدب ، وأصبح لدينا من يسمى «أديباً» فلا يكون عالما و «عالما» فلا يكون أديبا . وقد يكون أديبا عالما ولكن كلمة «عالم» الأزهرية انما اشتقت من العلم بالمعنى الواسع الذى يشمل الادب والعلم معا .

وبعد فما الفرق بين العلم والادب ، وما الذى يجعل الادب أدباً والعلم علما ؟

الحق أن كلمة الادب والعلم من الألفاظ الغامضة التى نفهمها نوعا من الفهم فاذا أردنا تحديدها حرنا فى أمرها . كالجمال والعدل والخيال والحرية والعبودية ، واذا سألنا — حتى الخاصة — فى معناها أجاب كل حسب ميوله وأغراضه وحسب طبيعة فهمه للكلمة .

هناك أشياء لا نشك فى أنها علم أو أدب ، فلو سئلت عن نظريات الهندسة وقانون اللوغاريتمات وقوانين الحساب والطبيعة والكيمياء فذلك علم بالبداهة . واذا سئلت عن قصائد بشار وأبى نواس والمتنبى ومقامات الحريرى فذلك أدب لا علم ، ولكن ما حدود الادب وما حدود العلم ؟

قد عودتنا الطبيعة أن الاضداد تفهم ما تباعدت ، فاذا ما تقاربت حدودها صعب فهمها . ما أسهل ماتقول ان هذا ظل وهذا شمس ، ولكن عند تقارب الظل من الشمس تجد خطوطاً يصعب أن تقول أهى ظل أم شمس . وما أسهل ما تقول ان هذا الماء حار أو بارد اذا اشتدت حرارته وبرودته ولكن ما أصعب ذلك اذا أخذ الحار يبرد والبارد يسخن فانك تصل لا محالة الى درجة يعسر عليك الحكم فيها بالحرارة أو البرودة .

أكبر ظاهرة فى التفريق بين الادب والعلم أن الأدب يخاطب العاطفة ، والعلم يخاطب العقل . فاذا قلت ان زوايا المثلث تساوى قائمتين فانك تخاطب العقل ولا تمس العاطفة . واذا قال المتنبى :

خلقت ألوفا لو رحلت الى الصبا   لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

فهو يمس العاطفة أولا ، ومن أجل هذا كانت الجملة الاولى علما وبيت المتنبى أدباً .

العالم يلاحظ الاشياء يستكشف ظواهرها وقوانينها وعلاقتها بأمثالها وما يحيط بها . على حين أن الاديب لا ينظر اليها إلا من حيث أثرها فى عواطفه وعواطف الناس . ينظر النباتى الى شجرة الورد فيدرس كل جزء منها والتغيرات التى تطرأ عليها من وقت بذرها الى وقت فنائها . ومن أية فصيلة هى ، وما علاقتها بالفصائل التى تقرب منها . أما الأديب فينظر الى أجزاء الشجرة منسقة متناسبة ويرى أنها لم تخلق إلا لزهرتها الجميلة ، وأن بين الزهرة وقلبه نسباً . يعجب بحمرة لونها على خضرة أوراقها ويذهب خياله فى ذلك كل مذهب أما النباتى فيبحث لم كانت الزهرة حمراء وأوراقها خضراء .

عالم الحياة لا يرى فى الفتاة المحبوبة إلا انسانا خاضعاً لكل ابحاث البيولوجيا أما الاديب فيرى فى محبوبته شيئاً وراء كل ما يبحث عنه العالم هى الحياة وهى الدنيا وهى النعيم اذا وصلت والبؤس اذا صدت . أو يقول مع القائل :

وبلاه ان نظرت وان هى أعرضت   وقع السهام ونزعهن أليم

فالكلام اذا لم يثر عاطفة لم يكن أدباً فاذا هو خاطب العقل وحده كان علما ، واذا أمعن فى اثارة العاطفة كان أمعن فى الادب .

وليس الأدب وحده هو لغة العاطفة فقد تفوقه فى هذا الموسيقى فهى قادرة على أن تضحك وتبكى ، وتسر وتحزن ، وتسر سرورا حزينا .

وتحزن حزنا بارا، وتؤلم آلاما لذيذا، وتلذ لذة أليمة، وتثير الشجاعة حتى لتدفع الى الموت، وتنفث الخمول حتى لتدعو الى النوم. تقدر الموسيقى أن تفعل كل ذلك فى العاطفة، وهى أقدر من الأدب لأن الأدب يخاطب العاطفة بواسطة الكلام ومن طريقه أما الموسيقى فتخاطب العاطفة وجها لوجه من غير وسيط. تؤثر فيك أدوار العود والقانون والبيانو ولو لم تصحب بكلام ولو لم تفهم أى معنى منها، بل قد تكره أن تفهم الا النغم وحلاوته والتوقيع وعذوبته.

أما الأدب فلما اعتمد على الكلام والكلام انما يفهم بالعقل، كان لا بد للقطعة الادبية من قدر من العقل ومن المعانى تستثار بها العاطفة وتهيج منها المشاعر.

وارتباط العاطفة بالأدب هو الذى منح الادب — لا العلم — الخلود. فالنتاج الأدبى خالد أبدى لا النتاج العلمى، فقصائد امرىء القيس والنابغة وجرير والفرزدق وبشار وأبى نواس والمتنبى كلها خالدة تقرؤها فتلذ منها كما يلذ منها من كان فى عصرهم، فان احتاج الى شىء فتفسير ما غمض من الألفاظ والمعانى، وهو بعد يشعر بشعورهم ويسر كسرورهم، ثم القطعة الادبية لا تمل، تقرؤها ثم تقرؤها فتسر منها فى الثانية سرورك منها فى الاولى. بل تحفظها ثم تعشق تلاوتها وتكرارها، وليس ذلك هو الشأن فى العلم فحقائق العلوم خالدة ولكن منتجات العلوم غير خالدة فما فى كتاب أقليدس من نظريات هندسية خالدة ولكن الكتاب لا يقرؤه الآن الا من أراد أن يرجع الى تاريخ الهندسة، وكل كتاب فى الهندسة يموت بمرور سنين عليه ولا تعود له قيمة الا القيمة التاريخية مهما حوى من نظريات جديدة وترتيب جديد، وكذلك كتب الحساب والجبر والطبيعة والكيمياء والفلك ليست خالدة وان كانت الحقائق التى فيها خالدة، بل الطبعة الثانية من هذه الكتب تقضى على الطبعة الأولى بالفناء اذا دخلها تغيير، وليس طالب علم الآن يرجع الى ما ألف من خمسين عاما الا اذا أراد أن يؤرخ العلم ولكن طالب الأدب يرجع الى ديوان المتنبى الآن ليتذوق أدبه ويلذ مشاعره كما كان ذلك منذ ألف عام. وقد حفظت بعض قصائده ولا أزال أستمتع بترديدها ولكن ان أنت قرأت كتابا فى الرياضة وفهمت ما فيه لا تستطيع بحال أن تعيد قراءته الا على مضض.

والسبب فى هذا — على ما يظهر — أن عواطف الناس لم تتقدم كما تقدمت عقولهم، قد ترقى العواطف شكلا فنرى أن الاحسان الى الفقير باعطائه درهما ليس خيرا ولكن خيرا منه بناء مستشفى وانشاء ملجأ ونحو ذلك، ولكن العاطفة هى هى فى أساسها. وقد ترقى عاطفة الحنو الأبوى فلا ترى مانعا من دفع الأولاد الى حرب الحياة وجوب الاقطار، ولكن العاطفة فى أساسها واحدة. أما العقل فوثاب دائما راق أبدا فى الشكل وفى الاساس يرى حلالا اليوم ما كان حراما بالأمس ويرى حقا الآن ما كان باطلا من قبل ويخترع كل يوم جديدا ويصوغ حياته وفق الجديد. ومن أجل ذلك لا يلذ له أن يقرأ عقل السابقين الا كما يقرأ تاريخهم ولكن عواطفه هى هى ركزت وثبتت فتلذ اليوم بما يمثل عواطف الاقدمين وان كرت عليها الدهور وتوالت العصور. وليس الامر بهذا القدر من السهولة فى الفصل بين الادب والعلم. فهناك أنواع يصعب الفصل فيها حتى على الخاصة أأدب هى أم علم، هناك أدب «معلم» وهناك علم «مؤدب» هناك تاريخ صنع صياغة أدبية فلا يكتفى بسرد الحقائق وتعيين زمن وقوعها وانما يضع ذلك فى قالب يثير شعورك للاحتذاء والقدوة أو للحب أو الكراهة. وهناك فلسفة صيغت فى قالب قصة. وهناك طبيعة وكيمياء صاغتها يد صناع ماهرة فى الفن تحمل قلم أديب فأخرجت منها موضوعات شيقة تثير عاطفة الجمال وتستخرج الأعجاب بما فى هذا العالم من ابداع وفن.

هذه الموضوعات وأمثالها ليست أدبا خالصا ولا علما خالصا وانما هى علم أدبى أو أدب علمى. هى أدب بمقدار ما تثير من عاطفة. وهى علم بمقدار ما فيها من حقائق.

العلم لغة العقل، والأدب لغة العاطفة، ولكن لا بد فى هذه الحياة أن يلطف العلم بالادب، والادب بالعلم، فالعقل اذا جمح استخف بالشعور وجعل الحياة ثمنا للعلم، وهو اذا مزج بشىء من الأدب مس الحياة ورفه على الناس، والعاطفة اذا شردت كانت ثورانا وهياجا. ألا ترى التعجب يزيد فيكون نباحا، والعشق يهيم فيكون جنونا؟

احمد امين

حظ الاديب فى مصر

للأستاذ عبد العزيز البشرى

خاض بعض أفاضل الكتاب فى هذا الحديث فتظاهروا على أن الأدب لا يجدى فى مصر على أهله . وإن هو أجدى بعض الاحيان ففي شح وتقتير . إذ هو فى بلاد الغرب يعود بالغنى والثراء . وقد يعود بأوسع الغنى وأضخم الثراء . وراحوا يشتعبون مذاهب العلل والاسباب لهذه الحال : ومن بين هذه الإسباب قلة عدد المتعلمين فى البلاد . وفتور هؤلاء عن اقتناء كتب العلم والادب ، وخاصة اذا استخرجت منهم أثمانها . وإنتشار الادب الرخيص تتضح به بعض المجلات الاسبوعية فيقبل عليه الشباب من المتعلمين ومن لا يزالون فى طريق التعلم مطاوعة للشهوة ، ولانه لا يحتاج الى كد ولا مطاولة . وكذلك اضافوا الامر الى أثرة الناشرين واستغلالهم حاجة الادباء وضعف وسائل هؤلاء الى القيام بنشر آثارهم بأنفسهم . ثم الى عدم عناية القادرين ، من أى صنف كانوا ، بالادب الرفيع يذكونه بألوان المعونة والتشجيع .

وكل هذه الاسباب لا تعدو فى رأى الحق الواقع فى كثير ولا قليل . وعلى ذلك لم أدفع القلم اليوم لمناقشتها والتماس سواها ، وإنما لأسرد تاريخاً موجزاً لصلة الادب بالمادة فى بلادنا ابتداء من الجيل الذى شهدنا طرفه الى غاية هذا الجيل الذي نعيش فيه .

كان الأدب من بضع وخمسين سنة مجرد حلية وزينة يتكلفه المتأدبون إما للفاكهة والتعابث والتظرف . واما للزلفى طلبا للتمكين من المنصب أو الحظوة عند أولى الأمر ، أو استخراجا للاحسان .

لم يكن الادب . فى الجملة ، اذن يطلب غرضا ساميا سواء من امتاع النفس باطلاعها على ما فى الكون من فتنة وجمال ، أو معالجة القضايا العامة وملابسة الأسباب الدائرة بين الناس . فكان الشعر فى الجملة أيضا ، يدور فى المذاهب التى سلكها العرب الأقدمون من مدح وهجاء ، وفخر وغزل ورثاء : على أنه حتى فى هذه الأغراض الضئيلة لم يكن أكثره على شىء من الخطر سواء فى سمو المعانى أو فى قوة الأداء . بل كان نسلا ضعيفا متزايل الاجزاء . وكيف بشعر لا يزيد على أنه نقض دارس مما أزل شعراء العهد العثمانى : التماس للمحسنات البديعية من جناس وتورية واستخدام ، بالغة ما بلغت المعانى وواقعاً ما وقع نظم الكلام .

أما النثر . وأعنى النثر الفنى بالضرورة ، فكان أشد نسولة وأبلغ تزايلا : كلام لا يكاد يجرى لغرض أو يستشرف الى غاية : انما هو السجع يلتزم فيه كله فترى فيه السخن والبارد . والحلو والحامض .

لم يكن من شأن هذا المقال أن يعرض للاسباب التى بعثت هذا الادب القوى العالى الذى نذوقه اليوم . فذلك مبسوط فى كتب تاريخ الادب العربى . وانما عقدنا هذا الكلام لإيراد موجز من تاريخ التكسب بالأدب عندنا فى العصر الجديث كما ذكرنا فى صدر هذا المقال .

لقد كان التكسب بالشعر . فى الجملة . من طريق واحدة ، هى ان طائفة ممن يتكلفون نظم الكلام كانت الحاجة تبعثهم الى أن يرتصدوا الحكام البلاد وأغنيائها وموسريها حتى اذا دخلت على أحدهم نعمة من أى لون كانت أو مات له ولد أو نسيب بادروا بازجاء التهنئات يموهون حروفها بماء الذهب ، أو المراثى يجللون رقاعها بالسواد . ولا يزالون يختلفون اليه فى طلب العطية . وقد لا يظفرون . فى الغاية ، الا بتسريح بغير احسان . ولقد أساء هؤلاء الى الادب اساءة بالغة ، بحيث نشأت ناشئة الجيل الماضى وهى لا تكاد ترى فى الادب الا الكدية ، ولا فى الاديب الا أنه شحاذ !

أما التكسب بالنثر فكان له طريق آخر أقبح من ذاك وأخزى . وذلك باصدار صحف صغيرة حقيرة لقد تظهر مرة فى الاسبوع أو فى الشهر أو فى نصف العام . ومادة كسبها فى الواقع من تخويف ضعاف النفوس بتشهيرهم وطلب معايبهم والتدسس الى مكارههم إلا أن يشتروا أعراضهم ، فان فعلوا والا فلا مهم الهبل .

ولقد انتهى ، والحمد لله ، هذان الضربان من التكسب بالادب ولم يبق لهما فى بلادنا ، على ما أرى ، من أثر . ولعل ذلك راجع الى تغير فهم الناس لمعنى الادب ، وارتفاعهم به على ذلك الهوان ، والى انتشار الثقافة بوجه عام ، والى خشية سطوة القانون بوجه خاص .

وليس معنى هذا أنه لم يكن هنالك أدب ولا أدباء . بل كان الشعراء وكان خيار الكتاب ، الا أنه لم يكن يتكسب أحد من هؤلاء (ما عدا الصحفيين المحترفين) بصنعة القلم .

نعم كانت الصحافة بمعناها الصحيح ، ولا زالت مهنة كريمة نبيلة تجدى على أصحابها وعلى المشتغلين بها ما يعودون به على شملهم ، بل ما قد يغنيهم ويضيف اليهم الثروات الضخام . أما هواة البيان ، على حد التعبير الحديث ، فلم يكن لهم من هذه الجدوى نصيب .

ثم كانت (الجريدة) وقام على شأنها استاذنا العلامة الكبير أحمد لطفى السيد بك ، فرأى أن يدعو نفراً من كبار العلماء

والكتاب الى تغذية الجريدة من وقت لآخر بالمقالات المتخيرة المنتقاة في مختلف أسباب الحياة . وأجعل لهم على ذلك الجعالات. ولعله في ذلك كان متهديا بسنة الصحافة في بلاد الغرب .

على أنه لما اشتدت قوة الصحافة في مصر وعظم انتشارها بحكم اطراد الحضارة وكثرة المتعلمين ، وازدياد تتبع الجمهرة للأسباب العامة وشدة اهتمامها بها — اضطرت — كبريات الصحف ، بنوع خاص ، إلى العناية بتجويد تحريرها ، واغزار مادتها ، حتى لقد جردت بعض صفحاتها لطريف البحوث في شتى العلوم والفنون ، وفوق أنها أضعفت وظائف محرريها أضعافا . فقد جعلت كذلك تؤجر الكاتبين فيها من غير محرريها بما لم يكن يحلم به أحد من عشر سنوات خلت .

هذه حقيقة للأدباء أن يغتبطوا بها ، واذا كان المدى بين حظوظهم وبين حظوظ رصفائهم في الغرب لا يزال فسيحا ، فلهم من الأمل في القريب مزيد إن شاء الله .

* * *

بقي الحديث في التكسب بالأدب من طريق نشر الكتب ودواوين الشعر . والذي شهدناه من أعقاب الجيل الماضي ولا نشهد غيره الى اليوم أن الكسب من هذه الطريق يكاد يكون مكسورا على جماعة الوراقين كما قال بحق بعض كبار الكاتبين . على أنني أرجو منه أن يأذن لي في استثناء أصحاب الكتب المقررة للتدريس ، فأولئك وحدهم المجدودون أو الذين كانوا مجدودين الى وقت قريب .

لقد كان الأدب عندنا ، ولعله لا يزال عند الاكثرين الى الآن ينتظم في سمط الكماليات ، والكماليات عند أكثر الناس ليست حقيقة بأن يخف المرء اليها ، اللهم إلا إذا واتته عفوا ، أو بغير مشقة ولا جليل انفاق . فبات بديها ألا تنفق كتب الأدب حتى تعود على أصحابها بنفقات طبعها ، بله الثروة وكرائم الأموال .

أما كتب العلم ، فان العلم يطلب في بلادنا على أن يفضي الى إحراز شهادة رسمية تقلد محرزها منصبا حكوميا ، فاذا لم يكن الأمر على هذا فلا كان علم ولا كان تعليم !

هذه حقيقة واقعة أرى أن إنكارها ضرب من الغش والتدليس مشايعة لهوى الجمهور ، والعياذ بالله ! لعل واحدا في كل ألف من الذين ختموا دروسهم في بلادنا هم الذين يشقون كتابا علميا الا تدعوهم الى شقه حاجة المهنة . نعم لعل في الألف من المتعلمين واحدا أو دون الواحد هم الذين يطلبون العلم ويراجعون مدوناته ليكملوا أنفسهم ، وليتزيدوا من معارفهم ، ويفسحوا في ملكاتهم . العلم عسير الهضم ، يكد الذهن ويجهد النفس ، ففيم مكابدته وشدة المطاولة في تحصيله ما لم تقض بتحصيله ضرورة ملحة قاسية ، من ارهاق الولي أو الحاح الحاجة ، أو جموح الشهوة الى المنصب يعرض الجاه ، ويعز في الأهل والصحاب ! . فكيف تريدون أن تنفق عندنا كتب العلم للعلم ؟! . . . .

أما الكتب المقررة للتدريس فهي التي كانت الى وقت قريب . تدر على أصحابها الكثير ، بل الذي يستطيعون أن يكاثروا به أعلى مؤلفي الغرب قدرا وأبعدهم صوتا ! ولا أحسب أن هذا الاجداء كله يرجع الى فضل المؤلفين وحده وعظم تجويدهم لما يخرجون من فنون الكتب ، بل لعل شيئاً من ذلك يعود الى أن هذه الكتب مفروضة فرضا على العديد الاكبر من تلاميذ المدارس تشتريه وزارة المعارف لهم أو تريدهم على شرائه ، وإلا خذلوا في الامتحان وأفلتتهم الاجازات ، أو على الأصح فاتهم التأميل في المناصب الحكومية ، ولا حول ولا قوة الا بالله !

الواقع أن أكثر الكتب المقررة موف على الغاية من التجويد والاحسان ، ولكنها غير مدينة في رواجها الى هذا التجويد والاحسان . بل هي مدينة في ذلك ، مع الاسف الكثير ، لأنها مفروضة على التلاميذ فرضا ، ولو قد عدل عنها ما أخرجت المكتبات عشر ما تخرج منها على أسخى تقرير . وهذه الحقيقة المرة القاسية ترينا مبلغ حظ العلم والأدب في هذه البلاد .

ومهما يكن من شيء فان لنا أن نغتبط . ولو قليلا ، اذا نحن قسنا حاضرنا بماضينا القريب ، فبين مؤلفينا من يستردون من أثمان مؤلفاتهم ما أخرجوا لطبعها . وفيهم من تفضل عليهم من الربح الكثير أو القليل . وكل الذي نرجو أن تطردهم الشباب في تحصيل العلم الصحيح ، وتتجرد عزائمهم في طلب الأدب العالي ، معرضين عن التماس هذا الأدب الهين الرخيص هنالك تنبعث في البلاد الحياة القوية العزيزة ، وهنالك يجازى العلماء والأدباء بما يكافىء الجهد العظيم ؟

عبد العزيز البشري

أثر الثقافة العربية في العلم والعالم

بقلم أحمد حسين الزيات

٢

فرغ العرب من رسالتهم الدينية بانقضاء الفتوح، ولم يكد الأمر يستوثق لهم والنظام يستقر بهم وظلال الأمن ترف عليهم حتى أخذوا يبلغون العالم رسالتهم العلمية بذلك العزم الذي لا ينكل عن خطة ولا يقف دون غاية. وكان مهبط الوحي بتلك الرسالة بغداد لأنها البلد الأول الذي رفرف عليه السلام وتدفق فيه الغنى واشتد به الخلاط وتجمعت لديه شتى الوسائل. ومن خير هذه الوسائل التي حققت هذا الشرف للعراق أن علماء النساطرة الذين نفوا إليه من الممالك الرومانية الشرقية لأسباب دينية، كانوا قد أنشأوا في إديسة من بين النهرين مدرسة تنشر علوم اليونان والرومان، ولما أغلقها الامبراطور زينون الأوزريالي لأسباب دينية أيضا، لاذوا بأكناف بني ساسان فلقوهم لقاء جميلا، وأقام لهم أنوشروان في جنديسابور مدرسة وصلت ما انقطع من تلك الحركة. وكان الامبراطور جستنيان يومئذ قد فتح باب الجور على أساتذة المدارس الأفلاطونية في أثينا والاسكندرية فألجأهم للجلاء والشراد فما اعتصموا منه إلا بفارس. وأخذ هؤلاء وأولئك ينقلون إلى السريانية والكلدانية كتب أرسطو وسقراط وجالينوس وأقليدس وأرخميدس وبطليموس، فكان ما ترجموه من العلوم ومن خرجوه من العلماء نواة صالحة لهذه النهضة المباركة التي نهد لها الخلائف الأولون من بني العباس. كان أول من تلق وحي هذه الرسالة الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور فأنشأ المدارس للطب والشريعة واستقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور ونفرا من السريان والفرس والهنود فترجموا له كتبا في الطب والنجوم والأدب والمنطق. ثم حملها من بعده الرشيد فنفخ فيها من روحه ونشرها في العالم بروحه وترجم في زمنه ما وجد من كتب الطب والكيمياء والفلك والجبر والنبات والحيوان. فلما تلقاها المأمون لم يبق من كتب العلوم والفنون والصناعة شيء في العبرانية واليونانية والسريانية والفارسية والهندية إلا نقل إلى العربية. ولم يقف العرب عند الدرس في هذه المترجمات وإنما أقبل بعضهم على تحصيل اليونانية واللاتينية ليرجعوا بهما الى بعض تلك الأصول. وفي مكتبة الاسكوريال ما يثبت ذلك من قواميس عربية يونانية وأخرى عربية لاتينية قد ألفها العرب للعرب. ثم أقبل الناس في الشرق والغرب على هذه العلوم يعالجونها بالشرح والتحليل حتى اجتازوا سراعا دور التلمذة والتقليد الى دور الابتكار والتجديد، فهبوا ينشئون المدارس ويقيمون المراصد ويحصون المسائل ويؤلفون الرسائل ويؤسسون المكاتب، وقد جروا في ذلك الى أبعد الغايات. ذكر (بنيامين دتوديليه) أنه رأى في الاسكندرية عام ١١٧٣م عشرين مدرسة، فما ظنكم ببغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة وقد كان فيهن عدا العدد الوفر من مدارس الثقافة العامة جامعات للثقافة الخاصة وما يتبعها من وسائل البحث كالمعامل والمراصد والمكاتب؟

وانكم لتكبرون ما بذله العرب من الجهود الجبارة في سبيل المدنية والعلم اذا قستموه بما خلفوه من البحوث وما ألفوه من الكتب. فقد تناولوا أصول المعارف الانسانية بالتقصى الدقيق والغوص العميق حتى فرعوها الى ثلاثمائة علم أحصاها طاشكبري زاده في كتابه مفتاح السعادة. ثم استنزفوا الأيام في معاناة التأليف على صعوبة النسخ وكثرة المؤونة وقلة الجدوى. فتركوا للعالم ذلك التراث الضخم الذي اشتملت عليه مكاتبهم في الشرق والغرب. فقد ذكر (جيبون) في كتابه عن الدولة الرومانية أنه كان في طرابلس على عهد الفاطميين مكتبة تحوى ثلاثة ملايين مجلد أحرقها الفرنج سنة ٥٠٢ هـ، وقال المقريزى انه كان في خزانة العزيز بالله الفاطمي مليون وستمائة ألف مجلد نزل بها ما نزل بمصر من الاحداث فأغرقت في النيل أو ألقيت في الصحراء تسفى عليها الريح حتى صارت تلالا عرفت بتلال الكتب! وروى المقرى انه كان بخزانة الحكم الثاني بقرطبة أربعمائة ألف مجلد فيها أربعة وأربعون للفهرس، وأبلغها الأستاذ جوستاف لوبون الى ستمائة ألف، ولاحظ بهذه المناسبة أن شارل الحكيم الذي اعتلى عرش فرنسا سنة ١٣٦٤ أي بعد خلافة الحكم بأربعمائة سنة، لم يستطع أن يجمع في المكتبة الأهلية بباريس حين أسسها الا تسعمائة مجلد كتب ثلثها في علوم الدين. ناهيكم بالثمانين ألف مجلد التي دمرها (كيمينيس) في ساحات غرناطة وبما أحرقه التتار في بخارى وسمرقند وأغرقه هلاكو ببغداد عاصمة العلم والعالم في ذلك العهد! ويلوح لي أنه ليس في ذلك كثير من المبالغة: فان في المؤلفين من تبلغ تصانيفه بضع مئات، وان في المؤلفات ما يقع في عشرات

المجلدات. فلابى عبيدة مائتا كتاب. وللكندي واحد وثلاثون ومائتان. وللرازي مائتان. ولابن حزم أربعمائة. وللقاضي الفاضل بمائة. وجاء في نفح الطيب أن مؤلفات عبد الملك بن حبيب عالم الاندلس قد بلغت الالف. على أن توالى الفتن والمحن على العالم الاسلامي لم يبق للعصر الحديث من هذا الكنز المذخور والمجد المسطور الا ثلاثين ألفا وزعت على مكاتب العالم!

يزعم بعض المتعصبين من العلماء الأوربيين ان العرب انما كانوا في العلم خميلة على اليونان ونقلة عنهم، فليس لهم اصالة فكرية ولا عقلية فلسفية. ولو لم يكن للعرب على زعمهم من الاثر الا انهم انقذوا هذه الكتب من عدوان الارضة، وحفظوا تلك العلوم من طغيان الجهالة، حتى أدوها صحيحة نقية الى العصور الحديثة لكان لهم بذلك وحده الفخر على الدهر والفضل على الحضارة. فكيف والواقع غير ما يدعون بشهادة المنصفين منهم؟ فان ملايين الكتب التي دمرتها بربرية اسلافهم في الغرب، واشباه اسلافهم في الشرق، لم يكن ما نقل منها عن خوالي الامم الا بضع مئات كانت أساساً لبناء باذخ ضخم شاده العرب، ونواة لدوحة باسقة ظليلة رواها وغذاها الإسلام. فالطب قد أخذوا أصوله عن ابقراط وجالينوس وبعض السريان والهنود. ولكنهم نقوا هذه الاصول من الشعوذة، ورقوها بالترتيب، ونموها بالتجربة، وانتقدوا مذاهب القدماء في تعليل بعض الادواء. واستحدثوا في التشخيص والعلاج نظريات وعمليات ووسائل أطبق الباحثون على أنها لم تعرف من قبلهم، ولم تنسب الى غيرهم، ككشفهم علاج اليرقان والهيضة، واخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب في الفالج والحمى والقوة على غير ما ألف الأقدمون. فعل ذلك صاعد بن بشر ببغداد فنجح تدبيره فاقتدى به سائر الاطباء بعده. وهم أول من استعمل المرقد في الطب، والكاويات في الجراحة، وصب الماء البارد لقطع النزيف. وقد فطنوا الى عملية تفتيت الحصاة، وعين ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المعروف عند الفرنج (بالبوكاريس) موضع البضع لإخراجها، وهو ما عينه متأخرو الجراحين من الفرنج. وابو القاسم هذا هو الذي قال فيه الاستاذ هالير: «إن كتبه كانت المنهل العام الذى نهل منه جميع الجراحين بعد القرن الرابع عشر». وابو بكر محمد بن زكريا الرازي أول من كتب في أمراض الاطفال. وألف في الجدرى والحصبة، واستعمل الكحول والحجامة في الفالج. والرئيس ابو علي بن سينا أمير الاطباء وجالينوس العرب كما يلقبه الفرنج وضع كتابه القانون فكان شريعة الطب في العالم زهاء ستة قرون. وكان عمدة التدريس في جامعات فرنسا وايطاليا ولم ينقطع تدريسه من جامعة مونبليه إلا أواسط القرن التاسع عشر. وقد تعرض فيه بالتفصيل الدقيق الى علم الصحة وقرر نظرية (المنجيين) الرياضي وهي نظرية كان المظنون انها من ثمرات العلم الحديث. ومن الأقوال المأثورة ان الطب كان معدوما فأحياه جالينوس. وكان متفرقا فجمعه الرازي وكان ناقصا فأكمله ابن سينا. واذا مضينا نذكر أمثلة مما جدد سائر الاطباء العرب كابن زهر وابن رشد وابن باجة وابن طفيل استبحر القول والتاث علينا تحديده وحصره. وفي كتاب طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة وتراجم الحكماء لابن القفطي وتاريخ الطب العربي للكلر ك ما ينقع غلة المستزيد. وللعرب القدم الأولى واليد الطولى في الصيدلة والكيمياء والنبات، وهي في رأيهم شعب من علم الطب أو لواحق به. فهم واضعو أصول الصيدلة وأول من مارس تحضير العقاقير واستنباط الادوية. كذلك هم أول من ألف في الاقرباذين على هذا النمط، وأقام حوانيت الصيدلة على هذا الوضع. وظل العرب معتمدين في المارستانات والصيدليات على أقرباذين وضعه سابور بن سهل في منتصف القرن الثالث من الهجرة حتى نسخه اقرباذين ابن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠ ببغداد. ولا تزال اسماء العقاقير التي أخذها الفرنج عن الشرق في كتبهم على وضعها العربي المرتجل أو المنقول. ولا نزاع اليوم في أن علم الكيمياء الصحيح انما يؤرخ وجوده بجهود العرب فيه. فانهم في سبيل العثور على الاكسير أو انكاره هدوا الى عمليات أساسية ومركبات كيميائية كان لها الأثر الظاهر في تأسيس هذا العلم. والفرنج يعترفون للعرب بانهم عرفوا التقطير والترشيح والتصعيد والتذويب والتبلور والتكليس. وان جابر بن حيان وأخلافه قد استنبطوا طائفة من الاحماض التي تستعمل اليوم. كذلك برع العرب في علم النبات وبخاصة ما يتصل منه بالطب، فقد استفادوا ما كتبه دسقوريدس وزادوا عليه ما وفقوا اليه من شتى الانواع ومختلف الشكول. والعلماء لسان واحد في أنه لم يأت بين دسقوريدس اليوناني ولنيه السويدي المتوفى سنة ١٧٠٧ أطول باعا ولا أوسع اطلاعا في هذا العلم من ابن البيطار المالقي. فانه درس كتاب دسقوريدس ثم رحل الى بلاد اليونان وأقصى ديار الروم فحقق انواع النبات

بنفسه، واتصل ببعض من يعانون ذلك فاستعان بفهمهم على فهمه، وأضاف علمهم الى علمه، ثم عبر الى المغرب فقام بمثل ذلك، وطلب منابت العشب فى مصر والشام فدرسها حق الدراسة ثم وضع بعد طول الدرس وسعة الخبرة كتابه الموسوم بجامع مفردات الأدوية والأغذية فكان اجمع الكتب فى فنه، ومرجع الاوربيين فى موضوعه. ولا يقل عن ابن البيطار فى التفوق والفضل معاصره ومؤازره رشيد الدين بن الصورى المتوفى سنة ٦٣٩ فقد بلغ من اتقانه انه كان يخرج الى الاودية والفلوات فى درس النبات ومعه مصور قد استكمل آلته وأصباغه، فيشاهد النبات ويحققه ويريه المصور فى ابان نباته وفى وقت كماله ثم فى حال ذواه ويبسه، فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه واصوله ثم يصوره فى كل طور من اطواره بالدقة. وذلك غاية ما بلغته الامانة العلمية اليوم من الكمال. اما أثر العرب فى العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية فحسبنا أن نشير الى انهم أول من نقل الارقام الهندية الى أوربا، واول من استعمل الصفر فى معناه المعروف، وان كلمة الجور تمى اللاتينية مشتقة من اسم الخوارزمى محمد ابن موسى المتوفى سنة ٢٢٠ هـ وان الجبر باسمه العربي يكاد يكون علما عربيا بعد ان وضع الخوارزمى كتابه فى الجبر والمقابلة. وقد قال (كاجوري) فى كتابه تاريخ الرياضيات: « ان العقل ليملكه الدهش حينما يقف على اعمال العرب فى الجبر.» وفى مادة المثلثات من دائرة المعارف البريطانية أن العرب أول من أدخل المماس فى عداد النسب المثلثية. وهم الذين استبدلوا الجيوب بالأوتار وطبقوا الجبر على الهندسة وحلوا المعادلات التكعيبية. وفى الفيزياء أو علم الطبيعة كشفوا قوانين لثقل الاجسام جامدها ومائعها، وبحثوا فى الجاذبية وقالوا بها. وكان ابو الحسن على بن اسماعيل الجوهري أول من وضع مبادىء الضوء وأوضح أسباب انعكاسه عن النجوم، وأصلح الخطأ الشائع يومئذ من ان الاشعة تنشأ فى العين ثم تمتد الى المرئيات. وتشهد دائرة المعارف البريطانية فى مادة الضوء أن بحوث العرب فيه هدت العلماء إلى اختراع المنظار. وفضل العرب على الفلك من البينات المسلمة، فقد رصدوا الافلاك وألفوا الأزياج وابتكروا آلات الرصد وصححوا اغلاط اليونان والهند وحسبوا الكسوف والخسوف ورصدوا الاعتدالين الربيعي والخريفى وقالوا باستدارة الأرض ودورانها على محورها. وذكر (سكوت) فى كتابه المملكة الاندلسية ان عالما من طليطلة رصد أربعمائة رصد ونيفا ليحقق أبعد نقطة فى الشمس عن الأرض ولم يختلف حسابه فى ذلك عن أدق المباحث الحديثة الا بجزء من الثانية. ويقول (كاجورى) ان اكتشف بعض الخلل فى حركة القمر يرجع الى ابى الوفاء الفلكى البوزجانى لا الى تيخوبراهي. وقد عد لالاند الفلكى الفرنسي البتانى فى العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله ولا تزال طائفة الاصطلاحات العربية فى الفلك مستعملة فى كتب الفرنج كالسمت والنظير والمناخ والمقنطر والسموت فضلا عن اسماء النجوم والعربى منها لا يقل عن النصف.

واما أثرهم فى الفلسفة المدرسية فان الكندي والفارابي وابن سينا فى الشرق، وابن باجة وابن طفيل وابن رشد فى الغرب، قد توفروا على فلسفة اليونان بالدرس والشرح والتمحيص حتى جددوا دارسها وجلوا طامسها وكملوا ناقصها وسموها بسمة الحرية والعبقرية والنضوج. ولقد أثار ابن سينا بفكره الحر المنظم، وعقله القوى المنطقى، مسائل من العلم تشغل اذهان الباحثين اليوم. ووضع ابن طفيل قصته الفلسفية (حى بن يقظان) فأبان عن قوة نادرة فى التفكير، وموهبة عجيبة فى التصوير، واستيعاب منتج للافلاطونية الحديثة. وقد نقل هذه القصة الى اللاتينية (إدوار بوكوك) سنة ١٦٧١ فظهر أثرها سريعا فى قصة (روبنصون كروزويه). وشهد رينان لابن رشد فى كتابه عنه «أنه أعظم فلاسفة القرون الوسطى ممن تبع ارسطو ونهج سبيل الحرية فى الفكر والقول» ودخلت العالم المسيحى فلسفة ابن رشد وفلسفة ارسطو فكان الاعتراض عليهما شديدا والاعجاب بهما أشد. وكان اللاهوتيون فى القرون الوسطى يعجبون بابن رشد وسعة علمه ودقة فهمه ونفاذ بصيرته ولكنهم كانوا يخشون أثر رأيه الجرىء فى العقائد. وتجدون (دانتى) فى الملهاة القدسية قد جعل ابن رشد وابن سينا فى المقام الذي جعل فيه عباقر الرجال من جهنم. تلك ياسادتى إشارات مبهمة بحملة إلى جهود العرب فى العلم وآثارهم فى الفكر تجدون بيانها وتفصيلها فى تاريخ هذه العلوم، عرضتها بهذا الاجمال على سبيل المثال لنقول لاصحاب ذلك الرأى الظنين الأفين ان التجديد فى العلم يستلزم الاستقصاء البالغ والتمثيل التام والفكر المستقل، وان العرب كما قال البارون (كارادفو) لم يكونوا نقلة للعلوم فحسب. ولكنهم بذلوا الجهد فى اصلاحها وتحقيقها، وأفرغوا الوسع فى بسطها وتطبيقها، حتى أدوا أمانتها الى العصر الحديث.

« يتبع ... »

فلسفة شـــوبنهور

للاستاذ زكى نجيب محمود

عصره :

سادت فى أوروبا روح التشاؤم فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتملك النفوس يأس قاتل ، وارتفعت بذلك أصوات الشعراء والفلاسفة فى كل ناحية من نواحى القارة : بيرون فى انجلترا. ودى موسيه فى فرنسا . وهينى وشوبنهور فى ألمانيا.

ولقد يقف المرء أمام هذه الظاهرة العجيبة وقفة لا تطول كثيرا حتى يجد أسباب ذلك فى طبيعة ذلك العصر وظروفه التاريخية : فقد انفجرت الثورة فى فرنسا ودوت فى أرجاء أوربا دوياً اهتزت من هوله عروش ، وكان لصوتها صدى فى كل الصدور وأثر عميق فى كل النفوس ، فمن أشراف ناقمين ساخطين ، الى زراع يهللون لها ويكبرون ... ثم كانت واقعة ترلو فخفت ذلك الصوت الداوى، وعزل نابليون على صخرة سنت هيلانة الصامتة الموحشة فى عرض المحيط ، وعاد (البوربون) الى ملكهم فى فرنسا ، وعاد فى ذيلهم أشراف الأقطاع يطالبون بأملاكهم ، وانتشرت فى أوربا حركة رجعية تعمل على طمس معالم الثورة والتجديد .

كم من ملايين الشباب زهقت نفوسهم عبثاً ، وكم من عامر الأرض بات خرابا بلقعاً ... فكنت لا ترى على وجه أوربا إلا آثاراً خربة وأنقاضاً هنا وهناك ، ذلك لأن الجيوش النابليونية الجرارة من ناحية ، وأعداءها من ناحية أخرى ، أخذت تروح وتجيء أكثر من عشرين سنة قضت فيها على الأخضر واليابس . وخلفت القرى والمدائن ينتابها فقر مدقع وبؤس شامل .

ماتت الثورة الفرنسية وكأنما انتزعت معها روح الحياة من أوربا ، لأن قلوب الشباب الطامح فى كل بقعة من بقاعها كانت قد صبغت الى الجمهورية الناشئة وعاشت فى ظلال الأمل الوارفة حيث أملت فى مستقبل ذهبى سعيد ، فما هى إلا أن وقعت الواقعة فى ونرلو حتى تحطمت كل هذه الآمال وتبدلت بمأساة سنت هيلانه ومؤتمر فينا ، فدبت فى النفوس روح اليأس التى ملكت على الناس شعب الحياة ، وأثر ذلك فى النزعة الدينية أثرين مختلفين: أما الطبقة الفقيرة الجاهلة فقد التجأت الى الدين تجد فى كنفه السلوى والعزاء ، وأما الطبقة المفكرة فطغت على قلوبهم موجة إلحادية ، ولم تعد عقولهم تسيغ أن يكون ثمة مدبر أعلى لهذا الكون .

فأما فريق العقيدة والدين فقد اقتنع بأن هذه النكبات ليست إلا اذلالا للنفوس جزاء وفاقا بما نزعت اليه من الاعتزاز بحكم العقل ونبذ العقائد وراء الظهور . وأما فريق الالحاد فقد ارتأى أن اضطراب أوربا ينهض دليلا قوياً على فوضى الحياة وعبثها . وعلى رأس هؤلاء بيرون وهينى وشوبنهور.

فلسفته :

١ — العالم فكرة

يرى شوبنهور أن الوساطة الوحيدة بين الانسان والعالم الخارجى هى الحواس والمشاعر ، فأنت اذا رأيت شجرة انطبعت صورتها فى ذهنك ، وهذه الصورة انما انتقلت عن طريق عدسة العين ، فقد تكون مطابقة لحقيقتها الخارجية وقد لا تكون ، وقل مثل ذلك فى كل معلوماتك عن أجزاء الوجود : فالصورة التى كونها ذهنك عن هذه الدنيا هى فكرة خلقتها حواسك ولا يتحتم أن يكون لها حقيقة واقعة مطابقة لها . واذن فالانسان كما يقولون دنيا نفسه، وأن فى الوجود من الدنى بمقدار ما فيه من عقول بشرية .

يخلص شوبنهور من هذا بأن الواجب الأول هو دراسة العقل قبل البدء بدراسة المحسوسات ، لأن فى دراسة العقل المفتاح الذى نصل به الى حقائق الوجود الخارجى .

٢ — العالم ارادة

يكاد يجمع الفلاسفة على أن كنه العقل وجوهره هما الشعور والفكر ، الا أن شوبنهور يرفض ذلك رفضاً ، ويقول بأن الشعور إن هو الا قشرة خارجية لعقولنا لا يعرف على وجه الدقة ما تحويه فى باطنها ، فهذا الغلاف المفكر يخفى وراءه ارادة لا شعورية ؛ لا يخمد لها نشاط ؛ ولا تنتهى لها رغبات وآمال ، وهى التى تملك زمام الانسان فى كل حركاته وأعماله . أما هذا المنطق الذى نحتكم اليه فى كثير من شئوننا ، والذى يخيل الينا أنه نابع من العقل الواعى ، هو فى الواقع ملجم بهذه الارادة الباطنية : فنحن لا نريد الشىء لأن هناك من الأسباب المنطقية ما يدفعنا الى ذلك ، ولكننا نخلق الأسباب خلقاً اذا كنا نريده ارادة لا شعورية . فالأسباب نتيجة لا مقدمة !! بل نستطيع أن نذهب الى أبعد من هذا الزعم فنقول : إننا انما نخلق الفلسفات ونبتدع الديانات لنخفى فى طياتها رغباتنا الخفية.

ابحث فى كل نواحى النشاط الانسانى . تجد دوافعه مشتقة من الارادة اللاشعورية، لا من العقل والشعور . فهذا التنافس والتناحر

على أسباب العيش من طعام ولذات ، انما ينبع من «ارادة الحياة»، التى يبطنها كل كائن فى طوايا نفسه ، حتى شخصية الفرد لا تتكون من أعماله العقلية ولكن من نزواته اللاشعورية التى يندفع اليها بارادته الخفية : ومن هنا كانت الديانات على اختلافها تعد الجنة للارادة الظاهرة (أى القلوب) ولكنها لا تعترف بالعقول الكبيرة ولا تحسب لها فى جنانها حسابا .

وليست سيطرة الارادة مقصورة على الحياة الفكرية، بل تتعداها الى الدائرة الفسيولوجية . فارادة الحياة خلقت أوعية يجرى فيها الدم . وارادة المعرفة خلقت مخا يصل الى شتى المعارف ، وارادة القبض على الأشياء خلقت الايدى . وهكذا نشأ كل عضو بعد نشوء ارادة وظيفته ، فحركات الجسم هى فى الواقع ارادات مجسمة بل الجسم كله إرادة متبلورة ،

إذن فالارادة ، لا العقل ، هى كنه الانسان بل كنه الكائنات الحية جميعا ، هذه الارادة التى نتحدث عنها هى ارادة الحياة ، وليس الحياة أيا كان لونها ، ولكن «ارادة الحياة الكاملة» .

وليست هذه الارادة مقسمة بين الأفراد، أعنى ليس لكل فرد ارادته المستقلة تعبث به كيف شاءت ، ولكنها ارادة واحدة تتناول الحياة بأسرها ككتلة واحدة وشيئا لا يقبل التجزئة ، فالفرد ليس حقيقة فى ذاته ولكنه ظاهرة لحقيقة ، فهو جزء من كل متماسك . ومحتوم عليه بحكم ارادته أن يسير فى طريق مرسوم حتى لا يضطرب نظام ذلك الكل المتحد . ومن هنا نشأت رغبة التناسل مثلا ، فهى ليست رغبة فردية ، ولكنها رغبة الحياة بأسرها وهى وحدها التى تسخر الافراد لصالحها بل ان هؤلاء الافراد هم الصورة المجسمة التى تظهر فيها ارادة الحياة .

يقول سبينوزا : لو أن حجرا ألقى فى الهواء وكان لديه شعور وإدراك لظن انه انما يتحرك بمحض ارادته الحرة وأنه هو الذى يختار الزمان والمكان اللذين يقع فيهما . وما أشبه الانسان فى حياته بذلك الحجر الملقى : كلاهما تدفعه قوة خارجية وكلاهما يتوهم أنه حر لا سلطان على ارادته .

نعم ، ارادة الحياة فى عمومها حرة التصرف لانه ليس هناك ارادة تحد تصرفها ، ولكن كل قالب من قوالب الحياة ، أى كل جسد مادى يدب فيه جزء من الحياة ، محدود ولا ريب بتلك الارادة الكلية سواء أكان ذلك القالب الحى نوعا أم فردا أم عضوا من فرد .

٣ ـــ العالم شر

مادامت الإرادة أساس الحياة ، فالحياة شر كلها . ذلك لأن الارادة مبعث لسلسلة من الرغبات لا تنقطع ، والرغبة عادة تمتد إلى أكثر مما يستطيع الانسان تحقيقه : وهكذا يظل الانسان مدفوعا فى حياته بآلاف الدوافع من الآمال التى ان تحقق بعضها فمعظمها خائب فاشل ، وهو أمام هذا الفشل الذى يغمره فى كل خطوة يخطوها يستحيل عليه أن يتذوق فى حياته سعادة مطلقة ، ثم هو لا مناص له من هذه الرغبات التى يسوق بعضها بعضا ، لأن جوهر الانسان ارادة كما بينا ، فاذا هو تخلص من ارادته فقد تخلص من نفسه، ولا بد لهذه الارادة أن تعيش وتتغذى . وهذه المطامع المستمرة فى حياة الفرد هى الوقود الذى تخلقه الارادة لنفسها .

والحياة كلها شر كذلك ، مادامت الآلام هى طبيعة مادتها التى تكون منها ، وليست السعادة إلا حالة سلبية يقف فيها تيار الآلام . وما اصطلحنا على تسميته بالسعادة انما هى الحالة التى ينعدم فيها وجود الألم ، أعنى أن ليس ثمة سعادة ايجابية ، وقد أشار ارسطو الى هذه الحقيقة بقوله ان الحكيم لا يجوز له أن يبحث عن السعادة ، بل يجب عليه أن يسعى وراء التخلص من آلامه .

وفوق هذا كله . فالحياة شر كلها لأنها عراك دائم ، فأينما سرت صادفت تناحرا وتنافسا وجهادا . فكل نوع يقاتل فى سبيل المادة والزمان والمكان .

نعم لا ريب فى أن الحياة قاسية مؤلمة . وليس يعجب شوبنهور إلا من متفائل يبتسم لهذا العالم ، ويقول لو أن أشد الناس تفاؤلا طاف بالمستشفيات والسجون وساحات الحروب ليشهد ألوان الألم والعذاب ، ولو أنه رأى البؤس الذى يتوارى خجلا فى أركان الأكواخ المظلمة . نعم لو أبصر هذا وذاك وما هو شر من ذلك جميعا ، لانقلب متشائما يؤوسا على الفور . وإلا فحدثنى بربك من أين اشتق دانتى صورة جحيمه إلا من هذا العالم الذى نعيش فيه ، ومع ذلك فقد كونها صورة ما أهولها من صورة !! ثم انظر كيف اصطدم بمشكلة سقطت أمامها عبقريته عجزا واعياء عندما أراد أن يصور جنة سعيدة ، لأنه التمس من الحياة اجزاء الصورة التى يريد فعز عليه المثال !! .

٤ ـــ الفلسفة

رأينا كم يدفع المرء من الشقاء ثمنا باهظا لأنفاسه ! وعلمنا أن الحياة بما تحوى من شر تجارة خاسرة لا تساوى ثمنها !! .

ولكن ألا نستطيع أن نرسم طريقا للسعادة ؟ ذلك ميسور اذا تغلب جانب العقل والمعرفة على جانب الارادة والرغبة من الانسان . فأنت عاجز عن ادراك السعادة اذا تملكت الارادة منك .

(البقية على صفحة ١٥)

لمـــاذا ترجمت فرتر

الى الصديق الذى سألنى هذا السؤال وهو طليق الحرية في بغداد فأجبه عنه وهو سجين الاستبداد في كركوك .

تسألنى لماذا ترجمت فرتر ... والجواب عن هذا السؤال حديث . والحديث غداً سيكون قصة . وليس يعنيك اليوم منها إلا ما نجم عنها :

قال (جوت) يوماً لصديقه (اكيرمان) : « كل امرىء يأتي عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) انما كتب له خاصة » وأنا في سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هذا الحين ! شباب طرير حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع في دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده .... واحساس مشبوب يتوقد شعوراً بالجمال . وقلب رغيب يتحرق ظمأ الى الحب . ونوازع طامحة ما تنفك تجيش ، وعواطف سيالة ماتكاد تتماسك ... ! فالطبيعة في خيالى شعر . وحركات الدهر نغم . وقواعد الحياة فلسفة ! ... وكان فهمى لكل شيء وحكمى على كل شخص يصدران عن منطق أقيسته الخيال . وزور نتائجه المثل الأعلى . ثم غمر هذه الخال التي وصفت هوى دخيل هادىء ولكنه ملح ، فسبحت منه في فيض سماوى من النشوة واللذة . وأحسست أن وجودى الخالى قد امتلأ . وقلبى الصادى قد ارتوى ، وحبى الثائر قد سكن . وتخيلت أن حياتى الحائرة قد أخذت تسير في طريق لاحب تنتثر على مدارجه نواضر الورود ، وترف على جوانبه نوافح الريحان ، وتزهو على جوانبه ألوان عبقر ، وترقص على حفافيه عرائس الحور ! .. ورحت أسلك هذا الطريق السحري محمولاً على جناح الهوى كأنني (فوست) على جناحى (ميفستوفاليس) حتى ذكرني الزمان الغافل فأقام فيه عقبة اصطدم عندها الخيال بالواقع ، والحبيب بالخاطب . والعاطفة بالمنفعة ! ! على اني بقيت على رغم الصدمة حياً ولا بد للحي أن يسير ! !

تطلعت وراء العقبة انظر الطريق فإذا الأرض قفر والورد عوسج والريحان حمض ، والعرائس وحوش .

فشعرت حينئذ بالحاجة إلى الرفيق المؤنس ! ... ولكن أين أنشدها أبغي وحولى من الفراغ نطاق مخيف . وأمامى على أسنة الصخور أشلاء وجثث ! ! ؟ هذه أشباح صرعى الهوى تتراءى لعيني ، وهذه أرواح قتلاه تتهافت على . وهذه سجلات مصارعهم بين يدى . فلم لا أحدو بأناشيدهم رواحلى ، وأقطع بمناجاتهم مراحلى . وألتمس في مواجعهم لهواى عزاء وسلوة ؟؟

قرأت هيلويز الجديدة ، ورينيه . واتالا ، وأودلف ، ودومينيك ، وماريون دلورم ، ومانون ليسكو ، وذات الكميليا ، وجرازيلا ، ورفائيل . وجان دكريف ، وتوثقت بأشخاصها صلاتى ، وتصعدت في زفراتهم زفراتى ، وتمثلت في نهايتهم المحزنة نهايتى . ولكنهم كانوا جميعاً غيرى ! تتفق في الموضوع ولكن تفترق في الوضع ، كالنساء النوادب في مناحة ، تندب كل واحدة منهن فقيدها وموضوع الأسى للجميع واحد هو الموت ! !

فلما قرأت (آلام فرتر) سمعت نواحاً غير ذلك النواح ، ورأيت روحاً غير هاتيك الأرواح ، وأحسست حالاً غير تلك الحال ! !

كنت أقرأ ولا أرى في الحادثة سواى ، وأشعر ولا أشعر إلا بهواى ، وأندب ولا أندب إلا بلواى ، فهل كنت أقرأ في خيالى أم أنظر في قلبى ، أم هو الصدق في نقل الشعور والحذق في تصوير العاطفة يظهران قلوب الناس جميعاً على لون واحد ؟؟

كنا يومئذ في مايو والطبيعة تعلن عن حبها بالألوان والألحان والعطر ، ونفسى تحاول أن تعلن عن هواها بالدموع والشعر ، فآلامى تجيش في عينى ، وعواطفى تتنزى على لسانى ، وبلابلى تتوثب في خاطرى ، وكلها تطلب السبيل الى العلانية ، — والشكوى في الحب كالطفح في الحمى كلاهما عرض ملازم — فلما قرأت (فرتر) تنفس جوى المكظوم ، واستغنى عن البيان هواى المكتوم ، لأنى لو كنت صببت مهجتى على قرطاس لما كانت غير (فرتر) ، وهل فرتر إلا قصة الشباب في كل جيل ؟ رجل شديد الحس قوى العاطفة يتقسم الخيال والايديال نواحى نفسه ، ورجل آخر بارد الطبع عملى الفكر يعرف دائماً كيف يجر النار الى قرصه ، وامرأة بينهما يجذبها إلى الأول طبعها الغزلى وقلبها الشاعر ، ويربطها بالثانى عقلها المادى ووعدها المأخوذ . . . هذا هو موضوع آلام

فرتر وهو عينه موضوع آلامي . . . فلم لا أنقله إذن إلى لغتي لينطق عن لساني . كما ترجم صادقاً عن ضميري ؟؟

***

فنيت في (جوت) وقادني إلهامه وروحه ، وأهبت بلغة القرآن والوحي أن تتسع لهذه النفحات القدسية فأسعفتني ببيانها الذي يتجدد على الدهر ويزهو على طول القرون . ثم أصبح فرتر بعد ذلك لنفسي صلاة حب ونشيد عزاء ورقية هم ! ! كأنما كان (جوت) يناديها من وراء الغيب حين يقول في تقدمتـــه لفرتر : « وأنت أيتها النفس . . . اذا أشجاك ما أشجاه من غصة الهم وحرقة الجوى فاستمدي الصبر والعزاء من آلامه . وتلمسي البرء والشفاء في أسقامه ، واتخذي هذا الكتاب صاحباً وصديقاً اذا أبى عليك دهرك أو خطؤك أن تجدى من الأصدقاء من هو أقرب اليك وأحنى عليك ؟ ؟

ا . الزيات

فلسفة شوبنهور

(بقية المنشور على صفحة ١٣)

الرماد ، وأنت عاجز عن دراك السعادة بالمال والجاه وهي على قاب قوسين منك اذا أسلمت قيادك الى العقل واستطعت أن تضغط على الارادة حتى تحصرها في حيز ضئيل . ويعتقد شوبنهور أن الانحيار لا يكون في اخضاع العالم بأسره بقدر ما يكون في اخضاع الارادة .

اذن فالفيلسوف وحده هو الذي يستطيع أن يتغلب على شقاء الحياة . لأنه صورة من المعرفة غير المقيدة بالارادة . واذا استطاع المفكر أن يتخلص من قيود الرغبة والهوى أمكنه أن يرى الأشياء على حقيقتها المجردة .

فالفلسفة هي عبارة عن النظر المجرد عن الارادة . هي انكار الذات عند النظر الى مظاهر الوجود واعتبارها حقائق في ذاتها دون أن تربطها بالحياة البشرية .

٥ — الفن

نحن اذن نتشد تحرير المعرفة من استعباد الارادة . نتشد انكار الشخص لنفسه عند نظره للأشياء . وليس هذا المنشود الا الفن في أصح معانيه . فالفن العبقري يحاول أن يرى الأشياء من وجهة صفاتها العامة لا يعبأ كثيرا بالأشباح المادية التي تمثل تلك الصفات

فموضوع الفن هو تجسيد الكلي العام في جزئي من الجزئيات والصورة الفنية يجب أن تكون المثل الأعلى للشيء المصور . ومعنى ذلك أن صورة البقرة مثلا لكي تكون من آيات الفن الرفيع ، يجب أن يتجمع فيها كل مميزات هذا النوع وما يتعلق به من صفات ، كأن نوع البقرة كله قد تركز في هذه البقرة الواحدة . وصور الأشخاص يجب أن تقصد لا الى الدقة الفوتغرافية ، بل الى عرض كل ما يمكن عرضه من صفات الانسان عامة في ملامح الشخص المصور ، اذ الواقع أن الفنان يصور صفات . وليست الاجسام الا وسائل فقط لابراز تلك الصفات .

ولنوجز هذا في عبارة أخرى : نقول ان الصورة الفنية لشيء ما يجب أن تكون عبارة عن المثل الافلاطوني لذلك الشيء . وبقدر ما تقرب الصورة من ذلك المثل الخيالي تكون قيمتها الفنية .

فطربنا لجمال الطبيعة أو الشعر أو التصوير انما يصدر عن تأمل الأشياء في حقيقتها الواقعة دون أن يمتزج ذلك التأمل بوجهة النظر الشخصية . فسواء لدى الفنان أن يرى غروب الشمس من قصر منيف أو من كوة في سجن مظلم .

فالفن يمحو بؤس الحياة وعللها بأن يعرض علينا صورا خالدة من وراء هذه الصور الفردية الزائلة .

٦ — الدين

واذا كانت الفلسفة وسيلة لاتقاء شرور الحياة بما تستطيعه من اخضاع الشهوة لحكم العقل ، واذا كان الفن عاملا من عوامل السعادة لأنه لا يعبأ بالأشباح المادية التي تتحرك أمامنا وانما يعنى بحقائق هذه الأشياء الخالدة . فالدين طريق ثالث يؤدي الى سعادة النفس وطمأنينتها لأنه بدوره عبارة عن اخضاع الارادة لحكمة العقل . فالصيام الذي تفرضه الأديان جميعاً يقصد منه تدريب النفس على قهر ارادتها أو شهوتها .

٧ — حكمة الموت

وبعد . فما أعجب أن تكون الحياة كما هي شروراً وآلاما ، ومع ذلك تتخذ لها من أنفسنا عونا على الانتشار والذيوع ! ! يصيح شوبنهور بأعلى صوته إن الحياة سوء وشر ويجب أن نقضي عليها قضاء مبرما . ولكن كيف ؟ الحل عنده بسيط وهو أن نهجر النساء هجرا جنسياً لأنهن أس البلاء بما يقدمن للرجال من فتنة واغراء . وهو يتساءل : الى متى تدفعنا الحياة أمامها دفع الخراف وهي لا تحوي الا شقاء وعناء ؟ متى نستجمع كل ما نملك من قوة وشجاعة لنصيح في وجهها إن الحياة أكذوبة وخدعة أن نجاة الانسان وخلاصه انما هو الموت ؟ !

زكي نجيب محمود

كسوف حلقي للشمس

يقع فى يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣

للأستاذ عبد الحميد سماحه

« مفتش مرصد حلوان »

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته »
« حديث شريف »

حسبنا أن يكون فى ذلك دليل مفحم للذين يتقولون القول وينسبون الى الكواكب سعادة قوم وشقاء آخرين ، وهى بريئة من هذا وذاك . ولكن أنى لنا أن نقنعهم وفريق يتخذها وسيلة للكسب ، وفريق آخر يتخذها رجاء وسلوة .

لقد انقضى ذلك العهد الذى حسب الناس فيه أن بين الكواكب وبين الأفراد والشعوب فى سعادتهم أو شقوتهم وانتصارهم أو هزيمتهم ارتباطاً . وتقدمت الدراسات الفلكية فى القرنين الماضيين تقدماً عظيماً ، وأصبح فى استطاعة الفلكيين أن يقيسوا درجة حرارة النجوم كما يقيس الطبيب درجة حرارة المريض ، واستبانوا أبعادها وأحجامها وأوزانها وتركيبها !

ولم تعد الظواهر الفلكية منذرة بالحروب والبلاء ، أو مبشرة بالسعادة والرخاء ، بل أصبحت تجربة علمية كبيرة تجربها الطبيعة فيستغلها العلماء الى أقصى حد فيما لا يتيسر لهم تجربته على ظهر الأرض . فهناك مثلا كثافة السديم نراها أدنى مليون مرة من كثافة أية مادة تصل اليها أيدينا بينما هى فى بعض النجوم أعلى بمقدار مليون مرة من كثافة أية مادة على الأرض ! فليت شعرى كيف يتسنى لنا أن نعرف طبيعة المادة من التجارب التى نجريها فى المعمل ولا يزيد مدى كثافة المواد التى بين أيدينا على واحد فى مليون المليون من المدى الكلي لكثافة المادة فى الطبيعة ؟ ؟

لقد أصبح من الصعب إيجاد الحد الفاصل بين أنواع العلوم الطبيعية ، وتقدمت الاكتشافات العلمية وهى سلسلة الحلقات ، فمن الكترونات أقطارها كسور من ملايين الملايين من البوصة ، الى سدائم تقاس بمئات الآلاف من ملايين الملايين من الأميال ! فكل زيادة فى معلوماتنا الفلكية تزيد حتما فى معلوماتنا فى الطبيعة والكيمياء والعكس بالعكس .

لهذا كان اهتمام العلماء بالظواهر الفلكية عظيما ، فهم يستغلونها فى أبحاثهم ويقيسون عليها نظرياتهم ، وكثيراً ما كانت الأرصاد الفلكية سبباً لاكتشافات عظيمة كان للبشرية منها نفع مادي جليل الشأن . مثال ذلك أن غاز الهليوم إكتشف أولا فى تحليل طيف الشمس أثناء كسوفها فى عام ١٨٦٨ . وهذا الغاز كما نعلم عظيم المنفعة لأنه الغاز الوحيد الصالح لملء المناطيد . ونحن إنما نذكر هذا الحادث العظيم على سبيل المثال للذين يزنون العلوم بمقدار ما يمكن أن تدر عليهم أو على البشرية من نفع مادى : ولكن الغاية الأولى من الدراسات الفلكية هى البحث وراء الحقائق العلمية وحدها ولذاتها . وهى غاية تدافع عن نفسها بنفسها .

لقد أصبح كل طالب يعرف أن الأرض ومثلها الكواكب السيارة الثمانية الأخرى انما تدور حول الشمس فى مدارات دائرية ، وأن القمر يدور حول الأرض فى مدار دائرى أيضاً . وأنه اذا توسط القمر بيننا وبين الشمس حجب أشعتها عنا فتنكسف الشمس : ولكن يجب أن نضيف هنا أن مدار القمر حول الأرض يميل بمقدار خمس درجات على مدار الأرض حول الشمس فالثلاثة ليست فى مستو واحد على الدوام ، ولولا ذلك لحدث كسوف للشمس كلما كان القمر فى المحاق حيث يتوسط وقتئذ بين الأرض والشمس .

لقد حسب الفلكيون أن كسوفاً حلقيا للشمس سيشاهد فى القطر المصرى فى يوم الجمعة الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣ يبتدىء فى الساعة الثالثة والدقيقة ٤٣ مساء ، وينتهى فى الساعة الخامسة والدقيقة ٢٩ مساء من نفس اليوم .

أجل ستنكسف الشمس فى ذلك اليوم ، وبين هذين الزمنين المحددين بالضبط لا محالة . ولكن لا سبيل فى ذلك الى التفاؤل ولا الى التشاؤم ، فليست الشمس والقمر والأجرام السماوية المختلفة الأخرى إلا آيات بينات لأولى الألباب ؟

عبد الحميد سماحه

في الأدب العربي

العوامل المؤثرة في الأدب

٩٧

أ

ليس الأدب الا التعبير القوى الصادق عن مشاعر المرء وخواطره وأخيلته . وهذه تتأثر بأحوال العيش وأنواع العقائد وأطوار المجتمع وأنظمة الملك وتقلبات السياسة . ومن المفيد الألمام بهذه العوامل المؤثرة فى الأدب لتكون دستور المؤرخ وشريعة الأديب ونبراس الباحث فيما يصدر عن الانسان من كد الأذهان وفيض القرائح .

فمن هذه العوامل (طبيعة الاقليم ومناخ البلد) وأثرهما فى حياة الناس وسلائل الأجناس معلوم فى بدائه العقول . فأحوال الاقليم هى التى تنهج لساكنيه سنن معاشهم ونظام اجتماعهم . وتكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم . ومناظره هى التى تربى ذوق أبنائه ، وتغذى خيال كتابه وشعرائه . فالشعر الجاهلى مثلا صورة صادقة لطبيعة البادية وحياة البدو : فألفاظه خشنة كالجبل . ومعانيه وحشية كالأوابد . وأساليبه متشابهة كالصخر ، وأخيلته مجدبة كالقفر ، ولن تجد فى غير الجزيرة العربية أمثال الشنفرى وتأبط شراً والسليك بن السلكة من هؤلاء الشعراء الصعاليك الذين تغنوا بحياة البادية ومناظرها وأباعرها وغزلانها وكثبانها واطلالها وجبالها بشعر متين الحبك صادق الوصف جاف اللفظ عنجهى الخيال . وقد اختلف الشعر فى شبه الجزيرة نفسها باختلاف الأماكن : فهو فى نجد غيره فى الحجاز . وهو فى أهل الوبر غيره فى أهل المدر . ولهذا العامل وحده نعزو انقراض الأراجيز وهى أقدم الأطوار لشعر البادية حين ارتحل ناظموها من الصحارى المجـــدبة الى سواد العراق وريفه . وفى حواشى العراق وظلاله . وخمائل نجد وجباله . اخضر عود الشعر واستقام وزن القصيد ومن ثم قال القدماء ان امرأ القيس ومهلهل بن ربيعة وعمرو بن قميئة هم أول من قال الشعر وأطال القصائد ، وما كانوا فى الواقع الا زعماء النهضة الأدبية فى هذه البلاد .

وظل عامل الطبيعة يفعل فعله فى الأدب خلال القرون فخالف بين الشعر فى عواصم الشرق وبينه فى الأندلس . فقد وجد شعراء العرب فى اوربا ما لم يجدوه فى آسيا من الاجواء المتغيرة والمناظر المختلفة والامطار المتصلة والجبال المؤزرة بعميم النبت . والمروج المطرزة بألوان النور . فهذبوا الشعر وتأنقوا فى ألفاظه ومعانيه . ونوعوا فى أوزانه وقوافيه . ودبجوه تدبيج الزهر ، وسلسلوه سلسلة النهر . وسلكوا به مسلك التنوع والتجديد . وهذا العامل هو الذى يخالف اليوم بين الأدب فى مصر وبينه فى الشام والعراق . فالطبيعة المصرية تكاد أن تكون نائمة : فالجو معتدل فى جميع الفصول لا يكاد يختلف . وحقول الوادى الحبيب لا تعرى من الزهور والزروع . والسماء السافرة والصحراوان الوسيعتان لا تكاد مناظرهما تتغير . فاذا لم تكن طبيعة بلادنا نائمة فهى على الأقل مسالمة ، لأنها لا تزعجنا بالزلازل العنيفة ، ولا تهزنا بالعواصف الرعن . ولا تخزنا بالبرد القارس والحر اللافح . فطبعت أهلها على الوداعة والفكاهة والبشاشة والكسل والمحافظة على القديم من العادات والأخلاق والآداب فلا تتطور هذه الأمور فى مصر الا بمقدار . ولذلك تجد شعرنا منضد اللفظ جيد السبك بطىء التجدد هادىء الاسلوب لين العطف لا يأخذ الأمور الا بالملاينة والرفق . بينما تجد الشعر فى الشام شديد الحركة كثير التنوع سريع التجدد قلق الاساليب لتعدد المناظر واختلاف الصور وتقلب الطبيعة ونشاط الحياة . وهو فى العراق قوى أبى ثائر ساخط متوثب منتشر على ألسنة الخاصة والعامة لالتهاب المخيلة وتوقد الشعور وصفاء الحس من افراط الطبيعة فى الحر والبرد وغلبة الحياة البدوية على كثرة السكان .

على أن هذا العامل قد أخذ يضعف منذ أواسط القرن الماضى لسهولة المواصلات وكثرة المخترعات وإنتشار المدنية . فيستطيع الانسان ان يعيش فى آسيا وافريقا كما يعيش فى اوربا . وسيزداد ضعفا فى المستقبل دون أن يمحى ويبيد .

ومنها (خصائص الجنس) فشعر العرب يختلف عن شعر اليونان فى المذهب والخيال والغرض . وشعر ابن الرومى يختلف عن شعر ابن المعتز وقد نشآ فى بلد واحد وعصر واحد . لأن الجنس الآرى أميل الى الاستقصاء والتفصيل والتحليل والتعمق ، والجنس السامى لذكاء قلبه وحدة خاطره يفهم الشىء فى لحظة ، ثم يلخصه فى لفظة .

١٠٧

فهو أميل الى التعميم والاجمال والبساطة .

ومنها (دوام الحرب بين جنسين أو أمتين لفتح بلاد أو صد عاد أو تحرير وطن) . فان هذه الحروب تتمخض عادة عن أبطال ينمون فى الخيال ، ويعظمون فى الصدور ، ويكبرون فى الزمن ، حتى تنسب اليهم الخوارق ، وتخلع عليهم المحامد ، فتسير بذكرهم الرواة ، وتتحدث بأفعالهم القصاص . وتنتقل شهرتهم من فم الى فم ومن جيل الى جيل ، وهي فى خلال ذلك تتسع وتفيض حتى تصبح سيرهم لدى الشعب حديثاً وطنياً يجب أن ينشر ، وتراثاً قومياً يحرص على أن يزيد . فيقيض الله لهذه السير المتجمعة على طول الدهور شاعراً سمح القريحة فينظمها بأسلوب شائق ونمط جميل ، كذلك دارت الالياذة الاغريقية على حروب اليونان لأهل طروادة . ومهاباراته الهندية على الحرب التى نشبت بين نيدهو وبنى كزو ، والشاهنامة الفارسية على تاريخ الاكاسرة ووصف الحرب التى اشتعلت بين أهل ايران وأهل طوران . وقد كانت تلك الحروب مفخرة الفرس الاولين ورمزاً للخلاف الدائم بين المى الخير والشر « وكذلك دارت أغانى رولان الفرنسية على حروب الفرنج لعرب الاندلس . وهذا هو الشعر القصصى Epique أو الملاحم Epoupé الذى خلا منه الشعر العربى لأسباب لا يتصل ذكرها بموضوع اليوم » . على أن عامل الحروب قد أثر فى النثر العربى والشعر العامى وان لم يؤثر فى الشعر الفصيح . فان نشوب الحروب الصليبية قد اقتضى تدوين بعض القصص الحماسية كقصة عنترة وسيرة بنى هلال والأميرة ذات الهمة إثارة للنفوس وتحميساً للشعب وتفريجاً من الهم .

ومنها ـــ طبيعة العمران وتوزع الثروة وما يتصل بذلك من حال الاجتماع ـــ فان تقدم الحضارة ورخاء العيش ونماء الثروة تؤثر فى الذوق ، وتزيد فى الصور ، وتساعد على نشر العلوم ، وتنوع فى معانى الشعر وأساليب الكتابة . وشاهد ذلك أن مدن الحجاز حينما زخرت بالمال ونعمت بالفراغ منذ خلافة عثمان الى أواخر القرن الاول للهجرة تدفق أهلها فى اللهو وعكفوا على الغناء وألقوا أزمتهم فى يد الصبابة . وانقطع شعراؤها الى الغزل فافتنوا فيه وتصرفوا فى معانيه وأغفلوا سائر أنواع الشعر الاخرى كعمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وكثير عزه . وشاهد آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية فى الفنون الادبية هو شيوع البذاء والفحش فى شعر بعض البغداديين على عهد الرشيد والمأمون . فقد حدث شيء من ذلك فى الجاهلية وفى العصر الاموي حين كان الفرزدق وجرير ومن لف لفهما يتجاوبون بالفحش ويتهاجون بالبذاء . الا ان ذلك لم يكن مقصوداً لذاته ، وانما كان يقال هجاء للعدو وسباباً للخصم . اما الفحش فى شعر أبى نواس ومطيع بن اياس وحسين الضحاك وابن سكرة الهاشمى وابن الحجاج فقد كان صادراً عن خلق وناقلاً عن طبع ومعبراً عن حالة . فالشعراء يقولونه ويفعلونه ، وأهل البيوتات وذوو المثالة يسمعونه ولا ينكرونه . فبماذا نعلل ذلك الفساد الذى نال الطباع العربية الحرة فجعلها تمتهن الكرامة وتلقى شعار الحشمة ؟؟ اذا عللناه بمفاسد الترف حين تطغى الحضارة ويثور البطر كان هذا التعليل وحده غير فاصل ولا مقنع . فان أكثر أمم التمدن الحديث اليوم قد غرقوا فى اللهو وشرقوا بالنعيم وامعنوا فى الخلاعة ، ثم لا تجد النوابغ من شعرائهم وكتابهم يجرأون على ان ينعوا على أنفسهم بالفواحش أو يجهروا فى كتبهم بالفضائح ، وناهيك بما حدث لفكتور مرجريت حين نشر قصة لاجرسون .

انما الاشبه بالحق ان هناك سبباً آخر يساعد هذا السبب وهو كثرة الرقيق ، وتأثير الرقيق انما حدث من جهتين : اولاهما قيام العبيد على تربية الاحداث فى كرائم الاسر ، وفى كثرة العبيد دناءة فى الطباع ووقاحة فى القول فافسدوا النشء وعودوهم هجر القول وفحش الحديث ، وأخراهما اقتحام الجوارى والسرارى خدور العقائل فاعدينهن من أخلاقهن بالمجانة ، فسقطت المرأة من عين الرجل فاخذها بالعنف وضرب عليها الحجاب وأقام عليها الخصية على عادة الفرس واقصاها عن تربية الولد وتدبير البيت واتخذها للمتاع واللذة . فكان من ذلك ان فشت فى الخاصة اخلاق العبيد والاماء فتنادروا بالفحش وأكثروا الشعر فى الاحماض والمجون(١) وإليك شاهداً آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية والامور المادية فى فنون الآداب : ظهر ادب العامة أو الشعر باللغة العامية فى بغداد والاندلس فى عصر واحد : ففى بغداد ظهر المواليا على لسان صنائع البرامكة من العامة . وظهر نوع آخر ذكره ابن الاثير صاحب المثل السائر قال : (بلغنى ان قوما ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل فى شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك فى كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب . وسمعت شيئا منه فوجدت فيه معانى حسنة مليحة وان لم تكن الالفاظ التى صيغت بها صحيحة) ولكن الشعراء والادباء استخفوا به واحتقروه فلم يقلدوه ولم يدونوه

(البقية على صفحة ٢٥)

(١) وهناك سبب ثالث لكثرة الشعر المجونى فى هذا العصر هو أن الشعراء ما كانوا يعدون أشعارهم للنشر كدأبنا اليوم وانما كانوا يقولونه فى مجالس الخاصة فتذيعه الألسنة ويدونه المؤلفون . فلو انهم كانوا يكتبون للجمهور لتحرجوا من أكثر المنشور .

من طرائف الشعر

تطور في الجماد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

ما حياة قديمها غير باد   لك الا تطور في الجماد
انها تبتني لها في نظام   كل ما يقضي حاجها من عتاد
واذا ما الجماد رثت قواه   ذهبت كلها الحياة بداد
وهي ليست اذا نظرت اليها   في جميع البقاع غير جهاد
ولقد يهلك الذي يتوقى   ولقد لا يعيش أهل الحياد
ولدتها الأرض الكريمة بكرا   وسقتها السماء درّ العهاد
ليس منا الأجساد بالروح تحيا   انما يحيا الروح بالأجساد

....

انما الأرض وهي ما نحن نسعى   فوقه بين رائح أو غاد
كوكب مظلم يطوف من الشمـ   ـس حثيثاً بكوكب وقاد
كفراش يدور حول سراج   واهج ما لزيته من نفاد
وعلى وجهها نهار وليل   فهي لا تستغني عن الأضداد
كل ما في الوجود فهو لعمري   من نواميس الكون في أصفاد
ولعل الزمان في دوره يجـ   ـمع بين الآزال والآباد

....

وكأن المجرة نهر مديد   وردته من النجوم صواد
وكأن الوجود فاض على الشطـ   ـطين اذ عب سيله في الوادي
ويراه الحجا شموساً تعاني السـ   ـبح في لا نهاية الابعاد
وأحاطت بما هنالك أسرا   ر لعيني تجللت بسواد
من شداد الغموض فيها يحار الـ   ـعقل والعقل بعض تلك الشداد

....

جل كون قد حفّ باللاتناهي   عن شبيه له وعن أنداد
أترى أن ما له قدم في الـ   ـكون ذو حاجة الى إيجاد
عالم يختفي وآخر يبدو   والذي يختفي عتاد البادي
وفساد يجيء من بعده كو   ن وكون يجيء بعد فساد
ليس موت الآباء إلا ضماناً   لحياة الأبناء والأحفاد

....

أنا في جوهري قديم على الأر   ض وإن كان حادثاً ميلادي
أنا جزء من عالم ماله من   آخر ينتهي به أو نفاد
ليست الأرض غير قبر مُوارٍ   لرفات الآباء والأجداد
قل لمن طال في التراب كراهم   هل لكم يقظة وراء الرقاد؟
غيّر الدهر كل عضو بجسمي   غير قلب في الحب لي هو هاد
لم تكن مني الصبابة في شيـ   ـخوختي غير جمرة في الرماد
ولقد حاقت بي المصائب تترى   من أناس عاشرتهم في بلادي
ولمن في حياته خالط النا   س كثيراً أحبة وأعاد

....

أي ذنب لي إن تباعدت الشقـ   ـقة بين اعتقادهم واعتقادي ؟
كلما خالف الجماعة في الرأ   ي جريء رموه بالالحاد!
ثلة منهم العيون تريني   ما تكن الصدور من أحقاد
عدني ان أردت في سعداء الـ   ـقوم أو عدني من الأنكاد
انني في جميع ما أنا آت   مكره ليس في يدي قيادي
أنا هذا ولست أقوى على تغـ   ـيير ما في خلقي أو استعدادي!

....

أنا بالشعر وحده متسل   انه كل طارفي وتلادي
واذا وافته المنية قبلي   فاحفروا حفرة له في فؤادي
واذا مت قبله فهو يرثيـ   ـني لو ظل حافظاً لودادي

....

أيها الناقد المهين لشعري   أنت ما بالنزيه في النقاد
لا تحقر بنات فكري فتلكم   كل ما قد خلفت من أولاد
حان ذاك اليوم الذي ليس توري   فيه ناراً اذا قدحت زنادي
ما ألذ الحياة لو هي دامت   غير أن المنون في بالمرصاد!
حبذا عهد سالف لم أكن فيـ   ـه لغير الجمال بالمنقاد !

مزايا الحجاب

للدكتور محمد عوض محمد

رُويداً ! أتَجزَنَ أم نطربُ ؟
فذِي قصةٌ شأنها أعجبُ :
فتاة من الزنج تهوى الرجالَ
وعنها رجال الورى ترغبُ
قضت زهرة العمر تبغي الحليلَ
فما جاءها خاطبٌ يخطب

وقد صدّ عنها وولى الفرار
شبابُ بنى الزنج والأشيبُ
ونفّر منها بنى جنسها
مُحيّاً لها كالح مُرْعب
وصوت وليس كصوت الكنار ،
ولكنه البوم إذ تنعب
وأنفٌ مناخرُه كالجفان
ذباب الملا حوله تلعب
ومن مشفر فوقه مشفر
كعقربة فوقها عقرب .

....

وإذ يئست من بنى قومها
وعزّ لها فيهم المطلبُ
أتت أرض مصر ملاذ الغريب
وحيث لكل امرىء مهربُ
وألقت عصاها وقالت : « هنا
سأسعى لادراك ما أرغب ،
وقد أعجبت بنظام الحجاب
وما فيه من حِكَم تُعجِبُ
فقالت : « حمدتك رب الورى ،
لأن الوجوه هنا تحجب
ويَسدُلُ كل النساء النقابَ
اذا ما رقيب أتى يرقب
فلا يعلم الناس ما تحته
أظبيٌ من الغيد أم ثعلب
وهل وجهها مشرق فى النقا
ب أم غيهب فوقه غيهبُ ؟
وهل ساقها فوقها جورب
أم الجلد من طبعه جورب ؟
وما لا تراه عيون الأنام
فأنفسهم نحوه تجتذب . »

....

وقد صدقت ؛ فرآها فتى ،
وأقبل من خلفها يدأب
رآها فأعجبه ، قدُّها •
وقد يسحر القدُّ أو يخلب . !

....

فقال لها : « ياحياتى : ارحمى
فتى صادق الحب ، لا يكذب . »
فكان السلام وكان الكلام
وكان القران وما يعقب

....

وراجت بضاعتها وانثنت
ومُجتذبُها مُمْرعٌ مُخصبُ . . .
وكم سلعة كسدت سوقها
وفى أرض مصر لها طُلّبُ !!

لقـــاء !!

للشاعر الشاب على محمود طه المهندس

طال انتظارك فى الظلام ولم تزل عيناىَ ترقب كل طيف عابر
ويطير سمعي صَوب كل مُرِنّة فى الأفق تخفق عن جناحى طائر
وترف روحى فوق أنفاس الربا فلعلها نَفَسُ الحبيب الزائر !
ويخف سمعى إثر كل شعاعة فى الليل تومض عن شهاب غائر
فلعلّ من لمحات ثغرك بارقٌ ولعلها وضح الجبين الناضر !
ليلٌ من الأوهام طال سهاده بين الجوى المضنى وهجس الخاطر
حتى اذا هتفت بمقدمك المنى وأصخت أسترعى انتباهة حائر
وسرى النسيم من الخمائل والربا نشوانَ يعبق من شذاك العاطر
وترنم الوادى بسلسل مائه وتلت حمائمُه نشيدَ الصافر
وأطلّت الأزهار من ورقاتها حيرى تعجَبُ للربيع الباكر
وجرى شعاع البدر حولك راقصاً طرباً على المرج النضير الزاهر
وتجلّت الدنيا كأبهج ما رأت عينٌ وصورها خيال الشاعر
ومضت تكذبنى الظنون فأنثنى متبسماً دقات قلبى الثائر
وإذا بنا فى الروض تملأ خاطرى سحراً وأملأ من جمالك ناظرى !
متعانقين على الزهور ونحن فى شكٍّ من الرؤيا وحلم ساحر
غبنا عن الدنيا وغابت خلفها صور لماض لا يغيبُ وحاضر

(البقية على صفحة ٢٢)

الادب الفارسى والادب العربى

للدكتور عبد الوهاب عزام
الاستاذ بكلية الآداب

٢

ولا ننسى بعد ـ أن اللغة الفارسية بقيت لغة الدواوين المالية فى ايران حتى زمان عبد الملك بن مروان .

ولا ريب أن اللغة الفارسية بقيت لغة التخاطب فى ايران بين العامة على الاقل، ولاسيما فى القرى والنواحى البعيدة، فانا قد وجدناها منذ القرن الرابع ترتقى الى أن تكون لغة آداب : واللغة لا تموت جملة واحدة ولا تخلق جملة واحدة على أن كثيراً من الدلائل يثبت انها كانت لغة الكلام فى هذه الفترة أى قبل عصرها الادبى الحديث . وقد انتقلت منها كلمات كثيرة الى البلاد العربية مع النازحين من الفرس وتأثرت بها لهجات بعض العرب .

فرسل عبد الملك بن مروان الى المختار بن أبى عبيد حينما جاءوا معسكر ابن الاشتر لم يسمعوا كلمة عربية ، وعبد الله بن زياد وهو أمير عربى كانت فيه لكنة فارسية (أخذها من زوج أمه) — والفرس الذين عرفوا العربية لم يخلصوا من لغتهم ولهجتها — وقد روى الجاحظ أن الحجاج قال لنخاس فارسى : أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ فقال : «شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مدائنها وكما تجىء تكون» . قال الحجاج : ويحك ماتقول ؟ فقال بعض من كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول : شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها . وأبو مسلم الخراسانى على فصاحته التى جعلت رؤبة ابن العجاج يقول ما رأيت أعجمياً أفصح منه — كان لا يستطيع النطق بالقاف — وقد روى المؤرخون أن ابراهيم الامام حينما أوصى أبا مسلم قال له : وان استطعت ألا تبقى فى خراسان لسانا عربيا فافعل — مما يدلنا على أن لغة الجمهور هناك كانت فارسية . ونجد الشاعر العمانى يتملح بذكر الألفاظ الفارسية فى مدائح الرشيد

ويحدثنا الجاحظ أن لغة أهل البصرة بل لغة أهل المدينة كان بها كثير من الكلمات الفارسية فى أيامه مما يدلنا على بقاء الفارسية وتأثيرها البعيد . ويحدثنا أيضاً أنه سأل خادما له الى من أرسل هذا الغلام ؟ فقال الى أصحاب السند نعال : يعنى النعال السندية .

وأمثال هذا فى كتب الأدب كثيرة . ولأمر ما ثار النزاع منذ أيام أبى حنيفة على قراءة القرآن بالفارسية . ثم بابك الخرمى كما يؤخذ من الفهرست كان لسانه متعقداً بالأعجمية و (به آفريد) الفارسى المتنبى على عهد أبى مسلم لما أراد أن يضع لأتباعه كتابا وضعه بالفارسية . وأنتم تعلمون ما دخل العربية من الفارسية لا سيما فى أسماء الطعوم والأثاث . هذه جملة تثبت أن اللغة الفارسية لم تمت فى هذه الفترة ان كان هذا فى حاجة الى الاثبات .

وأما الفرس أنفسهم فقد خلطهم الفتح والإسلام بالعرب، أى خلط، فالقبائل العربية انتشرت فى الأرجاء الفارسية ، والفرس انتقلوا الى البلاد العربية أسارى أو مهاجرين طلباً للرزق أو العلم أو المناصب . فالمدينة على نأيها كان بها فرس، وهم قتلوا هنالك عمر وسعيد بن عثمان بن عفان .

وسرعان ما تعلم الفرس العربية وشاركوا فى العلوم الإسلامية . ولكن كان للفرس قبل قيام الدولة العباسية حال تختلف عن حالهم بعدها كل الاختلاف .

كانت دولة الأمويين عربية وقليل من غير العرب من سموا فيها الى الدرجات العالية ، وكان العرب، لأنهم أصحاب الدين والدولة ولأنهم الذين أقاموا الملك ونشروا الدين ، يرون أنفسهم أجدر بالرياسة وأولى بالشرف على ما كان فيهم من الاعتداد بأنفسهم والفخر بأنسابهم منذ أيام الجاهلية . فسخط الفرس من أجل ذلك عليهم ، ولكن الفرس لم يكونوا قد أفاقوا من دهشة الفتح الاسلامى ولم يكونوا قد تمكنوا فى الاسلام واللغة وامتزجوا بالعرب امتزاجا يمكنهم من منافسة العرب . وما كان العرب قد ضعفوا وتغيروا وتفرقوا فى الأقطار . بقى الفرس ساخطين فاستعان بهم الثائرون

على الأمويين. فكانوا عونا للمختار بن أبي عبيد ولعبد الرحمن بن الاشعث. فكان جيش المختار من الموالى إلا قليلا. وقد عتب العرب عليه اذ استعان بالعتقاء من الموالى ثم أعطاهم حظهم فى الغنائم. ولما قال رسل عبد الملك لابن الاشتر: أجئت تقاتل جيوش الشام بهؤلاء؟ أجاب ما هؤلاء إلا أبناء أساورة الفرس.

واذا نظرنا الى أن جيش المختار كان أول من ثأر للحسين بن علي وقتل من قتله عرفنا أحد الأسباب التى جمعت بين التشيع والفرس منذ أمد بعيد. فقد كان العلويون والفرس سواء فى كراهة الامويين فتحابوا.

جاءت الدعوة العباسية وقد تهيأت الأسباب ليأخذ الفرس مكانهم فى الأمة الاسلامية فكانوا أخلص دعاة هذه الدولة واليهم يرجع الفضل فى إقامتها. وقد رأى نصر بن سيار فى هذه الدعوة خطرا على العرب والاسلام فقال فيما قال:

تعزى عن رحالك ثم قولى على الإسلام والعرب السلام

كانت الدعوة العباسية خليطا من الدين والعصبية الفارسية فابومسلم كان فارسيا ومسلما غيورا مخلصا. وقد أسلم من أجله كثير من دهاقين الفرس. وهو الذى قتل المتنبى الفارسى سر (به آفريد) حين انتهز فرصة الدعوة فقام يحيى الزردشتية: وكان أبو مسلم قد دعاه من قبل فأسلم وسود: هذا المزج يتمثل حتى فى تسمية أهل خراسان الرماح التى خرجوا بها لنصرة العباسيين: كافر كوب — أى مضارب الكفار فهو اسم مركب من كلمة عربية متصلة بالدين ومن كلمة فارسية.

ومما يتفكه به هنا قول بعض الشعراء:

وولهى وقع الأسنة والقنا وكافر كوبات لها عجر قفد

بايدى رجال ما كلامى كلامهم يسومونني مرداونا أناو المرد؟

ومهما يكن فلا أخال البيرونى قد أخطأ حين سمى الدولة العباسية «دولة خراسانية شرقية».

كان للدعوة العباسية وما عقبها من قيام الدولة — نتائج كثيرة. وانما يعنينا منها ما يتعلق بالفرس. فقد انتعشت الآمال فى نفوسهم. ومكنت لهم فى الدولة وخلطتهم بالعرب خلطا تاما — وكان من مظاهر هذا الانتصار فى بلاد الفرس ظهور دعوات دينية جديدة وثورات: (به آفريد) انتهز الفرصة لوضع دين قريب من الزردشتية. فاعجله أبو مسلم وقتله. وقد أعجب الفرس بأبى مسلم أيما اعجاب. فلما مات أنكر المسلمية موته وقالوا انه اختفى وسيجىء مهديا من بعد. ومنهم من قال انه نبى بعثه زردشت وانه لم يمت كما لم يمت زردشت. وقد دعا الى هذا داعية فى بلاد الترك يعرف باسم اسحاق التركى ولكنه فارسى. وقام صديق من أصدقاء أبى مسلم اسمه سنباذ يقول: ان أبا مسلم اختفى فى صورة حمامة بيضاء، ثم يعلن أنه سيذهب لهدم الكعبة انتقاما لصديقه. وقد جمع حوله زهاء مائة الف ولكن ثورته لم تلبث طويلا — وتلت ذلك ثورات يوسف البرم والمقنع الخراسانى وعلى مزدك، وبابك الخرمى، وأكثرها مصحوب بذكرى أبى مسلم. ثم جاء القرامطة وفعلوا ما فعلوا وكان منهم ابن أبى زكريا الذى شرع لهم أن من أطفأ النار بيده قطعت يده، ومن أطفأها بفمه قطع لسانه وهذا من أثر الزردشتية. كل هذه مظاهر تحتاج الى شرح واستقصاء ولها دلالتها على بقايا العصبية الدينية والجنسية فى نفوس الفرس.

هذا فى بلاد الفرس. وأما أثرهم فى سياسة الدولة وفى حاضرة الاسلام بغداد فقد كان للفرس الرجحان على العرب عند الخلفاء منذ قيام الدولة. وقد بلغ الأمر غايته حين تنازع الأمين والمأمون. فكان المأمون فى مرو من أقصى خراسان أشبه بخليفة فارسى. وقد أعانه الفرس على حرب أخيه الذى كان يعتز بالعرب.

وروى أن أول شعر فارسى نظم فى مدح المأمون كان إذ ذاك.

فلما غلب المأمون تمت الغلبة للفرس، ثم استمروا مسيطرين على الخلفاء حتى أديل منهم للأتراك المعتصم: حتى اذا قامت الدول الفارسية ملك بنو بويه بغداد الى أن كان طور السلطان التركى فأديل منهم للسلاجقة.

ساس الفرس الدولة على قواعد الساسانيين. وقلد الخلفاء وغيرهم الفرس فى ملابسهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم: أمر الخليفة المنصور أن تلبس القلنسوة الفارسية، واتخذ هو ومن بعده الحلل المذهبة على الأساليب الفارسية. وقد أبقى الزمن من نقود الخليفة المتوكل ما يظهر هذا الخليفة فى مظهر فارسى كامل — ومن الكلمات الجامعة فى هذا ما قاله المتوكل حين أراد اصلاح السنة المالية ورد النيروز إلى مكانه من العام فاحضر الموبذ ليستعين به، فقال الخليفة: قد كثر الخوض فى ذلك ولست أتعدى رسوم الفرس. وسأله رأيه فى الاصلاح.

«تتبع ...»

لقـــاء !!

(بقية المنشور على صفحة ٢٠)

حتى اذا حان الرحيل هتفت بى فوقفت واستبقت خطاك نواظرى
وصرخت بالليل المودع باكياً والدمع يشفع لى وأنت مغادرى
ياليتنا لم نصح منه وليتنا ما أعجلته رحى الزمان الدائر!

***

ولقد أتت بعد الليالى وانقضت وكأننا فى الدهر لم نتزاور
بدلت من عطف لديك ورقة بحنين مهجور وقسوة هاجر
وكأننى ما كنت إلفك فى الصبا يوماً ولم تك فى الحياة مناصرى
ونسيت أنت، وما نسيت وإننى لأعيش بالذكرى، لعلك ذاكرى!

الخـــلاص

للشاعر الهندى رابندرانات طاغور

من كتاب ظهر حديثا بعنوان «الزورق الذهبى»

ترجمة الأستاذ عبد المسيح وزير

الاستاذ عبد المسيح وزير أحد كتاب العراق القليلين الذين يتتبعون تطور الثقافة الحديثة بشغف ولذة وهو المترجم الفنى لوزارة الدفاع العراقية . وصاحب الأثر الجيد فى مصطلحاتها العسكرية وهو مغذى أكثر الصحف بالابحاث العلمية والادبية

تجلس العاشقة المنكوبة فى حبيبها الى حديقة، أزهار تفتحت عن رائع زهوها . فتجبل لمعشوقها الراحل تمثالا من طين يبرز رويداً رويدا فى شبه الصورة المحفوظة فى ذاكرتها .

تتفرس فى التمثال ثم تحدق إلى الماضى فيجول الدمع فى عينيها.

وفى كل يوم ينزل ظل متكاثف يكتنف الصورة المنقوشة فى لوح قلبها . فالرسم الذى كانت تراه بالامس بارزاً جليا تلفيه اليوم متضائلا مموهاً . وكما تطبق الزنبقة وريقاتها ليلا تسدل العاشقة الستار على ذكرى غرامها .

تثور سورة غضبها على نفسها . ويأخذ الخجل مأخذه كله منها . فتعمد إلى التقشف . فتعيش على الثمار والماء . وتنام على أديم الارض .

وكلما دنا التمثال من الكمال بعد عن شبه الصورة المكنونة فى ذاكرتها . ويخيل إلى العاشقة أن ذلك التمثال لا يشبه صورة انسان على الارض . ولكنها تخدع نفسها فتحسبه شبه الحبيب الذى فقدته إلى الابد .

تعبد التمثال مع عبادتها الزنابق . وتوقد حوله سرجا مصوغة من ذهب . فيعبق المكان بالرائحة المنبعثة من زيت السرج . وتتراكم الازهار والشموع يوما فيوما حول التمثال الى أن يختفى .

يتقدم اليها طفل ويقول : « نريد أن نلعب هنا »

— « أين ؟ »

— « بجانب دميتك »

فتجيبه قائلة : « لن أسمح لقدم بالدنو من هذا المكان »

ويقول طفل آخر : « نريد أن نقطف بعض أزهارك »

— « أى أزهار تريدون قطفها ؟ »

— « تلك الزنابق القريبة من الدمية الكبيرة »

فتقول له : « لن أسمح ليد بمس تلك الإزهار »

ويطلب اليها طفل آخر قائلا : « أخرجى ذلك السراج وأنيرى سبيلنا » فترفض طلب الولد بقولها : « لن ينقل ذلك السراج من مكانه »

يتوافد الاطفال عليها أفواجا أفواجا . فتنصت الى هذرمتهم . وتشهد توائبهم فى مرحهم وجذلهم . فتستغرق فى التأمل هنيهة . ثم تنتبه من غفلتها مذعورة فتورد وجنتاها خجلا

بعد ذلك يفتتح معرض فى المدينة المجاورة

فيزورها شيخ طاعن فى السن ويسألها قائلا :

« ألا ترافقينى أيتها الحبيبة ! الى المعرض ؟ »

« انى لا أستطيع ذلك »

وتهرع اليها فتاة تناديها قائلة : « هلى بنا الى المعرض ! »

« لا أتمكن من مرافقتك . لانى لا أستطيع الإستغناء عن لحظة أقضيها فى سبيل ذلك »

ويمسك طفل بهدب ثوبها متوسلا اليها بقوله : « خذينى معك الى ذالك المعرض العظيم » .

ولكنها لا تستطيع الانقطاع عن تأمل منية قلبها طرفة عين .

وفى جنون الليل تسمع صوتا كهدير الرعد . لان مئات الزوار وألوفهم يجوزون القرية فى طريقهم الى المعرض .

وعندما تفيق من نومها يسكت وقع أقدام الزوار تغريد الطيور . فتشعر برغبة فى الذهاب الى المعرض ، ولكنها تتذكر آنئذ أنها لا تستطيع ذلك ، اذ ليس فى وسعها أن تهمل عبادة الهها ـ صنم عشيقها الراحل ـ يوما واحداً .

وفى الصباح تبكر مسرعة الى الحديقة .

فأين الصنم . ياترى ؟

يمر الزوار زرافات بالقرية وقد عفا أثر الحديقة واختفى الصنم . أما سيل الرجال والنساء الجارف فلا يقف لحظة عن جريانه ،

تناجى نفسها فى لهف قائلة : « أين حبيبى ؟ »

فيهمس فى أذنها هامس قائلا : « هو بين عابرى السبيل هناك ! »

وفى هذه اللحظة ذاتها يتقدم اليها طفل ويقول لها : « خذينى معك »

« إلى أين ؟ »

« ألست ذاهبة الى المعرض »

« بلى . انى لذاهبة »

فتجوز حديقة الازهار وتنضم الى قافلة الزوار . لانها وجدت فقيدها المنشود بين الاحياء .

في الأدب الغربي

القرية المهجورة

للشاعر اوليفر جولدسمث

«أوبرن» ياجنة في سفح وادينا يانفحة السحر من فردوس ماضينا
حيث السعادة للحصاد (١) عافية تشد منه، وخيرات أفانينا
وحيث تبدو بواكير الربيع بها غيسا قبل أن تغشى البساتينا
وحيث يخلف فيك الصيف بهجته زهرا يرف ، وأطيارا تغنينا

معاهد كنت أغشي في عرائشها ثرى «بلهنية» (٢) قد طاب أردانا
مقاعد من شباب كله مرح سقيت فيها الهوى والسحر خلصانا
جررت ذيل شبابي في خمائلها تيها ، ومليت فيها اللهو ألوانا
حيث السعادة فيها وهي وادعة تعز من كل شيء فوقها هانا

لكم وقفت لأستملي مناظرها وأملأ العين سحرا جد مختلس
أشاهد الكوخ في أظلال أيكته والجدول العذب يجري غير محتبس
وألمح البيعة الزهراء مشرفة من سفح رابية في دجنة الغلس
أصغى إلى الليل والطاحون صاخبة والطير تشدو بصوت ناعم الجرس

هناك في دغل هذا الدوح كم أنست فيه الطفولة مغنى من مغانينا
كانت مطاف الهوى في طيب عزلتها حينا ..وكانت مطافا للأسى حينا
كم حمل النسم من أطرافها عبقا تساجل الشيب أو همس المحبينا
وكم حمدنا ليوم اللهو مقدمه فيها لنحي بها أصفى ليالينا

يوم ترفه عنها النفس مالقيت من المتاعب في رفق وإبطاء
ويجمع الحاصدون الغر شملهم في ظل فينانة الأغصان فرعاء
تحويهم حلقات من شبابهم فيرقصون على المزمار والناء
يناجزون من الألعاب أروعها والشيب يلحظهم لحظات إغراء

وإن يمل من الألعاب صحبتهم استأنفوا طارفا في اللهو وانغمروا
كل ينافس في صبر وفي جلد رفيقه - ليقال الغالب الظفر
وكي تداول في الآفاق سيرته وينشر الحي ماأبدى فيشتهر
قد استخف بما يلقاه من تعب والترب يعلو جبينا منه والعفر

بينا ترى سامرا في القوم مغتبطا يروي النكات لهم والكل مبتهج
يتلو عليهم طريفا من نوادره حلوا يكاد مع الأرواح يمتزج
ورب ساجية الأجفان فاتنة ظلت ترانيه منها أعين دعج
وتفهم الأم ماترمي فتحدجها حدج الملامة في صمت فتنزعج

آها لعهدك ، ياأوبرن ، أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا
هذي المفاتن كانت في ترادفها توحي إلى قلب أهليك الهوى الشغفا
على خمائلها فاضت مراتعها سحرا - ورفت على أدغالها طرفا
مفاتن ! أذوت الأيام بهجتها وصيرتها الليالي للبلى هدفا

«أوبرن» أين تولت من مغانيك هذي الملاهي وفرت من روابيك؟
لقد تمشت يد العاتي عليك فلم ترحم قلوب الحزانى من أهاليك
وقد علاك شحوب من تعسفها ووحشة قد تمشت في مراعيك
بأي حكم زمان صار يحكمها فرد - وكانت تراثا في أواليك

كانوا جميعا - فأمسى جمعهم بددا والربع أقوى - وكان الربع مأنوسا
والسهل لم يبق فيه بعد نضرته إلا بقية زرع كان مغروسا
والجدول العذب لم نبصر تألقه كما عهدنا - وفيه اليوم معكوسا
لكن سرى وهو بالأعشاب مختنق يشق مجراه بين الغاب محبوسا

وفي مفارجك الخضراء حل بها ضيف غريب من الأدغال قد هتفا
هذا هو «الرخم» يبني وكره ويرى مستمكنا في ذرى الأغصان مشترفا
وفي طلولك تدوي البوم ناعبة تنعى بصوت كئيب ماضيا سلفا
آها لعهدك ياأوبرن أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا

هذي خمائلك الخضراء ذاوية حالت مباهجها . دالت دواليها
توائبت فوقها الأعشاب هائشة والمحل أصبح ضيفا راغيا فيها
واليوم أهلك في خوف وفي وجل من بطش منفرد الأحكام طاغيها
قد بدلوا عيش أرض غير أرضهم وبدلوا ود أهل غير أهليها

«تتبع ...» م . ع . الهمشري

(١) أصل هذه الكلمة swain ومعناها فلاح ولكننا لم نجد في اللغة العربية لفظة موسيقية لها غير فلاح فاستبدلناها بلفظة «حصاد» (٢) المقصود بها مكان اللهو واللعب

نفسية قطـــة

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

نقلها عن الانجليزية الاستاذ احمد امين

قطتي بيضاء الصدر ، قرنفلية الأنف ، زرقاء العين ، تعيش معي على خير ما يكون الصديق لصديقه . ان نمت نامت تحت قدمي . وان جلست على كرسي أكتب جلست هي على متكئه تحلم . واذا مشيت في الحديقة تبعتني واذا أكلت زاحمتني ، فحالت أحياناً بيني وبين لقمتي .

استودعني ذات يوم صديق لي ببغاء أخضر ريثما يعود من سفره . فاستوحش من منزلي ، وشعر أنه غريب ، فتسلق القفص حتى أعلاه . ثم جثم ساكتاً مرتعداً .

وكانت قطتي لم تر ببغاء قط ، فكان مخلوقاً جديداً أمام عينها . أدهشها منظره فكانت اشبه شيء بقطة محنطة من آثار الفراعنة . واستغرقت في التأمل كأنها تستعيد في ذاكرتها كل ما درسته من التاريخ الطبيعي على سطح الدار وفي حديقة المنزل ؛ وكان ما يدور بفكرها يتجلى في نظراتها حتى لأستطيع أن أتبين من عينيها خلاصة أفكارها كما لو كانت تعبر بقول بليغ ومنطق فصيح . كانت كأنها تقول : « ليس هذا المخلوق دجاجة خضراء » ولما بلغت من درسها هذه النتيجة تركت المائدة حيث كانت ترصد الببغاء وربضت في ركن من أركان الحجرة مبسوطة الذراعين مطرقة الرأس مطوطة الظهر ، كأنها نمر يتربص غزالا ورد الغدير .

كان الببغاء يتتبع حركاتها في اضطراب . وقد نفش ريشه ورفع ساقه المرتعشة وسن منقاره على إنائه الذي يأكل فيه . وهدته غريزته الى أن هناك عدواً يدبر الكيد له .

ثم أخذت القطة تسدد إلى الببغاء نظرات حادة وهو ينظر اليها فاهما حق الفهم ما يجول بخاطرها . فكأنها كانت تقول « لابد أن تكون هذه الدجاجة لذيذة الطعم على الرغم من أنها خضراء » .

وكنت أرقب هذا المنظر باهتمام موطناً نفسي أن أتدخل عند الحاجة .

ثم دنت القطة من الببغاء وأنفها القرنفلي يرتعد . وعيناها تضيقان . وأظافرها تنقبض وتنبسط ، وعمودها الفقري يرتفع وينخفض . وأخذت تمني نفسها قرب الحصول على طعم لذيذ ، كما يمني الشره نفسه اذا دعي الى مائدة صفت عليها ألوان الطعام الشهي .

ثم انحنى ظهرها فجأة كما تحنى القوس في يد الرامي ، ووثبت وثبة فاذا هي بجانب القفص . فأيقن الببغاء بما هو فيه من خطر وقال بصوت خافض رزين : « هل أفطرت ياجيمس؟ » وهي كلمة تعود الببغاء أن يقولها كما علمه سيده .

فأخذ القطة من الرعب ما لا يوصف : فلو أن طبولا دقت ، وصحافاً كسرت ، وطلقات نارية دوت ، ما روعت القطة كما روعت من هذه الكلمة ! ارتدت اذ ذاك الى الوراء ، وعلى وجهها أنها غيرت كل آرائها في هذا الطائر ، وكان يخيل الى من ينظر اليها أنها تقول : « ما هذا طائراً . ان هذا إلا انسان صغير » .

هب الببغاء يغني بصوت عال ، لأنه تحقق أن كلامه خير وسيلة يدفع بها عن نفسه .

نظرت القطة الى نظرة استفهام فلم يقنعها جوابي . فخبأت نفسها في فراشي ولم تتحرك طيلة يومها .

وفي اليوم التالي عاودتها شجاعتها فعاودت الكرة على الببغاء . ولكنها لاقت في يومها مالاقت في أمسها ، فاعترفت بهزيمتها وقررت أن تعامل هذا الطائر باحترام كما تعامل الانسان .

العوامل المؤثرة في الأدب

(بقية المنشور على صفحة ١٨)

ولم يأبهوا لاربابه . وحاول احد الاطباء الادباء وهو محمد بن دانيال الموصلي ان يبتكر نوعا جديدا من الادب اقتبسه من العاب خيال الظل فالف كتابا سماه طيف الخيال فحبط عمله

واما في الاندلس فابتدع عبادة بن ماء السماء القزاز الموشح، وابتكر ابو بكر بن قزمان الزجل . فطرب الناس لهما واعجبوا بهما واقبل امراء القريض وزعماء الادب على نظمهما وجمعهما فنبغ فيهما النوابغ واشتملت على روائعهما الكتب . فما السبب اذن في استهجان البغداديين لادب العامة وعزوفهم عنه . واستحسان الاندلسيين له ونبوغهم فيه؟ السبب يعرفه المؤرخ الباحث وهو ان بغداد كانت شديدة الارستقراطية لانها موطن الاشراف وذوى الاحساب والمال والثروة، فكانوا يترفعون عن الشعب ويستخفون بادبه وذوقه وذكائه . ويجدون من الغضاضة ان يتحلوا بحليته ويجروا على اسلوبه: ولكن الاندلس كانت ديمقراطية غنية كامريكا اليوم . فلم يعتز احد فيها بالنسب لتساويهم فيه. ولا بالثروة لعموم الرخاء فيهم ، وحسن توزيع الثروة بينهم ، فكانت منازل الخاصة والعامة متصاقبة . واذواقهم وآدابهم متقاربة . لذلك لم يتأبه الشعراء والادباء عن تقليد الادب العامي وتدوينه .

« يتبع »

بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دفني

٣ (١)

١) أيفا . من أنت ؟ وهل لك من علم بطبيعتك ؟ أتعلمين لم خلقت وما هو واجبك فى الحياة ؟ أتعلمين أن الله لكى يعاقب الرجل — مخلوقه — على خطيئته الأولى اذ امتدت يده الى شجرة المعرفة شاء أن يكون حبه لنفسه فى كل زمان وفى كل أدوار حياته غرضه الأول. مهموم بحب نفسه مهموم بأن يرى نفسه .

٢) ولكن اذا كانت ارادة الله شاءت أن تسكنى الى جانبه أيتها المرأة . أيتها الرفيقة الرقيقة . ايفا . أتعلمين السر فى ذلك ؟ انما هو لكى يرى نفسه فى مرآة نفس أخرى . انما هو لكى يسمع تلك الأغنية التى لا يمكن أن تصدر الاعنك . ذلك الفيض الالهى الذى يتردد فى هذا الصوت العذب . انما هو لكى تقضى فى أمره وان كنت له أمة . لكى تحكمى فى حياته وان اخضعك لقوانينه .

٣) فى أقوالك المرحة جبروت المستبد . فى عينيك سطوة القوة ، وفى مرآك امارة السلطان ، حتى لقد شبه ملوك الشرق فى أغانيهم نظراتك فى هول وقعها بنزول الموت .. كل يحاول جهده ان يتقى من احكامك المتسرعة . على ان قلبك الذى يكذب جسارة مظاهرك سريع مايخضع لضربات القدر من غير مقاومة ولا دفاع

٤) لعقلك وثبات كوثبات الغزال، إلا أنه لا يستطيع السير من غير مرشد ولا معين . الارض تدمى قدميه ، والهواء يضنى جناحيه وعينه يعشو بصرها عن ضوء النهار اذا سطع لألاؤه . واذا اتفق أن سمت به الفكرة فى دفعة من دفعات حماستها الى مستقر علوى اضطربت بها الرياح(٢) وعجزت عن ان تمسك نفسها من غير خوف ولا ضجر .

٥) ومع ذلك فليس فيك ما فينا من خصائص الجبن اذ تتردد صيحات المظلوم فى قلبك ، ويدق بها نبضه كالارغن فى سكون الكنيسة المطبق ، يتأوه متألما كأنه يرجع صوت ألم تلقاه . للهيب الفاظك تتحرك الجماهير ، وبدموعك تمحى آثار كل إهانة ونكران للجميل . بيمينك تهزين الرجل فينهض وسلاحه بيده

٦) اليك يجمل ان تنتهى كبريات الشكوى التى تئن منها البشرية الحزينة . عند ما يتضخم القلب بالموجدة نرى هواء المدن يكاد يخنقه كلما دق ، ومع ذلك تسمو تنهداته الى ما فوق الدخان الاسود لتنعقد كلمة واحدة نسمعها بوضوح .

٧) تعالى(١) إذن . ما السماء عندى إلا اطار تحيط بك زرقته . ويغمرك ضوؤه ويحميك جداره . ما الجبل الا معبدك والغابة قبابه . العصفور فوق الزهرة لا ترنحه الرياح والزهرة لا ينبعث أريجها والطائر لا يجرى أنينه الا ليصفو الهواء الذى تستنشقين . ما الأرض إلا بساط لقدميك الجميلتين كأقدام الطفل .

٨) أيفا : سأحب كل مخلوق ، وسأتأمل فى نظراتك الحالمة التى ستنتشر فى كل ناحية أضواءها المتعددة الألوان فتنشر معها لذتها السحرية وسكونها الضاحك . تعالى ضعى يدك الطاهرة على قلبى الممزق . لا تتركينى وحيداً مع الطبيعة لأننى أعرفها حق المعرفة لكى لا أخشاها .

٩) أراها تخاطبنى قائلة(٢) : وما أنا إلا ذلك الملعب الذى لا تحركه أقدام اللاعبين . درجاتى الزمردية وساحاتى المرمرية وأعمدتى الرخامية صاغتها يد الله . هيهات أن أستمع إلى صيحاتكم أو الى تنهداتكم بل ما أكاد أحس بالمهزلة الانسانية التى تمر فوق ظهرى باحثة لها عبثاً عن متفرجين بكم فى السماء(٣) .

---

(١) فى هذا الجزء وهو خير ما فى القصيدة وربما كان خير ما كتب (دفنى) يعود الشاعر الى ذكر الحبيبة وأثرها كامرأة فى الرجل ثم يتطرق الى ذكر الخالق و الطبيعة ليقارن بينه وبين جمال البشر وجمال الالم الانسانى .

(٢) بها أى بالفكرة وهى تحمل العقل على أجنحتها .

(١) تعالى أى ياحبيبتى فهو يعود الى ايفا مرجعه الاخير والتى ينتهى اليها دائما بعد كل شوط من أشواط شاعريته (١) يلاحظ القارىء كيف أن الشاعر بعد أن هاجم حياة المدن فى الجزء الاول ودعا حبيبته الى هجرها للذهاب الى الطبيعة التى وصفها لنا وصفا رائعا يعود فيهاجمها بدورها والواقع أن (دفنى) لم تشغله حياة المدن ومعلوم انه قد قضى حياته منعزلا كأنه فى برج من العاج كما أنه لم يكن من عشاق الطبيعة وهو لم يترك المدن طول حياته ولم ير البحر الا فى العقد الثالث من عمره ولذلك كان همه الشاغل الأفكار وبخاصة ما تعلق منها بحقائق النفوس ومن هنا كان شعره أقرب الى الفلسفة منه الى أى شىء آخر وهو لذلك يقول بيته المشهور الذى سيراه القارىء بعد قليل «أحب جلال الالم البشرى» هو لا يحب المدن ولا يحب الطبيعة . وانما يحب النفس البشرية وما يسمو بها الى الكمال . ورأى مهذب أفعل من الالم فى رفع النفوس الى المراتب العليا من الكمال(٣) ليس بغريب أن يصف دفنى السماء بالبكم وهو الحانق على الأقدار حنقا أحسن العبارة عنه بما لا مزيد عليه فى أول قصائد الاقدار المسماة «الاقدار» والتى باسمها تسمت كل المجموعة كما عاد فهاجمها فى قصيدته المشهورة «جبل الزيتون» حيث يحكى جولة المسيح فى جبل الزيتون بجانب بيت المقدس قبل يوم الصلب وكيف ان الله لم يجب عن تضرعاته بغير الصمت بل اننا نجد فى خواطره التى

١٠) وفانا أطوى البشر بجانب من غير أن أسمعهم أو أبصرهم كما لا أميز بين أحجار النمل ومسحوق رفات الإنسان. لا علم لى بأسماء الامم التى أقلها. يسموننى أمهم وما أنا إلا قبرهم. شيئانى بلتهم أمواتهم قرباناً له، وربيعى لا يستمع لصلوات غرامهم.

١١) ولقد كنت قبل أن توجدوا دائماً معطرة وجميلة يوم كنت أترك للرياح شعورى المنحلة، وأسلك فى السماء طريقى المعتاد فوق قبب الميزان ذى الكفات الالهية. فلنا وجدتم ذهبت وحيدة فى صمت رهيب أعبر الفضاء الذى تتقاذف فيه الكائنات، وأشق الهواء بجبهتى وثديى الناهدين.

١٢) هكذا تخاطبنى الطبيعة فى صوت حزين متعال، وأنا أبغضها فى نفسى وأرى دمنا فى أمواج مياهها، وجثث موتانا تحت حشائشها تغذى بعصيرها جذور غاباتها. وأقول لعينى اللتين قد تريان فيها جمالا وحولا نظراتكما الى غيرها، واسكبا دمعاتكما على سواها ليكن حبكما للمسوف لا تريانه مرتين.

١٣) آه! ترى من سوف يشاهد جمالك ورقتك مرتين أيها الملك الشاكى الذى يتكلم بتنهداته؟ ترى من سوف يولد مثلك حاملا قبلة كما تحملين فيما ترسله عيناك من بارقات النظر فى ترنحات رأسك المنكس. فى هذا القد المضنى الساكن فى دعة الى فراشه، ثم فى تلك الابتسامة النقيـــة التى تفيض بالحب والألم.

١٤) عيشى أيتها الطبيعة، وعيشى الى الأبد فوق أقدامنا وفوق جباهنا مادامت تلك سنتك؛ عيشى واحتقرى — ان كنت ربة حقاً — الانسان، ذلك العابر سبيل الذى كان من المقدر أن يقوم عليك ملكا، فانى أحب جلال الألم البشرى فوق ما أحب ملكك ومظاهره الكاذبة. هيهات أن تنالى منى صيحة حب!

١٥) ولكن أنت أيتها السابحة المتهاونة! أماتريدين أن تضعى رأسك فوق كتفى وتستسلمى لأحلامك؟ تعالى نشاهد ونحن على مدخل منزلنا المتحرك من مر ومن سيمر من البشر. لسوف تدب الحياة فيما يحمله الى الشعر من صور الانسانية عند ما تمتد أمام منزلنا آفاق الأرض الصامتة الى غاباتها البعيدة.

١٦) وهكذا نسير غير تاركين وراءنا فوق تلك الأرض العاقة التى مر عليها أمواتنا من قبل الا شبحنا. ستتجاذب الحديث عنهم عندما تظلم الآفاق، ويحلو لك أن تسلكى سبيلا محوا لتستغرقى فى أحلامك مستندة الى الاغصان الضئيلة باكية حبك العابس المهدد كما بكت (ديانا) على شواطىء تبعها.

محمد عبد الحميد مندور
عضو بعثة كلية الاداب باريس

ooooooooooo

الدكتور طه حسين
فى الجامعة الأمريكية

سيلقى الدكتور طه حسين خمس محاضرات فى موضوع «الشعر العربى فى القرن الثالث للهجرة» بقاعة المحاضرات بالجامعة الامريكية فى تمام الساعة السادسة من مساء الأيام التالية على النظام الآتى:

المحاضرة الأولى: يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣
الحياة الأدبية العربية فى القرن الثالث للهجرة

المحاضرة الثانية: يوم الجمعة ٣ مارس سنة ١٩٣٣
أبو تمام وشعره

المحاضرة الثالثة: يوم الجمعة ١٠ مارس سنة ١٩٣٣
البحترى وشعره

المحاضرة الرابعة: يوم الجمعة ١٧ مارس سنة ١٩٣٣
ابن الرومى وشعره

المحاضرة الخامسة: يوم الخميس ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣
ابن المعتز وشعره

ولهذه المحاضرات تذاكر خاصة بثمن قليل وتطلب المعلومات عنها من سكرتارية قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية بالقاهرة

تركها فى المجموعة المسماة «خواطر شاعر»، ماهو أبلغ من ذلك فى مهاجمة القضاء، بل والتطاول على الله جلت قدرته فقد كان فتى ينوى كما ذكر فى أحدى تلك الخواطر يتصور رواية يعقد فيها الأشقياء أعنى بؤساء هذه الحياة فى يوم البعث محكمة يحاكمون الله فيها على اساءاته لهم فى الحياة الدنيا كما ذكر فى خاطرة أخرى فكرة رواية يكون محورها ان شاباً ينتحر فراراً من شقائه ثم يأتى امام الله ليسأله عز شأنه لماذا انتحر فيجيبه لا تسألنى لماذا انتحرت بل اسأل نفسك لماذا أشقيتنى. ونحن نجد فى رواية «شاترتون» لفى نفسه تبريراً بليغاً للانتحار حتى ليخيل الينا انه يريد ويدعو اليه ولو لم يحقق فكرته فيجمع بطله شاترتون بالاله ويقص علينا مثل الحوار الذى أشار اليه فى جريدته ومن يدرى لعل هذه الفكرة كانت موضوعاً لمشروع رواية ثانية تكملة شاترتون

القصص

على هامش السيرة

الفداء

للدكتور طه حسين

أصبحت سمراء محزونة كاسفة البال تبدو على وجهها المتجعد وجبينها المقطب كآبة مظلمة، لم تحاول فى هذا اليوم أن تخفيها أو تخفف من حدتها كما تعودت أن تفعل منذ أعوام وأعوام، فقد عرفت سمراء ألم الحزن منذ احتفرت زمزم، ومنذ ظهر حرص زوجها على الولد، ورغبته فى كثرة العدد، ومنذ خطب فاطمة المخزومية فأحبها وكلف بها، وانصرف اليها عن كل شيء وعن كل انسان. ومنذ كثر ولد فاطمة من البنين والبنات واشتد لذلك حب عبد المطلب لها وكلفه بها، وانصرافه اليها، وتجافيه عن زوجه الأولى تلك التى أضاءت له سبيل الشباب وأعانته على احتمال أثقال الحياة الأولى.

نعم عرفت سمراء ألم الحزن فى هذه الأعوام الطوال من حياتها. ولكنها كانت على بداوتها امرأة لبقة بارعة الجمال، زكية القلب، تعرف كيف تخفى عن زوجها ما يكره، وكيف تلقاه بما يحب.

وكانت توفق بفضل هذه اللباقة وهذا الذكاء الى أن تستميل اليها زوجها، وربما اضطرته الى أن ينقطع اليها وقتاً ما وينسى زوجه الأخرى الى حين، ولكن يوماً أقبل يحمل الى سمراء شراً ليس فوقه شر وألماً ليس بعده ألم، أصبح هذا اليوم مظلماً: فما أمسى حتى أظلمت له حياة سمراء كلها، ذلك أنه مضى بموت ابنها الوحيد، فأذاقها مرارة الثكل واليتم والترمل جميعاً. فقد كان الحارث لها ابناً تجد عنده قرة العين، وأباً تحس منه العطف وحنو الآباء، وكان هو يجد ألمها، ويعرف أسراره ويجد فى الطب لهذا الألم، فكان يبالغ فى رعاية أمه وحمايتها، وكان شديد الحرص على أن يلقاها ما استطاع الى ذلك سبيلا، وعلى أن يطيل المكث معها والتحدث اليها، يشركها فى جد أمره ولعبه، يستشيرها ويظهر قبول مشورتها والاستماع لنصحها. فكان يقوم منها فى أكثر الأحيان مقام أبيه. وكان يعزيها بحبه وبره عما كانت تجد من الوحشة حين يصد عنها زوجها فيطيل الصدود. فلما مات الحارث مات معه أمل سمراء، ولم تلق الحياة إلا بوجه محزون كئيب يصور قلباً مكلوماً مظلماً. وقد جزعت سمراء لهذا الخطب واشتد جزعها، وطال، ولكن أى شيء يبقى على الأيام! ولقد ذهبت الأيام الطوال بحدة هذا الجزع وشدته. كما ذهبت بنضرة شباب سمراء، وكما ذهبت بحياة ابنها الحارث، وكما ذهبت بحب زوجها عبد المطلب. وأصبحت وقد تقدمت بها السن وامتحنتها حوادث الدهر امرأة مذعنة لحكم القضاء. لا تنكر شيئاً ولا يسرها شيء. محزونة ولكن فى دعة! ملتاعة ولكن فى هدوء!

وقد أحست انكار الناس من حولها لما يرون من حزنها وكآبتها. وما يجدون من انقباضها عنهم. فجدت ما استطاعت فى اخفاء ما تجد وكتمان ما تحس. واحتفظت لنفسها بهذا الكنز الحزين. كنز الذكرى وما تثيره من العواطف وما تهيجه من اليأس. وتركت للناس من نفسها شخصاً عادياً يبتسم حين يبتسمون، ويرضى حين يرضون. ويشاركهم فى أكثر ما يجدون من عاطفة أو شعور.

على أنها كانت تجد شيئاً من الرضى وراحة النفس حين تجد من زوجها عطفاً عليها وأنساً اليها. وكان زوجها منذ أصابها هذا الخطب شديد الرفق بها، كثير الزيارة لها يصفيها مودة خالصة قوية. ولكنها خالية أو كالخالية من هذا الحب الذى يحيى قلوب النساء.

أصبحت سمراء فى هذا اليوم محزونة ظاهرة الحزن، كئيبة بادية الكآبة. أقبل عليها إماؤها الثلاث يحيينها تحية الصباح فردت عليهن تحيتهن رداً فاتراً، ثم جلست وجلسن وأخذت مغزلها وأخذن مغازلهن، وعملت أيديهن فى الغزل وسكتت ألسنتهن عن الكلام. وكانت سمراء تدع مغزلها من حين الى حين وتظل ساكتة واجمة، وربما انحدرت من احدى عينيها دمعة حارة فأسرعت اليها تزيلها بيدها دون ان تقول شيئاً. والإماء صامتات ينظرن فى حزن عميق الى مولاتهن الحزينة، ولا تستطيع واحدة منهن أن تبدأها بالكلام. فلما طال عليهن هذا الصمت وهذا الحزن وثقل عليهن ما كن يجدن من ألم وما كان يملأ قلوبهن من حب للاستطلاع ورغبة فى التكلم وميل الى تعزية مولاتهن. اجترأت «ناصعة» وكانت أشجعهن قلباً وأطولهن لساناً. لأنها كانت تعرف مكانتها عند سمراء، فقالت: لقد أصبحت يا سيدتى على حال

مارآيناك عليه منذ زمن بعيد. فقد كنا نراك محزونة كئيبة ولكنك كنت تجاهدين الحزن، تدافعين الكآبة وتتكلفين الرضى. وكنا نجد من ذلك ما يشجعنا على تسليتك وتلهيتك بالحديث حيناً وبالغناء حيناً آخر: تقص عليك كل واحدة منا ما حفظت من أخبار بلادها. وتغنيك كل واحدة منا بما تعلمت من الغناء في رطانتها الأعجمية. وكذلك كنت تسمعين أقاصيص سورية وأخرى حبشية وأخرى يونانية. وكنت تسمعين أغاني في لغات أجنبية قليلا ما تعجبك ولكنها كانت ترسم على ثغرك الابتسام في أكثر الأحيان. أما اليوم فلم نرمنك إلا حزناً قاتماً. ولم نسمع صوتك العذب، ولم يرعنا إلا هذه الدموع التي تسفحينها في صمت أليم. تكلمي يامولاتي إيني ماذا تجدين؟ ماذا أحزنك اليوم؟ تكلمي وأحسني ظنك بنا، فقد نستطيع أن نعينك على الحزن كما كنا نستطيع أن نبعث في قلبك السرور. نحن إماء ولكننا نساء نجد الحزن كما تجدينه، ونحس اللوعة كما تحسينها. ولعل حبنا للبكاء أشد من حبنا للضحك، ولعل حرصنا على الحزن أشد من رغبتنا في السرور. ولعلنا ان شاركناك في الحزن والألم جارينا طبائعنا، وأرسلنا نفوسنا على سجاياها. فليس في حياتنا وان كنت لنا مكرمة ما يسر أو يرضى، وأي شيء يسر أو يرضى في حياة الأمة الغريبة التي لا تملك نفسها! ولا تحس إلا ذل الرق ولا تستطيع أن ترضى حقاً أو أن تسخط حقا إلا اذا خلت الى نفسها، وأنى لها أن تخلو الى نفسها! تكلمي ياسيدتي ماذا يسوءك وماذا يغشي وجهك بهذا الغشاء الحزين؟ قالت ناصعة ذلك وانتظرت أن تجيبها سمراء، ولكنها لم تظفر بجواب، وانما رأت دموعاً تنحدر ثم تنهمر ثم تستحيل الى زفرات حارة ونحيب غير منقطع. هنالك محا الحزن ما بين السيدة الحرة وإمائها من فروق. فأسرعن اليها يهدئنها ويرفقن بها. هذه تقبلها، وهذه تمسح دمعها، وهذه تمر يدها على رأسها، وهن جميعاً يبكين لها ويبكين لأنفسهن. وقد هدأت سمراء بعض الشيء، وسكنت نفسها الثائرة الى هؤلاء الاماء الرفيقات فابتسمت لهن في حزن، وشكرت لهن ما أظهرن لها من مودة وعطف، وطلبت اليهن العودة الى ما كن فيه من عمل، وأخذت هي مغزلها وجعلت تديره في يدها ولكن ناصعة لم تلبث أن عادت الى الكلام فقالت وهي تتكلف الابتسام وتتصنع الضحك: ليس يغني عنك الصمت يامولاتي فانا نعلم ما تسرين كما نعلم ما تعلنين، ولولا خوفنا منك واكبارنا اياك لقصصنا عليك القصة التي تحزنك وتجري دموعك الحرة على خدك النقي. ولكن أنى لنا أن نبلغ منك هذه المكانة وانما أنت سيدة ونحن إماء! قالت سمراء كفى عن هذا الحديث يا ناصعة فقد أنسيت اليوم أن بيني وبينكن فرق ما بين السيدة وإمائها، ولست أرى منكن الآن إلا نساء تعسات مثلي. انما نحن أخوات في الشقاء والبؤس. وما ينفعني أني حرة وأنا مثلكن مقيمة على الضيم محتملة للذل. مذعنة لصروف القضاء! لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا أستطيع أن أبرح هذه الدار! والى أين أبرحها! لقد ذهبت غارة بني أسد بأبي وأخي، وأصبحت أمي وأخواتي إماء مثلكن، لا أعرف من أمرهن شيئاً ولم ينهض فتيان بني عامر وكأنهم للثأر! ليت شعري ماذا يصنع أبو براء بأسنته! ماله لا يلاعبها لقد ذهب الموت بأبي وأصبحت أسيرة في يد عبد المطلب. أسيرة لا كالأسرى: يجفوني ولا أستطيع له بغضاً ولا قلى كما يفعل الأسرى. وانما أحبه ولا أجد عن داره منصرفاً. ها هو ذا قد عاد من رحلته الى اليمن منذ ثلاث. فلما بلغ مكة أسرع الى هالة بنت وهيب فقضى عندها أولى لياليه وأول أيامه لأنها أحدث زوجاته به عهداً. ثم أصبح فانتقل الى نتيلة فأقام عندها يوما وليلة. ثم أصبح فانتقل الى فاطمة فأقام عندها يوماً وليلة وما أرى إلا أنه سيقبل بعد حين، فيلم بهذه الدار إلمامة قصيرة ثم يسرع الى هالة! فما أشد شوقه اليها وقد حدثت أنه أقبل من اليمن كأحسن ما يكون الرجال سمة وابرع ما يكونون جمالا. وحدثت أن هالة انكرته حين رأته فقد ودعنا أبيض الرأس وعاد فاحم الشعر، كأنه لم يتجاوز الثلاثين(١). وقد أنكرته من الغد قريش كلها لما رأت من سواد لمته. ولكنه أزال عجب قريش حين أظهر لها هذا الخضاب الذي حمله من اليمن، والذي يرد الشيب شبابا، والذي اسرعت قريش اليه فاشترت منه واختضب به شيبها فاذا أهل مكة كلهم شباب.

كل ذلك ولم أر عبد المطلب، ولم أحس منه ذكراً لي وحنيناً الي. وماذا يصنع؟ ليس لي شباب هالة، ولا جمال نتيلة، ولا ولد فاطمة! وانما أنا عجوز فانية، يتيمة وحيدة ليس لها أب ولا أم ولا ولد، أنا هذا الحمل الثقيل، الذي يضيق به صاحبه، ولكنه يأبى أن يلقيه ويتخفف منه مخافة أن يصفه الناس بالضعف أو القصور.

قالت ذلك وأغرقت في بكاء طويل شاركها فيه إماؤها الثلاث. ولكن ناصعة لم تلبث أن قالت: أهذا كل ما تعلمين من أمر زوجك ياسيدتي؟ انك إذاً لتجهلين كل شيء، ولا تعلمين إلا أقل أمره خطراً. وان عندي من أمر سيدنا ما لو قصصته عليك لأرضاك ولخفف لوعة الحزن هذه التي تحرق فؤادك الكئيب. لن ترى زوجك اليوم يامولاتي فهو عنك في شغل، لقد كان راضياً مسروراً حين كان يرى نساءه ينكرن سواد لمته ويعجبن بشبابه الجديد، وحين كانت قريش تستبق اليه تشتري منه هذا الخضاب بما أحب من مال، ولكنه محزون منذ أمس، مغرق في حزن لا قرار له، فهو خليق بالرثاء. إنك تحبينه ياسيدتي وستنسين إعراضه عنك، وسترثين له، واني أخشى أن تخفي اليه حين تعرفين نبأه. قالت سمراء في شيء من الجزع بدأ هادئاً ولكنه لم يلبث أن اشتد قليلاً قليلاً حتى بلغ أقصاه: ماذا تقولين وبم تتحدثين؟ هو محزون! هو خليق بالرثاء. لماذا؟

(١) انظر طبقات ابن سعد صفحة ٥٢ جزء أول قسم أول

ابنِي متى علمت بذلك؟ وكيف أخفيته علي؟ ما الذي يحزنه؟ ما الذي يسوءه؟ ما الذي يجعله أهلاً للرثاء؟ ما الذي يضطرني الى أن أخف اليه لأعزيه وأواسيه؟ قولي أسرعي، لا تخفي علي شيئاً. قالت ناصعة: مهلاً يا سيدتي ارفقي بنفسك ولا تذهبي بها في الخيال كل مذهب: لا بأس عليه في نفسه ولا في ماله، ولكنه يمتحن منذ أمس في بنيه. هوني عليك إن في هذه المحنة لعزاء لك عن فقد حارثك العزيز. أتذكرين يوم احتفر زمزم فنذر لئن أوتي من الولد عشرة ذكوراً ..... قالت سمراء: يراهم ليضحين بواحد يا بؤس هذا اليوم! لقد عرفت هذا النذر فكان مصدر شقائي كله، عرفت أنه سيتكثر من النساء ورأيت مدية التضحية ممدودة إلى عنق قد تكون عنق ابني العزيز. منذ ذلك اليوم كرهت النساء جميعاً لأني رأيت في كل واحدة منهن ضرة لي. ومنذ ذلك اليوم رأيت شبح الموت مقيماً بهذا البيت ما أقام فيه ابني مفارقاً لهذا البيت ما فارقه ابني. ومنذ ذلك اليوم لم أر ابني في يقظة ولا في نوم إلا رأيت الموت له ظلاً. أتمي حديثك يا ناصعة. قالت الفتاة: لقد ذكر زوجك أمس وهو يتحدث إلى فاطمة نذره هذا وذكر أن أبناءه الذكور قد بلغوا عشرة أحياء يراهم ويولد طفله حمزة فأقسم ليوفين نذره، وليضحين بأحد أبنائه وليجعلهم تسعة منذ اليوم حتى تتمهم له هالة أو نتيلة أو غيرهما عشرة أو تزيد بهم على العشرة. ولم يكد يعتد هذه اليمين حتى جزعت فاطمة وشاركها بناتها في الجزع. أشفقت على الزبير وأبي طالب وعبد الله وغيرهم من بنيها.

وبلغ الخبر نتيلة فخافت على العباس، وبلغ الخبر هالة فجزعت على حمزة وثارت لبكاء امرأة نساؤها. وألح الناس على الشيخ: تأبى كل قبيلة أن تكون التضحية منها. ومضى الشيخ في يمينه فجمع اليه بنيه وأنبأهم بنذره فكلهم أقره وكلهم أطاعه وكلهم ألح عليه ليوفين بالنذر ولتقدمن الضحية. وليس لقريش منذ أمس حديث إلا هذا النبأ هم يتناقلونه ويكبرونه وينكرونه وقليل منهم من يقر الشيخ على هذا العزم الفظيع. قالت سمراء وهي مضطربة: ثم؟ قالت الفتاة: ثم أقبل الشيخ ببنيه الى الكعبة مع الصبح فأجال فيهم قداحه فخرج القدح على أحب بنيه اليه. وآثرهم عنده. قالت سمراء وقد سالت من عينيها دمعتان محرقتان: خرج القدح على عبد الله؟ قالت الفتاة: نعم. فأخذ الشيخ بيد ابنه يقوده الى المذبح وفي يده المدية ولكن بناته جميعاً وأمهن قمن دون الفتى صائحات يستصرخن بني مخزوم ويستصرخن قريشاً كلها ويمنعن الفتى بحياتهن. وأقبلت احداهن الى الشيخ ضارعة ثائرة معاً فقالت: اذا كان قلبك قد استحال الى صخر فلا يرق لابنك الشاب ولا لأمه الشيخة ولا لأخواته البائسات، واذا كانت شريعة قريش قد قست وجفت وغلظت حتى جعلت للآباء على أبنائهم حق الحياة والموت كأنهم الرقيق أو الحيوان، فدعنا نحتكم في هذا الفتى الى رب هذا البيت فهو أوسع منك رحمة وأجدر منك أن يضن بهذا الشباب على الضياع. وأن يربأ بهذا الدم الذكي أن يراق لنحتكم الى رب هذا البيت في أمر هذا الفتى. لنقرع بينه وبين هذه الابل الكثيرة التي تسيمها في الحرم ولنبلغن من ذلك ما يرضى رب هذا البيت.

وكانت قلوب قريش قد تفطرت حزناً وتصدعت أسى لقول هذه الفتاة وهي تبكي، وقد التزمت أخاها تعانقه وتقبله وتغسل وجهه الناصع بدمعها الغزير وهي تصيح: لأموتن قبل أن تموت. فما زالت قريش بالشيخ تلاينه حيناً وتخاشنه حيناً حتى اضطرته الى أن يقبل تحكيم الآلهة.

قالت سمراء وقد بلغ بها الهلع أقصاه: ثم ماذا؟ قالت الفتاة: ثم لا أدري تركتهم يتأهبون لاجالة القداح بين الفتى والابل وأقبلت لأقص عليك النبأ فرأيتك فيما كنت فيه من حزن عميق.

قالت سمراء: يا بؤس لهذه الحياة! لا يسعد فيها الناس بخير مهما يكثر كل السعادة، ولا تشقى فيها الناس بشر مهما يعظم كل الشقاء. أسعيدة أنا بموت الحارث أم شقية؟ لو قد عاش لذقت الآن ما تذوقه فاطمة من هذا الحزن اللاذع والخوف المهلك ولكني كنت أوثر مع ذلك أن يعيش فقد كان يمكن أن تخطئه القداح، وقد كان يمكن ان لم تخطئه في المرة الأولى أن تخرج على الابل من دونه وقد كنت أستمتع به أعواماً، ولكن هلم لا مقام لنا الآن لنسرع إلى حيث هم لنشاركهم فيما يجدون. واحسرتاه! إني لصادقة الحزن! إني لصادقة الخوف! إني لشديدة الاشفاق! إني لشديدة الرجاء، ولكن فاطمة ستظن بي سوءاً وستقدر أني أقبلت غير بريئة النفس من الشماتة. قالت ذلك ونهضت يدفعها حزنها الخالص ويردها خوفها من سوء الظن، ولكنها أسرعت مع ذلك وأسرع معها إماؤها. ولم تكد تتقدم في الطريق نحو المسجد حتى سمعت أصواتاً ورأت اضطراباً ثم تبينت في الأصوات فرحاً ورأت على الوجوه بشراً، وعرفت أن القدح قد خرج بعد لأي على مائة من الابل. وأن عبد المطلب يؤذن في الناس أنه سينحر هذه الابل بين الصفا والمروة، وأنها حرام عليه وعلى بني هاشم، مباحة لغيرهم من الناس والحيوان والطير.

فأسرعت سمراء حتى اختلطت بفاطمة وبناتها وهن سائرات يطفن بالفتى ويحلن بينه وبين غيره من الناس، حتى اذا بلغن البيت ألفين فيه امرأتين تبكيان احداهما هالة بنت وهيب أم حمزة وزوج عبد المطلب، والأخرى بنت عمها اليتيمة آمنة بنت وهب. هنالك أقبلت سمراء هادئة باسمة الى الفتاة فكفكفت من دموعها، وضمتها اليها وقبلت جبينها الطلق، ثم التفتت الى عبد الله وهي تقول: هلم يا فتى فقبل أهلك فمهما تغل لها في المهر فلن تبلغ هذه الدموع التي ذرفتها حزناً عليك. ثم نظرت الى فاطمة وهي تقول: ألا ترين أنها أحق فتيات قريش أن تكون له زوجة!

طه حسين

الرجل صاحب الكلب

قصـــة مصرية : للأستاذ محمود تيمور

حدثني الراوي قائلا :

عندما كنت طالبا فى مدرسة الزراعة بالجيزة كنت أتردد فى أوقات فراغي على قهوة صغيرة بالقرب من الشارع العمومي يجرى بجوارها جدول صغير وتتهدل فوقها أغصان شجرة عتيقة . وكنت أعتبرها حلقة الاتصال بين الحضر والريف أو بين المدنية والحياة الساذجة البدائية . فبينما تكون جالسا في مقعدك البسيط تشرب القهوة في هدوء وتصغي الي خرير الماء وتشم رائحة النبات اذ بك تسمع دوى ترام أوسيارة ويمتليء أنفك برائحة البنزين والتراب .

وكان يتردد على هذه القهوة رجل بدين الجسم كروى الوجه بأنف أفطس وعيون صغيرة يلبس بدلا من المعطف حرملة من اللون الأزرق الكالح ويلف رأسه بشال قديم مهلهل . وكنا في ذلك الوقت على أبواب الشتاء . وكنت ألاحظ عليه مظاهر الجربعة . واعتقدت أنه من أرباب المعاشات الفقراء . وأذكر أنني لم أذهب الى القهوة مرة واحدة ولم أجده . أراه دائما في ركنه المعهود بجوار باب القهوة منتفخا في جلسته يدخن النارجيله ويحتسي القهوة ويزعق بين فترة وأخرى على الخادم يصدر اليه أوامره الممضة . يصحب معه دائما كلبا أسود بشع الهيئة من فصيلة الأرمنت . يزعج القهوة بنباحه الثقيل . كان سيده يبالغ في تدليله والاعتناء به . ويكلمه ببعض كلمات انجليزية بلهجة سقيمة لا تتعدى قوله . . كام هير جيمى كام هير ماى دير (١)

ولا أدرى ما الذى دفعني الى أن أهتم بهذا الرجل وكلبه وأدقق في ملاحظتي اياهما . مع نفوري منهما .

وذهبت مرة الى القهوة فوجدت عويسا ماسح الأحذية يتشاجر معه . وكان الرجل يشتم الغلام بصوته العريض الوقح وهو منتفخ الأوداج محمر العين يبصق أمامه بصقات متوالية . ورأيت الكلب ينبح ماسح الأحذية بشدة ويجذب بأسنانه طرف ثوبه . فتحاشيت التدخل بينهما وقصدت الى مكاني بجوار الجدول ومعي كتاب الزراعة المصرية لأذاكر فيه . وجاء صاحب القهوة لحسم الخلاف وشتم عويسا وأرضى الافندى ببعض كلمات لا تخلو من تملق . وترك الكلب ثوب الغلام وذهب الى سيده فنظر اليه مليا وهو يبصبص بذنبه ثم تمدد تحت أقدامه ونام .

وجاءني عويس يمسح لي حذائي كالمعتاد فمددت له قدمي في حركة آلية غير ملتفت اليه وانشغل الغلام بالمسح وأنا بالتفكير وبعد برهة خاطبت عويسا ووجهي لا يفارق الكتاب . .

— من يكون هذا ؟

فأجابني وهو منهمك في عمله .

— واحد حكيم لا طلع ولا نزل . يدعى أنه كان حكيمباشي في الجيش في الزمن الماضي

— والآ ن ؟

— على المعاش

ثم رفع رأسه الي وقال :

تصور يا بيه أنه يريد أن يعطيني قرش تعريفه واحد في مسح حذائه ووضع شريط جديد له . وأى جزمة هذه التي مسحتها . ربنا لا يوريك اؤكد لك ان الورنيش لم يمسها منذ ان كان جنابه في الجيش . .

ولاحظت على الرجل انه يسارقنا النظر فاردت أن أحول مجرى الحديث ولكنني لم استطع اذ كان عويس قد اندفع يقول :

قرش تعريفه واحد نظير مسحة وشريط جديد . الله الغني يا سيدى . . هذا خلاف الخدمات التي اؤديها له بدون مقابل . ولو كان شخصا فقيرا لقلنا نخدمه لوجه الله ولكنه رجل عا كم . عا كم تمام .

وسمعت الحكيمباشي يبصق بشدة على الأرض فخفف عويس من حدته وهمس قائلا :

— تصدق بالله ، لو ذهبت الى بيته لظننت انك في مزبلة أو مربط بهائم . . . لم كل هذا والدنيا أخرتها موت . فضك واردم على هذه السيرة . .

وغبت عن القهوة بضعة ايام . وبينما كنت مرة في الترام منهمكا في قراءة « البلاغ » اذ شعرت بشخص يدخل العربة ـ وكانت مزدحمة بالركاب ـ ويحشر نفسه بين الجالسين وسمعت همهمة استياء من كل ناحية . ورفعت بصرى لأرى من الداخل فوقع بصرى اول وهلة على كلب اسود ضخم بشع الهيئة عرفته على الفور . ورأيت أمام مقعدى الحكيمباشي يمسح وجهه المحتقن المعقد ويشد حرملته على أكتافه ويدفع جاره وهو يدمدم . وتلاقت أعيننا . وشعرت بأنني ابتسم له . وشاهدته يحييني بجاملة بابتسامة مسطحية خاطفة . وبعد لحظات قال لي مندفعا :

— يدفع الواحد منا ستة ملليمات لهذه الشركة الملعونة ليحظى بمثل هذه الجلسة المرهقة . نحن آدميون ولسنا بهايم حتى يحشرونا هكذا كأننا في عربة للحيوانات . لماذا لا يزيدون عربة على كل قطار في مثل هذه الاقاوت . أقسم بالله ان سوارس الذى تدفع فيه ثلاثة ملليمات فقط أحسن ألف مرة من هذا الترام .

---

(١) تعال هنا يا جيمى تعال هنا يا عزيزى

بموافقته موافقة تامة . وأخذت أذم له الشركة بدورى . فظهر على وجهه الإرتياح وأخذ يناقلني الحديث بلهجة ودية ومن غير تكلف كأنه يعرفني منذ أعوام ، وقال :

ــ لم تحضر الى القهوة منذ أيام

ــ كنت مشغولا جدا . لقد هجمت علينا الدروس .

ــ إنه يا بنى لو كنت معنا فى الجيش لاستصغرت من شأن مشاغلك ... كنت أنا لا أجد الوقت الكافى لاتناول كوب اللبن في الصباح .

ــ حضرتك خدمت فى الجيش مدة طويلة ؟

فأجاب بلهجة متزنة وهو يعبث بسلسلة ساعته . .

ــ ٤٥ سنة ــ ٤٥ سنة وأنا أعيش فى الخيام وعلى ظهور الجياد . أضمد جروح الجرحى وأعنى بالمصابين . ثم أخرج بعد هذه الخدمة الطويلة العريضة الشاقة بمعاش لا هو فى العير ولا فى النفير . . . لا مكافأة ولا يحزنون . .

ثم مال على وهو يبتسم وقال :

ــ ألم تسمع المثل القائل : آخر خدمة الغز علقة . .

وكان قد خلا مكان بجواره فنظر إلى كلبه الذى كان ممددا تحت أقدامه وقال له وهو يفرقع بإصبعه . .

ــ كام هير جيمى . كام هير ماى دير .

وأشار له الى المحل الخالى . فقام الكلب وبعد أن تمطى وتثاءب فى هيئة شنيعة قفز بجوار سيده والناس يرمقونه بالنظر الشزر . والتفت الى الحكيمباشي وقال وهو يلاطف كلبه . .

ــ لم أر فى حياتى كلبا وفيا كجيمى هذا . انه انسان وليس بحيوان . لقد استغنيت به عن البنين فهو ابنى . وعن الخدم فهو تابعى الأمين . وعن الحراس فهو حارسى الذى يبذل دمه فى سبيلى . أتصدق أنى لا أعاشر سواه فى منزلى .

ثم نظر الى كلبه وقال :

ــ أوه جيمى أى لاف يو فرى ماتش (١)

وكان بجوارى شيخ معمم فسمعته (يمصمص) بشفتيه ويتمتم قائلا :

ــ لله فى خلقه شؤون !

ووقف الترام على احدى المحطات ودخل العربة محمد افندى زكريا الموظف ببنك الكومرسيال الإيطالى فسلم على فى بشاشة . ثم التفت الى الحكيمباشى وقال :

ــ أهلا أسعد بك . فى غاية الأشواق يا حبيبى

وتحدثنا برهة فى العموميات . ثم رأيت أسعد بك الحكيمباشى ومحمد افندى زكريا يفتحان باب البحث فى المسائل المالية . فسكت وأصغيت لهما . وأخذا يتعمقان قليلا قليلا فلم أعد أفهم من كلامهما شيئاً . وكانت أمثال الكلمات : الكامبيو والبورصة وسندات الشركة البلجيكية وأسهم البنك العقارى والرنت الفرنساوى تطن فى أذنى طنينا مزعجا . وارتسمت على وجه أسعد بك أشد مظاهر الاهتمام فوجدت عينيه تحملقان فى وجه محدثه حملقة الجائع الشره . ورأيت أنفه تتسعان كأنهما تستجديان الهواء . . . . . وأخيرا وصلنا الجيزة فسلم أسعد بك علينا ونزل لأنه كان يسكن هذه البلدة . أما أنا ومحمد افندى زكريا فتابعنا ركوبنا الى الأهرام اذ كنا نرغب فى تناول الشاى فى (مينا هاوس) وملت على محمد افندى وقلت له :

ــ ان لصاحبك باعا طويلا فى الأمور المالية .

ــ انه يا عزيزى يلعب بالجنيهات فى سوق المضاربة كما تلعب الأولاد (بالبلى)

ــ وهل يكسب ؟

ــ لم أسمع مرة واحدة أنه خسر .

ومرت الأيام وكثرت مقابلتى لأسعد بك فى القهوة وتوثقت بينى وبينه روابط الصداقة . واتضح لى أنه شخص غير مزعج كما توهمت قبل معرفتى اياه . فكان اذا رآنى فى ركنى المعهود منكبا على كتابى أذاكر درسى احترم عملى ولم يفتح فمه بكلمة . أما اذا لاحظ أننى لا عمل لى دعانى الى الجلوس معه . ولا أذكر أنه أكرمنى بفنجان قهوة . أو قدم لى سيكارة واحدة . أما حديثه فكان سخيفا ولكنه مسل للغاية . معظمه حكايات عن حياته الماضية فى الجيش ونوادر عن كلبه لا تخلو طبعا من مبالغات ومغالطات . وكان اذا تكلم عن كلبه لمعت عيناه بوميض غريب وخيل اليك أنه يتكلم عن ابن وحيد له قد وهبه كامل محبته وحنانه .

وتغيبت بضعة أيام عن القهوة . ثم عدت اليها فكان أول شىء لاحظته هو أن أسعد بك غير موجود . ولما جاءنى غلام القهوة سألته عنه فلم يفدنى شيئا . وبعد قليل ظهر عويس ماسح الأحذية . وكان مسرورا يخبط بظهر فرشته صندوقه فسألته :

ــ ما الخبر ياولد ؟

ــ خبر عظيم جدا يا بيه . لقد أخذوا كلب أسعد بك فى عربة الكلاب .

ــ ياشيخ !

ــ شاهدت ذلك بعينى رأسى .

ونالنى شىء من الأسف . ولكننى لم أهتم بالأمر كثيرا . واعتقدت أننى سأرى فى الغد صديقى وكلبه يحتلان ركنهما المختار فى القهوة .

(١) آوه ياجيمي . إنى أحبك كثيرا

وبعد انقطاعي بضعة ايام ذهبت الى القهوة فوجدت أسعد بك يبحث بعيني عن الكلب فلم أجده. وكانت عيناصديقي مربدتين حائرتين ووجهه محتقنا. وسلمت عليه فسلم علي في اقتضاب وصمت فلم أشأ أن أثقل عليه. وقصدت الى مكاني وفتحت كتابي وبدأت دراستي ولكنني ما كدت أفعل حتى سمعته يتكلم في لهجة شرسة كانه يتحدى انسانا أمامه قائلا:

يأخذون الكلب ويطلبون مني جنيها مقابل اطلاق سراحه! جنيه! هذا نصب، نهب.... اخص على دي مصلحة.

ويصق بصقة كبيرة. ثم أتم كلامه ....

— ... مع أني افهمتهم أني حكيم... حكيمباشي الأورطة التاسعة التي قهرت العصاة في الأبيض ودارفور. رجل مقامي معروف وماضي مفعم بجليل الأعمال. مصلحة دون! لا تعرف أصحاب المقامات ... اخص ..!

وبصق بصقة أخرى. وكان يتكلم بدون أن يلتفت ناحيتي. ولكنني كنت متأكدا أن الكلام موجه الي اذ لم يكن في القهوة غيرنا. فرأيت من باب المجاملة أن أعير حديثه اهتمامي. وقلت:

— جميع مصالح الحكومة بايظة.

فاحتد في كلامه وهو ينظر أمامه دائما وقال:

— الا هذه المصلحة. انهـــا ليست بايظة فقط. انها غير موجودة.. أتصدق أنهم يرفضون شهادتي الرسمية بأن الكلب غير مكلوب وأنه ليس من الكلاب الضالة، ويقولون ان الاجراءات يجب أن تتبع مجراها. اجراءات؟ هه!... سأريهم كيف تتخذ أمثال هذه الاجراءات معي ومع كلبي. سأريهم ...!

وضرب بشدة على المائدة والتفت الى هذه المرة وعيناه تشعان باللهيب وقال:

— لقد أرسلت عريضة اليوم الى وزير الحربية لتخلية سبيل كلبي في الحال.. في الحال.

فأجبته على الأثر.

— حسنا فعلت..

وفي الغد سافرت مع فرقة من طلبة المدرسة في رحلة الى الصعيد. وقضينا هناك أسبوعا كاملا نتنقل بين ربوعه متفرجين على آثاره العظيمة. وفي اليوم التـــالي لعودتي الى القاهرة قصدت الى قهوتي المعروفة. فرأيت عويسا جالسا القرفصاء على الأرض بجوار احدى الموائد وأمامه صندوقه ينتظر زبائنه. فناديته وسألته على الفور.

— ماذا جرى لكلب أسعد بك؟

فابتسم ابتسامة عريضة وقال:

— تعيش أنت!

— قتلوه؟

— منذ أربعة أيام.

ألم يدفع أسعد بك المبلغ؟

— يدفع المبلغ! انه يرضى أن يدفع لهم عينيه! ولا يتجاوز لهم عن الجنيه.

وشاهدت أسعد بك آتيا صوب القهوة يتوكأ على عصاه الغليظة ويسير في ثقل واعياء. ولما اقترب مني ابتسم لي ابتسامة هزيلة وسلم علي ثم جلس. ولاحظت على وجهه شحوبا كأنه قريب العهد بمرض خبيث. وأشار الى المقعد الذي أمامه وقال:

— تفضل اجلس

جلست وبدأنا نتحادث في أمور تافهة. وكانت لهجته مهملة ونظراته فيها بعض الشرود. ولم يتكلم بكلمة واحدة عن جيمي فعلمت أنه لا يريد الخوض في هذا الموضوع. ثم خيم علينا صمت ثقيل فاستأذنت وقصدت الى ركني.

ومنذ ذلك الحين اختلت مواعيد أسعد بك ولم أعد أراه دائما في القهوة كلما ذهبت. وغير عادته في فنجان القهوة السادة الذي كان لا يحيد عنه ولا يزيد عليه واستبدل به بضع كؤوس من العرق. وكان كلما ثارت الصهباء في رأسه اندفع يتكلم في اسهاب ممض وبصوت مرتفع كأنه يصرخ أو يشتم. وكانت موضوعاته دائما لا تخرج عن سبه مصلحة الطب البيطري وسب العالم كله على السواء. كان يقول دائما:

— الدنيـــا كلها نهب في نهب. اخص بلا قرف. وبدأ يضيفني على شرب الزبيب معه ويقول لي:

— لا تخش ضررا. أنا حكيم. ان الزبيب مقو للدم وفاتح للشهية. أحسن المشروبات كلها.

وأصبح مجلس أسعد بك لا يطاق. فلم أكن انعم معه بتلك المحادثات المسلية. ولم يكن يتركني أذاكر دروسي في هدوء. بل كان دائما يقلقني بصياحه المزعج ويضطرني الى الانصات له وتحبيذ كلامه. وكان اذا رآني مقصرا في الالتفات اليه جاء الى مائدتي ونقل مشروبه اليها واحتل مقعدا بجواري وبدأ يسمعني شكاياته وشتائمه.

وحدث مرة أن جاءه صاحب القهوة بحساب الشهر - وكان من عادة أسعد بك أن يدفع الحساب شهريا - فأخذ الورقة من يد الرجل وألقى عليها نظرة عابسة ثم صاح في وجهه:

— مائة قرش؟ جنيه! أما لصوص صحيح! لن أدفع هذا المبلغ ما حييت ودعك الورقة ورماها في وجه صاحب القهوة. وأراد الأخير أن يتفاهم

معه فى لطف فاقترب منه وعمه الحساب وأخذ يوضح له عدد الطلبات التى طلبها. فدفعه أسعد بك بشدة وصاح . . .

— اذهب من أمامى لن ادفع شيئا. كلكم لصوص أولاد كلب.

فاحمرت عينا صاحب القهوة وقال :

— اللصوص وأولاد الكلب ياحبيبى هم الذين لا يؤدون ماعليهم :

— اخرس! أتعرف من الذى تكلمه ؟ أنا اسعد بك حكيمباشى الأورطة التاسعة فى الجيش المصرى .

— وماذا يهم ؟ أنا أريد نقودي . ليس هذا الجنيه كجنيه مصلحة الطب البيطرى الذى لم تدفعه انقاذاً لكلبك. هذا جنيه ثمن مشروبات جرتها من محلى......

ورأيت سحنة أسعد بك قد انقلبت وصارت كسحنة النمر الهائج وقال وصوته يرتجف :

— ماذا تقول ياوقح ؟ جنيه الطب البيطرى! جنيه الكلب! أتظن أنى قد بخلت بالجنيه فى سبيل انقاذ كلبى؟ اتجرؤ على هذا القول يالعين؟ انا أرضى أن ادفع مائة جنيه لا جنيها واحدا من أجله . . ولكننى لا ادفع للصوص او لادحرام. كلكم تستحقون ضرب الصرم ، ورأيته يدس يده المرتجفة فى جيبه فى حركة شاذة ويخرج ورقة مالية من ذات المائة قرش وينهال عليها تمزيقا فى وحشية غريبة ويقول :

— أتستطيع أن تقول انى لا استطيع أن أدفع جنيها . .

ثم قام وأنشب أظافره فى رقبة الرجل. وقامت بين الاثنين معركة حامية استدعيت من أجلها الشرطة .

وساءت أحوال أسعد بك فلم أعد أراه الا مخمورا رث الهيئة ممزق الملابس . قوى الشبه بهؤلاء المتشردين مدمنى المخدرات الذين تراهم فى الطرق يستجدون المارة . وكان لا يسكت لسانه عن النقود وبالاخص عن الجنيه الذى لم يدفعه انقاذاً لكلبه ، وكان يؤكد لى فى حماس غريب أنه لم يدفع هذا الجنيه نكاية فى مصلحة الطب البيطرى وليفهمهم أنه ليس مغفلا أو ضعيفا . وكان يروى الحكاية لكل من يقع عليه بصره فى القهوة أو فى الطريق وهو يصيح ويهدد ويشتم . واذا لم يجد من يكلمه رأيته يحدث نفسه محتدا وهو يلوح بيده فى حركات شاذة .

وانقلب من شحيح متكالب على المال الى مسرف متلاف لا تعرف يمينه ماتنفقه شماله. وسمعت أنه كثيرا مايذهب الى مصلحة الطب البيطرى ليفدى الكلاب الضالة ويخرج لها رخصا بمبالغ لا يستهان بها . وكان يحرضنى دائما على التبذير ويقول :

— أصرف وبحبح على نفسك .

وقابلت مرة محمد افندى زكريا الموظف ببنك الكومرسيال الايطالى فروى لى أخبارا مزعجة عن أسعد بك قال انه يضارب الآن بجنون ويخسر خسائر فادحة .

وحلت الاجازة السنوية وانقطعت عن زيارة القهوة ثلاثة أشهر كاملة. ولما عدت اليها رأيت كل شىء فيها لم يتغير . وكانت مائدتى المختارة فى موضعها بجوار الجدول تظللها أغصان الشجرة العتيقة . فكأننى لم أفارقها الا منذ ثلاثة ايام . واستقبلتنى الوجوه التى أعرفها كل بابتسامته الخاصة . والتفت حولى مشرق الوجه وأنا أقول :

— كل شىء كما هو!

وبغتة قلت لعويس الذى كان يمسح مقعدى فى هرج وسرور ويهىء نفسه لمسح حذائى . .

— أين أسعد بك ؟

فتوقف عن عمله ورفع بصره الى وقد غابت ابتسامته وانقطع ضجيجه المرح وقال بلهجة قابضة :

— الم تسمع عنه شيئا ؟

— كلا

— لقد ارسلوه الى المارستان . كانت حالة المسكين فى المدة الأخيرة عبرة . وكنت انا الذى أعتنى به .

— ماهذا الكلام ؟

— الحقيقة ما أرويها لك

— وهل يمكن أن أزوره فى المارستان ؟

ومد عويس صندوقه تحت قدمى وبدأ يمسح فى هدوء . وقال فى لهجة غريبة :

— كلا ياسيدى لا تستطيع أن تزوره . . . لن تراه أبدا . .

ونكس رأسه ... فنكست رأسي أنا أيضا وبدأت استغرق فى تفكيرى الحزين .

قصـــة عراقية :

تريد أن تحب ... ؟

للأستاذ أنور شاؤول

الإستاذ أنور شاؤول كاتب عراقي وشاعر غزلي رقيق يمارس المحاماة ويزاول الصحافة ويصدر مجلة (الحاصد) وهي ارقى المجلات الاسبوعية في بغداد. وهو ثاني اثنين أقاما القصة العراقية على قواعد من الفن الصحيح وله فيها كتاب الحصاد الاول .

(الرسالة)

فرغت من قراءة المقال . وفي هذه المرة لم ترم المجلة بعنف ويأس شأنها كل يوم انما وضعتها بلطف قرب وسادتها ثم مدت يدها تضغط على زر المصباح فساد الظلام.

وفي حلكة الغرفة كانت عيناها مفتوحتين يلتمع فيهما بريق غريب. لم تستسلم للنوم لانها كانت تشعر بحاجة ملحة الى الانتباه والتفكير عجبا أيمكن أن يكون شقاؤها اللازم قد أشرف علي النهاية فتشرق شمس الغد ضاحكة وتقبل السعادة المفقودة لترتمي بين أحضانها؟

انه مقال «في الحياة والحب والجمال» لامثيل له فيما قرأته قبل اليوم من تلك الفصول المطولة . انه قطعة من وجد، فلذة من قلب بل هو حياة مثلى مصغرة طالما حنت اليها بعد نكبتها قبل سنتين . ولكن هذا المقال لم يثر من اهتمامها قدر ما أثار منه كاتب المقال ، ذلك اللوذعي القدير المتفنن ذو القلم الساحر الذى استطاع ما لم يستطعه قبله كاتب من إهاجة الجراح الكامنة من أعماق صدرها .

فمن هو هذا الكاتب ؟

المقال مذيل بامضاء ولكن الامضاء لا يشير الى شخصية حقيقية انما هو من تلك الامضاءات المستعارة المبتكرة . «سمير النجوم» . ومن هو هذا سمير النجوم؟ وضغطت على زر المصباح فتفجرت الأنوار تغمر الظلمة وكانت المجلة في يدها فجلست متكئة على وسادتها وراحت تطالع المقال ثانية . وهي في كل فقرة من فقراته تستمهل النظر فتطلق لأفكارها الجامحة العنان. لم تعرف (م) كم مرة أعادت تلاوة المقال في تلك الليلة . ولم يكن ليهمها أن تعرف ذلك . وعندما دقت الساعة اثنين بعد منتصف الليل تذكرت أنها أوت الى فراشها في منتصف الساعة الثامنة

* * *

و (م) من هي ؟

هي تلك الزنبقة التي ما كاد ثغرها يفتر في الحديقة الغناء فتمتص الندى وتتشرب العصير وتستحم بأنوار الشمس حتى قطعت عنها الطبيعة مجاري المياه فراحت تشكو العطش وتحذر الهلاك !..

هي الزوجة الحسناء بالأمس المترعة الكاس سعادة قدسية ، الارملة البائسة اليوم المتلئة الجوانح شعوراً مريباً غامضاً ! .

ياللجمال الرائع تلامسه يد الاسى بأصابعها البارية ! ياللقلب الفارغ بعد امتلاء تتسرب اليه الوحشة والحنين بين الذكريات الوامضة الجميلة !

ويا لليالي الشتاء ما أطولها وما أقسى بردها على هذه الحمامة الوحيدة الوادعة !

توفى زوج (م) ولما يمر علي زواجها أكثر من عام تخلف شريكة حياته ولا سلوى لها سوى طفلة في مهدها وذكريات طيبة مشوبة بمرارة الفراق الابدي : من الذي سيبادلها الحديث الحلو؟ الابتسام؟ القبلات والعناق؟ ومن سيشاطرها الحياة شهورها وسنيها ؟!

أحبت وحيدتها شأن كل أم وأفرطت في الحب ولكن هذا الافراط ما كان ليخفف من مصابها بشريك حياتها . ومرت الايام والاشهر وتصرم عام وبعضه . و (م) تستهدف سهام الحياة .

فتألم ذلك الالم الاخرس الذى يجيش في نفس جريح خانته قواه فما استطاع كلاما حتى ولا أنينا ! .

سل الوسادة عما بللها من دمعها الغزير في ظلمات الليل ! سل النجوم عما تصعد اليها من حسرات على أجنحة الرياح ! وسل المرآة الصافية عما صوب اليها من نظرات حزينة ! ومن خلال لآلئ الدموع كانت عيناها تنظران بخيلاء كسير الى الجمال المضاع .

— انني مازلت حسناء ... جاذبيتي مازالت ثائرة ... وقلبي الفارغ...

هل سيظل هكذا .. ؟ ولماذا يظل هكذا ...؟

تجول هذه الافكار وأشباهها في رأس «م» فلا تلبث أن ترتمي على كرسي قريب وتجهش بالبكاء . فاذا ما دنت اليها طفلتها تصيح (ماما) انقلبت من البكاء للضحك ومن الاجهاش للقهقهة .. وبقي شيء لم يتغير هو الالم الممض في قلبها الوديع .

***

(أريد أن أحب).. وحي علوي هبط على نفس (م) هبوط قطرات الطل على الزهرة العطشى ولامس كل عاطفة من عواطفها ملامسة لفحة الوقد للجسم البارد المصطلي. ولكن أين من تحب؟ ومن هو؟ وكيف الحصول عليه؟ .

شاب في مقتبل العمر ، ممشوق القوام ، ضحوك الوجه ؛ براق العينين ؛ جرسي الصوت ؛ محبوب المعشر ؛ مثقف ؛ ذكي ؛ ذلك من كانت تبحث أو تحاول أن تبحث عنه (م) ليملأ فراغ قلبها الفتي .

ولكن أين تجده ومجتمعها من القساوة بحيث يراقب منها الحركات والسكنات ويحصي عليها حتى أنفاسها . طريقها طويلة شائكة فهل تسير وهي حافية القدمين أم تنكص على الاعقاب؟ (أريد أن أحب)

كانت وحيا هابطا ما أن له فرد.

بعد تفكير أيام بلياليها وصلت الى أن بإمكانها ان تحب أحد كواكب السينما، وكواكب السينما كثيرون تتمتع بجمالهم وأصواتهم في السينما الناطق كل أسبوع، فما عليها الا أن تحب أحدهم مثال روبرت مونتجومري أوكلارك كابل أو موريس شفاليه أو جاك بوكانن أو شارلس فارل أو رامون نوفارو أو أي كوكب آخر فتقبل على اقتناء صوره ومشاهدة أفلامه وقراءة أخباره وتتبع كل أثر من آثاره.

وهي فكرة جميلة تخفف من لواعجها ولكنها لا تطفيء أوار قلب! انها في حاجة الى حب حقيقي لا خيالي. فلتبحث عن أمنيتها في غير هذه السبيل.

— لماذا لا تطالع الروايات المصرية التي ماتزال أشخاصها أحياء يرزقون؟ فاذا ما تملك اعجابها بطل ما فلتبحث عنه عساها تصل الى معرفته والانتصار عليه فتفوز به وعلى رأسها إكليل (كيوبيد) والى جانبها عشيقها العزيز المغلوب!

فكرة جميلة جداً حاولت أن تخرجها الى حيز الوجود فقرأت أكثر من خمسين رواية فلم تظفر بمطمح أنظارها وأفكارها فأشاحت بوجهها حزينة ولهى!

وكومضة البرق الخاطف تحت جنح الظلام خطر لها خاطر أنست اليه ورأت فيه مخرجا لها من هذه الحالة الأليمة، هو أن تبحث عمن (تريد أن تحب) في الجرائد والمجلات المحلية منها بوجه خاص، ففي هذه الصحف يكتب العشرات من الكتاب والقصصيين والشعراء فما عليها الا أن تطالعها بانتظام حتى تعثر على ضالتها المنشودة.

ooo

مقالات! قصائد من الشعر المنظوم أو المنثور! كلمات مأثورة لا يحصى لها عدد! هذا سياسي؛ ذلك أديب؛ الآخر عالم.. الا أنهم كثيرون: كثيرون جداً ولكنهم على رغم كثرتهم لم يثر واحد منهم كامنا في نفس «م» فكانت تطالع ماينشرونه ثم لا تلبث أن ترمي الصحيفة جانبا ثم يتملكها شعور هو أقرب الى النفور منه الى سواه..

حتى كانت تلك الليلة البعيدة التي وقع نظرها فيها على مقال «سمير النجوم» في الحياة والحب والجمال فتنفست الصعداء وبرقت أسارير وجهها وخفق قلبها خفقة غريبة لم تستطع «م» تأويلها الا بأنها عثرت على من تريد أن تحب..

والمجلة التي نشرت مقال «سمير النجوم» أسبوعية كانت «م» تشتريها صباح كل أحد من بائع الجرائد المجاور لدارها، أما اليوم فقد كتبت الى إدارة المجلة ترجو أن تعدها مشتركة في ثلاث نسخ أرسلت بدل الاشتراك السنوي عنها سلفا.

وكان نهار الاحد التالي فصدرت المجلة، ويا لحزن «م»! ففي بعد انتظار أسبوع كامل كان أطول من عام لم تقرأ شيئا لـ «سمير النجوم» ويا لوحشة القلب!

«أريد أن أحب» وحى أخذ يتجسم مفعوله في نفس «م» يوما ويوما باعثا الامل في أعماقها. وفي الاسبوع الرابع قرأت ودموع الفرح تترقرق في أجفانها مقالا ثانيا لسمير النجوم عنوانه «السعادة، الزواج والمال» فكان له أثر عميق في نفس «م» فاعادت قراءته ثانية وثالثة ورابعة حتى أوشكت أن تحفظه عن ظهر قلب..

وفي الأسبوع التالي نشر «سمير النجوم» قصيدة في ٢١ بيتا بعنوان «قلبي..» كل بيت من أبياتها يسيل رقة وجمالا، فكررتها «م» حتى حفظتها كلها وراحت تتغنى بها صباح مساء..

وظلت «م» تتعقب آثار «سمير النجوم» عشيقها، مثلها الاعلى، معبودها، فتلتهمها التهاما ولا تقرأ، سواها. وفي أحد الايام فكرت حقا في الامر وارتأت أن عليها أن تعمل عملا جازما في هذا الشأن فتقول لسمير النجوم وجها لوجه «اني أحبك.. أحبك أيها الكاتب القدير.. أحبك أيها الفتى الجميل..» فكيف تصل الى ذلك؟ وأجهدت فكرها واذا بوحي الحب يهبط فيلهمها ان تدعو «سمير النجوم» - برسالة تبعثها اليه بواسطة المجلة - لتناول الشاي لديها في مساء الثلاثاء القادم.. ما أبدعها فكرة مصيبة سهلة التنفيذ..!

***

وفي هدوء الليل جلست إلى مكتبها تحبر الدعوة إلى سمير النجوم وكان القلم يرتجف بين أناملها فتكتب وتشطب وتمزق ثم تكتب وتشطب وتمزق ثم تعود فتكتب وتشطب وتمزق..

هذه كلمة خشنة.. هذه جملة مفككة.. هذا تعبير غير صحيح..

واخيرا استقرت على ان تكون الدعوة كما يلي:

«انا احدى المعجبات بكتاباتك الفياضة بالروح. أتشرف بدعوتك الى تناول الشاي في داري الواقعة... في الساعة الخامسة زوالية من عصر الثلاثاء القادم. اهلا بك منذ الآن،

قرأتها ثانية وثالثة فاعجبتها، عندذلك وضعتها في غلاف معطر وكتبت عليه:

الى الكاتب المحترم سمير النجوم - بواسطة مجلة... الغراء.

وحين استلقت على فراشها أرادت ان تقرأ الرسالة للمرة الاخيرة قبل أن تلتحف فتناولتها وتلتها بصوت عال كأنها تريد أن تتحسس موسيقى نبراتها فصدمتها منها الجملة الأولى «انا احدى المعجبات» لا.. لا لا.. يجب أن تكون هكذا «انا معجبة الخ..» لماذا أتحدث اليه عن اعجاب الغير؟

ونهضت الى مكتبها تعيد تبييض الرسالة وبعد هنيهة كانت تساورها الاحلام الجميلة!

(البقية على صفحة ٣٩)

رحلة الى دير طور سينا

للأستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة الامتحانات والسجلات بوزارة المعارف

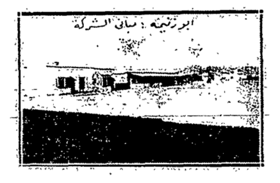
١

كنا تسعة من الرفاق من شعوب مختلفة جمعتنا المصادفات فأحسسا رغبة مشتركة للقيام برحلة إلى قلب شبه جزيرة طور سيناء لزيارة ديرها الشهير « دير سانت كاترين » فاتفقنا على تنفيذ الرغبة رغم ما تنطوى عليه من مشقة ومتاعب جمة ولكنها كانت رغبة ثائرة دفعتنا الى العمل بحماس شديد ساهم فيه الشاب منا والكهل والشيخ على حد سواء. — و بعد أن استكملنا عدتنا من مرافق السفر والاقامة وتزودنا بكل ما يلزمنا من معلومات وخرائط . استأجرنا أربع سيارات من نوع معروف بالمتانة ومقاومة الصدمات والرجات العنيفة . ثم جعلنا إحداها لحمل المعدات والأخريات لركوب الجماعة.



من القاهرة إلى دير طورسينا

تستغرق هذه الرحلة عادة أسبوعا كاملا ثلاثة أيام فى الذهاب ويومين فى الاقامة والتفرج على الدير ومثلهما فى العودة، هذا اذا لم تصادفك عراقيل فى الطريق ولكن كثيرا ما يضيع على المسافر يوم أو بعض يوم فى إصلاح ما قد تصاب به سيارته من عطب أو فى انقاذها من ورطة، فقد تغوص عجلاتها فى الرمل ولا يتيسر اخراجها منه الا بجهد ومشقة وتعتبر الكثبان الرملية من أكبر معطلات الانتقال السريع فى الصحراء . وهى تعترض الطريق فى كثير من الجهات. وكذلك جلاميد الصخر وهى منتشرة فى كثير من الوديان ومجارى السيول . الا أنها أقل خطورة من الكثبان.



والمسافة بين القاهرة والدير نحو ٤٢٥ كيلو مترا يقطعها المسافر عادة فى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى من القاهرة الى السويس. والمرحلة الثانية من السويس الى ابى زنيمة على خليج السويس. والمرحلة الثالثة من أبى زنيمة الى الدير .

غادرنا القاهرة بعد ظهر يوم الخميس ٢٣ ابريل سنة ١٩٣١ بساعتين قاصدين السويس عن طريق الصحراء . فوصلناها فى الاصيل و بتنا فيها.

وفى اليوم الثانى عند الفجر عبرنا قنال السويس الى الضفة الشرقية عند نقطة الشط، وبعد أن فحصنا سياراتنا ورتبنا معداتنا انطلقنا نسير نحو الجنوب فى طريق رملى منبسط — وعن يميننا خليج السويس وعن يسارنا تلال تدرج فى الارتفاع كلما بعدت عنا نحو الشرق — وبعد ساعة من الشط مررنا بعيون موسى وهى عبارة عن واحة صغيرة قريبة من الخليج خالية من السكان وبها عين ماء راكدة ونخيل وبعض أشجار اخرى.

وعند الظهر قطعنا وادى الغرندل . وهو واد عريض يسير من الشرق الى الغرب، كثير الشجيرات وافر الكلأ يتوسطه مجرى من الماء العذب. وبعد وادى الغرندل تتغير طبيعة الطريق فيصير صخريا فى كثير من اجزائه كثير التعاريج والالتواءات بين انخفاض وارتفاع. وتقوم فى جهته الغربية سلسلة من جبال عالية تحجب البحر ونسيمه . وقبيل العصر برزت امامنا جبال المنجنيز بلونها الأدكن وعلوها الشاهق. وبعد أن مررنا بوادى الطيب وهو كوادى الغرندل كثير الماء انعطف الطريق نحو الغرب. وبعد أن اجتزنا مضيقا بين جبلين انحدرنا نحو البحر الى سهل واسع مواز للخليج تقع أبو زنيمة فى طرفه الجنوبى على مرفأ صغير للسفن وهى عبارة عن قرية صغيرة بها منشئات شركة المنجنيز ومستودعاتها ومبانيها،

الموظفين والعمال ومسجد ومدرسة أولية ونقطة بوليس ومكتب للبريد والتلغراف ودكان صغيرة (كانتين) قد يجد فيها المسافر بعض ما يلزمه كالأطعمة المحفوظة والبنزين والسجاير، وبالقرب من الدكان المذكورة مستودع للماء العذب الذي يؤتى به من السويس في البواخر والشركة تعطيه للمسافر من غير مقابل.

كان وصولنا الى أبي زنيمة قبل الغروب بساعة فلم نشأ المبيت بها بل تابعنا السير والطريق بعدها لمسافة ليست قصيرة ضيق يسير فوق صخور عالية تشرف على البحر من جهة وتحف بها الجبال من الجهة الاخرى. وعند الغروب وصلنا الى نقطة بوليس لخفر السواحل واقعة على البحر تبعد عن السويس نحو ١٥٤ كيلومترا فبتنا بالقرب منها.

وفي صباح اليوم الثالث تابعنا السير جنوبا في الطريق المؤدي الى الطور مبتعدين عن الطريق الشرقي للدير لكثرة رماله الناعمة وهو الذي تسلكه عادة سيارات مصلحة الحدود. وعند الظهر وصلنا الى نقطة تفرع منها طريق يتجه شرقا وهو طريق وادي فيران الموصل الى الدير فتبعناه وبعد ساعة - وكان تقدمنا بطيئا جدا لليونة الارض وكثرة الجلاميد بها - دخلنا



منظر بوادي فيران

وادي فيران العظيم. وهو من اجمل الوديان التي شاهدتها، طوله نحو ١٢٠ كيلومترا، كثير التعاريج، وجباله جرانيتية شاهقة ذات الوان متعددة بين ابيض واسود واحمر، وجوانبها تكاد تكون رأسية وقممها مخروطية تناطح السحاب، والوادي كثير العشب والخيرات. وتقع واحة فيران في منتصفه طولها نحو اربعة كيلومترات، يرويها نبع من الماء الزلال يتفجر من جوانب الصخر ويسيل في مجاري تتخلل بساتين الواحة وترويها، والواحة عامرة بالناس والحيوان والمزروعات والحشائش. ففيها من الحيوانات الجمل



واحة فيران

والغنم والماعز. ومن المزروعات القمح والشعير والبقول. ومن الاشجار النخيل والليمون المالح والتفاح والنبق والتين والزيتون والسرو والعنب والصبير وغير ذلك من الأشجار البرية التي لا اعرف لها اسماء.

كان وصولنا الى الواحة قبل الغروب بساعة فنزلنا ضيوفا على الحديقة التابعة للدير وبتنا تلك الليلة بها. وقد رحب بنا الراهب المشرف على الحديقة وزادني اكراما فهيأ لنا عشاء شهيا مركبا من شاة مشوية وبعض البقول المطبوخة والفواكه المحفوظة.

وبعد العشاء جلست الى الراهب استمع لما يقول وهو من أصل يوناني يتكلم العربية برطانة ولكنها مقبولة مفهومة قال: جئت هذه الواحة موفدا من قبل المطرانية منذ ستة عشر عاما وكنت قد جاوزت الستين فوجدت فيها ما كنت أنشده من العزلة وطيب الاقامة ولا يزيدني مرور الأيام الا التصاقا بها ومحبة فيها وقد عشت مع هؤلاء البدو الطيبين عيشة عائلية

لم تشب عشرتنا طول هذه المدة أية شائبة ، وكل ما أتمناه ان يكون حجرتي الصغيرة هذه - مشيرا الى حجرة تتوسط الحديقة - وهي التي آوتني طوال هذه السنين في قيظ الصيف وزمهرير الشتاء ، أتمنى ان يكون فيها لحدي كذلك ثم سكت وأطرق برأسه، وبعد ان تاءب طويلا اخذ يرتل نشيدا دينيا بصوت خافت ونغمة عذبة شجية طربت لها وأهاجت عواطفي حتى كدت ابكي ثم اتجه الى ناحية في الحديقة ودعانا نرقب الهلال من بين ربى سربالة ، فكان مشهدا لم أر أجمل منه

ومظهر الحديقة وحسن تنسيقها يدلان على ما يبذله هذا الشيخ من عناية ومجهود . ويقوم على خدمتها جماعة من البدو بارشاده . وله عندهم مكانة واحترام ، وهو يعيش بينهم آمنا مطمئنا ، ويعيشون في كنفه مسالمين قانعين ، وهو المتصرف في شئون البيع فلا يسمح لبساتين الأهالي من مائه الا بما يزيد عن حاجة حديقته .

ويشرف على الواحة جبال سربالة بجدرانها القائمة وقممها الضاربة نحو السماء برؤوس مخروطية كالسهام . وقد شاهدنا بين الربى مبان قديمة قيل لنا إنها منازل رومانية أثرية ومن بينها صوامع للرهبان .

وفي صباح اليوم الرابع تابعنا السير بين مناظر طبيعية رائعة خلابة وكان تقدمنا بطيئاً كاليوم السابق لتصعيد الطريق ، وقبل الظهر مررنا ببقية على ربوة بجانب الوادي قيل لنا إنها مقام نبي الله صالح عليه السلام وبعدها تغيرت معالم الوادي واتجهنا نحو الجنوب ثم مال بنا الطريق نحو الشرق وارتقى بنا في واد شديد الانحدار ، وهناك في أحضان جبال ثلاثة وعلى ارتفاع ألف متر من سطح البحر أو يزيد ، ظهرت لنا حديقة الدير باشجارها الباسقة ومن خلفها الدير نفسه رابضاً عند سفح جبل موسى كالحصن ثابت الأركان عالي الجدران تعلوه المنازل والأبراج

« لها بقية »

تريد أن تحب ؟ ... ؟

(بقية المنشور على صفحة ٣٦)

بعد ثلاث ساعات يأزف الموعد . كل شيء منظم بذوق سليم : الاواني . الطنافس ، الوسائد ، الصور ، في وسط الغرفة رسم لها كبير يريك ثديها الايمن تغطيه ملاءة حريرية شفافة . مجموعات الرسوم الفنية ، الراديوغرامافون ، السكاير ، العطور . ما اعظمه يوما في التاريخ !

لم يبق الا ساعتان

لم يبق سوى ساعة ونصف !

ساعة واحدة فقط . ثلاثة أرباع الساعة . . نصف ساعة .. ربع ساعة ..

ما لقلبها يدق سريعا سريعا . . ؟ ما لها لا تستطيع الثبات على المقعد .. ؟

إنها تروح وتغدو كأن في صدرها نارا تحركها . . .

بقي عشر دقائق .. تسع .. سبع .. خمس ..

وأحست بقلبها كأنه يريد ان يتحرك من مقره وبصدرها يعلو ويهبط .. وبافكارها وأنظارها زائغة لا تستقر على قرار .

تن .. تن .. تن .. تن .. تن

دقت الساعة خمسة فطرق الباب على الاثر فهرولت تستقبل سعادتها المنتظرة .

فتحته قليلا وهي تقول بصوت عذب متقطع . تفضل !

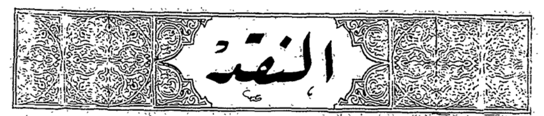
فدخل مدير النجوم يتوكأ على عصاه . . كان شيخا تجاوز الستين ، محدودب الظهر ، غائر العينين . . . .

— مساء الخير سيدتي . .

— تفضل ! !

وأومأت اليه أن يدخل غرفة الاستقبال وركضت إلى غرفتها فارتمت على فراشها تبكي بكاء الاطفال . . .

بغداد — انور شاءول المحامي



لاتينيون وسكسونيون

لم أكن أحب أن تنتقل المناقشة بين الاستاذ العقاد وبيني من نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين الى الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية. ولست أحب أن تنتقل المناقشة الى هذا الموضوع. ولست أريد ولا أستطيع أن أجاري الاستاذ العقاد في المفاضلة بين هاتين الثقافتين.

ذلك لأنى أحب الثقافتين جميعا وأوثرهما جميعا وأريد أن أتثقف بهما جميعا بل أريد أن أتثقف بكل ثقافة أستطيع أن أصل اليها أو أن أظفر منها بحظ سواء كان ذلك من طريق القراءة في النصوص الاولى أو من طريق القراءة في التراجم. واذا كنت أشكو شيئا أو أضيق بشيء فهو أن قدرتي ووقتي لا يسمحان لي بأن أقرأ كل شيء وأن آخذ من كل ثقافة بطرف قوي أو ضعيف طويل أو قصير. ولم أفهم قط مناقشة في تفضيل ثقافة على ثقافة أو ايثار ثقافة على ثقافة بالقياس الى أديب كالاستاذ العقاد. أو الى رجل مثلي كل همه أن ينتفع ما استطاع بالثقافات الانسانية على اختلافها.

بل أذكر أن مسألة الثقافات المختلفة قد فرضت نفسها على فرضا في بعض الاوقات حين كنت أستطيع أن أوجه التعليم في بعض البيئات المصرية بعض التوجيه. فكرهت دائما أن أوثر ثقافة على ثقافة، ووقفت دائما موقف الخصومة العنيفة من الذين كانوا يريدون أن يفرضوا على مدارسنا الثقافة اللاتينية أو الثقافة السكسونية. ودعوت وسأدعو دائما إلى أن تكون مدارسنا وجامعاتنا ملتقى لاعظم حظ ممكن من الثقافات. وأن يترك للطلاب وأسرهم حق الاختيار بين هذه الثقافات. وقد دعوت وسأدعو دائما الى ألا تفرض على طلابنا وتلاميذنا لغة بعينها من لغات أوربا الكبرى. وانما تدرس هذه اللغات الكبرى كلها في المدارس ويختار منها الطلاب وأسرهم ما يشاءون. وحجتي في ذلك أن الثقافات كلها قيمة خصبة وأن منفعتنا الصحيحة انما تتحقق يوم نأخذ منها جميعا بحظوظ مختلفة فلا نكون أسرى الانجليز ولا أسرى الفرنسيين ولا أسرى الألمان وانما نكون مصريين قبل كل شيء يأخذون بحظهم من الثقافات الحية حسب أمزجتهم ومنافعهم وحاجاتهم وطاقاتهم أيضاً.

واذا كان هذا مذهبي في الصلة بيننا وبين الثقافات الحية فمن غير المعقول أن أجادل في تفضيل ثقافة على الأخرى. والذين قرأوا الفصل الذي كتبته في الرسالة يذكرون أني لم أوثر اللاتينيين على السكسونيين ولم أفضل هؤلاء على اولئك. وانما أنكرت ومازلت أنكر على الاستاذ العقاد زعمه أن النقاد اللاتينيين يؤثرون الظواهر والاوضاع الاجتماعية ويتتبعون النكت ومراسم الصالونات على حين يعنى النقاد السكسونيون ببساطة الطبيعة وبالرجل من حيث هو رجل.

هذا بالضبط هو موضوع الخلاف بين الاستاذ العقاد وبيني. ويسرني أن الاستاذ قد برئ في الفصل الذي كتبه رداً علي من أن يكون قد أراد أن يعم اللاتينيين كلهم بهذا الحكم. فهذه البراءة في نفسها انصاف لهؤلاء النقاد اللاتينيين الذين جنى عليهم مدح الاستاذ أنطون الجميل لشعر شوقي رحمه الله.

وليس الدفاع عن النقاد اللاتينيين تعصباً لثقافتهم اللاتينية أو تنكراً لثقافة السكسونيين وانما هو العلم ينبغي أن يقر الاشياء في نصابها وليس من الحق بحال من الأحوال أن نقد اللاتينيين كله أو أكثره أو نصفه أو ثلثه كما أراد الاستاذ العقاد أن يصوره؛ وانما النقد اللاتيني كان دائما ومازال نقداً جدياً يقصد الى طبيعة الكاتب أو الشاعر في بساطتها. ويقصد الى الرجل من حيث هو رجل. وقد يصطنع في ذلك التأنق والظرف ولكن ذلك ليس عيباً له ولا غاضاً منه وانما يعيبه ذلك ويغض منه لو لم يكن في النقد اللاتيني إلا تأنق وظرف؛ فأما وفيه بحث وتحقيق. فأما وفيه التماس لطبيعة الكاتب والشاعر في بساطتها. فقد يكون التأنق والظرف شيئاً لا بأس به ولا معنى للزهد فيه.

وعجيب جداً من الاستاذ العقاد أن يكره الاعتراف بأن النقد الحديث كله يقوم رغم تطوره واختلاف المذاهب الحديثة فيه على الثقافة الأدبية اليونانية واللاتينية وعلى ما شرعه ارسطاليس في كتاب الخطابة والشعر من أصول البيان. غريب جداً كره الاستاذ العقاد لهذه الحقيقة. فان العقل الأوربي كله مهما تكن بيئته ومهما تكن جنسية اصحابه ومهما يكن حظه من التطور وليد العقل اليوناني الروماني سواء رضينا أم كرهنا. ولست أدرى لماذا يقبل الاستاذ العقاد أن تكون طبيعة ارسطاليس ومنطقه والهياته ورياضيات اقليدس اصولا لطبيعة الأوروبيين المحدثين ومنطقهم والهياتهم ورياضياتهم ولا يرضى أن يكون نقد اليونانيين والرومانيين أصلا للنقد الحديث، مع أن اتصال الأدب الحديث بالأدب اليوناني واللاتيني مازال أقوى وأشد وأمتن

من اتصال العلم الحديث بالعلم اليوناني. ولست ادري لم يرضى الاستاذ العقاد أن يكون تفكير اليونانيين والرومانيين في السياسة والتشريع أصلا من أصول التفكير الأوربي الحديث في السياسة والتشريع ولا يؤمن للنقد بمثل هذه الصلة؟ أم هل الاستاذ العقاد ينكر أن يكون بين العقل الاوربي الحديث وبين العقل اليوناني الروماني صلة ما بين الاصل والفرع؟ فإن كان هذا مذهبه فليس من السهل أن نلتقي أو ان نتفق. بل ليس من السهل أن يلتقي الاستاذ أو يتفق مع الاوربيين انفسهم.

ومن الذي يزعم ان رقي النقد الحديث وبعد ما بينه وبين أصله القديم يقطع الصلة بينهما؟ وما عمل التطور اذن في حياة الاحياء؟ وهل بيننا نحن المتحضرين المترفين وبين آبائنا الذين كانوا يسكنون الكهوف والاغوار ويهيمون في الاحراش والغابات صلة! ام هل نحن قوم قد خلقنا انفسنا وابتكرناها ابتكاراً؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يوافق الاستاذ العقاد على أن النقد لا يمكن أن يكون علما يذكر قبل أن يوجد علم النفس الحديث؟ أما انا فلا أعرف أن النقد علم ولا أحب له أن يكون علما وانما أرى كما قلت في غير هذا الموضع أن يكون النقد مزاجاً من العلم والفن وهو على هذا النحو قد وجد منذ عهد بعيد، وجد منذ كان السفسطائيون يعلمون الناس في صقلية واثينا صناعة الخطابة وفن الجدل، وجد حين كان ارسطوفان يوازن بين ايسكولوس وايروبيدس أمام النظارة من اللاتينيين وهو يمثل لهم قصة الضفادع أو عيد سيرس، وجد حين وضع ارسطاليس فن الخطابة وفن الشعر واستمر في روما عند سيسرون وعند خلفائه من نقاد الرومان، ووجد كذلك عند العرب. ووجد عند الاوربيين المحدثين قبل أن يوجد علم النفس الحديث. انما الذي نستطيع أن نوافق الاستاذ عليه هو أن هذه الفنون من النقد القديم قد أصبحت الآن لا ترضينا ولا تغنينا كما أصبحت طبيعة ارسطاليس وطب ابن سينا وفلك جالينوس لا تعجبنا ولا تغنينا، ولكن هذا شيء وما يذهب اليه الاستاذ العقاد شيء آخر. اما أنا فاعتذر الى الاستاذ من أني لا أستطيع أن آخذ الاشياء هذا الأخذ السهل الهين القريب ولا أن اقف بها عند أصولها القريبة وإنما أحب أن اتبعها وان اتبعها الى ابعد ما استطيع أن اصل اليه من الاصول، وقد يكون ذلك عيبا من عيوب الثقافة العربية التي نشأت عليها أو من عيوب الثقافة اللاتينية التي تأثرت بها ولكني حريص على هذا العيب لأني اراه الأصل الصحيح لكل بحث على له صبغة من الجد. ولست أشك في ان الاستاذ العقاد نفسه حريص على هذا العيب لأن الثقافة السكسونية تكبره أشد الاكبار و يخيل الى أن قد كان سكسونيا ذلك الرجل الذي لم يرضه ان ينتهي بالانسانية الى آدم فترقى بها أو تنزل في طبقات الحيوان الاخرى. ولست أدرى لم نقر داروين حين يرد الناس الى القردة ولا نقر الاديب الذي يرد النقد الحديث الى نقد ارسطاليس؟

وبعد فايهما انشأ صاحبه: أهو علم النفس الذي انشأ النقد ام هو النقد الذي أنشأ علم النفس الحديث؟ مسألة تظهر غريبة بعض الغرابة لأن المعروف أن علم النفس فرع من فروع الفلسفة قد تطور حتى أصبح الآن علما تتناوله المعامل بالدرس والتحليل، والنقد فن من فنون الادب. ومع ذلك فهذه الغرابة لا تثبت اذا فكرنا في ان هذا النقد انما هو تحليل للآثار الادبية وأن هذه الآثار الادبية انما هي صور لنفوس الادباء الذين أنشأوها ولنفوس القراء الذين استمتعوا بها. فدراسة الآداب دراسة للنفس الانسانية. وليست هذه الفكرة جديدة ولا عصرية وانما هي قديمة جدا عليها اعتمد ارسطاليس في كتاب الخطابة والشعر وعليها اعتمد العرب انفسهم في فنون البيان. ومن المحقق الذي لا شك فيه أن الدراسات النقدية التي نشرها «سانت بوف» قد أعانت جدا على تكوين علم النفس الحديث. ومن المحقق الذي لا شك فيه ان «تين» كان ناقداً ولكنه ألف كتاب العقل الذي لا يزال له خطره العظيم في علم النفس الحديث. فليس وجود النقد الحديث نتيجة لنشأة علم النفس، وانما النقد مؤثر جدا في نشأة علم النفس ومتأثر جداً بهذا العلم، وكلاهما قديم وضع اليونان أصوله الاولى. وانا معتذر الى الاستاذ العقاد من الرجوع دائما الى اليونان فقد أراد الله أن نرجع اليهم دائما كلما اردنا تاريخ مظهر من مظاهر الحياة العلمية أو الفنية أو الادبية.

وهنا أريد ان اعاتب الاستاذ العقاد عتابا رفيقا. فقد زعم الاستاذ ان «سانت بوف» لا يشهد لمذهبي في نقد اللاتينيين، وانما يشهد لمذهب الاستاذ لأن ما في «سانت بوف» من مزايا راجع الى تأثره بالثقافة السكسونية والدم السكسوني. ذلك أن ام سانت بوف من اصل انجليزي وأنه كان يؤثر الشعر الانجليزي على الشعر الفرنسي في بعض الفصول التي كتبها عن الانجليز، وفي بعض رسائله الخاصة.

اما أن «سانت بوف» كان يؤثر الشعر الإنجليزي على الشعر الفرنسي فذلك شيء مشكوك فيه جداً لأن «سانت بوف» لم يكن يؤثر شيئا أو قل كان يؤثر كل شيء، أو قل ان اردت التحقيق ان اخص ما يمتاز به هذا الناقد العظيم انه كان شاكا مسرفا في الشك يقر اليوم شيئا ويعدل عنه غدا ويجوز أن يرجع اليه بعد غد. ولقد اراد «اميل فاجيه» ان يشخص عقلية «سانت بوف» فقال انه لم يؤمن بشيء ولم يقتنع بشيء ولم يؤثر شيئا على شيء حتى حين اعتنق الكاثوليكية في الدين والرومنتسم في الادب. وخدع عن نفسه زعماء الدين حتى هم «لامنيه» أن يستصحبه الى روما. وزعماء الرومنتسم حتى فتن عظيمهم «فيكتور هوجو».

كان «سانت بوف» اذا عني بشيء جديد من شعر أو نثر أو تاريخ فتن به فتنة المؤمن الفاني في الايمان حتى اذا أتقنه وقتله بحثا وفهما زهد فيه وانصرف عنه ونفر منه نفوراً شديداً. ولم يكن هذا دأبه في حياته العقلية والأدبية

فحسب . بل كان دأبه في حياته العملية والشعورية . فقد كلف بالمذاهب السياسية كلها وزهد فيها كلها وكلف بالكاثوليكية حتى فتن الكاثوليك وبالبروتستنطية حتى شغف به البروتستنطيون. وقال عنه «فاجيه» انه لم يكن يستطيع ان يحب امرأة بينها أو كان يستطيع ان يحب النساء جميعا . واذن فلا ينبغي ان يخدعنا «سانت بوف» حين يثني على الشعر الانجليزي ثناء المفتون به ، فلعله لم يكد يفرغ من هذا الثناء حتى انكره . وهو كذلك قد اثنى على الشعر الفارسي حين ظهرت ترجمة الشهنامة ثناء المفتون به وهو مع ذلك لم يعرف الفارسية ولم تفتنها ثقافته حقاً. وهب هذا الناقد العظيم قد آثر الشعر الانجليزي حقا على الشعر الفرنسي ولم يخدع نفسه ولم يخدع الناس عن رأيه الصحيح في ذلك فمن ذا الذي يزعم مخلصا ان هذا يكفي لاثبات ان الناقد مدين بزاياه للثقافة الانجليزية؟

أؤكد للأستاذ أني لم أعتقد يوما من الأيام انه هو مدين حتى بوحي الاربعين وغيره من دواوينه ولا بكتابه عن ابن الرومي ولا بكتابه عن جوت ولا بابحاثه الكثيرة الممتعة لثقافته الانجليزية الخصبة التي يحبها ويذود عنها . وانما هو مدين بهذا كله كما يرى «سانت بوف» لشخصيته ولبيئته الخاصة التي نشأ فيها عقله والتي لا تكاد تتجاوز الكتب التي قرأها والمعاني التي فكر فيها والمسائل التي عرض لدرسها. فحب «سانت بوف» لشعر الانجليز ان صح لا يجعله مدينا بادبه للانجليز. وأين يقع تأثير الثقافة الانجليزية في «سانت بوف» من تأثير الثقافة الفرنسية فيه ؟ والذي كتبه سانت بوف عن الانجليز وعن الأجانب كلهم ليس شيئا يذكر بالقياس الى ما كتبه عن الفرنسيين في كتبه الضخمة المدهشة في هذه المجلدات الستة عن بورويال وفي هذه المجلدات الثمانية عن الصور ، وفي هذه المجلدات الثلاثة والعشرين التي سماها احاديث الاثنين، وفي هذين المجلدين عن شاتوبريان وأصحابه اين يقع ما كتبه «سانت بوف» عن الانجليز مما كتبه عن الفرنسيين بل مما كتبه عن اليونانيين واللاتينيين؟

فالاستاذ العقاد يعلم بالطبع أن «سانت بوف» عين أستاذاً للادب اللاتيني في الكوليج دفرانس ، ولما منعه الطلاب من القاء دروسه عن فرجيل لأنه كان يؤيد سياسة الامبراطورية الثانية طبع الدروس التي لم يستطع القاءها فكان منها كتاب قيم عن صاحب الانيادة . وقد كتب «سانت بوف» عن كثير من شعراء اليونانيين وعن الاسكندريين منهم خاصة . فما بال الأستاذ العقاد يرى تأثر «سانت بوف» في نقده بالثقافة الانجليزية ولا يرى تأثره بالثقافة اللاتينية واليونانية لأنه أحب شعراء اللاتين واليونان، وبالثقافة الايطالية لأنه كتب عن شعراء إيطاليا في عصر النهضة ، وبالثقافة الألمانية لأنه كتب عن جماعة من الألمان وعن جوت ؟

أما أن أم الناقد العظيم كانت من أصل انجليزي فالأستاذ يبالغ في نتيجته، فقد كانت أم «سانت بوف» نصف انجليزية كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، وذلك ان أباها كان بحاراً فرنسيا وان أمها كانت انجليزية . فاذا كان الأستاذ العقاد يرى أن هذا يكفي ليكون «سانت بوف» مدينا بمذهبه في النقد للانجليز فليسمح لي بألا أذهب معه في هذه الطريق لأنها طريق شديدة الالتواء . للوراثة أثرها في تكوين الفرد ولكن من الاسراف أن نذهب في تقدير هذا الأثر مذهب الأستاذ ومن الغريب أن الذين أرادوا أن يدرسوا مذهب «سانت بوف» في النقد لم يحفلوا بهذا العنصر الانجليزي في تكوينه، فلم يلتفت «فاجيه» ولا «لنسون» الى أم «سانت بوف» كثيراً

أما تين فرأى الأستاذ العقاد فيه عجيب ، فهو يرى أني لم أوفق حين استشهدت به أيضا لأن عمه علمه الانجليزية في صغره ولأن تين شغف بالآداب الانجليزية فكتب لها تاريخاً ، ولكن الاستاذ العقاد نفسه تعلم الانجليزية صغيراً وشغف بها وقرأ كثيراً من الآداب الانجليزية . والثقافة العربية ضعيفة بالقياس الى الثقافة الانجليزية . ومع ذلك فأنا لا أطمئن الى الحكم بأن الأستاذ مدين بأدبه للانجليز . فكيف اذا عرفنا أن الثقافة الفرنسية التي نشأ فيها تين ونبغ بفضلها قوية تستطيع أن تثبت للثقافة الانجليزية، وأن تين لم ينبغ بتاريخه للآداب الانجليزية وانما نبغ بكتب أخرى أجل خطراً من هذا الكتاب . نبغ بكتابه عن لافونتين الذي نال به الدكتوراه من السوربون، ونبغ بكتابه الضخم الذي أرخ فيه فرنسا الحديثة ، ونبغ بكتابه عن العقل ، ونبغ بكتابه في فلسفة الفن . فهل يظن الاستاذ بعد هذا كله أني لم أوفق حين اتخذت سانت بوف وتين أعلى مثل للنقد اللاتيني الفرنسي ؟ وما ذنبي أنا اذا كان الله قد أراد أن يكون هذان الرجلان رمزين خالدين لحياة الادب الفرنسي في القرن الماضي ؟

ولقد بعدنا جداً عما كنا بسبيله من تشخيص النقد الفرنسي اللاتيني، أهو نوع من تتبع النكتة وتأنق الصالونات أم هو نقد بأدق معاني كلمة النقد ؟ لن ينفع الاستاذ العقاد أن يحتاط وأن يقول انه لم يرد النقاد الفرنسيين جميعاً، وانما أراد كثرتهم أو قلتهم، فليس من الحق أن كثرة النقاد الفرنسيين أو قلتهم كما يظن الاستاذ . وانما الحق الذي لا سبيل الى الشك فيه ان السمة الفنية الخالصة هي أظهر ما يتصف به النقد الفرنسي، وان من ظلم العلم والحق ان يقال في هذا النقد غير ذلك .

وأما بعد فهل يسمح لي كتاب آخرون أرادوا أن يخوضوا معنا في هذا البحث بأن أتحدث اليهم حديثاً قصيراً ولكنه لابد منه . فأما أحد هؤلاء الكتاب فالأستاذ سلامه موسى الذي تفضل

(البقية على صفحة ٤٦)



ضحى الاسلام

تأليف العلامة أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير وقدم له الدكتور طه حسين بهذه المقدمة ، وستعود الرسالة الى هذا الكتاب القيم فتقول كلمتها فيه . قال الدكتور :

أراد ناقد من نقاد التمثيل أن يثني على قصة راقته ، وملكت عليه إعجابه ، وكان صاحب القصة له صديقاً حميماً ، فتوقع أن يلام في الثناء عليه ، ولكنه لم يتحرج من إهداء هذا الثناء الى صديقه في غير تردد ولا تحفظ . وأعلن في صراحة - أعجبتني - أن من خيانة الأصدقاء أن تتخذ صداقتهم وسيلة الى جحود مالهم من حق ، وإخفاء مالهم من فضل ، وتجاملهم هذه المجاملة السلبية التي تدفعك الى أن تتردد وتتحفظ ، وتقدم اليهم ثناء متقعاً شاحباً ، حتى لا تتهم بالاغراق ، ولا توصف بالمحاباة . وحتى لا يسوء ظن قرائك بنصيبك من الانصاف ، وحظك من الاستقلال .

رأى ذلك الناقد ، وأنا أرى معه ، أن هذا النحو من معاملة الأصدقاء خيانة منكرة ، وظلم قبيح . وأنه في الوقت نفسه نوع من اتهام النفس ، والاسراف في سوء الظن بها . فليس ينبغي للناقد أن يصدر - فيما يرى من رأي - عما يقول الناس فيه أو ما يمكن أن يقولوا فيه ، وإنما هو مدين لنفسه ولقرائه بما يعتقد أنه الحق الخالص ، سواء أرضي الناس أم سخطوا ، وسواء أوافق رأيه هوى القراء ، أم انحرف عنه .

وعلى هذا النحو من الاستعداد عمدت دائماً الى النقد . واجتهدت ما استطعت ألا أظلم الصديق لصداقته ، ولا الخصم لخصومته ، وليس الظلم مقصوراً على أن تغض من العمل الأدبي أو العلمي ، أو تنقص من قيمته لأن صاحبه صديق لك ، أو حرب عليك . بل هناك ظلم أقبح من هذا وأشنع ، وهو أن تثني على من لا يستحق الثناء ، أو تغلو في حمد من لا يستحق الحمد إلا بمقدار ، وأن تحمد الخصم لأنه خصم ، ولأنك تكره أن يقول الناس فيك خاصمه فعجز عن انصافه وتحامل عليه .

ولست أريد أن أخون صديقي « أحمد أمين » بالاسراف في الثناء عليه ، ولا ان اخونه بالغض منه والتقصير في ذاته ، وانما أريد أن أنسى صداقته ، وأهمل - ولو لحظة قصيرة - ما بيني وبينه من مودة كلها صفو وإخاء استطعنا أن نجعله فوق ما يتنافس الناس فيه من المنافع وأغراض الحياة . إنما أريد أن أنصفه ، وأشهد لقد فكرت وقدرت ، وجهدت نفسي في أن أجد شيئاً من العيب ذي الخطر أصف به هذا الكتاب الذي أقدمه الى القراء فلم أجد ، ولم أوفق من ذلك الى قليل ولا كثير .

وليس ذنبي أن « أحمد أمين » قد قصد الى عمله في جد وأمانة وصدق ، وقدرة غريبة على احتمال المشقة والعناء ، والتجرد من العواطف الخاصة . والأهواء التي تعبث بالنفوس ، فوفق من ذلك إلى أعظم حظ يستطيع العالم أن يظفر به في هذه الحياة .

نعم ؛ وليس من ذنبي أن « أحمد أمين » قد استقصى فأحسن الاستقصاء ، وقرأ فأجاد القراءة ، وفهم فأتقن الفهم ، واستنبط فوفق إلى الصواب . ليس من ذنبي هذا ولا ذاك ، وليس من ذنبي أن « أحمد أمين » بعد هذا كله ، وبفضل هذا كله ، قد فتح في درس الأدب العربي باباً وقف العلماء والأدباء أمامه - طوال هذا العصر الحديث - يدنون منه ثم يرتدون عنه ، أو يطرقونه فلا يُفتَح لهم ، ووفق هو الى أن يفتحه على مصراعيه ، ويظهر الناس على ما وراءه من حقائق ناصعة ، يبتهج لها عقل الباحث والعالم والأديب ، ليس شيء من هذا ذنبي أنا ! وإذا لم يكن بد من أن يلام أحد لأن عالماً مصرياً قد وفق إلى هذا الفوز المبين ، أهدى إلى اللغة العربية كتاباً لم يُسبق الى مثله ، فليُلَم هذا العالم المصري نفسه ، وليعاقَب « أحمد أمين » لأنه قد ظفر بهذا الفوز .

لقد اختار « أحمد أمين » لكتابه عنوانه هذا « ضحى الاسلام » وهو لا يقدر إلا أن الضحى يأتي بعد الفجر ، وأنه وقد أظهر « فجر الإسلام » يجب أن ينغمس في ضحاه . أما أنا ، فكنت أفهم معه هذا الفهم ، وأذهب معه هذا المذهب ، ولكني لم أكد أبدأ معه قراءة الكتاب حتى أخذت أحس شيئاً لم أرد أن أتحدث به إليه ، مخافة أن يكذب ظني مضينا في قراءة الكتاب ، ولكننا مضينا ، ومضينا حتى أتممنا هذا الجزء الذي نقدمه الى

القراء . فإذا هذا الشيء الذي كتبت أحسبه يزداد وضوحاً وجمالا وقوة . وإذا ظني يصدق شيئاً فشيئاً حتى يصبح يقيناً . وإذا أنا مؤمن إيماناً لا يشوبه الشك بأن هذا الكتاب الذي أنا سعيد بتقديمه الى القراء يلقي على تاريخ الاسلام في العصر العباسي الأول نوراً رائعاً وضاء قوياً هو أشبه شيء بنور الضحى .

فالكتاب « ضحى الاسلام » لأنه يدرس تاريخ الحياة العقلية للمسلمين في القرن الثاني للهجرة ، وهو « ضحى الاسلام » لأنه قد جلى هذه الحياة وأظهرها للناس كأوضح ما يمكن أن تكون ، وكأجمل وأبهى ما يمكن أن تكون ، ولست أدري أيهما أهنىء بهذا الفوز : « أحمد أمين » لأنه قد جد وألح ومضى في الجد والالحاح ، حتى انتهى الى هذا التوفيق ، أم الجامعة المصرية لأنها قد اهتدت الى « أحمد أمين » ، ووكلت اليه ما وكلت من أنواع الدرس وفنون البحث ، ولعل الخير كل الخير في أن أصرف هذه التهنئة عن « أحمد أمين » وعن الجامعة الى الذين يقرأون اللغة العربية ويعنيهم أن يؤرخوا آدابها ، ويستكشفوا ما اشتملت عليه من الكنوز التي كانت مجهولة الى الآن ، هؤلاء أحق بالتهنئة لأنهم سيسيرون منذ اليوم الى أغراضهم في طريق واضحة سهلة معبدة ، يغمرها نور الضحى .

لن تكون حياة المسلمين منذ اليوم ، كما كانت من قبل ، غامضة مضطربة ، يتحدث عنها مؤرخو الآداب بالتقريب لا بالتحقيق ، ويقولون فيها بالظن لا باليقين . ذلك عصر قد انقضى ، وألقي بينه وبين الذين سيؤرخون الآداب ستار صفيق . ألقاه « أحمد أمين » وأصبح الذين يقصدون الى تاريخ الأدب قادرين منذ اليوم على أن يحققوا ويستيقنوا ، ويسيروا في بحثهم على بصيرة وهدى .

فما أكثر ما كنا نضيق صدراً بهذه الرموز الغامضة التي كان يلتجأ اليها مؤرخو الآداب حين كانوا يذكرون تطور الحياة الاسلامية — أيام بني العباس — بفضل الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأمم . وبفضل اتصال العقل العربي بالعقول الأجنبية ، وبفضل الترجمة والمترجمين ، والتأليف والمؤلفين . كانت هذه الألفاظ كلها رموزاً الى الآن تدل على أشياء كثيرة ، ولكنها لا تدل على شيء . تصور أمام الباحثين صوراً مختلطة مضطربة لا تحصى ولا تستقر ، فهي ذاهبة أبداً ، جائية أبداً ، غامضة أبداً . نسعى اليها ولا نظفر بها . أو يصرفنا عنها الكسل العقلي ، الذي هو آفة حياتنا الأدبية في هذا العصر .

أما الآن فقد ضبطت هذه الصور أحسن ضبط ، وجليت أحسن تجلية . وأصبحنا إذا ذكرنا تطور الأمة العربية أو الأمم الإسلامية في القرن الثاني للهجرة نعرف بل نحس حقيقة هذا التطور ومصدره ، والآماد التي انتهى اليها . وأصبحنا إذا ذكرنا الحياة الاجتماعية للمسلمين في هذا العصر لا نقول كلاما مبهماً ، وإنما نقول كلاماً يدل على ما يراد به أحسن دلالة وأجلاها : يدل على طبيعة هذه الحياة وما تقوم عليه من اتصال بين الأفراد والجماعات ، على اختلاف الأجناس والبيئات والأمزجة ، يدل على طبيعة الزواج الذي كان يكون بين هؤلاء الناس فيخلط دماءهم خلطاً ، أو قل يمزجها مزجاً . يدل على طبيعة الرق الذي محا الشخصيات الفردية والاجتماعية لكثير من الأفراد والأمم ، وصهرها كلها في مرجل واحد هو الدولة الاسلامية ، فكون منها شخصية جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة ، هي شخصية الأمة الاسلامية .

نعم ، ويدل على هذه الطبقات التي كان يتألف منها الجسم الاجتماعي للأمة الإسلامية ، والتي كانت تتقسم فيما بينها الأعمال الكثيرة المختلفة ، التي يحتاج اليها هذا الجسم لا ليحيا فحسب ، بل ليرقه هذه الحياة ويرقيها ، ويأخذ فيها بأعظم حظ ممكن من الترف المادي والعقلي والشعوري جميعاً .

وإذا ذكرنا الثقافة اليونانية ، فلن نفهم منها منذ اليوم هذا المعنى المبهم الذي نرمز اليه بالفلسفة أحياناً ، ولكنا سنعرف بالضبط مقدار ما أخذ العرب عن اليونان ، وكيف أخذوه ، ومن أين أخذوه ، وكيف أساغوه أولا ، ثم تمثلوه بعد ذلك ؟ وقل مثل هذا في الثقافة الهندية والفارسية ، أستغفر الله بل خيراً من هذا ، قل أكثر جداً من هذا ، فما أعلم أن باحثاً عن تاريخ الأدب العربي وفق إلى تحقيق الصلة بين العرب والهند ، أو بين العرب والفرس إلى مثل ما وفق اليه « أحمد أمين » .

وهو — بعد هذا كله — أول من بسط هذا في اللغة العربية بسطاً يطمئن اليه الباحث الذي يسلك إلى بحثه طريق الجد والصدق ، لا طريق العبث والتضليل .

وإذا ذكرنا الثقافة المسيحية والثقافة اليهودية ، فلن نفهم منهما منذ اليوم ما كنا نفهمه من قبل ، من أن اتصال المسلمين باليهود والنصارى قد أحدث بين أولئك وهؤلاء ضروباً من التأثير العقلي العام .

ولكننا سنعرف طبيعة هذا التأثير ومقداره ومصدره . ثم

سنضع أيدينا على مظاهر هذه الحياة الجديدة، فيما أنتج المسلمون من أدب وعلم وفن.

أستطيع أن أقول إن «احمد امين» حينما انتدب لتأليف هذا الكتاب قد اتخذ لأمة المحارب، ووضع أمام عينيه غرضاً أقسم ليبلغنه، أو ليعدلن عن إظهار الكتاب. وهذا الغرض: هو تخليص الحياة العقلية الاسلامية فى القرن الثانى من الغموض والابهام، وما زال بهذا الغموض والابهام حتى أجلاهما عن موقفهما، وانتزع منهما حياة المسلمين العقلية إلى منتصف القرن الثالث للهجرة. وكان يزورني كل أسبوع ومعه طائفة جميلة رائعة من الغنائم التى كان يكسبها فى هذه الحرب الشاقة المتصلة، فأقاسمه سعادته بالظفر، واغتباطه بالفوز.

ولست أحب أن تقدر أنى أعمد فى هذا الكلام إلى ضروب المجاز وألوان التمثيل لأزين القول وأنمقه، ولكنى أحب أن تستيقن أنى إنما أقول الحق خالصاً من كل زينة، بريئاً من كل تنميق. فقد كان تأليف هذا الكتاب حرباً عنيفة طويلة مملة بين المؤلف وبين الغموض والابهام. وكان المؤلف كلما تقدم خطوة وقف ينظم انتصاره، ويصوغ ثمراته هذه الصيغة الجميلة التى ستراها فى فصول هذا الكتاب ويتأهب فى الوقت نفسه لهجمة أخرى يكسب بها موقعة أخرى، وينتصر بها انتصاراً جديداً.

ومع أن المؤلف قد أنفق جهداً قوياً فى أن يجنبك مشاركته فيما كان يحتمل من عناء، ويلقى من مشقة، ويذوق من مرارة الصبر والمصابرة، ومطاولة المسائل المعضلة التى كانت تعرض له. فأنت واجد أثر هذا كله فى فصول الكتاب، حين ترى المؤلف يسير فى أناة تشبه البطء، ويعرض عليك جزئيات ضئيلة، تشبه أن تكون إغراقاً فى التفصيل، وتقليداً للجاحظ فى حب الاستطراد، ولكن اثبت لهذا البطء، واصبر لهذا التفصيل، وامض مع الكاتب فى رفق وأناة فسترى أن نتيجة هذا الثبات والصبر والرفق أقوم جداً مما كنت تظن، وأنفس جداً مما كنت تنتظر، وأن الكاتب لم يتورط فيها تورطاً. وإنما قصد اليها قصداً، وتعمدها تعمداً: لأنه لم يكن يستطيع ان يعدل عنها حتى يضحى بالأمانة العلمية والتحقيق الذى يفرضه البحث الحديث فرضاً على العلماء.

ولا تخف من هذا البطء، ولا تشفق من هذه المطاولة. فلن يعترضك ملل، ولن يفل من حدك سأم، ولن تضيق بالكتاب لحظة. فقد عرف الكاتب كيف يهون عليك طول الطريق إلى غايتك، وكيف يبث أمامك فى هذه الطريق من الزهر ما يستهوى عينك، وكيف ينشر حولك فى هذه الطريق من الأصداء الحلوة ما يخلب أذنك. وأنا زعيم بأنك ستحتاج إلى أن تعيد قراءة بعض الصحف وبعض الفصول. وسترى أن الكاتب على ابطائه وأناته مسرع مسرف فى السرعة بعض الأحيان.

أشهد لقد وفق «أحمد أمين» فى هذا الكتاب الى الاجادة العلمية والفنية معاً: استكشف الحياة العقلية الاسلامية استكشافاً لم يسبق اليه، ثم عرضها عرضاً هو أبعد شىء عن جفاء العلم وجفوته، وأدنى شىء الى جمال الفن وعذوبته.

فلينعم القراء بفصول هذا الكتاب، ولينعم المؤلف بما ينعم به الظافر حين ينتهى الى فوز لا تشوبه شائبة. ولتكن هذه الحياة الجادة الخصبة المنتجة ـ فى تواضع ولين جانب ـ التى يحياها «أحمد أمين» درساً نافعاً. ومثلا صالحاً للذين يريدون أن يحيوا فى مصر حياة العلماء.

طه حسين

المنهل الصافى

لأبى المحاسن بن تغرى بردى

للاستاذ عبد الله عنان

من آثارنا التاريخية النفيسة كتاب «المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى»، تأليف أبى المحاسن بن تغرى بردى المؤرخ المصرى الكبير المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) وهو معجم ضخم للتراجم يقع فى ثلاثة مجلدات كبيرة. وتوجد منه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية. وفيه يترجم المؤلف أعلام الاسلام منذ أوائل الدولة التركية ويبدأ بالمعز أيبك التركمانى زوج شجرة الدر وملك مصر (٦٤٨ — ٦٥٥ هـ) أعنى منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى إلى منتصف القرن الخامس عشر، ويفيض بوجه خاص فى سير أعلام مصر والشام من ملوك وساسة وجند وعلماء وأدباء، ويترجم أيضا بعض ملوك النصرانية وأمرائها فى هذه العصور، مرتبا ذلك كله على حروف المعجم. وقد جعل أبو المحاسن مؤلفه تكملة أو ذيلا لمعجم الصفدى الشهير «الوافى». ولهذا الأثر

قيمة تاريخية خاصة. لأن مؤلفه وهو من أمراء البلاط القاهرى فى القرن التاسع الهجرى لم يتأثر فى وضعه بمؤثرات أو أهواء خاصة، ولا سيما فيما يتعلق بترجمة معاصريه. حسبما يشير إليه هو فى مقدمته، إذ يقول إنه وضع كتابه «غير مستدعى إلى ذلك من أحد من أعيان الزمان، ولا مطالب به من الأصدقاء والإخوان، ولا لتأليفه وترصيعه من أمير ولا سلطان». والمعنى الذى يقصده المؤلف بهذه الاشارة ظاهر: فقد كانت معظم التراجم فى عصره توضع بوحي معين أو تحقيقا لشهوات الخصومات السياسية والأدبية، التى جعلت من كتاب القرن التاسع ومؤرخيه أحزابا أدبية متنافرة متخاصمة.. ولكن أبا المحاسن يقدم لقارئه سير معاصريه والقريبين من عصره فى صور أكثر استقلالا وحرية فى التقدير والحكم.

هذا الأثر المصرى النفيس ما زال مخطوطا لم ينشر، كمعظم آثارنا الأدبية. ولكن المستشرق المعروف الأستاذ (ڤييت) مدير دار الآثار العربية، أخرج لنا منذ عهد قريب بالفرنسية مجلدا ضخما عن محتويات «المنهل الصافى»، وسماه بنفس الاسم، ونشر ضمن مجموعة المجمع العلمى المصرى. وكان ضمن مجلدات ثلاثة من وضعه قدمها أخيرا إلى جلالة الملك. والواقع أن كتاب مسيو ڤييت هذا لا يمثل كتاب «المنهل الصافى»، لا فى كثير ولا قليل من محتوياته. فهو على رغم كونه يقع فى ٤٨٠ صفحة كبيرة، ليس أكثر من فهرس الكتاب الأصلى، يمهد له مسيو ڤييت بمقدمة صغيرة يصف فيها الكتاب ومحتوياته. ويحصي عدد التراجم التى يتضمنها (وعددها ٢٨٢٢ ترجمة) حسب صفات أصحابها من أمراء وقادة وساسة وتجار وأدباء وعلماء... الخ. ثم يكتفى فى كل ترجمة بذكر اسم صاحبها وتاريخ مولده ووفاته ورقم الورقة التى يشغلها من المخطوط الأصلى: ويذكر المراجع الأخرى التى تشير إلى هذه الترجمة. وأخصها كتاب النجوم الزاهرة لنفس المؤلف (أبى المحاسن) وخطط المقريزى، وابن حجر، والسخاوى.. الخ. ثم يذيل ذلك بفهرس أبجدى عام.

وهذا مجهود له قيمته من الوجهة العلمية بلا ريب. ولكنا نلاحظ أن الفائدة التى تترتب عليه بالنسبة لكتاب المنهل الصافى ليست كبيرة. فهو كما قدمنا فهرس أو دليل فقط للبحث فى الكتاب الأصلى. والتراجم التى يتضمنها الكتاب الأصلى مرتبة على حروف المعجم، ولم يكن عسيرا على الباحثين أن يستخرجوها منه. وليس مما يقدم البحث كثيرا أن يرشدنا مسيو ڤييت الى أرقام المجلدات والصحائف، وأن يحيلنا فى التراجم الى مراجع يعرفها كل مشتغل بالتاريخ المصرى. وكان خيرا لو أن مسيو ڤييت بذل هذا المجهود فى نشر الكتاب نفسه أو جزء منه، لأن هذا الفهرس الضخم يقع فى نحو الخمسمائة صفحة، أعنى نحو نصف المخطوط الأصلى، وقد أنفق فى إخراجه ما يكفى لاخراج مجلد ضخم على الأقل من المخطوط الأصلى. على أننا نرجو أن تتقدم لنشر هذا الأثر المصرى النفيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، إلى جانب كتاب «السلوك فى دول الملوك» الذى تشتغل الآن بطبعه فتسدى بذلك إلى التاريخ المصرى والى البحث فيه خدمة جليلة.

لاتينيون وسكسونيون

(بقية المنشور على صفحة ٤٢)

فجلس مجلس القاضى وأصدر بين الثقافتين حكم الواثق المطمئن فى أسطر ما أحسبها تتجاوز العشرة. ووجد طريقاً الى أن يقارن فى هذه الاسطر القليلة بين الانجليز والفرنسيين وبين أناطول فرانس وبرناردشو وان يقول ان الفرنسيين قادوا العالم فى القرن الثامن عشر وان الانجليز يقودون العالم الآن. أظن أن الاستاذ سلامة موسى يوافقنى على أن هذه المسألة أعسر وأعظم خطراً من أن يقضى فيها بجرة قلم وبهذا الايجاز الذى لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه يدعو الى الابتسام.

وأما الكاتب الآخر فهو الأستاذ محمد علي غريب. فقد كتب الأستاذ فى البلاغ فصلا أشهد أنه أضحكني وأضحكني ضحكا فيه اعجاب كثير. فهو يسخر من العقاد ومنى لانا نتناقش فى مسألة كهذه لا تصلح موضوعا للمناقشة ولا تنتهى المناقشة فيها الى نتيجة عملية. وله كل الحق فى أن ينكر هذه المناقشة لولا أنه يخطىء حين يطلب الى كل بحث أو مناقشة أن تكون له نتيجة عملية. فقد تكون المناقشة خيراً فى نفسها وقد يكون من القصور أو التقصير ألا يكتب الناس الا ليحققوا غرضاً عملياً. وقد يكون احقاق الحق فى نفسه أهم غرض ينبغي أن يكتب من أجله الكتاب. وقد يكون الأستاذ مخطئاً أيضاً حين يزعم أن ليس فى مصر نقد أدبى مصرى ويكتفى أنه هو ينقد الاستاذ العقاد وينقدنى. وقد يكون الاستاذ مخطئاً أيضا حين يزعم أننا نجادل فى الادب الاجنبى ولا ننتج شيئاً. فأنا أظن أن الاستاذ العقاد قد أنتج شعراً ونثراً وأظن أني لم أنفق حياتى عبثاً. وأنا أحب أن ينقدنا الناقدون بل أنا شديد الحرص على هذا النقد وقد أفتن به أحيانا. ولكنى أحب أيضا أن يتلقى هؤلاء الناقدون نصحنا لهم لقاء حسنا. لعل أحسن ما ننصح به لهم ألا يسرفوا على أنفسهم ولا على الناس.

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
مصـ
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الرابع — القاهرة في يوم الأربعاء ٥ ذو القعدة ١٣٥١ — أول مارس ١٩٣٣ — السنة الأولى

ملكة الجمـــــال

للدكتور طه حسين

هناك ابتسامة تتردد كثيراً قبل أن ترتسم على بعض الثغور . وتتألق فى بعض الوجوه . أو قل إن هناك ثغوراً ووجوها تتردد كثيرا قبل أن تقبل أن ترتسم عليها . وتتألق فيهـــا بعض الابتسامات . أو قل ان هناك نفوسا تتردد كثيرا قبل أن تتخذ ثغورها ووجوهها مظاهر لهذا الذى يعرب عنه الابتسام فى بعض الظروف . وقد فكرت فى هـذه الابتسامة المترددة . وفى هـذه الثغور والوجوه والنفوس التي تتردد بين الرضا والسخط ، وبين ما يظهرهما . ويدل عليهما من الابتسام والعبوس . حين قرأت فى الصحف أخبار ملكة الجمال وتشريفها لمصر بزيارتها السعيدة الموفقة .

فكرت فى هذه الابتسامة المترددة ؛ لأنى أحسست ترددها على شفتى . ورأيتهما تحاولان الانبساط ثم تعودان فتنفرجان وتنبسطان بالابتسامة . ثم تستقر عليهما هذه الابتسامة التى كانت مترددة : ولكنها تستقر فى سخرية إلا تكن شديدة المرارة . فليس فيها شىء من حلاوة الرضا . ذلك لأنى لا أدرى أوفقت الانسانية حين فتحت على نفسها هذا الباب الظريف السخيف . الذى يدخل عليها منه ظرف كثير . ويدخل عليها منه سخف كثير ؟ ومن يدرى لعل الظرف والسخف صديقان لا يفترقان . وحليفان لن يختصما . أو تتغير الأرض ومن عليها وما عليها . وهـذا الباب الظريف السخيف الذى يبعث الرضا ويبعث السخط ، والذى يغيظ ويلهى هو باب المسابقة الى الفوز بسلطان الجمال !

خطرت هـــذه الفكرة لكاتب فرنسى . ليس هو من المتعمقين فى الجد . ولا هو من المتهالكين على الهزل . وانما هو كاتب خفيف ظريف ، يرضى فى سهولة . ويرضى الناس فى يسر ، وتنفق عندهم سوقه فى غير مشقة . وأكبر الظن أنه يسخر من الناس ومن نفسه

فهرس العدد

طبعت بمطبعة فاروق ٢٧ شارع المدابغ بالقاهرة .

وأكبر الظن أنه انما يرضي الناس ويعجبهم لأنه يسخر منهم يستهزئ بهم ويخيل اليهم أنه يجد كل الجد حين يسوق اليهم الأحاديث مع أنه لا يزيد على أن يهزل أشد الهزل وألطفه، ولعله انما يفعل هذا كله. فيهزل جاداً ويجد هازلا لأنه صحفي، أو قل لعله انما أصبح صحفيا رائجا نافق السوق لأنه يفعل هذا كله. وأنا أعتذر الى الصحفيين ولكني أعتقد أن صاحبة الجلالة الصحافة انما أقامت عرشها العظيم على هذه الدعائم المتينة الصلبة من سياسة الجمهور. وانما تساس الجماهير فى ظل الديمقراطية أحسن سياسة وأجداها حين تلبس لها ثوب الجد وأنت تهزل. وترتدى لها رداء الهزل وأنت تجد. وتظهر لها على كل حال من نفسك ما تريد أن تظهر لا ما ينبغى أن تظهر. هــذا الكاتب الفرنسي اللبق الذى فتح للانسانية باب الجمال على مصراعيه وأثار فى رءوسها الفارغة فكرة المسابقة الى سلطان الحسن هو (موريس دواليف). خطرت له هذه الخاطرة ذات يوم وهو يمزح، أو ذات ليل وهو يلهو، فتحدث فيها الى صديق أو صديقين ثم الى زميل أو زميلين ثم الى ادارة الجورنال ثم الى صحيفة الجورنال .. وما أصبح الصباح حتى ملأت الفكرة باريس. وما أمسى المساء حتى ملأت الفكرة فرنسا. وما كان الغد حتى ملأت الفكرة أوربا، وما مضت أيام حتى ملأت الفكرة الأرض كلها ولعبت برؤوس الناس جميعا. وهذا مصدر آخر من المصادر المادية لسلطان صاحبة الجلالة الصحافة هو أنها ترى الرأى فاذا هو أمام الناس جميعا أو أمام جماعات ضخمة منهم فى وقت واحد أو فى أوقات متقاربة. ومن حوله المغريات والمرغبات والمثيرات للميل. فيلقي الناس بعضهم بعضا وقد قرأوا الصحيفة واذا هم يتساءلون: وما رأيك فى هذه الفكرة الطريفة الظريفة معاً فكرة موريس دواليف فى هذه المسابقة التى ستدعى اليها الفتيات لاظهار ما لهن من جمال بارع وحسن فتان. ثم تعود أصداء الدعوة من باريس وفرنسا وأوربا واطراف الأرض الى الجورنال، واذا الفكرة قيمة. واذا التجربة الأولى تهيأ ثم تتم، واذا للجمال ملكة فى فرنسا، واذا البلاد الأخرى تسير سيرة فرنسا، واذا لكل بلد ملكة للجمال، واذا المسابقة أوربية بين صاحبات الجلالة القومية. واذا لأوربا ملكة، ثم للعالم كله ملكة، واذا نظام جديد قد أقيم، واذا الديمقراطية المتطرفة والاشتراكية الغالية والارستقراطية المعتدلة والأوتقراطية المسرفة. كل هذه النظم المختلفة المتباعدة قد اتفقت على الاذعان لسلطان الجمال

(البقية على صفحة ٤٠١)

شعر جــــديد

لأستاذ كبير

في يوم واحد هو يوم ١٩ من هذا الشهر قرأت في جريدتين محترمتين من جرائد الصباح قصيدتين احداهما من شعر آنسة تلقب نفسها (فتاة الصعيد) والاخرى لشاب شاعر من اخواننا السوريين.

فتاة الصعيد توجه تغريدها المنظوم الى رجل كبير من زعمائنا فتقول:

احبك مهما أثار الخبر ... كوامن حقد اذا ما انتشر

ارى صورة لك فى لوحة ... فيلهب قلبي هوى مستعر

وشاعر الشباب السوري يقرظ سيدة كبيرة هي ايضا فى كل شيء الا فى سنها، القت محاضرة فى بعض النوادى فيهتف على آثارها:

الله أكبر من سحر البيان ومن ... سحر بعينيك خلي الحفل نشوانا

هذا يدير على الألباب خمرته ... وذا يدير على الأسماع ألحانا

وما علمنا فى الأدب العربي ان امرأة ارسلت كلمة (احبك) فى شعر سائر الا رابعة العدوية حين قالت تخاطب ربها:

احبك حبين حب الوداد ... وحبا لأنك اهل لذاكا

فابتدعت فنا من الشعر الغرامى صوفيا لا يدرك مراميه الا اهل الأذواق والمواجد

قد يكون فى سن الآنسة او فى شكلها او فى غير ذلك من امرها ما يغفر لها التصايح بالحب فى الميادين العامة. ولكنا على ثقة من أن فتيات الصعيد لا يعرفن الهوى المستعر.

ومن صليت منهن نار الحب ماتت شهيدة الكتمان. ترددانفاسها الخامدة قول العباس بن: الاحنف.

لأخرجن من الدنيا وحبكم ... بين الجوانح لم يشعر به أحد

فصاحبتنا بلا ريب ليست صعيدية ونسبتها الى الشعر كنسبتها الى الصعيد، يشهد بذلك قولها فى منظومتها على سبيل المدح:

وغيرك فى زعمه كاذب ... ومن ذا سواك زعيم ـــ فشر

أما شاعر الشباب السوري فقد كان من حقه اذ يحضر مجالس العلم والادب أن يشغله شيء آخر عن ملء عينيه من شيء غيره.

وليس بمنكر ان يتحدث الشعر عن العيون السواحر، لكن حديث العيون لا يكون فى محاضرة أدبية ولا يكون فى النادى الكاثوليكى

غير أن شاعرنا المسكين يعترف بأنه كان سكران حين نحت قريضه. وما كان أجدره بعد السكر حتى يصحو من خمر العيون ثم لا يقول الشعر الا صاحيا ولا يسكر بعدها الا فى الحان من خمر الدنان.

ليت شعرى ما الذى يزين هذه البدع فى اذواق شبابنا؟ ويا خوفى أن يحسبوها من أثر ثقافة لاتينية او سكسونية على حين لا من ثقافة هى ولا من ذوق!



بعض الناس

للأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

عرفت فيمن عرفت من الناس رجلا اجتمع له كل مايشتهى من جمال فى المظهر . كان مديد القامة فى غير شذوذ . مكتنز العضلات فى غير ترهل . حسن قسمات الوجه فى غير تخنث . اشرب لونه حمرة تنطق بما حباه الله من عافية فى بدنه . محمود الملبس لاتنقصه فيه أناقة ولاحسن انسجام . وكان يغشى ناديا اختلف اليه جماعة من الاخوان فاستشعرت له أول الأمر هيبة وتوسمت فيه خطرا . وكان أحد الرفاق يتحدث فى أمر شديد الاتصال بذاته . فرأيت لهذا الرجل نظرة ساخرة . أدركت معها أنه يعلم عن هذا الحديث مالا يعلم قائله . ولم يطل بى الانتظار حتى رأيته قد استولى على الحديث وأخذ يذكر عن نفسه وتجاربه المتصلة به كثيرا ، أو تشعب الحديث ، وأثار الاستطراد ذكر مسائل مختلفة ، وكان هو فارس كل ميدان والحجة فى كل موضوع ، وكان اذا اشتد الجدل علا صوته حتى غلب كل صوت ، واذا أعوزه فى دعوى أن يقيم الدليل ، أفحم مناظريه بالضجيج والتهويل . وتكرر التقائى به حتى هان على أمره ، وصرت لا أحفل لقول يقوله . ولكنى كنت أجد فى دعاواه العريضة شيئا من الفكاهة يروح عن النفس بعض ماتلقاه من جد الحياة .

وقرأ خبيث من الرفاق فى احدى الصحف خبر اعتصاب الحمالين لخلاف بينهم وبين رؤسائهم ، فبيت فى نفسه أمرا يهتك به ستر هذا الدعى . وأقبل صاحبنا يتهادى فى مشية بطيئة وقورة وقد تدلى من بين شفتيه سيكار فاخر . وأشرق وجهه بتلك الابتسامة الساخرة التى توحى الى الرائى هوان الناس عليه ، وعلمه من حقائق الأمور مالا يعلمون . فتلقاه المداعب الخبيث بتهليل المعجب الذى وقف على ماأخفاه من فعال . وبدا عليه مايشبه الخجل والحياء لافتضاح مكرمة يأبى عليه تواضعه ان تنتشر وتذاع . وقال له الصديق المداعب : « لك الله من بطل ! لقد لمست فى الأمر أصبعك ، وشممت منه ريحك ، وقلت منذ قرأت الخبر انها لاشك احدى أياديك فى نصرة الضعفاء .

ولكن نبئنى كيف وفقت فى جمع كلمة أولئك الحمالين مع انقطاع كل صلة بينك وبينهم ، وكيف تم لك تدبير أمرهم ؟ » .

وأشفقت من وقع تلك السخرية اللاذعة المكشوفة على نفس صاحبنا ، ووجدت فيها قسوة شديدة على هذا الغر . ولكنى عجبت حين وجدته يهز رأسه فى أناة هزة الواثق ، ويذكر أنها بداية حملات يقوم بها فى رد حقوق المهضومين ، وأن هذا شيء لايستحق الذكر الى جانب ماستظهره الأيام من جهوده العظيمة فى هذا السبيل .

وانطلقت من الأفواه ضحكات طويلة عددتها سخرية وعدها هو طرب أعجاب وتقدير . وبدأت بعد هذا أرثى للرجل وأشفق عليه مما سيحيق به من السخرية والازدراء فى كل مجتمع يغشاه ، حتى كانت بعض الحركات العامة فوجدت الرجل يتصدر مجالسها مسموع الكلمة عالى المنزلة !

أدركت عند ذلك أن أولى الناس فى هذا البلد بالرثاء هم ذوو الفضل والحياء

اقيلوا عثرات الناس ؛

نشأت نشأة محافظة جعلتنى أغلو فى استنكار زلات الشباب . واشتد فى النقمة على كل عاثر . ولا يتسع صدرى لتلمس عذر الخاطىء . وكنت أجافى من اعرف عنهم ذلك واشتط فى الحكم عليهم . فلا أرجو منهم خيرا أبداً

وكان لى صديق ألف الله قلبينا برباط من الود الصادق أنزله من نفسى أكرم منزل . وباعدبيننا طلب الرزق حينا . فلما التقينا بعد طول غياب وجدت على وجهه غمامة من الاكتئاب دلتنى على أنه يعانى بين جنبيه هما مبرحا ثقل عليه حمله وكان كلما هم أن يفضى الى بوجيعته ساوره شىء من الخوف فطواها فى صدره . ومازلت أترفق به حتى قص على قصته ، وعلمت أنه فى احدى ثورات العواطف جمحت به نفسه ، وأفلت منه قيادها فزلت قدمه . وأتى ما يأتيه كثير من الناس . ولم يجد فيما روى به حسه من متع غناء عما فقده من رضى نفسه وطمأنينة وجدانه ، فهو لهذا بائس حزين .

(البقية على صفحة ٤٢)

السلوة

للأستاذ عبد الحميد العبادى

. . . وكان صاحبي كلما سئم تكاليف الحياة . وضاق ذرعا بمعاشرة الناس . التمس الراحة فيما تيسر له من أمور ثلاثة : العزلة . والطبيعة . والماضى البعيد .

أما العزلة فتفرغ عليه هدوء السر : وراحة البال : ثم هى فوق ذلك تهيء له أسباب التفكير فى نفسه ، وتعينه على أن يستعرض عمله . وأن ينقده فى تؤدة وأناة . وصاحبى شديد الأخذ لنفسه . مسرف فى تعهدها ومحاسبتها على الصغيرة والكبيرة ، فربما بات ساهراً متململا لبادرة بدرت منه . أو زلة زلها لسانه . وهو بعد حريص على راحة ضميره وطمأنينة قلبه . فان استطاع أن يقيم علاقته بالناس على أساس من العـــدل والانصاف فذلك ، وإلا فليكن المظلوم غير الظالم والمقتول غير القاتل . من أجل ذلك كانت العزلة كثيرا ما تفتح عليه باب ألم معنوى شديد . بيد أنه ألم فى شرعه محتمل مستعذب . يصلى ناره ، راغبا ويخلص منها مغتبطا راضيا .

وأما الطبيعة : فهى عنده الأم الرءوم : إليها يستريح ويسكن . ومن جمالها ينهل ويعل . وفى حجرها تنبعث نفسه المجهودة ، وتهيج عاطفته المكدودة . قد فتن بالطبيعة وحياة الطبيعة ، حتى ليكاد مزاجه يساير فصول العام إنبساطا وانقباضاً ، وابتهاجاً واكتئابا . ولولا بقية إيمان لانقلب صابئا يسجد للشمس عنـــد شروقها وغروبها . ويهتف للقمر حين بزوغه وأفوله ، ويساهر النجوم والأفلاك من طلوعها لمغيبها . ولصار حلوليا يرى فى ثنايا الجبال وأهضام الأودية . وفى الآجمة الملتفة والصحراء البلقع ، جنا تتراءى له فى غدواته وروحاته . ولفتاته ولحاته . تحاول أن تستدرجه لتستهويه . وتستميله لتفتنه . أجل ! ولولا أثارة من تماسك وتصاون . لحنا على النبتة الزاهية . ولكبر للدوحة العالية ، ولأجهش للصخرة الراسية على ساحل البحر المتغلغل : ولا تدفع بقول الشعر يساجل الطير : لحنا بلحن وتغريداً بتغريد .

على أن صاحبى ليس بالناسك ولا الزاهد . وقد يكون فى قرارة نفسه . وحقيقة أمره . مرحا طروباً ، وبود . على شدة انصرافه عن الدنيا : ألا ينسى نصيبه منها . ولكنه متزمت متشدد : يريد القوم صفوا من النفاق والدهان . خلوا من الحقد والاضطغان .

فأما وقد أعجزه ذلك : فقد أصبح يرى ضالته المنشوده فى الغابرين الأولين من أهل القرون الخالية : أصبح يراها فى الماضي البعيد . والماضى عنده عالم حافل بأعلامه وأحداثه ، زاخر بخيره وشره : لاعيب فيه سوى أن القدم قد صهره ومحصه . وأن الموت قد نفى خبثه عن طيبه : وزغله عن صميمه . فبدت فيه كل نفس على حقيقتها ، ومثل كل حادث على جليته . من أجل ذلك اصطفى صاحبى من الماضين خلانا وأصدقاء ، قد أصفاهم الود . وأخلص لهم الحب ؛ وإن اختلفت الدار ، وبعد المزار : لقد أدرك صاحبى أن الموت حق والحياة باطل .

تكاءدت الهموم هذا الفيلسوف يوما . فخرج من منزله وقد طفلت الشمس للغروب . فما زال يتخير الأمكنة والبقاع : حتى أوى الى صخرة قد استقبلت بحرا خضما ، واستدبرت مرجا معشوشبا مدهاماً ؛ وفى شرقيها المدينة هائجة مائجة : صاخبة داوية : وفى غربيها قصر عتيق مثلم الجنبات متداعى الأركان .

فأخذ الفيلسوف مجلسه من ذلك المنظر الفخم : وجعل تارة يسرح الطرف فى البحر الواسع : فتطير شعاعا فوق صفحته أشجانه ؛ وتذوب فى هدير أمواجه آهاته وأحزانه . وتارة يثنى نحو المرج يداعب منثور زهره ؛ ويتسمع سجع طيره : وأخرى يلتفت الى القصر يسأله أخبار من نزلوه ثم ارتحلوا عنه وكانوا أحاديث . حتى اذا ما ارتوى الفيلسوف من نسيم البحر : وعبير الزهر ، وحديث القصر : تناول هراوته ، وزر معطفه ، وعاد يؤم المدينة متثاقل الخطى ، مرددا قول الشاعر :

أن الطبيـــعة أم نستجير بها
من جانب للبرايا غــير مأمون !

عبد الحميد العبادى

أنجزت دار الكتب المصرية طبع

ديوان نابغة بنى شيبان

أحد فحول شعراء الدولة الأموية ، وهو كسائر مطبوعات الدار فى دقة التصحيح وجمال الطبع ، وثمن النسخة الواحدة منه ٤٠ مليما للجمهور و ٣٠ مليما لأصحاب المكتبات أو لمن يشترى عشر نسخ فأكثر . ويطلب من دار الكتب المصرية

مشروع مقالة

للاستاذ احمد امين
استاذ الأدب العربي بكلية الآداب

جلست الى مكتبي وأمسكت بالقلم واستعرضت ما مر علي أثناء الأسبوع لأختار منه موضوعاً أكتب فيه . فخطر لى :

١

أن أكتب فى المساجلات الأدبية التي دارت بين شيخ العروبة والأستاذ مسعود فى (الطرطوشي ولاردة) ، وبين الدكتور زكى مبارك والأستاذ عبد الله عفيفي فى كتاب (زهرات منثورة) ، وبين الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد فى (اللاتينيين والسكسونيين) . وقلت ان هذا موضوع طريف جدير أن يكتب فيه الكاتب ويعرض فيه لنوعي النقد اللذين ظهرا فى كتابة هؤلاء الأدباء : فأحد النوعين قاس عنيف . تورط فيه الأربعة الأولون حتى يخيل الى أنه لم يبق إلا أن يتسابوا بالآباء ، أو يتضاربوا بالأكف ، أو يتبارزوا بالسيوف ! والآخر عفيف خفيف كالذي سلكه طه والعقاد ، فيه لذع ، ولكن بالايماء والاشارة ، وفيه مهاجمة عنيفة . ولكن للفكرة لا لقائلها ، ويخيل الى أنهما اذا تقابلا تعانقا ، ومهما أطالا فلن يتباغضا ، ليس فى أسلوبهما إدلال وفخر وإعجاب وعجب ، كالذي بين شيخ العروبة ومسعود ، وليس فيه إسفاف وتنابز بالألقاب وإدخال للعامة والقبعة فى وسط المعمعة ، كما بين عبد الله عفيفي وزكي مبارك ! يدعو أحدهما الآخر الى التلمذة له ، ويلق كلاهما درساً فى النحو على أخيه ، ويذكران من الألفاظ مالو ذكرته لهاج بي قراء الرسالة يوسعونني تأنيباً وتجريحاً ، ولغضب على صاحب الرسالة فعاقب مقالتي باهمالها .

وقلت من الحق أن تصرخ فى وجه هؤلاء . وأن تعلن أن تقدم يعجبك موضوعاً ولكن لا يعجبك شكلاً . وأن الذوق اذا رقى اكتفى فى الخصام بلمحة ، وأن الأديب يعجبه التعريض والتلميح ، ويشمئز من الهجو المكشوف والتصريح ، وأن العامة اذا تسابوا أقذعوا ، وأن أولى الذوق اذا تخاصموا كان لهم فى الكناية ومراتبها ، والايماء ودرجاته ، والتعريض ومقاماته . مندوحة من الأسلوب العريان والصراحة المخزية ، وأن الحقيقة الواحدة يمكن أن تقال على ألف وجه ، يتخير الأديب أحسنها ، على حين لا يعرف العامي إلا وجهاً واحداً يتلوه الضرب . وأن فى أعناق شيوخ الأدب حقا للناشئة من المتعلمين الذين يضربون على قالبهم ويسيرون على منوالهم ، وأن هؤلاء الناشئة ليجدون فى هذه الصحف والمجلات مدرسة تثقفهم وتغذيهم . ثم هم بعد قادة الأدب وهداة الأمة . فلو أنا علمنا النشء هذا النقد الذى لا يرعى صداقة ولا يأبه لوفاء كان علينا وزرهم . ووزر الأجيال بعدهم . وكانت مدرستنا التى ننشئها قاسية البرامج فاسدة الطريقة .

وقلت : ان هذه الطريقة لا تخدم الحق كما يزعم أصحابها . فلسنا نطلب منهم أن يسكتوا على باطل، وأن يغمضوا عن خطأ . بل نحمد منهم جدهم فى خدمة الحق، وسهرهم فى كشف الصواب . ولكنهم يسيئون الى الحق اذا ظنوا أنه لا يؤدى إلا بهجر ، ولا يكشف إلا بسباب . والحق اذا عرض فى أدب كان أجمل وأجدى على رواده ، واذا عرض فى سفه حمل المعاند أن يصر على عناده ، وحمل الخجول أن يكتم آراءه فى نفسه حتى لا ينهش عرضه ولا تبتذل كرامته ، فقل التأليف وضعف الانتاج .

جال كل هذا فى نفسي . ولكنى خفت أن أكتب مقالتى فى هذا الموضوع . وقلت انك ان فعلت هاجوا بك وتركوا

خصومتهم لخصومتك ، وتصادقوا لعداوتك . وقالوا أتلق علينا درساً فى الأدب ونحن أساتذة الأدب ؟ ومن أنت وما شأنك؟ وجلسوا منى مجلس الملكين يسألون ويسفهون . وأنت ما أغناك عن هذا الموقف ! وما أبعدك من هذا المأزق ! فتركت هذا الموضوع وعدلت عن المشروع .

فقيم أكتب إذن ؟

٢

كنت فى الترام عصر يوم من هذا الأسبوع . فصاح بائع الجرائد : المقطم ! البلاغ ! فلم ألتفت اليه لأنى كنت قرأتهما . فلم يصدق أنى سمعت فصاح صيحة أنكر من الأولى ، فكان موقفى منه هو موقفى . فأمعن فى الصراخ وأمعنت فى البرود. فما وسعه إلا أن صعد الترام ومسنى بالمقطم والبلاغ، فاضطررت إلى أن أقول انى قرأتهما ليصدق أنى سمعت وفهمت !

وقلت : إن هذا موضوع للكتابة طريف ، أدعو فيه الى دقة الحس ورقة الشعور وظرف المعاملة . فان ذلك لو كان لأغنانا عن كثير مما نلاقى من عناء وجفاء ، وما معاملاتنا الا كالآلة بلا زيت : تسير ولكن تصدع .

على انى قلت ان هذا الموضوع من جنس الأول ، فلو أن أساتذة الأدب زقوا فى نقدهم ، لرق بائعوا الجرائد فى عرضهم .

فعرضت عن هذه إذ عرضت عن تلك .

٣

وجلست فى مجلس يجمع طائفة مختارة من الأدباء . فعُرضت بعض القصائد والمقالات ، فما من قصيدة أو مقالة إلا استحسنها قوم واستهجنها آخرون ، ورأيت من استحسن لم يستطع أن يقنع من استهجن ، ولا من استهجن قد استطاع أن يقيم الدليل على من استحسن . ورأيتهم اذا تناقشوا فى المعقولات أطالوا حججهم، وسددوا براهينهم، وذكروا لقولهم الأسباب والنتائج. وهم أعجز ما يكون عن ذلك فى الفنون والآداب .

فقلت هذا موضوع جيد ، أليس من الممكن أن يوضع للذوق منطق كما وضع أرسطو للعقل منطقاً ؟ فلتكتب فى « الذوق الفنى » ولتحاول أن تبين أسباب الخلاف ووجه الصواب ووجه الخطأ . وترسم سبلاً للرقى فى الذوق تعرف به من اخطأ ومن أصاب . وتبين به علة الخطأ فى المخطىء والاصابة للمصيب ، وكيف تحكم على ذوق بأنه أرقى من ذوق. كما تحكم على عقل أنه أرقى من عقل .

ولكنى رأيت الموضوع عميقاً يحتاج ان أفرغ له وأهجم عليه ابتداء من غير أن أشتت فكرى فى موضوعات مختلفة. فأرجأته الى حين .

وقلت : ما الذى يمنع أن أجعل مشروع المقالة مقالة ؟ فليكن !

أحمد أمين

الإلهى

ما رونق البدر إلا أشعة من عيونك
ما سحر بابل إلا إشارة من جفونك
هديتى لإلهى فنوره فى جبينك
وحيرتى فيه بعض من حيرتى فى شئونك
وأنت سر وجودى فكيف أحيا بدونك ؟

صالح جودت

قلب !!

يا حسان النبات هاك قلبي. زهرة لا تزال فى الاكمام
ملؤه فى الصميم عرف شذى: من حنان ورقة وهيام
طله باكر الندى فهو غض لم تفارقه روعة الاحتشام
لقنته الطيور فى الايك لحناً وقعته قيثارة الإلهام
وهو نسج الطبيعة الحر قد صا نته عن كلفة وعن أوهام
يرقب الشمس أن تغذيه بالنـ ور حتى يبيح سر الختام
يوم يفتر بعد طول اغتماض عن غرام يفوق كل غرام

جنين — فلسطين خ ا

أثر الثقافة العربية فى العلم و العالم

بقلم أحمد حسن الزيات

٣

لم يشهد الشرق فاتحا قبل العرب يفتح البلدان والأذهان ويستعمر الألسنة والافئدة فى وقت معا. فاليونان والرومان غزوه بالسيف والحضارة والعلم. ولبثوا الحقب الطوال يمكنون لأنفسهم فيه، ويطبعون آثارهم فى أكثر نواحيه، حتى اذا وهنت اليد القوية، وأمكن من يده السلطان الغريب، تنكرت المعارف وعفت الآثار

وكان ما كان من ملك ومن ملك   ثم انقضى فكأن القوم ما كانوا!

ولكن العرب تدول دولتهم وتزول صولتهم ويعمل الفاتح الغشوم فى رجالهم السيف، وفى آثارهم النار، حتى اذا ظن انه ملك، وان عدوه هلك، اذا بالعرب يقولون له فى كل مكان وفى كل انسان: انا هنا! واذا بالمغير المزهو يستسلم لهذه القوة الخفية فتحتل خواطره ومشاعره وكيانه، ثم ينقلب على الرغم منه داعيا لخلافتها ناشرا لثقافتها! فهل رأى التاريخ مثيلا لهذه الأمة التى حكمت الناس ظاهرة ومضمرة؟ وهل رأى التاريخ ضريبا لهذا الشعب الذى طبع قسما كبيرا من الدنيا بطابعه منذ ثلاثة عشر قرنا ثم لا يزال هذا الطابع على رغم العوادى جلى السمات واضح الدلالة؟ فسلطان العرب على العالم قد زال منذ قرون، ولكن ثقافتهم ماتنفك قائمة فى الشرق الأسلامى حتى اليوم! ومن الشبيه باللغو أن نفصل اثر هذه الثقافة فى أفريقيا وآسيا، فان من خضع للعرب من شعوب هاتين القارتين قد انقطع ما بينهم وبين أسلافهم من صلات اللغة والأدب والعقائد والتقاليـــد. فأصبحوا لا يتكلمون ولا يفكرون ولا يعتقدون ولا يعيشون إلا تبعا للعرب من جميع ذلك. وذو الحيوية القوية منهم كالفرس استطاع بعد حين أن يجمع فلول لغته من يد البلى فأعادها الى الحياة بعد ما اقتبس لها من الألفاظ العربية مايشارف الستين فى كل مائة، فضلا عن استمداده من العربية الروح والحرارة والبلاغة والخط. ومع ذلك ظل الفرس ومن فعل فعلهم يستعملون العربيـــة الى وقت قريب فى التأليف والتعليم والأدب. كما كان الأوربيون فى القرون الوسطى يستعملون اللاتينية لمثل ذلك. على أن الثقافة العربية لم تقف فى الشرق عند حدود الفتوح وانما تجاوزتها الى حدود الهند والصين على يد التجار من العرب، والمهاجرين من الفرس، والغازين من الترك والمغول؛ فالعرب نقلوا فى رحلاتهم التجارية طائفة كبيرة من المعارف الى تلك البلاد ظنها الأوربيون فيما بعد أصيلة فيها. وقد ألح العلامة سديو الفرنسى صاحب كتاب تاريخ العرب فى التدليل على هذا الرأى. والرياضى النابغ محمد بن احمد البيرونى المتوفى سنه ٤٣٠ نقل الى الهند اثناء اتصاله الطويل بمحمود الغزنوى خلاصات قيمة من العلوم العربية نقلها الهنود الى السنسكريتية فى مثنويات من النظم. وكوبلاى خان المغولى أدخل فى الصين طب العرب وبعض ما ألف من الكتب فى بغداد والقاهرة. ثم أخذ الفلكى الصينى (كوشيوكنج) ازياج ابن يونس المصرى من جمال الدين الفارسى ونشرها فى بلاده

وبينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم، كان المغرب من بحره إلى محيطه يعمه فى غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموحة. وكان حظه من الثقافة يومئذ ماتضمه حصون الامراء المتوحشين من بعض الكتب، وما يعلمه بعض الرهبان المساكين من قشور العلم. وانقضى القرن التاسع والقرن العاشر للميلاد وأولئك الأمراء فى قصورهم يتبجحون بالأمية ويرتعون فى الدماء. وهؤلاء الرهبان فى ديورهم يمحون الكتابة من روائع الكتب القديمة لينسخوا على صفحاتها الممحوة كتب الدين، حتى أزال الله الغشاوة عن بعض العيون فرأوا من وراء هذا الظلام الداجى بقعة من المغرب تسطع فيها شمس المشرق، فلما تبينوا أن البقعة هى جزء من أسبانيا، وان النور قبس من نور بغداد، استيقظ فى نفوسهم طموح الكمال الانسانى فطلبوا العلم فلم يجدوه الا عند العرب. ففى سنة ١١٣٠ أنشئت فى طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الاسقف (ريموند) وأخذت تنقل جلائل الاسفار العربية إلى اللاتينية وأعانهم على ذلك اليهود، فبعثت هذه الترجمة فى أوربا الخامدة شعورا لطيفا وروحا طيبة، وتضافرت على هذا المجهود النبيل قواعد أخرى للترجمة طوال القرون الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر حتى بلغ ماترجموه من العربية يومئذ ثلثمائة كتاب أحصاها الدكتور (لكلارك) فى كتابه تاريخ الطب العربى وأحصاها غيره أربعمائة. وكان أكثر ما ترجم فى هذه العهود كتب الرازى وأبى القاسم الزهراوى وابن رشد وابن سينا وما نقل الى العربية من اليونانية لجالينوس وابقراط وافلاطون وأرسطو واقليدس الخ... وظلت هذه الكتب المنقولة منهاجا للتعليم فى جامعات أوربا خمسة قرون أوستة، واحتفظ بعضها بقوته وقيمته حتى القرن التاسع عشر ككتب ابن سينا فى الطب مثلا، وكان ابن رشد هو المهيمن المطلق على الفلسفة فى جامعات فرنسا وايطاليا وبادو على الأخص ابتداء من القرن الثالث عشر. ولما أراد لويس الحادى عشر

تنظيم التعليم سنة ١٤٧٣ ادخل في المنهج فلسفة ابن رشد وارسطو. فلولا وجود العرب في الاندلس وترجمة علومهم في صقلية والبندقية لما تهيأ للقرون الوسطى أن تظفر بكتاب من كتب اليونان ولا أثارة من علم العرب. ولما تيسر لطلاب العلم من الأوربيين أن يردوا مناهله الصافية في جامعات اشبيلية وقرطبة وطليطلة. قال المؤرخ الانجليزي جورج ملر في كتابه فلسفة التاريخ: « ان مدارس العرب في أسبانيا كانت هي مصادر العلوم. وكان الطلاب الأوربيون يهرعون اليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وماوراء الطبيعة. وكذلك أصبح جنوب ايطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة إلى أوربا. وممن ورد تلك المناهل الراهب جربرت الفرنسي. فانه بعد أن ثقف علوم اللاهوت في (أورياق) مسقط رأسه جاب عقاب (ألبيرانس) والوادي الكبير حتى ورد اشبيلية. فدرس فيها وفي قرطبة الرياضيات والفلك ثلاث سنين. ثم ارتد الى قومه ينشر فيهم نور الشرق وثقافة العرب فرموه بالسحر والكفر. ولكنه ارتقى الى سدة البابوية سنة ٩٩٩ باسم سلفستر الثاني. كذلك تخرج على علماء قرطبة (شانجه) ملك ليون واستوريا: وأولع بعض أمراء ايطاليا بالعربية وعدوها لغة الأدب العالي. وأوصى قومه الراهب (روجر بيكون) الانجليزي في كتبه بتعلم اللغة العربية وقال: « ان الله يؤتي الحكمة من يشاء. ولم يشأ ان يؤتيها اللاتين. وانما آتاها اليهود والاغريق والعرب. وروى فولتير ان جميع ملوك الفرنج كانوا يتخذون أطباءهم من العرب واليهود. وذكر مثل ذلك (جيبون) في الفصل الثاني والخمسين من كتابه تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية وسقوطها. وزاد عليه أن مدرسة (سالرنو) التي نشرت الطب في ايطاليا وسائر أوربا كانت غرس العبقرية العربية. وقال المسيو ليبري (Libri): « ان العرب من التاريخ تتأخر نهضة الآداب في أوربا قرونا طويلة. وتلك حقيقة لاريب فيها. فان العرب كانوا الحلقة التي لابد منها لصلة المدنية القديمة بالمدنية الحديثة. فهم الذين وقفوا أوربا على مخلفات اليونان وغير اليونان. وهم الذين عالجوا هذه العلوم بالتجربة والاختبار لا بالحفظ والتكرار. حتى جلوا غامضها ونقدوا زائفها ورفعوا مباحثها على أساس من النظر الصحيح. ومالنا نحمل تبعة الكلام وتتعرض للنقض والابرام وقد كفانا الأمر ثقاتهم ومنصفوهم؟ قال المؤرخ الانجليزي (ولز) في كتابه ملخص التاريخ: « هب العرب يظهرون ماخفي من مواهبهم فبهروا العالم بما أتوه من معجزات العلم وأصبح لهم السبق بعد اليونان فبعثوا كتبهم من مراقدها. ونفخوا فيها من روحهم الحياة والقوة. فجعلوا بذلك سلسلة العلوم متصلة الحلقات محكمة السرد لايمسها انقطاع ولاوهن. فاذا كان اليونان اباء الابحاث العلمية المبنية على الصراحة والامانة والوضوح والنقد، فان العرب مربوها: وماجاءنا العلم والمدنية الاعن طريقهم لاعن طريق اللاتين.» وانكر كاتب من الانجليز فضل اليونان على العلم الحديث وعزاه كله الى العرب قال: ان العلم الحقيقي انما دخل أوربا عن طريق العرب لاعن طريق اليونان. فان الرومان أمة حربية. واليونان أمة ذهنية، وأما العرب فكانوا أمة علمية.

لبث الفرنج ياسادتي في طور التخرج والنقل حين أخذوا عن العرب أكثر مما لبث العرب في هذا الطور حينما أخذوا عن اليونان. فان من اليسير أن نعد كثيرا من العرب قد بذوا أساتذتهم من اليونان قبل انقضاء قرن على الترجمة، ولكن من المستحيل أن نعد من الفرنج مؤلفا واحدا قبل القرن الخامس عشر كان يعمل شيئا غير النقل عن العرب أو الجرى على أسلوب العرب. فروجربيكون، وليونار دبيز. وأرمان دفلنوف. وريمون لول. وهرمان الدلماشي. وميخائيل سكوت. ويوحنا الاشبيلي. وسان توما. وألبير لجراند، والفونس العاشر أمير قشتاله. لم يكونوا غير تلاميذ للعرب أو نقلة عنهم. قال مسيو رنان: أن البير لجراند مدين بعلمه كله لابن سينا. وسان توما مدين بفلسفته لابن رشد.

أسمعوا ياسادتي مايقول (بترارك) شاعر إيطاليا العظيم ينعي على قومه تخلفهم في مضمار العلم وقعودهم عن مجاراة العرب، والشاعر من رجال القرن الرابع عشر فلا جرم أن شهادته حجة: قال في لهجة مرة من الانكار والتعجب: —

« ماذا! ماذا! أبعد ديموستين يستطيع شيشرون أن يكون خطيباً. وبعد هوميروس يستطيع فرجيل أن يكون شاعرا! وبعد العرب لا يستطيع أحد أن يكتب؟ لقد ساوينا الاغريق غالباً وشأوناهم حينا. واذا شأونا الاغريق فقل شأونا جميع الأمم ولكن ماعدا العرب! ياللجنون! ياللضلال! يالعبقرية إيطاليا الراقدة أو الخامدة!!»

هذه ياسادتي صفحة واحدة من صفحات الثقافة العربية تعب فيها الايجاز وضاق عنها الوقت. ظهر فيها أثرها العلمي العالمي على عموميته وإجماله ناصع البيان مشرق الدلالة. وتراءى من خلالها الذهن العربي ساطع العبقرية باهر الجلالة، فهل من الاخلاص للانسانية والمدنية أن نترك هذا التراث الفكري العجيب يذهب

(البقية على صفحة ١٥)

رفائيـــــل

للدكتور عبد الوهاب عزام

البارحة بعد نصف الليل أتممت قصة رفائيل قراءة. وكنت بدأت قراءتها منذ زمان بعيد فتطاول الأمد، وتثاقلت النفس. تثاقل الغم والحزن على قلبي جوليا ورفائيل.

ما حسبت قط أن الحزن الذي شربته جرعات. وأشربه قلبي وأحسسته حيناً بعد حين يبلغ بي هذا المبلغ. بلى: أذكر أني في إحدى الليالي وقفت القراءة اشفاقاً على نفسي حينما بلغت رفائيل وجوليا حديقة منسو. وحم هنالك الوداع! أذكر أني حينئذ وضعت الكتاب على حافة السرير. وألقيت على الوسادة رأساً ينوء بالهموم فهاج بي الليل وطار الفكر في أرجاء السموات. وقذف القلب بأحزانه زفرات. ودارت النفس في أعماق من الظلام والفكر ما لها من قرار. ولكني ما حسبت قط أن الحزن آخذ بي الى هذه الغاية. وأذكر في هذه القصة مواقف موجعة. ومشاهد مروعة. أذكر جوليا ورفائيل. وهما في نفسيهما أساتان أحكم الله تأليفهما. وبعث بهما الى الأرض في صفحات الحادثات أو في صفحات لامرتين ليقرآ على مر الأيام. وأذكر البحيرة بحيرة برجيه. يوم جمع القضاء بين حبيبين لا يعرف أحدهما الآخر. فكأنهما التقيا على موعد بعد أن برح بهما الشوق. وأمضهما الانتظار. ويوم حان فراق اكس. ورحلت جوليا الى باريس فتبعها رفائيل يرقبها عن كثب وهي لا تدري. وينجدها كلما عرض لها ما تكره: حتى أبلغها دارها ثم رجع. وأذكر تلاقيهما في باريس يجتمعان على هوى عذري. وفرح هو أشد ضروب العذاب. في ملتقى حبيبين هو أشبه بمأتم تهيأ فيه للقضاء الذي ليس منه مفر. ويوم يبيع رفائيل لؤلؤة أمه وهو يبلها بدمعه ليستطيع الاقامة على مقربة من جوليا. ويوم ذهب الى أمه فأخبرها أن الطبيب أشار عليه بالمسير الى سافوا. فلا تجد أمه بداً أن تقسو على أعز صديق وأنفس ذخيرة وأحلى ذكرى: الشجرات اللاتي يظللن المنزل واللاتي حنون على هذه الأسرة دهراً طويلا! فكان في ظلالهن مسارح الهو ومدارج الصبا لرفائيل وأمه وأبيه. فانظر كيف تضطرها الأقدار. أن تسلط الفأس على هذه الأشجار!

كل أولئك أذكره. وانها لذكرى ممضة. ولكن ما حسبت قط أن يبلغ الحزن بي هذا المدى!

البارحة بعد نصف الليل أخذت الكتاب أقرأ الوريقات القليلة الباقية ونفسي تضطرب فزعاً مما سيلقاها في ثنايا هذه الصفحات التي بدت كأنها صحف الغيب تنفتح عن المقادير واحداً بعد آخر.

حتى اذا بلغ رفائيل الكوخ الذي حمل اليه جوليا. فلم ير الا ظلاماً ولم يسمع بين الظلام نأمة حي. فدار يقبل الجدار والجدار. حتى بلغ المكان الذي ركع فيه بين يدي جوليا وهي في غشيتها يوم البحيرة. ثم يتحامل الى جدول يأكل على حافته ما يمسك ذماءه. على ذكرى قاتلة. وحرقة يعيا بها الوصف.

قرأت حتى جاء الملاح الى رفائيل برسالة من صديقه لويس يبلغه رسائل جوليا. فعاد رفائيل الى حجرته يسير الى مهلكه على شعاع ذاو من أشعة الشمس الغاربة. يفض رفائيل الغلاف عن رسالة لويس ثم عن رسائل باريس فاذا كتاب معلم بالسواد. واذا خط. ألن. لا خط جوليا. يقرأ سطوراً سوداء تنعي اليه جوليا. وينظر بصره الزائغ فاذا خط جوليا نفسها — أجل خط جوليا نفسها — ولكنها كلمة أرادت قلبها عليها. وهي في غمرات الموت تعزي رفائيل عن نفسها. فلله ما أفظعها تعزية! تركت رفائيل يخر مغشيا عليه. وخررت على فراشي فبكيت ثم بكيت ثم لج بي البكاء.

وحاولت سدى أن أسكن جاشي أو أكفكف دمعي. ما تعمدت البكاء ولا رجوته. ولا خلت أن أنتهي اليه. ولكنه كان وحياً من الحزن والدمع لا أعرف من أين هبط. بل ثورة من هموم راكدة. وأحزان كامنة. كانت قصة رفائيل لها كقدحة الزناد. أو كضربة مسحاة على نبع يدافع الثرى لينفجر.

كذلك انتهت بي قصة رفائيل. وكذلك أبكي لامرتين بعد مائة سنة شاعراً مجهولا يشبه لامرتين طبعاً مكتئبا. وقلباً منقبضا. ونفساً ملتهبة. شاعرا قد يبلغ به الاعتداد بنفسه أن يظن أن ليس بينه وبين أن يكون لامرتينا آخر الا «التأملات»(١).

كذلك فعلت بي قصة رفائيل. فلما أفقت لم أدر أأساء الى لامرتين أم أحسن. ولم أدر أأحمد صديقي الزيات أم ألحاه؟

عبد الوهاب عزام

(١) كنت ملندره يوم الجمعه ١٢ صفر سنة ١٣٤٤ — ٣٠ اغسطس سنة ١٩٢٦ بعد قراءة قصة رفائيل التي ألفها لامرتين الشاعر الفرنسي وترجمها الاستاذ أحمد حسن الزيات

(١) Les Méditations الذي نشره لامرتين سنة ١٨٢٠ م فكان فتحاً في الأدب الفرنسي

هـــذا الغروب ...

للأستاذ راشد رستم

شهدت غروب الشمس فى كل ناحية من نواحى هذا الوادى الفسيح الممتد : رأيت الشمس من أعلى الهرم الأكبر تذهب مع ذهب الصحراء . ورأيتها تختفى وراء صفحة الماء ، أو تودع جيزى خلف جبال ليبيا . أو تغيب كامنة وراء الأفق بين أطلال وآثار . أو تغوص فى لجة الغيب تحت اشراف المنائر وأعالى الأشجار . أو تحتجب عن الأبصار وسط جمع من كثيف السحاب . أو تذوب فى سماء صافية تمسحها من لوحة النهار يد الليل القاتمة — ولها فى كل حال ماشاءت لها الأيام من وحشة أو من رواء .

وهؤلاء القدماء آباء هذا القطر القديم كانوا يسيرون هادئين طائعين ، مع الشمس حتى الغروب : كم أعطتهم حياة وحرارة ! وكم أمدتهم بأسباب الخلود فى الخلود ! وهم اليوم قد غابوا عنها . أما هى فما غابت عنهم ولن تغيب عنا وإنما يأتى اليوم الذى نغيب نحن فيه كما غابوا وكما تلقيناها نحن عن الأجداد سيتلقاها عنا الأحفاد .

وهذه الشمس المانحة تسير عبر الوادى سابحة ، كما كانوا يقولون — تقبل عليهم نياماً وتتركهم أيقاظاً . تمنحهم بهجة النهار ، وتنزل عليهم سكينة الليل . ولكنها بين ذلك قد تأتيهم وقت الغروب بالوحشة ذات الخفايا والظلمات . حتى ليظنون فى يقين أن هذا الغروب وداع للنور وتسليم بظلمة الوجود .

ينقطعون عن الحى الصاخب المتحرك . ويدخلون البيوت الهادئة الساكنة كأنهم يدخلون القبور — وفى السكون مع الهدوء تنشأ الحركات — ولكنهم يتركون الفضاء الواسع والنجم الساطع ويخضعون لكابوس الليل الزائل . يسيرون بالركب وئيداً مستسلمين ، يضمهم وينضمون اليه وهم فيه صامتون . إلا ما كان أمراً لصارخ بالسكوت . أو رجزاً لسريع بالهدوء . أو همساً لآمل باليأس المقوت . . .

***

أما أنا فما يأتى غروب فى هذا الوادى الخصيب . . . دلنى كل غروب . فى اختلاف حالاته . على انه حركة تتلوها حركات . وانه علامة للفصل . تنبىء عن وجه جديد بشروق جديد . فى نور جديد بأمل جديد . . وهكذا حيث مع هذا الفاصل ، متصلا دائماً بالأمل الجديد . .

ولم أسأل نفسى . ولن أسألها عما يكون مع الشروق الجديد . ولن أسأل غيرها عن غدها إذ الكل على الغد عيال . وما عرفنا عند الناس علم الغيب ولا عناوين الأيام .

إنما أناجى نفسى كل غروب : ماذا أعددت للغد أيتها النفس الساكنة فى قلق ، الآملة فى يقين ؟ ماذا هيأت من أثر يضاف إلى آثار سابقات . أو من حسنة تمحو سيئات . أو من بسمة تذهب بالآهات . فيكون ذلك منك فهماً لمعنى الواجب بل لمعنى الحياة . . .

حتى إذا سحبت الشمس بعد غروبها ذيل ضيائها وتمكن الليل من الأحياء . فانى أودع صاحبى وأقول : قم ياصاح فللغروب شروق ، وللمساء صباح . . .

المعادى — راشد رستم

فلســـفة نيتشه

للأستاذ زكي نجيب محمود

لسنا نحسب أن داروين ، حينما أذاع رأيه في تنازع البقاء وبقاء الأصلح ، كان يدور في خلده أن ذلك الرأي سيكون له من العمق والسيطرة الفكرية ماله اليوم . وأنه لن يقتصر على الأحياء من نبات وحيوان ، بل سيتعداها الى كل لون من ألوان النشاط الانساني : فأساليب الحكم ، والدين ، والأدب ، والفن ، والفلسفة ، كل هذا وما هو أدق من هذا وأجل ، يحاول الكتاب الآن أن يخضعوه اخضاعاً لقانون تنازع البقاء . فعسانا لا نسرف في القول اذا زعمنا أن داروين هو رب الفكر الحديث ، يتأثر خطاه آلاف المفكرين والكتاب ، وأصبح بقاء الأصلح غرض الرمي في الكثير الغالب من أبحاث العلم والفلسفة والفن جميعاً .

وفلسفة نيتشه هي واحدة من تلك الفلسفات العديدة التي يرجع نسبها إلى قانون داروين . فقد استورد نيتشه ذلك القانون ، واتخذ منه مقدمة ، ثم استخرج فلسفته كنتيجة لازمة لتلك المقدمة ، ولم يجد التردد إلى نفسه سبيلا في إذاعتها في الناس على خطورتها ، واقعة ماوقعت من نفوسهم .

مادام قانون تنازع البقاء وبقاء الأصلح يسيطر على كل مظاهر الحياة ، فلا بد للواهن الضعيف أن يخور ويتلاشى ، ولا بد للقوة في كل شيء أن تظفر آخر الأمر . وإذاً فالمثل الأعلى للفضيلة هي القوة دون سواها ، والضعف هو علة العلل وآفة التقدم . فأيا كانت الأخلاق التي تثبت قدمها في معترك البقاء ، فهي الفضيلة وهي الخير . وأيا كانت الأخلاق التي تخور قواها فتسقط صريعة في الميدان لتخلي الطريق لسواها فهي الرذيلة وهي الشر .

هكذا يبدأ نيتشه منطقه ثم يتابع هذا المنطق الى نهايته ، حتى يصل آخر الأمر إلى نتيجة خطيرة كل الخطر : إلى نبذ المسيحية بل إلى نبذ الأديان جميعاً مادامت تنشر مبادىء العطف والايثار والاستسلام ؛ ثم ينادي بدوره بوجوب القسوة والقوة والعنف لأنها قوية ، ولأنها أقدر على البقاء .

الانسانية في حياتها وفي تقدمها تحتاج إلى القسوة دون الرحمة ، وإلى الكبرياء دون التواضع ، وإلى الذكاء والسيطرة دون الايثار . أما هذه المساواة والديمقراطية التي اتجهت إليها الشعوب في التاريخ الحديث ، فانما تقف عقبة كؤوداً في سبيل الانتخاب الطبيعي للبقاء ، فليس في الكثرة العددية والجموع البشرية تكمن الانسانية المنشودة ، ولكن في الصفوة القوية العبقرية وحدها . وإذاً فليس من المنطق في شيء أن تكون المساواة أساس الاجتماع . تلك المساواة التي تحد من قوة القوي ، وتضيف الى الضعيف قوة مصطنعة أبتها عليه الطبيعة . فلننبذ الديمقراطية نبذ النواة ، ولنخل الطريق أمام القوة لكي تستطيع أن تتبوأ مكانها وتتحكم في أعناق الجماهير . ولكن المثل الأعلى في الحكم هو بسمارك وأشباهه الذين يسوسون الشعوب بالنار والحديد

الأخلاق

أراد نيتشه ان يقوض بناء الأخلاق السائدة من أساسه ، ليقيم على أنقاضه بناء خلقياً جديداً . أراد أن يبيد هذا النوع الانساني ليخلق ضرباً آخر من الانسان قوياً عنيفاً ذكياً كما يريد : هو السوبرمان (الانسان الأعلى) .

فقد شهد التاريخ نوعين مختلفين من الأخلاق : أخلاق نبيلة سامية ، كانت شعار الشعوب القديمة ، وبخاصة الرومان ، اذ كانت الفضيلة تعنى الرجولة والجرأة والشجاعة ، وأخرى وضيعة دنيئة ظهرت في الشرق . اصطنعها اليهود اصطناعاً أيام ضعفهم ، حيث الفضيلة عبارة عن مجموعة من صفات ترجع في أصولها الى الخور والاستكانة والذل . فالخضوع قد خلق التواضع خلقا ، والعجز كون الايثار تكويناً . وهكذا نسج القوم حولهم نسيجاً من الأخلاق الهزيلة الخائرة يدرعون بها حيث لامقدرة لهم ولا سلطان . ونزعت النفوس الى السلم والتماس النجاة ، بعد أن كانت تلتمس مواضع القوة والخطر : فحل الخداع والمكر محل القوة ، والاشفاق والعطف مكان الصلابة والعنف ، وجاء التقليد دون الابتكار والانشاء . وقام الضمير حكماً يلتجأ اليه مقام التفاخر بالشرف . فالشرف وثني ، روماني ، ارستقراطي ؛ أما الضمير فأثر من آثار اليهودية والمسيحية فالديمقراطية :

ويقول نيتشه إن الأنبياء استطاعوا بما أوتوا من قوة الشخصية وسحر البيان أن يزينوا للناس ذلك النوع الهزيل من الأخلاق ، حتى رسخت في نفوسهم ، وأصبحت عقيدة ليس الى نبذها من سبيل . فانقلبت الأوضاع ، وأصبح الفقر والضعف هما جوهر الفضيلة ، والقوة والثراء عنوان الرذيلة .

وقد بلغ هذا التقدير الخلقي أقصى حدود التقديس أيام المسيح الذي جعل الناس جميعاً سواسية . ومن هنا اشتق العصر الحديث مبادىء الديمقراطية والاشتراكية ، التي يعتقد نيتشه أنها الطريق

المؤدية الى الدمار والخراب .

ولكن الطبيعة تأبى الا أن تهدى الانسانية سوء السبيل . فزودتها بإرادة غريزية لاتخطىء ولا تطيش لها سهام . فأنت اذا أمعنت النظر فى الطبائع البشرية . أيقنت أن هذه الأخلاق السائدة من عطف ورحمة وإيثار وتضحية وما الى ذلك . ليست الا ستاراً رقيقاً يخفى وراءه دافعاً غريزياً يتملك من الانسان قياده . نعم اذا أنت أمعنت فى تحليل النفس الانسانية . وجدت « ارادة القوة » مستقرة فى صميم الأعماق . تسير بالانسان حيث تشاء . أعنى أن الانسان يلتمس القوة والسيطرة فى كل ما ينزع اليه من أعمال وما يجيش فى نفسه من مشاعر . وهذا الحب الذى يتخذه كثيرون دليلا على الايثار بحجة أن التضحية فيه واضحة لاتحتاج الى دليل . هو فى أعماقه رغبة فى التملك ، فما يبذله المحب فى سبيل حبيبه يدفعه ثمناً للسيطرة على مخلوق آخر ! ! بل يزعم نيتشه أكثر من هذا فيقول إن من يتفانى فى البحث عن الحقائق . لايصرف مجهوده فى سبيل الله من دونه . بل هو فى الواقع يحاول أن يمتلك الحقائق قبل الآخرين .

وارادة القوة هذه تملى على الإنسان ألوان الفلسفة وشتى ضروب الفكر ، فنخطىء وإهم من يحسب أنها تمثل الحقائق الواقعة. انما هي صورة منعكسة لرغباتنا . فالفيلسوف لايضع المقدمات الصحيحة ثم يستنبط منها حكمته . ولكن الفكرة تنشأ وتكون فى ذهنه أولا ثم يجيء بعد ذلك المنطق الذى يبررها .

فهذه الرغبات الغريزية المستترة وراء تلك الحجب الكثيفة من الأخلاق الظاهرة . هذه « الارادة للقوة » هى التى توجه ميولنا وتكون آراءنا .

فالمنطق اذاً ثوب رياء نخدع به أنفسنا . أو بعبارة أخرى . تتخذ « ارادة القوة » من المنطق مبرراً لأعمالها أمام العقل الادراكى ، ولكن الرجل القوى لا يحاول أن يستر ارادته وراء هذا الستار المنطقى الشفاف ، الرجل القوى لايعرف إلا منطقاً بسيطاً ينحصر فى كلمتين . هما : « أنا أريد » ومتى أراد فلا حاجة الى التماس المبررات . ولكن جاءت المسيحية فعكست الأوضاع الطبيعية وأصبح الرجل القوى يستحى من قوته ، ولا بد له من البحث عن منطق لرغباته . وبذلك أخذت الأخلاق الارستقراطية القوية الصالحة تذوى وتندثر . ونهضت قطعان الشعوب تقيم على أنقاضها صرحاً جديداً للأخلاق التى تلائم ضعفهم ، وليس من سبيل الى الشك فى أنه اذا أرغمت أنوف الأقوياء . وأخذت السوقة تتبوأ مكان الزعامة من الإنسانية . فهى سائرة بخطى حثيثة الى الدمار والفساد . ولسنا بحاجة الى أن نقول اذا كانت الشفقة والرحمة والسلام خيراً . فليست الصراحة والعنف والحروب بأقل منها نفعاً للمجتمع الإنسانى : وبديهى أن هذه الأخلاق قد دافعت عن بقائها طوال العصور . ولم تبق الا لأنها نافعة وصالحة . ولولا أن « الشر » خير لاختفى من الوجود . فمن الحق أن ننشد خيراً مطلقاً . بل لابد للأخلاق أن تتطور فى الخير والشر على السواء . أى لابد للخير والشر أن يقفا جنبا الى جنب ، وأن يأخذ كل سبيله الى الارتقاء .

السوبرمان

مادامت الأخلاق تنزع الى القوة فى تطورها . فغرض الانسانية لا يجوز أن يلتمس فى السمو بالطبقات جميعا . وانما يلتمس فى تكوين نخبة قوية صالحة : فى تكوين السوبرمان ، ومن العبث أن ينصرف المجهود البشرى نحو إسعاد السوقة ... بل يجب أن يتجه بكل قوته نحو ابادة هذا النوع من البشر . وايجاد نوع أعلى مرتبة فى الأخلاق ؛ وانه لخير للانسانية ألف مرة أن تتلاشى وتندثر من الوجود اذا لم تكن سائرة نحو تحسين النوع والارتفاع به . فليس المجتمع غرضا فى ذاته . انما هو اداة لزيادة قوة الفرد ونمو شخصيته . وهذا الفرد القوى السامى هو السوبرمان . الذى يؤمل نيتشه أن يخرج من أحضان الانسان الحالى . وهو لايعتمد فى ذلك على الانتخاب الطبيعى . بل يريد أن يتعمد تكوينه بوسائل التربية ، لأنه لاحظ أن تطور الحياة الطبيعى لا يعمل على ايجاد الفرد القوى الممتاز ، وأن الطبيعة أقسى ما تكون على خيرة أبنائها . فلا سبيل الى السوبرمان الا بالانتخاب الصناعى والأخذ بوسائل « اليوجنية » والتربية الكاملة . وهو يقترح لتحقيق ذلك أن نعنى بزواج الرجال الأقوياء من نساء ذوات قوة ممتازة . حتى لايكون الزواج لمجرد التكرار . بل أداة للتسامى . فاذا ماأنتج ذلك الزواج نسلا . أعددنا له مدرسة خاصة تروضه على القسوة والعنف والجرأة والشجاعة . لايتردد فى تنفيذ أغراضه مهما اعترض سبيله من عقبات . غير عابىء بشر أو بخير . فليس الخير الا مايزيدنا شعوراً بالقوة . وليس الشر الا ماتخور معه العزائم .

الارستقراطية

الارستقراطية وحدها هى الطريق الى السوبرمان ، فيجب أن نبحث الديمقراطية من أصولها ، وأن نحطم فى سبيل ذلك المبادىء

المسيحية بأسرها لأنها والديمقراطية صنوان

الديمقراطية معناها الدمار . معناها أن يتصرف كل جزء من الكل العضوى كيفما شاء . معناها التحلل والفوضى . معناها استخفاف بالعبقرية والنبوغ . معناها استحالة ظهور العظماء . اذ كيف يخضع العظيم لمهزلة الانتخابات . وهذه الشعوب تنبذ النفوس الكبيرة الجرئة الجريئة نبذ الكلاب للذئب الجسور ؟ نعم تنبذ النفوس الثائرة على القيود والعبادات . والتي لولاها لظلت الانسانية حيث بدأت في ركود مميت . فكيف السبيل الى استنبات السوبرمان في مثل هذه التربة الجدباء ؟ كلا ! لا سبيل الى ذلك في مثل هذا المجتمع الذي يرفع على أكتافه رجل الأغلبية دون الرجل العبقري العظيم في مثل هذا المجتمع الذي يحاول عبثاً أن يسوى بين أفراد جعلتهم الطبيعة درجات بعضها فوق بعض .

واذا كان نيتشه ينادى باقتلاع الديمقراطية وتحطيمها . فهو بالتالى يسخر من الاشتراكية لأنها وليدة الديمقراطية وربيبتها . واذا كانت المساواة السياسية عدلا . أفلا تكون المساواة الاقتصادية عدلا كذلك ؟

لا ! العدل أن لا مساواة بين الرجال . والطبيعة نفسها تأبى هذه المساواة وتسعى جهدها في تباين الأفراد والطبقات والأنواع .

الحوت الكبير يلتهم السمك الصغير . هذه سنة القوة وخلاصة الحياة : فلتكن كذلك سنة الانسانية ومثلها الأعلى فى الاخلاق بغير موأربة ولا رياء .

نقد

يدعو فردريك نيتشه الانسان الحالى الى الفناء والتضحية بنفسه فى سبيل السوبرمان . ومن التناقض الظاهر أن يصدر عنه نداء بالتضحية في الوقت الذى يؤكد فيه أن الأخلاق القوية الصحيحة هى التى تدور حول الأنانية والاعتزاز بالنفس ! كيف تريدنى على انكار نفسي وتمهيد الطريق لسواى . أستغفر الله بل تدعونى الى اخلائها وتركها لمن هو خير مني . وفى هذا من الاستكانة والضعف مايعود نيتشه فينكره أشد انكار : ولم لا أثبت أنا فى الميدان ؟ ولم لا أكون أنا السوبرمان المنشود بعد اصلاح ما اعوج من طبيعتى ؟ كذلك يريد نيتشه أن يقوض الأخلاق السائدة التى تعتمد على الرحمة والايثار والعطف . ويقول ان ذلك سلاح خلقه الضعيف خلقاً ليتقى به شر القوى وقسوته : وكم كنا نود أن نسأله كيف تغلب الضعيف حتى سادت آراؤه واصبحت أخلاقا معترفاً [illegible] صفوف الشعب فى وجهها هذا السلاح الرهيب ؟

الحق الذى لا شك فيه أن النزعات والأخلاق جميعا قد فرضها القوى على الضعيف فرضا . فان كان بها من الوهن شيء . فلا تقع تبعته إلا على عاتق القوى الذى يروج لحكمه نيتشه .

زكى نجيب محمود

oooooooooooo

أثر الثقافة الغربية فى العلم والعالم

(بقية المنشور على صفحة ١٠)

ضحية لخطأ الحكم فى الماضى وسوء الفهم فى الحاضر ؟ أن الثقافة اليونانية وهى أقدم من العربية لاتزال تستغل . وأن الأدب الأوربى ليستمد من روحها قوة ومن قدمها جدة . وأن ثقافة العرب وهى عصارة اذهان الشعوب وخلاصة أديان الشرق لحرية أن تبعث فى آدابنا القوة وفى أخلاقنا الفتوة وفى نهضتنا الطموح والحركة على أن هناك صفحات ناصعات من هذه الثقافة فى الخلق والأدب والفن سنجعلها موضوع محاضرة أخرى فى فرصة أخرى ...

احمد حسن الزيات

oooooooooooo

بين كرامة الثقافة

وضآلة المهنــــة

في العالم الأوربي والأميركي ملايين المثقفين الذين تلقى بهم المقادير — مكرهين — إلى المهن الضئيلة في غير رفق ولا رحمة. فلا يقال إن العلم بذلك قد أهينت كرامته وانتهكت حرمته. لأنهم يفهمون العلم على أنه سبيل الرجولة التي تدفع بصاحبها إلى الضرب في زحمة الحياة في غير تردد أو تبرم حتى يساهم في الانتاج وقد أنف من أن يعيش حملة على غيره.. أما نحن فنفهم العلم على أنه الوسيلة الى المكاتب الفخمة والمراوح الجميلة والأبهة المرموقة والفخفخة المغبوطة. ولذلك أصبحت للعلم في مصر كرامة «محلية» خاصة بهذا البلد التعس ينبغي إن ذكرتها أن ترفق بها وألا تشتد عليها وإلا فقد أدميتها بشدتك وآذيتها بقسوتك..!

هذا الترفه في مظاهر الحياة آية الأمم عندما تدب إليها الشيخوخة ويمضي عهد شبابها. ولست أجد شاهدا على صدق هذا أعدل من الدولة الرومانية التي أصابت في عهد فتوتها من الغنى والثراء والأشرى ما أدخل الغرور إلى نفوس أبنائها. فعالوا عن فلاحة الأرض واستثمارها، وجنحوا عن الاشتغال بالجندية الى اللهو والترف. فلم يغن عنهم مالهم وعبيدهم وفنونهم وآدابهم وقوانينهم وعلومهم. وارتج عرش دولتهم أمام القبائل المتوحشة من الصقلب والكلت والجرمان. وما لبث التاريخ أن شهد مصرع الدولة العظيمة ومجدها يتوارى، وعزها يغرب. وجلالها يميل الى الانحدار..!

نعلم أن من طبيعة المجتمع أن يحن الى الكمال. وينزع الى المثل الأعلى. ولا يقيم على حب «الواقع» فيطمح الى ما ينبغي أن يكون. ولا أكاد أشك في أن المجتمع لا يسعه أن يحقق مثله الاعلى كما ينبغي أن يحقق ان ظلت المهن التافهة فيه مقصورة على الأميين والجهلة. لأن جمودهم الذهني وظلامهم العقلي يحولان دون تطور هذه المهن وتدرجها الى الكمال.. هكذا حدثنا تاريخ الزراعة في مصر.. شغل بها الجهلة ومال عنها المثقفون من طلاب الزراعة الذين انطلقوا كلما أتموا دراستهم يبحثون عن وظيفة يظفرون فيها بالمكتب والمروحة وما اليهما من راحة ونعيم.. فكانت النتيجة أن الفلاح المصري ما زال يستخدم من الآلات ما كان يستخدمه أجداد أجداده الأولين. ولو مارس المهنة المثقفون من طلاب الزراعة لتطورت على أيديهم وسارت الى الكمال بين الحين والحين. وبدت آياتها في شتى مناحيها. ولكن هؤلاء قد جهلوا أن غاية العلم تنحصر في «خدمة المجتمع». ولست في شك من أن السائح الذي يرى معالم النهوض تبدو في مصر واضحة في التجارة والعلم والفن والاقتصاد. ثم يشهد الانحطاط الذي يدب في مهنة الزراعة عندنا سيأخذه الذهول والعجب... اذا أردنا أن نحقق للمجتمع مثله الأعلى الذي ينشده ويحن الى تحقيقه فلنعمد الى شتى طبقاته ونوجد بينها التعاون الفكري ليوجد التوازن في التطور الذي يعم الحياة ويسود مرافقها..

وأظن أن المجتمع يحسن الى نفسه كثيرا إن هو غير نظرته الى المهن التافهة، لأن الاحتقار الذي يصبه الناس عليها يباعد بينها وبين رغبة المثقفين في الاشتغال بها.. كان توماس كارليل يتغنى بالبطولة ويناشد الانسانية عبادة أصحابها واجلال شأنهم. فما تاريخ الانسانية في زعمه الا تاريخ العظماء من أبنائها..! ولكن سبنسر يقول ان البطل يبني عظمته على حساب من يخل عليهم المجتمع باحترامه.. فمن جهاد الجندي المسكين استعار القائد عظمته ومن شقوة العامل المعذب استمد الثري راحته. فمن الظلم والجور أن نقول ان تاريخ الانسانية بأسرها تاريخ العظماء من أفرادها..

ولكن الانسانية قد بدأت تكفر عن سيئاتها حين هبت تحيي الجندي المجهول — في ميدان الحرب — وترفع من شأنه وتجل من ذكره. وقد بقي علينا أن نمضي الى اجلال الجندي المجهول في ميدان السلم، اذ ما زالت تعيش على عرق جبينه في الكثير من مناحي حياتها. وأكبر ظني أن هذا الاجلال الذي سيظفر به الجندي المجهول قبل أن يواريه التراب. خير ما يمهد للمثقفين الطريق الى الاشتغال بالمهن الضئيلة.

تساءل صامويل سمايلز: أيهما يخفض أو يرفع من شأن الآخر: ألمهنة أم الانسان..؟ انما يرفع من شأن المهنة التافهة ناضج الفكر سليم العقل، وكأنما تستعير المهنة من جلاله جلالة. ومن رهبة مكانته قداسة.. وهذا بالاضافة الى انتاجها الذي سيربو ويزداد على يديه.. واعتبر عكس هذا في المهن الرفيعة العالية يوم يشغلها من ليس أهلا لها..

ولا ينبغي أن تخشى على عبقرية المثقفين أن تنزوي وتفنى في تفاهة المهنة. فان العبقرية الصحيحة لا تستكين لظلم الزمان ولا تخضع لحكم القدر. وان آياتها لتبدو وتلوح ولو كرهت ظروف صاحبها وعملت على طمس معالمها.. فاتركوا المثقفين يعملوا ويضربوا في زحمة الحياة حيثما ألقت بهم المقادير. والجهاد خير محك للعبقرية وأصدق ميزان لها..

توفيق الطويل

فى الأدب العربى

العوامل المؤثرة فى الأدب

٢

ومن العوامل المؤثرة فى الادب الأديان وما يتصل بها من الأخلاق والمعتقدات . وتأثير الأديان فى الأدب أمر ثابت بأدلة الطبع والسمع فانها تخلق موضوعات جديدة لمصنفات جديدة . وتؤثر فى الأخلاق والعواطف تأثيراً يتردد صداه فى مناحى الأدب . على أن تأثيرها الذى يعنينا الآن هو إيجادها لأنواع خاصة من النظم والنثر . فان بنى الانسان منذ أفزعتهم تهاويل الطبيعة وأدهشتهم تعاجيب الفلك أحسوا بقوة القوى فألهوها كما فعل اليونان والهنود . أو نسبوا الأعاجيب الممتعة الخيرة لمبدأ والتهاويل المفزعة الشريرة الى مبدأ آخر كما فعل الايرانيون الأقدمون . ثم امتلأت نفوسهم بجلالها وجمالها وعظمتها ففاضت على ألسنتهم بالأناشيد والصلوات . فكان من ذلك الشعر الدينى وهو مبدأ كل شعر فى كل أمة . ومن أقدمه أناشيد (رع) عند المصريين . وأناشيد (فيدا) عند الهند البرهميين ، وأناشيد (جاثا) عند الايرانيين ، وأناشيد (أرفيه) عند اليونانيين ، وسفر أيوب عند العرب

وعندى أن الشعر العربى لم ينشأ فى الصحراء على ظهور الابل . وإنما نشأ كذلك فى المعابد العربية أبان انفصال العرب عن الأسرة السامية الأولى ، فظهر على ألسنة الكهان باسم السجع ومن أقدمه سفر أيوب على أرجح الآراء . وربما عدت الى بسط هذا الرأى فى فرصة أخرى

وتأثير الأديان فى الآداب غير متحد ولا متشابه لاختلاف العقول فى إدراك هذه القوة الخفية . فاليونان قد عددوا آلهتهم وجسدوها على صور البشر . ونسبوا اليها ما للانسان من كرم ولؤم وغضب وحلم وحرب وسلم وعفة ودعارة وزواج ولذة ، ولم يميزوهم من الناس الا بالقوة والخلود . لذلك كان شعرهم الدينى فى الآلهة أشبه بشعرهم الدنيوى فى الملوك : يصف الخوارق والعظائم والقوة . ولا ينم عن رحمة الخالق وخشوع المخلوق . ولا يدل على الرجاء الذى يبعث على الطاعة . ولا على الخوف الذى يردع عن المعصيه .

أما بنو اسرائيل فقد وحدوا الله وبرأوه من النقص . ونزهوه عن المثل وملأوا صدورهم بهيبته وعزته وجلاله . فكان شعرهم فى ذاته العلية فياضاً بالتقديس والاجلال والابتهال والاتكال والبكاء والرجاء والخوف . كذلك يختلف تأثير الدين الواحد فى الأدب باختلاف الأزمان والبلدان وطبقات الناس ونظام الحكم . فان فى كل دين من الأديان السماوية قسما وجدانيا اجتهاديا يختلف ابناؤه فى فهمه اختلافهم فى الطبائع والمنازع والغاية . فاشعار الخوارج مثلا تنضح بالدماء وتطفح بالحماسة لتعصبهم وتصلبهم وجعلهم غاية الاسلام جهاد مخالفيهم فى الرأى . واشعار الشيعة تفيض باجلال زوج البتول وصهر الرسول وتمجيد ذكرى بنيه وتمثيل آلامهم . ورثاء من قتل من اعلامهم . وأشعار الصوفيين تصف مقاماتهم وتذكر اشاراتهم وتكثر من الكناية بالخمر والسكر والعشق والعبق عن شدة تعلقهم بالله . ولا يقتصر تأثير الأديان على النظم وانما يؤثر كذلك فى النثر ، فلولاها لما كانت النبوءات عند الاسرائيليين . ولا التعازى عند الفرس ، ولا خطب المنابر ومقامات الوعظ عند المسلمين والمسيحيين .

ومنها : العلوم النظرية والتجريبية . وتأثيرها العام فى ترقية العقل وتقوية الشعور وتنمية الصور لا يحتاج الى تمثيل ولا تدليل . ولكن لها تأثيراً خاصاً فى خلق أنواع طريفة من الآداب كالشعر التعليمى مثلا وهو نوع من الشعر يجمع بين رشاقة اللفظ ولطف التخيل وجودة الوصف ودقة البحث وحقائق العلم . وتراه فى الآداب الأجنبية القديمة والحديثة ارفع وامتع منه فى الآداب العربية ، فان من الغضاضة على الفن والاساءة إلى الذوق أن ندخل فيه منظومة ابن عبد ربه فى التاريخ ، وألفية ابن مالك فى النحو . وقد استحدث اليونان فى النثر المحاورات الفلسفية كمحاورات أفلاطون . وهى نوع طريف من الأدب الأغريقى قلده شيشرون فى محاوراته فى الأخلاق والفلسفة والبلاغة . كذلك احدث انتشار العلوم نوعا من القصص الخيالية تمتزج فيها حقائق العلم بروعة

الخيال وغرابة الحوادث تحقيقاً لرأى من الآراء أو تشويقاً لعلم من العلوم كما فعل الفرنسيان فلامريون الفلكي وجول فيرن Verne القصصي . وكما صنع من قبلهما أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي في رسالة حي بن يقظان ، فقد أراد بوضع هذه القصة أن يشرح كيف يستطيع الانسان بمجرد عقله أن يتدرج من المحسوسات البسيطة الى اسمى النظريات العلمية ، ولكنه يعجز عن ادراك أرقى الحقائق بغير وحي من الله أو هداية من نبي ، ثم كان من نفاق العلوم التاريخية في صدر القرن التاسع عشر . وميل الجمهور الى دراسة الماضي ، ان ظهر في انجلترا القصص التاريخي . ابتدعه الكاتب الانجليزي (ولتر سكوت) واقتفاه في فرنسا (الفريد دفي) في رواية خمسة مارس . وفي المانيا (جورج ايبرس) في قصته المصرية وردة . وفي مصر جرجي زيدان في رواياته الإسلامية . وللعلوم فضل ظاهر على اللغة في المادة والاسلوب وأثر قوى في ترقية النثر خاصة لأنها تكسبه القوة والدقة والوضوح . وما ارتقى النثر في أمة من الأمم الا بعد تقدمها في الحضارة ورقيها في العلم . لأن النثر لغة العقل كما ان الشعر لغة الخيال . فالنثر اليوناني لم يرق الا بعد عصر هوميروس بأربعة قرون حين دون تاريخ توسيديد ومحاورات افلاطون وخطب ديمستين . والنثر العربي لم يرق الا أوائل الدولة العباسية على يد ابن المقفع . والنثر الفرنسي لم يرق الا بتأثير الفلاسفة والرياضيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر كبسكال وديكارت .

ومن تلك العوامل أحوال السياسة الداخلية ، فان لمدها وجزرها . ولانتقاض حبلها أو اتساق أمرها . أثراً ما في فنون الآداب يختلف باختلاف حاله .

ففي خلافة معاوية مثلا انتشر الهجاء المقذع في العراق . وفاضت بحور الغزل الرقيق في الحجاز ، وعلة ذلك الأسياسة هذا الخليفة . فقد كان يخشى العراق على عرشه الواهي الدعائم . فساسه بالتفريق واحياء العصبية واذكاء التنافس بين الشعراء والقبائل ليشغل الناس عن الخصومة في خلافته بالخصومة في أمر جرير والفرزدق والاخطل . وكان يتوجس من ناحية الحجاز فاعتقل شباب الهاشميين في مدنه . وسلط عليهم الترف وشغلهم بالمال وخلى بينهم وبين الفراغ فعكفوا على اللهو والصبابة والغزل . وبعد خلافة المتوكل العباسي ازدهر الأدب العربي وازداد ابتكاراً وانتشاراً وكثرة . وعلة ذلك السياسة أيضا . فان الخلافة العباسية قد انتقض حبلها في أواخر عهد المأمون وانصدع شملها في عهد المتوكل باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب . فكان ضعف السياسة قوة للأدب لأن الشعراء والأدباء والعلماء بعد ان كانوا مكدسين في بغداد لا يريمون عنها تفرقوا في الممالك الجديدة فوجدوا من أمرائها وأجوائها ما ساعدهم على وفرة الانتاج ورفع شأن الأدب . وللأحوال السياسية كذلك أثر في خلق فنون جديدة من الأدب أو ترقية ما كان منها . ومثل ذلك النوع الذي يسميه الفرنج بالخطابة السياسية كالخطب الرائعة التي ألقاها ديمستين في مجالس اليونان العامة حين كان فيلبس ملك مقدونيا يتربص بحرية أثينا وسلامتها ريب المنون . وكتلك التي ألقاها شيشرون في مجالس الاعيان دفاعا عن شؤون الجمهورية الرومانية . وقد نفق هذا النوع في مصر الحديثة على لسان الزعيمين الكبيرين مصطفى باشا كامل وسعد باشا زغلول . وهذا الفن وليد الحرية السياسية والحياة الديمقراطية والانظمة الدستورية . فاذا منيت الشعوب بالاستعباد أو طغيان الاستبداد تلاشى وانقرض . كما تلاشى في اليونان حينما وقعوا في العبودية ، وانقرض عند الرومان حين فدحهم طغيان القياصرة . وهناك الشعر السياسي أيضا كالشعر الذي كانت تصطنعه الاحزاب والفرق في صدر الدولة الاسلامية . ومن ذا الذي ينسى فيضان بحور الشعر وطغيانها في بغداد ودمشق حين أعلن الدستور العثماني ؟ لقد كان الظلام ضاربا على العيون . والجهل غالبا على الأفئدة . والجمود مستوليا على العواطف . وقوى العرب المنتجة معطلة . وأياديهم العاملة مغلولة . فكان اعلان الدستور بسمة الامل في قطوب اليأس ، وومضة المنارة في بحر مكفهر الجو بالضباب مضطرب الموج بالعواصف . فاهتزت النفوس وانطلقت الألسن وصدحت البلابل تنعى الليل وتبشر العيون بالصباح .

كذلك من هذه العوامل اختلاط الاجناس المختلفة العقليات والعادات والاعتقادات بالمصاهرة والمجاورة في أمة واحدة . وأثر هذا العامل أظهر ما يكون في دولة العباسيين في بغداد ودولة الامويين في قرطبة . فان حضارتيهما نتيجة اختلاط شعوب مختلفة لكل شعب منها خصائص ومزايا أكملت نقص الآخر وساعدته على العمل والانتاج ففي البلدين اتصلت المدنية السامية بالمدنية الآرية فالتقى التصور العميق بالتصوير القوي . والعقلية العلمية بالوجدان الشعري ، وكان من أثر هذا اللقاح في الفكر والعقل ما يعلل لنا وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي . ولولا هذا اللقاح المخصب العجيب لظل الادب العربي ظامئ الجذوع دقيق الفروع ذابل الاوراق واحد المذاق قليل الثمر .

ومنها التقليد والاحتذاء . والتقليد فطري في الانسان

لا يستطيع بدونه ان يتكلم ولا ان يعلم ولا يملك لصبه ا كتساب عادة ولا تربية خلق . ولولا الاحتذاء لما كانت فنون الآداب . لان الشعر والنثر انما يصاغان على قواعد وأساليب خاصة . وما مراعاة هذه القواعد والاساليب الا اقتداء الاديب بمن سبقه سواء أكان اقتداؤه مقصودا منه أم غريزيا فيه

على أن التقليد الذى نقصد اليه هنا هو تقليد أمة لأخرى لشدة ارتباطها بها ، أو لاعتقادها السمو فى آدابها . وقد أشرت منذ هنيهة الى مثال من ذلك وهو ظهور القصص التاريخية فى انجلترا وانتقالها الى الأمم الأخرى بالاحتذاء . ولقد كان للتقليد فى الآداب القديمة شأن نابه وأثر ظاهر . فالشعر اللاتينى فى عصر أغسطس عاف أساليبه الفطرية وأوزانه القديمة . واغترف من بحور الشعر اليونانى فحاكاه فى أوزانه وأنواعه ومعانيه . والأدب الفرنسى قبل (رنسار) و (ماليرب) كان حائراً بين اللاتينية والاغريقية . والتمثيل أنما نشأ بديا فى كنائس رومية وباريس أثناء القرون الوسيطة لتمثيل صلب المسيح وآلام الشهداء الذين أوذوا وقتلوا فى سبيل المسيحية على نحو مايفعل الفرس من تمثيل ما أصاب أهل البيت من الخطوب والأضطهاد والمحن . ثم انتشر التمثيل بالتقليد فى سائر الأمم . ولما حييت الآداب اليونانية واللاتينية واطلع أدباء الغرب على ماصنف فيهما من الروايات التمثيلية تهافتوا على تقليدها واقتباسها فدخل فن التمثيل من جراء ذلك فى طور جديد . ولو شاء الله لأدبنا الكمال من نقصه لألهم المترجمين فى عصر المأمون أن ينقلوا روائع الأدبين الأغريقى واللاتينى من الشعر والقصص والروايات والخطب والملاحم كما نقلوا العلم والحكمة . إذن لقلدهم أدباء العرب فى ذلك ولسدوا فى الأدب العربى خللا ما نرى منه حتى اليوم . إنما استفاد الأدب العربى من التقليد فى فن الحكايات والأمثال حين ترجم ابن المقفع وبعض الكتاب شيئاً من القصص الفارسى ككليلة ودمنة وهزار افسانه ودارا والصنم الذهب . فكان ماترجموه حديا للعرب ونموذجا لهم فى وضع ماوضعوه منها .

أما الأدب الفارسى والأدب التركى فهما صنيعة التقليد ونفحة من نفحات الأدب العربى . فان الفرس حينما استولى الإسلام على أفئدتهم ولغته على ألسنتهم ظلوا زهاء قرنين يقرضون الشعر بالعربية دون الفارسية . فلما هبوا فى القرن الثالث يستردون مجد أجدادهم . ويطاردون العربية ونفوذها من بلادهم . ويوحون الى شعرائهم من أمثال الدقيقى والفردوسى أن يجددوا مفاخر الأسلاف بتأليف المنظومات القصصية والاناشيد القومية لم يجدوا ذلك ميسوراً إلا باحتذاء الشعر العربى واقتباس أوزانه وبديعه وكذلك فعلوا فى النثر فقد أخذوا يوشونه منذ أوائل القرن الخامس برشيق الألفاظ وغريب المجاز وزخرف البديع اقتداء بما نشر فى أقاليم العجم الشمالية الشرقية من الكتب التاريخية العربية التى كتبت بالسجع الموثق ككتاب اليمينى الذى ألفه أبو نصر العتبى للسلطان محمود الغزنوى.

وأما الأتراك العثمانيون فانهم حين أخذوا يدونون أشعارهم فى أوائل القرن الثامن اقتبسوا من الفرس بعض الأوزان العربيه مدداً لأوزانهم القديمة . ولكنهم ابتداء من القرن التاسع أغفلوا أوزانهم واصطنعوا العروض الفارسى فجروا على مناهجه ونحوه . وظل الأدب التركى صورة من الأدب الفارسى يترسم خطاه ويردد صداه حتى منتصف القرن الماضى حين هب الوزير صنا باشا المتوفى سنة ١٢٩٥ للهجرة يقوض دعائم الشعر القديم وينعى على الشعراء ماهم فيه من جمود وقصور ورق . فانضوى اليه رهط من الشعراء المجددين ككمال بك وأكرم بك وناجى افندى فانقذوا أدبهم من سخف التقليد ، وقووه بالابتكار والتجديد . هذا مثل من التقليد العاجز الذليل الأعمى . أما التقليد البصير القوى المستقل فهو الذى يهذب أدبنا اليوم ويتمم نقصه . فالاقصوصة والقصة والرواية ، والاسلوب المهذب والفن التمثيلى . كل أولئك قد أخذ بفضل تقليد الفرنج ينبت فى حقوله . ويضيف فصولا خالدة على فصوله .

هذه هى أقوى العوامل التى تؤثر فى الآداب على اختلاف لغاتها . وهى تعمل أما مجتمعة وأما منفردة . والواجب على مؤرخ الآداب أن يحلل ماتركب من أفعالها المتنوعة كما يحلل العالم بالميكانيكا القوة الناتجة ثم يردها الى القوى البسيطة الفاعلة . وهيهات أن يقف الأديب على هذه العوامل مالم يكن المؤرخ فى عونه . ولا يتسنى للمؤرخ أدراك كنهها الا بالاستقصاء البالغ والبحث الشديد فى أحوال الشعب الذى يدرسه ويؤرخه . وكل تعليل لأطوار الأدب وظواهره قبل دراسة هذه العوامل ضرب من التخرص لايطمئن عليه القلب .

البـــيرونى (١)

« انه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره »
« سخاو »

تمهيـــد :

قرأت فى العدد الأول من الرسالة فى مقالة (حلقة مفقودة للأستاذ أحمد أمين) ما يلي :

« وبالأمس كنت أتحدث الى طائفة من المتعلمين عن البيرونى العالم الاسلامى الرياضى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ وما كشف من نظريات رياضية وفلكية . وان المستشرق الألمانى « سخاو » يقرر انه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره وانه يدعو الى تأليف جمعية لتمجيده واحياء ذكره تسمى جمعية البيرونى . فحدثنى أكثرهم أنه لم يسمع بهذا الاسم ولم يصادفه فى جميع قراءاته . وهو يعرف عن ديكارت وبيكون وهيوم وجون ستوارت مل كثيراً ولكنه لا يعرف شيئاً عن فلاسفة الاسلام » .

عند قراءة هذه القطعة تبادر الى ذهنى أمران : أولا روح الانصاف عند بعض علماء الفرنج . ثانياً جهـــل المتعلمين منا بفلاسفة الاسلام والعرب وخمول علمائهم ... أما الأمر الأول فليس بغريب على رجل سيطرت عليه روح العلم الصحيحة التى لا تعرف غير توخى الحقيقة ان يجاهر بما يعتقد حتى ولو كان ما يجاهر به مما لا يسر أبناء وطنه ، على حين أننا نجد بعض علماء الغرب قد أغار على الكتب العربية وادعى ما فيها لنفسه ، وبعضهم لم يذكر المصادر العربية التى اعتمد عليها أو نقل عنها ، وقد أتينا بأمثلة على ذلك وعلى أن العرب سبقوا الفرنج الى اكتشاف بعض النظريات والابحاث الرياضية فى مقالات نشرناها فى مجلة المقتطف الغراء .

وأما الأمر الثانى فقد يكون لدى هؤلاء المتعلمين مبرر ولاسيما أن تاريخ بعض رجالنا السالفين قد أحيط بسحب كثيفة من الابهام . وفقد البعض الآخر منه . وكان لكسلنا وخمولنا الأثر الأكبر فى اهمال نوابغ العرب وتبيان مآثرهم فى مختلف فروع المعرفة . ولكن مما لاشك فيه أن هذا التبرير حجة علينا ومن واجبنا بل من دعائم نهضتنا القومية أن نتولى أمر الكشف عن حقيقة رجالنا ومآثرهم بأنفسنا ، وبذلك (وعلى الأقل) نضع حداً لادعاءات بعض المتعصبين وبعض المتفرنجين منا الذين يزعمون أن العرب لم يكونوا مخترعين مستنبطين ، وانهم لم يكونوا الا نقلة عن غيرهم ، وقد عنيت بوضع كتاب يبحث فى أثر العرب على العلوم الرياضية وما أخذه الغربيون من هذه العلوم ، وتأثير ذلك فى تقدمها . والمقالة التالية مجمل من ترجمة نابغة من نوابغ العلماء المسلمين قال عنه سخاو : « انه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره » .

(١) اعتمدنا فى كتابة هذه المقالة على ما كتبناه فى مقتطف مايو سنة ١٩٣١ على مصادر لم تكن لدينا حين كتبنا عن البيرونى فى المجلة المذكورة

مولده ومنشؤه :

هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيرونى الخوارزمى أحد مشاهير رياضى القرن الرابع للهجرة ومن الذين جابوا الأقطار ابتغاء البحث والتنقيب . ولد أبو الريحان فى خوارزم عام ٣٦٢ هـ — ٩٧٣ م ويقال انه اضطر أن يغادر مدينة خوارزم على أثر حادث عظيم الى محل فى شمالها اسمه (كوركانج) . وبعد مدة تركه وذهب الى مقاطعة جرجان حيث التحق بشمس المعالى قابوس أحد أحفاد بنى زياد وملوك وشمكير (١) . ثم عاد الى كوركانج وتمكن بدهائه أن يصبح ذا مقام عظيم لدى بنى مأمون ملوك خوارزم . وبعد أن استولى سبكتكين على جميع خوارزم ترك أبو الريحان كوركانج وذهب الى الهند فبقى مدة طويلة (ويقال انه سافر فيها أربعين سنة) يجوب البلدان ويقوم بأبحاث علمية كان لها تأثير فى تقدم بعض العلوم . وقد استفاد البيرونى من فتوح الغزنويين فى الهند وتمكن من القيام بأعمال جليلة ؛ فانه استطاع أن يجمع معلومات صحيحة عن الهند . ويلم شتات كثير من علومها ومعارفها القديمة . وأخيراً رجع الى غزنة ومنها الى خوارزم ولم يعرف بالضبط تاريخ وفاته . وانما الراجح أنه توفى سنة ٤٤٠ هجرية — ١٠٤٨ ميلادية .

تنقلاته العلمية ومآثره :

كان البيرونى رياضيا وفلكيا وطبيباً ومؤرخا وجغرافيا (٢) . وهو أبرز شخصية بين علماء عصره الذين بفضلهم كان للعرب عصر ذهبى تقدمت فيه العلوم تقدمها المعروف . قرأ فلسفة الهند وله فيها وفى الرياضيات والفلك مؤلفات كثيرة ، وهو من أوسع علماء الاسلام اطلاعاً على آداب الهند وعلومها ويقال انه ضرب بسهم وافر فى الجغرافيا حتى أن أبا الفداء كان يعتمد أحياناً فى أبحاثه الجغرافية على كتب أبى الريحان . قال سيديو : ان أبا الريحان اكتسب معلوماته المدرسية البغدادية ثم نزل بين الهنود حين

(١) صالح ذكى — آثار باقية ج ١ ص ١٧٠
(٢) كتاب تراث الاسلام Legacy of Islam ص ٢٢٢ .

أحصره الغزنوى فأخد يستفيد منهم الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة أو حديثة. ويفيدهم استكشاف أبناء وطنه ويبثها لهم فى كل جهة مر بها . وألف لهم ملخصات من كتب هندية وعربية . وكان مشيراً وصديقاً للغزنوى استعد حين أحضره بديوانه لاصلاح الغلطات الباقية فى حساب بلاد الروم والسند وما وراء النهر . وعمل قانوناجغرافيا كان أساسا لأكثر القسموغرافيات المشرقية : نفذ كلامه مدة فى البلاد المشرقية ولذا استند الى قوله سائر المشرقيين فى الفلكيات . واستمد منه أبو الفداء الجغرافيا فى جداول الأطوال والعروض وكذا أبو الحسن المراكشى . . . » ويعترف (سمث) فى الجزء الأول من كتابه تاريخ الرياضيات أن البيرونى كان ألمع علماء زمانه فى الرياضيات . وإن الغربيين مدينون لكتبه فى معلوماتهم عن الهند وعلومها الرياضية . والبيرونى ذو مواهب جديرة بالاعتبار . فقد كان يحسن السريانية والسنسكريتية والفارسية والعبرية عدا العربية (١) . وفى أثناء اقامته بالهند كان يعلم الفلسفة اليونانية ويتعلم هو بدوره الهندية (٢) ويقال انه كان بينه وبين ابن سينا مكاتبات فى أبحاث مختلفة . ورد أكثرها فى كتب ابن سينا . وكان يكتب كتبه مختصرة منقحة بأسلوب مقنع وبراهين مادية . لكنه لم يعتد أن يوضح القوانين الحسابية بأمثلة ما (٣) . قال البيرونى عن الترقيم فى الهند : ان صور الحروف وأرقام الحساب تختلف باختلاف المحلات . وان العرب أخذوا أحسن ما عندهم (أى عند الهنود (٤)) والقطعة التى قالها فى ذلك هى لدينا ولا مجال لذكرها الآن . وهو من الذين بحثوا فى تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية ، وكان ملما بعلم المثلثات وكتبه فيه تدل على أنه عرف قانون تناسب الجيوب (٥) . ويقال انه وبعض معاصريه عملوا الجداول الرياضية (للجيب والظل) وقد اعتمدوا فى ذلك على جداول أبى الوفاء البوزجانى .

وعمل البيرونى تجربة لحساب الوزن النوعى . واستعمل فى ذلك وعاء مصبه متجه إلى أسفل . ومن وزن الجسم بالهواء والماء تمكن من معرفة مقدار الماء المزاح ، ومن هذا الأخير ووزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعى (٦) واستطاع أن يجد الوزن النوعى لثمانية عشر عنصراً ومركباً بعضها من الأحجار الكريمة . وله أيضاً كتاب

(١) سمث وكاربنسكى ــ الارقام العربية الهندية ــ ص ٦ .
(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة : Biruni
(٣) صالح ذكى ــ آثار باقية ــ ج١ ص ١٧٤
(٤) كاجورى ــ تاريخ الرياضيات ــ ص ١٠٠
(٥) كاجورى ــ تاريخ الرياضيات ــ ص ١٠٥
(٦) كاجورى تاريخ علم الطبيعة الفيزيكس ــ ص ٢٠

فى خواص عدد كبير من العناصر والجواهر وفوائدها التجارية والطبية . وهو وابن سينا من الذين شاركوا ابن الهيثم فى رأيه القائل بأن شعاع النور يأتى من الجسم المرئى الى العين (١) :

مؤلفاته : ــ

من اشهر مؤلفات البيرونى التى وصلت الى يدى العلماء كتاب ــ الآثار الباقية عن القرون الخالية ــ وهذا الكتاب يبحث فيما هو الشهر واليوم والسنة عند مختلف الامم القديمة من اشوريين ويونانيين الى وقت البيرونى . وكذلك فى التقاويم وما اصاب ذلك من التعديل والتغيير وفيه جداول تفصيلية للاشهر الفارسية والعبرية والرومية والهندية والتركية تبين كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض . وتجد فيه ايضاً جداول الملوك آشور وبابل والكلدان والقبط واليونان قبل النصرانية وبعدها . وللملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتهم . ولم يقتصر الكتاب على ذلك بل بحث فى المتنبئين وامهم من اهل الأوثان واهل البدع فى الاسلام . وغير ذلك من الموضوعات التى تتعلق بالاقباط واعيادهم ، واعياد النصارى على اختلاف طوائفهم . . . (٢)

يقول كشف الظنون عن هذا الكتاب : « انه كتاب مفيد ألفه لشمس المعالى قابوس وبين فيه التواريخ التى تستعملها الأمم . . . » ومنه ايضا يستدل على ان البيرونى اول من استنبط تسطيح الكرة . وقد فصل ذلك فى كتابه المذكور الذى يدل ايضاً على ان له استنباطات جليلة فى الفلك والرياضيات (٣) وقد ترجم « سخاو » E. C. Sackau كتاب الآثار الباقية المذكورة الى الانكليزية . وطبع عام ١٨٧٩ م فى لندن (٤) وله كتاب تاريخ الهند . وقد ترجمه ايضاً سخاو الى الانكليزية وطبع الاصل فى لندن سنة ١٨٨٧ م والترجمة فيها سنة ١٨٨٨ م (٥) وفيه تناول البيرونى لغة اهل الهند وعاداتهم وعلومهم .

واعتمد عليه (سمث) وغيره من المؤلفين عند بحثهم فى رياضيات الهند والعرب . وله كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة ــ وقد ترجم الى الانكليزية عام ١٨٨٧م ــ . وكتاب مقاليد علم الهيئة ما يحدث فى بسيط الكرة ــ وفى هذا الكتاب بحث فى (شكل الظل) اعترف فيه بان « الفضل

(١) تراث الاسلام ــ Legacy of Islam ص ٣٢٢ ــ ٣٣٣
(٢) زيدان ــ تاريخ آداب اللغة العربية ــ ج ٢ ص ٣٤٦ طبعة سنة ٥٣٠
(٣) « « التمدن الاسلامى ــ ج ٣ ص ١٩٥ طبعة سنة ١٩٣١
(٤) دائرة المعارف البريطانية مادة Biruni
(٥) زيدان ــ تاريخ آداب اللغة العربية ــ ج ٢ ص ٣٤٦

في استنباط الشكل الظلي لأبي الوفاء بلا تنازع من غيره . وقد كنا نشرنا هذا في مقالنا عن البيروني في مجلة المقتطف . وجاء أبو الريحاني في بعض كتبه على ذكر قسم من الكتب القيمة التي دخلت في زمن العباسيين والتي كان له أثر كبير في تقدم علوم الفلك والرياضيات . فقد أتى على ذكر المقالتين اللتين جلبها احد الهنود الى بغداد في منتصف القرن الثاني للهجرة . فالمقالة الأولى في الرياضيات والثانية في الفلك . وبواسطة الأولى دخلت الارقام الهندية الى العربية واتخذت اساساً للعدد (١) والثانية اسمها (سدهانتا) التي عرفت فيما بعد باسم كتاب (السند هند) ترجمها ابراهيم الفزارى وكان نقلها بداءة عصر جديد في دراسة هذا العلم عند العرب (٢) .

مما تقدم نستنتج ان البيروني كتب في تاريخ الرياضيات عند الهنود والعرب . ولولاه لكان هذا الموضوع أكثر غموضاً مما هو عليه الآن . على ان أكثر الكتب الحديثة التي تبحث فيه (في الرياضيات عند الهنود والعرب) تعتمد في الأغلب على كتبه كما يتضح لمن يتصفح كتب تاريخ العلوم الرياضية . وله مؤلفات أخرى يربى عددها على المائة والعشرين . منها : كتاب القانون المسعودي في الهيئة والنجوم . وقد الفه لمسعود بن محمود الغزنوي (٣) — وكتاب استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب — وكتاب استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها . وهو مسائل هندسية أدخل فيها طريقته التي ابتكرها في حل بعض الاعمال — وكتاب العمل بالاسطرلاب — ومقالة في التحليل والتقطيع للتعديل — وكتاب جمع الطرق السائرة في معرفة اوتار الدائرة — وكتاب جلاء الأذهان في زيج البتاني — وكتاب التطبيق الى تحقيق حركة الشمس — وكتاب في تحقيق منازل القمر — وتمهيد المستقر لتحقيق معنى الممر — وكتاب ترجمة ما في براهم سدهانه من طرق الحساب — وكتاب كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب — وكتاب استشهاد باختلاف الأرصاد، وقد الفه البيروني لأن اهل الرصد عجزوا عن ضبط أجزاء الدائرة العظمى بأجزاء الدائرة الصغرى — وكتاب الصيدلة في الطب « استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين فيها وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه . وقد رتبه على حروف المعجم » (٤) — وكتاب الارشاد في احكام النجوم — وكتاب في افراد المقال في امر الظلال — وكتاب تكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب اعماله من الزلل — وكتاب الجماهر في معرفة الجواهر — ومقالة في نقل ضواحي الشكل القطاع الى ما يغني عنه — وكتاب تكميل صناعة التسطيح. وله كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم . وهذا الكتاب لم يطبع بعد ولا بد ان تكون بعض نسخ خطية منه موجودة في المكاتب الأوربية والمصرية . وهو لدينا في نسخة خطية نسخت منذ تسعين سنة عن نسخة قديمة . وهو يبحث في الهندسة والحساب والعدد ثم هيئة العالم ثم احكام النجوم وذلك « لأن الانسان لا يستحق سمة التنجيم الا باستيفاء هذه الفنون الأربعة » (١) وقد ألفه على طريقة السؤال والجواب ولغته سهلة سلسة . ونترك التفصيل عنه الآن لكتابنا الذي نؤلفه .

نابلس — فلسطين   قدري حافظ طوقان

(١) مظهر — تاريخ الفكر العربي — ص ٣٦
(٢) « « « « — ص ٣٢
(٣) ابن أبي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٢١
(٤) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٢

(١) البيروني — كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم — مخطوطة

من طرائف الشعر

الشاعر والسلطان الجائر

للأستاذ ايليا ابو ماضي

امر السلطان بالشاعر يوما فاتاه
في كساء حائل الصبغة واه جانباه
وحذاء اوشكت تفلت منه اخمصاه
قال :صف جاهي .. فقي وصفك للشعر جاه
ان لي القصر الذى لا تبلغ الطير ذراه
ولى الروض الذى يعبق بالمسك ثراه
ولى الجيش الذى ترشح بالموت ظباه
ولى الغابات . والشم الرواسى ، والمياه
ولى الناس . وبؤس الناس منى والرفاه
ان هذا الكون ملكى..انا فى الكون اله !!

....

ضحك الشاعر مما سمعته اذناه
وتمنى ان يداجى فعصته شفتاه
قال : انى لا ارى الامر كما أنت تراه
ان ملكى قد طوى ملكك عنى ومحاه

....

القصر . . ينبى عن مهارة شاعر لبق ، ويخبر بعده عنكا
هو للالى يدرون كنه جماله فاذا مضوا فكأنه دكا
ستزول انت ولا يزول جلاله كالفلك تبقى ان خلت فلكا
انا من حواه بعينه وبلبه ولئن حواك وخزته صكا !

....

والروض؟ان الروض صنعة شاعر سمح طروب رائق جزل
وشى حواشيه وزين ارضه بروائع الالوان والظل
لفراشة تحيا له . ولنحلة تحيا به ، ولشاعر مثلى
وللبلبل غرد يساجل بلبلاً غردا . وللنسمات والطل
ولديمة تذرى عليه دموعها كيما تقيه غوائل المحل
فاذا مضى زمن الربيع اضعته واقام فى قلبي وفى عقلى

....

والجيش معقود لواؤك فوقه ما دمت تكسوه وتطعمه
للخبز طاعته وحسن ولائه هو ولاته الكبرى و برهمه ،
فاذا يجوع بظل عرشك ليلة فهو الذى بيديه يحطمه
لك منه اسيفه ولكن فى غد لسواك اسيفه واسهمه
اتراه سار الى الوغى متهللا لولا الذى الشعراء تنظمه؟

واذا ترنم هل بغير قصيدة من شاعر مثلى ترنمه ؟

....

والبحر . . قد ظفرت يداك بدره وحصاه ، لكن هل ملكت هديره؟
امرجت انت مياهه ؟
اصبغت انت رماله ؟
اجلت انت صخوره ؟

هو للدجى يلقى عليه خشوعه والصبح يسكب وهو يضحك نوره
هو للرياح تهزه وتثيره والشهب تسمع فى الظلام زئيره
للطير هائمة به مفتونة لا للذين يروعون طيوره
للشاعر المفتون يخلق لاهيا من موجه حورا ويعشق حوره
ولمن يشاهد فيه رمز كيانه ولمن يجيد لغيره تصويره
يا من يصيد الدر من اعماقه اخذت يداك من الجليل حقيره
لا تدعه .. فليس يملك انه كالروض جهدك ان تشم عبيره

....

ومررت بالجبل الاشم فازوى عنى محاسنه ، ولست اميرا
ومررت انت فما رايت صخوره ضحكت ولا رقصت لديك حبورا
ولقد نقلت لنملة ما تدعى فتعجبت مما حكيت كثيرا
قالت: صديقك ما يكون؟ اقشعما؟ ام ارقما؟
ام ضيغما هيصورا ؟

ايحوك مثل العنكبوت بيوته
حوكا ؟ ويبنى كالنسور وكورا ؟
هل يملأ الاغوار تبرا كالضحى؟ ويرد كالغيث الموات نضيرا
ايلف كالليل الاباطح والربى والمنزل المعمور والمهجورا ؟
فاجبتها : كلا . فقالت : سمه فى غير خوف « كائنا مغرورا »

....

فاحتدم السلطان اى احتدام ولاح حب البطش فى مقلتيه
وصاح بالجلاد : هات الحسام فاسرع الجلاد يسعى اليه
فقال: دحرج رأس هذا الغلام فرأسه عبء على منكبيه
قد طبع السيف لحز الرقاب وهذه رقبية ترثار
اقتله .. واطرح جسمه للكلاب ولتذهب الروح الى النار !

....

- سمعا وطوعا سيدى . وانتضى عضبا يموج الموت من شفرتيه
ولم يكن الا كبرق اضا حتى اطار الرأس عن منكبيه
فسقط الشاعر معرورضا يخدش الارض بكلتا يديه
كأنما يبحث عن رأسه فاستضحك السلطان من سجدته
ثم استوى يهمس فى نفسه « ذو جنة » امسى بلا جنته

....

أجل ! هكذا هلك الشاعر كما يهلك الآثم المذنب
فما غص فى روضة طائر ولم ينطفىء فى السما كوكب

ولا جزع الشجر الناضر   ولا اكتئاب الجدول المطرب
ويكونه عن قتله القاتل   بمال جزيل وخد اسيل
فقال له خلفه الباسل   الا ليت لي في كل يوم قتيل!

....

في ليلة طامسة الانجم   تسلل الموت الى القصر
بين حراب الجند والاسهم   والاسيف الهندية الحمر
الى سرير الملك الاعظم   الى امير البر والبحر!!
ففارق الدنيا ولما تزل   فيها خمور واغاريد
فلم يمد حزنا عليه الجبل   ولا ذوى في الروض املود

....

في حومة الموت وظل البلى   قد التقى السلطان والشاعر
هذا بلا مجد، وهذا بلا   ذل. فلا باغ ولا ثائر
عانقت الاسمال تلك الحلى   واصطحب المقهور والقاهر
لا يجزع الشاعر ان يقتلا   ليس وراء القبر سيف ورمح
ولا يبالي ذاك ان يعذلا   سيان عند الميت ذم ومدح

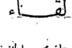
....

وتوالت الاجيال تطرد   جيل يغيب وآخر يفد
اخنت على القصر المنيف فلا   الجدران قائمة ولا العمد
ومشت على الجيش الكثيف فلا   خيل مسومة ولا زرد
ذهبت بمن صلحوا او من فسدوا   ومضت بمن تعسوا او من سعدوا
وبمن اذاب الحب مهجته   وبمن تأكل قلبه الحسد
وطوت ملوكا ما لهم عدد   فكأنهم في الارض ما وجدوا
والشاعر المقتول باقية   اقواله. فكأنها الابد
الشيخ يلمس في جوانبها   صور الهوى، والحكمة الولد

البحر

للدكتور محمد عوض محمد

أيها الزاخر ذو الصدر الرحيب!   كم طوى صدرك من سر رهيب!
قد شهدت الكون والكون فتى،   وسترعاه الى وقت المشيب.
كم قرون عصفت وانقرضت   وخطوب قد مضت اثر خطوب
وحيالك رزين. ناظر   بابتسام تارة أو بقطوب!
ساخراً مما يلاقيه الورى   من نعيم زائل أو من كروب
هازئاً بما أثاروا بينهم: من جدال أو خصام أو حروب.
ثائراً حيناً، وحيناً هادئاً   باعثاً رعباً. وأمناً للقلوب!
مهلكا حينا، وحينا منقذا   كعدو ناقم أو كحبيب
باسماً طوراً وطوراً غاضباً:   في كلا الحالين ذو شأن عجيب.
لا تبأ للدهر ثوباً أزرقاً   يبهر الأعين ذا حسن مهيب
حلة تزهو بها الدنيا كما   تخطر الحسناء في الثوب القشيب.
زرقة الفيروز تحكيها وإن   كبرت عن أن تضاهى بضريب.
عانقتك الشمس من جو السما   وهي تجري من شروق لغروب.
هل رأى العالم في غيرك كم   كيف يحلو مزج ماء بلهيب
قلبك الهادىء لا تزعجه   زعزع نكباء جدت في الهبوب
لم تحرك منك إلا ظاهراً   دفعته لشمال أو جنوب
تحته قلب عميق ساكن   هازىء من حادث الدهر العصيب
ليت شعري ما الذي تضمر في   قلبك الهائل من أمر غريب!
عالم آياته قد أتعبت   فكرة الحاسب أو عقل الأريب



لقاء

للأستاذ محمود الخفيف

هزها الشوق والخيال فغنت   وحباها الغرام لحنا جميلا
أسرعت في مسيرها وتأنت   ثم مالت لتستريح قليلا

....

انظر الزهر كيف يرنو إليها   والمح العشب كيف يبدو نضيرا
وارقب الغصن كيف يحنو عليها   واسمع الطير كيف تشدو سروراً!

....

فتن الكون كله بفتاة   بث فيها الجمال سحراً جلالا
مذ تبدت على بساط نبات   كست الكون بهجة وجلالا

....

هي كالزهر رونقاً وبهاء   وهي كالطير خفة ودلالا
هي كالماء رقة وصفاء   صاغها الله للجمال مثالا

....

هي كالصبح روعة وابتساما   وهي كالفجر رقة وحياء
وهي كالشمس حدة واحتداما   وهي كالدر رقة وسناء

....

أطلقت في الخلاء صوتاً رخيما   مثل سجع الحمام عند البكور
هادئاً ناعماً شجياً رخيما   دق في الوصف عن أدق الشعور

....

ذكرت حبها وقالت كلاما   من رقيق العتاب سامي البيان
لم ترد بالعتاب إلا سلاما   وحديث العتاب جم المعاني

....

ضحكت برهة ولكن عراها أثر هذا السرور شيء عجاب
غبست فجأة وخارت قواها وسعى الهم نحوها والعذاب

....

انظر الدمع كيف يجري سخينا أغرق الخد ثم يأبى انقطاعا
واسمع اللحن كيف صار أنينا يملأ القلب رأفة والتياعا

....

هتفت باسمي وهي تحسب أني لا أراها ولم أزل في بعادي
ويح قلبي ! أيهرب القلب مني ؟ ويح نفسي ! أشعلة في فؤادي ؟

....

أبصرتني فكفكفت مقلتيها وعراها وقد رأتني اضطراب
وعراني وقد هرعت اليها نشوة ثم رجفة واكتئاب

....

قد دهاني عند اللقاء اختبال وعصاني فلم يترجم لساني
حين لم يبق للبيان مجال ترجم الدمع عن أدق المعاني

....

أمهلتني هنيهة ثم قالت ويح نفسي لقد سمعت عتابي
واطمأنت لحيرتي ثم مالت تطلب البعد وهي ترجو اقترابي

....

قلت مهلا ترفقي بفؤاد شفه الوجد والحنين اليك
جئت أسعى اليك بعد بعاد ووضعت الفؤاد بين يديك

....

لست أرضى الخلود عنك بديلا فحياتي رهينة بهواك
لا ولا المجد أرتضيه خليلا غاية المجد أن أنال رضاك

....

لك نفسي إذا أردت فداء أنت روحي وأنت غاية نفسي
لا أرى في الوجود عنك عزاء أنت عيني وأنت سمعي وحسي

....

أطرقت عفة وأغضت حياء إذ رأتني محدقا في اشتياق
وأرتني تمنعا وإباء وإباء الدلال حلو المذاق

....

لست أنسى جمال ذاك المحيا بين زهو الصبا وطهر العفاف
وحديثا وعاه قلبي شهيا أين من وصفه بليغ القوافي ؟

....

لست أنسى طلاقة وبهاء وانتشاء وغفلة وابتساما
لست أنسى تعففا وحياء وانتباها وفطنة واحتشاما

....

ليت أنسى تلهفا وافتتانا وهي تصغي الى حديث اغترابي
ليت أنسى ترفقا وحنانا ما أحيلاه بعد طول الغياب !

....

ان هذا اللقاء يملأ قلبي كل حين مسرة وهناء
فأراها على البعاد وحسبي ذاك حتى يجود دهري عزاء

ثم مـــاذا ؟

ثم ما ذا يا دهر ؟ هل من جديد أحتسي منه لوعتي وعنائي ؟
هات ما قدر القضاء علينا ولتفض كأس عيشنا بالشقاء
لست أخشى القضاء إن قصد العد ل . ولكني أخاف ظلم القضاء
ورضينا بالظلم . . لو أن دهري ينتهي ظلمه بهذا الرضاء !

سخريات هذي الحياة وسر لم يزل غامضا على الأذكياء
أي معنى للزهر يولد في الرو ض صباحا وينتهي في المساء ؟
أي معنى للحسن أصبح فيه كل صب نضوا من البرحاء
ثم يخبو ضياؤه حتى كأن لم يك بالأمس بالوضيء الرواء
وترى دمعة الحنين اليه حول الدهر سيرها للرثاء !

غدرات الأيام تأتي سراعا وسراعا تمضي ليالي الهناء
رب ليل ظللت أرشف فيه كل ما شئت من معاني الصفاء
ورأيت الغرام أيقظ مني شعر حس أشفقت على الأغبياء
فخلقت البديع من كل معنى وجلوت الجمال للشعراء
هكذا بت ، لا فؤادي شاك من هواه . ولا حبيبي ناء
فأتى الصبح بالخطوب التوالي من عذاب وفرقة وجفاء
فتساءلت : كيف جرع قلبي غصة البين بعد حلو اللقاء ؟
أين قلبي ؟ فقدته في غرامي . . أين عيني ؟ أذبتها في بكائي . .
ورجائي أضاعه لي دهري في شقاء . يا رحمتا للرجاء !

لسواء علي عشت سعيدا أم قضيت الحياة في بأساء
فالزهور التي ذوت ظامئات كالزهور التي ذوت في الماء
والطيور التي تغرد في الأيـ ك سرورا مصيرها للبكاء .
عشت في عالم تهيج شجوني كلما قيل : عالم الأحياء
علموني كيف الغباء لأحيا هانئا بينهم حياة الرخاء
وامنحوني بعض الرياء لعلي أرتوي غلة ببعض الرياء !

مصطفى كامل الشناوي

في الأدب الشرقي

الأدب العربي والأدب الفارسي

للأستاذ عبد الوهاب عزام

أستاذ الأدب الفارسي بكلية الآداب

٣

وكان من آثار هذا الاختلاط والتنافس ظهور الشعوبية من فرس وغيرهم، وهم الذين قاموا يردون على العرب دعواهم في فضلهم على الأمم. ولم يقتصر الشعوبية أن يسووا أنفسهم بالعرب، بل تمادى الجدل بهم الى تفضيل غير العرب عليهم. كان من الشعوبية غير الفرس. وكان من الفرس أنصار للعرب. ولكن النزاع كان في معظمه نزاعاً بين العرب والفرس خاصة. وقد تناضل الفريقان عن كثب. وأرسلوا الكلام الى غاياته في غير تحرج. فعيلان الشعوبي الفارسي وهو نساخ في بيت الحكمة أيام الرشيد والمأمون. كتب كتاب الميدان الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، كما يقول ابن النديم. وسهل بن هارون صاحب خزانة الحكمة في عهد المأمون كان شديد العصبية على العرب، وقد كتب رسالة في البخل وكأنه أراد بها الزراية بالجود الذي كان عمدة مفاخر العرب. وسعيد بن حميد بن البختكان لم يتحرج، وهو على مقربة من الخلفاء، أن يكتب كتاباً يسميه فضل العجم على العرب. وأشباه هؤلاء كثيرون. وقد استمر النزاع في الكتب عصوراً طويلة. وليس يسعنا أن نستقصيه الآن.

....

بعد هذا كله نسأل السؤال الذي يفهم جوابه استنتاجا مما تقدم: ما أثر الفرس في الآداب العربية؟

مهما تحدث الناس عن النزاع بين العرب والفرس. فإن هذا النزاع لا يشرح لنا كل شيء. كان المتنازعون إما من الرؤساء ومن التف حولهم، وإما من الطامعين في الزعامة والمناصب. فأما العلماء أكثرهم فكانوا كدأبهم في كل زمان يعملون ولا تسمع أصواتهم. وهم الذين تعاونوا على اغناء اللغة العربية بالكتب في شتى الفنون. فقد تقدم الفرس النجباء لحمل الأمانة العلمية منذ العهد الأموي وثابروا. فاذاهم المتقدمون في كل فن: في التفسير. والحديث. والفقه. حتى علوم العربية من نحو وصرف وعروض. والآداب العربية شعرها ونثرها. قديمها وحديثها. وما عنوا بالكلام عن الفرس والعرب. وكانوا يتحرجون أن يخوضوا في هذا. وكان حسبهم أن ينصروا الدين وعلومه. ولو كان لابد لهم أن ينحازوا الى أحد الفريقين لآثروا نصرة العرب تديناً وتقوى. وحسبنا أن نذكر هنا أمثال الحسن البصري. والبخاري، ومسلم، والامام أبي حنيفة، ومحمد بن جرير الطبري، وابن قتيبة. وابن فارس. على أن المتعصبين أنفسهم قد اتخذوا العربية لغتهم. فلم يكن لهم بد من امدادها بمعارفهم طوعا أو كرها. والحق ان كراهتهم للعرب لم تكن كراهة للغة العربية. وأصدق شاهد على هذا أبو عبيدة اللغوي: كان شعوبيا متعصبا على العرب. وأصله يهودي فارسي. وأنت تعلم ما أجدت مؤلفاته على اللغة العربية، وما بذل من جهد لحفظها ورواية آدابها، ومن هذه الآداب كتابه في مثالب العرب.

للفرس يد أخرى على الآداب العربية، هي ترجمتم ذخائر لغتهم الى اللغة العربية ترجمة حاذق قد اتخذ العربية من لغته بديلا. ولعل عصبيتهم حفزتهم الى هذا ليحفظوا آثارهم من الضياع وتقوم لهم الحجة بما يترجمون على فضل آبائهم، وعظم حضارتهم. وقد بدأت هذه الترجمة — فيما يظن — أيام الخليفة هشام بن عبدالملك: ترجم جبلة بن سالم كاتب هشام سير ملوك الفرس. ثم جاء زعيم المترجمين ابن المقفع. وعبد الحميد بن أبان، وآل نوبخت. وقد عد صاحب الفهرس أربعة عشر مترجما غير ابن المقفع وأسرة نوبخت.

والكتب التي ترجمت من الفارسية أقسام ثلاثة:

(١) كتب في الحكمة: وهذه ليست ذات خطر. فانما هي فلسفة اليونان جاءت من طريق الفرس، وكان العرب يأخذونها من مصادر خير من الفارسية.

(٢) كتب في التاريخ والقصص: مثل كتاب (خداى نامه) أو سير الملوك. وكتاب التاج في سيرة أنوشروان اللذين ترجمهما ابن المقفع. وسيرة أردشير. وسيرة أنوشروان. اللتين ترجمهما أبان

اللاحقي. وبعضها مأخوذ عن السجلات الرسمية الفارسية وهذه الكتب لها أثرها في كتب التاريخ العربي. وهي أصل لكل ما في الكتب العربية من تاريخ الفرس وأساطيرهم. فأخبار الساسانيين في الطبري مثلا مأخوذة منها. يثبت هذا مقارنة الكتب العربية بعضها ببعض وبالكتب الفارسية كالشاهنامه. فهذه الكتب على اختلاف مصادرها المباشرة تتفق في سرد التاريخ اتفاقا يؤدي الى الاعتقاد بأنها أخذت من أصل واحد..

(٣) كتب المواعظ والآداب والسياسة وما يتصل بها:

مثل عهد (أردشير بابكان) الى ابنه سابور. وعهد أنوشروان الى ابنه هرمز. وجواب هرمز اياه. ورسالة كسرى الى زعماء الرعية. وكتاب (زادان فرخ) في تأديب ولده. وآيين نامه الذي ترجمه ابن المقفع. وقد أمدت هذه الكتب اللغة العربية بثروة من الحكم الأخلاقية والأقوال المأثورة تتجلى في مثل كتب ابن المقفع: كليلة ودمنة. والأدب الكبير. والأدب الصغير. واليتيمة. وهي أصل لكتب الأخلاق العربية التي ألفت من بعد. ومن هذا النوع الكتب التي عرفت باسم المحاسن. أو المحاسن والمساوئ. مثل: المحاسن لعمر بن الفرخان الطبري (في عصر المأمون). والمحاسن المنسوب لابن قتيبة. والمحاسن والمساوئ للبيهقي. والمحاسن والأضداد للجاحظ. فهذه الكتب لها نظائر في الفهلوية ألفت حتى في العصر الاسلامي. وهي معروفة باسم شايد نشايد. أو (شايسة نشايسة).

كتب التاريخ وكتب المواعظ لها أثر كبير على الأدب العربي بالمعنى الأخص. أعني الكلام البليغ نظمه ونثره. فهذه الأساليب المسهبة السهلة التي تقدم بها عبد الحميد وتلاه فيها ابن المقفع وغيره تأثرت بالأساليب الفارسية كما كانت موضوعاتها فارسية. وقد ذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين وهو يحتج على أن البلاغة ترجع الى المعاني: ذكر أن الذين عرفوا لغات غير العربية نقلوا بلاغتها الى العربية في كتابتهم. وضرب مثلا بعبد الحميد الكاتب اذ أجدت على العربية بلاغته الفارسية. وأمر آخر يرجع الى الشعر: هو الشعر المزدوج الذي نظم به أبان بن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة وغيره. فقد نظم شعراء الفرس فيما بعد كل ما نظموا من قصص في هذا النوع من النظم وسموه المثنوي. فلعل هذا النوع من أثر الفرس على اللغة العربية أيضا على قلة معرفتنا بحال الشعر عند الفرس قبل الاسلام.

« يتبع »

طرف من شعر السلاطين

هذه طرف من شعر سلاطين آل عثمان. وقد نبغ منهم شعراء كثيرون. ولبعضهم دواوين متداولة وأعظمهم أثرا في الشعر بايزيد الثاني. ومحمد الفاتح. وسليم الأول. وسليمان القانوني. وسليم الثاني. (وكل واحد من هؤلاء أب لمن بعده) ثم مراد الثالث. ومراد الرابع. ولكل من هؤلاء السلاطين الشعراء اسم عرف به في الشعر فالفاتح «عوني» وسليمان القانوني «محبي» وهلم جرا.

وقد يشوق القارئ أن يسمع الى السلاطين يتحدثون عن سرائرهم ليرى أن الدولة والسلطان لا يرفعانهم عن مستوى الآلام والآمال.

ومن يظن أن السعادة ملك وغنى وصيت وجاه وجبروت فليسأل سليمان القانوني. وارادته قضاء محتوم. وقوله في العالم قانون. ليسمع أن السعادة ليست ملك «سليمان». وأن العروش لا تسمو على الأشجان.

السلطان محمد الفاتح «عوني»

أيها الساقي هات المدامة! فسيذهب البستان من اليد.
سيأتي الخريف، وتذهب الحديقة والربيع من اليد.
أيها الحبيب! أوف بالعهد، ولا يغرنك الجمال والنضرة

* * *

يا ملكي. قد جعلتني أسيرا في سلسلة طرتك.
ويارب لا تحررني من هذه العبودية.
جور الحبيب، وطغيان العدو. وحرقة الفراق. وضعف القلب.
لهذه الألوان من الآلام خلقتني يارب!
قد اجتمع على احراقي وهدمي
حرقة القلب، ونار الآهات. ودمع العين.

السلطان بايزيد الثاني «عدني»

يبدي لنا الفلك حينا حبا ووفاء.
ويتقلب حينا فيبدل بالنعمة ألف نقمة!
ما عهدت من قبل تلك الآلام التي احتملت في سبيل العشق
وكذلك ترى هذه البدور العاشق ما لم يره
ها أنذا أتحامل في طريق العشق غريبا!
والجميلات يتغامزن بي.

(البقية على صفحة ٣٨)

في الأدب الغربي

معنى الشعر

للشاعر الإنكليزي درنكووتر

المستر جون درنكووتر نزيل مصر الآن من أقطاب الشعر الانكليزي الحاضر وله عدة مجموعات شعرية وقطع مسرحية شهيرة . ولد سنة ١٨٨٢ وبدأ حياته العملية كاتبا في إحدى وكالات التأمين . وهو الآن استاذ الأدب الأنكليزي بجامعة برمنجهام . وأشهر مؤلفاته « إبرهام لنكولن » وهي قطعة مسرحية رائعة . ومنها مجموعة شعرية عنوانها « رجال وساعات » وهي أولى مجموعاته « والعضيان » وغيرها . وقد دعت الجامعة المصرية المستر درنكووتر ليلقى خمس محاضرات عن الشعر الانكليزي . فالقى الاولى مساء يوم الخميس ١٧ فبراير في الجمعية الجغرافية الملكية وموضوعها « معنى الشعر » وهذه خلاصتها .

قال مستر درنكووتر :

تقوم اليوم كثير من الصعاب الخطيرة والمسائل الهامه التي تزعج معظم دول العالم . وهذه المسائل تشغل عقول المفكرين جميعا . ولكن أحدا لم يوفق الى حلها . بيد أنهم على يقين من أمر واحد : هو أن هذا الحل لا يتحقق مالم نتناول مسائلنا بروح متبادل من التفاهم وحسن النية . وهذا هو الجوهر . فالناس لا يود بعضهم لبعض سوى الخير . ولكن ذلك لا يتم إلا بالاحتكاك الشخصي : فاذا ما اقتنعنا بوجوب التعامل بتعقل ، خفت متاعبنا .

« ورمز هذا الروح المشبع بالتفاهم وحسن النية : هو الشعر . فالشعر يعنى بالأشياء الكونية الخالدة الخالقة ، والشعر يبغض الظلم ، وتبديد النشاط البشري ، وخيبة الأمل . وقد خلق للاجتماع والتسامح والاحترام المتبادل » .

« فما يشجع إذن أن يعمل شيء في تلك الأيام العصيبة لتقوية التفاهم بين الشعوب . وهذا بلد (يعني مصر) قد دعا شاعراً من بلد آخر ليأتي ثم يتحدث عن شعر بلاده ، وهي بلاد ذات لغة وتقاليد ، وذات أغراض سطحية أخرى . فهذا في نظري أمر وافر الحكمة ، وإني لفخور بأن أنتهز هذه الفرصة التي قد يعدها كثير من الساسة خارجة عن نطاق عملهم . ولكني أراها عملا حراً كريما من أعمال السياسة » .

ثم قال مستر درنكووتر : إنه سيحاول أن يبين في محاضراته أمرين : الأول أن يلفت النظر إلى جمال الشعر الانكليزي في ذاته . والثاني أن يبين أن الاختلافات السطحية بين الشعر الأنيكليزي والشعر المصري (العربي) ليست في الواقع أكثر من سطحية . وإنه عندما نتأمل الحقائق التي يعنى بها الشعر . نجد الحياة البشرية تضطرم في نفس الشاعر . سواء أكانت بين الفلاحين المصريين أم بين الفلاحين الانكليز . أو بين طلبة جامعة إكسفورد ، وكامبردج أم بين طلبة جامعة القاهرة . أو شاعر أرلندي مثل يتس Yeats ، أو شاعر عربي مثل شوقي . ثم قال أنه قرأ « مجنون ليلى » التي ترجمها مستر اربري . فدهش إذ رأى مبلغ ماهنالك من تشابه بينها وبين مايكتبه شاعر كمستر يتس .

« ولكن يجب أن أقول أني لم أدهش . لأننا نعرف أن هذه هي طريقة الشعر . فالشعر لا يعرف الحواجز التي تقيمها بين الشعوب مصالح التجارة أو السياسة . بل تقيمها العادة والأقليم . والشعر يذهب الى أعماق الحياة ويرى أن أعماق الحياة لا تختلف بالنسبة لمختلف الشعوب . وأنها واحدة في العالم بأسره » .

« فاذا كنت أحدثكم فأرجو ألا تعتبروني سائحاً من بلد أجنبي . ولكن صديقا يتحدث باسم الشعر عن أشياء يجب الا يظن متأملاها أن أحدهما غريب عن الآخر : واسمحوا لي أن أكون جريئاً . فاستميح عفوكم في بيت لشاعركم شوقي :

ولست أعتقد . بعد الذي غمرني به المصريون من العطف . أنني رجل متعرض لمال .

ثم قال مستر درنكووتر : « ماهو الشعر ؟ يمكن أن نقول : أنه « الفن » . فالفن في كل خواصه الجوهرية كالشعر سواء بسواء . والشعراء لا يخلقهم الشعر . ولكن الشعراء هم الذين يمدون العالم بعلم النظريات الشعرية . وإذن فالشعر هو فهم تام للتجارب . وإبراز هذا الفهم في صيغ الألفاظ . وعقولنا جميعاً مهما اختلفنا في الجنس واللون والمركز والآراء والأطماع تستقبل جميعاً في كل وقت أسفاراً أضخمة من التجارب . والمسألة هي كيف نفهم هذه التجارب .

(البقية على صفحة ٣٠)

كلمات فى البحث العلمى

ترجمة الإستاذ احمـــد امين

قال فرنسيس بكون :

«لم أجد نفسي صالحة لشيء صلاحيتها لدرس الحقيقة . ذلك أنى منحت عقلا له من النشاط والمرونة ما يمكنه من ادراك وجوه الشبه بين الاشيا . وله من الثبات ما يعينه على تعرف وجوه الخلاف . ولأنى منحت رغبة فى البحث ، وصبرا على الشك . وغراما بالتفكير . وبطأ فى الجزم . واستعدادا للنقد . وعناية بالترتيب . ولأنى ليس لى ولع بالجديد . ولا اعجاب بالقديم . وأكره كل أنواع الخداع . لذلك أرى أن لى طبيعة تألف الحقيقة . ولها بها اتصال »

وقال هكسلى :

« اذا تكلمت عن الاغراض التى كانت نصب عيى من يوم أن بدأت حياتى العلمية فتلك باختصار هى أن أستزيد من المعلومات الطبيعية .. وأن أطبق طرق البحث العلمى على كل قضايا الحياة جهد الطاقة . وقد نما الاعتقاد عندى بأنه لا يخفف آلام النوع الانسانى الا الاخلاص فى الفكر . والاخلاص فى العمل . ومواجهة العالم كما هو بعزم ثابت بعد أن تمزق عنه ثوب الرياء الذى خلعه عليه المراءون»

وقال فارادى :

« يجب على الفيلسوف أن يصغى لكل رأى . ولكن لا يكون مصدر الحكم الا نفسه . لا يخدع بالظواهر ولا يميل الى فرض فروض خاصة . ليس تابعا لمذهب معين ، وليس له فى اعتقاده استاذ . لا يحترم الأشخاص ولكن يحترم الحقائق . غرضه الأسمى الوصول الى الحق . فإن هو أضاف الى ذلك الجد فى السعى كان خليقا أن يخترق حجب الظواهر . ويصل الى حقائق العالم »

وقال السير ميكائيل فوستر فى خطبة له فى المجمع البريطانى سنة ١٨٩٩

« ان الصفات التى تلزم الباحث فى العلم ثلاث :

(١) يجب أن تكون طبيعته متموجة تموج ما يبحث عنه . فالباحث وراء الحق يجب أن يكون مخلصا للحق . والباحث فى أحوال الطبيعة الصادقة يجب أن يكون صادقا .

(٢) يجب أن يكون يقظ العقل . فأن الطبيعة انما تفهم بالاشارة أو تهمس فى الاذن باوليات أسرارها . فعلى الباحث أن يكون مستعدا لفهم اشاراتها مهما دقت . ولسماع أصواتها مهما خفيت

(٣) الشجاعة .. وأعنى بها التحمل والصبر »

وقال بكون :

« ان الحق يظهر من الخطأ بأسرع مما يظهر من الخلط والغموض » فاذا بدأنا نحدد الخطأ بدأ الخطأ يختفى كالذى يحكى عن الجنى اذا بدا تحدد نحت الفرصة للقبض عليه

وصور « داروين » اشتباك العالم تصويرا دقيقا محكما وسمى ذلك « نسيج الحياة » . فقال ان العالم كله سلسلة متصلة مشتبكة وأوضح ذلك بأن للقطط علاقة بمحصول البرسيم . وليس يقع طائر الا وقد يحدث من وقوعه أعمال واسعة النطاق . فالقطعة الصغيرة من الطين قد تعلق برجل الطائر ويرمى بها الى الارض فتتصل بها بذرة « تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » وهناك دورة لا تنقطع للمادة والقوة فقد تؤثر (١) فى (ى) ولو لم تعلم (ى) بـ (١) فهناك علاقة بين تقليل الأشجار ووباء الحشرات ، وبين الطيور وانتثار البذور ، وبين ضوء الشمس وصيد انواع من السمك . وهذه الأمثلة قد تظهر بادىء بدء كأنها ألغاز . ولكن اذا بحثت الارتباطات المتسلسلة وضحت وضوح الشمس .

وقال آخر : « غرض العلماء أن يروا العالم شفافا وأن يجعلوه « سينما » عقليا . صوره المعروضة أسباب متعاقبة تمر أمام أعيننا بدون انقطاع »

وقال كارل بيرسن :

« يجب على العالم أول كل شيء أن يزيل العوامل الشخصية من أحكامه . وأن يقدم على ما يقول برهانا تقبله عقول الناس كما يقبله عقله . وأن يعنى بتقسيم الحقائق وملاحظة تسلسلها وارتباط بعضها ببعض . »

oooooooooooo

القرية المهجورة

للشاعر اوليفر جولدسمث

« تابع لما قبله »

أتى عليك زمان كله رغد   يفيض فوق رباك الخير مطردا
وكان عهدك والفلاح مغتبط   يأتى له الرزق من غلاته رغدا
لكن تنكرت الأيام وامتلكت   هذى البلاد قساة أغلظوا الكبدا
فعطلت من ليالى الأنس أربعها   والأهل قد هجروها ، لا أرى أحدا

....

« أوبرن » يا لمحة السحر التى اختلست   لقد طواك زمان كله غير
لكم رجعت اليك اليوم مكتئبا   والنفس ولهانة والقلب منفطر
أرتاد فيك مكانا كان يؤنسه   ظليل كوخك أو نسرينك العطر
فتملأ الذهن أفكار تراوحنى   بذكريات عهود كلها صور

....

لما رمت بى النوى فى دار غربتها   وذقت فيها نصيب الحزن والتعب
ركبتها ولقلبى الصب أمنية   فى أن يكون إلى « أوبرن » منقلبى

وكنت أحرص في جهدى الطويل على   قنديل عمرى حرص المشفق الحدب
ألكنى أقضى فى قومى بقيته   أروى لهم كل مالاقيت من عجب

دعوهم حول نيرانى لأطرفهم   بعد العشى بأخبارى وأهوالى
كأننى أرنب فى الدو أفزعها   صيد. فعدت لوكرى بعد إجفال
قد كنت أحلم فى آفاق دسكرتى   وكان عودى إليها جل آمالى
فذاك أحسن شىء سحر بهجتها   وذاك خير معاذ تربها الغالى

ياعزلة الريف يامكنون روعته   ياإلف شيخوخة الإنسان فى الكبر
آها على طيب أحلام رزئت بها   وسدتها فيك بين الماء والشجر
ما كان أصفى نعيم المرء لو ختمت   مشيبه راحة فى دوحك الخضر
بجفو الحياة وما تحويه من خدع   غرارة ونعيم غير ذى أثر

ما كان أعذب ذاك الصوت سيرسله   وحى المساء ليفنى فى أصائلك
قد كنت أمشى ويندا الخطو منتشيا   أصغى له وهو يعلو من منازلك
والليل أرخى على الراعى ستائره   نخب يحدو الرواعى فى خمائلك
وقد تهادى الأوز الغر فى شغف   على مياهك.. يلهو فى جداولك

يالهف نفسى عليك اليوم قد سكنت   عن سكب ألحانها هذى الأغاريد!
لم يبق فى الغاب من صوت يجاوبه   صدى السكون ولا للريح ترديد
ولم تعد فيك تحيى الأنس ثانية   فى الليل فتيانك الطيب الصناديد
لم يبق غير عجوز جد عانية   أو ثاكل هدها هم وتسهيد

قد أكرهتها حياة لا تبدلها   من مأكل خشن أو مشرب رنق
فقوست ظهرها فوق الضفاف على   هشائم العشب تجنيها أو الورق
وثم ترجع فى ضعف يغالبها   لكوخها. توقد النيران فى الغسق
ظلت لتبقى على الوادى مؤرخة   له وتطوى بقايا العمر فى قلق

هناك فى أجمة كانت تشارفها   أشجار مهتزة الأزهار فيحاء!
قد أوحشتها غصون لا تشذبها   عناية فتدلت جد لفاء!
هناك من بين أغصان محطمة   تغشى المكان.. وبين الظل والماء
يقوم مرتبع القسيس فى خفر   مستحيياً يتوارى تحت أفياء!

قد كان شيخاً وقور الذات متقيا   يخشى الإله ويقضى الليل أوابا!
يعده القوم من أهل اليسار وإن   لم يحو غير التقى ذخرا وأسلابا!
وكان فى الناس محبوبا ومحترما   يلقى الغريب ويلقى الأهل أحبابا
لم يقرب المدن من إثم يطوف بها   بل كان يطوى القرى للوعظ جوابا!

مازال سائله المسكين يقصده   وضيفه الشيخ يرعاه بلا برم!
ولم يزل يجلس الجندى مصطليا   فى داره موقد النيران من أمم!
يروى له كل مالاقى - وتلذعه   نار الجراح ويشكو شدة الألم
والشيخ جانبهم دوما يقاسمهم   آلامهم بحنان غير متهم

يظل كالطائر الشادى يرف على   صغاره فوق أغصان الخميلات
يحتال كيما يطيروا.. ثم يحملهم   إلى جناب خصيب فى السموات!
قد راح يزجر من يبطى ويسعفه   إذا تخلف عن طير الجماعات!
يهديهم نحو كون لا يطوف به   غير السعادة فى علوى جنات[1]!

م. ع. الهمشرى

(1) أهدى هذه القصيدة إلى صديق العالى النفس الملائكى القلب (ى. ع) كذكرى خالدة لأيام المنصورة الجميلة.

معنى الشعر

(بقية المنشور على صفحة ٢٨)

والعقل القوى دائماً سيد تجاربه؛ وهنا يتدخل الشاعر. فالشاعر لا يختلف فى النوع عن أقرانه. ولكنه يحتاج الى فهم أعمق لهذه التجارب. وهذا الاجهاد، وهذه الرغبة، وهذه الضرورة هى المجد. وهى المأساة فى حياة الشاعر. هى المجد اذا استطاع أن يرضى هذه الضرورة: وهى المأساة لأن معظم هذه التجارب لا يمكن أن يحقق ويفهم.

والشاعر يعتبر أحياناً محسناً عاما؛ وهذا صحيح الى حد ما؛ ولكن الشاعر لم يكن قط باختياره محسناً خلقياً. فالشاعر حين يكتب لا يفكر فى فعل الخير؛ فهو يتفهم تجاربه فقط. واذا اعتقد الشاعر نفسه محسنا عاما، فانه يتعثر فى عمله. ذلك لأنه يفكر عندئذ فيما قد يراه الناس فى عمله. ويكتب تحت هذا الأثر، بدلا من أن يقول الحقيقة.

ثم قال: أن الشعر فى كل أمة يتأثر الى حد ما بالأقاليم والمناظر وما إليها. وأن مناظر الخريف الانكليزى وتناثر أوراق الشجر. والسماء الشهباء. وفصل الكآبة. قد أثرت فى عقول الوف والوف من الانكليز. ولكن رجلا واحداً لاحظها وفهمها: ثم أخرج منها أصدق صورة، وصاغ قطعة من أبدع ما فى الشعر الانكليزى؛ وكان هذا الرجل شكسبير. وكذا البلبل وأغاريده. فقد نفذت الى ذهن فتى يقيم فى ضاحية لندن فاخرج عنها قصيدته الخالدة «نشيد الى البلبل» وكان هذا الشاعر كيتس.

«والفن كله هو التعبير عن التجارب: ولكن الشعر لا يعبر عنها إلا باللفظ. وذلك صعب لأن الألفاظ تستعمل للتعبير عن كثير من الأشياء العادية. ولذا وجب أن يستعمل الشاعر الألفاظ بطريقة تجعلها حية دائماً. والشعر أعظم من الشعراء، فهؤلاء يموتون. ولكن شعرهم يبقى دائماً حياً صبوحاً»

عنان

العلوم

سبيل الانسان والطبيعة

للدكتور احمد زكى
أستاذ الكيمياء بكلية العلوم

الطبيعة تسير فى كل ظواهرها وحوادثها على قوانين مرسومة منذ الأزل. وستسير فيما يظهر على تلك القوانين الموضوعة إلى الأبد.

وقد كان الانسان القديم يعجب بهذه الظواهر. وتأخذه الرهبة. ويلبسه الاجلال والاكبار عند اعتبار تلك الحوادث. ولكن لم يحفزه شيء إلى تفهمها. ولم تجش فى نفسه رغبة إلى تعرف أسبابها، لأنها كانت تستأذن على عقله فرادى وأشتاتاً ثم تُركم فيه على غير نظام كما يُركم المتاع عند تاجر الأمتعة القديمة، فالحذاء البالى إلى جانب المرآة الصقيلة، والكتاب القيّم بجوار قدر الطعام. وكان عقله صبياً. والعقل قد يصبو فى الشيخ، والعقل قد يشيخ فى الصبىّ، وعقل الصبىّ فى القرن العشرين قد يزيد على عقل الشيخ فى قرون الحياة الأولى. وعقلى وعقلك اليوم ليسا من خلق هذا الجيل. بل هما تراث الأجيال جاء دورى ودورك فى احتوائه. وقد أورثه أعقابى من بعدى وتورثه أعقابك من بعدك وفيه نقص، وقد أورثه وتورثه وفيه زيادة. ولكن لا شك أن ما يورثه جيل جيلا من ذلك يزيد بمر الأجيال بزيادة التجارب وتسلسل الثقافات وتتابع المدنيات.

ولما تفتح الذهن الانسانى أخذ يدرك بين ظواهر الكون العديدة أشباهها برغم تركمها، وبدأ يبصر بين الأشباه منها وجوها للخلاف برغم خفائها وتعسُّرها. وأخذ يرتب ما دخل عقله شتيتاً فيقرب بين المتعارفات. ويباعد بين المتناكرات. وأصبح ما يدخل عقله يقصد من فوره إلى مكانه من ذلك النظام، وما يستأذن على رأسه يُؤذن له ولكن من باب دخل فيه من قبله أجناسه. وبهذا العقل المنظم. وبما فيه من وجدات متآلفة متجانفة مترابطة. أخذنا نحن بنى الإنسان نتفهم الطبيعة، فاستكشفنا أن لها قوانين. وأن لها مُثُلا تنسج عليها فى كل ما تصنع، ونماذج تحتذيها فى كل ما تأتيه.

وقد يتراءى لنا نحن بنى العدم والفناء أن الطبيعة تشذ عن مُثلها أحيانا، وتخرج عن مألوفها أطواراً. وما فى الطبيعة من شذوذ، ولا هى تخرج عن مألوف. وإنما هو سوء فهم منا لمألوفها. وقصور منا عن ادراك نواميسها. وما ذلك القانون الذى شذت عنه. ولا الناموس الذى خرجت عليه، إلا من خلقنا نحن، فنحن الألى أوجدناه، ونحن الذين فرضناه وفرضنا اطّراده. فلما لم نجده مطرداً سمّينا ذلك شذوذاً، ولما لم نجد القاعدة التى ابتدعناها متّبعة أسمينا نواقضها استثناء.

على أننا أثناء ذلك لم نفقد حبنا للنفع، ولم تنقص فينا الرغبة فى الفائدة. فكنا لا نكشف سراً ناقصاً من أسرار الطبيعة الا ونتساءل كيف ننتفع به فى بيوتنا. وكنا لا نزيح الستار عن عجيبة من عجائب الكون لم نفهمها كل الفهم حتى نتساءل كيف نستفيد منها فى مدننا وأسفارنا. وما ضرنا ونحن بنو المادة ان تكون قوانين الطبيعة ناقصة مادمنا نستهدى بها إلى البخار يحملنا من بلد إلى بلد؟ وما ضرنا ونحن بنو النفع أن تكون لنواميس الطبيعة استثناءات مادمنا نصنع بعونها الطوائر من المعدن والخشب، ونبنى المواخر تشق البحر ولا تعبأ بما فيه من أمواج وأنواء؟ ونجحنا فى هذا السبيل نجاحاً زاد أقدامنا فيه ثباتاً. فبدل أن كانت الغاية مقصورة على فهم الكون ودرس طبائعه. وقبل أن نفهم الكون وندرس طبائعه فنشتق من ذلك، تطلعنا إلى محاكاة الطبيعة. إلى إنتاج ما تنتج، إلى خلق ما تخلق، إلى التحريك بمثل ما

تحرك، والتسكين بمثل ماتسكن، وعمدنا الى مناهضتها كذلك الى إماتة ماتحيى. وإلى إحياء ماتميت. الى تحريك ما تسكن وتسكين ماتحرك. والى توجيهها الى ما أرادت والى مالم ترد هذه غاية ابن آدم: يريد أن يخلق وهو مخلوق. ويحاول الوثاق عن قوى للطبيعة هو بها موثوق. ويسيطر على عالم قليل ماهو فيه، وكان الناس يرون فى ذلك افتئاتاً من المخلوق على الخالق: فأصبحوا يرون فيه تمجيداً من المخلوق للخالق، وكانوا يرون فيه زندقة ومروقاً وعصياناً. فأصبحوا يرون فيه إيمانا وتخشعاً وتعبداً، وتبينوا أن سر الانسان من سر الله، وأن ماياتيه الانسان انما يصدر عن فطرة وفطنة هى لله ومن الله.

حاول الانسان أن يقلد الطبيعة فى أمور عدة. فبلغ غايته فى البعض. وفات الغاية فى البعض. وخاب فى كثير من الأمور.

رأى النبات يخرج ألوانا تشبه مافى الطيف من ألوان ويخرج ألوانا تزيد على مافى الطيف من ألوان، ولكن النبات بطىء فى عمله. والانسان خلق من عجل. والنبات لايجود من ألوانه إلا بالنزر اليسير. والانسان يريد منها الوافر الكثير. والنبات يجود منها بعدد على كثرته قليل. والانسان يريد منها عدداً كالرمال لا حد لها ولا حصر. فأخذ يبحث ويدأب ويصمد ويصابر الجيل بعد الجيل حتى أتى من الأصباغ بما تحسده الطبيعة عليه. أو لعل الأوفق أن نقول بما تغتبط الطبيعة به. فالانسان بعضها. أتى من الأصباغ بما يطابق أصباغ النبات أحياناً ويشابهها أحياناً. وأتى منها بما يفوقها زهواً وإشراقاً. وأتى منها بعدد يكاد يجل عن الحصر وخلط بينها فأتى بكل لون وقعت عليه أعين الأحياء وهم أيقاظ صاحون. وكل لون وقعت عليه أعينهم وهم نيام يحلمون، أتى بألوان تزرى بألوان الربيع فى إبانه، وتستحقر ما يتنزل به وحى الشاعر عند صفاء قريحته وفى سمو خياله.

ورأى الانسان الطائر يطير فاراد ان يقلده فى طيرانه. رآه طليقا من قيود الأرض مالكا أعنة الهواء يسرح فى أبعاد ثلاثة من طول وعرض وارتفاع، فأراد ان يكسر قيده ويستعير للهواء أعنة ويزيد على بعدى هذا السطح الأرضى بعداً ثالثاً. وبعد خيبة تتلوها خيبة. وبعد نفس تتبعها الى خالقها أنفس، وولدت الطائرات، ولم تولد كالانسان فى ساعة ولا يوم ولا عام، وانما يوم ميلادها كان حقبة من الزمان، فلم تك بنتاج ذهن، ولكن نتاج أذهان، وأصبح انسان هذا العصر يطير فى الجو كيف شاء وحيث شاء، وحصد بنو اليوم حصاداً حُصدت فى سبيله رقاب بنى الأمس.

ومن أحدث الأمثلة فى تقليد الانسان للطبيعة ماجاءت به الأنباء منذ قريب بما يحق لنا أن نسميه ثورة قصد العلم اليها فى الأضاءة والضياء. كنا فى الأزمنة الأولى نقنع فى حلك الليل بالضوء القليل يخرج علينا من حريق الخشب مع فحمه ودخانه، وحمدنا القدر لما هدانا الى الزيوت والشموع نشعلها على هوانا ونطفئها على هوانا. وزدنا للقدر حمداً لما تبيأت لنا مدخنة من زجاج وضعناها على المصباح فوقتنا سخامه، وجاء المصباح الكهربائى فوجمنا له حينا نحسبه من عمل السحرة أو صنع الشياطين. ولما اطمأننا اليه زدناه على السنين شدة وزدناه جمالا. وكنا نحسب ان هذا غاية المنى ومنتهى الأمل. ولكن الانسان بعد أن وجم لهذا المخلوق الجديد مستغرباً معجباً. وبعد أن رباه ونماه فخوراً زاهياً. وجد أخيراً أنه لم يبلغ به هواه. ونظر الى الشمس فى بياض ضيائها وبارع سناها فابتسمت له أو ابتسم منه. فوجد فيها الغاية التى ليس من بعدها غاية. وتبين فيها آية الطبيعة الكبرى والمثل الذى تضاءل بجواره الأمثال. فرجع يقسم ألا يفتر له عزم حتى يأتى بمثل هذا السنا والضياء.

وجاءت البشائر فى الأشهر القريبة الماضية بأنه نجح فى هذا أو كاد. وأنه استعاض عن المصباح الكهربائى الأثرى - أو الذى سيصبح عن قريب أثريا - بمصباح جديد لا فتيل فيه. وانما ملئت زجاجته بمزيج من غازين بنسب خاصة تمر فيه الكهرباء فيخرج منه ضياء يشبه ضياء الشمس فى امرين: فى نصوع بياضه وفى انتظام توزعه. وهو فوق ذلك لايتكلف من الكهرباء الاخمسى ما كان يتكلف المصباح القديم - أو الذى نرجوا أن نسميه فى القريب العاجل قديما. وهم يعدوننا أنه لا يمضى شهر حتى تضاء أميال من الطرق بجوار لندن بهذا الضياء الجديد. وهم يعدوننا أنه لن تمضى سنوات حتى يستعاض بمصابيح الشوارع وما يحملها من عمد طويلة بأنابيب متواصلة من هذا الضياء تمد على الأرض على جانب الطرقات. فلا يكون ثمة حاجة الى انارة العربات والسيارات فى الليل أو فى النهار الذى صنعه الانسان.

المصباح الجديد

أديب

للدكتور طـــه حسين

— ١ —

زعموا أن من أظهر خصائص الأديب حرصه على أن يصل بين نفسه وبين الناس. فهو لا يحس شيئاً إلا أذاعه. ولا يشعر بشيء إلا أعلنه. وهو اذا نظر فى كتاب أو خرج للتروض أو تحدث الى الناس فأثار شيء من هذا فى نفسه خاطراً من الخواطر. أو بعث فى قلبه عاطفة من العواطف. أو حث عقله على الروية والتفكير لم يسترح ولم يطمئن حتى يقيد هذا الرأى أو تلك العاطفة أو ذلك الخاطر فى دفتر من الدفاتر أو على قطعة من القرطاس. ذلك لأنه مريض بهذه العلة التى يسمونها الأدب، فهو لا يحس لنفسه وانما يحس للناس. وهو لا يشعر لنفسه وانما يشعر للناس. وهو لا يفكر لنفسه وانما يفكر للناس. وهو بعبارة واضحة لا يعيش لنفسه وانما يعيش للناس. وهو حين يأتى من الأمر هذا كله يخادع نفسه أشد الخداع. ويضللها أقبح التضليل. فيزعم أنه مؤثر لا يريد أن يستمتع وحده بنعمة الاحساس والشعور والتفكير. وانما يريد أن يشرك الناس فى هذا الخير الذى تنتجه طبيعته الدقيقة الخصبة الغنية. فاذا كان متواضعاً معتدل الرأى فى نفسه فهو شقى تعس محزون يجب أن يعلن الى الناس ما يجد من شقاء وتعس وحزن. لعلهم يرثون له أو يرأفون به أو يشفقون عليه. وربما لم ير فى نفسه ايثاراً ولم يحس أنه شقى. وانما آثر نفسه بالخير وأحبها قليلا أو كثيرا فهو يسجل ما يحس وما يشعر وما يفكر ليحفظه من الضياع. وليستطيع العودة اليه من حين الى حين كلما خطر له أن يستعرض حياته الماضية وكثيرا ما تعرض له الفرص التى تحمله على أن يستعرض حياته الماضية، والذاكرة قصيرة ضعيفة. فلم لا يسجل خواطره وعواطفه وآراءه التى يتكون منها تاريخه الفردى الخاص ليعود إليه كلما دعاه الى ذلك جد الحياة أو هزلها. وما أكثر ما يدعو جد الحياة وهزلها الى أن يستعرض الانسان حياته الماضية وما اختلف عليه فيها من الاحداث.

يخدع الأديب نفسه هذه الضروب من الخداع. ويعللها بهذه الألوان من التعللات. وحقيقة الأمر أنه يكتب لأنه أديب لا يستطيع أن يعيش الا اذا كتب. يكتب لأنه يحتاج الى الكتابة كما يأكل ويشرب ويدخن لأنه يحتاج الى الطعام والشراب والتدخين. وهو حين يكتب قلما يفكر فيما يحسن أن يكتب. وما ينبغى ألا يعرفه القرطاس أو يجرى به القلم، كما أنه حين يأكل ويشرب ويدخن قلما يفكر فيما يلائم صحتـه وطبيعته ومزاجه من ألوان الطعام والشراب وأصناف التبغ: انما هى حاجة تضطره الى الحركة فيتحرك. وتدفعه الى العمل فيعمل. فأما عواقب هذه الحركة ونتائج هذا العمل فأشياء قد يتاح الوقت للتفكير فيها فى يوم من الأيام حين تصبح أمرا مقضيا لا ينصرف عنه، ولا سبيل الى التخلص منه.

اذا كان هذا كله صحيحاً، وأكبر الظن أنه صحيح. فيجب أن يكون صاحبى الذى أريد أن أتحدث اليك عنه أديبا. فلست أعرف من الناس الذين لقيتهم وتحدثت اليهم رجلا أضنته علة الأدب واستأثرت بقلبه ولبه ونفسه كصاحبى هذا كان لا يحس شيئا ولا يشعر بشيء ولا يقرأ شيئاً ولا يرى شيئا ولا يسمع شيئاً الا فكر فى الصورة الكلامية. أو بعبارة أدق فى الصورة الأدبية التى يظهر فيها ما أحس وما شعر وما قرأ وما رأى وما سمع. وكان يجد مشقة شديدة فى اخفاء تفكيره هذا على الناس. فكثيرا ما كان يقول لأصحابه اذا رأى شيئا أسخطه أو أرضاه: ما أخلق هذا الشيء أن ينشيء صورة أدبية ممتعة للسخط أو الرضى. وكان يقضى نهاره فى السعى والعمل والحديث حتى اذا انقضى النهار وتقدم الليل وفرغ من أهله ومن الناس وخلا الى نفسه أسرع الى قلمه وقرطاسه وأخذ يكتب ويكتب ويكتب حتى يبلغ منه الاعياء. وتضطرب يده على القرطاس بما لا يعلم ولا يفهم. وتختلط الحروف أمام عينيه الزائغتين. ويأخذه دوار. فاذا القلم قد سقط من يده. واذا هو مضطر الى أن يأوى الى مضجعه ليستريح. ولم يكن نومه بأهدأ من يقظته. فقد كان يكتب نائماً كما كان يكتب يقظاً. وما كانت أحلامه فى الليل إلا فصولا ومقالات. وخطبا ومحاضرات. يمحق هذه ويدبج تلك كما كان يفعل حين كانت تجتمع له قواه العاملة كلها وكثيرا ما كان يحدث أصدقاءه بأطراف غريبة قيمة من هذه الفصول والمقالات

التي كانت تمليها عليه أحلامه . فيجدون فيها لذة ومتاعا . وكثيراً ما كان يقرأ عليهم فصولا من النثر ومقطوعات من الشعر أملتها عليه يقظته وسجلتها يده حين كان يخلو الى نفسه بعد أن يكون قد ملأ عينيه وأذنيه وحسه وشعوره وقلبه وعقله بما يحيط به من الأشياء وبما يمسه من الناس ومن الحياة ... وكان أصدقاؤه اذا سمعوا منه هواجس الأحلام أو خواطر اليقظة ألحوا عليه فى أن يذيع ذلك وينشره . فيبتسم ثم يهزأ ثم يمتنع عليهم ويلح فى الامتناع . لأنه كان يؤمن بأن ما يكتبه لم يصل بعد الى أن يكون خليقا بأن يقدم الى المطبعة . فهو كان يخاف المطبعة ويكبرها ويحيطها بشيء من التقديس غريب . وكان يتحدث بأن ما يقدم الى المطبعة من الآثار المكتوبة أشبه شيء بما كان يقدمه الوثنيون القدماء الى آلهتهم من الضحية والقربان . وبما يتقدم به الآن المؤمنون المترفون الى إلاههم من الصلاة والدعاء . فمن أحق أن تصطفى الضحية وأن يتخير القربان . وأن تكون الصلاة قطعة من النفس . وأن يكون الدعاء صورة للقلب والعقل جميعا . وكان صاحبنا يرى أن ليس فيما كتب ضحية تصطفى . ولا قربان يختار . وانه لم يوفق بعد الى أن يودع القرطاس قطعة من نفسه ، أو يسطر عليه صورة قلبه وعقله . فما زالت الآماد بينه وبين المطبعة بعيدة . وما زالت الأستار والسجف دونه مسدلة . فليكتب إذاً لنفسه لا للمطبعة . فاذا ضاق بنفسه وبما تملى . فليظهر أصدقاءه على شيء منه ليرضى هذه الحاجة القوية التى نحسها جميعا الى أن نشرك الناس فيما نجد من حس أو شعور . والحق أن صاحبي لم يكن يقدم على هذا الا كارهاً مضطرا حين لا يجد بدا من الاقدام . أو حين يسأله أصدقاؤه عما أحدث بعدهم . وكان حياؤه يمنعه من اظهار عقله وقلبه . كما يمنعه من عرض جسمه عاريا على الناس . ولكن أصدقاءه لم يكونوا فى حاجة الى أن يروا شخصه عاريا ، وكانت حاجتهم شديدة الى أن يروا نفسه كما هى . لأنها كانت جميلة خلابة تروعهم حينا وتثير فى نفوسهم الحب والمودة دائما .

كان قبيح الشكل نابى الصورة تقتحمه العين ولا تكاد تثبت فيه . وكان الى القصر أقرب منه الى الطول . وكان على قصره عريضاً ضخم الاطراف مرتبكها . كأنما سوى على عجل فزادت بعض أطرافه حيث كان يجب أن تنقص . ونقصت حيث كان يحسن أن تزيد . وكان وجهه جهما غليظاً يخيل الى من رآه أن فى خديه ورما فاحشا . وكان له على ذلك أنف دقيق مسرف فى الدقة . منبطح غال فى الانبطاح . قد اتصل بجبهة دقيقة ضيقة لا يكاد يبين عنها شعره الغزير الجعد القاصم . لم تكن قد تقدمت به السن بل لم يكن جاوز الثلاثين . ولكن علامات الكبر كانت بادية على وجهه وقده لا يخدع عنها أحد . كان على قصره مقوس الظهر اذا قام . منحنيا اذا جلس . ولعل إدمانه على الكتابة والقراءة . وإسرافه فى الانحناء على الكتاب أو القرطاس هما اللذان شوها قده هـذا التشويه . وقلما كان وجهه يستقيم أمامه . إنما كان منحرف العنق دائما الى اليمين أو الى الشمال : وقلما كانت عيناه الصغيرتان تستقران بين جفونه الضيقة . إنما كانتا مضطربتين دائما لا تكادان تستقران على شيء حتى تدعاه مصعدتين فى السماء . أو تنحرفا عنه الى ما يليه من إحدى نواحيه . ولم يكن صوته عذباً ولا مقبولا . وإنما كان غليظاً فجاً ، ولكنه مع ذلك لم يكن يخلو من نبرات حلوة تجرى عليه اذا قرأ شيئاً فيه تأثر وانفعال . وكان له ضحك غليظ مخيف يسمع من بعيد . بل كان كل ما يصدر عن صوته غليظاً مخيفاً . يسمع من بعيد ، ولم يكن للنجوى معه سبيل . وكثيراً ما ضايقه ذلك حين كان فى باريس . وكثيراً ما حمل ذلك الناس عامة وأصـدقاءه خاصة على أن يضيقوا به ويجتنبوه اذا لقوه فى قهوة أو ناد أو ملعب من ملاعب التمثيل . وهو على رغم هذا كله كان أحب الناس الى وأكرمهم على وآثرهم عندى وأحسنهم مسلكا الى نفسى ومنزلا من قلبى . كان يزورنى فانصرف اليه عن كل شيء . وأقضى معه الساعات . فاذا تركنى خيل الى أنى لم أقض معه الا اللحظات القصار . وكنت اذا أعيانى الدرس واحتجت الى الرياضة أو الراحة ، آثرت زيارته والتحدث اليه والاستماع له على كل ما كانت تقدم الى القاهرة أو باريس من أنواع الرياضة والراحة .

— ٢ —

فقد عرفته فى القاهرة قبل أن يذهب الى باريس ثم أدركته الى باريس بعد أن سبقنى اليها . عرفته مصادفة وكرهته كرهاً شديداً حين لقيته لأول مرة : كنا فى الجامعة المصرية القديمة فى الأسبوع الأول لافتتاحها وكنت أختلف الى ما كان يلقى فيها من المحاضرات حريصاً عليها مشغوفاً بها معتزماً أن لا أضيع حرفا مما يقول المحاضرون . وكان مجلسى لهذا دائماً قريبا من الأستاذ . فأنى لمصغ ذات ليلة الى الأستاذ واذا بصوت من ورائى ينطلق بالحديث هادئاً ولكنه . على هدوئه يغمر أذنى جميعا . ويكاد يخفى على صوت الاستاذ . فأجد فى التخلص منه فلا أفلح ، وأضيق بهذا الصوت ويضيق به صاحباى اللذان يكتنفانى . فنلتفت الى صاحب الصوت نطلب اليه الصمت فلا يسكت الا ريثما يستأنف الحديث . ونراجعه مرة أخرى فلا يحفل بنا . فنشكوه الى الاستاذ فيضطره الاستاذ الى الصمت . حتى اذا انتهت المحاضرة وخرجنا من غرفة الدرس رأيناه قد وقف لنا ينتظرنا : فيعرض لنا فى غلظة . فاذا زعمنا له أن من حقنا أن نسمع الاستاذ ، وأن ليس له أن يصرفنا عنه بقهقه

قهقهة خفيفة . وقال في صوت مانشك أن الاستاذ قد سمعه :

«وماذا تريدون أن تسمعوا ؟ ولكنكم معذورون . جئتم من الأزهر فكل شيء عندكم قيم . وكل شيء عندكم جديد .».

واجتهدنا بعد ذلك في أن نجتنب مكانه من غرفة المحاضرات . وأن نختار لأنفسنا مجلساً بعيداً منه أقصى غاية البعد . تركناه ولكنه لم يتركنا ، وكأنما عمائمنا كانت تغريه بنا وتحرضه علينا . فلم نكن نخرج من محاضرة حتى يعرض لنا ويأخذ بجبتي أو قفطاني وهو يسألني «أأعجبتك المحاضرة ؟» فان قلت «نعم» قال : وماذا أعجبك منها ؟ وهل فهمتها على وجهها ؟ وكان يقول لي : هون عليك من هذا الحرص على المحاضرات، ولا تتهالك عليها هذا التهالك ، فهي أقل غناء مما تظن وخير لك أن تقرأ من أن تسمع . فلما ألح على في ذلك سألته واذا كنت ترى هذا الرأى فما اختلافك الى الجامعة ؟ وما استماعك للمحاضرات وما تهويشك علينا بصوتك العالي وحديثك الذي لا ينقطع ؟ فضحك وقال : الجامعة شيء جديد أحب أن أراه . وقد سئمت القهوة ، ولو لم يكن في الجامعة الا أنت وأصحابك هؤلاء الذين تتفتح عقولهم للعلم الحديث فيتلقون ما يسمعون في كلف ونهم مصدرهما الجهل العميق ، لكان هذا كافياً لأن اختلف الى الجامعة واستمع للمحاضرات . ثم سألني ذات يوم : أين تقيم ؟ أجبته : أقيم في حي كذا . قال : ومع من تقيم ؟ قلت : مع جماعة من الأهل والأصدقاء كلهم يطلب العلم في الأزهر أو في المدارس المدنية . قال : ان منزلك بعيد وليست بيئتك بالتي تحب ، فانا لا أحب مجالس الطلبة ، وأنا مع ذلك حريص على أن أجلس معك وأتحدث اليك فأطيل الحديث ، بل أنا حريص على أن أقرأ معك بعض الكتب ، فلا بد اذا من أن نلتقي . ومن أن نلتقي في نظام واطراد فليكن ذلك عندي ، ولك على أن أردك الى أهلك وأصدقائك قبل أن يتقدم الليل ، ودون أن تجد في ذلك مشقة أو تحتمل فيه عناء . وكان يقول هذا بصوته الغليظ العريض في لهجة الحازم الواثق بأن أمره سيطاع . وقد هممت أن أرد عليه معتذراً. وما كان أكثر المعاذير ! فلم أكن أستطيع أن أسهر ولا أتعرف الى أحد دون اذن من أخي . وكان على أن أغدو مع الفجر الى درس الأصول . ولم يكن بد من أن أستعد لهذا الدرس وغيره من دروس الأزهر ، وأن أعوض هذا الوقت الذي أضيعه كل مساء في الجامعة على كره من أخي في القاهرة وأسرتي في الريف . هممت أن أعتذر ولكنه لم يمهلني ولم يتح لي أن أقول حرفا ، وانما استوقف عربة ودفعني فيها دفعا وأمر خادمي الأسود الصغير أن يجلس الى جانب السائق . وجلس هو الى جانبي وقال للسائق بصوته الغليظ العريض : الى القلعة . وكنت أسكن في أقصى الجمالية . فلما أخذت أقدر بعد الأمد بين داره ودارى ، وهممت ان أتكلم وضع يده على كتفي وقال : ألم أقل لك انى سأردك الى حيث تقيم ؟!.

— ٣ —

وقطعت بنا العربة أحياء مختلفة . ومضت بنا في اجواء متباينة وكنت أحس اختلاف الأحياء وتباين الاجواء فيما يصل الى من اصوات الناس وحركاتهم . ومن اضطراب الأشياء من حولنا كما كنت أحس ذلك في سير العربة نفسها وفي لهجة السائق وهو يدفع الناس امامه ويطلب اليهم أن يتنحوا له عن الطريق . أو أن يجنبوا أنفسهم خيله وعربته .

كان الحي رشيقا أنيقاً، وكان الجو سمحاً طلقاً . وكانت الحركات والأصوات من حولي لا تخلو من شدة وعنف . ولكن فيها ظرفاً وتأنقا . حتى إذا بلغنا شارع محمد على ضاقت الطريق واشتد أمامنا الزحام وكثر من حولنا الصياح . وأخذت أصوات الأطفال ونساء الشعب تختلط بأصوات الرجال من العمال وسائقي عربات النقل . وانتشرت في الجو روائح ثقيلة تمتاز منها روائح البصل والثوم وقد أخذت تعمل فيهما النار . وارتفع صوت السائق واتصل . وكثر نذيره . وتحذيره وكثر من حوله لوم الناس له وتأنيبهم اياه . وتردد في الهواء هذا الصوت المعروف الذي يحدثه السائقون بأسواطهم حين يأتون بها هذه الحركة التي يروعون بها الخيل . وينبهون بها المارة، ثم تنفسح الطريق وتتسع . ويصفو الجو ويخف الهواء ، وتهدأ الحركة، ويتنفس السائق مطمئنا، وتمشي الخيل رفيقة، ولكن ذلك لا يطول إلا ريثما تنعطف العربة ذات اليمين واذا نحن في حارة ضيقة هادئة قد ثقل فيها الهواء وفسد فيها الجو وكثرت في أرضها الأخاديد فالعربة تقفز بنا قفزا والسائق يهز سوطه في الهواء ويحذر وينذر في هدوء ورضى، ويدعو ذلك بعض النوافذ الى أن تفتح . ويثير ذلك بعض الصبيان فيخرجون من بيوتهم أو من أوكارهم يتبعون بالسائق . ومنهم من يتعلق بالعربة ثم ينصرف عنها . ونحن نضحك من هذا كله ونضحك من السائق خاصة وهو ينظر أمامه ويلتفت وراءه ويضرب الهواء بسوطه ويطلق لسانه بألفاظ ترق حتى تبلغ المداعبة الحلوة، وتغلظ حتى تصل الى الشتم القبيح ، وكل ذلك يصل الى نفسي فيحدث فيها آثاراً مختلفة ، ولكنها على اختلافها تتفق في شيء واحد هو الطرافة لأني لم أكن تعودت ركوب العربات ، ثم يقف السائق فجأة وننزل من العربة ، واذا صاحبي يقول لي لم نبلغ البيت بعد ، ولكننا انتهينا الى حيث لا تستطيع العربة أن تمضي، فهل تعودت التصعيد والرقى في الجبل . فأنا لا أحب أن أسكن في السهل

(البقية على صفحة ٣٨)

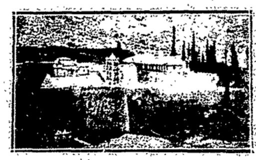
رحلة الى دير طور سينا

للأستاذ الدمرداش محمد

مدير إدارة الامتحانات والسجلات بوزارة المعارف

٢

ها قد وصلنا الدير بعد ثلاثة أيام وبعض اليوم على ظهر مطية القرن العشرين ونحن على أحسن حال. فتوجهنا أمام الباب وأرسلنا اذن الدخول الى المطران مع أحد خدمة الدير. وبعد برهة خرج الينا أحد القساوسة فرحب بنا ثم قادنا الى دهليز ضيق كمداخل الطوابي انتهى الى طريق صاعد. ثم الى طرقة تطل على كنيسة. ثم ارتقينا سلما انتهى الى باحة مكشوفة فيها حجرة كبيرة استقبلنا فيها واقفا رئيس الدير. وبعد ان صافحنا جلس وجلسنا على مقاعد وثيرة. بعد تبادل عبارات التحية والترحيب دخل الخادم يحمل بين يديه صينية من الفضة عليها كؤوس صغيرة بها شراب الزبيب. فطاف بها علينا. ثم خرج وعاد يحمل صينية أخرى عليها أقداح كبيرة فيها قهوة لم أذق ألذ منها. ثم وفد الى الحجرة قساوسة الدير بملابسهم الكهنوتية السوداء. وقبعاتهم العالية. وكان عددهم ثمانية. فحيونا ببشاشة ولطف. وجلسوا على المقاعد القريبة من الرئيس. وبعد حديث قصير وأسئلة شتى وقف الرئيس وانصرف الى مكتبه. وقادنا القسوس الى الأماكن المعدة لنزولنا. وهي صف طويل من الحجرات أمامها ممشى مسقوف ويتوسطها دورة مياه ومطبخ وحجرة للمائدة والحجر. كثيرة الأثاث والرياش. ففيها الأسرة والمقاعد والدواليب والصور. وأرضيتها مغطاة بالسجاجيد والأبسطة. وحجرة المائدة كاملة المعدات. وبالجملة يتوافر في مكان الضيافة جميع وسائل الراحة مع النظافة وحسن الترتيب ونوافذ الحجر تطل من علو شاهق على مدخل الدير وحديقته.

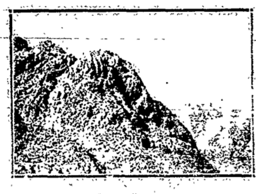


منظر الدير : برج الكنيسة وحمل الضيافة والحديقة

ونشرف على الجبال والوديان والمسالك لمسافة بعيدة.

وبعد ان استرحنا وتناولنا الغذاء تفرقنا في نواحي الدير للفرجة وخرجت أنا وأربعة من الرفاق نصعد الى قمة جبل المناجاة أو جبل موسى عليه السلام.

وتبدأ الطريق المؤدية الى القمة من قاعدة الدير في الجهة الجنوبية صاعدة رأسية تقريبا على درج من حجر مرصوص يشبه الدرج العادي. وقد مكثنا نصعد هذه السلالم نحو ساعتين ونحن نلهث لهثا شديدا من فرط ما أصابنا من الإعياء والتعب. وقبل بلوغنا القمة اجتزنا فجوة في الجبل دخلنا منها الى رحبة فيها كنيسة



جبل موسى : بالقرب من القمة

وحديقة صغيرة ينمو فيها شجر السرو. تسقى من نبع يفيض ماؤه العذب على جوانب الصخر.

استرحنا قليلا ثم استأنفنا الصعود. وبعد نصف الساعة تقريبا وقفنا على قمة جبل موسى. وهي على ارتفاع ٢٢٠٠ متر من سطح البحر (نحو ٨٠٠٠ قدم) وكان الهواء باردا والسماء صافية والشمس تؤذن بالمغيب. فأجلنا النظر فيما حولنا، فكان منظرا ساحرا بديعا لم تر العين أجمل منه: فضوء الشمس ينعكس على القمم بلون أحمر كلون الشفق. وعلى جوانب الجبال بلون أزرق قاتم كالدخان، وبلون أحمر مشرب بالزرقة على الربى والتلاع، وفي الجنوب البعيد ماء البحر الأحمر يتلألأ تحت أشعة الشمس. ومن تحتنا تتقابل الوديان وتتقاطع متجهة كل صوب كأسارير الوجه العجوز. فلما عدت الى نفسي وجدتني مسند الظهر الى حائط مسجد صغير. وعلى بعد خطوات منه كنيسة صغيرة كذلك، فلم أتمالك ان دخلت المسجد أنا وصديقي الأستاذ فريد أبوحديد (ألبسه الله ثوب العافية) وركعنا لله ساجدين بقلوب خاشعة ونفوس طافحة بالذكريات التاريخية والدينية. وعند خروجنا من المسجد لمحنا جماعة من البدو رجالا ونساء وأطفالا وقد جلسوا في وهدة تحت جدار المسجد من جهته المقابلة حول نار

أوفدوها للبدفئة فلما رأونا هبوا الينا مهللين مكبرين. فصافحناهم وتبادلنا واياهم التحيات والتمنيات. ثم سألناهم عن سبب وجودهم، هنا فى هذا البرد القارص. فقالوا قد جرت العادة من قديم الزمان ان نجتمع هنا يوم وقفة عيد الأضحى المبارك. ثم نقضى الليلة. وفى الصباح نصلى صلاة العيد فى هذا المسجد العتيق وننحر وبعد تبادل التهنئات والدعوات الصالحات نتفرق عائدين الى ودياننا.

ملأنا العين بهذه المناظر الفريدة ثم عدنا أدراجنا الى الدير وقد غابت الشمس وظهر القمر. فكان الهبوط أسهل من الصعود وأكثر خطرا بسبب الظلام.



جبل المناجاة: التسلق الى القمه

فى صباح اليوم الخامس جلنا فى الدير ومشتملاته وملحقاته. فالدير نفسه من حيث هندسته واسواره وطرقاته ومخابئه وأقبيته وسلالمه الحلزونية الكثيرة وابراجه وعيون المدافع ومواضعها أكثر شبها بالحصن منه بالدير. والحقيقة أنه بنى ليكون معقلا للرهبان يقيهم غزوات البدو. والمشهور أنه بدىء فى تشييده سنة ٥٢٧ ميلادية اثناء حكم الامبراطور البيزانطى يوستينيانوس

يبلغ طول الدير نحو ٣٠٠ متر وعرضه نحو ٢٠٠ متر وارتفاعه فى المتوسط نحو ١٥ مترا وهو مبنى بحجر الجرانيت المنحوت. ويوجد فى فنائه كنيسة كبيرة ينزل اليها بسلالم. وهى عامرة بالتحف الثمينة من شمعدانات وثريات ومصورات وما الى ذلك من الأشياء الكنسية ذات القيمة الغالية، والكنيسة أفخر مبانى الدير وأجملها من حيث المبانى والزخرف، ولها برج عال معلقة فيه الأجراس النحاسية الكبيرة. وتقام فيها الشعائر الدينية فى أوقاتها.

وفى الجهة الشرقية من الدير صوامع الرهبان. وهم لا يخرجون منها الا نادرا. وقد تقابلت مصادفة بواحد منهم اثناء تجوالى فى الدير فرأيته شيخا ضعيفا لا يقوى على السير الا بصعوبة، وبمجرد ان وقع نظره على أسرع الى أقرب صومعة واختفى فيها بحالة عصبية دهشت لها وعدد رهبان الدير الان لا يزيد على العشرين مع ان عددهم قبل الحرب كان كبيرا. وهم من شعوب مختلفة، معظمهم من روسيا والأمم السلافية الأخرى. وليس لهؤلاء الرهبان من عمل فى الدير الا النسك والعبادة. أما شئونه الأخرى من ادارة واقامة شعائر وحراسة فهى من وظائف القساوسة. وبالقرب من الكنيسة وفى مستو اعلى منها جامع أثرى صغير مفروشة أرضه بالبسط. وفيه منبر صغير ويلتصق بالجامع مئذنة مرتفعة. وهو يفتح للصلاة فى أوقاتها الخمسة.



الدير منظر داخلى

وفى أفياء الدير شاهدت طاحونا يديرها بغل. وبجوارها مخبز يصنع فيه الخبز اللازم لرجال الدير وللتوزيع على البدو على حسب العادة التى جرى عليها الرهبان من زمن بعيد

وفى الجهة الشمالية حجر القساوسة ومكتبة الدير وكانت مغلقة.

وامام الدير حديقة واسعة منسقة تنسيقا حسنا. وبها كثير من أشجار السرو والتين والزيتون والمواخ والكروم. ومزروع فيها شتى البقول والخضر والزهور الجميلة. وفى ناحية منها كنيسة الجماجم، وهو بناء حديث جمعت فيه جماجم وعظام الرهبان والقساوسة الذين توفوا بالدير من عصور بعيدة. وقد رصت فيها

صعوفاً بعضها فوق بعض، ووضع بعضها فى صناديق خاصة تكريماً لأصحابها. أما المكاتبهم الكهنوتية أو نقيامهم أثناء حياتهم بعمل بجيد الدير

ويسقى الدير والحديقة من عيون عذبة على شكل آبار قليلة الغور

وبعد ظهر هذا اليوم تفرقنا نجوس خلال الوديان القريبة. ومن أجمل المشاهد منظر الصوامع المنتشرة بين الربى على الجبال المحيطة بالدير، وترى بجانب كل صومعة شجرة سرو طويلة أو نخلة تسقى من نبع أو ثؤلول يسيل ماؤه على الصخر فيفيض فى المنخفضات والثقوب. وفى الوصول الى هذه الصوامع صعوبة لوعورة الطريق أو ارتفاعها أو انحدارها الشديد. وللقساوسة حكايات ونوادر ظريفة طريفة يروونها عن تاريخ كل من هذه الصوامع أو المشاهد لا يتسع المجال هنا لسردها

وفى صباح اليوم السادس قفلنا راجعين الى القاهرة فوصلناها سالمين مغتبطين فى مساء اليوم السابع

أديب

(بقية المنشور على صفحة ٣٥)

المسطح فأكون كغيري من الناس، وانما أحب أن أشرف على القاهرة وأن أخيل الى نفسى أنى لست منغمسا فيها وأنى أدخلها اذا غدوت الى عملى مع الصبح وأخرج منها اذا رحت الى بيتى مع الليل. ولست أخفي عليك أنى أجد لذة قوية حين أدخل المدينة مع النهار هابطا اليها من هذه الربوة كأنى أغزوها وأسقط عليها سقوط النسر على فريسته، وأجد لذة أخرى ليست أقل من تلك اللذة قوة حين أمضى النهار كله فى المدينة مضطرباً مع الناس فيما يضطربون فيه من عمل، خائضا مع الناس فيما يخوضون فيه من حديث، مشاركا للناس فيما يأتون من خير وشر، نافعاً ضاراً منتفعا محتملا للضرر. حتى اذا كان المساء ضقت بهم وضاقوا بى وأويت الى جامعتكم هذه الجديدة أريح نفسى مما أسمع من كلام فيه الممتع وفيه السخيف. ولكنه على كل حال ليس بذي غناء، حتى اذا أخذت بحظى من هذه الراحة الأولى رحت الى بيتى فلا تسل عن هذا الشعور العذب الذي ينبسط على قلبى شيئا فشيئا. كلما دنوت من هذا المكان أحس كأنى أنسل من المدينة وأتخفف من أثقالها وألقى آثامها من ورائى وأطهر جسمي ونفسى من أوضارها وأدرانها حتى اذا رقيت هذه الربوة وبلغت قمتها هذه. (وكنت قد أحسست الجهد من الصعيد فى طريق عالية ملتوية) وقفت وقفة من كان فى مكروه تخلص منه. وأرسلت زفرة يخيل الى أنها تحمل بقية ما علق بنفسى من شر المدينة. ثم تنفست ملء رئتى مرة ومرة ثم أقبلت هادئاً مطمئناً قصير الخطى الى هذا الباب. وهنا وقف ودق الباب دقتين ففتح لنا ثم أغلق من دوننا

طه حسين

طرف من شعر السلاطين

« بقية المنشور على صفحة ٢٧ »

لا تحسبن هذا الفلك الغدار يمكن للسرور
فانه يضمر جوراً ويبدى صفاء
قد سبر طبيبي آلامى بنظرة واحدة
كأنه لقمان تذهب يده بالسقام
ان ضللت طريق العشق فسل «عدنى»
فهو يهدى الى السبيل كل من أضل طريقه يهدى!

السلطان سليمان القانونى « محبي »

ان الذي يؤثر الفقر(١) لا يريد عرشاً ولا ايوانا
ولا يبغى لنفسه طعاماً إلا من زاد الأحزان
ولن يتبوأ عرش القناعة ملكاً حرا
لا يريد أن يكون سلطاناً على سبعة الأقاليم كلها.

ooo

انما أهل العشق من يقيم فى دار الحبيب
نحن ولكن لا نريد الصحاري ولا الجبال
يامحبى: من يشرب قدحا من يد حبيبه
لا يرد حتى ماء الحيوان من يد الخضر

***

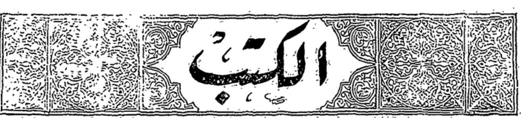
لا شيء أعظم من الدولة فى هذا العالم
ولكن الدولة فى هذه الدنيا لا تزن نفساً واحدا من العافية.
ما هذا الذى يسمى سلطنة إلا ضوضاء الخليقة
وما فى هذه الدنيا سعادة ولا جد كالوحدة
دع هذا العيش واللهو فالى الفناء المصير
واذا أردت الصديق الباقى فلا شيء كالطاعة
ان يكن عمرك عدد الرمال
فلن يبلغ ساعة واحدة فى زجاجة هذا الفلك (٢)
إن ترد الحضور يامحبي فأفرغ قلبك
فليس للوحدة مقام كزاوية العزلة

عبد الوهاب عزام

---

(١) الفقر هنا هو الفقر الصوفى كما يظهر

(٢) إشارة لطيفة الى الساعة الرملية التى يوضع فيها الرمل فى زجاجة ثم يقاس الزمن بنزول الرمل منها.



فى الصيف

لطه حسين

« فى الصيف » بعد « الأيام » دليل بعد دليل على ملكة اخرى كانت مجهولة فى هذا الذهن العجيب ! فقد كان عهد الناس بصديقنا طه عالما غزير البحر ، وباحثا جرىء الرأى ، وناقدا نافذ البصيرة . وجدليا دامغ الحجة : اما الكاتب الذى يستشف بالالهام حجب الغيب ، ويتمثل بالخيال صور الحقيقة ، ويحيى بالعاطفة جمود الفكرة ، فظل مغمورا بين الأديب الذى يبحث فى ضوء العقل . والاستاذ الذى يدرس فى حدود العلم . فلم يكد يظهر الا فى صفحات من ذكرى ابى العلاء نسى فيها المعرى وذكر نفسه . وفى مقالات نشرت فى السفور صور فيها عواطفه وحسه ، حتى نشرت (الايام) فعجب الناس ان يكون وراء هذا العقل المتمرد هذا القلب الشاعر . واقبلوا فى دهشة يتعرفون الى طه التلميذ والأخ والزوج والوالد . ويتحدثون اليه فى منازله ومباذله وبين أهله ، فيجدون من اللذة فى احاديثه . امثال ماوجدوا من الفائدة فى بحوثه . ثم جاء كتاب اليوم قاطعا فى الدلالة على بلوغ هذه الشخصية الأدبية الغاية فى كل ناحية من نواحى الأدب ، حتى الناحية التى لا يغنى فيها الخيال عن الواقع ، ولا السماع عن النظر !

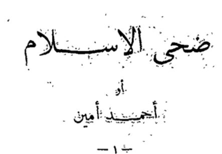
قرأ (فى الصيف) اديب كبير فطلب الى طه فى شىء من الدعابة ان يترك العلم الى القصص ، وتقرأ أنت (فى الأدب الجاهلى) فتقول هذا اختصاصه وتلك مادته ، ولعلك اذا سمعته يحاضر أو قرأته يناظر تقول هذا عمله وهذه غايته . وابلغ آيات العبقرية ان تكون فى كل مادة اصيلة . وفى كل موضوع سامية ، وفى كل غاية مبرزة .

***

طه قصصى من طراز خاص . أو هو لم يشأ الى اليوم أن يكون على غير هذا الطراز . فالأيام وفى الصيف طوائف شتى من الذكريات والتأملات والملاحظات أتالت فى وقت الفراغ على ذهن شديد النفاذ ، وفكر دقيق الملاحظة ، وشعور صادق الحس ، ثم ألف بينها خيال كروح المنطق فيه لذة وفيه عقل ، وأبان عنها أسلوب كأسلوب الحديث فيه طلاوة وفيه فضل ، ثم تقرأ قليلا واذا بك متصل بالكاتب ، مغمور بشعوره ، مسحور بحديثه ، مشغول بتفكيره ، يخرج بك من موضوع الى موضوع ، وينقلك من موضع الى موضع ، دون أن يدع لك السبيل الى استرجاع الذكريات التى هاجها بذكرياته ، واستقبال الخواطر التى جددها بخواطره . فأنت منه كما تكون من البحر الداوى لا تدرى بماذا استولى على مشاعرك ؟ أبجلاله أم بجماله أم بسعته أم بروعته أم بكل أولئك جميعا ؟ ثم تفرغ من القراءة وتعود الى نفسك فتقول : ربما ولدت هذا المولد ؛ ونشأت هذا المنشأ ، ودرست هذه الدراسة ، وسحت هذه السياحة ، ورأيت هذه الصور . وعرضت لى مثل هذه الخواطر ، ونعمت بمثل هذه الأسرة . ولكن أولئك كله جف فى خيالى كما يجف نمير الماء فى العود الذابل ، ومات فى خاطرى كما يموت رنين الصوت فى الصخر الأصم ! ولكنها فى الأيام احيا ما تكون فى ذهن ، وفى كتاب « فى الصيف » أزهى ما تكون فى خيال ! ! ذلك اذن هو الفن الذى يخص الله به انسانا دون انسان . وذلك اذن هو ما ينقص الناس فيجدونه فى الفنان ! !

***

« فى الصيف » لا يروعك منه الحادث . ولا تدهشك المفاجأة . ولا تشوقك العقدة ، ولا تفتنك الصنعة ، فانه كما قلت لك مجموعة من الذكريات والتأملات يتشقق بعضها من بعض كما تتشقق الأحاديث . وانما يأخذ بلبك منه الصدق فى تصوير الفكرة ، والحذق فى نقل الشعور ، والنفس التى تشتد فى المجتمع حتى تشتط . وترق فى الأسرة حتى تضعف ، والروح التى تحلق فوق الأحداث متمردة . وتخفض الجناح لأهواء الطفلين الحبيبين حانية ، والألمعية التى تصور بالظن فلا تخطىء اليقين . وتسمو على جناح الخيال فلا تفوت الحقيقة ، والأسلوب الذى يحار فى تعريفه البيان المكتوب ، وأقل ما يصفه به الكاتب العجلان أنه تفصيل فى غير املال ، وبساطة فى غير ابتذال ، وتدفق فى غير كدورة ، وجدة فى غير عجمة ، وإحكام



ضحى الاسلام

أو

أحمد أمين

— ١ —

اذا قرأت ضحى الاسلام عرفت احمد أمين . واذا عرفت احمد أمين فكأنك قرأت ضحى الاسلام . وكمال المعرفة بالاثنين أن تفهمهما معا ، لأنك لا تجد تلازما بين شيئين أشد مما هو بين هذا الرجل وما يكتب . فاذا ألف كتابا أو أنشأ مقالا أو ترجم فصلا ظل باقيا وراء كلماته وخلال سطوره ، يعرض عليك الصور . ويقرر لك الآراء . بطلعته الباسمة فى غير افترار . ولهجته الحازمة فى غير أمر . وعقله القوى فى غير عنف . وطبعه الحيى فى غير ضعف . وأسلوبه الهادى فى غير فتور فلا تدرى أتقرأ أم تسمع . وكتاب فى يدك أم رجل معك !

وهو فى بروز الشخصية العلمية يتفق مع صديقه طه . ثم يختلف بعد ذلك عنه فى كل شىء .

٥٥٥

سين الجاحظ فى أدبنا القديم . واحمد أمين فى أدبنا الحديث ثم قل بعد ذلك فيما يشبه التعميم : ان كل كتاب متى أخرجه الى الناس مؤلفه ، يكاد من وهن الصلة به لا يعرفه . وانما تظل مسائله فى قلقها أشبه بالطيور المقنوصة ، لا تفتأ نزاعة الى الجو الذى عاشت فيه . والى الوكر الذى أخذت منه . فاذا كثر الحديث عن احمد أمين منذ ظهر فجر الاسلام ، واستفاض هذا الحديث عنه منذ نشر ضحى الاسلام . فذلك لأن هذين الكتابين وحدهما فتح فى الآداب العربية . ونصر للعقيدة الاسلامية ، ومجد للعقلية المصرية ، لم يهيئهما الله فى الغابر والحاضر لهؤلاء الا على يد احمد أمين .

ومعاذ الله أن نهجم على الحق وندخل على القارىء برأى لا يقره الضمير ولا يرتضيه العلم . فقد قضينا العمر بين أشتات المؤلفات العربية ، نكابد ما يكابد غيرنا من تناقض وتعارض وغموض ، ثم عالجنا التأليف وبلونا ما يعانيه ناشد العلم فى يد دونها يد ، ثم قرأنا هذين الكتابين فأكبرنا فيهما الجهد الذى لا يكل ، والعقل الذى لا يضل ، والبصيرة التى تنفذ الى الحق من حجب صفيقة . وتهتدى اليه فى مسالك متشعبة .

٥٥٥

نشأ احمد أمين نشأة أزهرية ، ونعنى بهذه النشأة ما يلازمها من نمط خاص فى الحياة والتربية والدراسة والوجهة . ومن غريب هذه النشأة انها تساعد على الهبوط كما تساعد على الصعود . فتخرج الأزهر اما قادة للشعب وأما حملة عليه . لأن حرية التعليم فيه كانت تهيىء كل نفس لما خلقت له : فهذا تعده ليكون قارئا فى ضريح أو اماما فى زاوية ، وذاك تعده ليكون مستشارا فى محكمة أو أستاذا فى جامعة . واحمد امين كمحمد عبده وسعد زغلول وطه حسين قد زوده الأزهر بخير ما فيه من صبر على الدرس ، واتكاء على النفس ، واستقصاء لأطراف البحث ، ثم دفعه الى الحياة دفعا فاستكمل ثقافته فى مدرسة القضاء ثم اشتغل بالتعليم ، ثم تولى الحكم بين الناس فى المحاكم الشرعية . ثم ثقف على نفسه اللغة الانجليزية ، ثم تبوأ كرسيه فى الجامعة المصرية . وها هو ذا بكتابيه يحتل مكان الزعامة العلمية .

أن ألمع ما فى شخصية هذا الرجل متانة خلقه . ولأمر ما شغف —

نادر يحزه الاملاء . وتجرفه شدة الحركة . ومذهب جديد كثر فى ناشئة الكتاب من يحاول الجرى عليه .

٥٥٥

ان فى هذا الكتاب صفحة ضاقت بما يضيق به القلب الصديق ! نشرتها ظروف وستطويها ظروف ، وسيطيل النظر فيها من يعنى بفهم هذه النفس الكبيرة على حقيقتها ، ودرس ما تأثر به من العوامل فى بيئتها . وان فى هذا الكتاب صفحات على نحو ما فى (الأيام) من ذكريات الأزهر ، وأحاديث اخوان الصفا من طلابه . والاف الجمود من شيوخه . ولن يتذوق ما فيها من جمال الفن الا من حيي هذه الحياة وشعر هذا الشعور . وان فى هذا الكتاب صفحات خالدات لن تجد كثيرا من أمثالها فى الأدب العالمى ! تلك ما كتبت عن فرنسا عامة وعن الألزاس خاصة .

أما التحليل والتمثيل فلن يغنياك عن قراءته شيئا . وفى اعتقادى أن خير ما يسر به الانسان نفسه أن يغيب عن دنياه فى دنيا هذا الكتاب ساعة أو ساعتين !

الزيات

منذ شب بتدريس « الأخلاق »، وترجمة « الأخلاق »، وتأليف « الأخلاق »، ولسرما يتجدد انتخابه بالأجماع رئيسا للجنة التأليف والترجمة والنشر تسع عشرة مرة في تسع عشرة سنة متوالية !!

ان نجاح الأستاذ احمد امين في الحياة نجاح العلم وفوز للفضيلة، لأنه لم يعتمد في شهرته العلمية على الإعلان و (التهويش)، ولا في مناصبه الحكومية على الاستخذاء والملق، وانما يجرى في عمله على الاخلاص، وفي معاملاته على الحق، وفي علاقاته على الشرف. وما حياته الحافلة إلا مثل للحياة العاملة في غير ضجيج، الناصحة في غير ملل، المثمرة في غير غرور ولا دعوى. فهي اشبه شيء بالنبع السلسال العذب، يسيل حلو الخرير تحت شواجن الادغال، وفوق مطمئن الأرض، فيروي العطاش، ويمرع السهول، في غير هذير ولا صخب!

ذلك هو الكاتب، واما الكتاب فنرجو ان نوفق الى تحليله في العدد المقبل.

ملكة الجمال

(بقية المنشور على صفحة ٤)

ولكن سلطان الجمال وان استعار ألقاب الملكية، أحاط نفسه بألوان القوة وضروب الأبهة، ضعيف نحيف، فاتر قصير المدى كالجمال نفسه. فهو ملك، ولكنه أشبه بالجمهورية، وأي جمهورية؟ أشبه بالجمهورية القديمة: جمهورية اليونان والرومان لا يدوم السلطان فيه لصاحبه أكثر من سنة. وهو ملك، ولكنه لا يورث، وانما يكتسب بالانتخاب، وأي انتخاب!! انتخاب ضيق محدود متأثر بالأغراض والاعراض السياسية في كثير من الأحيان، فيجب أن يكون ملك الجمال قسمة بين الشعوب تتبادل سلطانه فيما بينها. تظفر به فرنسا ثم تمره الى بلجيكا، وهذه تمره الى هولندا، وعلى هذا النحو حتى يكون لكل شعب حظه من هذه السيادة العالمية البريئة. البريئة؟ مسألة فيها نظر! فهي سيادة بريئة بالقياس الى الشعوب والأقاليم والمدن والقرى، ولكن براءتها تتعرض للشك والخطر في كثير من الأحيان. ذلك أن هذا الملك الطارىء السريع الزوال يعبث برؤوس الملكات وأسرهن. ومن طبيعة الملك أن يعبث بالرؤوس الا اذا اعتمد على دستور صحيح متين. وليس لملك الجمال دستور. وملك الجمال لا يعبث برؤوس الملكات وحدهن. وانما يعبث برؤوس كثير من الرعية أيضا، من الشبان والشيوخ وأصحاب الملاعب والمراقص والسينما. ثم ملك الجمال فصيح غلى هذا العبث، فهو يجري أقلام الكتاب في الصحف، ويطلق ألسنة السيدات في الصالونات، ويزيد هذا كله في الدوار واضطراب العقول. لذلك لا تكاد ملكة ترقى الى عرش الجمال حتى يصبح مصيرها بعد الخلع — أستغفر الله — بعد الاعتزال مشكوكا فيه. وأكثر الظن أنها صائرة الى ملعب من ملاعب اللهو، أو ناد من أندية الرقص، أو دار من دور السينما، أو الى هذه جميعا.

فملك الجمال في حاجة الى دستور يضمن للملكة الا يكون ارتقاؤها الى العرش وسيلة الى ابتذالها.

على ان ناحية اخرى من نواحي هذا العبث الذي يعبثه ملك الجمال بالعقول خليقة بالملاحظة. فلكات الجمال يؤمن بملكهن عادة، ويصدقن أنهن ملكات حقاً، وكثيرا ما تؤمن لهن الجماعات بهذا الملك، فيصبح المزاح جداً واللعب حقا لاشك فيه، وينشأ عن هذا الجد الطارىء وعن هذه الحقيقة الاضافية الموقوتة التي لم يفكر فيها اينيشتين بعد، لون من الحياة الذي يبعث هذه الابتسامات المترددة التي تحدثت عنها اول هذا الفصل.

انظر الى ملكة الجمال التي شرفت مصر بزيارتها هذه الايام لم تكد تهم بهذه الزيارة حتى سبقتها الانباء فطربنا واستشعرنا شيئا من الغبطة لاحد له وتفضلت صاحبة الجلالة الصحافة فقامت لزميلتها في الملك بما يجب من الاعلان ونشر الدعوة ثم وصلت ملكة الجمال فلم يكن بد لصاحبة الجلالة الجيلة من ان تتناول الشاى عند صاحبة الجلالة الفصيحة البليغة. وكانت دار الجهاد ملتقى الملكتين على مائدة صديقي توفيق دياب. وتفضلت الملكتان ملكة الجمال وملكة الكلام بشىء من العطف الغالي الكثير على طائفة من الرعية المولهة المفتونة، وكنت ممن مسهم هذا العطف. ولكن ملكة اخرى ثقيلة ممقوتة تبسط سلطانها الآثم على الناس في الشتاء وهي صاحبة الجلالة البغيضة الانفلونزا حالت بيني وبين الاستمتاع بهذا العطف السامي من صاحبة الجلالة الجيلة وصاحبة الجلالة الفصيحة. فأسفت وما أشد ما أسفت!

وملكة الجمال ظريفة كما ينبغي ان تكون فلم تكد تصل الى مصر حتى ادت طائفة من الواجبات يفرضها عليها جلال الملك

وسماحة الجمال بدأت فبيدت ايمبا فى مصر ا الملكى الغالى ثم تنت فزيرت رئيس الوزراء . فلما فرغت من السلطة التنفيذية تعطفت على السلطة التشريعية فتفضلت بزيارة البرلمان . فأدى وكلاء الامه وأجبهم بين يدي جلالتها كأحسن ما تكون التأدية .

ثم لم تكد صاحبة الجلالة تفرغ من مصر الرسمية حتى تفضلت ففكرت في مصر المعارضة . والملك فوق الاحزاب فتعطفت بزيارة حضرة صاحب الدولة رئيس الوفد المصري ثم فكرت في مصر التي لاتشتغل بالسياسة وانما تشتغل بالاصلاح الاجتماعي والاقتصادى فتفضلت بزيارة حضرة صاحبة العصمة رئيسة الاتحاد النسائى وزارت دور الاتحاد وشهدت فيه التمثيل وزارت دور الصناعة والتجارة وهى فى هذه الزيارات تؤدى لكل حقه بما فطرت عليه من جمال وظرف وأدب ورشاقة وخفة روح واذا جلالة أخرى رسمية تشرف مصر وهى الجلالة الايطالية فينقطع حديث الجمال ويبتدىء حديث السياسة . وليست هـــذه الصحيفة من السياسة فى قليل ولا كثير . فلنكتف اذا بأن نرحب فى صدق واخلاص بصاحبى الجلالة الايطالية ثم لتعد الى ملكة الجمال . فلنتمن لها التوفيق بعد الملك كما وفقت اثناء الملك ولنلتفت بعد ذلك الى القارىء الكريم فننصح له بأن يقرأ قصة تمثيلية بديعة أنشأها الكاتبان الفرنسيان جورج بيرولويس فرنويل موضوعها ملكة الجمال وعنوانها (مس فرانس) فسيجد القارىء فى هذه القصة جداً وهزلاً وفكاهة وصراحة ولذة قوية على كل حال ؟

طه حسين

بعض الناس

(بقية المنشور على صفحه ٥)

وسكت الصديق ونظر الى نظرة جازعة لما يعلمه عنى من القسوة فى الحكم على مثل تلك العثرات .. والعجيب من أمرى انى وجدتنى أكثر محبة لهذا الصديق بعد أن قص على قصته . وأشدفهما لظروفه ووجدتنى أرى عثرته مقالة . وزلته مغفورة ورحت أهون عليه الخطب وألتمس السبيل لتهدئة أعصابه .

وخلوت لنفسى بعــــد ذلك وفكرت كيف يتغير حكمنا على الأشياء بتغير فاعليها . ليس منا من أمن العثار . وإذا وقانا الله شرها فى أنفسنا فقد يعثر حميم لعزه . فلم نقيل عثرات الأولياء ونتلمس العذر لاخطاء أنفسنا ومن نحبهم ثم نقسو فى الحكم على من بعدت بيننا وبينهم الصلات ؟

علمتنى هذه الحادثة أن أقيل كل عاثر . وأرحم كل خاطىء . وانظر الى كل زلات الناس على أنها أمراض تعالج بالرفق والعطف والرحمة

اللذائذ والآلام أوهام .

ليست اللذائذ الابعض خدع الطبيعة تغرينا بها على اداء وظائفنا الحيوية ألست ترى أحدنا اذا مر وهو جائع بمقربة من طعام وفاحت رائحته فى خياشيمه . أولاحت صوره فرأتها عيناه سال لعابه وتحرق شوقا الى التهامه . حتى اذا ماملأ منه معدته وأدى ماتتطلبه الطبيعة لحفظ الذات صدف عنه كارها ولم تثر فيه رائحته ومرآه شهوة .

وكذلك الحال فى كل لذائذ الحس لاتبهر الاجائعا ولاتثير غير صادىء .. فاذا ارتوى منها زهدفيها .

ومثل اللذائذ الآلام فهى احساس خادع ينبه المحروم من اداء وظائفه الحيوية الى ادائها .

واحسبنا نستطيع بشىء من رياضة النفس والمران على حكم الأعصاب . أن نصل الى منزلة نغالب بها الى حد كبير خداع الطبيعة فلا تثيرنا كثيراً لذائذ الحس وآلامه .

محمد عبد الواحد خلاف

إعتـــذار

حالت كثرة المواد بيننا وبين نشر النسائيات والمسرحيات فى هذا العدد والذى قبله فنعتذر مرة أخرى لحضرات الكتاب والقراء .

بيان

لاترسل المجلة بعد هذا العدد الا لمن أدى بدل الاشتراك . ولا يقبل اشتراك مالم تدفع قيمته سلفاً .

....

لم يبق من العدد الأول الا نسخ معدودة احتفظنا بها للمشتركين فنرجو ألا يطلبه بالبريد غير مشترك .

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الباجة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
ـــ
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد
ـــ
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الخامس | القاهرة في يوم الأربعاء ١٩ ذو القعدة ١٣٥١ — ١٥ مارس ١٩٣٣ | السنة الأولى

بين السوامر والصحف

أسير الجهاد :

بين عشية وضحاها نزل صديقنا الأستاذ محمد توفيق دياب من قصر صاحبة الجلالة الصحافة، الى سجن المجرمين من سلاب الأموال وقتلة الأنفس. لأنه رأى رأياً في سياسة هذا البلد عن اخلاص، وعقيدة لم يقره عليه القانون القائم. وحاولت صاحبة الجلالة أن تعصمه من أمر القضاء بالرحمة، ومن تنفيذ الحكم بالعفو، ومن قسوة التنفيذ بالرجاء. فما رجعت بطائل. وظهر أن جلالة الصحافة كجلالة الحسن: رواء في العين، ولا سلطان في اليدين !!

إنا نؤمن بعدالة القضاء كما نؤمن بحكمة القدر: ولكن في السجن الموحش المظلم فرجة قد ادخرها القانون لضحايا العدل: فاذا لم تتسع لأمثال دياب فلمن تتسع؟ ان الكاتب الذي يحرق مخه وعصبه ليضيء الطريق لشعبه، ويغذي حيوية قومه بعصارة عقله وقلبه، ولا يبتغي من وراء جهاده غير مرضات وطنه وربه، لجدير باحتمال قسوته اذا قسا، واغتفار زلته اذا زل.

ان خطأ الاجتهاد في الرأي لا يعتبر جريمة إلا في أصطلاح القانون الذي تسنه الحكومات له، فاذا ما اتسعت الصدور، أو تبدلت الأمور، عاد العمل بالقول المأثور: للمجتهد أجران اذا أصاب، وأجر اذا أخطأ. فاذا كانت جريمة الأستاذ دياب من النوع الذي يحرم هنا ويحل هناك، ويوجب العقوبة اليوم ويقتضي المثوبة غداً، فأن شديداً على الضمير

فهرس العدد

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ بالقاهرة

أن يعامل في سجنه معاملة الجناة والعصاة . فيعيش في غير شكله ، ويشتغل في غير شغله . ثم يحرم لذة الجسم فلا يستريح ، ومتعة الروح فلا يقرأ ، وحق المريض فلا يعالج .

درس في الإيطالية :

زار صاحبا الجلالة الإيطالية واديا الحبيب فحلا في ربوعه حلول السعادة ، ونزلا من أهله منزل الإجلال . وأفاضا على غاصيته وضعيته غمراً من سراوة الملك ، ونبالة الخلق . ثم اختصا فقراء الاسكندرية بقرابة ألف جنيه على ما روى المقطم ، فكان هذا العطف السامي موضعاً للتفسير والتأويل ومثالا لاختلاف العقول في الاستنباط والتعليل . فمن قائل إن صاحب الجلالة أراد تعميم الإحسان في أجناس بني الانسان ، والاسكندرية شبه دولية . ومن قائل إنه أراد تخصيصه ، وكثرة الجالية الإيطالية تنزل ربوع الاسكندرية . والأمر في كلتا الحالين مثل في شرف الغاية ، لأن مبعث التعميم عاطفة الإنسانية ، ومبعث التخصيص عاطفة الوطنية .

كلام طرآني :

ذكرنا في معرض الكلام عن أسلوب الأستاذ محمد بك مسعود أنه (منذ توفر على محاكاة الأستاذ وحيد في تحقيق اللغة ، ومباراة شيخ العروبة في تمحيص التاريخ ، بدت على أسلوبه الصحيح أعراض الغرابة التي تلازم اللغويين ، والاعتداد الذي يساور العلماء)

وهذا الكلام كما ترى نزيه القصد بريء الدلالة . ولكن الأستاذ وحيداً وريث العجاج ، وخليفة الزجاج قد طوع لنفسه أن يرد عليه في الأهرام بهذا الرد فقال :

« جاء في مقال للأستاذ الكبير المفضال محمد مسعود هذا اللفظ « طرآني » فقال له كاتب في صحيفة أغربت في الكلام إغراب وحيد وشيخ العروبة (يعني برهان العلم والأدب احمد زكي باشا) .

« وإني أقول للكاتب الذي رأى القارئون عدوته — بفتح العين وإسكان الدال — ليس الطرآني من غرائب الكلام . وكفى قولي له أنك تراه من بلاغة اللغة في كتاب الزمخشري « أساس البلاغة » الذي قيل فيه . ومن خصائص هذا الكتاب تخيير ما وقع في عبارات المبدعين . قال الامام الزمخشري في أساس البلاغة : رجل طرآني . وحمام طرآني . لا يدري من أين جاء . وكلام طرآني الخ .

« اجتزيء بقولي لكاتب ذي عدوة . ماقاله الاعرابي : ليس هذا بغريب ولكنكم في الأدب غرباء » .

ونحن نقول في دورنا للأستاذ الجليل : لقد اغربتم فلم نفهم ، وأفصحنا فلم تفهموا ، فاذا كنا في الأدب غرباء ، فأنتم في اللغة دعياء . أليس كذلك ؟

وهذا أيضا !

أخذ صديقنا الأستاذ احمد أمين على بعض كتابنا أنهم اذا تناظروا تخاصموا ، واذا نقدوا تشاتموا . ونسي أن يقول كذلك إنهم اذا نقدوا تلمسوا أسبابا للنقد تدل على سوء القصد . وأحدث الأمثلة على ذلك أن الأستاذ (ع . ع .) وهو أديب نابه لا يتهم في علمه ولا في فهمه . قد كتب في البلاغ بمناسبة ضحى الاسلام يقول ما مؤداه : إن أدباءنا قد استمرأوا (مائدة العراق) فهم اذا كتبوا في الأدب كتبوا عن العراق . واذا بحثوا في العلم بحثوا في العراق . ثم نعى على صاحب ضحى الاسلام أن يغفل مصر ، وفيها أنشيء الأزهر ، وإليها هاجر العلماء . ولو قرأ الأستاذ الكتاب لوجد فيه فصلا عن مدرسة الاسكندرية . بل لو قرأ المقدمة لوجد المؤلف يقول : (عنيت بضحى الاسلام المائة سنة الأولى للعصر العباسي) وفي هذه المائة سنة لم يكن أسس الأزهر ولا سقطت بغداد ! ومن الغريب أن يقول الاستاذ للمؤلف : إن طول النظر مرض ذكرته الاطباء . وهو يعلم أن قصر النظر كطوله سواء بسواء !

العدد الأول من الرسالة

اضطررنا لشدة الطلب على هذا العدد أن نعيد طبعه . وهو يطلب من الإدارة رأساً .

خواطر وصور

المتردد

أعرف رجلا يعيش رخى الصدر آمن السِّرب فى دار بهيجة وأسرة حبيبة ورفقة مخلصين، تلقى ذات يوم كتاباً من صديقين يدعوانه الى رحلة خارج القطر كانت منذ زمن طويل منتجع خاطره ومهوى فؤاده. فوجد من فرصة الفراغ وجمال الربيع ووفاق الخليط مغرياً جديدا بها. ودافعاً شديداً اليها. وكان صديقاه يطلبان جواباً حاسما سريعاً. فوقف الرجل بين الأمرين وقفة المتخير المتحير. لا يدرى أيظل فى هذا المكان المحبوب الذى يستبقيه، أم يرحل الى ذلك البلد الجميل الذى يستدعيه؟

بدأ تردده هادئاً مقبولا كهدهدة المهد، ثم مالبث أن عاد مزعجاً مملولا كاضطراب البحر. كان ترجحه بين الاقامة والظعن أشبه بترجح الزورق على الماء الهادئ يدفع الى الأحلام والأوهام. والمتردد واسع الخيال كثير الفروض. فأخذ يقلب الأمرين فى خاطره: يوازن بينهما منفردين. ويتمناهما مجتمعين. ويطمع أن يدركهما متعاقبين.

أزف الموعد والصديقان ينتظران الجواب إيجاباً أو سلبا. فلابد أن يخرج من عماية هذه الحيرة ليكتب اليهما. جلس جلسة الكاتب وأخذ أهبته للكتابة. ولكنه لم يكد يقر على الصحيفة يده حتى ساوره الشك فأمسك! وأخذ فكره يتنقل بين المكانين، ويفاضل بين المغنيين، حتى انتهى به التردد الى ايثار البقاء.

آثر البقاء لأن الصديقين ربطاه بعدة خفيفة. لا بكلمة شريفة، ولأن فى المتردد جرثومة من جراثيم الكسل: المترددون أميل الى الكف والاحجام، دون العمل والإقدام. ذلك الى أن مخيلته الخصيبة قد أنبتت له من الذرائع والأسباب ماوافق هواه: كيف يصدف عن مسرة هادئة أكيدة، الى أخرى جديدة غير أكيدة؟ انهم يمتدحون ذلك البلد لطيب هوائه وجمال مناظره، ولم يعلموا أن فى الرحلة اليه والحلول فيه اضرارا تخاف وتحذر! أين يجد ما يعدل زوجته العزيزة وداره الجميلة وحديقته البهيجة؟ لقد أصبحت هذه الثلاث أجمل فى نظره وأجمع لخيره منها قبل ذلك!

أليس من الحمق والجحود أن يغمط الإنسان مثل هذه السعادة؟ على أن هذا البلد بعيد الشقة. ولابد للراحل اليه أن يبيت ليلة فى القطار على فراش لا وثير ولا وطىء، أو يعبر البحر متعرضاً لدُواره وأخطاره. واذا أصابه مرض فى الطريق أو فى الفندق فماذا تكون عاقبة أمره؟ ذلك فضلا عن الغذاء الدنىء والمسكن الوبىء والعناء المبرّح.

أجمع صديقنا فى الأمر رأيه. ووطن على البقاء نفسه. فكتب الكتاب بالرفض ودفعه الى الخادم ليحمله الى مكتب البريد القريب، ولكن الخادم لم يكد ينطلق بالكتاب حتى تحرك الشك فى نفسه. وتغير المنظر الماضى فى عينه. فكأنما سحر ناظره. أو تبدلت مشاعره!

ذلك البلد الذى استخف به منذ قليل تجلى لعينيه فى صورة جذابة أنيقة، وتلك الأحاديث العجيبة التى سمعها عنه تواردت على ذهنه تباعاً منمقة الحواشى بسحر جمال المفقود، وحب استطلاع المجهول. ثم تمثلت أمام عينيه فوائد تلك الرحلة وملذاتها. فعاد باللائمة على نفسه! كيف عميت بصيرته عن هذه المنافع جمعاء؟ وكيف اعتاقه عن هذا الأمر مئونة الانفاق والنصب؟ إن متاعب السفر هى الصحة والقوة والحياة! ولاشىء أذهب للعمر وأقتل للمرء من أن يظل قعيد بيته مخلداً الى عيشة رغيدة وادعة. وحياة متشابهة مملة. تلك فرصة ما يحسب الدهر بمثلها يجود!

رحلة ممتعة مفيدة! وإخوان صدق ملئوا ظرفا وعلما! ان ذلك الرفض ضرب من البله والجبن!

تحول ذلك التوبيخ أسى وحسرة، وبلغ به الحنق والشوق والخجل حد الهياج والقلق، فأهوى بيده الى الجرس. وصاح بأحد الخدم أن يرد عليه الكتاب وحامله، فقال له: أن الخادم ياسيدي انصرف الى وجهه منذ ربع ساعة!

فارتد الرجل كاسفا حزينا، وانقلب ماحوله مظلما قبيحا، واستولى الضجر على نفسه، وأصبح بيته الجميل الرحب أضيق في عينيه من كفة الحابل، ثم مالبث أن عاد الى نفسه وأخذ يفكر في جواب الخادم، فقرر أن المسافة الى مكتب البريد يقطعها الخادم راجلا في ربع الساعة، فاذا قطعها هو على سيارة استطاع أن يوافيه قبل أن يضع الكتاب في صندوق البريد.

وما هو إلا رجع البصر حتى انطلقت به السيارة يشق صوتها المزعج زحام الطريق؛ ولكنه لم يضع قدمه على عتبة البريد حتى كان الخادم خارجا منه وقد أنجز عمله! بهت صديقنا وكاد يستسلم لليأس لولا أن مر ذكر التلغراف على خاطره، فبرقت أساريره وقال: إن الرسالة البرقية تصل قبل الكتاب فتنسخه. ثم أخذ طريقه الى مكتب التلغراف وبدأ يكتب الرسالة، ولكنه ما بلغ الكلمة الرابعة حتى جمدت يده على الورقة! قال في نفسه: إن الرسالة البرقية كالكلمة الملفوظة اذا قيلت فلن تسترجع، وسأكون بها مقيدا مأخوذا. ألقى القلم وخرج من المكتب يتنسم الهواء. واخذ يمشى أمام الباب ذهابا وجيئة وهو يسائل نفسه: أيكتب أم لا يكتب؟

دقت الساعة دقتين فارتعد وقال: مالي أتردد؟ يجب أن أقطع الرأى. فان الوقت وإن طال لايسع المطال. ثم فكر وقدر، فجاء برأى خليط مبهم لم يلبث أن نزل عنه. وظل واقفا يتصفح وجوه الآراء ليرى الرأى القاطع نصف ساعة كان فيها فريسة الهم والضجر!

إستقبح من نفسه هذا الضعف الشديد، فاقتحم المكتب، وأتم الرسالة ودفعها الى العامل وهو يقول في نفسه: سأتبعها بأخرى اذا بدت لى في الأمر بداءة.

ثم انكفأ راجعا الى بيته يستعد ويتأهب! وأقسم أن منظر ذلك البيت الذى يريد أن يفارقه غدا سيحى في مخيلته صورة رائعة الجمال شديدة السحر، وان زوجه وكتبه وأزهاره وأشجاره ستملك عليه وجدانه. فلا يمنعه الخجل أن يصبح ناكثا ما أمرّ وناقضا ما أبرم!

لعل في القراء من يحمل وصف هذا الرجل على المبالغة، ولكني أؤكد لهم أن مكانه من الصدق مكان صورته الشمسية.

ان التردد مرض من الأمراض لايؤبه له لندرته. يصيب المرء في حياته العملية، فيغل يده، ويشل عقله، ويتركه فريسة للالم من ضعفه، والخجل من صحبه. تظهر أعراضه في صغار الامور وكبارها، فيكون في انتقاء الثوب، واختيار الحالة، وفي الاقدام على الزيارة القصيرة، والرحلة الطويلة. ويدخل في لذاذات الرجل وأعماله، كما يدخل في إدباره وإقباله.

***

جرت بين هذا الصديق نفسه وبين زوجه هذه المحاورة منذ اسبوع. فأنا أنقلها اليك بنصها لتزداد به معرفة.

قال وهو يهم بالخروج إلى مكان عمله:

— زينب! أتشيرين على بأن آخذ مظلتى؟

— افعل ياعلى ماتشاء.

— أتظنين أن السماء تمطرنا اليوم؟

— وما يدريني؟

— آخذها والسلام!

— حسناً تفعل.

— ولكنها تضايقنى إذا لم تمطر السماء.

— دعها اذن!

— ولكن المطر اذا نزل بلل طربوشي وثوبي.

— خذها إذن!

— ماهذه الحماقة؟ وما هذا التردد بين الأمر والنهى؟ ليس للمشير إلا رأي واحد! فهل ترين أنى أحسن اذا أخذتها؟

— نعم!

— سآخذها إذن.

— ولكن الهواء دافئ، والسماء مصحية، وأخشى إذا دام الجو كذلك أن أذهل عنها فأفقدها: سأتركها قطعاً!

ثم سار يريد الخروج فلمحها معلقة على المشجب فأخذها وهبط السلم ذاهلا، متباطئاً، حتى بلغ البواب فدفعها اليه.

أحمد حسن الزيات

تراثنا القديم

للأستاذ احمد أمين

خبران أثرا في النفس أبلغ التأثير . وآثارا في القلب كوامن الأسى والأسف .

أولهما أن أديبا كبيرا ، وخطيبا خطيرا طلب من احدى المكاتب القاموس المحيط للفيروزابادى ، فأرسلته اليه ، فاستبقاه اياما ثم رده شاكرا لأنه لم يستطع أن يعرف طريقة الكشف فيه . واذا استطاع فلا يفهم مايقول ، ولا يتبين مايشرح . لذلك يعتذر عن شرائه ويطلب بدلا منه معجما من المعاجم الحديثة ، كأقرب الموارد ، ومحيط المحيط ، والبستان ، لسهولة الكشف فيها . ووضوح القصد من معانيها .

والثاني أن مجلسا من مجالس المديريات قرر انشاء مكتبة يتردد اليها طلبة المديرية ومثقفوها ، وعهد الى بعض رجاله اختيار الكتب الصالحة ، فلم يختر فيما اختار كتابا قديما كالقاموس المحيط ولسان العرب وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والأغاني والعقد الفريد ونفح الطيب . وانما قصر اختياره على ماأنتجه الأدباء المحدثون من روايات وقصص وتاريخ حديث . وأدب من الوزن الخفيف .

راعني مافي هذين الخبرين من دلائل مؤلمة . ومايحملان من نتائج خطيرة ! . دلالة الخبرين أن تيار الفكر إنما يسير نحو الثقافة العصرية . وإن المثقفين انما يعتمدون على ماتخرجه المطابع من آثار للثقافات الأجنبية ، فاما تراثنا القديم ومافيه من ثراء ضخم فتنبو عنه أذواق الناشئة ومن يقودهم ويختار لهم . ولا يقبل عليه الا المستشرقون وأمثالهم من علماء قليلين يسيرون نحو الفناء . دون أن يخلف من بعدهم خلف يقوم على هذا التراث فيحفظه ويستثمره .

ولهذه الظاهرة أسباب أهمها :

أن هذه الكتب جارت عصرها ولم تجار عصرنا . فالتعبير معقد . والمعنى غامض . والتأليف مشتت . والمصطلحات جامدة . والأمثلة واحدة فقطع هذا كله الصلة بين القديم والحديث . ولم يستطع أن يتفهم هذه الكتب القديمة الا من نشأ عليها ، وأنفق أكثر العمر في فهم عباراتها . وحل معمياتها . وكثير منهم وقف عند ألفاظها ومصطلحاتها . ولم يسعفه الزمان بالتغلغل في أعماقها واكتناه أسرارها . واستخراج كنوزها . فلما نشأ الجيل الجديد وقد تعلم أول أمره في رياض الأطفال ، وأسلمته هذه الى مدارس ابتدائية وثانوية يجتهد مدرسوها أن يعلموا على أحدث طرق البيداجوجيا . ويقرأ تلاميذها في كتب ألفت على غرار الكتب الأوربية في الشكل والموضوع ، أصبح الخريجون لا يربطون جديدهم بقديم أبائهم ، وصارت الكتب الأوربية أشهى الى نفوسهم وأقرب الى عقولهم من كتب الأدب العربي والفلسفة الاسلامية ، وكتب القانون الفرنسي أحب اليهم من كتب الفقه الاسلامي وهكذا . وهم اذا نظروا في هذه الكتب العربية هزئوا بها وضحكوا منها ! فاذا وقع نظرهم في الفقه على تحديد ماء الطهارة بأنه عشر في عشر بذراع الكرباس . قالوا مالنا ولذراع الكرباس ؟ إنما نعرف الذراع البلدي والذراع المعماري ، واذا رأوا نظام أخذ العشر قالوا ماذا يقابل ذلك من نظام الضرائب والجمارك ؟ وإذا نظر الأطباء في كتاب القانون لابن سينا وقفوا امام أحاجي لاطاقة لهم بها . واذا نظر الأدباء في الأغاني والعقد وأمثالها رأوا شرا كثيرا وخيرا قليلا ! وكان مافهموا أبدر مما لم يفهموا .

الحق أن هذه مشكلة كبيرة تحتاج في علاجها الى مهرة الحكماء ، وأن مافي كتب أسلافنا من ثروة يحتاج الى عقول كبيرة تضع منهجا قويما للاستفادة منها .

ونحن بين اثنتين : اماأن تتخصص منا طائفة صالحة لترجمة ثروتنا القديمة الى لغة العصر وروح العصر وأسلوب العصر ، فيستطيع ناشئتنا أن يضعوا أيديهم على تراث آبائهم ، واما أن يتثقف أكبر عدد ممكن بنوع من الثقافة الشرقية القديمة ، فضلا عما عندهم من الثقافة الحديثة ، فيجمعوا الى مواردهم الأجنبية الموارد العربية . ويخرج نتاجهم متشعبا بالروحين ، مستمدا من الثقافتين .

فان لم يكن هذا ولا ذاك خشيت بعيد قليل أن تصبح كتبنا القديمة غير صالحة الا للأرضة تعيث فيها والعنكبوت ينسج عليها ، ويكون شأننا معها كما قال أبو العلاء :

سيسأل قوم ما الحجيج ومكة كما قال قوم ما جديس وما طسم

اسكندر يقتل صديقه!

للدكتور عبد الوهاب عزام

اسكندر العظيم يثبت عرشه وسلطانه وهيبته وكبرياءه في مقدونية واليونان، ثم يتوجه تلقاء آسيا.

الفريقان من اليونان والفرس يلتقيان على نهر (كرانيكوس) الصغير عام أربع وثلاثين وثلاثمائة. فيتاح لاسكندر أول فتح في آسيا. وتخضع له المدائن حتى سرديس؟ فقد دانت له آسيا الصغرى كلها.

ثم يتقدم صوب الجنوب. فيجتاز طوروس ويسير تلقاء الشام. وإذا جيش دارا. الجيش اللهام الذي لا يغلب من قلة رابض في طريقه. وفي سهل إسوس الضيق بين الجبال والبحر تزدحم مئات الألوف في المعترك، ويسقط في المجاز مائة ألف من الفرس. ويفر دارا وينهب معسكره، وتؤسر أمه وزوجه وأبنتاه.. فانظر اسكندر قد قهر «الملك الأعظم» ملك الفرس الذين طالما فخر اليونان بأنهم احتملوا صدمتهم. وردوهم عن بلادهم!!

يتقدم الفاتح العظيم فيقهر مدن الشام، وتقاومه صور وتتحدى جبروته وسلطانه. ثم تخر امامه بعد حصار سبعة أشهر. فيقتل منهم ثمانية آلاف، ويؤسر ثلاثون ألفا فيباعون عبيدا. ويصلب على القلاع ألفان عبرة ونكالا! ذلكم اسكندر الفاتح العظيم، وذلكم جزاء من يقف في سبيله!

ويفتتح اسكندر مصر عام اثنتين وثلاثين وثلاثمائة. ويرفع نسبه الى آمون. ثم يجمع جنده ويسير الى العدو الأكبر الملك الأعظم. يجتاز الفرات ودجلة الى حيث يعسكر دارا. وهنالكم على مقربة من أطلال نينوى العظيمة التي تندب مجد آشور الغابر، وعلى سبعين ميلا الى الشمال والغرب من مدينة أربيل، ليس بعيدا من ملتقى عبد الله بن علي العباسي. ومروان بن محمد خاتمة الخلفاء الأمويين، حيث سقطت دولة وقامت دولة! هنالكم تراءى الجمعان، وعسكر اسكندر تجاه دارا.

ويشير (برمينيو) على الفاتح المقدوني أن يهاجم عدوه ليلا. فيأبى مجد اسكندر وكبرياؤه، فيقول له: «أنا لا أسرق النصر». ثم يلتقي الجمعان. وتدور الدائرة على دارا. وجنوده، فيفر صوب المشرق.. ارأيت بابل العظيمة مدينة السحر والعلم؟ ها هي تفتح أبوابها لاسكندر ويباركه كهنتها. ويطوي الملك الشاب المراحل الى سوس واصطخر حاضرتي الفرس. لا يصمد لمدينة الا فتحها. ولا يعمد لجيش الا مزقه..

تمتد الفتوح والآمال والنشوة والكبرياء باسكندر الى ما وراء النهر في طريقه شطر الهند، بعد أن طارد دارا حتى عثر به في الطريق قتيلا.

اسكندر العظيم في مدينة سمرقند عام سبع وعشرين وثلاثمائة. قد طوى المراحل والممالك ما بين مقدونية ونهر سيحون. ينعم هنالك بالشباب والظفر والملك الفسيح. والكنوز التي لا تحصى. والجند الذي لا يعد. اسكندر الآن أعظم ملك في العالم كله!

***

ويدعو أصحابه وقواده الى مأدبة في سمرقند. فيأكلون ثم تدور الكأس حتى يثمل القوم أو يكادون، ثم تترع للملك المظفر كؤوس من الاطراء والاعجاب والاجلال والاكبار. ويغلو المتملقون المعجبون فيرفعونه فوق الأبطال جميعا. ويدعون أن أعماله المعجزة لا تكون الا عن نسب آلهي. بل يرفعونه الى مستوى الآلهة كهرقل. ويشارك الملك الشاب في اعظام مآثره والاعجاب بها. ثم لا يقنع بما فعل، فيجعل لنفسه ما نال أبوه من ظفر في آخر عهده. ويغض من فيليب وان كان أباه!

يسخط المقدونيون من الزراية بطلهم القديم. ولكنهم لا ينبسون. و(كليتوس) رابض ينظر الى اسكندر ومادحيه ساخطا محلقا. كليتوس أحد قائدي الفرسان، كليتوس الصديق القديم أخو (لانيس) حاضنة اسكندر التي قتل اثنان من أبنائها تحت رايته، كليتوس الذي نجي اسكندر في معركة كرانيكوس

حين أبصر أحد الفرس يهوى بسيفه الى الملك من خلفه فسارع كالبرق فضرب السيف فقده دون رأس الملك. كليتوس هذا لم يستطع صبرا على الغض من فيليب! قال كليتوس: ما لهؤلاء المادحين يضعون أقدار الغابرين ليرفعوا عليها مجد الحاضرين؟ ان فيليب كان عظيما! — ثم تأخذه الحدة فيقول: «ليست مآثره دون مآثر ابنه! لا. ان مآثره لأعظم. فقد خلق الرجل لنفسه ملكا وجيشا. وانما صلت أيها الملك بما أورثك فيليب من ملك ممهد وجند مدرب. انما ظفرت بفضل هؤلاء المقدونيين الذين تحقرهم اليوم وتقدم الفرس عليهم. ألم تقتل برمنيون العظيم؟..»

هاج الحاضرون وقذفوا كليتوس بالجدل والتوبيخ. وثار ثائر اسكندر الفتى الفاتح الذى سخر ملك مصر وبابل وأشور وفارس، اذ قرعت أذنه لأول مرة نبأة ناقد يعترض كلامه ويرد عليه دعواه. غضب اسكندر وصاح بكليتوس يزجره ويجادله، وانحاز الحاضرون للملك المعجب بنفسه، وكليتوس كالأسد يزمجر ويرد الكلمة بمثلها، ثم ينتفض قائما ويصيح مادا يده الى الملك: «اذكر أن حياتك دين لهذه اليد التى نجتك يوم كرانيكوس! وأصخ لصوت الحق الصراخ، أو تجنب دعوة الأحرار الى مأدبتك، واختص العبيد بصحبتك!

اهتاج اسكندر لموقف كليتوس، ولذكرى كرانيكوس وبرمنيون، فنهض يتحسس خنجره، فاذا الخنجر بعيد قد نحاه أحد الحاضرين. فينادي الحرس مغضبا هائجا ويأمر أن ينفخ فى الصور ايذانا للجند. فما اطاع أحد أمر الملك الهائج النشوان، وتقدم نحوه بطليموس (وبردكاس) القائدان الكبيران فأحاطا به وأمسكا يده برفق يسكنان ثورته. ويكسران حدته، ويحيط آخرون بكليتوس يخرجونه من البهو، فيأبى أن يخرج فيعترف بأنه أساء واعتدى. ويقول اسكندر: «واأسفا! إن قوادى قد غلوني كما فعل بسوس بدارا. وأنما لى من الملك اسمه. ويتقدم اسكندر تلقاء كليتوس. ولا يجرؤ القواد أن يقفوه قسرا، ثم ينقض كالصاعقة فينتزع حربة من أحد الجند فيغمدها فى صدر كليتوس الصديق القديم!

يرتاع الحاضرون. ويفيق اسكندر من نشوته وثورته وعنجهيته. فيفتح عينيه فاذا كليتوس طريح يضطرب فى دمه.

خرج اسكندر من البهو يعدو الى فراشه. فارتمى عليه ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب. يبكى بدموع عزت على الخطوب الشداد. وغلت فى الحوادث السود. ويتمادى به البكاء. وكلما كفكف دمعه تمثل له صديقه طعينا بيده. ويلعن نفسه نادما. ويهتف باسم كليتوس وأخته لانيس. ثم يقول: ويلى! أنا الغادر الكنود. لقد جزيت كليتوس ولانيس شرا بما أحسنا الى. لست بعد اليوم جديرا بالحياة.

ويجتمع اليه صحبه يعزونه. ويسوغون ما عمل. فلا يزداد الا حزنا واكتئابا وندما وأسفا. ويجتمع الجند المقدونيون فيجمعون على أن كليتوس قتل بحقه. وأنه ينبغى ألا يدفن. فيغضب اسكندر ويقول: كلا! انه سيدفن بأمرى. ويأتى الكهنة فيقولون: ان الملك لم يقتل صديقه بيده. ولكنها نقمة من الاله (ديونسوس) أجراها على يد الملك انتقاما لنفسه بما حرم القربان فى هذه المأدبة. ثم يأتى الفيلسوف (أنكشرخوس) فيقول: ايها الملك ان الذى أنت فيه لعجز. وانك أيها الملك العظيم والفاتح القاهر لجدير بأن تحل وتحرم وتحق وتبطل بارادتك لا أن تخضع للقوانين التى سنها الناس. ثم يأتى كلستوس الفيلسوف فيجهد أن يهون على الاسكندر ما فعل.

فارق اسكندر مضجعه بقلب كليم اجابة لنصحائه وإجابة لواجبه فى هذه البلاد النائية. ولكنى أحسب الجرح قد ذهب مع اسكندر الى قبره!

اسكندر العظيم لم يعظم عليه مطلب. ولا بعدت على همته غاية، ولا ثبتت فى طريقه دولة. ولا وهن قلبه فى سلم ولا حرب، ولكن اسكندر الفاتح القاهر، والملك المسلط، لم يحتمل وخزة واحدة من وخزات الضمير. فخر كالطفل يبكى ويتململ، وكاد يبخع نفسه فرارا من الندم!

ان عذاب الضمير هو العذاب الأكبر. ولكن لا يعرفه الا ذوو الضمائر، وقليل ماهم!

لله در كليتوس! لقد ذهب مثلا فى الوفاء. وأين فى الدنيا الأوفياء؟

ولله در كليتوس صريع الوفاء! ولله در اسكندر صريع الوجدان!؟

مجمع البحور وملتقى الأوزان

للدكتور محمد عوض محمد

يحسن بنا، كلما دخل الأدب العربي في طور جديد، أو ظهرت فيه بدعة جديدة، أن نقف لحظة لنحقق أمر هذا الطور الجديد، وهذا المنهج الذي يريد بعض الأدباء أن ينهجه. وبديهي أن الكائن الحي يجب أن يكون في تبدل أبدا وفي تحول. لكن يحسن بنا من آن لآن أن نقف قليلا لنحلل هذه الاتجاهات الجديدة. لكي نكون على بصيرة من أمرنا، ولكي نمشي على علم وهدى. فإن بعض السبل الجديدة يؤدي الى الخير. وبعضها لا يفضي إلى شيء..

وقد ظهر في عصرنا هذا ضرب جديد من الشعر. لم يعرفه الأوائل ولا الأواخر. ولا نعرف في شعراء الشرق من عرب وترك وفرس من نحا هذا النحو. ولا في شعراء الغرب في الأدب الانكليزي والفرنسي والألماني، ممن له شأن وخطر. من سلك هذا السبيل. وإن كان بين قراء (الرسالة) من يعرف شاعرا ذا شأن طرق هذا الباب من قبل. فقد يسرنا أن نعلم عنه ما جهلناه.

أما هذا الضرب من القريض — وقد سميناه مجمع البحور — فإنه يسوغ للشاعر في المنظومة الواحدة والموضوع الواحد، أن يجمع بين ما شاء من بحور الشعر. بلا قيد ولا شرط. فينتقل كما شاء وشاء له الهوى من وزن إلى وزن بلا سبب ظاهر. وبدون أية قاعدة مفهومة أو غير مفهومة. فيبدأ منظومة بالخفيف مثلا. ويمضي فيه الى بيتين أو الى أبيات. ثم يعرج على البسيط فينظم فيه أيضا بيتين أو ثلاثة. ثم يميل فجأة الى الرمل ثم الى الكامل. وهكذا لا يزال ينتقل من بحر الى بحر. ويثب من وزن الى وزن. والمنظومة واحدة والموضوع واحد.

ليس من شك في أن هذا الضرب من الشعر جديد. ولو أن المتنبي، وهو الآمر الناهي في مملكة القريض. قيل له إن فلانا ينظم القصيدة الواحدة فيجعلها من بحور شتى. لقال لمحدثه: يا هذا إن شاعرك مثله كمثل الطاهي الذي يخلط الحلو بالحامض. والمائع بالجامد. والرطب باليابس. والصاب بالشهد. ثم يرجو بعد هذا أن يكون فيما طهاه شفاء وغذاء..

مفهوم أن يكره الانسان التقيد بالقيود من أي نوع كانت. والنفس تثور من آن لآن. تحاول تحطيم السلاسل التي تقيدها وتمنعها من ارتياد منهل الحرية عذبا نميرا. وقد رأينا منذ زمن كيف ابتدع بعض الشعراء نظم القريض مرسلا من غير قافية ثابتة: لكن مع الاحتفاظ بالوزن. وكان لهذا الضرب من القريض أنصاره. الذين نادوا في الناس بأنه سيرقى بالشعر العربي الى سماء ما طاولتها سماء. ثم لم تلبث تلك النار أن باخت. وتلك الأصوات أن خفتت. وأصبحنا اليوم وأكثر الأدباء متفق على أن إرسال القافية لا يلائم الشعر العربي: فلم نكد ننعم بتلك الحرية حينا حتى عدنا بأنفسنا طائعين إلى حمل السلاسل والأغلال. مضحين بتلك الحرية العروضية التي لم تنتج لنا إلا كل فاتر تمجه النفس.

ثم جاءت بعد هذا بدعة أكبر وأخطر. وهي بدعة (مجمع البحور) التي وصفناها. ومما يؤسف له أن يكون شاعر من أجل الشعراء شأنا وهو «شوقي» على ما به من قدرة ومكانة. وهو الشاعر ذو النفس الطويل. الذي ما كان يعييه أن ينظم فيطيل ما شاء الإطالة. وهو الذي نظم (صدى الحرب) و (مقدونيا) و (نهج البردة). انه برغم هذا رأى ألا يلتزم وزنا واحدا في رواياته التي كتبها أخيرا.. فأحيانا كان شخص من أشخاص الرواية يسأل السؤال في وزن. فيرد عليه بوزن آخر. وكثيرا ما ينتقل المتكلم الى وزن جديد، وموضوع الحديث لم يتغير...

لقد قيل ان لشوقي في ذلك أسوة بكبار الشعراء الروائيين أو القصصيين.. وهذا ليس بصحيح. فإن جميع روايات شكسبير من وزن واحد وهو المسمى Iambic Pentameter وملحمتا هوميروس كلتاهما من بحر واحد. والفردوس الضائع للبون كلها من وزن واحد. والشاهنامه والمثنوي كلها ذات وزن واحد. وبرغم ما قيل وما يقال عن روايات شوقي، فإن كثيرا من الناس يقر بأن هذا الاكثار من الأوزان قد أفقدها قسطا كبيرا من الحسن.

ونحن نسوق هنا على سبيل المثال قطعة من (قمبيز) وهي الرواية التي تفوق صواحبها في هذا الأمر.

جاء في المنظر الأول من الفصل الأول الحوار الآتي بين نتاتس وعمها فرعون (أمازس):

نتاتس: نفريت يأبى المسير هبالي مكانها منك يا أمازس

فرعون: أنت التي تذهبين

نتاتس: لم لا؟

فرعون: هذا هو النبل يا نتاتس (١)

بخ بخ بنت أخي (٢)

نتاتس (في استنكار): أنت يا قاتل عمي

لا.. أبي يأبى وأمي (٣)

في هذا الحوار القصير الذي يتألف من ثلاثة أبيات ومصراع

واحد . ثلاثة أوزان (١) مخلع البسيط ومنه البيتان الأولان (٢) ومجزوء الرجز ومنه المصراع الذي يليهما . (٣) ثم مجزوء الرمل ومنه المصرعان الأخيران .

وقد يرى بعض الناس أن من التهور في الحرية أن يكون أحد المصراعين في البيت من واحد والثاني من بحر آخر . ولكن في ظني أن هذا هو التطور المنطقي لمجمع البحور . فإذا كان مستحسنا أن يغير الانسان الوزن بعد بيتين أو ثلاثة . فليس هنالك معنى لأن يمتنع المرء عن تغييره في كل مصراع . بل وفي أقل من مصراع وقد فعل ذلك أحد الأفاضل في الجزء الثالث من (ابولو) في قصيدة من هذا النوع عنوانها (الشراع) جاء فيها :

وانتزع عنك كساء الليل ثوبا (رمل)
شحبا (»)
تحتك اللجة السحيقة تدوى (خفيف)
فوقك اللانهاية الابدية (»)
وأمامك الأفق البعيد يضلل (كامل)

والقارىء الذي يهمه هذا الضرب من الشعر يجب أن يرجع الى هذه القصيدة لأنها خير مثال له بين أيدينا . ولولا ضيق المقام لتمثلنا بكثير من أبياتها .

وقد جاء في العدد الرابع من الرسالة منظومة للشاعر الفاضل ايليا أبو ماضي عنوانها الشاعر والسلطان الجائر . وقد أعجبتني بما فيها من خيال بديع . وكان افتتحها بنوع خاص مبينا بأن المنظومة من الدرر الغوالي . الا أن هذه الدرر كانت ذات نظام مختلط إذ جعل الشاعر يغير من وزنها ست مرات أو سبعا . فلا تكاد الأذن تطمئن الى نغمة . حتى يستبدل بها نغمة تخالفها وتديرها . والذين اكتفوا بقراءة القطعة الأولى حكموا بأن القصيدة من أحسن الشعر . وأما الذين قرأوها الى النهاية فقد أسف كثير منهم على أن الشاعر قد أفقد المنظومة حسنها لهذا الاضطراب في النظم : لأن لكل بحر أثرا خاصا في النفس . وهذا التقلب السريع مما يزعج الخاطر . وينفر الأسماع .

لسنا بحاجة لأن نسرد للقارىء أمثلة أخرى ندل بها على هذه الظاهرة الجديدة . التي بدت في كتابات بعض الشعراء . وليس من شك في أن (مجمع البحور) هذا سيكون شأنه شأن الشعر المرسل . سينادي به بعض الكتاب حينا . وقد يستفحل أمره زمنا ما . ثم لا يلبث أن تخمد جذوته . ويذهب كما ذهب أخ له من قبل ؟

فلسفة برجسون

للأستاذ زكي نجيب محمود

ثورة على المادة

كثيرا ما يبدأ الفكر الانساني بدراسة نفسه . ثم ينتهي إلى إحدى نتيجتين : فهو اما أن يحكم العقل في تلك المظاهر المادية التي تخضع للقوانين الآلية الصارمة . ثم ينصرف بناء على ذلك الى دراسة الوجود المادي بما فيه من صور وأوضاع : واما أن ينتهي الى انكار ذلك الوجود المادي جملة وتفصيلا . واعتباره من خلق العقل وتكوينه . ثم يتجه على هذا الأساس الى دراسة العقل وحده . لأن في دراسته دراسة للوجود بأسره . ما دام ذلك هو الذي خلق هذا خلقا . وأنشأه انشاء .

اذاً فقد انقسم الفلاسفة قسمين مختلفين : فريق ينصرف بأسره الى العلوم الطبيعية لأنها السبيل الى تفهم مظاهر الكون . وفريق يكب على دراسة النفس انكبابا . لأنها هي كل شيء . ونحن نستطيع أن نقول في شيء من الدقة ان تاريخ الفلسفة الحديثة ينحصر في هذا العراك العنيف القائم بين علم النفس والعلوم الطبيعية . فهذه تنشد الحقيقة في دراسة الظواهر المادية . وقد ترى في طريقها من بوارق الأمل الباسم ما تمضي معه في بحثها ثابتة اليقين موطدة العزيمة . وذلك يلتمسها في دراسة النفس دون المادة وهو مؤمن أن ليس أقوم من تلك السبيل سبيل

ولكن جاء القرن التاسع عشر . فانعرج ذلك المجرى الفكري بعض الشيء . واتجه الى دراسة المظاهر المادية اتجاها مباشرا . دون الوقوف على هذه النفس الانسانية وقفة تحليلية . ولعل ذلك راجع الى ان الانسان قد خيل اليه ان العلوم الرياضية والميكانيكية وما اليها . هي التي دفعت به في العصر الحديث هذا الدفع السريع . وله عذره في هذا الظن . مادامت الصناعة التي تدوي ارجاؤها في أوربا . والتي قلبت الحياة رأسا على عقب . هي ربيبة تلك العلوم . . . اذا فماذا لا تدرس هذه العلوم الطبيعية دون سواها ؟ هكذا اصطبغت الفلسفة في القرن الماضي بصبغة مادية . وذهبت في الفضاء صيحة ديكارت التي اخ بها في أن تبدأ الفلسفة سيرها من النفس ثم تتابع طريقها الى العالم الخارجي .

انطوى القرن التاسع عشر أو كاد . فبدأ الانسان يفيق بعض الشيء من تلك الفتنة التي أحدثها الانقلاب الصناعي . وأخذ الفكر ينزع عن نفسه شيئا فشيئا ذلك الثوب المادي الذي اشتمله واحتواه حينا من الدهر . ويبحث عن حقيقة الوجود في الحياة ، التي تدب

فى انحناء الكون. لا فى حركة التصور الذاتى التى تنتظم الجسد.
ومازال الفكر يمعن فى هذه النزعة الجديدة حتى كادت الحياة تدب فى المادة نفسها. واصطبغت العلوم الطبيعية بصبغة حيوية. وهكذا كتب لها أن تلقى السلاح وتندحر أمام علم النفس فيما نشب بينهما من عراك.

ولعل شوبنهور هو أول من فطن الى ان «الحياة» هى أساس الوجود؛ ثم جاء برجسون فى عصرنا الحاضر وتناول هذه الفكرة بحثا واستقصاء. حتى استطاع بقوة ايمانه أن يجذب اليها انظار هذا العالم الذى طغت عليه روح اللاأدرية والشك طغيانا مروعا.

عكف برجسون على دراسة المذهب المادى، وخلاصته ان العالم كتلة مواتت من المادة والحركة. وان الحياة والفكر وكل خصائص الانسان ليست سوى أعراض مختلفة لتفاعل المادة والقوة التى تحرك دقائقها. فكان كلما أمعن فى تلك الدراسة، ازداد يقينا بفساد ذلك المذهب. وهو يتساءل فى دهشة: اذا كان العقل مادة وكانت كل عملية عقلية عبارة عن هزة عصبية لا أكثر ولا أقل. فما فائدة الشعور؟ أليس مجرد وجود الادراك دليلا قويا على ضرورته؟

يقول المذهب المادى أن ليس ثمة «حياة ارادية» أى ليس فى الوجود تلك القوة الحيوية التى تريد هذا فتعمله، ولا تريد ذاك فتنبذه، وكل ماهنالك حالات مادية متتابعة، كل حالة نتيجة لما قبلها ومقدمة لما بعدها؛ وهنا يتساءل برجسون: اذا كان الوجود ومايجرى فى لحظة معينة نتيجة آلية للحظة التى سبقتها — دون أن تكون هناك قوة مدركة تنشىء وتكون وتختار — واذا كانت تلك اللحظة السابقة بدورها أثرا آليا للتى سبقتها، وهكذا دواليك. فنحن اذاً سنسير فى هذا التسلسل حتى نصل الى السديم الأول، ونتخذ منه سببا لكل ماطرأ على الكون من أحداث، لا فرق بين دقيقها وجليلها!! ماذا؟ هل يريدنا ذلك المذهب على أن نعتقد بأن السديم هو السبب فيما كتبه شكسبير مثلا؟ وأنه العلة فى خطابة أنطونى وهملت؟!

هكذا أخذ برجسون من منطق الماديين ما يكفى وحده للرد عليهم وذلك مذهبهم من أساسه

العقل والجسم

لعل ماحدا بالانسان الى النزعة المادية فى تفكيره هو ارتباطه بالمكان ارتباطا وثيقا، حتى خيل اليه أن الحياة ليست الا هذه الصور المكانية التى يحسها؟ ولكن الحق الذى لاريب فيه هو ان جوهر الحياة وروحها انما ينحصران فى الزمان أكثر مما يتعلقان بالمكان: والزمان فى الواقع عبارة عن تراكم صور كونية بعضها فوق بعض. أو ان شئت فقل صورة كونية واحدة امتدت على طول الزمان وأخذت تنمو وتتزايد شيئا فشيئا. ومعنى ذلك أن الماضى من بدئه الأزلى لم يفن، وانما أخذ يتقدم فتتزايد أحداثه قليلا قليلا الى أن تتضخم فتكون الزمان الحاضر.

واذا كان الزمان عبارة عن مجموع الصور التى مرت على الوجود فيستحيل أن يكون المستقبل مشابها للماضى. لأن فى كل خطوة زيادة تضاف الى تلك الكومة المتراكمة، وفى كل دقيقة ينشأ شىء جديد ليس نتيجة لمقدمة سابقة ولكنه خلق خلقاً ولا يمكن استنتاجه قبل حدوثه. فالتغير سنة الحياة وألزم صفاتها

والذاكرة عند الانسان هى الوعاء الذى يمتد مع الزمن فيختزن فيه هذه الصور المتراكمة المتزايدة، لكى تكون لنا عونا فى حياتنا، اذ كلما اتسعت دائرة الحياة اتسع معها نطاق الاختيار. أى يعرض للانسان مؤثرات عدة تستدعى منه سرعة اختيار التلبية المناسبة لكل من تلك المؤثرات. وهذه المؤثرات وتلبياتها تكون فى الانسان ادراكا يستعين به فى كل مايعرض له من مشكلات

فالكائن الحى كتلة فعالة مؤثرة. لأنه يضيف الى العالم قوة ونشاطا، وليس الانسان كما صوره الماديون آلة ميكانيكية لاحول لها ولا قوة، ينفعل ويتأثر بعوامل البيئة دون أن يكون مركزا للخلق والزيادة. ففى قولنا أن الانسان مدرك لما يعمل اعتراف ضمنى بحرية اختياره.

قلنا ان وظيفة الذاكرة هى استدعاء الصور الذهنية التى مرت بنا فى التجارب الماضية مقرونة بما سبقها وماتلاها، فتمكن بذلك من الحكم فى المواقف المشابهة التى قد تعرض لنا، حكما صادقا. ولكن للذاكرة فوق هذا عملا آخر. فبوساطتها نستطيع أن نستوعب الخلود بأسره فى دقيقة واحدة. وفى ذلك تحرير لنا من قيود الضرورة الطبيعية التى تخضع لها الأشياء الجامدة. يخطىء اذاً من يحسب الانسان آلة صماء فى يد القوانين المادية. انما هو كائن مدرك. حر الارادة، قادر على اختيار سلوك معين: والاختيار خلق وانشاء. فليس الانسان رتيبا فى حياته كالحيوان المحدود بغرائزه.

واذاً فليس العقل والمخ (أى الجسم) شيئاً واحدا؛ صحيح ان الادراك العقلى يعتمد على المخ، يسمو وينحط تبعا لسلامة هذا أو انحطاطه، ولكن كما تعتمد ملابسك على المشجب. تظل عالية مادام المشجب مثبتا فى الحائط، وتهوى اذا ماسقط من مكانه. وبديهى أن ذلك لايدل على أن الملابس والمشجب شىء واحد.

فالمخ مجموعة من التصورات وردود الأفعال. أما الادراك

فهو تلك القوة التي تختار من بين تلك المجموعة ما تريد . المخ هو المجرى الذي يسير فيه تيار الادراك ، ولكن ليس الماء ومجراه شيئاً واحداً . وأن يكن ذلك محدودا بهذا ، ولا بد له أن يخضع لالتواءاته وتعاريجه .

واذا كان هذا هكذا ، فما الذي حدا بنا الى الاعتقاد بأن العقل والمخ شيء واحد ؟ لعل ذلك راجع الى أن جزءا من عقولنا ، وهو ما نسميه بالذكاء ، قد نشأ وتطور لكي يمارس الأجسام المادية ويتفهمها ، فاكتسب من هذا الميدان المادي كل تصوراته وقوانينه ، وهكذا أخذ الارتباط الذهني بين العقل والمادة ينمو شيئاً فشيئاً ، حتى انتهى بنا الأمر الى الظن بأنهما شيء واحد : ولكن هذا الذكاء الذي يكشف لنا عن العلاقات التي تصل المظاهر الكونية بعضها ببعض ، عاجز كل العجز عن ادراك الامتداد الزمني وما يعرض فيه لتلك المظاهر من تغير وخلق ، أو بعبارة أخرى هذا الذكاء الذي يفكر في الصور المادية لا يستطيع أن يدرك ما في الكون من حياة ، لأنه يلتقط صوراً متلاحقة بعضها يجيء في أثر بعض ، أي انه يلتقط صورة الكون في هذه اللحظة ، ثم صورته في اللحظة التي تليها ، ثم صورة ثالثة في التي تليها وهكذا . ومعنى ذلك أن العالم الخارجي في نظر العقل عبارة عن جملة صور لحظية تملأ كل صورة منها الكون بأسره ، هذه الصور تتلو الواحدة منها الأخرى لحظة بعد لحظة ، وكل صورة لحظية من هذه الصور تمثل الحقيقة الخارجية في لحظة من اللحظات ، ثم من تتابعها يتألف مجموع الحقائق الخارجية من أول الماضي الى آخر المستقبل . الا أن تلك الصور تظل مستقلة في الذهن . لا يتناولها الاستمرار أو الحركة التي تربطها جميعاً ، مع ان الحياة ليست الا في وصل هذه الصور المجزأة ، مثل العقل في ذلك ، كمثل الشريط السينمائي الذي يلتقط عددا من الصور المتلاحقة ، لا حياة في كل منها على حدة ، فاذا مادبت فيها الحركة والاستمرار ، واتصل بعضها ببعض ، كونت حياة ، أو شيئاً يشبه الحياة . ولن يكون في هذه الصور التي تصلنا عن طريق الحواس شيء من الحياة ، حتى يتناولها تيار الحركة الدائم الذي يربط أشتاتها ، ويكون منها حقيقة واحدة يطرأ عليها التغير والتبدل كلما مر عليها شطر من الزمان

صحيح أن كل صورة جسية هي جزء من الحياة ، ولكن مجموعها لايكون مجموعة الحياة ، إلى أن يتحقق في أجزائها شرط الاتصال والربط ، فكما أن كل جزيء من الخط المنحني يمكن أن يكون جزءا من خط مستقيم بدليل أنهما يتماسان في أي نقطة شئت ، ومع ذلك لاتستطيع أن تقول : بما أن أجزاء هذا هي أجزاء ذلك ، اذن فالخط

المنحني هو الخط المستقيم ، كذلك قل في الحياة والمظاهر الطبيعية . فليست الحياة هي مجموعة المظاهر الطبيعية ، على الرغم من أن تلك المظاهر هي الجزئيات التي تتكون منها الحياة .

يستنتج من هذا أن العقل ليس هو الأداة الصالحة لادراك الحياة ، لأن هذا مطالب فوق مقدوره وأكثر مما يستطيع . اذ العقل كما بينا يميل الى استعمال الوجود لصالحه . وهذا الاستغلال يتطلب منه وقف تيار الحياة الذي يدب في الكون ، وتجزئة الوجود للتمكن من بعضه . فالعقل والحواس آلات للتجزئة ، والغاية منهما تيسير الحياة لا تصوير الوجود ، أي انها تتناول الوجود في ظاهره ولكنها لا تنفذ الى باطنه . . . ولما كانت المعرفة الحقيقية هي التي تمشي مع الوجود في تحوله ، وتتغلغل في باطن الأشياء ، وتحسها احساساً مباشرا كما يحس الحمل الوديع وجوب الفرار من غائلة الذئاب : فالبصيرة وحدها هي الأداة الصالحة لذلك النوع من المعرفة المباشرة ، لأنها حاسة الحياة التي تكفل تلك الوحدة الحيوية التي تربط أجزاء الوجود .

التطور خلق وانشاء

لا يمكن أن يكون تطور الحياة على تلك الصورة البشعة القاسية التي رسمها دارون وسبنسر . انما التطور خلق مستمر ، وتجديد متواصل ، وتغير لا ينقطع .

الانتخاب الطبيعي عند دارون هو الأساس الذي تقوم عليه نشأة الأعضاء والوظائف والأنواع . ولكن لم يكد يستوى ذلك المذهب على قدميه ، حتى أحاط به من الصعاب والمشكلات ما لم يقو على رده ، فكاد يخر صريعاً وهو ما يزال في يفاعته .

كيف يستطيع الانتخاب الطبيعي أن يفسر نشأة حاسة الابصار مثلا ؟ أولا ، لابد أن نسلم بأنه من المستحيل أن تكون العين قد نشأت على هذه الصورة المعقدة من بادىء الأمر . فاذا فرضنا أنها تكونت بعد سلسلة من الأطوار ، فهل من اليسير أن تقنع عقلا سليما أن تلك الأدوار التي مرت بها عين الانسان تطابق تمام المطابقة الأدوار التي مرت بها الحواس الابصارية لانواع الحيوان جميعا ؟ ! مع أن الانتخاب الطبيعي أساسه المصادفة المحضة ! . وهل من الجائز أن تكون سلسلة المصادفات التي تعاقبت على عين الانسان وأذنه وأنفه وسائر أعضائه الأخرى هي هي التي تعاقبت على أعضاء الحيوانات جميعاً ؟ !

واذا سلمنا جدلاً فقط ـ بأن تلك المصادفة البحرية

العجيبة جائزة فى أنواع الحيوان لتشابه المؤثرات التى تحيط بها جميعا. فما قولك فى الحيوان والنبات . وهما نوعان يسيران فى طريقين مختلفين أتم اختلاف؟ كيف يتفق الاثنان على طريقة واحدة للتناسل؟ كيف يوفق الحيوان عن طريق المصادفة . الى اختراع الذكورة والأنوثة اداة للتكاثر ، ثم يوفق النبات نفس هذا التوفيق وعن طريق المصادفة أيضاً ؟!!

كلا! يستحيل أن يكون هذا الأساس الواهى قاعدة التطور . ولابد أن يكون فى أجزاء الوجود — مهما تنوعت أشكالها — قوة كامنة متشابهة فى الجميع : هى الحياة . وهذه الحياة الحالة فى كل شىء تخلق فيه ميلا خاصاً وتوجيهاً معينا يؤثران فى كل جزئى من جزئياته . وهكذا يظل الجسم المادى يتشكل ويتغير حسب ذلك التوجيه الذى تمليه تلك الحياة الدافعة الكامنة فيه . وليس ثمة قوة خارجية تعمل على التطور كما خيل الى داروين وأشياع مذهبه .

هذه الحياة الشاملة تسعى جهدها للتغلب على الجمود المادى وطمس معالمه من الوجود ، فهى تتغلب على الموت بالتناسل ، وان ضحت فى سبيل ذلك الأفراد : وهى تبذل كل ماتملك من قوة لتحرير نفسها من قوانين المادة وأغلالها : فوقوف الحيوان وسيره وسعيه وكل مايأتى من ضروب الحركة والنشاط . هو فى الواقع تحد من الحياة لتلك الأغلال والقيود .

كانت الحياة فى مبدأ ظهورها أشبه ماتكون بالمادة فى جمودها واستقرارها ، لأنها كانت تتمثل فى النبات وحده . والنبات كالجماد فى سكونه واستحالة سعيه وحركته : ولكنها ما لبثت أن نشدت الحرية من تلك القيود المادية : وراحت تسعى وراء ذلك المثل الأعلى ، فاخترعت أنواع الحيوان ، وزودتها بشتى الأعضاء التى يستطيع أن يحقق بها شيئا من تلك الحرية المنشودة ، ثم ما لبثت أن عقدت آمالها فى واحد من تلك الحيوانات جميعا : هو الانسان. فلا شك فى أن الحياة تحاول ما استطاعت أن تسخر من جمود المادة . ونحن نضحك ونسخر اذا مارأينا كائنا حيا يتصرف كما تتصرف الكتلة المادية الجامدة . كأن تزل قدمه فيسقط بقوة الجاذبية كما تسقط قطعة الحجر .

يتضح من ذلك أن الحياة قد سارت فى تطورها خلال مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة النبات اذ كانت أقرب ماتكون الى سكون المادة وجمودها .

الثانيه : مرحلة الحيوان الغريزى كالنحل والنمل الذى يتحرك ويسعى . ولكن فى حدود مرسومة وخطة معلومة .

الثالثة . مرحلة الحيوان العقلى . الذى أخذ يسير فى طريق الفكر . ولن يزال هذا الفكر ينمو ويشتد ويستقيم . فهو ذخر الحياة وأملها الذى سيحقق لها ماتنشد من حرية .

هذه الحياة التى لا تفتأ تخلق وتغير وتبتدع ، والتى تلتمس الحرية من قيود المادة ، هى الله . فالله والحياة اسمان على مسمى واحد. ولكنه اله ذو سلطان محدود بقيود المادة . وليس مطلق الإرادة كما تصوره الأديان . الا أنه دائب فى التخلص من أغلاله وأصفاده : وأغلب الظن أن الحياة ستظفر آخر الأمر . ونكاد نوقن أنها ستتغلب على الموت . فيتحقق لها الحرية والخلود . فكل شىء جائز فى نظر الحياة مادام فى الزمن امتداد .

وبعد : فما أجمل أن يرتفع صوت برجسون بشيرا بما فى الكون من حياة فعالة خالقة ، ليقف تيار المادية الذى طغى على اوروبا فى القرن الماضى ، حتى غمرها بين ثناياه . وكم كنا نود أن نشترك معه فى ثل ذلك العرش الذى كان يتربع عليه اله العقل . ولكن على شريطة ألا يدعونا الى تقديس اله آخر : هو البصيرة : لانها قد تخطىء كما تخطىء الحواس .

ابن خلدون في مصر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

١

ترددت خلال العام الماضي دعوة لأحياء ذكرى المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون لمناسبة انقضاء ستمائة عام على مولده (١). فاستجابت دوائر التفكير والأدب في جميع البلاد العربية لهذه الدعوة الكريمة. وأقيمت عدة حفلات علية للاشادة بذكره وخالد آثاره، ولاسيما في تونس مسقط رأسه ومطلع مجده. وفي مصر مقام شيخوخته ومثوى رفاته؛ وحفلت المجلات والصحف حينا بمختلف البحوث عنه. ولكن ناحية من حياة المفكر الكبير لم تلق كبير عناية. تلك هي حقبة مقامه بمصر. وصلته بها. وأثره فيها؛ وهذا ما نريد أن نعنى به في هـــذا الفصل تحية لذكرى المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي الأشهر

غادر ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون تونس في منتصف شعبان سنة ٧٨٤ هـ (اكتوبر سنة ١٣٨٢ م)، فوصل ثغر الاسكندرية في يوم عيد الفطر بعد رحلة بحرية شاقة. ويقول ابن خلدون في «تعريفه» عن نفسه. انه قدم الى مصر لينتظم منها في ركب الحاج، وانه لبث بالاسكندرية شهرا يهيء العدة لذلك، ولكن لم يتح له يومئذ أن يحقق هذه الغاية. فقصد الى القاهرة. (٢) وكان قضاء الفريضة حجته الظاهرة في مغادرة تونس. واستئذان سلطانها ابى العباس في السفر الى المشرق. ولكن ما يقصه ابن خلدون من الحوادث قبل ذلك يدل على أن مغادرته لتونس كانت فرارا؛ وكانت خشية من بطش سلطانها. وغدر بلاطها. وكان ابن خلدون قد انفق نحو ربع قرن في خوض غمار السياسة ودسائس القصور. وتقلب في خدمة معظم

(١) كان مولد ابن خلدون في رمضان سنة ٧٣٢ هـ — مايو سنة ١٣٣٢م

(٢) «التعريف بابن خلدون»؛ وهو ترجمة المؤرخ لنفسه في ذيل تاريخه — راجع «كتاب العبر» (تاريخ ابن خلدون) ج ٧ ص ٤٥٢ ويشتمل هذا التعريف من ص ٣٧٩ إلى ٤٦٢. وسنعود إلى ذلك بعد

سلاطين المغرب والاندلس. وذاق نعم الرياسة وتحتل القمة مرارا. وعانى مرارة السجن والأسر وخطر الهلاك غير مرة. ولم تهدأ نفسه المضطرمة بشغف المغامرة والنضال والدس الا في كهولته، يوم أعيته الحيل. وغلبته الأرزاء والمحن. وفقد عطف معظم القصور التي تقلب فيها. وأضحى يتبرم بقضاء تلك المهام السلطانية التي كان يتخذ قضاءها وسيلة للنفوذ والرياسة. عندئذ عافت نفسه غمر السياسة ودسائس القصر. فارتد في أواخر سنة ٧٧٦ هـ. الى قلعة نائية منعزلة بناحية أولاد عريف بالمغرب الأوسط: وهنالك انقطع للبحث والتأليف مدى أربعة أعوام. وأخذ في كتابة تاريخه الضخم. وأنجز منه مقدمته الشهيرة وعدة مجلدات أخرى. ثم رأى أن يقصد الى تونس ليستكمل مراجعه في مكاتبها. وكانت بينه وبين سلطانها وحشة: فاستأمنه وحصل على رضائه؛ وغادر مقامه النائي الى تونس فوصل اليها في شعبان سنة ٧٨٠. وهنالك اشتغل باتمام مؤلفه بتكليف السلطان ورعايته حتى أتمه ورفعه الى السلطان. ومدحه يومئذ بقصيدة طويلة أوردها في «تعريفه». وكان ذلك لنحو عامين من مقدمه الى تونس (٧٨٢ - ١٣٨٠ م)(١)

وهنا ألفى ابن خلدون نفسه في معترك جديد من الدسائس. وقصده رجال البطانة بالكيد والسعاية لدى السلطان. وأغروه أكثر من مرة باستصحابه الى غزواته ومهامه الخطرة. فخشي ابن خلدون عاقبة السعاية. ولم يجد في تونس ما كان ينشده من هدوء وسكينة. فانتهز فرصة وجود السلطان في تونس، ووجود سفينة مصرية في مرساها تقصد الاسكندرية: فألح على السلطان في الاذن له بالسفر لقضاء الحج. وركب البحر بمفرده تاركا اسرته في تونس. فوصل الاسكندرية كما قدمنا في يوم عيـــد الفطر سنة ٧٨٤ (٢)

كان مقدم ابن خلدون الى مصر اذاً. نوعا من الفرار وخيفة البطش والمحنة. ولم يكن قضاء الفريضة قصده المباشر. بل كان حجته الظاهرة. وكان يرجو بلا ريب أن يقضي بقية أيامه بمصر في هدوء

(١) كتاب العبر ج ٧ ص ٤٤٤ وما بعده.

(٢) كتاب العبر ج ٧ ص ٤٥١.

ودعة ، وأن ينعم بذلك الاستقرار الذى لم تهيئه له بالمغرب حياة النضال والمغامرة . وكان يومئذ فى الثانية والخمسين من عمره ، ولكنه كان وافر النشاط والقوة . يتطلع دائما الى مراتب النفوذ والعزة ؛ وكانت القاهرة يومئذ موئل التفكير الاسلامى فى المشرق والمغرب ، ولبلاطها شهرة واسعة فى حماية العلوم والآداب . وكان يرجو أن ينال قسطه من هذه الرعاية والحماية . ووصل ابن خلدون الى القاهرة فى أول ذى القعدة سنة ٨٤ — نوفمبر سنة ١٣٨٢ ؛ فبهرته ضخامتها وعظمتها وبهاؤها كما بهرت سلفه ومواطنه الرحالة ابن بطوطة قبل ذلك بنصف قرن[1] وكما بهرت على كر العصور كل من رآها من أعلام المشرق والمغرب . ولا غرو فان المؤرخ لم ير بالمغرب سوى تلك المدن الصخرية المتواضعة . ولم ير بالأندلس حيث قضى ردحا من الزمن . مدينة فى عظمة القاهرة وروعتها . وهو يهتف للقاهرة أثر مقدمه ويحييها بحماسة تنم عن عميق إعجابه وبسحره وتأثره . ويصفها فى تلك الفقرة الرنانة : « فرأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر . وايوان الاسلام . وكرسى الملك : تلوح القصور والأواوين فى جوه . وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه . وتضىء البدور والكواكب من علمائه : قد مثل بشاطىء النيل نهر . ومدفع مياه السماء . يسقيه العلل والنهل سيحه . ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثجه : ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة . وأسواقها تزخر بالنعم . . . »

ولم يكن ابن خلدون نكرة فى مصر . فقد كان المجتمع القاهرى يعرف الكثير عن شخصه وسيرته ؛ وكانت نسخ من مؤلفه الضخم ولاسيما مقدمته الشهيرة قد ذاعت قبل ذلك بقليل فى مصر وغيرها من بلدان المشرق . وأعجبت دوائر العلم والتفكير والأدب بطرافة مقدمته وجدتها وروعة مباحثها . فلم يكد يحل بالقاهرة حتى أقبل عليه العلماء والطلاب من كل صوب . يقول ابن خلدون فى كبرياء وتواضع معا : « وانثال على طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ، ولم يوسعونى عذرا »[2] وهذا ما تشير اليه التراجم المصرية ؛ فيقول ابو المحاسن بن تغرى بردى فى ترجمته لابن خلدون : « واستوطن القاهرة وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة . واشتغل وأفاد »[3] ويقول السخاوى : « وتلقاه أهلها (أى أهل

(١) وفد ابن بطوطة على القاهرة سنة ٧٢٦ هـ — ١٣٢٦م فى عهد الناصر بن قلاوون

(٢) كتاب العبر ج ٧ ص ٤٥٢

(٣) كتاب المنهل الصافى لابن تغرى بردى — نسخة دار الكتب الخطية رقم ١١٣ تاريخ — ج ٢ ص ٣٠٠

مصر) وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد عليه . بل تصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة . . . »[1] . جلس ابن خلدون للتدريس بالأزهر . والظاهر أنه كان يدرس الحديث والفقه المالكى . ويشرح نظرياته فى العمران والعصبية وأسس الملك ونشأة الدول : وغيرها مما عرض اليه فى مقدمته . وكانت هذه الدروس خير أعلان عن غزير علمه . وشائق بحثه . وساحر بيانه . وكان ابن خلدون محدثا بارعا رائع المحاضرة . يخلب الباب سامعيه بمنطقه وذلاقته . وهذا ما يحدثنا به جماعة من أعلام التفكير والأدب المصريين الذى سمعوه أو درسوا عليه ؛ ومنهم المؤرخ الكبير تقى الدين المقريزى الذى سمعه ودرس عليه فتى .[2] وكذا الحافظ ابن حجر ؛ فقد درس عليه وانتفع بعلمه ووصفه بقوله : « وكان لسنا ، فصيحا ، حسن الترسل وسط النظم : مع معرفة تامة بالأمور خصوصا متعلقات المملكة »[3] ونقل السخاوى عن الجمال البشبيشى انه « كان فصيحا مفوها جميل الصورة . » وعن الركراكى « ان محاضرته اليها المنتهى »[4]

وهكذا استطاع ابن خلدون لأول مقدمه أن يخلب الباب المجتمع القاهرى . وأن يستثير اعجابه وتقديره ؛ ولكن صفاء الأفق من حوله لم يدم طويلا كما سنرى . وفى اثناء ذلك اتصل ابن خلدون بأمير من أمراء البلاط يدعى علاء الدين الطبغا الجوانى[5] فشمله برعايته . وساعده على التقرب من السلطان والاتصال به . وكان السلطان يومئذ الظاهر برقوق : وقد ولى الملك قبيل مقدم ابن خلدون بأيام قلائل (أواخر رمضان سنة ٧٨٤) . فاكرم وفادة المؤرخ واهتم بأمره : يقول ابن خلدون : « فأبر مقامى ، وآنس الغربة ووفر الجراية من صدقاته ، شأنه مع أهل العلم » وبذا تحققت أمنية المؤرخ من الاستقرار والمقام الهادىء فى ظل أمير يحميه ويكفل رزقه . ولم يمض قليل على ذلك حتى خلا منصب التدريس بالمدرسة القمحية . بجوار جامع عمرو وهى من مدارس المالكية فعينه السلطان فيه . ويعنى ابن خلدون فى تعريفه . بوصف مجلسه الأول فى هذا المعهد :

« البقية على صفحة ٢١ »

(١) كتاب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع عشر للسخاوى — نسخة دار الكتب الفتوغرافية رقم ٦٧٥ تاريخ المجلد الثانى من القسم الثانى — ص ٣٦٧

(٢) نعود إلى تقدير المقريزى لشيخه ابن خلدون فيما بعد .

(٣) كتاب أنباء الغمر فى أنباء العمر لابن حجر العسقلانى (نسخة دار الكتب الخطية رقم ٢٤٧٦ تاريخ) ج ١ ص ٧١١

(٤) الضوء اللامع — المجلد الثانى من القسم الثانى — ص ٣٦٩

(٥) هكذا اسمه فى « المنهل الصافى » . ولكن السخاوى يسميه « الطبغا الجوبانى »

أثر اللغة العربية فى العالم الاسلامى

للسر دنسون روس

مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن

هذه ترجمة محاضرة الاولى من المحاضرات الثلاث التى ألقاها السر دنسون روس باللغة الانجليزية فى قاعة الجمعية الجغرافية إجابة لدعوة الجامعة المصرية وقد قدمت الجامعة على كل محاضرة خمسين جنيها وستنشر ترجمة المحاضرتين الأخريين تباعا فى الاعداد المقبلة

تمهيد :

أشعر وأنا أختار موضوعا مثل هذا لمحاضرة فى الجامعة المصرية ، انه ينطبق على المثل القائل « كمن يجلب الفحم إلى نيوكاسل » أو على حد تعبير الفرنسيين « كمن يحمل الماء الى البحر » أو كما يقول العرب « كمن ينقل التمر الى البصرة » أو « كمن يبيع الماء فى حارة السقائين »

إذ كيف يجرؤ شخص مثلى لا يخرج عن كونه تلميذاً يدرس العربية أن يقوم ببحث فى هذه اللغة العظيمة على مرمى قوس من الأزهر ؟ إن اعتذاري عن هذا ينبغى أن يكون اعتذار النملة أمام عرش سليمان . !

وربما قيل عن عنوان محاضرتى أنه تقرير لقضية مسلمة ، فالعربية لغة القرآن والحديث وتأثيرها فى العالم الاسلامى حق لا ريب فيه .

ولكننى أرجو أن أسوغ عنوانى هذا بأن أبين تأثير اللغة العربية فى تلك الممالك التى تتكلم لغات أخرى ، وتتكلمها لا على أنها واسطة لفهم العقائد وإقامة الشعائر الدينية ، بل لأنها عامل منتج من الثقافة العامة .

ذلك لأنه ينبغى أن نعلم حق العلم أن ليس ثمة دين عالمى آخر قامت فيه اللغة الأصلية للكتب المقدسة بذلك الشأن الخطير كما هو الحال فى الاسلام .

فاذا اعتبرنا البوذية والمسيحية وهما ديانتان تقومان بالدعاية فاننا نلاحظ أن كتبهما المقدسة إذا أذيعت فى ممالك أخرى فانما تذاع بلغة تلك الممالك . خذ لذلك مثلا تلك المجموعة الضخمة مجموعة القوانين البوذية المعروفة باسم « السلات الثلاث » (١) فانك تجدها تقرأ فى الصين واليابان مترجمة إلى لغة تلك البلاد . حقاً إن لغة الهند الأصلية قد اختفت كما اختفت البوذية نفسها من الهند .

وقل مثل هذا عن التوراة والانجيل فانهما يقرآن فى الأمم المسيحية بلغة كل منها دون أن تقوم العبرية أو المسيحية بأى شىء فى حركات الدعاية التى تقوم بها الجمعيات الدينية

وان اللغة الوحيدة التى يمكن مقارنتها بالعربية من حيث أنها واسطة لتعاليم الدينية إنما هى اللغة العبرية . على أن هناك اختلافا بين الحالتين من بعض الوجوه وإن اتفقت اللغتان فى أن كلتيهما تدين بخطرها الاساسى إلى أنها لغة الكلام المنزل من عند الله . فمن المعروف مثلا أن كل يهودى يحفظ بعضاً منها . ولكن اليهودية لا تعتبر الآن من الأديان الواسعة الانتشار وذلك على الرغم من انتشار جماعات اليهود فى أنحاء العالم . وإنك لتجد طوائف يهودية منهم فى الحبشة أثيوبيا لا يعرفون من العبرية إلا قليلا .

ويجب أن نتذكر أنى إنما أبحث فى التأثير اللغوى الذى أحدثه القرآن لا فى رسالة النبى . وعلى ذلك فاظننى أستطيع تقرير تلك الحقائق دون أن أسيء الى الحاضرين من المسيحيين واليهود .

إن التأثير الذى تركته التعاليم البوذية والكتب العبرية المقدسة فى آداب الممالك البوذية والمسيحية لا يقل شأنا عن تأثير القرآن إن لم يكن أكثر فى ناحية الفن .

ولكن ما حدث فى الصين وفى أوربا هو أن تلك الكتب المقدسة قد أصبحت جزءاً من الآداب القائمة إذ ذاك وكانت تلك الآداب غنية بالأبحاث والموضوعات الدنيوية . وفيما يتعلق بأوربا نقول إنه لما كانت اللغات الحديثة قد اشتقت من اللاتينية والتوتونية القديمة . فانه لما ترجم الانجيل الى تلك اللغات . أصبح ذلك الكتاب هو المؤثر الثابت فيها كما يشهد بذلك الجهد الذى بذله لوثر فى وضع أساس الألمانية الراقية الحديثة .

نعم لقد لعبت اللاتينية بين الكاثوليك دوراً مشابهاً لذلك الدور الذى لعبته العربية بين المسلمين « ولكن اللاتينية لم تكن لغة التنزيل » .

الموضوع :

ولنعد الآن الى الموضوع الأساسى لمحاضرتى . وستكون الممالك التى يتناولها بحثى هى تلك التى لا يزال الاسلام سائداً فيها ولكن لا تتكلم العربية . أعنى بلاد الفرس وبلاد الهند وما وراء النهر وتركيا .

إن دخول الشرق الأدنى والشرق الأوسط والهند تحت نفوذ العرب — وقد كانوا أنفسهم حديثى العهد بالدخول فى الدين الجديد وقبول « الوحدانية السامية » (٢) — قد أدى الى ثورة عظيمة « فى الأدب والثقافة » لا تقل فى خطورتها من حيث

(١) Taripitaka or Three Baskets.

(٢) Semitic Monotheism

قوتها وتمامها، ومن حيث أنها مبدأ عهد جديد، عن ذلك التغير الذي طرأ على العقيدة الدينية.

ويرجع هذا في أساسه الى ذلك التأثير المعجز الذي أحدثه القرآن في نفس كل من اعتنق الاسلام.

فان القرآن وهو كلام الله الذي أنزله على رسوله قد قوبل من المسلمين قاطبة بالاحترام والاجلال. أولاً، من أجل عباراته ذاتها لأنها تنزيل من الله، وثانيا لما اشتمل عليه من الآيات البينات، ومن أجل ذلك كان لزاماً على من يقبل الاسلام أن يقبل معه اللغة العربية. تلك اللغة التي نزل بها القرآن وأرسل بها الرسول.

وهنا لا نجد لغة غريبة غير مستعملة لا يفهمها إلا عدد محصور من العلماء. كما كان الحال في ديانة زرادشت(١) والديانة الهندية(٢). بل نجد (لغة حية) يتكلمها أولئك القوم الذين دعوا سكان الممالك التي فتحوها الى الدخول في الدين الجديد.

إن الرقي الفجائي الذي طرأ على اللغة العربية وأحالها الى لغة مهذبة مكتوبة ليعد من أعجب الأمور اذا تذكرنا أنه في الوقت الذي ظهر فيه الرسول لم يكن لدي العرب «أدب لغة»(٣) بالمعنى الذي يفهم من هذه العبارة. وإن استعمال الخط كان قليلا الى درجة كبيرة بدليل أنه في أثناء الكفاح بين المسلمين وأعدائهم كما حدث في بدر وأحد كان المتبع أن يبقى المسلمون على حياة من يعرفون الكتابة من الأسرى.

ولكن العرب قد أخرجوا فحول الشعراء الذين تغنى الناس بشعرهم في طول شبه الجزيرة وعرضها. وإن كان الخلاف لا يزال قائما بين الباحثين فيما إذا كانت هذه الأشعار قد ظهرت حقاً في الجاهلية أم في الاسلام.

والذي ما يهمنا هو أن بين هذه الأشعار طائفة يمكن اعتبارها في المنزلة الأولى لا في أدب العرب فحسب. ولكن في أدب العالم أجمع.

وكان القرآن يمثل اللهجة التي كانت شائعة في الحجاز. والى أن قام الخليفة عمر (بمراجعاته) الرسمية الدقيقة للقرآن. لم يكن هناك أي كتاب في النحو. كما لم يكن هناك أي قاموس عربي. وكان الفرس أول من ميزوا أنفسهم باستنباط بعض القواعد النحوية من القرآن. وبعد هذا أخذ الأذكياء في العالم الاسلامي يحذقون هذا اللسان الصعب. وابتدأ الناس ينافس بعضهم بعضا كل بما حصل من اللغة. ومنذ ذلك الوقت. فيما بين أسبانيا وسمرقند. أخذ الكثير من الشعراء المطبوعين. الذين كانوا من قبل في حاجة الى أداة يظهرون بها أفكارهم ينظمون الشعر بالعربية. ولقد شرعوا أول أمرهم يحاكون الأشعار البدوية التي لم يكن لهم بموضوعاتها علم مباشر. ثم أخذوا يطرقون من الموضوعات ما تميل اليه قلوبهم. وما يوافق طبيعتهم وبيئتهم. «يتلى»

(١) Zoroastrian (٢) Hindu (٣) Literature

موسى بن شاكر

وبنوه الثلاثة

للأستاذ قدري حافظ طوقان

عضو الجمعية الرياضية بلندن

منشؤهم

ظهر موسى بن شاكر في عصر المأمون ولمع في سماء العلم ولا سيما في الهندسة وانبثق منه ثلاث نجوم: محمد واحمد وحسن نبغوا في الرياضيات وعلم الهيئة والفلسفة. وكان لهم في ذلك مؤلفات نادرة عجيبة. وهؤلاء الأربعة «ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب وأتعبوا فيها نفوسهم وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها اليهم فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السني. فاظهروا عجائب الحكمة. وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الأقل (١)...»

ويقال إن موسى مات صغيرا وقد خلف أولاده الثلاثة صغاراً اعتنى بهم المأمون كثيراً. ووصى بهم اسحاق بن ابراهيم المصعبي وأمره بالاهتمام بهم والمحافظة عليهم. وانقطعوا الى العلوم يبحثون عنها فغاصوا فيها واستطاعوا أن يجيدوا أكثرها. فأكبرهم وهو أبو جعفر محمد أجل اخوته عالماً بالهندسة والنجوم والمجسطي. وكان جماعة للكتب. ومضى عليه زمن كان مدخوله السنوي أربعمائة ألف دينار (٢). أما أحمد فقد كان دون أخيه في العلم إلا صناعة الحيل فقد تعمق فيها. وأجادها وتمكن من الابتكار فيها، وفاق القدماء المحققين في هذا العلم مثل (ايرن). وأما حسن فقد كان منفرداً في الهندسة. ومع انه لم يقرأ من كتب الهندسة إلا ست مقالات من كتاب اقليدس في الأصول. فقد حدث نفسه باستخراج مسائل لم يستخرجها أحد من الأولين «كقسمة الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية، وطرح خطين بين خطين ذوي توال على نسبة. فكان يحللها ويردها الى المسائل الأخرى ولا ينتهي الى آخر أمرها، لأنها أعيت الأولين (٣)». وحكى عنه أنه كثيرا ما كان يغرق في الفكر في مجلس فيه جماعة فلا يسمع ما يقولون ولا يحسه.

مآثرهم

ثبت أن المأمون أمر بني موسى بقياس درجة من خط نصف النهار لايجاد محيط الأرض، وقد أجروا حسابهم ذلك في سنجار

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧٨ و ٣٧٩

(٢) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٧

(٣) . . . . . . ص ٢٨٧

كما أجروه ثانية في الكوفة. ومن توافق الحسابين علم المأمون صحة ماحرره القدماء في هذا الصدد (١) وهم الذين كملوا الزيج المصحح. وحسبوا الحركة المتوسطة للشمس في السنة الفارسية. وحددوا ميل وسط منطقة البروج المسماة بالاكليتيك في مرصدهم المبنى على جسر بغداد المتصل بالباب المسمى بالطاق، وعرفوا فيها فروق حساب العرض الأكبر من عروض القمر (٢) وقد عول ابن يونس في أرصاده الفلكية على أرصادهم. وعمل أحدهم وهو محمد تقويمات لمواضع الكواكب السيارة (٣). ولأبناء موسى في الحيل كتاب يعرف بحيل بني موسى. وهو عجيب نادر، يشتمل على كل نادرة وقد يكون هو الكتاب الأول الذي يبحث في الميكانيك ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها، وهو مجلد واحد (٤)، وهي (أي الحيل) شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس (٥) ويحتوى هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكي عشرون منها ذات قيمة عملية (٦). وقد كتبوا في فن الآلات الروحية (٧) وهذا العلم يتبين فيه كيفية ايجاد الآلات المرتبة على ضرورة عدم الخلاء ونحوها من آلات الشراب وغيرها. ومنفعته ارتياض النفس بغرائب هذه الآلات كقدحي العدل والجور و و ...... (٨)، وعلى ذكر قدح العدل وقدح الجور يقول كشف الظنون في الجزء الأول ص ١٣٧ مايلي: «أما الأول (قدح العدل) فهو اناء اذا امتلأ على قدر معين يستقر فيها الشراب، وان زيد عليها ولو بشيء يسير ينصب الماء ويفرغ الاناء عنه بحيث لا يبقى قطرة. وأما الثاني (قدح الجور) فله مقدار معين ان صب فيه الماء بذلك القدر القليل يثبت، وان ملىء يثبت أيضاً. وان كان بين المقدارين يتفرغ الاناء. كل ذلك لعدم امكان الخلاء ...، وأكثر هذه الآلات توضح أنواعا من الحيل العلمية. وهي مبنية على المبادىء الميكانيكية المنسوبة لهيرو الأسكندري (٩). وقد اهتموا بنقل أحسن الكتب اليونانية. حتى أن أحدهم وهو محمد ذهب الى بلاد اليونان ابتغاء الحصول على مخطوطات تبحث في الرياضيات والفلك (١٠) واستعملوا منحنى نيكوميدس Conchoid في تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية (١)، واستعملوا الطريقة المعروفة الآن في انشاء الشكل الاهليلجي (٢). أما الطريقة فهي أن تغرز دبوسين في نقطتين، وأن تأخذ خيطا طوله أكثر من ضعف البعد بين النقطتين. ثم بعد ذلك تربط هذا الخيط من طرفيه وتضعه حول الدبوسين. وتدخل فيه قلم رصاص. فعند ادارة القلم يتكون الشكل الاهليلجي. وتسمى النقطتان بمحترق الاهليلجي أو بؤرتيه. وفي احد مؤلفاتهم في الهندسة استعملوا القانون المعروف بقانون (هيرون) لمساحة المثلث اذا علم طول كل ضلع من أضلاعه (٣). ولا يفوتنا أن نذكر أنه نسب الى أبيهم موسى القول بالجاذبية. يدلنا على ذلك ما جاء في كتاب بسائط علم الفلك للعلامة صروف الذي يقول: «وهذا التفاعل بين الاجرام السماوية الذي يطلق عليه اسم الجاذبية العمومية انتبه له بعض العلماء من قديم الزمان. فأشار اليه بطليموس صاحب كتاب المجسطي حاسباً انه هو الذي يجعل الأجسام تقع على الأرض متجهة نحو مركزها. وهو الذي يربط كواكب السماء بعضها ببعض. ويقال أن موسى بن شاكر المهندس الذي نشأ في أوائل القرن الثالث الهجري انتبه له أيضا وقال به.» (٤)

مؤلفاتهم

كتب بنو موسى في موضوعات مختلفة: في الهندسة والحيل والطب والمساحة والمخروطات وعلم الهيئة. وقد أجادوا في ذلك الى درجة أثارت اعجاب كثير من العلماء. فمن تآليفهم كتاب بني موسى في القرسطون. وكتاب مساحة الاكر. وكتاب قسمة الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية. ووضع مقدار بين مقدارين ليتوالى على قسمة واحدة (٥). وكتاب يبحث في الآلات الحربية (٦).

ولأحدهم وهو احمد كتاب بين فيه بطريق تعليمي مذهبا هندسيا وهو ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة.

وللحسن: كتاب الشكل المدور والمستطيل. أما محمد فله كتاب حركة الفلك الأولى. وكتاب الشكل الهندسي. وكتاب الجزء. وكتاب في أولية العالم. وكتاب على مائية الكلام. وفي الفهرست ينسب الى محمد كتاب المخروطات. ولكن كتاب كشف الظنون يقول في هذا الكتاب ما يلي: «... وقال أبو موسى شاكر الموجود من هذا الكتاب سبع مقالات وبعض الثامنة. وهو أربعة أشكال. وترجم الأربع الأول منه احمد بن موسى الحمصي. والثلاث الأواخر ثابت بن قرة ... أصلحه حسن واحمد بن موسى بن شاكر (٧) ...»

نابلس — فلسطين　　　　قدري حافظ طوقان

(١) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ٢ ص ٨٠
(٢) سيديو: تاريخ العرب ص ٢١٠
(٣) « « « ص ٢١٠
(٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٩
(٥) ابن القفطي — أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٠٨
(٦) كتاب تراث الاسلام Legacy of Islam ص ٣٢١
(٧) الانصاري — ارشاد القاصد ص ١١٣
(٨) « « « ص ١١٣
(٩) كتاب تراث الاسلام ص ٣٢١
(١٠) كاجوري — تاريخ الرياضيات ص ١٠٤

(١) سمث — تاريخ الرياضيات ج ١ ص ١٧١
(٢) « « ج ١ ص ١٧١
(٣) كاجوري « ج ١ ص ١٠٤
(٤) صروف: بسائط علم الفلك ص ٣١ و ٣٢
(٥) ابن النديم: الفهرست ص ٣٧٩
(٦) الأنصاري: ارشاد القاصد ص ١١٢
(٧) كاتب چلبي — كشف الظنون ج ٢ ص ٥٥٥

طرائف من شعر الشباب

مناجاة غدير

للأستاذ محمود الخفيف

شاق نفسي الجلوس فوق حرير   من نسيج الربيع ينطق حسنا
كنت قبل الشروق عند غدير   يملأ النفس من أغانيه لحنا

....

كل ما في الوجود حلو جميل   يبعث البشر في الفؤاد نديا
ونسيم الصباح عذب بليل   باعث في الربوع نشراً ذكيا

....

ساد حولي السكون لولا غدير   عبقري الخيال سامي البيان
ثائر هادئ معنى صبور   رائق أخرس مستفيض المعاني

....

زاده الصبح والسكون رواء   وكساه الربيع ظلا ظليلا
وحباه الشباب منه مضاء   فترى الماء دافقاً سلسبيلا

....

ياغدير الصباح هيجت قلبي   أنت للنفس رحمة وعذاب
لست أدري وقد تملكت لبي   أترنمت أم عراك انتحاب؟

....

ياغدير الصباح لحنك عذب   باعث في الفؤاد شتى المعاني
ياغدير الصباح هل أنت صب   تعرف البعد في الهوى والتداني؟

....

أي معنى أردت أن فؤادي   حركته لما تقول شجون
ويح نفسي لقد ملكت ودادي   فعرفت الخشوع كيف يكون

....

هيه يا أيها الغدير فاني   إن ترنمت أو بكيت سميع
ياغدير الصباح أفصح وزدني   ان قلبي بما تقول ولوع

....

ان ترنمت ياغدير نحسبي   من دواعي السرور ذاك الغناء
واذا ما بكيت حركت قلبي   فبقلبي لكل باك رثاء

....

لست يا أيها الغدير بشاك   كيف تشكو ولست تعرف ظلما!
لست يا أيها الغدير بباك   كيف تبكي؟ أأنت تعرف هما؟

....

لم تجرب شماتة من عدو   أو تحمل إساءة من صديق
أو تقاس البعاد بعد دنو   أو تعان الظنون بعد وثوق

....

لم تسهد بجفوة من حبيب   أو تعذب بغيرة وارتياب
أو تفاجأ بفتنة من رقيب   أو تروع بنبوة من صحاب

....

لم تصادف تفاخراً من دعي   أو تبادر بغلظة من جليس
أو تشاهد تطاولا من غبي   أو تجرع اهانة من خسيس

....

لم تخف ياغدير قط عذاباً   أو تذق ياغدير للحزن طعما
أو تقابل لدى الحياة صعابا   كيف هذا ولست تعرف وهما؟

....

أنت يا أيها الغدير طروب   ناعم البال لست ترهب رزءا
مطمئن الى الحياة لعوب   لست تدري عن المنية شيئا

....

ياغدير الصباح زدني غناء   واملأ القلب من غنائك وحيا
كل لحن سواك عاد هباء   ياغديرا لقد وعيتك وعيا

في الليل

اسكتي ياطيور! لاتملأى الليل   غناء بصوتك الخلاب
وقفي ياغصون لا تتناغى   بحديث الهوى وهمس العتاب
طاب لي مجلسي بعيداً عن السمـ   ـار، في نجوة من الأصحاب
فتنتني سكينة الليل.. والليـ   ـل سكون يطير بالألباب
واحتواني الظلام حتى كأني   قطعة منه في سواد اهاب
وكأن السماء صحراء خرسا   ء بدا نجمها كومض السراب
وكأن الليل البهيم عباب   وأنا سابح بهذا العباب
بين شطين من ظلام قد امتـ   ـدا امتداد العصور والاحقاب

نام زهر الرياض في سرر العشـ   ـب ونامت على السفوح الروابي
وسرت روح شاعر يعبد الحسـ   ـن فرفت في الليل بين السحاب
انما الليل للذي يعرف الليـ   ـل وما فيه من معاني عذاب
قدس الليل، انه هيكل النجـ   ـوى وحي الهوى وسر الشباب

أمين عزت الهجين

الله وراء كل شيء

شقيت نفسه فضلت هداها   وتجلى الهها في هواها
زعمت أن طينها أزلي   كذبتنا وحق من سواها
ولئام النفوس ان تلف مولا   ها جفيا بها عصت مولاها
ضلة للعقول لم تك شيئا   ثم كانت فأنكرت من براها!
قف حيال السماء ليلا وسائل   سفن النيرات من أجراها؟
سفن موجها الأثير ولا يعـ   ـلم الا ربانها مرساها
جاوزت في العيون حد التقصي   فتراها ولا تكاد تراها

ان تطالع أبصارنا مبتداها   فالى الله ربها منتهاها

....

واسأل الوردة اكتسبت كل لون   من كساها ومن حباها شذاها ؟
ألبستها الأوراق كف قدير   فأرتنا لثم الشفاه الشفاها
ابرزتها عذراء من خدر كم   في حياء توردت وجنتاها
ودعتها مليكة الزهر لما   ألبستها الرياض تاج نداها
فأصخ للجواب منها تجدها   باسم من حاكها تحرك فاها

....

شجرات في الروض مشتبهات   شهوة الآكلين فاطعم جناها
ذقت هذى فما أمر جناها   ثم هذى فقلت ما أحلاها !
ما اختلاف الطعوم والماء فيها   واحد ، والتراب أصل غذاها ؟
صاغها مثلما أراد بديع   قد نفينا عن ذاته الأشباها

....

ثم سائل بلابل الأيك تشدو   فيهز الأملاك لحن غناها
وتناجي القلوب وهي تغنى   فتذيب القلوب في نجواها
من برى هذه الحناجر عيدا   نا وأنشا قيثارة في لهاها ؟
انه مبدع كسا الطير ريشاً   وحباها في الجو ملكا وجاها

....

هذه النملة الدقيقة خلقاً   كيف تسعى وكيف تبنى قراها؟
هذه النحلة اكتست حبرات   من طهى شهدها وسل حماها ؟
قل لشمس النهار من جلاها   واسأل الارض من أدار رحاها ؟
واسأل الريح كيف ترجى سحابا   واسأل السحب كيف يهمى حياها
ثم سائل بروقها مشرعات   هل تضيج الرعود خوف أذاها
واسأل الدوح كيف شب لظاه   واسأل الراسيات من أرساها
مدها في الثرى وأعلى ذراها   قادر في غد يحل حباها

....

ضل في التيه من أبى الرشد تيهاً   يا أخا العقل لا تكن تياها
يجهل العقل كنهه وهو عقل   وجدير أن يدرك الا كناها
قل له ما الاثير وهو فضاء   ان يحمل رسالة أداها؟
ثم ما الكهرباء وهي قريب   منه وهو البعيد عن معناها ؟
قل له ما ارتباط جسم بروح   ضل فيها دراسة وا كتناها ؟
هل أعنا الأعصاب حين أصاخت   أذناها واذ رنت مقلتاها ؟
أو أعنا للقلب نبضا ضعيفا   تستمد الأبدان منه قواها
أو أعنا الأنفاس مطردات   وهي في النوم لا تني رئتاها
ان خلف العقول ربا حكيما   أودع الكائنات سر بقاها

عبد المغني المنشاوى
المدرس بالمدرسة الخديوية

ابن خلدون في مصر

« بقية المنشور على صفحة ١٦٠ »

فقد شهده جمهرة من الأكابر أرسلهم السلطان لشهوده ، والتفوا حول المؤرخ . والقى ابن خلدون في ذلك الحفل خطابا بليغاً ، يحرص على ايراده بنصه . وقد تكلم فيه بعد الديباجة عن فضل العلماء في شد أزر الدولة الاسلامية . وعن تغلب الدول . ثم أشاد بما لدول السلاطين المصرية من فضل في نصرة الاسلام . واعزازه . ومن همم في انشاء المساجد والمدارس . ورعاية العلم والعلماء والقضاة . ثم دعا للملك الظاهر . وأشاد بعزمه وعدله وعقله : وعطف بعدئذ على نفسه . وما أوليه من شرف المنصب في تلك العبارة الشعرية : « ولما سبحت في اللج الأزرق . وخطوت من أفق المغرب الى أفق المشرق . حيث نهر النهار ينصب من صفحة المشرق . وشجرة الملك التي اعتز بها الاسلام تهتز في دوحه المعرق . وأزهار الفنون يسقط علينا من غصنه المورق . . أولوني عناية وتشريفاً . وغمروني احسانا ومعروفا . واوسعوا همتي إيضاحا ونكرتي تعريفاً . ثم أهلوني للقيام بوظيفة السادة المالكية بهذا الوقف الشريف . . . الخ » [1]

النقل ممنوع   « البحث بقية »

(١) لم يرد وصف هذا الحفل ، ولا نص هذه الخطبة في فصول التعريف المطبوعة الملحقة بتاريخ ابن خلدون (كتاب العبر) . ولكنهما وردا في نسخة خطية أتم من التعريف تحفظ بدار الكتب المصرية (رقم ١٠٩ م تاريخ) — (ص ١٠٨ — ١١٠) ونسخة التعريف المتداولة تقف في ترجمة المؤرخ والتعريف به عند مستهل سنة ٧٩٧ هـ (راجع كتاب العبر — طبعة بولاق ج ٧ ص ٤٦٢) حيث يختم ابن خلدون فصول التعريف عن نفسه . ولكن نسخة دار الكتب الخطية التي ذكر في نهايتها إنها نقلت عن نسخة أصلية للمؤلف تحتوى بعد ذلك على عدة فصول أخرى عن حياة ابن خلدون في مصر ، كتبها باسهاب عن ولايته لوظائف التدريس والقضاء ، وعن سعيه لعقد العلائق بين سلطان مصر وسلاطين المغرب ، وعن بعض حوادث مصر الداخلية يومئذ ثم سفره الى الشام في ركب الملك الناصر فرج ، ولقائه ملك التتار تيمورلنك في دمشق وما دار بينهما من الأحاديث ثم عوده الى مصر ، ويتخلل ذلك كله تعليلات فلسفية واجتماعية لبعض الظواهر والحوادث السياسية على طريقته في المقدمة . ويصل ابن خلدون في رواية حوادث حياته هذه حتى سنة ٨٠٧ هـ . أعنى قبيل وفاته بنحو عام فقط . وتشغل هذه الفصول في النسخة الخطية المذكورة نحو أربعين صفحة كبيرة (من ص ١٠٧ حتى النهاية) . وهذه النسخة هي التي نشير اليها فيما بعد .

فى الأدب الشرقى

نظرات فى الأدب الفارسى

منذ نشأته الى إغارة التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

مهما تختلف الآراء فى تاريخ أقدم آثار من الأدب الفارسى الحديث فإن مؤرخا يستطيع أن يقول أن ظهور هذا الأدب صحب ظهور الإمارات الوطنية فى إيران، فهذه الامارات بعثت الأمل فى نفوس الفرس وأتاحت لهم فرصة يستطيعون فيها التقرب بالمدائح وغيرها الى أمراء يفهمون عنهم، ويعجبون بهم. ويسرهم أن تحيا آداب لغتهم وآثار آبائهم.

وأمر آخر يسترعى نظر مؤرخ الآداب الفارسية، هو ظهور هذه الآداب فى الديار النائية عن البلاد العربية وعن بغداد حاضرة الخلافة والمدنية الاسلامية، اذ كانت هذه الديار أبعد من سلطان الأدب العربى الذى كان ترجمان حضارة الاسلام كلها حقبا طويلة. ثم إستقلال الامارات كذلك يبدأ فى الأقطار النائية. وانما تنقص الارض من أطرافها. ومن أجل ذلك أتيح لخراسان البعيدة مهد أول دولة فارسية عظيمة فى العصر الاسلامى أن تكون مبعث الأدب الفارسى الحديث. ولم تنل هذا الشرف فارس مهد الدول القديمة على تبريزها فى العلم وتقدمها على خراسان فيه. حتى يقول ابو أحمد الكاتب كاتب الأمير اسماعيل بن احمد الساعاتى:

لا تعجبن لعراقى رأيت له بحرا من العلم أو كنزا من الادب
واعجب لمن ببلاد الجهل منشؤه إن كان يفرق بين الرأس والذنب

يريد ببلاد الجهل ما وراء النهر وجهات خراسان.

ولى المأمون طاهر بن الحسين خراسان ثم جعلها ولاية لذريته فاستمروا يلونها حتى سنة ٢٥٩ نحو ٥٠ عاما. ولكنها كانت أمارة صغيرة قصيرة المدة. وكانت الأسباب لما تتهيأ لانبعاث الأدب الفارسى. ثم بنو طاهر لم يعنوا بالأدب الفارسى. وروى أن رجلا أهدى كتابا الى عبد الله بن طاهر وهو فى نيسابور فسأله ابن طاهر ما هذا؟ قال قصة (وامق وعذراء) التى ألفها بعض الحكماء للملك أنوشروان. فقال الأمير: نحن قوم نقرأ القرآن ولسنا فى حاجة الى غير القرآن والحديث. فما لنا ولهذه الكتب التى ألفها المجوس؟ ثم أمر فألقى الكتاب فى الماء. وأمر أن يحرق كل كتاب فى ولايته بلغة المجوس. ويقول عوفى عن آل طاهر: أنهم لم يكن لهم اعتقاد فى لغة الفرس.

وفى سنة ٢٤٧ هـ سنة موت المتوكل ظهر فى الشرق يعقوب بن الليث الصفار وهزم جند الخليفة أول الأمر وقال — كما يروى نظام الملك — إنه يريد خلع الخليفة، وكان شيعيا فيما يقال. وخلفه أخوه عمرو الى أن استنجد الخليفة المعتمد بنى سامان فهزموه وأزالوا دولته.

والفرس يرون فى يعقوب بطلا فارسيا لأنه أول ثائر على الخلفاء. أقام سلطانه على رغمهم أكثر من أربعين عاما. وقد سوغت لهم هذه العقيدة أن نسبوا الى طفل ليعقوب أنه نطق بأول بيت من الشعر الفارسى الحديث، وفى الحق أن بلاد الفرس لم تعد الى حكم الخلفاء الحقيقى بعد ثورة يعقوب.

ولكن أول دولة فارسية عظيمة لها أثر يذكر فى الأدب الفارسى كانت الدولة السامانية. والسامانيون ينتسبون الى بهرام جوبين أحد أعيان الفرس الذى ثار أيام الساسانيين على كسرى برويز، والبيرونى يؤيد هذه النسبة. وقد بعثت الآداب الفارسية مع هذه الدولة — فيما نعلم —

وبينما كان السامانيون متسلطين فى خراسان وما وراء النهر ظهر بنو بويه وعظم سلطانهم حتى استولوا على بغداد سنة ٣٣٤، وساقوا نسبهم إلى بهرام كور أحد ملوك الساسانيين؛ وما زالوا يصرفون الأمور حتى أديل منهم للغزنوية ثم للسلاجقة.

ظهرت دولة بنى سبكتكين فى غزنة وأديل لهم من سادتهم السامانيين أو — كما يقول بديع الزمان

أظلت شمس محمود على أنجم سامان

وسبكتكين تركى لا فارسى ولكنه مكن لنفسه فى بلاد الفرس. وكان لدولته شأن عظيم فى آدابهم. وجاء السلاجقة فنسخوا كل هذه الدول. وكان لهم من السلطان وبسطة الملك ما لم يتح لدولة قبلهم من غير الخلفاء؛ وكان مع هؤلاء أو بعدهم دول ذات شأن: منها

الدولة الزيارية فى طبرستان التى منها شمس المعالى قابوس بن وشمكير وابنه منوجهر فلك المعالى وحفيده كيكاوس عنصر المعالى. ودولة ملوك خوارزم الصغيرة التى قضى عليها محمود وملوك خوارزم العظام الذين تسلطوا على معظم ايران قرناً وربع قرن والذين كانوا سبباً فى إغارة التتار وكانوا أول هلكاهم. والدولة الغورية التي قضت على الغزنويين فى أفغانستان.

هذه هى الدول التى صرفت أمور الفرس منذ القرن الرابع الهجرى. ويرى منها أن الفرس لم يفلحوا فى إقامة دولة عظيمة تضم أرجاء بلادهم، وإنما كان السلطان الشامل لدولتين تركيتين الغزنوية والسلاجقة، وما عرفنا أن ثورات فارسية عظيمة حاولت التخلص من هاتين الدولتين. وهذه مسألة جديرة أن تغير آراء الذين يريدون تفسير كل حركة فى ايران فى تلك القرون بالعصبية الفارسية.

ooo

الآن نرجع الى الأدب الفارسى نراقب منشأه ونتعقب تطوره منذ بدأ الى عصر التتار؛ فاما ما بعد التتار فنرجىء الكلام فيه إلى مقال آخر.

انا لا نعرف شيئا عن الشعر الفارسى قبل الاسلام حتى ليظن أن الفرس لم يكن لهم منه حظ كبير، ولأمر ما نسب بعض كتاب الفرس أول شعر فارسى الى بهرام جور، وقالوا: انه أخذ الشعر من العرب اذ تربى فى الحيرة. يذكر هذا محمد عوفى فى لباب الألباب وشمس قيس فى كتاب المعجم، ويزيد الأخير أنه قرأ فى بعض الكتب الفارسية أن علماء عصر بهرام لم يستهجنوا منه إلا قول الشعر، وأن آذرباد بن زرادستان الحكيم بالغ فى نصحه ليترك الشعر تنزها عن معايبه؛ ثم يقول إن بهرام انتصح ومنع أولاده وذوى قرباه أن يقرضوا الشعر. ثم يقول: من أجل هذا كانت مدائح باربد وأغانيه عند كسرى برويز كلها منثورة لا نظم فيها.

ويقول ابن قتيبة:

«وللعرب شعر لا يشركها أحد من الأمم الأعاجم فيه على الأوزان والأعاريض والقوافى والتشبيه ووصف الديار والآثار، والجبال والرمال والفلوات وسرى الليل. والنجوم. وإنما كانت أشعار العجم وأغانيهم فى مطلق من الكلام «منثور» ثم سمع بعد قوم منهم أشعار العرب وفهموا الوزن والعروض فتكلفوا مثل ذلك فى الفارسية وشبهوه بالعربية.»

وأما فى العصر الاسلامى فلا ريب أن الشعراء الذين يعرفهم تاريخ الأدب لا يتقدمون العصر السامانى. غير أن فى كتب الأدب الفارسى روايات عن شعر قبل قبل هذا العهد، وهى على علاتها لا تخلو من دلالة على أدب فارسى أقدم مما نعرف عسى أن يبينه التاريخ يوما.

يقول محمد عوفى معللاً ظهور الشعر الفارسى الحديث ما يأتى مترجما مختصراً: «حتى اذا سطعت شمس الملة الحنيفية على بلاد العجم جاور ذوو الطباع اللطيفة من الفرس فضلاء العرب واقتبسوا من أنوارهم ووقفوا على أساليبهم واطلعوا على دقائق البحور والدوائر وتعلموا الوزن والقافية والردف والروى والايطاء والاسناد والاركان والفواصل. ثم نسجوا على هذا المنوال —

ثم يروى أبياتا أربعة لشاعر اسمه عباس مدح بها المأمون فى مرو سنة ١٩٣ منها:

کس برین منوال پیش أزمن چنین شعری نگفت
مر زبان پارسی را هست تا این نوع بین
لیك زان گفتم من این مدحت ترا تا این لغت
گیرد أز مدح وثناء حضرت تو زیب وزین

وترجمتها:

ما قال أحد قبلى شعراً كهذا. وما كان للسان الفارسى عهد به. وانما نظمت لك هذا المديح لتزدان هذه اللغة بمدحك والثناء عليك.

فأعطاه المأمون ألف دينار عينا، وبالغ فى اكرامه — يستمر عوفى فيقول: «ولم ينظم الشعر الفارسى أحد بعده حتى كانت نوبة آل طاهر وآل الليث فظهر شعراء قليلون. فلما كانت دولة السامانيين ارتفع علم البلاغة، وظهر كبار الشعراء.»

ويروى شمس قيس: أن أول من قال الشعر الفارسى أبو حفص السغدى من سغد سمرقند وكان حاذقا فى الموسيقى، وقد ذكره أبو نصر الفارابى وصور آلاته الموسيقية وقد عاش حتى سنة ٣٠٠ﻫ وينسب اليه هذا البيت:

آهوى كوهى دردشت چگونه دودا؟
چونداردیار بی يار چگونه رودا؟

«كيف يعدو هذا الظبى الجبلى فى الصحراء؟، انه لا حبيب له فكيف يسير بغير حبيب؟»

فاما رواية عباس المروى فان المؤرخ الناقد يرتاب فيها لأن غريبا أن يبدأ الشعر الفارسى بهذا الأسلوب المتين ثم يصمت الشعراء أكثر من مائة سنة لا يؤثر عنهم شىء. وأما رواية السغدى فراجعة الى العصر الذى بدأ فيه الشعر الفارسى وسجل لنا التاريخ بعض شعرائه.

ومهما يكن من شىء فاتفاق مؤرخى الآداب على أن أول شاعر فارسى عظيم هو أبو جعفر الرودكى شاعر نصر بن أحمد السامانى — الذى يسميه معروفى البلخى (سلطان شاعران) ويقول فيه البلعمى: أنه لا نظير له بين العرب والعجم، ويعترف الدقيقى والعنصرى بتقدمه.

«يتبع»



الأدب اليـــاباني

للأستاذ أحمد الشنتناوى

كانت اليابان إلى عهد قريب محجوبة عن انظار العالم المتمدين بحجب كثيفة لايكاد المرء يتبين مايجرى وراءها بين أبناء تلك الأمة العظيمة من عادات وتقاليد. وكان الأدب اليابانى بنوع خاص من أغمض مظاهر الحضارة اليابانية أمام الباحث. ويرجع ذلك إلى صعوبة اللغة اليابانية وغرابة أحرفها الهجائية وعدم إقبال الأدباء والعلماء على تعلمها. مع أن الآداب اليابانية غنية فى مادتها متنوعة فى أبوابها، وتعد بحق بين الآداب العالمية الرائعة

وليس هناك أمة من الأمم تكون آدابها جزءا هاما من تاريخها مثل أمة اليابان، فأفراد الشعب هناك على إختلاف طبقاتهم يستسيغون الشعر ويطربون لموسيقاه، بل هم شعراء بسليقتهم لافرق فى ذلك بين النساء والرجال: فالأمة كلها تشترك فى مهرجان الشعر الذى يقيمه الامبراطور كل عام، فيأخذ كل يابانى فى إنشاد أطيب ماجادت به قريحته، ويذكرون أن الامبراطور ميدى، Meidi وهو جدميكادو اليابان الحالى كان يشجع هذه المهرجانات الشعرية، فيخصص الجوائز الثمينة للفائزين. وقد ألف هو نحو مائة ألف مقطوعة شعرية.

أما شغف اليابانى بباقى فروع الأدب فلا يقل عن شغفه بالشعر. لهذا كانت الآداب اليابانية غنية فى مادتها رائعة فى أسلوبها انسانية فى معانيها، ولكن تلك الآداب العالية لم تتخط حدود اليابان الجغرافية لصعوبة اللغة التى كتبت بها. ثم زاد من صعوبة تلك اللغة دقة المعانى وعمق الأفكار التى حملها اياها اليابانيون، والتى لاتصدر الامن أبناء الشرق الصميمين فى مدنيتهم الشرقية، ويكفى أن نقول ان كلمة «امرأة» لها فى اللغة اليابانية مايزيد على أربعة وعشرين لفظا مرادفا. كل لفظ يستعمل فى حالة معينة وظروف خاصة حسب مكانة المرأة المخاطبة الاجتماعية أو الشخصية، أو درجة الاتصال بها. كذلك لفظة «أنت» لها مايقرب من اثنى عشر مرادفا: وهذا التعدد فى الألفاظ يدلنا على مقدار الدقة التى يتوخاها اليابانى فى تعبيراته الاجتماعية والأدبية، وليس هذا فى نظرنا دليلا على رقى اللغة أو غناها فقط، انما يدل كذلك على الشعور الدقيق والحساسية الراقية، والآداب العالية هى فى لبها وجوهرها احساس دقيق وشعور متدفق.

واذا كان فن التصوير اليابانى له أثر واضح على الآثار الأوربية فانا لم نسمع قط أن الآداب الغربية متأثرة بالآداب اليابانية. ولم يمنع هذا أن يكون العكس صحيحا. فالأدب اليابانى غاص بالتراجم العديدة لكثير من الآداب الأوربية العالمية. فجميع المؤلفات القيمة من انجليزية وفرنسية وألمانية وروسية نقلت الى اللغة اليابانية. وهذا دليل واضح على تعلق هــذا الشعب الناهض بالآداب على اختلاف مناحيها.

والعصر الذهبى للآداب اليابانية الكلاسيكية هو عصر «هايين» Heian ٧٨٤ - ١١٨٦، اذ انتعشت فيه الآداب اليابانية. وظهرت فيه عدة قصص غرامية وتاريخية. كما أنه لم يخل من النشرات الأدبية الانتقادية. ولعل أهم مايلفت النظر فى ذلك العصر هو ظهور أديبتين يابانيتين شهيرتين وهما «موراساكى» Mourasaki و «سى» Sei ومور اساكى اسم يابانى معناه زهرة البنفسج وصاحبته أديبة فى أسلوبها فخامة وحلاوة وفلسفة لينة بينما «سى» ومعناها النور تمتاز بشعورها الفياض وأسلوبها السهل الممتنع. وأشهر قصة لموراساكى: هى قصتها المسماة غنسى Ghensi وهى وصف محكم وصورة طبق الأصل وملاحظات دقيقة مدهشة عن الحياة فى البلاط اليابانى فى القرن الحادى عشر. وهى كثيرة الشبه بالحياة فى بلاط لويس الرابع عشر. وقد اتخذت لها بطلا سمته «غنسى» وهو عبارة عن دون جوان آخر أى مخلوق حر بكل معنى الكلمة. يأتى مايشاء من الأفعال دون النظر اذا كان ما يأتيه يتمشى مع الاعتبارات الدينية أو الانسانية أو الاجتماعية أو لايتمشى. انما كل همه ارضاء شهواته وملاذه. فكانت له عدة مخاطرات غرامية. وهذه القصة تعطيك صورة واضحة صادقة للحياة اليابانية الاجتماعية فى عهد «موراساكى». ولاتسل عن العذوبة والروعة التى كتبت بها الحوادث الغرامية التى خاض غمارها «غنسى» وكل ذلك فى أدب وحشمة وتورع.

أما الأديبة الأخرى «سى»، فكانت معاصرة لموراساكى وتعيش معها فى البلاط اليابانى، ولقد عرفت بالكبرياء والصلابة فى رأيها. وكتاباتها ملأى بالنقد والتجريح. كذلك كانت لها قدرة على وصف الطبيعة ومابها من حيوان وطير وصفا بليغا دقيقا.

ولنذكر هنا قطعة لها تصف فيها فصول السنة الأربعة قالت:

ان الذى يسحرنى فى الربيع هو الفجر يتهادى فى مشيته على قمم الجبال، بينما كل شئ يضئ رويدا رويدا. وقطع السحاب اللازوردية تسبح فى الفضاء جماعات جماعات ....

أما فى الصيف فالذى يسحرنى فيه هو الليل ... يعجبنى منه القمر المنير..! وتسحرنى الليلة الليلاء. حيث يطير فى جوها الحالك الحباحب المشعة هنا وهنالك.. واذا تساقط المطر فى تلك الليلة فانه يزيد فى جمالها وسحرها...

والذي يسحرني في الخريف هو المساء عند ماترقد الشمس في مغربها مرسلة سهامها اللينة نحو قمم الجبال العالية. فتسرع الغربان نحو أعشاشها تطير جماعات مثنى وثلاث ورباع! حقا إنه منظر فيه حزن وجمال.... وما أجمل المنظر وأبهاه اذا لاح في الأفق البعيد سرب من الطيور البرية الصغيرة!.. بعد ذلك تختفي الشمس وتزأر الرياح وتخرج الهوام والحشرات من مخابئها صائحة مهللة. كل ذلك مما يهيج في النفس ألما لذيذا... والذي يسحرني في الشتاء هو سقوط الثلج اذا ماتنفس الصباح، فتكتسي منه الأرض حلة بيضاء ناصعة. وعندما يقر البرد توقد النيران للتدفئة. حتى اذا ما انتصف النهار وخفت وطأة البرد ترى جمرات النار وقد تحولت الى رماد أبيض. وذلك هو الحزن بعينه....!»

وفي القرون الأربعة التي أعقبت عصر (هايين) نجد القصة والشعر الياباني لا ينتقلان من مكانهما بعيدا. الا أننا نجدهما يتأثران كثيرا بالفلسفة البوذية. فينتعش الأدب التاريخي ويولد الأدب المسرحي في اليابان. وأبطاله «كابوكي» Kabouki و«نو» Nô. وفي عام ١٦٤٢ يظهر في سماء الأدب الياباني «سيكاكو» Saikakou وهو أستاذ الأدب الواقعي في اليابان. وقد خلف هذا الأديب مؤلفات وافرة وتلاميذ كثيرين وكانت الآداب اليابانية قبل عهده تعد في جملتها آدابا أرستقراطية كتبت لخواص الناس وأهل الثقافة منهم، فأتى سيكاكو وجعل من الأدب الياباني أداة للافصاح عن مشاعر الانسانية وعواطفها وهمومها وأحزانها أي تلك النواحي العامة التي قد يشعر بها رجل الطريق قبل أن يشعر بها رب الجاه والسلطان. وهو في وصفه وتحليله لتلك العواطف الانسانية راعى الدقة التي يلاحظها النباتي في وصفه لزرعه؛ أو عالم الحيوان في دراسته لحشرة من الحشرات. وتظهر هذه المقدرة بأجلى بيان في قصته المسماة «حياة امرأة» وصف فيها سيكاكو كيف تكون حياة المرأة الخليعة المستهترة التي لا يهمها من عيشتها الا اشباع شهواتها وقضاء ملاذها، ولكن حياة الدعارة والمجون نهايتها دائما محزنة مبكية فنرى في نهاية القصة تلك المرأة التي كانت بالأمس زينة المجالس وبهجة الناظرين تهجر العالم بعد أن عضها البؤس بنابه. وتنزوي بين منعطفات الجبال في كوخ حقير من القش والخرق البالية...!

ولعل تيكاماتسو Tikamtsou أشهر كاتب درامي في اليابان. فهو يعد بحق شكسبير الأدب الياباني. ولكنه اقتصر في مؤلفاته على الاشادة بذكر العواطف الانسانية العالية وتحليلها كالحب والشرف والاخلاص والعفاف. ويعده البعض بين زمرة الشعراء لأن رواياته كتبها كلها نظما ولكننا لا ننسى أن معظم كتاب اليابان الأقدمين كتبوا آثارهم شعرا لأنهم عشقوا الشعر وطربوا لأنغامه الموسيقية فألهاهم ذلك عن كل شيء آخر. «وتيكاماتسو» هذا خالق الدرامة اليابانية التي تصف الحياة اليومية وتتغلغل في أعماقها وتكشف عما بها من محاسن ومعايب. وتعبر عما تختلج به قلوب الآلاف من المظلومين والمساكين.

ظل الحال على هذا المنوال حتى الثورة اليابانية التي شب لظاها عام ١٨٦٧ والتي يرجع سببها الى الروح الغربية التي بدأت تتسرب الى بلاد اليابان الهادئة المطمئنة حوالى ذلك الوقت. فتأثرت الآداب اليابانية كما تأثر الفن الياباني. كذلك لم يسلم من هذا التيار الجديد الحياة الاجتماعية نفسها. فتغير سلوك الفرد ونظام الأسرة. حتى المساكن وأنواع الأطعمة دخل عليها شيء كثير من التعديل والتغيير. وغدى المجتمع الياباني شيء آخر جديد مغاير لليابان إبان عهد هايين أو سيكاكو. وبدأ الشعب الياباني يقف على مسرح الحياة بنفسه بعد أن كان الى هذا العهد مشاهدا متفرجا لما يقع بين ظهرانيه. اذ بعد أن هدأ تيار الثورة وخمدت الحروب الأهلية حوالى سنة ١٨٨٠ ظهر في الأفق شعاع جديد لامع يبشر بمستقبل أدبي جديد ثم تلبث أن أشرقت في أثره شمس الآداب اليابانية الحديثة وهي موضوع الكلام في مقالنا الثاني ان شاء الله؟

oooooooooooo

قصة فيلسوف عاشق

للدكتور طه حسين

لا أعلم أن الفلسفة تحظر الحب على أهلها. بل الذي أعلمه أن الفلسفة حب كلها. وليس اسمها إلا لفظاً من ألفاظ الحب: ولكن هذا الحب اذا احتل قلباً شغله عن كل شيء. واستأثر بكل ما فيه من قوة وعاطفة وهوى. ولم يدع من ذلك للحياة اليومية العاملة إلا شيئاً يسيراً جدا.

فالفلسفة حب الحكمة. وهذه الحكمة شديدة الغيرة. شديدة الأثرة: لا تحب الشركة ولا ترضاها. ولا تسمح لعشاقها بأن يصفوا بودهم شيئاً أو أحداً غيرها. فمن فعل ذلك أو شيئاً منه. فليس هو من الحكمة في شيء: وإنما هو رجل مثلك ومثلي يغشى الأندية. ويضطرب في الشوارع. ويعيش مع الناس. وليس له حظ من المدنية الفاضلة التي يسكنها ويسيطر عليها عشاق الحكمة وحدهم.

لذلك كان أمر هذا الفيلسوف الذي أحدثك عنه عجباً من العجب. وفناً من هذه الفنون النادرة التي لا يظفر بها المؤرخون والقصاص إلا في مشقة وعسر. وإلا على أن تفرق بينها القرون الطويلة والعصور البعيدة. والذي أعرفه أن التاريخ لم يظفر قبل فيلسوفي هذا العظيم بعاشق قد دلهته الحكمة. وعبث بلبه جمال إلاهتها العليا: ولكنه على ذلك استطاع أن يشغف بالاهة أخرى يشركها مع هذه الالاهة التي كان يصورها اليونان في صورة أتينا، تلك التي خرجت من رأس أبيها زوس. تامة الخلق. مكتملة الشباب. فيها جمال فتان؛ ولكن فتنته تخلب بقوتها لا برقتها.

لم يعرف التاريخ عاشقاً من عشاق أتينا استطاع كما استطاع فيلسوفي العظيم، أن يشرك معها امرأة من النساء في حبه وهيامه، وأن يختصها من هذا الحب والهيام بمثل ما اختص به إلاهة الحكمة نفسها. وأن ينتهي به الأمر الى أن يخلط ابنة زوس بابنة باريس. ويتخذ منهما شخصاً واحداً يحبه ويقدسه. ويصوغ له ديناً قوياً خصباً. ويحاول أن يبسط سلطان هذا الدين على الانسانية كلها. أو على الانسانية المسيحية على أقل تقدير.

أظنك قد عرفت هذا الفيلسوف. فهو (أغست كونت) مؤسس الفلسفة الوضعية. وواضع علم الاجتماع. وصاحب السلطان العظيم على العقل الفرنسي. ثم الأوروبي. ثم الامريكي. عصراً طويلا من القرن التاسع عشر. وأظنك قد عرفت هذه المرأة التي زاحمت الفلسفة في قلب (أغست كونت) فكادت تغلبها عليه. أو غلبتها عليه بالفعل: ثم أصبحت إلاهة للفيلسوف يعبدها كما يعبد النصارى المسيح، وكما كان الوثنيون من اليونان يعبدون أتينا أو أرتميس. ثم أصبحت إلاهة لجماعة من تلاميذ الفيلسوف المتفرقين في أطراف الأرض. ثم أقيم لها معبد لايزال يحج اليه الى الآن في باريس، وأقيمت لها معابد متفرقة في أمريكا الجنوبية. حيث لايزال للفيلسوف أتباع يتابعونه في القسم المتطرف من فلسفته.

هذه المرأة هي (كلوتلد دي ڤو) وأظنك تطمئن الآن وقد سمعت هذين الاسمين، الى أني لا أخترع ولا أتبع الخيال. ولا أضع قصة: وإنما أكتب فصلا من فصول التاريخ. وليس من الضروري أن يلجأ الكاتب الى الخيال والاختراع. ليستطيع أن يمتع قراءه. وأن يؤثر في نفوسهم ويثير فيها هذه العواطف الحادة المختلفة التي تعبث بها حين تحس لذة أو ألما. وحين تجد حبا أو بغضا. وحين تشعر بحزن أو سرور. فقد تكون الحقائق الواقعة أبرع وأروع من أحسن القصص الخيالية وأبدعها. ولكني في حاجة الى أن أقدم اليك شخص هذين العاشقين قبل أن أحدثك عن عشقهما. وأقص عليك ما كان بينهما من غرام.

نشأ أغست كونت مع القرن التاسع عشر. ولم يكد

يتوسط العقد الثانى من عمره حتى ظهر تفوقه فى العلوم الرياضية . ولم تكد تتقدم به السن قليلا حتى عرف له هذا التفوق . واذا هو حجة فى هذه العلوم . واذا هو لا يقف عندها . ولا يقتصر عليها ، وانما يفكر فى الصلة بينها وبين بقية أنواع المعرفة الانسانية من جهة . ويفكر من جهة أخرى فى الحياة الأوربية المضطربة بعد الثورة والامبراطورية . فيحاول أن يضع ترتيباً جديداً للعلوم . ويوفق الى ما يريد . ويحاول أن يجد نظاماً جديداً تقوم عليه الحياة الأوربية . فيوفق أيضاً . ويصبح لهذين النوعين من التوفيق صاحب الفلسفة الوضعية ومؤسس علم الاجتماع .

ولكن فلسفته الوضعية هذه . كانت حديثة ثائرة لا تستأثر بالقلوب استئثاراً مطلقاً . ولا تقطع على أهلها سبيل الحياة . فسمحت لعاشقها (أغست كونت) أن يعيش كما يعيش الناس . وأن يحب كما يحبون . فعاش وأحب . ولكن أى عيشة وأى حب ؟ تركت الفلسفة قلبه حرا . وشغلت عقله كله . فاختار فى الحب بحسه وقلبه . ولم يختر بعقله . فيابئس ما اختار ! اختار امرأة جشمته الأهوال . وعلمته كيف تحتمل الآلام . وكيف يتجرع الانسان مرارة الغيظ : كانت هلوكا فاجرة . وخيل الى (أغست كونت) أنها نقية طاهرة . فأحبها وأظهرت له الحب . وخطبها فقبلت الخطبة ، وتزوجها فقبلت الزواج . وما هو إلا وقت قصير حتى تبين من أمرها ما كره . فخاصمها وقاومته ، وأنذرها فازدرته . وحاول أن يعاقبها فثارت به . وصبر الرجل وصابر حتى جن . واذا هو يلقى نفسه فى النار . واذا الشرطة تستنقذه وتدفعه الى المستشفى ، فيقيم مع المجانين حينا ثم يفيق فيستأنف الفلسفة ، ويستأنف التعليم . ويستأنف الحب والعذاب . ويجن مرة أخرى . ويفيق وتنقطع الصلة بينه وبين امرأته فى غير طلاق ، لأن القوانين الفرنسية لم تكن تبيح الطلاق يومئذ . فنشاطه إذاً موقوف على الفلسفة والتعليم .

فى سنة ١٨٤٠ كان فيلسوفنا ممتحناً فى مدرسة الهندسة Polytechnique . وكان بين الشبان الذين تقدموا إليه فى هذا الامتحان غلام فى الخامسة عشرة من عمره ، هو (مكسيمليان مارى) . رآه الأستاذ الفيلسوف وسأله . فأحبه وأعجب به . ورأى أن الخير فى ألا يقبله هذا العام . فأجله سنة ثم قبله بعد ذلك . واتصلت بين الأستاذ وتلميذه محبة لم تلبث أن بلغت أقصاها . وإذا الفتى يميل إلى أستاذه وفلسفته وإلى تجربة خاصة . وإذا هو يستقيل من المدرسة ويتبع الأستاذ ويتلمذ له ويعيش من التعليم فى المدارس الحرة على كره من أبيه . وفى سنة ١٨٤٤ يتزوج هذا الفتى ويعيش مع امرأته فى بيت الأسرة . حيث يزوره الأستاذ من حين إلى حين . وهناك يلقى أخته (كلوتيد) فلا يكاد يسمعها ويتحدث اليها . حتى تبتدىء بينه وبينها قصة الغرام .

وكانت كوتيلد هذه فى الرابعة والعشرين من عمرها ولكن حياتها كانت مفعمة بالخطوب . كان أبوها رجلا من الطبقة الوسطى . عمل فى جيش الأمبراطورية وارتقى فى آخر عهد الأمبراطور إلى رتبة الكابتين ، ثم سقطت الأمبراطورية فأحيل إلى الاستيداع . وعاش من مرتبه العسكرى الضئيل . وكانت أم الفتاة من أسرة شريفة من أهل اللورين . فنشأت (كلوتيد) نشأة فيها بؤس وضيق : ولكن فيها احتفاظاً شديداً بتقاليد الطبقة الوسطى . ولم تكد تتجاوز الخامسة عشرة حتى زوجت من رجل يحمل اسما من أسماء الأشراف . ولكن حظه من الشرف كان قليلا . وهو (ميودى فو) . اقترن بالفتاة وعين جابياً للضرائب . وقضى مع امرأته أعواماً لا هو بالسعيد ولا هو بالذى يمنح امرأته قسطاً من السعادة . ثم أصبح الناس ذات يوم . وإذا هو قد ذهب إلى سفر مجهول ، وما هى إلا أن يبحث عنه ويفتش عن أمره . حتى يظهر أنه قد بدد أموال الدولة . وشيئاً كثيراً من أموال الناس فى اللعب . ثم هرب من فرنسا ، إلى حيث لم يعرف من أمره شىء .

فظلت هذه المرأة الشابة معلقة . لا هى بالمتزوجة ، ولا هى بالمطلقة ، محزونة . يائسة ، لا أمل لها فى الحياة . عادت إلى أسرتها تعيش بينها . وعكفت على نفسها تعيد وتبدى ما يجول فيها من خواطر الألم والحزن . ثم أخذت تكتب ما تحس وتقيد ما تجد . وإذا هى كاتبة لها حظ من أدب ونصيب من خيال . وكان جمالها معتدلا لا إسراف فيه . وكانت المحنة قد أفادتها رصانة ورزانة . وأفاضت على شخصها شيئاً من الحب يعطف النفوس عليها . وأجرت فى حديثها شيئاً من العذوبة الحلوة الهادئة ، يحببها إلى القلوب .

فلما لقيها الفيلسوف فى بعض زيارته لأخيها . نظر اليها فلم تكد تبلغ نفسه . ونظرت هى إليه فأنكرته وأكبرته . أنكرت شكله الدميم . وصورته القبيحة ، وخلقه المضطرب المرتبك . وأنكرت صوته الغليظ . وحديثه المتكلف . ولكنها

أعجبت بذكائه، وأكبرت عقله وفلسفته. وسكتت عنه. وسكت عنها. واتصلت الزيارات. واتصل اللقاء. وأخذت نظرات الفيلسوف تستقر على الفتاة. وأخذت أذن الفتاة تطمئن إلى حديث الفيلسوف. ولكن أحداً منهما لم يشعر بأن صاحبه قد وقع من نفسه موقعاً خاصاً.

كان الفيلسوف يزور الأسرة ثلاث مرات في الاسبوع. وكان يجد لذة ودعة في هذه الزيارة. كان يلقى ثلاثاً من النساء: أم تلميذه وكانت مشغوفة بالتصوير. تحاول دائماً أن تصور الفيلسوف، وزوج تلميذه وكانت موسيقية تطربه بالتوقيع على البيانو، وكلوتيلد أخت تلميذه وكانت أديبة تحدثه عن الأدب وعن قصتها التي أنشأتها وسمتها «لوسي» ورمزت فيها لحياتها الخاصة، وربما أنشدته شيئاً من شعرها. ولم يكن الفيلسوف يحب الأدب ولا يحفل بالشعر، ولكنه كان يجد لذة في أدب كلوتيلد، ويذوق الجمال في شعرها وإن لم يكن هذا الشعر جميلا، وإن لم يكن مستقيم الوزن أحياناً. وكان الفيلسوف يتحدث إلى كلوتيلد عن فلسفته الوضعية. وعن مجلداته الخمسة التي ظهرت تذيع هذه الفلسفة في الناس، وعن أنصاره وخصومه، وعن دروسه في الفلك. وكانت الفتاة تعجب بهذا كله، وإن لم تكن بطبعها مشغوفة بالفلسفة. وكان الفيلسوف يلتمس إرضاءها والتقرب إليها على غير شعور منه. فيذكر لها براعة النساء في الأدب والفلسفة. وكان هذا الحديث يروقها ويتملق كبرياءها. وكانت الفتاة تكبر في نفسها حين ترى الفيلسوف قد رآها لثقته أهلا. وذات يوم سقطت على الفيلسوف من السماء سعادة لم يكن يقدرها ولا ينتظرها ولا يحسب لها حساباً. زاره تلميذه ومعه أخته: وكان الفيلسوف في جماعة من العلماء. وكان الحديث علمياً عميقاً. فابتهج الفيلسوف وأعجبت الفتاة، وجلست تسمع في إكبار وتثاؤب خفيف لحديث العلماء. ثم همت تريد أن تنصرف فجمع الفيلسوف شجاعته كلها في يديه واستأذن الفتاة في أن يزورها في بيتها الخاص، فأذنت. هنالك بدأت الخصومة بين آلهة الفلسفة وآلهة الجمال. هنالك اضطرب «اغست كونت» بين العقل والقلب، وبين التفكير والحب. هنالك أخذ الفيلسوف يسأل نفسه: ما قيمة هذا العلم الخالص الجاف؟ وما قيمة هذا التفكير العميق العقيم؟ ومتى كان الرجل رجلا بعقله دون قلبه؟ ومتى كان الإنسان انساناً بالتفكير دون الحب؟ إن الانسان لا يستطيع أن يفكر في كل وقت. ولكنه يستطيع أن يحب دائماً. وإذاً فقد تكون آلهة الفلسفة مسرفة في الطغيان، وقد يكون من الممكن أن يتخذ «اغست كونت» رأسه معبداً لاتينا وقلبه معبداً لكلوتيلد.

وابتدأت زيارة الفيلسوف للفتاة في بيتها. وإذا الحب يعلن. وإذا الفيلسوف يلح في حبه ويسلك إلى إقناع الفتاة بهذا الحب طرقاً، منها الملتوى، ومنها المستقيم. ولكن كلوتيلد لا تحب ولا تهوى، إنما تعجب وتكبر. فهي ترده عنها في رفق، وتطلب إليه مودته دون حبه. فلا يكاد يعرف منها هذا حتى يضيق بنفسه وبالحياة. وحتى تضيق به صحته. ويعجز جسمه ورأسه عن احتمال هذا الخذلان، فهو مريض يلجأ إلى السرير أياماً، وهو مشفق أن يعاوده جنونه القديم. على انه يبل من مرضه، ويحاول أن يجدد عهده بالفتاة. ولكنها تحظر عليه زيارتها في بيتها، وتعده باللقاء عند أمها مرتين في الاسبوع. فلا يكفيه ذلك. فتعده بلقائه مرة ثالثة. فلا يكفيه ذلك أيضاً، وتتصل بينهما كتب فيها حوار حلو ملؤه الحنان حين يصدر عن الفتاة. عنيف معوج ملؤه الفلسفة حين يصدر عن الأستاذ. ثم يستحيل هذا الحب في نفس الفيلسوف إلى شكل جديد. فليس هو حباً عادياً كهذا الذي يكون بين الناس. وإنما هو التقاء شخصين عظيمين قد خلقا ليلتقيا ثم ليتعاونا على إصلاح الانسانية وإنهاضها. هي اذن قد خلقت له ولن يدعها ولن يتخذ غيرها زوجاً اذا ماتت زوجه النائية، ثم تستحيل هذه العواطف ويستحيل هذا التفكير إلى فن من الفلسفة، يضعه «اغست كونت» في رسالة، ويهدى الرسالة إلى الفتاة بهذا العنوان: «رسالة فلسفية في التذكار الاجتماعي». في هذه الرسالة يتغير رأى «اغست كونت» في المرأة ومكانتها الاجتماعية تغيراً تاماً. فقد كان منذ أشهر يكتب إلى تلميذه «ستوارت ميل» فيرى أن ليس في المرأة أمل ولا خير. أما الآن فهو يرى المرأة عنصراً أساسياً في الاصلاح الاجتماعي الذي وقف نفسه عليه. وقد سرت الفتاة بهذه الهدية، وكبرت في نفسها

فزارت الفيلسوف مع أمها شاكرة له.

هنالك نشط الإمل وتجددت الحياة ، واعتقد الفيلسوف أنه سعيد . واستأنف الحاحه على الفتاة ، واستأنفت الفتاة مدافعته عن نفسها . واختالت فى ذلك حتى زعمت له أنها قد أحبت من قبله فتى كان لحبها أهلا ، وأحبها الفتى وسعد بهـذا الحب : ولكن لم يجدا الى الزواج سبيلا . لأن الفتى كان معلقاً مثلها يخاصم امرأته ولا يستطيع لها فراقا . فيئست من الحب والسعادة . وأزمعت أن تنصرف عن لذات الحياة أبدا . ولكن الفيلسوف مغرم . والغرام لا يعرف اليأس . وهو اذا كان صحيحاً قويا قد يتحول ويتشكل ، ولكنه لا يزول . وماالذى يمنع غرام كونت أن يتخذ شكلا فلسفيا ولو الى حين . لقد كان عود نفسه الحرمان منذ دهر طويل ، فألغى القهوة منذ عشرين سنة ، وترك التدخين منذ عشر سنين . ثم ألغى النبيذ ثم ألغى الفاكهة . ثم اتخذ ميزاناً يزن به مايلائم حاجة جسمه من الطعام الخشن ، وكان ربما يكتفى بالكسرة من الخبز يتبلغ بها ، وهو يفكر فى اخوانه من الناس الذين قد لا يظفرون بمثلها . ومادام قد سيطر على نفسه الى هـذا الحد . وعودها هذا الحرمان فى الطعام والشراب ؟ فماله لايزيد هذه السيطرة وماله لايعود نفسه الحرمان لا فى الحب بل فى لذات الحب . إذاً فليبق حبه قويا حارا : ولكن ليظل هذا الحب نقيا طاهرا مجدبا من كل لذة . ولينتظر . وليجتنب اليأس . فكل شىء يدنى الفتاة منه . وكل شىء يدنيه من الفتاة . لقد أصبحت زميلة له منذ نشرت بعض الصحف السيارة لها قصتها التى وضعتها عن نفسها فأصبحت كاتبة مثله تتحدث الى الناس فى الأدب كما يتحدث هو الى الناس فى الفلسفة . هما إذاً زميلان . بل هما أكثر من زميلين : فقد أخذت الفتاة تدنو من مذهبه فى الفلسفة . وتحس ميلا الى آرائه الاجتماعية . وتكون منه مكان التلميذ والنصير . فليحب إذاً وليصبر . وفى أثناء ذلك كانت أم الفتاة تقول لها : لولا أن مسيو كونت قبيح دميم لقلت انه يتملقك ويدور حولك كما يدور العاشقون حول من يحبون . ومع ذلك فان من الحق عليك ولنفسه أن يفكر فى أن هذه الزيارات المتصلة المنظمة . لا تليق بك ولا به لأنها تخالف العرف المألوف أشد الخلاف .

« يتلى »

انظر مجلة الثعالبى التى صدرت فى أول فبراير سنة ١٩٣٣

الوادى (١)

للشاعر الفرنسى لامرتين

ان قلبى المكلوم . المتقطع حبل رجائه حتى من الأمل . لن يزعج الأقدار بعد الآن بابتهالاته كما كان يزعجها من قبل .

ولكن أيها الوادى . يامأواى فى أيام طفولتى ، افسح لى مجالا — ولو ليوم واحد — فأعيش فى ربوعك فى انتظار المنون .

* * *

هاهى ذى الطريق الضيقة المؤدية الى ذلك الوادى المظلم :

هنا . فى أحضان هذه الروابى . تقوم أشجار تلك الغابات الكثيفة ، فترسل ظلها على وجهى الشاحب . وتحوطنى بسكون مسكر

وهناك جدولان يجريان تحت « جسور (٢) » من الأعشاب المخضوضرة ، فيرسمان فى انسيابهما تعاريج الوادى ومنحدراته . وتراهما بين الفينة والفينة . يمزجان تموجاتهما الفضية بألحان خريرهما العذبة ، ثم يتلاشيان قريبا من المنبع . بعيداً عن أعين الناس .

* * *

وأيامى فى انسيابها أشبه بهذين الجدولين ! فهى تمضى وتتلاشى دون أن يشعر بها الناس . ودون أن تحدث ذلك الخرير العذب ! أما نفسى الكئيبة الملتاعة فهيهات أن تعنى بحياة يوم جميل من أيام حياتى .

ان خمائل الوادى الفينانة . بظلها المخيم . دفعتنى لقضاء النهار (٣) كله على ضفاف جداولها . فنفسى الحساسة تغفو على أنغام خرير المياه . كما يغفو الطفل فى مهده على صوت المناغاة .

هناك تحوطنى الطبيعة بأسوار من العشب الأخضر . وبأفق محدود . لكنه فسيح لناظرى .

١) نظم لامرتين هذه القطعة الشعرية الممتازة فى أواخر عام ١٨١٩ ، بعد أن قام فى الوادى الذى يعنيه Férouillet سنة كاملة .

٢) أصل هذه الكلمة Ponts وقد احتفظنا بمعناها الصريح .

٣) هنا يتذكر الشاعر يوما مشئوما كاد يموت فيه غرقا فى بحيرة صغيرة لولا نشاط أحد أصحابه إيمون فيريو .

انى أحب أن أثبت قدمى ، وأن أبتعد عن الناس لأسمع خرير المياه ، ولأتمتع برؤية السماء .

***

لقد رأيت فى حياتى أموراً كثيرة ، وشعرت باحساسات جمة . وملأت أيامى عيشا . والآن جئت أستوحى الطبيعة فى هدوئها الشامل .

أيتها الأماكن البهيجة الجميلة ! كونى لى تلك الضفاف التى ينسى الانسان بقربها كل شىء . فقد أصبح سر سعادتى فى النسيان .

***

هنا يطمئن قلبى : هنا ترتاح نفسى : هنا تلفظ ضوضاء العالم البعيد أنفاسها الأخيرة كما يلفظ الصوت البعيد أنفاسه حين تبعديه الشقة قبل أن يصل مع النسيم الى الأذن الحائرة .

***

من هنا ، ومن خلال هذه الغيوم الصافية ، أرى ماضى حياتى يختفى فى ظلام دامس . تاركا فى نفسى ذكريات حية لحى . كما تترك اليقظة فى نفس المستيقظ صور خيالات جميلة لحلم لذيذ قد استفاق منه .

***

يا نفسى ! خذى حظك من الراحة فى هذا المنزل الأخير كما يأخذ المسافر الطافح قلبه بالآمال . حظه من الراحة ، قبل أن يدخل أبواب المدينة ، يستنشق هنيهة نسيم المساء المعطر .

ولننفض نعالنا كما يفعل هذا المسافر ، لأننا لن نمر ثانية فى هذه الطريق التى اجتزناها مملوءة بالغبار . ولنتذوق مثله أيضا ، فى آخر مرحلة من طريقنا . هذا الهدوء الذى يبشرنا بضجعتنا الابدية .

***

أيها الانسان ! ان أيامك المعدودة ، التى تشبه فى حلكتها وقصرها أيام الخريف ، تنحدر بك كما ينحدر الظل على جوانب الهضاب . فالصداقة . تخونك ، والرحمة تعرض عنك ، الى أن تتركاك فى طريق القبر وحيدا .

***

ولكن الطبيعة هنا تدعوك اليها لتبثك أشواقها ، فارتم فى أحضانها .

عند ما يقلب لك كل شىء ظهر المجن ، عند ما يخونك كل شىء ، ويعرض عنك ، ترى الطبيعة على حالها المعهودة . فالشمس نفسها تشرق طيلة أيام حياتك .

***

ان الطبيعة لم تزل كما كانت عليه بالامس . ترشدنا تارة بنور حقيقتها ، وتضللنا أخرى . فلا تأسف أيها الانسان لكل ما تضيعه من متاع الحياة الدنيا . وتعال نعبد ذلك الصدى وألحان تلك الموسيقى العلوية كما كان يتعبدهما « فيثاغورس (١) » من قبلك .

***

دع الطرف يناجى الغزالة فى سمائها نهارا . والأشباح فى محرابها ليلا : واسبح مع الغيوم على بساط الريح : واخترق غابات الوادى الظليلة مع أشعة ذلك الكوكب الخفى .

***

ان الله خصك أيها الانسان بالعقل والفطنة لكى تتحقق بهما وجوده . فاستجله فى صحيفة الطبيعة ، فان فى سكونها وهدوئها صوتا يهتف باسمه .

من منا لم يسمع هذا الصوت يدوى فى أعماق قلبه ؟ .

بيروت — محمد كرما

١) هو عالم وفيلسوف يونانى ، عاش فى القرن السادس قبل المسيح . تعشق الطبيعة ، وهو مدين لها بكثير من بحوثه العلمية . كسرعة الصوت فى الهواء . وأسباب حدوث الصوت . الخ . . .

غـــيرة

قد زرعنا بين أفواف الربا   وردة الحب لاقبال الربيع
داعبتها عند إقبال الصبا   نسمة الآصال والصبح الوديع

....

خلع الروض شذاه بعدها   وحبتها اللون وجنات الحبيب
فهى كالنار ، ولكن عندها   تشتهى الأفواه تقبيل اللهيب

....

كان قلبى مسرح الود الندى   وسقته العين أمواه الحياه
وعزيز أن أرى غرس يدى   تحتويه بين عينى الشفاه

....

وردة الحب استباحت أدمعى   وتولت عند إقبال الخريف
عذبت قلبى وأبكته معى   وأرتنى كيف إذلال الضعيف

« محمود محمد منتصر »

العلوم

أسرع كمرة فى العالم

صورة تؤخذ فى جزء من ٤٠٠٠٠ من الثانية

اذا أردت أن تصور جسما ثابتا ، كتمثال من الحجر . كفاك فى ذلك أن تثبت أمامه كمرة غاية فى البساطة ، تتكون من خزانة مظلمة ، بسطحها القريب من التمثال عدسة تركز الأشعة المنبعثة منه على فلم حساس فى السطح المقابل من الخزانة . فترتسم عليه الصورة المرغوبة . ثم يستخرج الفلم فى الظلام ويثبت بالطرق المعروفة . ومن أهم الأمور التى يراعيها المصور مدة التجلية Exposure أى مدة تعريض الفلم للضوء . وهى تتوقف على أمرين : أولهما درجة احساس الفلم . وثانيهما شدة الضوء الذى ينير التمثال . وفى المثل الذى نحن بصدده يكفى أن يغطى المصور عدسة هذه الكمرة البسيطة بورقة مقواة سوداء . فاذا حان وقت التصوير جلى عن الفلم مدة ثانية أو ثانيتين أو ثلاث أو أربع حسب ضوء الشمس الحاضر ، وذلك بازاحة الغطاء ثم رده سريعاً الى مكانه .

هب بعد ذلك أنك تريد تصوير رجل من لحم ودم ، وهب أنك وقفته مكان التمثال وجليت عن الفلم ثلاث ثوان أو أربع . فهل تدرى ما الصورة التى تخرج لك ؟ صورة مغبشة على الأغلب لأن الانسان ليس له سكون الحجر ، فهو لا يستطيع صبراً على الوضع الواحد . فيتحرك فيتخذ أوضاعا كلها ترتسم على الفلم فتخرج الصورة مبهمة الحدود متضاعفة الخطوط يختلط بياضها بسوادها . فتجد نفسك عندئذ فى حاجة الى تقصير مدة التجلية حتى لا يتحرك الرجل . ومعنى هذا أنك بحاجة الى زيادة حساسية الفلم . ومعنى هذا أيضا أنك بحاجة الى زيادة شدة الضوء . فبدل أن تصور فى نور الصباح الأول أو فى نور المساء الأخير . تصور والصباح ضاح مشرق ، وعندئذ تكفيك بعض الثانية عن الثوانى الكثيرة

هب بعد هذا أنك تريد أن تصور رجلا وهو يسير ، أو حيوانا كقطة أو كلب لا تستطيع أنت أن تريده على السكون ، أو هب أنك تريد أن تصور حصانا وهو يجرى . أو طائرا إذ يطير ، أو قطارا ينهب الأرض . فقد لا تنفعك تجلية الفلم ثانية أو عشر الثانية . فالقطار الذى يسير بسرعة ٦٠ كيلو متراً فى الساعة يقطع فى الثانية الواحدة نحوا من ١٧ مترا . فانظر كم صورة تنطبع عندئذ على الفلم فى الثانية الواحدة . وتخيل مقدار تغبش الصورة الحاصلة .

فكان لابد من تقصير مدة التجلية تقصيرا كبيرا كأن تكون مدة التجلية جزءا من مائة من الثانية أو من مائتين ، ولما كانت اليد الانسانية لا تستطيع كشف العدسة وتغطيتها بهذه السرعة كان لابد من ابتداع غطاء تحركه قوة آلية كقوة الزنبركات مثلا ، وتدخلت الكيمياء لتزيد فى حس الأفلام لكى تتأثر بالضوء فى المدة القصيرة الجديدة . وتقدم الانسان فى اختراع الكمرات السريعة حتى أصبح تصوير المتحركات أمرا سهلا لا يكلف تعبا ولا اجهادا ، وأصبح مألوفا حتى لا يثير استغرابا ولا اعجابا . وصرنا نحلل بها حركات الحيوان لنعرف منها تفصيل سيره . ونحلل حركات الطائر لندرك منها كنه طيره ، وصرنا نجمع هذه الوحدات التى تحللت اليها الحركة . والعناصر التى تقسمت اليها أفعال الحيوان والانسان ، فنعرضها على الشاشة البيضاء متتابعة متواصلة . فنحكى من حوادث الوجود ما نشاء أين نشاء ومتى نشاء .

ولكن من حوادث الوجود ما يحدث فى مدد قصيره تنافس العين فى لحظتها والخاطر فى لمحته ، فلا بد من تقصير مدة التجلية إلى ما يسبق لحظة العين ويقاصر لمحة الخاطر ، وإذن فلا بد من الزيادة فى حساسية الأفلام . ولا بد من زيادة الضوء حتى يزيد على ضوء الشمس . فجد الباحث بعد الباحث ، وعاون المفكر المفكر . وتضافر الطبيعى والكيميائى . والرجل النظرى والرجل التطبيقى : حتى جاءت الأنباء حديثاً بأسرع كمرة عرفها الزمن ، كمرة إذا صدقت الأخبار العاجلة تصور الصورة فى جزء من أربعين ألفا من الثانية ، اخترعها أستاذان من أساتذة معهد الصناعات بماساشوسيت بالولايات المتحدة . وهى تعتمد بالطبع على فلم شديد الحس . ولكن أكبر اعتمادها على دورة كهربائية تستطيع أن تحدث برقة ضوئية أسطع من شمس الظهيرة مرات وهى تعدل فى شدة ضوئها ٤٠٠٠ مصباح كهربائى مركزة كلها فى صعيد واحد . قوة الواحد منها خمسون وطا .

وقد استطاعا أن يصورا بها أموراً عدة لا تستطيع أن تصورها الكمرات السريعة المعروفة . نذكر من ذلك صورة للماء النازل

من الصنبور ، فهذا يخرج تحت ضغط وتسير قطراته فى السيل المندفع بسرعة كبيرة . والى هذا فهى تتحرك فى كل جهة بحركات تختلف سرعاتها باختلاف تدافع القطرات واتجاهها ، وتراها فى الصورة المرفقة كأنما قال لها الله اجمدى مكانك فجمدت . وتراها على غير ماتراها العين من الانسجام والملاسة .

الماء والصنبور

ومن ذلك صورة للمضرب إذ يضرب به اللاعب الكرة فى اللعبة المعروفة بالجلف . فانك ترى الكرة المصنوعة من المادة الصلبة القوة قد انبطحت من قوة الضربة : ولأن انبطاحها لايستغرق إلا جزءاً من الثانية فى غاية الصغر كان من المتعذر على العين أن تراه ؛ وكان من المتعذر على الكمرات العادية أن تسجله . وبقى أمراً مفروضا حتى أتت الكمرة السريعة فجعلته رأى العين . والعين جهيزة الحجج ، إذا رأت قطعت قول كل خطيب .

المضرب والكرة

على أنه لا يفوتنا أن ننبه الى أن كل صورة لشىء متحرك . مهما كان نوعها . وبأى كمرة صورت ، ما هى الا مجموعة من صور لا حصر لعددها . هب أنك أخرجت يدك من جيبك فوضعتها تحت ذقنك ؛ وهب أن هذا حدث فى ثانية واحدة ، فانك لتجد يدك اتخذت عدداً من الأوضاع لا حد له . فما دامت يدك فى حركة مستمرة ففى كل من أجزاء الثانية . مهما صغر ، وضع خاص به يختلف عن وضع الجزء الذى يليه من الثانية . ومن الطبيعي أننا كلما زدنا للثانية تجزيئاً زادت هذه الأوضاع عدداً . ولكن كذلك كلما زدنا فى التجزئة قل الخلاف بين أشكال هذه الأوضاع العديدة حتى تعجز العين الانسانية عن ادراكه . فصور الكمرة السريعة المرفقة هى فى الواقع عدة من صور عجز حس الانسان عن ادراك الفروق بينها . فحس الانسان لدقائق المكان محدود ، كما أن حسه لدقائق الزمان محدود .

ولعل هذا الثلم فى الاحساس نعمة من نعم الله . ولو أن هذه الحدة فى الاحساس بالزمان والمكان أعطيت لى هبة لترددت كثيراً فى قبولها . لأنى ان قبلتها لم أجد فى الكون شيئا ناعماً . حتى أكثر المرايا انصقالا تصبح فى عينى كسطح الصخرة المتهشم . ولأنى ان قبلتها ترامت لى الدنيا تموج بمخلوقات أنا الآن عنها أعمى . وتكشف لى فى طيات الدنيا التى أعرفها وفى حواشيها دنى أنا سعيد بجهلها . ولأنى ان قبلتها لم يكن للفظة السكون موضع من قاموس لغتى . ولأصبحت أحس فى هدوء هذا الليل وأنا أكتب هذه الكلمة على مكتبى هذا الساكن ، وفى حجرتى هذه الهادئة كأنى أكتبها فى عربة رجراجة من عربات الترام اذ تمر نهاراً فى أشد أحياء المدينة صخباً وجلبة . وأخيراً لأنى ان قبلتها وقبلت زيادة الاحساس بالزمن أصبحت ثانيتى ساعة وأصبحت ساعتى سنة وسنواتى ألوفا .

الانفلونزا أو النزلة الوافدة

للدكتور سامى كمال

النزلة الوافدة مرض مستوطن فى القطر المصرى ، فلا يمر شتاء دون أن نسمع ببعض إصاباته ؛ لكن هذه الاصابات لا تأخذ شكلا وبائياً . وتظهر عادة فى فصل الشتاء مقرونة بسابق التعرض لبرد شديد أو للرطوبة ، وعاقبتها دائماً حميدة .

وتظهر هذه النزلة الوافدة فى جميع أنحاء العالم ، كما تظهر عندنا ، ويكثر عدد المصابين بها فى البلاد الباردة . وتقل إصاباتها عادة عند حلول فصل الربيع .

وهى تنتقل بالعدوى بواسطة جراثيم خاصة ؛ تلك الجراثيم عبارة عن بذور تتفاوت فى حيويتها وتأثير افرازاتها . لأن الجراثيم لا تؤثر إلا بفعل هذه الافرازات التى هى من أقوى السموم وأشدها فتكا بالانسان .

فاذا صادفت أجساماً قوية قاومتها . أما اذا عرضت لها أجسام ضعيفة فانها تقوى عليها ، وتشتد بانتقالها على غيرها . وتزداد قوة اذا تهيأت لها ظروف خاصة . كما حصل ذلك فى نهاية الحرب العظمى عام ١٩١٨ اذ وجدت الانسان ضعيفاً جائعاً منهوك القوى والأعصاب ففتكت به . ومات بالنزلة الوافدة فى العالم عدد يفوق عدد من مات فى ميادين القتال .

هنا تكون وبالا ، وهنا تكون خطراً على العالم أجمع . حيث تنتقل مع المسافرين بسرعة الطائرات والسيارات .

وهذا النوع من النزلة الوافدة الوبائية يسمى عادة باسم

الوطن الذى نشأ فيه . ففى عام ١٩١٨ كانت اسبانية . وهى فى هذا العام انجليزية .

وكل الأخبار تدل على أن خطر هذه الوافدة الانجليزية أقل بكثير من سابقتها الاسبانية . وأوبئة الوافدة تتشابه فى مجموعها من حيث الأعراض . لكنها تتفاوت من حيث مضاعفاتها وخطرها على العموم .

ومدة حضانتها ، أى من وقت العدوى إلى وقت ظهور أعراضها لاتزيد على اليومين .

أما أعراضها فزكام واحتقان فى أغشية الحلق والمجارى الهوائية مع قشعريرة وحمى وشعور بتكسر فى الجسم وعطش وسعال ، وهى سريعة العدوى خصوصاً لأن أكثر الناس لا ينعكفون فى دورهم عند الاصابة بها ، بل يستمرون فى مزاولة أعمالهم ، يذهبون ويجيئون ويختلطون بالناس .

وهم لو عرفوا كيف تحصل العدوى وعزلوا أنفسهم فى بيوتهم وحجراتهم لدرأوا عن أنفسهم وعن عائلاتهم وعن مواطنيهم شر هذا المرض .

ان العدوى تحصل بواسطة العطس أو السعال اللذين ينقلان جراثيم المرض مباشرة الى السليم .

لذا يتحتم على المريض أن يتحاشى العطس أو السعال فى وجه الناس وليفعل ذلك يميناً أو شمالا .

كذلك من يخالط المرضى يجب عليه أن يحتاط بوقوفه جانبا غير هياب ولا وجل ، يخدم فى رفق ثم يغسل يديه ، ويستعمل مطهرات الفم والأنف ، ويجب أن تكون غرفة المريض معرضة لأشعة الشمس يتجدد الهواء فيها مراراً كل يوم ثم يلازمها المريض عند أول الشعور بالمرض ، ويستعمل الأطعمة السائلة والمعرقات والمشروب الساخن وهو خير علاج بجانب الاسبيرين والكينين عند الاحتياج حسب أمر الطبيب مع استعمال مطهرات الأنف والحلق .

ومن خير الاحتياطات الابتعاد عن حضور الاجتماعات العامة خصوصاً فى المحلات المغلقة ، واستعمال مطهرات الأنف كزيت الاوكاليبتوس صباحاً ومساء . ومطهرات الحلق مثل الماء المضاف اليه نقط اليود والابتعاد عن المرضى ؟

بحوث مصائد الأسماك وماهيتها

للدكتور حسين فوزى

مدير ادارة ابحاث المصائد

ليس المخلوق الحى مع ماهو عليه من مظهر الوحدة سوى مجموعة مركبة من مواد عضوية وغير عضوية . تربطها ببعضها قوى طبيعية هى نفس القوى الصادرة عن الكون المحيط بها . لذا يتقدم الباحث لدراسة هذه المجموعة كوحدة حية أولا . ثم كجزء من ذلك الكل أو الوسط الذى يعيش فيه ثانياً وقد أطلقت كلمة بيولوجيا أو علم الحياة على مجموع هذه الدراسات : دراسة أشكال المخلوق الحى وأوضاعه فى الفضاء وهى « المورفولوجيا » ودراسة أوصاف أجهزته وأعضائه وهى « علم التشريح » والبحث عن تطور هذا المخلوق من البويضة حتى يصبح كامل الخلق وهو (الامبريولوجيا) « علم الأجنة » ودراسة وظائف اجهزته وأعضائه وهى (الفيزيولوجيا) . ودراسة الحياة وقوانينها وتطوراتها الكونية . والوسط الذى تعيش فيه المخلوقات باحثة عن غذائها . والغازات الضرورية لتنفسها . وكذا أثر هذا الوسط فينا . وتوزيعها حسب تطوراته . تلك هى (الأيكولوجيا) .

والأحياء المائية تتميز من غيرها بأن الوسط الذى تعيش فيه هو الماء . وهذا النوع من الحياة هو أهم الفروق بينها وبين الأحياء الأخرى . لأنها فيما عدا ذلك تتنفس وتتغذى وتتناسل وتؤدى أعضاؤها نفس الوظائف التى تؤديها الأحياء الهوائية . وانما تتطور هذه الوظائف ويتطور شكل المخلوقات المائية تبعا للوسط الذى فرض عليها مظاهرها الخاصة .

والأسماك فصيلة من المخلوقات المائية استرعت اهتمام الانسان منذ أقدم العصور لأنها مصدر هام لغذائه . فالانسان منذ النشأة الأولى كان صياداً قنصا . على أنه ثمت أحياء مائية أخرى انتفع بها الانسان أما لغــذائه أو لأغراض نفعية أخرى . نكتفى منها بالاشارة الى الصدفيات (كالجندوفلى وأم الخلول) . وذوات القشور (كالجنبرى واللانجوست) لغذائه . والى الأسفنج وحيوانات اللؤلؤ والمرجان والسلاحف المائية والتماسيح (الباغة والجلود) لزينته ونظافته . والى الدرافيل والحيتان لصنع الجلود واستخلاص الزيوت . والى بعض الأسماك لاستخلاص سماد « الجوانو » والغراء الحيوانى والمستحضرات الطبيعية كزيت كبد البكلاه (زيت كبد حوت) والى الأعشاب البحرية التى يستخرج منها اليود وينتفع بها فى الأسمدة .

ونقصر هذا المقال على بحوث الأسماك وهى بحوث يمكن تطبيقها على الأحياء المائية الأخرى مع بعض تغيير فى الطرائق يقضى به تكوينها المختلف ونوع حياتها الخاص .

أول ما يعنى به من يدير شأنا من الشؤون كمنجم أو بحيرة هو أن يعرف ما تحويه التربة من معادن فى طبقة مخصوصة . أو ما يعيش فى البحيرة من مخلوقات نافعة أو ضارة . لذا كان أول ما يهم خبير المصائد هو أن يستعرض المخلوقات التى تعيش فى مياهه فيعمل لها سجلا . وعلى أساس هذا السجل يستطيع أن يتعرف طرائق بحثه . وان مؤلفا جليلا مثل «أسماك النيل» (لبولانجيه) أو «أسماك البحر الأحمر» لكلونتسنجر . لهو محاولة موفقة فى هذا السبيل . فعلى خبير المصائد أن يجمع المعلومات من المصائد المصرية المختلفة عن أنواع الأسماك التى تدخل أسواقنا . بل والأنواع الأخرى التى لا يهتم بها صيادونا أو لا يعرفون طرق صيدها . وليس عمل قائمة بجميع أسماك المياه المصرية سهلا كما يتراءى لأول وهلة . فمذ ظهر كتاب «وصف مصر» الذى قامت به البعثة الفرنسية الملحقة بحملة بونابرت الى يومنا هذا لم تبلغ بعد قائمة أسماكنا حد التمام خصوصا فى البحرين الأحمر والابيض . فثمت أسماك لا يعرف صيادو البحر الابيض طرق صيدها (وأخصها الاسماك الرحل) كما أن طرق الصيد فى البحر الأحمر لما تزل على حال من البساطة يتعسر معها الحصول على جزء كبير من الاسماك التى تعيش فى ذلك البحر .

فأمام أخصائيي المصائد فى مصر سنوات طويلة يقضونها فى البحث المتواصل حتى تتم قائمة الاسماك المصرية مرتبة حسب الانواع والفصائل والاجناس . كما ينبغى أن تدعم هذه القائمة بمتحف كاملا يضم نماذج من جميع أسماكنا جيدة الحفظ جلية العرض .

كذلك يعنى الاخصائى بمعرفة مواطن الاسماك . فثمت أسماك تقطن الماء العذب وأخرى تقطن الماء الأجاج . وغيرها تعيش فى البحار . أو تتنقل بين الماء العذب وماء البحر . ومن الاسماك البحرية ما تعيش على القاع . وتفضل نوعا من القاع . رمليا أو صخريا أو طينيا . ومنها ما تغشى الصخور وفرجاتها . ومنها ما تعيش فى طبقات الماء العليا أو السفلى متنقلة بين مناطق البحر سريعة الحركة .

وفى مياه النيل يهمنا أن نعرف مواطن كل نوع من أسماكه . تلك التى تأوى الى الحشائش أو تعيش على القاع الطينى . وتلك التى تقاوم التيار أو تقاوم كمية من الملوحة تسمح لها بالحياة اذا ما وصلت مع المصارف الى بحيراتنا ذات الماء الأجاج .

فاذا عرفنا مواطن كل نوع من السمك وجب علينا أن ندرس توالده . فعندما تبلغ الاسماك طولا معلوما يختلف باختلاف الانواع ينضج جهازها التناسلى . فتملئ مبايض الاناث بأجسام كروية تبدو للعين المجردة كما يظهر ذلك بفحص قطعة من البطارخ . وليست هذه الا مبيضا ممتلئا ببويضات أنثى البورى الناضجة . واذ تنضج الانثى فهى بائدة بالمبيض . وذلك بأن تلقى بالآلاف من بويضاتها فى الماء . إما على قاع رملى أو طينى . أو بين الحصى أو الاعشاب المائية أو فى شقوق الصخور . أو فى أوكار محفورة فى الطين . أو بين طبقتين من الماء حيث تبقى البويضات عائمة بفعل ثقلها النوعى وكذا ينضج الذكر عند طول معلوم يقرب من طول الانثى . ويغلب أن يكون أقل قليلا . وينتج جهازه التناسلى خليات سريعة الحركة لا تراها العين المجردة . ففى موسم التوالد تتآلف الذكور والاناث . فما تكاد تلقى الانثى ببويضاتها فى مكان من الامكنة التى سلف ذكرها حتى يتقدم الذكر الى ذلك المكان ليلقى بملايين من تلك الخليات السريعة الحركة بجانب البويضات التى لا حراك بها . وتسرع تلك الخلايا الى الاندماج فى البويضات . وقد يجتمع للبويضة بضعة من تلك الخلايا . فلا ترضى منها بغير واحدة تتغلغل داخلها وتمتزج بها كل الامتزاج . وينفث هذا الاتصال فى البويضة حياة جديدة اذ تنقسم — وهى خلية واحدة — الى ملايين من الخلايا تتطور حتى تصبح مخلوقا صغيرا لا يشبه والديه فهو محوط بغشاء رقيق هو غشاء البويضة الخارجى يذيبه ثم يخرج الى الماء مزودا بكيس محى يكون غذاءه فى الايام الأولى . فاذا ما نفد ذلك الغذاء أصبح الجنين سمكا صغيرا يسعى وراء غذائه . وهو لا يزيد طولا على بضع ملليمترات . ولا يزال يكبر حتى يبلغ بدوره الطول الذى تنضج فيه أعضاؤه التناسلية ان ذكرا وإن أنثى .

على أن السمك وقد بلغ ذلك الطول لا يبيض طوال السنة لان عملية نضوج الجهاز التناسلى عملية دورية تبلغ تمامها فى وقت معين من السنة : يختلف باختلاف الأنواع : فمن أسماك تبيض فى الشتاء وأخرى فى الربيع أو الخريف أو الصيف . وقد يستمر مبيضها أياما أو شهورا . وكذا يتبع الذكر تطورا موازيا لتطور كل أنثى من نوعه

وفهم أمثال هذه الحقائق — كمعرفة عمر الاسماك والطول الذى ينضج عنده جهازها التناسلى — من أهم القواعد التى يستند عليها التطبيق العملى . لانه لما كان من الضرورى أن يسمح لاكبر عدد من الاسماك بالتوالد وجب أن نعرف وقت هذا التوالد لحماية النوع برد عادية الصياد عنه . وهذه الحماية لا تتناول الابوين فحسب بل يجب أن تتناول البويضات وأفراخها

وقد كان من المهم أيضا معرفة المناطق التى هتاها الاسماك وقت التوالد فيمنع الصيد فيها . من ذلك مثلا أنواع اللطى التى تبيض وتفرخ بين الحشائش المائية (كالبردى) فيجب ابعاد الصيادين عن تلك المناطق أثناء موسم التوالد.

ومن أسماكنا كالبورى والطوبار مايترك الماء العذب أو البحيرات الشاطئية ليخرج الى البحر فيفرخ .

ولما كان مخرج هذه البحيرات الى البحر بوغازاً ضيقاً . أصبح واجباً منع الصيد بتاتاً فى البواغيز الموصلة بين البحيرة والبحر للسماح للبورى والطوبار بالخروج الى البحر . ولافراخه — وهى تقدر بالملايين — بالعودة الى البحيرات .

كأنا بهذه المعلومات البيولوجية استطعنا أن نفى بالشرط الاول من شروط علم الحيوان التطبيقى . وهى حماية النوع بمساعدة الطبيعة فى مجهودها نحو بقائه .

على أن هذه المعلومات يمكن الانتفاع بها على وجه آخر . إذ يمكن للاخصائى أن يقلد الطبيعة فى عملها باعداد أمكنة خاصة لافراخ الاسماك وتعهدها بالعناية ، وذلك برد أعدائها عنها وتغذيتها تغذية تساعد على نموها العاجل ، كذلك يستطيع نقل الاسماك من جهة تكثر فيها الى جهة صالحة لنموها وتوالدها ولكنها فقيرة منها .

وفى البحار تتخذ هذه المسائل طابعها الخاص . ولكن الدراسة تقضى هنا أيضا بتعرف حياة الاسماك البحرية من سرعة نموها الى أمكنة توالدها الى هجرتها .

لقد كان حديثنا حتى الآن عن السمك نفسه تلك الوحدة الحية التى ليست سوى جزء من كل . وهذا الكل هو الوسط الذى يعيش فيه الاسماك ولها به صلات وثيقة . لذا كانت دراسة هذا الوسط تعادل فى الاهمية دراسة السمك نفسه . هذا الوسط متجانس ظاهراً . ولكن كم من العوامل تجعل من هذا التجانس الظاهر اختلافات عديدة . ومن الطبيعى أن يتأثر المخلوق المائى بتلك العوامل . لقد كانت جميع المخلوقات فى ظلام التاريخ الجيولوجى تعيش فى الماء مرنة التكوين سهلة التأثر بالعوامل المحيطة . وقد احتفظت المخلوقات التى لا تزال تعيش فى الوسط المائى بتلك المرونة التكوينية التى كانت الاصل فى تعدد الانواع . ودراسة الوسط المائى دراسة تفصيلية تلقى ضوءا جديدا على عوامل التطور

على أن لهذه الدراسة أهميتها العملية . فالوسط المائى يشطر أعمال الاخصائى شطرين — بيولوجيا المياه البحرية ، وبيولوجيا المياه العذبة . وقد يتصل الشطران اذ يختلط وسط بآخر كما يحدث ذلك فى بحيرات مستحدثة أو يختلط بحران من تكوين وطبيعة مختلفين كما حدث ذلك بحفر قناة السويس .

ما منشأ اختلافات المياه العديدة . والماء وسيط متجانس ؟ أولها وأهمها وجود المواد الذائبة فيه . وينشأ عن وجود هذه المواد ظواهر كيميائية طبيعية أهمها « الأسموز » ومن أظهر المواد الذائبة فى البحار كلورور الصوديوم . والمخلوق المائى يعيش فى حالة توازن كيميائى طبيعى مع الوسط المحيط به . ولقوة الأسموز اليد الطولى فى هذا التوازن . فاذا نقلنا سمكة من أسماك الماء العذب الى البحر اختل هذا التوازن . وعجزت السمكة عن مقاومة هذا الاختلال طويلا ثم ماتت . وكذا العكس .

على أن هناك غير قليل من الأسماك دخلت من البحر الى البحيرات الساحلية . وتعودت مياها أقل ملوحة من مياه البحر ، بل قد تصل فى عذوبتها الى مايدنيها من مياه الأنهار . بل هناك أسماك تتحمل الحياة فى الماء العذب والبحر على السواء . على أن تلك الأسماك البحرية التى تعودت الحياة فى الماء العذب أو الأجاج تدفعها فطرتها الى العودة الى البحر لتفرخ . واذا امتنع عليها الوصول الى البحر أصابها العقم . وتلك حالة ثعابين السمك (الانقليس) والبورى والطوبار من أسماكنا المصرية .

ويعرف سكان المنزلة والبرلس وأدكو تلك الظاهرة حق المعرفة . إذ تخرج آلاف البورى والطوبار الى البحر فى مواسم معينة يطلقون عليها « الخرجيات »

وقد اكتشف الأستاذ (يوهانس شميدت) اكتشافا يعد من أغرب ما وصل اليه الكشف العلمى فى البحار . وهو أن ثعابين السمك التى تعيش فى الانهار والبحيرات الأوروبية تخرج الى عرض الاقيانوس الاطلنطيقى لتفرخ قرب جزر (الانتيل) عند منطقة تسمى بحر سارجاس .

وتهاجر ثعابين السمك الامريكية شرقا لتلتقى بثعابين السمك الاوروبية فى منطقة بحر سارجاس .

فاذا انتهى موسم الافراخ اتجهت أفراخ الثعابين الاوربية شرقا وأفراخ الثعابين الامريكية غربا حتى يصل كل منها الى قارته . فيدخل الانهار فى شكل أسماك مستديرة زجاجية بيضاء اللون . وهى ما تسمى بالحنكليس . وتعرف مصر هذه الظاهرة . أى خروج ثعابينها الى البحر وعودة آلاف الحنكليس الى البحيرات الشاطئية ودخولها نهر النيل .

وتلك ظواهر نراها رأى العين فى مصر . ولو أننا لانزال فى شك مما اذا كانت الثعابين المصرية تفرخ وسط الأطلانطيق أو

فى البحر الأبيض المتوسط .

لقد أوردنا تلك الأمثلة لنبين الى أى حد وصلت مرونة تلك الاسماك فى تقبلها تغير قوة الاسموز .

كما يهم الباحث معرفة الا كسجين الذائب فى مياه ما . لانه يتوقف عليه تنفس الاسماك . الا أن احتياج نوع من السمك الى كمية من الاكسجين لا يوازى احتياج نوع آخر . فقد يموت نوع اذا هبط مقدار الاكسجين الذائب الى ٤ جرامات فى اللتر مثلا . بينما يقاوم نوع آخر حتى يبلغ الاكسجين جرام ونصف فى اللتر . ثم تبدو عليه علامات الضيق حتى يموت .

ولتكل هذا أثره فى مواطن الاسماك . أسماك لا تعيش الا فى مجارى المياه الجبلية حيث المياه جارية تذيب فى تدفقها كمية كبيرة من الاكسجين . وأفضل مثل على هذا سمك (التروتا) المعروف فى البلاد ذات المجارى السريعة الجبلية كسويسره واسكتلندا وكذا الخ . وأسماك تعيش فى الأودية كسمك الكارب والتانش فى أوربا وجميع أسماك مياهنا العذبة .

كذلك يهم الباحث معرفة درجة حرارة المياه وحركاتها كالتيارات والمد والجزر لأن لكل واحدة من هذه المسائل أهميتها فى دراسة الاسماك . فهذا النوع يفرخ اذا تصل حرارة المياه التى يعيش فيها الى درجة معينة . وذاك النوع يغشى المياه الهادئة كى يفرخ فى مأمن من التيار الخ .

وقد سبق الكلام عن أهمية دراسة القاع لمعرفة الأنواع التى تغشاه . ودراسة القاع تدخـــل ضمن علم الصخور وهو فرع من الجيولوجيا .

ودراسة غذاء الاسماك يتطرق بنا الى دراسات بيولوجية أخرى . فعلينا أن نعرف نوع الغذاء . فمن أسماك تتغذى على أسماك أصغر منها . أو حيوانات صدفية أو ذوات القشور أو ديدان . الى أسماك لا تتغذى الا بالنباتات المائية .

وعلى أخصائى الاسماك أن يتعرف جميع الأنواع التى تكون ذلك الغذاء . وحياة هذه الأنواع . وبما لاشك فيه أن لنوع الغذاء أثراً واضحاً فى شكل الاسماك . فتلك الأنواع التى تحتاج فى غذائها الى المطاردة السريعة يتخذ جسمها الشكل المغزلى . وهو أوفق الأشكال للحركة السريعة . كما نرى فى التونة والبلاميطة . وتلك الأنواع التى تجد غذاءها على القاع يتطور شكلها تبعاً لحياتها الهادئة . فهى مفرطحة كما نرى ذلك فى سمك موسى وأشباهه .

ولا يستطيع خبير المصائد أن يقرر صلاحية بحيرة أو بركة لتربية نوع خاص من السمك قبل أن يقرر نوع الغذاء الذى يقتات منه . بل وأفضل تغذية تعجل فى نموه وتكسب لحمه صفات شهية .

ورغبتنا فى هذا المقال أن نمر سراعا على شتى المسائل التى تتناولها بحوث مصائد الاسماك . وهى متعددة الوجوه لا يستطيع فرد واحد أن يضطلع بها . بل هى فى حاجة الى فرقة من اخصائيين ذوى ثقافة علمية قوية تشمل علوما مختلفة منها التاريخ الطبيعى بأنواعه « علم الحيوان والنبات والجيولوجيا » وعلوم الكيمياء والطبيعة . وعلم الأرصاد الجوية ومبادىء الاحصاء .

على أننا لم نأت على آخر ما يتعين على أخصائى بحوث المصائد أن يعرفه . اذ أن هذه العلوم تتبع فى تطبيقها العملى الظروف الخاصة بكل أقليم .

ولنضرب مثالا لذلك نظام الرى فى مصر . من رى الحياض وما اليه من يارات وقنوات . ورى الدلتا بترعه ومصارفه واتصاله بالبحيرات الشاطئية . وأثر الخزانات والقناطر . تلك مظاهر مائية تكاد تكون خاصة ببلادنا . وهى لهذا تفتح أمام خبير المصائد فتحا جديداً فى التطبيق العلمى . اذ من العبث أن يطبق الانسان بلا تبصر طرائق بلاد على بلاد أخرى . وانما عليه أن يجد لكل حالة ما يلائمها معتمداً على دراسة متينة . وتجربة متعددة الوجوه . وفهم للظواهر الخاصة بالبلاد ؟



مشاهـــدات غريبة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أستاذ الكيمياء بكلية الطب

١

فى منجـــم

كانت ليلة السبت ١٨ فبراير سنة ١٩٧٨ موعد انعقاد الجمعية الطبيعية الكيميائية فى الكلية، وكان المقرر أن يذهب أعضاؤها لزيارة منجم فحم على بعد ميلين أو ثلاثة من نوتنجهام. فبعد أن تناولنا الشاى بالكلية خرجنا ومعنا الرئيس الإستاذ بارتن (١) فركبنا الترام إلى المنجم، وهناك وجدنا بعض رجاله ينتظروننا، فقيل لنا انه لا بد من أن يحمل كل منا مصباحا يستضىء به، وقادونا الى غرفة المصابيح أو بالأحرى مخزنها، وقد ذكرنى حين دخلته بمخزن القناديل فى مسجد البلد أيام كان المسجد يضاء بالقناديل، فقد كانت رائحة الزيت المحترق تفوح من المصابيح الموقدة المصفوفة. وكان كل مصباح عبارة عن فتيلة داخل اسطوانة قصيرة من الزجاج متصلة من أعلاها بمخروط ناقص من شبك الحديد، يظاهره مثله من صفائح النحاس، وهذا ينتهى بحلقة يحمل منها المصباح تلتقى عندها أسلاك تتصل بالقاعدة وتصون زجاجتها. هذا هو مصباح (داف) اخترعه السير (همفرى دافى) لأول مرة سنة ١٨١٥ وهو على بساطته جم النفع، لأن شبكته الحديدية تحول بين اللهب: لهب المصباح — أو لهب ما قد يدخله من غازات ربما تصاعدت من شقوق يصيبها العامل فى اقتطاعه الفحم — وبين أن يمتد إلى ما قد يخالط هواء المنجم من غاز قابل للالتهاب، فيحترق دفعة واحدة فينسف ما حوله. وتلك خاصة من خواص ما شابه الحديد والنحاس من المعادن أنها لسهولة سريان الحرارة فيها إذا لامست غازا ملتهبا أخذت من حرارته ما يكفى لتخفيض درجتها عن درجة الالتهاب. فاذا نفذ الغاز منها إلى خارجها نفذ غير ملتهب

حمل كل منا مصباحا وذهبنا لننزل المنجم فاذا المنزل اليه فوهتان كأنهما بئران متجاورتان منصوب عليهما قوائم متشابكة من الحديد عظيم حجمها وارتفاعها. تحمل فى أعلاها جهازا يتدلى منه بسلسلة متينة. تحمل فى طرفيها صندوقين كل صندوق فى فوهة. والسلسلة من الطول بحيث اذا حاذى أحد الصندوقين وجه الأرض. مس الآخر أرض المنجم على عمق خمس وسبعين ومائتى ياردة. هذا هو الرافع الذى يرفع به الفحم الى سطح الأرض ولكنه لا كالذى نعرف عن الرافع. فانه على سماجته التى لا تليق بما جعل له. عجيب فى نظامه وحركته. وهو يتحرك بالكهرباء: يدير العامل مفتاحا فى إحدى تلك القوائم، فيدق جرس صغير ثلاث دقات فى باطن الأرض وفى ظهرها ايذانا. وعندئذ يهوى أحد الصندوقين ويرتفع الآخر بسرعة ثلاثين ميلا فى الساعة. وكل منهما فى بدء هبوطه يدع سلسلة كان قد رفعها تقل حاجزا من من خشب فيسد باب الفوهة، فاذا ما قارب الصندوق مقره فى صعوده رفع السلسلة فانفتح الباب

بدأنا النزول منتصف الساعة السابعة، فدخل منا عشرة صندوقا فوسعهم مع العامل واقفين متلاصقين. واذا فى أرض الصندوق قضيبان حديدان اذا بلغ الصندوق ارض المنجم كونا جزءا من السكة الحديدية الممتدة فيه. وعليها توقف عربات الفحم وترفع بما فيها الى سطح الارض. والهابط الى المنجم يشعر بما لعلك شعرت ببعضه اذا كنت هبطت راكبا بعض مصاعد الحوانيت التجارية أو المبانى الكبرى. يخيل اليه أن الرافع قد هوى من تحت قدميه. ويقوى هذا الشعور عنده كلما زادت سرعة الهبوط حتى اذا بدأت تتناقص فى النصف الآخر من المسافة وأحس حمل أرض الرافع لقدميه أكثر من قبل خيل اليه أنه صاعد وليس بصاعد. وفى صعوده يشعر بعكس ما شعر فى هبوطه. فلما تكامل عددنا داخل المنجم ذهبنا الى غرفة الملابس فخلع بعضنا فيها رداءه. ثم سرنا فى طرق

(١) كان رحمه الله مثلا للخلق الكريم والعلم الواسع وللصامية المجيدة. بدأ حياته بكلية نوتنجهام صبيا من صبيان معاملها يخدمها ويتعلم فيها وانتهى بأن صار استاذ الطبيعة بها وقد انتخب زميلا بالجمعية الملوكية

فيها بعض سبعة سقوفها أقبية مبنية. ونورها مصابيح كهربائية. ثم نريد زيارة الجهاز الكهربائي الضخم الذي يجر عربات الفحم من مسافة لا تقل عن ميل. ولا تظن العربات تتحرك كما يتحرك الترام. ولكن بحبل غليظ مشدود بها اذا دار الجهاز دارت اسطوانة كبيرة بسرعة كبيرة فالتف عليها الحبل فانجرت العربات. ثم ذهبنا فرأينا مرابط الخيل التي تجر العربات فيما وراء الميل. فاذا هي ليست أسعد حالا من خيول جر الاثقال في مصر. وهي شر منها في أنها قائمة نائمة تحت الارض لا ترى الشمس بعد نزولها المنجم حتى تموت.

ثم سرنا بعد ذلك ميلين في طرق تضيق حتى لا تكاد تتسع لشخصين يسيران جنباً لجنب، كانت من قبل عروق الفحم في الارض فتقبها العامل بصبره ومعوله، نائما على بطنه ومستلقيا على ظهره ومائلا على جنبه ومنحنيا وقائما. وكلما نقب خطوات الى الارتفاع المرسوم جاء بالأخشاب الغليظة فجعلها سقفا يحمل طبقات الفحم أو الطين حتى لا تنهال: تحمله من جانبيه قوائم من مثله أقيمت عمودية على جانبي الطريق. ولم يخل سيرنا في تلك الطرقات من تعب، فكثيراً ما كنا نسير فيها منحنين نحس السقف بأعيننا والأرض بأرجلنا: ولكنا كنا نتخذ من ذلك كله فكاهات نضحك لها. فمن كان يرانا عند. كان يرى أشباحا يحمل كل منها مصباحا. ولم يخل منظر المصابيح يتلو بعضها بعضا من بهجة في تلك الظلمة؛ ثم كان يسمع أصواتا تتجاوب، فلا يكاد القائد يقول — وكثيرا ما كان يقول — رأسك والخشبة! حتى يرفع بها صوته من خلفه. ولا يزال فم يلقى بها الى فم كلما مر بالخشبة شخص حتى تبلغ آخر الصف. وقد تسمع بين ذلك هــــذا يصيح: وادماغاه! وذاك: واركبتاه! أو تسمع سائلا يسأل وآخر يجيب. وأحيانا اذا استقام الطريق كانت ترتفع أصوات ببعض الغناء تغنيه معا. فتجد له عندئذ ما يجد الجندي الذي أتعبه السير الموسيقي. وكنا نظن أننا ذاهبون لنرى القاطعات الكهربائية التي تقتطع الفحم: فاذا بالقائد يقودنا كل تلك المسافة ليرينا الفحم أين هو! فلما سألناه عن القاطعات قال هي في جهة أخرى لا نصل اليها من موقفنا ذلك الا عنـــد منتصف الليل. فرجعنا أدراجنا نقول: متى نبلغ؟ ولم نبلغه إلا بعد الثامنة. فكتب كل منا اسمه في دفتر الزائرين ثم صعدنا فزرنا المولد الكهربائي الذي يدير تلك الآلات كلها: فاذا بآلات يحار فيها الفكر في غرفة عرضها عشرون خطوة وطولها خمس وعشرون، ويكفي لتقدير عظم آلاتها أن التيار يتولد عن قوة محركة كهربائية قدرها ٢٥٠٠ فولت، ولعل ترام القاهرة لا تزيد القوة المحركة لتياره على خمسمائة.

والعامل في منجم الفحم يتقاضى أجراً كبيراً لما في عمله من الخطر والمشقة. وهو يحاسب على كل طن يقتطعه. وقد يقتطع ما يؤجر عليه سبعة جنيهات في الأسبوع. وقد وجدنا أن المنجم مقسم الى مناطق صغيرة كل منطقة لها رمز من عدد أو حرف تعرف به ويعرف به العامل فيها. وكلما ملأ عامل عربة كتب رمزه على كل قطعة ظاهرة من فحمها ليعرف أنها له فتضاف الى حسابه. والمنجم الذي زرناه كان يستخرج منه في اليوم في ذلك الحين مائة وألف طن من الفحم لقلة العمال، وقبل الحرب كان يستخرج منه حوالي خمسة آلاف طن في اليوم.

محمد احمد الغمراوي

المبـــارزة

للكاتب الروسي اسكندر بوشكين

كنا نعسكر في قرية روسية صغيرة، وأنت تدرك بالطبع حياة الضباط وما تكون عليه، نؤدي في الصباح التمرينات العسكرية ونتدرب على ركوب الخيل، ثم نتناول طعام الغداء عند قائد الفرقة أو في المطعم اليهودي، فاذا جاء الليل أخذنا نشرب الخمر ونلعب الورق. ولم يكن لنا غير هذا الجانب الضئيل من التسلية، لأن الفتيات الناضجات لم يكن يسمح لهن بالخروج؛ وكنا ننفق الوقت معا حتى اذا اجتمعنا لم تجد بيننا فرداً لا يرتدي الملابس الرسمية.

ثم تعرفنا الى شخص من غير الجنود، ومع أنه كان في الخامسة والثلاثين تقريبا كنا نعتبره أكبر من هذا بكثير، وكنا نعتقد في حكمته وكثرة تجاربه، ولقد أسرنا نحن الشبان بكرمه وقوة شخصيته وما فطر عليه من التهكم وعدم الاكتراث. وخيل الينا أن وراء هذا كله شيئا يكتمه، وأن بين ضلوعه سراً يطويه. ولقد نبئنا أنه كان في فرقة الفرسان يشهد له الجميع بالتفوق والنشاط، ثم استقال منها فجأة لسبب مجهول، واعتكف في هذه القرية الصغيرة؛ ومع قلة معاشه كنا نراه ينفق عن سعة ويفتح بيته لنا نحن الضباط، فاذا جلسنا الى مائدته استطعنا أن نأكل ثلاثة أصناف من الطعام، وأن نشرب الكثير من كؤوس الشمبانيا؛ ولم نكن نعرف شيئا من شؤونه الخاصة. غير أن الذي يعد له طعامه هو خادمه العجوز الذي كان في مطلع حياته جنديا؛ ولم يجسر أحد على سؤاله عن حياته أو ماضيه.

وكانت له مكتبة حافلة بالكتب — معظمها خاص بالجندية وما

يتصل بها — يعيرها مسروراً ولا يسأل عنها بعد ذلك ، كما أنه اذا استعار كتابا لم يفكر في رده الى صاحبه . . فاذا دخلت غرفته وجدت جدرانها مغطاة بظروف الرصاص فيكسبها ذلك شكل عش الزنبور : ولم يكن في داره من معالم الترف غير مجموعة ثمينة من البنادق والاسلحة .

وهو يرتدي في الغالب سترة رثة ، فاذا نظرت الى ملامح وجهه وجدته روسيا في الصميم ، مع انه يحمل اسما أجنبيا . ولقد كان ماهراً في الرماية الى حد أنه يصوب بندقيته الى خوذة الواحد منا فيصيبها دون أن ينال صاحبها بسوء . . وكثيراً ما تحدثنا عن المبارزة . ولكن « سيليفيو » — ولنسمه بهذا الاسم — لم يكن يشترك معنا في الحديث . فاذا ما سأله أحدنا عما إذا كان قد تبارز في حياته ، رد بالايجاب ولم يزد ، وخيل الينا أنه يكره هذا الموضوع لانه يثير ذكرى حادثة معينة قتل فيها فرد معين من ضحاياه العديدين .

وفي ذات يوم كان يتناول طعام العشاء في منزل « سيليفيو » ثمانية أو تسعة من الضباط . وكنت أحدهم ، واذكر أننا شربنا وأسرفنا في الشراب ، فلما انتهينا من طعامنا رجونا من مضيفنا أن يكون أمين الصندوق في لعب الميسر . ولكنه رفض ، لانه قلما يلعب ، فلما أصررنا طلب لنا الورق وجلسنا الى جانبه على شكل دائرة أخذنا نلعب .

لم يتحدث الرجل أثناء اللعب ولم نجره الى المعارضة أو الشرح . وكان إذا أخطأ أحدنا أعطاه ماله أو حجز ما عليه لنفسه . وكنا جميعا نعرف طريقته . . وحدث أثناء اللعب أن ضاعف أحدنا — وكان ضابطا حديث العهد بمعسكرنا — رهانه على ورقة بالذات دون قصد منه لانشغاله وذهوله . فما كان من سيليفيو إلا أن تناول قطعة الطباشير وكتب المبلغ المطلوب فقط . . عارض الضابط وأراد أن يصحح خطأه ، ولكن سيليفيو لم يعره اهتمامه ، وظل يدير اللعب كأن لم يحدث شيء . . وهنا تناول الضابط الطلاسة ومحا الارقام ، فأجاب مضيفنا على ذلك بأن أعاد كتابتها في هدوئه المعهود . كان الضابط متأثراً بالشراب وباللعب وبضحكات زملائه الساخرة فظن أنه أهين ، وتناول شمعدانا رمي به وجه سيليفيو ولكنه انحنى قليلا الى الامام فأخطأته الضربة . فدمدمنا جميعا وانتظرنا ماذا يكون بعد هذا .

وقف مضيفنا شاحبا ، وسدد الى الضابط نظرات دونها نظرات النسور وقال له « لتغادر المكان يا سيدي ولتشكر الله على أن ما حدث كان في بيتي »

ولم ننس لحظة في نتيجة هذا الحادث وما سوف يسفر عنه من قتل زميلنا الجديد . ونظرنا جميعا اليه وهو يغادر المنزل في وجوم معلنا استعداده لمقابلة سيليفيو في الوقت الذي يراه . وطبيعي ألا يستمر اللعب بعد ذلك كثيراً لأننا انصرفنا واحدا بعد واحد لما رأيناه على مضيفنا من علائم الذهول والانفعال . ولم نكد نعود الى معسكرنا حتى أخذنا نتحدث فيما سيؤول اليه هذا الحادث الفريد .

وفي صبيحة اليوم التالي عندما كنا نقوم بتمريننا العادي على ركوب الخيل تساءلنا هل مات الضابط أم لا يزال على قيد الحياة ؟ ولكنه ظهر بيننا . فبحثنا الأمر وأمطرناه وابلا من الأسئلة ، فأجابنا أنه لم يتلق دعوة ما الى المبارزة من سيليفيو . وأسرعنا الى زيارة الرجل في منزله فوجدناه يتدرب على اطلاق الرصاص وقد ألصق بالباب غرضا جعل يصوب الطلقات اليه تباعا فلا يخطئه . فلما رآنا تلقانا كعادته . ولم يذكر لنا شيئا عن حادث الليلة الماضية . . ومرت ثلاثة أيام والضابط لا يزال على قيد الحياة ، ونحن نتساءل (ألا يتبارز سيليفيو ؟) أجل لن يتبارز الرجل ! بل راح يشرح الاسباب العرجاء التي لم تقنع أحدا منا

وهذا الرفض وذلك الاحتمال من جانب الرجل أساء الى سمعته بيننا نحن الشبان ، لأن الشباب لا يغتفر الجبن . ويعتقد أن الشجاعة خير الصفات التي يجب أن يتصف بها المرء في جهاد الحياة ، وأن الشجاع يستبيح لنفسه كل شيء : يحلل الحرام ويحرم الحلال . ولكن سرعان ما نسينا كل شيء بعد مدة ، وسرعان ما استعاد سيليفيو مكانته القديمة بيننا .

وفي الحق أن رأيي في هذا الرجل لم يعد إلى ما كان عليه ، لأنني رومانتيكي في خيالي وتفكيري ، ولقد أحببت هذا الرجل أكثر من غيري . مع أنه كان لغزاً للجميع . وكنت أتصوره دائما بطلا لدرامة رائعة . وكنت واثقا من أنه يحبني ، فاذا انفرد بي ترك تهكمه اللاذع وراح يتحدث معي في شتى الموضوعات ، ولكني بعد الحادث المعروف لم أكن أطمئن اليه ولا أرتاح إلى حديثه ، لاعتقادي أنه أهين ولم يغسل إهاناته بالدم ، وكنت أتحاشى مقابلته أو النظر اليه

وكان الرجل من الذكاء ونفاذ البصيرة بحيث أدرك تماما سبب تغيري . وخيل الى مرتين أنه يريد أن يتحدث الى في هذا الموضوع ولكني تحاشيته ولم يصر من جانبه على الحديث

(يتبع) عبد الحميد يونس

فتــح العرب لمصر

تأليف الدكتور ألفرد . ج . بتلر

وتعريب محمد فريد أبو حديد

للأستاذ عبد الحميد العبادي

أستاذ التاريخ بكلية الآداب

سمعت أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد بك يقول مرة ما معناه : أننا الآن فى دور النقل والتعريب من حياتنا العلمية . وهو قول لاغبار عليه ، فان زمن الاقتصار على تراثنا العلمى والأدبى القديم قد انقضى منذ عهد بعيد ، وزمن الابتكار فى العلم والأدب لم يأت بعد ، وينبغى أن يتقدمه زمن نتوفر فيه على نقل أصول العلوم والفنون والآداب الغربية الى لغتنا العربية إقتداء بما فعل السلف الصالح فى صدر الدولة العباسية .

إننا بهذا التوفر نبث فى حياتنا العلمية روحا جديدا . ونكسبها مادة جديدة وأسلوبا فى البحث والعرض العلمى جديدا . ونكون قد مهدنا للحياة العلمية المستقلة . وأعددنا لها أساسا قويا راسخا لايخشى عليه من تطاول البنيان ومرور الزمان . ونكون قد أدينا واجب العلم والوطن والانسانية جميعا .

لكن الترجمة الصحيحة عبء ثقيل مضن يقتضى كثيرا من الجهد والتضحية . فهى من ناحية المترجم تتطلب غزارة علم وأدب ، وأنكارا شديدا للذات ، يستعذب معه المترجم أن يكون أسيرا للمؤلف الذى ينقله ، وقليل من الناس من يصبر على مثل هذا العناء . ثم هى تقتضى من ناحية الناشر ، وبخاصة فى بلدنا هذا ، أن يوطن نفسه على الخسارة المادية تصيبه مما ينشر . فاذا استطاع أن يخرج من الامر كفافا لا له ولا عليه فحسبه ذلك .

والناشر بعد تاجر يقيس قيمة الكتب بالفائدة المادية المرجوة منها ، فماذا يحمله على أن يعرض ماله للضياع ؟

من أجل ذلك كسدت سوق الترجمة فى بلدنا . وتأثرت حياتنا الأدبية بهذا الكساد تأثرا شديدا ، حتى أصبحت لا شرقية ولا غربية ، ولا قديمة ولا حديثة . ولكن الحمد لله . فقد أخذت هذه الحال تؤذن بالتحول والزوال . وآية ذلك ما نسمعه عن التفكير فى وضع قاموس عربى جديد يجمع شتات اللغة التى أصبحت الى حد بعيد سماعية غير مدونة . ومن آيته أيضا ما ترجم فى السنوات الأخيرة من غرر أدب الغرب وعلمه . نذكر من هذه الغرر على سبيل المثال : كتاب الجمهورية لأفلاطون . وكتاب الأخلاق . وكتاب الكون والفساد . ونظام الأثينيين لأرسطو . وآلام فرتر لجوته . وفاوست له أيضا . والشاهنامة للفردوسى . وأصل الانواع لدارون . ثم كتاب فتح العرب لمصر . وهو الذى سقنا هذه المقدمة تمهيدا للتعريف به أصلا وترجمة .

ألف كتاب (فتح العرب لمصر) منذ ثلاثين سنة بحاثة انجليزى هو الدكتور الفرد . ج . بتلر . ونقله الى العربية منذ عام صديقنا الاستاذ محمد فريد أبو حديد . ثم نشرته فى هذه الايام لجنتنا المباركة لجنة التأليف والترجمة والنشر . والكتاب يقع فى قرابة ستمائة صفحة مكسورة على ثلاثين فصلا وبضعة ملحقات . فى الفصول الاربعة الاولى يعرض المؤلف الحال السياسية العامة للدولة الرومانية فى أوائل القرن السابع الميلادى ويتكلم عن الثورة التى انتهت بأن أصبح هرقل عاهل الدولة المذكورة . وفى الفصل الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع يتكلم عن غزو الفرس الشام ومصر . فنهضة هرقل واسترداده الاقليمين المذكورين وعقده مع الفرس صلحا أعاد الى الروم شرفهم العسكرى . فاحداث الإدارية للاسكندرية خاصة لذلك العهد . وفى الفصل العاشر والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر يتكلم عن ظهور الاسلام . وفتح العرب الشام ومصر . واضطهاد قيرس البطريرك الملكانى للاقباط فى السنوات العشر السابقة على الفتح . ومن الفصل الرابع عشر إلى الثالث والعشرين يفصل المؤلف الكلام عن حوادث الفتح العربى لمصر . فيتكلم عن زحف عمرو بن العص على مصر وبلوغه مدينة مصر . فغزوة الفيوم . فواقعة عين شمس . فحصار حصن بابليون

وأخذه . فالزحف على الاسكندرية والاستيلاء عليها . فاحد المدن الساحلية الشمالية فانتهاء السيادة الرومانية على مصر . ومن الفصل الرابع والعشرين الى الثلاثين يتكلم المؤلف كلاما ممتعاً موضوعه حال الاسكندرية وقت الفتح ومكتبتها المشهورة . وحريق هذه المكتبة المنسوب الى عمرو وغزو عمرو لبرقة وطرابلس . والنظام الادارى الاسلامى الذى وضع لمصر عقب الفتح . ثم يتبع المؤلف هذه الفصول بملحقات حقق فيها ، بصفة خاصة ، شخصية المقوقس . والترتيب الزمني لحوادث الفتح العربي . والكتاب الى جانب ذلك كله مزود بخرائط ورسوم تعين على فهم موضوعه .

من هذا العرض العام يتبين القارىء أن المؤلف قد أحاط بموضوع الفتح العربى لمصر أتم الاحاطة ، واستوعب وقائعه كل الاستيعاب ، والحق أن الدكتور بتلر قد جلا موضوعا من أوعر موضوعات التاريخ الاسلامى ، وحل كثيرا من الغازه : أوضح شخصية المقوقس وكانت غامضة ، ورتب حوادث الفتح ترتيبا أدنى الى الصحة منه فى أى مصدر قديم ، وأتى بالقول الفصل فى حريق مكتبة الإسكندرية ، وبين وجه الخلاف القديم فى فتح مصر ، أصلحا كان أم عنوة ؟ على أن الكتاب يؤخذ بنقص جوهرى واحد ، ذلك أن المؤلف عنى بالجانب السياسى والدينى فقط من حال مصر قبيل الفتح وأغفل شئونها الادارية والاقتصادية على ما كان لها من أثر قوى فى سهولة انتقال مصر من حكم الروم الى حكم العرب . ولقد ظهر فى هذا الموضوع فى العشرين سنة الاخيرة بحوث قيمة كنا نود لو أن الكتاب طبع طبعة ثانية تضمن نتائجها من هذه البحوث : «النظام العسكرى لمصر البيزنطية» لجان ماسبرو . و« الادارة المدنية لمصر البيزنطية » لجرمين رويارد .

ثم اننا لا نوافق المؤلف على تصويره لغـــارة عمرو على الفيوم ، فهو يرى أن عمرا عند ما بلغ رأس الدلتا ورأى قلة من معه من الجند ، وحرج موقفه بين جنود الروم جنوبا وشمالا ، أرسل الى الخليفة عمر بن الخطاب يستمده ، ورأى فى الوقت نفسه أن يشغل جنده ويستنقذهم من الخطر ريثما يصل المدد ، فتكلف عبور النيل الى شاطئه الغربى ، وأغار على الفيوم ثم عاد فعبر النيل ثانية ، فوجد المدد قد قدم من المدينة . لا شك أن هذه طريقة غريبة جدا فى الخلاص من المواقف العسكرية الحرجة ، ثم هى لا تأتلف بحال مع ما عرف عن عمرو من شدة الدهاء وبعد المكيدة . يضاف الى ذلك أن المصادر العربية من حيث هذه الغزوة نوعان : فنوع لا يعرفها بالمرة . ونوع يعرفها ، ولكنه يوردها على صورة تجعلها أقرب الى المعقول من الصورة المذكورة : ومع ذلك لم يعتمد عليها المؤلف واكتفى بمتابعة يوحنا النقيوسى بحجة أنه أقدم عهدا من كل المصادر العربية ، ولكن القدم وحده لا يكون دائما دليلا على صحة المصادر التاريخية كذلك يؤخذ على المؤلف حكمه فى الفصل الحادى عشر بأن غزوة تبوك المشهورة كانت فشلا ، لأنها لم تؤد الى ما كان الرسول يرمى اليه بها من مصادمة الروم . والحق أنها أدت الى ما كان النبى ﷺ يرمى اليه من شد سلطانه السياسى على شمال الحجاز . بقيت ملاحظة يسيرة : لقد توهم المؤلف ان مسيلمة المتنبى ظهر باليمن (ص ١٣١) والصحيح انه ظهر باليمامة .

ومع ذلك فهذه الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية ، وحسب القارىء ان يعلم ان الدكتور بتلر قد أقام فى كتابه ، تاريخ الفتح العربى لمصر على أساس علمى متين ، وانه الى الآن لم يظهر فى ذلك الموضوع كتاب آخر يدانيه ، فضلا عن أن يفوقه

- ٢ -

أما الترجمة العربية لكتاب فتح العرب لمصر فأحب قبل كل شىء أن أهنىء صديقى فريدا على توفيقه فيها أخلص التهنئة . فقد جاءت صورة صادقة للاصل مطابقة له فقرة فقرة وجملة جملة . هذا مع سهولة العبارة وسلاستها ووضوحها . مما يشهد للاستاذ فريد بالبراعة فى صناعة الترجمة . ولكن ليت شعرى اى مترجم . ولو كان الاستاذ فريد نفسه . يترجم زهاء الستمائة صفحة ثم لا يفو قلمه ولا ينحرف عن الاصل الذى ينقل عنه يمنة او يسرة ؟ على هذا الاعتبار أهدى الى الاستاذ فريد هذه الملاحظات اليسيرة .

جاء فى صفحة ٢٥ هذه العبارة (النذر اليسير) وصوابها (النزر) بالزاى المعجمة . وفى صفحة ٢٧ عرب اسم المستشرق المشهور De goeje ب (دى جويجة) وصوابه (ده غويه) ووردت فى صفحة ٢٧ أيضا كلمة (المونوفيسية) وأحسن منها ان يقال (المذهب اليعقوبى) . وجاء فى صفحة ١٢٣ (هزيمة تبوك) بدلا من (فشل غزوة تبوك) وهو المقابل للاصل . وفى صفحة ٨٣ ترجمت Theology (بالفقه) وصوابها (اللاهوت) . وجاء فى صفحة ٢١٨ (تسور الزبير الى الحصن) والصواب ان يحذف حرف الجر . وفى صفحة ٢٢٨ ترجمت Drawbridges ب (قناطر) وأصح من ذلك (جســور) لان العرف جرى بأطلاق اللفظ الاول على البناء الثابت الذى يعقد فوق الانهار وهو غير المراد من اللفظ الانجليزى . وجاء فى صفحة ٢٥٥ (وكانت مسلحة المدينة) بدلا من (وكانت حامية المدينة) . وفى صفحة ٤٠٦ (وقال عنه النواوى) وصوابه (النووى) بدون ألف المد .

على ان هذه الملاحظات ايضا لا تضر الترجمة شيئا . واذا كان الكتاب مثالا يحتذى من حيث دقة البحث العلمى ، فترجمته العربية مثال ينسج على منواله من حيث أمانة النقل وصحة التعريب ؟

ضحى الإسلام

ما كان لي أن أقف مع الذين يتحدثون عن الأستاذ المحقق أحمد أمين، ولا أن أساهم في الكلام عن علمه ومؤلفاته، لأن ذلك شأن لا يضطلع به إلا كبار أهل العلم والفضل ليكون لكلامهم من القيمة ما يكافئ مكانة هذا العالم الكبير، ولكني وأنا طالب العلم والأدب وأدرسهما منذ ربع قرن (وما زلت مجداً في سبيلي) أجد لزاماً علي وقد قرأت كتابه الممتع «ضحى الإسلام» أن أبين في كلمة صغيرة لإخواني طلاب الأدب والعلم ومن يعنون بدراستهما مقدار ما أخذت من هذا الكتاب ومدى انتفاعي به.

أخذت هذا الكتاب يوم صدوره أخذ المشوق اللهفان، لأني كنت أرتقب صدوره بعد أن بزغ (فجره) من زمن غير قليل، ولم ألبث أن عكفت على قراءته عكوفاً لم أدع معه النفس أن تتطلع إلى شيء غيره من متاع الحياة حتى انتهيت منه.

وفي الحق أني لا أستطيع أن أصف وصفاً دقيقاً مقدار ما استمتعت به من هذا الكتاب، ولا أن أصور تصويراً صادقاً مبلغ ما فيه من علم وبحث، ولكني لو أردت أن أصف أموري بعد أن فرغت من قراءته في عبارة صغيرة لقلت: إني على كثير ما قرأت من كتب العلم والأدب لم أفد من كتاب مثل ما أفدت من هذا الكتاب، فقد كشف عن الحياة العقلية الإسلامية في القرن الثاني للهجرة بما لم يكن معروفاً مثله لأحد، فظهرت أشياء لم تكن تعرف من قبل، ووضحت أمور كانت غامضة أو مبهمة، وصححت مسائل كان الناس يعلمون منها غير الذي حققه ببحوثه العميقة عالمنا الجليل.

ولقد شهدت في هذا الكتاب الممتع كيف سارت حياة الإسلام في الحقبة التي أرخت فيه، وتنورت على هدى تحقيقه ما أثر في هذه الحياة من مختلف النواحي وما تأثرت به هذه النواحي، حتى لكنت أحسب وأنا أدرس هذا الكتاب أن الحياة العقلية الاسلامية قد صورت تصويراً صادقاً على لوحة السنما بحيث لا يخفى منها شيء، ولا يحتجب منها وجه.

وإني لأقرر في صراحة أني بعد أن قرأت كتابي (فجر الإسلام وضحاه) قد تغير رأيي في كثير من أمور ديننا الحنيف كنت فهمتها من بعض كتب العلم، وأصبحت بذلك مضطراً إلى أن أعود إلى هذه الكتب لأقرأها ثانية حتى أفهم ما فيها على حقيقته.

هذا بعض ما أخذته من كتاب «ضحى الإسلام» بقدر (قريحتي وفهمي) أنشره وأؤذن بصوت الحق أن هذا الكتاب الفريد تجب دراسته على الأديب والعالم والديني والمؤرخ وجوباً.

جزى الله عالمنا الجليل لقاء ما ناله من تعب وتحقيق في سبيل العلم خير الجزاء، وأعانه على إتمام ما انتدب له من خدمة العلم إنه سميع الدعاء.

المنصورة — محمود أبو ريه

الهيام

لعبد الرحيم مصطفى قليلات

هذا الكتاب ديوان شعر. وعنوانه (الهيام) قد يخدع القارئ لأول وهلة، فيحسب أن الديوان أكثره أو كله نسيب. والحقيقة أن العنوان مقتبس من الآية (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) وقد هام هذا الشاعر في أودية كثيرة، والكتاب الذي بين أيدينا هو ثمرة هذا (الهيام). وأشعار الكتاب مقسمة إلى خمسة أبواب: الأول: في الدين والأخلاق: الثاني: في الثقافة والاجتماع: الثالث: في تهذيب المرأة وحجبها: والرابع: في الفكاهة: والخامس: وهو أطول الأبواب جميعاً، في الأناشيد. ومنه يتبين للقارئ أن المؤلف لم يدع هيأة من الهيئات في بلده إلا علمها كيف تتغنى بأعمالها وشئونها. وكثير من هذه الأناشيد يصحبه توقيعه مكتوباً بالعلامات الموسيقية. وسيسر المصريون إذ يرون هذا الشاعر السوري الفاضل قد ختم الكتاب بنشيد جميل (دمعة على سعد) ومعه لحنه، ولم يتح لنا بعد أن نسمع توقيعه.

وقد أعجبنا في الكتاب كله تلك الروح الدينية والوطنية والخلقية العالية التي يحسها القارئ في كل صفحة من صفحاته. وقد عالج المؤلف عدة مواضع من الأهمية بمكان. ولكن يخيل إلينا أن الشاعر يكتب بسرعة وبكثرة هائلة لا تسمح له بتنقيح شعره واختيار عباراته وألفاظه. وليس من شك في أنه لو تأنى وتريث لأتى بشعر جليل. وهو أحسن ما يكون حين يقص علينا قصة. وسيسر القارئ من القسم الفكاهي. وقد أعجبنا منه بنوع خاص قطعته البديعة (ليلة القدر). ومن أجل هذه القطعة وحدها يستحق الكتاب أن يقتنى؟

م. ع. م.

بدل الاشتراك

ص

٣٠ عن سنة كاملة

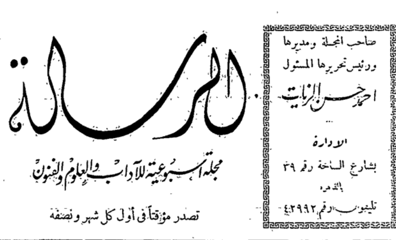
٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة فى الخارج

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة



تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

العدد السادس — القاهرة فى يوم السبت ٦ ذى الحجة سنة ١٣٥١ — أول ابريل سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العـــدد

طبعت بمطبعة فؤوق ٢٨ شارع المدابغ بالقاهرة

فى الربيـــع ...

منذ أيام تيقظت الطبيعة من رقادها الطويل ، وأخذت تفضح جفنها الوسنان بانداء الربيع . وتبحث عن حُللها وحُلاها فى خزائن الأرض . وتأهب كل حى ليحتفل بشبابها العائد وجمالها المبعوث . فالحياة الهامدة تنتعش فى الغصون الذابلة . والطيور النازحة تعود إلى الأعشاش المقفرة ، والأفنان السليبة تتفطر بالأوراق الغضة . وبارضُ النبت يحوك على أديم الثرى أفواف الوشى . والنسيم الفاتر يروض أجنحته ليحمل إلى الناس رسالة الزهور . وسر الحياة يستعلن فى الحى فينتشى ويمرح . وطيوف الهوى تمس القلوب فتهفو وتختلج ، والعالم كله يسبح فى فيض سماوى من الجمال والنشوة والغبطة ؛

اللهم إلا الانسان ! !

فقد حاول بادعائه وكبريائه أن يكون عالماً بذاته ، فكان نشوزاً فى نغم الكون ، ونفورا فى نظام العالم ، فلو أنه اقتصد فى تصنعه وائتلف كما كان بالطبيعة ، لاتَّحدَ الآن مع الربيع فشعر بتدفق الحياة فى جسمه . وإشراق الصفاء فى نفسه ، وانبثاق الحب فى قلبه ، وأحس أنه هو فى وقت واحد زهرة تفوح ، وخُضرة تَروق ، وطائر يشدو ، وطلاقة تفيض على ما حولها البشر والبهجة !

لا يكاد يقبل على أوربا الربيع حتى تختلط أناشيد الشعراء، وأغاريد البلابل في تمجيده وإعلانه، لأنه يفد إليهم فيرد عليهم النور والدفء والزهر والجمال والحركة.

أما نحن فلا نكاد نفطن لحلوله ولا لرحيله، لأن العام كله على ضفاف الوادي يوم من أيام الربيع: فجره الندىُّ يناير، وضحاه الزاهر أبريل، وظهره الساطع يوليو، وأصيله الرخىُّ أكتوبر!

فليس للربيع المصري على سائر الفصول فضل إلا بذلك السر الالهي الذي تنشق عنه الأرض. فيسري في العود، ويشيع في الجو، ويدب في الأجسام، وينشأ عنه هذا البعث الصغير!

فني الربيع يشتد الشعور بالجمال وبالحاجة إلى التجمل، فترى الشباب بجنسيه يستعير ألوان الرياض، وعبير الخمائل، ومرح الطيور، ويحتشد في دور الملاهي، وصدور الشوارع، فيخلع على الوجود وضاءة الحسن، وعلى الحياة رونق السعادة!

وأجمل شيء في ربيع القاهرة أصائله وأماسيه!

ففي هذين الوقتين تزدهر شوارع القاهرة الحديثة بزهرات شتى الألوان من بنات الانسان، فتملأ الجو عطرا، والعيون سحراً، والقلوب فتنة!

وهنالك على أفاريز الطرق، ومشارف المقاهي، تقف أبصار الكهول والشيوخ حائرة مبهورة تلسع بالنظر الرغيب هذا الحسن المصون! وبين النظرة والنظرة عبرة جافة تصعّد أسى على شباب ذاهب لا يرجع، وجمال رائع لا يُنال!

***

وفي الربيع تضطرم العواطف والعزائم في الشباب، فينفحون بالأمل والطموح والحب نفحان الورود النواضر بعرف الطيب! فقصائدهم الغزلية تنثال كل يوم على بريد (الرسالة) فيحول بينها وبين استيعاب (نشرها) العطر صفحاتها المعدودة.

وكتبهم القيمة تظهر فياضة بالأفكار الوثابة، والعواطف المشبوبة: كالفكر والعالم، والشعبية، وعلى طريق الهند، والحياة الثانية، والربيع، والضحايا، وغير ذلك مما نقرأه الآن لنعود إلى نقده وتحليله بعد.

ومشروعاتهم الاقتصادية والثقافية تظهر موسومة بطابع الاقدام والاخلاص والوطنية: كمشروع تعاون الشباب لمزاولة الأعمال الحرة، ومشروع القرى لتثقيف العامة.

***

وفي الربيع تحتدم الطباع في الأدباء الكهول. فيثب بعضهم على بعض بالهجو المقذع والنقد اللاذع، ويتناقرون تناقر النسور على الصخور، والطيور الوديعة جاثمة في ظلال الغصون ترقب المعركة على بعد. فكلما رأوا الريش المنتوف والدم المنزوف، كبروا واستبشروا، ودعوا الله في أغرودة شامتة أن يتفانى الفريقان، ليخلو الجو من البزاة والعقبان!

وأدباؤنا الكهول شديدٌ بعضهم على بعض!

فهم يسخون بالنقد الممض، ويضنون بالتقريظ العادل، كأنما العصر لا يحتمل غير كاتب من الكتاب، والمكاتب لا تتسع لغير كتاب من الكتب!

ويعجبني الأستاذ صاحب رواية (الهادي): عرف أن الأدباء ربما خرجوا عن نقدها وتقريظها بالصمت كالعادة، فكتب هو في مدحها فصلا في البلاغ.

والانسان أولى الناس بخيره، وأعرف بقيمة عمله من غيره.

***

وفي الربيع تتقد حمية العروبة في العرب. فتسمع اليوم في فلسطين والشام أبناء الشعب الخالد، وورات المجد التالد، يصرخون صراخ الأسد في راقد العدل أن يستيقظ، وفي غائب الحق أن يثوب!

وترى في العراق حطام السياسة البالية تكسحه الريح كسحها للهشيم، ثم تقوم على هذا الطلل المنسوف حكومة فيها حيوية الربيع، ولكن ليس فيها شبابه!

والشباب في العراق كالشباب في مصر منذ سنين: يحاول القائمون على أمره أن يربوه تربية الدجاج: ينقنق دائراً بين الحب والماء، ويبحث في الأرض ليذهل عن السماء؛ ويأبى الشباب إلا أن يكون طيراً يحتقر القفص، ويقتحم الجو، ويسمو إلى الغاية! والغد على كل حال يومه!.

أحمد حسن الزيات

الخجـــول

خجول بطبعه ، ضعيف الثقة بنفسه . إن تحـــدث ظن حديثه مملولا فيقتضبه ، أو معروفاً فتحمر بالخجل وجنتاه ، ويبتل بالعرق جبينه . ويحاول التخلص من موضوعه فلا يعرف ، فيتلعثم لسانه ، ويموت على شفتيه كلامه .

إذا أراد شراء حاجة ، كان كمن يحاول فعل شيء محرّم . فهو يخرج من شارع الى شارع ، ويمر من أمام حانوت إلى أمام حانوت ، دون أن يجرؤ على دخول واحد منها !! ولا يزال كذلك حتى تكل رجلاه . فينكفئ راجعاً إلى بيتـه : فاذا كانت الحاجة شديدة ، نسي خجله لحين ، ثم استجمع ما استطاع من الشجاعة ، ودخل رابع حانوت يقابله . فيطلب مايشاء في صوت المسترحم ، فاذا ما أحضر اليه ، لم يفكر في جودة الصنف ولا في غلاء الثمن . . بل يؤدي الثمن فوراً . . ويغادر المحل منتصرا . . !!

إذا قابل صديقاً انضمت يمناه إلى يسراه وأخذتا تتحاكّان ! فاذا كانت إحداها مشغولة ، ارتفعت الثانية إلى ذقنه . . أو إلى طربوشه . . أو إلى أذنه . . . .

والسلام ! أمرٌ ما أشقه ! فهو يبدأه والصديق على مسافة طويلة ، ثم يحيي بصوت خافت لا يكاد هو يسمعه .

هذا إذا كان الصديق بإزائه ، ولا مفر له من لقائه ، أما إذا استطاع أن يهرب فهو يوفر على نفسه كل هذا العناء في خفة يحسده عليها اللص !

إذا دعوته إليك ، اعتذر وبالغ في الاعتذار ، فاذا ألححت في الدعوة ، دفعه خجله إلى الأجابة ، وكم تكون تضحيتـه عظيمة في هذه الحالة ! فهو يتحمل ساعة ما أشقها على نفسه ! كلها عمل وإجهاد فكر . . . لا يكاد يدخل الحجرة حتى يصطدم بأول كرسي يقابله ، فاذا ما حاول إعادته إلى وضعه الأول اصطدمت يده بالمنضدة . . . .

إذا قدمت اليه القهوة اعتذر عن شربها . . ولكنه يتناول الفنجال عند ما يقدمه اليه صديق ، ولا يكاد يمسكه حتى تقوم في الفنجال عاصفة تدفع بالقهوة يميناً وشمالا ، ولا مفر لها من هذا الاضطراب ، ما دام هو بعينه حامل يده . . !!

إذا طلب اليه صديق أن يقرضه مبلغا من المال ، امتدت يده إلى جيبه فأخرج المطلوب دون وعي ولا تفكير ! !

وقد يحتاج هذا المال بعد أيام ، وتضطره الحاجة إلى الذهاب الى صديقه ، فاذا ما بلغ البيت نسي سبب المجيء ، وكاد يعود أدراجه . . . ولكن الحاجة تلح عليه . . فتدفعه إلى داخل المنزل . فاذا ماقابل الصديق نسي كل شيء . . !!

وهو شاب مثقف ، له غرام بالأدب الحديث ، وله آراء سديدة فيه ، ولكنه عند ما يعارَض ، ينسى آراءه ويعتقد أنها خاطئة ، وإن كان لا يعرف وجه الخطأ فيها . . . !!

قُدّر لي أن أسمع حديث حبه وغرامه . . ، وقد كان هذا منه غريبا ، ولكن أغرب منه غرامه . فقد رأى خبيته مارة أمام بيته في خفة الغزال ، وجمال الزهرة ، فأعجب بها ، ووقع في شراك حبها . . . وكان يظفر منها كل يوم بنظرة في هذا المكان وفي هذا الوقت . . أما اسمها ومنزلها وأسرتها فذلك ابعد شيء يفكر فيه . . .

أليس الخجل كالتردد ، مرضا من الأمراض يصيب المرء في حياته العملية فيغل يده ويشل عقله ، ويجعل الحياة في نظره عبثا لا يحتمل ، ولغزا لا يحل ؟

سليمان محمود جاد

الزهـــرة

الزهرة ابنة الصباح ، وجمال الربيع ، ومنبع العطر ، وظرف العذارى ، وغرام الشعراء !

هي كالانسان ، قليلة البقاء ، سريعة الفناء ، ولكنها تُساقط أوراقها على الأرض في أناقة ولين !

كان القدماء يُجمّلون بها كؤوس موائدهم ، ويتوجون بها رءوس حكامهم ، ويحلّون بها أجساد شهدائهم . أما اليوم ، فتذكارا لهذه الأيام الغابرة نضعها نحن في معابدنا ، ونعبر بألوانها عن مشاعرنا : فالأمل باخضرارها ، والطهر ببياضها ، واشتعال الحب باحمرارها ، والغيرة باصفرارها . فهي كتاب رشيق أنيق ، يجمع بين دفتيه تاريخ الحب وثورات القلوب ، ولكن لا أثر فيه للفتن والحروب !

محمد توفيق يونس

١٤ ١٠

من رسالة الى صديق

حول التجديد

. . . الجديد جديد في مظهره، قديم في جوهره، لا يصلح موضعاً لدرس ولا موضوعاً لحديث.

ستقول: اذن ما بال هذه القصائد الرائعة التي يجلوها الشعراء والمقالات الرائقة التي يدبجها الكتاب؟ فأقول لك انك اذن تفهم من كلمتي القديم والجديد غير ما أفهم، وتريد من مدلولها غير الذي أريد. كأنك تريد بهما ما كان يريده الأقدمون حين كانوا يتمارون في شعر امرئ القيس وجرير وأبي نواس وأبي تمام والبحتري والمتنبي وابن هانىء. والأقدمون كما تعلم إنما كانوا يختلفون في شكل الشعر لا في موضوعه، فهم يتكلمون في اللفظ الجزل والركيك، والأسلوب الرصين والمهلهل، والمعنى المسروق والمطروق، والتشبيه المنتزع من وجوه البادية أو من صور الحضر، والمطلع الجيد والردىء، والتخلص الحسن والقبيح. ويجرون في كل ذلك على أذواق تختلف باختلاف الطبقات والبيئات والصناعات والأجناس. وعذرهم في ذلك واضح. فالشعراء لأسباب فطرية واجتماعية، لم يقدموا اليهم الا نوعاً واحداً من الشعر هو ما يتعلق بالوجدان والعاطفة. فكان النقاد أمام وحدة الشعر العربي ونقصه، مسوقين الى أن يقصروا جهودهم على لفظه: يحكون معدنه، ويعجمون عوده، ويسبرون غوره بالموازنة والمقارنة والتعقب. والشكل الخارجي حكمه حكم اللباس والأثاث والآنية: يتغير بتغير الزمان والمكان والحالة، ليس لأحد في ذلك حيلة.

فهل ترى أن أبا نواس مجدد بالاضافة الى امرىء القيس؛ لأنه بدأ قصيده بوصف الخمر، وتكلم في الغلمان والطرد؟ أو أن المتنبي مجدد بالاضافة الى أبي نواس، لأنه داف شيئاً من فلسفة اليونان في شعره؟ أو أن مطرانا مجدد بالاضافة الى المتنبي، لأنه ذكر القطار والكهرباء، ولون أدبه بأدب الغرب؟ اني لا أرى في مثل هذا التفاوت الظاهري تجديداً، ما دام الشعر قد ظل في كل هذه العصور واحداً في موضوعه وطريقه ونوعه ووزنه.. أما تغير الشكل فذلك فعل القانون العام الذي يغير أبداً كل شىء.

وهل قصد أحد من هؤلاء وأولئك الى هذا التجديد المزعوم فجاهد في سبيله أهل جيله، كما فعل أرباب المذهب الاتباعي (Classique) والابتداعي (Romantique) والواقعي (Realisme) في فرنسا مثلا؟؟ لم يكن شيء من ذلك، لأنهم لم يختلفوا كما اختلف الفرنج في الموضوع والينبوع حتى تتباين الأغراض من تلك المواضيع، وتتشعب المسالك الى هذه الينابيع.

وهل سمعت أن الناس اختلفوا يوم تركوا العلبة الى الكوز والكوب والقدح والجام؟ أم علمت أنهم اختصموا كلما تغيرت موادها من الجلد الى الخشب، ثم الى الخزف، ثم الى الزجاج، ثم الى المعدن؟ كلا! لم يسمع أحد بذلك، لأن اللبن والماء وهما القصد والغاية لم يتغيرا منذ خلقهما الله. أما حين تغير الشراب من اللبن الى الخمر فقد حدث الخلاف وتشعب الرأي وتعددت المذاهب.

الحق أن التجديد لا يحدث، والجديد لا يكون، الا متى وجد القصص والتمثيل في الشعر فيكمل، ودخلت الأقصوصة والقصة والرواية في النثر فيتم. أما ادعاء التجديد بالدعوة الى العامية وترجمة الأساليب الغربية فعجز يتظاهر بالقدرة، وجهل يتستر بالتحذلق!

ا. الزيات

السائل

بينما كنت أسير في إحدى الطرق، وقفني سائل مسكين بوجه شاحب، وعينين داميتين، وشفتين متقلصتين، وقدمين مرتجفتين. فقلت في نفسي:

أوه! ما أتعس هذا الشقي!

قدم إليّ يده الحمراء النحيلة القذرة، وطلب مني صدقة بصوت يخنقه بالبكاء.

فوضعت يدي دون أن أفكر، وقد أخذتني الشفقة على هذا البائس، وضعتها في جيوبي، ثم جعلت أبحث فيها عن شيء أعطيه إياه. ولكني وا أسفاه لم أجد شيئاً، لا نقوداً ولا ساعة، حتى ولا منديلا!

صار موقفي حرجا، وما زال السائل ماداً إليّ يده واثقاً كل الثقة من العطية!

لم أعرف ماذا أعمل!.. وفي النهاية أخرجت يدي وأنا حيران خجل، ثم مددتها وصافحت يده الممدودة قائلا:

«أنا آسف يا أخي فليس معي شيء».

ولم أكد أتم هذه الجملة حتى رأيت عيني السائل وشفتيه تفترّان عن ابتسامة رقيقة، وإذا به يضغط على يدي شاكراً ممتنا وهو يقول:

«حسناً يا أخي! شكراً لك! ان هذه أيضاً صدقة!»

م. يونس

التجديد فى الأدب

للأستاذ أحمد أمين

١

موضوع ثار فيه الجدل بين الكتّاب ، واحتدم فيه الخلاف بين الباحثين . هل أدبنا العربى يحتاج الى تجديد ؟ وهل سواء فى ذلك شعره ونثره ؟ وتعصب قوم للقديم يذودون عنه ويحافظون عليه ، ولا يسمحون بأي تغيير فيه . وهب المحدثون ينعون على المحافظين جمودهم ، وينذرونهم بسوء العاقبة إن هم ظلوا متمسكين بالقديم معرضين عن الجديد .

ولكن أسوأ ما يسوءنى فى هذا الموضوع وأمثاله الغموض والابهام ؛ فاذا سألت المجددين ماذا يريدون بالتجديد وما ضروبه وما مناحيه وماذا يقترحون أن يدخلوه على الأدب العربى جمجموا فى القول وأتوا بكلمات غير محدودة المعنى . ولا واضحة الدلالة . وقد يجوز اذا حددوا أغراضهم وأبانوا عن مقاصدهم ، أن يوافقهم المحافظون أو أكثرهم ، ولا يكون ثمت خلاف ، وان يكن فخلاف معروف تقام عليه حجج واضحة .

من أجل هذا كله أحاول أن أعرض لوجوه التجديد التى يخيل الى أنهم يريدونها ، وأدلى برأيى فيها ، وأدعوا الكتاب أن يساهموا فيها بآرائهم ، ويستدركوا ما يفوتنى من حججهم وأغراضهم :

فى أدب كل لغة عناصر ثابتة لا يعتريها تغير ولا ينالها تجدد . هي قدر مشترك من الأسلوب والتراكيب وتأليف الجمل : به تمتاز اللغة من سائر لغات العالم ، وينفرد أدب الأمة عن آداب العالم — وقدر مشترك من الفن ، نتبين به الجيد من الأدب فى كل عصر وكل جيل ، هو فوق البيئة وفوق العوامل السياسية والاجتماعية ، وفوق ما يطرأ عليها من كل تغيير .

وهذا وذاك هما اللذان يجعلاننا نتذوق الأدب الجاهلى ، وندرك ما فيه من جمال ، ونشعر بما فيه من نقص . ويستطيع الأديب منا أن يعرف خير ما قال امرؤ القيس ، وما قال طرفة ، وما قال زهير ؛ وهو الذى يجعلنا نتذوق ما فى القرآن الكريم من جمال فى الأسلوب والمعنى . وندرك ما فى العصر العباسى الى عصرنا هذا من نثر وشعر ، ونزنه ونقومه ، ونحكم على بعضه بالحسن والجمال والقوة . وعلى بعضه بالضعف والقبح والغموض . ولولا هذا القدر المشترك لانقطعت الصلة بيننا وبين القديم فلا نحس له جمالا ، ولا نتذوق له طعما .

وهذا النوع من العناصر لا يقبل تجديداً ولا تغييرا ، إذ بتغييره تضيع اللغة وتفقد مشخصاتها ، فلو قلبنا تركيب الجمل رأساً على عقب ، أو لم نراع الوضع الذى تسير على نهجه اللغة ، لكان لنا من ذلك لغة جديدة . ليس بينها وبين الأولى نسب .

وهناك نوع آخر من العناصر فى اللغة والأدب ، خاضع للتغيير ، قابل للتشكل ، يتأثر بالبيئة وبدرجة الحضارة ، وبالأساليب السياسية ، وبالحياة الاجتماعية ، وغير ذلك .

وفى هذا النوع يكون التغيير والتجديد . ومن أجل هذا التغيير كانت الفروق واضحة بين الشعر العباسى والشعر الجاهلى ، فى التعبير والتشبيه والأسلوب والموضوع ونحو ذلك . ومن أجل هذا أمكن الأديب اذا عرض عليه نوع من الأدب ، أن يعرف عصره ولو لم يعرف قائله ؛ لأنه يستطيع أن يتبين خصائص كل عصر ومميزاته ، ويطبق ذلك على ما يعرض عليه من شعر أو نثر . ومن أجل هذا أيضاً ترى الفرق واضحاً بين لغة الأدباء الآن وبين لغتهم منذ عشرين عاما . وتجد الفرق واضحاً بين لغة الجرائد المصرية اليوم ، وبين لغة الجرائد السورية والعراقية ، وان كانت كلها تصدر باللغة العربية ، وتشترك فى العناصر الأساسية .

وهذا التغيير أو التجديد فى الأدب وتأثره بما حوله خضع له الأدب العربى وكل أدب على الرغم من المحافظين والجامدين ؛ فقد رأينا فى العصر العباسى مدرسة وعلى رأسها الأصمعى لا تحب إلا الشعر الجاهلى ، ولا تحب من المحدثين إلا من قلد القدماء . ورأينا من كان يُنْشَدُ الشعر فيستحسنه ، فاذا قيل له انه محدث استهجنه واتهم ذوقه ؛ ولكن هذه المدرسة أخضعها الزمن لحكمه ، ونشأ أدب عباسى جديد ،

احتفظ بالعناصر الأساسية للأدب العربي ولم يأبه لما عداها . وكان الفرق كبيراً بين الأديبين كما قال الجاحظ : كم من الفرق بين قول امرئ القيس :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً

وقول علي بن الجهم :

فبتنا جميعاً لو تُراق زجاجة

من الماء فيما بيننا لم تَسَرَّبِ

وجاء المتنبي وعلى أثره المعري مجددا في الشعر من ناحية الأسلوب ومن ناحية المعاني ، فأنكر عليهما أدباء عصرهما نزعتهما الجديدة ، حتى رأينا من بين العلماء من أبوا أن يعدوهما في الشعراء .. ثم حكم الزمن على هؤلاء العلماء ووضع المتنبي والمعري في مكانهما اللائق بهما .

وكان هذا هو الشأن في كل عصر ، حتى عصرنا الحديث ، نشأ قوم تأثروا بالأدب العربي القديم وحذوا حذوه ، ولم يخرجوا قيد شعرة عنه . فلو ركبوا الطائرة قالوا ركبنا الهودج والبعير ، واذا استهلكت البنزين قالوا رعت السعدان(١) ، وسموا الجنيهات الإنجليزية وعملة الورق دراهم ودنانير ، واذا لم يكن لهم من الأمر شيء قالوا لا ناقة لنا ولا جمل ، وهم في الحقيقة لا ناقة لهم ولا جمل ، الى كثير من أمثال ذلك

وتأدب قوم بالأدب الغربي الى ثقافتهم العربية ، فثاروا على كل ذلك واختلفوا بينهم في مقدار هذه الثورة ، فقوم يريدون أن يتحرروا من الأوزان والتزام القوافي ، وآخرون يريدون أن يتحرروا من التشبيهات البالية والمجاز العتيق ، وآخرون يعافون بعض الأساليب القديمة ، والموضوعات التي جرى عليها السابقون . وكان صراع بين الطائفتين نعرض له بعد .

على كل حال دلتنا أحداث الزمان على أن عوامل البيئة في التغيير والتجديد لا يمكن أن تقاوم ، كما دلتنا على أن ليس كل تجديد يصادفه التوفيق ويتسع له صدر الزمن ، وأن نجاح من نجح من دعاة التجديد وفشل من فشل منهم إنما كان خاضعا القوانين طبيعية ظاهرة حيناً وخافية أحياناً ، وأن نوع التجديد إن كان صالحا وكان مما تسمح به القوانين الطبيعية للأدب فمعارضة المعارضين لا يكون لها من أثر إلا أن تؤخر زمن الاصلاح . وهو واقع لا محالة يوما ما ، وإذا لم تسمح بها هذه القوانين كانت دعوة التجديد صيحة في فضاء ، أو خطا في ماء .

وبعد فأي أنواع التجديد يتطلبه المجددون ؟ وهل من خير الأدب العربي قبوله أو رفضه ؟

ان أول أنواع التجديد وأبسطها تجديد الألفاظ ، لأنها مادة الأديب الأولية ، وخيوطه التي ينسج منها قطعته الفنية .

وتجديد الألفاظ على ضربين :

(١) اختيار الألفاظ التي تناسب العصر ويرضاها ذوق الجيل الحاضر . لأن لكل أمة في كل عصر ذوقا خاصاً بها تختار ألفاظا تناسبها وتأنس بها ، وتمج ألفاظا لا تستحسنها ولا تستسيغها ، وذوق الأمة في حياة مستمرة . فهو كذلك في عمل مستمر إزاء الألفاظ ، وأدباء كل عصر لهم معجم يخالف معاجم اللغة القديمة . فلو أن أديبا استعمل اليوم كلمة «هَبَيَّخ» للجارية الحسناء لكفت في اسقاط قصيدته أو مقالته . ولو استعمل كلمة بُعاق للمطر أو السيل لدل على فساد ذوقه . وسوء أدبه ، ومن أجل ذلك لا يستحسن في هذا العصر بعض ما كان يستحسن في عصور سابقة . فقد كان يستحسن من أبي الطيب قوله :

وترى الفضيلة لا ترد فضيلة

الشمس تشرق والسحاب كَنَهْوَرا

ولكن كنهورا الآن ثقيلة في اللفظ كريهة على السمع ، وهذا بديهي لا يحتاج إلى اطالة - وكل من جهل هذه الحقيقة لا يفلح أن يكون أديباً ، لقد أراد الأستاذان الشنقيطي وحمزة فتح الله أن يحييا غريب الألفاظ ويستعملاه في قولهم وكتابتهم ففشلا كل الفشل ، وكان الناس يستظرفون ذلك منهما كما نستظرف فتاة حضرية لبست ثياب بدوية ، وفهموا أن ذلك ليس جدا من القول ، وليس طبيعيا أن تعيش بداوة القرن السابع في حضارة القرن العشرين . إنما يحيا الأديب يوم يوفق لاختيار الألفاظ الرشيقة التي تناسب ذوق عصره ، والعصر الآن أميل إلى السرعة والاقتصاد ، وكلاهما يتطلب الوضوح

(١) السعدان نبت من أفضل مراعي الابل ، وفي المثل : (مرعى ولا كالسعدان)

والجلاء لا الغموض والغرابة .

لذلك أصبحت فى معاجم لغتنا ألفاظ كثيرة ليس لها قيمة إلا أنها أثرية تحفظ فيها كما تحفظ التحف فى دار الآثار .

والضرب الثانى : ألفاظ تخلق خلقا . تلك الألفاظ التى تساير المدنية الحديثة بكل ما اخترعت من أدوات وصناعات ، وما ابتكرت من فن وعلم ومعانى وآراء . واللغة العربية اليوم ، قاصرة كل القصور فى هذا الباب . فليس لدينا ألفاظ لكثير مما اخترع وابتكر . وهذه مشكلة المشاكل اليوم وقبل اليوم تجاذل العالم العربى فيها طويلا ولما يستقر على حال

وكان لقصور الألفاظ أثر كبير فى ضعف الأدب . فكيف يستطيع الأديب أن يصف حجرة وكل ما فيها من أثاث ليس له ألفاظ تدل عليه ؟ وكيف يستطيع الكاتب أن يؤلف رواية ، وهو فى كل خطوة يعثر بمسميات لا أسماء لها ؟ ولذلك يهرب كثير من الأدباء من التعبير الخاص الى التعبير العام ، فاذا أراد أن يصف رجلا يلبس طربوشاً قال إنه يلبس عمارة أو قلنسوة ، والحقيقة أنه لا يلبس عمارة ولا قلنسوة ، وإنما يلبس طربوشا . واذا أراد أن يقول إنه يضرب على البيانو قال إنه عزف على آلة موسيقية . وهذا منتهى الفقر فى التعبير .

كل هذا خنق الأفكار فى أدمغة الأدباء ، وسبب ضعف الوصف والرواية وغيرهما فى الأدب العربى الحديث ، وجعل الأدباء يفرون الى الموضوعات الانسانية العامة ، والأفكار الميتافيزيقية ، فإن نحن شئنا أن يكون الادب ظلا لحياتنا ، وحياتنا الآن ، وجب أن نحل مشكلة الألفاظ حتى يطلق الأدباء من أغلالهم ، وإلا ظلوا يدورون حول أنفسهم ، وظل أدبهم غذاء ناقصا للامة ليس فيه كل العناصر التى لابد منها للحياة .

وهناك تجديد فى مناحى أخرى غير الألفاظ نعرض لها فى مقالات تالية إن شاء الله ؟

الثور فى مستودع الخزف

للدكتور محمد عوض محمد

جعل الثور يطوف فى نواحى المدينة ، ويجول فى طرقاتها فى ساعة غفل فيها الرعاة ، وغاب الحراس . فلم يزل يمشى على غير هدًى ، حتى ساقه القدر المحتوم إلى مستودع الخزف :

فى دار صغيرة متعددة الحجرات . جمع أهل المدينة تراثهم الخالد — أو الذى حسبوه خالداً — من خزف قديم وحديث .

وصناعة الخزف أقدم صناعات الانسان جميعاً . بدأ يمارسها منذ آلاف السنين . وهو بعد فى مثل سذاجة الأطفال ، فكانت فى العصور الأولى شكولا ساذجة ، وصوراً بسيطة . يراد بها النفع والفائدة ، لا الزينة والحسن ، فلا نقش فيها ولا تزويق ، ولا إتقان فى الصنع ولا إبداع . ثم لم تزل ترقى برقى الانسان ، وتمشى وإياه جنباً إلى جنب ، وتحاكيه فى تقدمه ورفعته . حتى غدت فناً من أجل الفنون ، وصناعة من أشرف الصناعات . وأبدع فيها الخيال البشرى أيما إبداع ، فأصبح منها اليوم ما يعد تحفة القرون وفخار الفنون .

***

وهذه المدينة عريقة فى صناعة الخزف البديع ، قد نبغ فيها فى جميع العصور ، رهط من كبار رجال الفن ، فرفعوا فى العالم ذكرها . وحلقت شهرتها فى سماء الفنون . ولم يكن لها فى هذه الصناعة ضريب .

وفى هذه الدار الصغيرة ، قد أودع أهل المدينة خير ما أنتجته قرائح بنيها على مدى القرون ، لكى تكون معرضاً لهذه الصناعة ، يزورها الناس فى كل آونة ، فتنعم عيونهم بما فيها من جمال باهر ، وتنعم نفوسهم بما يبعثه الجمال فى النفس من سعادة وغبطة . فكان بابها مفتوحاً النهار كله ، يقصد اليها الناس على الرحب والسعة ، فى كل ساعة من الزمان .

***

وفى ساعة نامت فيها ملائكة السعد واليمن ، واستيقظت

أبالنية النحس والشؤم . ساقت المقادير العجيبة الغريبة . ذلك الثور العنيف المخيف . إلى هذه الدار — من دون الديار جميعاً !

ولم يلبث طويلا حتى حملته أرجله إلى داخل الدار . فأجال عينيه فيما حوله . فاذا أمامه آيات الفن . مصفوفة على المناضد والرفاف : من أوانى قد ألبستها الحسن يد صناع . وتعاونت على نقشها وتصويرها البراعة والخيال . . . ها هنا صور تمثل الطبيعة بزهرها ونورها . وخضرتها ونضرتها . وأنهارها وعيونها . ونبتها ودوحها . ومائها وسمائها . . . وهناك صور تمثل الطبيعة كما يراها خيال العبقرى . لا كما يراها الناس . فيزيد فى حسنها حسناً . وفى شكولها أشكالا وضروباً . . .

وها هنا صور للحياة . تذكرنا وصف أبى نواس للكؤوس . تمثل فيها الناس فى جدهم ولعبهم . وفى سرورهم وكمدهم : وحين يربحون وحين يسرحون : وحين يدأبون وحين يمرحون . .

ومن تماثيل ذات حسن عزيز : كأنما نصبت هنالك لتقيم المعاذير لمن عبد الأوثان . وبجد الأصنام : منها القائم الناهض ، والجاثم الرابض . والمتكىء والمستلق ، والساكن الهادىء ، والثائر النافر . بعضها قد ألبس ثوباً أو بعض ثوب . وبعضها عار إلا من الحسن . وكلها آيات فى الابداع والابتكار .

فتباركت الأيدى القديرة . التى أحالت الطين والصلصال . إلى كل هذا الجمال والجلال ! .

***

رأى الثور هذا كله . وما برأسه إدراك للفن أو تقدير للحسن : وما فى غريزته فهم لهذا الجمال المتسق المؤتلف ، وهذه الصناعة الباهرة الساحرة . . .

كلا . . : بل فى غريزته عنف وبطش ، وتحطيم وتدمير .

فأجال فيما حوله نظرة بهيم . ثم تراجع إلى الوراء قليلا ، شاهراً قرنين حديدين كالفولاذ . واندفع نحو تلك التحف والطرف . وصال فيها وجال . . . وهى — واأسفاه ! — هشة ضعيفة . سهلة المكسر . لا حول لها أمام العنف ولا قوة .

فطاحت تلك الآيات إلى الثرى . . وتناثرت قطعها الغالية فى جوانب الدار !

وحملق الثور فى التدمير الذى أحدثه . . وكأنما راقه منظره .

فأعاد الكرة ، المرة بعد المرة .

وما هى الا دقائق معدودة ، حتى لم يبق بالدار تمثال قائم . ولا إناء منصوب : بل استحالت جميعاً إلى شظايا مبعثرة ، وأجزاء متناثرة .

وقد اختلط بعضها ببعض . فما تميز العين جديدها من قديمها . ولا طارفها من تليدها : ولا آنية من تمثال . ولا رأساً من جسم . . . لقد صارت جميعاً أكداساً من الخزف المحطم . ليس فيها من الجمال أثر . ولا يرى فيها شاهد على براعة الصناعة .

فى بضع دقائق استطاع هذا البهيم العنيف أن يقضى على تراث القرون . وثمار القرائح . وخلاصة الفن : وأن يحيل هذه الدار . ولم يكن لها نظير فى جمال التنسيق . الى دار فوضى قد شاع فيها الخراب والدمار !

***

ولم يكن بالدار غير فتاة ترعاها . هالها أن رأت ذلك الثور المخيف ، وأحست بالشر يوشك أن يحدق بالدار ومن بها . فغافلته وهو يلهو بالكسر وبالتحطيم : وانطلقت تنشد النجدة والمعونة . . .

وبعد لأى أقبل الناس . علهم أن ينقذوا البقية الباقية . فلم يجدوا بقية باقية . . .

وهل شفى الغليل أن قتل الثور ومزق كل ممزق؟

إن دماء ثيرة الأرض جميعاً لا تعادل آية واحدة من آيات الفنون !

***

ويل الورى من عنيف أحمق خرف .
كأنه الثور فى مستودع الخزف .
رأى جمالا وفنا ليس يفهمه
وهاله ما رأى من مبدع الطرف
فلم يزل مرهفاً قرنيه . مندفعاً
يجرى ، فيكسر ما ألفى من التحف
كأن فى صدره حقداً وموجدة
لكل شىء بديع الصنع مؤتلف .
وكيف يدرك (ثور) أن ذى تحف
للحفظ والصون . لا للمحو والتلف ؟

فلسفة برجسون

نشرت « الرسالة » الغراء بحثاً قيماً لحضرة الأستاذ زكي نجيب محمود لخص فيه فلسفة برجسون أحسن تلخيص وأوفاه . وهي تلك النظرية التي تسود عالم العلم الآن . والتي صار لها الرجحان التام على كل ما خالفها من المذاهب والآراء .

وإني على شدة اعجابي بالطريقة الشيقة الواضحة التي عرض بها بحثه . وبما دعمه من الحجج القوية ، والأدلة الساطعة التي تثبت بأجلى بيان ان الأصل في الكائن الحي هو الروح لا الجسم ، وان الروح كائن مستقل بذاته ، وانه هو الذي يسيطر على الجسم . وهو الذي يديره ويوجهه حسب ارادته الذاتية . وان الكائنات الحية من نبات وحيوان وانسان خلقت أنواعها خلقاً مستقلا . ووُضعت في الدرجات والمنازل التي عينتها لها الروح بمطلق ارادتها ، لا بطريق النشوء والتطور : كما كانت تذهب لى ذلك الآراء المادية البائدة . أقول مع إعجابي بذلك وبغيره مما شيد به أركان النظرية . وأقام عليه بناءها المحكم . أراه قد انتهى الى نتيجة لا تتفق مع هذه المقدمات ، ولا تسير مع أحكام العقل : بل بعضها يناقض بعضا .

تلك النتيجة هي قوله في ختام بحثه : « هذه الحياة التي لا تفتأ تخلق وتغير وتبتدع . والتي تلتمس الحرية من قيود المادة هي الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا) فالله والحياة اسمان على مسمى واحد : ولكنه إله ذو سلطان محدود بقيود المادة . وليس مطلق الإرادة كما تصوره الأديان : إلا أنه دائب في في التخلص من أغلاله وأصفاده . وأغلب الظن ان الحياة ستظفر آخر الأمر الخ . . . »

فنرى من ذلك أنه جعل الله والحياة شيئاً واحدا ، وبعد أن وصف هذا الشيء بانه أساس الوجود وبأنه هو الخالق وهو الذي عين للحياة درجاتها ومراحلها وخلق لها أعضاءها ووظائفها . وسخر لها المادة تسخيرا . عاد فجعل هذا الشيء الذي هو الحياة . وهو الروح . وهو الله . خاضعا لقيود المادة . وأنه يجاهد ليتخلص منها . وهذا لعمر الحق تناقض لا يقبله العقل ولا يقول به أحد .

إنه لابد من أحد أمرين : فاما أن تكون الروح هي الأصل في الوجود والمادة طارئة عليها أو العكس . فإذا كانت الروح هي الأصل - كما ذهب الأستاذ إلى ذلك وبرهن عليه - فلا ريب في أن هذه الروح مستقلة الارادة مالكة لتمام حريتها ، وأن وجودها لذاته لا يحتاج في قوامه إلى شيء ، وأنه مطلق . فليت شعري ما هي العوامل التي جاءت بعد ذلك وأخضعت الروح للمادة الطارئة وقيدتها باغلالها وأصفادها ؟ . أما اذا كان العكس أي اذا كانت المادة هي الأساس ، فهذا ما لا يسعنا فرضه . لان النظرية لا تقول بذلك . بل أنها قامت على هدم هذا الأساس . وقد نجحت في ذلك نجاحا باهرا . حتى لا يكاد يوجد الآن من يقول به .

وعلى هذا يكون الغرض الأول - وهو أساسية الروح واستقلالها عن المادة وتسلطها عليها - هو الواجب التسليم به . ولا يكون ثمت معنى لارتباط هذا الروح بالمادة ارتباط خضوع . ثم لا أدري ماذا يريد الأستاذ بقوله : أن الله أو الحياة يجاهد ليتخلص من قيود المادة . فاذا فرضنا أنه نجح - كما توقع هو ذلك - فماذا يكون بعد نجاحه ؟ وأي حالة يصبح عليها ؟ أهي شيء غير استقلاله بذاته ونيله حريته التامة ؟ ولماذا لم يكن ذلك من الآن بل ومن قبل مادام هو الاساس في الوجود ؟

أما اعتباره الحياة كائناً مستقلاً ذا شخصية موجودة تدافع وتناضل عن نفسها فما ذلك إلا وهم ، لأن الحياة أمر معنوي لا يقوم الا في الذهن وليس له وجود في الخارج . وكذلك سائر المعاني الكلية مثل العلم والارادة والقوة فانها لا توجد في الخارج ، بل الذي يوجد منها انما هو أفراد موصوفون بالحياة أو العلم أو الارادة أو القوة .. وذلك مبسوط في كتب المتكلمين والمناطقة فلا حاجة للتوسع في شرحه هنا : واذا كان الأمر كذلك فما هي تلك الحياة التي يقول بوجودها وأنها هي الله ؟ مع أننا لا نرى إلا أفراداً من الأحياء سواء أكانوا من نوع الانسان أم الحيوان أم النبات . وفي غير أفراد هذه الأنواع لا نرى للحياة وجودا .

الحقيقة أننا لا يمكننا اساغة النتيجة التي انتهى اليها حضرة الأستاذ الباحث بالصورة التي هي عليها ، ولا يمكن التوفيق بينها وبين

المقدمات التى وضعت بين يديها . فدفعا لهذه الاشكالات ، وتخلصا من هذه المتناقضات ، يجب أن نضعها على النحو الذى يحكم به العقل والمنطق ، بل الذى تقضى به البديهة ، وهو أن نميز الروح التى قلنا إنها أساس الوجود ، وأنها تخلق وتدبر من الروح المخلوقة والخاضعة لقوانين الوجود ونواميس المادة ، ثم نميز كذلك هذه الروح المخلوقة والتى لها صفة الحياة من المادة المائتة ، ونعتبرهما متباينين فى الجوهر وفى درجة الوجود ، وبعبارة أخرى تكون النتيجة هكذا :

ان للعالم روحا هى أساس وجوده ، وهذه الروح موجودة لذاتها لا عن شىء آخر ، ولا لعلة ، وان وجودها مطلق ، وسلطانها غير محدود ، وأنها هى التى أوجدت كل شىء بمحض ارادتها ، وهى التى خلقت المادة وخلعت عليها الحياة بجميع مراتبها . وهذه الروح يجب أن يكون لها كل صفات الكمال والبراءة من جميع شوائب النقص ، تلك الروح هى ذات الله تبارك وتعالى .

وما نظن هذه النتيجة تكون موضع بحث فضلا عن أن تكون موضع خلاف ، لانها هى التى يحتمها العقل والتى اجمع عليها رجال العلم والفلسفة فى كل عصر — إلا شواذ لا يعتد بهم من يقولون بالحلول أو بوحدة الوجود كسبينوزا وجيوردانو وأضرابهما .

تلك هى ملاحظتنا نقدمها الى الأستاذ الفاضل عن إخلاص ، راجين أن يحلها محلها من الاعتبار ، ولا يفوتنا هنا أن نكرر إعجابنا وعظيم اغتباطنا ببحثه النفيس ومجهوده الموفق

سيد احمد فهمى

هرمن ودروتيه

للشاعر الألمانى الكبير

جوته

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الكتاب . وهو من أحسن ما ألفه شاعر ألمانيا الأكبر . وقد نقله عن الألمانية الدكتور محمد عوض محمد . وكتب المقدمة الأستاذ الدكتور طه حسين . ويطلب الكتاب من المكاتب المعروفة ومن ادارة اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ وثمن النسخة خمسة قروش

خواطر !

ضجة !

هى موسيقى كلها نشوز . موسيقى خفاقة مضطربة : يثيرها فرد بل تثيرها فى الفرد يده اليمنى . وليست الموسيقى إلا تعبيراً عن الذوق والاحساس . وقد اشتهر المصريون من يوم خوفو وأترابه بالذوق الرفيع ، والاحساس السامى ... .

والمصريون أمة مرحة طروب : واذا كان هناك شك فقد بطل الشك ، وأثبتت نزعة المرح فى أمتنا بائع العرقسوس !

فى أحيائنا الوطنية وأنصاف الوطنية يسير هذا الرجل يحمل الى صدره آنية ضخمة . خرج من فوهتها لوح من الثلج طويل يترجح بين البياض والسمرة ... ويمسك بيده اليمنى وعاءين من النحاس الأصفر . يتنافران أحياناً : فاذا تجاذبا تعانقا ، وكانت قبلتهما تلك الموسيقى التى يضج لها الشارع ، وتظل عليها الملاليم . وتملأ لها الكوبات ، ويحسوها الناس فرحين ، وتنفرج الشفاه عن لفظ الجلالة .. !!

وعلم الله أن بائع العرقسوس وشراب العرقسوس ، لا يستحقان هذا التقدير ، وليس من الذوق أن يثيرا هذه الضجة المزعومة ، وإلا كان لبائع التمرهندى أو الرمالى أو جرونى أن يسير وفى معيته طبل بلدى . !!

تقليد !

يزعمون أن التقليد لا يفيد . وأن المقلد أعرج بالقياس إلى صاحب الفكرة ، أو كالتل بالنسبة للجبل . ويعطينا الزاعمون أمثلة من الأدب . فيقولون : إن الأدب الرومانى ظل للأدب اليونانى ، ولهذا كان الأدب الرومانى ضعيفاً بالقياس الى أدب اليونان . ثم يعرجون على حياة الجماعة ، فيقولون : إن تقليد الناس للناس فى مظاهر حياتهم معناه أن المقلد يستمر على ذيل القافلة يتطلع ولا يتقدم ، ويبصر ولا يفكر .

وسواء أكان هذا الرأى صواباً أم خطأ فأنا أرى أن تقليد الإنسان للانسان هو قضاء على تفكير المقلد ، وعبودية

لعبقريته الكامنة . وأن النفس التى تعيش على تفكير نفس أخرى ، أجدر بالزراية وأحق بالتثريب .

فتياتنا فى مصر أردن خلع البراقع وأردن تقليد الغربيات ، فماذا اخترن لرؤوسهن من لباس ؟ اخترن البيريه ، وما أعجب وضع هذا البيريه على الرأس ! ذلك الوضع الذى يحتاج إلى حارس يراقب رأس الآنسة ! محافظة على ذلك البيريه الذى يتنافر مع معظم الرأس ويتجاذب مع بعضه ، مصغياً إلى الشمال جداً . . ! وحسب موقع البيريه من الرأس أنه يترجح بينها وبين الأرض ، وأنه فى حاجة الى انسان يراقبه من عثرة السقوط ! أما لون البيريه فأغلب الظن أنه تقليد أعمى لجوارب كرة القدم فى ملاعب القاهرة . . !

أنا لا أكره البيريه وإنما أكره وضعه من الرأس ولونه السخيف . . .

سخاء !

لعل طبيعة السخاء فى المصريين تغلب على طبائعهم جميعا ، وليس يشك عاقل فى أن السخاء طبيعة محبوبة ترضيها الانسانية المعذبة التى لا تجدها فى كثير من الأحيان . ولكن ؛ نعم ولكن السخاء قد يركب العقل والقلب ويصبح نوعاً من الاسراف ، فيه ثورة على أمن الناس وراحتهم ! . .

فى الترام أو فى السيارات العمومية تجد هذا السخاء يمتط ويعرض وتطول حباله فإذا به ثورة . . سخاء يدفعه الوفاء حيناً وتدفعه المظاهر أحياناً ؛ هـــذا يريد أن يكلف نفسه ما وسعت فيتحمل عن صديقه عبء التذكرة . . . والصديق يأبى أن يستغرقه هذا الفضل ، ويرغب فى أن يكون سباقا فى هذا المضمار ! .

وتقوم ثورة تحسها فى اللسان ، وقد اجتمعت عنده أغلظ الايمان ، وتراها فى العينين الزائغتين ، وفى اليدين المندفعتين ، تحمل القروش إلى المحصل ! وتبدأ الثورة رويداً ، رويداً ثم تتكاتف الألسنة ، وتبرق العيون ، وتندفع الأيدى ؛ هذا يريد أن يدفع ، وذاك يود أن يسبق صاحبه ، والمحصل يظل حائرا ، وقد وسعت يده أكثر مما يطلب ، ويرجو إن أمكن أن تصل يد قبل أختها . فأغلب الظن أن يدى الصديقين تصلان معاً فى فترة واحدة . وفى عاصفة من التهليل والتكبير ! .

أما الراكبون فلست أشك أنهم لا يغضبون ، لأنهم فى هذا السخاء سواء يعلنونه ما ملكت إيمانهم وما وسعت جيوبهم ، وكم أخاف أن تقوم هذه الضجة فلا يجد أحدهما فى جيبه غير ثمن تذكرته . وتصبح ثورة السخاء هباء فى هباء ، والناس من حولها يضحكون أو يأسفون ؟ !.

ابراهيم عبده

باقة من حديقة أبيقور

لأناتول فرانس

١

ماهية الحقائق العلمية

انه لخطأ كبير أن نظن الحقائق العلمية تختلف اختلافا جوهريا عن تلك التى نشاهدها كل يوم وهى أن امتازت بشىء فبسعة أحاطتها ومبلغ دقتها . أما من الوجهة العملية فالاختلاف عظيم الأهمية . ويجب ألا ننسى فى نفس الوقت أن قوة الملاحظة عند العالم مقصورة على ظواهر الأشياء وما يجرى فى الطبيعة . ولكنها لن تستطيع أن تنفذ ألى باطن المادة أو تعرف شيئا عن حقائق الأشياء ؛ والعين التى تستعين بالمجهر ما تزال عينا أنسانية ؛ نعم أنها أكثر إبصارا من العين المجردة . ولكنهما لا تختلفان فى الوسيلة . وأن العالم ليزيد من صلات الأنسان بالطبيعة ومعرفته بها ، ولكن يستحيل عليه بأى حال أن يحدد الخواص الجوهرية لتلك العلاقات المتبادلة بين الأثنين ، وهو يشاهد كيفية حدوث بعض الظواهر الطبيعية ولكن سبب حدوثها بمثل هذه الكيفية يبقى عليه كما هو علينا سرا محجوبا وبابا مغلقا .

وأننا لنبوء بالخيبة اللاذعة حين نتطلب فى العلم قانونا

أخلاقيا ، فقد كان الناس يعتقدون منذ ثلاثمائة سنة أن الأرض مركز الكون ، ولكننا نعلم الآن أنها جزء من الشمس قد انفصل عنها وأن هذا الكون الذي نحن فيه كذرة التراب الحقيرة أنما هو فى حركة دائمة وعمل مستمر لا ينفك ينشأ ثم . بيد وأن الأجرام السماوية لا تفتأ تموت ثم تولد ولكن من أية ناحية قد تغيرت طبائعنا وأخلاقنا بهذه الاستكشافات العظيمة ؟ أترى الأمهات قد تأثر حبهن لأطفالهن قوة وضعفا ؟ أم ترى تقديرنا لجمال المرأة قد كثر أو قل ؟ أم أن نبض قلب البطل المغوار في صدره قد اختلف عن ذى قبل ؟ كلا ! فلتكن الأرض كبيرة أو صغيرة فماذا يعنى الناس من كل هذا ؟ أن فى سعتها ما يكفى ليجعل منها مسرحا للألم والحب . فهما منبعان متلازمان لجمالها الذى لا ينفد . نعم الألم ما أجله وأقدسه ! وما أجهلنا بقدره وقيمته ! فنحن ندين له بكل ما هو حسن فينا وكل ما يجعل الحياة جديرة بالعيش فيها ، ندين له بعاطفة الرحمة والشجاعة وسائر الفضائل . وما الأرض إلا ذرة من الرمل فى اللانهاية المجدبة للعوالم التى تحيط بنا .

ولكن إذا كان على الأرض وحدها نقاسى الخلائق المتعددة فهى أعظم قدراً من تلك العوالم بأجمعها ، بل هى كل شىء والباقى لا شىء ، فبدونها لن يكون للفضيلة ولا للعقل وجود . وما هو الذكاء اذا لم يكن فناً يقصد به إبعاد الألم ؟ على انى أعلم أن هناك عقولا كبيرة قد تطلعت إلى آمال أخرى غير هذا ، فقد كان رينان يعلل نفسه فى فرح الواثق بحلم هو انتظار قانون أخلاقى مؤسس على العلم إذ كان يثق به ثقة لا حد لها ، وكان يعتقد أنه ما دام العلم قد استطاع أن يتخذ فى الجبال نفقاً فلن يعجز عن تغيير العالم برمته فى المستقبل ، ولكننى لا أظن مثله أنه قادر على أن يجعل منا آلهة كاملة ، والحق أقول أنى لا أريد ذلك ولا أرغب فيه ، فأننى لا أحس فى نفسى عناصر الألوهية بغض النظر عن بشاعتى ، فضعفى عزيز على محبب الى وهو نقص ولكنه أهم مميزات وجودى .

سذاجة العلماء

لقد عهدت العلماء كالأطفال فى سذاجتهم وبعدهم عن الادعاء . وفى كل يوم نلقى أدعياء يتوهمون أنهم محور العالم ، ومن المؤسف أن يعتبر كل منا نفسه مركز الكون . وهذا وهم شائع فى جميع الناس لا يخلو منه الكناس العابر تنبه به عيناه حين ينظر حوله فيرى قبة السماء تستدير به من كل الجهات ، جاعلة إياه مركز السماء والأرض . وقد يتزعزع هذا الإعتقاد فى نفس من يفكر تفكيراً عميقاً . فالتواضع وهو شىء نادر بين المتعلمين ما زال أندر منه بين الجاهلين !

ماهية الجهل

الجهل شرط ضرورى لابد منه لا للسعادة فحسب بل للحياة نفسها . فلو أحطنا بكل شىء علما لما استطعنا احتمال الوجود ساعة واحدة . لأن الشعور الذى يحببه الينا أو يجعله محتملا على الأقل أنما ينبع من الأباطيل ويتغذى بالأوهام ، فلو استطاع إنسان أن يستحوذ كمالا له على الحق المطلق ثم يفلته من يديه لبادت الدنيا واختفى العالم كما يختفى الظل ، فالحق الالهى كيوم القيامة يسحق هذا الوجود سحقاً

حنفى غالى

ooooooooooo

القصة المصرية

للأستاذ جيب

أستاذ الأدب العربي فى مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن

جاء ابتداء ظهور القصة كفن من فنون الأدب فى مصر متأخراً ، الى حد أننا نلتمس العذر لمن يدرس الأدب العصرى . اذا هو رجع الى ما أنتجته من قبل « مدرسة الكتاب السوريين » من الآثار ليبحث عما اذا كان هناك فى الأصل علاقة بينها وبين نمو القصة .

وفيما عدا ما يحتمل من أن نجاح القصصيين من السوريين قد شجع الكتاب المصريين على انتاج نوع من القصص يلائم شعبهم ، ستبقى (القصة المصرية) وهى موضوع هذا المقال ، أثناء البحث مستقلة تمام الاستقلال عن تاريخ القصة السورية .

أما المؤثرات الغربية . فقد ظهرت بوضوح فيما ولى ذلك من الأطوار كما أنها استخدمت استخداما مباشرا . ولكن على الرغم من هذا فان « آداب التسلية » فى مصر قد ظلت لمدة طويلة تعتمد على ما خلفه العرب من النماذج الأدبية العالية . والنماذج العرفية التى درج الناس عليها . فلما آن لها أن تتحرر من تبعيتها لتلك النماذج ، كان تحررها ببطء وبعد تردد ، ومن ثم كان نجاحها فى ذلك الاتجاه فردياً موزعاً ، ولم يكن نتيجة لحركة تطور مستقيمة .

ونحن فى الواقع اذا أردنا أن نتحدث عن « نمو » القصة فى مصر ، فلا بد أن نمد فى معنى هذا اللفظ « القصة » حتى يشمل شعبة واسعة من فنون الكتابة يربطها جميعاً رباط الخيال القصصى ، وان كان بينها كثير لا يمكننا مطلقا أن نعتبره قصة اذا قصدنا المعنى الحقيقى لهذا اللفظ .

ويعزى تأخر مصر فى هذا الميدان . ميدان القصة ، اذا هى قورنت بتركيا والهند — وهما المركزان الأساسيان الآخران للثقافة الاسلامية — الى عدة عوامل أوضحناها فى مقال سابق فى صدد الكلام عن الأسباب الأدبية . والأسباب التعليمية التى كانت عقبة فى سبيل ظهور آداب التسلية من نوع جديد فى مصر . ونستطيع أن نضيف اليوم الى تلك العوامل أن المصريين وجدوا غنية ومتاعا فيما خلفه العرب من آداب عالية متنوعة ، مما لم يكن له مثيل فى كلتا اللغتين التركية والأردية ١ . وهناك بعض عوامل محلية خاصة سنعرض لها فى شيء من التفصيل فى بحثنا هذا . ولكننا نحب أن نشير الآن الى تلك الحقيقة التى تحوى شيئاً مما سنعرض له . وهى أن تلك الطبقة المحصورة التى تعلمت تعلما حديثاً فى مصر ، كانت تستطيع أن تجد بغيتها فى الأدب الفرنسى والأدب الانجليزى . ومن أجل ذلك انعدمت فى الدوائر الأدبية البواعث التى تشجع على تأليف كتب التسلية بالعربية . فلما مست الحاجة الى هذا النوع من الكتب ، كان المسلك الطبيعى الذى سلكه الأدباء هو اقبالهم على ترجمة القصص الفرنسية والانجليزية . وفضلوا ذلك على أن يقوموا بانتاج أدب قصصى جديد لا يرجون له انتشاراً ، اذ كان ذلك العمل يتطلب منهم خلق فن جديد من فنون الكتابة .

ولما كانت هذه القصص قد ترجمت ترجمة سقيمة ، ولم يراع فى اختيارها حالة مصر الاجتماعية ، ولا حالة الثقافة العامة ، ولا التذوق الأدبى فى البلاد . فان قبول القراء لها على الرغم من عيوبها ليدل على انه كان هناك شعب يتذوق هذا النوع من الأدب ويقدره حق قدره .

على أن هناك كتاباً يصح اعتباره مقياسا للكياسة والمهارة اللتين ينبغى أن يتصف بهما من يريد القيام بترجمة قصة أوربية ، بحيث يجعلها تلائم ذوق شعب ثقافته اسلامية كالشعب المصرى ،

١ Urdu.

ذلك الكتاب هو ترجمة عثمان جلال لقصة « بول وفرجينى » فان تلك الترجمة على ما فيها من الاختصار والتصرف فى الجملة ظلت محافظـــة على الروح الأصلية وعلى ما جاء فى الاصل من المعانى . أضف الى ذلك أن استعمال السجع فى عبارات سهلة ، ووضع المؤلف بعض المقطوعات الشعرية محل الافكار الفلسفية التى وردت فى الاصل ، قد أكسب هذه الترجمة مسحة عربية ، لم توجد مع الاسف فى معظم ما عاصرها أو جاء بعدها من الكتب المترجمة . ويمكننا أن نستشهد على ذلك بالفقرة الآتية :

« وما أنت أيتها الصغيرة فلا عذر لك فى السفر . ولا بد من تسليمك للقضاء والقدر ، وأن تطيعى أمر الاقارب وأن ظلموا وأن تسلمى لما به حكموا ، فان سفرك وان كان لا أخذ برضاه . فهو على ما حكم الله . فلقد أنزل تعالى فى كتابه العظيم . على لسان نبيه الكريم : قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى . وان سفرك ان شاء الله لنعم العقبى . أفتعصين الله ما أمر ، أم تسلمين للقدر »

وهناك غير هذا الكتاب مئات أخرى بينها عدد ليس بالقليل خرص فيه المترجمون على الأصل الى درجة تختلف قلة وكثرة عما ذكرنا ، ونخص بالذكر تلك التراجم التى قام بها المنفلوطى ، وان كان ينقصها كثير من مزايا ترجمة عثمان جلال ، على الرغم من براعة أسلوب المنفلوطى . والذى يعنينا فى هـــذا الصدد الكتب المترجمة من أنها كثيرة وأنها صادفت رواجا عظيما .

ونستطيع أن نتبين ميل الكتاب المصريين الى المحافظة على ماخلفه لهم العرب من الأوضاع الأدبية التقليدية . (الا أن يضيفوا اليه بعض العناصر الجديدة) فى تلك القصة التى تعد أول قصة مصرية بالمعنى الذى أشرت الى وجوب اعتباره فى صدد الكلام عن القصة المصرية . وهى « رواية عذراء الهند أو تمدن الفراعنة لمنشئها الضعيف احمد شوقى » عام ١٨٩٧ . وهى من أوائل مؤلفات الشاعر النابه احمد شوقى . ولم توضع هذه القصة على نمط قصص ألف ليلة وليلة أو على طراز قصص السيرة . وانما وضعت على نمط تلك الأقاصيص الخرافية الشهيرة التى تعرف « بالحواديت »[١] . وقد سار المؤلف فى توسيعها على الطريقة التى تتبع فى « القصص التاريخية » . على أنى أقرر صراحة أن هذه القصة مما لا يمكن أن يستسيغه العقل . من حيث الخطة ومن حيث ما حشر فيها حشراً من المخلوقات الخرافية كالسحرة والعرافين ، مما لا تكاد تخـــلو منه صفحة من صفحاتها ، ولكنها ورثت مما سبقها من « الحواديت » المشهورة ميـــلا شديداً الى الحركة والمخاطرة فعوض ذلك عليها بعض مساوئها ، وانا لنشعر بشىء من اللذة أثناء قراءة الصفحات التى لم تحشر فيها الخرافيات لانها تعد بين القصص الحى .

أما ما تدين به تلك القصة « للقصة التاريخية » فهو طريقة سرد التاريخ فى ثنايا القصة . ولقد تعرضت هـذه القصة لشرح عظمة مصر القديمة . وهى جديرة بالاعتبار من هذه الناحية . على أن خطرها الحقيقى انما يرجع الى أنها كتبت بذلك الأسلوب الفخم الذى قلد شوقى زعامة الشعر فى الأدب العصرى . ويعد النثر المسجوع فيها من أفصح ما عرف من هذا النوع ولقد كانت الفقرات تجرى على روى واحد أربع مرات أو خمسا فى غير إملال . وكانت تتخلل هـــذه الفقرات بعض المقطوعات الشعرية الرائعة للمؤلف . وأن الانسان ليأسف على انه لم يتح لهذا الأسلوب موضوع آخر ومواد أخرى غير التى استعمل فيها .

بجانب تلك المحاولة التى قام بها شوقى . ظهرت محاولة أخرى بعد ذلك ببضع سنوات كانت أبعـــد نجاحا وأعظم أثراً وهى التجاء الكتاب الى ذلك الضرب المعروف بالمقامات ، وهى تعد فى نظر من يدرسون الأدب العربى فى العصـور الوسطى أقرب ضروب الكتابة فى ذلك الوقت الى القصة بمعناها الحقيقى . ولقد ظلت المقامة تستعمل فى شكلها التقليدى حتى أواخر القرن التاسع عشر . وعلى الاخص على يد ناصيف اليازجى وعبد الله باشا فكرى . ولكنها كانت فى يدى هذين الرجلين وغيرهما من كتاب مدرستهما مقصورة على الموضوعات القديمة . ولم يكن لها بحياة عصرهم غير ارتباط قليل .

ولكن ظهر بجانب هـــذه المقامات نوع آخر لجأ اليـه الكتاب فيما طرقوه من الموضوعات وعلى الاخـــص فى النقد الاجتماعى : وأقبل عليه عدد من الكتاب المصريين فأخرجوا طائفة من الآثار الادبية : كانت أحدى المظاهر الخاصة التى امتاز بها الانتاج الادبى فى السنوات العشر التى سبقت عام ١٩١٤

ويعد « حديث عيسى ابن هشام » لمحمد ابراهيم المويلحى (١٨٥٨ ـ ١٩٣٠) أقيم وأحسن تلك المجموعة الجديدة . بل ان هذا الكتاب فى تصوراته وطريقته ليكاد يصل الى القصة بمعناها الحقيقى . ولقد لجأ المويلحى أيضا فى ذلك الكتاب الى الخرافيات . لان الخيط الذى يربط أجزاءه . هو تجارب أحـــد الباشوات

---

١ Hawādit ، تراجع مقدمة قصة ،، الشيخ سيد العبيط ،، لمحمود تيمور ففيها بحث قيم بقلم أحد أساطين المؤلفين فى اللغة العربية ، (المؤلف)

الذين عاشوا فى عهد محمد على . وقد بعث هذا الباشا من مرقده فهاله ماوجد من الظروف الاجتماعية الغريبة التى لم يألفها فى القاهرة التى استحالت إلى مدينة أوروبية . وبهذه الوسيلة تسنى للمؤلف أن ينتقد فى جوار ممتع حالة عصره ، وأن يقارن ذلك بالماضى مظهرا ما فى الحاضر من مساوىء . أهمها ولع أهله بتقليد الأوربيين تقليدا مرذولا . على أن هذا الكتاب ، كما لاحظ محمود تيمور . ينقصه الخواص الجوهرية للقصة . وأعنى بها الخطة البسط ، ولكنه فى تصوير الأشخاص قد نجح الى درجة جديرة بالاعتبار . ولقد أضيف الى الطبعة الأخيرة لهذا الكتاب جزء آخر سمى « بالرحلة الثانية » غيرت فيه المناظر الأولى بمناظر باريس أبان المعرض العظيم عام ١٩٠٠ ، وبذلك تسنى للمؤلف انتقاد مساوىء التشبه بالغربيين . وأوضح معايب المدنية الغربية لدى منابعها . ومما هو جدير بالملاحظة أن الباشا لم يرجع ثانية الى قبره ، ذلك الى مثله فى الكتاب ما يحملنا على الظن بأن المؤلف قد نسى الفكرة التى بدأ بها كتابه .

ولا يعزى نجاح هذا الكتاب وشهرته الى القصة نفسها ولا الى مغزاها بقدر مايعزى الى براعة الأسلوب والمقدرة على الوصف . فان المؤلف يقلد تقليدا متقنا الخصائص الحسنة التى يمتاز بها أسلوب المقامة مضافا الى ذلك سهولة حديثة وظرف . ويتخلل عباراته المسجوعة حوار فى لغة سهلة حديثة . ولقد يلجأ المؤلف الى اللفظ العامى الاصطلاحى فيستعمله فى غير تردد ، وذلك على الرغم من أن الحوار نفسه كان يتطرق كثيرا الى عبارات وصفية مسهبة . وكان السجع مزيجا متقنا من القديم والحديث ١ مما أكسب الأسلوب طرافة ورونقا ، وجعل القارىء يستمتع بأثر من الآثار الأدبية الحية جدير بأن ينافس آثار المنفلوطى فى الأسلوب مع تفوقه عليها فى عمق الحس وحسن الترتيب .

ونستطيع أن نضيف الى كتاب المويلحى كتابين آخرين ، جرى فيهما صاحباهما على سنة المويلحى فى اختيار طريقة المقامة للكتابة فى النقد الاجتماعى . وان كانا أقل منه لباقة ورقة . أولهما « ليالى سطيح » لمحمد حافظ ابراهيم وهو أقوى منافس لشوقى فى زعامة الشعر العصرى (١٨٧١ - ١٩٣٢) وظهر هذا الكتاب عام ١٩٠٧ . وخطة هذا الكتاب بسيطة تتلخص فى أن جماعة من الناس كانوا يشكون فى ليالى متوالية ما يلاقونه من مساوىء الاحوال السائدة فى مصر ، فيجيبهم على التوالى صوت خفى مبينا أسباب مايضجون منه من المساوىء فى نثر مسجوع تتخلله بعض المقطوعات الشعرية ، واصفاً لهم الدواء . على أن خطة الكتاب تأخذ بعد ذلك فى التغير تدريجا حتى يصير الجزء الأكبر منه عبارة عن محاورات فى نثر مرسل سهل تضيع فيه المعالم الأصلية للكتاب . ولقد قوبل هذا الكتاب بحماس واقبال فى الدوائر الأدبية المصرية ١ ولكن مما تلذ ملاحظته فى هذا المقام أن أصواتا عالية قد ارتفعت فى ذلك الوقت منددة باستعمال السجع فى مثل هذه المؤلفات ٢

أما ثانى هذين الكتابين فهو « ليالى الروح الحائر » للكاتب السياسى والمؤلف المسرحى محمد لطفى جمعة . ولقد سار المؤلف فى هذا الكتاب على طريقة المقامة بالدقة . دون أن يلجأ الى السجع . ويلاحظ فى كتابه أثر كتاب « المدرسة السورية الأمريكية » واضحا خصوصا فى هذا النوع من الانشاء المعروف باسم الشعر المنثور أو الشعر الحر . أما المتحدث فى هذا الكتاب فهو روح غير مجسمة كما يفهم من اسمه . وأغلب هذا الحديث فى انتقاد الأحوال الاجتماعية فى مصر . ولقد أشار زيدان بحق الى جمال هذا الكتاب وفصاحة أسلوبه . وفى نظرى أنه فى هذه الناحية أهم منه فى الناحية الأخرى : ناحية التعمق فى الأفكار التى تعرض لشرحها .

وقبل أن أترك هذه المجموعة المتشابهة أحب أن أشير هنا الى كتاب آخر عظيم الشبه بها وان امتاز منها فى الروح ثم فى الأسلوب الى حد كبير . ذلك هو مجموعة الفصول التى جمعت تحت عنوان « أين الانسان » لمؤلفها الشيخ طنطاوى جوهرى . ولقد قدمت هذه الرسالة الى المؤتمر الدولى الذى انعقد فى لندن عام ١٩١١ . أما المتكلم فى هذه الرسالة فهى روح سماوية . وأما الحديث فأنه يدور حول التقدم العالمى والاخاء البشرى . ولم يلجأ الكاتب الى استعمال السجع . وهذه الرسالة مفخرة للأدب العربى العصرى . وهى جديرة بأن تكون موضوع دراسة خاصة . ولكنى أكتفى هنا بالاشارة اليها لخروجها عن موضوع بحثى .

ويمكننا أن نتبين فى هذه المؤلفات عدة محاولات مجتمعة لايجاد نوع جديد من الأدب . يسد حاجة جمهور قارىء جديد . ويتصل بعض الاتصال بمشاكله ونظراته الى الحياة . بحيث يسهل تناوله ، ويثير اهتمامه ، ويلائم خياله . على أن أصحابها لم يصادفوا نجاحا فى تلك المحاولات لأنها كانت أقرب الى الأدب العالى منها الى آداب التسلية ، فلم يقبل عليها الا عدد صغير من خاصة القراء .

وبدل أن يطرقوا موضوعات جديدة طريفة تسرى عن الجمهور

« البقية على صفحة ١٩ »

١ . كالمكاحل علقت بها المزاود ، أو كخطوط الجداد على صفحات الجرائد .

١ . راجع المنار أغسطس ١٩٠٨ والهلال يولية ١٩٠٨ .
٢ المقتبس اكتوبر ١٩٠٨ .

ابن خلدون فى مصر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

٢

وانه لمنظر شائق ذلك الذى يقدمه الينا ابن خلدون عن مجلسه فى ذلك اليوم ومن حوله العلماء والأكابر يشهدون الدرس الأول لذلك المفكر المبدع ، وهو يحرص على تدوينه كما يحرص على تدوين الأثر الذى يعتقد انه أحدثه اذ يقول : « وانفض ذلك المجلس وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار » ١ . وفى ذلك ما يدل على ما كان يشعر به ابن خلدون فى كبرياء وثقة من انه كان شخصية ممتازة تجب احاطتها بمظاهر خاصة من التكريم والرعاية . ثم كانت الخطوة الثانية فى ظفره بمناصب الدولة . وتعيينه قاضيا لقضاة المالكية فى أواخر جمادى الآخرة سنة ٧٨٦ (اغسطس ١٣٨٤ م) ٢ مكان القاضى المعزول جمال الدين بن خير السكندرى . وكان ارتقاءه الى هذا المنصب الذى هو رابع أربعة تعتبر من أهم مناصب الدولة ايذانا بوثوب العاصفة من حوله . واضطرام تلك الخصومات التى كدرت صفو مقامه ، واذالت نفوذه . واقتلعته من المنصب غير مرة . يقول ابن خلدون فى سخرية : « واقمت على الاشتغال بالعلم وتدريسه الى أن سخط السلطان قاضى المالكية يومئذ فى نزعة من النزعات الملوكية . فعزله واستدعانى للولاية فى مجلسه وبين امرائه . فتفاديت من ذلك . وابى الا امضاءه » ٣ . وقد عرف ابن خلدون هذه « النزعات الملوكية » . وعرف انها تبطن من الشر والنقم فى معظم الأحيان أكثر مما تسبغ من العطف والنعم . ولكنه يريد أن نفهم أن ارتفاعه الى منصب القضاء لم يكن نزعة ملوكية فقط ، وانما اختاره السلطان كما يقول ، تأهيلا لمكانه وتنويها بذكره »

ونستطيع أن نقدر أن ولاية ابن خلدون لخطة القضاء لم تكن حادثا عاديا . فقد كان أجنبيا . وكان تقدمه فى حظوة السلطان ، وفى نيل المناصب ، سريعا . وكانت مناصب التدريس والقضاء دائما

(١) نسخة « التعريف » الخطية ص ١١٠

(٢) يذكر ابن خلدون ان تعيينه فى هذا المنصب وقع لأول مرة فى رجب سنة ٧٨٦ . ولكن الروايات المصرية كلها متفقة على أن هذا التعيين كان فى جمادى الآخرة (السخاوى فى الضوء اللامع ، وابن تغرى بردى فى المنهل الصافى كل فى ترجمته لابن خلدون ، والسيوطى فى حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢٣) . ولكن يبدو من رواية ابن خلدون انه بدأ مباشرة وظيفته فى رجب ، وانه يجعل من التعيين وبدء العمل واقعة واحدة

(٣) نسخة التعريف الخطية ص ١١١

مطمح جمهرة الفقهاء والعلماء المحليين ؛ ولم يكن مما يحسن وقعه لديهم أن يفوز بها الاجانب الوافدون دونهم . واذاً فقد تولى العلامة المغربى منصبه فى جو يشوبه كدر الخصومة والحسد . وجلس بمجلس الحكم فى المدرسة الصالحية بحى بين القصرين . فلم يمض سوى قليل حتى ظهرت من حوله بوادر الحقد والسعاية . ويقول لنا ابن خلدون فى سبب هذه العاصفة التى ثارت حول توليه القضاء ، كلاما طويلا عما كان يسود القضاء المصرى يومئذ من فساد واضطراب ، وما يطبع الأحكام من غرض وهوى ، وعما كان عليه معظم القضاة والمفتين والكتاب والشهود من جهل وفساد فى الذمة ؛ وانه حاول اقامة العدل الصارم المنزه عن كل شائبة . وقمع الفساد بحزم وشدة ، وسحق كل سعاية ، وغرض . يقول : « فقمت فى ذلك المقام المحمود . ووفيت عهد الله فى اقامة رسوم الحق وتحرى العدالة . . . لا تأخذنى فى الله لومة . ولا يرغبنى عنه جاه ولا سطوة . مسويا بين الخصمين . آخذ الحق الضعيف من الحكمين . معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين . جانحا الى التثبت فى سماع البينات . والنظر فى عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات ؛ فقد كان البر منهم مختلطاً بالفاجر . والطيب متلبساً بالخبيث . والحكام ممسكون عن انتقادهم ، فيتجاوزون عما يظهر عليهم من هناتهم . لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة . فان غالبهم مختلطون بالأمراء ، معلمون للقرآن وأئمة للصلوات . يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون بهم الخير . ويقسمون الحظ من الجاه فى تزكيتهم عند القضاة ، والتوسل لهم . فاعضل داؤهم . وفشت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم ؛ ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجب العقاب . ومؤلم النكال . . . » ثم يعدد نواحى الفساد التى شهدها . وجد فى إصلاحها وقمعها ؛ وكيف مضى فى سبيله « من الصرامة وقوة الشكيمة » . وكيف احتقر شفاعات الأعيان والأكابر خلافا لما اصطلح عليه زملاؤه القضاة من قبولها . حتى ثار عليه السخط من كل ناحية . وسلقته جميع الألسن وكثرت فى حقه السعاية لدى البلاط ١ .

وهذا التعليل الذى يقدمه لنا ابن خلدون عن سبب الحفيظة عليه ، واضطرام الخصومة حوله ، معقول يحمل طابع الصراحة والصدق . بل هذا ما تسلم به التراجم المصرية المعاصرة والقريبة من عصره . فيقول ابو المحاسن مثلا مشيراً الى ولايته للقضاء : « فباشره بحرمة وافرة ، وعظمة زائدة . وحمدت سيرته ، ودفع رسائل أكابر الدولة ، وشفاعات الاعيان . فاخذوا فى التكلم فى أمره . . . » ٢ . ويقول ابن حجر والسخاوى . « فتنكر (أى ابن خلدون) للناس بحيث لم يقم لأحد من القضاة لما دخلوا للسلام عليه . مع اعتذاره لمن عيبه عليه

(١) كتاب العبر ج ٧ ص ٤٥٣ و ٤٥٤ (٢) المنهل الصافى ج ٢ ص ٢٠١

فى الجملة . وفتك فى كثير من أعيان الموقعين والشهود . وصار يعزر بالصفع . وشبهة الزج . فاذا غضب على إنسان . قال زجوه فيصفع حتى تحمر رقبته »(١) . وفيما ينقل السخاوى قصد الى التعريض والانتقاص . وسنرى أنه شديد الوطأة على ابن خلدون يشتد فى نقده وتجريحه : ولكن فى قوله مايؤيد أن ابن خلدون كان يصدر فى قضائه عن نزاهة وحزم وصرامة : بل هو يشهد لابن خلدون بذلك صراحة . حينما يقول عنه فى موضع آخر : « ولم يشتهر عنه فى منصبه الا الصيانة . . »

انقضت العاصفة على ابن خلدون اذا لأشهر قلائل من ولايته وكثر السعى فى حقه والاغراء به حتى « أظلم الجو بينه وبين أهل الدولة » على حد تعبيره . وفقد حظوته وما كان يتمتع به من عطف ومؤازرة واصابته فى ذلك الحين نكبة أخرى هى هلاك زوجه وولده وماله : وكان منذ مقدمه ينتظر لحاق اسرته به : ولكن سلطان تونس حجزها عن السفر ليرغمه بذلك على العودة الى تونس فتوسـل الى السلطان الظاهر ان يشفع لديه فى تخلية سبيل اسرته به . ففعل . وأطلق سراح الأسرة وركبت البحر الى مصر . ويروى لنا ابن خلدون نبأ الفاجعة فى قوله : « ووافق ذلك مصابى بالأهل والولد . وصلوا من المغرب فى السفين . فأصابها قاصف من الريح . فغرقت . وذهب الموجود والسكن والمولود : فعظم المصاب والجزع . ورجح الزهد . واعتزمت على الخروج عن المنصب » ولم يمض سوى قليل حتى أقيل المؤرخ من منصب القضاء . أو بعبارة أخرى . حتى عزل . بيد أنه يريد أن نفهم أن هذا العزل جاء محققا لرغبته اذ يقول : « وشملتنى نعمة السلطان أيده الله فى النظر بعين الرحمة . وتخلية سبيلى من هذه العهدة التى لم أطق حملها . ولاعرفت فيما زعموا مصطلحها . فردها الى صاحبها الأول ، وأنشطنى من عقالها : فانطلقت حميد الأثر مشيعا من الكافة بالأسف والدعاء وحميد الثناء . تلحظنى العيون بالرحمة . وتتناجى الآمال فى بالعودة »(١)

والخلاصة ان ابن خلدون يؤكد لنا ان عزله كان نتيجة التحامل والحقد والسعاية فقط . وانه أثار استياء وأسفا فى المجتمع القاهرى . وانه غادر منصبه موفور الكرامة والهيبة . بيد انا سنرى حسبما يشير فى قوله المتقدم انه كان يرمى بجهل الأحكام والاجراءات وانه لم يكن بذلك أهلا لتولى القضاء . وانه كان مشغوفا بالمنصب أشد مايكون حرصا عليه

وكان عزل ابن خلدون عن منصب القضاء لأول مرة فى السابع من جمادى الأولى سنة ٧٨٧ هـ (يوليه ١٣٨٥ م) . اعنى لنحو عام فقط من ولايته . فانقطع الى الدرس والتأليف كرة أخرى .

على أن هذا العزل لم يكن إيذانا بسخط السلطان ونقمته : فقد لبث ابن خلدون فى منصب التدريس بالقمحية : ولم يمض سوى قليل حتى عينه السلطان أيضا لتدريس الفقه المالكى بمدرسته الجديدة التى أنشأها فى حى بين القصرين (المدرسة الظاهرية البرقوقية) . واحتفل ابن خلدون كعادته بالدرس الأول ، وألقى خطابا بليغا يدعو فيه للسلطان . ويعتذر عن قصوره فى تواضع ظريف . وشغل بالدرس فى المعهدين حتى كان موسم الحج عام تسعة وثمانين . فاعتزم عندئذ اداء الفريضة . وأذن له السلطان وغمره بعطائه . وغادر القاهرة فى منتصف شعبان : وقصد الى الحجاز بطريق البحر : ثم عاد بعد اداء الفريضة . بطريق البحر أيضا حتى القصير : ثم اخترق الصعيد بطريق النيل . فوصل القاهرة فى جمادى الأولى سنة تسعين (٧٩٠ هـ) : وقصد السلطان توا . وأخبره بأنه دعا له فى الأماكن المقدسة . فتلقاه بالعطف والرعاية . ثم خلا كرسى الحديث بمدرسة صرغتمش(١) فولاه السلطان اياه بدلا من تدريس الفقه بالمدرسة السلطانية : وجلس للتدريس فيها فى المحرم سنة إحدى وتسعين . وألقى خطاب الافتتاح كعادته فى حفل فخم ، وأعلن أنه قد قرر للقراءة فى هذا الدرس كتاب الموطأ للامام مالك : ويعرفنا ابن خلدون بموضوع درسه الأول فى ذلك اليوم . فقد تكلم فيه عن مالك ونشأته وحياته وكيفية ذيوع مذهبه ، ثم يقول لنا فى كبريائه المعهود : « وانفض ذلك المجلس . وقد لاحظتنى بالتجلة والوقار العيون . واستشرت اهليتى للمناصب القلوب . واخلص النجا فى ذلك الخاصة والجمهور »(٢)

« للبحث بقية »

(١) ابن حجر فى رفع الاصر والسخاوى فى الضوء اللامع المجلد الثانى من القسم الثانى ص ٣٦٨

(١) كان موقع هذه المدرسة شمال الجامع الطولونى على مقربة من القلعة

(٢) التعريف (النسخة الخطية) ص ١٢١

(القصة المصرية — بقية المنشور على صفحة ١٧)

(القصة المصرية — بقية المنشور على صفحة ١٧)

مايلاقيه من متاعب الحياة نراهم يوجهون اهتمامهم الى هذه المتاعب نفسها فيتناولونها بالدرس والتحليل ، وأدهى من ذلك أنهم كانوا يسلكون فى كتاباتهم طريقة الوعظ الجافة . أضف الى ذلك أنهم لم يسلموا من تسلط الفكرة القديمة ، فكرة العصور الوسطى ، التى تنظر الى الأدب كوسيلة من وسائل المباهاة والظهور ، سواء فى ذلك من ساروا على الطريقة القديمة أو من قاموا بترجمة بعض المؤلفات الغربية كعثمان جلال والمنفلوطى ، ولم يخل الكتاب السوريون من التشيع بهذه الفكرة أيضا . وحتى كتاب الأقاصيص التافهة التى تركت فى زوايا النسيان الذى استحقته منذ ظهورها ، قد قصدوا فى كتابتهم الى ذلك الغرض الوعظى الخلقى . ويظهر لنا من هذا أن أولئك الكتاب كانوا ينظرون الى القصص التى تكتب للجمهور نظرة ازدراء مما كان له أكبر الاثر فى تأخر نمو القصة كفن من فنون الأدب العربى .

أثر اللغة العربية

في العالم الاسلامي

للسير دنسون روس
مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن

— ٣ —

الهند :

سأبدأ الآن بالهند مبيناً ما تدين به تلك البلاد للعرب . وكلكم تعلمون أن الفتوح الأولى للقوات الاسلامية فى الهند ، لم تذهب بهم بعيداً داخل تلك البلاد ، ومن ثم كانت قليلة الأثر هناك ، ولكن الأتراك فى القرن العاشر استطاعوا أن يتوغلوا بالاسلام الي مسافات بعيدة داخل الهند ، إلى أن كان القرن الثالث عشر ، وهنا نرى أول ملك اسلامى يتبوأ عرش (دلهى) .

ولننظر الآن ما كانت عليه أحوال تلك البلاد فى ذلك الوقت ، نرى قبل كل شئ أنه كان يوجد فى الهند آداب واسعة ، هندوكية وبوذية ، وكانت تتجلى فى اللغات الكلاسيكية التى لم يكن يتفهمها إلا طائفة محصورة من الناس . ثم يأتى بعد ذلك أن الهنود كانوا وثنيين ، وأنهم كانوا أول عدو من غير أهل الكتاب صادفهم المسلمون . . .

ويعتبر فى الحقيقة أتراك أواسط آسيا أول من نشر الاسلام بشكل واسع فى الهند ، وكان هؤلاء الأتراك يتكلمون التركية بينما كانت ثقافتهم فارسية ، وهى تلك الثقافة الفارسية الحديثة ، التى ظهرت فجأة فى بلاط (سميندس) فى بخارى .

وعلى ذلك يكون الاسلام قد أدخل فى الهند لغتين : العربية لغة الدين ، والفارسية لغة الشعر ؛ وكانت العلاقة الوثيقة بين اللغة الفارسية ، واللهجات السائدة فى الهند الشمالية ، هى بلا شك السبب فى أن مسلمى الهند قد اختاروا الفارسية واسطة لآدابهم دون العربية والتركية ، واستمر الحال كذلك بينهم حتى القرن الخامس عشر ، إذ لم تصل اللغة الأردية — وهى خليط من الهندية والفارسية ، إلى المستوى الذى تصلح معه لأن تكون واسطة أدبية — إلا فى ذلك القرن .

ولم يك مسلمو الهند قادرين على تذوق العبقرية التى امتازت بها العربية بالسرعة التى كانت عند غيرهم من الفرس . ولكن حدث على مر الأيام أن انجبت الهند أدباء نابهين . ومما هو جدير بالملاحظة أن بعضاً من النصوص العربية(١) الأنيقة كان من وضع أدباء الهند فى العصور الأخيرة .

وإنى أميل بعد ذلك إلى أن أقرر أن أعظم تغيير أحدثته الثقافة الإسلامية ، بعد ذلك التغيير الهائل . وهو دخول هذا العدد العظيم من الهند فى دين التوحيد . إنما هو ما طرأ على الهنود من الميل الى تذوق التاريخ .

فان هذا العلم لم يصادف هوى فى قلوب الهنود من قبل . اذ كان يعتبر أمراً ماديا صرفا فى نظر قوم مفكرين وفلاسفة بالسليقة . وهذا هو السبب فى أن التاريخ الهندى القديم قد جمع بصعوبة عظيمة . وكان الاعتماد فى جمعه على ما عثر عليه من السكة والتماثيل ، دون أن يكون هناك بجانب هذه الأشياء مخلفات كتابية .

ولا تزال التواريخ بل القرون التى ظهر فيها بعض الحكام الأولين موضع جدل ومناقشة . فلما ظهرت الهند الاسلامية ، دبت الحماسة فى قلوب الناس فجأة نحو كتابة التاريخ . وكان من نتيجة ذلك أن دونت مع التوسع أخبار جميع ملوك دلهى ابتداء من القرن الثالث عشر .

وينبغى ألا يفوتنى هنا أن أذكر ادخال الحروف الهجائية العربية فى الهند ، وانتشار الكتابة بين الناس على العموم ، فى بلد كان كل ما يتعلق بالعلم والكتابة فيه محصوراً فى أيدى البراهمة

أواسط آسيا وبلاد فارس :

مهما أطنبنا فى وصف الأثر الذى تركه تعلم اللغة العربية فى عقول سكان أواسط آسيا والهند ، فلن يعد ذلك منا إسرافا أو مبالغة ، فان الأثر الذى تركته العربية فى عقول الأتراك والفرس ، ومسلمى الهند . كان أجل شأنا وأعظم خطراً من الأثر الذى تركته اللاتينية فى عقول الأدباء من أهل أوربا فى العصور الوسطى .

فمع أن اللاتينية كانت الواسطة للكتابات الدينية والعلمية . لم يكن هناك ميزة أخرى من ورائها سوى تلك المهارة الأدبية التى كان يتصف بها كل من ثقفها . إذ كان قبل حركة الأحياء الكاثوليكية بزمن طويل ، نصف سكان أوربا ينظمون الشعر ويتغنون به ، كما أن بعض اللغات كانت قد اتخذت فعلا شكلا

(١) Arabic Diction

محدوداً ، واصطبغت بصبغة البيئة التي وجدت فيها .

ولم يكن الأمر كذلك في العربية ، فان العربية قد أمدت المستثيرين في أواسط آسيا بثقافة تعتبر جديدة من جميع الوجوه . وبثت في قلوب هؤلاء أفكاراً طريفة ، وفتحت أمام أعينهم عوالم جديدة ، وبعبارة أخرى ، فان العربية أمدت الفرس والأتراك والهنود بلغة جديدة ، ولا غرابة في ذلك ، فانه بالقضاء على الديانات القديمة قضاء ظاهراً ، وبحلول العربية محل اللغات القديمة في المسائل الأدبية ، ثم باستبدال الثقافة الاسلامية بكل ما يرجع في أصله الى الثقافة الآرية ، كل أولئك يحملنا على القول بأن العربية قد أمدت بلاد فارس بخزائن جديدة من العلم ، الى جانب لغة مكتوبة منظمة . أو قل أمدت الفرس « ببعث قومي جديد مع ثقافة حديثة » وكل ذلك في وقت واحد ، فلقد اتحفت العربية أواسط آسيا بالشعر العربي الذي غير وجه الشعر هناك ، ثم بالفلسفة اليونانية ، وغيرها من العلوم .

ونستطيع أن نقول أن المجوسية (١) لم يكن لها إلا معنى ضئيل في عقول معظم رعايا الساسانيين ، وكان لا يفهمها إلا طائفة الكهنة ، بينما كانت لغة الكتب المقدسة وهي الفهلوية لا يكاد يفهمها إلا رجال الدين ، وطائفة الموظفين الرسميين .

فمن السهل اذن أن تصور الأثر المباشر الذي أحدثته العقائد الاسلامية في الفرس ، بله الروعة والدهشة اللتين تركهما في نفوسهم ذلك الكتاب المقدس الذي نزل بلسان سهل مبين .

هذا وينبغي ألا ننسى أنه في الأيام الأولى قبل ادخال الشكل ، وخلو العربية من الحروف التي تبين الساكن والمتحرك (٢) لم يكن من السهل قراءة اللغة العربية ، ولكن العربية كانت على أي حال أسهل من الفهلوية ، إذ كان نظام هذه الاخيـــرة في الكتابة أصعب نظام عرف حتى ذلك الوقت . ولكن حينما ظهرت مدارس النحو في الكوفة والبصرة ، أصبح من السهل ضبط العربية واستيعابها .

وهذا البحث يؤدي بنا الى الهجاء العربي ، والى فن الاملاء ذلك الفن الذي كان حتى ذلك الوقت مجهولا تمام الجهل في فارس والهند .

أحس الناس وعلى الخصوص غير العرب منهم فضلا عن الزهو الذي داخل نفوسهم بتعلم اللغة العربية ، سرورا وميلا عظيما نحو تلك الحروف المرنة السهلة وهي الحروف الهجائية العربية . ولقد كان لهذه الحروف في نفوسهم مثل ما للصور من الجمال الفني ولاسيما اذا نقشت على ظاهر المباني ، أو اذا حفرت على الاضرحة والمقابر سواء ما كان منها ثلثاً أو كوفياً أو نسخاً

ولست — الى حد كبير — أشك في أن هذه الزخرفة الانيقة في رسم الحروف العربيـــة انما كانت نتيجة لتحريم تصوير الاشخاص في العهود الاولى . ولكن بحث هذه النقطة ربما يخرج بي بعيداً عن الموضوع .

ويجب ألا ننسى أن العرب لم يدخلوا معهم الى تلك البلاد أي شيء في شكل فني . وأن الفرس كانت لهم تقاليد فنية ترجع الى ما يزيد على ألف سنة . ومما يدعو الى الدهشة أن الاغريق وقد حكموا الفرس فعلا نحو قرنين لم يتركوا فيها أي أثر أدبي ، كما أنهم لم يتركوا شيئاً من هذا في الهند . وكذلك لم يترك فتح الفرس لمصر أي أثر في تلك البلاد . وهكذا استمر الفرس حتى الفتح الاسلامي محتفظين بآدابهم منعزلة تماما عن أي تأثير من غيرهم .

وكانت آداب الفرس محدودة من جهة الانتاج ، فلم يكن لديهم عدا بعض الكتب الدينية الا مجموعة من السير والتواريخ كما أنهم ترجموا أمثال بيدبا عن السنسكريتية

على أن بعض القطع الفهلوية تدلنا على أن الفرس قد أكثروا من الشعر . وربما كانت « المناظرة » (١) ترجع في أصلها الى الفرس ولكن الأوزان والقوافي العربية كانت أمرا جديدا بالنسبة لهم . وان المرء ليعجب لتلك السرعة التي أخذ بها الفرس هذه الأشياء .

وأريد أن أختتم كلامي بكلمة عما تدين به العربية للفرس . كلنا نعرف أن خلفاء المسلمين في دمشق وبغداد كانوا يدينون للفرس بكل المسائل المتعلقة بالحكم ونظام الملك ، ومما يذكر عن أحد الخلفاء الأمويين أنه قال : اني لأعجب من أمر هؤلاء الفرس : لقد حكموا ألف سنة دون أن يحتاجوا الينا مرة . بينما نحن لم نستطع مدة المائة سنة التي حكمناها أن نستغني عنهم لحظة » .

ان العلم الاسلامي في القرون الأولى كان يدين للاغريق بالمسائل العلمية والفلسفية . ولكنه كان يدين للفرس بما وصل اليه من الآداب الجميلة . وما علينا لكي نفهم أثر الفرس في تلك الثقافة العربية الفخمة لأن نستعيد اسماء هؤلاء الشعراء والكتاب المجيدين لنرى عدد من يرجع منهم الى الفرس من حيث الأصل أو المولد .

« محمود الخفيف »

(الرسالة) كنا وعدنا أن ننشر المحاضرتين الأخريين بعد هذه المحاضرة . ولكننا بعد المراجعة والنظر لم نجد فيها شيئاً لم يقله أدباؤنا وعلماؤنا ؛ فاكتفينا بذلك

(١) Maginiem. (٢) Vowel Sounds

(١) Minasara

طرائف من شعر الشباب

عتـــاب

للأستاذ محمود الخفيف

أي ذنب جنيت ؟ ان فؤادي — مذ أردت الجفاء يخفق رعبا
أي ذنب جنيت غير ودادي — أيكون الوداد عندك ذنبا ؟

....

ذاك ذنبي وكيف أقلع عنه ؟ — إن ذنبي تعلتي ورجائي
ذاك دائي ولست أشفق منه — فهو برئي وسلوتي وعزائي

....

كيف أجزى على الوداد جفاء! — وأسام العذاب من غير ذنب !
كيف أرجو مع الجفاء عزاء! — إن هذا الجفاء يذهب لبي

....

يخفق القلب إن خطرت ويهفو — وتمرين في سكون غريب
وتظنـــين أنني عنك أغفو — كيف أغفو ومهجتي في لهيب؟

....

لست أنسى وقد مررت سريعا — لم تبالي بحيرتي واضطرابي
نظرة منك خلفتني صريعا — نظرة الهجر والجفا والتغابي

....

أزجر القلب إذ أراك وأبدي — غضبة الحر وابتئاس الولوع
أكتم الحزن والتألم جهدي — فاذا ما مضيت فاضت دموعي

....

كنت قبل الجفاء طلق المحيا — أنهب اللهو والسعادة نهبا
كنت طوع الشباب حرا قويا — لا أرى في الحياة سهلا وصعبا

....

كنت كالسيل دافقاً لا أبالي — بمـــلام ولا أخاف رقيبا
هادئ النفس لا أهاب الليالي — لا أرى في الوجود شيئاً رهيبا

....

كنت كالطائر المغرد ضحكا — مستفيض السرور عذب الشباب
كنت كالطفل لست أعرف شكا — مطمئن الفؤاد جم التصابي

....

أسبق الشمس كل يوم شروقا — فأحيي الصباح فوق التلال
أنزل السهل حيث شئت طليقا — مشرق الوجه سابحاً في الخيال

....

يرقص الزهر عن يميني اختيالا — وتغني الطيور صوب يساري
ويفيض الغدير عذباً زلالا — رائع الحسن مثل وجه النهار

....

كنت جم النشاط أقضي نهاري — «كفراش الربيع بين الزهور»
دائم الوثب لا يقر قراري — أملأ السمع من غناء الطيور

....

جعل الحب كل شيء نضيرا — وأثار الجمـــال كامن حسي
وسها الدهر فاغتدوت قريرا — كل ما في الوجود يبهج نفسي

....

كنت أنت الجمال ملء عيوني — كنت أنت الحياة تملك لبي
كنت أنت الهناء ملء جفوني — كنت أنت الشعور يملأ قلبي

....

كنت وحي القريض ينفث سحرا — في فؤادي فيستجيب لساني
أنظم الدر من حديثك شعرا — أين من وقعه رقيق الأغاني؟

....

أعشق الكون كله في هواك — إذ أرى الكون في هواك جميلا
أطلب المجد كي أنال رضاك — لا أرى في الجهاد عبئاً ثقيلا

....

كم سقانا السرور كأساً دهاقا — وحبانا الشباب عيشاً رضيا
كم نهلنا من الوداع رحيقا — وشربنا الغرام عذبا شهيا

....

ويح نفسي أذاك عهد تولى؟ — أم تريدين بالجفاء عتابي ؟
ولعمري لقد سئمت فهلا — آمل الوصل بعد طول العذاب؟

....

من رآني يهوله اليوم لوني — واكتئابي ولوعتي وذبولي
وهن العظم في الصبابة مني — ودهى الناس حيرتي وذهولي

....

يهمس الناس: قد علاه اصفرار — ويشير العليم في غير همس
أيها الناس إن دائي خطير — أوليس الغرام يضني ويؤسي؟

....

قتل الحب كم أحل دماء — من دماء الشباب في غير حق!
ولكم أورث النفوس عناء — واستباح القلوب في غير رفق!

....

ليت قلبي يطيعني في غرامي — حطم القلب في الهوى كبريائي
أيها القلب أنت أصل سقامي — واكتئابي ومحنتي وبلائي

....

ويح نفسي! أما لهمي انتهاء؟ — كدت أقضي صبابة ونحولا
ويح قلبي! أما لقلبي ارعواء؟ — أو لم يأن أن يثوب قليلا؟

....

شهد الله، لو تحرر قلبي — لتمنيت أن يعود أسيرا
فاقتليني إذا أردت بذنبي — سوف أبقى بما جنيت فخورا

....

كدت أهوى الشقاء لولا اشتياقي — لذة الحب لوعة واضطراب
ان بعد الغياب يحلو التلاقي — ويلذ الهوى وينسى العذاب

....

أخدع القلب في الهوى وأسري — عن فؤادي بأنني سأراك
ان هذا الخيال يشرح صدري — كيف بالوصل حين ألثم فاك؟

رفقاً بنفسك أيها الفلاح   تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك فى الصباح على عنائك غدوة   وعلى الطوى لك فى المساء رواح
هذى الجراح براحتيك عميقة   ونظيرها لك فى الفؤاد جراح
فى الليل بيتك مثل دهرك مظلم   مافيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفك إن همت عين السما   ويطير كوخك إن تهب رياح
هذى ديونك لم يسدد بعضها   عجزاً، فكيف تسيد الأرباح؟
بغضون وجهك للمشقة أسطر   وعلى جبينك للشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لآلئاً   فيزان منها للغنى وشاح
قد كان يجديك الصياح لديهم   لو فجر الصخر الأصم صياح
يتنازعون على امتلاكك بينهم   فلهم عليك تشاجر وكفاح
كم دارت الأقداح بينهم ولم   تملأ بغير دموعك الأقداح!
حسب الولاة الحاكمون على القرى   أن ثم أجساد ولا أرواح
كيف التفاهم بين ذينك: نائح   يشكو العذاب، وسامع مرتاح
قد أنكروا البؤس الذى بك محدق   أفينكرون الحق وهو صراح؟
يا غارس الشجر المؤمل نفعه   دعه فان ثماره الأتراح
اقلعه فالثمر اللذيذ محرم   للغارسين وللقوى مباح
أصبحت تورثك الحقول أسى فما   يهتاج أنسك نشرها الفياح
أفنت حقولك آفة أرضية   عاثت بها وشعارها الاصلاح
سر بؤسك فاضح لذوى الغنى   لو أن سرك فى البلاد يباح
ياريف أن كتاب بؤسك مشكل   يعيا بحل رموزه الشراح
أطيار روضك غالها باز العدا   وعدا على أسماكك التمساح
الورد قد خنقته أشواك الربى   ظلما وفر البلبل الصداح
ياريف مالك شرب أهلك آجن   رنق، وشرب ولاة أمرك راح؟

النجف   أحمد الصافى النجفى

وداع

أذكري يوم أن رحلت اذكريه   لا قضى الله بعد ذلك بينا
يوم كنا على المحطة نبغى   لو يطول الوقوف ثم علينا
قد أخذنا لنا مكاناً قصيا   فذكرنا غرامنا واشتكينا
ونخاف القطار يأتى، فنمضى   ننظر الساعة التى فى يدينا
بل خدعنا نفوسنا «ياسعاد»   وعبثنا بعقربى ساعتينا
نحسب الوقت بالدقيقة حتى   قدم (القطر) من بغتة فبكينا
وتضنين بالفراق، إلى أن   دق صوت الناقوس فى أذنينا
فركبت القطار، ثم تهادى   فبكانا، ونحن نمشى الهوينى
لم يكن بعد، غير بضع ثوان   واختفيتم عن عيننا واختفينا
افترقنا ولم نبل غليلا   ولنا اليوم أشهر ما التقينا
لا جزى الله يوم بينك خيرا   كم أسال الدموع من مقلتينا!

«محمد برهام»

بعد الحب

لم تكن للحياة قبل لقائى   بك معنى، فأنت معنى حياتى
زهر الروض كان خلوا من العطـ   ـر فأمسى معطر النفحات
وليالى الربيع كانت بلا سحـ   ـر فباتت ظلالها ساحراتى
وبنفسى لحن سجين عن الحب   وناى مشوش الصرخات
انت أطلقته فدوم فى الصد   رو غنى بأعذب النغمات
والهوى يصبغ الحياة بلون الـ   ورد حتى تعود شتى النبات

***

إننى ان اسفت آسف للما   ضى، تولى لم أدر طعم الحياة
هو عهد مضى، وعينى عليها   حجب من ستائر مظلمات
ثم جاء الهوى ففتح عينى   فأبصرت فتنة الكائنات
فأذا بالجمال يسبح فى الجو   ويسرى شذاه فى النسمات
واذا بالجمال يسبح فى الرو   ض ويهدى شذاه للزهرات
كل ما فى الجمال حلو مع الحب   فياحب انت سر الحياة

امين عزت الهجين

فى الأدب الشرقى

نظرات فى الأدب الفارسى

منذ نشأته إلى إغارة التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

يروى عن الرودكى أنه نظم شعراً كثيراً جداً يقدره بعضهم بألف ألف بيت . وأنه نظم كليلة ودمنة ، ولكن ليس عندنا من شعر الرودكى كله إلا قطع منها نحو ٢٤٢ رباعية . ومن الحكايات المأثورة المشهورة عن هذا الشاعر ما ذكره نظامى العروض ، أن الأمير نصر بن أحمد خرج بجيشه الى هراة فأعجب بهوائها وثمارها ، وبقى يتردد فى أرجائها أربع سنين حتى ضاق العسكر ذرعا ، ولم يستطيعوا صبراً عن أوطانهم وأولادهم . فذهبوا الى الرودكى وجعلوا له خمسة آلاف دينار على أن ينظم شعراً تشوق الأمير الى بخارى . فنظم قصيدة وجاء الأمير وهو يصطبح ، فغناها على المزهر فما أتم الأبيات حتى نهض الأمير مسرعاً إلى فرسه لا يصبر حتى يلبس حذاءه ، وتوجه الى بخارى لا يلوى على شىء . فلم يدركه الناس إلا بعد فرسخين ، وهناك قدم له الحذاء فلبسه .

وأول هذه الأبيات :

بعرى جرى موليان آيد همى
بعرى يار مهربان آيد همى

وما يزال يهب علينا نسيم نهر جيحون
وما نزال ننشق على بعد روح الأحباء .

ثم يؤثر عن الرودكى شعر من نوع الدوبيت أو الرباعى . وهو ضرب فارسى . فهذا أول شعراء الفرس ينظم على أساليب العرب وعلى أسلوب آخر ، وهذا ينبىء بما سيكون عليه الشعر الفارسى الحديث من الجمع بين الصبغتين العربية والفارسية .

ثم نجد هذا الشاعر يسبق الى نظم القصص ، إذ نظم كليلة ودمنـة ، وهذه ميزة أخرى من مزايا الشعر الفارسى كلف بها الشعراء من بعد .

توالى الشعراء من بعد الرودكى وارتقى الشعر على الزمن حتى بلغ غايته .

شجع السامانيون الآداب الفارسية . وللمنصور بن نوح منهم شعر فارسى . فنبغ فى أيامهم شعراء يقاربون الثلاثين ، ثم شرعوا يؤلفون ويترجمون الكتب من العربية الى الفارسية . فترجم تاريخ الطبرى وتفسيره — وألف لهم بالفارسية كتاب أبى منصور والهروى فى الطب — ومنه نسخة مخطوطة فى فينا . وهى أقدم مخطوط فارسى (سنة ٤٤٧ هـ) وألف لهم كذلك كتاب فى التفسير . فهذه الكتب الأربعة أقدم نثر فارسى بأيدينا

وأما بنو بويه فليس لهم أثر فى الأدب الفارسى ، وأكثر أمرائهم كانوا شعراء فى العربية . ووزيراهم ابن العميد والصاحب من حملة لواء الأدب العربى ، لا الفارسى ، وحسبنا أن الصاحب لم يقصده به إلا شاعران فارسيان هما المنطقى والخسروى . على كثرة شعراء العربية الذين مدحوه .

وكان الزياريون فى طبرستان من حماة العلوم والآداب . ولكن شيخهم قابوس كان أميل الى العربية . وقد مدحه الخسروى السرخسى من شعراء الفرس ، كما اتصل بابنه منوجهر الشاعر الفارسى الذى سمى نفسه منوجهرى تبعاً لسيده — وقد ألف كيكاوس حفيد قابوس كتابه قابوس نامه بالفارسية لتربية ابنه

وكان من المتصلين بقابوس أبو على بن سينا . وله شعر بالفارسية . وقد ألف كتابه دانش نامه علائى بعد موت قابوس . فأهداه الى علاء الدولة أبى جعفر كاكوية فى اصفهان وسماه باسمه .

وكان محمود بن سبكتكين فى غزنة مقصد كبار الأدباء والعلماء . وأثر عنه وعن ابنه محمد شعر فارسى . فمن شعرائه : العنصرى والأسدى والعسجدى . والفردوسى الذى قدم له الشاهنامه ، فلم يعطه محمود ما أراد فغاضبه وهجاه ، وقد ألف شرف الملك من شعراء محمود كتابا فى الديوان بالفارسية سماه كتاب الأصطفا . ويقال ان اليمينى من شعراء محمود أيضا كتب تاريخ محمود بالفارسية ، وكتب البيرونى كتاب التفهم فى النجوم بالفارسية والعربيـة .

وفي عصر السلاجقة . ذلك العصر المديد نبغ شعراء كثيرون جداً عدمنهم عدنى أكثر من مائة — وأعظمهم الأنورى والخاقانى نظامى الكنجوي . والأزرقى . وظهير الفاريابي . وناصر خسرو والخيام ، وبابا طاهر . والفصيحى . ومسعود سعد . والأديب صابر . والمعزى . وعمق البخارى . وسوزنى . ونظامى العروض : ومن الصوفية : أبو سعيد بن أبي الخير . والأنصارى . ثم مجد الدين سنائى . وفي نهاية هذا العصر فريد الدين العطار .

ولا ريب أن هذا العصر أزهى عصور الشعر الفارسي —

ومن المؤلفين والكتاب في هذا العصر نظام الملك الوزير مؤلف سياستنامه . والغزالى والسجزى الفرخى مؤلف ترجمان البلاغة في الشعر والصناعات البديعية ، والرشيدى السمرقندي مؤلف زينت نامه في علم الشعر . ورشيد الدين وطواط مؤلف الكتاب الذائع الصيت : حدائق السحر في دقائق الشعر ، والبهرامى مؤلف غاية العروضيين وكنز القافية . والأسدى مؤلف لغة الفرس . وشاهمر دامه بن أبي الخير مؤلف الموسوعة . نزهة نامة علائى ، ألفها لعلاء الدولة ، وخاص بك أمير طبرستان آخر القرن الخامس . والباخرزي مؤلف دمية القصر ، ومؤلف طرب نامه وهي رباعيات فارسية . وأبو المعالى محمد بن عبيد الله مؤلف كتاب بيان الأديان في آخر القرن الخامس — ومن مؤلفى الصوفية الهجويرى صاحب كشف المحجوب وهو من أقدم الكتب الصوفية . ألف في القرن الخامس .

ومن المترجمين من العربية إلى الفارسية . الجرباذقانى ، ترجم تاريخ العتبي للفارسية . وجمال القرشي مترجم الصحاح ، وفراهى الذى نظم قاموسا عربيا فارسيا يقرأ في مدارس ايران حتى اليوم . والزوزنى الذى كتب معجما عربيا فارسيا سماه ترجمان القرآن ، ونصر بن عبد الحميد مترجم كليلة ودمنة .

وفي العصر القصير الذى بين السلاجقة والمغول نجـد من الشعراء العطار وجلال الدين الرومى وسعدى الشيرازى وغيرهم . ونجد من المؤلفين ابن اسفنديار مؤلف تاريخ طبرستان ، وفخر الدين الرازى مؤلف الاختيارات العلائية . ونصير الدين الطوسى ، وشمس قيس مؤلف المعجم . ومحمد عوفى مؤلف لباب الألباب .

هذه نظرة عامة غير شاملة ولا بالغة . ترينا كيف بدأ الأدب الفارسي شعراً ونثراً ، وكيف توالى مع الدول المختلفة — ويكفى هنا أن يقال إن لباب الألباب يحتوى على ٢٧ ملكا نظموا بالفارسية و٤٣ وزيراً ، و ٦٠ عالما . ويذكر من الشعراء تسعة وثلاثين ومائة .

ولأجل أن ندل على حظ الأقطار المختلفة من هذا العدد نقول : ان خراسان وهي مهد الأدب الفارسي الحديث نالها ٣١ من العلماء الذين نظموا بالفارسية و ٥٥ من الشعراء . وما وراء النهر ١٣ من العلماء ، و٢٢ شاعرا . والعراق ١٦ من العلماء و١٦ من الشعراء . وغزنة وما يليها ٢٢ شاعرا : فخراسان أوفرها حظا .

بعد هذا يحق لنا أن نسأل ما مميزات هـذا الأدب الفارسي الاسلامى في الشعر والنثر ؟

فاما الشعر فيشارك الشعر العربى في موضوعه من المدح والمدح والغزل والفخر والوصف — في ميل الى المبالغة — ويمتاز بأشياء :

(١) ذكر ملوك الفرس القدماء وابطالهم مثـل فريدون ورستم ، وزال ، وكاس جمشيد ، وقد سرى هذا الى الشعر العربى الذى نظم في بلاد الفرس كشعر بديع الزمان وأمثاله .

(٢) يمتاز الشعر الفارسى بميزتين عظيمتين : الشعر القصصي والشعر الصوفى .

فاما الشعر القصصي فقد أولع الفرس به في كل عصر . وقد رأينا أن أبان بن عبد الحميد نظم كتاب كليلة ودمنة بالعربية . وأن الرودكى أول شعراء الفرس الكبار نظم هذا أيضا . ومن الأدلة على ولع الفرس بالقصص قصة يوسف وزليخا ، فهذه القصة مأخوذة من القرآن . ولكن شعراء العرب لم يهتموا بها . وأما الفرس فقد نظموها مراراً ، نظمها من كبارهم الفردوسى وجامى . ونظمها آخرون — ورواية وامق وعذراء التى قيل انها قدمت لعبد الله بن طاهر فأمر بطرحها في الماء : نظمها العنصرى شاعر محمود الغزنوى ، ثم الفصيحى في رعاية كيكاوس الزيارى ونظمها أربعة شعراء آخرون .

وحسبنا شاهنامه الفردوسى التى حاكاها شعراء كثيرون فالفوا شاهنامات لم تنل ما نالته من القبول والصيت : ومن القصص المنظومة رواية خسرو وگل ، وبلبل نامه لفريد الدين العطار . وسلامان وابسال لمولانا جامى وغيرها مما لا يتسع المقال لتعديدها .

وأما الشعر الصوفى فقد بدأه أبو سعيد بن أبي الخير من بلدة مهنا في خراسان . وأبو عبد الله الانصارى من هراة . نظما فيه قطعا ورباعيات ، ولكن لم يكثر فيه التأليف الا بعد مدة طويلة . اذ نبغ طليعة فرسانه سنائى ، الغزنوى ثم قفاه العطار ثم تلاه إمام الصوفية مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى الذى يسمى القرآن في اللغة الفارسية . ويقال لمؤلفه لم يكن نبيا ولكن أوتى كتابا .

ومن بعد غارات التتار نبغ لسان الغيب شمس الدين حافظ الشيرازى والشيخ عبد الرحمن الجامى الذى يعد آخر شعراء الفرس العظام .

والحق أن اللغة الفارسية تبذ سائر لغات العالم بهذا النوع من الشعر النفسي الانسانى الفلسفى الذى يرتفع عن جدال المذاهب وعصبيات الأجناس ، وينفذ الى بواطن الأشـياء فيرى الوحدة الالهية المتجلية في مظاهرها العديدة ؟ (يتبع)

الأدب اليــــابانى

للأستاذ احمد الشنتناوى

٢

إنتهينا فى مقالنا الأول من الكلام عن الأدب اليابانى حتى نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، أى بعد أن هدأت الثورة اليابانية الأهلية وابتدأت بوادر التجديد تظهر فى جميع نواحى الحياة اليابانية كما هى العادة دائما عقب الثورات الاجتماعية الخطيرة التى تظهر فى الأمم . وكان حظ الأدب اليابانى من هذا التجديد عظيما إذ لم يلبث أن ظهر فى الميدان الأدبى « كويو » Koyo وهو مؤسس المدرسة الأدبية الحديثة فى اليابان المسماة « أصدقاء المحبرة » وكان هو وتلاميذه وأتباعه يدينون بالمذهب الواقعى . ولا يكتبون إلا القصص المفعمة بالمشاعر الرقيقة ، والتى تتزاحم فيها العواطف والنزعات المختلفة . متخذين كتاب الحياة مصدرا ومعينا لما يكتبون ويصفون . وبالرغم من تباين أتباع « كويو » فى الأعمار والمراكز الاجتماعية والأزمنة التى عاشوا فيها كانوا يضربون جميعا فى مؤلفاتهم على هذا الوتر الحساس الذى طرب له « كويو » فاتخذه شعارا لمدرسته الأدبية الحديثة . ونعنى به المذهب الواقعى . ولم يعمر « كويو » طويلا بل توفى فى عنفوان شبابه بعد أن طبقت شهرته جميع أنحاء اليابان . وتعد قصته الموسومة « بشيطان الذهب » أبلغ أعماله الأدبية على الأطلاق . ولقد اشترك مع « كويو » فى تأسيس تلك المدرسة الأدبية الحديثة أديب آخر يدعى « روهان » Rohan ولو أن هذا لم يكن يميل إلى المذهب الواقعى ، بل كانت الروح الغالبة على مؤلفاته هى الروح الخيالية الدينية الفلسفية . كذلك اكتسب هذا الأديب شهرة فائقة بقصة ألفها تدعى « بوذا المذلل » وهو لم يكتب شيئا آخر غير تلك القصة ، ولو أن العمر امتد به إلى ما بعد تاريخ هذا الكتاب بكثير .

وبعد الحرب الصينية اليابانية أخذت الآداب الغربية تطغى على اليابان رويدا رويدا . وكان أعظمها أثرا مؤلفات تولستوى والإبسن إذ ترجمت إلى اليابانية آثارهم وآثار غيرهم من زعماء الأدب الأوربى أمثال موبسان وهوجو وزولا وغيرهم حوالى عام ١٨٩٦ حتى وقف العقل اليابانى حائرا أمام هذا السيل الجارف من الآداب الأوربية . وحاول « كويو » وأتباعه أن يدخلوا روحا جديدة تحليلية على الأدب اليابانى . وفعلا أصدروا عدة مؤلفات تعبر أصدق تعبير عن نفسية الشعب اليابانى الحديث ، كما تعصب فريق آخر لأدب زولا وحاولوا تقليده .

وبعد انتهاء الحرب الروسية اليابانية التى شب إوارها عام ١٩٠٥ نجد الآداب اليابانية تزيد صبغتها الغربية وتقوى . فأننا نجد مثلا « هجوتسو » Hoguetsou أحد أساتذة جامعة (واسدا) فى طوكيو يعود بعد سياحته الطويلة فى ربوع أوربا ويؤسس مدرسة أدبية جديدة هى تحوير للمدرسة الأدبية الفرنسية المعروفة بالمدرسة الطبيعية : حسبما تقتضيه البيئة اليابانية وأذواق الشعب اليابانى . وأهم المبرزين فى تلك المدرسة هما توسون Toson وكافو Kafou

تبدأ الحرب العالمية بعد ذلك ويخفت صوت الآداب الأوربية نوعاما . فتجد الآداب اليابانية المجال أمامها متسعا لكى تقف بنفسها فى الميدان . وتسمع صوتها للملأ . فتقوم فى اليابان حملة عنيفة على الأدب المكشوف ، وهو شعار المدرسة الطبيعية . ويطلب أصحاب تلك الحملة بالحاح أن تكون الآداب وسيلة لطلب المثل العليا ، وأنها يجب أن تسير فى جو محتشم طاهر ، وأصبح هؤلاء فيما بعد زعماء المدرسة « الانسانية » Humanitaire وهؤلاء لم ينجحوا إلا فى القضاء على أصحاب الأدب المكشوف . ولكنهم فى الوقت نفسه ظلوا فى إسار الآداب الغربية . ولعل أشهر هؤلاء الجماعة وأرسخهم أدبا هو « أريزيما » Arisima وأشهر أعماله الأدبية قصته المسماة « تلك المرأة » وهى تاريخ حياة امرأة حديثة « مودرن » ، تمثل فى جملتها العقلية اليابانية فى ذلك العهد الذى تشبع بالروح الغربية ، ويمكننا أن نعتبر هذه القصة مثالا لحالة الأدب اليابانى فى ذلك العصر الذى أغارت فيه الحضارة الغربية على بلاد الشمس المشرقة .

والمتصفح لتاريخ الأدب اليابانى منذ أقدم عصوره إلى الآن يمكنه أن يلاحظ بكل وضوح مقدار اختلاف العقلية اليابانية عن العقلية الغربية . فالذى تنفرد به العقلية اليابانية هو سرعة استعدادها لاعتناق كل ما هو جديد . بل التهامه التهاما دون التأمل والنظر فيما إذا كان الطعام الذى ستتناوله فى مقدرتها هضمه أم لا . وليس معنى هذا أنها عقلية عديمة القدرة على التمييز والاختيار ولكن هذا التمييز وهذا الاختيار يأتيان بعد فترة من الزمن بعــــد أن تملك النفس زمامها وتألف رؤية الشىء الجديد ويذهب عنها بريقه ولمعانه . ويمكننا أن نذكر لك أن اليابان كانت تعشق أدب تولستوى عام ١٨٩٤ فتحولت عنه إلى سودرمان وهوبتمان عام ١٨٩٦ ، ثم تحولت عنهما عام ١٨٩٧ إلى موبسان وزولا وهوجو ثم منهم إلى ترجنيف عام ١٨٩٨ ثم إلى نيتشه عام ١٩٠١ ثم إلى مكسيم جوركى ومترلنك عام ١٩٠٢ وأخيرا انتهى بها التنقل والمطاف إلى تشيكوف وواجنر عام ١٩٠٣ . وإذا عرفنا

(البقية على صفحة ٣٧)

في الأدب الغربي

قصـــة فيلسوف عاشق

للدكتور طه حسين

٢

واتصلت زيارة أغوست كونت لأسرة كلوتيلد، واشتدت الصلة بينه وبينها متانة وقوة؛ وأخذت تزول من هذه الصلة بقايا هذه التكاليف الاجتماعية التي تواضع الناس عليها في حياتهم المألوفة. والتي لا يزيلها ولا يمحوها إلا المودة الخالصة اذا بلغت أقصاها، أو الحب الصحيح اذا انتهى الى غايته. وألحت الأسرة في التعريض بهذه الزيارات المتصلة، وبهذه الصلات التي كانت تتخلص شيئاً فشيئاً من التكلف والاحتشام. ونزعت الفتاة نفسها وقتاً طويلا في أن تتحدث الى الفيلسوف بهذه الريبة التي أخذت تثور حولها في نفوس الأسرة؛ ولكنها انتهت الى أن أنبأته بما عندها من ذلك فاستمع لها. ولم يحتج الى تفكير وتقدير ليمتلىء قلبه سروراً وغبطة، وليأخذه شيء من الكبرياء غريب في ظاهر الأمر، ولكنه مألوف عند العشاق والمحبين. وماله لا يسر ولا يغتبط والحجب ترفع كل يوم بينه وبين من يهوى: وماله لا يأخذه الكبر ولا يملأه التيه وهو يثير الريبة في نفوس الأسرة، ويضطرهم الى أن يشعروا بحبه للفتاة وبأن الفتاة لا تزدريه ولا تفرط في ذاته. ولا تنظر اليه في غير عناية ولا اكتراث. لعلها لا تحبه كما يحبها ولكن في قلبها عاطفة ما تعطفها عليه وتدفعها اليه. ومن يدرى؟ لعل هذه العاطفة أن تنمو وتقوى وتخضع لما يخضع له الانسان بملكاته وعواطفه من التطور، فتستحيل من المودة الخالصة الى الحب العنيف. وإذاً فماله لا يستأنف سعيه وإلحاحه؟ وماله لا يدور حول قلب الفتاة لعله يجد سبيلا لبلوغه والوصول اليه. وقد فعل. فهذا الحنان الذي كان قد كظمه في نفسه أو أسبغ عليه لوناً من الجد يجعله الى الود أقرب منه الى الحب. قد أخذ يتجرد من ثوبه المتكلف ويظهر على حقيقته وفي صورته الصحيحة، وقوته التي لا تبقى على شيء. وهذا التحفظ الذي كان اصطنعه في الحديث يزول شيئاً فشيئاً. واذا هو صريح، وإذاً هو يجدد اعلان الحب، ويكرر هذا الاعلان ويحيط الفتاة بشباك من الطلب والأمل والتضرع والاستعطاف والاغراء الذي يتجه الى العقل حيناً والى الشعور حيناً آخر. وكيف تريد أن تفلت الفتاة من هذه الشباك جميعاً وهي لا تكاد تخلص من واحدة حتى تتعثر في أخرى. هي مضطرة إذاً الى أن تسالم بعض الشيء وتصانع الى حد ما، وتنهزم عن خط الدفاع الأول كما يقولون.

وهل كانت هي في نفسها منصرفة عن الفيلسوف حقاً راغبة عن حبه كل الرغبة؟ لست أدري ولكنها على كل حال عجزت عن المقاومة فكتبت الى أجوست كونت تنبئه بهذا العجز وتظهره على ذات نفسها وتبين له رأيها في التخلص من هذا الموقف الدقيق ورأيها انها لم تكن تقدر أن أحداً يكلف بها ويتهالك عليها، وانها هي لا تكلف بأحد ولا تتهالك على أحد، ولكن أملها إن صح أن يكون لها أمل في الحياة، إنما هو طفل تقف عليه حبها وحنانها وقوتها ونشاطها. وهي إذا شاركت رجلا في الحياة فانما قوام هذه الشركة الوصول إلى تحقيق هذا الأمل. وهي حريصة كل الحرص على أن يكون شريكها ان ظفرت به رجلا ممتازا مرتفع النفس كبير القلب خليقا بالإكبار. وهي تجد هذه الخصال كلها في الفيلسوف ولا تكره أن تتخذه شريكا في تحقيق هذا الأمل وخلق هذه الطفل. ولكنها لا تريد أن تخدعه ولا أن تغره فهي لا تحبه بالمعنى المألوف لهذه الكلمة وحياتها ليست بالشيء النفيس

الذى يحرض الناس على الاشتراك فيه . فهى بائسة تحتاج الى من يعزيها وهى فقيرة تحتاج إلى من يعولها . وهى لا تحمل لشريكها الا مودة صادقة وإخلاصا لاحد له .

ويقرأ الفيلسوف هذا الكتاب فيجن جنونه وتدور به الارض ثم تهدأ نفسه ، وتشرق فى وجهه الدنيا وتبتسم له الأيام . وهل كان يطمع فى أن تقبل كلوتيلد منه مثل هذا وترضى أن تكون له خليلة وتقاسمه الحياة وتشاركه فى خلق إنسان ؟ وهو قابل اذا وهو راضى وهو سعيد وهو واثق بأن هذه خطوة ستتبعها خطوات وهو يكتب اليها ويمضى كتابه على هذا النحو : زوجك المخلص أجوست كونت .

وتزوره ذات يوم زيارة المستسلمة المستعدة للوفاء بالوعد وإنفاذ هذه الشركة ، فيلقاها فرحاً مبتهجا ثم يجلسها ويجثو بين يديها ويقدم اليها صلاة فلسفية حارة . ولكنه عالم لاحظ له من براعة الأدباء ولا من براعة الرجال الذين تعودوا عشرة النساء والتلطف لقلوبهن . فصلاته فلسفية وحديثه بعد ذلك عملى كله وحركاته حين يضطرب فى غرفته منظمة قد قدرت تقديراً . فهو لا يرفع شيئاً إلا بحساب ولا يضع شيئاً إلا على نظام ولا يأتى حركة إلا إذا كانت لها علة ظاهرة وتأويل معقول وهو يتحدث عن دخله وعما سيحتاجان اليه من نفقه وعن ترتيب البيت وعن النظام المادى للحياة . وهو على هذا كله دميم لا جمال فى شكله ولا روعة، قصير متقدم البطن مضطرب الوجه . فاين يقع هذا المنظر ؟ وأين يقع هذا الحديث ؟ وأين تقع هذه الحركات المنظمة من قلب امرأة لم تتجاوز الثلاثين بعد ؟ ما أسرع ما ضاقت بهذه الشركة ورغبت عنها ، وما أسرع ما ضحكت من نفسها فى نفسها . وما أسرع ما استيقنت انها كانت تحاول أمراً لا قبل لها به ولا قدرة لها عليه ، وما أسرع ما نهضت وهى تقول : لقد تقدم الوقت دعنى أكتب اليك . وما أسرع ما خرجت من الباب وهبطت السلم وبلغت الشارع ومضت ، والفيلسوف ينظر اليها من النافذة . فاذا هى تسرع أمامها لا تلتفت ولا تلوى على شىء . وتكتب الى الفيلسوف بعد ذلك معتذرة متعللة قائلة إنها قد تعجلت الوعد وتبين لها أنها فى حاجة إلى التفكير الطويل وأن الخير فى أن تمهل نفسها التروى .

فلا يكاد الكتاب يصل إلى الفيلسوف حتى يحس أنه قد أذاها بحديثه فيكتب اليها متلطفاً ملحاً . وتمضى هى فى أبائها . ويشتد هو فى الحاحه حتى اذا أثقل عليها اجابته فى شىء من الشدة والصرامة أنها لا تستطيع أن تبيع نفسها ولا أن تساوم فيها فان كان يقنعك ما أعرضه عليك من المودة الخالصة الطاهرة فذاك ولك أن تلقانى فى بيت أسرتى كدأبك من قبل ولا بد لى من ستة أشهر أفكر فيها وأروى وإلا فانى عائدة إلى ما كنت فيه من وحدة وعزلة . هنا يفيق الفيلسوف من ذلك السكر الذى كان قد غمره وملأ عليه قلبه وعقله . ويعود إلى حاله الأولى ليس شديد الرجاء ولكنه ليس يائسا بل هو بعيد كل البعد من اليأس واثق بأن العاقبة له وبأن الفوز لن يخطئه مهما يكن من شىء ، سيصبر اذا وسيستأنف حياته الأولى فيلقى الفتاة فى بيت أسرتها مرتين فى الأسبوع .

وكلاهما سىء الحال ضيق ذات اليد . اما هى فتبحث عن عمل لتعيش منه او لترفه به بعض الشىء حياتها الضيقة الخشنة . وهى لا تتردد فى أن تشغل مكان السكرتير فى مكتب من المكاتب او عند رجل ذى مال ان ظفرت به . ولكنها لا لا تظفر بشىء ولا باحد إلا فيلسوفها الذى قد وثقت به واطمأنت اليه . فهى لا تخفى عليه من أمرها شيئا وهو يعدها بالمعونة ويعرض عليها ان يقرضها ما تحتاج اليه . بل يؤكد لها أن كل ما يملك من المال ملك خالص لها تستطيع أن تأمر فيه بما تشاء . نعم ولكنه هو لا يملك شيئا أو لا يكاد يملك شيئا ، اعماله شاقة ونفقاته ثقال والمستقبل أمامه مظلم . هو يلقى دروساً رياضية فى بعض المدارس الحرة ولكن صاحب المدرسة يريد أن يلغى هذه الدروس رغبة فى الاقتصاد ، وهو يكسب شيئا من مدرسة الهندسة ولكنه فى حاجة الى أضعاف هذا الذى يكسبه . وهو يلح على تلاميذه فى انجلترا أن يرتبوا له رزقا معلوما ، ولكن التلاميذ لا يؤمنون لأستاذهم بهذا الحق وهو مضطر الى أن يرزق أمرأته ثلاثة آلاف فرنك فى كل عام ، ولا بد له من أن ينقص هذا الرزق وأن يختذل منه ثلثه .

وهو على هذا كله يعمل ، وهو على هذا كله يحب وهو حريص على ألا يقصر فى ذات فلسفته ولا فى ذات عشيقته . وعشيقته

أيضا تعمل لخدمة الأدب أن أعجزها ان تعمل لكسب المال. لقد نجحت قصتها الأولى بعض الشيء، فالهالا تكتب قصة أخرى وقد بدأت كتابة هذه القصة واتخذت نفسها لها موضوعاً مع شيء من الرمز والايماء، وأخذت كلما كتبت شيئاً أرسلته إلى الفيلسوف، فيقرأ ويعجب ويهيم. ويقرظ فيسرف في التقريظ.

ويستأنف زياراته للاسرة محتملا ما يرى من الأعراض يقابله بمثله في كثير من الأحيان. حتى اذا كتب أخو الفتاة رسالة في الرياضة وعرضها على أستاذه ونظر الأستاذ فيها وأطال النظر فلم تعجبه: فيضطر إلى أن يعلن رأيه الى تلميذ في غير تردد والى أن يتحدث الى الفتاة بأن حبه لها وحرصه على مودة أخيها ان يمنعاه من أن يعلن رأيه في هذا الكتاب الذي لا خطر له. هنالك يزداد سخط التلميذ على أستاذه وهذا هو الذي يدور حول أخته ويشرب القهوة في البيت مرتين في كل أسبوع، ثم لا يشجع تلاميذه ولا يعترف لهم بما يوفقون اليه من فضل.

ويشتد إنكار الأسرة على الفتاة وتثبت هي لانكارهم، فتجادلهم في أستاذها وتزودهم عنه، وتخرج من عندهم مكدودة متعبة وتؤوي إلى بيتها وقد فقدت أو كادت تفقد الشجاعة والنشاط. فتفكر في الفيلسوف، وفي أنه الرجل الوحيد الذي يؤثرها بالحب. ويصفيها المودة والعطف. فتنازعها نفسها اليه. ولكن نفوراً قوياً يمسكها أن تندفع في هذا الحب. فتكتفي بالشكوى، وتقبل من الفيلسوف عطفه وحنانه، ومعونته المالية أيضاً. وكانت أعراض الضعف قد ظهرت عليها، فأخذت تحس فتوراً وانحلالا. وأخذت تقاوم سعالا متكرراً مضنياً ولم تقدر إلا أن ماتحسه عرض من أعراض هذا الجهد الذي تلقاه. فصبرت واحتملت وجدت في كتابة قصتها، وجدت أيضاً في الأنس إلى الأستاذ وأذنت له أن يزورها في بيتها الخاص. فأحيت أمله، وبالغت في أحياء هذا الأمل حين أهدت إلى الأستاذ باقة من الزهر الصناعي صنعتها يدها، وأرسلت معها أبياتاً من الشعر لاقيمة لها، ولكن الفيلسوف رآها آية من آيات البيان.

وزارها الفيلسوف ذات يوم فاذا هي متعبة تلقى من الآلام جهداً شديداً فتحدث اليها وأطال الحديث واطمأنت هي اليه إطمئناناً شديداً، فلما نهض لينصرف اختلس قبلة من فمها، ولكنه لم يكد يبلغ بيته حتى كتب اليها كتاباً مشهوراً يعتذر فيه من هذه القبلة، لأنه لم يكن يثق حين اختلسها بأن نفسه كان نقياً طيب النشر. ووردت عليه في هذه السذاجة البديعة « لا بأس عليك فأنا التي منحتك قبلة صديقة مخلصة ».

ويشتد المرض والفقر بالفتاة. ويشتد الهيام والبؤس بالفيلسوف، وتزول بينهما الكلفة. وتكثر الزيارة عندها وعنده. ويعرض عليها خادمته لتعينها على الحياة. فتأبى، وتقضي الشتاء وحيدة عاملة لا يسليها عما تجد إلا زيارات الفيلسوف لها وعطفه عليها. وقد عرضها على الطبيب فقدر لها مرضاً أخذ يعالجه وهو بعيد كل البعد عما كانت تجد. واشترك الفيلسوف في الأوبرا على فقره ليسلي صاحبته بالموسيقى من حين الى حين. ولكنه لم ينس الحب ولم يفكر في الأعراض عنه فهو مازال يلح على الفتاة ويتقاضاها هذه الصلة المادية التي تتوج ما بينهما من ائتلاف العقل والقلب وهي تأبى حتى إذا أثقل عليها فأسرف. كتبت اليه تذعن لما يريد. وهي تقول: إنك تطالب بأجر ماتبذل لي من ود ومعونة فلن أماطل في تأدية هذا الأجر. هنالك استحى الفيلسوف واستكبر فرفض هذا التسليم وأبى إلا صلة مصدرها الحب والرغبة.

وزارته ذات يوما وهي مكدودة قد أجهدها المرض. واشتدت بها الحمة فلما انتهت الى البيت استلقت على وسادة ونظر اليها هو وان في عينه لحبا لا حد له، وشهوة لا حد لها. وإذا هو يرى عينيها الزائغتين من الألم وخديها الذين توردهما الحمة فلا يرى إلا جمالا مغرياً وحسناً فاتنا. وهي مستلقية أمامه لا حول لها ولا طول، وهو قادر عليها؛ ولكنه ليس قادراً على نفسه. فهو يشتهي الى حد الهيام ولكن عقله ووقاره يأبيان عليه هذا الغصب. فتنحل هذه الشهوة الجادة العنيفة الى حب ووقور، فيه شيء كثير من جلال الدين. والمرض والبؤس يلحان على الفتاة، والحب والفقر يلحان على الفيلسوف واذا هي قد لزمت غرفتها. ولزمتها خادم الفيلسوف. وجاء

الطبيب فلم يشك في أنها مسلولة مشرفة على الموت . وكثر تردد أمها عليها وكثر تردد الفيلسوف أيضاً . وكانت بين الأم والفيلسوف حول هذا الجسم الناحل وهذه النفس التى تتأهب لمفارقة الحياة ، خصومات مؤلمة ولكنها لا تخلو من فكاهة . فأما الأم فكانت أسيرة الأوضاع الاجتماعية ، أسيرة هذا الحب الذي يعطف المرأة على ابنتها . وأما الفيلسوف فكان أسير هذا الحب الفلسفى ، ولم يكن يتردد في أن يعلن أنه وحده صاحب الأمر في هذا البيت لأنه الزوج الخالد للفتاة .

ولم لا ؟ لقد كان ينهض بكل ما تحتاج اليه . ويعرف من تمريضها ما ظهر وما خفي . لقد كتبت اليه مرة تقول : ما أشد حاجتك إلى الرحمة أيها العاشق التعس ، فلم تظفر من خليلتك إلا بشر ما يظفر به الازواج . وكان مؤلماً جداً ، وباعثاً للابتسام أحياناً أن يرى الفيلسوف جاثياً أمام السرير وهو يصلي إلى الفتاة فيدعوها أخته وزوجه وابنته . ويؤكد لها ويقسم ليعصمنها من الموت ولأن عبثت الطبيعة بجسمها فليضمنن هو لنفسها الخلود . ولم لا ؟ ألست أرقى امرأة عرفتها الانسانية . لقد لقيت أرقى عقل عرفته الانسانية ، فلن يكون للفناء عليك ولا على سلطان .

وسألت خال الفتاة ودعى القسيس ليهيأها لاستقبال الموت فلم تمانع هي ولم يمانع هو . وأقبل القسيس فأدى عمله والفيلسوف يراه ويسمع له ساخطاً حتى اذا انصرف أقبل فانكر هذه العادة الدينية التي تنتزع المريض انتزاعاً من الحياة لتدفعه بين ذراعي الموت .

أقبل عذب الصوت رضى النفس حنون القلب جثا الى السرير وحني على الفتاة وأخذ يحدثها أحاديث عذبة كلها أمل وكلها رحمة . ثم انصرف وعاد فاذا الأسرة كلها مجتمعة واذا هم يأبون عليه أن يصل إلى المريضة . فتثور ثائرته ويخرج عن طوره ويأبى أن ينصرف ويهم بأخراجهم جميعاً لأن المريضة زوجه وخليلته وهي له وحده دونهم ، بذلك اعترفت له وعلى ذلك أقسمت له فيجب أن يخلى بينه وبينها . فأما الأم فتنكر وتبكي وتستخذى . وأما الأخ فيقبل على أستاذه منذراً . وأما الأب الشيخ فيقبل هادئاً وقوراً يطلب إلى الفيلسوف أن يدع المريضة لأهلها .

فانظر الى الفيلسوف وقد جثى أمام الشيخ ضارعاً مستعطفاً حتى رق له الشيخ فقال انصرف الآن ولك علينا أن ندعوك اذا استيئسنا منها . خرج الفيلسوف فلزم داره فلما كان من غد جاءه الرسول فأقبل مسرعاً حتى انتهى الى البيت فلما رأته الأسرة أنفرجت له وخلت بينه وبين غرفة الفتاة فدخل وأغلق الباب من دونه وأرتجه فأحكم أرتاجه . وأقام ساعات طوالاً لا يخرج ولا يدخل عليه أحد ويستطيع الخيال أن يذهب كل مذهب في تصور ما قال الفيلسوف للفتاة المحتضرة أو ما عمل أمام هذا الحب العظيم الذى كان الموت يغلبه عليه قليلا قليلا . فلما تقدم النهار ودني المساء فتح الباب وخرج صامتاً لا يلوي على شي . فاقام في داره ولم يشهد الجنازة ولم يشيعها إلى القبر . وماذا يعنيه من الجنازة ؟ لقد حاول أن يصل إلى هذا الجسم فلم يجد اليه سبيلا وحاول أن يصل إلى هذه النفس فلم تقاومه ولم تمتنع عليه ، وإنما أسرعت اليه فأقامت في عقله وقلبه . لم تمت كلوتيلد وانما أودعته خير ما فيها فهى اذا في قلبه ، هي اذا تقاسمه حياته الذائلة حتى اذا انقضت هذه الحياة الموقوتة امتزجت بنفسه فكانت منهما نفس واحدة خالدة . عكف الفيلسوف في داره على هذه الصورة يعبدها ويهيم بها وما هي إلا أن استحال حبه لكلوتيلد دينا وضعت له التقاليد وألوان الصلوات والعبادات . وأغرب من هذا كله أن الحياة الظاهرة للفيلسوف لم تتغير . فدروسه كانت تلقى في نظام ومجلاته كانت تقرأ في نظام ورسائله كانت تقرأ ويرد عليها في نظام أيضاً .

ما أعجب أمر الانسان تراه ساذجا يسيرا وان شخصه لشديد التعقيد .

انظر مجلة العالمين التى صدرت فى ١٥ فبراير

الكتب

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر باب الكتب وقد اجتمع لدينا طائفة كبيرة من المؤلفات الحديثة القيمة تستحق النظر فيها والاشادة بها والتعليق عليها . فنعتذر إلى حضرات المؤلفين والقراء من تأجيل ذلك إلى العدد المقبل .

العدد الأول من الرسالة

بقى لدينا مقدار قليل من الطبعة الثانية لهذا العدد . وهو يطلب رأساً من الادارة .

القصة المصرية

نشرنا في هذا العدد جزءاً كبيراً من هذا البحث القيم وسننشر تتمته في العدد المقبل .

فولتـــير المؤرخ

للأستاذ زكي نجيب محمود

لبث التاريخ قرونا يتلوها قرون ، وهو لا يحسب للشعوب حساباً . ولا يعنى بحياة الانسان قليلا ولا كثيراً ، إنما ملئت سطوره وأفعمت صفحاته بذكر الملوك والأمراء . فكان تاريخ الأمة هو تاريخ ملوكها . أما سائر الطبقات ، التى هى فى الواقع لحمة الحياة وسداها . هى الانسانية بأسرها ، هى مبعث القوى والنشاط جميعاً . فكانت لا تظفر من المؤرخ بسطر واحد فضلا عن صفحة أو كتاب .

بقيت الحال كذلك ما بقيت الشعوب بعيدة عن دوائر السيطرة والحكم ، ثم ما كادت تنهض أوروبا نهضة الأحياء ، ويستيقظ الناس من ذلك السبات العميق . وتبدأ الديمقراطية الصحيحة تنشر ألويتها ، وتجد سبيلها إلى صميم القلوب ، حتى انقلب ذلك الوضع الخاطىء . واتخذ شكله المستقيم . وأصبحت الشعوب وحياتها عند التاريخ كل شىء .

ولكل انقلاب رسوله الأمين ، ورسول ذلك الانقلاب فى كتابة التاريخ هو فولتير .. الذى يمثل فى شخصه حلقة الإتصال بين العهدين . وجسر التطور بين المنهجين .

كان فولتير كثير القراءة والاطلاع إلى حد النهم ٠ وكلما تقدمت به السن ازداد فى ذلك امعاناً وادمانا . حتى احتوى فى نفسه شطراً عظيما من عصارات الأذهان البشرية التى سبقته إلى الوجود . فلم يسعه أمام ذلك الانتاج العقلى الغزير ، الا أن يكبر العقل الانسانى الى درجة التقديس . وقد أوحى اليه ذلك الاكبار أن يجرد قلمه للارتفاع بمكانته الى أعلى عليين . فأخذت تلك البراعة العبقرية تدبج الفصول التى تظهر فيها عظمة العقل ظهورا واضحاً لايخطئه النظر . ثم تطورت عنده تلك النزعة فولدت فى نفسه عنصراً جديداً ، هو حب الانسانية والفناء من أجلها ، فأخذ يسمو بها بمقدار ما يصب غضبه ونقمته على أيدى الجهالة السوداء التى اعترضت سبيل تقدمها ، وكانت عثرات فى طريقها . هذا التقديس للعقل وللإنسانية ، وهذا السخط الذى أراد أن يسحق به عوامل الجمود على اختلاف ألوانها . كان أول عنصر جديد أدخله فولتير فى كتابة التاريخ .

ونحن اذا تتبعنا مؤلفاته التاريخية .. التى كتبها فى مراحل عمره المختلفة ، أدركنا على الفور تدرج تلك النزعة فى نفسه تدرجاً أدى بها الى تلك الخاتمة التى ذكرنا .

كانت باكورة مؤلفاته التاريخية « حياة شارل الثانى عشر » الذى كتبه ولم يزل يرسف فى أغلال التقاليد ، التى أملت عليه مثله الأعلى ، فأخرج كتابه للناس آية فى تمجيد شارل ، وأكليلا من الزهر يتوج به هامة ذلك الملك ، الذى سما به الى مرتبة رفيعة لايدانيها من البشر الا الأقلون . وكل عبقريته أنه نثر الدماء وبعثر الأشلاء !! وأنه خاض فى أوروبا من الشمال الى الجنوب ، فاحتواها فى قبضته من تركيا الى السويد !! ولكن نفس فولتير لم تضطرب فيها عاطفة واحدة نحو ذلك الشعب الذى نسج حول مليكه تلك العظمة الحربية بخيوط من أرواحه وماملكت أيديه ، كلا ولم يحسب حساباً لتلك الشعوب التى داسها شارل تحت أقدامه . وأذل أعناقها لتخلى أمامه الطريق !

يسجل ذلك الكتاب أولى مراحل فولتير الفكرية ، ولكنه لم يكد يفرغ من كتابته ويذيعه فى الناس ، حتى اتجه بسائره الى دراسة العلوم الطبيعية والرياضية : الى دراسة ما اكتشفه نيوتن وما ارتآه لوك . وهنا آمن بعظمة العقل الانسانى ايمانا لاتزعزعه الريب والشكوك ، وما هى الا أن عاد الى ميدان التاريخ يجول فيه ويصول ، ويبحثه فى ضوء ادراكه الجديد . ولبه المأخوذ بجلال الانسان . فأخذ يعالجه بأسلوب لم يعهده التاريخ من قبل ، بعيد كل البعد عن الطريق التى انتهجها فى كتابه عن شارل الثانى عشر .

بهذه النزعة الناشئة . وفى هذا الضوء الجديد . نشر مؤلفه المشهور عن لويس الرابع عشر ، الذى ان قرأته فلن تتجاوز ورقات قليلة ، حتى تلمس هذا الأسلوب التاريخى الجديد ، وتدرك المدى البعيد الذى انتقلت اليه عقليته . فى كتابة التاريخ ، فبينما هو يسرد عليك فى كتابه الأول قصة واحد من الملوك . تراه يصور فى كتابه الثانى عصرا بكل ما احتوى من ضروب الحياة . بل تستطيع ألا تجشم نفسك مؤونة القراءة لتتبين هذا الفرق بين الكتابين ، ويكفى أن تلقى نظرة عجلى على عنوانيهما لتدرك ماتناول وجهة نظره من تطور وانقلاب ؛ فعنوان الكتاب الأول « تاريخ شارل الثانى عشر » وعنوان الثانى « عصر لويس الرابع عشر » . فى كتاب شارل أخذ يسرد فى تفصيل وتطويل ماطرأ على حياة ذلك الملك من أحداث . وما كان يطبع شخصيته من ضروب المميزات والفضائل ، أما فى هذا الكتاب الأخير ، فقد تتبع الشعب فى نزعاته وميوله وحركاته ، وقد ذكر فى مقـــدمته أنه . « لن يصف حياة رجل واحد . بل سيعنى بأحوال الشعب جميعاً » فبينما تراه يلم الماما

سريعا بأخبار الحروب، تراه يذكر في اطناب نواحي الحياة الأخرى التي لم تحظ قبل فولتير بصفحة واحدة من صفحات التاريخ فقد عقد فصلا للتجارة والحكومة الداخلية، وآخر للحالة المالية. وثالثا لتاريخ العلوم، كما اختص الفنون الجميلة بفصول ثلاث. وعلى الرغم من أنه كان يعتقد أن النزاع الديني لايستحق من العناية الا القليل، الا أنه أفسح لأخبار الكنيسة في عصر لويس الرابع عشر من كتابه مكانا واسعا. لأنه لم يشك في أنها لعبت دورا خطيرا في شئون الحياة، التي أراد أن يصورها في مؤلفه هذا تصويرا دقيقا.

ولكنا يجب أن نلاحظ أن هذا الكتاب. وان يكن خطوة واسعة وانقلابا خطيرا في دراسة التاريخ، الا أنه لم يخل من شوائب الماضي اذ أطال فولتير - في غير ماموجب للتطويل - في تفصيل حياة لويس الرابع عشر نفسه. ومما كان يتقلب فيه من ضروب اللهو والعبث والمجون، ثم حاول بعد ذلك أن يقيم الدليل على سمو مكانته وعظمة مجده، وان يدفع حراب النقد التي كانت تصوب الى اسمه من كل حدب وصوب.

كان ذلك الكتاب اذن وصلة التطور بين عهدين، لأنه ثار على القديم من ناحية، وتعلق بأسبابه من ناحية أخرى، ثم ما كادت تنطوي سنوات أربع، حتى طلع على العالم بسفره الجليل في أخلاق الشعوب، الذي يعتبر بحق اسمى ما انتجه العقل الانساني في القرن الثامن عشر.

لم يعن فولتير في هذا الكتاب كثيرا بدسائس البلاط، وتتابع الوزارات، وما أصاب الملوك من سعود ونحوس، ولكنه حاول أن يترسم آثار الانسانية في سيرها وتقدمها مرحلة بعد مرحلة، فهو يقول فيه «أريد أن أكتب تاريخا للمجتمع الانساني. غير معنى بما نشب فيه من حروب، وأن أبين في جلاء ووضوح كيف كان يعيش الأفراد في حياتهم العائلية الخاصة، وماهي الفنون المختلفة التي كانوا يعالجونها، ذلك لأن الموضوع الذي أنا بصدده. هو تاريخ العقل البشري، فلن أسرد الحوادث التافهة الحقيرة، ولن أعنى بأخبار الأمراء والعظماء وماقام بينهم وبين ملوك فرنسا من قتال وعراك، ولكني سأدرس المراحل التي اجتازها الانسان حتى انتقل من الهمجية الى المدنية».

وهكذا ضرب فولتير مثلا أعلى للتاريخ كيف يكون. فاهتدى بهديه المؤرخون من بعده، وأخذوا يدرسون ماهو جدير بالدرس ويسقطون من حسابهم تلك التفصيلات الجافة المملة التي لاتتصل بالحياة الا بسبب واه ضئيل، والتي غصت بها مجلدات التاريخ من قبل.

لم يكن فولتير في تلك الروح الجديدة الامرآة صافية ينعكس فيها ما تضطرب به نفوس القوم في القرن الثامن عشر. لذلك لم يكن هو الكاتب الوحيد الذي اختط لنفسه هذا النهج، بل عاصره منتسكيو وتيرجوا، اللذان نسجا على هذا المنوال في كتابة التاريخ.

وهكذا بدأ المؤرخون يحولون موضوع الدراسة من أشخاص الملوك والأمراء، الى حياة الشعوب ومايرتبط بها من مصالح. فأخذوا ينقضون الآراء العتيقة البالية. ويبذرون في النفوس بذور القلق والاضطراب. ثم يحتقرون تلك الشخصيات. التي كانت تملأ عظمتها النفوس من قبل. والتي كانت أقرب الى الآلهة منها الى البشر.

وبذلك انقلب التاريخ معولا لهدم الملكية والارستقراطية بعد ان كان أداة قوية للدعاية لسلطانهم. وأصبح قيثارة تنبعث منها نغمات الديمقراطية. وتقديس الانسان. وتمجيد الأيدي العاملة: ثم أخذت تلك الألحان الجديدة تدوي أصداؤها في جنبات أوروبا عامة وفرنسا خاصة، حتى انتهت بالثورة الكبرى، التي ثلت العروش ودكت قوائم الارستقراطية دكا. ولعل ماحدا بفولتير الى انتهاج هذا الأسلوب في كتابة التاريخ، هو ميله الى التعميم في دراسته للأشياء. فهو لايطمئن للبحث في الجزئيات. الا اذا كان ذلك على سبيل الاستشهاد وضرب الأمثلة التي تؤيد قاعدة عامة ومبدأ شاملا. لهذا تراه قد أقام التاريخ على أساس المراحل التي اجتازتها الانسانية عامة في تطورها؛ أما الملوك ومن اليهم فهم بمثابة الجزئيات من تلك الكتلة الانسانية: فلا يجوز دراستها لذاتها. ولم تقتصر تلك الروح التعميمية على كتابة التاريخ، بل اشتملت رواياته أيضا. فهو لم يحاول أن يصور فيها عواطف أفراد وأخلاق آحاد. انما قصد الى ابراز روح العصر الذي وقعت حوادث الرواية فيه.

كان من النتائج الطبيعية لهذه السبيل التي سلكها فولتير في كتابة التاريخ بناء على أكبار العقل الانساني، وأجلال صفوف الشعب، التي هي نسيج الحياة الاجتماعية ومادتها. أنه كان يزهو بحاضره اذا قاسه الى الماضي، كما كان قوي الايمان، مزدهر الأمل في مستقبل الانسانية، ما دامت جادة في طريقها لا تلوي على شيء، أو على الأصح لا يلويها عن تلك الجادة المستقيمة شيء. لذلك كان يضيق صدرا بمن عاصره من الكتاب. الذين كانوا اذا ارسلوا بصرهم الى المستقبل، ارتد حسيرا اليهم، واذا أجالوا الطرف في حاضرهم، قتلهم اليأس والقنوط: فكانوا يولون وجوههم الى الوراء، يستعيدون صورة الماضي. التي كان يخيل اليهم أنها أقرب الى الخير والكمال. والشعوب اذا دب فيها دبيب العجز والقعود. التمست في الماضي مثلها الأعلى، أما اذا كانت فتية قوية. فهي تنظر

الى المستقبل يحدوها الأمل والرجاء . وليسمح لى القراء أن استطرد قليلا فأقول انني لا أطمئن الى هذه اللوعة التي يتردد أنينها الحين بعد الحين ، أسفا وحسرة على « السلف الصالح » الذين غيبهم التاريخ في جوفه العميق ، سواء أكان هذا السلف من المصريين القدماء أم من العرب . أنما يجب أن نذكر اولئك وهؤلاء كما يذكر الشاب القوى طفولته الضعيفة العاثرة . لا كما يذكر الشيخ المتهدم شبابه الفتى الضائع .

أعود فأقول أن فولتير قد ضاق صدرا بتلك الطائفة من الكتاب . التي كانت تنشد مثلها الأعلى في الحياة الماضية ، فلم يتردد في أن يذيع في الناس صورة ذلك الماضي المظلم الغشوم ، وأن يطلع أمته على حقيقة العصور الوسطى التي كانت تتخبط في ديجور الجهل والفوضى . حيث كانت أشنع الجرائم ترتكب بغير قصاص . وأشراف الاقطاع يبطشون بالناس بطش العزيز المقتدر بغير حساب : وبذلك عرف فولتير كيف يهدم تلك الفئة الضالة المضللة ، وعرف كيف يمحو هذا الأعجاب السخيف المصطنع بالماضى البالى العتيق ، كما عرف كيف يبسط للناس في الأمل الوارف الظلال : وكان المعول الذي اتخذه لتحطيم ذلك جميعا ، هو سخره اللاذع وتهكمه القارص ، بهؤلاء الذين يعيشون في الحاضر بأجسادهم ، وفي الماضي بنفوسهم وعقولهم (فليسمع الجامدون ! !) وقد أخذ عليه بعض النقاد . أنه انما لجأ الى ذلك السخر عندما أعوزه المنطق الذي يدعم به ما يقول ! فأين إذن من هو أقوى من فولتير حجة وأسد منطقا ؟ ! ولسنا نشك في أن من المنطق ألا يناقش تلك الطائفة بالمنطق ! والا فحدثني بربك كيف تجد الحجة العقلية سبيلها الى نفوس هؤلاء ، الذين ينبذون الجديد لأنه جديد ، ويمجدون القديم لأنه قديم ، مع أن العكس أولى وأقوم ، لأنه أقرب الى سنة الحياة ؟ !

لله در فولتير في تلك السخرية التي صادفت أهلها وأصابت مرماها ، فقد استطاع أن يسحق رجال الدين سحقا ، وأن يسقط أعلام الفكر في عصره ، الذين أرادوا أن يعودوا بالانسانية أدراجها الى الماضي . وعرف كيف يزلزل عروش هؤلاء وأولئك — وكانت مكينة حينئذ — زلزالا عنيفا ، بأن احتقرهم وازدراهم ، تارة بالأهمال والحذف ، وطورا بتصويرهم في كتاباته في صور تبعث القراء على الضحك

نعم أستطاع فولتير أن يقوض سلطان الكنيسة المخيف ، وأن يهزأ بالدراسات الكلاسيكية . التي كانت موضع الاعجاب والتقدير حينا طويلا من الدهر . ولكنه لم يكن هداما وكفى ، بل أقام على تلك الأنقاض بناء قويا من الأمل في المستقبل بعد اليأس من الاصلاح ، ومن العناية بالشعوب دون الملوك ، بعد أن كانت تلك الشعوب في زوايا الأهمال والنسيان وقد استعان على ذلك جميعا بقوة المنطق تارة ، وبالسخرية اللاذعة طورا ، حتى كتب له النجاح والتوفيق .

هكذا كان فولتير من رسل الديمقراطية في الطليعة ، ومن أبطال الثورة الفرنسية في المقدمة . لأنه حطم ذلك التقديس الالهي الذي كان يحيط بالملوك ورجال الدين ، ثم رفع الشعب حتى تبوأ تلك المكانة السامية . فلوح له بمستقبل مزدهر هانيء سعيد ، فلعبت تلك الأماني الحلوة بأفئدة القوم ، وضاقوا بحياتهم صدرا ، وبدأ القلق يساور النفوس . تعجلا لذلك المستقبل الموعود . فأخذ الشعب يتحفز ويتوثب ، الى أن هب في الثورة الكبرى ، وحطم ما كان يرسف فيه من أصفاد وأغلال .

لم يعد لويس السادس عشر الحقيقة حين قال ، وقد وقعت عينه في السجن على كتب فولتير وروسو : « لقد أنقض هذان الرجلان ظهر فرنسا » ويقصد بذلك أسرة البوربون .

ذلك هو فولتير ، الذي لم يكن واحداً في عداد الأفراد ، بل احتوى في شخصه عصراً بكل مافيه من عقل وروح ؛ حتى قال عنه فيكتور هوجو : « اذا ذكرت فولتير ، فقد ذكرت القرن الثامن عشر » .

وهذه هي آثار ما كتبه من أدب وتاريخ ، واضحة في النعرة الديمقراطية التي تحتوي الأرض من أقصاها الى أقصاها ، فحق له أن يقول : « ان الكتب تحكم العالم » .

زكى نجيب محمود

العلوم

مركز الكون

للأستاذ عبد الحميد سماحه
مفتش مرصد حلوان

في يوم ٢٢ يونيه سنة ١٦٣٣ وقف العالم الايطالى الكبير جاليليو جاليلي أمام المحكمة المؤلفة بأمر من قداسة البابا وقتئذ، لسماع الحكم عليه بشأن عقيدته العلمية. وصدر الحكم المشهور فكان لطمة جريئة على وجه الحقيقة العلمية. ليس لها مثيل في التاريخ [illegible]

ثبت لدى المحكمة أن جاليليو اعتقد اعتقاداً فاسداً ومنافياً للتعاليم السماوية. بأن الشمس هي مركز الكون وانها لا تتحرك من الشرق الى الغرب. وانما الأرض هي التي تتحرك. وانها ليست مركز الكون. فحكمت عليه بأن يرتد عن عقيدته هذه، وأن يعلن لعنته عليها، واحتقاره لها. ثم بالغت المحكمة في قسوتها. فقضت على جاليليو بالسجن: لولا أن تداركته العناية الالهية، فقد أشفق البابا على الشيخ العظيم، وألغى في اليوم التالي الجزء الأخير من الحكم، ولكنه قضى عليه بأن يلزم عقر داره في الريف. وألا يتصل بأحد إلا باذن خاص.

هكذا جرحت كرامة العلم في شخص واحد من أعز أبنائه. ولم يكن جاليليو في الحقيقة هو صاحب هذه النظرية، فقد زعم بدوران الأرض والقمر والكواكب السيارة حول نار مركزية فيلالاوس حوالى القرن الخامس قبل الميلاد. ومن بعده ارستاركس العظيم أحد علماء مدرسة الاسكندرية في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد: فقد قال بأن الشمس والنجوم كلها ثابتة لا تتحرك، وأن الأولى هي مركز الكون؛ وأن الأرض تتحرك حول محورها مرة كل أربعة وعشرين ساعة، وحول الشمس مرة كل سنة. فيتسبب عن حركتها الأولى ظاهرة الليل والنهار، وعن حركتها الثانيـــة ظاهرة الفصول. ولكن أرسطو اعترض على ذلك اعتراضاً عظيما فقال: لو أن الأرض تدور حول الشمس لتسبب عن ذلك تغيير ظاهرى في مواقع النجوم؛ ولما كانت الأرصاد الفلكية لا تحقق هذه النتيجة، زعم أرسطو بأن الأرض ثابتة لا تتحرك، وأنها مركز الكون. وعلى هذا الأساس وضع علماء الفلك التفسيرات المختلفة لحركة الكواكب السيارة في السماء. ومع أن الأرصاد لم تؤيد تفسيراتهم المعقدة لم يجرؤ واحد منهم على الانداد عن تعاليم أرسطو الفيلسوف العظيم دهراً طويلا؛ حتى كان منتصف القرن السادس عشر، وفيه نشر كتاب De Revolutionibus Orbium Celestium للعالم البولندى كبرنكس وفيه يفسر المؤلف حركة الكواكب السيارة على أساس نظرية أرستاركس القديمة تفسيراً سهلا، تتحقق بواسطة الأرصاد. فيقول بأن الأرض وجميع الكواكب السيارة تدور حول الشمس. ولكن ما كاد ينشر الكتاب حتى قامت قيامة الكنيسة والجامعات على السواء، وأوصدوا أبوابهم من دون نظرية كبرنكس الجديدة، ووضعوا أصابعهم في آذانهم إذ لم يرق في نظرهم أن يكون مهد الانسانية ومهبط روح الله عيسى عليه السلام على مثل ما يدعيه كبرنكس في نظريته

ثم كانت حرب طاحنة بين الحقيقة والوهم، كان النصر فيه حليف الحقيقة؛ لأن جاليليو كان قد أذ البراهين العملية على صحة نظرية كبرنكس: فرأى بمنظاره الجديد كيف أن الزهرة تتشكل بأشكال مثل أشكال القمر. وبرهن على أن ذلك لا يكون إلا نتيجة لدورانها حول الشمس. ثم جاءت البراهين تلو البراهين على صحة نظرية كبرنكس حتى ثبتت وأصبحت ما لا يقبل الشك. وتعتبر هذه الحقيقة الحجر الأساسى في علم الفلك الحديث، بل ربما كانت هي أهم الحقائق العلمية على

وجه الاطلاق .

بعد ذلك تقدمت الأبحاث العلمية في هذا الاتجاه فوجد أن الشمس بدورها ليست إلا واحدة من مجموعة شموس، أو نجوم مثلها يقدر عددها بمائة ألف مليون وهذه المجموعة تسمى المجموعة المجرية، وهي المحدودة في السماء بذلك السديم العظيم المعروف (بسكة التبانة) وهي تشبه في شكلها بعجلة السيارة، وتدور حول محور عمودي على سطحها مار بالمركز، وان الشمس مع ذلك ليست هي مركز المجموعة، بل ولا قريبة منه، ولذلك تدور حول المركز بمعدل مائتي ميل في الثانية .

ولما تقدمت وسائل الرصد، خطت الأبحاث العلمية خطوة كبيرة أخرى في هذا الاتجاه، فوجد أن هناك ملايين عديدة من المجموعات كالمجموعة المجرية، وهي المعروفة بالسدائم الخارجة عن المجرة . فالسديم (م ٣١) من المرآة المسلسلة مثلا يبلغ قطره ربع قطر المجموعة المجرية، ووزنه يعادل وزن خمسة آلاف مليون شمس ؛ وانه كالمجموعة المجرية يدور في الفضاء حول محور عمودي على مستوى سطحه .

وتبدو هذه المجموعات في المنظار مختلفة الأشكال نظراً لتباين أوضاعها بالنسبة الينا . أما الأبحاث العلمية الحديثة فنسبتها كلها الى أصل واحد والى سلسلة واحدة من التطورات، فالكروي التام منها مثل (N. G. C. ٣٣٧٩) يصبح كرويا ناقصاً مثل السديم (N. G. C. ٤٦٢١) ومع مضي الزمن يصبح كالعدسة المتعضرة من الجانبين مثل السديم (N. G. C. ٤٥٩٤) ثم يصير كالقرص أو عجلة السيارة مثل السديم (N. G. C. ٤٥٦٥) أو السديم المجرى نفسه . وفي منتصف هذه السلسلة من من التطورات يبدأ تكون النجوم .

ترى إذن كيف ان مركز الأرض في الكون ضئيل الى أقصى حد : فهي احد أفراد المجموعة الشمسية تدور حول الشمس (التي هي مركز المجموعة) مرة كل سنة . أما الشمس فهي واحدة من مجموعة عظيمة من نجوم أو شموس تعد بآلاف الملايين : وهي الأخرى تدور حول مركز المجموعة . ومثل هذه المجموعة مجموعات كثيرة تعد بالملايين متشابهة في تكونها ومنشئها وتطوراتها .

هذا هو مركز الأرض بالنسبة الى الاجرام السماوية الأخرى فكيف لو نقيس عليه آمالنا ومطامعنا ومتاعبنا في هذه الحياة ؟

الشـــاى

في عام ٥٤٣ بعد الميلاد، حضر من الهند إلى الصين ناسك متعبد، يذيع في الناس دينه ويدعو إلى الخير والسلام . وما وطئت رجلاه أرض الصين، حتى نذر أن يصوم عن النوم تسعة أعوام، يتأمل فيها فضائل ربه (بوذا) ويعدد مناقبه، ويسبح بآلائه وحمده، وظل على هذه الحال صاحياً ثلاثة أعوام، ثم غلبه النوم، فلما استيقظ استشاط غضباً من نفسه، ولما كان لكل زلة عقاب، قص أجفان عينيه، وألقى بهما إلى الأرض . ثم أخذ من جديد في التأمل والتعبد خمس سنين أخر، ثم بدأت رأسه تميل للنعاس، ولكن وقعت يده إذ ذاك على شجيرة قريبة، فأخذ يتلهى بمضغ أوراقها، فوجد فيها القوة على مغالبة النوم، ووجد فيها اليقظة المنشودة، فأتم تسعة الأعوام المنذورة في يقظة وتهجد . وكانت هذه الشجيرة تسمى بالصينية « شا » .

بهذا تتحدث أساطير الصين . ومهما يكن من الأمر، فلا شك أن الشاي أول ما عرف في الصين، ثم انتقل منها إلى اليابان، وهناك زرعوه تعمداً، ثم انتقل غرباً الى الهند، فأوروبا . ولعل أكثر الأمم الأوروبية شرباً للشاي، الأمة الانجليزية، حتى ليظن ظان أنه نبات متوطن بها، وأن عادة شربه نشأت بداءة في تلك الجزيرة الغريبة، ثم تفشت في الأمم مشرّقة . وليس الأمر كذلك، فان الشاي كان شيئاً نادراً في انجلترا في منتصف القرن السابع عشر، وكان ثمن الرطل منه نحو عشرة من الجنيهات . وكان شراباً جديداً يسقاه الخاصة في مقاهي مختارة . ولما بدأ يدخل المنازل كانوا يغلونه كما يغلون الخضر، ثم يصفونه، فأما الماء فيصبونه في البلاعة جهلا، وأما الورق فيبسطونه كالمربيات على الخبز المزبود فيأكلونه . وبالطبع صحح هذا الخطأ سريعاً تجار لهم في ذلك مصالح، وزاد المستهلك من الشاي في تلك البلاد عاما بعد عام، حتى أربى في السنوات الأخيرة على ٤٠٠ مليون رطل بمعدل نحو من ثمانية أرطال للفرد في العام .

والشاى أوراق شجيرات لا يكاد يزيد ارتفاعها على متر ونصف المتر، تظل خضراء طول العام. فلا تعرو فى الخريف، تحمل وريقات صغيرة، يتراوح طولها بين خمس السنتيمترات والعشر، لها شكل كسنان الرمح، وحرف ذو أسنان. وتزرع تلك الشجيرات فلا يقطف منها شيء فى العام الأول، فاذا جاءت السنة الثانية تهيأت وريقاتها للقطاف، ويزداد المقطوف منها بتتابع الأعوام. ولما كانت تزرع لورقها، لا لخشبها أو ثمرها، كان لابد من تقليم أفرعها، كى لا تطول مصعدة، وينتج عن هذا خروج أفرع جديدة من جوانب الأفرع المقلمة، أفرع تكتسى كلها بالورق فيكثر المحصول من الأوراق. وبعد قطف الأوراق تنشر على حصر لتجف وتذبل، ثم تدرج وتبرم باليد فى ضغط على أسطح من الخشب، والقصد من ذلك تكسير الخلايا لتجود بزيتها العطرى، فتطيب رائحة. ويعقب ذلك عملية الاختمار فتعرض الأوراق لدرجة حرارة تتراوح بين ٣٥ و٤٠ درجة مئوية، فتتحول من اللون الأخضر الى الأصفر، ثم يقتم لونها اقتماما، وذلك بسبب الخمائر التى فيها؛ فهى تؤكسد بعض حامض التنيك الذى بالورق، فتستحيل الى مادة ذات لون قاتم يكسب الشاى لونه المألوف. وعملية الاختمار هذه من الأهمية بالمكان الأول، وعلى إجادتها تتوقف جودة الشاى.

أما الشاى ذو اللون الأخضر الذى يباع فى الأسواق فيحضر بطريقة كطريقة الشاى الأسود الآنفة، غير أنه يحمص قبل تخميره فى أوعية تسخن بالغاز تسخيناً هيناً، وهذا التسخين يقتل بعض تلك الخمائر التى كانت سبباً فى أكسدة حامض التنيك، وفى إحداث اللون القاتم، فاذا تخمرت الأوراق بعد ذلك، قامت بالتخمير بقية الخمائر التى لم يقتلها التسخين، ولهذا يظل الشاى حافظاً لشيء من اخضراره الأول وانفتاح لونه.

والشاى يحتوى مواد كيماوية كثيرة، أهمها ثلاثة أصول: أولها الزيت الطيار، وهو الذى يكسب الشاى نكهة تصعد الى أنف شاربه فتجد منها السبيل الى قلبه ونفسه. ومقدار هذا الزيت بالغ فى القلة، ولعله لو زاد لما طاب الشاى شرابا.

وثانيها حامض التنيك، ويسمى التنين كذلك: وهو مادة صلبة سحيقة بين البياض والسمرة تذوب فى الماء. ويبلغ مقدار التنين فى الشاى على العادة من ١٠ الى ١٧ فى المائة من وزن الأوراق. والتنين قابض شديد. تعرف أثره فى لسانك اذا تذوقته. وسبب قبضه أنه يرسب الزلال والمخاط اللذين باللسان والفم. وبأغشية الجسم الأخرى كالتى تبطن بها القناة الهضمية من معدة وأمعاء. فتجف تلك الأغشية وتتقبض وتقل افرازاتها. ولذلك كان التنين دواء للاسهال، ودواء للالتهابات التى تعترى القناة الهضمية. فانه فضلاً عن تقليل الافرازات، فان الراسب الذى يحدثه عند التقائه بمخاط جدران الأمعاء الملتهبة، يقى هذه الجدران مس الطعام فى سيره واحتكاكها بما فيه من بقايا خشنة مؤذية. ويستخدم التنين دواء للثة الدامية، وفى التهاب الحلق فيتعاطى غرغرة. هذه كلها لا شك فضائل ولكن فى المرض، أما فى الصحة فهى مؤذيات يزيد أذاها بالاسراف من شرب الشاى. فمن ذا الذى يحب الاقلال من افرازاته الطبيعية التى عليها مدار الهضم؟ ومن ذا الذى يحب أن يستعيض عن معدته الطرية الملساء بما فيها من مخاط بمعدة كجلد القرب؟ عرفت سيدة عجوزا يؤذيها الشاى خفيفا، ولكنها تستريح عليه اذا كان ثقيلاً كلون الدم السكيب. وكانت تتعاطاه فى بدء كل طعام وفى آخره؛ وما ذاك إلا أنها كانت قريحة المعدة لا تحتمل مس الطعام وإن لان. ولكن ليت شعرى عم يتساقاه فلاحونا عافاهم الله، فتلك بكارجهم لا تكاد تطفأ من تحتها النار، فيقذفون فيها بالماء فالشاى، فالماء فالشاى، حتى يصبح الشراب أقتم من طالعهم الأسود، أعن أمعدة قريحة يتساقونه فيجدوا فيه شفاء من ألم؟ أم لأنهم لم يجدوا فى سوء الغذاء وقلته وفى الأمراض الكثيرة المتوطنة بمصر كالبلهارسيا والانكلستوما أداة كافية لهدقواهم فاتخذوا من الشاى فى العقد الأخير أداة جديدة تقتل فى بطء وطول؟

وثالث الأصول التى بالشاى وأهمها مادة قلوية تسمى بالكافيين، وإن شئت قلت القهوتين. وإن شئت قلت الشايين، وهذه كلها معناها الأصل الفعال فى الشاى أو فى القهوة المتطرفة؛

فالأصلان واحد . وهذا الأصل أهم ما فى هذين الشرايين من الأصول الطبية . أما أثره فيظهر فى مراكز المخ العليا ، فهو يزيد فى يقظة العقل عامة ، وفى المقدرة على الحكم فى الأمور وعلى حسن الاستنتاج ، وربط الفكر . وهو يذهب بالتعب عقليا كان أو جثمانيا . ولعل شرب الناس له فى العصر بعد انقضاء أكثر عمل اليوم ، كان لحكمة اهتدى اليها الشاربون بغريزتهم . وهو فوق ذلك يدر البول .

وللشاى فى الأمم المدنية الحديثة أثر اجتماعى كبير ، فقد اتخذت منه تلك الأمم وجبة خفيفة ، خفيفة على المعدة وعلى الجيب على السواء ، يجتمع عليها أهل الأعمال يتحدثون برهات قصيرة ، وأهل المودة يتسامرون ساعات قليلة ، ويلتقى عليها الأحباب فى بر وعفة ، يتجاذبون أطراف الأحاديث الحلوة ، يطون بالطعام خفيفة ، وقلوب بالحب مفعمة ثقيلة .

الأدب اليابانى

(بقية المنشور على صفحة ٢٦)

هذا لا نعجب إذا رأينا اليابان تحتفل احتفالا عظيم الشأن بالعيد المئوى للشاعر شيلر ، أو إذا رأيناها تخصص الصفحات الأولى من جرائدها ومجلاتها المحترمة للكتابة عن إبسن ومؤلفاته ومكانته الأدبية الممتازة عقب وفاته . لهذا يمكننا أن نعتبر الآداب الغربية نوعا من أنواع « المودة » التى تروح وتغدو كل عام بين اوربا واليابان .

ولم يعقب هذا اللقاح المتعدد الأنواع والأجناس إلا نوعا من الآداب أشبه شىء بالثوب الذى تزدحم فيه الألوان دون تناسق أو تآلف أو ترتيب ، ولكن يصح الآن أن نقول أن الآداب اليابانية قد تخلصت من جميع تلك العناصر الغربية بل يمكن أن نميز فيها بوضوح إتجاهين يابانيين جديدين . فانه بعد المدرسة الانسانية Humanitaire التى أنشأها « سيراكابا » عقب المدرسة الطبيعية ظهرت مدرسة أخرى جديدة تدين بالمذهب الواقعى جعلت همها مخاطبة الجماهير والتحدث اليهم عن معايب الطبقة الرأسمالية الغنية ؛ وكان زعيم هذه المدرسة الجديدة « كيكوتى » الذى أسس عام ١٩١١ فى اليابان جمعية أدبية أطلق عليها أسم « جمعية القصصيين » ولا يزال أثر هذه المدرسة نافذ المفعول حتى اليوم ، لأن آثار

١٦ ١

« كيكوتى » وأتباعه الأدبية قد لاقت هوى فى نفوس العدد الأكبر من اليابانيين لأن رجال المال هم القابضون على زمام الأمور فى تلك البلاد .

أما الاتجاه الآخر فهو أن جماعة من كتاب اليابان الحديثين أخذوا على عاتقهم أن يصفوا فى كتاباتهم حياة الطبقة الدنيا من اليابانيين أى طبقة العمال ومن إليهم ، وقد تعمقوا فى هذا الوصف حتى أنك تكاد تلمس بيديك فى كتاباتهم هيكل البؤس والتعس المخيم على هذه الطبقة الفقيرة .

وخلاصة الموقف الأدبى الآن فى اليابان هو أن هناك فى الميدان أربع فرق من الأدباء تتنازع الجمهور اليابانى : فالفريق الأول هم أصحاب المدرسة الكلاسيكية الذين يعشقون الآداب لذاتها ، وهؤلاء يمثلون الطبقة الأرستقراطية من المجتمع ، ويقفون وجها لوجه أمام الفريق الثانى أى الأدباء الذين يعبرون عما تكنه صدور الطبقة الدنيا من آلام وآمال وهموم وأحزان ؛ ثم الفريق الثالث وهم أدباء المدرسة الحديثة الذين يحبون التجديد فى كل شىء حتى فى العواطف الانسانية ويطلقون عليهم تهكما اسم « المدرسة الاستقراضية » وآثارها مع ذلك لا تخلو من الطرافة فى نواحى عدة منها . أما الفريق الرابع فهم أدباء المدرسة الشعبية وينضم تحت لوائها العدد الأكبر من أدباء اليابان وهم يخاطبون الشعب اليابانى كأنه كتلة واحدة لا تباين فيها ولا اختلاف ؟

احمد الشنتناوى

تاريخ الأدب العربى

الطبعة الرابعـــة

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

يبحث فى جميع عصور الأدب العربى بحثاً علمياً يمتاز بدقة التحليل وتحديد الوصف وسلامة الايجاز ، وحسن التبويب وبلاغة الأسلوب ، وحسن الاختيار ، والاشارة إلى ما بين الأدب العربى والأدب الفرنسى من صلة أو تشابه أو فرق . وهو على الجملة كتاب فريد فى الثقافة الأدبية العامة للبلاد العربية قاطبة .

ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على ومن إدارة لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمنه ٢٠ قرشاً صاغاً

القصص

يوم عصيب في جبل المقطم

للأستاذ محمد الدمرداش محمد
مدير إدارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

كان ذلك يوم جمعة في شهر فبراير سنة ١٩١٩ ، ولم أكن وقتها حديث عهد بجبل المقطم ، أو قليل خبرة بوديانه وطرقاته ، ولكنها حالة طارئة من النوع الذي يبتلي به رواد الصحراء . فتودي بهم أو تجعلهم يتخبطون فيها على غير هدى ، إلى أن تنتشلهم العناية الآلهية — كانت تجربة قاسية ولكن الله سلم ، ولا يظنن القارئ أن هذه التجارب وأمثالها تصد رواد الجبال والصحراوات عن رحلاتهم ، بل هي مما يزيد في خبرتهم وحماستهم ويجعلهم (مغيدين) يقدمون غير هيابين أو وجلين .

خرجت من منزلي في هذا اليوم في الصباح الباكر ، وبصحبتي أحد الأصدقاء بقصد زيارة الغابة المتحجرة الكبرى بجبل المقطم على أربع ساعات من القلعة بالسير الحثيث جهة الجنوب الشرقي — وكان اليوم صحواً ، والطقس معتدلا ، والهواء ساكناً ، وكنا على عزم أن نعود بعد الظهر بقليل ، فلم نأخذ معنا ماء ولا طعاما سوى شطيرتين (سندوتش) لكل منا . وكانت ملابسي خفيفة وليس معي من مرافق الرحلات الجبلية سوى عصا قصيرة .

وصلنا المنشية في منتصف الساعة السابعة ، ثم درنا حول القلعة من جهة (عرب اليسار) وبعد أن اجتزنا تكية سيدى المغاوري أخذنا نرتقي الجبل ، وبعد نصف ساعة وصلنا هضبة المقطم السفلى ، وبعد أن مررنا بقلعة الجبل ومقام سيدى الجيوشي أخذنا طريقنا الى هضبة المقطم العليا ، ثم أخذنا نسير في نفس الطريق الذي يسلكه عادة الذين يقصدون (عيون موسى) وبعد ساعة مررنا بعيون موسى ، ثم انحدرنا الى وادي البلابلة وهو واد متسع قليل الارتفاعات ، فأخذنا طريقنا فيه متجهين نحو الجنوب وبعد ساعتين من عيون موسى وصلنا الغابة المتحجرة الكبرى بعد أن قطعنا نحو ١٨ كيلو متراً .

كانت الساعة وقتئذ العاشرة والنصف . وكنا على أحسن ما نكون نشاطا وسروراً ، وكانت الشمس ساطعة والهواء دافئاً منعشاً



جبل المقطم . الغابة المتحجرة . وادي التيه . وادي دجلة . طريق الذهاب . طريق العودة
عيون موسى . وادي البلابلة .

وبعد أن استرحنا قليلا تناولنا ما كان معنا من الطعام . ثم انطلقنا نجوس خلال الغابة باحثين مستطلعين . فهذا جزع شجرة ملقى على الأرض تخاله من بعد أنه جزع شجرة حقيقي . فاذا تبينته عن قرب وجدته قطعة من الصخر الرملي ، فالرمل قد حل مكان الخلايا النباتية بألوانها وأشكالها وتعرجاتها ، واذا طرقته بقطعة من الصخر أعطى صوتاً له رنين المعدن — وهذا فرع شجرة حل به ما حل بالجزع — وقد قضينا في الفرجة نحو الساعتين ، وكان كل شيء حتى الآن على ما يرام ، ولكن لم نكد نتهيأ للرجوع حوالي منتصف الساعة الواحدة . حتى شعرنا بأن ريحاً شمالية غربية باردة بدأت تهب في وجوهنا ، ثم تلبد الأفق من جهة الغرب بسحب كثيفة ، وزادت سرعة الريح . وبعد قليل انتشر في الجو ضباب كثيف وحوالي الساعة الواحدة سقط رذاذ خفيف وبدأت الشمس تحتجب وراء السحب .

فلما تغير الحال كما رأيت عولنا على العودة مسرعين ، فاتجهنا نحو الشمال الغربي قاصدين السير في نفس الطريق الذي سلكناه في الصباح ونظراً لتلبد الجو بالضباب واختفاء الشمس . اعتمدنا في تعرف الجهات على هبوب الريح ، فجعلنا نسير في الاتجاه المضاد لهبوبه — وبعد أن سرنا نحو ساعة بالسير الحثيث لحظت أن معالم الطريق بدأت تتغير ، فلم اهتم لذلك ظناً مني أنه

ربما انحرفنا قليلا جهة الشرق أو الغرب ، ولكن بعد ساعة أخرى أدركت أنى أسير فى طريق لم آلفه من قبل فساورنى بعض القلق وأخذ صاحبي يسألني عن موضعنا بالنسبة للقلعة ومتى نصل وهكذا من الأسئلة المتنوعة — كنا قد وصلنا فى هذا الوقت الى واد صخرى عميق ظننته لأول وهلة وادى عيون موسى . ولكن بعد أن نزلناه وسرنا فيه قليلا تأكدت أنه غيره — وهنا امطرتنا السماء مدراراً فتبللت ملابسنا وتوحل الطريق فأعاقنا عن السير ، ثم برد الجو . فلم نر بدا من الالتجاء الى مغارة قريبة لنستريح فيها قليلا ، فلما خف المطر استأنفنا السير فى نفس الاتجاه — وبعد ساعة أخرى أدركت تماما أنى أسير على غير هدى وأيقنت بعد ان تنكر الطريق انى قد ضللت . فتملكني ضيق شديد وساورتنى المخاوف وأخذت أندب سوء المصير فى هذه المفاوز حيث لاماء ولاطعام ولاغطاء . ولكنى وجدت من الحكمة ان أخفى حالى عن صاحبي . فكتمت كربى وتكلفت الاطمئنان تكلفا وكنت كلما سألنى عن القلعة وعن سبب تأخرنا أجبته إنا لابد واصلان ان شاء الله . ولكن بالرغم من محاولتى اخفاء اضطرابي وتصنعي الهدوء لحظ صاحبي فى وجهى شدة الحيرة والقلق ، فأخذ يشكو الجوع والبرد والتعب ، وزاد الطين بلة أن ثارت فى وجهنا فى هذه اللحظة زوبعة رملية شديدة وهطل



المطر كأنه أفواه القرب فعميت عيوننا وأصبحنا غرقى فى لجة من الماء والوحل ، وكنا عندئذ نسير على ظهر جبل عال لايزيد عرضه على عشرين مترا ، وعن شمالنا واد عميق جدرانه قائمة كالطور ولايقل انخفاضه عنا عن مائة متر أو يزيد ، وعن يميننا واد آخر كالاول الا انه أكبر اتساعا وأقل انحداراً . وكان الظلام منتشراً فى كل مكان ، وريح باردة عاتية تسفى فى وجوهنا الرمل والتراب باستمرار ، فتعذرت الرؤية واشتد بنا الكرب وتوقعت فى كل خطوة أن نهوى فى هوة عميقة أو نسقط على الأرض من الأعياء — طلب منى صاحبي ونحن فى هذا الموقف الحرج أن نأوى الى ملجأ يقينا البرد والمطر وشكا الى ماحل به من التعب المضنى .

فطيبت خاطره وشجعته ثم أفصحت له عن حقيقة موقفنا بكلمات قليلة ورجوته أن يصبر ، وقلت له أن الليل قد داهمنا وليس لنا من واق فى هذه الجبال الا رحمة الله . وأن الوقوف عن الحركة يضر بنا فملابسنا مبللة وبطوننا خاوية والبرد قارص ولا فائدة من التذمر ، ثم أردفت ذلك قائلا : ربما كنا أقرب الى السلامة مما يبدو لنا الآن — فلما وقف صاحبي على مانحن فيه أضطرب كثيرا ولكن لم يلبث لحسن الحظ أن سلم أمره لله وقال سر بنا وسأتبعك فالله سبحانه يتولانا بلطفه وهدايته . ثم قال : ولماذا لانسير فى عكس



اتجاهنا خصوصا وانا قد جربنا السير فى اتجاه مضاد للريح ولم نصل الى غاية . فقلت له ربما لحظت أنى دائما أسير والريح فى وجهى وذلك لأنى أعلم أن هبوب الريح فى مصر فى هذا الشهر من السنة يكون عادة من الشمال الغربى أو الغرب . فالسير فى هذا الاتجاه أسلم عاقبة مادمنا لانملك وسيلة أخرى من وسائل الاهتداء الى الجهات الأصلية . ولا بد أن يؤدى بنا السير آجلا أو عاجلا الى وادى النيل . فقال عسى ! ثم سكت . وبعد أن قطعنا مرحلة أخرى رأيت من الحكمة أن التجىء الى الوادى بسبب الظلام الدامس والبرد القارص فاخترت نقطة ظننت أنها ربما تكون أقل خطورة للهبوط الى الوادى ، واشرت إلى صاحبي أن يتبعنى وأن يكون حريصا منتبها وأن يستجمع كل قواه حتى لاتزل قدمه فيهوى إلى الحضيض ، فأومأ بالايجاب ، وفى أقل من نصف ساعة وصلنا بطن الوادى بسلام ، وبعد أن استرحنا قليلا أخذنا طريقنا متبعين تعاريج الوادى قائلا فى نفسى أن كتب علينا البقاء فى هذه البيداء هذه الليلة فسنجد فى احدى المغاور ملجأ وحماية .

بعد أن سرنا فى الوادى نحو كيلو متر فطنت الى أننا متجهان نحو منبع الوادى من اتجاه الحشائش فى أنحائها . فعدنا أدراجنا مؤملا أن نحن واصلنا السير أن نصل إلى مدخل الوادى فى وقت قريب ، وعندها ربما نهتدى الى طريق يوصلنا الى مكان يكون لى به معرفة .

فى هذا الوقت العصيب ظهرت بارقة أمل على غير انتظار بددت كثيرا من غمنا وكآبتنا واعادت الينا شيئا من الطمأنينة

والثقة، كانت الساعة السادسة والنصف مساء عندما أدركت أن لي بالوادي الذي نسير فيه معرفة سابقة من بعض الشواهد والعلامات. وبعد قليل ترجح عندي من تعاريج الوادي ونظامها انا نسير في « وادي دجلة »، ثم لم نلبث طويلا حتى ثبت لي من علامة مميزة في الحائط الجنوبي للوادي، وهي فتحة مغارة لها شكل خاص. من أن الوادي هو وادي دجلة حقيقة، فكدت أطير من الفرح وأخذتني نشوة سرور أعجز عن وصفها ولا يشعر بمثلها الا من كان في مثل موقفنا وحالتنا عندما تنتشله العناية الالهية من ضيق مهلك الى سلامة مؤكدة، ثم أخذت أفكر فيما عسى أن يكون قد جرى لنا حتى تحولنا عن وجهتنا الأصلية الى هذا الوادي.

ووادي دجلة واد طويل يبلغ طوله من مدخله حتى نهايته نحو اثنى عشر كيلو متراً، كثير التعاريج ينتهى بشلال غاية في الجلال. يقصده كثيرون من محبي الرحلات الجبلية للتفرج على مشاهده الفريدة، ومناظره البديعة ويقع مدخل الوادي في الشرق من « طره » وعلى بعد ساعة ونصف منها، وتمتد بينهما سلسلة من التلال تخفي مدخل الوادي وتجعل الوصول اليه متعسرا. وعقب الأمطار الغزيرة يترع الوادي بالماء ويخرج منه أحيانا سيل جارف يهدد المنطقة حول طره بالاتلاف والغرق.

وبعد أن بشرت صاحبي بالخلاص من الورطة، وبعد أن انتعش وعادت اليه بشاشته أخذت ونحن نسير في الوادي أقص عليه بعض ما صادفته من المواقف الحرجة في رحلاتي السابقة وكيف كنت أخرج منها في كل مرة سالما بتوفيق الله. وبفضل الاطمئنان ورباطة الجأش وقوة ذاكرتي التي تحفظ كثيرا من العلامات المميزة للجبال والوديان التي أزورها.

(يتبع)

ضحى الاسلام

هو الجزء الثاني لفجر الاسلام

يبحث في الحياة العقلية للعصر العباسي الأول

تأليف

الأستاذ أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر — ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه عشرون قرشاً

المبـــارزة

للكاتب الروسي اسكندر بوشكين

تابع لما قبـــله

لا يعبأ الذين يعيشون في العواصم بالحوادث الصغيرة لا نشغالهم بما هو أهم وأخطر. ولا يتصورون ما يكون لهذه الحوادث على ضآلتها من الخطر والاثر في المدن الصغيرة والقرى البعيدة.. مثال ذلك وصول البريد، ففي يومي الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع تكتظ مكاتب المعسكر بالناس. هذا ينتظر نقوداً وذاك رسالة وهؤلاء يسألون عن الصحف. كل يتلقف ما له في شغف واهتمام. وأذكر أن رسائل سيلفيو كانت تعنون الى معسكرنا، وأنه كان يزورنا وقت وصول البريد لتسلمها. وفي أحد هذه الايام تسلم خطابا، فما لمح اسم الجهة الصادر منها حتى لمعت عيناه وأسرع بفضه وقراءته في تأثر وحماس. وبالطبع لم يدرك أحد سواي هذه التغيرات التي بدت في ملامح وجهه وحركات يديه لانشغال الجميع بقراءة رسائلهم.

وبعد لحظات التفت الرجل الينا قائلا « يضطرني العمل الى مغادرة القرية هذا المساء، وأنا لذلك أدعوكم لتناول الغداء معي اليوم للمرة الأخيرة، وكلي أمل ألا أحرم من لقائكم جميعا » ثم أشار الي بالذات وقال « وكم أتمنى أن أراك بينهم! » ثم أسرع بمغادرة المكان كما أسرع كل منا الى جناحه الخاص بعد أن اتفقنا على اجابة الدعوة.

ووصلت الى منزل سيلفيو في الساعة التي عينها فوجدت ضباط الفرقة جميعا هناك، ورأيت كل أثاث المنزل قد جمع وربط استعداداً للرحيل، وأبصرت الجدران عارية من أغلفة الرصاص.. جلسنا الى المائدة وأكلنا هنيئا وشربنا حتى ثملنا، وكنا نكثر من الخمر التي ما ان نصبها في الكؤوس حتى تغرينا بزبدها ورائحتها فنتجرعها، ولما انتهينا — وكنا قد أطلنا الجلوس — لبسنا قبعاتنا وهممنا بالانصراف راجين لمضيفنا العزيز التوفيق في رحلته، فاجاب شاكرا وأخذ يرد تحية ضيوفه واحداً واحداً حتى جاء دوري فأسر الي « انني أريد أن أتحدث اليك برهة من الزمن! » فلم أر بدا من المكوث بعد انصراف الآخرين

جلس كل منا قبالة صاحبه وأخذنا ندخن في سكون، وقد كان سيلفيو متعبا شاحب الوجه، وان عجبت لشيء فلم أعجب الا من هذا التغير الفجائي الذي بدا عليه، فقد غاض ذلك السرور الذي أشرق به وجهه ساعة الغداء، واختفى بريق عينيه وضعفت نظراته وأصبح منظره وهو ينظر الى سحائب الدخان المتصاعدة من غليونه منظر الشيطان!

وبعد بضع دقائق قال « قبلا نلتقي بعد هذا المساء ، ولذلك أرى من واجبي ان أشرح لك بعض امور لاأشك في أنك تساءلت عنها بينك وبين نفسك . . . وأنا وإن كنت لاأعير آراء الشباب إهتماما سأخبرك عما تريد لأنني أميل اليك وأعجب بك ! ولما رآني أسكت وأتحاشى نظراته أفرغ غليونه وواصل حديثه « لقد دهشت على ما أرى لتصرفي مع الضابط السكير رسيانوف في الليلة التي تذكرها ولاشك ، وأظنك عجبت عندما علمت انني لم أغسل الاهانة التي لحقتني ومع هذا فأنا أعتبر عدم اقدامي على مبارزة ذلك الأحمق كرماً مني ، لأني — وقد كان اختيار السلاح لي — أثق بانتصاري عليه وقتله مهما كان السلاح ، ومهما كانت طريقة المبارزة ، ولكني في الواقع لاأملك حياتي !؟

نظرت اليه في دهشة واستغراب . . . ومضى يقول : منذ ستة أعوام تلقيت ضربة من شخص لايزال على قيد الحياة ! ؟ هنا زادت دهشتي فسألته مسرعا « أولم تقابله ؟ . لاريب في أن ظرفا خاصا منعك من لقائه فأجاب « لقد قابلته ، وهذا ماأسفر عنه لقاؤنا ،

وقام وأحضر من صندوق قريب قلنسوة من القماش الأحمر لها زر معقود وضفائر مموهة مثل القبعات التي يسميها الفرنسيون Bonnet de Police ، ولما لبسها رأيت ثقبا يدل على أن رصاصة اخترقتها على مسافة بوصة واحدة من الجبهة !

وواصل حديثه قائلا (أنت تعرف أنني كنت في فرقة الفرسان الامبراطورية ، وتعرف خلقي فانا أحب أن أسود الجميع ، ولقد كانت هذه الرغبة في السيادة أيام شبابي قوية الى درجة الجنون ، وكانت لذة الشبان في المشاجرة وقتذاك ، ولهذا كنت شيخ المتشاجرين وزعيمهم في الفرقة ، وكنا نفخر بالسكر والعربدة ، أما أنا فكنت أفوق في الشراب (ب) الشهير في أغنية دافيدوف . . لي في كل يوم مبارزة أمثل فيها الدور الاول أو الثاني فينظر الي زملائي نظرة الاعجاب ، أما رؤسائي فكانوا يعتقدون انني كالطاعون الذي لاخلاص منه ولانجاة !

« وظللت أعيش وسط معالم الانتصار وعلائم الرهبة حتى نقل الى فرقتنا شاب غني من اسرة نبيلة ، وأنا لاأريد أن أذكر لك اسمه ، ولكن ثق انني لم اقابل شخصا له حظ هذا الشاب ، فيه كل ماتتصور من القوة والنشاط ، وكل ماتحلم به من الجمال والرشاقة ، وكل ماتتمناه من الذكاء وسرعة البديهة والرقة في الحديث بل كل ماتصبوا اليه من الثروة والبذخ . . . فيه كل هذا وأكثر منه : اقدام غريب لايعبأ بالخطر أو الموت ، ولايفكر في الهزيمة . . . فما أن وصل هذا الشاب فرقتنا حتى تلاشى نفوذي وزالت سطوتي ، وقد أراد اول مجيئه مصاحبتي لما رآه من الزعامة المعقودة علي ، ولكني قابلته بفتور ولذلك تركني دون ان يظهر عليه شيء من التاثر .

« واقول لك الحق لقد كرهته لما رأيت من شغف الجميع به واحترامهم إياه ولما شاهدته من أعجاب السيدات به وتهالكهن عليه وكم حاولت أن اجره الى الشجار معي بأسلوبي التهكمي اللاذع وسخريتي المتصلة ، ولكنه كان يجيب على ذلك بسرعة خاطره وذكائه وميله الى السرور . . كنت اجد دائما وكان يمزح دائما ، وفي النهاية بينما كنا في منزل بولندي نحضر حفلة من حفلات الرقص اسررت في اذنه جملة مهينة لكرامته لما رأيته من شغف ربة البيت به وصدوفها عني مع أنها كانت تعبدني قبل أن تتعرف الى هذا الشاب الغني الجميل فما كان منه الا أن صفعني ، فأسرعت الى سيفي وأسرع الى سيفه . : وقامت الدنيا وقعدت . وفقد بعض السيدات صوابهن ، واندفع زملاؤنا وحالوا بيننا وبين الشجار ؛ ولكنا غادرنا المكان رغبة في المبارزة الصريحة حتى يغسل كل واحد منا الاهانة التي لحقته بالدم !

« وذهبت مع شهودي الثلاثة الى المكان المعهود ، وكنت أنتظر غريمي في قلق واضطراب . . . طلعت الشمس وأخذت حرارتها تزداد شيئا فشيئا . وأتى يتهادى في مشيته مرتديا قميصه واضعاً رداءه الرسمي على كتفه ، يحمل في يده قبعته التي ملأها بفاكهة الكريز ولم يكن معه غير شاهد واحد

« أقمنا الشهود في نقطتين تبعد إحداهما عن الأخرى باثنتي عشرة خطوة ، وكان من حقي أن تكون طلقتي الأولى ، ولكني رفضت لما كنت أخشاه من اخطائه في حالتي العصبية . ورفض هو الآخر ولذلك تركنا المسألة للمصادفة وكانت في جانب هذا الشاب الذي أفسده الحظ الحسن . أطلق رصاصته ولكنها اخترقت قبعتي ولم تصبني بسوء ، وجاء دوري فشعرت أنه تحت رحمتي فأستطيع اذا شئت أن أسلبه نعمة السعادة بل نعمة الحياة . . نظرت اليه في شوق ، وكنت أنتظر أن أراه ممتقعاً شاحب الوجه . ولكن خاب ظني لأني رأيته يأكل فاكهته في هدوء واطمئنان ويلقي بالبذور الى ناحيتي فتتساقط تحت أقدامي .

« فكرت في نفسي ماذا أجني من أخذ حياة هذا الشاب الذي لايعني بالحياة ! ولمعت عيناي عندما خطر لي خاطر غريب ، وأفرغت بندقيتي وقلت له ، يخيل الي أنك لاتهتم كثيراً بموتك أو حياتك في هذه اللحظة ، وأنك تعني بأفكارك أكثر من عنايتك بالمبارزة . . لكن ماتراه فليس عندي الرغبة في إزعاجك »

« فأجاب . أحب أن تلزم عملك فقط ، وأرجو ، أن تطلق رصاصتك ولكن يجب أن تذكر أن لك أن تطلقها في المكان والزمان اللذين تشاء ، وأنا رهن إشارتك في كل حين ! »

« غادرت المكان وأنا أقول لشهودى أنا لا أرغب في إطلاق رصاصتى فى هـذا اليوم وانتهت المسألة وقتذاك على هذه الصورة »

« ثم أرسلت استقالتى من الجيش واعتكفت فى هذه القرية المتواضعة وأنا لا أفكر فى غير شيء واحد هو الانتقام ، وقد جاء وقته ! »

وعندئذ أخرج سيلفيو الرسالة التى تلقاها هذا الصباح من أحد معارفه ـ ولعله محاميه ـ يقول له فيها أن الرجل (المطلوب) سيتزوج في القريب العاجل من فتاة رائعة الجمال . . ثم مضى فى حديثه يقول « وليس من شك فى أن الرجل المطلوب هو عدوى الذى أريد الانتقام منه . وها أنا ذاهب الى موسكو . وسأرى إذا كان يقابل الموت وسط أفراح العرس بالفتور الذى قابله به وقتذاك وفى يده رطل من فاكهة الكريز »

ولما نطق بهذه الكلمات ألقى بقبعته الى الأرض . منفعلاً ثم أخذ يسير في الغرفة جيئة وذهوباً كما يسير النمر المحبوس ! ولم أعترضه أثناء حديثه فقد ملك لبي واسترعى انتباهي وأثار فى أنواعاً متضاربة من العواطف .

ودخل أحد الخدم يقول لسيده : إن العربة قد أعدت ، وهنا تناول سيلفيو يدي وصافحني في حرارة ، وركب العربة التى كان فيها صندوقان يحتوى أحدهما على أسلحة الرجل وبنادقه ويحتوي الآخر على أدواته وملابسه . . ثم حياني مرة أخرى قبل أن تتحرك العربة ، وفى الحق لقد كان وداعاً مؤثراً . . .

(يتبع) عبد الحميد يونس

حافظ وشوقى

للدكتور طه حسين

ظهر هذا الكتاب القيم حديثاً وهو مجموعة ما أنشأه الدكتور فى هذا الموضوع الظريف . طبع طبعاً حسناً على ورق صقيل فى زهاء ٢٥٠ صفحة . يباع فى المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد . وثمنه ١٠ قروش .

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك
ـــ
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد السابع — القاهرة في يوم السبت ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٥١ — ١٥ ابريل سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العـــدد

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع الدابغ بالقاهرة

في العيـــد...

في ذات مساء اشتد فيه الصراع بين بواكر الربيع وأواخر الشتاء، ارتفع من بين ضجيج القاهرة ولغط النهار الراحل، طلقات ضعيفة من مدفع عتيق.. وتألقت في شرفات المآذن الشم مصابيح الكهرباء بغتة ... فعلم الناس بمقتضى التقاليد أن غداً يوم العيـد..!

راح قوم يقضون ليلهم بين وحشة القبور ورهبة الموت، في غير إدّكار ولا اعتبار ولا خشية ! وبات آخرون يتعهدون كباش الأضاحي بالعلف، ويشحذون لصباحها المدى والنواظير...!

وأصبحت القاهرة دامية البيوت، حامية المطابخ، شديدة الجلبة : وبيوت الله التي نزل فيها العيد من السماء، تنتظر المؤمنين للصلاة والدعاء، فلم يغشها إلا قافلة من العمال والبوابين والخدم !.

أما السراة والأوساط، فقد خرجوا في هندام الأمس، واهتمام اليوم، يستقبلون العيد في القهوات والحانات، بين لعبة النرد الصاخبة، وأحاديث الدواوين المعادة! فاذا تلاقى في الطريق صديقان، أو تراءى في القهوة قريبان، تبادلا بفتور تحية العيد، ثم مضى كل منهما لشأنه !!

***

ذلك هو العيد أو ما يقاربه في مصر وفي سائر البلاد العربية! فلولا مرح ظاهر يقوم بالأطفال في هذا اليوم لعطلة المدارس، وجدة الملابس، وسحر النقود، وفتنة اللعب لمرّ بكبار الأيام حائل اللون تافه الطعم بادي الكآبة!

فليت شعري ماذا حاق بنا من الأحداث والغِيَر حتى غاضت ينابيع المسرة في القلوب، وماتت أحاسيس البهجة في النفوس، وتحللت أواصر المودة بين الناس، وآل أمر العيدين — وهما كل ما بقي في أيدينا من مظاهر الوحدة الدينية والعزة القومية — إلى هذه الصورة الطامسة والحال البائسة؟!

لا نستطيع أن نتهم حسرة الحزن على الماضي، وذلة الضعف في الحاضر، فإن أعياد اليهود وإن فقدت بذلك مظهرها الاجتماعي، لم تفقد روعة الدين في الكنيس، ومتعة الأنس في البيت، وجمال الذكرى في الخاطر.

وأعياد إخواننا في الوطن والجنس والمجد والأسى من نصارى الشرق لا ينقصها الرواء والإخاء واللذة.

كذلك لا نستطيع أن نتهم المادية والمدنية، فإنهما — وإن جنتا على بعض الأخلاق الكريمة كالإخاء والإخلاص والمروءة والرحمة — لم تجنيا على نزعات السرور في النفوس، ولم تقضيا على غرائز اللهو في الطباع، بل ازداد الناس بهما في ذلك شراهة وحدّة:

والأعياد الأجنبية التي تشهدها مصر في ذكرى الميلاد ورأس السنة غاية في نعيم الروح والجسم، وآية في سلامة الذوق والطبع، وفرصة ترى فيها القاهرة — وهي متفرجة — كيف تفيض الكنائس بالجلال، وتزخر الفنادق بالجمال، وتشرق المنازل بالأنس، وتمتلئ الشوارع وبيوت التجارة ودور اللهو مسرحاً للحسن، ومعرضاً للفن، ومهبطاً للسرور، وتصبح أعياد القلة القليلة مظهراً للفرح العام، ومصدراً للابتهاج المشترك!

وهي من وراء ذلك كله من أقوى العوامل في توثيق العلاقة بين الله والانسان بالصدقات، وبين الاصدقاء والاقارب بالهدايا، وبين الكبار والصغار باللعب، وبين الانسان والانسان بالمودة

***

إذن ما هي الاسباب الصحيحة التي مسخت حياتنا هذا المسخ، وشوهت أعيادنا هذا التشويه، فجعلت أظهر المظاهر فيها خروفاً يذبح ولا يضحّى، ومدافع تتباعد الآذان ولا تجاب، وأياماً كنقاهة المريض كل ما فيها همود ونوم وأكل؟؟

الحق أن لذلك أسباباً مختلفة، ولكنها عند الروية والتأمل ترجع إلى سبب رئيسي واحد: هو غيبة المرأة عن المجتمع الاسلامي... ذلك السبب هو علة ما نكابده من جفاف في الطبع، وجفاف في العيش، وجهومة في البيت، وسآمة في العمل، وفوضى في الاجتماع.

كرهنا الدور لاحتجاب المرأة، وهجرنا الاندية لغياب المرأة، وسئمنا الملاهي لبُعد المرأة، وأصبحنا كالسمك في الماء، أو الهباء في الهواء، نحيا حياة الهيام والتشرد، فلا نطمئن إلى مجلس، ولا نستأنس لحديث!

فإذا لم تصبح المرأة في اللهو عطر المجلس، وعلى الطعام زهر المائدة، وفي النّدِي روح الحديث؛ وفي الحفل بهجة الأفئدة، فهيهات أن يكون لنا عيد صحيح، ومجتمع مهذب، وحياة طيبة، وأسرة سعيدة!

أحمد حسن الزيات

التجديد فى الأدب

للأستاذ أحمد أمين

٣

عرضت فى مقالى السابق للبحث فى الألفاظ وما تتطلب من جدة؛ واليوم أعرض لضرب آخر من ضروب التجديد وهو التجديد فى العبارة. وأعنى بالعبارة الجملة التى يؤدّى بها المعنى على اختــــلاف ألوانها، من حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة وكناية.

ومما لا شك فيه أن البليغ يستمد تشبيهاته واستعاراته وما الى ذلك مما يحيط به من بيئة طبيعية واجتماعية. فالأدب الجاهلى — مثلا — صورة صادقة لمعيشة العربى فى الجاهلية؛ اذا بكى، فانما يبكى الأطلال والمنزل الدائر والرسم العافى. واذا رحل، فعلى ناقة أو بعير. واذا أعجبه نبت، فالشيح والقيصوم، والخزامى والعرار. واذا ذكر النسيم، فصبا نجد. واذا حن الى مكان، فوطنه من الرقمتين ورَضوى وثَبير. كذلك كان فى تشبيهاته واستعاراته وأمثاله: يستوحى ما يحيط به، ويستلهم ما يقع حسه عليه. فقال: استنوق الجمل، وهو أعز من الأبلق العقوق، وأبدت الرغوة عن الصريح، وهم أكثر من الحصى، وهو ليث غابة، وما تُحَلُّ حبْوته، وألقى حبله على غاربه، وقصُرت الأعنة، واشتجرت الأسنة، وزلزلت الأقدام من رنين القسى، وقراع الرماح، وطحنهم طحن الرحى، ومطله مطل نعاس الكلب، وكالباحث عن حتفــــه بظلفه، وحط راحله، وضرب أوتاده، وألقى عصاه، والقافلة تسير والكلاب تنبح. الى كثير من أمثال ذلك — فهم فى كل هذا يصفون حياتهم، ويشتقون منها تشبيهاتهم، ويضربون منها أمثالهم.

وتتابع أدباء العرب بعدُ يزيدون فى التعبير، تبعاً لتغير المعيشة الاجتماعية، وتقدمهم فى الحضارة. فقالوا: صندل الشراب وعنبره — وكأن أخلاقه سبكت من الذهب المصفى — ويكاد يسيل الظرف من أعطافه. ويمازج الأرواح لرقته — قد دس له الغدر فى الملق — وهو من صيارفة الكلام، يتطفل على موائد الكتاب — وكأن ألفاظه قطع الرياض، وكأن معانيه نسيم الآصال. وهكذا كانت العبارات المحدثة فى العصر العباسى تخالف من وجوه كثيرة العبارات الجاهلية والأموية.

وقد جارى المؤلفون الأدباء: يدونون ما اخترعوا، ويقيدون ما أبدعوا. فرأينا عبد الرحمن الهمذانى يجمع فى كتابه (الألفاظ الكتابية) العبارات المختارة من جاهلية واسلامية ورأينا الحصرى يملأ كتابه (زهر الآداب) بفصول يعنونها «ألفاظ لأهل العصر» يجمع تحتها ما اخترعه أهل عصره من تعبير رقيق وتشبيه أنيق. ونهج المؤلفون بعد هذا المسلك حتى كان خاتمتهم ابراهيم اليازجى فى كتابه «نجعــة الرائد وشرعة الوارد» جمع فيه أحسن العبارات والألفاظ مما قال السابقون والمحدثون الى عصره.

وبعد، فلو قارنا بين الأدب العربى الحديث، والأدب الغربى فى هذا الباب — أعنى باب العبارة — وجدنا فى أدبنا العربى قصوراً ظاهراً، وضعفاً بيناً.

ذلك أن الأدب الغربى ساير الزمن، واعترف بكل ما حدث فيه، واستمد منه، على حين أن الأدب العربى الحديث أغمض عينه عن كل ما كان، ولم يعترف بوجوده. نظر الأدب الغربى الى ماضيه وحاضره ومستقبله؛ ولم ينظر الأدب العربى الا الى ماضيه. وزّع الأدب الغربى لفتاته لينظر نظرة شاملة وثبّت الأدب العربى عينيه فيما وراءه، فلم ينظر الا الى قديمه، فكان ناقصاً، لا يسايرنا ولا يصفنا ولا يمس حياتنا، وانما يمس حياة آبائنا.

اعترف الادب الغربى بالادب القديم فأخذ منه خيره، واعترف بالدنيا الحديثة فاستمد تشبيهاته واستعاراته منها، رأى فى دنياه مخترعات ومستكشفات لا حد لها من كهرباء ومواد كيمائية وطيارات وغواصات وغازات وأضواء وراديو ومالا يحصى كثرة. كل هذه الاشياء قلبت الحياة الاجتماعية رأساً

على عقب. فلماذا لا تقلب الأدب؟ فأقبل الأديب عليها يتعرفها ويستلهمها تشبيهات واستعارات عصرية طريفة، فكان له منها ما أراد.

ورأى الأديب علم النفس ينمو ويرقى ويحلل أعمال الانسان تحليلا علمياً دقيقا، ويعرض لكل المظاهر اليومية من ابتسامة وعبوس ورضى وغضب، فأخذ بحظ وافر منه واستعان به في أدبه وتعبيراته حتى استطاع أحد الكتاب الفرنسيين (وهو مارسل بروست (Marcel Proust) أن يحلل ابتسامة سيدة في ست صفحات، ورأى نظما في الحكم تقوم وأخرى تسقط وكان لهما من الأثر في حياة الناس وعقليتهم ما يخيل اليك معها أنهم أصبحوا بها خلقا آخر، فجعل يتتبع هذه التغيرات ويقتبس منها ما شاء ذوقه الأدبي

كل هذا وأمثاله جعل الأدب الغربي يسير محاذيا لكل نظم الحياة ويشاركها في رقيها واتجاهها، إن استضاء الناس بمصباح كهربائي فالأدب يعبر عنه ويستعير منه ويشبه به، وإن كان نظام الحكم ديمقراطيا فالأدب ديمقراطي، والصور التي يصورها ديمقراطية، ويتعمق السيكولوجي في بحثه فيتعمق الروائي في تحليل شخصيات روايته، وهكذا كانت الاختراعات والصناعات والعلوم ونظم الحكم والسياسة والأدب تسير معاً، لا يخطو عنصر منها خطوة إلى الامام حتى يدرك الآخر سر تقدمه فيعمل على أن يحتذيه. أما الأدب العربي فيحارب متراليوزا بقوس وسهم، ويضيء في أدبه سراجا بزيت، والناس اليوم قادمون على أن يغيروا المصباح الكهربائي بخير منه، ويبكي الأطلال ولا أطلال، ويحن إلى سلع ولا سلع، ويستطيب الخزامى والعرار ولا خزامى لدينا ولا عرار. من الحق أن نحب القديم الجميل ونحفظه ونتعلم منه ونعجب بما فيه من مظهر عاطفة حية وشعور قوي، ولكن لا ننشئه. وإذا قلناه وجب أن نقول معه ما نحياه ونعيش فيه

إذا أنت لم تحم القديم بحادث

من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

وقفت العبارة العربية حيث كانت في العصر العباسي، ولم تتقدم إلا قليلا بما اقتبس من الأدب الغربي، والذي نتطلبه من التجديد فيها أن نستمد من حياتنا الواقعية، ومن كل ما يحيط بنا جملا حية تلائم ما في نفوسنا، وأن نخترع عبارات من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنايات نستمدها من الحياة التي نعيشها، والمخترعات التي نستخدمها، وما وصلت اليه علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد

* * *

وقد عاق الأدب العربي الحديث عن الوصول إلى هذه الغاية عوائق كثيرة أهمها:

(١) ما سبقت الاشارة اليه من أن المخترعات ليس لها أسماء، وأن أئمة اللغة لم يرضوا أن يستعملوا الكلمات الأجنبية ولا وضعوا لها أسماء عربية، وتركوا الأدباء في حيرة من أمرهم، فكيف يستطيعون أن يستلهموها في جملة لتكسب المعنى قوة، وهم يفرون من التلفظ بها، ويخشون من علماء اللغة استعمالها، لذلك رضينا من الأدب بالعدول عنها جملة وتفصيلا، حقيقة ومجازا. وبهذا سد أمام الاديب العربي باب من أوسع الابواب وأغزرها فائدة.

(٢) وسبب آخر من أهم الأسباب في فقر الأدب العربي في التعبير، هو أن الادب العربي الحديث أدب أرستقراطي لا أدب شعبي، وأعني أرستقراطية العلم لا أرستقراطية المال، ذلك أن الأدب الانجليزي أو الفرنسي أو الالماني، أدب شعب لا أدب طبقة خاصة — نعم قد يرقى الادب الانجليزي مثلا — فلا يفهمه إلا الراقون، ولكن بجانبه أدب انجليزي شعبي، لا يختلف عن أدب الخاصة في ألفاظه وتراكيبه وان اختلف في دقة المعنى وبساطته — أما الادب العربي فأدب خاص لطائفة المتعلمين تعلماً راقياً فحسب، لا يشاركهم فيه العامة واشباه العامة. وللعامة أدب بلدى خاص، يستمتعون به في أغانيهم ونكتهم وزجلهم ومواليائهم — وحتى الخاصة، لا يتذوقون الادب العربي إلا في الكتب والمجلات والجرائد، أما أحاديثهم وتنادرهم وفكاهاتهم فباللغة العامية، وليست أمة من الأمم الحية الآن بين لغتها اليومية ولغتها الادبية من الفروق ما بين اللغة العربية واللغة العامية.

نتج من هذه الظاهرة نقص كبير في الأدب العربي الحديث، لان استعمال الكلمات والعبارات في البيت وعلى المائدة وفي

الشارع يكسبها حياة قوية ويزيدها صقلا ومرونة . ولو اقتصر في استعمالها على الكتب كانت حياتها ناقصة . لا يهـذبها الاستعمال ولا يرقيها الصقل اليومي . وحسبك دليلا على ذلك أن النكت والنوادر وهي من أهم أركان الأدب لا تجد منها سائغا عذبا في أدبنا العربي عشر معشار ماتجده في الأدب العامي ، وأن النادرة تحكى بالعامية فتضحكك إلى أقصى حد ، ثم تحكيها باللغة الفصحى فتخرج باردة تافهة ، وأن كثيراً من الألفاظ والتعبيرات العامية قد أفادها الاستعمال روحاً قوية ، فاذا عبرت عنها بالعربية لم تجد لها من التعبير قوة العامية وحسن دلالتها على المعنى .

وكل أمة قد كسبت من توحيد لغتها الكلامية والكتابية مالا يقدر ، فقد أصبح الشعب كلها منتجاً أدباً وتعبيراً قويا ، وأصبح الحديث على المائدة وفي حجرة الجلوس وفي التمثيل والسينما يخرج أدبا جديداً ويحيي أدبا قديما ، والأمة كلها تتعاون في الانتاج الأدبي . هذا بتعبيره الرقيق ، وهذا بنكته ونوادره ، وهذا بقصته وأمثاله ، وهذا بشعره ، وهكذا

وليس كذلك الحال في الأدب العربي ، فالأمثال والنوادر والحكايات باللغة العامية ، والأحاديث اليومية وقضاء كل شؤون الحياة باللغة العامية ، وليس للغة العربية إلا الكتاب وما إليه — ولذلك أصبح عندنا أدبان أدب أرستقراطي هو هذا الشعر والكتب التي تؤلف ، والمجلات والجرائد التي تنشر وأدب شعبي هو الزجل والاغاني والحواديت وما إليها ، وبين الأدبين فواصل كبيرة وحواجز متينة ، وفي هذا ضرر كبير على الأمة والأدب معا ، أما الأمة فلأن شعبها لا ينتفع بنتائج المتعلمين منها ، وأما الأدب فلأنه ليس أدبا صحيحاً ، إذ الأدب الصحيح هو ما كان ظلا لحياة الأمة الاجتماعية كلها لا لحياة طبقة خاصة منها

ولا أمل لحياة الأدب العربي من هذه الناحية إلا بازالة الحواجز القوية بين العامية والعربية ، على أي وجه يرضاه قادة الأمة ، ويحفظ للغة العربية مكانتها من حيث هي لغة الدين ورابطة الشعوب الشرقية . إذ ذاك تصبح اللغة حية ، والتعبيرات حية : وإذ ذاك تزول الحيرة التي نعيش فيها الآن ، فانك تستعمل اللفظ العامي والعبارة العامية ، فلا تجد لها نظيرا في العربية ، وان وجدت لها نظيراً فنظير ميت ليس فيه حياتهما .

كنت أقرأ الآن في جريدة فوجدت فيها كلمة « بعبع » ، وكنت أسمع فسمعت من يقول : انه بيت « مبهوأ » ، ومن يقول « رزق الهبل على المجانين » . ووجدتني اذا أجهدت نفسي قد أعثر على تعبيرات عربية مرادفة لها أو قريبة منها . ولكن ليس فيها حياتها ، لأن الحياة وليدة الاستعمال ، وأزيد الاستعمال الشعبي . وهذا أحد الأسباب في أن مقالات الأستاذ فكري أباظه ، والمجلات الهزلية ، والهزلية الجدية ، لها من الرواج في أوساط الجماهير ما ليس لغيرها ، وتتفتح لها نفوس شعبية أكثر مما تتفتح للمقالات العربية الصرفة ؛ وترن الكلمة أو العبارة في الأذن رنيناً دونه رنين العربية الكلاسيكية .

(٣) وسبب ثالث هو أن الحواجز عندنا بين العلم والأدب قوية متينة ، وان شئت فقل إنه ليس هناك صلة بين كلية العلوم والآداب ، وأن الثقافة التي يتثقفها الأديب ينقصها — غالباً — قدر ضروري صالح من المعلومات العلمية ، تجعله يستطيع أن يلم إلماماً ما بالمخترعات والمستكشفات ، ويستغلها في أدبه . وهذا القدر يلقفه الأديب الأوربي في بيته وفيما يقع في يده من كتب ومجلات أولية ، ثم في مدرسته . وأدباء الطبقة الأولى منهم كانوا على حظ عظيم من الثقافة العلمية استغلوها في منتجاتهم ، فأصبحت هناك أنواع من الأدب ، ومن التعبيرات والتشبيهات القوية التي تعتمد على الثقافات العلمية ، أخذها منهم الشعب واستساغها . أما برنامج الأديب العربي فقاصر من هذه الناحية كل القصور ؛ ولذلك كان نتاجه قاصراً كل القصور .

وهناك أنواع من التجديد في الأسلوب والموضوع والنثر الفني والشعر والقصة وغيرها ، نعرض لها فيما بعد . ؟

ـــــــــــ

التجديد في الادب

جاءنا بعض ردود على مقالة الأستاذ احمد أمين في التجديد في الادب ننشرها في العـدد التالي

زرياب المغني

للأستاذ عبد الحميد العبادي

— ٢ —

إذا قدر للأندلسيين أن يكتب تاريخها الفني والاجتماعي، فلا شك أن أنضر صفحة في ذلك التاريخ المجيد وأعجبها تكون صفحة أبي الحسن علي بن نافع المغني الملقب بزرياب، فهو رجل استطاع وحده أن ينقل أمة بأسرها من حال البداوة الى حال الحضارة. وذلك بشيئين اثنين: تحبيب الموسيقى اليها، وتنظيم حياتها اليومية.

ooo

فتح المسلمون الأندلس في العقد الأخير من القرن الأول الهجري، وانتشرت قبائلهم العربية والبربرية في بسائطها وحزونها ولكنهم ظلوا حتى أواخر القرن الثاني بداة جفاة كلما اجتمعت كلمتهم لم يلبثوا أن تفرق بينهم الإحن والعداوات المنبعثة عن العصبية القبلية، فكأنهم لا يزالون ضاربين في هضاب نجد وسهول تهامة ومفاوز افريقية. ثم أخذت شؤونهم السياسية تستقر وتتسق بفضل مجهودات المتقدمين من أمراء الدولة الأموية الأندلسية عبد الرحمن الداخل، وهشام، والحكم، وعبد الرحمن الأوسط. أما الأحوال الاجتماعية فظلت على ما كانت عليه فسادا واضطرابا.

وعلى العكس من ذلك كان المشرق الاسلامي في ذلك الزمان فقد استبحر فيه العمران وبلغت المدنية الاسلامية فيه غايتها، وتعلق فيه ذوو الدعة واليسار بأسباب الكمالي من شئون الحياة، بعد أن استكملوا الضروري، والحاجي منها على حد تعبير ابن خلدون. وقد ساعفهم في ذلك عاملا الدين وعامل التاريخ معاً: فأما المتدينون منهم فكانوا يستندون الى أن الدين الاسلامي دين يسر يجب من المؤمن أن يكون هينا لينا موفور الحظ من الظرف والكياسة غير فظ ولا غليظ القلب، ولا ناس نصيبه من الدنيا. وأما المتطرفون فوجدوا في تقاليد الفرس والروم الاجتماعية ما جعلهم يؤثرون العاجلة ويحرصون على لذة الحياة الدنيا ومتعها، أيا كانت الطرق الموصلة اليها.

وقد تألفت من هؤلاء وهؤلاء طبقة ارستقراطية، مرهفة الأذواق، رقيقة الطباع، ترى في الموسيقى، ومجالس الأنس والطرب، وحفلات السمر، خير ما يتقون به غلة تلك الأذواق المرهفة والطباع المترفة. هذا هو السبب المباشر في تقدم صناعة الغناء في ذلك الزمان، وبلوغها الغاية على أيدي ابراهيم المهدي، وابراهيم الموصلي، وابنه اسحاق. وهذا هو السبب كذلك في استفاضة مجالس الأنس والطرب لذلك العهد في بيئة المشرق الاسلامي عامة وبغداد خاصة. وفي بلوغ هذه المجالس درجة من التأنق يمكن تصورها إذا عرفنا أنهم وضعوا لها آدابا كانوا يأخذون بها من يحضرها من الندماء، والجلساء، والسمار.

من ذلك أن يكون الغناء قوامها، وأن يحتفل لها بلبس الثياب المصبغة الأنيقة، وأن يزين المجلس بالأزهار والرياحين، والا يحضرها إلا من كان مهذباً، خفيف الروح، حاضر البديهة، قادراً على قول الشعر وارتجاله، فضلا عن تذوقه وروايته عندما يقتضي المقام ذلك.

الى هذا المشرق اتجه أمراء بني أمية الأندلسيون، وهم أبناء خلائف دمشق ورصافتها، يستهدونه فنانين ومعلمين يهذبون ما غلظ من طباع العرب والبربر والمولدين، وينظمونها جميعاً في نسق واحد. وقد أهدى المشرق الى المغرب غير واحد من المغنين أمثال علون، وزرقون، ولكن زريابا كان أعظم هؤلاء جميعا وأبعدهم أثراً.

ooo

كان أبو الحسن علي بن نافع مولى للخليفة المهدي العباسي، ولسواد لونه، وحلاوة شمائله لقبوه بزرياب تشبيها له بطائر أسود غرد يعرف عندهم بهذا الاسم. وقد تكاملت لزرياب كل أسباب النبوغ والتفوق موهوبها ومكسوبها، فكان شديد الذكاء، لطيف الحس عارفا بالنجوم والجغرافية، شاعراً فصيح الشعر. غير أنه كان الى الغناء أميل وبه أشغف، وقد درسه علما في كتب الأقدمين من حكماء اليونان، وعملا على استاذه اسحق الموصلي زعيم المغنين في ذلك الوقت، ولشدة افتتان زرياب بالموسيقى كان تفكيره فيها لا يكاد ينقطع حتى أنه ليلهم النوبة والصوت وهو نائم، فيهب من نومه مسرعا، ويقيد ما وقع له أو يلقيه على جاريتيه غزلان وهنيدة، ثم يعود الى مضجعه عجلا. ومن ثم قيل انه كان يأخذ ألحانه عن الجن كما قيل في ابراهيم الموصلي نفسه. قالوا وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها. ولم يأل زرياب جهداً في أن يأخذ نفسه بالأدب الرفيع والسلوك العالي المصطلح عليه في البيئة التي كان يعيش فيها ببغداد، بيئة البلاط وقصور الأمراء، ورؤساء الدولة العباسية.

ويذكرون أن السبب في هجرة زرياب من المشرق الى المغرب، انه غنى يوما في حضرة هارون الرشيد، فأخذ الخليفة

بصناعته وظرفه وطلب الى اسحق أن يغنى به حتى يفرغ لسماعه. ولكن اسحق لم يلبث أن تحركت فى صدره عوامل الغيرة والحسد والحقد على تلميذه. فخلا به وخيره بين الموت والحياة، بين أن يقيم ببغداد فيعرض حياته للهلاك ومهجته للتلف، وبين أن يذهب فى أرض الله العريضة فينجو بحياته، ووعده اذا هو اختار ثانى الأمرين أن يعينه على الرحيل بما شاء من المال، وغير المال. فاختار زرياب الرحيل عن المشرق بأسره. ووفى له اسحق بما وعده به من المعونة.

وتذكره الرشيد بعد أن فرغ من شغله الذى كان منهمكا فيه وطلب الى اسحق احضاره فقال «ومن لى به يا أمير المؤمنين؟ ذاك غلام مجنون يزعم أن الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه. فما يرى فى الدنيا من يعدله، وما هو الا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين، وترك استعادته. فقدر التقصير به والتهوين لصناعته، فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عنى. وقد صنع الله تعالى فى ذلك لأمير المؤمنين فانه كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه، فيفزع من رآه». يقول المقرى «فسكن الرشيد الى قول اسحق وقال على ما كان به، فقد فاتنا منه سرور كثير».

٭٭٭

خرج زرياب يؤم المغرب، فلما كان بافريقية اتصل بصاحبها زيادة الله الأغلبى. ولكنه لم يطب له المقام بها فرحل عنها الى المغرب الأقصى، وهنا كتب الى الحكم بن هشام، أمير الأندلس المعروف بحبه للموسيقى، يستأذنه فى دخول الأندلس والصيرورة اليه، فأذن له الأمير فى كل ذلك من فوره. وعبر زرياب البحر الى عدوة الأندلس، وبينما هو يتأهب للرحيل الى قرطبة اذ سمع بوفاة الحكم فهم أن يعود أدراجه الى المغرب لولا أن كتب اليه الأمير الجديد، عبد الرحمن الأوسط، يستقدمه ويعده ان ينيله كل ما تصبو اليه نفسه من مال وجاه. فقدم عليه زرياب، ويروون أن عبد الرحمن احتفـــل لمقدمه أعظم احتفال اذ خرج بنفسه من قرطبة لتلقيه. وما هو الا أن سمع غناءه وحديثه حتى شغف به فغمره بفضله وانعامه وأجرى عليه من الرواتب والارزاق الشىء الكثير، حتى لقد كان يركب وبين يديه مائة مملوك. وقدمه الأمير على سائر المغنين وبلغ من شـدة شغفه به أن جعل فى قصره باباً خاصاً يستدعيه منـه كلما أحب سماع غنائه الرائع وحديثه العذب الظريف.

وقد لقى زرياب النعمة بمثلها وجزى المعروف بالمعروف، ولكنه قصد الى ذلك من طريق غير مباشر، قصد اليه من طريق النصح والاخلاص للاندلس التى أصبحت له وطنا. وأهل الأندلس الذين أصبحوا أهلاً له ومعشراً. فعكف على رفع مستوى الموسيقى الاندلسية وعلى النهوض بالمجتمع الاندلسى حتى يدانى المجتمع الشرقى ببغداد وقد وفق فيما قصد اليه كل التوفيق.

٭٭٭

يمكن القول بأن زريابا نهض بالموسيقى الشرقية نهضة جديدة مطبوعة بطابعه وذلك بما أدخله على العود من اصلاح وتحسين، وبما استن من طرق جديدة فى القاء الغناء وتعليمه. فقد اتخذ لنفسه وهو بالمشرق عوداً جعله على الثلث من وزن العود القديم، وصنع أوتاره من حرير لم يغزل بماء سخن يكسبها أناثة ورخاوة، واتخذ بمها ومثلثها من مصران شبل أسد «فلها فى الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان، ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها». فلما كان بالأندلس زاد أوتار العود الأربعة المقابلة للطبائع الأربع وترا خامسا يقوم مقام النفس من الجسد. فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة كما يروى المقرى. واتخذ مضراب العود من قوادم النسر بدلا من مرهب الخشب «وذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الأصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه». وأما من حيث القاء الغناء فقد رسم زرياب أن يبدأ فى الالقاء بالنشيد بأى نقر كان، ثم يؤتى فى أثره بالبسيط ويختم بالمحركات والأهزاج. أما مذهبه فى تعليم الغناء فيقول فيه المقرى «وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة، وأن يشد صوته جدا اذا كان قوى الصوت، فان كان لينه أمره أن يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوى الصوت ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج على الفم فان كان ألص الأضراس لا يقدر على أن يفتح فاه، أو كانت عادته زم أسنانه عند النطق، راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع، يبيتها فى فمه ليالى حتى ينفرج فكاه. وكان اذا أراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره ان يصيح بأقوى صوته ياحجام! او يصيح آه! ويمد بها صوته، فان سمع صوته بها صافيا نديا قويا مؤديا لا تعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس، عرف ان سوف ينجب وأشار بتعليمه، وان وجده خلاف ذلك أبعده». هـذه العبارة تشير فى صراحة الى ان زريابا أنشأ بالاندلس فى أوائل القرن الثالث الهجرى ما يصح أن نسميه بلغة الوقت الحاضر معهدا لتعليم الموسيقى الشرقية.

ولم يكن زرياب أقل ابتكارا فى شئون الحياة اليوميـة منه فى

بال الموسيقى والفن ، وهذا محل العجب من سيرته . فقد ابتكر لأهل الأندلس ألوانا من الطعام استطابوها ونسبوا بعضها اليه ، وعلمهم أن يشربوا من آنية الزجاج الرقيق بدلا من آنية المعدن ، وهو أول من اجتنى لهم البقلة الشهية المعروفة بالهليون وكانوا لا يعرفونها من قبل . وعلمهم أن يبسطوا فوق ملاحف الكتان أنطاع الأديم اللين ، وان يبسطوا سفر الأديم فوق الموائد الخشبية فذلك أنظف لها وآنق لمنظرها . وعلمهم أن يلائموا بين ما يلبسون وبين فصول السنة الأربعة ، فيتدرجوا من الخفيف الأبيض صيفاً الى الثقيل الملون شتاء . ولفتهم الى أنواع من الطيب والعطر لم يلبثوا أن أقبلوا عليها وفضلوها على ما كانوا يتعطرون به من قبل . كما علمهم كيف ينظمون شعورهم تصفيفا وتدويرا وارسالا .

٥٥٥

لا ندرى بالدقة متى توفى زرياب والغالب ان وفاته كانت فى أمارة الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) وكما رزق زرياب الحظوة عند اهل الأندلس فى حياته فقد رزقها ذكراه عندهم بعد مماته . ذلك بأن مذهبه فى الغناء وما رسمه لهم من أسلوب المعيشة ظل باقيا متوارثا فيهم حتى آخر أيامهم . فلما انتهى أمر الاندلس وخرج من تبقى من أهلها إلى بلدان افريقية الشمالية انتقل اليها بانتقالهم مقدار غير قليل من صناعة زرياب وآدابه . يقول ابن خلدون عند ذكره زريابا « فأورث بالاندلس من صناعة الغناء ماتناقلوه إلى ازمان الطوائف وطما منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بافريقية والمغرب وانقسم على أمصارها وبها الآن منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها »

ويقول المقرى « وكان زرياب قد جمع إلى خصاله هذه الاشتراك فى كثير من ضروب الظرف وفنون الآداب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية مالم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك اهل الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار الى آخر أيام أهل الاندلس منسوبا اليه معلوما به »

***

كان أهل رومية القديمة على عهد نيرون يلقبون سريا من سراتهم اسمه بطرونيوس برب الظرف وسلامة الذوق لأنه كان عندهم مضرب المثل فى ذلك . أما أهل الاندلس فقد وصفوا زريابا بأنه « معلم الناس المروءة » وهو لاشك أجمل وصف يوصف به وأحقه بأن يحفظه عليه التاريخ ويذكره به ؟

عبد الحميد العبادى



O.R.Rostem

الزهرية العاطلة

للأستاذ راشد رستم

لا أجد هنا من يضع لى الزهر فى غرفتى ، وأنا الذى أحب الزهر قريباً منى ، أضمه الى صدرى حنيناً ، وأشمه لتسمو به روحى بعيداً ، أحب العطر منه ، وأحب العطف عليه .

ليس غيرى اذن يضع الزهر لى فى غرفتى ، بل أختاره بنفسى وأرعاه وحدى

واليوم اشتريت من الزهارة الفتيــة الناضرة ، باقة من ذلك الزهر الذى تحبه . . . . . . « روحى » .

لم تدر فتاة الزهر الجميلة لماذا سألتها السماح لى اليوم أن أنتقى بيدى أنا تلك الزهرات الحبيبة التى سأجعل منها وحدها ، دون غيرها ، حديقتى فى هذا اليوم .

سكتت فتاتى الحسناء راضية ، وتنحت هادئة ، ونظرت الى فى سرور وابتسام وعجب ! . ولم تعجب ؟ ومن عاشر الزهر لا يغضب .

***

لم ترنى الفتاة قبل اليوم ألمس أزهارها بيدى ، انما أشير اليها بالطرف وهو كليل فتفهم منى قصدى ، وتجمع لى زهراتى المختارة ، تنتقيها من بين اخواتها برشاقة فى حنو وعطف

تبتسم الفتاة بسمات اللطف والرقة ، وكأنى بها تعلم سرى عن الزهرات وهى تجمعها فتحدثها به جهراً تقول : ما أحلاك أيتها الوردة الحمراء ، المملوءة عطراً وعطفاً وشوقاً وحرارة ! . وأنت أيتها الزهرة الفاتنة مثال الرشاقة والخفة والحلاوة ! . . وأنت ياحبيبة الفؤاد ! تعالى تعالى يا زهرة الحب والاخلاص والحنان ! . أما أنت فيا للفتوة وياللحياة ! . وما أسعد الفتى بالفتاة ! وأنت ياربة الدلال والكمال . . تقدمى ! تقدمى ! خذى مكانك هنا بين زميلاتك الرشيقات ! .

* * *

هكذا كانت الزهارة تناجى وتنادى وتداعب هذه الزهرات النواعم ، وهى تجمعها من هنا وهناك وتنسقها ثم تلفها فى حرزها لتحميها ، ثم تلتفت فى رقة الفاتنات المائلات وتقول : تفضل يا حبيب الزهر فخذ زهراتك المحبوبات . وبودى لو اطلعت عليك معها . أو لو علمت سرها معك !! . ثم تعود مسرعة الى زهرها

* * *

نعم أتيت اليوم بذلك الزهر الذى تحبه . . . . روحى . . وهى لا تعلم أنى جئت به !

ليس له اليوم شريك من زهرات أخر

هذا الزهر الذى تحبه . . . . . أشمه يوماً فى كل عام . فيحيينى طول العام !

* * *

وبعد . . فليس له عندى هنا زهرية تصونه وتماشيه . ولا بد له من زهرية خاصة ترضيه وتحميه وتحييه

ولكن هل أخشى هذه الزهرية ألا تحمل الىَّ هذا الزهر يوماً ما ؟ .

أم هل أخشى هذا الزهر ألا يكون فى هذه الزهرية يوماً ما ؟ .

أم أخشى يوماً تحمل الى فيه هذه الزهرية زهراً غيره ؟ .

نعم . قد يأتى هذا اليوم الذى أخشاه ، وقد أرى بعيداً عنى هذا الزهر الذى تحبه . . . . والذى أحب أنا أن أرعاه

* * *

ولكننى لا أخشى أن تكون الزهرية يوماً عاطلة !

ألم تحمل لى هذا الزهر يوماً من الأيام ؟

وهل هذا اليوم ينسى مع الأيام ؟

انى لأرجو أن تبقى الزهرية بعد اليوم عاطلة على الدوام ، فهى عاطلة أحب الى منها حالية بعد هذا اليوم الذى أخشاه

ستظل كنفسى التى تحمل دوماً ذكريات كن فى يوم من الأيام . . . . حقيقة موجودة . وواقعة مشهودة . . .

المغادى — راشد رستم

جلال الدين منكبرتى (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

سارت جيوش التتار تقذف بالموت والدمار ، وفتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . . خربت المدائن لصولتهم فأسروا وقتلوا ، ثم سلطوا الماء والنار فأخربوا ودمروا . وانطلقوا فى جحافل من السيوف والسهام ، والنار والدخان ، والدماء والماء ، والهول والفزع .

وعلاء الدين ملك خوارزم . قد أوقد النار فلم يستطع اطفاءها ، وفتح باب الشر فلم يقدر على إغلاقه . لم يغن جنده ولم تثبت عزيمته . فما زال يهجر المدينة بعد المدينة حتى اعتصم بجزيرة فى بحر الخزر فهلك بها

وورث جلال الدين ملك أبيه . وإنما ورث الضراب والطعان ، وعرشا فى أشداق المنون ، تخاض اليه الاهوال . وتقطع دونه الآمال . لقد ذهب الملك وعلاء الدين معا ، وورث جلال الدين دين أبيه من الكفاح والنضال . وورث القتال الحاضر ، والملك الغابر

هلم جلال الدين ! : أدفع عن رعيتك مالا يدفع ، واختر لنفسك وليس فى الشر خيار :

هما خطتا إما إسار وذلة وإما دم ، والقتل بالحر أجار

(*) جلال الدين خوارزم شاه ابن محمد علاء الدين السابع من ملوك الدولة الخوارزمية . تولى الملك بعد أبيه سنة ٦١٧ وقتل سنة ٦٢٨ هـ

تحفز البطل تحفز الاسد ، وتقهقر ليثب ؛ ولكن المغول كانوا فى إثره حيثما سار ، يطوون وراءه الليل والنهار ، حتى خرج من ملكه وقارب الهند. وهنالك صف جلال جنده وهم :

عصابة ليس لهم ديار إلا ظهور الخيل والغبار

فهزم عدوه الجبار فى ست معارك

يلقى المنية فى أمثال عدتها كالسيل يقذف جلمودا بجلمودا

ولكن طوفان المغول أعظم من أن تثبت فيه صم الجلاميد أو يغنى فيه العزم المرير والبأس الشديد.

فذلكم جلال الدين على نهر السند وأولئكم المغول على نهر السند . يكر عليهم كالأسد المحرج ويصدقهم القتال من الفجر الى الظهيرة، يموت فى يمينه الحسام بعد الحسام ، وينفق تحت عزائمه الجواد بعد الجواد. فلما سدت على العزائم سبل النصر، وضاقت بالمجال حيل الابطال ، حمل على عدوه فحطمه، ثم انثنى الى النهر فاقتحمه ، والموت خزيان ينظر. تلك لجة النهر تموج بجلال الدين وجنده ، وفوقهم من سهام المغول وابل منهمر . وفى الهمم القعساء تستوى الغبراء والدأماء . أعجب الأعداء بهؤلاء الابطال فوقفوا معجبين ينظرون. غرق معظم الجند وخرج البطل ببقايا القتل والغرق ليلقى بهم عدوا آخر. فهذا « جودى » أحد أمراء الهند يغير على البطل المرزأ لينفيه من أرضه . وهذا جلال الدين على العلات يصمد للمغير فيهزمه ، ثم جاءه مدد من جنوده فتقدم فى أرض الهند وأقام بها حيث شاء على رغم « قراجه » أمير السند و« ايلتتمش » أمير دهلى اذ تحالفا وحالفا عليه الدهر .

وما جهد هذا الدهر الا هزيمة

اذا نازلت عزم الكرام كتائبه

* * *

أتحسب جلال الدين بلغ من الجهد غايته، ومن الجلد نهايته، وقد أعذر إلى المجد والملك والرعية ؟ أتحسبه قد فقد ملكه جميعه ، وهزم فى أرض غريبة فهو حرى أن يطلب فى فجاج الأرض مفرا ، أو يلتمس فى زواياها مستقرا ؟ كلا ! انه فقد ملكه ولم يفقد جاهه ، ولا عزمه ، ولا إباءه . إن له ملكا وإن يكن فى يد العدو الجبار وإن له عرشا وإن يكن فى ذمة الزمان الغدار . إن أمامه فى عراك الخطوب ثمانى حجج تطير فيها بين المشرق والمغرب همته . وتنقله من حرب إلى حرب صرامته . ويسلمه من مصيبة إلى مصيبة حظه .

يشق بين الأهوال طريقه إلى كرمان ففارس فأصفهان فالرى . ثم يصمد للخليفة العباسى الناصر فيهزم جنده ويقتل قائده ويسوق المنهزمين إلى أسوار بغداد .

ثم يستولى على تبريز ويتخذها دار ملكه ، ويغير على الكرج كأن أعداءه ليسوا أكفاء نضاله . وبينما هو فى تفليس جاءه نبأ هائل . وناهيك بخيانة الأعوان فى حومة الطعان : أنبىء أن براقا الحاجب والى كرمان قد مالأ المغول . فبادر من تفليس إلى كرمان ليعاقبه بخيانته . ثم يرتد من كرمان إلى الشمال ليحارب التركمان والملاحدة فيهزمهم ويجزيهم بما اقترفوا فى غيبته . ويشرق تلقاء دامغان ليهزم جيشا من المغول . ويرجع إلى الغرب حين يعلم أن الكرج تألبوا عليه . فيلتقى الجمعان وتأبى على جلال الدين شجاعته ومضاؤه إلا أن يبارز أبطال الكرج . وقد قتل أربعة من صناديدهم ولاء ثم حمل على الكرج فهزمهم أجمعين .

هذه سنة سبع وعشرين وستمائة وجلال الدين يعمل ليؤلف أمراء المسلمين ويضرب بهم هذا العدو المدمر فلا يمهله عدوه فيباغته ثلاثون ألفا من المغول فينهزم أمامهم ولكن ليستولى على مدينة كنجه .

عشر سنين نازل فيها جلال الدين منكبرتى أحداث الزمان مجتمعة وغلب فيها جهد الأعداء وخيانة الأصدقاء، وجالد عدو المسلمين وخليفة المسلمين . وحارب المغول والتركمان والملاحدة والكرج .

أرأيت جلال الدين نجما يدور به فلك من الخطوب بين المشرق والمغرب ؟ أعلمت أن الرجل العظيم يخلق أحداث التاريخ ولا ينقاد لها . إن يكن ما يروى عن جلال الدين مستحيلا فكم بين حقائق التاريخ من مستحيلات

غياث الدين أخو جلال الدين يمالىء الأعداء أيضا فانظر الى البطل العظيم عام ٦٢٨ وقد اجتمع عليه الأعداء وخانه الاخوة والاصدقاء وناء بقلبه خذلان أعوانه لا يطش اقرانه . ها هو ذا مكتئبا حزينا مشردا يسير فى قرى الكرد .

مجمع البحور

الى الدكتور محمد عوض محمد

قرأت مقالكم الممتع ، تحت عنوان (مجمع البحور وملتقى الأوزان) فوجدت فيه من الطرافة ما يدل على التفوق فى الذوق، غير أنى أخذت عليكم فيه مأخذين أدلى بهما اليكم وإلى قراء مجلة (الرسالة) الكرام .

(١) قد ذهبتم الى أن الشعر المرسل قريب العهد فى الحدوث . وهذا غير الواقع فقد أنشد أبو عبيدة لابنة أبى مُسافع وقد قتل أبوها يوم بدر :

فما ليثٌ غريفٍ ذو　　أظافير وأقـــدام
كحبيّ إذ تلاقوا وَ　　وجوه القوم أقرانُ
وأنت الطاعنُ النجلا　　ء منها مزبدٌ آنِ
وبالكف حسامٌ صا　　رم أبيض خذامُ
وقد ترحل بالركبِ　　وما تحن بصحبانِ

وتجدون هذه الأبيات فى (الموشح) للمرزُبانى ، (ص٢٠)

ومن يدري ؟ فلعل هناك كثيراً من قصائد الشعر المرسل ذهبت بها أيدى الضياع . والمعروف أن الأستاذ الزهاوى هو الشاعر الوحيد فى المحدثين الذى رفع لواء الشعر المرسل ، ولا أعلم العلة التى حدت بكم الى إغفال ذكره فى الموضوع . وهو معيد الفكرة الى نشأتها الأولى .

(٢) أنكم عبتم على أمير الشعراء عدم التزامه وزناً واحداً فى رواياته ؛ وأنا أقول : لو أن شـــوقى رحمه الله أجهد نفســه ، وتكلف الكثير حتى جاء برواياته ، من بحر واحد وقافية واحدة لقال الناس ولقلت أنت أيضاً : إن شوقى قد وضع فى عنـــق الشعر طوقاً يغله به فى عصر الحرية والانطلاق ، وانه مقلد وقديم فى عهـد التمرد والابتكار . ولكنا اذا صرفنا النظر عن كل هذه الاعتبارات ، ونظرنا إلى الموضوع من حيث أن تلك الروايات انمـا وضعت للتمثيل خاصة ، تجلى لنا الموقف الذى ظهر فيه شوقى وهو يقدم لأدب الضاد مادة طريفة دلل بها على أن لغة القرآن لا تضيق بكل ضرب من ضروب التفكير ، وكل فن من فنون الأداء وان فى الشعر مايصلح أداة للتمثيل .

أنا لا أختلف وإياكم فيما يحدثه نظم القطعة الواحدة من بحور متعـددة من الشـعور بنفرة الانتقال المباشر فى الموضوع الواحد . ولكن هذه المفارقة النافرة فى الذوق لا يبقى لها أثر متى لاحظنا أن الشعر خاص بالتمثيل وانه نظم ليلقى على المسرح بغير لسان واحد . فانتقال الالقاء من هذا إلى ذاك ممـا تضيـع به فائدة المحافظة على البحر والقافية فى قاعة التمثيل فضلا عمـا يحدثه التمثيل ذاته فى أنفس السامعين من الاتجاه الى الحادثة وتسلسل المواقف دون الالتفات الى أن هذا يسأل من بحر الخفيف وذاك يرسل الجواب من بحر الطويل. وقـد حضرت روايات شوقى التى مثلتها الفرق المصرية فى العراق فلم أجد فى نفسى أثراً لاختلاف البحور والقوافى ولم أسمع من غيرى شيئاً من هذا . ويظهر أن فكرتكم قد تولدت من القراءة المجردة دون أن تقترن بالروح التى تبعثها مشاهدة التمثيل . وما كان شوقى بعاجز عن أن يوحد البحور والقوافى فى رواياته بشيء من الجهد وهو أمير الشعراء . ولو كان

ولعله كان يحاول أن يخلق من عزمه جنداً وحرباً وانتصاراً وملكا . ولكن رجلا من الكرد باغته ففتك به :

أتته المنايا فى طريق خفية　　على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت طرق السلاح لردها　　بطول يمين واتساع جنـــان

ولكن النفس العظيمة التى ملأت العدو والصديق هيبة واعجاباً لاتموت بموت الجسد ، فقد أكبر الناس أن يموت البطل الذى غلب الموت فى كل معترك . فبقوا أكثر من عشرين عاماً يتحدثون أن بطلهم حى وأنه ظهر فى هـــذا المكان أو ذاك . بل حاول بعض الناس ان يلبسوا عظمته ويحملوا اسمه فناءوا بالعبء فأخذهم المغول بغير عناء

ياشباب الشرق ! قلبوا صفحات مجدكم فان أعظم المصائب أن تمحى ذكرى الآباء من صدور الابناء . وان لكم فى جلال الدين لعبرة .　　عبد الوهاب عزام

١٠٠١٧

قد تكلف اجتياز هذه العقبة الكأداء لما وفق فى الموضوع الى المدى الذى انتهى اليه من البراعة فى حبكة الرواية والاتيان بأرفع الخواطر سمى ذلك لان الشعر ذاته فى حاجة (بالتمثيل) الى كل هذه التوسعة والا طغت الألفاظ على المعانى وجاءت المواقف فى شىء كثير من البرود والجفاف مهما بلغ الشاعر حظا عظيما من فيض العبقرية . ويظهر أن الأبيات التى استشهد تم بها من رواية قمبيز ليست ثلاثة ومصرعا (بفتح الراء) وانما هى أربعة أبيات باعتبار قوله :

بخ بخ   بنت أخى

بيتاً واحداً مصرّعا (بتشديد الراء) كما يدل عليه التشكيل فى الرواية وعلى حد قوله فى (قمبيز) أيضاً :

النوبُ جيلْ   حرٌ أصيلْ   يقضى الديونْ

نحن الأسود   حمر الجلود   حمر العيونْ

لنا لبدْ   من الزردْ   هى الحصونْ

الى آخر القطعة (ص ٩٨) وهناك كثير من أمثال ذلك وهو بحر جديد يستسيغه الذوق طبعاً . وبذلك يرتفع ما يؤخذ على شوقى من استساغته اختلاف البحر فى البيت الواحد ، وذلك مالا يصح صدوره من شاعر ، لأن البيت فى الشعر وحدة مستقلة الذات فى القصيدة ، وهذا الاستقلال يفرض معه اتحاد البحر فى البيت الواحد .

وبعد فانى أرجو لا يكون هذا الدفاع مبرراً لما جريت عليه فى تأليف روايتى الشعرية (رسول السلام[1]) من عدم التقيد ببحر واحد وقافية ثابتة والاكتفاء بموسيقية الوزن فحسب ، انما أرجو فيه أصلاحا لما علق فى بعض الأذهان من أن روايات شوقى فقدت أكثر جمالها بفقدها اتحاد الوزن والقافية . ويكفى الشعر التمثيلى أن يحتفظ بنغمة الوزن وحدها مادام المسرح لم يخصص لقائل واحد وانما هى مشاهد عدة وممثلون كثيرون قد يكون هذا التنويع فى البحور والقوافى ملائماً لابراز ملامح الجمال التى تنسجم مع الموقف ومن فيه .

بغداد   حسين الظريفى

(١) نشرت بعض مواقفها مجلة « الصباح » الغراء بأعدادها الاخيرة .

مشروع تعاون الشباب

صيحة من قلب الشباب لانقاذ الشباب

للأستاذ حافظ محمود

فى الوقت الذى يزاحم القنوط آمال الشباب فى سياحة العمل والنشاط قد ارتفع صوت ينادى الشبان الى الخلاص مما أحاق بحياتهم العملية من ضغط وأرهاق ، يقول لهم أن فى يد الشباب معجزة الثروة الطائلة اذا هم أدخروا من أموالهم المتواضعة بضعة قروش تحتسب لهم أساساً للساهمة فى إنشاء شركات مصرية صناعية تزيد فى كسبهم ناحية لن تزيدها الايام الا سعة وتجديدا .

ذلك هو مشروع تعاون الشباب الذى يتقدم الى شباب الامة المصرية بهذه الفكرة الناضجة . يفصل لهم رءوس الأموال تفصيلا ، يستطيع كل فتى وكل فتاة الى الاشتراك فيه سبيلا . فخمسة قروش ما أهون توفيرها فى كل شهر مرة واحدة لمن اراد ، وأكثر من مرة واحدة للقادرين ! - - -

فحسبنا من المصريين واحد فى المئة من تعدادهم يؤمنون بتنفيذ هذه الفكرة . إن واحداً فى المئة من خمسة عشر مليونا مصريا اذا أدخروا خمسة قروش لكل منهم شهرياً اجتمع لنا فى عام واحد تسعون الفا من الجنيهات . وهو مبلغ يحسب فى تاريخنا الاقتصادى الناشىء بالشىء الكثير . فأنت حين تراجع تاريخ إنشاء بنك مصر وتعلم انه قام أول ما قام على ثمانين الفا فقط لابد واجد من نفسك بعد هذا احساسا طيبا نحو هذه التسعين الفا من الجنيهات التى يستطيع شبان المدن المصرية وحدهم أن يدخروها فى سنة واحدة من بقايا نفقاتهم النثرية فى غير عنت ولا أرهاق .

أن الحركة الاقتصادية هى ميزة العصر الحاضر على كل العصور ، ومن الأمثلة التى تساق فى هذا البحث أن مصر تستورد سنويا من الخارج بما يقرب من المليون جنيه غرائر (زكائب) خشنة ساذجة ، مع مصلحة التجارة والصناعة بعد درسها الصناعة الغرائر علميا قد تبينت اننا نستطيع أن ننشىء بتسعين الفا من الجنيهات أو يزيد قليلا هذا المصنع العظيم الذى يغنينا عن بذل مليون أو ملايين بضرورة التكرار سنويا للمصانع الخارجية .

هذا كله انما يقوم دليلا قويا على صلاح الدعوة التى يدعوها « مشروع تعاون الشباب » لفتح آفاق جديدة يرتادها شبان

مصرفى حياة الأعمال الحرة ، ويزيدفخرهم فيها أنهم هم المنشئون ، وهم العاملون وهم الذين يفيدون ويستفيدون .

ذلك أن القائمين بدراسة هذا المشروع وتنفيذه فكروا أول ما فكروا ألا تكون قروش الشباب هبة أو عطاء ، فليس العطاء من تاريخ الاقتصاد فى شىء ، انما جعلت هذه القروش الخمسة التى يكرر الشباب المصري ادخارها لمشروع تعاون الشباب وسيلة ميسورة تنتهى بالجميع الى أن يصبحوا مساهمين فى الشركات التى ينشئونها بأموالهم . فيكونون قد انشأوا للصناعة فى مصر منشآت جديدة من ناحية ، وفتحوا لأنفسهم طريقا الى الربح من ناحية ثانية . وزادوا على هذا وهذا أنهم يبذرون بما يعملون بذور النزعة الاقتصادية المنتجة فى أرض البلاد .

فانت ترى أن الفكرة فى هذا المشروع لم تكن وليدة رأى عارض أو تقليد أصم . انما هى فكرة ولدتها حاجة الحياة المصرية الى كثير من المنافذ التى تنفذ منها جهود الشباب الى ما يهىء لهذه الشبيبة المصرية مستقبلا أكثر رخاء ورغداً ، وأنت ترى فى تضاعيف هذه الفكرة نزوعا الى تحقيق الديمقراطية الاقتصادية اذ تفتح وسائل المشروع أبواب المساهمة فى تأسيس الشركات والمصانع أمام أصحاب خمسات القروش كما تفتحها أمام أصحاب الآلاف أو الملايين ، وهى نزعة علمية صالحة جديرة بالتقدير والاعتبار .

كان هذا المشروع فكرة ، ثم انقلبت الفكرة صوتا ينادى شباب مصر الى العمل فى سبيل مستقبلهم ومستقبل بلادهم . والواقع أن فى مصر مشكلة يصح أن تسمى مشكلة الشباب ، وأن هذا المشروع حل من أوفق الحلول لهذه المشكلة الضخمة فأولئك الالوف الذين تخرجهم المدارس كل سنة الى أين يذهبون بما تسلحوا من علوم وفنون ؟ لقد ضاقت سبل الرزق عن أن تسد حاجاتهم . وعز على أوليائهم والاغنياء من أهلهم أن يضحوا فى سبيلهم ، وحقت عليهم التجربة القاسية التى سيخرجون منها أما ظافرين بمعنى سام من معانى الرجولة التى تعرف قيمة الاعتماد على نفسها ، وأما حاملين أثقال الخيبة التى لا رجولة فيها

لم يبق أمام الشبيبة المصرية الا أن تعنى بمستقبلها : تدبر له الامر وتنفذ ما فيه بناؤه ، بناء يقوم على أسس مادية ثابتة لا تتعرض لها أيدى الاخرين . ولعل مشروع تعاون الشبان هذا هو الترجمة الحرفية لهذا كله ، فهو محاولة مرضية فى خلق شىء لمستقبل الشباب بجهود الشباب وماله من قليل المال وكثير النشاط . وربما كان حتما لزاما على اخواننا الشبان أن يوجهوا جهودهم فى تنفيذ هذا المشروع على الوجه الذى يحقق آمالهم أملا فأملا ليثبت لهم فى سجل الايام أنهم عرفوا واجبهم فأدوه ، وآمنوا بحقهم فسعوا اليه .

أما وسائل التنفيذ لهذا المشروع فقد أحسن أو يحسن القائمون به تنظيمها ، فلكل خمسة قروش تودع لحساب المشروع « كوبون » مرقوم بالرقم المسلسل ، مختوم بالخاتم المسجل ، ممضى بامضاء رسمية . وهذه الكوبونات التى يتقاضاها المساهمون فى هذا المشروع تودع قيمتها أو أثمانها لحساب المشروع فى بنك مصر ايداعاً ليس فيه صرف ولا حل الا يوم تنعقد الجمعية العمومية للجان المشروع بعد ستة أشهر ، فتحصى المجموع عدداً وتقرر ما ينشأ به من صناعة ومن يقوم على الانشاء من الاعضاء الاخصائيين البارزين . يومئذ تأذن الجمعية لثلاثة من الرؤساء أن ينفقوا على عملية التأسيس بحساب معلوم تحت رقابة مسؤولة

هذه وسيلة من وسائل النجاح للمشروع يزيد عليها أن القائمين بعملية التوزيع فى ذاتها ليسوا فئة غير مسؤولين ، انما هم أعضاء لجان فى وزارات الحكومة ومصالحها ومدارسها يشرف عليها رؤساء من أكبر الرؤساء . وهم يشتركون فى المسؤلية عن كل ما يوزعون حفظاً وضماناً لما يجمعون .

أما المال الذى يجمع فهو مضمون فى خزائن بنك مصر ، واما ملكيته فهى لاصحاب خمسات القروش أنفسهم تعود عليهم ارباحه يوم تنشأ الشركة ويكونون فيها مساهمين . وأما نوع الصناعة التى تؤسس بمال المشروع هذا فمتروك أمرها لقيمة رأس المال الذى يمكن جمعه وتوفيره لهذه الغايات كلها التى يسعى اليها المشروع من انشاء صناعات وطنية الى فتح أبواب جديدة للرزق . فلجنة المشروع تضع نصب أعينها اذن غرضين : صناعة لا مزاحمة فيها للواطنين ، ومصانع يتطلب العمل فيها أكبر عدد ممكن من أيدى الشباب المواطنين .

أن كل غرض من هذين الغرضين اللذين يسعى اليهما مشروع تعاون الشباب جدير بعطف الامة وتقديرها ، واذا كان قلب الامة موزعا فى قلوب الشباب فما احرى هذه القلوب أن تنصت الى نداء « تعاون الشباب » ثم تجاوبه بالاقبال والبذل والعمل فى سبيل الحرية التى تلمس بالايدى ويحس بها الافراد جميعاً . .

القصة المصرية

الأستاذ جيب
أستاذ الأدب العربى فى مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن

– ٢ –

أول قصة مصرية بالمعنى الحقيقى خرجت إلى الوجود ، وهى غفلاء من اسم مؤلفها ، فلم تلق أول الأمر الا اهتماما قليلا من جانب المتعلمين ، تلك القصة هى « زينب » مناظر وأخلاق ريفية ، بقلم مصرى فلاح – القاهرة مطبعة الجريدة عام ١٩١٤ . ومؤلفها هو الدكتور محمد حسين هيكل . ولما كان غداة نشرها محاميا صغير السن طموحا لم يشأ أن يذكر اسمه مخافة أن يقف ذلك عقبة فى سبيل عمله .

خرجت « زينب » خروجا تاما ، فى لغتها وأسلوبها وموضوعها وفى الطريقة التى عالجها بها المؤلف عن جميع ما تقدمها من الآثار فى الأدب العربى . وليس هناك علاقة ما بينها وبين قصص زيدان التاريخية ، ولا قصص فرح أنطون الفلسفية . فلقد كتبت كما يتضح من عنوانها لتصوير الحياة الاجتماعية فى الريف بسلسلة من الحوادث تدور حول حياة فتاة قروية .

ونستطيع أن نسرد الحكاية فى إيجاز . فنقول – ان زينب وهى فتاة قروية جميلة ، قوية الاحساس . بعد علاقة بريئة بشاب متعلم يدعى حامد ابن صاحب الأرض فى القرية – قد أحبت فتى يقال له ابراهيم . ولكنها تزوجت على رغم أنفها وبمشيئة والديها من صاحبه حسن . فحرصت على وفائها وولائها له ، ولكنها ظلت على حبها لابراهيم ، ولقد أدى التنازع بين هاتين العاطفتين ، عاطفة الحب وعاطفة الإخلاص الزوجى إلى تأثير سىء فى صحتها ، ولما علمت بدخول ابراهيم فى الجيش بلغ ذلك من نفسها مبلغاً عظيما حتى أضناها الحزن ثم أودى بحياتها ، وبجانب هذه الخطة تقوم حكاية أخرى . وهى تلك العلاقة بين حامد وابنة عمه ، وهى فتاة من فتيات المدن ، ثم اختفاؤه عندما أخفق مسعاه فى التزوج منها .

ويتضح من ذلك أن الخطة على العموم أقل من أن تكفى لملء أربعمائة صفحة ، وبالقصة من جهة أخرى عيوب سنعرض لها الآن . وينبغى أن نتذكر أن تلك القصة ليست أول مجهود لشاب صغير السن فحسب . بل هى كذلك أول مجهود من نوعه فى أدب فنى ، فيجب أن ينظر اليها مع هـذا الاعتبار . والواقع أن ما فى القصة من تفاصيل تستوجب النقد ، يقل شأنه ، إذا قارناه بتلك الحقيقة وهى أن هناك مجهودا بذل ، وأن تلك القصة تعتبر شيئاً جديداً من نوعه أضيف الى الأدب العربى .

ويعد بناء هذه القصة ممتعا من الناحيتين الوصفية « والبسيكلوجية » وواضح أن القصة ، انما قصد بها انتقاد تلك الروح الرجعية التى ما زالت تسيطر على طبقة خاصة من الناس على الرغم من التقدم الحديث ، على أن نجاحها فى هـذا السبيل لم يكن تاما ، إذ أن الشخصيات نفسها لم تركب بدرجة كافية ، اللهم إلا شخصية حامد ، وهى بلا شك تمثل الى حد كبير شخصية المؤلف نفسه . كذلك نلاحظ أن تصوير الأشخاص والحوادث بطريقة « درامية » جاء ضعيفا فى الجملة .

وكانت النتيجة أن تعليقات المؤلف « البسيكلوجية » كانت تأتى على لسانه هو بطريقة أقرب الى طريقة الكتب المدرسية مع استعمال ضمير المتكلمين الجمع . ويظهر تدخل المؤلف بشكل أوضح فى مواضع الوصف . ولقد ذكر هيكل بك فى مقدمة الطبعة الثانية الظروف التى وضع فيها كتابه ، وذلك حين كان يطلب العلم فى باريس وجذبه الحنين الى وطنه ، فجعل يتمثل فى ذهنه جميع مظاهر الحياة القروية ، ومجالى الطبيعة فى مصر ، ويظهر أثر ذلك فى كل صفحة من صفحات الكتاب تقريبا ، فى قطع وصفية مسهبة للمناظر الطبيعية ، كالشمس والقمر والنجوم والمحاصيل والجداول والبرك . . . الخ ، ولقد يرتفع أسلوبه فى ذلك الى درجة عظيمة من الفخامة والروعة الموسيقية ، ولكن طول الوصف

مما يسبب السأمة وتشتيت الذهن . ففي كل حادثة وفي كل منظر وصف وتعليق . مما جعل القصة فى بعض المواضع تسير متعثرة . أضف الى هذا أن الكاتب كان يعمد أحيانا الى قصص استطرادية تافهة . لاتمت بصلة قوية الى القصة الأصلية ، لا لغرض سوى أن يستطيع بواسطتها أن يضيف بعض الفقرات الوصفية ، ثم بين الفينة والفينة تظهر بعض جمل مثقلة بالوصف الى درجة تفقد معها مبناها ومادتها .

ولكن يجب ألا ننسى أن هذه الفقرات الوصفية تحمل من المعانى الى ذهن القارئ المصرى أكثر مما تحمل الى غيره ، وان تأثيرها الفنى فى نفسه ، يعد أحد الأسباب الرئيسية التى قامت عليها شهرة هذه القصة عند المصريين .

أما ما حوته من المباحث الاجتماعية ، فكان أكثر تمشيا مع الخطة . اذ كان من المحتم أن يتلمس المؤلف أسباب المساوىء التى ذكرها وأسباب المأساة النهائية ، وأن يرجع ذلك الى أصله فى العادات الاجتماعية . ويغلب على القصة من أولها الى آخرها التعرض لنقد المساوىء التى أنتجها التمسك بالعادات البالية ، ولكن النقد الاجتماعي لم يحشر بالطريقة التى حشرت بها الفقرات الوصفية . والسيكلوجية ، ويرجع ذلك الى أن المؤلف قد أجراه على لسان حامد ، وهو شاب متعلم متأثر بأفكار قاسم أمين وغيره من المصلحين الاجتماعيين ، على أن المؤلف كان يلجأ هنا أيضا فى بعض الأحيان الى اصطلاحات الكتب المدرسية .

وكان تنظيم الأسرة وتحرير المرأة هما المحور الذى تدور عليه اعتقادات المؤلف الاجتماعية ، أضف الى ذلك بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى مصر ، كبعض الحرف البعيدة كل البعد عن حقائق الحياة ، مثل حرفة طبيب القرية (الحكيم البلدى) ومشايخ الطرق الذين يتجرون بتضليل العامة وغير ذلك .

أما شعور المؤلف القومى ، فكان مضمرا أكثر منه صريحا وان كان قد أظهره فى بعض المواضيع ، وبخاصة عند اشارته الى حقارة الخدمة العسكرية ، تحت سيطرة الأجنبى .

أما أسلوب القصة فقد سار الكاتب فيه على الأسلوب الأدبى الحديث مع تهذيبه فى أغلب الأحيان فى اللفظ والتركيب ، ويلاحظ فيه من جهة أثر الاصطلاحات العامية الخاصة بدلتا مصر . ويتضح ذلك فى اقتضاب بعض الجمل ، وفى طريقة الانتقال وغيرها ، كما يلاحظ فيه من جهة أخرى أثر الفرنسية . ويظهر ذلك فى طول الجمل والتوائها مع كثرة الجمل الفرعية والمعترضة التى تدخل على الجملة الرئيسية ، مثال ذلك الجملة التى تبتدىء بالفقرة الآتية «ومن الظلام ورواقه» صفحة ٣٧ من الطبعة الأولى و٣٤ فى الطبعة الثانية وكذلك الجملة التى تبتدىء بقوله : ولم تكن الا لحظات ... ص ٨٩ فى الطبعة الأولى و ٧٠ فى الثانية .

أما ما يتعلق بتلك المشكلة الصعبة ، مشكلة أسلوب الحوار فقد لجأ هيكل بك فى شجاعة الى استعمال اللغة العامية اذا كان الحوار بين الفلاحين ، اما اذا كان بين الطبقات المتعلمة فيتركهم يتكلمون اللغة الفصحى .

ويتضح مما قدمنا أن عنصر الخيال فى زينب أقل منه فى مثيلاتها من القصص الأوربية المتوسطة ، وأن ما فى القصة من فقرات عقلية ووجدانية — وهى فى الواقع العنصر الشخصى فيها — يسمو على الناحية القصصية . ولقد ذكر الكاتب فى مقدمة الطبعة الثانية أن القصة فضلا عن مظاهرها الخاصة تأثرت أيضا بطريقة القصة الفرنسية السيكلوجية الحديثة ، ولكنا على الرغم من ذلك — الا اذا ثبت تماما أن القصة قد جرت فى تفاصيلها وأسلوبها وخطتها على نمط القصة الفرنسية — نقول أنه يستحيل علينا أن ننكر على زينب أنها أول قصة مصرية كتبت بقلم مصرى للقراء المصريين ، وأن شخصياتها وأوضاعها وخطتها قد اشتقت من الحياة المصرية الحاضرة .

لم تلق هذه القصة الا اهتماما قليلا حينما نشرت فى عام ١٩١٤ . ولكنها لاقت بعد ذلك نجاحا كبيرا لما اتسعت دائرة القراء . وكان اعادة طبعها فى عام ١٩٢٩ بناء على طلب الجمهور . وقد أدى الى ذلك عدة عوامل نذكر منها أنها زادت فى احساس الناس بقوميتهم ، وأن مؤلفها قد ارتفع صيته فى عالم الأدب ، وأنها اختيرت موضوعا لأول «فلم سينمائى» أخرج فى مصر .

ومن أجل ذلك أصبحت القصة موضع بحث ، وكتب فى نقدها بعض مقالات كان معظمها مدحا وتقريظا . ومن أحسن ما كتب فى هذا الصدد مقالتان طويلتان للمازنى فى السياسة الأسبوعية بتاريخ ٢٧ ابريل و٤ مايو من سنة ١٩٢٩ . وحدث أن كتب بعد ذلك كل من هيكل بك ومحمد عبد الله عنان سلسلة مقالات فى السياسة الأسبوعية فى أوائل عام ١٩٣٠ ذات فائدة كبيرة فيما يتعلق بنشأة القصة فى مصر .

يسائل هيكل بك عن أسباب ذلك الضعف وذلك الفقر الغريبين اللذين يمتاز بهما الأدب العربى الحديث فى القصة ، مع أن المصريين يمتازون بمقدرة طبيعية على سرد القصص . ولقد علل ذلك بعدة أسباب منها : فقدان المقدرة على طول الخيال ، والفرق بين لغة الكتابة ولغة التخاطب . وكسل الكتاب المصريين . ولكن ليس

في هذه الأسباب ما يمكن اعتباره السبب الحقيقي وإن بدا في الثاني منها بعض الوجاهة . ويذكر هيكل بك بعض الأسباب الفرعية الأخرى ومنها (١) نسبة الأمية الهائلة في مصر . وهي تحول دون أي تقدير حقيقي من جهة ، وتكون سببا في قلة العوض المالي من جهة أخرى (٢) عدم التشجيع من جانب الطبقات العالية والطبقات الغنية . وربما كان السبب في ذلك أن هؤلاء لم يجدوا تشجيعا من جانب المرأة وبهذه المناسبة يشير المؤلف الى أثر المرأة في فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر والى أهمية تشجيع المرأة للحركة الأدبية في الأدب العربي القديم (٣) الحط من قيمة الأدباء في مصر والتشهير بهم علنا من منافسيهم وممن هم أقل منهم منزلة (٤) انشغال الناس بالمسائل السياسية والاقتصادية وميل الكتاب الى الاهتمام بالناحية السياسية أكثر من اهتمامهم بالناحية الأدبية .

ويوافق عنان على تلك الأسباب في الجملة . غير أنه يقول أن ثانيها هو أكثرها خطرا . فان الوسيلة الحقيقية الى نمو القصة في مصر تنحصر في مركز المرأة الاجتماعي ويشير عنان الى أن الدور الذي لعبته المرأة في أغراض الشعر العربي القديم لم يكن له علاقة بالقصة . لأن أساس القصة انما يوضع في مجتمع تلعب فيه المرأة دورا خطيرا ويكون المجتمع متأثرا بنفوذها خصوصا في رسم مستوى الخلق والسلوك . وكان من نتيجة فقدان هذا الأثر ضيق مجال الأدب العربي القديم والأدب الأوربي في العصور الوسطى ونقصهما في جمال الشعور والعواطف . ولا يزال هذا الضيق موجودا في الأدب العربي الحديث لأن المستوى الاجتماعي لم يزل كما هو لم يتغير . وتعتبر قصة زينب احدى الشواذ التي تنهض دليلا على صحة القاعدة . فان نجاحها انما يرجع الى تلك الحرية النسبية التي تتمتع بها المرأة في الحياة الريفيـــة . وعلى ذلك فان عنانا لايشارك هيكل بك في تفاؤله . ففي نظره أنه لا يمكن أن تتقدم القصة المصرية مالم تتحسن تلك الظروف القائمة . ولا يمكن أن تترجم أو تمثل العواطف والأخلاق السائدة في الحياة الاجتماعية . ولا ينتظر ان يكون لها مستقبل في التطور الأدبي الحديث مادامت الحياة الاسلامية محافظة على تقاليدها الموروثة . ومما قاله في هذا الصدد « استطعنا أن نقطع بأن المجتمع الاسلامي لا يمكن - متى بقي تطوره وتقدمه محصورين في المبادىء الاسلامية الخالدة أو في التقاليد التي كانت أثرا لهذه المبادىء - أن يظفر كتاب القصص الغربي يوما بمادة واسعة أو غزيرة كالتي يقدمها المجتمع الغربي الى كتاب الغرب أو ان يغدو الأثر الذي يفسحه للمرأة ذات يوم وحيا للفن والجمال » .

ولقد أدت مقالة عنان الى رد من جانب هيكل بك يتعرض فيه الى الناحية « البيكلوجية » للموضوع ، وهي مقالة جديرة بأن تقرأ بمزيد الاهتمام . يقرر الكاتب أن الضعف الحقيقي في القصة القصيرة والقصة الطويلة في مصر انما يرجع الى عدم المقدرة على تفهم الحياة والى حاجتنا الى تربية العواطف ، فان العواطف النبيلة لا يمكن أن تثمر في حياة اجتماعية يقف فيها الشعور عند نقطة تقوم معها الأغراض الجسدية مقام أي عاطفة سامية من عواطف النفس الانسانية . وان أي فن لايكون في الأصل قائما على حب الفنان لناحية من نواحي الحياة لا يمكن مطلقا أن يصل الى درجة الكمال ، وتطور غريزة الحب الى عاطفة انسانية سامية يحتاج الى تدريب طويل شاق وقد لا يكفي لبلوغ ذلك جيل بل عدة أجيال . وحتى فضيلتا الاحسان والعطف يندر وجودهما في مظهرهما الاجتماعي الراقي في مصر . ولم يزل الحب أيضا قريبا من الغرائز الأولية ، ومن النادر أن يعثر المرء في هذه الناحية على مثل من المثل العليا الجميلة . وأخيرا يتلمس الكاتب أسباب نقص التهذيب العاطفي في انعدام وسائل التربية التي تقصد الى هـــذا الغرض في المنزل ، كما يتلمسها في طرق التعليم القديمة التي تعد أدخل في باب الحرف منها في باب الانسانية .

ولم يكن من السهل مرور هذه المناقشات دون أن تثير معارضة من جهات مختلفة وسنوضح أحد هـذه الانتقادات الشهيرة عند الكلام على قصة المازني « ابراهيم الكاتب » . ولقـد صدرت تلك المعارضة عن صفوف المثقفين . ومما قاله أحدهم في هذا الصدد....

ما هـذه المناقشة الطويلة حول القصة ؟ لقد سار الأدب العربي بدونها في الماضي ولم ينقص ذلك من قدره ، وان التطلع الى ايجاد القصة فيه الآن ليعد مثلا جديدا من أمثلة تقليد الأوربيين تقليدا ضارا ينذر بتقوض دعائم الحياة الاجتماعية في الشرق . ان القصة الغربية بما فيها من نقص وتزييف وعدم ملاءمة للتقاليد الاجتماعية في الشرق قد أثرت تأثيرا هداما في حياة مصر الاجتماعية . أفنسعى بعد ذلك وراء هذا الداء الوبيل ؟

« للبحث بقية »

ابن خـــلدون فى مصر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

٣

ثم عين المؤرخ فى وظيفة أخرى هى مشيخة (نظارة) خانقاه بيبرس، وهى يومئذ أعظم الخوانق أو ملاجىء الصوفية[1]: فزادت جرايته، واتسعت موارده. ولكن أمد سكينته لم يطل. فقد نشبت فتنة خطيرة أودت بعرش الظاهر برقوق بطلها ومدبرها الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب: وكانت نظم البلاط القاهرى وظروفه وما يضطرم به من الدسائس والخيانات مما يسمح بتكرار هذه الفتن: وكان يلبغا الناصرى نائب السلطنة من قبل، وزعيم عصبة قوية من الأمراء والفرسان: وكان الظاهر برقوق من جملة أمرائه وتابعيه: ولكنه استطاع فى فتنة سابقة (رمضان سنة ٧٨٤) أن يظفر بالعرش دونه. وأن يجرده من سلطته ونفوذه. وأن يقصيه الى الشام. ثم سنحت فرصة الخروج ليلبغا، فسار الى القاهرة فى أتباعه وتحول أنصار برقوق عنه. ففر من القلعة، ودخل يلبغا الناصرى القاهرة، وأعاد الصالح حاجى السلطان المخلوع الى العرش، وقبض على برقوق وأرسله سجينا الى الكرك (جمادى الأولى سنة ٧٩١). ولكن ثورة أخرى نشبت بقيادة أمير آخر يدعى منطاش، فقبض على الناصرى. وسار الى دمشق لمحاربة برقوق الذى استطاع أن يفر من سجنه: فهزمه برقوق وعاد الى القاهرة ظافراً منصوراً، واسترد عرشه فى صفر سنة ٩٢، لبضعة أشهر فقط من عزله. ويخصص ابن خلدون فى «تعريفه» فصلا لهذه الحوادث[2]، ويمهد له بشرح فلسفى اجتماعى يتحدث فيه عن نهوض الدول بقوة العصبية واتساع ملكها. ثم طغيان الحضارة والرفاهة عليها، وخروج الأقوياء منها عليها، وبثهم فيها روحاً جديداً من القوة، وتكرر هذه الظاهرة. ثم يطبق نظريته على دول المماليك المصرية منذ صلاح الدين. ويقص تاريخها باختصار. وهنا يبدو ابن خلدون كما يبدو فى مقدمته. ذلك الفيلسوف الاجتماعي الذى يعنى بتعليل الظواهر والكائنات. واستقرائها فى حوادث التاريخ.

والظاهر أن ابن خلدون قد عانى من جراء هذه الفتنة، ففقد

(١) كانت هذه الخانقاه الشهيرة تقع فى طريق باب النصر على مقربة منه

(٢) راجع هذا الفصل فى التعريف (النسخة المخطوطة) ص ١٢٢ وما بعدها — وراجع خطط المقريزى (مصر) ج ٣ ص ٣٩٢

مناصبه وأرزاقه كلها أو بعضها بسقوط الحزب الذى يتمتع بعطفه ورعايته. فلما عاد الظاهر برقوق الى العرش ردت اليه. يدل على ذلك قوله فى التعليق على عود الظاهر: «ثم أعاده الى كرسيه للنظر فى مصالح عباده، وطوقه القلادة التى ألبسه كما كانت. فأعاد لى ما كان أجراه من نعمته[1]».

ولبث ابن خلدون على ذلك أعواما ينقطع للبحث والدرس. وهو يقف بالتعريف بنفسه عند هذه المرحلة، حتى مستهل سنة سبع وتسعين (٧٩٧). فى الترجمة المتداولة الملحقة بتاريخه. ولكنه يمضى فى هذا التعريف مراحل أخرى، فى النسخة المخطوطة التى أتينا على ذكرها: ويفصل حوادث حياته حتى مختتم سنة ٨٠٧، أعنى قبل وفاته ببضعة أشهر. والنسخة المخطوطة أكثر تفصيلا وأسهاباً حتى فيما تتفق فيه مع النسخة المتداولة من مراحل الترجمة؛ ولهذا آثرنا الرجوع اليها الى جانب النسخة المتداولة فى كل ما هو أوفى وأتم مما تقدم ذكره من المراحل. غير أن النسخة المخطوطة ستكون منذ الآن وحدها مرجعنا فيما سيأتى من تفاصيل حياة المؤرخ حتى وفاته.

ليس فى حياة ابن خلدون فى هذه الفترة ما يستحق الذكر سوى سعيه الى عقد الصلات بين البلاط القاهرى وسلاطين المغرب ويجمل ابن خلدون ذكر هذه الصلات الملوكية، ويصف المراسلة والمهاداة بين صلاح الدين وبنى عبد المؤمن ملوك المغرب؛ وبين الناصر قلاوون وملوك بنى مرين؛ ويصف الهدايا المصرية والمغربية؛ ثم يعطف على مساعيه فى عقد الصلة بين الملك الظاهر وسلطان تونس؛ وملخصها أنه كتب الى سلطان تونس يحثه على اهداء ملك مصر، فأرسل اليه هدية من الجياد النادرة، ولكنها غرقت مع السفينة التى كانت تحمل أسرة المؤرخ كما قدمنا. وورد الملك الظاهر باهداء سلطان تونس؛ ثم بعث سنة تسع وتسعين الى المغرب ليشترى عدداً من الجياد، فزود ابن خلدون الرسل بالارشاد والتوصية. ولكنهم عادوا بهدية فخمة كان سلطان تونس قد أعدها وتأخر ارسالها؛ وعدة هدايا أخرى قدمها أمراء المغرب، ومنها خيل مسومة، وعدد وسروج ذهبية. ويصف لنا ابن خلدون يوم تقديم الهدايا وعرضها ثم يقول لنا إنه شعر يومئذ بالفخر وحسن الذكر بما «تناول بين هؤلاء الملوك من السعى فى الوصلة الثابتة على الأبد»

لبث ابن خلدون بعيداً عن منصب القضاء زهاء أربعة عشر عاما، يحول بينه وبين توليه، على قوله، ذلك الجناح من البلاط

(١) التعريف — بولاق — ج ٧ ص ٤٦٢

الذى شغب فى حقه . وأغرى السلطان بعزله : فلما ضعف ذلك الحزب وانقرض رجاله، انتهز السلطان أول فرصة لرده الى منصبه. وكان ذلك فى منتصف رمضان سنة احدى وثمانمائة (مايو سنة ١٣٩٨م) على أثر وفاة ناصر الدين التنسى قاضى المالكية. وكان ابن خلدون عندئذ بالفيوم يعنى بضم قمح ضيعته التى يستحقها من أوقاف المدرسة « القمحية » فاستدعاه السلطان وولاه القضاء للمرة الثانية . ثم توفى السلطان بعدئذ بقليل : فى منتصف شوال : فخلفه ولده الناصر فرج . وسرى الاضطراب الى شئون الدولة . واضطرمت الفتن والثورات المحلية حينا . فلما استقرت الأمور نوعاً ، استأذن المؤرخ فى السفر الى بيت المقدس . فأذن له ؛ وجال ابن خلدون فى المدينة المقدسة ، يتفقد آثارها الخالدة : وشهد المسجد الأقصى ، وقبر الخليل ، وآثار بيت لحم . ولكنه أبى الدخول الى كنيسة القمامة (قبر المسيح) . يقول لنا « وبناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم ، فنكرته نفسى ، ونكرت الدخول اليه » ثم عاد من رحلته . ووافى ركاب السلطان أثر عوده من الشام فى ظاهر مصر ، ودخل معه القاهرة فى أواخر رمضان سنة ٨٠٢ .

وفى المحرم سنة ثلاث عزل ابن خلدون من منصب القضاء للمرة الثانية . وسترى أن هذا العزل كان نتيجة لسعى منظم من خصوم المؤرخ ، وأن تكراره كان مظهراً بارزاً لذلك النضال الذى كان يضطرم بينه وبين خصومه داخل البلاط وخارجه . ولم يمض قليل على ذلك حتى جاءت الأنباء بأن تيمورلنك قد انقض بجيوشه على الشام واستولى على مدينة حلب فى مناظر هائلة من السفك والتخريب (ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ — ١٤٠٠م) ثم اخترق الشام جنوبا الى دمشق . فروعت مصر لهذه الأنباء . واضطرب البلاط أيما اضطراب ، وهرع الناصر فرج بجيوشه لملاقاة الفاتح التترى ورده ، واصطحب معه القضاة الأربعة وجماعة من الفقهاء والصوفية ومنهم ابن خلدون . ولا ريب أن المؤرخ لم ترقه هذه المفاجأة التى ذكرته بما عاناه بالمغرب من تلك المهام السلطانية الخطرة ؛ بل هو يقول لنا صراحة أنه حاول الاعتراض والتملص « لولا أن غمره يشبك حاجب السلطان . بلين القول ، وجزيل الانعام[1] » . ويفرد المؤرخ فصلا لحوادث تلك الحملة ، ويمهد له بتعريف عن نشأة التتار والسلاجقة . وكان سفر الحملة فى ربيع الثانى سنة ٨٠٣ . فوصلت الى دمشق فى جمادى الأولى ، ونزل ابن خلدون مع جمهرة الفقهاء والعلماء فى المدرسة العادلية ، واشتبك جند مصر تواً مع جند الفاتح فى معارك محلية ثبت فيها المصريون ؛

(١) التعريف — النسخة المخطوطة .

وبدات مفاوضات الصلح بين الفريقين . ولكن مؤامرة دبرها نفر من بطانة السلطان لخلعه اضطرته للعودة سريعاً الى مصر : فترك دمشق لمصيرها ، وارتد مسرعا الى القاهرة فوصلها فى جمادى الآخرة . وعلى أثر ذلك وقع خلاف بين القادة والرؤساء حول تسليم المدينة . وهنا تغلب المؤرخ نزعة المغامرة كما تغلبه الأثرة . فقد خشى أن تقع المدينة فى يد الفاتح . فيكون نصيبه الموت أو النكال ؛ ورأى أن يعتصم بالجرأة . وأن يغادر جماعة المترددين الى معسكر الفاتح . فيستأمنه على نفسه ومصيره . ويحدثنا المؤرخ عن ذلك بصراحة . فيقول معلقا على ماشجر بين القادة من خلاف « وبلغنى الخبر . فخشيت البادرة على نفسى . وبكرت سحراً الى جماعة القضاة عند الباب . وطلبت الخروج . أو التدلى من السور لما حدث عندى من توهمات ذلك الخبر[1] » . وانتهى المؤرخ باقناع زملائه فأدلوه من السور . والفى عند الباب جماعة من بطانة تيمورلنك وابنه شاه ملك الذى عينه لولاية دمشق عند تسليمها فانضم اليهم ، والتمس منهم مقابلة تيمور ؛ فساروا به الى المعسكر وأدخل فى الحال الى خيمة الفاتح . ويصف لنا ابن خلدون ذلك اللقاء الشهير فى قوله : « ودخلت عليه بخيمة جلوسه ، متكئاً على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه تشريها الى عصب المغل ، جلوسا أمام خيمته حلقاً حلقا . فلما دخلت عليه ، فاتحيت بالسلام وأوميت ايماءة الخضوع ، فرفع رأسه . ومد يده الى فقبلتها : وأشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت . ثم استدعانى من بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم فأقعده يترجم بيننا[2] » .

البحث بقية — النقل ممنوع .

(١) التعريف — النسخة المخطوطة .

(٢) « « «

البيرونى أيضاً

نشرتم فى ص ٢٠ من الجزء الرابع من الرسالة ترجمة للبيرونى حسنة التألف والمضامين متناولة لكثير من مناحى الرجل العلمية والفنية . ولكنها مغفلة لمنحاه الأدبى المصطلح عليه فى عصره ، وهذا مما تعنى به الرسالة ويضيب منها هوى فيه . فللبيرونى كتاب « شعر أبى تمام » قال ياقوت الحموى « رأيته بخطه لم يتمه » وكتاب التعلل باجالة الوهم فى معانى نظم أولى الفضل ، وكتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه ، وكتاب المسامرة فى أخبار خوارزم ذكره ياقوت أيضاً فى مادة « خوارزم » وكتاب مختار الأشعار والآثار قال ياقوت « وانما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً وله تصانيف فى ذلك » ولم يذكر فى الترجمة المنشورة فى الرسالة كتابه « تقاسيم الأقاليم » قال ياقوت « وجدت كتاب تقاسيم الأقاليم تصنيفه وخطه وقد كتبه فى هذا العام ؟ » وليس هو الذى أشير اليه فى الرسالة بما نصه « وعمل قانوناً جغرافياً كان أساساً لاكثر القسموغرافيات المشرقية » وله كتاب « اعتبار مقدار الليل والنهار » وسبب تأليفه أن السلطان محمود الغزنى ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهد ، فى ما وراء البحر نحو القطب الجنوبى (كذا) من دور الشمس عليه ظاهرة فى كل دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليل ، فتسارع السلطان على عادته فى التشدد فى الدين ، الى نسبة الرجل الى الالحاد والقرمطة ، على كونه بريئاً منهما ، فقال أبو نصر بن مشكان للسلطان « ان هذا لا يذكر ذلك عن رأى يرتئيه ولكن عن مشاهدة يحكيه » وتلا قوله عز وجل « وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً » فسأل السلطان أبا الريحان عن ذلك فأخذ يصفه له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الاقناع ، وكان السلطان فى بعض الأوقات يحسن الاصغاء ويبذل الانصاف ، فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبينه وقتئذ . وبعد تولى ابنه مسعود للسلطنة انبعثت القضية ائتنافاً وفاوض البيرونى يوماً فيها وفى سبب اختلاف مقادير الليل والنهار فى الأرض وأحب من أبى الريحان البرهان ليجتزئ به عن العيان ، فقال له أبو الريحان « أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض ، فأخلق بهذه المرتبة ايثار الاطلاع على مجارى الأمور وتصاريف أحوال الليل والنهار ومقدارها فى عامرها وغامرها » وصنف له ذلك الكتاب المتقدم ذكراً بطريق يبعد عن مواضعات المنجمين والقابهم ويقرب تصوره من فهم من لم يرتض بهذا العلم ولم يعتده ، وكان السلطان قد مهر فى العربية فسهل له وقوفه عليه وأجزل إحسانه اليه . وكذلك صنف كتاباً فى « لوازم الحركتين » بأمر هذا السلطان . قال ياقوت « وهو كتاب جليل لامزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل وكتابه الآخر المعنون بالدستور الذى صنفه باسم شهاب الدولة أبى الفتح مودود بن السلطان الشهيد ، مستوف أحاسن المحاسن » وذكر له صاحب روضات الجنات غير ما جيء به فى الرسالة كتاب « تسطيح الكرة » وكتاب « الاستيعاب فى علم الاسطرلاب » وهو غير « العمل بالاسطرلاب » وكان كبيراً على ما قال مؤلف الروضات . وكتاب « تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » وكتاب « التفهيم فى صناعة التنجيم » بالعربية والفارسية . وكتاب « الأظلال » ورسالة فى تهذيب الأقوال ومقالة فى استعمال الاسطرلاب الكرى وأخرى فى تلافى عوارض الزلة فى دلائل القبلة . وكتاب اختصار بطليموس القلوذى . وكتاب الأطوال للفرس ، وتاريخ الهند وهو مجلدات ، ونفهم من كلام صاحب الروضات أن العلماء اختلفوا فى اسمه فسترجمه بعضهم فى باب « المحمدين » وبعض مع الأحمدين وفعل هو الأمرين ، وأن صلاح الدين الصفدى ذكره فى تاريخ « الوافى بالوفيات » وذكره صاحب طبقات النحاة ومؤلف رياض العلماء وحمد الله المستوفى الفارسى فى نزهة القلوب . وذكره القفطى فى ترجمة « بطليموس القلوذى » الذى أسلفنا ذكراً له . قال « وما أعلم أحداً تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطى ولا تعاطى معارضته بل تناوله بالشرح والتبيين كالفضل بن ابى حاتم التبريزى وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمد بن جابر البتانى وأبى الريحان البيرونى الخوارزمى مصنف كتاب القانون المسعودى الفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين وحذا فيه حذو بطليموس . . . » وذكره شمس الدين الشهرزورى فى تاريخ الحكماء فقال « أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى وبيرون مدينة فى السند . . . وقال ياقوت « وهذه النسبة معناها : البرانى لأن بيرون بالفارسية معناه : برا ؛ وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلا وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً ، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق ، يعنى أنه من برا البلد » وأقول إن التكلف فى تخريج نسبته ظاهر ، فالشهرزورى أتبع قوله السابق ما صورته « وبيرون التى هى منشأه ومولده بلدة طيبة فيها عجائب وغرائب . ولا غرو فان الدر ساكن الصدف » وقد الحق فى كتابه اثار الباقية المطبوع فى ليبزيج ثبت لكتبه فيه اسم (١١٢) تأليفاً

بغداد مصطفى جواد

من طرائف الشعر

شوقيـــة لم تنشر

نظم شاعر الخلود المغفور له شوقي بك هذه القصيدة فى منفاه ولم يتمها . فنشرناها للأدب والتاريخ

وسقيمة الأجفان لا من علة   تحي العميد بنظرة وبمتته
وصلت كثر بها الحـــديث بضاحك
ضاحٍ كمؤتلف الجمان شتيته
قالت تغربت الرجال، فقلت فى   ضيم أريد بجانبى فأبيته
قالت نُفيت، فقلت ذلك منزل   وردته كل يتيمة ووردته
قالت رماك الدهر، قلت فلم أكن   نكساً ولكن بالأناة رميته
قالت ركبت البحر وهو شدائد   قلت الشدائد مركب عُوِّدته
قالت أخفت الموت قلت أمُفلتى   أنا من حبائله اذا ما خفته؟
لو نلت أسباب السماء لحطنى   أجل يحـــل لحينه موقوته
قالت لقد شمت الحسود فقلت لو   دام الزمان لشامت لحفلته
قالت كأنى بالهجاء فلا تدأ   سارت، فقلت هممت ثم تركته
أخذت به نفسى فقلت لها دعى   ماشاءت الأخلاق لا ماشئته
من راح قال الهجر أو نطق الخنا
هـــذا يأنى عنهما نزهتـــه
الله علمنيـــه سمحاً طاهرا   نزه الحلال وهكذا علمته

ooooooooooooo

كشافة العراق

للأستاذ محمد الهراوى

هذى العراق وأهلها الغر   تهتز من طرب بهم مصر
أبناء بغداد ، وهم شهب   فى أفق مصر الأنجم الزهر
نزلوا بساحتها ، وقد نزلوا   حيث الحشا والقلب والصدر
كشافة شدوا رحالهمو   لا البر يعييهم ولا البحر
ومن السلام عليهمُ بشر   ومن الحية فيهمُ جمر
عن مصر حيتهم مواسمها   وعن الربيع الطير والزهر
لله بغداد ومصر معاً   فهما الحمى والموطن الحر
أختان من رحم ومن نسب   غذى أصولهما الدم الطهر
ولقد توارثنا معاً أدباً   ينبيك عنه النثر والشعر
ولقـــد تشابهتا فأرضهما   من جنة ، والكوثر النهر
والدين وحد بين قومهما   رمياتهم ، والمطمح الوعر
ماضيهمو مجد ، وحاضرهم   جد ، وللمستقبل النصر

ooooooooooooo

من أدب الزنوج

ترجم الاستاذ ايليا أبو ماضى هذه الانشودة من أناشيد الزنوج فى أمريكا واضطهاد البيض اياهم معروف

فوق الجـــميزة سنجاب   والأرنب تمرح فى الحقل
وأنا صـــيّاد وثاب   لكن الصيد على مثلى
محظور إذ أنى عبـــد
والديك الأبيض فى القُن   يختال كيوسف فى الحسن
وأنا أتمـــنى لو أنى   أصطاد الديك ولكنى
لا أقدر إذ أنى عبـــد
وفتـــاتى فى تلك الدار   سوداء الطلعـــة كالقار
سيجىء ويأخذها جارى   ياويحى من هـــذا العار
أفلا يكفى أنى عبـــد ؟

ooooooooooooo

الهوى والشباب

للاستاذ بشاره الخورى

الهوى والشباب والأمل المنـــشود توحى فتبعث الشعر حيا
والهوى والشباب والأمل المنـــشود ضاعت جميعها من يديا
يشرب الكأس ذو الحجى ويبقى   لغد فى قرارة الكأس شيّا
لم يكن لى غد فأفرغت كأسى   ثم حطمتها على شفتيا
أيها الخافق المعذب يا قلـــبى نزحت الدموع من مقلتيا
أفحتمٌ على أرسال دمعى   كلما لاح بارق فى مُحيا؟
ياحبيبى لأجل عينك ما ألـــقى وما أوّل الوشاة عليا
أأنا العاشق الوحيد لتُلقى   تبعات الهوى على كتفيا
أسقنى من لماك أشهى من الخمـــر ونم ساعة على راحتيا
أنا ميتٌ غداً مع الفجر فاسكب   نغمات الحنان فى أذنيا

فى الأدب الشرقى

نظرات فى الأدب الفارسى

منذ نشأته إلى إغارة التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٣ -

وأما ألفاظ الشعر ففيها كثير من الالفاظ العربية وعليها طابع عربى فى تركيبها. ولكن أثر العربية فى الشعر أقل منه فى النثر.

واما قوافيه وأوزانه فلا يمكن تفصيلها فى هذا المقال، وحسبنا أن نقول إن الفرس يكثرون من الشعر المزدوج الذى يسمونه المثنوى وهو شعر القصص كلها، وأكثروا كذلك من الدوبيت أو الرباعى، وعندهم مايسمونه تركيب بند، أو ترجيع بند، وهو قريب من الموشحات العربية — وعندهم الشعر المردف وهو الذى تكرر فى آخره كلمة واحدة، ويعتبر الروى والقافية ما قبل هذه الكلمة.

وجملة القول أنهم لم يسهلوا القوافى العربية وان اخترعوا ضروبا فيها.

وأما الوزن فجدير بالتدقيق جداً. فان الفرس حاكوا العرب فى أوزانهم أول الامر ولكنهم سرعان ما نبذوا أشهر الاوزان العربية. فالطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل، وهى بحور الدائرة الاولى، لم ينظم فيها الفرس الاجماعة من المتقدمين ارادوا اظهار براعتهم كما يقول شمسي قيس. ونظموا فى الرمل والرجز والخفيف والمضارع والمجتث والمتقارب (وهو وزن الشاهنامه) وأولعوا بالهزج ولعاً شديداً حتى جعلوه أصلا فرعوا منه اصناف الرباعى وخرجوا به عن أصله العربى

ويلاحظ أنهم لم يقفوا بالبحور عند المقادير العربية؛ فالرمل قد يأتى مثمناً والرجز كذلك وما جاءا قط كذلك فى شعر العرب، والهزج — مثلا — الذى هو سداسى الاصل عند العرب ومجزوء وجوباً ينظم منه الفرس مثمنا. ثم تصرف الفرس فى الزحاف والعلل تصرفاً كثيراً جدا. واشتقوا من الدوائر العربية بحورا اخرى قريبة من البحور الأصلية مثل الغريب والمشاكل والقريب.

وقد اراد بعض المستشرقين أن يعلل الخلاف بين الاوزان العربية والفارسية الخ بما بين طبائع الامتين من اختلاف

ويقول شمسى قيس أن سبب ثقل الطويل والمديد والبسيط أن أجزاءها غير متناسبة فى حركاتها وسكناتها ويطيل فى بيان ذلك.

ولا يمكن الفصل فى هذه المسألة الا بعد بحث مفصل فى أوزان الشعر العربى وعلاقتها بالكلمات العربية، وفى تطور الاوزان العربية فى الشعر الفارسى وتبيين ما بين هذا التطور ولغة الفرس من صلة. وبعد بحث طويل شاق لم تتهيأ وسائله.

وأما النثر الفارسى فأثر العربية عليه أبين: الالفاظ العربية فيه اكثر. والتركيب قريب من التركيب العربى، ولكن لابد من الفرق بين النثر الادبى — نثر الرسائل والمقامات ونثر الكتب. فأما الاولى فقريبة من الشعر. وأما الثانية فيفرق فيها بين كتب التاريخ

موطنى

لنزيل البرازيل: الياس فرحات

نازح أقعده وجد مقيم … فى الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم … عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر العهد القديم … فينادى
أين جنات النعيم … من بلادى

....

زانها المبدع بالفن الرفيع … منصفا بين الروابى والبطاح
ملقيا من نسج ابكار الربيع … فوق أكتاف الربى أبهى وشاح
حبذا راعى القطيع … فى المراح
ينشد اللحن البديع … للصباح

....

موطنى يمتد من بحر المياه … ممعنا شرقا إلى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه … بجمال فائق حد الجمال
ذكره يغرى فتاه … بالمعالى
أنا لا أبغى سواه … فهو مالى

التي هي قصص يستعمل فيها الكلام المعتاد غالبا وبين المؤلفات العلمية مثل كتب الفقه والتوحيد والبلاغة والطب وهلم جرا . فهذا الصنف الاخير يكاد يكتب بألفاظ عربية . وتستعـــار فيه كل الاصطلاحات العربية . فاصطلاحات البلاغة وضروب البديع واصطلاحات العروض أخذت برمتها ، وما زادوه فيها اشتقوه من العربية أيضا . ثم المؤلفات كلها علميا وأدبيا يتخللها كثير من المقتبسات العربية ، ففي كتب الدين الآيات والاحاديث ، وفي كتب الادب والتاريخ كثير من الابيات والامثال والمأثورات . وقد تجد من ذلك اسطرا كثيرة متوالية .

قد عرفنا حال اللغة الفارسية في ايران اجمالا . وكيف بدأت وكيف تطورت وكيف شاركت في فنون كثيرة . وقد يتردد في نفس القارىء هذا السؤال : ماذا أصاب اللغة العربية في تلك البلاد بعد أن صار لها لغة أدبية خاصة ؟ هل استبدت اللغة الفارسية بالآداب ولم يبق للعربية فيها مجال ؟ والجواب كلا ! !

قد تقلبت الغير باللغتين ولكن يمكن إن يقال أن العربية احتفظت بالسيادة في الاطوار كلها فيما عدا الشعر . فأما أدلة هذا وتفصيله ففي هذه الكلمة الموجزة .

لا ريب ان المؤلفات العربية التي الفت في بلاد الفرس ما بين أول القرن الرابع وغارات التتار أكثر جداً من نظائرها الفارسية ، ولكن ينبغي أن نفرق بين الشعر وبين غيره أيضاً فان الامر فيهما لا يجري على سنن واحد :

فاما العلماء المؤلفون فلا حرج على باحث أن يقول أنهم كلهم كانوا يعرفون اللغتين ، وقد الف بعضهم فيهما ولكن المؤلفين بالعربية أشهر ذكرا وأعظم أثرا . وحسبنا أن نذكر ابن مسكويه وابن سينا والبيروني والعتبي والغزالي والرازي والزوزني والتبريزي والنسفي والبيضاوي والطوسي

وأحسن مقياس في هذا أن نعمد الى جماعة ممن الفوا باللسانين لنرى أمؤلفاتهم العربية أكثر وأعظم أم الفارسية . ولا أحسب الامر يحتاج الى عناء . فيكفينا أن نذكر الغزالي فنحن نعرف مؤلفاته العربية وليس له في الفارسية الا رسالتان : كيمياء السعادة ونصيحة الملوك ، وقد صرح في الاولى انه الفها بالفارسية ليفهم العامة ـ وفخر الدين الرازي له زهاء ٣٣ مؤلفا يعرف منها في الفارسية واحد فقط هو اختيارات علائي . ونصير الدين الطوسي على تأخر زمانه له نحو ٥٠ مؤلفا قليل منها الفارسي . والبيضاوي الف تفسيره بالعربية ولم ينج الفارسية الا كتابا صغيرا اسماه نظام التواريخ .

وأما الشعر وما يتصل به فلا ريب أن النبوغ كان لشعراء الفرس أو لشعراء الفارسية ، فليس فيمن شعروا بالعربية ببلاد الفرس أمثال الفردوسي أو الانوري أو العنصري ، ولكن أكثر العلماء الذين اتخذوا العربية لغة علم كانوا ينظمون شعرا عربيا . وكثير من شعراء الفرس نظموا شعرا عربيا كذلك . وحسبنا أن نعرف أن الثعالبي وهو من رجال القرن الرابع ذكر في الجزء الثالث والجزء الرابع من اليتيمة واحدا وخمسين ومائة من معاصريه الذين نظموا الشعر العربي في ارجاء بلاد الفرس . وهم أكثر من كل شعراء الفرس الذين ذكرهم عوفي وهو في القرن السابع .

ومن الشعراء الذين نظموا باللغتين بديع الزمان الهمذاني وأبو الفتح البستي وقد ضاع ديوانه الفارسي . والبديع البلخي الذي مدح احد الامراء بشعر مليح . وعطاء بن يعقوب الكاتب وكان له ديوانان عربي وفارسي ، والباخرزي ، وابن سينا . والشيخ سعدي . ومن الكتاب رشيد الدين وطواط صاحب حديقة الشعر وله رسالة عربية منشورة في رسائل البلغاء .

لم يكن حال اللغتين سواء في العصور كلها فقد كانت الفارسية منذ ظهرت في صعود بينما كانت العربية في هبوط ـ وهذا الهبوط كان ابين في الشعر منه في العلم ، فالراوندي مؤلف راحة الصدور ينقل أبياتا عربية بليغة لأحد وزراء السلاجقة ثم يأسف على ذلك الزمن ويقول : ان وزراء زمنه لا يفهمون مثل هذا ـ وصاحب المعجم من رجال القرن السابع يقول ان شعراء زمانه يعرفون اللغتين ولكنه لما نظم كتابه في العروض بالعربية نقم عليه أدباء فارس حتى قسم الكتاب قسمين المعجم والمعرب

ذعوني يقول : فان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل شاعر فارسي يعرف العربية ، على أن اللغة الفارسية نفسها لم تكن قد ضبطت قواعدها كقواعد العربية حتى نجد شمس قيس في القرن السابع يشكو من هذا ويشرح القواعد شرح المستنبط الذي لم يسبق أطوار الترجمة .

والخلاصة أن العربية فيما عدا الشعر حلت مكانة فوق الفارسية حتى غارات التتار التي عصفت بالحضارة الاسلامية واصابت العلوم والآداب بضربات لم تفق منها حتى اليوم

والكلام عن اللغتين بعد سقوط بغداد لا يجري على هذا النمط . وعسى أن تتاح فرصة للكلام في ذلك

ooooooooooooo

حول الادب الياباني

كتب الينا الاديب نادر الكزبري من ندوة المأمون بدمشق يلاحظ على الاستاذ احمد الشنتناوي أنه لم يشر في آخر مقاله (الادب الياباني) الى انه منقول بالنص عن مقال فرنسي نشر في عدد يناير سنة ١٩٣٣ من مجلة الشهر (Le mois) تحت عنوان (اقليم اليابان الادبي) ولعل ذلك سهو من الكاتب يتداركه إن شاء.

في الأدب الروسي

تولستوي

ناحية من نواحي فلسفته

طفل خجول نفور من الناس، لكنه رقيق المشاعر شديد الحس جياش العاطفة. ثم جندي يحارب في سبيل الوطن. مستهتر متهتك مبالغ في الاستهتار. وهو ملحد مغرق في الالحاد ساخر بالدنيا. ثم هو كهل شديد الايمان قوي الثقة في الحياة.

وأخيراً تتمخض حياة الروائي الكبير عن شيخ يعتزل ثروته ويترك المدنية بكل زينتها وخداعها ونفاقها ليعمل جنباً إلى جنب مع فلاحيه، وليفيض قلبه حنانا على الانسانية المعذبة. وليصبح شخصية خالدة على مر الدهور.

هكذا كان تولستوي وهكذا كانت حياته.

ثم فلسفة قوية مليئة بالحياة هي فلسفة الايمان والعاطفة، وعاطفة قوية صريحة يدعمها العقل، ويحركها التأمل، ويفيض عليها الالهام نوراً وعمقاً.

هكذا كانت فلسفة تولستوي.

فلن تجد في فلسفته هذه المشكلات المنطقية، وهذا اللف والدوران وهذا التكلف والتعمل اللذان تجدهما في كثير من الفلسفات.

بل لم يحاول تولستوي مرة أن يضع كتابا في الفلسفة أو يجمع آراءه في صورة مرتبة منمقة.

ففلسفته في شتات رواياته التي تتجاوز العشرين. وهي في شتات أشخاص هذه الروايات التي تعبر كل واحدة منها عن ناحية من نواحي المؤلف نفسه: عن شكه أو سخريته، عن ايمانه أو الحاده.

ولذلك ففلسفته محببة الى النفس. يقدمها في لون من أشهى الألوان الى القلب: في صورة قصة أو في صورة ذكريات.

وهو لم يكن يكتب ليرتزق من وراء كتبه كمعظم الروائيين. ولم يكن يكتب ليضحك من الناس أو يسخر منهم كما فعل أناطول فرانس. بل كان يكتب معبرا عن عاطفة قوية أحست بالحياة، وشكت في الاله، ثم آمنت به من بعد شك، ثم اعتزت بالحياة من بعد سخرية.

وهو لم يبحث في الاله وصفاته، أو في الروح وطبيعتها، أو في الجسد وعلاقته بالروح، أو في الزمان والمكان. أو في ترتيب الخلق والموجودات، أو فيما شابه ذلك من أمهات المسائل التي تشغل بال الفلاسفة. بل كانت فلسفته من صنف آخر لا يقل جودة ولا ينقص عظمة ولا عمقا. حاول فيها أن يخفف من الآم الانسانية وعذابها، وأن يرشد الفرد والجماعة إلى الطريق السوي. وأن يرسم لها مثلا أعلى يعملان من أجله. فلسفة بحثت في جميع أمراض الانسانية فشخصت الداء وبينت مواضع الضعف. ثم أخيرا أرشدت إلى أنواع العلاج.

وقد عالج تولستوي سعادة الفرد وكيف يمكن تحقيقها، ووصف عيوب المجتمع الذي نعيش فيه. وبين سخافاته ومتناقضاته والطريق الى علاج هذه المتناقضات. وبحث في الدين والعلم والفن وأخيرا في كل ما يمس المجتمع الانساني وما يتصل بافراد هذا المجتمع بسبب.

وسنحاول في هذه العجالة أن نطلعك على ناحية من نواحي فلسفته. ناحية حاول فيها أن يرسم للفرد مثلا أعلى. وأن ينهج له الطريق إلى السعادة التي ينشدها.

* * *

كل منا قد تساءل ما الحياة وما قيمتها؟ ولماذا نحياها هكذا؟ أخلقنا لنشقى أو عشنا لنموت؟

وكل منا مرت به ساعات من السخط على الحياة أو الابتسام لها. لا ندري لماذا نبتسم ولماذا نسخط؟

وكل منا يرغب في سعادة هادئة مطمئنة، سعادة لا يفوز ولم يفز ويظهر أنه لن يفوز بها! ومع ذلك فنحن دائبون في العمل

لها . وهي دائبة في البعد عنا .

ومن يخلد تولستوى هذه الشكوك وانتابته هذه الحيرة وجرى وراء السعادة . فأقبل يرتوى من منهل الحياة : يعربد ويتهتك ويتمتع بكل ما حرم ولذ . ونال من الحياة ما لم ينله غيره .

فهو من اشراف الروسيا ، له من المجد ما لهم : وله من العبيد ما يزيد على سبعمائة . وهو غني في غير حاجة الى عمل يرهقه . أو رئيس يخضع له . والطبيعة وان لم تزوده بوجه جميل . قد أعطته من جمال الروح ورقة العاطفة ما خفف من حدة قبحه . وقلل من بشاعة منظره . وتزوج فاخلصت له زوجه . وتمتع بأشهى ما تصبو اليه نفس من وفاق عائلي وذرية صالحة .

ماذا يريد بعد هذا من أطايب الحياة ولذات المعيشة ؟

على أنه لم يفز بالأمل المنشود . ولم يظفر بالسعادة ولا بظلها . بل كان ينتابه شعور بسخف الحياة وعبثها .

فهي إما ساكنة هادئة . ولكنها مملة جافة . وهي إما مضطربة هائجة ، ولكنها مؤلمة قاسية . وهي في كل هذا سخيفة من دون معنى ولا غرض ولا غاية واضحة . أيعتزلها كراهب ؟ ولكن أنى له الخبز الذي يملأ بطنه الجائع ؟ وما قيمة حياة يعتزلها المرء ؟ وأنى للانسانية أن تعيش اذا قدر لكل فرد أن يعتزل العالم ؟ وهل يجد الانسان في العزلة راحة وهدوءا ؟

أيحياها كما حييتها مئات الأجيال من قبله . وكما ستحياها من بعده ؟ ولكن هذه سخافة لا تطاق . وما الذي يحمله على أن يتعذب ويتألم ويقاسي ليكون نعجة من نعاج هذا العالم يسمن ليذبح . أو يهزل ليمرض ويموت ؟ أيعتقد في حياة أخرى ليست هذه الدنيا الا مزرعة لها ؟ وما يكون اذن معنى الحياة ؟ أهي تجربة سخيفة ؟ وماذا يمنعنا من اختصار هذه التجربة ؟ ولماذا لا نسرع فنأتي على حياة بائسة لندرك أخرى أسعد منها أو أقل منها سخفا .

وأخيراً ما هي السعادة ؟ وما الطريق اليها ؟ أهي ثروة وضياع وجاه ؟ ولكن تولستوى جربها فلم تبدد شكوكه ولم تشبع مطامعه بل أصابه منها ملل قاتل لا يدري كنهه . وسأم مروع زهده فيها

أهي درس وقراءة واطلاع ؟ ولكن تولستوى قرأ وقرأ أحسن ما انتجه بشر . فلم ترضه هذه القراءة . ولم تضع حداً لشكوكه ، وأخيراً ما فائدة الاطلاع والمعرفة والعلم ؟

وقف تولستوى من الحياة هذا الموقف . وأخذ يفكر ويجهد نفسه في التفكير لعله يوفق الى تعريف للحياة . وأخذ يقرأ لعله يصل الى حل يطمئن اليه أو فلسفة يرضى عنها . ولكنه حاول عبثا وبدا له أخيراً أن الفكر وأعنات الروية لن يجديا شيئا . وتملكه يأس وأخلص فيه . ولكن ما لبث أن أشرق عليه نور جديد : نور الايمان في الله . ونور الاعتقاد في الحياة وفي عظمتها . نور وهاج قوى يقف أمامه العقل خاشعا . ولا يستطيع العلم المادي بكل جبروته أن يجابهه أو يسخر منه !

***

أنريد فهما للحياة ولسر وجودنا فيها ؟ أنريد فوزاً بالسعادة ؟ حسن ! فلنعمل ما تطلبه منا الحياة . ولننفذ مشيئة الله . وما غاية الحياة ؟ هي أن نعمل ونجيد ما نعمله . ولكن عملنا في سبيل الغير . ولنضح بأنفسنا في سبيلهم . ولنحبهم كما نحب أنفسنا بل أكثر مما نحبها . ولنتعاون معهم . ولننم جميع قوانا من عقلية وجسمية ، ولنحسن استخدامها في خدمة الآخرين : التعاون . الحب . العمل ، ثالوث مقدس هو سر الحياة وسر السعادة . ليمتد حبنا الى جميع أفراد الانسانية . ولنعمل لاخواننا في البشرية . ولننس أنفسنا فنكون بذلك قد أدينا مهمة الحياة التي خلقنا من أجلها وفي هذا طمأنينة لنا وهدوء ..

لقد أسأنا فهم الحياة : وحسبناها مسرحا لقتال دام يفترس فيه القوي الضعيف . ويلتهم فيه الكبير الصغير . ثم اتهمناها بالقسوة وما هي بقاسية بل هي أعز شيء في الوجود

وبحثنا السعادة في هذا النضال السمج . وبحثنا الراحة في هذا القتال العنيف

بالغنا في الأنانية . أردنا الحياة لنا وحدنا . أردنا مالا وجاها وحبا وبنين لأنفسنا ولأنفسنا وحدها

والحياة لا تريد منا هذا . فالفرد ذرة لا معنى له في الوجود دون غيره . ذرة من أصغر ذرات العالم . فاذا ما اجتمعت هذه الذرات واتحدت وتعاونت استطاعت أن تصل الى أقصى سعادتها وهي مستطيعة أن تنال جميع أمانيها . فاذا ما اختلفت وتناحرت وتفرقت أصبحت لاشيء . وهي واقعة في شقاء لاخلاص منه .

لقد ظننا بالحياة شراً . وقد حاولنا أن نجعل من قانون سخيف

تدعوه تنازع البقاء وبقاء الأصلح قانونا للحياة. فالأفراد في تنافس والأمم في تناحر. ومن هذا النزاع الدائم يتولد البؤس واليتم والفقر والآلام. وتتولد الانسانية عاجزة خادعة ماكرة ضعيفة

لننس هذه الأحقاد مرة واحدة. ولنتعاون. وليفنس الفرد انه خلق لنفسه. وليجعل غايته خدمة غيره. خدمة أولاده. خدمة أفراد الانسانية جمعاء. اذن يخف كل شقاء. وتعم السعادة الجميع. ستقول هذا خيال شاعر وأمل فيلسوف.

ولكن تولستوى لا يقول لك ضح بنفسك لأن في التضحية نبلا أو جمالا. وهو لا يقول لك كن خيراً لأن الجنة للخير والنار للشرير. وهو لا يزعم أن في خدمة الآخرين قياما بواجب لا تستطيع أن تفهم من فرضه عليك.

هو يقول لك أحب جارك واعمل لغيرك. لأن هذا هو قانون الحياة. ولأنك لا تملك عنه محيدا. وهو يقول ضح بنفسك لأنك ستضحى بها مرغما إذا أبيت. وهو يقول لك سامح عدوك وأدر له خدك الأيسر اذا أصاب منك الخد الأيمن لأن في الخلاف شقاء لك وله.

وليس في هذا جرى وراء خيال أو مثل أعلى يضاف الى غيره من الأمثلة العليا. ولكن جرب بنفسك. اقتنع بأنك خلقت لغيرك وسترى أى سعادة تجلبها عليك هذه التجربة. لن يخيفك الموت بعد هذا لأنك سترى فيه افساحا للطريق أمام غيرك. لن تعبأ بالآلام تصيبك لأنك سترى فيها تخفيفا لآلام اخوتك من البشر.

أما إذا أبيت هذا. وضننت بنفسك أن تكون ضحية في سبيل الآخرين. فكن أنانيا جشعا وابلغ المجد على اكتاف الناس. واجمع حولك من متاع الدنيا ما تسرقه وما لا تسرقه. ولكنك لن تكون سعيدا. وستظل شقيا بائساً. ولن تشعر براحة مادام لديك درة من ضمير. وستمعن الحياة في السخرية منك. تجعلك آلة لها تنفذ مشيئتها، وستكون ضحية على رغم أنفك. وستعيش خائفا وجلا من الموت أو من خصم قوي وسيؤنبك ضميرك ولا يلبث أن يضيع ما أنفقت حياتك من أجله. سيلتهم مالك وجاهك من هو أقوى منك. أو لا تلبث أن تموت. فيتمتع به غيرك. وبذا تكون الحيـــاة قد انتقمت منك شر انتقـــام.

وليس معنى خدمتك للغير أو تضحيتك بالنفس أن تنسى ذاتك أو تعتبرها كلا مهملا في الوجود. اذ هي شرط من شروط الحياة وشرط هام لا تستطيع الانسانية أن تتحقق بدونه. ولكنها ليست غاية الحياة. وليس من أجلك وحدك قد كانت الحياة.

وليس معنى هذا أن تكبت غرائزك أو تحمل بفسك ما لا تطيق. بل وجه نشاطك إلى ما خلق له.

في مثل هذه اللغة البسيطة الساذجة القوية يحدثك تولستوى.

ولا يضير فلسفة تولستوى ان تبدو شعرية عاطفية إذ هي لا تكاد تخرج عما قاله الاديان. فالمسيحية ومن قبلها اليهودية ومن بعدها الاســـلام تبشر بما قال تولستوى. وكلها حضت على التعاون وقالت أن المؤمنين اخوة وأحب لغيرك ما تحب لنفسك. وكلها رفعت من شأن العمل للآخرين وكلها حضت على الايثار وكلها امرت بالتقرب الى الله وحده وجعلت منه رمزا للوحدة.

لم يأت بجديد. ولكنه أحب أن يثبت أن ما قالته الأديان صحيحا وانه عملي وانه الطريق الأوحد الى السعادة الفردية والانسانية، وأحب فوق هذا أن يبين أن ما قالته الأديان ليس مثلا أعلى يصعب تحقيقه، بل هو الغاية التي لا محيد عنها، والشيء الذي نعمله كارهين أو راضين.

لقد رأى أن الحياة لا معنى لها في الافراد مشتتين. بل لا يمكن تصورها إلا في الافراد مجتمعين متعاونين. وقد رأى أن للحياة غرضا بسيطا هو ان يلتئم الأفراد ويتحدوا. هو أن تجتمع الذرات الانسانيه لتصبح ذرة واحدة كبيرة ترجع الى خالقها. وفي هذا الاتحاد كل سعادتها.

ولم ير الحياة الدنيا إعدادا لحياة أخرى كما ترى معظم الأديان. بل وجد فيها سلسلة لا تنقطع. فليس في موت الأفراد انتهاء للحياة. بل موتهم معناه بقاؤهم في نسلهم، ومعناه خلقة جديدة قد تكون أحسن استعدادا وأكثر تضامنا.

وهو متفائل راض مطمئن على مصير الانسانية فهي تسير إلى الوحدة منفذة في ذلك مشيئة خالقها.

وهو يرى أن كل ما فينا أعد لتنفيذ غاية الحياة. فقيناحب

الحياة لنستطيع أن نحيا، وفينا حب النشاط والحركة وكره السكون حتى نعمل. وفينا الجانب الحيواني بكل غرائزه لنستطيع أن نعمل. وفينا العقل لنفهم كيف نعمل وإلى غاية نسير. وفينا الضمير ليؤنبنا وليحاربنا إذا ما حاولنا الحياد عن الغاية المرسومة لنا. وفينا غريزة النسل لنخرج ذرية أقوى تستطيع أن تتمم ما تريده الحياة إذا ما ضعفنا أو متنا.

يعد تولستوي الشقاء الذي نشعر به نتيجة طبيعية لمخالفتنا ضمائرنا التي تفهم وحدها الغرض الوحيد من الحياة. وتنبهنا كلما حدنا عن الطريق المستقيم، وهذا الشقاء داع إلى تفكيرنا في أنفسنا، وإلى شعورنا بالحياة وغرضها.

ويعلل تولستوي الحيرة والقلق اللذين يستوليان على المرء بأنهما نتيجة لأهماله واجبه المقدس في الحياة، وإغفاله العمل، أو لقته الآخرين وتركه معونتهم. وهذه الحيرة نفسها خطوة أولية نحو الشعور بالحياة والتأمل فيها والوصول إلى فهمها.

وهو يرى في العقيدة والإيمان ملجأ حصينا من الشك والتورط فيه. إذ العقيدة النيرة الحية البعيدة عن التعصب هي التي تدفعك إلى العمل وحب الغير. وتجعلك طفلا فرحا سعيدا وهي التي تجعلك هادئا قرير العين بالحياة.

قد تقول إن هذا شيء تعرفه، وإنه لم يأتك بجديد. ولكن تولستوي لم يحاول أن يبهرك بآراء غريبة تضعها بين آلاف الآراء، ولم يحاول أن يتحفك بطريف الأفكار. بل أراد أن يرشدك إلى منهاج السعادة في الحياة وهو منهاج عملي جربه بنفسه فنجح فيه نجاحا باهرا..

أحب جارك. أحب لكل إنسان ما تحبه لنفسك: اعمل لغيرك، ففي كل هذا سعادتك.

لا تقل إن غيرك لا يعمل لهذا، فليس معنى تقصيره أن تقصر أنت، ولا تيأس لماذا تكون أنت الوحيد الذي يخط لنفسه هذا الطريق.

بل اعتقد أن الناس لابد صائرون إليه، وأن لا مرية في أنهم منتهون إلى اتباعه. فلماذا لا توفر على نفسك شيئا؟ ولماذا تضن على نفسك بالطمأنينة والسعادة؟

ذلك جانب من فلسفة تولستوي. وهناك جانب آخر عالج الرجل فيه المجتمع ومشاكله، وموعدنا به غدا قادم.

شهدى عطية الشافعى
خريج قسم الاجتماع والفلسفة من الجامعة المصرية

من الأدب الفرنسي

الطبيعة والإنسان

لفيكتور هوجو

شمسُ هذا النهار قد غربت في … أفقها خلف مكفهر السحاب
وغداً تعصف الرياحُ ويأتي … بعد ذاك الظلامُ داجي الإهاب
ويلي الفجرُ بعد ذاك مضيئاً … مرسلاً نوره خلال الضباب
فنهارٌ، فليلة — خطواتُ الد … هرِ والدهرُ ممعنٌ في الذهاب

سوف تمضي هذي الدهورُ جميعاً … سوف تمضي معاً لغير مآب
سائراتٍ على جباهِ الروابي … ووجوه البحار ذات العُباب
ومياهِ الأنهار وهيَ جوارٍ … لامعاتٌ مثل اللجين المذاب
وعلى الغاب وهو يذوي بأرواح … الأُلى قد قضوا من الأحباب

وستبقى وجوه تلك الأوادي … وستبقى جباهُ تلك الهضاب
البوادي الغضون لا عن مشيب … أو فتور في عنفوان الشباب
وستبقى بواسق الغاب ذات الـ … خضرة المستمرة الجلباب
سوف تبقى على الزمان جميعاً … في شباب مجدد وتصابي
وستبقى الأنهارُ تحمل من تلـــك الربى ما تلقي به في العُباب

* * *

ذاك، أمّا أنا فها أنا يحني … كلُّ يوم رأسي ويوهن قابي
وقشعريرةُ البرودة تحت الشمس … أمسيت تدبُّ في أعصابي
وسأقضي نحبي وشيكاً سريعاً … وسط عيد الطبيعة المطراب
وسأمضي، فلا يضير مضيي … ذلك الكونَ أو يحسُّ غيابي

خيري أبو السعود

كنار يموت

للدكتور و ج . لونج

في الصيف الماضي ضربت خيمتي خلف عين ماء وسط الغابة ، وكنت كثيرا ما استلقى بجوارها لا لأشرب ، بل لأكون بقربها برهة الاحظ في هدوء حبيبات سيالها البارد تنسل من ثنايا أرضها السوداء ، محوطة بفقاقيع راقصة ، ثم تضرب في زحمتها الدائمة نباتي السرخس والطحلب المحيطين بشواطىء العين ، ومن حين الى آخر كانت الحيوانات البرية تسمع نداء دعوتها الخافت لمن أحرقه العطش ، فتأتى مسرعة مهطعة . ولكنها حينما ترانى تتراجع الى مرقبها من نبات السرخس . حيث تختبىء هناك متسمعة ، ولكن الغدير الصغير يستمر فى ندائه الخافت ، فسرعان ما تخرج من مخبئها ، معتبرة اياى صديقا لها لطول جلوسى بقرب غديرها

وفى ذات يوم ذهبت الى الغدير ، فرأيت على غصن شجرة دائمة الخضرة كنارا صغيرا طالما لاحظته من قبل مستريحا بجوار الغدير ، أو متنقلا فى دعة هادئة فوق الاعشاب السندسية ، وخيل الى انه ما كان يأتى الى هنا الا لشغفه بحب الغدير مثلى . فنادرا ما رأيته يستقى منه . ولكنه كان دائما هناك ، لقد كان كهلا وحيدا . وقد أخذ اللون الأغبر يغير على تاجه اللامع السواد ، وأخرج له العمر الطويل قشورا كثيرة حول ساقيه ، ولم يكن لتبين عليه الرهبة أو تتملكه رعشة الخوف . فكأنما بعث فيه كر الليالى وداعة الحياة ، فكان يتحرك مبتعدا فى أناة اذا ما اقتربت من مكانه . ولكنه لا يذهب بعيدا ، وبلغت به الوداعة أنه كثيرا ما قاربنى يظننى لاهيا عنه بتحديقى الدائم فى الغدير

واليوم قد جلس على هذا الغصن المعلق فوق مياه الغدير ، فى هدوء أكثر من هدوئه الأول ، وكأن وديعا مستسلما ، حتى لم يبد نفوراً حينما مددت يدى أتحسسه ، بل اتكا فى سكون ودعة على أصبعى وأسبل عينيه فى طمأنينة ، ومضت نصف ساعة ، وهو فى حالته هذه مسرور يهتز مهوما من آن الى آخر . فاتحا عينيه فى فترات ، محدقا بها فى اتساع ، كلما وضعت له على اصبعى نقطة من الماء الذى رواه صغيرا ، وصاحبه كبيرا . ولما أقبل المساء وصمتت ألسنة الغابة واستولى عليها سكون موحش . وضعته فى رقة ولطف على الشجرة الفينانة ؛ حيث راح فى سبات عميق قبل أن أوليه ظهرى ، وفى الصباح كان موقعه أقرب الى الغدير الحبيب . وعلى غصن دنى من غصنه بالأمس ، وانتكان مرة أخرى فى كنف أصابعى ، ورشف فى امتنان قطرات الماء من فوق أناملى .

وفى المساء وجدته ناشبا بجذر من جذور شجرته المعهودة ، وقد تدلى رأسه الى أسفل . وعلقت مخالبه بلحاء الجذر علوقا أبديا . وقد لمس منقاره فى خفة ذلك الماء النمــير ، وقد فتح فكيه قليلا للمرة الأخيرة ، وراح فى سبات دائم آمن . بجوار الغدير الذى عرفه طوال حياته . وظل بجواره الى أن لفظ الروح فى جنباته : بجوار الغدير الذى قبلت مياهه منقاره قبلة الوداع ، وحفظت صورته فى أعماقها الى اللحظة الأخيرة .

لقد ذهب هذا الكنار كما يذهب أغلب سكان الغابة فى هدوء وفى أمن ، بجوار الغدير الذى عاش على حبه . ومات بقربه . وليست قصته الا مشهدا من فصل الموت فى رواية الغابة يتجدد دائما باستمرار : فحين يحس الحيوان بغريزته تدفعه الى البعد عن رفاقه ، يمعن فى البعد حتى يصــل الى غدير أحبه ، ويرقد هنالك مختفيا فى انتظار الراحة القادمة . وحينما يأتيه الموت لا يظنه الا غفوة تأخذ تعبه معها ، ثم يعود بعدها حرا طليقا ، وهناك فى رقدته الأبدية تخفيه أوراق الأشجار ، التى ألفها وألفته : عن أعــين أصدقائه وأعدائه على السواء . . .

محمد أبو الفتح البشبيشى

هرمن ودروتيــــه

للشاعر الألمانى الكبير

جوته

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الكتاب . وهو من أحسن ما ألفه شاعر ألمانيا الأكبر ، وقد نقله عن الألمانية الدكتور محمد عوض محمد . وكتب المقدمة الأستاذ الدكتور طه حسين . ويطلب الكتاب من المكاتب المعروفة ومن إدارة اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩

وثمن النسخة خمسة قروش

القهــــوة

للدكتور احمد زكي استاذ الكيمياء بكلية العلوم

جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سعيد الذبحاني شيخ من أشياخ اليمن عاش في منتصف القرن التاسع الهجري (منتصف القرن الخامس عشر الميلادي) وكان متوليا رياسة الافتاء بعدن، تعرض عليه الفتاوى فيقر منها ما يراه صوابا ويصحح ما احتاج منها إلى تصحيح . عرض له أمر اقتضى خروجه من عدن إلى بر الاعاجم، وأغلب الظن انه الحبشة، وعاش في أهله دهراً يشرب معهم شراباً لم تعرفه الأعارب، فلما رجع إلى عدن مرض فتذكر الشراب فأحضر شيئا من ذلك الحب وحمصه وطبخه بالماء كما كان يطبخه الأحباش، فخف عنه المرض وذهب عنه السوء، ووجد فيما وجد من خواصه انه يذهب بالنعاس والكسل ويكسب البدن خفة ونشاطاً . وكان من أمر الشيخ بعد هذا أنه سلك طريق التصوف فصار هو وغيره من الصوفية يستعينون بهذا الشراب الجديد على السهر وقيام الليل في التعب والاذكار، واسموه القهوة، ومن ثم انتشر شرب القهوة فشمل الفقهاء والعوام، هؤلاء يستعينون بها على مدارسة العلوم، واولئك للمثابرة والمجالدة في معالجة الصناعات والفنون . وبلغت القهوة مكة فشربها بعض الأشياخ والقضاة وإرتاب فيها أئمة آخرون، أما من شربها فرآها شراباً حلالا طيباً مما أخرجته الأرض بأذن الله، والله يقول « خلق لكم ما في الأرض جميعاً »، وأما من أباها فرآها شراباً حراما مسكراً يحصل بشربه ضرر في الأبدان والعقول، وكان لهم في ذلك جدل طويل وحجاج مستفيض انقلب إلى محنة وفتنة، وكثر التعصب لها وعليها من الجانبين، وشاع التقاطع والتدابر بين الفريقين، وبلغ الغضب بنفر من الأتقياء الصالحين البررة الأطهار أن حدثوا عن رسول الله ﷺ أنه قال من شرب القهوة يحشر يوم القيامة ووجهه أسود من أسافل أوانيها

ولم يهل القرن العاشر الهجري حتى ظهرت القهوة في مصر وكان أول ظهورها في الجامع الأزهر برواق اليمن، فكان اليمانيون ومن ساكنهم من أهل الحرمين وبعض العامة يجتمعون للأذكار والمدائح على طريقتهم كل ليلة اثنين وجمعة، فتقدم اليهم القهوة في ناجود كبير من الفخار الأحمر، وكان يغترف منها النقيب بسكرجة صغيرة، ويسقيهم الأيمن فالأيمن، وهم على الذكر عاكفون، وكانت تذهب بالكسل والنعاس عنهم، فكانوا لا ينصرفون حتى يصلوا صلاة الصبح مع الجماعة من غير عناء ولا تكلف . وانتشرت في الناس فاجتمعوا على شرابها في بيوت خاصة بها وفي الاسواق

ومن هذا العهد ظلت القهوة بين مكة والقاهرة تحلل عاما وتحرم عاما، يناهضها حكام وفقهاء، ويشايعها حكام وفقهاء، تباح فتشرب في الحرم الشريف جهراً . وتمنع فيعزر شاربها ويطاف به في الأسواق، ويكبس العسس بيوتها ويخرجون من فيها على حالة شنيعة، بعضهم في الحديد وبعضهم في الحبال، فيسجنون ويجلدون .

ولا شك أن المعارضين للقهوة كان منهم أناس يخلصون لها الكراهة في ذاتها لما كانوا يرون من أثرها السيء فيمن أدمنها من عامة الناس . فكثير منهم من تغيرت حواسه وساء عقله وتنكرت هيئته

ولأنها كانت تباع في أماكن على هيئة الحانات يجتمع فيها الناس من رجال ونساء بالدف والرباب، أو بالشطرنج والمنقلة، وغيرها يلعبونها للميسر، فساء الاتقياء هذا المنظر القبيح، ووقع مشهده من قلوبهم موقع سوء

وكان من الناس من يدس الخمر في القهوة فزادت كراهتها عند العارفين بذلك .

أما الحكام ممن كرهوا القهوة ، فكانت أغلب كراهتهم من اجتماع الناس على تلك الصورة : وأوجسوا من هـذا التجمهر خيفة . ولما كان حفظ النظام من أوجب واجبات السلطان ، ولما كانت الفتنة من عمل الشيطان ، كان لابد من قتلها قبل أوانها ، ودرء بوادر السوء قبل استفحالها .

ولعل أقوى من ناصر القهوة في هـذا الصراع مشايخ الصوفية في كل البقاع الاسلامية : أحبوا الذات الإلهية وفنوا فيها وتغزلوا وشببوا بها ؛ وكأن الغزل لا يحلو إلا بالصهباء ، والتشبيب لا يكون إلا مع بنت الحان ، فاتخذوا من القهوة خمرهم ، ومن فناجينها كؤوسهم ، وذكروها وأكثروا ذكرها في أشعارهم ، فقال ابن الفارض « سقتني حميا الحب . . . » وقال آخر من الأولياء الصالحين يصفها :

شرابُ أهل الله فيـه الشفـا ... لطالب الحكمـة بين العباد
نطبخها قشراً فتأتى لنـا ... في نكهة المسك ولون المداد
فيها لنـا تبر وفي حانها ... صحبةُ أبناء الكرام الجياد
كاللبن الخالص في حِـلّه ... ماخرجت عنه سوى بالسواد

وقال آخر :

وقهوة لا غم تُبقى اذا ... قابلك السـاقى بفنجانها
لا يوجد الغم بحـاناتها ... قـد خضع الغم لسلطانها
بمائها نغسل أكـدارنا ... ونحرق الهم بنـيرانها
يقول من أبصر كانونها ... أفٍّ عـلى الخمر وأدنانها

ولم تكد تستقر القهوة في الشرق العربي حتى تسربت الى أوربا عن طريق القسطنطينية والبندقية في القرن السابع عشر الميلادى . وأنشىء أول مقهى في انجلترا عام ١٦٥٢م ، ولم تلق القهوة في الغرب ترحاباً خالصاً كله ، فقد قامت في وجهها معارضة شديدة على نحو ماعانته في الشرق ، ففي ألمانيا كان لابد لتحميص البن من رخصة يعطيها الحاكم ، وفي انجلترا حاول شارل الثاني أن يحرم المقاهي باعتبارها مراكز للقلاقل الثورية والنزعات الحادة السياسية . ولكن القهوة شاعت برغم ذلك ولعبت في الحياة الاجتماعية الأوربية في القرن السابع عشر فالذى يليه دوراً ذا خطر كبير . ومن أوربا انتشرت القهوة في كل بلاد الله ، وكانت اليمن مصدر البن الوحيد الى مختتم القرن السابع عشر ، فأصبح بعد ذلك يزرع في بقاع كثيرة من أفريقية الحارة ، وفي الهند الغربية ، وفي الهند الشرقية ، ولاسيما في البرازيل فهي البلد الذى ينتج الآن نحواً من ثلثي محصول العالم ، والبن له كالقطن لمصر ، وربما كان أشد خطراً .

والبن بذور لثمر شجرة دائمة الإخضرار ، قد تطول إلى ستة امتار والسبعة في منابتها الطبيعية ، ولكنها تقصر عن ذلك كثيراً إذا هي زرعت ، ولهذا الشجر زهر أبيض ناصع يكتسى به عند ازدهاره ، فيكون له رونق وجمال يزيد فيها ما ينفح منه من عطر وطيب ، لذتان للعين والانف لا يطولان ، فعمر الزهر بالغ في القصر . إلا أن الشجر يزدهر مرتين وثلاثا وأكثر من ثلاث في العام الواحد . وتطيب الثمرة بعد ازدهارها ببضعة أشهر ، فيحدث من ذلك أنك تجد على الشجرة الواحدة ثمرات من ازدهارات متلاحقة ، بعضها وليد وبعضها بالغ . والثمرة خضراء وهي فجّة ، فاذا أخذت في النضوج اصفرّت ثم تستحيل إلى لون أحمر قرمزى شديد . وتجنى الثمرة باليد انتقاء أو تترك حتى تسقط من الشجرة بهزها . وهي بعد ذلك تجفف بفرشها على الأرض في الشمس الحارة ، وقد تترك حتى تجف على أغصانها . ثم يزال عن بذور البن القشر فالذى يليه من غشاء شديد اللصوق بالبذور كان لبّا فجف وانضمر وذلك بالدق الخفيف في الهواوين ، أو بضرب البذور بالمطارق . وحتى الفرك باليدين يكفى لتخريجها . وهذه طريقة اليمن وما جاورها من البلاد ، ولكن بالبرازيل طرق أحدث من هذه لا تستدعى تجفيف الثمرة بل تدهك بالآلات دهكا فتفصل البذور بذلك عن لب الثمرة الطرى

ثم تحمص البذور على ما هو معروف في اسطوانات دوارة فوق النار فتفقد بذلك مقداراً من وزنها لا يزيد على الخمس ، والمفقود ماء وبعض أبخرة تنشأ من تحلل الدهن

والسكر الذى بالبذر وشىء من الأصل الفعال بالبن المسمى «بالقهوتين». وحرارة التحميص يجب ألا تزيد على ٢٠٠° درجة مئوية بكثير وإلا فقد البن الكثير من عطره. واذا انتهى تحميصه وجب الاسراع في تبريده. ثم يطحن بعد ذلك. ويجب ألا يطحن البن بل ألا يحمص قبل طبخه بزمن طويل فانه يفقد عطره سريعاً، ويجب كذلك حفظه فى أوانى مغلقة فانه شديد الامتصاص للأبخرة والروائح كريهة كانت أو عاطرة فيمتص رائحة الجاز والجبن الفاسد. وأهم أغراض التحميص اثنان: أولها توليد الطيب فيه وتوليد النكهة التى تشهى القهوة إلى النفوس، فالبن الأخضر خال منهما، وثانى الأغراض تهشيش الحب ليسهل دقه. فالأخضر جامد مستعص، والتحميص صناعة لا يحذقها إلا القليلون.

ويحتوى البن على مواد كيماوية عدة منها عطر ودهن، وهو كالشاى يحتوى التنين والقهوتين الذى إن شئت أسميته الكافيين وأن شئت فالشايين، وهو الأصل الفعال فى القهوة والشاى كليهما، ومن أجله يشربان، وهو لا يتغير فى القناة الهضمية وانما يمتص كما هو فى الدورة الدموية فيذهب إلى المخ فيكون له الاثر المحمود على نحو ما فصل فى مقالة الشاى السالفة: من زيادة فى قوة الفكر واصابة الحكم وامتلاك النفس، ولكن استحالة الافكار إلى أفعال قد تتعطل به، فيعترى الانسان تردد، وذلك ليقظة العقل الشديدة، ويزيد حس الانسان بكل ما سر وساء، وهو ينعش الجسم ويزيل التعب عضلياً كان أو نفسياً، ويؤخر النوم ويدر البول. هذه بالطبع فوائد كلها قد تنقلب مضار بزيادة المشروب من القهوة. فالقهوتين عُقَّار سام يصحب التسمم به تلهف إلى الماء وألم فى المعدة والأمعاء، وقىء شديد وإسهال ودوار فى الرأس وارتعاد فى الأطراف. ويتضح أثر القهوتين من حالة رجل أدخل مستشفى «بلفى» بنيويرك به أعراض شديدة من سوء فى الهضم بالغ، وفقر دم متناه، وعجز تام عن الحركة، وأزمة فى القلب بالغة، وضيق فى الصدر شديد. كان هذا الرجل يشرب فى اليوم ٣٠ فنجانا من الشاى بلا طعام.

سباع البحر كادت تكسب الحرب

مات فى الأسابيع الماضية القبطان الأنجليزى «ودوارد» مات فى بلدة «رامزجات» بانجلترا وله من العمر ٨٢ سنة. وهو الرجل الذى خطر له فى مدة الحرب أن يجرى تجربة عدت فى أول الأمر عرضاً من تلك الأعراض التى تأتى للانسان وقد أشتد خياله واحتدم تهيأ لدخول البيمارستانات، ولكنها عدت فى آخر الأمر تجربة لو ساعدها الحظ لأنهت الحرب وحقنت الدماء ولو بغلبة فريق على فريق

تلك التجربة هى رياضة سباع البحر على تتبع الغواصات الألمانية، وهذه السباع تشبه عجول البحر غير أنها أكبر منها، وله عُرف بيّن وآذان كبيرة وحظ من الذكاء وافر

بدأ هذا الرجل باستئذان السلطات الحكومية، والسلطات فى العادة مرتابة حذرة جامدة محافظة، ولكن خطر الحرب يحرك الجامد ويذهب بالحذر. فاذنت له وحشرت اليه ما فى البحر من آساد، فبدأ بدراسة الأصوات التى تصوتها الغواصة فى الماء، ثم اجتهد واخترع آلة تئز مثل أزيزها، وفى بحيرة راض هذه الآساد على إتباع هذا النغم أين سار فى الماء، فاصبحت تتبعها أحسن اتباع، وفاقت فى دلالتها على اتجاه الغواصة كل الآلات الطبيعية المعروفة، ووضعت على رءوس هذه الحيوانات البحرية كمامات من اسلاك الحديد تمنع أسماك البحر أن تقترب منها خشية أن تسترعى انتباهها فتحيد عن غرضها. ونجحت التجربة نجاحاً باهراً. ولكن . . . عرف الألمان ذلك بطريق الوحى أو الايحاء فأجروا غواصاتهم مثنى وثلاث ورباع فهوشوا على السباع الاذان، وخيبوا التجربة للقبطان

يوم عصيب فى جبل المقطم

للأستاذ محمد الدمرداش محمد

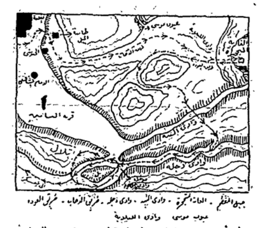
مدير إدارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

– ٢ –

فى المقالة الاولى وصف الكاتب كيف ضل هو وصديقه فى جبل المقطم حتى اهتديا بعد الغروب إلى واد لهما به معرفة سابقة ، وهو وادى دجلة . فاتخذا طريقهما فيه نحو مدخله . .

مضت ساعة على هذه الحال ولم نصل بعد الى مخرج الوادى ، فقال صاحبى الآن من نهاية لهذا الوادى ؟ فقلت لم يبق الا ساعة واحدة ، فقال وماذا بعد ذلك ؟ قلت اما ان نقصد «طره» ونركب القطار الى باب اللوق ، واما أن نذهب الى المنشية عن طريق البساتين ومدافن الامام الشافعى . فقال انه يفضل الطريق الاخير ، فقلت لا بأس وعلى كل حال فالزمن اللازم لقطع المسافة فى الحالتين لا يقل عن ساعتين من مدخل الوادى – فتضجر صاحبى ونظر الى ساعته ثم قال . . أننا لن نصل الى بيوتنا قبل نصف الليل . فلم أجبه بشئ ، وبعد سكون طويل عاد وسألنى : هل من خوف علينا فى هذه الجهات النائية الموحشة من الوحوش أو اللصوص ؟ فقلت كن مطمئنا فالله معنا وهو يحمينا . فقال : كيف ذلك وليس معنا ما ندفع به عن أنفسنا غير هذه العصا – مشيرا الى عصا قصيرة كنت أحملها فى يدى – وقبل أن أجيبه عن سؤاله عثرت قدماه بحجر كبير فكاد يسقط ، فتألم وتضجر ثم سكت . وغشينا سكون عميق ، لا نسمع فيه غير وقع أقدامنا على أرض الوادى الصخرية وصفير الريح فى صدوع الصخور وثقوبها

ولا أطيل القول . فقد كانت الساعة التاسعة عندما وصلنا مدخل الوادى . وما كدنا نتجه نحو بلدة البساتين حتى امطرتنا السماء مدرارا مرة أخرى ، واشتد الظلام حتى لا نرى أمامنا أكثر من نصف المتر ، ولكن ذلك لم يمنعنا من الاستمرار فى السير والجد



جبل المقطم . الغابة المتحجرة . وادى التيه . وادى دجلة . قرنى الرهاب . قرنى الوده

عيون موسى   وادى السيدية

فيه . ثم أخذنا نرتقى اول تل فى طريقنا وهو يرتفع عن السهل نحو ٥٠ مترا . وحدث هنا أمر كان يقضى على لولا لطف الله فى تلك الليلة الليلاء – فعند ما كنا نتسلق التل الى ظهره صاح بى صاحبى مستنجدا فالتفت فجأة الى الوراء لأتبين ماحل به ، وكنت متشبثا بكلتا يدى بحجر فى جدار التل ، فلم أشعر الا وقد زلقت يداى واختل توازنى وأخذ جسمى يتدحرج بعنف الى الارض . ولكن قدرت لى السلامة . فصدمنى حجر آخر منعنى من الهبوط بعد أن أصبت فى رأسى وركبتى اصابة بسيطة . ولما استعدت توازنى انتصبت واقفا وأنا أكاد لا أصدق بالنجاة . ثم سمعت صاحبى ينادينى وقد بلغ ظهر التل ، فاتكأت على عصاى وأخذت طريقى اليه وفى رأسى دوار من أثر الصدمة ، وعندما ادركته استرحنا قليلا وقد سرى عنى بعض الغم ، ثم لحظت الريح تهب من الجنوب الغربى فاستغربت ذلك وأدركت السر فى وجودنا فى مكان يبعد عن الغابة المتحجرة الكبرى بنحو ١٢ كيلو مترا جهة الجنوب الغربى مع أن سيرنا منذ الظهر كان فى اتجاه الشمال حسب ظنى . فلما تغير اتجاه الريح من الشمال الغربى الى الجنوب الغربى درنا معها فى منحنى واسع من غير انتباه . فلما استرحنا قمنا متجهين نحو البساتين فبعد ان قطعنا فى التل مسافة طويلة أخذنا ننحدر نحو القرية ، وهنا انقشعت السحب وصفا أديم السماء وظهرت النجوم فألقيت نظرة على ما حولى ولشد ما دهشت حين وجدتنا لا نزال نسير امام مدخل

وادي دجلة قاطعين عرض المدخل من الجنوب الى الشمال؛ فكشفت دهشتي وحيرتي وعدلت اتجاهي مرة أخرى. وعدنا فارتقينا التل مرة أخرى وبعد قليل تبين لي أيضاً أننا لا نزال نسير أمام وادي دجلة أمر غريب محير لم أرزق تعليله الا شيئاً واحداً وهو ان رأسي فقد الاتجاه! فلما صرت الى هذه الحال أشرت على صاحبي بالجلوس للراحة. فقال ولماذا؟ فقلت له قد ضللنا الطريق مرة أخرى! فما كاد يسمع هذه الكلمة حتى خارت قواه وسقط على الأرض. وأخذت جبينه رعدة شديدة. واقسم أنه لا يبرح مكانه. ثم استولى عليه النعاس فنام نوماً عميقاً. فجلست بجانبه وأخذت أفكر في الأمر وأنا حزين يائس. وقام بعقلي أن أعود الى الوادي ملتمسا لنا ملجأ نأوي اليه حتى الصباح. بيد اني رأيت قبل تنفيذ هذه الفكرة ان أقوم بمحاولة أخيرة. فخلعت سترتي وألبستها عصاي وغرست العصا بالأرض بجانب صاحبي لتكون علماً أستدل به عن مكانه عند عودتي. ثم صعدت أعلى قمة بالقرب منا مستكشفاً ما حولنا. فأدرت بصري في الجهات الاربع فلمحت بجهة الغرب وراء الأفق ضوءاً ساطعاً ظننته أول وهلة ضوء مصانع شركة الاسمنت بالمعصرة. فهرولت الى صاحبي أزف اليه هذه البشرى فأيقظته من نومه قائلا لقد أبصرت ضوءاً قوياً جهة الغرب سوف يهدينا طريق السلامة. فلم يكترث لقولي — ويظهر أن النوم كان قد أزاح عقله



منظر في وادي دجلة

وجسمه نوعاً. فنهض في نشاط وقال: هيا بنا مغمغماً بكلمات لم أتبينها. ثم اعتمد على كتفي بأحدى يديه وأخذنا نسير وقد عولت هذه المرة أن أتبع مسيل الوادي من غير انحراف. فأخذت طريقي مع مجرى السيل خطوة خطوة، وكان جسمي وعقلي متعبين. وعيناي غائرتين ضعيفتين. وعلى الجملة كانت حالتي سيئة. وكنت أشعر يده على كتفي كأنها حجر ثقيل. فكنت أنقلها من كتف الى كتف من غير أن أزعجه في سكونه — بعد أن سرنا على هذه الحال ساعة ونصفاً انكشفت أمامنا أضواء شديدة ساطعة انشرح لها صدر صاحبي وعاودته بشاشته. فأخذ يمزح ويعيب هيئتي الرثة، فوجهي مغبر شاحب. وطربوشي من الأمطار فقد شكله وأصبح متهدلا كاسياً رأسي حتى أذني. وبدلتي تقلصت وضاقت: فارتفع طرف بنطلوني الى قرب ركبتي واسترخى جوربي. فغطى حذائي وامتلأ الحذاء بالماء والوحل. وعلى الجملة فان شكلي كان مضحكاً وهيئتي تدعو الى الشفقة والرثاء.

بعد أن فرج صاحبي بعض كربه بأمثال هذه المناترة سألني فيم أفكر؟ فقلت اني أستغرب وجود هذه الأضواء الشديدة



منظر في وادي دجلة

في هذه البقعة؛ فقال مازحاً: لا تستغرب فربما كان الجن قد نصبوا لهم هنا عرساً. فقلت نعوذ بالله فحسبنا ما أصابنا هذا اليوم — وبينما نحن في هذا الحوار سمعنا صوتاً غريباً يرن في الفضاء، فوجمنا لهذه المفاجأة الجديدة ثم أنصتنا بشدة خلت معها أني أسمع دبيب الحشرات في بطن الأرض. وأخذنا نحدق يميناً وشمالا عسى أن نهتدي لمصدر الصوت فلم نر شيئاً. وبينما نحن في اضطراب وحيرة رن الصوت في الفضاء ثانية، وكان في هذه المرة جلياً: سمعنا «هولت!» Holt: «هولت!»، فقلت لصاحبي بلهفة قف: فقال ما الخطب؟ قلت يظهر اننا في وسط معسكر للجنود الانجليزية، فقال يا سوء المصير! فقلت له اطمئن ولا تخف، وبعد قليل تقدم الينا ثلاثة من الجنود الانجليزية مدججين بالسلاح وسألونا هل معكم سلاح؟ فأجبنا مأخوذين ليس معنا سوى هذه العصا. فقالوا تقدما، فتقدمنا ثم قادونا الى خيمة قريبة مضروبة بالقرب من المعسكر فوجدنا بها ضابطاً شاباً على كرسي وأمامه منضدة وهو مشغول بالقراءة في كتاب أمامه. فلما لمحنا نظر الينا شزراً وسألنا وهو يتثاءب: هل أنتما هاربان من المعسكر؟ فأجبت: لسنا جنوداً. فقال بخشونة: اقصد انكما أسيران هاربان من المعسكر، فقلت: عفواً لسنا من الاسرى. فقال وهو يحملق فينا: من انتما اذن؟ فقلت. انا فلان ووظيفتي كذا وزميلي فلان ووظيفته كذا، فكتب ذلك في ورقة أمامه. ثم قال، ما خطبكما؟ فقصصت عليه

(البقية على صفحة ٤٢)

المبـــارزة

للكاتب الروسى اسكندر بوشكين

تابع لما قبـــله

مرت السنون . ودعتني مصلحة الأسرة للعيش في هذه القرية المظلمة في مقاطعة « ... » : وكم تمنيت لو أتيحت لى العودة إلى حياة الجندية وما كان لى فيها من متعة الاجتماع ولذة الشباب : وكانت حياتى هنا مملة فى تشابه أيامها قاتمة لندرة حوادثها . أقضى وقتي حتى الغذاء فى التحدث الى المالك أو فى مراقبة العمال ومشاهدة المبانى الجديدة . فاذا جن المساء — وخصوصا أمسيات الشتاء والربيع الطويلة المزعجة — لم أجد ملهاة ولا تسلية . فقد قرأت الكتب القديمة الموجودة كلها . واستعدت من خادمتي العجوز . كربلوقنا ، القصص التى تحفظها أكثر من مرة . ولم أكن أميل الى أغانى القرويين لما فيها وفى معانيها من الحزن والألم والحسرة . وحظى من هذا كله كثير . أما الشراب فقد كنت أتجرع كل ما تصل اليه يدي على رداءة نوعه وحدة طعمه . وقد تمنيت أن أكون سكيراً كهؤلاء الذين تكتظ بهم هذه القرية الغريبة .

وكان جيرانى الأقربون جماعة من السكيرين . حديثهم زفرات متصلة وأنات متقطعة . فكيف لا أوثر الوحدة على الاجتماع بهؤلاء ؟ ولم أجد حلا لهذا السأم سوى التبكير فى اليقظة . والتأخير فى تناول الغذاء . حتى يطول نهارى ويقصر ليلى .

وعلى بعد أربعة فراسخ من منزلنا توجد المقاطعة الجميلة التى تملكها الكونتس « ... » ويسكن هذه المقاطعة وكيل السيدة . أما هى فلم تزرها غير مرة واحدة فى الشهر الأول من زواجها .

وفى يوم من أيام العام الثانى لحياتى فى هذه القرية سمعت أن الكونتيس وزوجها سيقضيان الصيف فى مقاطعتهما . ولقد وصلا حقا مع حاشيتهما فى النصف الأول من شهر يونية .

وليس من شك فى أن قدوم جار غنى يعتبر حادثا هاماً فى حياة الريف . وقد تحدث الناس عن هذا الحادث قبل حدوثه بثلاثة أسابيع . ولا يزالون يتحدثون فيه حتى اليوم مع مرور ثلاثة أعوام عليه . أما أنا فلم يثر فى غير الشعور بقرب سيدة شابة رائعة الجمال . حتى اذا جاء الأحد الأول على اقامتهما تناولت غدائى وأسرعت الى قصرهما لأقدم نفسى للسيدة بصفتى جارها القريب وخادمها المطيع .

فادنى الحاجب الى المكتبة فبهرنى أثاثها البديع ومساحتها المتسعة . هنا رفوف صفت الكتب والمجلدات فوقها على كل منها اسم مكتوب بالبرنز . وهناك تماثيل ومرآة . وعلى الأرض بساط أخضر عليه سجاجيد عجمية رائعة النقوش . ولما لم أكن متعوداً هـــذه المناظر المترفة شعرت بضآلة مركزى وضعة شأنى . وداخلنى شعور غريب فيه من الحيرة والخجل ما فيه .. وأصبحت كالفلاح الساذج الذى يطلب مقابلة الوزير !

فتح الباب ودخل رجل فى الثانية والثلاثين أو يقاربها . فما رآنى حتى هش لى وابتسم فى وجهى ... أخذت أسرد عبارات التحية المعروفة كأن أقول أنى مسرور بلقائه وأن ... وأن ... ولكنه وقفنى عند حدى بحديثه الطريف ورحب بى .

وما ان استعدت هدوء نفسى أمام ابتسامته وتواضعه حتى فتح الباب ودخلت الكونتس . هنا اصطكت ركبتاى وانعقد لسانى ... لقد كانت آية من آيات الجمال والرشاقة . وكم حاولت أن أحييها فلم أستطع ولاحظ الكونت اضطرابى فراح يقدمنى الى زوجته فى أسلوب عادى كأننى صديق قديم .

وجلت بنظرى فى المكتبة حتى استقرت عيناى على الصور ولم أكن من غواة الصور أو نقادها . ولكن صورة واحدة استوقفتنى لا لما تمثله من المناظر السويسرية الساحرة ولكن لأن طلقتين اخترقاها واحدة فوق أخرى !

التفت الى الكونت وقلت . « ما أجمل هذه الصورة ! فرد مبتسما « نعم ! وهى على جمالها لها عندى مركز خاص . هل تحسن اطلاق الرصاص ؟ »

فأجبت على سؤاله مسرعاً لانى وجدت فرصة سانحة للتحدث فى موضوع أفهمه « أجل ! . وأنا أستطيع اصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة » وهنا تدخلت الكونتس « حقا ! .. وأنت يا عزيزى هل تستطيع أصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة ؟ »

فأجاب الرجل : « لا أدرى ! لقد كنت ماهراً فى الرماية أيام شبابى .. وقد مضى على أربع سنوات لم ألمس فيها بندقية »

قلت ، صدقنى يا سيدى أنك لا تستطيع أصابة البطاقة على بعد عشرين خطوة وأنا أراهنك على ذلك . لأن الرماية تحتاج الى مران مستمر .. وأذكر أنى لم أستعمل بندقيتى شهرا كاملا أيام كنت فى الجيش لأنها كانت عند مصلح الأسلحة .. أتدرى ماذا حدث ؟ لقد أخطأت زجاجة على بعد خمس وعشرين خطوة لا مرة واحدة ولكن أربع مرات متتابعة ! وكان لفرقتنا قائد يحب المزاح دائما فقال . أظنك تحترم الزجاجة أيها الصديق ! فالتمرين واجب .. وأذكر أن أمهر من قابلت فى هذا الضرب من ضروب

الرياضة رجل غريب كان يتدرب على اطلاق الرصاص ثلاث مرات قبل الغداء على الأقل .. وكما أنه لا يستطيع نسيان الكونياك لا ينسى بندقيته مطلقا ! »

ورأيت الزوجين يعجبان من حديثى ويقبلان على الانصات سألنى الكونت « وما طريقته ؟ » . فأجبت « سأقص ذلك عليكما .. كان اذا رأى ذبابة على الحائط .. أنت تضحكين ياسيدتى ؟ أقسم لك أن ما أقوله حق لا ريب فيه .. ثم ينادى خادمه . كوسكا هات بندقيتى ! فيأتى له بها ثم .. طراخ ! فاذا بالذبابة منبطحة على الحائط ! »

فصاح الكونت « يالها من مهارة ! وما اسمه ؟ » فأجبت « اسمه سيليفيو يا سيدى » فانتفض الرجل واقفا وهو يقول « سيليفيو ؟ وهل عرفت سيليفيو ؟ »

قلت « أعرفه ؟ لقد كنا صديقين .. وكان سيليفيو معى فى الفرقة ؛ وها قد مضت خمسة أعوام على ذلك .. هل تعرفه أنت ؟ »

فقال الكونت « أجل أعرفه تماما . أو لم يخبرك عن حادث فريد وقع له ؟ »

— « أخبرنى كيف لطمه شاب وقح على وجهه فى مساء أحد الايام »

— « وهل ذكر لك اسم هذا الشاب الوقح ؟ »

« لا لم يطلعنى على اسمه ... آه ! » وهنا استدركت لانه يغلب على ظنى أن الشاب هو الكونت وقلت « عفوا سيدي .. لم أكن أعلم ! .. ولكن يغلب على ظنى أنه أنت ! » أجاب الكونت فى ارتباك « أجل هو أنا .. وهذه الصورة ذات الثقب نتيجة لقائنا الاخير ! »

هنا اعترضت الكونتس قائلة « نشدتك الله يا عزيزى ألا تتحدث فى هذا الموضوع ، ان مجرد التفكير فيه يرعبنى حتى اليوم ! » ولكن الكونت لم يحقق رجاءها بل قال « يجب أن يعرف السيد كل ما يتصل بالموضوع ، فهو يعلم كيف أهنت صديقه فمن الواجب أن نروى له كيف انتقم ذلك الصديق

ودعانى الرجل الى الجلوس قريبا منه فى مقعد ذى مسند وأخذت أنصت لهذه القصة

« تزوجنا منذ خمسة أعوام وقضينا شهر العسل فى هذا المنزل : وفى الحق لقد كانت أهنأ أيام حياتى لو لم تعكرها هذه الحادثة المزعجة ..

« وفى مساء أحد الايام ركبت مع زوجتى للنزهة ولكن الجواد جمح بنا حتى ارتاعت زوجتى ورجتنى أن أعود بالعربة الى الاصطبل أما هى فستعود سيرا على الاقدام ، ولم أكد أصل الى الدار حتى رأيت عربة سفر أمام الباب . وقيل لى أن انسانا لم يذكر اسمه ينتظرنى لمهمة خاصة فى المكتبة .. أسرعت الى هناك فوجدت رجلا لا يزال فى ثياب السفر له لحية طويلة . وأخذت أتذكر أين رأيته قبل ذلك ..

وقال الرجل « أولا تذكرنى أيها الكونت ؟ » . وكان صوته مضطربا .. فصحت عند ذلك : سيليفو !

وأقول الحق لقد وقف شعرى من الرعب . وقال صاحبنا جئت لأطلق رصاصتى . فهل أنت مستعد ؟ ، ورأيت بندقيته بين طيات ثيابه وعددت اثنتى عشرة خطوة ورجوته أن يسرع فى مهمته لان زوجتى فى الطريق الى المنزل : ولكنه قال أريد النور أولا . لذلك طلبت الشموع .

« ثم أغلقت الباب وأمرت ألا يسمح لأحد بالدخول . ورجوته مرة أخرى ان ينجز مهمته فرفع بندقيته وأخذت أعد الثوانى ولم أكن أفكر فى غير زوجتى حتى اذا انقضت دقيقة كاملة خفض بندقته وقال « أنا آسف جداً لان بندقيتى ليست محشوة ببذور الكرز ! والرصاص كما تعلم صعب الاحتمال ! ولكن تعال نفكر فى المسألة مرة أخرى .. لا أرى مبارزة فيما أنا مقدم عليه .. بل هى أقرب ما تكون الى القتل ، وليس من عادتى اطلاق الرصاص على شخص أعزل من السلاح . هيا نبدأ المبارزة من جديد فنرى أينا يبدأ .. « وأعددنا ورقتين كتبنا فى الأولى رقم ١ وفى الثانية ٢ ووضعناهما فى القبعة التى أصبتها فى المبارزة الأولى ... وتناول كل منا ورقة دون أن ينظر فيها فاذا بورقتى رقم ١ وهنا صاح سيليفيو « لا أنكر أيها الكونت أن حظك حسن كحظ الشيطان ! »

« لم أفهم غرضه وأجبرنى على أن أطلق رصاصتى التى لم تصبه بل أصابت الصورة التى تراها ! »

وأشار الرجل الى الصورة التى استرعت انتباهى أول جلوسى وصار وجه الكونت أحمر قرمزيا وأصبح وجه زوجته كوجوه التماثيل الرخامية البيضاء . أما أنا فقد تعثرت بين شفتى أنة خافتة وأتم مضيفى قصته :

أشكر الله لقد أخطأته رصاصتى : أما هو فقد كان رابط الجأش ثابتاً ينتظر .. فتح الباب فجأة ودخلت زوجتى فلم تكد ترانا على هذه الصورة حتى ألقت بنفسها عند أقدامى ، وهنا استعدت شجاعتى وقلت لها « عزيزتى . ألست ترين أننا نمزح ؟ اذهبى واشربى قدحا من الماء ثم عودى الينا . وعند عودتك سأقدم اليك صديقى وزميلى القديم . ولكنها لم تصدقنى وسألت سيليفيو فى رهبة وتأثر ، هل أصدق زوجى فأعتقد أنكما تمزحان ، فأجاب ، انه يمزح دائما ياسيدتى ، اتفق مرة أن صفعنى وهو يمزح ، وأصاب

(البقية على صفحة ٤٢)

قصه مصريه

حكمت المحكمة !...

عم الأسف رجال القرية ونساءها عندما علموا بوفاة ابنة عبد الدايم المسعودي — وهو من الأعراب الذين يسكنون الخيام فى أرضهم — فأما الرجال فقد أشفقوا على عبد الدايم لأنه فقدها وفقد أمها فى عام واحد ، فلم يبق له من بعدهما من يرعى غنمه ويعنى بشئون بيته . وأما النساء فقد ذكرن أن سلمى ماتت فجأة فلم تمرض كغيرها ، وأنشأن يترحمن على شبابها وحلو ابتساماتها . . . وتدافع الأهالى وراء نعشها يشيعونها الى مقرها الأخير . ثم أقبلوا على والدها يعزونه بكلماتهم المحفوظة وهو يرد عليهم بمثلها . فهو « عظم الله أجره » وهم « شكر الله سعيهم » ورجع الجميع الى بلدتهم ليقيموا ليالى المأتم الثلاث وليسمعوا ما تيسر من القرآن ، وعند الغروب خرج أهالى كفر المعداوى كل « بطبليته » الى المأتم وعليها عشاؤه الممتاز استعدادا لاطعام المعزين من البلاد المجاورة ، وجلسوا بعد الصلاة ، وقد تنحنح المقرىء ايذانا بقراءة القرآن ، فأنصتوا وأطفأوا سجائرهم ثم بدأ القارىء بصوت منخفض غير مسموع تدرج به قليلا قليلا حتى أصبح يغطى على همس بعضهم بالتحية لبعض ، ويخفي أحاديثهم عن الشئون الزراعية - وقد بدأوها بعد أن بدأ الفقيه بقليل - بنغمات يطرب البعض لها فيمص شفتيه ويردد لفظ الجلالة اعتبارا واستحسانا . أما عبد الدايم فقد كانت تبدو على سيماه علامات التفكير العميق والحزن الدفين . ولكنه كان يتجلد للقادم فيسلم عليه ويتقبل تعزيته شاكرا .

وانقضت ليالى المأتم . . . . وتلفت عبد الدايم حوله فلم يجد الا غنمه ونفسه فقبع فى خيمته لا يزور أحدا ، وانما كان يزوره من فاته العزاء فى حينه . وانتقد أهل القرية فيما بينهم ابراهيم افندي لأنهم لم يروه في المأتم . ولكنهم علموا بسفره الى القاهرة منذ ايام فلما عاد لحظوا أنه لم يقم بواجب التعزية لعبد الدايم ، فبرموا بغطرسته واستكباره ، ولكن ماحيلتهم وهو ابن العمدة !

مرت الأيام بعد ذلك سراعا فأوشكت بفعلها أن تصرف أذهان الناس عن مصاب عبد الدايم لولا أنهم رأوا عجبا . رأوه وقد طوع للموسى أن تجذ شاربيه الطويلين وتعبث بلحيته المستعصية حتى أسفرت ذقنه بعد احتجاب طويل ، مع أنهم يعرفون في الاعراب تمسكهم بشواربهم ولحاهم ، ولم ينسوا مبالغة عبد الدايم في هذا ، فلم يبق الا أن الحزن قد أساء الى عقله فحسن له جنونه أن يظهر على هذه الصورة الجديدة

وذهب الحاج عبد المطلب وهو أحد مشايخ البلد الى « دوار » العمدة فى المساء جريا على عادته فوجده جالسا فى عدد من حاشيته يتحدث اليهم فى السياسة عن مصطفى كمال وكيف طار وراء الانجليز . ويعرج على الاقتصاد فيعلل لهم نزول الجنيه الاسترليني بتعليلات ما أنزل الله بها من سلطان . ولما انتهى العمدة من حديثه اتجه بنظره الى الحاج عبد المطلب وسأله عن جديد ، فأنشأ شيخ البلد يسرد له صنوفا من الأخبار ويتبسط فى شرح تفاصيلها الى أن قال وما رأيكم فى عبد الدايم السعودى ؟ يظهر أن الرجل قد جن بعد وفاة ابنته ، ولم يكن العمدة على علم بما جرى للحية عبد الدايم فهز رأسه من اليمين الى اليسار هزات سريعة مستفسرا ، وتسابق الجميع الى اجابته فحدثت جلبة وضوضاء نفذ لهما صبر العمدة فوصفهم بوصف البرابرة : واحد يسمع ومائة يتكلمون ، وأشاح عنهم بوجهه الى الحاج عبد المطلب يسأله عما جرى فلما أخبره بأن عبد الدايم أصبح حليق الذقن والشارب تردد فى تصديق ذلك ولكنهم أكدوا له صحة الخبر فرفع حاجبيه فى عجب ودفعه حب الاستطلاع الى أن يأمر شيخ الخفراء باستدعائه .

وجاء عبد الدايم بعد قليل فدهش العمدة عند مرآه وسأله عن سبب حلقه للحيته فأجاب ساخرا إنه رأى واحدا من أهل القرية يضحك منها فآثر أن يزيلها . وقابل أحد الجالسين سخريته بمثلها فقال : « وكيف استغنيت عنها مع أنك كنت تمسح فيها يديك بعد أكل الثريد ؟ » فتجهم وجه الأعرابي وجحظت عيناه وقال « لما اتسخت أزلتها » فقال العمدة « وما ذنب شاربك ؟ » فأجاب « صغرت فى نظر نفسى فحلقته » وخرج مغيظا محنقا . . .

وكان بالمجلس شيخ معروف فى القرية بالنباهة ودقة الملاحظة فقال للعمدة « إن لم تخن فراستى فلا بد أن أحدا اعتدى عليه اعتداء خطيرا أقسم بعده - كما هى عادة بعض الأعراب - ليحلقن ذقنه وشاربه تشبها بالنساء حتى يأخذ بثأره » . فأخذت هذه الملاحظة مكانها من نفوس الحاضرين وصار كل منهم يعلق عليها بما يؤيدها ، أما العمدة فقد همه الأمر وحسب لتهديد عبد الدايم حسابه ، فهو داهية شديد البأس وتداول الأمر مع مشايخ البلد فأفهمه الشيخ عبد المطلب - وكان على جانب من العلم - أن من واجبه العمل على منع

الجرائم قبل وقوعها واطمأن العمدة الى هذا الرأى فعزم على تبليغ المركز وقام إلى التليفون فاتصل بالمعاون

وعلم المأمور بالأمر فضحك من عقلية عمدة المنشية الذى يجد فى حلق رجل لحيته وشاربه خطرا على الأمن العام خصوصا وأنه كان يرى فيه من قبل سذاجة وقلة حيلة، فأمر ملاحظ البوليس أن يستدعيه ليوبخه على تصرفه ويطلب اليه أن يكون فى حكمه على الحوادث أبعد نظرا وأكثر رزانة. ورجع العمدة ونفسه تفيض أسفا على تبليغ الأمر للمركز بعد ما راغته ضربات الملاحظ على المكتب. وجرحت عزته شتائمه، فكان يسب مشايخ بلده الذين حسنوا له التبليغ ويخص منهم الشيخ عبد المطلب وهو المتحذلق الذى أشار عليه بالعمل على منع الجرائم قبل وقوعها. ولكنه كان يحاسب عقله فلا يجد فى عمله مأخذا، ويستشير ضميره فيلقاه راضيا عن قيامه بواجب وظيفته، ثم يرجع بذاكرته إلى الماضى القريب فيذكر أنه لما قتل فى قرية بجوارهم سويلم العربى حلق ابنه جويفل لحيته وشاربه حتى أخذ بثأر أبيه فأطلقهما فى السجن. وهكذا اختضمت أفكاره فضاع صوابه.....

أسدلت يد الأيام ستار النسيان على هذا الحادث حتى جاء يوم فرفع الستار . . . . فى صبيحته امتطى ابراهيم افندى صهوة جواده يقصد السوق فعاد الجواد يعدو إلى مربطه بعد قليل وكان العمدة مطلا من شباك داره فلما رآه انخلع فؤاده لأن ذلك معناه أن سوءاً حل بولده. ونزل يجرى فى الطريق الموصل إلى السوق منفعلا هائجا فلحق به أهل القرية من كل صوب ولم يذهبوا بعيدا حتى وجدوا ابراهيم أفندى ملقى بجوار مزرعة للقصب يتلوى ألما ورأوا أن رصاصة استقرت فى فخذه

يا لهول الفاجعة !! حتى أبناء العمد يعتدى عليهم!! ولم تحم الشبهات إلا حول عبد الدايم فانبث الخفراء فى أزقة القرية يبحثون عنه بعد أن لم يجدوه فى خيمته، واهتزت الأسلاك تنقل الخبر إلى النيابة: أما الجريح فقد نقل إلى مستشفى الزقازيق ليسعف بالعلاج. وبعد برهة وصل وكيل النيابة ثم تبعه ضابط المباحث على رأس قوة من البوليس ففتشوا بيت عبد الدايم فلم يجدوا شيئا يفيد التحقيق، فخطر لضابط المباحث أن يفتش مزرعة القصب لأنه استبعد أن يظل عبد الدايم محتفظا ببندقيته. ورجح أن يكون قد ألقاها فيها فبعثر رجاله فى أنحائها وإذا برجل منهم يعثر على بندقية.. وإذا بالبندقية حديثة الطلق :.. وإذا بكل من رآها يشهد أنها لعبد الدايم

اكتفت النيابة بهذا الدليل فقبضت على عبد الدايم ولكن سر الجناية ظل غامضا حتى وصل اليها بلاغ من مجهول يقول فيه «لقد علمت من أحد المصادر أن سلمى عبد الدايم المسعودى لم تمت ميتة طبيعية وإنما قتلها أبوها لأنه علم باتصالها بابراهيم افندى بن عمدة كفر المعداوى. وقد كان يمكن كشف هذه الجناية فى حينها لو أن طبيب المركز رأى الجثة قبل دفنها، ولكنه صرح بالدفن مكتفيا بقول حلاق القرية إنها ماتت بسكتة قلبية» فانتقل وكيل النيابة فوراً مع الطبيب الشرعى إلى قبر سلمى وأمر بإخراج جثتها وقال الطب كلمته فإذا بها ماتت خنقا.....وختمت النيابة أبحاثها وبدأت التحقيق . . . . .

س — ابراهيم افندى يقول إنه رآك تطلق عليه الرصاص

ج — أبداً

س — وماذا تقول فى البندقية التى عثرنا عليها فى القصب وهى لك ؟

ج — لم تعد لى بندقية منذ أخذها الانجليز منى وهم يجمعون السلاح فى سنة ١٧

س — وابنتك سلمى ؟ لدى النيابة شهود يقررون أنها لم تمرض مطلقا وأنهم رأوها أمام خيمتها قبل أن تموت بقليل ؟ فهل مرضت وشكت واحتضرت وأسلمت الروح فى أقل من ساعة ؟

ج — هو كذلك . فانها ماتت بسكتة قلبية

س — ولكن الطبيب الشرعى أثبت أنها ماتت خنقا

ج — اذن تكون قد خنقت نفسها

س — ولماذا حلقت ذقنك وشاربك بعد موتها ؟

ج — خطر لى أن أتزوج فحلقتهما كى أبدو صغير السن

س — ولكنك قلت فى مجلس العمدة كلاما يستفاد منه أن أحدا اعتدى عليك فحلقتهما حتى تأخذ بثأرك

ج — لم أقل ذلك وانما كنت أسخر من قوم رأيتهم يسخرون منى

س — لقد وصل الى علم النيابة أنه كان بين ابنتك وبين ابراهيم علاقة وأنك من أجل هذا قتلتها وأردت أن تقتله

فضرب الاعرابى جبهته فى عصبية ويأس ورمى وكيل النيابة بنظرة شزراء ثم اندفع يقول اذن فاسمع. انى اعترف بأنى قتلت ابنتى وانى أطلقت الرصاص على ابراهيم. خذنى الى السجن فانى أريد أن أتلهى بأشغاله الشاقة عن لوم الناس وظلم القانون

واقفل المحضر بعد أن تليت عليه أقواله فأقرها وأمضى . . .

السيد أبو النجا



ضحى الاسلام

أو

أحمد أمين

— ٢ —

ضحى الاسلام كصاحبه شديد الوضوح ، سديد المنهج ، غزير البحر ، جم التواضع ، تقرأه فتتسابق معانيه الى فهمك ، وتتساوق أغراضه الى ذهنك ، فلا تشك فى أن مؤلفه قد استبطن دخائل موضوعه ، وأحاط بأصول بحثه وفروعه ، لأن المعنى اذا اتضح فى الذهن واتسق فى الشعور أسفر عنه البيان فى أشراق وسهولة وقوة ، وما يتعقد الأسلوب الا من غموض الفكرة أو طموس الصورة أو ضعف الملكة .

اسمع صاحب الضحى أو اقرأه تجده فى حاليه واضحا صريحا ثقة ، لأنه يتكلم عن روية ، ويشرح عن فهم ، ويكتب عن تفكير ، ويؤلف عن دراسة ، أما فترة الشك والتردد فنهايتها بداية عمله ،

موضوع الكتاب الحياة العقلية للمسلمين فى القرن الأول من العصر العباسى ، والعقلية الاسلامية يومئذ كانت أشد العقليات تركيا . وأكثرها تعقدا ، وأوفرها نتاجا ، لأنها مزيج عجيب من آثار شتى لجنسيات متعددة ، وحضارات متنوعة ، وثقافات مختلفة . فتحليل هذا المزيج الى عناصره الأولية كما يفعل الكيميائى . ورد هذه القوة الناتجة الى قواها البسيطة المحركة كما يفعل الميكانيكى ، أمر لم يضطلع به الى اليوم غير احمد أمين . لأن الوسائل التى تهيأت له من مواهبه ومكاسبه وبيئته وعصره لم تتح مجموعة لأحد من قبله ، فلو أنه اجتمع لمؤرخينا السالفين مع سلامة الفطرة ، ونفاذ البصيرة ، وسعة الاطلاع ، الوقوف على علوم الاجتماع ، ومذاهب النقد ومناهج البحث ، لما تركوا لنا التاريخ على هذه الحال المضنية من النقص والمبالغة والفوضى ، ولكن هذا التاريخ الذى قنع بأخبار الحرب والفتح ، والولاية والعزل ، والولادة والوفاة ، واغفل الكلام فى تبدل الأحوال والأطوار ، وتغير الميول والافكار ؛ وتطور العادات والمعتقدات ، فى طبقات الأمة ، هو نفسه الذى استخلص منه احمد أمين كتابيه فجر الاسلام وضحى الاسلام على هذا النهج الواضح والنسق المطرد ! فاعتبر فى نفسك أى عقل استجلى هذا الغموض . وأى فكر أستغل هذا النقص ، واى صبر ساعد هذا الجهد !

سار المؤلف فى تحرير كتابه على خطة سديدة ، وتبويب متناسق . فجعله جزءين متساويين : بسط فى الاول العوامل التى أثرت فى العقلية الاسلامية وهو الذى ظهر ، وفصل فى الثانى الآثار التى نشأت عن هذه العقلية نفسها وهو الذى سيظهر . ثم كسر كلا من الجزءين على بابين : فالاول على الحياة الاجتماعية وعلى الثقافات الدينية والمدنية ، والثانى على الحركات العلمية ومعاهد العلم وحرية الفكر ، ثم على المذاهب الدينية وتاريخ حياتها وأشهر رجالها وأهم احداثها

فموضوع الجزء الذى فى يدينا الآن اذن هو العوامل المؤثرة فى الحياة العقلية الاسلامية فى شباب الدولة العباسية ، وهذه العوامل أما مادية نشأت من طبيعة الإجتماع كاختلاف الأجناس ، وصراع الطوائف . ونظام الرقيق ، ومظاهر الترف من مجون ولهو ، ونتائج البؤس من يأس وزهد ، الى غير ذلك مما استوعبته فصول الباب الاول الستة وأما أدبية نشأت من تداخل الثقافات الفارسية ، والهندية واليونانية ، والعربية ، واليهودية ، والنصرانية ، وما يتبع ذلك من تمازج الآداب والمعتقدات والأنظمة ، وقد استقصى المؤلف أطرافها فى فصول الباب الثانى الستة .

وهذا الوضع المنطقى المحكم قد ضمن لآراء الكتاب

أن تطرد ، ولا جزائه أن ترتبط ، ولا بحاثه أن تتجمع ، فجاء من حيث التأليف مدمج الفصول ، مرسوم الوجهة ، محدود الغاية ، بريئا مما يجره عدم الخطة أو فسادها من استطراد مشتت في جهة ، وإخلال مرهق في جهة أخرى ، وتلك مزية قل أن تجدها في كتاب.

صاحب ضحى الإسلام شديد اليقظة ، مستقل الرأي ، لا يعرض قولا دون مناقشة ، ولا بحثا دون تقدمة ، ولا رأيا دون دليل ، ولا تشعر وأنت تقرأه أن هناك رأيا معينا تسلط عليه ، أو فكرة سابقة أثرت فيه ، فهو يخطئ (جولدزهير) ، كما يخطئ ابن خلدون ، ويعرض الثقافات الدينية المختلفة بميزان واحد ولسان واحد

تبدو هذه اليقظة ، ويتجلى هذا الاستقلال ، منذ الكلمة الأولى في الكتاب ؛ أذ يفطن إلى الخطأ الذي جره على بعض المؤرخين الكسل والتقليد في تصورهم سقوط الأمويين وقيام العباسيين حداً فاصلا بين حياتين مختلفتين للأمة الإسلامية ، تبتدئ الثانية عند انتهاء الأولى ، ثم يتجليان في سائر الفصول وعلى الأخص في الشعوبية والاسترقاق والزندقة ، فليس وراء ما كتبه فيها مراغ لمستزيد

وصاحب ضحى الإسلام أديب بارع ، وعالم ضليع ، يظهر أدبه في الصور التي رسمها كصورة الرشيد . والتراجم التي وضعها كترجمة ابن المقفع ، وتلك الصورة وهذه الترجمة نموذجان عاليان لكاتب التاريخ ومؤرخ الأدب . ويتحقق علمه في كثرة المصادر التي رجع اليها ، ووفرة النتائج التي حصل عليها ، وعرضه للثقافات ، ولا سيما الهندية ، عرضا ينم عن اطلاع واسع واستقراء دقيق وصبر نادر ،

وكل ذلك والتواضع الأصيل في الطبع يأبى للمؤلف أن يصدق ما يقوله العلماء والمستشرقون من أنه مثال الباحث الجامعي الحق ، وكتابه نموذج البحث العلمي الصحيح

الزيات

ooooooooooooo

الرسالة والإعلان

تستطيع الرسالة أن تؤدي للتجارة خدمة جليلة بالإعلان فيها . فإن لها من سعة الانتشار في الأوساط العليا والوسطى في مصر والبلاد العربية ما يكفل لها التوفيق في هذه الخدمة .

جولة في ربوع أفريقية

لمحمد ثابت

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

ليس من السهل أن نجد في هذا القطر كله لمحمد ثابت ضريبا ولا شبيها في حبه للرحلات البعيدة ، وفي التضحية بوقت نفيس ومال أنفس ، في سبيل ارضاء هذه الرغبة السامية ، التي تدفعه في كل صيف إلى أطراف العالم . لكي يري بعينيه تلك الأقطار البعيدة التي طالما سمع عنها وتاقت نفسه لمشاهدتها . . وأي امرئ لا يملكه الاعجاب الشديد حين يرى محمد ثابت ينفق من ماله القليل الذي ادخره بكثير من حرمان النفس . ينفق عشرين جنيها كاملة من أجل رحلة بالسيارة من (كمبالا) على بحيرة فكتوريا الى (فورت بورتال) على سفح رونزوري — مسافة لا تزيد كثيرا على ما بين القاهرة والإسكندرية — لكي يمتع الطرف بالتأمل في تلك الجبال الشامخة ساعات قلائل . وقد اختفت قللها تحت غشاء كثيف من السحاب والضباب . ثم يعود أدراجه الى كمبالا لكي يستأنف سياحته الطويلة .

وفي المصريين كثير ممن ينزحون عن قطرنا صيفا . . . ولكن هؤلاء لهم شأن غير شأن صديقنا ثابت ، وقصة غير قصته . فهؤلاء قبلتهم إمافيشي أو كارلسباد يتداوون بمائها الشافي مما أنزلوه بأجسامهم من نتائج الافراط أو التفريط . أو قبلتهم باريس حيث يحيون حياتهم في القاهرة . يجلسون النهار كله وشطرا من الليل في مقاهي مدينة النور — وهم لا يرون من نورها شيئا — يقضون وقتهم قعودا كسالى يتحدثون وهم في ميدان الأوبرا بذلك الصوت المصري الجهوري فيسمعهم جميع من بالبوليفارد . يعلنون عن أنفسهم وما في أنفسهم شيء يستحق الاعلان . ومنهم من هو شر من هذا . . وأي شر ! ولكن مالي أكدر نفسي بالكلام عن هؤلاء وأنا أريد أن ينشرح صدري بالكلام عن محمد ثابت ؟

منذ ثلاثة أعوام جال محمد ثابت في ربوع أوربا ، فلم يزل ينتقل من قطر الى قطر حتى بلغ جزيرة أيسلنده وكان من الدائرة القطبية قاب قوسين أو أدنى . . . وفي الصيف التالي يمم شطر المشرق وجال في بلاد الهند والصين واليابان : وفي الصيف الماضي حملته السفينة باسم الله مجراها ومرساها الى شرق أفريقية وجنوبها . فاخترق خط الاستواء للمرة الأولى — إذ لا أظنه اجتازه في

جولته الآسيوية — ثم عاد الى مصر بطريق البر والنهر — نهر النيل — مجتازا بلاد كنيا وأوغنده والسودان المصرى .

***

وإنى ليحزننى أن اعجابى الذى لا حد له بالرحالة محمد ثابت لاينصرف الى الكتاب الذى بين يدى الآن (جولة فى ربوع افريقية) فان شخصية المؤلف لم تصف شخصية الرحالة . ولم تقم بالواجب نحوها .

فتحت (جولة فى ربوع افريقية) وأنا أتوقع أن أطالع كتابا يصف لى رحلة المؤلف وحركاته وسكناته بدقة . ويصور لى كل شىء رآه ، وما مر به من الحوادث . لكى أشعر أنى معه ألازمه فى رحلته أسافر كما يسافر وأرى ما يرى . وهذه هى اللذة الخاصة التى أجدها فى مطالعة كتب الرحلات . لكن محمد ثابت لم يفعل هذا بل أخرج لنا كتابا يتضمن بيانات — لا أنكر أن أكثرها نافع مفيد — عن جغرافية شرق افريقية ، وقد ضاع حديث الرحلة بين الفصول الجغرافية كما تضيع قطع الذهب وسط أكوام من التراب فكنت أجده لأقل المناسبات يترك موضوع الرحلة تماما ، ويأخذ فى كتابة فصل جغرافى فى شىء من الإسهاب ، ولكنه خارج عن موضوع الرحلة . ففى صفحة ٧٦ بيان طويل عن السكر وزراعته لافى افريقية وحدها بل وفى غيرها من الاقطار ، ويتكلم فى صفحة ٥٦ و٥٧ عن بلاد روديسيا والكنغو مع أنه لم يرها ولم يمر بهما ، ويكتب فصلا طويلا عن جبل كلمنجارو مع أنه رآه عن بعد مائة كيلو متر . وفصلا عن تاريخ اوغنده أو عن نقل السفن الى بحيرات فكتوريا منذ عشرات من السنين . وبيانا عن الكركدن ولم يره وفصلا طويلا عن الشلوك اقتبسه من دراسته الخاصة لا مما رآه فى رحلته

وهذه التفاصيل الخارجة عن الرحلة قد طغت على حديث الرحلة حتى لم يبق منه الا القليل . وإنى أريد أن أذكر لصديقنا الفاضل أن أمامنا كتبا كثيرة نستخلص منها تاريخ إفريقية وجوغرافيتها . ولكن الذى بنا إليه شغف شديد ، والذى يستطيع هو وحده أن يعطينا إياه ، هو كتاب عن رحلة محمد ثابت . ولهذا كان أمتع فصول الكتاب على الاطلاق هو ذلك الجزء الذى يصف لنا فيه كيف منع من دخول جنوب إفريقية ، وكيف جنت عليه مصريته فى تلك الأقطار النائية . هذا الفصل للقارىء هو بمثابة الجوهرة وسط الأحجار .

ويخيل الى أن محمد ثابت لم يكن يكتب مذكرات (يومية) أثناء رحلته . ولو فعل لكان لديه محصول وافر يغنيه عن تلك الفصول الجغرافية . وانك لتقرأ الكتاب فلا تستطيع أن تستبين منه تفاصيل حركات السائح . فقد دخل (نيروبى) ولكنه لايذكر لنا فى أى تاريخ نزل بها . وبات ليلة فى (ناكورو) فلا يخبرنا أين بات . ويمر بأوغنده ويقضى بها أياما ، ولكنك لاتعرف متى دخلها ومتى خرج منها . ولست أستطيع أن أعزو هذا الاغفال الا لشىء واحد هو أنه لم يكتب مذكرات يومية أثناء السياحة . ولهذا أرجو منه فى سياحته المقبلة ألا ينام ليلة قبل أن يدون مشاهدات يومه . وسيرى القراء الفرق بين الكتاب الجديد والقديم .

***

بقى أنى وجدت هفوات يسيرة أريد أن أنبه المؤلف الفاضل اليها وهى (ص ٦) أن لفظ Periplus عنوان كتاب لا اسم أحد المؤلفين ، وشيبا وسبأ كلمة واحـــدة (ص ٧) فيقال بالانكليزية ملكة شيبا وبالعربية ملكة سبأ وهى بعينها السيدة الفاضلة التى دخلت صرح سليمان وحسبته لجة . . ونهر النيل (ص ١٦٩) لم يعد أعظم نهر فى العالم ، لامن حيث الطول ولا من حيث مقدار مايجرى فيه من الماء . . ديطليموس الجغرافى (ص ١٦٩) لم يعش قبل الميلاد بل فى القرن الثانى بعد الميلاد وغابات ايثورى فى الناحية الغربية لجبال روترورى فلا يمكن أن ترى من حصن بورتال . والغورلا ياسيدى ثابت حيوان ليس له ذنب (ص١٩٧) فقد اضطر الى أن يستغنى عن هذه الزائدة استعدادا لان يكون انسانا مثلى ومثلك ومثل كواكب السينما ، وأخيرا لا أوافق المؤلف على أن قطن الجزيرة يزرع فى الشتاء ويحصد فى الربيع . . بل يزرع فى أواخر الصيف (ابتداء من اغسطس) ويحصد فى الشتاء ابتداء من يناير . (ص ٢٦٩)

وإنى لأرجو لصديقنا السائح الفاضل رحلة سعيدة فى الصيف الآتى وأن يتحفنا بعدها بكتاب عن تلك الرحلة وعن نفسه لاعن شىء آخر

الثقافة

مجلة شهرية جامعة

يصدرها بدمشق الأستاذ خليل بك مردم والدكاترة جميل صليبا وكاظم الداغستانى وكامل عياد

وغايتها نشر الثقافة العامة فى بلاد الشرق العربى وخدمة النهضة الفكرية فيها . وقد صدر العدد الأول منها فى أول ابريل حافلا بالموضوعات الممتعة والبحوث الطريفة فى الآداب والفنون والعلوم والأجتماع والتاريخ والفلسفة . ومن يعرف الأديب الكبير مردم بك وزملاءه الأفاضل لا يستغرب هذا المجهود المحمود . فنرجو للزميلة الجليلة التوفيق فى أداء رسالتها وتحقيق غايتها

المبـــارزة

بقية المنشور على صفحة (٣٦)

فبعثى برصاصته وهو يمزح ، ومنذ دقائق أخطأنى وهو يمزح أيضا . والآن جاء دورى لأضحك قليلا ! ، ثم استعد ولكن زوجتى جثت بين قدميـــه . . . عندئذ قلت لها ، انهضى ياعزيزتى! ألا تخجلين من نفسك ؟ : ثم وجهت حديثى اليه وقلت له هل تريد أن يغشى على هذه السيدة ؟ فتطلق رصاصتك! قل نعم او لا ! فأجاب : لن أطلق رصاصتى فقد تم غرضى ، ها أنت ذا ترتعد من الخوف وها هو ذا وجهك كوجوه الموتى . . وهذا كل ما أطمع فيه . . ولكن اذكر أنى أعطيتك فرصة ثانية وكنت أظن أنك لن تخطئنى ... لن تنسانى بعد الساعة . . سأتركك لضميرك يرى رأيه فيك !..

واتجه نحو البـاب . ثم التفت الى الصورة دون أن يبتعد وأطلق رصاصتـــه فوق رصاصتى تماما ! وهنا أغمى على زوجتى ولم يستطع الخدم الوقوف فى وجهه وقد كانت الأبواب تفتح أمامه فى سرعة حتى وصل الى عربته ومضى . . أما أنا فلم أعد الى نفسى الا بعد مدة طويلة »

الى هنا انتهى حديث الكونت . وهكذا سمعت هذه القصة الرائعة ولم أر بعد ذلك سيليفيو ولم أسمع عنه الا أنه قاد جماعة من الثوار فى الفتنة التى أشعلها « اسكندر ابسلانتى » وأنه قتل فيها عند ما كان العدو فى (سكوليانى) . . . ؟

عبد الحميد يونس

يوم عصيب

بقية المنشور على صفحة (٣٤)

حكايتنا بايجاز . فلم يكد يسمع طرفا منها حتى اعتدل فى كرسيه والقى الكتاب جانبا ، وأصغى الينا بانتباه . وما كدت انتهى حتى مد يده الينا مصافحا ثم غمرنا بلطفه وكرمه . أمر لنا بكرسيين من القماش فجلسنا . ثم أمر لنا بقدحين من الشاى وبعض البسكويت فشربنا واكلنا . وبعد ان شكرته على احسانه وجميل عواطفه قال ان واجبه يقضى عليه بعد ان سمع قصتنا ، وتحقق من صدقنا ان يخلى سبيلنا . ولكنه يرى أننا فى غاية التعب والضعف ، فهو يدعونا لنكون فى ضيافته حتى الصباح . فشكرته كثيرا على معروفه واعتذرت اليه ثم رجوت منه أن يأمر لنا بمرشـــد يقودنا الى محطة السكة الحديد . فقال ولماذا لا تمكثان هنا هذه الليلة ؟ فقلت ألا ترى يا سيدى اننا فى الساعة الثانية صباحا ولا بد أن أولادنا الآن فى قلق شديد على مصيرنا . وقبيح بنا أن نطيل عذابهم أكثر من ذلك . فاطرق قليلا ثم أنعم النظر فينا وقال : حسنا هيا بنا . فاركبنا سيارة أقلتنا الى محطة طره ، ثم ركبنا القطار الى باب اللوق ، ومنها قصـــدنا منزلنا شاكرين لله سبحانه فضل العناية والرعاية .

الدمرداش محمد

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثامن « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ محرم سنة ١٣٥٢ — أول مايو سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العدد

شروح وحواشى

عام ١٣٥٢ — أشرقت على الدنيا شمس المحرم فى اصفرار يشبه الكسوف أو انكسار يقارب المذلة! كأن صبحه الضاحى لم يغرق الكون بالنور، ويخرج العالم من الضلالة! وكأن يومه الأغر لم يغير وجه الزمان وينتصب علماً فى تاريخ الخليقة! وكأن الهجرة التى يشع هذا اليوم بذكراها لم تدفع الانسانية فى طريق الكمال آلافاً من المراحل وهى على بعيرين هزيلين يتنكبان الجواد ويمشيان على كلال ووجل! وكأن الفلك لم يدر به القرون الطوال على دين حرر العقول، وملك طبق الأرض، وحضارة مدنت العالم! ولكن ليت شعرى لم لا تنكسف شمس المحرم، وهى إنما تطلع اليوم على أطلال من المجد والملك والخلق لا تبعث فى العين غير الدموع، ولا فى النفس غير الكآبة؟!

لقد أصبحنا وما علاقة لذكرى الهجرة إلا مظهراً وضيع الشأن قاصر الدلالة: عطلة رسمية فى الحكومة، وحفلة كلامية فى جمعية الشبان! أما المظهر الشعبى الذى يغمر الشعور بالبهجة، ويعمر القلوب بالعزة، فكأن نفوسنا لم تتهيأ له بعد!

وفى العراق — وا أسفاه — يستقبلون المحرم بلدم الصدور بالأكف، وضرب الظهور بالسلاسل، وإقامة المناحات فى الشوارع والمنازل، فيضيع بذلك عيد المجد النبوى فى مأتم السبط الشهيد، وتأبى هذه المصادفة المشئومة على حكومة بغداد، أن تجعل يوم الهجرة عيداً من الأعياد! وفى سائر البلاد الاسلامية يمر هذا اليوم المسكين فلا يعلنه تقويم ولا يحفله أحد!

رحماك اللهم! أين الشرق من الغرب! وأين المحرم من يناير؟!

نهضة العراق — كثر اليوم حديث صحف المحلية عن العراق ونهضة العراق، وفي ذلك رضا للعاطفة التي أحملها لهذه البلاد الكريمة يدفعني الى إعلان هذا الفوز. فوزارة المعارف تريد على مارونت إحدى الصحف أن تستعين بما وضعته معارف العراق من الأناشيد، في تقرير هذا النظام الجديد. وتنشر الصحف أن لجنة ألفت في وزارة المعارف العراقية (لتغيير) الأناشيد المدرسية! فتقدم اليها على الفور جمعية الرابطة الأدبية في بغداد بثلاثين نشيداً منها: تحية العلم، الحرية، تربية الطفل، المطر، تدبير المنزل، تحية الملك. نشيد النهضة، نشيد الوحدة. نشيد الحماسة، نشيد الفتاة، النشيد الوطني، الرياضة، الكشافة: العلم والعرفان: ويقرأ هذا الخبر شعراؤنا الفحول فيسألون الله السلامة، ويتضاءل في نفوسهم الرفيعة معنى الزعامة! وتضرى الخصومة السياسية عندنا فتمزق العلائق والاعراض فيضرب الكتاب المثل الاعلى بالخصومة النبيلة التي تقع بين ساسة العراق فلا تتعدى أندية الاحزاب ولا دواوين الحكم. وتحس الصحافة المصرية حز القيود فتغبط الصحافة العراقية بحريتها الجديدة، وتشكر لحكومتها السعي في تقرير نقابتها العتيدة.

والحق ان في الشعب العراقي أفضل ما في الشعوب الناهضة من حيوية وطموح ومرونة ورجولة، فاذا أضفت الى هذه الخلال أنه جذ من ورائه تقاليد النظام القديم، وان معاهدته الجديدة قد قلمت من الاستشارة الاجنبية المعرقلة، وان حكومته بسيطة الآلة ضيقة الدائرة، حتى لتسنح الفكرة للمدير العام (وكيل الوزارة) في مجلس من المجالس أو تقترح عليه فتصبح قانونا أو لائحة، أدركت سر القوة الحافزة في نهضة العراق. أما الحكومة الملتوية المعقدة ذات الزوايا والخبايا فان المقترح أو المشروع يضل فيها بين توزع المسئولية وتقسم الرأي، فيخرج من مكتب الى مكتب حتى يدركه الموت من الاعياء فيقبر في درج أو سلة!!

الادب المصري الحديث ادب ثرثرة — هكذا قالت (العاصفة) في بيروت، ثم تفضلت على الصديق ده فنصبته زعيما على هذا الأدب! وقالت: «ان الأدب الحديث الناشئ في مصر أدب لا يزال بحاجة الى صقل وتهذيب فهو أشبه بالحجارة غير المنحوتة» ثم قالت في موضع آخر «وأصدق قول ينطبق على القسم الأعظم من هذا الأدب الذي يتحفنا به أدباء مصر انه أدب ثرثار فان رجاله حائرون بين الابتكار والتقليد فيشوقهم أن يكونوا من المبتكرين وأن يسيروا في التيار الغربي فاذا القديم يغلب عليهم...» ومقال العاصفة عن (ثرثرته) اندفاعة نفس شابة لا تزن الكلام ولا تبالي التبعة، وهي لا تملك ولله الحمد ميزان القضاء ولا أهلية الحكم. فالدفاع أمامها دفع بعدم الاختصاص. على أن من الخير لنا أن نقف قليلا عند قولها: «ولم تشعر مصر بروح الأدب العالي تجول فيها إلا يوم ارتادها أدباء لبنان وسورية ... فالادب الذي حمله الى مصر تقلا ونمر وصروف وإسحق واليازجي وحداد وزيدان والرافعي والمطران وسواهم هو الأساس في نهضة مصر الادبية الحديثة ولولاه لم يكن حافظ ولا شوقي ولا العقاد ولا المازني ولا طه حسين ولا ولا الخ. نعم نقف قليلا عند هذه الجملة الطائشة لنقول للكاتب وأمثاله: ان الزمان لم يدع في أيديكم وأيدينا من المجد المشترك إلا هذه اللغة وهذا الادب، فلم تأبون إلا أن تقسموهما على البلدان وتوهنوا أسبابهما بهذا الهذيان؟ تلك نعرة بدوية ونغمة مملولة. والعاصفة التي أثارت هذا الموضوع الجاهلي تتشدق بالتجديد! فهل علمت ما يشبه ذلك بين الادباء في فرنسا وسويسرا وبلجيكا، أو بين الادباء في انجلترا وأمريكا؟ وماذا يضيرها إن تركتنا متآخين متحابين على هذا المنهل الباقي ننعم جميعاً بريه ومائه، ونحرص جميعاً على فيضه وصفائه؟؟

شاعر وشاعر:

هو الحظ عير البيد ضاف بأنفه خزامى وأنف العود بالذل يخذم!

في اليوم الذي تحتفل فيه لبنان بذكرى (لامرتين) في الشرق تجيء أخبار الموصل بأن بلديتها هدمت قبر أبي تمام! فأما تكريم لبنان لذكرى الشاعر الفرنسي فلم يخرج عن سنن العرب في تمجيد الادب وأهله، والاعتراف باحسان المحسن وفضله. وأما تكريم الموصل للشاعر العربي بهدم ضريحه وطمس أثره فذلك ما لم نفهمه لا من طبيعة الشيء ولا من سياق التاريخ ولا من احتجاج العرب ولا من روح العراق. فهل يكون السبب ان مدينة (الخالديين) عدنانية وأبا تمام من قحطان، أم السبب انها عراقية والطائي من قرى غسان؟!

قرية الادباء — من أنباء موسكو ان الحكومة الروسية قررت بناء قرية للادباء بالقرب من لينغراد ورصدت لها من مالها ما يساوي مائة ألف جنيه ذهبا وستحظر على غير الادباء دخولها إلا باذن رسمي.

من غـــــــير عنوان

للاستاذ احمد امين

أكلت أكلة ساء هضمها — فانقبضت نفسي ؛ وغاضت بشاشتي ؛ وتقطب ما بين عيني ؛ وسئمت كل شيء حولي ؛ وبرمت بمخالطة الناس كما برمت بالعزلة عنهم؛ وكرهت السكوت كما كرهت الكلام.

ونظرت الى العالم فتجهمته ، رأيته ثقيل الروح ، فاسد المنطق : يمج السمع نغماته ، ويعاف الطبع منظره ، وتأخذ بخناق ألاعيبه وأحداثه .

أي شيء فيه يسر ؟ ان هو إلا جيفة تنبحها الكلاب ؛ وميتة يتساقط عليها الذباب. عدو كل ألفة ، ومصدع كل شمل ؛ يبلى الجديد ولا يجد البالى . ليست لذته إلا ألما ممضا ؛ ولا مسرته إلا حزنا مبهرجا!

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء

ما جال من آفته بقاؤه نغص عيشي كله فناؤه

أليس عجيبا ألا تكون لذة حتى يجدها آلام؛ ولا راحة حتى يكتنفها عناءان ؟!

سعيد وشقي ؛ وفقير وغني ؛ وذكي وغبي ؛ ليست إلا ألفاظا اصطلح عليها: فان أنت تأملتها لم تجد كبير فرق بين مدلولاتها:

ما الظافرون بعزها ويسارها إلا قريبو الحال من خيابها

أكبر الناس قيمة: الاشياء وأضاعها: الموت وتفاوت في الجاه والثراء وسوى بينهم القبر!

ومن ضمه جدث لم يبل على ما أفاد ولا ما اقتنى

يصير ترابا سواء عليـــــه مس الحرير وطعن القنا!

ليست الدنيا إلا قطرة من شهد في بحار من علقم ؛ وذرة من سعادة في جبال من شقاء يلج الدهر ببؤسه وعنته حتى اذا ما تيأست النفوس وبلغت الروح التراقي سخا بقبس من نعيم ثم اطفأه برياح عاتية من عذاب !

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها

وكل حي فوقها ظالم وما بها أظلم من ناسها

نظام كله فوضى! وحياة كلها فساد. رذيلة تسعد وفضيلة تشقى! والناس شتى فيعطى المقت صادقهم

عن الامور ويحبى الكاذب الملق

بحار تشكو الري، وصحراء تشكو الظمأ؛ وماء ولا شارب. وشارب ولا ماء!

تباركت! أنهار البلاد غزيرة بعذب وخصت بالملوحة زمزم

غنى عقيم ؛ وفقير عائل :

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولاملامه!

أعمى وأعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمامه!

عيش كله هذيان ؛ أعاليل بأباطيل؛ والدنيا تلعب بنا لعب الكرة !

ترينا الدجى في هيئة النور خدعة وتطعمنا صابا فنحسبه شهدا

كذب المؤرخون فسموا زمنا سلما وزمنا حربا؛ وما السلم الا حرب صامتة شر من الحرب الناطقة ! كل شيء في العالم مفترس ، أسد يفترس ذئبا؛ وذئب يفترس حملا؛ وانسان يفترس كل شيء حتى نفسه !

قوم سوء فالشبل منهم يغول الليث والليث راح أكل شبله!

كان العالم عالم سوء فنوب الانسان شروره

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

عالم كله أحاجي وألغاز؛ وعقل قاصر عنيد ؛ منذ خلقه الله يحاول أن يفهم ، يحوم حول العالم يريد أن يعرف غرض منه فلا هو يصل ولا هو يعدل

تفارق العيش لم نظفر بمعرفة أي المعاني بأهل الارض مقصود؟

الله صورني ولست بعالم لم ذاك ، سبحان القدير الواحد!

حياة حار فيها الحكيم وضل فيها الفيلسوف؛ مبادىء تتضارب ؛ وصور تتنازع ، وكلام مزخرف . ظاهره جميل وباطنه مزيف وكلما ظنوا أن قد حلوا مشكلة نجمت مشاكل — وقد قضى الفلاسفة حياتهم في الجوهر والعرض والكمية والكيفية وأيس وليس؛ ثم عادوا آخر المطاف يعترفون بالفشل ويقرون بالعجز ويقولون مع القائل :

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

خاص.. وغايتها من ذلك بالطبع استخدام الادب في تأييد الحكم السوفيتي ونشر المذهب الشيوعي . والذي يعنينا من هذا الخبر انه تنفيذ سخي لقلم الشعراء الذي يقترحه على وزارة المعارف صديقنا الهراوي ؛ وتحقيق لفكرة (المدينة الفاضلة) التي خططها في الخيال أستاذنا الفارابي !!

١٩ - ١٠ احمد حسن الزيات

زاد تلبك معدتى، فزادت من الحياة نقمتى !

فيا موت زر ان الحياة ذميمة   ويا نفس جدى ان دهرك هازل

***

تناولت دواء هاضما فأخذت أهش للحياة وأبش ؛ وبدأت أنظر الى العالم بوجه منطلق، ومحيا منبسط — ها هو ذا قد تألقت صفحته ؛ وأسفرت غرته ، وانقشعت غمامته .

الحق ان العالم جميل ، فهذا نسيم يعطر الجو بعرفه ؛ ويحيي النفوس برقته ولطفه ؛ وهذا الربيع نزهة العين ، ومنطق الطير . وهذه الحديقة عقد منظوم ؛ ووشى مرقوم .

اصبحت الدنيا تروق من نظر   بمنظر فيه جلاء للبصر

والأرض فى روض كأفواف الحبر   تبرجت بعد حياء وخفر

كل شيء حولى يضحك ! ليس فى الامكان أبدع مما كان .

قلبى وثاب الى ذا وذا   ليس يرى شيئاً فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغى   ويرحم القبح فيهواه !

ان الحياة غنية باللذائذ ؛ وليست الآلام فيها الا توابل تهيء لاستمراء اللذة .

والشوك فى شجرات الورد محتمل

ما الدنيا الا قيثارة يوقع عليها أشجى الالحان ! أو مائدة شهية صففت عليها صنوف الألوان !

وقد تجمد الشمس الصباح بضوئها

تفاوتت الأنوار والكل رائق

ان كان فى الدنيا سخف وهذيان، فكن الفيلسوف الضاحك، ولا تكن الفيلسوف الباكى !

وان كانت الدنيا ألغازاً وأحاجى ، فكم نجح العقل فى حلها واستجلاء غامضها . وكل يوم تتسع دائرة المعلوم ، وتضيق دائرة المجهول . والعقل يلذه البحث ولو لم يصل ، ويشعر بالغبطة ولو لم ينل ، وفى نجاحه فيما أدرك، عدة له فيما لم يدرك .

***

رحماك اللهم ! إن كان درهم من دواء هاضم يغير وجه العالم ويحيل السواد بياضاً ؛ والشقاء سعادة ؛ والقبح جمالا ، والظلام نوراً ، والحزن سروراً ؛ فأين الحق !

التجديد فى الادب

« حول مقال الأستاذ احمد أمين »

للدكتور عبد الوهاب عزام

قرأت فى « الرسالة » مقالا للاستاذ الفاضل احمد امين عنوانه « التجديد فى الأدب » فرأيت آراء بينة استحسنتها ، وألفيت رأيا آخر لم أقبله : وقد هممت أن اكتب مجادلا الاستاذ ثم بدا لى أن أرجىء الكتابة حتى يتم مقالاته؛ فلما قرأت المقال الثانى زاد الخلاف بينى وبينه . ثم عرفت أنه سيتلبث قليلا فلا يكتب عن هذا الموضوع فى العدد الآتى؛ فسارعت الى الكتابة وأنا اشعر أن الذى يحبب الى مجادلة الأستاذ حبي واعظامى وتلبسى محادثته كلما وجدت اليها سبيلا فى المجالس أو فى صفحات المجلات .

قابلت الاستاذ بعد أن قرأت المقال الأول فقلت : سأنقد مقالك أو أشرحه . فقال مازحا : قبل أن تقرأه ؟ قلت نعم . ذلك أنى أنشأت أنا وصديقى الأستاذ العبادى فى بعض الأسفار أبياتا وسميناها «القصيدة المكتمة »وكتمناها الاستاذ فقال: لا أبالى هذا الكتمان ، وسأشرحها دون أن أراها . وأذكر أنى قابلته مرة فقلت : «سؤال» فقال قبل أن يستمع الى سؤالى: «جواب» أريد أن أجيب قبل السؤال أو بعده ؟ ولكن ليطمئن أستاذنا وليعلم أنى قرأت مقاله قبل أن أكتب عنه ، وهو أمامى الآن أقرؤه وأكتب ما يبدو لى فيه .

أعجبنى قول الاستاذ عن المجددين : « فاذا سألت المجددين ماذا يريدون بالتجديد ، وما ضروبه وما مناحيه، وماذا يقترحون أن يدخلوه على الأدب العربى؟ جمجموا فى القول وأتوا بكلمات غير محدودة المعنى ولا واضحة الدلالة » وأنا أزيد على هذا أن التغيير ليس فضيلة يبتغى الحرص عليها والتنافس فيها والتفاخر بها ؛ وانما يستحسن التغيير أو التجديد حين تدعو الحاجة اليه . والكاتب النابغ اذا أحس الحاجة الى التجديد بدل وغير وابتدع فى غير صخب ولا سخرية ولا مباهاة، ثم عرض على الناس نتاج رأيه ، وثمرة ابتكاره فيرضونها ، أو يجادلون فى أمر وضحت معالمه واستبانت حدوده . الكاتب المجدد حقاً هو الذى يمضى فى سبيله قدما، مبيناً عن آرائه ومشاعره على الأسلوب الذى يقى بهذا البيان . والخطة التى يؤثرها ويفضلها لا يتكلف الاغراب والشذوذ ليقال انه مجدد . والشاعر

المطبوع هو الذى يسير على فطرته مخلصاً لنفسه مبيناً عنها لا يبالى أن يكون قد لزم الجادة المطروقة أو حاد عنها، ثم يعرض على الناس شعره فيما اختار من موضوع وأسلوب فى الوزن والقافية. فاذا ثار الناس عليه جادل عن نفسه وأوضح حجته. والأدب فيما أحسب يؤثر فيه الاستطراف؛ فقد يغير الشاعر أسلوبا طال عليه العهد ومله الناس. وقد يرجع الناس الى الاسلوب المهجور بعد حين فيستطرفونه. فالتغيير فى الادب واسع المجال ولكن ينبغى أن تحس الحاجة اليه وتستبين سبله ..

الأدب العربى تقلب فى أطوار مختلفة، وابتدعت فيه بدع كثيرة. ولكن لم نسمع ان المبتدعين مهدوا لابتداعهم بمعركة كلامية فى القديم والجديد، نظم ابن المعتز موشحه؛ وافتن المغاربة فى الموشحات افتنانا خرج بها عن الاوزان والقوافى المألوفة؛ ومضى الناس على هذا ولم يمهد لهذا الابتداع بثرثرة فى التجديد؛ ولم يكن للمجددين من حجة الا أن ألقوا الى الناس موشحاتهم تحتج لنفسها. وكذلك نظمت قصص كليلة ودمنة وغيرها فى القافية المزدوجة، ولم يكن هذا معروفا من قبل؛ وكتب بديع الزمان الهمذانى مقاماته وهى طريقة جديدة؛ وما عرفنا أن تقدم هذا وذاك جدال أجوف ذو دوى كالذى نسمعه فى هذا العهد. والمتنبي ذهب فى الشعر المذهب الذى ارتضاه ثم قال:

أنام ملء جفونى عن شواردها

ويسهر القوم جراها ويختصم

المعرى ملأ شعره بالفلسفة وأمور لم يألفها الشعر من قبل وكتب رسالة الغفران على غير مثال فادعا الى طريقته ولا جادل فيها أحداً

وما أحسب لامرتين الشاعر الفرنسى حين نشر «التأملات» (١) قد أجهد نفسه فى الدفاع عن نفسه، والهجوم على مخالفيه. هذه هى الطريقة المثلى التى تجنبنا المعارك الضالة والكلام المتهاتر، والحجج المبهمة؛ حين يدور الجدل على أمر مشهود يبن بعد الكلام. ويقصر النزاع، ثم يكون المثال الجديد حجة لنفسه تسد السبل على المعاندين والمغالطين. هذه هى الطريقة المثلى. وأما الجعجعة بغير طحن، أو الجعجعة فى طحن الكلام؛ وإثارة الخصام فجناية على القارئين، ومضلة للباحثين.

انما يكثر تحدث الانسان عن صحته حين يعتل؛ وأما الصحيح القوى فهو عامل جاهد، ماض فى سبيله لا يقيس كل خطوة بنصح الأطباء؛ ولا يزن كل أكلة بما أعطى من الدواء.. وكذلك أعجز الناس عن الابتكار والاتقان أكثرهم ضوضاء وصخبا وسخرية وافتراء وادعاء

---

(١) Les Midjtations

أعود الى مقال الأستاذ احمد امين، بعد أن ند القلم فى الكلام عن التجديد والمجددين، وأترك للاستاذ المقدمة التى ذكر فيها «العناصر الثابتة» فى الأدب و«العناصر المتغيرة» وأتصدى لكلامه فى تجديد الألفاظ. هو يرى أن التجديد فيها على ضربين: الأول «اختيار الالفاظ التى تناسب العصر، ويرضاها ذوق الجيل الحاضر» وضرب الاستاذ مثلا كلمة هبيخ وبعاق وكنهور. وأنا لا أريد أن أناقش الاستاذ فى الامثلة فقد قرأنا فى كتبنا القديمة أن «المناقشة فى المثال ليست من دأب المحصلين» ولكنى أخالفه فيما سماه ذوق العصر وأعرض نفسى لحكمه حين يقول: «وهذا بديهى لا يحتاج الى إطالة.. وكل من جهل هذه الحقيقة لا يفلح أن يكون أديباً». أخالفه فى أن يجعل الذوق حكما ولا سيما ذوق الجيل الحاضر على قصوره فى اللغة والادب.. وأخشى أن يقتصر هذا الذوق على ما ألف من الكلمات فيعد كل كلمة غير مألوفة نابية عن الذوق ثقيلة على السمع، فاذا أراد كاتب أن يدل على الهواء بين السماء والارض فقال «السكاك» أو «السمهى» ضحك منه أهل الذوق. وإذا أراد ان يدل على الهواء بين جبلين فقال «النفنف» سخروا منه، واذا قال صفقت الباب وأجفته بمعنى أحكمت اغلاقه أو تركت فيه فرجة «رجلته» اشمأز الذين لم يسمعوا بهذه الكلمات، على أن البيان فى حاجة اليها. ان الذوق يسقم ويصح. والاديب النابغة يستملى فطرته فيلائم الذوق العام أو يسيره حيث يشاء. ولا يقف نفسه أسيرا تتصرف به الاذواق.

ان أمر الألفاظ أجل وأخطر من أن يحكم فيه الذوق وحده. ان الحاجة خلاقة الالفاظ ومبقيتها؛ والحاجة لا تبالى بالاذواق. فعلى كل أمة وكل جيل أن يأخذ من لغته الالفاظ التى يحتاج اليها ويخلق الالفاظ التى لا يجدها؛ غير مبال بالغرابة أو الثقل الذى يبدو أول الامر، فان الاستعمال جدير باستئناس الكلمة والملاءمة بينها وبين أذواق الناس. وكم من كلمة أجنبية ثقيلة استعملها الناس فألفوها، ولم يجادلوا فيها. فبعض كتابنا يقول البروباجندا والديمقراطية والارستقراطية والميتافيزيقية على بعدها عن طبيعة لغتنا وأوزانها؛ أنا أعرف أن القدماء من أدبائنا غلوا فى الظرف وأخذوا على المتنبي وغيره كلمات سموها نابية أو حوشية. وقد تجلى هذا الظرف فى كتاب المثل السائر وغيره ولكن هذه الرقة لا يقام لها وزن عند الحاجة الملحة. بعض ألفاظ اللغة محاكاة الأصوات، وبعضها فيما أظن، تخيل المعانى فى الأصوات: حاكت اللغة صوت الريح والرعد والطير وأنواع الحيوان ونحوها ومثلت المعانى الاخرى

فى ألفاظ تلائمها. فليس لنا أن ننفر من الالفاظ الشديدة ونتجنبها إن أردنا أن ندل على المعانى الشديدة. فالعقنقل والحقف والكثيب والجلمود وأشباهها ملاءمة لمعانيها؛ ولا بد من استعمالها لندل على هذه المعانى. ولكن الذوق الحاضر يؤثر الألفاظ اللينة الخفيفة الجرس المألوفة، ويترك مثل هذه الألفاظ على شدة الحاجة اليها. ينبغى أن تؤثر الالفاظ القوية الشديدة لمعانيها، والالفاظ الخفيفة لمعانيها، دون إنصات الى حكم الأذواق، بل ينبغى أن يعمل الأديب لاحياء الالفاظ الطبيعية الشديدة كلما نزعت بالأمة رخاوة الحضارة الى نسيانها، وينبغي أن تعالج اللغات بالألفاظ القوية التى تبدو ثقيلة غير مألوفة، كما يعالج ترف الحضارة بضروب السياحات والرياضات الشاقة. والاستعمال جدير بتذليل كل صعب، واستئناس كل وحشى. يجب أن يحكم موضوع الكلام لا ذوق المترفين. فالشاعر فى القاهرة أو باريس إذا وصف الجبال أو الحروب، وهى بعيدة من إلفه، ساغ له أن يأتى بالألفاظ التى تثير الروعة والهيبة. ان اللغات العامية فى البلاد العربية نتيجة الأذواق المختلفة، ولغة الأدب الموحدة فى هذه البلاد نتيجة مقاومة هذه الأذواق بالتعليم، ورفعها الى مستوى أرفع وأقوم.

أضرب للاستاذ الفاضل مثلا قول مسلم بن الوليد فى وصف الصحراء

ومجهل كاطراد السيف محتجز
عن الأدلاء مسجور الصياخيد

تمشى الرياح به حسرى مولهة
حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد

ما رأيه فى «مسجور الصياخيد» و«أكناف الجلاميد»؟ أهى ملائمة لذوق الجيل الحاضر؟ وهل يرى غيرها أجدر بمكانها فى هذا الشعر؟ انها لاريب حسنة فى موقعها، بالغة ما أريد بها من وصف الصحراء حين تشتعل فيها الهواجر. فان كان علم الجيل الحاضر باللغة ينفر به عن أمثال هذه الكلمة فليس على الكاتب أن يتحرز عنها، ولكن على الناس أن يألفوها. ثم ماذا يرى الاستاذ فى قول ابن هانئ الأندلسى:

فخيامهم من كل مهجة خالع
وخيامهم من كل لبدة قسور

من كل أهرت كالح ذى لبدة
او كل أبيض واضح ذى مغفر

طردوا الأوابد فى الفدافد طردهم
للأعوجية فى مجال العثير

ماذا يرى إن كان جهل جيلنا الحاضر باللغة ينفر بذوقه من قسور وأهرت والأوابد والفدافد والاعوجية. وهل ينبغى أن يهجر قول الشريف الرضي:

من القوم حلوا بالربى وأمدهم
قديم المساعى والعلاء القدامس

تحلهم دار العدو شفارهم
وترعيهم الأرض القنى المداعس

بهاليل أزوال، بكل قبيلة
ملاذع من نيرانهم ومقابس

أو ينبغى أن يهجر ذوق الجيل الحاضر إن نفر من مثل هذا الشعر؟

أرى أن حاجة الكتاب الى الابانة والاعراب والابداع تسوغ لهم أن يتخيروا من اللغة ما يشاءون، ويطبعوا ذوق الأمة كما يبتغون، وأرى أن الذوق ربما يكون وليد الجهل وفساد الطبع، والاستكانة الى كل هين يسير، والركون الى كل سفساف مبتذل.

للذوق الحكم حين يتسع العلم باللغة والادب، وتعرض ألفاظ عدة لمعنى واحد فيختار الذوق واحداً منها. وللاختيار أسباب كثيرة، فقد يختار «هبيخ ويعاق وكنهور» وقد يختار غيرها. وانما الفظاظة والثقل أن يعمد الكاتب الى كلمات غير مألوفة فيؤثرها على المألوف إغراباً وتعمقا وشذوذا ومخالفة للذوق دون جدوى.

ثم يقول الاستاذ: «لذلك أصبحت فى معاجم لغتنا ألفاظ كثيرة ليس لها قيمة إلا أنها أثرية تحفظ فيها كما تحفظ التحف فى دار الآثار» وأنا أقول بعد الذى قدمت: ما أشد حاجتنا الى كثير من هذه الالفاظ المهجورة، فانها مجدية على من يعرفها ويستعملها. وعسى أن تصير ملائمة لذوق الجيل الحاضر حين يعرفها فيقضى بها حاجته من الابانة عما يريد.

ربما يقول الاستاذ بعد قراءة هذه الكلمة. ان الذوق فى رأيى هو الذوق الذى تخلقه الحاجة والمعرفة والتمكن من اللغة والادب، وبلوغ الغاية مما نريد لا الذوق الذى يكون على العلات فى كل حين. فان يكن هذا الذى أراده أستاذنا فقد شرحته وبينته وبررت بوعدى حين لقيته فقلت: «سأنقد مقالك أو أشرحه. وأما مقال الاستاذ الثانى وهو أجدر بالمجادلة فموعدنا بنقده «الرسالة الآتية»

روح الإســـــلام

للدكتور محمد عوض محمد

منذ سنوات كنت أطلب العلم فى جامعة لفربول . . .

وفى ذلك الزمن كنت قد عاهدت نفسى وعصبة من الرفقاء، منذ نزلنا بلاد الانكليز على ألا نألو جهداً فى افهام القوم أمر بلادنا ، واطلاعهم على مالنا من تاريخ مجيد وثقافة جليلة . فكنا نرحب بكل من جاء يستطلع منا خبرا : أو يستفتينا فى أمر يمت الى الشرق بسبب .

وفى يوم من أيام الشتاء، بعد انصرافى من إحدى المحاضرات، ابتدرتنى طالبة من الطالبات بالسؤال الآتى : هل تستطيع أن تخبرنى فى كلة واحدة أو فى كلمات قلائل ماروح الاسلام ؟

أدهشنى السؤال لأول وهلة ؛ ونظرت الى السائلة نظرة الحائر المتسفسر . فأدركت أن فى السؤال شيئا من الغموض.

فقالت . « إننا – مثلا – نرى أن روح المسيحية يتمثل فى لفظ واحد وهو الحب . فهذا هو لب لباب ديننا ، والاساس الذى شيدت عليه صروح المسيحية كلها . فما من عقيدة ولا شعائر ولا تعاليم . الا والحب محورها الذى تدور حوله . ولا تكترث لما قد تراه مخالفا لذلك فاهو من المسيحية فى شىء . »

فقلت : « إنك اذن تريدين منى كلة واحدة أو كلمات قلائل : تكون من الاسلام بمثابة كلة الحب من المسيحية ؟ »

فقالت : « أجل فقد يكون روح الاسلام مثلا العدل أو القوة . . »

فأطرقت قليلا : وأنا أمعن فى التفكير ، لعلى أهتدى الى جواب ترضاه وأرضاه . وخطر لى أن أشرح لها أن للاسلام اركانا خمسة . . لكنى ذكرت أن فى المسيحية ايضا صلاة وصياما وخشيت أن تقول لى إن هذا من الدين بمثابة الجسم وأنها تبحث عن الروح .

قلت لها فى صراحة : « إنى ماخطر لى يوما أن ابحث عن كلة واحدة تؤدى كل ذلك المعنى الجليل الخطير . . وأنتم معشر الانكليز قوم تحبون تبسيط كل مسألة . . ومع هذا أمهلينى أتدبر الأمر؛ أو أسأل أهل الذكر . فلا خير فى جواب عاجل لاينطوى على الصواب . »

***

فى مساء ذلك اليوم جلست فى حجرتى مطرقا ، مسندا رأسى بين يدى ، محدقا فى مصطلى تشتعل فيه النار . كأنما كنت ألتمس الالهام من لهيبها المندلع وقبسها المضطرم . وأطفأت المصابيح كى لايلهينى عن التفكير مابالحجرة من أثاث أو صور . . .

لم أكن – علم الله – من الملمين بعلوم الدين . وكنت أحس من نفسى عجزا وقصورا ، عن معالجة تلك المسألة . ولكنى رغم هذا رأيت أن احاول معالجتها ما أستطعت الى ذلك سبيلا . . وجعلت أجهد فكرى أيما اجهاد . وخيل لى أنى أرى أمامى سبلا كثيرة . فجعلت أسلك كلا منها ، ولا أزال أتبعه الى نهايته . ثم أعود فأسلك طريقا آخر فأجتازه الى غايته : وكانت كل خطوة تدفعنى إلى خطوة أخرى حتى أبلغ نهاية المرحلة . . . .

وهكذا سلكت فى تفكيرى ومحنى طرقا شتى . وعجبت إذ ألفيتنى أصل فى كل مرة إلى غاية واحدة ؛ ويسلمنى البحث الى شىء واحد . . فقد كان ينتهى بى التفكير دائما الى التوحيد » . . .

لعل روح الاسلام إذن هو التوحيد . . وهل أرانى بلغت الغاية حين رست بى سفينة الفكر على ذلك الساحل الأمين ؟

أليس التوحيد أن يقصد الناس بجسدهم وبروحهم وجه الاله، ولا ينصرفوا عنه الى سواه ؟ والا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ؟ . . وأن نرتفع بأنفسنا عن عبادة تلك الأوثان البشرية وعبادتها ذل واثم ، وهى تمثال ما بالعالم من شر ورجس ؟ أليس التوحيد هو الذى يرتفع بنا عن عبادة المال والتكالب على جمعه . . وعبادة الشهوات التى تسترقنا وتذلنا . . أليس التوحيد اذن هو الذى يعلو بأنفسنا عن كل دنىء مهين، ويرقى بنا الى سماء كلها طهر وصفاء ؟

فيم التردد إذن ؟ أن روح الاسلام هو التوحيد .

***

جالت بنفسى هذه الخواطر ، وجعلت أرددها فى صدرى مراراً فلا تزداد الا ثباتا ورسوخا . وخيل إلى انى اهتديت إلى اجابة صريحة — لا لبس فيها ولا ابهام — على السؤال الذى سئلته صباح ذلك اليوم .

وكنت أخشى الا التقى بصاحبة السؤال إلا بعد أيام ؛ فأردت أن ارسل اليها الجواب فى طى كتاب

فتناولت قلما وورقا ، واوقدت المصابيح ؛ وجعلت أسطر ما جال بخاطرى ؛ فى شىء من الاسهاب والتفصيل ، كى لا يبقى فى صدر القارئة ذرة من الشك فى صحة ما استقر عليه رأيى .

وأعدت تلاوة الكتاب مراراً ، وأظنني نفثت إليه ما يؤدي كل ما جال بنفسي أحسن الإداء ، وكنت بهذا فرحا طروبا ، ثم طويت الكتاب ، ونهضت لأحمله الى دار البريد .

في تلك الساعة كان المطر ينهمل مدرارا ، فجلست الى جانب النافذة انتظر عله يكف أو يسكن قليلا .. وجعلت أنظر الى خارج الدار ، أتأمل الغيث اذ يتساقط على أحجار الشارع الملساء ، والضباب الخفيف وقد انتشر في سائر الارجاء ، والمصابيح وهي تبدو ضئيلة فاترة خلال الضباب والغيث ، وكأنها أشباح اليقين وسط دياجير الشك .

لم يطل تأملي لذلك المنظر حتى عاد في الخاطر الى موضوع الكتاب الذي بيدي .. وانتقل بي التفكير من الاسلام الى البلاد التي تدين بالاسلام . وجعلت أنظر بعين الوهم الى تلك الأفكار ، التي يفصل بيني وبينها آلاف الأميال . وأخذت تتراءى أمامي صورتها شيئا فشيئا . . .

ليت شعري ماذا في بلاد الاسلام من روح الاسلام ؟ وماذا في بلاد التوحيد من التوحيد ؟

غشيني شيء من الذهول . ورسم الوهم أمام عيني صورة مروعة مفظعة هائلة لتلك الأقطار القاصية . .

رأيت البلاد قد حلق فوقها عقاب البغي ، باسطاً عليها جناحيه ، ومنشباً فيها أظفاره ، وقد خضعت لسلطانه الرقاب ، وغشيت الخشية الوجوه ، وهلعت الأفئدة ، وذلت الاعناق ، ورغمت الأنوف !

وانطلقت الأفواه تسبح بحمده ، وتمجده ، وهو لا يزداد الا بغياً وعتواً ، والاعناق لا تزداد الا خشوعا وذلا .

***

وتبدلت الرؤيا بعد ذلك ، فأبصرت هيكلا عظيم البناء ، لا يبلغ الطرف مداه . ورأيت الناس منطلقين الى ابوابه الكبيرة ، ليقيموا الشعائر . زمر تسعى إثر زمر . جموع تتجاذب وتتدافع ، ويموج بعضها في بعض ؟ .. ولا تكاد الأبواب تحتويهم على سعتها ...

ثم انكشف الغطاء وأبصرت ما داخل الهيكل .. فاذا أوثان هائلة ، قد نصبت في أرجاء الهيكل ، ومن دون كل صنم مذبح عظيم تقدم اليه القرابين ، ويحرق عنده البخور . والناس من حولها بين قائم وقاعد وركع وساجد . .

نظرت ذات اليمين فاذا صنم جبار أصفر اللون ، براق لامع ، ما شككت في أنه (مامون) إله النضار . إن لم تنم عنه صورته فقد نم عنه رواده وقصاده .

جنود مجندة وكتائب محتشدة ، قد أقبلت على عبادته بأيد ممدودة ، ووجوه تفيض شرها وجشعا .

وقد حمل كل عابد قربانه : هذا يقرب الشرف ، وذاك يذبح الدين ، والآخر يقدم الوفاء والميثاق ، وذلك يقرب وطنه الذي نماه وغذاه ، وصاحبه يقدم الأهل الذين انجبوه ... وها هنا شخص يحرق ضميره ومبدأه بخوراً . وهناك آخر يضحي بما لديه من عفاف وكبرياء ...

وكأن ليس في العالم شيء أعز وأكبر من أن يكون قربانا لذلك الصنم الهائل الذميم ، الذي كان يقبل القربان حيناً ، ويزور عن عباده أحيانا ، فلا يزيدهم نفوره وازوراره إلا تهالكا عليه ، وغلوا في عبادته ، وإكثاراً من الضحايا والقرابين ...

ثم نظرت الى أطراف الهيكل ، فأبصرت جموعا أخرى عاكفة على أوثان أخر : ها هنا إله الشهوات وقد احتشدت عبيده من حوله . وهنالك وثن المناصب والجاه والناس من حوله ركع سجود ... وفي هذه الناحية وتلك شكول وضروب من أصنام يكاد يخطئها العد ، ويعجز عنها الوصف .

***

وألفيت نفسي بعد قليل أتنفس الصعداء ، وقد انجابت عن عيني تلك الرؤيا ، ولم يبق أمام ناظري سوى الغيث المنهمر ، والضباب المنتشر ، وضوء المصابيح الضئيلة .

ولبثت برهة واجماً ساكنا ، وقد امتلأت نفسي حزنا وغما . . . .

ثم نهضت ببطء شديد ، وأغلقت النافذة وأسدلت الستر . وعدت الى مجلسي بجانب الموقد ...

وأمسكت بيد مرتجفة ذلك الكتاب الذي تعبت في تسطيره وتحبيره ...

وبيد مرتجفة ألقيته في النار ... وجعلت أحدق فيه إذ يحور لهيبا ودخانا ...

وأحسست بقطرات تنحدر على خدي .. فتناولت منديلي ومسحتها ... ولعلها من قطرات ذلك الغيث أصابت وجهي وأنا جالس لدى النافذة !

* * *

أ لقيت الفتاة بعد أيام فأعادت السؤال فقلت لها ان كان روح النصرانية الحب ، فان روح الاسلام التوحيد .

الشعر والحياة الحديثة (١)

لشاعر الهند رابندرانات تاغور

يعيش العالم الآن في عصر ثورة . فاعتقاده القديم وميله حتى تفوره في تغير وتبدل . ولم يشهد التاريخ تطوراً أصابه من التقلبات السريعة المفاجئة ما أصاب هذا التطور البادي في عقلية الجماعة والفرد . فالأخلاق تختلف . والآراء تتغاير ، والاعتقادات تتباين . والجيل الجديد قد دفعته الرغبة الملحة الى تجربة كل شيء في الحياة حتى نسي فن الحياة ، فلا يملك الوقت للتفكير والتأمل ؛ ولا يجد الفراغ للسرور الهادئ يتمتع به نفسه . ولا الفرصة لقراءة يغذي بها روحه . وشدة الزمان وعنف الجهاد لا يسمحان لامرىء أن يفاكه شيئاً لا ارادة فيه ولا ثمرة ؛ لذلك كان فن الشعر أبعد ما يكون عن الازدهار والانتشار . فالشعراء قليلون : وروائع الشعر نادرة ، لأن طبيعة العصر تقتضي ذلك .

أنا لا أزعم انى أفهم ميول العصر ، ولكنى أسجل ما عليه الشعر العصرى من حاضر سيء وحال أليمة . ليكن السبب فى ذلك متصلا بأى صورة من الصور بالحرب وأثرها فى نفوس الشعوب التى صليت بنارها — وذلك ما لا أجرؤ على تأييده — فان الامر الواقع أن ازدهار الشعر فى هذه الساعة من أصعب الامور

ومما لاشك فيه أن الناس لا يجدون لثقافة الشعر فراغا تركه السينما الناطق وموسيقى الجاز وذلك الحرص على أن يزدردوا فى أربع وعشرين ساعة مقداراً من التجارب والاختراعات والاحساسات كان يغذى آباءنا الاولين شهوراً عدة

على أن هذه الحال من الظواهر الطارئة التى لا تلبث أن تزول ، فان فى الانسان جزءاً جوهريا يقتضى الشعر ويتطلبه . أما وقت زوالها فذلك ما أجهله ، ولكنه على أية حال لا يكون اليوم ؛ لان الناس أصبحوا غير أهل لتقدير العمل الفنى ؛ واذا استطاع المسافر فى قطار سريع أن يحسن التقدير لمنظر من المناظر ؛ استطاع الرجل الذى يحيا هذه الحياة المحمومة أن يزن الحكم على قصيدة من القصائد . أن للحياة نسقا موزونا إذا أعجلته فى حركته عرض الوجود كله للخطر . وقد نسى رجال اليوم ذلك فاصبحوا يركضون فوق الاحساس دون استمتاع ولا تذوق ؛ كالأكول الشره يبتلع اللقمة أثر اللقمة دون استمراء ولا مضغ ففاتهم بذلك خير ما فى الحياة ! تلك هى الحال الغالبة على كل شىء .

ويريبنى الشك فى أن مثل هذه الحال توفى بالانسانية إلى السعادة حتى ولو حققت لها النجاح المادى ، لأن هذا النجاح لا يعدو أن يصبح كل انسان قادرا على اكتساب ثروة تضمن له ترف العيش ، وتنوع له صور الحياة ؛ ولكن الواقع أن عبادة السرعة التى احتلت المشاعر وغلبت على الاذهان تستفرغ جهد المرء فى تبريزه على جاره وأخذه المهلة على منافسه ؛ والسرعة وأن بلغت بالناس بعض النجاح لا تستطيع على ما أظن ان تجدى عليهم جمال الحياة ورخاء الصدر . فالجيل الناشىء قد جنى من وراء السرعة معرفة واسعة بالأشياء وخبرة عظيمة بالامور ؛ ولكنه على وشك أن يفقد حساسيته ؛ ويوشك هذا الميل الى الافراط أن يطغى على العالم بأسره ؛ لان انتقال الافكار من قطر الى قطر لم يكن فى زمن من الازمان أسرع منه الآن ؛ ولقد راعنى سريان هذا الداء الى شرق الهند بسرعة غريبة . فمنذ قليل كان فى البنغال جمهور عظيم قد سلم شعوره من شر الاخلاق ؛ فكان عباد الجمال من شعراء الشباب موضع اجلالهم وتقديرهم ؛ ودواوين شعرهم مصدرا لغبطتهم وسرورهم ؛ ولكن الهنود اليوم قد اخذوا باسباب الحياة الحديثة وهى كما قلت شر على الشعر وحائل دون ازدهاره

يزعم فريق من الناس ان تأخر الشعر نتيجة لتقدم العلوم فى الثلاثين أو الاربعين سنة الأخيرة وزعمهم هذا باطل ؛ فان نفاق العلم لا يستلزم حتما كساد الشعر .

وانما الخطر الحقيقى الوحيد هو أن الناس فى خلال هذه الرجات الاجتماعية الحديثة يصبحون عاجزين عن ترجمة الخواطر بالشعر ، قاصرين عن إدراك الجمال فى القصيد ؛ وذلك ولا ريب عرض من أعراض الهرم . ومثل هذا العرض لا يظهر فى الشعوب الشابة لان حاسة الشعر خصيصة من خصائص الشباب . على أن هذه الحاسة يفقدها المرء بسهولة اذا لم يساعدها بالثقافة والمران ؛ ومتى فقدها فقد معها نضرة العيش وجمال الحياة .

حافظ وشوقى

للدكتور طه حسين

ظهر هذا الكتاب القيم جديداً وهو مجموعة ما أنشأه الدكتور فى هذا الموضوع الطريف . طبع طبعاً حسناً على ورق صقيل فى زهاء ٢٥٠ صفحة . يباع فى المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد . وثمنه ١٠ قروش .

(١) نشرها بالفرنسية النقيبة فى عدد ابريل من مجلة (لوا)

فلسفة التاريخ

مقدمة

الفلسفة هي محاولة إيجاد قانون واحد شامل ينتظم الكون بأسره وتخضع له جميع الحوادث فالعلوم تبحث عن الجزئيات والفيلسوف يستخرج من جزئيات العلم كليات الفلسفة

وقد حاول الكثيرون أن يبحثوا في التاريخ من ناحيته الفلسفية وكدوا أذهانهم في البحث عن سبب واحد يعللون به جميع حوادث التاريخ وتطوراته من يوم ولد الى يوم يموت فوصلوا الى نتائج مختلفة وأسباب متشعبة .

التفسير الاقتصادي للتاريخ

كانت من بين النظريات التي اهتدى اليها البحث نظرية « التفسير الاقتصادي للتاريخ » ومن أكبر دعاتها الفيلسوف الاشتراكي كارل ماركس . وخلاصة هذه النظرية ان العوامل الاقتصادية والاغراض المادية كانت دائما الدافع الأول والمباشر لكل حوادث التاريخ فالانسان الأول لم يلجأ الى تكوين الجماعات الا ليسهل على نفسه سبل العيش ، والجماعات لم تنقسم الى دول وشعوب إلا لاختلاف مصالحها الاقتصادية ونشوء الدول وتطورها وسقوطها يرجع الى أسباب اقتصادية بحتة والحروب والغزوات والهجرات لم تقم إلا على أسباب مادية خالصة .

ولاصحاب هذه النظرية شواهد تاريخية كثيرة تسند رأيهم وتعزز قولهم فالانقلاب الصناعي الذي حدث في أوروبا في القرن الثامن عشر كان له أكبر الاثر في تطور الشعور الديني عند مختلف الطبقات ، وقد انتهى بضعف النزعة الدينية وتقوية شوكة الالحاد . والحرب الاوروبية الكبرى سنة ١٩١٤ أقرب مثال لتأثير التطور الاقتصادي في تيار السياسة ومجراها . خرج الرجال الى ميادين القتال فبرز النساء الى ميادين العمل يملأن المصانع بأيديهن العاملة ويقمن بالحركة التجارية على أكمل وجه وقد قل بذلك اعتماد المرأة على الرجل ، وتغير موقفها الاقتصادي نحوه فطالبت بحق التصويت . وسرعان ما احتلت مقعدا بين النواب بل وارتقت الى كرسي الوزارة . وقد كان لهذا الانقلاب الذي طرأ على مركز المرأة الاجتماعي اثر كبير في تغيير القوانين والآداب والفنون وجميع المرافق الاخرى التي قد تبدو عديمة الاتصال بالحالة الاقتصادية . وهكذا تم تحرير المرأة عند ما قل اعتمادها الاقتصادي على الرجل ولم تكن لتحصل على هذه الحرية بتأثير كتابات أفلاطون وجون استيوارت مل وغيرهما ممن ذاد عن حرية المرأة ودافع عن كرامتها . وكانت الطهارة والعفاف من فضائل المرأة الكبرى التي فرضها عليها الرجل حينما كانت تعتمد عليه اقتصاديا ، وكان تفريطها في عرضها جريمة كبرى في نظر الرجل لا تقاس بها جرائمه التي يرتكبها في هذا الاتجاه مهما كانت جليلة خطيرة ، فلما تحررت المرأة قلت مسئوليتها عن عفافها وكادت تساوي مسئولية الرجل .

والواقع أن كثيرا من آدابنا العامة وفلسفاتنا الخاصة يخضع لتأثير العوامل الاقتصادية كل الخضوع . فالقناعة والرضا بالامر الواقع والتواضع والخنوع فضائل ارتآها الأغنياء للفقراء وفرضوها عليهم فرضا فاتخذها هؤلاء على مر السنين مبادئ ثابتة لهم تحت تأثير سلطة الاغنياء وبدافع ما يسميه ماكدوجل « الشعور بالذات السلبي » Negative self-feeling وهو شعور عكسي يدفع المرء لا الى التغلب على غيره بل الى الاستكانة والخضوع .

التفسير المادي للتاريخ

ومن الباحثين من كان تحت تأثير الفلسفة المادية فأرجع التاريخ الى أسباب مادية ، وان تكن غير اقتصادية (والمادية في الفلسفة معناها ان جميع ظواهر العقل والفكر إما طبيعية أو ترجع الى أسباب طبيعية) ومن هؤلاء بكل Buckle الذي يقرر أن المناخ هو العامل الاكبر في تقلبات الحوادث فالحضارات القديمة انما نشأت في الجهات الحارة مثل مصر والهند وأشور وغيرها لسرعة نمو النباتات في تلك البلاد وسهولة العيش تبعا لذلك وكلما ارتقى الانسان في سلم التطور انتقلت مراكز حضارته الى البلاد الباردة . ويعزز ذلك سير المدنية شمالا من مصر الى بلاد اليونان والرومان الى أواسط أوربا الى انجلترا والسويد والنرويج حيث هي اليوم . ومن هؤلاء أيضا فرود Freud الذي يرى أن العلاقات الجنسية هي أساس كل ما يصدر عن الانسان من حركات واعمال .

فنحن اذن نستطيع أن ننظر الى التاريخ من عدة نواح مادية (أي طبيعية) ولكنها ليست اقتصادية ولا تتفق مع تفسير ماركس للتاريخ . ونظرية التفسير المادي للتاريخ تختلف إذن كل الاختلاف عن المادية في الفلسفة ولا بد من فصل الواحدة عن الاخرى .

العواطف وأثرها في التاريخ

رغماً عما للعوامل الاقتصادية والاسباب المادية التي ذكرناها من الاهمية العظمى في تكييف السياسة وتحديد معتقدات شعب من الشعوب أو جيل من الاجيال فاننا لا يمكننا أن نتجاهل بعض العوامل الاخرى التي كان لها اكبر الاثر في تاريخ الانسان وحياته العامة .

(أ) وأشد هذه العوامل وضوحا واكثرها اهمالا من جانب الاشتراكيين اتباع كارل ماركس عامل القومية ، فكثيراً ما تعارضت القومية مع المصلحة الاقتصادية وتغلبت عليها فتريستا مثلا كانت تعد تقسيها قبل الحرب العظمى ايطالية مع ان مصلحتها الاقتصادية كميناء تتوقف على تبعيتها للنمسا، ولكن نظراً لان اكثر سكانها من الايطاليين فقد كانت تضحي بفائدتها المادية في سبيل اشباع شعورها القومي . كما ان انفصال دول البلقان واستقلالها عن بعضها قد أدى الى ضعفها الاقتصادي ومع ذلك فقد تم هذا الانفصال تحت تأثير عوامل عاطفية قومية بحتة .

وقد كان العمال اثناء الحرب العظمى يسيرون مندفعين وراء شعورهم القومي متناسين رأيهم الاشتراكي الذي كانوا ينادون به « يجب أن يتحد العمال في جميع أنحاء العالم » تجاهل العمال هذا المبدأ حيناً ، ووقفوا في ميدان القتال وجهاً لوجه للمحافظة على حدود الوطن وتلبية لداعي القومية . وقد يعترض أصحاب فكرة التفسير الاقتصادي على ذلك فيقولون : ان العمال كانوا يستمعون في هذا القتال لنداء أصحاب رءوس الأموال الذين رأوا في الحرب فرصة للصيد في الماء العكر ، وتكديس الارباح والمكاسب ولكننا لانقيم لهذا الاعتراض وزنا اذا عرفنا أن كثيراً من الرأسماليين هووا الى الافلاس أثناء الحرب .

(ب) ومن العوامل ذات الأثر البين في التاريخ المنافسة وحب السيطرة . فالمنافسة التجارية بين انجلترا والمانيا كانت سبباً هاماً في نشوب الحرب الكبرى ، والمنافسة كما نعلم غريزة من غرائز الانسان المتعددة تظهر بأشكال مختلفة وقد كان هذا الوجه الاقتصادي الذي ظهرت به قبيل الحرب أحد هذه الاشكال فلا يمكننا اذن أن نعد هذا السبب من أسباب الحرب من بين العوامل الاقتصادية فقد كان بوسع أصحاب الاموال من انجليز والمان أن يتحدوا ويتعاونوا فيجنوا من وراء ذلك الارباح الطائلة، ولكن غريزة المنافسة غلبت عليهم فتجاهلوا مصلحتهم الاقتصادية واندفعوا وراء غرائزهم الوحشية .

هذا وقد دفعت غريزة السيطرة وحب القوة الاسكندر وقيصر ونابليون وغيرهم الى تملك ناصية العالم ولم يكن هؤلاء الرجال يرمون الى زيادة ثروتهم وممتلكاتهم، وإنما كانوا يشبعون غرائزهم ويبذلون أرواحهم في سبيل منافسة خصومهم والتغلب عليهم ؛ حتى أن الدنيا لو خلت من خصم لهم لتلمسوا المعاذير وخلقوا أسباب الخصومة خلقاً، جريا وراء النصر وحب التغلب!

وكيف يمكننا أن نتجاهل العاطفة الدينية وما كان لها من أثر في حروب دموية طويلة عند ظهور الاسلام وبين المسلمين والصليبيين . وكثيراً ما اتحدت الجماعات المختلفة بتأثير العامل الديني رغم ماكان بينها من فوارق اقتصادية وإنا لنجد العامل الكاثوليكي في أوروبا يصوت لرأسمالي كاثوليكي ولا يصوت لاشتراكي ملحد، رغم اتفاقه وإياه في آرائه الاقتصادية . فطبقة العمال تنظر الى رفع عماد الدين قبل أن تنظر الى تحسين حالتها المعيشية .

الفلسفة وأثرها في التاريخ

وكثيراً ما كانت لآراء الفلاسفة نتائج عملية في توجيه السياسة ، وليس أدل على ذلك مما كان لتعاليم روسو من أثر قوي في مجرى السياسة العالمية ؛ مما أدى إلى قيام الثورة الفرنسية وما استتبعها من تطورات كما أدى إلى مناداة الولايات المتحدة بحريتها ومطالبتها باستقلالها .

علم النفس وضرورته لتفسير التاريخ

واخيراً فان التاريخ يحتاج كما تحتاج جميع مظاهر الحياة الى معونة علم النفس لتفسيره وتحليل أسبابه وقد أظهرت المباحث الحديثة في هذا العلم أن الأعمال التي ترتكز على أساس من العقل والفكر ليست الا قطرة حقيرة في خضم الاعمال التي تنبعث عن اللاشعور متأثرة بأسباب غير معقولة وكثيراً ما تغير وجه التاريخ لأسباب مجهولة نبعت عن دوافع لاشعورية عند بعض الزعماء وعظماء الرجال، ولكن ماركس كان متأثراً بآراء علماء النفس في القرن الثامن عشر حينما كان يبحث عن أسباب معقولة يفسر بها حوادث التاريخ فهداه البحث الى العامل الاقتصادي وعليه بنى نظريته في الاشتراكية زعما منه أن المساواة الاقتصادية تدعو الى ايقاف التطاحن والحرب بين البشر .

محمود محمود محمد
ليسانسيه في التربية والتاريخ

نشأة المدنيـــــــة

للاستاذ زكى نجيب محمود

كان راسخا فى الأذهان الى عهد قريب أن دراسة التاريخ بعيدة كل البعد عن دقة العلوم الطبيعية ، ذات القوانين الثابتة المطردة ، من حيث طريقة البحث ، وانتزاع الاحكام الكلية من الأمثلة الجزئية ؛ لأنه رواية لاعمال الانسان وسلوكه فرداً ومجتمعاً ، وعلى ذلك فهو لايخضع لقانون دقيق ، كما تخضع العلوم الرياضية مثلا ، مادامت اعمال الانسان نفسها لاتطرد ولا تستقيم مع قانون خاص ، وبناء على تلك العقيدة الراسخة ؛ لم يحاول مؤرخ فى العصور الماضية — فيما نعلم — أن يستنبط من شتيت الاخبار التى يرويها التاريخ قانونا عاما ينتظم الجماعة الانسانية ، كما استنبط الرياضيون من مختلف المظاهر الكونية مجموعة القوانين اليقينية التى لايجد الشك اليها سبيلا .

ولكن دراسة التاريخ أخذت تخطو فى العصر الحديث خطوات واسعة نحو الدقة العلمية واستخلاص القوانين العامة من الجزئيات التى تزخر بها بطون المجلدات . ومن أدق ماقرأنا فى هذا الموضوع ، ما كتبه توماس بكل ، المؤرخ المعروف ، الذى حاول فى كتابه « تاريخ المدنية فى انجلترا » أن يخضع النشاط الانسانى ، الذى يبدو فى احداث التاريخ المختلفة ، الى نواميس ثابتة دقيقة ، كالعلوم الطبيعية سواء بسواء ، وكأنى به قد وضع المجموعة البشرية فى مخبار وأخذ يضيف اليها من المواد ألوانا مختلفة ، حتى انتهى به البحث الى تلك النتائج القيمة التى دونها فى كتابه المذكور .

وسنحاول فى هذا البحث أن نحلل العوامل الاساسية ، والقوانين العامة ، التى أنتجت المدنية الانسانية من أحضان الهمجية الأولى ، لانها لم تنشأ حيث نشأت اعتباطا وعن طريق الصدفة العمياء ، ولكنها نتائج محتومة لمقدمات طبيعية .

ولكن ماهى هذه المدنية التى نحاول أن نتتبع أسباب نشأتها ؟ أليس جديراً بنا إن نلم إلمامة سريعة بمعناها أولا ، حتى يقوم البحث على دعامة قوية وأساس متين ؟ نعم ، ولكن دون ذلك البحوث المستفيضة وليس هذا المقال القصير مجالا لهذا البحث المتشعب الأطراف ، والذى لاأحسب موضوعا بلغ فيه الخلاف بين الباحثين من الشدة والاتساع مابلغه فى هذا الموضوع ، وأذكر أنى قرأت ملاحظة طريفة أوردها الكاتب « الانجليزى هافلوك اليس » فى مقال كتبه عن المدنية ، حيث يقول عن هذه الكلمة انها لم ترد فى دائرة المعارف التى وضعها جماعة الانسيكلوبيديين لكثرة مايقوم حول تعريفها من خلاف .

ولكن مهما يكن من أمر ذلك الخلاف فى مدلول المدنية ، الذى منشؤه تباين وجهات النظر للحياة ، فان أحداً لا ينكر أنها تعتمد فى تقدمها بوجه عام على تقدم العلوم والمعارف أكثر من أى شىء آخر ، وأكاد أقول فى شىء من اليقين إنها عبارة عن كمية المعارف التى وصل اليها الانسان ، لاأكثر ولا أقل ، على الرغم من تلك الدعوى التى لايؤيدها منطق ولا تاريخ . والتى يأخذ بها بعض المفكرين فى كثير من النعرة الواهية ، وهى أن المدنية رهينة بتقدم الأخلاق وحدها ؛ ويكفى أن تلقى نظرة عجلى الى تاريخ الانسانية منذ فجرها حتى الآن ، لتعلم أن الأخلاق فى العصور الاولى هى هى الأخلاق فى العصر الحاضر ، لم تتقدم إلا بمقدار ضئيل جداً لايكاد يذكر ؛ فلا يزال الصدق محموداً والكذب مرذولا ، ولا تزال الأمانة خيراً والخيانة شراً ... وأما العلوم فهى تسير كل يوم ، إن لم يكن كل ساعة سيراً حثيثاً الى الامام .

يتضح من هذا أن المدنية فى جوهرها عبارة عن المعارف الانسانية ، فاذا ما أردنا أن نبحث عن الأسباب التى أدت الى نشأة المدنية ، فلنبحث عن نشأة العلوم ، مادامًا صنوين متلازمين ، أو بعبارة أدق لانهما شىء واحد .

حاول أن تصور لنفسك الجماعة الانسانية فى فجر التاريخ ؛ فترى انسانا لايملك من الأدوات التى يستعين بها فى عمله الشاق شيئا ، ترى انسانا يعمل بيده كل شىء ، لا يكاد يستيقظ من نومه حتى يمشى فى مناكب الارض سعياً وراء قوته من نبات وحيوان ، ويظل فى هذا السعى حتى يغشاه الليل بظلمته ، فيركن الى كهف يأوى اليه مهدود الجسد ، فيستغرق فى النعاس حتى تشرق عليه الشمس كرة أخرى ، فينهض من مخدعه ليعيد فى يومه سعى أمسه .

فهذا الذى يستنفد نهاره فى الحصول على قوته وسائر ما تقتضيه الحياة من شئون ، ويقضى ليله فى جوف الكهف نائماً ، لايكون لديه من الفراغ مايمكنه من التفكير فى خلق السماوات والارض ، والتفكير أولى مراحل العلم ؛ وإذن فالعلوم كامنة فى ثنايا العدم ، ولا يكتب لها الظهور الى ضوء الوجود إلا إذا تبدلت الحياة غير الحياة والانسان ؛ فتتوفر لجماعة انسانية بيئة

تساعدها على انتاج محصول يزيد على طعام يومها ، حتى يتكون فيض انتاجي لايلبث أن يتجمع عند أفراد قليلين ، هم الاقوياء عادة ، وبذلك يستطيع ذلك النفر القوي أن يتخلص من المجهود الذى كان يبذله لتحصيل ضروريات الحياة ، وإذن فقد يتمتع بالفراغ الذى لابد أن يستتبع التفكير فى مظاهر الكون ، وهذا التفكير هو النواة الأولى للعلوم والمعارف المختلفة .

يتضح مما سبق أن الشرط الأول لنشأة العلوم — وبالتالى المدنية — هو خصوبة التربة . الذى يؤدى الى وفرة الانتاج عما يزيد على حاجة الاستهلاك ، وأمثلة ذلك كثيرة فى التاريخ ، فالمدنية المصرية القديمة لم تنبت فى وادى النيل إلا لخصوبة تربته ، كذلك الامة العربية كانت قبل إسلامها أقرب الى الهمجية منها الى أى شىء آخر ، فلما جاء الاسلام ، ثم تبعه انتقال الأعراب الى الوديان الخصبة كوادى النيل ووادى دجلة والفرات ، حيث الخصب والنماء والثروة انقلب هؤلاء الأجلاف شعباً متحضراً بلغت مدنيته حداً قل أن شهد مثله التاريخ .

ويجدر بنا أن نشير هنا الى أن المدنية الاوربية تختلف فى أسباب نشأتها عن المدنيات القديمة ، فبينا هذه تنشأ من خصوبة التربة ، نرى الاولى نتيجة لاعتدال المناخ . ولما كانت المدنيات القديمة قد تأثرت بالعوامل الطبيعية وحدها ؛ أعنى أنها نتيجة لتفاعل المناخ والتربة من غير أن يتدخل الانسان تقريباً ، وخصب التربة محدود الغلة مهما أجيد استغلاله فى حين أن الحضارة الاوربية لايقف فى سبيلها شىء لأنها أثر لتفاعل المناخ وذكاء الانسان الذى لا يمكن أن نتصور له حدوداً يقف عندها ، لهذا فالمدنية الاوربية أقوى أساساً وأعمق جذوراً وابعد مدى من المدنيات القديمة جميعاً .

ولكن اذا كانت المدنيـة فى أول أمرها — كما بينا — تابعـة لخصب التربة ، حتى يتوفر من المحصول الزائد مايتجمع فيكفى فئة من الناس مؤونة العمل ، وبذلك تبدأ الطبقة العلمية فى الظهور ؛ فلماذا اقتصرت المدنيات على المنطقة المدارية ، حيث ظهرت فى مصر والشرق الأدنى والهند وبيرو ومكسيكو ، وكل هذه تكاد تكون على خط عرض واحد ؛ نقول لماذا لم تنشأ المدنية فى المنطقة الاستوائية ؛ مع أنها وفيرة الانتاج النباتى الذى يحقق شرط الفراغ الضرورى للتفكير ، فالعلم ، فالمدنية ؟ الجواب على ذلك سهل ميسور ، وهو أن الجهات الحارة لاتساعد الانسان على التفكير والنشاط ، بل من شأنها أن تقعده وتعجزه عن ضروب النشاط جميعا ؛ ومن جهة أخرى ؛ فان الوفرة النباتية الطبيعية ، التى ليست ثمرة العمل الانسانى ، تؤدى الى التواكل وتعمل على خمود الذهن ؛ لان الحاجة أم الاختراع . وليس هناك حاجة تشحذ القوى العقلية لاكتشاف أى اختراع . إذن فأنسب مكان تظهر فيه المدنية فى أول عهدها ؛ هو ذلك الذى يضطر الانسان الى العمل لتحصيل القوت ، والذى يكون من خصبه مايستطيع منه ان يمد الانسان بغلة تربى على حاجة الاستهلاك .

ولكن قد يعود القارىء فيعترض بقوله إن هذا المناخ المعتدل الذى يبعث الانسان على النشاط الذهني ؛ وتلك الخصوبة التى توفر للانسان محصولا زائدا ، قد يتوفران فى كثير من بقاع أوروبا مثلا ؛ فلماذا لم تظهر المدنية فى تلك الربوع فى بادىء أمرها ؟ هنا يتقدم (بكل) فى كتابه الذى ذكرناه فى أول هذا المقال ، بتحليل دقيق يدعو الى الاعجاب واطالة النظر فهو يرى أنه لابد للمدنيـة فى مهدها من كثرة عدد السكان بحيث يكون التفاوت عظيما بين الطبقات ، حتى تستطيع الطبقة الحاكمة أن تتمتع بكامل السلطان المطلق على أفراد الشعب ؛ فلا ينازعونها فى الاستيلاء على ثمرة مجهود غيرها ؛ وزيادة السكان بما فيها من تفاوت الطبقات ، ميسورة فى الجهات الدافئة دون الشمالية الباردة وإليك البيان :

لا ريب فى أن الانسان يدور مع الطعام وجودا وعدما فبينا نراه يتكاتف ويزدحم فى البقاع الخصيبة ، نرى الصحراوات خرابا لا يكاد يعمرها أحد ، وهكذا يتوقف عدد السكان كثرة وقلة ؛ على درجة خصوبة الارض ، ذلك لأنه كلما كثر الطعام كان الحصول عليه ميسوراً لكل انسان ، وماذامت غائلة الجو مأمونة الجانب ، فزيادة النسل تطرد اطرادا لا يحول دونه شىء ، والعكس صحيح . أى كلما قل الطعام وعز مناله على الفقراء ، تناقص السكان حتى يتكافأ عددهم مع ما تنتجه الأرض من محصول .

ولسنا بحاجة الى ذكر ضرورة الطعام للكائن الحى لأدائه وظيفتين هامتين لا مندوحة عنهما لحفظ الحياة : فهو الذى يحفظ حرارة الجسم ، كما أنه يعوض ما يفنى من الانسجة اثر القيام بالعمل ، ولكنا نريد أن نرتب على ذلك نتيجة لها خطرها فى موضوع بحثنا ، فمن الحقائق المعروفة أن حرارة الجسم تتولد من اتحاد أكسجين الهواء الذى نتنفسه مع كربون الطعام الذى نأكله ؛ فيولد هذا الاتحاد الحرارة اللازمة لحفظ كيان الانسان ؛ فلكى يحتفظ الجسم بحرارته ، يجب أن يناسب بين اكسجين الهواء وكربون الطعام ، أى يجب ان

يحصل من الطعام على مقدار يكون ما فيه من كربون متناسبا مع الاكسجين الذى يصل اليه عن طريق التنفس .

ولما كان الانسان فى الجهات الباردة يتنفس اكسجينا أكثر من زميله فى الجهات الدافئة : أولا ، لان الهواء أكثف فى الجهات الباردة فيكون مقدار الاكسجين فى الشهقة الواحدة أكبر مما لو كان الهواء مخلخلا خفيفاً . وثانياً ، لأن الانسان يتنفس فى الجهات الباردة مرات أكثر عدداً فى كل فترة زمانية . فهذا التنفس السريع من الهواء الكثيف يضاعف كمية الاكسجين التى تصل الى الجسم فى الجهات الباردة . والنتيجة اللازمة لذلك أن الانسان فى هذه الجهات يجب أن يمد جسمه بمقدار من الكربون فى طعامه أكبر جدا مما يتطلبه زميله ساكن الجهات الحارة . اذن فأهل الشمال فى حاجة الى لحوم الحيوانات المختلفة لما تحتوى عليه من الكربون الذى يتطلبونه فى طعامهم ؛ مع أن أهل الجنوب يكادون يقتصرون على النباتات وحدها . ومن الحقائق العجيبة التى تلفت النظر ، أن كمية الحيوان أقل جدا من كمية النبات . ومعنى هذا أن أهل الشمال لا بد أن يبذلوا أضعاف المجهود الذى يبذله أهل الجهات الدافئة للحصول على طعامهم ، ولا مندوحة من التعرض فى سبيل ذلك الى أشق الاخطار وأعنف الصعاب ، حتى أن بعض الكتاب يعلل بذلك روح المخاطرة التى تميز الاخلاق الاوربية . واذن فالنتيجة الطبيعية لقلة الطعام فى الجهات الباردة دون الجهات الحارة ، زيادة السكان فى الثانية بنسبة أعظم من الأولى . وزيادة السكان معناها كثرة الايدى العاملة ، وكلما كثرت هذه الايدى قلت أجورها تبعا لقانون العرض والطلب ، وقلة أجور الطبقة العاملة معناها أن تتجمع الثروة فى أيد قليلة — هى الفئة القوية لأن توزيع الثروة هو توزيع للقوة — وهكذا تزداد هذه الطائفة ثراء على حساب أجور العمال . ثم يتسع هذا الفرق ويزيد حتى يتكون فى الامة طبقتان اجتماعيتان ، بينهما فارق شاسع فسيح : طبقة الملوك والاشراف ، والطبقة الفقيرة العاملة . وبديهى أن هذا الفرق الاجتماعى يكون فى الجهات الدافئة اكثر منه فى الجهات الباردة حيث السكان قليلون بسبب قلة الطعام ، فتزداد أجورهم نوعا ، وبذلك تقل الثروة التى تتجمع فى أيدى الفئة القوية ، وتضيق مسافة الخلف بين الطبقتين ؛ ولعل هذا هو السبب فى تمكن النزعة الاستبدادية فى بلاد الشرق ، ونماء الديمقراطية فى ربوع الغرب . ويظهر مما سبق أن العاملين اللذين اشترطهما «بكل» لقيام المدنية يتوفران فى الجهات الدافئة قبل الباردة .

يحسن أن ألخص هذا التفصيل فى سلسلة منطقية يسهل استيعابها حتى لا تتشعب أطراف الموضوع ، فيفقد القارىء الرابطة التى تصل بعضها ببعض :

زيادة السكان تتبع كثرة الطعام

ولما كان الطعام الضرورى للحياة اكثر فى الجهات الحارة منه فى الجهات الباردة فقد ازداد عدد السكان فى الجهات الحارة بنسبة أكبر من الجهات الباردة ولكن ازدياد السكان يؤدى الى قلة الاجور .

ثم يؤدى هذا بدوره الى ازدياد الثروة عند الطبقة القوية .

اذن فالطبقة غير المنتجة تظهر فى الجهات الحارة قبل ظهورها فى الجهات الباردة . ولما كانت نشأة العلوم — أى المدنية — رهينة بوجود هذه الطبقة غير المنتجة التى تستطيع أن تتفرغ للتفكير فالنتيجة المنطقية لكل هذه المقدمات هى أن المدنية تنشأ فى الجهات الدافئة قبل نشأتها فى الجهات الباردة ؛ ولكنها اذا ما نشأت فى هذه الجهات الاخيرة ، كانت أقوى أساساً لما ذكرناه من أنها فى تلك الجهات نتيجة لتأثير المناخ فى الانسان ؛ فى حين أنها فى الجهات الدافئة نتيجة لتأثير المناخ فى التربة ، ولذلك نراها تسير نحو الجهات الباردة كلما ارتقت وازدادت قدمها رسوخا ، ولو أنا تصفحنا التاريخ على عجل للاحظنا لأول وهلة أنها نشأت فى مصر (وهى منطقة دافئة) ثم أخذت تسير نحو الجهات الباردة شيئا فشيئا ، فقد انتقلت الى الشرق الأدنى ، ثم إلى اليونان ، ثم الى ايطاليا ، ثم الى أواسط أوروبا ، وهى الآن رابضة فى شمال غربى أوروبا ؛ ويتنبأ بعض الكتاب بأنها ربما استقرت فى اسكندناوه فى مستقبل أيامها ؛ وهناك من الدلائل ما يؤيد ذلك .

لقد شرحنا فيما سبق القواعد العامة التى تتحكم فى قيام المدنيات ، ورأينا أنها نتيجة منطقية لمقدمات طبيعية ، وانها لا تخبط خبط عشواء فى سيرها .. ويجمل بنا الآن أن نطبق تلك القواعد الشاملة على نشأة المدنية المصرية زيادة فى الايضاح

ذكرنا أن بواعث المدنية هى :

(١) اعتدال الحرارة لأن الحرارة الشديدة تشل قوة التفكير

(٢) خصب التربة

وهذان الشرطان متوفران فى وادى النيل ؛ فهو فى المنطقة

البقية على صفحة (٢٣)

في الأدب العربي

٣ – القصة المصرية

للاستاذ جيب
أستاذ الأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقية بلندن

ولقد كتب الدكتور زكي مبارك معارضة من هذا القبيل يوافق فيها على أن القصة لا يمكن أن تنشأ في مصر الا اذا حصلت المرأة على مركز اجتماعي لائق ، ويصف كتاب القصة في الأدب العربي بأنهم ينتمون الى الطبقة الوضيعة من طبقات الأدباء، وينعى عليهم قلة خبرتهم بفنون الكتابة وعدم استقلالهم في الرأي وسطوهم على الآداب الأوربية ، وأدهى من ذلك أنهم يغرون الشباب باحتقار فنون الكتابة الأخرى، على حين أن الأدب الحقيقي الذي يتجلى فيه الصدق والدقة الفنية قد يوجد في ضروب أخرى من ضروب الكتابة كالرسالة والقصيدة . وليس من الجائز أن نحكم على الأدب العربي بما نشاهده في الأدب الفرنسي والانجليزي ، بل يجب أن نحكم عليه حسب ميول أبنائه ، وحسب درجة نجاحه في التعبير عن أفكارهم وأخيلتهم وأغراضهم . ويشير الكاتب الى أن آداب الصحافة في مصر توضح الآن كثيراً من المشاكل العلمية والزوجية ومشاكل العاطفة التي تواجه المصريين ، والى أن مراقبة الحكومة ووقوف الرجعيين بالمرصاد يحولان دون الافاضة في توضيح تلك المشاكل . ويقول الكاتب ان هناك نقطة اخرى جديرة بالانتباه وهي أنه يجب علينا ونحن وارثو الماضي أن نستحضر ذلك الماضي ونحن نفكر في الحاضر، وأن ننظر بعين الاعتبار الى الاساليب والطرق القديمة في الكتابة حينما نتجه نحو التجديد ، فان ذلك أجدى علينا من هذا البهرج الكاذب الذي يزيف به الأدب الحديث.

ولكن الادب المصري في مصر قد أثبت الآن حيويته وسار فعلاً في طريق الاستقلال، وليس من الممكن أن يجد القارىء المتوسط بغيته الآن في الأدب القديم، فانك اذا وجهت اهتمامه مثلا الى العقد الفريد أو الى غيره من آثار « العصر الذهبي » فكأنك بذلك تعطيه حجرا بدل الرغيف الذي يطلبه ويصر على الحصول عليه . واذا وقف الكتاب دون امداده بما يطلب فانه يتجه الى استيراده من الخارج مهما ثبت له عدم ملاءمة ذلك الذي يستورده لطبيعته وحالته الاجتماعية . وقل أن يجد القارىء في المقالة أو في الموضوع الذي يعرف بالرسالة في القصيدة العادية ما يغير خياله ، اذ ينقصها عنصر الخيال واللذة الحية، اللهم الا في القصيدة الشعرية المتينة فقد يكون فيها ما يدخل في دائرة الميراث الخيالي للناس .

وهكذا نرى أن المسألة في جوهرها ليست مسألة تقليد ومحاكاة لأهل الغرب؛ فلقد أدى اتساع التعليم الى اتجاه ميول القراء الى نواح أخرى . ولما نشأت تلك الحالة في أوربا عمد الكتاب الى القصة ليقابلوا بها ميول القراء؛ ونستطيع أن نقول انه ما لم يتسن للكتاب المصريين ايجاد القصة فسيستمر اتجاه القراء في مصر الى الأدب الأوربي. فان المقالة أو الموضوع الأدبي أقل من أن يفي بالغرض الذي يسعى اليه القراء

اما القول بأن ادخال فن من فنون الكتابة لم يكن موجوداً من قبل قد يكون فيه مساس بكرامة الشعب الأدبية فرأي مبني على التطرف والمبالغة؛ وهل أدى ادخال القصة في الأدب التركي أو الهندي الى الحط من كرامتهما ؟ كلا . ومن أجل ذلك نرى القصة المصرية تنشب جذورها في تربة الأدب المصري في ثبات مهما صادفت من صعاب ونكران للجميل.

ولكن القصة لا تصل الى تمام نموها، إلا اذا وافقت بيئة البلاد الاجتماعية، ومن هنا تنشأ المشكلة الرئيسية

اذا وضعنا جانباً تلك العوامل الاجتماعية التي تكلمنا عنها فان كتاب القصة في مصر قد ووجهوا بمشكلة أخرى أشرنا اليها في مبدأ هذا البحث وهي خلق (فن اصطلاحي حديث) للقصة . ونستطيع أن نتبين في كتابات المنفلوطي وجورجي زيدان بعض المحاولات في هذا السبيل ولكن من حيث الأسلوب فقط ، الاول بطريقته والثاني بسهولة عبارته؛ ولكن كلاهما لم يتعرض للنقطة الاساسية ، وهي الوصول الى تمثيل

الحياة الاجتماعية الراهنة تمثيلا صحيحاً في الألفاظ وطريقة التعبير عما في النفس وعلى الأخص في الحوار.

على أن هذه المهمة قد وجدت من اشتغل بها من كتاب القصص القصيرة وأقدمهم في ذلك هو محمد تيمور (١٨٢٩ - ١٩٢١) ويمنعنا ضيق المجال هنا من أن ندرس بالتفصيل آثار تلك الطائفة، ولذلك نكتفي بأن نشير الى نقطة من أهم النقط التي تعرضوا لها أو هي الطريقة التي جروا عليها في أسلوب الحوار.

وهنا ينبغي أن نذكر أن مشكلة الأسلوب الواجب اتباعه في الحوار لم تكن مقصورة على الأدب العربي ولكنها ظهرت أيضا في كثير من آداب الممالك الاوربية وبخاصة في تلك الممالك التي لم تكن قد هذبت فيها لغة التخاطب العادية تحت تأثير الكتابات الادبية؛ وتنحصر تلك المشكلة في السؤال الآتي : هل نستعمل اللغة الفصحى في الحوار وبذلك نجعله حوارا مصطنعاً غير طبيعي ؟ أم نقتصر على اللغة الفصحى في القصص والوصف : ونستعمل العامية في الحوار : وبذلك نعرض القصة للتفكك والتنافر ؟

ولقد سار الكتاب في القصص التي ظهرت فيما قبل على الطريقة الاولى أعني استخدام اللغة الفصحى في الحوار لا في الترجمة فحسب — وهنا تكون المسألة طبيعية — ولكن فيما ألفه كتاب القصص من السوريين أيضا ، وذلك يذكر القارىء الأوربي ما كانت عليه القصص الاوروبية أثناء نشأتها من تكلف والضعف . وتعتبر زينب في نظري أول قصة استعملت فيها اللغة العامية في الحوار ، ولقد ترك ذلك أثراً في القصص القصيرة الأخرى؛ ونخص بالذكر منها مجموعة محمود تيمور المسماة « بالشيخ جمعة » ولقد قامت بجانب ذلك فكرة أخرى وهي أن يكون الحوار بحسب درجة تعلم المتكلم، وبذلك يراوح الكاتب بين اللغة الفصحى واللغة العامية هبوطا أو صعوداً؛ واذا استعمل الفصحى على لسان شخص متعلم الأدبية العالية ينبغي أن يتحاشي العبارات ، لكي يتمشى ذلك مع السهولة المطلوبة والمعتادة في الحوار (ويلاحظ أن الحوار في الطبعة الثانية للشيخ جمعة قد عدل بما يتفق مع هذا المبدأ) . وبهذه الطريقة يتسنى للكتاب أن يحرصوا على المظهر الطبيعي للقصة مع تضحية قليلة في الصدق والاصابة بحيث لايصعب على القارىء أثناء مطالعة القصة أن يحول في ذهنه عبارات الحوار المكتوبة الى ما يعرفه من عبارات الحديث المألوفة . ونحن من جهتنا نتوقع أن نشاهد تحقيق هذه النظرية في القريب، وعلى الخصوص مع اتساع التعليم الابتدائي وبفضل مجهود الادباء .

ويبقى علينا في هذا الصدد أن نتساءل الى أي حد قد استطاع القصصيون الحديثون في مصر أن يعبروا عن مشاكل شعبهم وحاجاته وأطماعه . يمكننا أن نستنتج من البحث المتقدم أن عدد القصص التي يظهر فيها ذلك قليل جداً اذا اقتصرنا على الآثار التي لها قيمة أدبية حقيقية .

يعتبر نقولا حداد ، صاحب جريدة السيدات والرجال التي نشرت فيها معظم مباحثه ؛ أوفر القصصيين المصريين انتاجا وهو في نظر محمود تيمور أبعدهم شهرة أيضاً . وعلى الرغم من أن الرجل سوري الأصل فان لبحثه وأسلوبه صبغة مصرية أكثر مما لسواه من الكتاب السوريين؛ ونستطيع أن نحكم من روايته التاريخية « فرعونة العرب » أن لديه مقدرة على اجتذاب القراء اليه بما يتخلل قصته من الحركة السريعة والمواقف الرائعة. على أن خطة القصة فيها شيء من التفكك ، والأشخاص تعوزهم قوة التصوير ، حتى اننا نشك فيما اذا كان المؤلف قد أضاف شيئاً الى نمو القصة المصرية من حيث الشكل أو من حيث الموضوع.

وهناك قصة تاريخية أخرى تحوي الشيء الكثير من اللذة الادبية ؛ وتعتبر أول عمل من نوعه في الادب المصري ، تلك هي قصة « ابنة المملوك » لمؤلفها الاستاذ محمد فريد أبو حديد : وهذه القصة لا تمت بأية صلة الى ذلك النوع من القصص التاريخية التي أخرجها زيدان ، وهي من جهة أخرى تفوقها من وجوه عدة . في قصة ابنة المملوك قد حلت الحقيقة محل الخيال الجامح الذي تمتاز به قصص زيدان ، وفضلا عن ذلك فان تلك القصة لم تستغرقها كثرة الحوادث التاريخية ، وانما وضعت بطريقة تاريخية واضحة ، وكان العصر الذي اختير لها هو فترة النزاع بين محمد علي والمماليك سنة ١٨٠٥ الى ١٨٠٨ ولقد استطاع المؤلف أن يعرض الحوادث التاريخية في ثنايا القصة بحيث لا يجتذب التفات القارىء اليها قسراً . وحتى أهم الحوادث التاريخية في تلك الفترة وهي الحملة الانجليزية التي وجهت الى الاسكندرية وهزيمتها في رشيد عام ١٨٠٧، لم يشر اليها المؤلف إلا إشارة وجيزة في سطرين أو ثلاثة مع أن بطل القصة وهو فتى عربي فار من وجه الوهابيين قد صوره المؤلف على أنه قام بنصيب في تلك الحرب ، ومع أن القصة لم تنجح تماما في تجنب الجفاء الذي تمتاز به القصص التاريخية

نجد على الرغم من ذلك حياة وحركة فى تصوير الأشخاص . وهى فضلا عن ذلك تسترعى انتباه القارىء من فاتحتها حتى خاتمتها التى جاءت فى شكل مأساة .

تأتى بعد ذلك تلك القصة التى نشرت حديثا ، وتعتبر من جميع الوجوه أهم قصة صدرت بعد زينب . وهى القصة التى طال انتظارنا اياها من المازنى . وقد نشرت عام ١٩٣٠ تحت عنوان ابراهيم الكاتب . ويقول المؤلف فى مقدمة القصة إن جزءاً منها كتب فى عام ١٩٢٥ وانها تمت فى عام ١٩٢٦ ثم تركت بعد ذلك جانباً ، وإن جزءاً من نصفها الأخير قد كتب بسرعة أثناء الطبع نظراً لفقد بعض الأصول . وقد يساعدنا ذلك على تفسير الاضطراب الذى سنشير اليه أثناء الكلام عنها . وقد جاء فى المقدمة أيضاً بحث شيق للمشاكل التى تكلمنا عنها . أما فيما يختص بأسلوب الحوار فان المازنى يرفض الكلام العامى لخلوه من دقة التعبير وعدم ثباته ، فى حين أن العبارات الفصيحة آخذة فى التقدم والتهذيب يوما بعد يوم . ويعارض المازنى أيضا فى مقدمته هيكل بك فيما يراه من أن العوامل الاجتماعية فى مصر تحول دون خلق القصة المصرية . فان القائلين بهذا الرأى يفترضون خطأً أن القصة الغربية هى النموذج الوحيد للفن القصصى . ولكن لم لا يكون هناك قصة مصرية قائمة بذاتها تميزها مميزات خاصة ؟ ويرى المازنى أن الحياة الاجتماعية فى مصر لا تقوم عقبة فى وجه أى كاتب بارع الخيال . ويقول انا اذا سلمنا بأن وجهة المصريين وأفكارهم فيما يتعلق بالحب ، تختلف عن وجهة الاوربيين فى ذلك ، فلا يتحتم أن يكون ذلك عقبة كأداء فى سبيل القصة المصرية . ولم تكون عاطفة الحب ذاتها هى المحور الاصلى الذى تدور حوله القصة ؟ ويضيف المازنى أن ما يتخيله الكتاب من ضيق مجال القصة المصرية ، إنما هو « نوع من الهستيريا » لا أقل ولا أكثر .

على أن القصة نفسها لا تحقق ما ينتظره منها المرء بعد هذه المقدمة . وليس ذلك لانها أخفقت فى الخطة أو فى تفصيل المواقف وتصوير الاشخاص أو فى غير ذلك من المسائل الفنية ، كلا فانها من هذه الوجوه أحسن قصة فى الأدب العربى على ما أعلم ، ويتجلى فى هذه القصة تلك الروح التى ينفرد بها المازنى من جميع معاصريه أعنى تلك الرقة هاتيك الروح الفكاهية التهكمية التى تظهر فى كتاباته . ويسير القصص فيها سيراً حثيثا وفى سهولة كما أن الحوار سهل طبيعى وقد جاءت الانتقادات الاجتماعية والتحليلات النفسية – التى قصد اليها المؤلف بطريقة مضمرة فى ثنايا الكلام – أكثر منها صريحة واضحة . ولكنها على الرغم من ذلك – فيما عدا أشخاصها وأوضاعها – ليست قصة مصرية بالمعنى الذى يفترضه المازنى نفسه . وأكبر دليل على ذلك أن بطل القصة عبارة عن شخصية غريبة لا تكاد تنطبق الا على القليلين من المصريين ، وربما كان الناشر مصيباً فى أن اتفاق الاسم بين المؤلف وبطل القصة لم يكن أمراً خياليا محضا . والقصة ذاتها غربية فى المشاعر والمثل ، كما هى كذلك أيضاً فى المسحة الأدبية وفى الموضوع الذى تدور حوله . ودراسة عاطفة الحب قائمة على أساس غربى لاشرقى وحتى المظاهر الخارجية ذاتها من حيث الشكل والأسلوب تنطق بهذا الطابع الغربى ، ومن أمثلة ذلك كثرة استعمال المجازات والجمل الغربية . وأغرب من ذلك كله جرى المؤلف على طريقة اقتباس فقرات من الانجيل فى رأس كل فصل من فصوله . ويوجد فرق محسوس فى اللهجة والموضوع بين نصف القصة الاول ونصفها الثانى . أما الاول فانه يسير فى دائرة الحياة الاجتماعية المصرية ولا يمكن أن يصور ما فيه من فكاهة وعطف إلا قلم كاتب مصرى . أما النصف الثانى فيستبين فيه جو آخر وتتغير فيه اللهجة الاولى تدريجياً كما لو كان أسلوب المؤلف قد تأثر بما انتاب بطل القصة فى هذا النصف .

ونحن دون أن ننكر على المؤلف إصابته فى الخيال ، نقرر أن « ابراهيم الكاتب » « كزينب » واضحة الصلة بالرواية الغربية ، ولكن ما حوته زينب من العواطف لا يروق فى عين المازنى الذى تتجه ميوله الى جهة أقوى ، والذى يهتم بتمثيل الحقيقة . وفى هذه الحالة نقول إن تداعى الافكار الأدبية التى يمتاز بها فكر المازنى قد صرف ذهنه إلى رواية « سانين » فأوجد صلة بين رواية المازنى أو على الاقل بين جزء منها فى تصوراتها وبين هذه الرواية الروسية التى ترجمها المازنى تحت عنوان « ابن الطبيعة » . نعم ان رواية ابراهيم الكاتب تختلف كل الاختلاف فى الخطة وفى طريقة الانتزاع عن قصة « سانين » ولكن شخصية ابرهيم قد استمادت بعض الشىء من شخصية سانين . وفى رواية المازنى منظر يعتبر ترجمة حرفية لخاتمة القصة الروسية .

ومما تقدم نرى أن القصة المصرية كما يتجلى فى كتابة كاتبين من أكبر كتابها ، لا تزال دون المثل الذى رسمه لها الكتاب . ولا تصل القصة المصرية الى كمالها ، الا بالجمع بين المقدرة الفنية التى يمتاز بها كتاب الغرب وبين

الإلمام المصرى . والى ان يصل الكتاب الى ذلك سيظل معظم القراء المصريين مقبلين على آداب غيرهم، ولن يقف تيار الأدب الأوروبى الا اذا تسنى للمصريين أن يخلقوا فنا جديدا من فنون الكتابة بواسطته تظهر القصة المصرية فى معناها الحقيقى .

ترجمها عن الانجليزية للرسالة　　　محمود الخفيف

ابن خلدون فى مصر

للاستاذ محمد عبد الله عنان

وتحدث الفاتح طويلا الى المؤرخ وسأله عن أحواله وأخباره وسبب مقدمه الى مصر وما وقع له بها، ثم سأله عن المغرب ومدنه وأحواله وسلاطينه، وطلب اليه أن يكتب له رسالة فى وصف المغرب، وحدثه المؤرخ بانه كان يسمع به ويتمنى لقاءه منذ أربعين سنة أعنى مذ تألق نجمه وبزغ مجده؛ وشرح له طرفا من آرائه ونظرياته الاجتماعية فى العصبية والملك . ولا ريب أن مفاوضة فى شأن المدينة وقعت أيضا بين المؤرخ والفاتح واستطاع المؤرخ أن يقنع الرؤساء والفقهاء بالتسليم ؛ فقد فتحت دمشق أبوابها للفاتح على أثر ذلك، وجاء القضاة والرؤساء وعلى رأسهم المؤرخ الى معسكر تيمورلنك يقدمون له الخضوع والطاعة.

ويقول لنا ابن خلدون ان تيمورلنك صرفهم واستبقاه حينا، ثم انصرف واشتغل أياما بكتابة رسالة فى وصف بلاد المغرب حتى أتمها وبلغت على قوله اثنتى عشرة كراسة صغيرة ثم قدمها الى تيمورلنك فأمر بترجمتها الى اللغة المغولية (١)

وكان المفهوم أن دمشق قد نجت التسليم من بطش الفاتح ولكن التتار احتجوا باستمرار القلعة فى المقاومة فشددوا عليها الحصار حتى سلمت، ثم اقتحموا المدينة وصادروا أهلها وأوقعوا فيها السفك والعبث والنهب وأضرموا النار فى معظم أحيائها وتكررت المناظر المروعة التى وقعت فى حلب؛ على أن ابن خلدون لم يقطع صلته بالفاتح بل لبث متصلا به يتردد لزيارته خلال المحنة وحدثه تيمورلنك ضمن ماحدث بامر شخص تقدم اليه مدعيا بالخلافة وانه سليل بنى العباس وجرت مناقشات فقهية طويلة فى شأنه اشترك فيها المؤرخ وأدلى فيها بآرائه ونظرياته فى الخلافة. وقدم ابن خلدون أيضا الى الفاتح هدية هى «مصحف رائق وسجادة أنيقة ونسخة من البردة وأربع علب من حلاوة مصر الفاخرة » ولما قدمها اليه وضع تيمورلنك المصحف فوق رأسه بعد أن عرف أنه القرآن الكريم ، ثم سأله عن البردة وذاق الحلوى ووزع منها على الحاضرين فى مجلسه

والتمس المؤرخ منه فى هذا المجلس أمانا للقضاة والرؤساء والعمال فاجابه الى طلبه وأصدر الامان

يصف لنا ابن خلدون هذه المحادثات والمقابلات التى وقعت له مع الفاتح التترى ، وقد كان فيها يؤدى دور المفاوض والسياسى القديم . ولكن مؤرخا مصريا هو ابن اياس يقدم الينا فى ذلك رواية أخرى فيقول لنا ان الذى قام بمفاوضة تيمورلنك فى تسليم دمشق هو القاضى تقى الدين من مفلح الحنبلى؛ وانه هو الذى أدلى من السور واختاره الزعماء لتلك المهمة؛ لانه كان يعرف التركية وانه هو الذى سعى فى تسليم المدينة واقتاد وفد القضاة الى الفاتح واستصدر منه الامان وتولى تنفيذ جميع رغائبه فى جمع المال والاسلاب(١) ولكن ابن خلدون صريح فى روايته فى انه هو المفاوض والوسيط فى عقد المهادنة بين الفاتح وأهل دمشق كما قدمنا وانه كان يمثل الرؤساء والقضاة لدى تيمورلنك ولا شك فى روايته . وهى من جهة أخرى رواية ابن عربشاه الدمشقى مؤرخ تيمورلنك الذى كتب تاريخه قريبا من هذه الحوادث فهو يصف لقاء ابن خلدون للفاتح تحت اسوار دمشق على رأس العلماء والقضاة ويصور لنا فى عبارة شعرية ساحرة منظر هذا اللقاء وما تخلله من احاديث ومناقشات .(٢) على ان صحة هذه الرواية لا تمنع من جهة اخرى ان يكون ابن مفلح قد اشترك فى المفاوضة وتولى تنفيذ شروط التسليم .

ولعل ابن خلدون كان يعلق على صلته بالفاتح آمالا اخرى غير ما وفق اليه فى شأن دمشق وشأن زملائه العلماء والقضاة؛ ولعله كان يرجو الانتظام فى بطانة الفاتح والحظوة لديه والتقلب فى ظل رعايته ونعمائه . على انه لم يوفق بلا ريب الى تحقيق مثل هذه الامنية فلم تمض اسابيع قلائل حتى سئم البقاء فى دمشق وذهب الى تيمور يستأذنه فى العود الى مصر فاذن له وطلب اليه فى تلك المقابلة ان يقدم اليه بغلة اذا أستطاع فاهداه المؤرخ اياها و بعث اليه تيمور ثمنها فيما بعد عقب وصوله الى مصر . وغادر

(١) لم تصل الينا هذه الرسالة التى كتبها ابن خلدون فى وصف بلاد المغرب ولكن المرجح أنها لم تكن سوى صورة مما كتبه فى ذلك فى تاريخه الكبير فى القسم الذى يخصصه لتاريخ البربر يمهد له بوصف عام فى جغرافية هذه البلاد (راجع كتاب العبر ج ٦ ص ٩٨ ومابعدها)

(١) ابن اياس فى « تاريخ مصر » (بولاق) ج ١ ص ٣٣١ و ٣٣٢

(٢) ابن عربشاه فى كتاب « عجائب المقدور » (مصر) ص ١٢٣ وما بعدها — وراجع كتابى « مصر الاسلامية » ص ١٢١

المؤرخ دمشق في شهر رجب (سنة ٨٠٣) لنحو شهرين فقطمن مقدمه اليها ودهمه اللصوص اثناء الطريق فسلموه ماله ومتاعه ولكنه وصل سالما الى القاهرة فى اوائل شعبان سنة ثلاث وثمانمائة.

وهنا يهتف المؤرخ مغتبطا بنجاته «وحمدت الله على الخلاص» ويقول لنا أنه كتب الى سلطان المغرب مولاه السابق يصف هذه الحوادث وما دار بينه وبين تيمورلنك ويصف له الفاتح وعظم بأسه وشاسع ملكه وروعة سلطانه.

—٣—

وما كاد ابن خلدون يستقر فى القاهرة حتى أخذ يسعى للعود الى منصب القضاء. وقد رأينا انه كان يحتفظ دائما بكرسى التدريس فى مدرسة أو اثنتين. ولكن القضاء من مناصب السلطة والنفوذ، وكان ابن خلدون يشعر وهو فى ذلك الجو المشوب بكدر الخصومة والمنافسة انه بحاجة الى ذلك النفوذ الذى اعتاد أن يتمتع به فى جميع علائقه السلطانية، وكانت المعركة التى تضطرم حول ذلك الكرسى، والتى شهدنا مظاهرها فى تكرار تعيينه وعزله، تذكى بلا ريب فى نفسه شهوة الظفر بذلك الكرسى، فيكون ذلك آية نصره على خصومه ومنافسيه. وكان المؤرخ قد بلغ الرابعة والسبعين يومئذ، ولكن نفسه الوثابة كانت تتطلع ابدا الى مسند النفوذ والجاه، ويصور لنا هذه النفسية مؤرخ مصرى نزيه ثقة فى اشارة موجزة اذ يقول لنا فى خاتمة ترجمته للمؤرخ «رحمه الله، ما كان أحبه فى المنصب» (١). وكان ثمة شىء آخر الى جانب هذا الشغف بالمنصب، فقد كان بين ابن خلدون وبين خصومه نضال، وكان منصب القضاء كما سنرى محور هذه المعركة، يرتفع ابن خلدون اليه كلما استطاع أن يسترد مكانته فى القصر وان يتغلب على كيد خصومه، ويفقده كلما نجحت سعاية خصومه فى حقه

عزل ابن خلدون من منصب القضاء للمرة الثانية فى المحرم سنة ثلاث كما قدمنا، وذهب معزولا فى ركب السلطان الى الشام؛ فاتخذ خصومه بعده عن القاهرة فرصة للدس فى حقه، وزعم بعضهم انه هلك فى حوادث دمشق (٢). ويريد المؤرخ هنا أن نفهم أن المنصب كان محفوظا له أو انه وعد على الأقل برده اليه من أولى الامر، فيقول لنا انه على أثر هذا الارجاف فى حقه عين مكانه فى قضاء المالكية، جمال الدين الاقفهسى (جمادى الثانية سنة ثلاث) فلما عاد الى مصر عدل عن ذلك، وعزل الاقفهسى، وولى ابن خلدون للمرة الثالثة فى أواخر شعبان أو أوائل رمضان (١) فلبث فى منصبه زهاء عام يعمل فى جو يفيض بالأحقاد والخصومة، ولكنه يقول لنا انه لم يحفل كعادته بمصانعة الأكابر وانه استمر كما كان «من القيام بالحق والاعراض عن الاغراض». فاضطرمت من حوله الدسائس القديمة، واشتدت فى حقه المطاعن والمثالب، وأسفرت المعركة عن النتيجة المعتادة، وعزل المؤرخ كرة أخرى فى ١٤ رجب سنة أربع (٨٠٤)، وولى مكانه جمال الدين البساطى فى أواخر رجب، وهو ممن شغلوا المنصب من قبل.. والظاهر ان المعركة كانت هذه المرة أكثر وضوحا وصراحة، وان ابن خلدون عانى من حملات خصومه مالم يعان من قبل؛ حتى انه طلب بعد العزل أمام الحاجب الكبير. ووجه اليه كثير من التهم. ويقول لنا ابن حجر والسخاوى فى هذا الموطن: «وادعوا عليه (أى على ابن خلدون) أموراً كثيرة أكثرها لا حقيقة له، وحصل له من الاهانة مالا مزيد عليه» (٢) وهنا اشتدت المعركة بين المؤرخ وخصومه، واستحالت الى نضال عنيف سريع الأثر، وبقى مظهرها التداول على المنصب، ولكنه انحصر حينا بين ابن خلدون والبساطى، مما يدل على ان البساطى كان يمثل الحزب الذى يناوىء المؤرخ فى هذا الدور من المعركة. والظاهر أيضاً ان ابن خلدون كان يعتمد فى مقاومة خصومه على عوامل وقوى ليست أقل أثراً مما يعتمدون عليه؛ فانه لم يمض على ولاية البساطى نحو ثلاثة أشهر حتى عزل فى أوائل ذى الحجة، وعين ابن خلدون للمرة الرابعة فى ١٦ ذى الحجة، واستمر فى المنصب عاما وشهرين، ثم رجحت كفة خصومه فعزل فى السابع من ربيع الاول سنة ست (٨٠٦)؛ وأعيد البساطى فى الشهر نفسه، ثم عزل فى شهر رجب سنة سبع؛ وأعيد ابن خلدون للمرة الخامسة فى شعبان سنة سبع؛ ثم عزل بعد ثلاثة أشهر فى ٢٦ ذى القعدة من نفس العام؛ وأعيد خصمه القديم جمال الدين الاقفهسى فلبث ثلاثة أشهر؛ ثم عزل وخلفه جمال الدين التنسى لمدة يومين فقط؛ ثم أعيد البساطى فى ربيع الاول سنة ثمان (٨٠٨) وعزل فى شعبان من العام ذاته، ثم أعيد

(١) ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى ج ٢ ورقة ٣٠١

(٢) «التعريف» فى النسخة المخطوطة

(١) يذكر ابن خلدون فى التعريف أن تعيينه هذه المرة كان فى «أواخر شعبان». ولكن ابن تغرى بردى يؤرخ هذا التعيين بيوم السبت ٣ رمضان سنة ٨٠٣ (المنهل الصافى ج ٢ ورقة ٣٠١). ويقول ابن اياس انه كان فى ١٣ رمضان، تاريخ مصر ١ ص ٣٣٧.

(٢) ابن حجر فى كتاب «رفع الاصر عن قضاة مصر» (مخطوط دار الكتب ١٠٥ تاريخ) ورقة ١٥٩ — وينقله السخاوى فى الضوء اللامع.

من طرائف الشعر

المنجـــــم

للدكتور محمد عوض محمد

جاءت الى جانب المنجم ... أحدق في جوفه الأقتم
ظلام رهيب «... وغور بعيد» ... وليس إلى القاع من سلم !
فياعجبا ! أي كنز ثمـ ... ـن تكدس في قاعه المظلم ...؟
وأي نعيم لمن يستطـ ... ـع وصولا إلى جوفه المفعم !
وأي انتصار لمن قد يغو ... ص فيخرج مافيه من أنعم !

***

ومالي أحجم عما أرو ... م ولا فوز في الدهر للمحجم ..
أيا نفس قد آن أن تفحمي ... رهيب الخطوب وأن تقدمي !

***

فياصاح هات الرشاء المتيـ ... ـن لأدليه من فم المنجم
وأنزل وسط الظلام المخيـ ... ـف نزول العقاب أو القشعم
عناء على بؤس عيش مضني ... لقد آن يانفس أن تنعمي !

***

فما زلت أهبط في حندس ... به الكف لاتهتدي للفم
الى أن تحجب ضوء النها ... ر وأمسيت في حالك أدهم ؛
أحاول جهدي التماس السبيـ ... ـل بسمع أصم وطرف عمي !

وحولي هواء رطيب كريـ ... ـه كأني في بؤرة من دم
وكم من بخار غريب مريـ ... ـب ومن نفس مدنف مستقم !
فهل مثل هذا الطريق الكريـ ... ـه يؤدي الى المقصد الأعظم ؟
على أن صوت الرجاء الملـ ... ـح يهيب بنفسي : «لاتحجمي !
فكم نقمة طيها نعمة ... وحلو تولد من علقم ! »

***

فما زلت منحدرا ... نازلا ... بصبر الجليد وعزم الكمي
ينير فؤادي ضياء الرجا ... ء فلم أتراجع ، ولم أهزم
وكم شدة إثرها شدة ... تحملتها غير مستسلم !

***

وبعد عناء وسير طويـ ... ـل إلى غاية المنجم المقتم !
وصلت الى قاعه مجهدا ... وقد أخذ الوهن من أعظمي !
ورحت أفتش أرجاءه ... بقلب مشوق وصدر ظمي
أطوف به باحثا فاحصا ، ... فأعدو هنا ، وهنا أرتمي
فلم ألق كنزا ولا شبهه ، ... فياحسرة اليائس المعدم !

***

وما كل شيء عزيز الطلا ... ب يذخر ثمين ولا مغنم !
وما كل ممتنع في الخدور ... حقيق بعشق الفتى المغرم !
وكم يخدع النفس بعد المنا ... ل وتغتر بالغامض المبهم ..

الضحية

سلوت ولكن لايزال بمهجتي
حنين الى الماضي البعيد بعيد
وكم حاولت نفسي السلو فلم تجد
لها مذهبا إلا اليك يقود
أنا الحر لكن في هواك مقيد
وفي الحب دنيا رحبة وقيود
أحن الى عهد الدموع ولم يزل
أخو الحب يسلو تارة ويعود
ليالي .. كالأطلال ينعب بومها
لها كلما جن المساء نشيد

***

ترومين قربانا ينجيك من لظى
فروحي قربان وموتي عيد

حلب ... عمر ابو قوس

ابن خلدون للمرة السادسة فلبث في منصبه بضعة أسابيع فقط (١)

وفي السادس والعشرين من رمضان سنة ثمان وثمانمائة (١٦ مارس سنة ١٤٠٦ م) توفي المؤرخ والمفكر الكبير ، قاضيا للمالكية وقد بلغ الثامنة والسبعين من حياة باهرة حافلة بجليل الحوادث وروائع التفكير والابتكار ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر (٢) وهي يومئذ من مقابر العظماء والعلماء

ويصل ابن خلدون في تدوين اخبار هذا النضال العجيب حتى عزله للمرة الخامسة في ذي القعدة سنة سبع أعني الى ماقبل وفاته بعدة أشهر فقط . (للبحث بقية)

(١) راجع أدوار هذه المعركة وحوادث التعيين والعزل، ابن خلدون نفسه في التعريف (النسخة الخطية ص ١٤٧) . وحسن المحاضرة للسيوطي (مصر) ج ٢ ص ١٢٣ ، والمنهل الصافي (ج ٢ ورقة ٣٠١) ، وتوجد مفارقات يسيرة بين التواريخ في مختلف الروايات

(٢) السخاوي في الضوء اللامع المجلد الثاني من القسم الثاني ص ٣٧٠.

الذكرى

أيتها الذكرى جزيت من دمي
أنت وان نكأت جرحي بلسمي
ما أنت ؟ هل أنت كتاب دارس
يهمس بين دفتيه هامس ؟
أم طائف يهزج فيبيد مسمعي
إذا خلوت بالبكا كان معي
أم واعظ بالزفرات ينطق
أم شبح بناظرى معلق
أم أنت فى ليل الضمير ناعبه
أم ثاكل بين الضلوع نادبه
أغريت بى طيف الحبيب ، مرحباً
بمن أباح مهجتي وعذبا
يزورنى مع الكرى وفى السهد
يازائراً بالقلب والجفن انعقد
أجبته لغرة مثل الضحى
وطلعة لوشامها الصبح امحى
ومقلة أهابها بين المقل
ومبسم من مشرع الخلد نهل
كأنه الوردة فى ريعانها
أو نعمة اليائس فى إبانها
يشفى غليل المستهام ان ألم
وربما داوى الشقى بالألم

***

أحببته حباً على النفس غلب
وما على الصب المشوق لو أحب ؟
ان الشباب نهم مذوق
نشوان من كل حلال يسرق
يلص مايحلو له بلا وجل
ويشحذ النظرة تمضى كالاجل
ولا يبالى أحرقته ناره
وزلزلت فوق الصعيد داره
أم عانق اللذة فى غلائل
وجاده صوب النعيم العاجل

أيتها الذكرى أعيدى ماقبر
ورددى ماطاب من عيشى ومر (١)
لله أيام الصبا ماأجملا !
ودورة العمر بنا ما أعجلا !
أين لأترابى أمس ملعب
ومستراد نازح ومذهب ؟
وأين عهد بالحمى لايخلق
وكيف وهو للحياة مشرق ؟
تغير الصحب وقوض الحمى
كأنما عشنا به توهما !
وغالت الأحلام غولة القدر
فودع السكر وجاءت الفكر
أكلما لج الاسى بخاطرى
محوت بالماضى شقاء الحاضر ؟
سينضب العمر فيبقى سره
والحب خطى فى الهواء قبره
وأسمعيني فى الممات لحنه
وصورى لناظرى حسنه

(سورية) حمص — رفيق فاخورى

نشـــأة المدنيـة

(بقية المنشور على صفحة ١٦)

المعتدلة الدافئة ، وتربته غنية بما يحمله هـذا النهر المقدس من طينة كأنها النضار

(٣) ولـكنا اشترطنا أن تجود الأرض بأكثر من حاجـة الاستهلاك ، وهـذا متوفر فى مصر . فقد كان البلح والذرة هما النبـات الرئيسى الذى تجود به أرض مصر جود الـكريم ، وبذلك يصبح تحصيل القوت ميسورا ، واذن فزيادة السكان نتيجة محتومة ، إلى آخر مايتبع ذلك من نتائج . وبعبارة واضحة ، لعلنا لاندهش القارىء بعـد التحليل الذى بسطناه ، ان نبات الذرة فى مصر هو السبب الاساسى الذى دفـع المدنية المصرية الى الظهور . ومما يؤيد هذه النتيجة أن المدنية المصرية نشأت أولا فى الوجه القبلى لأنه أصلح لانبات الذرة ، حتى يقال أن زراعته انتقلت منه الى الوجـه البحرى فى وقت متأخر ، ولا يزال صعيد مصر يزخر بآثار تلك المدنية العظيمة التى تنهض دليلا على ذلك .

ومما يؤيد زيادة السكان ، التى نتجت عن وفرة الطعام ،

فى الأدب الشرقى

القصة الحديثـــــــة

فى الأدب الصينى

مترجمة عن مجلة الشبر الفرنسية

ليست القصة الصينية بنت الأمس، وإنما يرجع مولدها الى عهد أسرة (Tcheau) تشيو وكانت تسمى يومئذ (سياوشوو) أى المناسبات الضئيلة ، وكتابها الأولون هم لى يوكيو ، وتشو ، وانغ تسوة وتشنغ شى تسو .

فالاول كان من رجال القرن الرابع قبل الميلاد، والآخران قد تبعا بعده بقرن وقصصهم كانت تستمد موضوعاتها من الاساطير والخرافات والامثال، ولبثت القصة فى هذا الطور الابتدائى أمداً طويلا حتى ولى الحكم أسرة (طنغ) (٦١٨ — ٩٠٧) فدبت فيها الروح وسارت فى طريق الكمال .

كان العمل الروائى فى الاقاصيص والحكايات يتقدم شيئاً فشيئاً خلال القرون الخالية حتى أصبح قبيل العهد (الطونغى) مسلاة أدبية. وكان القصص على شدة قصره لايجرى على خطة مقررة فأقره كتاب العصر الطونغى فى نصابه من العناية والفن فحددوا الغاية، ورسموا الطريقة وبسطوا العمل، ودققوا التفاصيل، وجودوا الأداء ، حتى أصبح أجمل المظاهر فى الأدب الصينى بعد أن كان موضع الزراية والاحتقار عند اشياع كونفشيوس.

كانت الاساطير وحياة النابهين فى الشرف أو النابهات فى الحسن موضوع الاقصوصة من أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع فكتب (ونغ تسو) (حياة مرآة قديمة) وهى أقصوصة بطلها مرآة سحرية مغامرة صرعت ثعلبة مسحورة تحولت الى امرأة، ثم قهرت أفعوانا ضخما كان قد اتخذ وكره فى أصل شجرة، ثم قتلت قرداً وسلحفاة فاستحالا الى انسانين أخذا يحاضران فى العلم والسحر الخ وكل مغامرة من هذه المغامرات يحكيها القصصى بثقة، ويصدقها القارىء ببساطة . وفى النصف الاخير من القرن الثامن ظهرت أقصوصة أخرى شهيرة، وهى أقصوصة المقام فى مخدة تأليف (شن كى تسى) وموضوعها أن (لو) الخالد أعطى أحد الشبان مخدة سحرية فدخل فيها ورأى رؤيا عجيبة يقصها فتستغرق أعاجيبها كل الحكاية. ثم ظهرت على أثر ذلك أقاصيص الابطال فغلبت على أذهان القصاص والقراء حتى اليوم ، فالبطل ذو السيف لايعجزه شىء ولا تنقصه موهبة فهو يطير، وله سيف يدرك ويشعر فهو فى السلم يقصر ويختفى فى أنف البطل أو فمه وفى الحرب يخرج ويقتل العدو على أى مسافة يريدها صاحبه. وللصينيين ولوع بهذا الضرب من القصص حتى فى نهضتهم الحديثة، وبجانب أقاصيص الخوارق والاعاجيب تجد سير العظماء والامراء محكية على نمط تاريخى أو روائى أو هجائى كسيرة (لى كوى) وسيرة (ينغ — ينغ) ولكن فى النادر أن تجد فى الادب الصينى حكاية أو سيرة تقوم على الواقع وحده ؛ فالكتاب على الجملة يميلون الى تزيين الحقيقة بالمبالغة والتزيد فيجرهم ذلك الى فقد الوحدة أو عدم التوازن أو خطأ المغزى .

أما القصة الطويلة ذات الفصول فلم تظهر إلا فى عهد آل سونغ من ٩٦٠ الى ١٢٧٩ م وهم يسمونها (بنغ هويا) منشؤها فى الصين كمنشئها فى سائر بلاد الشرق: رجل يسمونه (المحدث) يقص على الناس فى مجلس عام حكاية من الحكايات بالاجر ؛ فمن فائدته إذن ان يطيل الحكاية ما استطاع لينتفع من ورائها فى جلسات كثيرة، والجزء الذى يحكيه فى جلسة من هذه الجلسات

ماذكره هيرودوت من أنه وجد فى مصر عند زيارته لها عشرين الف مدينة عامرة . وقد أدت زيادة السكان طبعاً الى نقص الأجور وتفاوت الطبقات تفاوتا عظيما، بلغ حد التأليه للملوك، ونزل بطبقة العمال الى هاوية التسخير غير المأجور ، كما يتضح من بناء الاهرام وما اليها .

ليست أحداث التاريخ فوضى لاضابط لها كما يتبادر الى الأذهان التى تقف عند النظر السطحى ، ولكنها تبدو لمن يستبطن دخائلها ، خاضعة لقانون محكم لايشذ ، ومنطق سليم لاعوج فيه ولا التواء .

زكى نجيب محمود

يؤلف فصلا من فصول السيرة وظلت (الينغ هويا) على هذا النمط الأولى حتى جاء (لوبن) ١٣٣٠ ـ ١٤٠٠ فى عهد آل يوان يجملها فنا، كان يقتبس موضوعاته من التاريخ ولكنه يضيف اليها وقائع واشخاصا من عمل الخيال. وكان يصور أبطاله على نحو مايفعل القصصيون الاوربيون اليوم. كتب (لوبن) عشرات من القصص ولكن أفضلها واجلها قصته المسماة (على شاطىء البحيرة) تقع فى مائة فصل وتدور على مخاطرات بطل يدعى (سونغ كيانغ) مع رفاقه المائة والسبعة ـ وهو شخص تاريخى ورفاقه كانوا مائة وثلاثين ليس غير ـ وكانوا يحتلون (اليانغ شان) ثم ثاروا على اسرة سونغ الحاكمة فهاجموا مدنها وقاتلوا جيشها ونهبوا مقاطعاتها وأصبحوا حكاما فى هذه الأرض. وهؤلاء العصاة الفتاك كانوا من خيار الناس فألجأهم الى هذا الموقف عسف الامبراطور ومن هاواه من الخونة.

ولم يكن هم (لوبن) ان يخلق أشخاصا ويصف اخلاقا وانما كان همه فوق ذلك أن يرمى الى غرض أخلاقى؛ وتلك هى الصفة الغالبة على الآداب الصينية، فالكتابة عند كتاب الصين وسيلة الى الخلق، والشعر عند شعرائها طريق من طرق التربية. والأخلاق عند (لوبن) قائمة على الديمقراطية: فهو يؤلب الاخيار المضطهدين على الاسرة الحاكمة؛ ويحارب الفروق الاجتماعية بين طبقات الشعب؛ فلا يعترف الا بصنفين من الناس: الشجعان والاذكياء، وهؤلاء وأولئك ملزمون أن يعملوا لخير الأمة، ولا بأس أن يعيشوا عيش اللصوص وقطاع الطرق ماداموا يذودون بذلك عن المظلومين والمحرومين.

ثم ظهرت بعد ذلك طائفة كبيرة من القصص على عهد آل (منغ) من سنة ١٣٦٨ ـ ١٦٦٢ م ولكن قصتين اثنتين من بينها تلفتان النظر وتسترعيان الخاطر وهما (حكاية رحلة الى بلاد المغرب؛ و(زهور الشر فى أصيص من الذهب) فالأولى قصة وهمية كثيرة المخاطر الخارقة والأوهام العجيبة. والثانية قصة نفسية (بسيكولوجية) لمؤلف مجهول تدور على ما وقع من المخاطر الغرامية لغنى من الاغنياء اسمه (سى من كسنغ) وهو متبطل شهوانى محصن ولكن له أخدانا كثيرات، والقصة تعرض بالتفصيل حياة هؤلاء الخليلات الخاصة، وتشتمل على فصول من الفحش والرجس، والدنس ولكنها غاية فى التحليل النفسى للمرأة؛ والدقة فى وصف المشاهد، والتنويع فى مساق الحوادث.

وفى عهد آل (تسنغ) ظهرت أنواع كثيرة من القصة كالقصة العلمية، ويمثلها قصة عنوانها (ثرثرة شيخ قروى يتشمس) للقصصى (هيا كنغ كيو) من كتاب القرن السابع عشر، وقصة أخرى عنوانها (حظ الإزهار المنعكسة على الثلج) للكاتب (لى فوتشن) من رجال القرن الثامن عشر؛ فالأولى تخوض فى أحاديث شتى عن الفلسفة والكتب القديمة وأمانة الوزراء وتقوى الابناء والمكائد والفنون والطب والاخلاق وغير ذلك مما جعلها دائرة معارف هى الى الدعوى والافتراء اقرب منها الى العلم الصحيح. وأما الثانية فهى بحث علامة جليل عالج فيها كثيرا من المسائل النسائية وعلى الاخص مساواة الجنسين. وهذا فى الأدب الصينى شيء جديد.

والقصة الاخلاقية ظهرت فى هذا الحين، وهى تقص حكايات الممثلين والممثلات، وتصف أخلاق البغايا والمومسات، ثم ظهرت فى القرن تاسع عشر القصة الهجائية فهجم بها الكتاب على الاسرة الحاكمة التى طواها الموت، ورشقوا بسهام النقد طبقة العلماء والموظفين (Les Mandarins). على أن الانواع القديمة كالاقاصيص الخرافية والقصص التحليلية وسير الأبطال استمرت تؤتى أكلها فى عهد آل (تسنغ).

تلك كانت حال القصة الصينية حينما ظهرت بواكير الثورة الأدبية فى القرن التاسع عشر فتفتحت اليوم عن ادب حديث يشعر على حداثته بحقيقته ومصيره.

***

كانت الثورة الصينية ثورة سياسية واجتماعية وثقافية فى وقت معا. ففى السياسة أدت الى سقوط الملكية وقيام الجمهورية؛ وفى الاجتماع أفضت الى اقتباس الاخلاق الغربية. وفى الثقافة هدت الى اكتشاف العلوم والافكار الأوربية. والفضل فى هذا الاكتشاف للأديبين (ين فو) (١٨٥٣ ـ ١٩٢١) و (لن شو) (١٨٥٢ ـ ١٩٢٤) فان الاول نقل الى الصين فلسفة (هكسلى) و (ستيوارت مل) و (سبنسر) و (سميث) و (جنكس) و(جفونس) و (وستراب) و (منتسكيو) ونقل الثانى قصص (ستيفنس) و (ديكنز) و (ولترسكوت) و (كونان دويل) و (واشنطون أرفنج) و (فكتور هوجو) و (دوماس) و (بلزاك) و (سرفنتيس) و (تولستوى) فكان لما ترجماه أثر بالغ فى الفكر الصينى الحديث.

فمنذ الساعة الاولى فكر رسل الثورة الاجتماعية فى اتخاذ القصة وسيلة للدعاية، وقد قال (ليانغ كى تشاو) وهو صحفى من المدرسة الحديثة: «يجب ان نبدأ اليوم بثورة فى القصة، فانا لا نستطيع أن نخلق شعبا جديدا الا بقصة جديدة»

ولكن الصعوبة الوحيدة . هي اللغة . فان لغة الكتابة تختلف عن لغة التخاطب، ولغة التخاطب نفسها تختلف في اقليم عنها في اقليم بل في مدينة عنها في مدينة . فالمدرسة الحديثة حاولت أن تقرب بين لغة الكتابة ولغة الخطاب . ولكن أي لغة من لغات التخاطب تجعلها نموذجا ومثلا ؟ وهل تضطلع حروف الهجاء الصينية — وهي لحسن الحظ واحدة في جميع المدن والأقاليم — بهذا الاصلاح ؟ ان توحيد التعليم العام يقتضي لغة كتابية يقبلها كل الناس . واللغة المندرينية لا يمكن أن تكون على حالتها هي تلك اللغة .

ففي سنة ١٩١١م أسست الجمهورية الناشئة مجمعا عاما أصلح هذه اللغة وجعلها لغة وطنية ، ثم وضع لها تسعا وثلاثين علامة صوتية، تساعدها على الانتشار بين طبقات الشعب ، ومنذ ذلك الحين أصبح في امكان الكاتب أن يؤلف القطع الادبية، ويكتبها بالحروف الصينية . فتتفق مع اللغة الوطنية ، وهذه اللغة المكتوبة الجديدة التي يفهمها الصينيون على السواء قد أطلقوا عليها اسم (بو هويا) أي اللغة الواضحة . والادب الصيني في هذه اللغة العامة لا يرجع تاريخه الى أكثر من اثنتي عشرة سنة

وليس هذا كل الاختلاف بين الادب الحديث والأدب القديم . فان الفكر الصيني قد تغير جملة واحدة، فرجال المدرسة القديمة كانوا يصرون على تقليد القدماء تقليدا حقيقا جر عليهم الغرابة والتعقيد والجفاف، حتى جاء في سنة ١٩١٦ أحد المحدثين وهو (هوشي) فاقترح ثماني وسائل لتجديد الادب القديم كانت أساسا لبناء الادب الحديث وهي (١) ألا يلجأ الادباء الى شيء من التاريخ والأدب والأساطير في غضون النثر والنظم (٢) الا يستعملوا الحكم المأثورة والأمثال السائرة اتقاء للابتذال (٣) الا يسرفوا في البحث عن الاقيسة النحوية والمقابلات البيانية وعلى الأخص في الشعر (٤) الا يتجنبوا الالفاظ العامية والتراكيب الشعبية (٥) أن يعنوا أشد العناية بالانشاء (٦) الا يئنوا ما لم يحسوا في أنفسهم الحاجة الى الانين (٧) ان يعتدوا بشخصياتهم فلا يقلدوا القدماء في شيء (٨) ألا يكتبوا إلا اذا جال في خواطرهم ما يريدون أن يكتبوه .

فاذا كانت الفلسفة الصينية اليوم في وقوف ؛ والتاريخ غير موجود ؛ والانتاج المسرحي قليل القيمة ؛ والشعر لم ينطلق بعد من أسار التقليد ؛ فان القصة تنمو وتزدهر معتمدة في تجديدها وتأييدها على ثلاثين مجلة تحلها من صفحاتها المحل الاول ؛ أهمها (Le nouveau Roman) القصة الجديدة (the short stary magayine

القصة الصينية الحديثة واقعية (Réaliste) كالقصة الغربية فلا تأبه مطلقا للتقاليد ولا تتصل بالاساطير والخوارق . وكتابها لا تعوزهم القرائح الخصبة . ولبعضهم قصص جليلة الشأن عظيمة الخطر . ولكنك لا تجد فيها ذلك السحر الأخاذ ؛ ولا ذلك الجو الاثيري النقي ؛ ولا تلك الخفة التي كانت تميز القصة القديمة وتلونها باللون الصيني الخالص . فان القصة الحديثة اقتبست من القصة الغربية الشكل والاصطلاح والروح أيضا ، والمشابهة شديدة بين الحكايات الحديثة في الصين وبين بعض الاقاصيص في أمريكا ، واذا قرأت حكاية (كونغ يي كي) للكاتب (لوسين) حسبتها مكتوبة بقلم شروود اندرسون

من القصصيين المعاصرين (تشنغ تسوينغ) وهو كاتب وافر الانتاج ، ويعزون هذه الوفرة الى انه يشتري قصص المفلوكين من الادباء بثمن بخس ثم ينشرها تحت اسمه . وقد انفرد بمعالجة نوع واحد من المشاكل الاجتماعية ؛ وهو تضارب العواطف بين ثلاثة أشخاص رجلين وامرأة أو امرأتين ورجل وليس في قصصه أصالة فكرية ولا لأسلوبه قيمة أدبية ولكنه مع ذلك أكثر الكتاب قراء وأبعدهم صيتا .

ثم (كوموجو) وهو زعيم المذهب العمالي Eceoleprolériatenne الذي يعنى اتباعه بمعالجة الموضوعات الخاصة بالفقراء الذين يعيشون على عملهم وهو يدير اليوم حركة الدعاية الشيوعية ضد الحكومة ، ويؤلف في سبيل ذلك الاقاصيص والروايات والخطب ولكن حظها من الفن قليل . فاذا نسي السياسة وكتب للأدب تكشف لك عن قصصي سمح القريحة واضح الطريقة .

ثم (يي شاو كيون) و (يو تافو) وهما قصصيان من الطراز الاول ؛ ولا يعالجان غير القصة الاخلاقية ، يصفان فيها جوانب الفقر والفسق والبؤس من حياة الشعب الصيني في المدن الكبرى ثم (ينغ ناغان) وهو معدود في طبقة الكتاب النابهين

ولكن أرفع القصصيين المحدثين ذكرا وأسماهم مكانة هو (لوسين) له مجموعتان من الاقاصيص عنوان الاولى (صرخات الحرب) وعنوان الثانية (اضطراب البال) ونتاجه على قلته موسوم بسمة الجمال والعبقرية

وسنترجم في الاعداد المقبلة قصة له وأخرى لينغ ناغان تمثلان الروحين الشائعين ، والاتجاهين المختلفين في القصص الصيني الحديث .

في الأدب الغربي

بين بين

للدكتور طه حسين

الأصل في الكلام أنه وسيلة تتوسل بها الى الاعراب عما تريد أن يفهمه عنك غيرك، فهماً واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا غموض. والكلام كله يشترك في هذا الاصل أو قل كان يشترك في هذا الاصل سواء منه ما كان شعراً وما كان نثراً، وسواء منه ما تحدث الى العقل وما تحدث الى القلب والشعور. فاذا خرج الكلام عن أصل البيان والتبيين هذا فكان فيه غموض أو التواء فصدر ذلك قصور في المتكلم أو الكاتب أو قصور في السامع أو القارئ، عجز ذاك فلم يحسن الاعراب عما يريد، أو عجز هذا فلم يحسن الفهم لما ألقى اليه. وقد يكون الغموض مقصوداً والالتواء متعمداً، لأن للكاتب أو الشاعر أو المتكلم غرضاً يدفعه إلى أن يتكلف الغموض ويتعمد الالتواء ولكن هذا الكلام الغامض الملتوي واجد على كل حال من يقرأه أو يسمعه فيفهمه فهماً صحيحاً مستقيما

هذا هو الاصل في الكلام ولكن يظهر أن الترف الفني الذي ترقى بنا الحضارة اليه، وتتنقل بنا في درجاته المختلفة يأبى أن يقر الاشياء في أصولها أو يدعها ميسرة لما خلقت له. فكما أن الأصل في الطعام والشراب الغذاء والري، ولكن الحضارة والترف قد خرجا بهما عن هذا الأصل الى ما يتجاوز الغذاء والري الى غيرهما من اللذات التي يجدها الطاعمون والشاربون فقد خرج الترف الفني في هذه الايام بالكلام عن أصله المألوف الى شيء آخر غير البيان والتبيين، ونشأت طائفة من الكتاب والشعراء لا تكتب النثر ولا تقرض الشعر لتقول شيئاً واضحاً جلياً أو لتقول شيئاً ينتهي بعد الجهد والعناء الى الوضوح والجلاء. وانما تكتب وتنظم لتثير في نفسك ألواناً من المعاني وضروبا من الخواطر، ولتهيج في قلبك اشكالا من العواطف وفنونا من الشعور، تحسها فتلذ لها وتألم، وتبتهج لها وتضيق بها. وتفهمها حيناً وتعجز عن فهمها أحياناً، وتذهب مذاهب مقيدة غريبة متباينة في فهم هذا الكلام الذي يلقى اليك وتأويله وتخريجه فتقر ما تنتهي اليه ثم يبدو لك فتعدل عنه، ثم تقرأ هذا الكلام مرة أخرى فاذا أنت تذهب في فهمه وتأويله وتخريجه مذاهب لم تكن قد ذهبتها من قبل، ثم تتحدث الى من قرأ هذا الكلام نفسه فاذا هو يخالفك في الفهم كل الخلاف أو يخالفك في بعضه ويوافقك في بعضه الآخر. ثم تتحدثان الى ثالث قد قرأ هذا الكلام فاذا له فيه رأى لم ترياه ولم يخطر لكما على بال ولعلكم إن سألتم الكاتب أو الشاعر الذي ألقى اليكم وإلى الناس هذا الكلام عما أراد به حين كتبه أو نظمه لم تجدوا منه جوابا مقنعاً ولا رداً مريحا. أو وجدتم أجوبة مختلفة وردوداً متباينة، لأنه هو لا يعرف بالضبط ماذا أراد حين كتب أو نظم أو كان يعرفه أثناء الكتابة والنظم ثم ذهب عنه بعد ذلك، أو كان يعرفه فلما أتم الكتابة والنظم وترك ما كتب ونظم حينا عاد اليه يقرأه فاذا هو يفهم منه غير ما أراد ويتبين منه غير ما كان قد قصد اليه

وقد يخطر لك أني اقصد بهذا النحو الكلام الى شيء من العبث أو الدعابة ؛ فذد عن نفسك هذا الخاطر فلست بصاحب عبث ولا دعابة. وإنما أنا صاحب جد كل الجد وأنا أكتب هذا الكلام بعد أن فرغت من قراءة قصة لذيذة قيمة ممتعة للكاتب الفرنسي جورودو. صاغها في صيغة القصص التمثيلي ووضع لها العنوان الذي وضعته أنا لهذا الفصل، ونشرها في عددين من مجلة باريس

وقد قلت إن هذه القصة لذيذة قيمة ممتعة وأنا اريد ما

قولة؛ ولعلي متصر حين أكتفى بهذه الاوصاف وحسبك أني قرأتها ثلاث مرات وسأقرؤها الرابعة ان أذن بذلك الوقت وسمحت به الظروف . وقد وجدت في كل قراءة لذة ومتاعا وأنا واثق بأني سأجد في القراءة الرابعة لذة ومتاعا . ولكني على ذلك كله لم أفهم ما أراد الكاتب أو قل فهمت أشياء مختلفة وأغراضا متباينة: ما أظن أن الكاتب قد أراد اليها أو فكر فيها . وقد أسأت الظن بنفسى فاقرأت هذه القصة قوما آخرين وجدوا فيها لذات لم أجدها ومتاعا لم أشعر به . ولكنهم كانوا مثلي عاجزين عن ان يفهموا بالدقة او بالتقريب ما اراد اليه الكاتب حين كتب قصته هذه البديعة الغريبة . ثم انتهى بنا الامر الى ان تفقنا على ان الكاتب لعله لم يرد شيئا اكثر من أن يثير في نفوسنا وقلوبنا هذه الخواطر والعواطف وهذه الاهواء والميول . وعلى ان الكاتب لعله أراد أن يذهب بالكلام مذهب الموسيقيين بالموسيقى؛ فلا يقصد إلا الى أن يثير في نفسك ضروبا من العواطف والاهواء حول فكرة خطرت له وأثرت فيه، فصورها كما استطاع في هذه الالحان التي قد تطابق ما في نفسه وقد تقصر عنه وقد تتجاوزه وتربى عليه . ولكنها على كل حال قلما تنقل الى نفسك صورة صحيحة مطابقة لما كان في نفسه؛ وقلما تثير في النفوس المختلفة عواطف واهواء مؤتلفة أو متقاربة تقاربا شديدا . انما قصاراها ان تدفع بك في عالم من الخيال لا حد له . فأنت تتصور فيه ما تشاء .. وانت تحس فيه ضروبا متباينة من الاحساس . وقد تسمع اللحن الموسيقى الآن فيثير في نفسك لونا من الخواطر وتسمعه بعد ذلك فيثير في نفسك لونا آخر . وكذلك يذهب أصحاب الكلام بالكلام حتى يجعلوه فنا من النغم وضربا من الموسيقى؛ وحتى يستطيعوا ان يلقوه اليك فاذا انت لا تفهم منه شيئا دقيقا جليا كما تعودت ان تفهم من الكلام . ولكنك على ذلك لا ترغب عنه ولا تنفر منه بل تؤثره ولا تعدل به شيئا .

في هذه القصة خداع غريب خطر لأنه يخيل اليك انك تفهم ما تقرأ على وجه من وجوه الفهم فتمضى في القراءة متابعا فهمك هذا مطمئنا اليه؛ ولكنك لا تلبث ان تضل الطريق . واذا انت في واد غير ذلك الوادى الذى كنت تمضى فيه . وما زال كذلك ينقلك من واد الى واد ويثب بك من مذهب في الفهم الى مذهب آخر حتى تنتهى القصة . واذا انت تسأل نفسك ماذا فهمت انت منها وماذا اراد الكاتب بها اليه .

ولا بد لى من ان ألخص لك المقدار الذى يستوى الناس جميعاً في فهمه من هذه القصة حين يقرأونها وهو هذه الصورة الظاهرة التى يقسمها الكاتب الى مناظر وفصول . ولكنى احب ان تفهم ان هذا التلخيص لا يعطى شيئاً ولا يصور ما اراد الكاتب . وقد قرأت لجماعة من النقاد فما ارى انهم فطنوا لما قصد اليه في دقة ووضوح .

كل شيء في القصة مبهم قد تعمد الكاتب ابهامه؛ حتى الاماكن التى تقع فيها حوادث القصة ، والاوقات التى اختارها الكاتب لوقوع هذه الحوادث . فأكثر ما يقصه عليك الكاتب يجرى في مكان غير محدود ليس هو داخل المدنية وليس هو شديد البعد منها . وكأنه في طرف من اطرافها حيث تتصل عمارات المدن بالفضاء الواسع الطلق . وهو في غابة أو في شيء يشبه الغابة؛ تتبين فيه الاشجار ولكنك لا تضيق بها ولا تحس كثافتها والتفافها . والمكان واسع قد كسا أرضه العشب وانتثر فيه زهر كثير مختلف . ولا تقع حادثة من حوادث القصة في أول النهار أو في وسطه حين تستطيع العين ان تحيط بالاشياء وتحقق النظر فيها وحين تستطيع النفس ان تتابع العين فتفكر في شيء بين محدود . وانما تقع الحوادث في الاصيل حين يختلط آخر النهار بأول الليل، وحين يضطرب على الاشياء رداء رقيق جدا من الضوء؛ وحين تتفرق النفس كأنها تريد ان تتابع الشمس في مسراها من وراء الظلمة الكثيفة المقبلة .

واذا اختار الكاتب هذا المكان المبهم؛ وهذا الوقت المبهم لم يكن من العسير عليه ان يختار اشخاصا ان ظهرت صورهم المادية ظهورا واضحا في بعض الاحيان : فان صورهم النفسية وما يصدر عنها من الاحاديث والخواطر مبهمة شديدة الابهام ملائمة أشد الملاءمة لما يحيط بها من زمان ومكان . ولعل احسن مظهر لبراعة الكاتب انما هو انشاء هذه البيئة الغامضة الواضحة المبهمة الجلية التى هى بين بين .

موضوع القصة نفسه يقتضي هذا الموقف المتوسط بين الوضوح والغموض: فنحن في مدينة صغيرة من مدن فرنسا كانت هادئة مطمئنة تجرى حياة اهلها في اضطراد لا نتوء فيه كأنه السهل المنبسط. ثم يضطرب امرها فجأة وتحدث فيها حوادث غير مألوفة كأن شيطانا ماكرا قد اشرف على امورها فقلبها رأسا على عقب. تعودت ان تجيل بين اهلها في كل عام طائفة من اوراق «النصيب». فاذا جاء موعد القرعة فقد تعودت المدينة أن تخرج القرعة لاغني اهلها إلا في هذه السنة فقد خرجت لرجل فقير. تعودت ان تؤدى عملية الاحصاء من حين الى حين كما تؤديها غيرها من المدن. فاذا سئلت الاسر عن عددها ردت باجوبة تلائم العرف والقانون الا في هذا العام: فالعمدة يستحى ان يقدم الى المركز أوراق الاحصاء لأن الناس قد احصوا انفسهم، وكلابهم، وماشيتهم. ولأن الرجال لم يضعوا زوجاتهم في اجوبة الاحصاء، وانما وضعوا خليلاتهم. تعودوا ان ينهر الرجل صبيه فلا يثور الصبي، وان يزجر كلبه فلا يثور الكلب: أما في هذا العام فالصبيان ثائرون بآبائهم وأمهاتهم، والكلاب ثائرة بأصحابها وسادتها. وعلى هذا النحو اضطرب في المدينة كل شيء. ومصدر الاضطراب فيما يظهر ان اشاعة ملأت المدينة بأن شبحا يظهر لبعض أهلها اذا تولى النهار واقبل الليل. وقد صدق الناس هذه الاشاعة واطمأنوا اليها فكلهم يلتمس الشبح وكلهم يراه، وكلهم يخافه، ويحتاط للقائه. وانتهى امر هذا الاضطراب الى باريس فأرسلت الحكومة المركزية مفتشا الى هذه المدينة يبحث ويستقصي، وأمرته بان يحسم الداء اذا انتهى الى أصله. وفكرة الحكومة أن هذا عارض من الضعف العقلي ومن الشعوذة قد ألم بهذه المدينة، فيجب ان يرد عنها وأن يبسط عليها سلطان العلم والعقل: ويقبل هذا المفتش ممتلئا بهذه الفكرة فلا يكاد يتحدث الى العمدة والصيدلي ومراقب المكاييل والموازين حتى يروعه تصديق المدينة لهذه الخرافات: وحتى يشتد عزمه على ان يشمر في الحرب لهذا السخف حتى يقضي عليه. وهو ينكر وجود الاشباح والارواح: وهو يتحدى الاشباح والارواح ويطلب اليها أن تقلق طائرا ولو يسيرا عن غصن من هذه الاغصان وهو يحصي ثلاثة فلا يتم الاحصاء حتى تسقط قلنسوته عن رأسه! فيقول: ما أشد الريح! ويجيبه أصحابه: ليس في الجو أثر للنسيم!

وهو يعود الى التحدي في لفظ غليظ بشع ويطلب الى الارواح والاشباح أن تمسه بأذى ولو ضئيل. ويحصي ثلاثة فلا يكاد يفرغ من الاحصاء حتى تزل قدمه به فيهوى! فاذا نهض قال ما أشد الرطوبة! فيجيبه أصحابه: ان عهدنا بالمطر لبعيد! وبهذا يتحقق الخلاف بين ممثل الحكومة المركزية وأهل المدينة. هو صاحب علم وعقل وهم أصحاب خيال وإيمان بالخرافات.

ولكن علم المفتش أولي وعقله محدود. فهو يؤمن بما في الكتب ويسلم به مقلدا فيه وهو يرى الايمان به والتعصب له سياسة تلائم الديمقراطية وتوافق نظم السياسة الجديدة. وسذاجة اصحابه الذين يحاورهم ظريفة طلقة ليس فيها غلظ ولا ضيق، وانما هي سذاجة ذات أجنحة تسمو بأصحابها حتى تتجاوز بهم حدود المألوف المعقول وكأنها قد اتخذت أجنحتها من الخيال وأصبحت شعرا كلها، فالحوار اذا انما هو بين الحقائق الواقعة المقيدة التي لم تبرأ من الجمود ولم تسلم من القصور، وبين الخيال المطلق الحر الذي أخذ بحظ عظيم من الرقي والصفاء والتهذيب. الحوار اذا بين الحياة اليومية المألوفة يمثلها شخص المفتش وبين الشعر يمثله هؤلاء الناس. بل يمثله معهم أكثر أهل المدينة وتمثله معهم بنوع خاص ايزابيل هذه الفتاة التي تقوم على تعليم البنات مكان المعلمة المريضة والتي تذهب في تعليم الفتيات مذهبا غريبا ملائما كل الملاءمة للطبيعة الحرة والشعر الطلق. فهي لا تضطرهن الى المدرسة وإنما تتخذ من الغابات والحقول مدرسة تلقى عليهن فيها علما غريبا يضيق به المفتش الذي يمثل حياة كل يوم. وهي تلقي اليهن أسماء غريبة تدل بها على ألوان العلم في الفلك والطبيعة والنبات والحيوان وهي لا تتحرج في أن تحملهن على أن يتشكلن بأشكال الحيوانات المختلفة ويتسمين بأسمائها ويسرن سيرتها كل تعليمها يمتاز بأنه شعر، ويقوم على تحبيب الطبيعة الى التلاميذ. ولا يكاد المفتش يرى هذا ويتبينه حتى ينفر منه ويثور به ويرى أنه أصل هذا السخف الذي سيطر على المدينة ونشر فيها الفساد والاضطراب. فيعزل الفتاة إزابيل من منصب التعليم، ويأمر أن يجرى التعليم في المدرسة على ما يجرى عليه في المدارس الاخرى في أضيق حدود التقاليد. وقد أنبيء بان مصدر هذه الاشاعة التي اضطربت لها المدينة انما هو هذه الفتاة المعلمة، فهي التي ترى الشبح وتناجيه اذا كان المساء! وقد ثبت له ذلك. فأرصد للفتاة وطائفها ومعه نفر مسلحون حتى اذا كان المساء أقبلت الفتاة وأقبل الطائف فتحدثت اليه وتحدث اليها. وهما في حديثهما واذا نار تطلق فيهوى

الطائف الى الارض كما يهوى القتيل . ويظهر المفتش وأصحابه وهم لا يشكون فى أن هذا الطائف ليس إلا شابا أراد أن يغوى الفتاة فاتخذ صورة الطائف وشكل الخيال . ويحنو بعضهم على القتيل فلا يرى جثة وينظر القوم فاذا الطائف يرتفع فى الجو شيئاً فشيئاً حتى يسترد صورته الاولى ثم يقول : الى غد يا إزابيل ! الى غد فى غرفتك اذا كانت الساعة السادسة !

فاذا كان الغد أقبلت الفتاة الى غرفتها قرب الموعد المضروب وأقبل مراقب المكاييل والموازين فأخذ يتحدث اليها حديثا فيه حب ، فتريد أن تصرفه عن نفسها فيأبى ويعرض عليها الزواج ، وهما فى الحديث وإذا الطائف قد أقبل وطلب اليه أن ينصرف ويدعه مع الفتاة . ولكن الرجل يأبى ويلح فى الاباء ويكون بينه وبين الطائف حوار عنيف دقيق أيهما يستأثر بالفتاة ، والفتاة مترددة بين هذا الرجل الذى يمثل الحياة وهذا الطائف الذى يمثل الموت ولكن ميلها إلى الحياة ينتصر آخر الامر فينصرف الطائف مهزوما وتهوى الفتاة فى غشية كأنها الموت . ويقبل المفتش والعمدة والصيدلى والتلميذات وبعض أهل المدينة وكلهم يريدان يستنقذ الفتاة من هذا الاغماء . وكلهم يقترح لذلك دواء وطبا ولكن الصيدلى يتقدم اليهم جميعاً فى أن ينسوا الفتاة وينصرفوا الى انفسهم . ويستأنف كل منهم حياته فى هذه الغرفة كما لو كان بعيداً عنها فهؤلاء يلعبون الورق وهؤلاء الفتيات بينهن حديثا عاديا ، وهاتان الفتاتان تتحدثان فى الأزياء ، وهذا المفتش ينطق من حين الى حين بألفاظ من العلم والتعليم والديمقراطية وقد استحالت الغرفة صورة مصغرة للمدينة . واذا الفتاة المغمى عليها تفيق شيئاً فشيئاً حتى تشترك فى الحديث عن الازياء ويأتى من يخبر بأن الأمور قد استقامت فخرجت قرعة النصيب للاغنياء دون الفقراء ، ويعلن الصيدلى فى الفاظ تذكر بقصة فوست ان قد انتهت هذه الحال التى كانت بين بين !

هذه صورة غليظة جداً لهذه القصة لا دقة فيها ولا تحديد ولا المام بشىء مما فيها من مواطن الشعر ومظاهر الجمال الفنى الرائع . ولا المام فيها أيضاً بهذه المواقف الكثيرة التى يعرض فيها الكاتب للحياة اليومية على اختلاف فروعها بالنقد اللاذع المر ولكنك تستطيع أن تسأل نفسك كما سألت نفسي وكما سأل غيرى من القراء نفسه حين قرأ هذه القصة : ماذا أراد الكاتب أن يصور فيها ؟ أتراه اكتفى بنقد ما ينقد من الوان الحياة الفرنسية ولم يرد غير ذلك ! الا فان هذا النقد عارض فى القصة يكفى أن تنظر فيه لتعلم ان الكاتب لم يتخذه غرضاً من اغراضه الاولى أتراه رمز بهذا الطائف الى شىء مما يعرض للناس فى حياتهم وجعل الفتاة رمزاً للناس جميعاً او لطائفة من الناس ؟ ولكن ماعسى ان يكون هذا الشىء الذى اتخذ الطائف رمزاً له اهو الحب ؟ اهو الموت ؟ أهو الأمل ؟ أهو المثل الاعلى ؟ أهو شىء غير هذا كله ؟ أتراه إنما اراد ان يصور حالا من احوال الناس تعرض لهم فى طور من اطوار حياتهم حين يكونون بين النوم واليقظة ، او حين يكونون بين الصبا او الشباب وبين الاكتهال واكتمال السن . اتراه اراد ان يصور لناحية فتاة مريضة بنوع من انواع الامراض العصبية تتأثر بالوهم وتتبعه حتى تمضى فى اثره الى امد بعيد ثم لا ترد الى الحياة الواقعة إلا فى هدوء ورفق وإلا بأن تحيط بها الحياة الواقعة احاطة متصلة لا تكلف فيها ولا جهد كل ذلك ممكن ، ولعل شيئا غير ذلك كله ممكن ايضا . ولعل الكاتب (وقد هممت ان اقول الشاعر) لم يرد كما قلت إلا ان يخلق حولك هذه البيئة الشعرية التى تطلقك من قيود الحياة الواقعة وتسلمك الى الخيال يمضى بك حيث يشاء ساعة من نهار او ساعة من ليل . وقد ذهب الشعراء الى هذا النحو من الفن منذ عهد غير قصير ، فمنهم من جعل الشعر موسيقى تلذ السمع اولا ، وتثير فى النفس لذة النغم الموسيقى بعد ذلك واعرض عن المعانى اعراضا شديدا او هينا . ومنهم من اعرض عن هذه الموسيقى الظاهرة التى يتأثر بها السمع قبل كل شىء واتخذ الشعر مفتاحا يفتح لك به ابواب اللانهاية كما يقول الشعراء ووسيلة يخلق لك بها هذه البيئة الفنية العليا التى ترتفع بها وقتا ما عن الحياة والاحياء .

وأخذ الكتاب يذهبون بالنثر مذهب الشعراء بالشعر ولكن كاتبنا قد تجاوز مذهب الكتاب الذين يقلدون الشعر والشعراء فى النثر الذى يتجه الى القراء ليس غير ، وسلك هذا المذهب الشعرى بالنثر التمثيلى وبالتمثيل نفسه . وأنت فى غير حاجة الى أن أبين لك الفرق بين النثر الذى يذهب فيه صاحبه مذهب

الشعراء والموسيقيين والذى يتجه الى الناس جميعا ولكنهم يقرأونه متفرقين ويتأثرون به متفرقين وبين النثر الذى يذهب به صاحبه هذا المذهب ويتجه به إلى طبقات من الناس يجمعهم فى مكان واحد هو الملعب وينتزعهم من الحياة الواقعة معا ويسمو بهم معا الى عالم الشعر والخيال ويتخذ لهذا سبيلا واحدة هى التمثيل . وأظنك توافقنى على أن فى هذا النوع من الاقدام والابتكار جرأة فنية قيمة . ولكن قد رأينا الآثار التى تتركها قراءة هذه القصة فى نفس القراء ولم نحب أن نرى الآثار التى تتركها تمثيل هذه القصة فى نفس النظارة . ولكن أين نحن من هذا وأين هذا منا فى مصر الآن ؟

وأنا أريد ان اعرض عليك منظر من مناظر هذه القصة لم أختره اختياراً وانما هو كغيره من المناظر التى تستحق كلها أن تترجم وأن تتخذ نموذجا ومثلا لهذا الفن التمثيلى الجديد . وهذا المنظر حوار بين ايزابيل وبين الطائف :

الطائف — أكنت تنتظرينى ؟

إيزبيل — لاتعتذر ! فلو كنت طائفا مثلك لوقفت عند هذا الشفق وعند هذه الاودية حيث لم أستطع الى الآن أن أحمل الا جسما كثيفاً . اذا لاستوقفتنى الغدران والنبات الملتف وكل مالا أقف عنده الآن ! اذا لما كنت هنا الآن لو أنى أستطيع مثلك ان أطوف بظلى كما لا أستطيع إلا أن أمسه أو أراه ! اذا لاتخذت لنفسى جسما من الاشياء كما أهوى عصفوراً على الغصن مرة ! أو طفلا مرة أخرى او انحرف مرة ثالثة فأتقمص عوداً مزهرا من النسرين . انما الاحتواء هو القرب الصحيح... ولكنى ألومك لانك أقبلت هذا المساء وحدك : وحدك دائما

لم تستطع ان تمس احداً من ذويك ولا أن تحمله على صحبتك !

الطائف : لم أستطع .

ايزابيل : لقد فكرنا أمس بعد كل هذا الاخفاق ان اقدر الاشياء على ان يهيجهم ويؤثر فيهم ، ويوقظ ما يمكن ان يكون اعصاب الطيف ، قد يكون صيحة طويلة ، وشكوى متصلة متشابهة ؛ تتردد فى طول واتصال . كهذه الصيحة الحقيقية أو التى نحلم بها والتى تصدر عن القطار فتوقظنا احيانا مع الفجر وتردنا الى الاحياء . أو كصيحة السفينة اثناء الليل فى الخلجان ؛ تلك الصيحة التى تبلغ حتى الاسماك الرخوة فى القاع . ابعثت هذه الصيحة ؟ أأنفقت يقظتك فى بعثها ؟

الطائف : نعم !

ايزابيل : انت بنفسك ؟ انت وحدك ؟ ولم تلحق بصوتك شيئا فشيئا آلاف من اصوات تشبهه ..

الطائف : لقد اصطدمت بنوم الموتى .

ايزابيل : اينامون ؟

الطائف : ايكون هذا نوما ؟ لقد تسود ا كثر الاحيان حيث يجتمعون رعشة ؛ ثم ينساب فيهم نشاط شديد : حتى لقد ينبعث منه شىء يشبه الصوت أو انعكاس الضوء فاذا اقبل عليهم الطارقون المحدثون انغمسوا فى اضطراب لذيذ تهدأ له بقية حياتهم يهزهم دائما ترجرج الارض الخفيف . ولكن ربما اتصلت جماعتهم كلها ، فكأنها قطعة من الثلج قد غمرها نوم الشتاء . فاذا هبط اليها الموتى الوافدون غرقوا فيها مع شعاع يرافقهم ؛ لان نوم الاحياء شمس وبهجة .

ايزابيل : اكانوا كذلك امس ؟ ايتصل ذلك زمنا طويلا ؟

الطائف : قرونا .. ثوانى

إيزابيل : أليس من أمل فى المعونة

الطائف منهم ؛ لا أظن .

ايزابيل : لا تقل هذا ! ان بين الذين قضوا من حولى من احسست انهم قد ذهبوا الى غير رجعة ومحيت اشخاصهم من كل حياة ومن كل موت . لقد ارسلتهم على العدم كما ارسل الحجر . ولكن بينهم من وجهتهم الى الموت كأنما وجهتهم فى مهمة ؛ أو كأنما كلفتهم محاولة ؛ يظهر الموت فيها وكأنه اقصى غايات الثقة . فكان يضطرب حول المقابر جو السفر والاماكن المجهولة . ولم اكن اميل الى ان اودعهم باللفظ بل بالاشارة . وكنت احس اثناء المساء كله كأنهم يبحثون عن اقليم جديد وعن بيئة جديدة . وكانت الشمس مشرقة ؛ وكنت اراهم هناك ينامون فى شمسهم الجديدة . وكان المطر يسقط وكانوا يتلقون القطرات الاولى من امطار الجحيم . فلن تقنعنى بأن هؤلاء ايضا ينسون أو يسقطون متى انتهوا الى مستقرهم ؟

الطائف : لم يصلوا لم ارهم .

ايزابيل : ولكنك انت نفسك تلقى السلاح ؟ وتكتفى من الامل والرغبة بأن تهيم طائفا فوق مدينة ضئيلة ؟

الطائف : المهمة خطيرة :

ايزابيل : ومع ذلك فها أنت ذا .

الطائف : إن بين الموتى من ينام وكأنه يقظان .

ايزابيل : إن هذا النائم المستيقظ يستخفى مع الصبح وما زلت مقيما .

الطائف : لقد جذبتني . لقد اوقعتني فى الشراك .

ايزابيل : اى شراك ؟

الطائف : ان عندك لشركا يجذب اليه الموتى .

ايزابيل : وانت ايضا ترانى ساحرة

الطائف : ان سحرك لطبيعى حتى لكأنك قد عرفت فيم يفكر الموتى . فأنت لا تهيئين لهم ذكريات ولا صوراً وانما تهيئين لهم الشعور بانعكاس الصور وأجزاء الضوء قد استقر على زاوية من الموقد ، على أنفجر ، أو على ورقة كأنها الحطام الضئيل يطفو على الطوفان ..... اتريننى مصيبا ؟

ايزابيل : واذا ؟

الطائف : واذا فكل غرفتك فى الظاهر غرفة للاحياء ، لفتاة حية من أهل الاقاليم ، ولكن من يحقق فيها النظر يرى أن كل شيء قد قدر لتكون هذه العلامة من الضوء على الاشياء المألوفة على إناء من الصينى أو مقبض من المقابض قد استبقى دائماً بالشمس أو النار فى النهار ، وبالمصباح أو القمر فى الليل . هذه هى حبالتك وقد كان حقا على ان احتاط حين رأيتك فى نافذتك ذات مساء . لم يكن وجهك المشرق هو الخطر . ولكنى رأيت انعكاس اللهب على الحاجز أمام الموقد . ورأيت ضوء القمر على المنبه . ورأيت ماس انظلال . فأخذت !

ايزابيل : اخذك الشرك فمن أبقاك ؟

الطائف : صوتك قبل كل شيء احاديث صوتك هذه التى تجعل فى الشفق كل مساء شيئاً تهيم به الظلال يشبه ما يرى الناس ان الطير تحبه من الشمس او ابقائى بنوع خاص هذه الثقة الكريمة التى تمنعك حتى من ان تفكرى فى انى قد خدعتك وأنى حى ثم تطاق النار فيهوى الطيف !

طه حسين

انظر مجلة باريس الصادرة فى ١ مارس و١٥ مارس سنة ١٩٣٣

قرأت بعد كتابة هذا الفصل حديثاً للكاتب الفرنسى المعروف فرنسوا يرشيه نشرته النوفل ليترير فى عددها الاخير ، ويسرنى أنى قد اتفقت مع الكاتب الفرنسى فى كثير من الآراء ، وان ألفت الذين يقرأون الفرنسية الى هذا الحديث القيم

من الادب الانجليزى

للشاعر شـــــلى

مباهج العالم

حدثينى أيتها النجمة ذات الأجنحة النورانية !
أيتها الروح التى تسبح فى أفقها الوهاج
فى أي كهوف الليل وأغواره أخفيت كيانك

***

وحدثنى أنت أيها القمر .. يا كوكب الليل الأصفر الحزين
أيها الرحالة التائه فى طريق لا معالم فيه ولا هاد
فى أي أعماق الليل أو النهار تلتمس مأواك ؟؟

***

وأنت أيتها الريح المتعبة الكليلة
التى تجوب الوجود مولولة كالطريد المنبوذ من العالم
أو ما زلت تبحثين عن عشك الشجرى فى عذبات الصفصاف والكافور ؟؟

أغنية

هو طائر حزين جلس يبكى إلفا له قد مات
لقد استوى فى ذروة غصن من أغصان الشتاء
وكانت الريح المقرورة تزحف فوقه
والجدول المتجمد يدب تحته

***

لم تكن ثمة ورقة خضراء تخفق فى الغابة العارية الجرداء
ولا زهرة ترف فوق الربوة الشاحبة الكئيبة
وكان الجو صامتاً زامتاً
إلا من أزيز الأرحاء البعيدة

الى القمر

خبرنى أيها القمر عن سر اصفرارك ؟
أمن التعب الذى تلاقيه وأنت تتسلق السماء جاهدا محلقا إلى الأرض بين رفاق من النجوم تفاوتت أعمارها ؟؟
خبرنى لماذا لا يبدو عليك تغير ما ، كأنك عين حزينة لا تجد فى العالم ما يثير انتباهها ؟ ؟

محمد عبد المعطى الهمشرى

التيفوس

للدكتور احمد زكي

اليوم يوم من الأيام التي طواها القرن الثامن عشر بانطوائه. والبلد لندن حين لم يكن لها هذا الشأن الحاضر ولا لمرافقها الصحية هذا الخطر الكبير، ولا لأهلها هذه الثقافة وهذا اليسر المعروف. والدار دار المحكمة وهي تقع في سرة ذلك البلد العتيق.

ففي ضحوة ذلك اليوم أخذ الناس يتوافدون على تلك الدار زرافات ووحدانا: هذا مجرم فاجر في عينه القسوة وفي مشيته التحدي، يقوده رجال من الشرطة على حذر وريبة. وهذا مجرم منكسر الحال في طرفه الذلة يقوده شرطي، وهؤلاء نفر من ذوي هذا المجرم أو ذاك في أثوابهم تهدل القدم وعليها لون السنين؛ وفي أحذيتهم خروق السعي المتواصل؛ وعلى وجوههم شحوب الجوع وهم الرزق وقذارة الفقر؛ أو صفرة المرض وسحنة الاسراف في فنون الدعارات الرخيصة. وهذا أحد المحلفين جاء يمشي في زهو المسيطر، وخيلاء الحاكم، والى جانبه صاحب له يرفع عقيرته يجادل صاحبه في شأن من شئون القضاء، يريد أن ينبه من حوله من الطغام أنه خبير بالقانون بالرغم من كونه محلف، عالم بسياسة الملك وتقسيط العدالة على الرغم من أنه اختير من صفوف السوقة وغوغاء الرعية. وهذه عربة فخمة برز منها رجل أنيق الملبس ناعم الحال في وجهه حمرة النعمة وفي جلده دهن الموائد، جاء للتفكهة والتسلية لما أعوزه ما يشغل به وقته.

أما في داخل الدار فقد أخذت المقاعد تمتلىء، ثم ما بين المقاعد ثم الزوايا والاركان؛ وامتلأ ما بين المقاعد والسقف بأنفاس ثقيلة تكاد تسقط؛ وأبخرة كثيفة ندية تكاد تتقطر؛ ورائحة تألفت من روائح ذات أسباب عدة كلها مما لا يطيب إلا في أنوف الكلاب. ودخل المحلفون فأثاروا اهتمام الجمهور وعلم الناس عندئذ أن القاضي يكاد يدخل القاعة؛ ولم يلبثوا أن صاح بهم صائح في صوته قوة وإمرة «وقوفا» فوقف الناس ودخل صاحب الجلالة القضائية وعلى رأسه عارية من الشعر بيضاء، كأنما لتطمئن الناس الى عدل القضاء.. وجلس الناس وافتتحت المحكمة وجيء بالمذنب بعد المذنب وقام الاتهام فصال وجال وبالغ في وصف الجرم ما شاء له حرصه على المجتمع أن تعبث به يد الفساد، وتذهب بطمأنينته نزعات من الشر خالدة في نفوس البشر. وقام الدفاع فأنكر الجريمة ودفع الحجة بالحجة والغضبة بغضبة أشد منها وتقبضت كفاه؛ ولما لم يكن من حسن اللباقة دخول الاكف في النقاش انهال على المنضدة بيديه حتى أوجع كفيه؛ ولكن ذلك كان ثمنا طيبا للأثر الطيب الذي كان لدفاعه عند الجمهور. وجاء دور المحلفين فقالوا كلمتهم. وجاء دور القاضي فنطق بالاحكام. وانقضى اليوم والجمهور بين راض وحانق. ومضى أسبوع فأسبوع فشاع في الناس أن رئيس المحلفين قد مات، فعلم الحانقون انهم كانوا مصيبين في حنقهم وأن الحكم كان خاطئا؛ وقال الراضون انه هو إلا سهم طائح طائش عارض من سهام عزريل أصاب المرحوم اتفاقا. ومضى أسبوع فشاع في الناس أن اثنين من المحلفين ماتوا؛ فزاد الحانقون حنقا على الأحكام، وأخذ الراضون يرتابون في صحة الميزان؛ ولكن الحق وضح واليقين تجلى لما مات القاضي بعد ذلك بأسبوع. وهل مات أحد من الجمهور؟ بالطبع لم يبلغ الناس شيء من ذلك؛ وما كان من الممكن أن يبلغهم.

وجاءت جلسة قضائية تعقبها جلسة أخرى. فزادت الجنائز وامتلأت المقابر وسر الدفانون. فبان ما لم يكن بائنا من قبل؛ ذلك ان جمهور النظارة أيضا حصد منه الموت أكبر حصاده؛ وزالت الرابطة ما بين الاحكام وبين الاموات؛ وعلم الناس انه وباء من تلك الاوبئة التي يبعثها الله على عباده من حين الى حين لغرض لا يعلمه أحد سواه؛ وخافوا تلك المحاكم واستشأموا منها وأسموها السوداء Black Assizes

وفي هذا الشهر الحالي من القرن الحالي في مدينة القاهرة في أشد عيادات العالم المتمدين ازدحاما وقذارة وسوء حال، وقع حادث كالذي حكيناه فأصيب بضعة من أطباء القصر العيني ومساعديهم بنفس ذلك المرض الذي ذكرناه،

ولكن علم الانسانية بأعداء الانسان زاد كثيراً ؛ وفقهه للأوبئة تقدم تقدما كبيراً : فما كادت تظهر الأعراض على المنكوبين المذكورين حتى عرف المرض الخبيث وأسرع اليهم بالعلاج، أو بالقدر الذي يستطيعه الانسان من ذلك في المرحلة الحاضرة من تقدمه في فهم هذا المرض : والذى نتمناه ألا تنشر هذه النكبة حتى يدخل الأطباء المصابون دور النقاهة؛ والذى نتمناه أن يمن الله بالشفاء على من لم نسمع بهم ممن لاشك قد أصيبوا من المرضى الخارجيين بالقصر العيني ؛ والذى نتمناه أن يكون من هذا درس نافع للجميع لا للقاهرة فحسب؛ بل في الريف كذلك.

أما التيفوس فرض من أخبث الأمراض، ولا شك أنه قديم ولكن القدماء لم يتبينوه لاشتباه أعراضه بأعراض الحميات عامة، وهو قد يتوطن في الأقطار فتظهر منه إصابات قليلة؛ ولكنها ثابتة العدد لاتتغير إلا يسيراً؛ وقد يمتد في القطر فينتشر وباؤه فيحرث الناس حرثا؛ ففي الوافدة التي زارت ارلندا عام ١٨٤٦ حصد التيفوس من عاصمتها وحدها نحواً من ستين ألفاً. ويساعد على إحياء التيفوس ونشره ازدحام الناس مع سوء الغذاء والقذارة؛ لذلك تراه يظهر في الحروب بين الجيوش؛ وآخر أمثلة ذلك الوافدة التي زارت بلاد الصرب في الحرب العظمى؛ وذلك ان النمسا هاجمت البلاد الصربية لأول مرة فهاجر السكان من غير المحاربين الى الجنوب في ازدحام وفاقة وعرى وسوء حال؛ فاستيقظ الوباء النائم وبلغ أشده في عام ١٩١٥ ؛ وعندئذ خافت النمسا على جيوشها وكانت تنوي مهاجمة الصرب المرة الثانية فأجلتها ، وقام هذا المرض الوبيل نيابة عنها ففتك بالصرب أشد فتك فمات منهم بسببه في ستة أشهر مائة وخمسون الف نفس.

والتيفوس تنتقل عدواه بواسطة القمل ؛ وبالقمل وحده على قدر ما حقق الباحثون. ومن الغريب أن هذه الحقيقة لم تدخل دائرة اليقين إلا في عام ١٩٠٩ فانهم حقنوا قرداً بمقدار من دم مريض بالتيفوس فانتقلت العدوى الى القرد فربوا عليه قملا ونقلوا هذا القمل الى قردة أخرى فاصابتها العدوى . وهذا يفسر لنا أن التيفوس يحصل إذا اجتمعت الزحمة والفقر وفي الحروب ؛ ولقد صدق من أسماه « داء القذر » ويفسر لنا سرعة انتشاره من مريض لصحيح ؛ ومن المريض للطبيب ؛ ويفسر لنا أنه ينتشر في البلاد المعتدلة وفي الباردة على الأغلب في الشتاء أي في الحين الذى يرغب فيه الناس ولاسيما فقراؤهم عن الاستحمام وفي الحين الذى يزدحمون فيه في المساكن والقيعان رغبة في الدفء وهربا من البرد.

أما سبب المرض فغير محقق تماما الى الآن . يظن بعضهم أنه فعل جراثيم دقت حتى عجزت عن رؤيتها أكبر المجاهر، وصغرت حتى عجزت مرشحات الجراثيم المعروفة عن حبسها ؛ ولكن أكثر البحاث اليوم يرون أن هذه الجراثيم على صغرها يمكن ترشيحها ؛ ودليلهم على ذلك أن دم المريض اذا رشح ثم حقن الراشح منه في جسم سليم لم تصبه العدوى . وقد حاول كثيرون الحصول على هذه الجراثيم ؛ ونجح كثيرون في الحصول على جراثيم ؛ ولكن جراثيم الباحث لم تطابق في الصفات جراثيم الباحث الآخر؛ فدل ذلك على أنها عوارض؛ وبعضها لا يعطى المرض فهي ليست جراثيم المرض . ولعل أوثق ما استكشف في هذا الصدد مما له علاقة بهذا المرض جسيمات صغيرة وجدها الباحث ريكتس Ricketts عام ١٩٠٩ في دم المرضى ببلاد المكسيك : وأمن على وجود أشباه لها فون فروفازيك Von.Prouvazeh أثناء بحثه عام ١٩١٠ في بلاد الصرب؛ وجدها في باطن خلايا الدم البيضاء للمرضى ؛ وسميت هذه الجسيمات باسمى هذين الباحثين اللذين ذهبا ضحية المرض تشريفا لهما وحفظا لذكرهما . ومن بعدهما وجدت هذه الجسيمات في القناة الهضمية للقمل . والابحاث في هذا السبيل لاتزال جارية تبعث بأشعة من نور ضئيل في ظلمات هذه العلة المبيدة.

وأعراض التيفوس تشابه من بعض الوجوه أعراض التيفود لذلك كانا يختلطان على الناس حتى جاء جرهارد Gerhard عام ١٨٣٧ ففرق بينهما . وسمى المرض الثاني بالتيفود ومعناها شبيه التيفوس : والمدة التي تمضى على دخول الميكروب في الجسم وظهور أعراضه تسمى مدة الحضانة ، وبئست هي من حضانة؛ تتراوح ما بين خمسة أيام الى واحد وعشرين يوما، وتظهر الأعراض على الأرجح بغتة وقد تظهر بالتدرج . فترتفع الحرارة ويصحب ارتفاعها قشعريرة يصحبها صداع شديد وقىء ؛ ويكون الهذيان أول الأمر زائطا ، ويظهر في نحو اليوم الخامس على جلد المريض طفح ، وفي الوجه ثقل وبلاهة . وفي الاسبوع الثاني يصبح الهذيان تمتمة ؛ وان شاء له الله الشفاء والسلامة نزلت حرارته في نحو اليوم الرابع عشر فجأة وصحبها عرق غزير.

ولا سبيل لاتقاء التيفوس إلا بتطهير السكان من القمل، والقمل من الحشرات التي يمكن استئصالها ولو أن كثيراً من المصريين في الأحياء الفقيرة وبؤساء الريف يظنون ان القمل كالبق لاسبيل لاستئصاله، وربما أتينا في كلمة أخرى على طرق ذلك.

الفضاء وقياسه

وتطور رأى العلماء فيه

عرف من زمن بعيد أن طول الشيء الواحد يتغير قليلا بتغير وضعه بالنسبة لاتجاه سير الارض فمثلا اذا أخذت قصبة ووضعتها فى اتجاه سير الارض حول الشمس كان لها طول معين، فاذا أدرتها بحيث تصبح عمودية على اتجاه سير الارض وجدتها أطول قليلا مما كانت عليه فى الوضع الاول. هذا يتعارض طبعا مع الاعتقاد السائد بأن طول الشيء ثابت لا يمكن أن يتغير لمجرد تغير وضعه. والواقع أن هذا التغير ضئيل جداً لا يظهر إلا فى الحسابات الدقيقة وهو أضأل من أن يؤثر أى تأثير محسوس فى تجاربنا العادية

ولم يخطر بالبال أن هذا التغير الضئيل ستبنى عليه نتائج غاية فى الخطورة الى أن تطور العلم وعرف سبب هذا التغير. وهاك بيان السبب:

من الثابت الآن أن كل جسم مادى يتألف من دقائق متناهية فى الصغر تسمى كهارب بعضها متحمل بشحنة كهربائية موجبة، ويسمى بروتون وبعضها شحنته سالبة، ويسمى الكترون. فالقلم الذي بيدى هو مجموعة هائلة من تلك الدقائق الصغيرة المكهربة وكذلك كل جسم آخر.

ومن الثابت أيضاً أن أى جسم مشحون بشحنة كهربائية إذا تحرك بسرعة فانه يصبح مغناطيسياً له خواص الجذب. وعلى ذلك اذا تحرك أى جسم مادى بسرعة كبيرة فإن كل دقيقة من دقائقه المكهربة يصبح مغناطيسياً، فينشأ بينها تجاذب ينتج عنه انكماش فى ذلك الجسم. وقد حسب العلماء مقدار هذا الانكماش بناء على القوى المغناطيسية الناشئة فوجدوه مساوياً تماما لما يحدث فعلا للاجسام بحركتها مع الأرض.

وعلى ذلك صار من الثابت أن الجسم المتحرك ينكمش قليلا ولهذا الانكماش علاقة بمقدار سرعة الجسم، فكلما زادت السرعة زاد الانكماش وهكذا

ولكننا نعلم أن فى الكون كواكب مثل كواكب السدم اللولبية تتحرك بسرعة هائلة بحيث يصبح لسرعتها تأثير محسوس فى حجوم الاجسام التى عليها. ومنها ما تبلغ سرعته حداً ينتج عنه حتما انكماش كل جسم عليها الى نصف الحجم الذى يكون عليه لو كان عندنا هنا على الكرة الارضية. بمعنى أن الحجر هنا الذى يكون حجمه متراً مكعبا لو انتقل الى هناك ووضع على ذلك الكوكب وأصبح متحركا معه لصار حجمه نصف متر مكعب فقط.

فاذا فرض مثلا أن فى تلك السدم كوكباً مثل الأرض تماما وعليه أشخاص مثلنا وحياة كحياتنا بالضبط لكان حجم الرجل هناك نصف حجم الواحد منا وكل شيء هناك ينقص حجمه بنفس النسبة.

ولكن ثمة سؤال غاية فى الدقة والصعوبة وهو « اينا يا ترى الذى يتحرك بتلك السرعة الهائلة. نحن أم تلك السدم؟» ان كل الذى نعرفه هو أن تلك السدم تبتعد عنا بسرعة كذا ميلا فى الثانية، ولكننا لا نعرف أينا المتحرك وأينا الثابت. من السهل على سطح الارض أن يقول الرجل هذا الشيء متحرك وهذا ثابت لأنه يقارنهما بسطح الأرض، فراكب القطار يخيل اليه أن عمود التلغراف هو الذي يجرى الى الوراء ويخيل اليه أنه هو جالس لا يتحرك ولكنه يعرف أن الحقيقة عكس ذلك، اذ ينسب حركة الأجسام الى شيء ثابت وهو سطح الأرض. أما الحركة فى الفضاء فليس لها ضابط تنسب اليه، اللهم إلا اذا اعتبرنا مجموعتنا الشمسية ثابتة وكل ما عداها متحركا، واعتبرنا أنفسنا مركز الوجود، وهذا غرور نربأ بأنفسنا عنه لعلمنا بأن شمسنا ما هى إلا واحدة بين ملايين الملايين من أمثالها، وان من الشموس ما هو أعظم منها بآلاف المرات.

لا يحق لنا اذن أن نعتبر أنفسنا ثابتين وان تلك السدم تطير مبتعدة عنا، لأن لتلك نفس الحق فى أن تعتبر نفسها ثابتة واننا نحن الذين نطير مبتعدين عنها. وعلى ذلك فالحجر الذى نقيسه على سطح الارض فنجده متراً مكعباً والذى قلنا عنه واثقين انه اذا انتقل الى تلك السدم صار حجمه نصف متر فقط لا يحدث له شيء من هذا الا فى زعمنا وعلى اعتبار أننا ثابتون. أما فى عرف من يكونون عائشين على تلك السدم فالأمر بالعكس، وفى زعمهم أن هذا الحجر اذا قيس على أرضنا فحجمه نصف متر فقط واذا انتقل عندهم فحجمه متر كامل

اذن فحجم الشيء ليس بالقدر الثابت، بل يختلف باختلاف الشخص المشاهد له، والجزء الواحد من الفضاء يختلف مقداره باختلاف الموضع الذى يشاهد منه، فلا معنى اذن لعبارة « متر مكعب من الفضاء » ويجب أن نحدد هذا المتر بأن نقول « بالنسبة لرجل يعيش على كوكب كذا »

عبد المغنى على حسين
مدرس بمدرسة المنصورة الثانوية

القصص

في الادب الايطالي الحديث

الرواية في بونتاسياف !

للكاتب الايطالي لوسيو دامبرا

— ١ —

في ذلك المساء بعد تناول الطعام ؛ كانوا يتحدثون في شرفة (الفيللا) عن الشهرة. وكان رئيس الاركستر «فينيزياني» يلقى بسمعه الى الحديث ، وعلى ثغره ابتسامة حائرة ؛ يتراءى فيها التهكم واضحاً جلياً ، وبعد صمت عميق : قال :

— الشهرة ؟ ... أوه ! اسمعوا إذن هذه القصة . ليس بينكم من لا يعرف «سيريني» الشاب ؛ المؤلف المسرحي الشهير. وقد أذكر أنى سافرت معه من روما الى فلورنسا بالقطار ؛ فأيقظنا عند الفجر صوت عامل يصيح : «بونتاسياف! بونتاسياف ناحية كثائر النواحي ، بل هي محطة عادية ؛ تبعد عن فلورنسا بضعة كيلو مترات ؛ وليس فيها ما يستوقف المسافرين أو يلفت أنظارهم ، ولكن الأدباء ياسادة ليسوا كغيرهم من المسافرين

— صرخ «سيريني» بونتاسياف ! — ياله من اسم جميل !!!... انه لفي منتهى الرقة والعذوبة والطرافة !!! انه ليبدو لى دائماً كل الروعة !!!

ولقد شعرت عند سماعه الشعور الذى أحسه ، لو حدثوني عن حديقة «بوبولى» أو جسر «كزايا» !!

ووراء «بونتاسياف» هذه ، لست ألمس مدينة فلورنسا بل فيورانزا التاريخية ؛ التي أتخيلها بتلك الحديقة «الميديسية»(١) وقد زخرت بنساء النهضة الفاتنات.. وأكاد أسمع في أعماق نفسى تلك الانغام الشجية التي تعزف بها قصائد «بوليثيان»(٢) الرائقة. «بونتاسياف» !! أشاعر أنت بالجمال السحرى ؟ الذى يغمر هذا الاسم ؟ سأؤمها ، سأؤمها ؛ لأنى أحبها كما يجب أن تحب ، دون أن أعلم لماذا . !!

والمصادفات التى تخدم صرعى الغرام ؛ أبت إلا أن تحقق امنية عاشق «بونتاسياف» فلم تمض أسابيع ؛ حتى اضطرته الى الوقوف في ساحتها الكبرى — الوحيدة — أثناء سفره بالسيارة من فينيسيا الى روما ؛ لأن البنزين ؛ كان قد نفد حتى آخر قطرة.

ذهب السائق يبحث عن قليل من هذا السائل الثمين ، وأخذ «سيريني» يطوف هذه القرية ، فأتم طوافها في وقت قصير.

وفى الواقع — وهذا ما يدلنا دلالة واضحة على أن احلامنا بعيدة كل البعد عن الحقيقة ! — لم تقع أبصار «سيريني» على ما يذكره بحديقة «ميديسيس» أو شعر «بوليثيان» !

وداعاً أيها الحلم المعسول ! حلم «ميديسيس» وقد زخرت بحسان النهضة الفاتنات ! ... ليس في «بونتاسياف» كلها أثر للخضرة بله المروج

وداعاً أيتها الاصداء الشجية ؛ التى تردد أنغام قصائد «بوليثيان» الرائعة ؛ ليس فى «بونتاسياف» الغارقة في قيلولتها الصيفية : غير نغمة واحدة : بكاء طفل ؛ متواصل ، ملح ، مزعج يبعث على اليأس والضجر ؛ تنفجر قنابله من حانوت صغير في مؤخر قهوة القرية الحقيرة

وهذه القهوة ؛ دخلها «سيريني» ، ليدخن بضع لفائف ، ويكتب عدداً من البطاقات البريدية إلى أصدقائه ، فلما أتم ذلك كان الملل قد استبد به ، واستولى ولم يرقه قط أن يبصر السائق يعود في هذه اللحظة ويداه فارغتان . ان العثور على لتر من اكسير الحياة لأسهل بكثير من إيجاد قطرة بنزين في هذه القرية المتواضعة ...! والحاجة كالقانون ؛ تملى ارادتها إملاء وتفرض مشيئتها فرضا لابد من إيجاد قليل من البنزين ، مهما كلف الامر ، فليعد السائق ، وليبحث عن هذا السائل الثمين

(١) ميديسيس أروع حدائق روما وأشهرها (المعرب)

(٢) شاعر إيطالي مشهور بدقة تصويره ورقة شعره (المعرب)

يضجر « سيريني ! » فيترك سيارته تنعم في ظل بيت صغير : هو أجمل البيوت : ويخرج الى الساحة الكبرى حيث الشمس تذهب كل مافيها ... تلهيه ، ويعود بعد قليل الى سيارته فيها على الأقل يستطيع أن يأخذ نصيبه من الراحة ، فليتمدد فيها ، وليرغم نفسه على أن ترضى بما لا تريد ، وليتغن بقطعة شعرية للشاعر « بوليثيان » وليهتدي من حركاته لعل الرقاد يلبي نداءه .

وانه لكذلك ، واذا مصراع نافذة فوق رأسه يفتح ، وتطل عليه مخلوقة فاتنة .... تقابلت نظراتهما ، فاحدثت في كل منهما ماتحدثه عادة ، نظرات الرجل في المرأة والمرأة في الرجل . . واخذت العيون تبحث عن العيون من طرف خفي حتى اذا تقابلت ازورت ، واذا ازورت تقابلت ، ... وهكذا تم التعارف بينهما ولم يشاهد أحدهما الآخر قبل هذه الساعة .

وتخاطبت الابصار بلغة سحرية ، دون أن تتظاهر بانها تتخاطب ، وتفاهمت ، دون أن تتظاهر بانها تتفاهم والبكم ماقالته عيون المرأة للشاعر :

— « أنت لطيف جداً ياسيدي ! أنت شاب أنيق جذاب من طبقة يندر أن ترى في ساحة « بوتاسياف » الكبرى ... وبعد دقائق معدودات . ياسيدي الفتان . سيوافيك الشخص الذي تنتظره ولعله امرأة ، بل من المؤكد انه امرأة جميلة ترافقك في السفر . أو تفر معك !

وإذ ذاك ، يزأر محرك السيارة ، وهناك حيث يلتوي الطريق ستختفي الى الابد ، أيها الحلم الجميل ! ستختفي وانت من تلك الطبقة التي لاتتسنى لنا مشاهدتها اكثر من دقائق قليلة خلال شقائنا الدائم ونحن بنات الريف التعسات ! اللواتي قضي عليهن أن يخلقن في الريف ، وان يتزوجن في الريف ، وأن يقضين الحياة في الريف خاضعات « لامانة » يرتضينها على غير ارادة منهن ...

أيها الشاب الجذاب ، الذي سيختفي بعد بضع دقائق ! إنه ليلذني كثيراً ، من هذه النافذة أن اتصل بك او الاتصال بك خطيئة النساء اللواتي على شاكلتي ..... !!!

وقد انبرت لحاظ الشاعر تجيبها :

— « أنت جميلة أيتها المجهولة الفاتنة ! أنت جميلة بعينيك البراقتين ، وشعرك المسدول ! أنت جميلة بهذه الجدائل المجعدة على الطريقة القديمة . وهذا الثوب الأسود الذي ترتدينه أملس مصقول الى درجة تسمح برؤية النقط البارزة في جسمك البض

وهذه الدانتلا التي تماشي هذا الصقل وتحده : في غاية الأناقة والظرف !

وهنا ، في هذه النافذة التي تخفي من جسمك الغض ما تخفي ، وتظهر ما تظهر ، تتراءين في وسط الهالة المظلمة التي تكتنفك ، في جمال تمثال ، من تماثيل ١٨٥٩ ، كأنك الهة من الهة العصور القديمة ، بهذه الزينة التي لا يعرفها عصرنا : عصر الفساتين القصيرة ، وعصر الفوكس — تروت !

لقد أضاع عصرنا ذلك الجمال البالغ !!!

وكم تروقين لي ، أنا الشاعر المفتون ، أيتها السيدة الحسناء !

إنك تملكين ماتجملين به « بوتاسياف » أكثر من كل ما صورته لي مخيلتي !!

وان لك وأنت تتظاهرين بعدم النظر الي ، بينا أنت لاتنظرين الا الي . ان لك وأنت تتصنعين التحديق في الأفق البعيد ، بينا أفقك الواسع ينحصر في المساحة الصغيرة التي تشغلها سيارتي ، ان لك ابتسامة حزينة تفتر عنها شفتاك ! الرقيقتان اللتان لم تشعرا بلذعة القبل الملتهبة ولم تتمتعا بالجمل المغرية !

أيتها الريفية الحزينة ، التي زوجت منذ عشرة أعوام ، عن لا تريد : بشيخ البلد ! بالطبيب ! بكاتب العدل ! — أيتها المرأة الشقية التي ترتضي أن تقضي في هذا المنزل قبل أن تعرف الحياة ، والتي ترتضي أن تخنق في مهدها الاحلام المعسولة التي يسرح في عوالمها قلبها الخفاق ، وتحلق في اجوائها مخيلتها الوثابة ، بعد أن رضعت الخيال من القصص والروايات .

أيتها الريفية الحزينة ، التي تستطيع أن تجد الحب في جميع الكتب ، ولا تتصور انها تستطيع أن تجده في غير المدن !

أيتها الريفية الحزينة التي تتحسر على ألا تهتم من الحياة غير واجبات الزوجية ، وعواطف الامومة ، والتي تتجدد آمالها كل يوم ، وفي مثل هذه الساعة . عند غروب الشمس !

أيتها الريفية الحزينة التي تبحث من فتحة هذه النافذة عن قليل من الهواء ، وقليل من الفضاء ، وعن قطعة من السماء ، تبصر فيها النجم يشعل زهرته المتلألئة !

١ - ٢١

أي مدام «بوفاري» (١) أي حرقة تم تلج في صدرك عند ما تدركين ان الاسفار الجميلة التي تحلمين بها ، لن تتحقق منها غير هذه الوقفة الكئيبة التي تقفينها كل يوم ، عند هذه النافذة !

أي مدام (بوفاري) «بونتاسياف» ! ما أروع حب الاستطلاع الذي تنم عنه عيناك ! عيناك اللتان تنظران إلى ، دون أن تتظاهرا بالنظر إلى ! عيناك اللتان تتكلفان البحث في البعد عما لا أدرى وعما لا تبحثان في الحقيقة إلا عني ؛ أنا الجالس في هذه السيارة التي جاءت من حيث لا تدرين ، والتي تتأهب لان تذهب الى حيث لا تدرين !

آه ! لو كان يستطيع رجل مثلي أن يقف هنا ، أو لو كنت تستطيعين أن تنزلي اليه وتركبي الى جانبه في هذه السيارة . وأن تختفي معه هنالك حيث يلتوي الطريق عند تلك النقطة التي تمثل حد العالم الذي أذن لك أن تعرفيه حتى اليوم !

آه لو كنت تستطيعين أن تذهبي معه . وألا تعودي بعد اليوم .... !

— ٢ —

هكذا تناجت منهما العيون ، وقد طالت بينهما المناجاة لأن البنزين كان مايبرح صعباً إيجاده ، حتى في ضواحي «بونتاسياف» ؛ وسيريني الذي بلغ من الشهرة حداً قصياً ، واعتاد أن يعرفه الناس في كل مكان ، طفق يحدث نفسه يقول : « لاشك أنها عرفتني ، لأن رسمي كثيراً ما ينشر في الصحف والمجلات ، وهذه نظراتها التي لا ترفعها عني تدل بوضوح على انها تعرف من أنا !.. وهي مهما كانت « بوفارية » لا يمكن أن تنظر بهذا الشكل الى رجل عادي ، يمر في طريقه بنافذتها !

ولا بد أن تكون قرأت لي ، وقرأت لي كثيراً ، لان ساعات الفراغ في الريف أطول منها في المدن ، وإذن فللنساء وقت كافٍ فوق الكفاية ، لأن يلتهمن الكتب ، مكاتب ، مكاتب !.!

وما دامت فلورانسا على قيد خطوتين من « بونتاسياف » فما لا ريب فيه أنها ذهبت الى مسارح التمثيل ، وأبصرت بعض رواياتي تمثل فيها ، وربما رأتني عند ما يستدعيني المتفرجون الى المسرح لأحييه ويحييني ؛ بين عاصفة من التصفيق والهتاف !»

وفي هذه اللحظة ؛ ظهرت في النافذة امرأة مسنة : أحاطت وجهها هالة من الشعر الابيض . فنظر اليها « مارك سيريني » واستأنف حديثه مع نفسه :

« من المؤكد ان هذه المرأة أمها فهي تشبهها كل الشبه ؛ وهذه ابنتها تسر في أذنها شيئاً ، وإني واثق أنها تقول لها : « أترين هذا الرجل ؟ هو (مارك سيريني) الكاتب المسرحي الشهير ! ! ... أجل ، لاشك إنها قالت لها ذلك ، أو شيئاً مماثلاً ، لأن الأم أيضاً أخذت تنظر إلي ولا ترفع بصرها عني !!

أنظرا إلي !... أنظرا إلي ! . . أيتها السيدتان العزيزتان ترى هل أروق في أنظاركما ؟

أنظرا إلي ولا تغضا الطرف عني حياء (وخجلا) فقد فرض على أصحاب الشهرة أن يمتع الناس أنظارهم بهم !!»

اختفت الأم ؛ ولكنها لم تلبث أن عادت ، وفي يدها مجلة عرف من جلدها الازرق انها مجلة « الالليستراسيون » وفتحت الأم المجلة على حافة النافذة ؛ وأشارت بيدها الى صفحة فيها ؛ تلفت أنظار ابنتها اليها ، ثم عادت الى التحديق في الشاعر : « لا شك انهما تقابلان بين رسمي المنشور في المجلة وبين وجهي ... أجل أيتها السيدتان أنا هو « مارك سيريني » لحماً ودماً . . أنا هو « مارك سيريني » الذي لم يك ليخطر له أن من الممكن أن تضطره المصادفات للوقوف في « بونتا سياف » ... أنا هو « مارك سيريني الذي سيرحل بعد قليل ، ولكن بعد أن يكون قد ترك قلبه في هذه النافذة ، لأنه شاعر ، والشاعر مجنون ؛ وهو هو هذا الجنون الذي أطبق عليه ؛ وجعله مفتوناً بك أيتها المجهولة المغرية ، الى حد الوله !! »

وله ؟... وأكثر من ذلك أيضاً !

هكذا في طرفة عين ؟.. هكذا في طرفة عين !

ولقد استحال عدم اصطباره الى شيء آخر ؛ حتى أنه لم يستطع أن يخفي استياءه ، عندما أبصر السائق يعود بعد أفول الشمس ، وفي يده وعاء فيه قليل من البنزين ؛ حصل عليه بأعجوبة من سائق ، استوقفه على قارعة الطريق

وأخذ « سيريني » يحدث نفسه : « لماذا وجدت البنزين أيها الأبله ! . ألم تحدثك نفسك أن سيدك أمسى لا يرغب في الابتعاد عن هذا المكان ؟ وأنه هنا وتحت هذه النافذة يمتع نفسه بالنظر الى عيون حسناء مغرية ؟

لقد كان خيراً له أن تعود فارغ اليدين ما دام قلبه قد امتلأ !!»

ولكن السائق الذي لم يك نبياً ولا يمت الى نبي بصلة النبوة ولا صاحب كرامة تسمح له أن يشعر من مسافة ثلاثة كيلو مترات أن سيده صار فجأة لا يرغب في البنزين لم يفهم التأنيب الخفي الذي يسدده اليه سيده لأنه بذل كثر مما في

(١) بطلة قصة وضعها باسمها الكاتب الفرنسي الشهير (غوستاف فلوبير) يظهر فيها على أثر الشهوة الناشئة في حياة المرأة الملوك

وسمه حتى حصل على الوسيلة التي ستمكنه أن يرقد براحة وهدوء في سريره الوثير بروما !

علام هذا الصمت ... ؟ ما باله لا يتكلم والشمس توارت، والليل جن ؟

أشعل الضوء في غرفة المجهولة الحسناء ، فلم يعد في الامكان تمييز وجهها الجذاب وعينيها الدعجاوين وغدا شبحها يتراءى أغبر قاتما وهذا الشبح لم يك أقل جمالا من وجهها وعينيها فهذا رأسها قد اتكأ على ساعديها بهيئة جميلة .

تهيأ كل شيء وأشعلت القنديلات ! ... فوا أسفاه على الزمن الماضي زمن الاشارات التي تضاء بالاسبتيلين ! ذلك الزمن الذي كان يضيع الانسان فيه وقتا طويلا ليجد ما يلزمه من ماء وكاربير ! فلا يحصل على ما يريد إلا بعد الغضب والصخب .

ولكن المرء اذا كان عاشقا ولاسيما اذا كان يرغب عن السفر فان القاطرات القديمة تستطيع أن تؤدي له خدمات عظيمة

وداعا أيها الحلم المعسول !

أخذت السيارة تجأر وأخذت تعدو وأخذت تبتعد وما زالت تجأر وتعدو وتبتعد حتى اختفت عند النقطة التي يلتوي فيها الطريق .

ترى هل يعود الى (بوتناسياف) ؟

فابتسم (سيريني) ... لن يعدم سببا للعودة . . .

— ٣ —

لم يعد في الحال ... ولكنه عاد !!!

كان للشاعر في أحد أدراج مكتبه بروما . رواية لم يتم منها إلا بضعة مشاهد . وهو مؤلف نشيط خصب الانتاج سريع العمل الى حد يفوق التصور ولا شك أن هذه الصفات تبلغ حدها الأسمى اذا كان الحب يلهب منه الدماء ويسعر في قلبه الغرام ...

وكان اذا أخذوا عليه حبه ، لا يتردد في الاجابة : « يكتفي المغرمون عن أنفسهم بالتنهد ، أما أنا فبالكتابة !.. احصوا احصوا رواياتي تجدوا كل رواية بامرأة ... »

ولما لم يكن للرواية الاخيرة امرأة .. فان تقدمها كان بطيئا جداً ... أما الآن وقد غدا وجه تلك الرفيقة الحسناء لا يفارق مخيلته . فان الشاعر اكتشف الينبوع الذي يستمد منه وحيه والهامه ، وفي وقت أقل من القليل ، أتم الرواية .. وتلاها وقرأها لأصدقائه الخاصين . وراحت الصحف تعلن عنها بحروف بارزة : انها اعظم حادث مسرحي لذلك الموسم .

وما كاد يذاع هذا النبأ الخطير ، حتى هرع الى « سيريني » عدد كبير من رؤساء فرق التمثيل ، وعرضوا عليه مسارح روما، وميلانو وتوران ونابلي لتقوم أشهر الفرق بتمثيلها للمرة الاولى.

وكان بين المتسابقين ممثل فرنسي شهير ، حاول أن يحتكر تمثيل هذه الرواية الرائعة لفرقته ، ولم يطلب لذلك أكثر من المدة التي تكفي للترجمة ، وقد بذل جهوداً عظيمة لينيل باريس شرف تمثيلها لأول مرة ، ولكنه لم يفلح .

وتقدم رؤساء آخرون يعرضون مسارح برلين وفينا ولندن لأن « سيريني » كانت له شهرة اوربية لا تقف عند حد ، وقد سرت عدوى هذه الحمى الى إحدى صاحبات العروش ، فأسرعت الى عرض مسرح البلاط الملكي !

أما الشاعر فقد كان يلازم الصمت . ولا يجيب بحرف ، وكل ما فعله أنه أوعز الى سكرتيره الخاص بتسجيل أسماء المدن التي تعرض عليه . وتجمع عليه أصدقاؤه وألحفوا عليه في السؤال :

— أي المدن اخترت ؟ .. روما ؟ ميلانو ؟ فلورانسا ؟ توران ؟ نابلي ؟

كان « سيريني » لا ينبس ببنت شفة ، وإنما كان يجيبهم بهزة رأس تدل على النفي كل الدلالة !

— اذن . هل اخترت مدينة أجنبية ؟ باريس ؟ .. برلين ؟ فينا ؟ .. لندن .

ولكن الشاعر لبث صامتا ، رأسه وحده كان يتكلم !

— فانفجر أحد أصدقائه وقال : إذن .. إذن أين ؟ ؟

— هل اخترت مسرح « الماريونيت » ؟ .. مسرح « الفينيول » ؟

أخذ « سيريني » يبتسم بوداعة وسكينة .. وأخيراً أجاب :

— ستمثل روايتي لأول مرة في « بوتناسياف » !!

في « بوتناسياف » ؟؟؟

دهش الجميع ، وطفقوا يحتجون في غير هدوء ولا سكون ، أما « سيريني » فانه لبث يبتسم ابتسامته الغامضة ويعيد في غير ملل :

— قلت لكم في « بوتناسياف » !!! ... كفى !!!

ولم يستطع أحد بعد ذلك أن يستدرجه الى قول جملة غير

هذا ؛ فتسارع اصحاب المسارح ورؤساء الفرق والممثلون وسفراء الملكات الى داره ليروا : أمازح هو أم جاد ؟ أم اعتراه جنون مزاج ؟ … كلا ! . . ان « سيريني » وهو جالس الى منضدته يعيد بدون ملل : « ستمثل روايتي لاول مرة في « بوتناسياف » !

وقد زاد على ماتقدم : « هاهي مسترسة في هذا الدرج . على غاية ماتروم من الصحة ؛ ولم يصف لها أي طبيب تبديل الهواء اللهم إلا اذا كان هواء « بوتناسياف .

فأخذ بعضهم ينظر في وجوه بعض والدهشة ترفع من عيونهم الحواجب ؛ وتقطب الجبهات . وشرعوا يتساءلون عن سبب هذا العناد : فاختلفت آراؤهم وتضاربت . ولكن أحداً منهم لم يستطع إدراك الحقيقة

وقد أسرع رؤساء شركات التمثيل بالرجوع إلى القطار لانه لم يك بينهم من يفكر في « بوتناسياف » عادوا مخفقين وأكثرهم كان قد تعاقد سلفا على تمثيلها في أشهر المدن . وأكبر العواصم !

ولكن تمثيل رواية جديدة ، للمؤلف المسرحي الشهير « مارك سيريني » عملية رابحة ؛ تدر الذهب الكثير فهل يتركها الجميع ؟ كلا لقد قبل احدهم ـ وكان أمريكياً ـ أن يمثلها لاول مرة في « بوتناسياف » لانه بحساب أمريكي ، رأى ان هذه العملية ستدر عليه أرباحا أمريكية أيضاً .. وهكذا تعاقد مع المؤلف ووقع الاتفاق ؛ ولما كانت شركات التمثيل المنظمة لا تستطيع أن تذهب بممثليها الى « بوتناسياف » حيث لا عمل لهم ؛ فقد وعد أن يهيء في ثمانية أيام ؛ فرقة خاصة لتقوم بتمثيلها ثلاث ليال متواليات .. وبعد ستة شهور يمنح امتياز الرواية للفرق النادية . لتمثلها في كبريات المدن وأمهات العواصم

ـ لهابقية ـ خاب ـ

ايزاك شموش



آراء بعض المستشرقين

فى الشاهنامه

الشاهنامه هى الملحمة الفارسية التى نظمها الفردوسى فى تاريخ ملوك الفرس من بداية تاريخهم الى عهد بنى ساسان زمن الفتح الاسلامى ، فبلغت ٦٠ ألف بيت نقلها الى العربية نثراً الفتح بن على البندارى من أدباء القرن السابع الهجرى وظلت هذه الترجمة سراً فى ضمير الزمان حتى كشفها صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام فقارنها بالأصل الفارسى وأكمل ترجمتها فى مواضع، ثم صححها وعلق عليها وقدم لها مقدمة جامعة فى مائة صفحة من القطع الكبير فدل بذلك على سعة اطلاع وفضيلة صبر لا يؤتاها إلا القليلون من أبطال العلم وجنود المعرفة وإليك نبذاً مما أرسله اليه المستشرقون تقديراً لجهده وتنويهاً بفضله.

وقال الأستاذ نيكلسون أستاذ الادب الفارسى بجامعة كمبردج ما ترجمته :

« أهنئكم على الطريقة الجديرة بالاعجاب التى أخرجتم بها هذا الكتاب الكبير الذى لابد له من بحث طويل وجهد كبير .

واذا اعتبرنا ضخامة الكتاب تبين الجهد الخارق للعادة الذى بذلتموه لاخراجه فى هذا الزمن القصير »

وقال الأستاذ جيب أستاذ الادب العربى بجامعة لندن ما يأتى بنصه العربى :

« هذا وقد اغتنمت أول فرصة لأتصفح هذا الكتاب الضخم وأستفيد بمجهوداتكم العظيمة فى نشره والتعليق على متنه ولا بد من الاعتراف بتعجبى من اتساع هذا العمل الذى قد تكفلتم به وباتمامه وباعجابى بحسن نجاحكم فى ذلك ولاسيما بالمدخل الممتع الذى قدمتموه لمتنه » .

وقال الدكتور ريتر وكيل جمعية العلوم الالمانية باستانبول ما يأتى بنصه العربى :

« وقد وصل خطابكم فى الشاهنامه فانه لا يفارقنى من أسابيع. وهو والله كتاب تعجبت منه وأعجبت به . انتقدته فوجدته ذهباً إبريزاً . وأنا والله شديد فى الانتقاد.

قد أخذت من طريقة العلم الأوروباوى صحيحها واجتنبت سقيمها وصرت لنا أخاً فى العلم بل أستاذاً فيه . ولو ذكرت فضائل كتابك بالتفصيل لصار هذا المكتوب كتاباً آخر طويلا . ومما سرنى خاصة معالجتكم المسائل المتعلقة بتحقيق المتن والحكم فى الأصول المختلفة ، والتفريق بين أنواع التعاليق . فان ذلك شىء يهمله كثير من المستشرقين . ثم البحث فى مسألة التراجم القديمة للخداينامه وغير ذلك مما يدل على دقة نظركم والاعتناء فى البحث وترك ادعاء شىء بدون دليل واضح وبرهان مقنع ثم طريقتكم فى توضيح الكتاب بعضه ببعض ، والاعتناء بذكر الكتب المقتبس منها ، وترتيب الفهارس المفيدة . كل ذلك مما يسر عين الناظر فى كتابكم.

جولة فى ربوع أفريقيا

رد على مقال

أشكر للأخ الفاضل الدكتور محمد عوض حسن تقديره وجميل عطفه وتشجيعه وآسف جد الأسف لأنى لم أوفق الكتابة جولتى بحيث تصادف هوى فى نفسه فهو — كما خيل إلى — كان يريدها قصة تنقل عن يومياتى دون أن تغفل حتى أجور السفر وأماكن المبيت ومواقيت الارتحال والاقامة فى كل بلد حللته وما الى ذلك من التفاصيل التى لا شأن لها فى نظرى ولو فعلت ذلك لأخرجت دليلا هو الى كتب السياحة — أمثال بدكر — أقرب ولأغفلت غرضاً أنا شديد التمسك به فى جولاتى كلها : وهو أن أثير الناحية العلمية والجغرافية كلما أتاحت لى مناسبات الرحلة ذلك .

ويأخذ الاستاذ على أنى تكلمت عن أماكن لم أطرقها وقصصت عن شعوب لم ألقها وضرب لنا مثلا، بلاد الكنغو وروديسيا وشعوب الشلوك . وأنا لم أكتب عن تلك البلاد إلا

عنابية ماشاهدته من غلاتها التي كانت توسق في ميناء بيرا البرتغالية طيلة اقامتي بها وهي المنفذ الرئيسي لمنتجات بلاد رودسيا والكنغو . أما عن شعوب الشلوك فانى لاقيتهم مراراً وحققت بعض ماأعلمه عن سيرتهم وبخاصة فى الملاكال من أعالى النيل الابيض .

ويرى الأستاذ ان بعض النقص الذى نسبه الى الكتاب راجع الى اغفالى كتابة مذكرات يومية ؛ مع أن هذا ماأفعله دائما ولم أتهاون فيه ليلة واحدة في جميع جولاتى الافريقية والاسيوية والأوربية غير أنى لاأنشر من تلك المشاهدات إلا ماأراه ضروريا وما تسمح به ظروف النشر . ولو أراد الدكتور بصفة خاصة أن يطلع على يومياتي لوجدها طوع أمره

أما عن الهفوات التي أشار الاستاذ اليها فها أنا أبين ما عن لى فيها :

يقول الدكتور ان كلمة شيبا الانجليزية هى سبأ العربية . وأظن ان هذا عين ماقلته فذكرت كلمة (شيبا) بين قوسين بعد ذكر كلمة سبأ العربية

وهو ينتهى الى ان نهر النيل (لم يصبح أعظم أنهار الدنيا وهناك ماهو أطول منه وأوفر ماء) وأنا لم أتعرض لطول النهر ومائه . ولا أزال على رأيي فى ان النيل أعظم أنهار الدنيا على الاقل من وجهة نظرى كمصرى وحق لنا جميعا تمجيده والاشادة بذكره وعظمته . ومتى كانت عظمة الانهار ياصديقى مقصورة على أطوالها ومقادير مائها ؟

ويقول الأستاذ ان غابات انورى فى غرب جبال روزوري فلا أستطيع أن أراها من فورت بورتال وأنا لم أقل فى كتابى انى رأيتها . هذا فضلا عن ان أهل البلاد كانوا يشيرون اليها من فورت بورتال وهم يطلقون عليها هذا الاسم على رغم ماأعلمه أنا وأنت من أن أكثرها حقا ما كان على الجانب الغربى .

كذلك لم أقل قط ياسيدى الدكتور بأن للغوريلا ذنبا وذلك أمر يعرفه حتى صغار الطلبة — ولكنى ذكرتها فى مقام التشبيه اذ قلت ان الواحد من الزنوج يبدو كأنه الغوريلا أو القرد الكبير . فالذؤابة التي تتدلى من أعجاز القوم تشبه ذنب القرد ومظهرهم العام يحكى الغوريلا

أما قطن الجزيرة فغلة شتوية وقد كنت هنالك فى أواخر سبتمبر ولم يكن القوم قد بدأوا زراعته بعد . وهو يجنى فى أوائل الربيع كما قلت غير ان تحديد الشهور بالضبط أمر غير ميسور ، فنحن هنا فى مصر مثلا لاتبدأ زراعة القطن فى شهر واحد فى كل البلاد ولا فى كل السنين فقد يتراوح البدء بين شهر وشهرين .

وقبل أن أختتم كلمتى أكرر للاخ الفاضل عظيم شكرى وكبير اجلالى واحترامى

محمد ثابت

حول قصة مصرية

قرأت فى العدد السابع من مجلة الرسالة الغراء قصة مصرية بعنوان (حكمت المحكمة) لكاتبها (السيد أبو النجا)

وهذه القصة مصرية حقاً لانها تصف ناحية من الحياة الاجتماعية المصرية فى الريف . ولكنها من الوجهة الفنية قد شابها عيب جوهرى أفقدها روعتها واضعف عنصر الحياة فيها . فالقصة كما كتبها صاحبها لم تخرج عن أنها قشور للقصة الحقيقية التى كان يجب أن تظهر حتى سواها وتكشف عن العوامل التى أدت الى هذه المأساة

أما خطة القصة الحقيقية التى كان يجب ان تكون فتتلخص فى ما يأتى :—

١ — كيف اتصل ابراهيم افندى بابنة الاعرابى ؟

٢ — كيف كانت العلاقة بينهما ؟

٣ — كيف ظهرت هذه العلاقة وعرفها والد الفتاة

هذه هى العناصر التى كان يجب أن تظهر فى القصة . ومع شىء من التحليل يبين أثر العواطف والمشاعر ، ويكشف عن المحاولات التى بذلها ابراهيم افندى فى الوصول الى غايته .

وقد كان من الطبيعى وقد خلت القصة من هذا العنصر الأساسى أن يلجأ واضعها الى (الحوادث) فيسردها سرداً كأنها خبر من أخبار الصحف اليومية

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٣٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
ـــص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد التاسع «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٥٢ — ١٥ مايو سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العـــدد

شروح وحواشي

فى المرأة أيضا

كتبنا فى العدد السابع كلمة عن العيد جاء فيها أن غياب المرأة عن المجتمع الانسانى جر عليه فيما جر الجفاء والجفاف والسآمة والفوضى. فوقع هذا القول من الجنسين البارز والمستتر موقع التسليم والرضا. ولكن قليلا من صالحى الاخوان لايزالون يرون اقصاء المرأة عن الحياة العامة امراً من أوامر الدين، وقاعدة من قواعد الخلق، فكتبوا الينا والى بعض الصحف يفندون هذا الرأى بحجج انتزعوها من احاديث الظنون، وهواجس الخوف، ومواضعات العرف

أما صلة الحجاب بالدين فقد فرغ من توهينها العلماء من امد طويل. وشديد على العقل ان يسلم بأن البدويات والقرويات ومعظم الحضريات — ومجموعهن يربى على تسعين فى كل مائة من جميع المسلمات — قد تعدين بسفورهن حدود الله منذ ظهر الاسلام، ولم يأخذ على ايديهن امام ولا حاكم حتى اليوم!

وأما الاعتقاد بأن احتجاب المرأة هو الضمان الوحيد لحصانتها وعفتها فذلك افلاس للتربية، وسوء ظن بالدين، والقاء بالنفس الى الرذيلة!

فلو أن الفتاة وهي صغيرة فتحت عينها على القدوة الحسنة، وأذنها لصوت الواجب: وقلبها لنور الله لوجدت من روحها القوي وضميرها النقي وزرا من الفتنة وعصمة من الغواية

فالتربية الصحيحة اذن هي الضمان الذي لا يضر معه سفور، ولا ينفع بدونه حجاب، وهي وحدها السبيل المأمونة إلى الغاية التي قصدناها من تلك الكلمة. ولا زلنا نعتقد اعتقادا لا ظل عليه للريب أن غاية الكمال الاجتماعي أن يكون الرجل في كفة والمرأة في كفة من ميزان المجتمع، وتلك هي السنة التي فطرنا عليها الله، والنظام الذي فرضته علينا الطبيعة، والواجب الذي يطلبه العدل، أما المجتمع الاعرج الاشل البليد الخشن، فغير جدير بالسباق ولا باللحاق في هذا العصر الطموح الطائر، ومجتمعنا بغير المرأة هو ذلك المجتمع: فهو اعرج لانه يمشي على رجل واحدة، اشل لانه يعمل بيد واحدة، بليد لان حدة العواطف تنقصه، خشن لان لطافة الانوثة تعوزه

لاحظ مجلسا من مجالسنا احتشدت فيه الرجال شبابا وشيبا فماذا تجد؟ تجد الحركات العنيفة، والاصوات الناشزة؟ والمناقشات الفجة، والاحاديث الجريئة؟ والكلمات المندية، والذوق العامي، والاحساس البطيء!

لاحظ هذا المجلس نفسه وقد حضرته امرأة — امرأة واحدة ليس غير — تجد الحركات تتزن، والاصوات ترق، والمناقشات تنتج، والاحاديث تحتشم، والكلمات تنتقى، والذوق يسمو، والاحساس يدق، ذلك لان الرجل حريص بطبعه على أن يجمل سمته في عين المرأة، ويحسن صوته في اذن المرأة، ويسوغ رأيه في عقل المرأة، والاخلاق المكتسبة تبتدىء بالتطبع وتنتهي الى الطبع.

جهل الاولون وظيفة المرأة فلم يعرفوها الا متاعا وزينة، لذلك اشتد تنافسهم فيها وتنازعهم عليها واستئثارهم بها حتى ضربوا دونها الحجب، واحصوا عليها الانفاس، وبثوا حولها العيون، فجعلوها بذلك قنية لاشركة، ومملوكة لاملكية، وكان من جريرة ذلك علينا ان وهن جسمها لقلة العمل، وساء خلقها لفقد الحرية، وضعف تفكيرها لترك التدبير، وغفل ضميرها لعدم المسئولية، فلم تفكر الا في حللها وحليها، ومدافعة الضرائر والجواري عن نصيبها من زوجها.. لقد كان للاسلاف ولاشك عذر في اقصاء المرأة عن مكانها من المجتمع وخير أعذارهم انهم كانوا ينظرون الى المرأة نظرهم الى الكنز الثمين، وكان من عادتهم في الكنوز أن يدفنوها في الأرض أو يحفظوها في الخزائن. ذلك الى أن عمرانهم لم يكن من السعة والتعقد بحيث يطلب نشاط الجنسين جميعا: فحمل الرجال وحدهم اعباءه وقالوا:

كتب الموت والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

أما نحن فبأي عذر نعتذر وعلى أي حجة نعتمد؟ ان الامم الراقية التي نعاصرها ونصادقها لم تزل تنظر الى المرأة نظر الاسلاف اليها، ولكنها عرفت كيف تحتفظ بالكنوز وتستفيد منها، فهي تعرضها اليوم في المتاحف أداة علم ومتعة، وفي المصارف رأس مال وقوة. وعمراننا قد زخر واستبحر حتى اعتدى فيه العمل على الراحة، والتنافس على العدل، والقوة على الحق، وتسلح الغربي في جهاد الحياة بقوى الطبيعة في السماء والارض، ونحن ما زال نصفنا اللطيف قاعداً عن الانتاج عاطلا من العمل

أنا لا أريد أن ندفع بناتنا في أتون الحياة المستعر فتحمل الفأس، وترفع المطرقة، وتقعد للبيع، وتجلس للحكم، انما أريد أن تعطى حريتها الطبيعية في حدود عملها الطبيعي، وأن تعلم كيف تساهم في شركة الزوجية، فتربي الولد، وتدبر البيت وتدير الاسرة، وتعدل ميزانية الرجل، وتشعر أنها تعمل متضامنة مع بنات جنسها وبني قومها لتكوين أمة متماسكة الأجزاء وثيقة البناء لا ينال من وحدتها شهوة من هوى، ولا نزوة من جهل

ذلك ما قصدنا اليه في تلك الكلمة الموجزة بسطناه اليوم بعض البسط لعل فيه جلاء لما اختلج في بعض النفوس من هذا الموضوع

لعل في الثرثرة فائدة!

تريد (العاصفة) البيروتية أن تضع الموازين القسط للأدباء، فتقول فلان احسن وفلان أساء، وهي لم توفق الى ادراك الغرض القريب من الكلمة الواضحة التي وجهناها في عددنا الماضي اليها!! فقد قلنا لها ما خلاصته «ان محاولة التفريق بين أدباء العرب طيش ورعونة، وان التعصب للبلد كالتعصب للقبيلة نزعة بدوية ونغمة مملولة» ففهمت من ذلك أن الرسالة تقول: «... ان الاشادة بفضل أدباء سورية ولبنان على النهضة الادبية في مصر ضرب من الطيش، وان الايجاز في الكلام نعرة بدوية ونغمة مملولة»

فاذا كان هذا مبلغ فهم العاصفة للكلام، فقد أخطأنا حين مضضناها بالملام، فان اللوم على العجز ظلم، والمناقشة مع الخبث مهاترة!

احمد حسن الزيات

أدب القوة وأدب الضعف

للأستاذ أحمد أمين

يروون أن جماعة من آل الزبير كانوا يجتمعون إلى مغنية فيسمعون ويطربون. حتى إذا استخف الطرب أحدهم (وهو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير) قال فيها :

أحلف بالله يميناً ومن ‏ ‏ يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعة ‏ ‏ بايعتها ثم شققت العصا

فبلغت هذه الأبيات أبا جعفر المنصور فدعاه اليه وعنفه على قوله ، وعيره بضعف آل الزبير من هذه الناحية إلى أن قال له « حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات ، فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم ! »

وسخر المنصور من هذا الضرب من القول . وهذا النوع من الحياة ، وقال إنما يعجبني أن يحدى لى بهذه الأبيات :

إن قناتى لنبع لا يؤيسها
غمز الثقاف ولا دهن ولا نار
متى أجر خائفاً تأمن مسارحه
وإن أخف آمناً تقلق به الدار

هذه القصة تمثل نوعين من الأدب : فنوع يصح أن تسميه أدباً رقيقاً ؛ وإن كنت أشد صراحة فسمه أدباً ضعيفاً أو أدباً « مائعاً » كما يصح أن تسمى النوع الثانى أدباً قوياً أو أدباً رصيناً .

ولست أعنى بالضعف أو القوة ضعف الأدب أو قوته من الناحية الفنية ، وإنما أعنى ضعفه وقوته من الناحية الخلقية والاجتماعية : فقد يكون هذا النوع الذى أسميه ضعيفاً أو مائعاً فى منتهى الرقى من الناحية الفنية ؛ كما قد يكون الأدب القوى ليس قوياً بالمقياس الفنى .

وهذه القصة تمثل لنا أيضاً أن الأدب المائع والقوى أثر من آثار الحوادث والظروف ؛ فقد فشل آل الزبير سياسياً ولم تتحقق مطامعهم . فاستولى عليهم اليأس وانصرفوا إلى اللهو وأنسوا بالسماع وما اليه واحتقروا الخلافة حتى ليهمون أن يبايعوا جارية مغنية ؛ ويحدث عبد الله بن مصعب هذا عن نفسه فيقول : إذا غنتنى هذه الجارية.

حسبت أنى مالك جالس ‏ ‏ حفت به الأملاك والموكب
فلا أبالى وإله الورى ‏ ‏ أشرق العالم أم غربوا

اما المنصور فنجح وأسس ملكاً ضخماً ؛ ووصل إلى هذا النجاح بقوته وحزمه : لذلك كان أحب شعر اليه . شعر القوة والعظمة والحمية .

* * *

يخيل إلى أنا إذا ألقينا نظرة عامة على الأدب العربى من هذه الناحية رأينا الأدب الجاهلى قوياً — كجلمود صخر حطه السيل من علَ — حماسة قوية ، وفخر قوى ، بل وغزل قوى ، والأدب الاسلامى إلى آخر العهد الأموى ، أدب قوى ، فيه عزة الفاتح ، واعجاب الناجح ، ونشوة المنتصر ؛ وإن كان فيه نغمات ضعف فنغمات الحزب الذى غلب على أمره ؛ أو المحب الذى يئس فى حبه ؛ أما من عدا هؤلاء ففخر واعجاب ، وهجاء فى أعلى درجات القوة

فاذا نحن انتقلنا إلى العصر العباسى رأينا العزة العربية تأخذ فى الضعف ، ورأينا الانهماك فى اللهو يبعث أدباً جميلا فى فنه ؛ ضعيفاً فى روحه ؛ فيقول رئيس المجددين فى عصره بشار بن برد :

قد عشت بين الريحان والراح والمزهر فى ظل مجلس حسن
وقد ملأت البلاد ما بين فغفور إلى القيروان فاليمن
شعرا تصلى له العواتق والثيب صلاة الغواة للوثن

وتوالت النكبات على الشرق من ظلم وجور وسوء فى كل نظم الحياة الأجتماعية فكان الأدب العربى ظلا لهذه الحياة — كان أدباً ضعيفاً ؛ إذا أنت حضرته وجدته بين باك على مصائب الدهر كأبى العلاء ؛ ومادح للولاة والأمراء والأغنياء. ومستهتر يصف استهتاره وصفاً أنيقاً بديعاً يرضى الفن ولا يرضى الروح ؛ وما اخترع من الفنون كان من هذا الضرب ، مقامات البديع والحريرى بنيت على التسول والاستجداء . وإفراط فى المجون ؛ أو إفراط فى التصوف ؛ وكلاهما فرار من حياة الجد — والنثر حمل

كل أنواع الزينة من سجع وبديع، فكان كالفتاة تسرف في التجمل الصناعي لما شعرت بنقصان جمالها الطبيعي.

ولم يظفر العالم العربي من العهد العباسي إلا بأفراد قلائل منحوا من القوة في أدبهم ما كان موضع الاعجاب كالمتنبي والبارودي، وكلاهما كانت قوته صدى لحياته، فالمتنبي فارس شجاع كان في أكثر شعره يسجل وقائع سيف الدولة مع الروم، ويدون مظاهر القوة والفروسية، والبارودي كذلك رب سيف وقلم، فكان قلمه مسجلا لآثار سيفه، وقليل كان أمثال هؤلاء.

وإلا فخبرني عن شعر البطولة والفروسية والحياة والقوة بعد، وأين الشعر الغنائي الذي صدر عن شعور بالعزة القومية في الأدب العربي؟ — أليس عجيباً أن نرى شعر البهاء زهير وقد كان في أسمى منصب من مناصب الدولة وكان مشرفاً على الحروب الصليبية ومساهماً في تدبير شئونها لا يذكر لنا في شعره شيئاً من أغاني الفروسية، ثم ينصرف بكله إلى الغزل المائع، على حين أن الصليبيين خلفوا لقومهم أغاني وأشعاراً صليبية قوية، ولم يخلف لنا الأدب العربي في هذا الباب إلا ما كان تافهاً ضعيفاً — لعل السبب في هذا أن المسلمين كان موقفهم في هذا موقف دفاع لا هجوم «وما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا».

***

وبعد، فكل عاطفة من عواطف الانسان — على كثرتها وتعددها — موضوع للأدب، وخير الأدب ما انبعث عن عاطفة صحيحة لا مريضة، فالشعر المتناهي في وصف ما يلاقي المحب من عذاب والذي يذوب رقة وحناناً ليس — في نظري — مؤسساً على عاطفة صحيحة كالذي في شعر العباس بن الأحنف وأمثاله، وهذا الشعر وإن أرضى الجمهور ولذ لهم هو في كثير من الأحيان أجوف، وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة. وليس من الحق أن يبيع الانسان عواطفه بهذه السهولة — والشاعر المجيد — هو الذي يثير العواطف بقدر، ويثيرها على أساس عميق، أما إن هو تغالى في ذلك وأثار عواطف حادة لأسباب واهية كان أدبه أدباً خفيفاً ضعيف القيمة مهما استلذه الناس وأعجبوا به.

هناك عواطف حنان، وعواطف إجلال. وعواطف جمال وعواطف قوة، وهناك ما يثير الحزن، وما يثير السرور، وما يثير الشهوة، وما يثير البطولة، وما يدفع إلى الجد، وما يدفع إلى اللهو، وكلها صالحة للأدب، وكلها في نظر الأدب سواء وإن اختلفت قيمتها في نظر الأخلاق، ونظر دعاة الاصلاح، فالأخلاقي يرى أن الأدب الذي يثير لذة حسية أقل رقياً من أدب يثير شعوراً أخلاقياً كالاعجاب بالبطولة، واحتمال الآلام في سبيل أعمال جليلة — وأرقى الأدب في نظرنا ما أحيا الضمير وزاد حياة الناس قوة.

وأغرب ما في الأمر أن أدباءنا الذين اتصلوا بالأدب الغربي وعملوا على نقله إلى الأدب العربي أفرطوا في نقل هذا النوع من الأدب المائع وفرطوا في نقل الأدب القوي، وسبب ذلك أنهم جاروا ميول الجمهور وسايروا رغباته فكانوا تجاراً أكثر منهم قادة، والجمهور إنما استلذ هذا النوع لأنه من قديم ألف البكاء، وكانت حالته الاجتماعية تدعو إليه، ولأنه ترك جده على كاهل غيره فتفرغ للهو.

وكان هذا النوع من الأدب أضر بالشرق من ضرره بالغرب، لأن الغربي عنده بجانب هذا الأدب الضعيف أدب آخر قوي، فاذا بعث الأول حناناً ورقة، بعث الآخر قوة وجلداً، فتعادلت حياته وتغذت نواحي عواطفه. أما الشرقي فليس له تراث حاضر من أدب قوي يسند ضعفه ويحيي نفسه — وسبب آخر وهو أن الشرقي — على العموم — ذو عاطفة أحد وهو لها أقل ضبطاً، فاذا نحن غذيناه دائماً بهذا الأدب الحاد زادت عواطفه ميوعة — مع أنه أحوج ما يكون إلى ما يقوى عاطفته ويضبط جموحها.

***

الحق أن الأدب عود ذو أوتار ويجب أن تكون أوتاره على نظام ما عند الانسان من عواطف جدية، وهزلية، ورقيقة وقوية، وضاحكة وباكية، ورخيمة وعالية — والعود الذي يوقع عليه الأديب الشرقي ناقص الأوتار، تنقصه الأوتار القوية والأوتار التي تبعث الحياة، والأوتار التي تبعث الضحك ليتلوه

ساعة مع الاستاذ الجليل

أحمد لطفى السيد بك

وقائع مجهولة من حياة الامام محمد عبده

كانت نسائم الأصيل فى مصر الجديدة قد أخذت تنفح جوها المحرور بالطراوة المنعشة حين غمزنا الجرس مستأذنين على الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد بك ، وكان جوسقه الأنيق غريقاً فى سكون تلمسي حالم ، وحديقته البهيجة ترف على جوانبه الأربعة بالجمال والعطر فتذهب عن صمته الانقباض وعن سكونه الوحشة ، وكان كل شىء يقع عليه طرفك فى الحديقة والدار يعلن عما وراءه من مزاج حكيم ، وذوق فنان ، ونفس شاعرة

كان الأستاذ على عادته يستريض مع أرسطو فى كتابه (الطبيعة) وهو السفر الثالث الذى يخرجه للناس من آثار المعلم الأول ، وفى رأيه انه أجل كتب أرسطو وأدلها على سمو عبقريته وسر نبوغه . لقينا فى البهو لقاء ذوى البيوتات الكريمة والأنباء القديمة فسلم فى أريحية وحيا فى هشاشة ، ثم خيرنا بين مجلس الدار ومجلس الحديقة فاخترنا هذا ، وجلس ثلاثتنا على كراسى قصيرة القواعد وثيرة المقاعد حول منضدة مستديرة فوقها مظلة صيفية على طراز ما يستعمله المصطافون على شواطىء البحار وفى فنادق الجبال ، وجلس الأستاذ الحكيم قبالتنا على كرسى له ظلة كالمظلة المستطيلة تقى الجالس فيها وهج الشمس . أما كلبه الضخم الجليل فقد ذهب يتمادى فى المماشى المزهرة ؛ ومن حين إلى حين كان يعود ليداعب السامرين على قدر ما يفهم من الدعابة .

أخذ الاستاذ يطارحنا الحديث — على نحو ما كان يتحدث إلى تلاميذه صديقه أرسطو زعيم المشائين فى مماشيه المظللة — بصوته النقى العذب ، وجرسه العربى الواضح ، وأدائه المتئد الموزون ، ولهجته (الشرقاوية) التى ينثرها عمداً فى خلال الحديث فتكسبه ظرفا ورقة . ولطفى بك مسامر حلو النغمة ، فكه اللسان ، متفنن الحديث ، متخير اللفظ ؛ فلو رحت تكتب ما يقول لكان قريب الشبه مما تكتب . وبراعة الحديث صفة امتازت بها طبقته التى تأثر بها وأثر فيها من أمثال محمد عبده وسعد زغلول والمنباوى فأنت فى حضرتهم لا تشتهى الكلام لأن لذتك فى أن تسمع ، ولا تثير الجدال لأن همك فى أن تستفيد . ومجلس لطفى بك يصدق الصورة التى رسمتها له فى ذهنك قبل أن تلقاه من شهرته المستفيضة وأعماله المنشورة : فبديهته حاضرة وفكره نفاذ وبيانه أخاذ وإطلاعه شامل ومنطقه مستقيم وهو يتوخى فى حديثه الافادة واللذة فسامعه لا ينفك راضى العقل ريان العاطفة

وقصارى ما تقوله فيه أنه خلاصة الجيل الماضى بأسره ، وتطبيق صحيح لمدرسة الافغانى وعصره . وأوضح مظهر لهذا التطبيق كان فى نزعته السياسية وطريقته الكتابية . ففى (الجريدة) نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الاسلامية ، وفى (الجريدة) ابتكر للكتاب أسلوبا لفظه قدر لمعناه ، ووصفه طبق على موصوفه ، وسبيله قصد إلى غايته ، فكان مذهباً جديداً جرى عليه "صحفيون" إلى اليوم وأصدق الأمثلة عليه أسلوب صاحب البلاغ .

ولطفى بك بارع فى سلسلة الحديث سريع إلى اقتناص المناسبة فلا تخشى على الحديث فى مجلسه أن يبوخ ولا على الصموت فى محضره أن يحرج .

قال حينما استقر بنا الجلوس يعيد التحية ويفتتح السمر :

أنا اقرأ ما تكتبونه فى (الرسالة) بشوق ولذة . . .

ويسرنى أن الكتابة فى مصر قد بلغت من الكمال الفنى حد

جد ، والأوتار التى تهز النفس لتملأها أملا ، والأوتار التى تبعث النغم يصور بطولة ، والتى تبث النغم ليوقظ من سبات — عود الأديب الشرقى على نحو عود المغنى الشرقى ؛ أشجى أغانيه أحزنها ، وخير نغماته أبكاها

فهل يتقى الله الفنانون والأدباء فى الجيل الناشىء فيصلحوا أغانيهم ويكملوا ما نقص من أوتارهم ، ويستدركوا ما فاتهم ، وينشدوا طويلا نشيد الحياة ، كما نشدوا من قبل طويلا نشيد الموت ؟

الأعجاب ، فأصبحت للالفاظ دلالتها الدقيقة ، وللاوصاف بيانها المقصود ، أما الكتابة فى (أيامنا) فكانت بالتقريب : فمعانى الكاتب تقريبية وألفاظها الدالة عليها تقريبية : والأثر الذى تتركه فى نفس القارىء — ان كان مبهم أو تقريبى — فقال له أحدنا :

— ولكن سواد القراء يقرأون اليوم بالتقريب

— طبيعى ! فالكاتب أيام كان يكتب بالتقريب كان القارىء لا يقرأ واذا قرأ لا يفهم فلما ارتقى الكاتب الى التدقيق ارتقى القارىء الى التقريب

ولقد تصرف كتاب العصر فى فنون الكتابة فعالجوا بها شتى الأغراض فى براعة وحذق . ولذلك لا أوافق الدكتور طه على جعله النثر لسان العقل والشعر لسان العاطفة فان من النثر ما يكون شعرا

ثم تشاجن الحديث وتشقق بعضه من بعض فتناول المويلحيين والخضرى وشوقى وأبا النصر والأفغانى والطويل حتى أدى إلى علاقته بالشيخ محمد عبده فقال :

— تخرجت فى مدرسة الحقوق وانا فى الثانية والعشرين من عمرى فرغبت الاسرة فى زواجى وأوعز أبى الى أمى أن تكلمنى فى ذلك فأبيته ، ولم يشأ والدى أن يفاوضنى بنفسه فى ذلك الامر فلجأ الى الشيخ عبده وكانت المعرفة قد اتصلت بينهما بسببى فدعانى الشيخ الى داره . . .

— لقد كان حسنا من الامام أن يجمع قلوب الشباب حوله ويتدخل بالنصح فى أمورهم الخاصة . .

— لم يكن الامر فى التعميم والإطلاق على ما فهمت ، فقد كان الشيخ فى علاقته بالناس على انقباض وتحفظ والشباب أنفسهم هم الذين سعوا اليه والتفوا حوله لانه كان بطبعه رجل ثورة ، ولان اتصاله بصالون نازلى هانم ومصطفى فهمى وكرومر أوهن أسبابه بالقصر وأيبس ما بينه وبين الخديو ، ولانه كان يدعو الى الاصلاح والتجديد فكان قريبا بنزعته الى هوى الشبان ، ولانه كان ينتدب فى كل عام لامتحان طلاب الحقوق المنتهين وقد اتصلت به معرفتى بسبب ذلك الامتحان نفسه . . .

— شت ! ! فكف الكلب المطيع عن النباح وكان ينبح شيئا أو شخصا خارج السور

— Viens ici فجاء الكلب الوديع حتى دنا من سيده

— Couches toi فانتبذ مكانا قريبا ونام

ثم عاد الاستاذ الى حديثه يقول : اقترحوا علينا فى امتحان الانشاء ان نكتب فى هذا الموضوع :

كيف كان للحكومة حق عقاب المجرم ؟ وجعلوا زمن الاجابة اربع ساعات على ما اظن . فكتبت المذاهب الاربعة التى قررها العلماء فى هذه المسألة ثم عقبت عليها ففندتها ونفيت أن يكون للحكومة على أى شكل من اشكالها (حق) عقاب المجرم لانها قائمة على القوة لا على الحق . وأسرفت فى التدليل على ذلك حتى ملأت الكراسة ثم خرجت فذكرت لرفاقى ما اجبت به فاضطربوا واكتأبوا وقرروا جميعا انى لا محالة راسب ، ثم اشتد من جانبهم اللوم والتقريع حتى ذهب من نفسى كل امل فى النجاح فلما كان يوم الامتحان الشفهي وقف الشيخ فقرظ موضوعى وكان قد وضع الدرجة النهائية ، ولكنه نصح لى أن اقتصد الآن فى هذه الآراء اشفاقا على

وكم للشباب من شطط فى الآراء .

زرت الشيخ بعد ذلك فى جهة شارع الشيخ عبد الله نائبا عن فريق من الطلبة التمس منه ان يقرأ لنا درسا فى التفسير بمسجد الفتح على مقربة من مدرسة الحقوق ، فأجاب الملتمس وانضم الينا طلبة من دار العلوم فكنا بين الثلاثين والاربعين . وهنالك قويت الصلة بينى وبين الشيخ حتى بلغت حد الالفة .

وفى سنة ١٨٩٧ سافرت فى الشتاء الى جنيف لغرض سياسى ، فانتهزت هذه الفرصة وانتسبت إلى جامعتها فى دروس فى الأدب والفلسفة أقامتها فى الصيف خاصة للحاصلين على درجة علمية ، واتفق أن جاء الشيخ وسعد بك زغلول وقاسم بك أمين مصطافين وكان المرحوم قاسم بك يشتغل فى كتاب تحرير المرأة وكان يقرأ لنا غالبا بعد الظهر فى كتاب L'intelligence للفيلسوف الفرنسى (تين) ومن العجيب أننا كنا نلتوى علينا فهم عبارة كان الشيخ . وهو أقلنا علما باللغة الفرنسية ، يجلو لنا غامضها .

— سافر سعد باشا وقاسم بك وبقى الشيخ عبده فانتسب معي الى دروس الأدب وأقبل عليها بجد ومثابرة ، وذكر ان أستاذ الادب كان قد قرر علينا فيما قرر كتاب (روى بلاس) لفكتور هوجو نقرأه وندرسه ثم نناقشه وننقده فى الدرس أمامه فلما جاء يوم المناقشة أدلى كل طالب برأيه . والأستاذ يعقب على الآراء فيخطىء ويصوب ويصحح حتى نخرج آخر الامر بطائفة صالحة من الآراء الصائبة . وخرج الشيخ شديد الأعجاب بما رأى وسمع وقال : هكذا يكون التعليم ! نحن فى بلدنا لا نعلم واعتزم ان يدخل هذه الطريقة فى الأزهر .

كان مراحنا ومغدانا قبل الدرس وبعده الى حلوانية تجاه الكنيسة تدعى (اكسلين) ويأبى الشيخ رحمه الله إلا ان يدعوها (اخصلين) على الرغم من وسامتها الظاهرة . وكان زيه وعمامته قيد الأبصار وموضع التساؤل ومستجر الحديث فى كل مكان نحله — وهنا ذكر الاستاذ بعض الطرف التى تدل على ظرف الشيخ ولطف روحه ورقة شمائله ثم قال : . . . وكان من عادتنا أن المتقدم منا ينتظر المتأخر عند هذه الحلوانية حتى نذهب الى الدرس معاً . ففى ذات يوم جئت قبله فانتظرته ثم انتظرته حتى مضى الوقت الذى كان يصل فيه عادة اذا تأخر وكانت الجامعة قد استقدمت أحد العلماء الطبيعيين ليحاضر فى استحضار الارواح والدخول عام والزحام لا بد شديد فلما أزف موعد المحاضرة ولم يبق الا دقائق قلت للفتاة : اذا جاء الشيخ فأخبريه انى انتظرته الى قبيل المحاضرة . ثم مضيت فدخلت مدرج المحاضرات من بابه الاعلى وأخذت مجلسى بين الحضور . ولشد ما كانت دهشتي حين وثبت الى عينى عمامة الشيخ جالساً فى الصفوف الامامية بين سيدتين جميلتين ، يميل على هذه مرة وعلى تلك أخرى !! فداخلني من أمر الامام مالم أكن اعهده . ثم خيل الى ان الزمن يبطىء والدرس يثقل لان رغبتى كانت تلح فى الوقوف على جلية الخبر . فلما انتهت المحاضرة أسرعت فى النزول اليه وفى عينى دهشة وعلى وجهي تعجب وبين شفتى كلام ! وتبين الشيخ ذلك فى هيئتى من بعيد ، فصاح قبل ان احدثه :

— تعال يا لطفى اقدمك الى البرنسيس !!

وقدمني الى الاميرتين نازلي وخديجة !

وكان ذلك اول معرفتى بالاميرتين المصريتين فدعتانا الى الشاى فى الفندق الفخم الذى تنزلانه .

وفى سنة ١٨٩٨ رغب الشيخ ان يقضى معي اياما بالبلد . فما علم بقدمه رجال الادارة والقضاء بالمنصورة حتى توافدوا الى لقائه ؛ وفيهم المرحوم حشمت باشا ؛ وحفل المجلس بالناس على اختلافهم ودار الحديث . فقال الشيخ فيما قال ان السيد جمال الدين كان يقول : اذا اردت ان تحكم على اخلاق امة فاجلس فى قهوة من قهوات الفقراء ؛ فما انطبع فى نفسك من الانفعالات فاحكم به على هذه الامة من غير تحرج ؛ فأخذت انقض هذا الحكم وأفنده والشيخ يدافع عنه ويؤيده فاستحييت ان الج فى معارضة الشيخ فى المجلس فأمسكت .

وفى العصر ركبنا جوادين ؛ وخرجنا نرتاض فى المزارع والحقول فعدت الى ذلك الموضوع فقال الشيخ لا أدرى لماذا لا تصدق هذا ؟ أليست قهوة الفقراء تجمع الفقير الذى سيبقى فقيرا ؛ والفقير الذى سيصير غنيا ؛ والغنى الذى صار فقيرا ؟

وفى سنة ١٩٠٥ اذكر ان الشيخ كان قادما من الوجه القبلى واظنه كان فى السودان ؛ فنزل عندى بالمنيا وكنت يومئذ نائبا بها ؛ وحضر للسلام عليه رجال القضاء الاهلى والشرعى ووجوه البلد . فلما احتشد المجلس بالجمع قال احد العلماء من رجال المحكمة الشرعية ان كثيرا من النصارى يدخلون فى الاسلام فتضاعف بذلك شغلنا . فقال له الامام : فيم تشتغل ايها الشيخ ؟ فقال نعلمهم اركان الدين . فقال له : يكفى ان تقول له صل وصم وزك وحج فقال ولا بد ان نعلمه الوضوء . فقال قل له اغسل وجهك ويديك إلى مرفقيك وامسح رأسك واغسل رجليك ، فقال ذلك لا يكفى ولا بد ان نعلمه حدود الوجه من اين يبتدىء والى اين ينتهى ، فقال الشيخ بصوته الجهير فى شىء من الحدة : سبحان الله ياسى الشيخ !! قل له يغسل وجهه أكل انسان يعرف حدود وجهه من غير حاجة الى مساح !!

وهنا استأذنا الاستاذ الجليل فى الانصراف على نية العودة اليه من حين الى حين فنستزيد من طرائف هذه الاحاديث .

الزيات

هل للشعر المرسل مكان في العربية

للأستاذ محمد فريد أبو حديد
وكيل المدرسة التوفيقية الثانوية

يسر الرسالة أن تقدم الى قرائها صديقاً من خيرة أصدقائها وهو الأستاذ محمد فريد أبو حديد صاحب «ابنة المملوك» التي تحدث عنها بالخير الأستاذ جب الى الصديقين، ومؤلف «صلاح الدين»، وكاتب «الزجوم محمد»، ومترجم «فتح العرب لمصر» لبتلر. والأستاذ فريد من أدعى أدبائنا شعوراً وأخصبهم قريحة وأوزنهم اتجاهاً وهو جندي باسل من جنود الأدب العربي، أغرم بالقراءة والبحث والكتابة واسرف حتى حرمه من ذلك داء، فلم مؤنس عالم عن اخوانه وتلاميذه وأمته بضعة شهور، فنحن بتقديمه اليوم الى قراء الرسالة الحالية لأصدقائه بسلامته، والبشرى الطيبة لعشاق أدبه وقرائه.

(التحرير)

قرأت مقالين قيمين في الرسالة بعنوان «مجمع البحور» تعرض فيهما كاتبها المفضلان الى الشعر المرسل ومكانه في اللغة العربية. وليس بالعجيب أن ينفر بعض الكتاب من أسلوب لم يألفوه كما أنه ليس بالعجيب أن ينكر الاديب بدعة في الادب العربي اذا ظن أن تلك البدعة قد تدخل اليه ما لا يزينه أو ما قد يتخذ سبيلا إلى التزييف والابتذال. ولكنا مع ذلك لا نجد بداً من التسليم مع المنطق السليم بأنه اذا كان يراد أدخال بعض أنواع من التأليف في اللغة العربية فلا بد من وسيلة لفك قيود القافية. فالقافية غل متين يمنع الاسترسال في القول واذا كان الاسترسال والاطالة لازمين كانت القافية حجر عثرة لا بد من ازالتها. فالشعر القصصي والرواية الشعرية لا بد فيهما من ترك القافية أو الاحتيال عليها لانه من الطبيعي في الشعر القصصي أن يصور الشاعر صوراً كثيرة واضحة قد يحتاج في تصويرها إلى نظم آلاف الابيات. وكذلك يحتاج الشعر القصصي الى أن يكون النظم حراً لا يلتزم فيه قافية تضطر الشاعر إلى ما يجعل المعنى مبهماً أو مقتضباً. وفي هذا وحده علة وجود الشعر المرسل في لغة مثل اللغة الانجليزية.

وإنما يورد للشعر المرسل عيبان أولهما أنه يحرم الاذن من موسيقى القافية. والثاني أنه يحطم الحدود بين الابيات فلا ترتاح الاذن الى ما اعتادته من الوقف في آخر كل بيت والترنح مع الوزن من بدء مقدور الى خاتمة منتظرة. وهذا قول لا شك في أن به حقاً كثيراً، فمن أراد الموسيقى والغناء فلابد له من شعر موزون خفيف الروح اذا بدأت أول قطعة منه توقعت ما يليها، وإذا سمعت جرس القافية في أول بيت توقعت تمام المتعة بجرس ما بعدها. غير أنا لا نقصد أن يكون شعر الاغاني مرسلا فانما للمرسل موضع غير الاغاني وهو كما ذكرنا ضرورة يلجأ اليها من أراد الاطالة في غرض من الاغراض.

وقد قال أدباء ممن يؤثرون الابقاء على القافية في كل صنوف الشعر أن الشعر المرسل لا ضرورة اليه، فاذا شاء امرؤ أن يطيل وصفاً أو يؤلف قصة فما من شيء يمنعه من أن يفك نفسه من قيدي الوزن والقافية جميعاً ويجعل قوله نثراً صافياً. وليس في مقدرة أحد أن يقنع الناس برأيه في مسألة ادبية باكثر من أن يعرض عليهم ما يستطيعون بناء حكمهم عليه، فان الحكم في مسائل الادب مرجعه إلى الذوق وموقع الكلام من النفس. وليس من قصد أحد أن يتعصب لاسلوب خاص، فانه لا مأرب لأحد في ذلك إلا أن يكون لذلك الاسلوب في نظره ميزة على سواه. على أن مجال القول فسيح لمن شاء الانتصار للشعر المرسل؛ فانه فوق النثر في أنه موزون وللوزن حظ من الاثر الموسيقى الذى يمتاز به الشعر، كما أن الشعر المرسل يجعل الاديب ينحت قوله على نمط مقدر فتخرج المعاني في ثوب مقدود على قدر ومقياس ينحيانه عن الفضول ويكسبان الاسلوب شيئاً من الاناقة التي تنشأ عن اختيار الالفاظ الموافقة للوزن وتزويقها وتوثيق الاتصال بينها.

ويعد المثل أولى من تلك الحجج. ولهذا قد آثرنا أن نختار قطعة من تأليف ملك الشعر المرسل وهو شكسبير في روايته المشهورة (عطيل) وانا عارضوها على القراء مترجمة مرتين مرة منهما من قلم الشاعر الكبير (خليل مطران) في نثر سهل حلو أدى المعنى اداء دقيقاً في أكثر المواضع ولكنه على كل حال لا يعاب عليه شيء في سلاسته ووضوحه. والترجمة الأخرى من قلم رجل آخر وانه المقدرة على أن يؤدى المعنى الانجليزي في شعر مرسل. ورأينا أن نقرن بين الترجمتين حتى يمكن للقارىء أن يحكم بينهما ويحدث لنفسه رأياً في أفضلهما والقطعة المختارة هي نبذة من الموقف الذى كان بين (ياجو)

و (عطيل) يحاول فيه (ياجو) أن يظهر نفسه في مظهر الصديق الناصح ويدس في حديثه سم سوء الظن يبعثه الى قلب (عطيل) ليجعله يحقد على زوجته الفاضلة راميا من وراء ذلك إلى غرض مادى شخصى ظن أنه لن يبلغه ألا بالقذف فى امرأة عطيل وتصويرها فى صورة من تهوى رجلا آخر اسمه (كاسيو) كان ذلك الواشى (ياجو) يريد الايقاع به . وعطيل يحب امرأته حبا شديدا فكان على الواشى المخادع أن يحكم حيلته ومكره حتى يستطيع أن يثير الشك فى قلب ذلك الزوج المحب . فابتدأ متظاهرا بالتردد فى اتهام الزوجة وجعل يلمح الى أن الشرف أغلى متاع للمرء حتى اذا مارأى (عطيل) ينساق مع الغيرة جعل يتظاهر بذم غيرة الأزواج على نسائهم حتى دفع الزوج المسكين الى أن يفتح قلبه وعقله للاتهام . وهذا البدء هو الموضع الذى نقلناه .

* * *

قال مطران فى ترجمة تلك القطعة :

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة ياسيدى العزيز أثمن جوهرة من حلى النفس . من يسرق كيس نقودى يسرق شيئا زريا . كان لى واصبح له وكان قبلا لألوف آخرين . اما الذى يسرق حسن سمعتى فيختلس شيئا لايغنيه ويجعلنى فقيرا جهد الفقر .

وقال المترجم الآخر فى تأدية القطعة نفسها :

ياجو : شرف الانسان أغلى ـ سيدى ـ .
من سواد القلب هذا يستوى
فيه من كانوا ذكورا أو إناثا .
ان من يسرق مالى انما
نال منى تافها غيرخطير
انما المال متاع هين
فلقد كان معى ثم مضى
ليديه بعد حين مثلما
كان قبل الآن عبدا لألوف
انما سالب عرضى نال ما
ليس يغنيه وقد أفقرنى

عطيل : وايم السماء لاعرفن أفكارك

ياجو : لن تعرفها ولو كان قلبى فى يدك . فهل تصل اليها وذلك القلب فى حراستى .

عطيل : قسما لابد من كشف ضميرك
ياجو : لا . لن تكشفه حتى ولو
كان ذاك القلب مابين يديك
لا . ولن أفصح مادام هنا
بين أضلاعى .

عطيل : آها !

ياجو : أى مولاى احذر الغيرة . تلك الخليقة الشوهاء ذات العيون الخضراء التى تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس . الرجل الذى يثلم عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد سعيد بجانب ذلك الذى يقضى الدقائق الجهنمية شغفا إلا أنه مستريب . عاشقا شد العشق ولكن تساوره الشكوك .

عطيل : ها !
ياجو : أيها السيد حاذر ـ لاتطع
هـذه الغيرة ـ حاذر إنها
غولة ذات عيون خضرة
إنها تسخر من مقتولها
بعـد أن تنهشه ـ كن حذرا
ان من يعرف فى زوجته
انها تخدعه ، لكنه
ليس يهواها فلن تزعجه
انما البؤس لمن فى شكه
يتلظى والهوى يكوى فؤاده

. . . .

عطيل : يالشقاء

ياجو : الفقر مع القناعة غنى بلا جاه عريض . اما النعم التي لاتحصى فتكون فقرا عقيما عقم الشتاء البارد للذى يخشى أبدا أن يصبح معسرا . اللهم ياذا الراحم أعف من الغيرة نفوس امثالي

عطيل : لم لم كل هذا اتظن انى سأعيش هذه العيشة مغيرا ظنونى كما تغير هلال . كلا . متى نفذ الريب ثبتت النفس على حالة معه . تبدل منى بتيس قطيع يوم أدع نفسى بين أيدى الشبه التى تحدثها كل دسيسة . أنا لاتستفز غيرتى بأن يقال لى إن مرأتى جميلة وانها لطيفة المحاضرة وانها تحب معاشرة الناس وانها طليقة النفس فى أحاديثها وتغنى وتلعب وتحسن الرقص كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة . الخ

عطيل : واشقاءاه

ياجو : موسر من كان فى الفقر قنوعا
وأشد الفقر مال طائل
مع خوف الفقر . ربى نجنى
من لظى الغيرة واحفظ منه أهلى

عطيل : لم هذا القول ؟ هل تحسبنى
ذلك الغيران يمضى هائما
سابحا فى غير من شكه
مثلما يسبح فى ابراجه
قمر الليل ؟ فلا كنت اذن
إننى إن كنت أمضى هائما
مثلما تحسب لم أبلغ سوى
مبلغ التيس . ولكن عزمتى
عزمة لاشك فيها إن بدا
لى وجه الريب . إنى لا أرى
سببا للريب عند امرأتى
لو يقول الناس عنها انها
ذات حسن . تشتهى الا كل اللذيذ
أو تحب الناس .. أو ثرثارة ..
أو تغنى .. بل إذا ما زعموا
انها تلعب أو تحسن رقصا
ليس هذا الوصف عيبا . إنه
صفة محمودة عند العفاف .

ولعلى أستطيع أن آتى لقراء الرسالة ببعض أمثلة أخرى من هذا النوع من أساليب القول . تاركا لهم أما الانتصار له

وإما خذلانه . فاذا وجدوه صالحا كان بابا يستطيع ذوو المقدرة من شبان الأدباء أن يلجوا منه الى ميادين فسيحة .

العشق النجمي

للدكتور محمد عوض محمد

لئن كنت أيها القارىء ممن وقاهم الله غائلة العشق، ولم تنفجر في صدورهم قنابل الغرام، ولم تضع المقادير قلوبهم بين سندان الشقاء ومطرقة البلاء، إذن فاحمد الله، واشكر جدك الباسم!

لكن إذا كنت خليا فاذكر الشجي. ولا يمنعك السعادة من أن ترثي للشقاء؛ فان لصرعى الغرام عليك حقاً: أن تذرف من أجلهم لترا أو لترين من الدمع الساخن، ثم تسقي به ثراهم وتروى به الطلحة الحزينة التي تظلل جدثهم.

***

وإني محدثك اليوم عن ضرب جديد من العشق، أو على الأقل ضرب كنت أحسبه جديداً.. إلى أن ألفيته قديماً، شأن كل هذه الأشياء التي يطلع علينا بها المجددون..

بيد أن العشق الجديد الذي نحن بصدده، إن لم يكن جديداً، فقد استحدثنا له اسما جديداً. ودعوناه «العشق النجمي».. وهو كما ترى اسم طريف، ليس في الكتاب من سبقنا اليه... ولا خير في كاتب لا ينهض للجليل من الأمور فيبتدع لها الجديد من الأسماء.

وأول من أصيب بالعشق النجمي فيما نعلم، أو على الأقل أول من سجلت اصابته رسمياً، هو العباس بن الأحنف إذ يقول عن حبيبته:

هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

هكذا كان ذلك العاشق المسكين: يطلب ما ليس اليه سبيل، ويظمأ والشراب عزيز، ويشتهي وقصارى جهده أن يشتهي. ولعمرك ما دام مناط حبه الشمس، فليس حظه منها سوى التطلع والتحديق، والزفير والشهيق.. هل كان يعلم عفا الله عنه! أن بينه وبين الشمس ٩٢،٠٠٠،٠٠٠ ميلا في الصيف، و٩٣،٠٠٠،٠٠٠ في الشتاء؛ وهي في كلا الحالين بعيدة المنال، ليس اليها في شتاء ولا صيف وصول.

ومن العبث أن ننصح أمثاله من العشاق أو نمثلهم، أو نطلب اليهم أن يصرفوا هواهم إلى الممكن المتيسر، والقريب الداني. وأن يراعوا صحتهم؛ فان في طلب المحال مقتاً ونصباً، وإن التحديق في الشمس يضني القلب كما يضني البصر.. ولكن هيهات...

إن المحب عن العذال دائماً في صمم.

***

وأحسب القارىء قد أخذ الآن يفهم ما أعنيه بالعشق النجمي. وأظنه يتوهم أن العشق النجمي هو عشق الشيء البعيد المنال.. لكن هذا ليس الذي أرمي اليه. إن العشق النجمي هو عشق النجوم نفسها. أجل النجوم التي في السماء على طريقة العباس بن الأحنف المذكور. ورويداً يظهر لك ما أضمره. شيئاً فشيئاً.

***

هنالك أمراض تصيب الناس من آن لآن. لكنها تصيبهم فرادى. أي تصيب هذا مرة، وذاك مرة أخرى. ثم يأتي بعد ذلك زمان تصبح فيه تلك الأمراض وباء يجتاح العالم كله إقليما بعد إقليم، وشعباً بعد شعب.

وهكذا «العشق النجمي» كان فيما مضى يصيب الناس فرادى؛ فأمسى الآن وباء شائعاً فاشياً، قد ملأ السهل والجبل وانتشر في المشرق والمغرب. وسبب ذلك أن قد ظهرت في العالم سماء جديدة: سماء غير السماء التي ألفنا.. وهذه السماء الجديدة تدعى «السينما» وقد امتلأت أرجاؤها بالنجوم.

والعشق الذي تتأجج ناره في قلوب المغرمين ببعض هذه النجوم لا يختلف، في كثير ولا قليل، عن ذلك الهوى المبرح الذي وصفه لنا العباس بن الأحنف. وقد يظن بعض البسطاء أن نجوم السينما أدنى الينا وأقرب منالا، إذ نراها أمامنا ونشاهدها بأعيننا. وهذا لعمرك خطأ محض؛ فإنها قريبة على بعد، بعيدة على قرب.

والشرق نحو الغرب أقرب شقة
من بعد تلك الخمسة الأمتار...

***

والآن قد أدركت أيها القارىء ما «العشق النجمى» وأنه هو تلك اللوعة التى تحرق قلوب الناس فى مشارق الأرض ومغاربها من أجل بعض النجوم، التى تدور فى أفلاك تدعى «الأفلام» فى سماء يسمونها «الشاشة» البيضاء.

فالعشق النجمى إذن منسوب إلى نجوم السما، وبالله لا تقل كواكب السما! لأن الكواكب فى علم الهيئة قريبة المنال دانية المزار ومن علمائنا اليوم من يحلم بالوصول إلى بعض الكواكب كالمريخ — أما النجوم فبعيدة بعد الشىء المستحيل وكذلك العشق النجمى فإن مرامه بعيد، وأربه محال.

***

وأكبر ما يمتاز به هذا العشق أنه عذرى.. فإنك قد تولع بنجمة فتانة من نجوم هليوود، فيمتلىء بحبها قلبك، وتملك عليك مشاعرك، فلا ترى فى الأرض الفسيحة غير وجهها، ولا تسمع غير صوتها. هى حلمك إذا هجعت، ونجواك إذا صحوت إن أبصرتها فى قصة حزينة استولى عليك الحزن والألم. وإن أصابها برد أو زكام أصابك مثلها سعال وزكام. وإن رأيتها ويا للهول! — صريعة قتيلة، قطع الحزن نياط قلبك، وأظلم العالم فى وجهك، فلا تزال كئيبا أسيفا، جاحظ العين متقلص الشفتين، حتى تراها فى فلم آخر فرحة ضاحكة، فيسرى عنك وتبرق أسارير محياك. وتضحك حتى تبدو نواجذك..

ومن الغريب أنك لا تأخذك الغيرة حين ترى عشاقها الكثيرين، ولا تستنكر منها أن تبدل فى كل (فلم) زوجا مكان زوج او صاحبا مكان آخر. لا يهمك من هذا كله شىء لأنك لا تفكر فى غير سعادتها، فكل ما ترضاه ترضاه. ويحلو فى عينك ما يحلو فى عينها: بل لقد ألهاك التفكير فيها من التفكير فى شىء آخر..

ثم أنت بعد هذا كله لا ترجو نوالا ولا وصالا، تعلم أنها بعيدة عنك بعد النجم. وإن قربها منك الفلم. — وقد رضت النفس على هذا البعد الممزوج بالقرب، وهذا النوال المطوى على الحرمان. وهذا الوصل الذى هو أدنى إلى القلى والهجران. فلا تريد على حبك جزاء ولا لدائك دواء. ذلك أن هواك عذرى أفلاطونى برىء. فلا تريد لنارك المتأججة أن تدفأ، ولا لغليلك المستعر أن يشفى. حب هو الغاية والوسيلة، نار تأبى إلا اضطراما، ودمع يأبى إلا انسجاما. وتنور يريد أن يفور، وإن كان يحلو له أن يثور. من غير مأرب تنشده، أو أمل تريد تحقيقه، أو غاية تبغى الوصول اليها.. بل إن الحب هو الشغل الشاغل عن كل أمل أو مأرب أو مرام..

***

تلك إذن هى الظاهرة الأولى للعشق النجمى: أنه هوى عذرى طاهر عفيف نظيف. أما الظاهرة الثانية لذلك العشق. فهى إنه يصيبك من بعيد.. وقديما وصف لنا الشريف الرضى هذه الظاهرة فقال يخاطب نجمته!:

سهم أصاب ورامية بذى سلم
من بالعراق... لقد ابعدت مرماك!..

ذو سلم هذا مكان فى جوار المدينة المنورة، يكثر الشعراء من ذكره حين ينسبون. ولو كان لديك أيها القارىء مصور جغرافى لأمكنك أن تقيس المسافة بين العراق وذى سلم، ولعلمت أنها لا تتجاوز سبعمائة من الأميال. ومع ذلك يدهش الشريف الرضى لأن سهم الحب قد أصابه من ذى سلم والشاعر فى العراق لكن تلك المسافة لا تعد شيئا إذا قورنت إلى البعد الهائل الذى يفصل ما بين هليوود وبين وادى النيل السعيد. وأن النجمة الفاتنة لترمى بسهمها من تلك الأقطار القاصية، فلا يلبث أن يصيب صميم الفؤاد، ويفتت الأكباد، فى شرق العالم وغربه. لا تحول دونه بحار ولا قفار...

وفى الحب العادى قد يكون البعد من أسباب السلو: والبعيد عن العين بعيد عن القلب فى زعم الناس. لكن البعد بين المحب والمحبوبة شرط أساسى فى هذا الصنف من الغرام. بل إنى زعيم بأن عاشق النجمة لو رآها على قارعة الطريق، وهى تبتاع شيئا من الحلوى، أو داخلة إلى دكان الحلاق. لرأى شيئا كسائر الأشياء وامرأة كسائر النساء، ولما حدثته نفسه بأن قد يصيبه من مثل هذه قنبلة غرام.. بل ولا سهم ضئيل..

كلا.. إنما يلعب حب النجوم بالأرواح عن بعد.. ومن مستلزماته تلك الحجرات المظلمة القاتمة، تبعث فى النفس رهبة، وتثير فيها شغفا ورغبة. وهذه الأنوار الساحر تنبعث من مكان خفى، وتسطع على لوح فضى: ظلام يتوسطه النور، ونور

هذا العـــــــذاب ...

الأستاذ راشد رستم

دخل الغابة ينشد الوحدة الهادئة الهادية ، فرآها أول ما رأى في صمت الجذوع وتحملها ، ثم تمثلها عند تساقط الأوراق واستسلامها ، وفي السكون الشامل الذي يحيط به ، وفي اللون الاخضر القاتم الذي يغشاه ، ثم سمعها في أنين الغابة الداوى ؛ ولاقاها عند الغدير الصغير الجارى ، ورآها في قاع مجراه الصافي كامنة بين الحصا الأبيض الناعم ، ثم شاهدها في تهدل الاغصان واضطرابها ، وفي رعشة الاوراق المتحيرة ذات الحفيف المحزن . ووجدها ساكنة في الاعشاش الخاوية ؛ ولمحها عالقة باجنحة الطير المتثاقلة وهي تبيت . وفي آخر أشعة الشمس الصفراء وهي تغيب .

***

جلس في تلك الظلال القاتمة وحيداً بين الشجر . ينظر إلى السماء الداعبة يستنجدها وجهها المهيب . أو يستودعها سره العجيب . وقد بدت فروع الأغصان مع الاوراق على صفحة السماء وقت هذا الغروب في لون من سواد كثيف : كأنها (دنتلة) الحزن على صدر أملس رائع أسيف . قد صبغته نيران الزفرات والتنهدات بلون الشفق الوردى الهادىء صدر واسع عميق جذاب تحنو عليه شفاه الرحمة والاشفاق بقبلات العطف والحنان تترك فيه أثاراً من حرارة التضامن الكامن في الصدور بين قلب حنون وآخر محزون . .

***

لم يفكر في شيء ، فقد أحاطت به الافكار من كل جانب ؛ قام هارباً من تهافت الافكار متعمقاً في الغابة يطلب الهدوء الأصيل في حضنها الظليل ، ومن هاجمته افكاره اعجزته تفكيراته : وقد يضيع بها أو هو يبقى بينها حيران زمانا حتى تجذبه احداها فتشغله عن سواها ؛ وهكذا يفر المرء من عذاب الى عذاب

***

على أنه وقد وجد سكينته عند الطبيعة فقد سلبها منه وآلمه فيها ابن الطبيعة — طلع عليه من خلال الاشجار اطفال يلعبون : والناس ملائكة صغارا شياطين كبارا

كمن له الصغار لما رأوه مقبلا هائما ؛ انتظروه اذ ظنوه سارحا هادئا ، فاجؤوه يحسبونه خائفا ؛ فلما وجدوه رابطا ثابتا ، عادوا يخشونه متحفزا ثائرا . ثم تنبه هو من تيهه فوقف باسما ؛ يدعوهم لاعبا مسالما ضاحكا : ولكنهم من الرجفة الاولى يفرون مستنجدين صارخين . فانجدهم أهل لهم في الغابة يحطبون ؛ يسألونهم عن أمرهم وما دهاهم من مفترس أو روح شرير فكانوا يبكون صامتين ، يشيرون الى مكان قريب

***

مفترس ! وحش ! روح شرير ! !

ليس في المكان إلا ما في الغابة من شجر ووحشة ودوي طويل.

خرج عليهم « الوحش » يدعوهم الى الهدوء والاطمئنان . فتلقوه مؤنبين معرضين ، فتولى عنهم في غيظ وكمد . مختفيا في الغابة الممتدة الواسعة . تلك الغابة الغنية التي هو سيدها ومالكها والتي يهبها صدقة يسمح بحطبها وحياتها ومتاعها حلالا طيبا للسائلين والمحرومين.

يحيط به الظلام . وحسبك تلك الحال السحرية باعثة على الشجن ، ومثيرة لكامن الجوى .

وهكذا تستطيع النجمة ، وهي على سواحل المحيط الهادى أن ترسل أشعتها إلى أطراف العالم ، وتنشر شباكها في جميع الأقطار .

***

هذا وللعشق النجمى خصائص أخرى ، ولكننا ضربنا عن ذكرها صفحا ، لأنها تعد في المرتبة الثانية من الأهمية ، وحسبنا ما ذكرناه وصفا لأعراض ذلك المرض . . استغفر الله بل تلك العاطفة القاهرة ، التي استرقت قلوب الناس من شباب وكهول ؛ وصفدتهم بسلاسلها وأغلالها . وقد أسلموها قيادهم طائعين خاضعين . . .

لقد تحسب أيها القارىء أن فيما ذكرناه غلوا أو ان نصيب الخيال فيه أكثر من نصيب الحقيقة . . وفي الحق أننا ما كنا نعلم أن لهذا الشيء وجوداً أو أن شره قد استفحل . وخطره قد اشتد إلى هذا الحد . لولا أن صديقنا العزيز (رشاد) قد أصابه ذلك السهم ، فأحزننا مصابه . ولقد تتاح لنا قريباً فرصة أخرى فنحدث القارىء بحديث ذلك الصديق وإن كان حديثاً أليماً . . .

التجديد فى الأدب

يناقش الدكتور عبدالوهاب عزام الأستاذ أحمد أمين فى رأيه عن التجديد فى الأدب ، وقد دفعتنى هذه المناقشة إلى إبداء رأى وذكر مناقشة ، أما الرأى فهو : إن المعاجم اللغوية التى يقول الأستاذ أحمد أمين ان فيها « ألفاظا كثيرة ليس لها قيمة إلا أنها أثرية تحفظ فيها كما تحفظ التحف فى دار الآثار » ، فى هذه المعاجم ألفاظ كثيرة لها قيمة عظيمة عند من يحسن الأداء بها فى مواقفها وكثير منها يؤدى لنا عن معان كنا نظن أن ليس لها فى الالفاظ العربية مايدل عليها ؛ فالبحث عن هذه الألفاظ واستعمالها يزيد من غير شك فى حيوية اللغة ونمائها ؛ وقد فعل الدكتور محمد شرف والدكتور أحمد عيسى شيئا من ذلك فى معجميهما عن الحيوان والنبات : فكشفا فى هذه القواميس عن ألفاظ عربية لنباتات وحيوانات كنا نستعمل عند الدلالة عليها اسماءها العلمية اللاتينية . وذلك لظننا خلو لغتنا من أسمائها .

وأما ماذكره الأستاذ أحمد أمين من إلغاء هذه الألفاظ لأن الذوق العام للقراء لايسيغها الآن ، فأنا أظن بأن درجة المعرفة التى يصل اليها جمهور القراء ليست كافية للاعتبار والحكم على اللغة والكاتبين . والكاتب النافذ البصيرة له أن يقدم لهذا الجمهور القارىء مايرى أنه مفيد من الألفاظ للابانة عما يريد من معنى أو إحساس ، ولو كان الجمهور القارىء لايعرف هذه الألفاظ أو لايسيغها ذوقه ، ولكن المهم أن يقتصد فى ذلك على الضرورى المفيد ولا يتعمد الإغراب .

هذا مع ملاحظة أن مالايسيغه ذوق الجمهور هو الأقلية من هذه الألفاظ المهجورة .

هذا عن رأيى ، وأظننى فيه قريبا من الدكتور عزام وإن كنت أخالفه فى بعض الشواهد التى أوردها فى مقاله وفى بعض الآراء كذلك .

وأما عن المناقشة فقد جرت منذ شهور بينى وبين كاتب من كبار كتابنا المتحمسين لتبسيط اللغة ؛ وكان يقول إن هذه الألفاظ الموجودة فى القواميس هى مثل الزوائد والبقايا الأثرية فى جسم الانسان « كالزائدة الدودية وعجب الذنب مثلا » ويجب علينا طرحها لنكسب الوقت والسرعة ؛ فقلت انا ؛ إن فى هذه القواميس ألفاظا تؤدى لنا عن معان نتحير الآن فى الأداء عنها بكلمة واحدة ، فنعبر عنها بجملة أو سطر ، فلو أننا استعملنا هذه الألفاظ وأشباهها لاكتفينا بلفظ واحد عن هذه الجملة أو السطر ، فكسبنا بذلك الوقت والسرعة ولفظا جديدا يزيد فى لغتنا سعة ؛ فقال : اذكر مثلا ؛ قلت : أقرب مثل هو صديقك فلان الذى عرفتنى به أخيرا ؛ فقد لاحظت أن لون عينيه مختلف فله عين زرقاء وأخرى كحلاء . فلو أردت أن أذكر لك هذه الصفة فيه استعملت لها سطرا من الكلام ؛ ولكننى وجدت فى القاموس كلمة واحدة تؤدى هذا المعنى كله وهى « أخيف » وهذه الكلمة نفسها تغنينا عن جملة أخرى ؛ فان الابناء الذين هم من أم واحدة وآباء شتى يقال لهم « أخياف » فيمكنك فى

اقبل على الغدير الصغير ، وهنالك أمام خرير الماء الطاهر البرىء ؛ الجارى من الازل الى الأبد ، وقف فى اطراق وصمت وتسليم قليلا ثم نظر الى العود الذى يتوكأ عليه . وهو من حطب الغابة ؛ وكتب به فى بطء ولين وتفكير كلمات لاشك أنها ذاهبة مع الماء فى مجراه . .

ثم أخذ سبيله عائدا الى البيت الذى يأويه وكان قد هجره بمن فيه وما فيه

واذ هو يمشى وئيدا كئيبا وقد طواه غسق الليل . أبصر المحتطبين خارجين من الغابة فرحين محملين وهم يذكرون الوحش المقترب والروح الشرير . .

***

تثور نزعاته تطلب لوجودها جهراً . ولكنه يكظمها فى نفسه صبرا ؛ ثم تفور عواطفه فورا . فيحبسها فى صدره غورا ثم يسرع الخطى على غير هدى قليلا حتى يدله الألم السارى وسط ظلام الحياة . على حقيقة عذاب الانسان للانسان ؛ ومكان الاحساس عند الانسان ؛ وان الجهر بالاحساس احسان . .

يذكر ما كتب على صفحة ذلك الغدير الصغير ؛ ويردده فى ألم وثورة وأسف — حقاً إن فى صمت الاحساس جنة للناس وعذاب للمحسنين . .

المعادى راشد رستم

الاول أن تقول « فلان أخيف » بدل « فلان إحدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء » وفى الثانى « هؤلاء الاخوة أخياف » بدل « هؤلاء الاخوة من أم واحدة وآباء شتى » . وقد كسبنا بذلك الوقت والسرعة ولفظة جديدة ؛ وهذه الكلمة لا أحد يقول « حتى الاستاذ أحمد أمين » إنها نافرة أو ثقيلة على الجيل الحاضر ، وقد استعملها ابن زيدون فى قطعة جميلة من شعره .

فقال صديقى الكاتب الكبير فى صيغة التحدى والتهكم : إنك بذكر هذا اللفظ أطلت فى الوقت واضعفت من السرعة لانك ستشرحها للقارىء بهذه المعانى التى ذكرتها ؛ فكان خيراً لك وله لو أنك اكتفيت بالشرح عن المشروح فلم تذكر اللفظ الواحد ثم تتبعه بجملة شارحة ؛ فقلت أنا أولا لا أسلم بضرورة الشرح لأن القارىء واحد من اثنين : قارىء يقظ يقرأ ليفهم ويفتش عن كل كلمة ولا يكتفى بالفهم الاجمالى ؛ وهذا القارىء عندما يجد هذه الكلمة — إذا لم يكن يعرفها — سيبحث عنها فى القاموس حتى يعرفها ؛ ومن المرجح أنه بعد ذلك لن ينساها ، وهذه وحدها فائدة أخرى ، والقارىء الثانى يمر على الكلام مرا و يكتفى بالفهم الاجمالى ؛ فهذا ليس يهمنى أن أشرح له ؛ ولعله هو أيضا لا يهتم لشرحى ؛ وعلى فرض التسليم بضرورة الشرح لهذه الكلمة ومثلها ، فان الشرح لن يكون إلا بمقدار ما تشيع هذه الالفاظ وتعرف لجمهور القارئين وعند ذلك تترك وحدها فيفهمها القارىء ونكسب نحن وهو الوقت والسرعة وألفاظاً جديدة تزيد فى لغتنا وتنميها ؛ ثم ذكرت له بعضاً من الألفاظ والجمل استعملها هو بدءا وشرحها فى أول ما استعملها وأصبحت الآن مفهومة لكل قارىء وشائعة على أقلام الكاتبين وألسنة الناطقين حتى كأنها تستعمل منذ مئات السنين

ولعلنا نجد فى المقالات القادمة للاستاذ أحمد أمين أننا فهمنا من كلامه غير ما يقصد هو . وعندئذ فنحن على وفاق ، أو فى « خلاف لفظى . . . » كما يقول الاصوليون

« محمود ع . الشرقاوى »

عالم من الازهر

(الرسالة) جاءنا من الدكتور عبد الوهاب عزام مقاله الثانى فى الرد على الاستاذ أحمد أمين فى موضوع التجديد . وسننشره فى العدد القادم .

فلسفة كانت

للاستاذ زكى نجيب محمود

كانت الفلسفة وهى فى مهدها مطمئنة إلى تلك الأداة التى اتخذتها سبيلا إلى تفهم الكون ومايحوى من سر مكنون ؛ فكانت تأمن هذا العقل الانسانى وتثق به وثوقاً لا يعرف الشك ؛ ولكنها ما لبثت أن اشتد ساعدها واستقامت على قدمين راسختين ؛ فانقلبت على تلك الأداة نفسها ، وداخلها الريب فى أمانتها ودقتها فيما تنقل إلى ذهن الانسان من صور العالم المحس ؛ فتناولتها بالبحث والتحليل

وتظن أن (لوك) كان أول من تصدى لذلك البحث فى تاريخ الفكر الحديث ، وقد انتهى بعد بحثه الطويل إلى إنكار الآراء الفطرية (Innate ideas) التى يقول دعاتها أنها تولد مع الانسان كمعرفة الخير والشر مثلا ؛ وأكد أن العقل عند ولادة الطفل يكون كالصفحة البيضاء ؛ خالياً من كل شىء ، وقابلا للانفعال بالبواعث المختلفة . فاذا ما مرت به تجارب الحياة المختلفة ، تركت فيه آثاراً لا تمحى ، وطريق تلك التجارب الى العقل هى الحواس وحدها ؛ وليس فى حنايا العقل أثر واحد لم يسلك طريق الحواس أولا ؛ فالآثار الخارجية تنتقل إلى الذهن فى إحساسات مختلفة ؛ ثم تولد هذه الاحساسات شتى الآراء والافكار . ومادامت الأشياء المادية وحدها هى التى يمكن ان تنتقل عن طريق الحواس ، إذن فكل معلوماتنا مستمدة من الاجسام المادية دون غيرها . ومعنى ذلك أن المادة عند (لوك) هى كل شىء

ثم جاء (بركلى) وخطا بعد ذلك خطوة جريئة . فقد سلم بمقدمات لوك ، ولكنه اختلف وإياه فى النتيجة . ألم يقل لوك بأن معلوماتنا جميعاً مشتقة مما يجىء عن طريق الحواس ؟ إذن فنحن لا ندرى عن الشىء الخارجى إلا الاحساسات التى تنبعث الينا منه ، والأفكار التى تتولد من هذه الاحساسات عند وصولها الى الذهن . خذ تفاحة مثلا ، فهذا لونها يصل اليك ضوءاً عن طريق العين ؛ وهذه رائحتها تصل عن طريق الأنف ، وذاك طعمها تعلمه عن طريق الذوق ، وذلك ملمسها وشكلها يصلان

اليك عن طريق أعصاب اليد . فاذا تناول هذه التفاحة كفيف البصر ؛ علم عنها كل شيء إلا لونها ؛ وإذا كان فاقداً لحاستي الشم والذوق ؛ اقتصرت معرفته على الشكل والملمس ؛ فإذا فرضنا أن أعصاب يده فقدت عملها أيضا ؛ أنكر صاحبنا وجود التفاحة في يده مهما قدمت إليه من وسائل الاقناع . فلولا الحواس لما كان للأشياء الخارجية وجود بالنسبة الينا على الأقل . فالحواس هي التي كونتها . ولذلك لم يتردد بركلي في انكار المادة انكاراً تاماً . ولا يعترف بوجود شيء الا حقيقة واحدة يحسها في نفسه وهي العقل

أجهز بركلي على المادة فمحاها من صفحة الوجود ، وأشفق على العقل فسلم به ، ولكن جاء بعده هيوم ؛ فأبى أن يقف عند هذا الحد تواضع من الانكار ، وسارع إلى العقل بمعوله أيضاه في هوة العدم ! ما هذا العقل الذي يتشبث بوجوده بركلي ؟ ابحث في نفسك بحثاً باطنياً وحاول أن تعثر على ذلك العقل باعتباره ذاتاً مستقلة ؛ فلن تعود بطائل ؛ ولن تصادف في نفسك إلا سلسلة من الافكار والمشاعر والذكريات يسوق بعضها بعضاً . فليس ثمة عقل ؛ ولكنها عمليات فكرية وصور ذهنية لا أقل ولا أكثر . وإذا فقد انهار العقل كما انهارت المادة من قبل ! وهكذا قوضت الفلسفة بفؤوسها كل شيء . ثم وقفت بين تلك الانقاض الخربة لا تجد وقوداً يذكيها . فقد ضاع العقل وضاعت المادة ولم يبق لها منهما شيء ! ؟

ولكن الله قيض لها فيلسوفنا العظيم « عمانوئيل كانت فأعاد البناء من جديد ؛ وشيده على أسس قوية ثابتة لاتزال قائمة حتى اليوم . فقد أنكر بادىء ذي بدء مذاهب الفيلسوف لوك والمدرسة الانجليزية انكاراً تاماً . لان التجارب التي يقول عنها لوك إنها مصدر معرفتنا جميعاً ؛ لايتحتم أن تلازمها الصحة دائماً ؛ فهي ان صحت نتائجها اليوم فقد تخطىء غدا . فضلا عن أنها تقتصر على الجزئيات ولا تتعداها الى التعميم الذى ينزع اليه العقل بطبيعته ، ومما لاريب فيه أن لدينا من الكليات العامة ما يستحيل عليه الخطأ . كأن نقول مثلا ان ٢ × ٢ = ٤ فهذه حقيقة لم نعتمد في تحصيلها على تجربة خارجية ، وإنما اكتسبت ضرورتها من طبيعة عقولنا ؛ فليس العقل الانساني سلبيا ؛ ليس قطعة من الشمع تولد خالية ثم تخط فيها التجارب ما تشاء كما ذهب لوك ، كلا ولا هو اسم يطلق على سلسلة الحالات العقلية كما أدعى هيوم ؛ انما هو عضو فعال ؛ يتناول الاحساسات التي تأتي اليه من العالم الخارجي فيؤلف بينها ؛ ويكون منها الافكار المختلفة ؛ ويصبها في القالب الذى يشاء . العقل الانساني قوة ايجابية تعمل على تنظيم ملايين التجارب التي تصادف الانسان في حياته . وتخلق منها وحدة فكرية منظمة ! ولكن كيف ؟

يجتاز العقل في ذلك مرحلتين : الاولى هي الانتقال من مجرد الاحساس إلى وصول الأثر الى الذهن : الى الادراك ؛ أي فهم ذلك الاثر المعين . والثانية هي الانتقال من هذه المدركات الجزئية إلى المعقولات والكليات العامة . وسنفصل هذا الاجمال فيما يأتي :

تأمل نفسك لحظة ؛ تجد عدداً من المؤثرات لايحده الحصر يندفع اليك ويتسلل الى ذهنك عن طريق الحواس ؛ فهذه عشرات الاصوات تنتقل الى اذنك من جهات مختلفة ؛ وتلك آلاف المرئيات تبعث ضوءها الى عينيك ؛ وهاهو ذا جسمك يحس في كل جزء من أجزائه بالمؤثرات المختلفة : يحس نعومة ملابسك أو خشونتها ، كما يحس الحرارة والبرودة . فهذه الاحساسات العديدة المختلفة التي تصل الى ذهنك من ابواب متباينة ؛ تسبح في العقل صماء دون ان يكون لها معنى خاص إلا اذا تألفت أجزاؤها وارتبطت بمكان وزمان ؛ وذلك التأليف والربط لابد لهما من قوة ايجابية ، هي العقل . فانت قد ترى اللون الاصفر وتحس الشكل الدائرى ، وتشم رائحة معينة ؛ وتذوق طعما خاصا ولا يكون لكل تلك المؤثرات مدلول واحد ، إلا اذا جمع العقل هذه الاشتات وربطها بمكان خاص — في جسم برتقالة مثلا — وعندئذ ينتقل احساسك الى ادراك لهذا الشيء المعين فالواقع ان الاحساسات الأولية ليست الا مؤثرات متفرقة تجيء الينا من الخارج . ولا يكون لها معنى بذاتها ؛ وهذا ما يشعر به الطفل في أول حياته العقلية . اذ يرى لون البرتقالة ويلمسها بيده ، ويشمها ويذوقها . ولكنه مع ذلك لا يعرفها فاذا ما نمت قواه العقلية ؛ اخذت هذه المجموعة من الاحساسات تتجمع وترتبط بهذا الشيء . وبذلك ينتقل حسه الى مرتبة المعرفة والادراك ؛ ولا تعود صفات البرتقالة تؤثر في ذهنه مستقلا بعضها عن بعض كما كانت الحال من قبل ، بل تنتقل الى ذهنه كتلة متحدة مترابطة لا انفصال فيها . ولكن كيف أخذت تتجمع هذه الصفات في الذهن حتى تكون منها كل

لا يتجزأ له مدلول خاص ؟ هل تم ذلك بطريقة آلية . أي اخذت تتراص بجانب بعضها البعض ، فسارع لون البرتقالة ووقف بجانب الرائحة والطعم والشكل . حتى تكونت صورة البرتقالة في الذهن . دون أن يتدخل العقل في هذا التكوين ؟ هنا يجيب (لوك) ومدرسته بالايجاب وينكره (كانت) كل الانكار . ولا يفهم كيف تتحد جزئيات الاحساس التي سلكت الى الذهن الف سبيل وسبيل من تلقاء نفسها . الا ان يكون هناك قوة تنظم هذه الفوضى الحسية : قوة تؤلف بينها وتوجهها في الطريق التي تريد . قوة تشكلها وتصبها في قالب المعنى . هي قوة العقل . وآية ذلك ان الانسان يأتيه في كل لحظة آلاف الاحساسات . ولكنه لا يقبلها جميعا ، بل ينتقي من ذلك الجيش الجرار من الدوافع والمؤثرات ما يلائم حالته في تلك اللحظة المعينة : وهذا دليل قاطع على فاعلية العقل ؛ ولو كان الأمر يتم بالطريقة الآلية التي زعمها لوك وهيوم : لما كانت هناك أفضلية لاحساس على آخر . بل يرغم الانسان على قبولها بأسرها : فكل صوت يقرع الاذن لابد أن يصل الى الذهن : وهكذا في سائر الحواس . ولكن ليس هذا هو الواقع . فهاهي ساعتي تدق على مكتبي أثناء كتابة هذا المقال ، ولكني لا أسمعها لأنني لا أريد أن أسمعها فاذا ما توجهت بارادتي الى استماعها ، تم ذلك على الفور مع أن صوتها لم يرتفع عن ذي قبل . وقد تكون الأم نائمة مستغرقة في نومها . فتحدث جلبة شديدة . أو تمر موسيقى أمام البيت بطبلها وزمرها . فلا تستيقظ من نعاسها ، أما اذا تحرك ابنها الرضيع في مهده حركة خفيفة ، أو بكى بصوت منخفض : هبت من نومها مذعورة . فما الذي أثر عندها هذا الصوت الخافت على مئات الاصوات التي تقرع أذنها ؟ الا أن يكون هناك قوة فعالة تعرف كيف تختار من المؤثرات ما هو صالح ملائم .

خذ مثلا آخر يدلك على ايجابية العقل في الادراك .. أنظر الى هذين الرقمين ٣ ، ٢ : وأجر فيهما عملية الجمع . تسارع الى ذهنك النتيجة وهي خمسة ، ثم أقرأهما ثانية معتزما اجراء عملية الضرب تجيء الى ذهنك نتيجة أخرى هي ستة . هاتان فكرتان أو نتيجتان مختلفتان نشأتا في الذهن من باعث واحد . وكان السبب في اختلافهما اختلاف الغرض الذي توجه به الذهن نحو ذلك الباعث ؛ ويتضح من هذا أن العقل ليس مجرد آلة « كمرة » تلتقط الاحساسات كما هي ؛ وعلى رغم أنفها ؛ ولكنه قوة تدعو من البواعث ما تريد . ثم تفكر فيها بأشكال مختلفة . وهو يستعين في هذا التفكير بالغرض الذي يوجهه الى المؤثرات الخارجية .

ولما كان لا مندوحة للعقل عن أن يفرض مكانا وزمانا يسند اليهما أثر الاحاسيس المختلفة . لانه لا يستطيع أن يتصور مدركات مطلقة ، فليس في مقدوره مثلا أن يفهم اللون الابيض مجردا عن « مكان » ولا أن يدرك حادثة الا اذا نسبها الى « زمان » الى ماض أو حاضر أو مستقبل ؛ أقول لما كان لا مندوحة له عن فرض الزمان والمكان لفهم المادة التي تقدمها له المؤثرات الخارجية . اخترعهما اختراعا، فهما ليسا حقيقتين في ذاتهما . أي ليس في الوجود الخارجي زمان ولا مكان ، انما خلقهما العقل ليتخذهما وسائل للادراك ؛ وسبيلا لصب المعاني في المحسات .

شرحنا فيما سبق كيف تنتقل الاحساسات المبعثة من الاشياء الخارجية الى ادراك ؛ ونريد الآن أن نوضح الخطوة الثانية التي يجتازها العقل في أداء وظيفته : عند الانتقال من هذه المدركات الى مرتبة المعقولات أي تصور العلاقات الكائنة بين أجزاء الوجود بعضها ببعض . وبعبارة أخرى تلك الخطوة التي يخطوها العقل من مرحلة التجارب الجزئية الى العلوم الكلية . فكما أن للعقل قوة يتمكن بها من تنظيم البواعث المختلفة في قالب المكان والزمان ، فيدرك بذلك معنى الاشياء ، كذلك له قوة أخرى . تجيء بعد هذه . وهي التي تنظم تلك المدركات في قوانين عامة : كقانون السببية . وقانون الجاذبية . وما الى ذلك من النواميس التي تبوب على أساسها معلومات الانسان ؛ وهذه العملية هي كنه العقل وطبيعته . فالعقل عبارة عن عملية تنظيم التجارب وتبويبها . وهو في هذا التبويب والترتيب ايجابي فعال ؛ وليس كما توهم لوك وهيوم قطعة من الشمع اللدن التي تشكلها التجارب المختلفة . والا فهل تستطيع أو تتصور الوحدة الفكرية التي تشتمل على فلسفة (ارسطو) : والتي تكونت ولا ريب من جزئيات أتته عن طريق التجربة والحواس هل تستطيع أن تتصور ان تلك الجزئيات قد نظمت نفسها بطريقة آلية حتى بدت متماسكة في فلسفة متحدة . دون أن يتدخل العقل في ذلك التنظيم ؟

تخيل ان بطاقات دار الكتب قد انتثرت في غرفها واختلطت ألفها بيائها . فهل تصدق ان هذه البطاقات تستطيع أن تجمع نفسها وترتب صفوفها .. وتسلك طريقها الى قمطراتها في نظامها الابجدي ؟!

هل يمكن أن يتم ذلك دون أن يتدخل الانسان ويتناولها بالترتيب ؟؟

كذلك حال العقل مع المدركات : فهي في الكون شتيت متضارب : وهي تصل الى الذهن في هذه الفوضى : ألوان متباينة : وأصوات مختلفة : وأذواق عدة : وأشكال متنوعة . فيأخذ العقل في ترتيبها وتبويبها حتى ينتهي بها الأمر الى هذه العلوم المنظمة المنسقة : وبديهي ان هذا التنسيق لم ينبعث الينا من الاشياء الخارجية نفسها . وإذن فقد أخطأ لوك كل الخطأ حين زعم ان العقل سلبي . تنقش فيه التجارب بطريقة آلية ؛ فاذا لم يكن الامر كذلك فهل يستطيع لوك ان يبين لنا كيف أن التجارب الواحدة تؤثر في مجموعة من الرجال : فتخرج منهم هذا الغبي وذاك الفيلسوف ؟

كلا ! لا مندحة عن التسليم بايجابية العقل وقوته في تكوين المدركات من الاحساسات أولا : ثم في تكوين المعقولات من المدركات ثانيا .

وان صح هذا التحليل : فيكون العالم كما نعرفه من تكوين عقولنا وصنعها ؛ فنحن لا نعلم عن الاشياء الخارجية الا مظاهرها التي تنتقل الينا ، وليس في مقدورنا أن نتغلغل في بواطنها ؛ وقد تكون هذه الصورة الذهنية التي كونتها عقولنا عن العالم الخارجي بعيدة جدا عن الحقيقة في ذاتها ، فنحن لا نعلم عن القمر مثلا الا ما انبعث الينا منه من احساسات زائدا ما عملته عقولنا في تلك الاحساسات ، فتكونت لدينا من هذا المزيج صورة عقلية عن القمر ؛ أما ان هذه الصورة العقلية تطابق الواقع أو لا تطابقه ، فلا يستطيع البشر أن يجيب !

وهكذا أثبت (كانت) وجود المادة ؛ الا انه انكر ان تكون فكرتنا عنها على مثال الحقيقة الواقعة .

ثم يعود (كانت) بعد ذلك فيرفض مازعمه لوك من أن العقل يولد كالصفحة البيضاء ؛ ويؤكد في يقين انه انما يرث شعوراً لا يأتيه عن طريق التجربة والحواس ولابد لكل انسان أن يسلم بوجوده ، هو ذلك الشعور الذي يدلنا على أن هذا خير وذاك شر ؛ هو ذلك الشعور الذي لا ينفك يؤنبك اذا نبوت عن جادة الخير ويطمئن مادمت سالكها ؛ هو ذلك الشعور الذي تحس من أعماقك انك لو اتبعت ما يمليه عليك ، وحذا حذوك البشر أجمعون ؛ لكان الخير كل الخير . ذلك الشعور الذي يقف لك بالمرصاد والذي يولد معك . هو الضمير . ومن ذا الذي يستطيع أن ينكر هذا الصوت الواضح الجلي الذي يضيق للشر ويطمئن للخير . فأنت قد تكذب . وقد تنهب حقوق غيرك . ولكن لا يسعك الا الاعتراف ولو أمام نفسك ان هذا خطأ ولو خيرت لما رضيت أن يسود الكذب والسلب بين الناس . وكل انسان على الأطلاق يحمل بين جنبيه هذا الوازع الذي لا تأخذه عن أعمالك سنة ولا نوم ؛ والذي يملي على صاحبه في غير لبس ولا غموض ما يجوز عمله وما لا يجوز .

وهذا الخير الذي يمليه الضمير انما يقصده لذاته على الرغم من انه قد يتضارب مع صالح الفرد تضاربا صريحا . فالمثل الاعلى الذي يصبو اليه هو اداء الواجب دون النظر الى السعادة الشخصية .

ووجود الضمير دليل قاطع على ما للانسان من حرية الارادة لأن معنى رقابته أن الانسان يستطيع أن يسلك هذا السلوك أو ذاك ولو كان الانسان مرغما على أن يسير في طريق مرسومة لما كان لهذا الضمير فائدة . وكذلك يدل وجود الضمير على خلود الروح . ذلك لان الحياة الدنيوية لا تأخذ المجرم بالقصاص في كل الأحيان ، لا بل تضرب لنا الحياة آلاف الأمثلة بأن الشر هو السبيل الى السعادة الشخصية ؛ تعلمنا الحياة أن نمكر بالآخرين وأن من لا يظلم الناس يظلم . ولكنا على الرغم من ذلك ننشد الخير وننبذ الشر ؛ فهذا الشعور لم يستمد من الحياة طبعا ، فمن أين جاءتنا تلك النزعة للخير اذا لم نكن نعلم في أعماقنا أن هذه الحياة الدنيا ليست كل شيء ؛ بل هي جزء من حياة ثانية خير وأبقى من الأولى ؛ وأن هذا الطيف الزائل ليس الا مقدمة لبعث جديد ؟

ثم يستطرد (كانت) في هذا المنطق : حتى يصل الى اثبات وجود الله عز وجل ؛ لانه اذا كان الشعور بالواجب الذي يمليه الضمير يتضمن الدليل على حياة أخرى خالدة تجزي كل امرئ بما قدمت يداه ؛ فهذا الخلود ناشئ بالضرورة عن سبب يلائمه ؛ كي تتكافأ العلة والمعلول ، أو بعبارة أخرى لا يمكن أن تتفرع الحياة الخالدة الا عن إله خالد .

هذا هو البناء الشامخ الذي شيده كانت ، ولا يزال قائما في عالم الفلسفة تعمل فيه معاول الهدم فلا تنال منه الا كما تنال الريح الهينة من الجبال الشم الرواسخ ؛ وعلى الرغم من أن كتاب القرن التاسع عشر حاولوا أن ينقضوا رأيه في الأخلاق والدين فقال قائل أن ليس ثمة ضمير يملي الخير ؛ لان الخير ليس مطلقا فما هو خير اليوم قد يكون شرا غدا ؛ وسخر ناقد من منطق (كانت) في اثبات وجود الله ، فقال انه « كالحاوي » الذي يخرج من قبعته الفارغة ما يشاء ؛ يريد بذلك انه انتزع نتيجة من مقدمات لا تؤدي الى ذلك . أقول على الرغم من ذلك جميعا فلا يسعنا الا أن نطأطئ الهامات اجلالا له واكبارا .

المغنيــة الضريرة

من رسالة إلى صديق

أنت تأخذ على تبرمى بالحيـاة وانقباضي عما تزخر به القاهرة من شهوات السمع والبصر . ولـكن أنسيت أن العين التى يبضها الحزن لا تستطيع أن تجتلى جمالا يرف فى روضة . ولا حسنا يشرق فى طلعة . وأن الفم المريض أزهد ما يكون فى طعام وشراب . أنسيت أن صديقك كان يقطع أيام الشباب فى مثل طلعة الصبح أشراقا وبهجة . ثم أمسى وقد استحال كل أولئك الى ذكريات أليمة تعـاوده فى غرفة معزولة تدور به فى مثل حلقة الواو كربا وضيقاً : فهو أبدا موصول الحنين متتابع الزفرات : أنسيت آمالى وأحلامى ؟ « أما الآمال فقد عصفت بها النكبات حتى أحالتها إلى هشيم تذروه الرياح » وأما الاحلام فأنت تعرف أنها تكشفت عن رجاء ضائع وشباب هالك وحسرة لذاعة من شماتة الأعداء . ولكن مالى وللحديث فى هذا ولست بسبيل من أن أتحدث اليك فيه اليوم ؟ وإذن فدعنى أحدثك حديث المغنية الضريرة التى سمعتها ليلة الامس فى حفل سعيت إليه فى رفقة من الاصدقاء على الرغم منى ... هى حلوة القسمات بديعة التكوين جميلة كالزهرة تسند فى حدود الخامسة عشرة من عمرها . أخذت مجلسها على استحياء فيما يشبه أن يكون ذلة وانكساراً وشيئاً من الخجل غير قليل . وصدقنى أن مرد ذلك فيما أعتقد أنها فقدت بصرها وهى طفلة لم تدرج بعد من لفائف مهدها .. وما أحسبك تعتقد أن سلاح المرأة فى هذه الدنيا شيئاً غير سهام العين . وفتنة اللحاظ ترسلها ذابلة مريضة : فاذا بها السيف حدة ومضاء : والشرك المنصوب لا يخطىء الفريسة ولا يعد والغرض . ولـكن الاقدار التى قست عليها فجردتها من سلاحها الوحيد كامرأة لم تشأ أن تقسو عليها القسوة كلها فمنحتها صوتا عذبا حنونا يفيض بالأسى وتقطر من جوانبه اللوعة ... وارتفع صوتها بالغناء حزينا شاكيـا يهيج ودائع القلب . ويستدر روافد الدموع .

أتعرف ذلك البلبل الذى هاجته جيوش الظلام . قصياً عن العش الذى عرف ؛ والدوح الذى ألف ؛ والنبع الذى منه رشف . والجو الذى فى أنحائه غنى وهتف ، أسمعته وهو بين لهفة إلى مهوى الفؤاد تقيمه ، ووحشة من رهبة الليل تقعده ؛ يصب ألحانه فى إذن الوجود باكية حزينة تهز أوتار القلب . وتنتزع منه العطف والاشفاق والرثاء ؟ أسمعته يشكو بغير لسان . ويبكى بغير دموع فيبعث لك من الماضى البعيد كل دفين ومستور ؟ إن كنت سمعته على هذه الصورة التى أسلفت لك . وكنت مثلى تحيا على أمل عزيز لديك ففقدته — وكنت مثلى تذيب حبة قلبك وجدا على حبيب يجزيك على عبادته كفرانا وجحوداً وعلى دمعك المسفوك ووجدك المبرح هوانا ونسيانا . إن كنت كذلك فأنت وحدك الذى يستطيع أن يدرك ذلك الأثر العميق الذى خلفته فى نفسى تلك الفتاة الناشئة بصوتها الساحر الجميل . غناء كأنفاس الفجر ندية لينة : وشدو يصافح الاسماع فى رفق ولين كنجوى العاشقين فى هدأة السحر وقد بسمت لهما الدنيا وهاودتهما الأقدار والسلام !! .

عبد الوهاب حسن
بقلم نشر مطبوعات الحكومة بوزارة المالية

في الأدب العربي

ابن خلدون والتفكير المصري

تتمة بحث «ابن خلدون في مصر»

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٤ —

قضى ابن خلدون في مصر ثلاثة وعشرين عاما (٧٨٤ - ٨٠٨ هـ) ولكنها كانت بين مراحل حياته أقلها حوادث وأقلها انتاجا.

فأما عن الحوادث فان الحياة السياسة العاصفة التي عاشها ابن خلدون بالمغرب، والتي جاز خلالها معتركا شاسعا من المغامرات والدسائس الخطرة، وعانى كثيراً من الخطوب والمحن، كما نعم مرارا بمراتب النفوذ والسلطان، والتي هي في الواقع صفحة قوية شائقة في تاريخ المغرب في أواسط القرن الثامن: هذه الحياة المضطرمة العاصفة، استبدلها المؤرخ في مصر بحياة أكثر هدوءا ودعة. وفي مصر يعيش ابن خلدون شخصية عادية لا علاقة لها بشئون الدولة العليا؛ بعد ان لبث بالمغرب ربع قرن روح هذه الشئون؛ يتجرد من ثوب السياسي المغامر ليتشح بثوب العالم المقتدر؛ وليستوحي نفوذه المحدود من هذه الناحية. على ان المؤرخ لقي في هذه الفترة حادثين من أهم حوادث حياته، هما فقد أسرته. ولقاؤه للفاتح التترى تيمورلنك.

واما عن الانتاج؛ فقد رأينا ان المؤرخ حقق أعظم أعمال حياته: أعنى كتابة تاريخه الضخم ومقدمته الرائعة قبل مقدمه الى مصر. ولا نعرف ان ابن خلدون وضع أثناء مقامه بمصر مؤلفا جديداً. غير أن الذي لاريب فيه هو أن وجوده بمصر على مقربة من المكاتيب والمراجع الشاسعة قد أتاح له فرصة التنقيح والتهذيب في التاريخ والمقدمة، خصوصا فيما تعلق فيهما بمصر والشرق، كذا استمر المؤرخ في كتابة ترجمة حياته أثناء إقامته بمصر، واستمر فيها الى قبيل وفاته، وضمنها فصولا جديدة عن خواص دول المماليك المصرية. ونشأة التتار مما أشرنا اليه في موضعه. وكتب أثناء مقامه بالشام وصفاً لبلاد المغرب ورفعه إلى تيمورلنك كما قدمنا. كذلك لا ريب في أن ابن خلدون كان يعني في دروسه ومجالسه ببث مذاهبه وآرائه الاجتماعية وشرحها.

غير أن ابن خلدون لم يستطع على ما يظهر أن ينشيء له بمصر مدرسة حقيقية، يطبعها بآرائه ومناهجه؛ وقد كان حريا أن ينشيء مثل هذه المدرسة في بلد انقطع فيه للبحث والدرس أعواما طويلة. نعم أن التفكير المصري المعاصر ليس خلواً من تأثير ابن خلدون كما سنرى؛ ولكن هذا التأثير الذي كان حريا أن يزدهر بمصر وأن يثبت في مدرستها التاريخية التي كانت يومئذ في أوج قوتها؛ كان ضئيلا محدود المدى. ونستطيع أن نرجع ذلك الى الروح الذي استقبل به المؤرخ من المجتمع المصري المفكر، وهو روح نفور وخصومة؛ فقد جاء ابن خلدون الى مصر يسبقه حكمه على المصريين في مقدمته بأنهم قوم «يغلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب»⁽¹⁾ ويورد ابن خلدون هذه الملاحظة في معرض كلامه عن أثر الهواء في أخلاق البشر ويعتبرها نتيجة لوقوع مصر في المنطقة الحارة. على أنه مهما اتخذت هذه الملاحظة سمة البحث العلمي فانها لا يمكن أن تقابل ممن قيلت في حقهم بغير الاستياء والحفيظة. وكان طبيعياً أن يحدث هذا الغرض السيء أثره في شعور المجتمع المصري المفكر نحو المؤرخ. وكان هذا المجتمع نفسه يجيش عندئذ بكثير من عوامل الخصومة والمنافسة، وزعامته يطبعها لون من الجفاء والقطيعة. وكان اضطرام المنافسة بين أعلام التفكير والادب يومئذ سواء في ميدان التفوق والنبوغ أو في تحصيل ما تسبغه الزعامة الادبية من الجاه والرزق ظاهرة هذه الخصومة. وكان المجتمع القاهري الادبي ينقسم عندئذ إلى شيع وطوائف تنحاز كل شيعة أو طائفة إلى زعيم أو جناح معين من الزعماء فتؤيد جهوده الادبية وتناجز خصومه في

(1) ابن خلدون — المقدمة (بولاق) — ص ٧٣

ميدان الجدل . فلم يكن من السهل على أجنبي مثل ابن خلدون جاء ينتظم فى سلك هذا المجتمع منافساً فى طلب الجاه والرزق أن ينعم بصفاء الافق؛ أو يلقى خالص المودة والصداقة . هذا إلى ما كان يغلب على خلاله من حدة وصرامة وكبرياء تزيد من حوله الجفاء والقطيعة .

كان طبيعياً أن تلقى آراء ابن خلدون ودروسه فى هذا الأفق الكدر من الاعراض والانتقاص أكثر ما تلقى من الاقبال والتقدير ؛ وان تكون محدودة الذيوع والاثر . ومع ذلك فقد درس على ابن خلدون جمهرة من أعلام التفكير والادب المصريين وانتفعوا بعلمه ، وظهر أثره جلياً فى بعض ثمرات التفكير المصرى المعاصر . وممن درس عليه وانتفع بعلمه الحافظ ابن حجر العسقلانى المحدث والمؤرخ الكبير فهو يقول لنا فى كتابه « رفع الاصر عن قضاة مصر » إنه « اجتمع بابن خلدون مراراً وسمع من فوائده ومن تصانيفه خصوصاً فى التاريخ » وإنه « كان لسنا فصيحاً حسن الترسل وسط النظم مع معرفة تامة بالامور خصوصاً متعلقات المملكة » ١ . وإنه كان جيد النقد للشعر وإن لم يكن بارعا فيه . بيد أن ابن حجر يحمل على ابن خلدون بشدة ، وينقل فى ترجمته كثيراً مما قيل فى ذمه وتجريحه . فهو يقول لنا فى تاريخه ان ابن خلدون مؤرخ بارع « ولكنه لم يكن مطلعاً على الاخبار على جليتها ولا سيما أخبار المشرق » (٢) ويعارض المقريزى فى مدح المقدمة ويرى أنها لا تمتاز بغير « البلاغة والتلاعب بالكلام على الطريقة الجاحظية » وان محاسنها قليلة « غير أن البلاغة تزين بزخرفها حتى يرى حسناً ما ليس بحسن » (٣) وأما ابن خلدون كقاض فان ابن حجر يقول لنا إنه باشر القضاء بعسف وبطريقة لم تألفها مصر . وانه لما ولى المنصب تنكر للناس وفتك فى كثير من أعيان الموقعين والشهود ، وانه عزل لاول مرة بسبب ارتكابه التدليس فى ورقة (٤) ثم ينقل فى هذا الوطن كثيراً مما قيل فى ذم المؤرخ وتجريحه . من ذلك » ان أهل المغرب لما بلغهم ولايته للقضاء تعجبوا ونسبوا المصريين إلى قلة المعرفة

١) رفع الاصر (المخطوط المشار اليه) ورقة ١٦٠ — ونقله السخاوى فى الضوء اللامع

٢) أنباء الغمر فى أنباء العمر (مخطوط دار الكتب) ج١ ص٧١١

٣) رفع الاصر ,, المخطوط المشار اليه ،، ورقة ١٦٠

٤) رفع الاصر — ورقة ١٥٩

بحيث قال ابن عرفه (١) « كنا نعد خطة القضاء أعظ المناصب فلما وليها هذا عددناها بالضد من ذلك » ومن ذلك قول الركراكي أحد الكتاب الذين عملوا مع ابن خلدون « انه عرى عن العلوم الشرعية » بل ينقل ابن حجر أيضاً بعض المطاعن الشخصية والاخلاقية التي قيلت فى حق المؤرخ من ذلك ما نقله عن العينتابى وهو أنه كان يتهم بأمور قبيحة (٢) وما نقله عن كتاب القضاة للبشبيشى؛ وهو « أن ابن خلدون كان فى أعوامه الأخيرة يشغف بسماع المطربات ومعاشرة الاحداث وانه تزوج امرأة لها أخ أمرد ينسب للتخليط » وانه كان « يكثر من الازدراء بالناس «وانه حسن العشرة إذا كان معزولا فقط فاذا ولى المنصب غلب عليهم الجفاء والنزق فلا يعامل بل ينبغى أن لا يرى » وهذه أقوال تنم عن خصومة مضطرمة ومبالغة فى الانتقاص تنحدر إلى معترك السباب والقذف . وقد كان البشبيشى (٣) بلا ريب من الدخصوم المؤرخ وأشدهم وطأة عليه . وقد دون حملاته على المؤرخ فى كتاب ألفه فى تاريخ القضاة ولم يصل الينا ، ولكن ابن حجر ينقل الينا منه تلك الفقرات الشخصية اللاذعة

وأخيراً يقول ابن حجر أن ابن خلدون كان يتمسك بزيه المغربي ويأبى أن يرتدي زى القضاة لا لشيء سوى حبه المخالفة فى كل شيء (٤)

وموقف الحافظ ابن حجر من ابن خلدون واثره يدعو الى التأمل؛ فهو على رغم اتزانه واعتداله وعفة قلمه ينساق هنا الى نوع من التجريح والانتقاص ليس مألوفا فى كتاباته . ولا ريب ان فى لهجته واقواله مبالغة وتحامل ، ولكن لا ريب ايضا ان لها قيمتها فى تقدير الراى المصري المعاصر لابن خلدون ، بل نستطيع ان نعتبرها ممثلة لراى الفريق المفكر الذى كان يخاصم المؤرخ ويشتد فى تجريحه ، والحملة عليه ، وقد كان الفريق الاقوى بلا ريب لانه كان يضم كثيراً من المفكرين والفقهاء البارزين مثل ابن حجر ، والجمال البشبيشى ، والركراكى، وبدر

١ ابن عرفة من فقهاء المغرب ، وكان خصم ابن خلدون

٢ أنباء الغمر ١ ص ٧١١

٣ وهو الجمال عبد الله البشبيشى . ولد سنة ٧٦٢ هـ بقرية بشبيش من أعمال الغربية . وتوفى سنة ٨٢٠ هـ . وكان من أكابر فقهاء الشافعية ومن أقطاب الادب واللغة . وقد ولى الحسبة بالقاهرة حينا ,, ترجمته فى الضوء اللامع — القسم الثالث المجلد الثانى ص ٥١١ ،،

٤ رفع الاصر فى مواضع مختلفة من ترجمة ابن خلدون ,, الورقة ١٥٨ الى الورقة ١٦٠

اسماعيل صبري

بمناسبة مضى عشر سنوات على وفاته

يوم نستقبل الربيع نذكر الخمائل على ضفاف النيل وهي ترسل نسماتها البليلة الندية، والطير جاثمة فوق غصونها تشدو بأغانيها الجميلة الشجية، ومن خلال أشجارها تجرى جداول تدفقت فيها المياه العذبة الروية ... اليوم الذى تستجيب فيه العين والأذن للزهر وللطير وللماء، لاننسى أنه اليوم الذى ذوت فيه زهرة أرجة ناضرة، وانقطع صوت لين حنون، وجف فى مجراه ماء عذب دفيق: ففى مثل هذا اليوم استوفى اسماعيل صبرى نظم حياته.

فهلا يجمل بنا اليوم، يوم تمضى على وفاته عشر سنوات أن نذكره ولو بهذه الاجالة الموجزة؟

لانريد أن نترجم حياة صبرى وإن كانت خطيرة، فقد تدرج فى وظائف الحكومة حتى شارف ذروتها، ذلك لأن هذه المناصب الرفيعة، وإن أحلت صاحبها فى حياته مقاماً محموداً، أهون على الناس من أن تبعثهم على أن يحفلوا بأمره بعد أن بت ما كان يصلهم به من أسباب الحياة، هذا إلى أن مراد القول أضيق من أن يستفيض لترجمة شاملة وافية تبين منها ما تركته أطوار حياته من آثار وندوب فى هذا الجانب الروحى الذى يمس النفس الانسانية فيصل بين أجزائها وإن اختلف ما يحفها من عهود وبيئات

استقبل صبرى حياته، فى أوائل النصف الثانى من القرن الماضى. وقد تجمعت عدة جهود أدبية وقامت فيما يشبه الثورة: فبعثت طائفة من معاجم اللغة وأسفار الأدب ودواوين الشعر من خزائنها وطبعت: وأخذت الصحف الأدبية تنشأ وتعمل لتقويم اللغة وإحياء الأدب العربى، وأعيدت البعوث إلى أوربا بعد أن وقف إرسالها أيام عباس وسعيد، وأقيمت نظارة المعارف وعهد اليها بأمور التعليم وأنشئت دار الكتب ومدرسة المعلمين. وظهرت مسارح التمثيل والموسيقى والغناء وغير هذا مما لم يكن إلا ناحية من نواحى الثورة الاجتماعية التى أقامها الخديو اسماعيل يوم رسم لمصر خطة الاتجاه إلى أوربا واقتباس حضارتها الجديدة

فى هذه البيئة التى يدب النشاط فى جنباتها فيبتعث الملكات الهامدة، بدأ صبرى يقرأ الشعر ويحبه: وأخذ يديم النظر فيه ويحاول أن يقلده، حتى استقامت له وهو فى السادسة عشرة بضعة قصائد فى مدح الخديو وتهنئته نشرتها له مجلة «روضة المدارس المصرية» التى أنشأها جماعة من صفوة الكتاب البارزين إذ ذاك. وكانت هذه الأشعار مجرد تقليد واضح فى أغراضها ومعانيها وأساليبها لمن سبقه من شعراء عصره كالبارودى وعبد الله فكرى، وإن ظهرت عليها حيناً مسحة رقيقة من روحه وشخصيته.

ولكن هذه البيئة الأدبية النشيطة لم يقتصر أثرها على توجيه صبري إلى الأدب وإذكاء ميله إلى الشعر؛ بل حببت إليه قراءة الشعر العربى القديم من ناحية؛ وحثته على قراءة الأدب الفرنسى منذ أرسل إلى فرنسا ليدرس الحقوق فى جامعة إكس من ناحية أخرى. فقرأ الشعر العربى وتذوقه وأحب منه بوجه خاص شعر البحترى: ذلك أن صبرى، كما وصفه الدكتور هيكل: (ابن بلد) والبحترى. كما قال حافظ ابراهيم «يأخذ قارىء شعره بالحضن» وقرأ الأدب الفرنسى وصادف فيه جمالا يرضي عاطفته: وسيولة تروى شعوره. وبهذا تأثر شعر صبرى ببعض مميزات الشعر العربى حينا، وببعض مميزات الشعر الفرنسى حينا، وببعض مميزاتهما معاً حيناً. ولكن ما مدى هذا التأثير فى أطواره الادبية: وماهي مظاهره فى نتاجه الشعري؟ هذا سؤال يتناول ناحية خطيرة فى دراسة الشاعر: وأنا لا أملك الآن مايؤهلنى لبحثها فى دقة وتحقيق. ولكنى أرانى ملزماً بأن أعرض لها ولو فى هذه الصورة التى أعرف أنها ليست دقيقة كل الدقة: وليست شاملة كل الشمول.

الدين العينى (العينتابى). وقد امتدت آثار هذه الخصومة الادبية طوال القرن التاسع الهجرى حتى جاء السخاوى فى اواخر هذا القرن يردد كل ما ذكره ونقله شيخه ابن حجر فى ذم ابن خلدون وتجريحه والانتقاص من اثره، ولكن فى لهجة مرة لاذعة تنم عن الخبث، وقصد التشهير والهدم اكثر مما تنم عن قصد النقد الصحيح وهذه الروح المرة اللاذعة تبدو فى معجمه (الضوء اللامع) فى معظم تراجم الشخصيات البارزة. يبدأنه يعترف فى كتابه آخرله «بنفاسة» مقدمة ابن خلدون ويبدو أكثر اعتدالا وتقديرا (١)

للبحث بقية

(١) كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ (مصر) ص ١٥١

حين نقرأ هذه الاشعار القليلة التي خلفها صبري نرى أنفسنا أمام طائفتين متمايزتين من الشعر ؛ تشتركان في صفاء الديباجة ورواء الاسلوب بوجه عام ، وتختلفان في الشعور الذي صدرتا عنه؛ وفي العاطفة التي أوحت بهما ؛ وفي المعاني التي تدوران عليها . وقد يضعف هذا الاختلاف حيناً وقد يشتد حيناً آخر اشتداداً يحملنا على أن نزعم أننا لانقرأ شاعراً واحداً وإنما نقرأ شاعرين مختلفين . وليس في هذا مايدهشنا ؛ فصبري قد عاش مايقارب سبعين عاما : مرت عليه أثناءها عهود الشباب والرجولة والكهولة؛ حاملة آراءها وأفكارها ، وخواطرها وخلجاتها ؛ وآلامها ولذاتها ؛ وتنقلت حياته أثناءها بين هذه الآراء المتضاربة التي يتلي عبها العقل تبعاً لما يتغذى به من ألوان الثقافة المختلفة ، وبين هذه الاحساسات المتباينة التي يجيش بها القلب تبعاً لما يعرض له من مناسبات وملابسات .

فأما الطائفة الاولى من شعره فهي التي أنشأها بين العشرين والاربعين وأكثرها قصائد في مدح أو تهنئة اسماعيل وتوفيق وعباس ؛ وفي هذه الاشعار نرى أثر الشعر العربي ظاهراً واضحاً ؛ ونرى أثر البحتري وحده ؛ على وجه الدقة ؛ عميقاً بارزا ، إلى حد يبيح لك أن تشرك شعريهما في مميزات واحدة . خذ مثلا قصيدته في تهنئة الخديو بحلول شهر رمضان ومطلعها :

بعلاك يختال الزمان تبختراً * وبقدرك الأسمى يتيه تكبراً

وقارنها بكثير من مدائح البحتري تجد أن صبري قد تأثر فيها بالبحتري تأثراً هو أشد من تقليد شاعر لشاعر ، وهو أقرب إلى حلول روح شاعر في جسم شاعر آخر . ولكن ؛ وعلى رغم هذا كله ، فان هذا الاثر تناول الديباجة وحدها فأكسبها جزالة وسهولة في مفرداتها وتراكيبها ، من غير أن يمتد إلى المعاني فينتج منها شيئا جديداً قيما ، وذلك لأن البحتري ، وهو الوشيجة التي تصل صبري بالأدب العربي ؛ قل أن نظفر في شعره بكثير من المعاني المبتكرة ؛ وقل أن نحب فيه غير متانة الأسلوب وسلاسته . تأثر في هذا الطور الادبي ؛ بين العشرين والاربعين بالشعر العربي وحده ، فأين كان الشعر الفرنسي ؟ أليس من الشذوذ أن نرى صبري قد ذهب إلى فرنسا قبل أن يبلغ العشرين من عمره ؛ وبدأ إذ ذاك يقرأ الآداب الفرنسية ويتذوقها ويشدوها ثم لا نكاد نظفر في شعره اثناء هذا العهد بأثر قوى لهذا الشعر الفرنسي بل ولا لأي مظهر من مظاهر الحياة الاوربية ؟ ولكن يظهر أن صبري قد أوتي ، إلى جانب حواسه المرهفة ، ذاكرة قوية مكنته من أن يختزن فيها مايعرض له حتى يتمثله في تؤدة وأناة وحتى ينتجه مكتمل النمو مستوفى النضوج .

ونحن لانفترض هذه الموهبة ولا نتكلف التماسها ؛ وإنما يحملنا على الاطمئنان اليها أننا نجد فيها تعليلا لهذا الاضطراب الذي يغشى أطوار حياته الادبية . فقد قضى صبري شبابه وشعره يكاد يقتصر على المدح وما إلى المدح مما تنفر منه نفس الشباب ؛ ولا تكاد تبين فيه أثارة من هذه العواطف التي يحفل بها الصدر في ربيع الحياة ؛ بينما تتفتح شاعريته الجائشة وأخذ يتغنى بأناشيد الحب والهوى اثناء الكهولة التي تنطفىء فيها عواطف الشباب الفياضة . ذلك لأن ذاكرته القوية قد استطاعت أن تحتفظ بهذه الاحساسات الفتية التي اختلفت عليها اثناء شبيبته ؛ حتى تفجرت بعد ذلك شعراً نيراً لا تنقصه نجاجة الحس ولا غضاضة العاطفة .

ولهذا ظهر أثر الشعر الفرنسي في هذه الاشعار التي تغنى فيها بالعاطفة الانسانية التي يسمونها الحب أو العطف أو الوداد وناجى فيها الله وتخوف وتشوف الى المهات ، ونشاد بمجد وطنه واستنهض أبناءه الى استنادة الماضي المجيد . في هذه القصائد والمقطوعات ؛ التي كتبت اسمه في ثبت الخالدين ، ظهر أثر الشعر الفرنسي بارزاً شاملا : بارزاً حتى يكاد يخفي وراءه كل أثر للشعر العربي ، شاملا فلا يقتصر على الديباجة وحدها ؛ ولا على المعاني وحدها ؛ وإنما ينال الأسلوب فيضفي عليه جمالا ورواء ، ويتعداه الى الفكرة فيمزجها بروح غريبة لم يألفها الشعر العربي من قبل .

وهل ترى في الشعر العربي مثالا لهذه القطع التي أنشدها في الحب ؟ كلا ! فالشاعر العربي الغزل لا يرى في المرأه إلا (أنثى) جميلة الوجه دقيقة القسمات ؛ مهفهفة القوام رشيقة الأعطاف ، رخيمة الصوت شيقة الحديث ؛ يهصر صدرها ضما ويشبع ثغرها تقبيلا ، وهي تتهافت وجداً وتتهالك هياما ! والغزل في الشعر العربي يضيق عن أن يستفيض لجميع وجوه الجمال الانساني ؛ وينصب على ناحية الجمال الجسمي وحده ، فيصفه جملة أو تفصيلا؛ سواء كان الغزل عذريا أو إباحياً أو متكلفاً . أما شعر صبري في الحب فيختلف عن هذا الغزل العربي في صلته بالمرأة ، إذ يتسامى عن الجمال المادي إلى الجمال المعنوي في أرحب آفاقه وأشمل معانيه . فلا تستخفنا فيه هذه العيون والخدود ؛ والصدور والنهود ؛ والملاسة والرشاقة؛ والتقبيل والضم والتأود والتثني ؛ والتأوه والأنين وإنما نهتف فيه بالمثل الأعلى للمرأة في أفتن جمالها ، وأذكى فؤادها ، وأنبل روحها .

وإني لأشعر حين أقرأ قصيدته (تمثال جمال) أني أنظر إلى صورة فنية رائعة، فلا أميز بين هذه المرأة التي يهتف بها الشاعر، وبين هذه المرأة التي يتخذها المصور رمزاً لمعنى من المعاني الانسانية كالألم أو الأمل أو الحنان! بل إني لأحس حين أرتلها أن قلبي قد صفا مما به من شره وأنانية وغرور وكبرياء، وأن صدري قد انطفأت فيه جذوات الحقد والحسد والغيرة والطماح، وأن فؤادي قد غمر الخشوع والايمان ما يغشاه من شك وضلال: أشعر أني قد سموت من الارض إلى السماء!

ولم لا وصبري قد امتزجت فيه الروحية بالجمال؟ ألم ينشأ على ضفاف هذا النيل الذي أوحى إلى الانسانية أن تبتكر ديناً وإيماناً؟ ألم يلابس الحياة الاوربية وما تضفيه من فتنة وجمال؟ وبهذا استجاب للروحية المصرية وتمثل الجمال الاوربي. وبهذا اجتمعت فيه مصر بروحيتها وأوربا بجمالها، وبهذا كان نتاجه الشعري مزاجاً من الروحية في معانيه ومن الجمال في أساليبه.

وشعره في الحب، بعد هذا، سمح وديع رضي: لا يفطر القلب أسى، ولا يرسل من العين دمعاً، ولا يبعث من الصدر أنيناً، ولكنه لا يشيع في المرء غبطة بالحياة ورغبة في متاعها ولا يغري بالاسراف والتوفر على لذاتها: وإنما يجمع في شعره لوعة غير مسرفة، ومتعة غير غالية: ذلك لأن صبري لم يكن لاهياً ولا عابثاً ولم يكن كئيباً ولا محزوناً، وإنما كان سمح الذوق، وديع الخلق، رضي النفس، فما كان يذعن قلبه لامرأة واحدة تأسره وتطغى عليه: وما كان ماجناً في حبه سادراً: ولا متهتكاً في هوه مستهتراً، وإنما كان ينشد المرأة التي تشبع القلب ولا تتخمه، وتروي الفؤاد ولا تغرقه، وترضي الشعور ولا تقسو عليه.

وهذه الدعة التي تميز بها في حبه، تشيع كذلك في شعره في مناجاة الله، وازدراء الدنيا، واستشفاف ما في الحياة الأخرى. فهو لم يكن ناسكاً في الدنيا زاهداً في لذاتها، ولم يكن مفتوناً بالحياة متوفراً على متاعها: وإنما كان ينال من هذا في قصد ويأخذ من ذلك في اعتدال، فاذا أسرف في حبه للحياة واستمتاعه بلذاتها الرخيصة، ذكر الدنيا وما فيها من نكر وخداع وضلال، وذكر ما بعدها من حساب وعقاب وثواب، فاستعجل الموت وراحة القبر حيناً، وناجى الله وأمل فيه حيناً.

ولكن صبري الوادع الهادىء كان إذا تحدث عن وطنه جاشت الحماسة في أنحاء صدره، وفاضت الحرارة في سياق شعره، فمثلت الوطن بجلاله وروعته، وأشعرت المصري بمجده وكرامته، وأذكت نار الوطنية في فؤاده. وألهبت فيه عاطفة التضحية في سبيل بلاده

وهو في شعره يستلهم العاطفة ويستوحيها. كانت تختلف عليه غير السياسة وأحداثها فلا يحفل بها، وتتوالى أمامه الكوارث والخطوب فلا يأبه لها، وتتراكب في عينيه شؤون الحياة وأمورها، وتزدحم بخيراتها وشرورها، وتغص بلذاتها ومنغصاتها، فلا تسترعي منه حاسة ولا تستثير في نفسه عاطفة، بينما يجيش وجدانه وتهتز عواطفه عند موت طفل، أو فراق صديق، أو قراءة كتاب، أو وقفة عند سفح الأهرام، هذه الحوادث التي تمر بنا فلا نلتفت إليها كانت تثير شاعرية صبري بهذه المقطوعات التي تمس النفس الانسانية في أعمق حواسها وأدق مشاعرها. وهذه هي مهمة الفن: يفتح العين المغمضة، ويذكي الحاسة المطفأة. ويبعث العاطفة الهامدة، ويحيي موات القلوب، حتى يشركنا بحظ مما فاتنا من اللذات السامية التي قصرت على النفوس الموهوبة. وهل نرى بهجة الحياة إلا بعين المصور، وهل نستمع إلى أنغامها إلا بأذن الموسيقي، وهل نحس الحق والجمال إلا بقلب الشاعر؟ وأي شعر أرفع من شعر صبري الذي (فاضت به) العاطفة من غير أن تتكلفه أو تكره عليه؟ وأي شعر أنضج من شعر صبري الذي كان يؤمن بشيطانه ولا يعصى له أمراً، فيستوحيه الشعر ولا يستجديه؟ وأي شعر أسمى من شعر صبري الذي أشيع فيه هذه المرارة وهذا الحنين: فيذيب في الصدر أطماع الحياة وآثامها: ويسمو بالنفس عن متعها الخسيسة الهينة، إلى المستوى الانساني حيث يستحيل البغض حباً: والقسوة حناناً، والأثرة إيثاراً، والتناحر وداداً، والصراع عناقاً . . .

إلى جانب هذا النضوج في روح صبري، نذوق جمالاً في أسلوبه يملك على المرء نفسه حين يتلوه، ويحمله على أن يرتله مرة بعد مرة، وعلى أن يذكره آونة بعد آونة: فلا يزداد الشعر إلا عذوبة وصفاء تزيد المرء لذة ومتاعاً، ويخيل إلى المرء أنه أمام وجه جميل، كلما أطال النظر إليه، ازداد رغبة فيه وحباً له. وهكذا يقاس نضوج الفن: يزداد المرء بالصورة إعجاباً كلما أنعم النظر فيها، ويزداد حنيناً الى الموسيقى كلما أطال الاستماع إليها، ويزداد فتنة بالشعر كلما أكثر ترديده وترتيله. وكيف لا يكون شعر صبري جميلاً وقد استقاه من ينابيع فياضة بالجمال: تأثر بشعر البحتري الذي امتزجت فيه الجزالة بالسهولة: وتأثر بالشعر

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

نظمها شاعر الخلود شوقي بك فنشتيها احدى القيان ولم تنشر

بي مثل ما بك يا قمرية الوادي
ناديت ليلى : فقومى فى الدجى نادى
وأرسلى الشجو أسجاعا مفصلة
أو رددى من وراء الأيك إنشادى
لا تكتمي الوجد : فالجرحان من شجن
ولا الصبابة ، فالدمعان من واد
تذكرى ! هل تلاقينا على ظمأ ؟
وكيف بل الصدى ذو الغلة الصادى
وأنت فى مجلس الريحان لاهية
ما سرت من سامر إلا إلى نادى
تذكرى قبلة فى الشعر حائرة
أضلها فمشت فى فرقك الهادى
وقبلة فوق خد ناعم عطر
أبهى من الورد فى ظل الندى الغادى
تذكرى منظر الوادى ومجلسنا
على الغدير كعصفورين فى الوادى
والغصن يحنو علينا رقة وجوى
والماء فى قدمينا رائح غاد
تذكرى نغمات ههنا وهنا
من لحن شادية فى الدوح أو شادى
تذكرى موعداً جاد الزمان به
هل طرت شوقاً ؟ وهل سابقت ميعادى ؟
فنلت ما نلت من سؤل ومن أمل
ورحت لم أحص أفراحى وأعيادى

الفرنسى الذى يفيض سيولة ورواء . ويتجاوب الحاناً وأنغاماً : وهو قبل هذا قد أوتى أذناً دقيقة تجيد انتقاء المفردات : وتحسن الاستماع الى اتساق العبارات (وتحس نبو الوتر) . وصبرى كان مولعاً بالموسيقى . مفتوناً بالغناء . وكان متصلا بمن عاصروه من الموسيقيين والمغنين . وامدهم بكثير من المقطوعات الغنائية الشعبية ، ومن اجملها (قدك ياامير الاغصان) (الفجر لاح ياتجار النوم) . وكانت تستخفه عذوبة الحديث وبلاغة الالقاء ولهذا كان كثير التبديل والنقد لشعره ، وكان يبذل فى صياغته جهداً ناصباً ؛ حتى اذا استقام له البيت او البيتان او الاربعة اهملها ثم نسيها . فلم يبق لنا من شعره الا القليل .

هذه سوانح تخطر لى عندما أتلو شعر صبرى الذى لم تتطرق اليه البداوة العربية التى تغشى غيره من شعرائنا ؛ ا كتبها لنذكر صبرى (أستاذ الشعراء) الذى صبغ الشعر العربى الحديث بطابع نلمس آثاره فى شوقى وحافظ .

عبد الحميد عبد الغنى

طائرى الهاجر

فى قفار الفلاة كان مسيرى   والشمس ترسل نارا
لفحات كأنها من سعير   زادت اوارى أوارا

ليس فيها سوى رمال كثيب   من فوقهن رمال
لا غدير ولا جناب رطيب   تحنو عليه الظلال

متعبا يائسا أويت لكهف   مالت عليه الصخور
وترامت بين جهد وخوف   تضيق منه الصدور

غير أنى أبصرت طيرا جميلا   ماراعه أن رآنى
لونه كالسماء ، أحلى هديلا   من مطربات الأغانى

قلت يا طير : ان قلبى وجيع   ففننى واشف قلبى
أنا فى هذا القفار مضيع   فكن عزائى وطبى

فدنا عند ذاك منى وغنى   والسحر فى نغماته
وأتى فوق راحتى مطمئنا   يفتر عن بسماته

وغدا طائرى أنيس حياتى   فى وحشة الصحراء
وألفت البقاء وسط فلاتى   حتى نسيت شقائى

فكأن الرمال أضحت غياضا   تجرى بها الأنهار
وكأن الصخور صارت رياضا   تزينها الأزهار

غير أنى . أواه ! أبصرت يوما   طيرى على غير عهدى
فترددت فى خشوع فأوما   على عبوس وصد

وتوسلت ضارعا بودادى   وما تضمن قلبى
وجرى الدمع من دماء فؤادى   ولست أعرف ذنبى

ثم ناديت حبيب نفسي شقاء — وماترى من بكائي
انني لا أعيش الا رجاء — فلا تضيع رجائي
فلوى رأسه الجميل مجيبا — في قسوة وجفاء
قال: ماتبتغي؟ كفانا نحيبا — أفي هذا البكاء!
أنا طير ولي جناح فدعني — أطير نحو السماء
والتمس صاحبا شبيهك، اني — سئمت طول البقاء
قال هذا وطار عني يغني — بين ثنايا السحاب
تاركا مهجتي لنيران حزني — تلقى صنوف العذاب

م. ف

غلالة المجنون

« قطعة تمثل مجنون ليلى في احدى خلواته، وهو يرفع الى عشيقته عفوه عن الحب ويشرح ماله من يد وفضل على المحبين، وهو الذي ذهب بعقله وأورده موارد التلف، ويسر في أذن الليل صبابته وإخلاصه لقاتلة قلبه ومالكة لبه »

(الناظم)

عفا الله يا ليلاى عن ذلك الحب
وجدد ما قاسيت في البعد والقرب
ولا زادني إلا عذابا ومحنة
أقاسيها حتى أغيب في الترب
صبرت على عيشي زمانا والهوى
جراح ولم يجرؤ لساني على العتب
وغالب غيري حبه متبرما
وغالبته نشوان مختبل اللب
ولولا الهوى لم يعمر البيد خاطري
ولا طار في أجواء مأنوسة قلبي
ولولا الهوى لم يخل من وجنة جفني
ولا شرع الهيمان في السلسل العذب
ولولا الهوى لم يسفح البين أدمعا
تسيل على الخدين كاللؤلؤ الرطب
ولم تسلك الألحاظ في النفس مسلكا
كما خامر الرعديد طيف من الرعب
ولولاه أصبحت الشقي بوجدتي
وإن شاقني قومي وعللني صحبي
به أبصرت عيني ولم أك مبصرا
وهبت رياحي وانجلت غمرة الكرب
وزفت لي الدنيا كفردوس آدم
وطالعني الريحان في المهمة الصعب

* * *

اليك أبث الحب يا ليل فاستمع
لأنت إذا نامت عيون الورى حسبي
عشقت ومالت بالفؤاد صبابة
ومن حسنات الكون بالليل ما يصبي
يقولون ما أغناك عمن تحبه!
إذا هو أصلاني الغرام فما ذنبي؟
ولولا شعاع بين عينيه زاغني
وشرد عقلي ما اهتديت الى الحب
كذبت هوى ليلاي إن لم أمت به
وأقلني على تذكار قاتلتي نحبي
أأجزيه من دمعي؟ لقد نفد البكى
فهات لأجفاني دموعا من السحب
أأكتمه والنم واش، وحيرتي
وليلي، وأتقاسي تحدث عن صب؟
حنانك يا ليلى ألم تحملي الهوى؟
ألم تعلمي يا منية النفس ما خطبي؟

(سوريه) حمص — «رفيق فاخوري»

ليلة!

ليلة الأنس تقضت — في شراب ومجون
لم يشاهدها الندامى — في مقاصير الأمين
طلع الفجر وكنا — من هوانا ثملين
ضمني صدر وفي — كله عطف ولين
وفم يعبق طيبا — كعبيق المورلين (1)
لذة العمر لديها — كل شيء قد يهون
لا ترم مني شرحا — أنا للسر أمين

كرمة ابن هانيء — حسين شوقي

(1) نوع من الشمبانيا

في الأدب الشرقي

من الادب التركى

الزامر الاعمى

للدكتور عبد الوهاب عزام

جلست إلى دواوين الشعر التركى أقلب الأجيال بين يدى : أطالع مرة وجه « نجاتى » و «ذاتى» وأنظر أخرى الى « باقى » و « نفعى » وثالثة أرى « نديما » « وراغب باشا » و « الشيخ غالب » ثم أعمد الى العصور الاخيرة فاذا اساتنى و « نامق كمال » و « ضيا باشا » و « توفيق فكرت » و « عبد الحق حامد » وغير هؤلاء .

وبينا أطوى العصور بالصحات ؛ وأقلب الاجيال تقليب الصفحات ، بصرت « بالصفحات » ديوان الشاعر الكبير صديق الكريم محمد بك عاكف . فسارعت الى الجزء الاول فافتتح عن قطعة عنوانها « الزامر الاعمى » فقرأتها ثم عمدت الى القلم فترجمتها نثراً إذ ضاق الوقت دون نظمها وأنا أقدمها للقراء كما جاءت بعفو البديهة فى الاختيار والترجمة :

الزامر الأعمى

كنت أرى هذا السائل الضرير ، يتأبط ذراع قائده : وفى يده قصبة عتيقة ، ينبعث منها صوت قوى ، كأنه النواح فى المأتم . ويمر به الناس فيقفون ويستمعون رحمة به ورثاء له . ثم يلقى كل منهم الى كشكوله البائس الذليل خمس بارات أو عشراً .

كان يبعث أناته فى قصبته المرضوضة فينبعث الى أذنه فى رنين العشرات والخمسات صدى البشرى ؛ ورسالة المودة : رنات لاتفنى فى أنين الناى ، الحزين ولكنها تؤلف نغمة أخرى تسايره . كم أحزننى هذا الصوت ! وكم أمضنى ذلك المرأى الأليم !

انه من دهره فى ليال متتابعة مديدة ، لايتنفس فى آفاقها المظلمة صبح ؛ ولا يلوح فى وجهه لمحة من النور : تحدث عن بسمات الرجاء والامل . كلا . ان هذا لوجه الأغبر . هذا الوجه التعس قد أنتمت فوقه سحب متراكمة من الشقاء : ماضيه ظلام . وظلام مستقبله . سله عن الحياة فهى حقيقة مظلمة مديدة . تراها نظراته حجابا من الظلمات دون حجاب . انه لايبصر المصائب ؛ ولكن كل شىء حوله مصيبة : يمتد به العمر الشقى فى هذا العالم البائس ، ويتحسس ظلامه الذى ماينتهى فلايظفر بطريق تخرجه الى صبح الامل المسفر .

وعلى كتفيه مزق من عباءة بالية قد اتخذها مجنا فى عراك الأيام ، ولكن يد الريح العابثة تنازعه هذا الستر كلما هبت . فتكشف عن كتفيه ؛ وتلقى بصدره أمواج المطر والبرد .

***

بينا أخرج السوق بصرت بسائل يبعث أنينا حزينا ؛ وهو متكىء على أحجار تغشاها أوحال . وتحته حصير أبلاه مر الأيام ولايظله الاطنف « سبيل » هناك . ولكن صوت الناس لاينطلق الآن بعيداً ، وانما سمعت عن كثب صدى كنسيس المحتضر .

ليت شعرى أكان يزمر لنفسه أم كان يئن ؟ لا أحد يسمع له ! ولا أحد يقف عنده ! ولكن المارة يلقون اليه بنظراتهم ثم تمضى بهم السبل . ومن ذا الذى يصيخ الى صدى تلفظه المقابر ؟ أيها المسكين ! وطن على الموت نفسك ! واقطع أنات الشكوى .

لا لا . أصخ ! قد سمع فى الكشكول رنينا مديدا ! يالها نغمة من الرجاء مطربة ! يالها بشرى إستمع لها القلب والأذن معاً .

الماء يخترق الطنف : فينسكب المدر من ثقوبه فيضرب الكشكول البائس ! سمع الأعمى الصوت فحسبه نبض الرحمة قد جاشت به قلوب المارة . فمد يده . مدها الى الكشكول ، ولكن هيهات ! قد خاب رجاؤه ؛ وكذب ظنه : ارتدت يده المتجمدة من البرد ! ارتدت اليه فارغة مبتلة !

عنزة المسيو سيغان

La Chevre de M. Seguin

لالفونس دوديه

إلى الشاعر الملهم بيير غرينفوار — بباريس

ستظل طول حياتك على حالك التى عهدتها ياصديقى البائس! كيف تعرض عليك وظيفة مخبر لاحدى كبريات الجرائد فى باريس ثم ترفض! تأمل فى حالك أيها المسكين! أنظر إلى ثوبك الممزق وإلى حذائك البالى، وإلى وجهك الضعيف الشاحب، أذلك ما أجداه عليك غرامك بالشعر. وهذا جزاء خدماتك الجلى «لابولو» مدة عشر سنوات.. ألا تخجل من نفسك بعد هذه النتيجة؟

إقبل هذه الوظيفة أيها الغبى! اعمل مخبرا! ستكسب الدنانير الجميلة تستطيع بها أن تأكل فى المطعم أكلا شهيا وأن تلبس فى أول الشهر معطفا جديداً...

ألا تريد أن تقبل؟ أترفضها إذن؟ تريد أن تبقى حراً إلى الأبد... اصغ إذاً إلى قصة عنزة المسيو سيغان لتعلم مايجنيه المرء من الاخلاد إلى حياة الحرية!

***

لم يلاق المسيو سيغان حظاً فى اقتنائه المعز. فقد خسر أعنزه كلها بطريقة واحدة: كانت تقطع حبلها فى الصباح لتهرب إلى الجبل حيث يفترسها الذئب. فلا وداعة سيغان ورفقه، ولا اسم الذئب وبطشه، كانت تثنيها عن خطتها. فكانت، على ما يظهر، معزى مستقلة بنفسها، لا ترضى بغير الهواء الطلق مربطا ولا بغير الحرية مرتعاً.

ولكن سيغان لم يكن يفهم طبعها ولا يعرف شيئاً من خلقها ليخفف قليلا من حدته وذعره. فكان يقول:

— انتهى الأمر! أننى لن أقتنى بعد اليوم عنزة واحدة لأنها تمل عشرتى..

ولكنه على رغم ذلك لم ييأس اليأس كله. فبعد أن خسر ست عنزات بالطريقة المعلومة اشترى السابعة. ولكنه فى هذه المرة عني باختيارها صغيرة ليأمن بقاءها عنده

آه! يا صديقى غرينفوار ما كان أجمل عنزة سيغان هذه المرة! عينان ناعستان ولحية صغيرة كلحية الضابط، وحافر أسود لماع، وقرنان مفوفان، وصوف طويل أبيض يتدلى على جسمها! إنها أحلى وألطف من جدى اسميرالدا الذى رأيناه يطوف به الشوارع بالأمس، أتذكره ياصديقى؟ انها كانت هادئة، وديعة، سهلة الانقياد...

وكان سيغان يربط ماعزه فى حظيرة محاطة بالعليق خلف منزله. فربط فيها العنزة الجديدة، وأطال لها الحبل لترعى ما جاورها من الاعشاب النضرة، وأخذ يطل عليها من وقت إلى آخر ليتعرف حالها. ولشد ما كان سروره عظيما عندما رآها سعيدة، منكبة على مرعاها الخصيب، تأكل منه ما لذ لها وطاب. فقال سيغان فى نفسه:

— الحمد لله! لقد وفقت أخيراً الى عنزة لا تمل عشرتى.

ولكن السيد سيغان كان مخطئاً، فان العنزة أدركها السأم والملال!

***

نظرت عنزة صاحبنا إلى الجبل ذات يوم، فقالت فى نفسها:

— لا شك أن الحياة هنيئة حلوة فى هذا الجبل ما أسعدنى عندما أمرح بين أعشابه من غير هذا الحبل اللعين الذى يحز رقبتى!... لا بأس إذا رعى الحمير أو البقر فى مثل هذا المكان الضيق!... أما نحن معشر المعزى فلنا الخلاء الفسيح.

ومنذ ذلك الحين أصبحت لا ترى لعشب الحظيرة طعماً. وأخذ الملل يستولى عليها. فهزلت، وشح حليبها، وأصبحت لا ترى طيلة النهار إلا ممددة على الأرض، شاخصة إلى الجبل وهي تثغي بصوتها المحزن

ولاحظ المسيو سيغان ان العنزة أصابها شيء، ولكنه لم

يعلم ماهو . . . . ففي ذات صباح بينما كان يحلبها التفتت اليه وخاطبته بلهجتها القومية :

— اصغ الي يامسيو سيغان ، اني أكاد أموت هنا ، فدعني أذهب إلى الجبل .

فصاح مسيو سيغان فزعاً :

— آه ! ربي ! . .

وترك الوعاء من يده ، ثم جلس الى جنبها على العشب وقال :

— عجباً ! وأنت أيضاً تريدين مفارقتي يابلانكيت ؟ فأجابته :

— نعم يامسيو سيغان .

— أتنقصك الأعشاب هنا ؟

— لا يامسيو سيغان .

— ربما كان رباطك قصيراً . أتريدين أن أطيله لك ؟

— لا ، أرح نفسك من هذا العناء يامسيو سيغان .

— اذاً مابك ، ماذا تريدين ؟

— أريد أن أذهب إلى الجبل يامسيو سيغان .

— ولكن ، ألا تعلمين أيها المسكينة ان الذئب هناك ... وماذا تصنعين عند مايهاجمك ؟ . .

— أضربه بقرني يامسيو سيغان .

— ولكن الذئب لايبالي بهما . فقد أكل لي معزى كان قرناها أطول من قرنيك . انك تعرفين رينود التي كانت عندي في العام الماضي ؟ فقد كانت قوية نشيطة ، ظلت الليل على طوله في عراك مستمر مع الذئب ... وفي الصباح تغلب عليها وأكلها .

— مسكينة ! مسكينة ! . . . ولكن لا بأس ، دعني اذهب الى الجبل يامسيو سيغان .

— سبحانك ربي ! . . . هذه أيضاً واحدة ستكون للذئب طعاماً . . . لا ، لا . . . سأمنعك رغماً عنك ! وسأقفل عليك باب الحظيرة حتى اذا قطعت الحبل لاتجدين لك مهرباً .

حينئذ قاد المسيو سيغان عنزته الى حجرة مظلمة في الحظيرة وأغلق دونها الباب . ولكنه نسي أن يغلق النافذة ، فما كاد يخرج حتى وثبت العنزة اليها وفرت منها هاربة . . .

أظنك تقهقه ياصديقي غرينغوار وترى رأي الماعز . . . ولكن ستعلم بعد حين اذا كان ضحكك يدوم طويلاً .

ولما وصلت العنزة البيضاء الى الجبل ، اغتبط بها وأكبر حسن طلعتها ؛ ذلك لأن أشجاره القديمة لم تر فيما مضى عنزة جميلة كهذه العنزة ، وانحنت الاغصان المورقة نحوها لتحظى بلمس

فوبها الفتان ، وتفتحت الازهار وارسلت في الهواء كل ماتحمل من عبير وعطر احتفالا بملكة الجبل الجديدة .

تأمل ياصديقي غرينغوار ما كان أشد سرور بلانكيت ! لاحبل ، ولا وتد . . . ولا شيء يعوقها عن القفز والجري ، والرعي كما تشتهي . . . هنا وجدت العشب كثيراً نامياً ! وفي هذا المكان أحست بطعمه ! . أي عشب لذيذ ، طري ، مطرز الأطراف ، كثير الأنواع . انها لم تجد مثيلا له في الحظيرة الضيقة . والأزهار الجميلة على اختلاف ألوانها ! انها أخاذة ساحرة .

هنا أحست بالشبع ، فأخذت تلهو وتمرح ، تروح وتغدو ، تثب في الهواء وتجري على الأرض ، تقفز من فوق السيول فتبلل صوفها بالماء ، ثم تتمدد على صخرة في الشمس لتجففه ، حتى أعادت للجبل سالف حياته ، وبعثت فيه نشوة الفرح والحبور ! وكان يخيل للناظر ان في الجبل عشر عنزات للمسيو سيغان لاعنزة واحدة .

وبيناهي على قمة الجبل ممسكة بين اسنانها زهرة جميلة أبصرت في الوادي منزل المسيو سيغان والحظيرة التي بقربه ، فقهقهت ضاحكة وقالت :

— ما أصغر هذا المسكن ! كيف صبرت على بقائي فيه ؟ ورأت نفسها على قمة عالية فحسبت انها أصبحت تملك الكون بأسره . . .

والخلاصة ياصديقي ان يومها كان سعيدا جداً .

ومما هو جدير بالذكر ان بلانكيت التقت في طريقها عند الظهر بقطيع من الوعل يقضم باسنانه أشجار الكرم . فأجبت أن تشاركه في طعامه فسمحوا لها المجال بأدب . ويظهر أن هناك وعلا وقع من قلب العنزة موقعاً حسناً ، وأرجو أن تبقى هذا الكلام سراً بيني وبينك ، فاختفت وإياه في الغاب مدة ساعة أوساعتين . فاذا أردت أن تقف على حقيقة ماجرى بينهما فاذهب وسل عيون الماء المتفجرة ، المنسابة بين الاعشاب المخضوضرة .

***

وفجأة برد الطقس ، وأخذ الليل يرخي سدوله على الجبل . فقالت العنزة :

— عجباً ! كيف يمضي النهار بسرعة ؟

وكان السهل قد اختفى عن ناظريها في الظلام ، ولم تعد ترى من منزل المسيو سيغان إلا سقفه الاحمر وقليلا من الدخان المتصاعد منه . ولما اخذت تصغي الى صوت قطيع من الغنم

عائد الى حظيرته أحست فى أعماق نفسها بوخز الضمير فتألمت . ومر إذ ذاك طائر ليبيت فى وكره فكاد يلمسها بطرف جناحه . فى هذه اللحظة سمعت فى سفح الجبل صوتا يدعوها اليه — وكان ذلك صوت المسيو سيغان ينبعث من بوقه — فتذكرت الذئب وأخذت تفكر فيه بعد ان انساها فرح النهار وجوده . .

ثم سمعت صوت الذئب يتجاوب صداه فى الارجاء فوطدت العزم على النجاة من مخالبه باجابة المسيو سيغان ، ولكنها تذكرت الحبل والوتد فشق عليها ان تعود الى سالف حياتها وفضلت البقاء .

وفى هذه الاثناء انقطع صوت البوق . . .

وسمعت العنزة خلفها حفيف الاوراق : فالتفتت لتنظر فرأت اذنين صغيرتين ترتفعان وعينين تتدفقان بالشرر .. فعرفت انه الذئب . . . .

***

ربض الذئب الكبير ينظر الى العنزة نظرة نهم ، ويتأملها دون أن يعجل الى افتراسها . ولما همت بالمضى فى سبيلها أخذ يضحك ويسخر ، ثم مد لسانه الأحمر الغليظ .

هنا احست بلانكيت بخطر الموت . . . وتذكرت حكاية العنزة رينود التى قاومت الذئب طيلة الليل عبثاً ، فالقت عصا الطاعة وصممت على أن تتلقى الذئب صاغرة ليأكلها سريعاً .

ولكنها فى اللحظة الاخيرة رجعت عن رأيها هذا ، ووقفت للدفاع عن نفسها ، فاحنت رأسها وأشهرت قرنيها ، لا لتقتل الذئب وهى تعرف ان المعزى لاتقدر عليه بل لتجرب إذا كانت اقوى بأساً من رفيقتها رينود . . .

آه ! ياصديقى ما كان اشجع هذه العنزة الصغيرة ! انها اضطرت الذئب اكثر من عشر مرات الى إن يستريح فترة من الزمن كانت فى خلالها تقضم العشب بسرعة لتعود إلى القتال مملوءة الفم . . .

وظلت الحال على هذا المنوال : الصراع مستمر يقطعه تقهقر وقتى من الذئب . والعنزة تنظر الى النجوم الرجراجة وهى تأمل دوام القتال حتى مطلع الفجر — الى ان اخذت النجوم تهوى واحدة بعد الاخرى . وامتد فى الافق الشرقى شعاع باهت . . وارسل الديك صيحته من احدى المزارع المجاورة . فقالت العنزة المسكينة التى انتظرت الفجر لتستسلم للذئب :

— ها قد وصلت الى بغيتى أخيراً !

ثم تمددت على الارض وصوفها الابيض مخضب بدمها . . .

عند ذلك هجم الذئب عليها واكلها .

***

وداعاً يا صديقى !

ان القصة التى رويتها لك واقعية لا أثر فيها للخيال . ويمكنك اذا جئت الى هذه الضاحية يوما أن تطلب من أحد اهليها أن يقص عليك حكاية عنزة المسيو سيغان التى قضت الليل بطوله فى عراك مستمر مع الذئب . . . وفى الصباح تغلب عليها وافترسها .

أسامع أنت ياغرينغوار !
. . . وفى الصباح تغلب عليها وافترسها .

بيروت   محمد كزما

العلوم

حديث قملة عجوز

للدكتور احمد زكى

الاستاذ بكلية العلوم

لا يلذلكم معشر البشر أن نتحدث اليكم نحن معشر القمل . لانا فى أعينكم شارة الاقذار وظل الأوساخ : وتلك قذيفة لا تقوم على حجة ولا يدعمها برهان ، فنحن لا نتغذى الا من دمائكم ، ولا نرتوى الا من ثغور نثقبها فى جلودكم ، وسواء لدينا الجسم القذر والجسم النظيف ؛ وربما كان الجسم النظيف أحب الينا ، لأن مثاقب القوت تكون عندئذ أقرب إلينا ولكن صاحب الجسم النظيف لا يعطينا المهلة للحياة فهو يغير ملابسه المرة تعقبها المرة ؛ فيحول بذلك بيننا وبين موارد أرزاقنا فنموت جوعا فى يومين وقد نحيى إلى سبع ؛ لأننا فى طيات هذه الملابس نتخذ منازلنا ولا نخرج عنها إلى الجسم إلا طلباً للقوت ، فإذا أصبناه عكفنا راجعين اليها .

وقلتم أن القمل سبب لأمراض قاتلة كالتيفوس ، والحق أننا لا نخلق المرض ولا نبتدع الشر فأصول هذه الأوبئة فيكم وعنكم نأخذها فى الدم الذى نستقيه منكم ؛ وبالرغم من حبنا لمساقط رؤوسنا وألفتنا للجسم الذى نشأنا عليه وترعرعنا ، تضل منا أحياناً أفراد فتنتقل غير واعية من رجل مريض إلى رجل سليم لا سيما فى الزحمة حيث تتلاقى المناكب وتتلاصق الثياب ؛ فاذا هى وردت منهله العذب لوثته بما حملت من المنهل الأكدر ؛ فترون من هذا أننا لا نخلق السوء وإنما نسوى بينكم فى الاسواء

وأسميتمونا المتطفلة لاننا لا نستطيع هضم كل طعام كما تستطيعون ، وليس لنا جهاز هاضم راق كالذى به تهضمون ، فأنتم تهضمون لنا الغذاء ، فنمتصه منكم مهضوما فى الدماء ؛ وليت شعرى أى سبة فى هذا أو عار أفلستم تتطفلون على الشاة والبقر وصنوف الطير والنبات الحى فتزدردونها كلها ازدراداً . أفترون الشعرة فى أعين الناس ولا ترون الخشبة فى عيونكم !؟ على أنه مقدار حقير ذلك الذى نمتصه فى الوجبة الواحدة وانما نطعم غير وجبتين فى اليوم ، ولنا فى الطعام ذوق الأعزة الكرام ، فنحن نعاف دم المريض ونتقزز من أجسام الموتى فنفارقها مع الحياة .

واحتقرتمونا لصغر أجسامنا وكبر أجسامكم فان فاتنا الجرم الكبير فقد أصبنا العدد الكثير : فالأنثى منا لا تبلغ اليوم الثامن بعد افراخها حتى تلد ثم تلد ثم تلد ، وهى لا تلد واحدا أو اثنين فى العام كما تلدون وإنما تبيض فى المرعى الخصيب عشرا كل يوم ، فان عاشت الأنثى أربعة أسابيع فقد تبيض مائتين من الصئبان (١) ، وان امتد بها العمر الى أرذله فعاشت ستة أسابيع فقد تبيض ثلاثمائة بيضة ؛ والبيضة من بيضاتها تلبث السبعة الايام أو الثمانية ثم تفرخ ؛ فانظر الى العدد الكبير من الخلف الصالح الذى تخلفه الأنثى منا قبل مفارقتها هذه الحياة الفانية . أنا بالطبع أنثى شيخة أكاد أستكمل الثلاثين ربيعا ، وما ربائعنا الا أياما ؛ نسلت من الابناء والاحفاد ما نسلت ، ولكنى انسل ولا أتعهد نسلى ، وكل ما أفعله ان أتخير لهم الموضع الامين ، فأنا أبيضهم على كل شعار خشن ألقاه ، وأبيضهم على فتائل الملابس ولاسيما حيث يخاط اللفاق باللفاق ، ليكون لهم معتمد عليها وفى دروءها ستر من عصف الزمان وأبيضهم على الأشعرة دون الادثرة حتى اذا أفرخوا كانوا من طعامهم قاب خطوات من خطواتنا ، ومن الدفء اللازم لافراخهم على بعد قامة من قاماتنا ، فنحن مثلكم حاجتنا للدفء لا تقل عن حاجتنا للطعام ، وأوفق الحرارة التى نبيض فيها هى ما دون حرارتكم بدرجتين ، والدرجات التى تعلو على الستين تهلك بيضنا ، والدرجات الواطئة تعطل إفراخه ؛ فاذا هبطت الى ما دون الـ ٢٢ درجة امتنع افراخه بتاتا .

وسواء ارتفعت الحرارة أو انخفضت فبيضنا لا صبر له على البعد عن أجسامكم طويلا ، فان رمى به الحظ العاثر الى ملابس

(١) هى المسماة بالعامية «صيبان» وهو بيض القمل

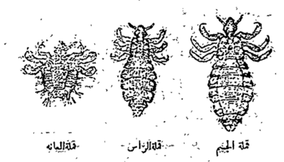
خلعتموها فانه يصابر شهرا وبعض شهر رجاء أن تعودوا فتلبسوها ويعود هو الى أفراخه ، فإن لم تفعلوا فالويل لذرارينا فانهم يهلكون يا كبدي ولم ينموا بخطوة واحدة على جلدكم الوطيء ولم يستمتعوا بقطرة من شرابكم المريء.

وللفرد منكم معشر البشر عمر طويل موفور ، وللفرد منا معشر القمل عمر قصير منقوص ، الا أن حظنا من الزمن مجموعين مثل حظكم ونصيبنا من قديمه وحديثه مثل نصيبكم : نطاولكم في القدم ونكاثركم فيما طويناه جميعا من مراحل الازل ؛ فإن كانت نطفتكم قديمة فلعل بيضنا أقدم ، وسنسايركم ان شاء الله على حذاء في مجاهل الابد ، فما دام فيكم الجهل والفقر بقدر كائنا ما كان فرفقتنا لن تنفصم عراها باذن الله ، فالجهل والفقر لابد دائما فيكم دوام الانانية والفردية بعون ربنا وربكم تقدست أسماؤه

نعم ربنا وربكم ؛ فإن لنا مكانا في الخليقة مثل مكانكم ؛ فما الخليقة إلا قبائل وبطون وافخاذ جمعها أصل واحد ، وفرقت بينها اجواء مختلفة وبيئات متباينة وحظوظ من العيش متفاوتة ، فنحن وكثير من احياء البحار كالاربيان Lobster وأبي جلنبو والجنبري قبيل واحد ، ولكنهم اختاروا الماء واخترنا الأرض فكان منا النحل والصرصور والجراد والبق وعدد عديد من الأجناس يبلغ المليونين لم يتعرف علماؤكم منه غير مائتين وخمسين ألف . فقبيلنا نحن ابناء الحشر في قبائل الأحياء اكبر قبيل ، وانقسمنا بعد ذلك بطونا ، وانقسمت البطون أفخاذا حتى بلغ التقسيم الينا نحن عشائر القمل ، ومنا عشائر تعيش على الطير تقرض ريشه ، ومنا عشائر تعيش على الحيوان كالكلب والانسان تمتص دمه ؛ وتستوطن اجسامكم يا سادة الحيوان ثلاثة أجناس منا ؛ جنس يستمرىء جذوعكم واطرافكم ، وهو اكبر الأجناس وأنا المتحدثة اليكم منه ، وجنس يحب المسكن الاعلى والمرقب الاسنى فاختار رؤوسكم ، وجنس استأثر بمواضع المغة منكم . نحن الثلاثة الاجناس نعيش في كنفكم ووفير كرمكم ؛ نستجدي أجسامكم وهي لاتعرف المنع ؛ ونستحلب دماءكم وعادتها العطاء ؛ فتشكل خلقنا وفقا لهذا العيش اللين والنعمة الميسورة : ففقدنا أجنحتنا لما فقدنا الحاجة الى التنقل : واشتدت ارجلنا وقصرت لتمسك بشعوركم وتلصق اشد التصاق بجلودكم وبفتائل ثيابكم ومن ذا الذى لا يستمسك بالمرعى الخصيب والرزق القريب ؛ واستحالت افواهنا فصارت قادرة على الثقب والمص . ولنا قناة هضمية ودورة دموية وجهاز للتنفس وجهاز عصبي ، كلها بقدر بساطة حاجاتنا ؛ ولنا عينان كبيرتان في مقدم رأسنا ؛ والى جانبيهما قرنان نستهدى بهما ؛ ويلي الرأس صدر يحمل من الارجل ثلاثة ازواج باطرافها مخالب كالابر إلا انها تعرف كيف تترفق في السير عليكم ؛ ويلي الصدر منا بطن كبير هو كل ما بقي منا . وعلى هذا المثال يتقسم الحشر جميعه ؛ وتتراءى بظاهرنا تقاطيع حلقية كأنها ضم خاتم الى خاتم الى خاتم ؛ ولا غرابة في هذا فبين قبيلنا وقبيل الديدان وشائج وأرحام.

وتفننتم يا اهل المروءة والحنان في طرق ابادتنا . كنتم تبيدوننا بالماء الساخن والصابون ففطنتم الى ان كثيرا منا يفلتون بأرواحهم والى انكم اذ أعدمتم بذلك البالغين منا فقد فاتكم ان تعدموا الصئبان ؛ فخلطتم الصابون بالجاز وبئس ما فعلتم ؛ فالجاز من اسم السموم لنا ؛ نموت نحن وبيضنا اذا غمسنا دقيقة فيها ولا نستطيع مقاومة بخاره غير ثلاثين دقيقة . وهدا كم سوء طالعنا الى مواد أسم وافعل من الجاز ؛ نموت على الفور نحن وبيضنا ان تبللنا بها ونعدم بعد ٥ دقائق في استنشاق أبخرتها ؛ ولكن يعزينا أنها ليست في متناول كل أحد منكم لندرتها ، ولغلائها .

على أنه لاملامة عليكم ولا تثريب في ذلك ، فكلنا طلب العيش والحياة ؛ فأنتم تسعون للبقاء ونحن نسعى للبقاء ، والحرب بيننا سجال ، والحرب بين أجناس الخلائق سجال كذلك : جنس يقاتل جنسا ثانيا فيقتل منه ، وجنس ثان يقاتل جنسا ثالثا فيقتل منه ، وجنس ثالث يقاتل الجنس الأول فيقتل منه ؛ فهى حروب في دوائر ؛ وكل ما دار في دائرة فلا انتهاء له ولا انقضاء ، وسبحان راسم الدوائر ذي الخلود والبقاء



قملة الجسم — قملة الرأس — قملة العانة

---

* من المستحضرات كثيرة النفع التى استخدمت في جيوش الحرب الكبرى مستحضر يصنع بتسخين ثلاثة أرطال من الصابون السبل الارخاء بربع لتر من الماء وبعد ازاحته من على النار يخلط بخمسة أرطال ونصف من الجاز ثم يضاف الى الحاصل ٢ ونصف في المائة من وزنه من الكريسول وعندئذ يستحم به كالصابون . أما المواد شديدة الفعل المشار اليها فركبات كلورية من مشتقات عضوية كالميثان والأيثان وتستخدمها ام .

الكتب

فى النقـــــــد

للدكتور طه حسين

سلمى وقريبها : كتبته باللغة الفرنسية « مدام أمي خير »

أهل الكهف : كتبه باللغة العربية « توفيق الحكيم »

ليختصم أنصار الجديد وأنصار القديم ؛ ماوسعتهم الخصومة وما وجدوا من أنفسهم قوة على احتمال أثقالها ؛ والمضى فيما تحتاج اليه من الجهاد . فإن الزمن يمضى فى سبيله رغم خصامهم وصلحهم . وهو لا يمضى وحده ولكنه يدفع أمامه قوما منا ؛ ويجر وراءه قوما آخرين . وهو منته بأولئك وهؤلاء الى حيث يريد هو من التغير والتطور والتجديد ؛ لا الى حيث يريدون هم من الوقوف والجمود والاسراف فى المحافظة على القديم كل القديم . .

ولقد خطر لى هذا بعد أن فرغت من قراءة ماينشره أصدقاؤنا فى (الرسالة) حول التجديد وأنصاره، وحول المحافظة وأصحابها . وقد فرغت أيضاً من قراءة طائفة من هذه الكتب الكثيرة التى أظهرتها الشهور الاخيرة ، والتى تجتمع أمامى وتزداد من يوم الى يوم ؛ وتلح على فى أن أفرغ لها وأجلس اليها وأنظر فيها ، فأنصرف بها عما يحيط بى من ظروف الحياة التى أعمل فيها كل يوم .

ثم فكرت فى هذا ، وقد فرغت من قراءة بعض هذه الكتب ، فاذا نحن نختصم فى الجديد والقديم ؛ ونسرف فى الخصومة ، ونغلو فى التفسير والتأويل ؛ على حين يدفعنا الزمان فى طريق التجديد دفعا لا سبيل الى مقاومته ؛ أو يجرنا فى هذه السبيل جراً لا سبيل الى الافلات من قوته . ولكنى وقفت عند ظاهرة لعلها تستحق أن يقف عندها النقاد والمفكرون، وهى هذا الشكل العقلى الفنى الذى تأخذه الصلة بين الشرق والغرب فى هذه الايام . فقد كنا منذ حين نتأثر بالغرب ونسعى اليه ونقتبس منه ونريد أن ننقله الينا ان صح هذا التعبير . وكان هذا السعى يفنى شخصيتنا أو يكاد يفنيها ، فاذا نحن غربيون فى تفكيرنا وتعبيرنا وحياة عقولنا وقلوبنا . وإذا حظوظنا تختلف من هذه الغربية قوة وضعفا . منا من يحسن التقليد : ومنا من يسيئه . وكان ضعف شخصيتنا هـذا يبغضنا الى المحافظين من أهل الشرق ويزهـدهم فينا . وكان يثير فى نفوس المجددين من أهل الغرب حبا لنا يشوبه العطف والاشفاق ، وكنا نضيق ببغض أولئك وحب هؤلاء ، ونتمنى لو نقف من أولئك وهؤلاء موقفا طبيعيا لا حرج فيه ولا تكلف ولا ضيق .

كذلك كانت حال كتابنا وشعرائنا فى هذا العصر الحديث حين كانوا يريدون التجديد أو يذهبون اليه . ولكن الأمر تغير فى هـذه الايام فقويت شخصية الكتاب والشعراء حتى آمنت بنفسها وآمن بها الناس من حولها فى الشرق والغرب جميعا ، وأصبح كتابنا وشعراؤنا ينشئون النثر ويقرضون الشعر فلا يزور عنهم كثير من المثقفين حقا فى الشرق ، ولا يرفق بهم أهل الغرب ، وانما يحبهم أولئك فيقرأونهم ويخلصون لهم النصح والنقد والتشجيع ، ويقدرهم هؤلاء فيدرسونهم ويقيسون الآماد التى قطعوها فى سبيل التجديد والاتصال بالحضارة الغربية والتمكين لهذه الحضارة فى بلاد الشرق دون أن تفنى شخصياتهم أو يصيبها الضعف والفتور .

وأغرب من هذا الذى تراه حين تقرأ ما يكتبه (جيب) و (كمفمير) وغيرهما عن كتابنا وشعرائنا ، انك تلاحظ فى هذه الايام ، ان من أهل الشرق من يتمثلون الغرب حتى كأنهم من أهله فيتحدثون اليه بلغته ويفكرون كما يفكر ، ويشعرون

كما يشير ، وتشاركونه بهذا في اتجاه الأدبي الخالص ، ويصدرون كتبهم حيث يصدر الغرب نفسه كتبه في لندرة أو باريس . وإذا هذه الكتب تصل الينا من عواصم الغرب فنتلقاها كما كنا نتلقى الكتب الغربية من قبل ، ونتناولها صحفنا بما تتناول به كتب الغرب من نقد وتقريظ ، وترى بعض أهل الشرق يتمثلون الغرب ويسيغونه ويهضمونه ان صح هذا التعبير ، ويذيبونه في أنفسهم ، ويغلبون شخصيتهم عليه وينفذون قوميتهم به . ثم يتحدثون الينا بلغتنا مهذبة ، ويفكرون معنا بطرائق تفكيرنا مصفاة ؛ قد أضيفت الى ثروتها ثروة أخرى فأخصبت وآتت ثمراً تحبه ونستمد به ونستزيد منه فنلح في الاستزادة .

وكذلك يتصل الشرق بالغرب اتصالا عقليا وفنيا بعد أن كان الاتصال بينهما ماديا تقليديا ، وكذلك تتقدم في التجديد خطوات واسعة قيمة مغنية حقا ، فنضيف الى ثروة الغرب كما يضيف الغرب الى ثروتنا .

وأنا أريد أن أتحدث اليك الآن عن كتابين يمثلان هذه الحال التي وصفتها من الاتصال المتكافيء الكريم بين الشرق والغرب . فأما أحد هذين الكتابين فقصة كتبت بالفرنسية . وأما الآخر فقصة كتبت بالعربية ؛ أول الكتابين قصص خالص ، والآخر قصص تمثيلي ؛ أول الكتابين لسيدة لبنانية هي السيدة أمي خير ؛ والثاني لكاتب مصري هو الأستاذ توفيق الحكيم .

أما كتاب مدام خير فهو : (سلمى وقريتها) ؛ سمعنا عنه منذ أكثر من عام وتحدثت الينا صاحبته بخلاصته وقرأت علينا بعض فصوله في محاضرة ألقتها مدام خير منذ عام في قاعة من قاعات الكونتيننتال حيث يجتمع أصدقاء الثقافة الفرنسية في يوم الجمعة من كل أسبوع أثناء الشتاء ، وكنا قد أحببنا ما سمعنا من هذا الكتاب ومن الحديث عنه ، ومنينا أنفسنا ساعات لذيذة نقضيها معه بعد أن يتم طبعه ويعود الينا من باريس في ثوبه الفرنسي الجديد . ولكني شديد الاحتياط أسيء الظن بنفسي ورأيي ولا أطمئن الى هذه الاحكام العجلى ، ولست أخفي اني أسأت الظن بما أحسست من رضى عن هذا الكتاب في العام الماضي ، وأشفقت ان يكون مصدر هذا الرضى براعة مدام خير في المحاضرة وحظها من حسن الالقاء ، وقدرت ان الخير ان انتظر حتى يصل الي الكتاب فأقرأه بعيداً من صاحبته ومن صوتها العذب وحديثها الجميل .

ووصل الي هذا الكتاب منذ اسابيع ، فخلوت اليه ساعات ولست أخفي أني رضيت عنه رضى كثيرا وأعجبت بفصول منه إعجابا عظيما ، ووقفت عند فصول أخرى وقفة من يشعر بشيء من الرضى لا أسراف فيه .

موضوع الكتاب ظاهر من عنوانه ؛ فهو قصة فتاة لبنانية وتصوير للقرية التي عاشت ومرت فيها . والمؤلفة تنبئنا بأن كتابها صورة فتوغرافية لسلمى وقريتها . وقد يكون هذا حقاً بل هو حق . وهو في الوقت نفسه مصدر فضل الكتاب ومصدر شيء مما يلاحظ عليه . وكم كنت أود لو أن هذا الكتاب لم يكن صورة فتوغرافية ، بل كان صورة فحسب ؛ صورة من عمل الانسان لا من عمل الآلة الفتوغرافية ، صورة تظهر فيها شخصية الكاتبة ظهوراً واضحاً تأنس اليه وتستعين به على اساغة هذه الحقائق التي يشتمل عليها الكتاب . ولكن القصة كانت كما أرادت مدام خير صورة فتوغرافية ؛ فامتازت بالصدق وامتازت بالدقة ، وفقدت شيئاً كثيراً من الحياة والتأثير .

ليست القصة غريبة ولا طريفة ، وانما هي شيء مألوف نكاد نقرؤه في كل كتاب — استغفر الله — نكاد نقرؤه في كتب كثيرة ألفت في القرن الماضي ، ونكاد نجده في كل كتاب من كتب الأدب العربي حين يتحدث عن العشاق الذين يضنيهم الحب حتى يسلمهم إلى الموت . فقد أحبت سلمى فتى من قرية مجاورة لقريتها في شمال لبنان . مرض أبوها وقامت أمها على تمريضه وانفردت هي بالذهاب الى المزرعة فلقيت فيها هذا الفتى الغني الموسر المثقف بعض الشيء . فمال الفتى اليها ومالت هي اليه ثم تحدثا ثم عرف كل منهما أمر صاحبه . ثم ملأ الحب قلب الفتاة وملك عليها نفسها ؛ ثم بريء الأب من مرضه وانقطع لقاء المحبين فكانا يختلسان ساعات يلتقيان فيها . ثم ظهر الأب على بعض الأمر . فضرب الفتاة وذهب يعاتب الفتى ويعرض عليه الزواج . فاعتذر وأرسله عمه الى مصر يلتمس فيها الثروة ويبدد فيها حبه على ضفاف النيل ، وأصاب الفتاة حزن عميق كان الأمل يخففه حيناً ويضاعفه أحيانا . ثم كان اليأس . وزوجت الفتاة من شاب كان يكلف بها . فحاولت أن تخلص له وجدت في ذلك ولكنها لم تستطع أن تخلص من حبها القديم

فيضعف قلبها وجسمها عن الوفاء بحبها الأول والاخلاص لزوجها فيأخذها مرض . مايزال بها حتى ينقذها من هذه الحياة

فأنت ترى أن ليس فى القصة شىء غريب مبتكر . ولكن جمال القصة مع ذلك شىء لا سبيل إلى الشك فيه . ومصدره فيما يظهر هذا التصوير الفوتوغرافى الذى ينقل اليك قرية من قرى لبنان . وما فيها من حياة تحب سذاجتها ، ووداعتها . وجمالها الطبيعى الذى لم يفسده التكلف . ولم يشوهه الإغراق فى الحضارة ، والذى يمتزج فيه الايمان الخالص الحر بالحياة الخالصة الحرة . نعم ونحب فى هذه الحياة التى يملؤها النشاط المنتج فى فصل العمل ، وتملأها الراحة الهادئة فى فصل السكون : ولعلنا نحب أيضا هذا النوع من العشق الذى ينبعث من القلب الانسانى فى غير تكلف ولا ترف ولا تأثر بفلسفة العقل وتهالكه على البحث والتحليل والاستقصاء . ثم نحن نحب بعد هذا كله وفوق هذا كله هذه الصور الفوتوغرافية لطبيعة لبنان فى أشكالها المختلفة . لهذه الجبال الشاهقة يكسوها الجليد إذا كان الشتاء ، ويزينها الربيع بالشجر المخضر . ولهذه الوديان التى يجاهدها الانسان جهاداً عنيفاً ليستخرج منها القوت الذى يستعين به على الحياة ، وحب اللبنانيين القوى الصادق الساذج لطبيعتهم وجبالهم وأوديتهم ، حتى انهم ليفتتنون بها فتنة تجعلهم جميعاً شعراء .

والغريب من أمر هذه القصة انها ليست صادقة فى تصوير موضوعها وحده ، بل هى صادقة فى تصوير ناحية من نواحى الكاتبة نفسها ، أريد بها ناحية المهارة الفنية ، ففى أولها شىء من الضعف والبطء واستقصاء اللغة ، كأن الكاتبة تجاهد نفسها بعض الشىء ، حتى اذا مضت فى القصة مرحلة أو مرحلتين أصبح قلمها طيعاً وألقت اليها اللغة الفرنسية أعنتها واستقاد لها الاسلوب الفرنسى فانطلقت حرة مبتهجة كأنها قد أتمت التمرين . لهذا كان آخر الكتاب خيراً من أوله . ولهذا كان من حقنا أن نثق بأن الكتاب الذى ستصدره مدام خير سيكون خيراً من الكتاب الذى أصدرته . واذا لم يكن بد من أن ألاحظ بعض العيب فقد آسف لأن شيئاً من التهاون فى اللغة لم يبرأ منه الكتاب فقد استعملت ألفاظ عامية مبتذلة لا ينبغى أن توجد فى كتاب أدبى إلا أن تدعو اليها النكتة . ولعل من أوضح الأمثلة لذلك ما يوجد فى صفحة ٧٢ و ١٤٠ . وجملة القول أننا مدينون لمدام خير بساعات لذيذة قيمة قضيناها مع هذا الكتاب الممتع ولكن أملنا أكثر جدا من رضانا . فلنشكر لها جهدها الأول ولنهنئها به ، ولننتظر من جهودها المقبلة خيراً كثيراً .

* * *

أما قصة (أهل الكهف) فحادث ذو خطر ، لا أقول فى الأدب العربى المصرى وحده . بل أقول فى الأدب العربى كله . وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط . وأقول هذا مغتبطا به مبتهجا له . وأى محب للأدب العربى لا يغتبط ولا يبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول إن فنا جديدا قد نشأ فيه وأضيف اليه ، وإن بابا جديدا قد فتح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه الى آماد بعيدة رفيعة ما كنا نقدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن .

نعم هذه القصة حادث ذو خطر يؤرخ فى الأدب العربى عصراً جديداً . ولست أزعم أنها قد حققت كل ما أريد للقصة التمثيلية فى أدبنا العربى . ولست أزعم أنها قد برئت من كل عيب ، بل سيكون لى مع الاستاذ توفيق الحكيم حساب لعله لا يخلو من بعض العسر . ولكنى على ذلك لا أتردد فى أن أقول إنها أول قصة وضعت فى الأدب العربى ، ويمكن أن تسمى قصة تمثيلية حقاً ، ويمكن أن يقال إنها أغنت الادب العربى وأضافت اليه ثروة لم تكن له . ويمكن ان يقال إنها قد رفعت من شأن الادب العربى وأتاحت له أن يثبت للآداب الاجنبية الحديثة والقديمة . ويمكن أن يقال إن الذين يعنون بالادب العربى من الاجانب سيقرأونها فى اعجاب خالص لاعطف فيه ولا اشفاق ولا رحمة لطفولتنا الناشئة . بل يمكن أن يقال إن الذين يحبون الادب الخالص من نقاد أجانب يستطيعون أن يقرأوها ان ترجمت لهم : فسيجدون فيها لذة قوية وسيجدون فيها متاعاً خصباً ، وسيثنون عليها ثناء عذبا كهذا الذى يخصون به القصص التمثيلية البارعة التى ينشئها كبار الكتاب الاوربيين .

أهذه القصة مصرية ؟ أهذه القصة أوروبية ؟ . . ليست مصرية خالصة ولا أوربية خالصة ، ولكنها مزاج معتدل من الروح المصرى العذب والروح الاوروبى القوى . وقد يكون من العسير على غير الفنيين أن يفرقوا بين هذين الروحين اللذين تأتلف منهما القصة .

ولكن الذين لهم مشاركة قوية فى الأدب العربى والاجنبى يستطيعون ان يتميزوا هذين الروحين حين يجدون فى القصة سهولة النفس وعذوبتها ، وحين يشعرون بهذا العبث الخفيف الذى يضطرهم إلى الوقوف من حين إلى حين وهم يقرأون . وحين يجدون ألفاظاً وجملا تصور النفس المصرية الآن كما صورتها فى أزمان مختلفة منذ كان للمصريين أدب عربى ؛ ثم حين يجدون هذا التفكير العميق الخصب الدقيق الذى يلح فى التعمق ويغلو فى الدقة ، ويأبى أن يترك حقيقة من الحقائق عرضة للشك أو هدفا للغموض ؛ إلا أن يكون الكاتب قد تعمد ذلك وأراده وأبى أن يرسل نفسه فيه على سجيتها مراعاة لبعض الظروف .

كل هذا يمكن النقاد من أن يتبينوا فى هذه القصة روحاً مصرياً ظريفاً وروحا أوربياً قوياً . ولنقف وقفة قصيرة عند موضوع القصة وشكلها .

فأما موضوع القصة فلم يخترعه الكاتب وانما استكشفه ، وفرق ظاهر بين الاختراع فى الادب والاستكشاف . ولعل الاستكشاف أن يكون أصعب فى كثير من الاحيان من الاختراع ؛ وهو فى قصتنا هذه صعب عسير . موضوع القصة موجود فى القرآن الكريم ، وهو قبل أن يوجد فى القرآن كان معروفاً فى القصص المسيحية التى لها حظ من التقديس . ويكفى أن تعلم أنه حديث أهل الكهف الذين أشفقوا من اضطهاد ملك رومى للمسيحيين ففروا بدينهم من هذا الملك الظالم وأووا إلى الكهف فناموا فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا . ثم بعثهم الله عز وجل فانكروا الناس وأنكرهم الناس فعادوا الى كهفهم وقبضهم الله اليه .

وأنت تعلم ان هذه القصة قد قصها الله فى القرآن فى آيات كريمة هي اعذب واسمى ما نعرف من آيات البيان العربى ، وانت تعلم ان من العسير ان تستغل مثل هذه القصة فى أدبنا العربى الذى لم يتعود فى العصر الحديث أن يستغل الكتب الدينية استغلالا فنيا كما تعود الاوربيون أن يلتمسوا فى الكتب المقدسة موضوعات للقصص والشعر والتمثيل والنحت والنقش والتصوير والموسيقى . فاذا استطاع الاستاذ توفيق الحكيم ان يلتمس موضوع قصته فى القرآن أوفى قصة فصلها القرآن وان ينشىء فى هذا الموضوع أثراً فنياً بديعاً كان خليقاً ان يهنأ بشجاعته وبراعته معا

فموضوع القصة اذن شرقى عرفته أحاديث المسيحيين وفصله القرآن الكريم . ولم يعرفه الاوربيون الا من هذه الطريق ، ومؤلفنا إذن كغيره من المؤلفين الاوربيين الذين يلتمسون الموضوعات لقصصهم التمثيلية أحيانا فى التوراة والانجيل . ولكن مؤلفنا كغيره أيضا من المؤلفين الاوربيين لم يحك حكاية ما عرفته أحاديث المسيحيين وما جاء في القرآن ، وانما بعث فى أهل الكهف حياة أخرى فيها قوة وفيها خصب وفيها فلسفة تمكنها من الاتصال بالحياة الانسانية العامة على اختلاف العصور والبيئات من انحاء غير الناحية التى عنى بها القرآن وعنيت بها الاحاديث المسيحية . وهو يدخل فى هذه الحياة عناصر جديدة لم تدخلها القصة القديمة أهمها عنصران : عنصر الفلسفة ، وعنصر الحب . فالفرق عظيم جداً بين هؤلاء الاشخاص كما يصورهم القرآن وكما تصورهم أحاديث المسيحية الشرقية فى سذاجة لاحد لها ووداعة لا حد لها وإيمان لا حد له ولا غبار عليه ، وبين هؤلاء الاشخاص كما يصورهم الاستاذ توفيق الحكيم وقد تعقدت حياتهم فتعقدت عقولهم أيضا . ففقد اثنان منهم هذه السذاجة المطلقة والوداعة المطلقة والايمان المطلق ولم يحتفظ بهذه الخصال منهم الا شخص واحد ، هو يمليخا الراعى ، وبهذا النحو من التصوير الجديد لهؤلاء الاشخاص استطاع الكاتب أن يجعلهم أبطال قصة تمثيلية حديثة . ولو قد احتفظ الكاتب لهم بخصالهم الأولى لما استطاع أن يتجاوز بهم أبطال قصص الأسرار التى كانت تمثل فى القرون الوسطى أمام الكنائس . فالكاتب مستكشف لقصته فى ظاهر الامر ولكنه مخترع لها فى الحقيقة قد خلق أشخاصها خلقا جديدا وأدار بينهم من الحوار الفلسفى ما لم يكن يخطر لاحد منا على بال . وقد يكون من العسير أن تحقق الفلسفة التى أراد الكاتب أن ينتهى اليها ، ولكن هذا العسر نفسه مزية من مزايا الكاتب وفضيلة من فضائله . فهو ليس متعصبا ولا متأثراً بالهوى ، وهو لا يريد أن يفرض عليك رأيا بعينه أو منهجاً بعينه من مذاهب الفلسفة وانما يريد أن يثير فى نفسك التفكير فى طائفة من الآراء والمذاهب . وهو دقيق متواضع لا يحب أن يعلن رأيه فى صراحة مخافة ان يتابعه ضعاف الناس فى غير بحث ولا تفكير . فهو يكتفى اذاً بان ينبهك الى طائفة من المسائل يحسن أن تفكر فيها وان تلتمس لها الحل لعلك تظفر به أو تنتهى اليه .. ما الزمن ؟ ما البعث ؟

ما الصلة بين الانسان والزمن ؟ ما الصلة بين الحي والأحياء ؟ بأي الملكتين يستطيع الناس أن يحيوا وان ينتجوا في الحياة ؟ بهذه الملكة التي نسميها القلب والتي بها نحب ونبغض، أم بهذه الملكة التي يسميها العقل والتي بها نفكر ونحلل ونلائم بين الاشياء ؟

كل هذه المسائل خليقة أن تفكر فيها وأن تقف عندها فتطيل الوقوف . والكاتب يثيرها في نفسك ويصطنع لذلك فناً بديعاً نادراً فيه قوة مؤثرة وفيه رفق شديد . ليس هو معلما ولا أستاذاً ولكنه صديق يتحدث معك ويسايرك ويلفتك الى ماقد تمر به دون أن تقف عنده أو تنظر اليه . لا أعرف كاتبا عربياً كان حسن السيرة مع قرائه كالأستاذ توفيق الحكيم . فقد أكبرهم حقا وأرشدهم حقا . ونفعهم في غير ادلال ولا تيه ولا كبرياء .

والحب هذا الحب الذي أدخله الكاتب في هذه القصة في غير تكلف ولا عناء وفي غير مصادمة للشعور الديني ؛ والذي استطاع الكاتب أن يصوره صورتين قويتين تبلغ احداهما من القوة حداً لا نكاد نجده الا عند أشد الكتاب والشعراء الاوربيين عناية بالعشق وآماله ولذاته على اختلافها وتنوعها . وتبلغ احداهما الأخرى بالحب قوة صوفية طاهرة بريئة من كل شائبة لا نكاد نجدها الا عند كبار المتصوفة والقديسين .

اعترف اني معجب ببراعة الكاتب في غير تحفظ والى غير حد . والحياة الواقعة التي يحياها هؤلاء الناس العاديون الذين لا يتفكرون في أكثر من أعمالهم اليومية والذين لا يذوقون الفلسفة ولا يحسنون تصورها والحديث فيها كيف صورها الكاتب فأتقن تصويرها في شخص الملك ومن يحيط به من أهل القصر والمدينة . وهذا الايمان المختلط الذي يمتاز به قوم يصطنعون العلم ولكنهم في حقيقة الامر انصاف متعلمين ؛ فيهم سذاجة ولكنهم يريدون أن يكونوا فلاسفة . وفيهم غفلة ولكنهم يريدون أن يكونوا أذكياء . وفيهم حب للحياة وحرص عليها ولكنهم يريدون أن يتظاهروا وكأنهم يؤثرون الايمان على الحياة . ما أبرع الاستاذ توفيق الحكيم حين صوره في شخص الأديب غالياس !

أظنك لا تريدني على أن ألخص لك القصة فهي مطبوعة تستطيع أن تقرأها بل يجب أن تقرأها فما ينبغي لمثقف في الادب العربي أن يجهل هذا الاثر الادبي البديع

ولكن وكم أنا آسف للكن هذه . وكم كنت أحب الا احتاج الى املائها . ولكن في القصة عيبان . أحدهما يسوؤني حقا ومهما ألم فيه الكاتب فلن أؤدي اليه حقه من اللوم ، وهو هذا الخطأ المنكر في اللغة . هذا الخطأ الذي لا ينبغي أن يتورط فيه كاتب ما فضلا عن كاتب كالاستاذ توفيق الحكيم قد فتح في الادب العربي فتحا جديداً لا سبيل الى الشك فيه . أنا أكبر الاستاذ ، وأكبر قصته ، وأكبر (الرسالة) عن أن أقف عند هذه الاغلاط القبيحة التي يمس بعضها جوهر اللغة ويمس بعضها النحو والصرف ويمس بعضها الاسلوب وتركيب الجمل . ولا أتردد في أن أكون قاسيا عنيفا وفي أن أطلب الى الاستاذ في شدة أن يلغي طبعته هذه الجميلة وان يعيد طبع القصة مرة أخرى بعد أن يصلح ما فيها من الاغلاط . وأنا سعيد بأن أتولى عنه هذا الاصلاح ان أراد . ولعل ماسيتكلفه من الطبعة الثانية خليق أن يعظه وأن يضطره الى أن يستوثق من صوابه اللغوي فيما يكتب قبل أن يذيعه بين الناس .

أما العيب الثاني فله خطره ولكنه على ذلك يسير لان القصة هي الاولى من نوعها كما يقولون . هذا العيب يتصل بالتمثيل نفسه فقد غلبت الفلسفة وغلب الشعر على الكاتب حتى نسي ان للنظارة حقوقا يجب أن تراعى فأطال في بعض المواضع ؛ وكان يجب أن يوجز . وفصل في بعض المواضع وكان يجب أن يجمل، وتعمق في بعض المواضع وكان يجب أن يكتفي بالاشارة . ولعله يوافقني على أن من الكثير على النظارة أن يستمعوا في الملعب لهذه القصة الجميلة حدا ؛ الطويلة جدا . التي تقصها برسكا على غالياس وهي تودعه وقد اعتزمت أن تموت في الكهف مع عشيقها القديس .

هذا العيب عظيم الخطر لانه يجعل القصة خليقة ان تقرأ لا ان تمثل . وأنا حريص أشد الحرص على أن تمثل هذه القصة ، واثق كل الثقة بأن تمثيلها سيضع يد الاستاذ على ما فيها من عيب فني وسيمكنه من اتقاء هذا العيب في قصصه الاخرى ومن اصلاحه في هذه القصة .

أما بعد فاني أرجو مخلصا ان تترجم قصة مدام خير الى اللغة العربية وأن تترجم قصة الاستاذ توفيق الحكيم الى اللغة الفرنسية لتؤدي القصتان ما ينبغي ان تؤدياه من تحقيق الصلة الصحيحة المنتجة بين الشرق والغرب .

طه حسين

في الأدب الايطالي الحديث

الرواية في بونتاسياف !

للكاتب الايطالي لوسيو دامبرا

— تابع —

وقبلاء لم تمض ثمانية أيام حتى كانت الفرقة قد أعدت !

وهذا الحادث العظيم ، هذا الحادث الغريب ، حادث اصرار « مارك سيريني » على أن تمثل روايته الحديثة ولأول مرة ، في قرية حقيرة لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة آلاف نسمة ، هذا الحادث الذي لا يصدق ، أثارت الصحافة حوله ضجة كبرى ، اقتحمت حدود إيطاليا وأقلقت صحافة أوروبا بأسرها . ولقد كانت هذه القضية رنانة كبار قضايا « مارك سيريني » ورنانة أيضا ، كانت عودة رئيس الشركة الامريكية من « بونتاسياف » الى « الستيديو » ، حيث كان المؤلف ، وسيجارته في فمه ، ممدداً على أريكة وثيرة : يفكر بسيدة النافذة الشهية ! ! !

— كل شيء الا هذا ! . . لقد ذهبت اتباعنا أدراج الرياح ! . . أني أعود من « بونتاسياف » اذ ليس فيها مسرح !!!

— ليس فيها مسرح ؟ هذا أمر عديم الاهمية : ان بناء مسرح لا يستغرق أكثر من شهر ، وهو الوقت اللازم للحفظ والمراجعات

— ماذا ؟ ؟ ؟ . . . بناء مسرح جديد ؟ . . . وفي ظرف شهر واحد ؟ ؟ ؟ لم يتحرك « سيريني » ، . . . نظر إلى طاولة عليها رزنامة من المعدن اللماع ، وقال :

— أجل ، في شهر واحد ! . . . نحن الآن في سبتمبر ، ولن يزال البرد شديداً حتى في أكتوبر في هذه البلاد ، . . . وبعد ، فان بناء مسرح خشبي يتسع لألفين شخص ، لا يمكن أن يستغرق أكثر من ثلاثة أسابيع

— وتزيينه ؟ . . . وتنميقه ؟ . . . في ثلاثة أسابيع ؟ لن يكون هذا المسرح سوى براكة . . . .

هنا انتفض « سيريني » وأجاب بلهجة قاسية :

لن يتسابق الناس لمشاهدة المسرح ، بل لمشاهدة روايتي ! ! !

— ٤ —

لنختصر : لم ينتج وسيلة لحمله على تغيير رأيه ، ولو كان رئيس الشركة التي تعاقد معه إيطاليا : لترك الارباح التي قد تنجم عن هذا الاتفاق ، ولترك المؤلف يسدر في عناده وجنونه . ولكنه كان امريكيا ، وللامريكيين عقل خاص ، وتفكير خاص يميزانهم عن غيرهم . ولم يمض شهر : حتى كان كل شيء قد تم : حفظت الرواية ، وروجعت وأقيم المسرح في بقعة جميلة . أما ماجرى في « بونتاسياف » في ذلك الوقت : فأمر لا يستطاع تصويره أو وصفه ، ولا شك أن بينكم اناساً وجدوا فيها ، في ذلك الحين ، وهؤلاء وحدهم يستطيعون أن يذكروا كيف احتلت الغرف المعدة للايجار احتلالاً لا يفرق عن الاحتلال العسكري بشيء ، وكيف ان الجموع الغفيرة تسابقت الى فلورانسا والى « اريزو » لتبحث لها عن مبيت : وكيف انها عادت الى « بونتاسياف » لتحضر تمثيل الرواية . وتعود بعد منتصف الليل الى إحدى المدينتين المذكورتين . . ولاشك انهم يذكرون ايضا انه كان بين المتفرجين اناس تقاطروا من اقصى البلاد . بينهم كثير من النقاد المسرحيين ، ورؤساء شركات التمثيل الأجنبية . . . . وقد كان بينهم صحفيون اضطروا خدمة للفن ان يبيتوا ليلة كاملة في القطار ، وان يضيعوا يوما كاملا في ساحة « بونتاسياف » وان يمضوا ليلة ثانية متعبة ، في دائرة البرق . حيث ظن عامل التلغراف المسكين ، ان الساعة اقتربت ، وان القيامة قامت ! ! !

وليست هذه بالمعركة الاولى التى استبسل فيها « مارك سيرينى » بطبعه الهادىء الرزين ، ولكنها كانت أشد المعارك كلها وأحماها وطيساً ، لأن تلك الرغبة الشاذة التى شاءت أن تضطر مجىء الفن للمجىء الى (بوتناسياف) تركت أسوأ الأثر فى النفوس ، حتى أن القادمين كانوا على أتم استعداد لأن يثأروا لانفسهم !

وهكذا فانه قبل أن يرفع الستار بساعتين ، أسرع أصدقاء (سيرينى) اليه ، وأخبروه أن الجو مكهرب ، وأن عواصف السخط والغضب لن تلبث أن تصدم الرواية صدمة عنيفة ، ربما كانت لا تقوى على احتمالها ، ولكن المؤلف أجابهم بلهجة حازمة :

— إذا كانت لديهم سهام فليسددوها ! ! . . وإذا كان لديهم قنابل فليقذفوها ! ! ! . . أما أنا ففى غنى عن آرائهم : لا يهمنى هذا المساء غير رأى شخص واحد !

— امرأة ؟

— طبعاً !!! .. ومن تريدون أن يكون اذن ؟ .. وزير ؟ !

ولم يزد على ذلك كلمة لأنه كان يحرص كل الحرص على أن يخلص بسره لنفسه . . . أما الناس فقد ذهبوا فى الظن كل مذهب . .

— ٥ —

ومع ذلك ، ورغم هذا الحرص فانه لم يضن على به . . من عادة (سيرينى) أن يتخلف عن حضور رواياته ، عند تمثيلها لأول مرة ، ومن عادته أيضاً أن يدور حول المسرح كما تدور الفراشة حول الضوء ، حتى اذا أخذ اللهيب بأخذ أجنحتها لجأت الى الهرب فاذا نسيت اللهيب وأثره فى جسمها . عادت تحوم حول الضوء وحول الخطر ، و (سيرينى) يحاول أن يتظاهر بالهدوء ، وأن يتحدث عن أشياء لا مساس لها بالرواية حتى اذا أصابها الاخفاق ، فقد رزانته وشرع يصب جام غضبه طيلة الليلة بكاملها على تلك الجموع المأفونة التى لا تقدر الفن . ولا تفهمه ، ولا تستحق أن تفهمه ، ورماها بأقبح الوصمات وأشنعها

أخذنا نتنزه سوية ، ذلك المساء فى أزقة القرية التى استحالت فى ساعة من الزمن الى ميدان تتزاحم فيه السيارات ، ويتكدس بعضها فوق البعض الآخر . . وكان الشاعر يبتسم ، ويطلعنى بهدوء على الاسباب التى حدت به لأن يثير عليه سخط تلك الجموع الغفيرة ، وكان يقول لى وهو يضغط على يدي :

— أفهمت ؟ . . أفهمت ؟ . . انى اذا كنت اصررت الا تمثل روايتى لأول مرة الا فى « بوتناسياف » فلأنى اريد أن أستثير اعجابها !! . . تلك هى الغاية الوحيدة التى أرغب فى ادراكها من غرامى الغريب !

— آه ! . . . لو انك رأيتها فى ذلك اليوم ، لبهرك حسنها رغم ما أنت عليه من « برود » ، وبعد ، فأنا لست أعتقد أن بين الذكور ، رجالا ينطبق عليهم هذا الوصف ، وإنما هم جميعاً فى نظرى ، براكين هادئة ، تثيرها مشاهدة امرأة ، وتجعلها أشد هياجاً ، من البراكين الدائمة الاستعار ! آه . . لو رأيتها وهى تطل من فتحة النافذة ! . . . ها . . . ها هى . . . نافذتها !

كانت نافذتها مغلقة ، وهى ذات درفات خضر ، وواجهة وردية . . . كانت محكمة الغلق ، لا يتسرب من خصاصها أقل بصيص نور ، فسر « مارك » لذلك : وقال بلهجة المنتصر :

— لم يبق أحد فى دارة ! . . . لقد ذهبت « المدينة » بأسرها لمشاهدة روايتى ! . . . وهى ، هى . . . هى فى هذه الساعة ، هناك ، مأخوذة بجمال روايتى وقوتها ، تكتسحها موجة الاعجاب التى أردت أن أتغلب عليها بها . . . انى اقدم لها فخراً لا يعدله فى العالم فخر . . . اقدم لها عيداً ، بل مهرجاناً لا يحلم به احد ! . . . أى سحر ؟ . . . وأى عيون ؟ ؟ ؟ آه ! . . . انى لا أعنى الا أن تبادلنى الحب هذه الريفية الحسناء ، أنا الشاعر المتعب . . أنا الشاعر الفتان ، الذى تضايقه النساء ، وتطارده . . تلك النساء اللواتى تجملهن المساحيق ، وتزينهن « الكريمات » المختلفة . . . تلك النساء الكئيبات ، اللواتى يلبسن جوارب بمائتين فرنك فقط . . . تلك النساء الفارغات القلوب ، كبطونهن التى لا يملأنها خشية السمنة ! ! !

ان سيدة النافذة ، على نقيض هذا كله : هى بسيطة رشيقة حقيقية الجمال ، لها نفس ، ولها قلب ، ولها مواهب ، ولها نباهة ولقد قرأت فى عينيها ذلك الاعجاب اللامتناهى الذى تخصنى به وتسبغه على !

وأنا موقن ان هذه الحسناء قرأت رواياتى كلها ، وانها اصبحت تعرفها ولكن معرفتها بها لا يجوز ان تقارن بمعرفة صديقاتى المعجبات — بأذن الله — بما وضعت من روايات . . .

تلك الصديقات اللواتى يتسارعن لمشاهدة رواياتى عندما تعرض للتمثيل لأول مرة ، وكأنهن يتسابقن « ليجبرن خاطرى » . . حتى إذا بدأ التمثيل اخذن فى الثرثرة والمنازلة مع عشاقهن فى زوايا المقصورات : انهن لا يتقاطرن على المسرح من اجلى ، أو من أجل رواياتى . . كلا ! . . بل ليعرضن على الانظار اثوابهن الجديدة ! . .

وألقى نظرة أخيرة على درفات النافذة ، ثم اخذ يتجه نحو المسرح ، كما يتجه الفراش نحو الضوء . .

— انى احبها . . احبها حتى العبادة ! . . ولاجلها وضعت هذه الرواية ، وقد وضعتها بعاطفة لم اذهر بمثلها من قبل ! . . اقسم لك على ذلك ! . . . تصور . . . تصور انك ذات مساء ، تبصر بين الحضور المرأة الوحيدة التى تحبك وتعجب بك اعجاباً لايحد بحد ، ولا يقاس بقياس ، تصور ذلك ، وقل ، ألا تدير « السانفونى » التاسعة ادارة لا تحسن مثلها فى كل وقت ؟ ألا تخرج منها ما لم يحلم « بيهوفن » نفسه أن يخرجه منها ؟ ؟ اذن . . أنا اليوم احارب هذه الجماهير كلها . من اجلها هى . إنا احارب باسمها وبحبها ! .

ان رواياتى انما هى معارك ، وحروب ، وسباقات ، إذن فهى لا تبعث على التثاؤب والملل ، وإذن فهى لا تدع المتفرجين هادئين ساكنين ، بل تحرك ما فى نفوسهم من عواطف وميول وتحملهم على التفكير .

ماذا ؟ . انتحار ؟ . لم نكد ندرك المسرح ؟ حتى هرع الينا بعض الأصدقاء .

— انتهى الفصل الثانى منذ قليل : نجاح لا مثيل له ! . . انتصار لا يعدله انتصار ! . . ولكن اى جمهور فى بدء التمثيل ؟ جمهور عبوس حذر : الا انه لم يلبث ان خفف من حدته بالرغم منه حتى اذا كان التمثيل ، لم يتمالك أيديه عن التصفيق وألسنته عن الهتاف : وهكذا ، لم ينته الفصل الاول حتى ثارت عواصف التقدير . وانفجرت قنابل الاعجاب . أما الفصل الثانى ، فهو الذى أتم الانتصار وجعل الستار ينزل بين رعود من التصفيق الحاد المتواصل ، والهتاف العالى القاصف ! ! ! . . وقد اضطرت الممثلة « تيريز اندريانى » اكثر من عشر مرات متوالية ان تعود الى المسرح . لتحية الجماهير المعجبة . .

لها بقية — خاب   ازاك شموش

متى يكون الزواج جريمة

إن من يتزوج امرأة وهو ضعيف الجسم أو مصاب بأى مرض مزمن أو عيب جسمانى فهو يرتكب فى حق زوجته وفى حق أطفاله أشنع جريمة يمكن أن يرتكبها مخلوق . لأنه لا يمكن أن يأتى بالابناء الاقوياء الاصحاء الجميلين الذين تتوق اليهم كل امرأة بل بأبناء ضعاف معلولين ناقصى الاجسام والعقول وذلك هو قانون الوراثة الذى لا يمكن تخطيه .

لا تخدع فتاتك

إذا كانت هناك فتاة طاهرة جميلة تصبو الى الزواج منها فلا تخدعها لأنها تعتقد أنك رجل كامل الجسم والعقل فلا تتقدم اليها وأنت صورة مشوهة من الرجل بل كمل جسمك أولاً حتى تستطيع أن تحقق لها السعادة وحتى تأتى لنا بالاطفال الذين تفتخر هى بهم ويفتخرون هم بالجسم الذى ورثوه عنك

اطلب كتابنا المجانى

إن كتاب الجسم الكامل قد أنار سبيل الصحة والقوة والجسم الجميل للالاف من الناس كانوا من قبل يعانون شقاء الضعف والمرض وأصبحوا الآن محل الاعجاب والاحترام . هذا الكتاب العجيب يرسل بغير مقابل — فقط عشرة مليمات طوابع بوستة تكاليف البريد (قيمة دولية فى الخارج) واذكر هذه المجلة ان ٦٨ صفحة مصورة هى فى انتظار أن تخبرنا الى أين نرسلها اليك فلا تتأخر فى الكتابة الينا اليوم —

اكتب باسم   محمد فائق الجوهرى

مدير معهد التربية البدنية ١١ شارع سنجر السروزى — فاروق مصر تليفون ٥٠٢٥٩

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصـــدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشـــتراك
صـ
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد العاشر « القاهرة فى يوم الخميس ٨ صفر سنة ١٣٥٢ – أول يونيـــة سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

من بريد الرســـــالة

بين الرسالة والمرأة

فى بريد الرسالة بالأمس كتاب بالفرنسية ، أنيق الشكل ، جيد الخط ، رائق الأسلوب ، فى رأسه (Maadi) وفى ذيله (Hayat) . قرأته فذكرت بأسلوبه وامضائه تلك المقالات الرقيقة التى كانت تتألق بالذكاء النسوى المصرى فى صدر (الليبرتيه) أيام كان يصدرها الأستاذ (ليون كاسترو) . وسواء أكانت «الحياتان» واحدة أم اثنتين ، فان الأدب الذى يصدر عن هذه النفس ، والثقافة التى تظهر فى هـذا الأدب ، يحملاننا على أن نناقش الآنسة الفاضلة فى هدوء المنطق ، ونعاتبها فى حدود الرفق ، ولا اقول إنى أصطنع القول اللين ، والحجاج الهين ، لأن ذلك واجب الرجل فى خطاب المرأة ، فان الآنسة تقول : «وما اعترفت منذ عرفت الرجل وسبرت قواه فى مطالعاتى واختباراتى أن له من مزايا الفطرة ما يجعله قيماً على المرأة ، وان من هوان نفسى على أن أقبل منه العطف لأنى ضعيفة ، أو اللطف لأنى امرأة . . »

شغلت الآنسة الصفحة الأولى من كتابها ، بتقريظ الرسالة وكتابها ، ونحن مع الشكر لها نعتقد مخلصين أن مجهود الرسالة لا يزال لضآلته أبعد ما يكون عن تحقيق الأمل واستحقاق الحمد ، ثم قالت :

وليس قصدي من هذه الكلمة أن أكون معك أو عليك فيما كتبته موفقاً عن المرأة ، فاني أعتقد أن هذه المسألة لا تتعلق إلا بنا ، ولا يكون الحكم فيها إلا لنا ، وما دخول الرجل فيها إلا أثر من اعتقاده القديم أن في يده زمام هذا الجنس المنكوب يرخيه ويشده على هواه (à sa guise) والأمر لا يخرج عن كونه نظاماً طبيعياً يجري على سنة الحياة من هيمنة القوة على الضعف ، وطغيان الأثرة الباغية على العدل الذليل . . . فحرية المرأة كحرية الأمة سبيلهما الفعل وحجتهما القوة ، أما الدفاع بالقول والاقناع بالحق فأصوات مبهمة كرفيف الريح المحبوسة في مخارم الجبل لا تدل على الطريق ولا تساعد على الفرج . لا أقصد كما قلت أن أناقش رجلاً في موضوع لا شأن له به ، وأنما اريد أن اقول لك إذا كان رأيك في المرأة هذا الرأي ، وعطفك عليها هذا العطف ، فلم حرمتها أن يكون لثقافتها مظهر في الرسالة بجانب ثقافة الرجل ؟ فان من يقرأ الرسالة في غير مصر يظنها تصدر عن بلاد كبلاد (الأسطورة الصينية) ليس فيها امرأة . . .

***

ستأتي في الجواب على ارادة الآنسة (حياة) فلا أخوض معها في حديث المرأة ، ولا أعتب عليها في انتقاص الرجل ، مادام الفضل في خصومة الجنسين للطبيعة لا لأحدهما .

سأقصره اذن على ما أخذته الآنسة على الرسالة من اغفالها ثقافة المرأة ، ونحن في ذلك أنما نجري على مذهبها الذي ارتضته وأعلنته ، فلم نرد أن يتحدث الرجال عن شؤون النساء الخاصة ، وفتحنا الباب ومنعنا أن يدخل منه غير أهله . ثم انتظرنا أن يصل اليه شيء يدل بقيمته وقوته على النهضة النسائية المزعومة ، فلم يأتنا بعد تسعة أعداد من الرسالة الا كتابان : أحدهما منك والآخر من آنسة تسمى « عفيفة » مبيدة شارع الشيخة صباح ، طنطا .

فأما كتابك ياسيدتي فقد قبلته الرسالة (موضوعاً) ورفضته (شكلا) لأن كتابتك اياه بالفرنسية الخالصة تدل على تلك الثقافة الشوهاء التي لا ترضاها الرسالة للفتاة . فهل تظنين أن العربية تقل جمالاً في الفم الجميل والقلم المذهب عن الفرنسية ؟ وهل تظنين أن جرس العربية يقل امتاعاً في الصالون ، وايقاعاً في النجوى ، عن جرس الفرنسية ؟ وهل تعتقدين أن المصرية لا تكون حديثة النشأة ولا عصرية الثقافة إلا اذا كتبت بالفرنسية ، أو ارتضخت لكنة أجنبية ؟ ان المصارف والمتاجر والشركات وأرباب الامتيازات يحتقرون العربية لأنهم يحتقرون (الانديجين)[1] وأولئك الانديجين لا يزالون من تحذّر الذل في بلادة صماء يضيع فيها وخز الاهانة !

ولكنك ياسيدتي تُسمين حياة ، وتشيرين في كتابك الى حفظ القرآن واقامة الصلاة . فكيف تسيئين بنفسك الى كرامتك ، وبيدك الى لسانك ؟!

هذا كتابك وهو في رأيي يحتاج الى عفو الوطن . وأما كتاب الآنسة الأخرى فهو بالعربية ، ولكنه عبث طفلي ترجين وأرجو أن يقف داؤه عند الآنسة (عفيفة) ! أتدرين علام انطوت غلافه ؟ لصقته على رسالة ومقالة ! فالرسالة تعتب علينا في اغفالنا باب المرأة ، وترغب الينا في نشر المقالة (وهي كما تقول قطعة بقلمها ، تشجيعاً لها ولزميلاتها على الكتابة .) والمقالة عنوانها (قبلة حية في رسالة) وتقرئينها — ومعاذ الله أن تقرئيها — فاذا المتكلم عاشق داعر ، واذا المخاطب معشوقة هلوك !! ، فخبريني ياسيدتي هل استجملت الناقة ، ام طبقت الآنسة مذهب (لاجارسون) حتى في هذه العلاقة ؟ وهل يروقك بعد ذلك ان تكون الثقافة المصرية في الرسالة هذا المظهر الإنجي ، او ذلك العبث الخلق ؟؟

بين النجف وبغداد

روينا في هذا المكان من العدد الثامن ان وزارة المعارف العراقية ، رغبت في تغيير الاناشيد المدرسية ، فقدمت اليها على الفور (جمعية الرابطة الأدبية في بغداد) ثلاثين نشيدا .... ولكن كتابا من النجف جاءنا اليوم يصحح الرواية ويقول : « ان الاناشيد نتاج قرائح الرابطة العلمية الأدبية بالنجف الاشرف مركز الثقافة العربية ، ونحن نعلن هذا التصحيح ونزيد عليه ان الشعر في العراق فراتي لا يستسيغ (كثيرا) ماء دجلة ، ولنا على هذا الرأي تدليل سننشره في يوم قريب . ولئن عناك ان تسأل بعد ذلك عما صنعته (الرابطة الادبية في بغداد) فاعلم انها شربت الشاي مرة عند الرئيس ، ومرة أخرى عند أحد الأعضاء ، ثم ادركها الحر فرقدت بجانب (جمعية الثقافة العربية) في سرداب ! ومن الذي تظنه يوقظها وقد هاجر البؤس بالرصافي الى قرية الفلوجة[2] ، وظفر النعيم بالزهاوي الى جوار الملك في شارع الاعظمية ؟ ؟

أحمد حسن الزيات

---

(١) الانديجين (Indigène) كلمة يطلقها المستعمرون والمستثمرون من الأوربيين على سكان البلد الأصليين .

(٢) الفلوجة قرية حقيرة على بعد ساعتين بالسيارة من غربي بغداد

الى الدكتور طه حسين

من الأستاذ توفيق الحكيم

يادكتور:

يعنيك طبعاً أن تعلم كيف يرى الجيل الجديد عملك وعمل أصحابك، إن رسالتي اليك ليست حكماً يصدره الجيل الجديد، إنما هي تفسير لذلك العمل، لك أن تقره ولك أن تنكره. لا ريب أن العقلية المصرية قد تغيرت اليوم تحت عصاك السحرية، كيف تغيرت؟ هذا هو موضوع الكلام، إن شئون الفكر في مصر حتى قبيل ظهور جيلك كانت قاصرة على المحاكاة والتقليد، محاكاة التفكير الغربي وتقليده، كنا في شبه إغماء، لا شعور لنا بالذات، لا نرى أنفسنا ولكن نرى العرب الغابرين، لا نحس بوجودنا، ولكن نحس بوجودهم، لم تكن كلمة «أنا» معروفة للعقل المصري. لم تكن فكرة الشخصية المصرية قد ولدت بعد. رجل واحد لمعت في نفسه تلك الفكرة فأضاء لكم الطريق: «لطفي بك السيد»، وسرتم ركضاً حتى بلغتم اليوم هذه الغاية، واذا الجيل الجديد أمام روح جديدة وأمام عمل جديد. لم يعد الأدب مجرد تقليد أو مجرد استمرار للأدب العربي القديم في روحه وشكله، وانما هو إبداع وخلق لم يعرفهما العرب. وبدت الذاتية المصرية واضحة لا في روح الكتابة وحدها بل في الأسلوب واللغة أيضاً، من ذا يستطيع أن يرد أسلوب طه حسين الى أصل عربي قديم؟ بون شاسع بين الأمس واليوم، حتى أمس القريب كانت مقامات الحريري ورسائل عبد الحميد وبديع الزمان مثلاً تحتذى في كتابات حفني ناصف والمويلحي وغيرهما ممن رسفوا في أغلال التقليد راضين أو مرغمين. لقد بدأنا نعي ونحس بوجودنا، وأول مظاهر الوعي شخصية الأسلوب واستقلال طريقة التعبير وما يتبعها من ألفاظ وأخيلة، بهذا يبشر صاحبكم أحمد أمين اليوم، ويصيح في هذا الجيل كي ينظر فيما حوله ويعبر عما يراه بخياله هو لا بخيال العرب. كل هذا جلي معروف، ولم أبعث برسالتي من أجله، حاجة مصر الى الاستقلال الفكري أمر لا نزاع اليوم فيه، وعملك أنت وأصحابك لهذا الاستقلال أمر لا نزاع فيه أيضاً. ولقد مضى كلامكم في هذا، انما الأمر الذي يحتاج إلى كلام هو معرفة مميزات الفكر المصري. معرفة أنفسنا: حتى تتبين لجيلنا مهمته. هذه هي المسألة، لقد فهمنا عنكم مميزات الأسلوب والشكل، وما فهمنا بعد جيداً مميزات النفس والروح. ما هي مميزات العقلية المصرية في الماضي والحاضر والمستقبل؟ ما روح مصر؟ ما مصر؟ إن اختلاطنا بالروح العربية هذا الاختلاط العجيب كاد ينسينا أن لنا روحاً خاصة تنبض نبضات ضعيفة تثقل تحت ثقل تلك الروح الأخرى الغالبة. وان أول واجب عليكم لنا استخراج أحد العنصرين من الآخر. حتى إذا ما تم تمييز الروحين إحداهما من الأخرى كان لنا أن نأخذ أحسن ما عندهما، وان لكم أن تقولوا لنا: «ها نحن أولاء قد أنرنا لكم الطريق إلى أنفسكم فسيروا». لابد لنا إذن أن نعرف ما المصري وما العربي؟ هذا السؤال ألقيته على نفسي منذ ست سنوات إذ كنت أدرس الفنين المصري والأغريقي. وكانت المسألة عندي وقتئذ: ما المصري وما الأغريقي؟ وأذكر أني أثرت هذه المسألة أمام بعض أصدقائي في حي «مونبارناس»، وأذكر أني لخصت لهم الفرق بين العقليتين بمثل واحد في فن النحت سائلا: ما بال تماثيل الآدميين عند المصريين مستورة الأجساد وعند الأغريق عارية الأجساد؟ هذه الملاحظة الصغيرة تطوى تحتها الفرق كله، نعم كل شيء مستتر خفي عند المصريين، عار جلي عند الأغريق، كل شيء في مصر خفي كالروح، وكل شيء عند الأغريق عار كالمادة. كل شيء عند المصريين مستتر كالنفس، وكل شيء عند الأغريق جلي كالمنطق. في مصر الروح والنفس، وفي اليونان المادة والعقل. نظرة أخرى في أسلوب النحت تدعم هذا الكلام. إن المثال المصري لا يعنيه جمال الجسد ولا جمال الطبيعة من حيث هي شكل ظاهر، إنما تعنيه الفكرة. إنه يستنطق الحجر كلاماً وأفكاراً وعقائد. على أنه يشعر مع ذلك بالتناسق الداخلي، يشعر بالقوانين المستترة التي تسيطر على الأشكال. يشعر بالهندسة غير المنظورة التي تربط كل شيء بكل شيء، يشعر بالكل في الجزء، وبالجزء في الكل. وتلك أولى علامات الوعي في الخلق والبناء؛ هذا كله يحسه الفنان المصري لأن له بصيرة غريزية أو مدربة تنفذ إلى ما وراء الأشكال الظاهرة لتحيط بقوانينها المستترة، فنان عجيب لا يصرفه الجمال الظاهر للأشياء عن الجمال الباطن. إنه يريد أن يصور روح الأشكال لا أجسامها، وما روح الشكل إلا القانون العام الأعلى المستتر خلفه؛ إن ولع المصريين بالقوانين الخفية لشيء يبلغ حد المرض، مرض إلهي، لو أن الآلهة تمرض لكان هذا مرضها: فرط البحث عن القانون! كل شيء في مصر إلهي، لأن مصر التي منحتها الطبيعة الخير واليسر

وسهولة العيش وكفتها مشقة الجهاد في سبيل المادة استلقت منذ الأزل تتأمل ماوراء المادة... حظها في هذا حظ الهند: أمة كثيرة الخير كذلك دانية القطوف لا حاجة بها الى الكفاح ولا عمل لها الا استمراء ترف الحكمة العليا، انقطعت هي أيضاً من قديم تحت أشجارها المقدسة تبحث عما وراء الحياة.

مصر والهند حضارتان قامتا على الروح لأنهما قد شبعتا من المادة، الأغريق على النقيض، امة لم تشبع من المادة، أمة نشأت في العسر والفاقة، أرضها لاتدر من الخير إلا قليلا. كان لزاماً عليها الكفاح في سبيل العيش، وكان حتما عليها الجرى وراء المادة، حرب تلو حرب، وفتح بعد فتح، وضرب في مشارق الأرض ومغاربها، على هذا النحو لم يكن للأغريق ذلك الضمير المطمئن ولا ذلك الشعور بالاستقرار، ولا ذلك الايمان بالأرض الذي يوحي بالتفكير فيما وراء الارض والحياة، ان عاطفة الاستقرار والايمان عند المصريين ممزوجة بالدم، لأن المصريين نزلوا من بطن الأزل الى أرض مصر، لا يعرف لهم نسب آخر على وجه التحقيق، واختلاف العلماء في أمر أصلهم لم ينته بعد، وفي كل يوم يبدو دليل على أن العمران والاستقرار وجدا في مصر قبل التاريخ المعروف، ولقد ظهرت الحضارة المصرية في التاريخ تامة كاملة دفعة واحدة، كما يظهر قرص الشمس في الأفق عند الشروق. ولقد قال سولون: ان الكهنة المصريين يعنون العناية كلها بذكريات تلك القارة العظيمة ذات المدنية الزاهرة التي ابتلعها المحيط قبل مبدأ التواريخ: «قارة الاتلانتيد». أترى كانت الحضارة المصرية استمرارا لتلك المدنية المندثرة؟... لم يقم دليل، على كل فرض، مصر امة مستقرة مؤمنة زهدها عمرها الطويل وخيرها الكثير في مباذل الحياة. وهذا الزهد والتفكير فيما وراء الحياة ظهر أثرهما على وجه الفن المصري، ولا شيء يدل على عواطف امة وعلى عقليتها مثل فنها. فلقد طالع العالم الحديث على وجه الفن المصري الصرامة والجد والعمق، ولا أكاد أفتح كتاباً في الفن المصري حتى أجد كلمة «الصرامة» نعتاً من نعوت هذا الفن، ولا أفتح كتاباً في الفن الأغريقي إلا وجدت كلمة «الحياة» وكلمة «الانسانية» من نعوت هذا الفن، نعم. الحياة هي كل شيء عند الاغريق، قد يدفعهم حب البحث الى لمس حدود الحياة الأخرى فيلمسونها بالعقل والمنطق لا بالقلب والروح. فلسفتهم فلسفة العقل والمنطق والحياة، فلسفة الحركة، لا فلسفة السكون، عند مصر والهند السكون، وعند الاغريق الحركة، قرأت حديثاً «المقبرة البحرية» لـ «بول فاليرى» وهو المتصل اتصالا مباشراً بالفلسفة اليونانية. فاذا هو يشير في قصيدة الى الحركة والسكون، واذا الحركة عنده من خصائص الكينونة الواعية الفانية، والسكون من خصائص العدم الخالد غير الواعي، وهو يعارض زينون الأيلياتي في انكاره للحركة. ويتغنى في آخر القصيدة بانتصار الحركة أي الحياة على قصرها وفنائها، فهو في ذلك لم يخرج عن يونانيته المكتسبة. ولم يفهم في رأيي روح مصر والهند، ولم يشرف على ذلك العالم الخالد غير الواعي، فان دون هذا الاشراف والاتصال التجرد التام من كل عقل آدمي أو منطق بشري، هذه هي الصعوبة في فهم مصر والهند، وهذا ماجعل الفن المصري سراً مغلقاً حتى أوائل هذا القرن، وما صرف الناس الى دراسة اليونان وحدها، فهي واضحة المعنى يسيرة المنال. لأنها لزمت شاطىء الحياة.

حظ الأغريق في كل هذا حظ العرب. العرب أيضا أمة نشأت في فقر لم تعرفه أمة غيرها، صحراء قفراء، قليل من الماء يثير الحرب والدماء، جهاد وكفاح لا ينقطعان في سبيل العيش والحياة، أمة لاقت الحرمان وجها لوجه، وما عرفت طيب الثمار وجرى الأنهار ورغد العيش ومعنى اللذة إلا في السير والاخبار، كان حتما عليها ألا تحس المثل الأعلى في غير الحياة الهنيئة، والجنات الخضراء، والماء الجاري، وألوان النعيم واللذائذ التي لا تنضب ولا تنتهي، أمة بأسرها حلمت بلذة الحياة ولذة الشبع، فأعطاها ربها اللذة ومنحها الشبع، كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة، لذة سريعة منهومة مختطفة اختطافاً، لأن كل شيء عند العرب سرعة ونهب واختطاف، عند الأغريق الحركة، اي الحياة، وعند العرب السرعة، أي اللذة، لم تفتح أمة العالم بأسرع من العرب، ومر العرب بحضارات مختلفة فاختطفوا من أطايبها اختطافاً ركضاً على ظهور الجياد، كل شيء قد يحسونه إلا عاطفة الاستقرار. وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم أرض ولا ماض ولا عمران! دولة أنشأتها الظروف ولم تنشئها الأرض، وحيث لا أرض فلا استقرار، وحيث لا استقرار فلا تأمل، وحيث لا تأمل فلا ميتولوجيا ولا خيال واسع ولا تفكير عميق ولا إحساس بالبناء، لهذا السبب لم تعرف العرب البناء، سواء في العمارة أو في الأدب أو في النقد، الاسلوب العربي في العمارة من أزهى أساليب العمارة التي عرفها تاريخ الفن، واذا عاش لليوم فانما يعيش بالزخرف، فن الزخرف العربي أنقذ العمارة العربية، ان العمارة العربية — إلا في مصر — ماهي في رأيي سوى زخرف، لا بناء، فلا أعمدة هائلة ولا جبهة

عريضة ولا وقفة قوية ولا بساطة عظيمة ولا روعة عميقة ، انما هي وشي كثير وجمال كجمال الحلي المرصع يهز البصر ولا فكر خلفه . أما فن الزخرف العربي فهو في الحق أجمل وأعجب فن للزخرف خلده التاريخ . والزخرف عند العرب وليد ذلك الحلم باللذة والترف . كل شيء عند العرب زخرف . الأدب نثر وشعر لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ، إنما هو وشي مرصع جميل يلذ الحس ، فسيفساء اللفظ والمعنى و « آرابسك » العبارات والجمل . كل مقامة للحريري كأنها باب لجامع المؤيد ، تقطيع هندسي بديع . وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الإنسان يقف عليه حتي يترنح مأخوذاً بالبهرج الخلاب .

كذلك الغناء العربي « آرابسك » صوتي ، فلا مجموعة أصوات متسقة البناء كما في « الديتيرامب » او « الأوركسترا » الأغريقية أو كما في « الكورس » الجنائزي المصري ، ولا حتى مجرد صوت ينطلق حراً بسيطا مستقيما . إنما هو صوت محمل بألوان المحسنات من تعاريج وانحناءات والتواءات وتقاسيم كأنها (ستالاكتيتات) غرناطية ، لايكاد يسمعه (القاضى الفاضل) حتى يستخفه الطرب ويضع نعله فوق رأسه ؛ كان هذا في العهد الأول للموسيقى إذ كانت عند جميع الشعوب بسيطة عارية تخرج من القلب تعبيرا عما في القلب ، أو رمزا لفكرة من الأفكار ، والموسيقى كالعمارة من الفنون الرمزية لا الفنون الشكلية ، ولكن العرب لا يحبون الرموز ، ولا طاقة لهم بالفن الرمزى ، ولا يريدون إلا التعبير المباشر بغير رموز ، وإلا الصلة المباشرة بالحس ، فجعلوا من الموسيقى لذة للأذن لا أكثر ولا أقل ، كما جعلوا العمارة لذة للعين لا أكثر ولا أقل ، ولقد حاول الفارابي فيما أذكر التقريب بين الموسيقي العربية والموسيقى الأغريقية ، وكان لابد له من الأخفاق لأسباب قد أذكرها بعد ،

كذلك التصوير العربي على جماله ودقته ليس إلا مجرد تزيين وزخرف للكتب والمخطوطات ولم يؤد لغير تلك الغاية « المنياتور » الفارسي . قد يكون للدين دخل في تأخر النحت والتصوير عند العرب ، غير اني اعتقد براءة الدين ، ان العرب كانوا دائما ضد الدين كلما وقف الدين دون رغبات طبائعهم ، لقد حرم الدين الشراب ، فأحلوا هم الشراب في قصور الخلفاء ، وما وصفت الخمر ولا مجالس الخمر في أدب أمة بأحسن مما وصفت في الأدب العربي ، لاشيء في الأرض ولا في السماء يستطيع أن يحول بينهم وبين اللذة ، أما النحت أو التصوير الكبير فليس في طبيعتهم ، لأن تلك فنون تتطلب فيمن يزاولها إحساسا عميقا بالتناسق العام مبناه التأمل الطويل والوعي الداخلي للكل في الجزء وللجزء في الكل ، وليس هذا عند العرب ، فهم لايرون إلا الجزء المنفصل وهم يستمتعون بكل جزء على انفراد ، لاحاجة لهم بالبناء الكامل المتسق في الأدب ، لأنهم لايحتاجون إلا للذة الجزء واللحظة ، قليل من الكتب العربية في الأدب تقوم على موضوع واحد متصل ، إنما أكثر الكتب كشاكيل في شتى الموضوعات تأخذ من كل شيء بطرف سريع : من حكمة وأخلاق ودين ولهو وشعر ونثر ومأكل ومشرب وفوائد طبية ولذة جسدية ، وحتى إذ يترجمون عن غيرهم يسقطون كل أدب قائم على البناء ، فلم ينقلوا ملحمة واحدة ولا تراجيديا واحدة ولا قصة واحدة ، العقلية العربية لا تشعر بالوحدة الفنية في العمل الفني الكبير ، لأنها تتعجل اللذة ، يكفيها بيت شعر واحد أو حكمة واحدة أو لفظ واحد أو نغم واحد أو زخرف واحد لتمتلىء طرباً وإعجاباً ، لهذا كله قصر العرب وظيفة الفن على ما نري من الترف الدنيوى وإشباع لذات الحس ، حتى الحكمة ، وشعراء الحكمة كانوا يؤدون عين الوظيفة : إشباع لذة المنطق ، والمنطق جمال دنيوى ، ولا أستغرب غضب نيتشه على إيرويد لاسرافه في هذا المنطق على حساب الموسيقى ، من المستحيل إذن أن نرى في الحضارة العربية كلها أى ميل لشؤون الروح والفكر بالمعنى الذى تفهمه مصر والهند من كلمتى الروح والفكر ، إن العرب أمة عجيبة ، تحقق حلمها في هذه الحياة ، فتشبثت به تشبث المحروم ، وأبت إلا ان تروى ظمأها من الحياة وأن تعب من لذاتها عباً قبل أن يزول الحلم وتعود إلى شقاء الصحراء ، وقد كان . إن موضع الحضارة العربية من « سانفونية » البشر كموضع الـ « سكيرتزو » من سانفونية بيتهوفن : نغم سريع مفرح لذيذ !!

لاريب عندى أن مصر والعرب طرفا نقيض : مصر هى الروح ، هى السكون ، هى الاستقرار ، هى البناء ، والعرب هي المادة ، هي السرعة ، هى الظعن ، هي الزخرف !

مقابلة عجيبة : مصر والعرب وجها الدرهم ، وعنصرا الوجود ، أى أدب عظيم يخرج من هذا التلقيح ! إني أومن بما أقول يادكتور . وأتمني للأدب المصرى الحديث هذا المصير : زواج الروح بالمادة ، والسكون بالحركة ، والاستقرار بالقلق ، والبناء بالزخرف ! تلك ينابيع فكر كامل ومدنية متزنة لم تعرف البشرية لها من نظير ، إن أكثر المدنيات تميل إما الى ناحية الروح وإما الى ناحية المادة .

حضارة واحدة قيل أنها استطاعت في وقت ما هذا المزج بين

الروح والمادة وهذا الاتزان بين عنصري الوجود ، تلك حضارة الأغريق . نعم أعود فأرد الى أمة الاغريق اعتبارها ، وأعترف أني عندما وضعتها في كفة المادة كنت متأثراً بكلام « تين » فضللت السبيل . « تين » عقل خلاب لكنه عقل . والعقل وحده بعيد عن فهم الجانب الروحي للمدنيات . ما هداني الى الحق الا القلب . . . الا طول تأملي في جبهة « البارتينون » . من دماغ ذلك الجواد الذي خلقته يد « فيدياس » ، فوق هذا المعبد خرجت أفكار توحي إلي بأن اولئك القوم كانوا أعمق مما نظن ، وكانوا يشعرون بشيء آخر غير مجرد المادة الظاهرة ، وما لبثت « ميلبومين » أن جاءتني ببينة أخرى ، وتأملت قليلا فرأيت القناع قد كشف . ذكرت أن أصل الاغريق جنسان مختلفان : اليونيون القادمون من آسيا المعروفون عند الهنود باسم « اليافاناس » أي عباد « يونا » ، والدوريون الحربيون البرابرة الهابطون من الشمال . اله اليونيين : « ديونيزوس » وإله الدوريين « أبولون » . وها هنا تفسير الاغريق : في هذا الصراع بين ديونيزوس رمز الروح والقوى الشائعة والنشوة . . . وبين أبولون رمز الفردية والشخصية الفارزة والوعي ، صراع بين الروح والمادة ، وبين القلب والعقل ، وبين النشوة والوعي ، ديونيزوس إله اسيوي فيما يخيل الي ، جُلب من الهند بالامراء . فغدا في اليونان ينبوع الموسيقى ، لهذا السبب قدرت إخفاق الفارابي ، ان الموسيقى العربية وليدة عقل واع ، لأن العرب أمة الفردية والوعي والمنطق العقلي والظاهر المحسوس ، ان العرب من عباد أبولون وهم لا يشعرون . ان العرب لا يمكن أن يفهموا ديونيزوس ولا نشوة ديونيزوس . تلك النشوة الدينية الجارفة التي تخرج صاحبها من سيطرة العقل والوعي كي تصله مباشرة بالطبيعة . إن أغاني عباد « باكوس » الحماسية في الغابات ومزامير الـ « ساتير » لشيء بعيد إدراكه على العقلية الفردية ، شعور الانسان في لحظة انه انقلب مخلوقاً له جسم جواد ورأس رجل ، أو رأس رجل وأرجل ماعز . هذا الاتحاد بين الحيوان والانسان احساس ليس له مثيل إلا عند المصريين القدماء . هذا التلاقي بين الأنواع وبين القوى في مخلوق واحد لهو عند الأولين بقية ذكرى تلك المخلوقات الألهية البائدة التي كانت تحكم الارض قبل ظهور الانسان . . . مخلوقات لا هي من الاناث ولا هي من الذكور ، لا هي من الحيوان ولا هي من الانسان ، لأن الأجناس والفصائل لم تكن قد فرزت . كذلك « الساتير » في الميتولوجيا الأغريقية رمز للانسان الأول ، ذلك الانسان الداني من الحيوان القريب من الآلهة ، يدنو من الحيوان بغريزته الجنسية المتيقظة ينبوع القوة الخالقة عند الاغريق كما هي عند المصريين ، ويقرب من الآلهة بغريزته الروحية المتصلة بقوى الطبيعة الألهية ، فهو ما زال يحتفظ بقبس من الحكمة العليا بدون أن يشعر ، ويبريق من ذلك النور الروحي والالهام الذاتي يرى به كتلة الزمن من ماض وحاضر ومستقبل في شبه لمحة واحدة .

تلك القـــدرة الخفية هي حاسة بائدة كانت للانسان الأول ، وفقدناها اليوم ، نعم فقدنا كل القوى الروحية التي منحتنا إياها الطبيعة يوم كنا نحبها ونتصل بها ، ولم يبق لنا اليوم الا العقل المحدود والمنطق القاصر . وها نحن اليوم في هـــذا الكون الهائل مخلوقات منفردة منبوذة ! أين ذهب ديونيزوس ؟ وهل يبعث من جديد ؟ واذا بعث فهل يجد من يعرفه في هـــذا العصر ذي الحضارة المادية الفردية ؟ !

رجل واحد مازال يذكر هذا الاله ويستطيع أن يعرفه إذا ظهر كما عرف غالياس أصحاب الكهف !! وهو وحده كذلك الذي يستطيع أن يستقبله باسم هذا العصر ، هذا الغالياس العصري هو : « تاجور » ، إنه يتكلم كثيراً عن ذلك الاتحاد بين الانسان والطبيعة . وعن ذلك الفاصل المرفوع بين الحياة الخاصة وبين الحياة العظمى التي تخترق الكون . وعن ذلك الحب بين الانسان والجماد . هذا كلام جميل . لكن هل تراه يشعر بحقيقته ؟ يخيل الى أن تلك الحقائق قد انطوت بانقضاء دولة الاغريق . بل لقد انقضت قبل أن تنقضي دولة الاغريق . انقضت بطغيان منطق سقراط على روح هوميروس . انقضت بطرد ديونيزوس من تراجيديات إيروبيد (غضبة نيتشـــه المعروفة) انقضت بظهور براكسيتيل على فيدياس ، انقضت بغلبة الاحساس العقلي على الاحساس الروحي ، انقضت بانتصار « أبولون » في النهاية على « ديونيزوس » . وهكذا اختل التوازن ، ورجحت كفة المادة ، وانطفأت الحضارة الأغريقية إلى الأبد . ولم ترث أوروبا منها غير كنوز العقل والمنطق ، وبقيت في الظـــلام كنوز ديونيزوس الخفية .

لم تنجح اليونان إذن النجاح المطلوب في تطعيم الروح بالمادة ، فهل تأمل مصر بلوغ هـــذه الغاية يوماً ؟ أرجو من الدكتور أن يجيب ، أنت وأصحابك ومدرستك قد فرغتم من تصوير وجه الأدب المصري ، ولم يبق الا صبغه باللون الخاص ، وطبعه بالروح الخاصة ، فما هو هذا اللون ؟ وما هي هـــذه الروح ؟ ان ردك على هذا السؤال نور يلقى على طريق الجيل الجديد .؟

(الرسالة) سيجيب الدكتور طه عن هذه الرسالة القيمة في العدد القادم

نظرة في نظام بيعة الخلفاء

النموذج الاول

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

— ١ —

جاء في صحيح البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام عند ما جاءه الموت قال «ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً» فقال بعض من حضر «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله» فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول «قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلون بعده» ومنهم من يقول غير ذلك . فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قوموا» ولم يكتب لهم شيئا .

ولعل الذى كان النبي عليه الصلاة والسلام يريده من ذلك أن يأمر بطريق الحكم بعده ، ولكنه لم يكن ليفعل شيئاً عبثاً فلم يمض فى ذلك وترك الأمر لاصحابه وأمته يختارون لانفسهم ويجتهدون في أمثل الطرق لحكومتهم .

ولم يكن من قبل ذلك نظام مقرر لاختيار الخلفاء فكان على المسلمين أن يبتكروا من الخطط أمثلها فى نظرهم بحسب ما تقتضيه الظروف والاحوال . وقد كان فى الاسلام دوائر متعددة عند موت النبي . فقد كان هناك الانصار أهل المدينة ، وبين ظهرانيهم المهاجرون من أهل مكة، وكان هناك اعيان مكة من القرشيين المقيمين فى عاصمتهم القديمة . وخارج هاتين المدينتين كانت قبائل العرب ، بعضهم من قبائل اليمن وبعضهم من قبائل مضر ، وكان كل من هذه الدوائر يشعر بالغيرة والانفة أن يكون تابعاً للدائرة الأخرى ، إذ ان الاسلام وان هذب عصبية العرب وصرفها نحو الخير، لم يقض عليها أو ينزعها من القلوب كلها . فرفع الانصار صوتهم أول شيء فقالوا إنهم أحق بالامر ، وتنادوا باسم زعيمهم سعد بن عبادة ، وهتف بعضهم هتافا كأنما يدعو الى تحكيم السيف فى الامر . ووقف المهاجرون الى جانب اخوانهم الانصار يجادلونهم بالحسنى، ويذكرونهم بما وجب عليهم من الحق فى ذلك الوقت العصيب ، وما كان الانصار ليثبوا وراء داعى الشقاق من أجل الحكم، وهم الذين قنعوا من قبل بأن يتركوا غنائم النصر الذى أحرزوه فى وقعة حنين للمؤلفة قلوبهم ورؤساء الاعراب الذين لم يكن لهم كبير أثر فى نصرة الاسلام، وقنعوا بأن يعودوا الى بيوتهم ورسول الله فى رحالهم راضين بذاء واجبهم ورضى ضمائرهم جزاء على أعمالهم . ما كان هؤلاء ليحرصوا على الحكم بل سمحت نفوسهم به، ورضوا بان يكونوا الوزراء دون الامراء بعد ان لم يرض المهاجرون بان يجعلوا منهم أميراً مع أميرهم .

فى هذا الموقف تقررت أمور كثيرة ذات خطر عظيم في دستور دولة المسلمين . فتقرر أن يخرج الأنصار من الأمر فلا يكون الخليفه منهم بل يكون من اخوانهم المهاجرين من قريش . وتقرر كذلك أن تكون دولة الاسلام موحدة منذ أبي المهاجرون الا أن يكون على المسلمين أمير واحد من المهاجرين، ولو قبل مبدأ أن يكون في المسلمين أميران أحدهما من أهل المدينة والآخر من المهاجرين من أهل مكة ، لانقسمت دولة الاسلام إلى قسمين من أول أمرها ولسار تاريخها سيرة أخرى غير التى سار فيها .

ولم يكن الأنصار وحدهم الذين رفعوا رؤوسهم يتساءلون عن الأمر لمن يكون ، بل ان قبائل العرب جميعها اشرأبت أعناقها تتطلع إلى الحوادث الجارية . فخرج بعضها عن الاسلام جملة ، وقال بعضها يجب أن يكون الاسلام ديناً لا حكماً فامتنعوا عن أداء الزكاة التى هى رمز الحكم وحق الدولة على رعيتها . غير أن ذلك الأمر لم يتعد الحد في خطورته فاستطاع المسلمون فى المدينة أن يبسطوا سلطانهم على القبائل مرة أخرى وأصبحت لهم بعد شهور قلائل دولة متحدة متماسكة .

على أن طريقة اختيار أبي بكر نفسه ؛ لم تكن طريقة اختيار بالمعني الصحيح . ولم يكن الحال عند ذلك يسمح للناس أن يطيلوا التفكير فى طريق الاختيار لملمهم بما حولهم من المشكلات والأخطار . فبعد أن اتفق المهاجرون والأنصار على المبادىء العامة ورضى الأنصار بمكانة الوزراء دون مكانة الأمراء ، لم يبق موضع للتردد الكثير فى قبول مرشح المهاجرين ، ولو سمى رجل من أكابر الصحابة غير أبى بكر للقى قبولا عند ذلك ، ولكن المسلمين وفقوا أكبر توفيق فى اختيارهم . وكان اختيارهم نتيجة شعور عميق وصراحة عقلية نادرة ، فلم يجاملوا ولم يحابوا ، بل نطق عمر بما وافق هواهم ، فسمى لهم أبا بكر فرضوا به ولم يتطلبوا أن يتبع فى أختيار خليفتهم رسم خاص ولا خطة تضمن صدق الاختيار . وأكبر الظن أنه لم يخطر ببالهم أن هناك طريقاً آخر غير أن يسمى أحدهم رجلا يرضونه فيبايعونه فلم يطل الأمر بعد المناقشة الأولى بل ازدحم الناس على أبي بكر يبايعونه وهم قانعون لما كانوا يعرفونه

من وداعته وقوته وقدمه في الاسلام. ولم يخل الأمر مع هذا من وجود بعض الساخطين على هذا الاختيار مثل سعد بن عبادة من أهل المدينة ومثل أبي سفيان من أهل مكة، ولكن سيرة أبي بكر في مدة حكمه أرضت عنه من كان كارهاً لطريقة اختياره منتقداً لها لما رأى فيها من السرعة وعدم التمام.

وكان ابو بكر نفسه يشعر بأن طريقة اختياره لم تكن معصومة من النقد فقد روي عنه أنه لما مرض مرضه الاخير دخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان بينهما حديث طويل جاء فيه أن ابا بكر كان يشعر بالندم الشديد على أنه لم يكن قد سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا الأمر لمن هو حتى لا يختلف فيه الناس، وعما اذا كان للأنصار حق فيه أم هو وقف على قريش

ولم يرض ابو بكر ان يترك الناس للاختلاف مرة أخرى فقد كانوا في المرة الاولى حديثي عهد بالرسول، فكان أثر شخصه العظيم داعيا الى زوال كثير من الحرص وتملك الزهد في النفوس وخشي ابو بكر أن يكون للناس عند موته فرصة للخلاف مع وجود جنود المسلمين في وجهين عظيمين تلقاء مملكتي الفرس والروم، فرأى أسلم طريق أن يعهد الى صاحبه المجرب ووزيره القوي المؤتمن عمر بن الخطاب.

غير أن طريقة استخلاف عمر كانت طريقة جديدة قابلها أهل المدينة بالرضى الصامت الذى لا يخلو من النقد الصامت، بل قد صعدت بعض أصوات النقد من بعض الزعماء، فان طلحة مثلا قيل إنه لام أبا بكر على اختيار عمر إذ كان يرى فيه شدة وصلابة، وقد روي ان عبد الرحمن بن عوف نفسه عندما دخل على ابي بكر في مرض موته استشاره ابو بكر في تولية عمر فانكر عليه ذلك وقال إن فيه شدة وصلابة

وعلى كل حال قد مضى ابو بكر في عهده الى عمر وسن بذلك سنة جديدة، وهي أن الخليفة له أن يفرض على المسلمين أن يتبعوا رأيه بعد موته في تولية من يختار لهم بغير أن يكون لهم الحق في أن يحيدوا عنه، أو يعدلوا من رأيه، فكانت تلك سابقة للطريقة التي سيتبعها عمر في رسم خطة اختيار الخليفة بعده

غير أن ابا بكر وان ابتدع سنة جديدة لم يخرج على السنة التي رسمت في أول الامر فاختار الخليفة بعده من المهاجرين.

ولما قتل عمر بن الخطاب كانت الدولة في حال غير حالها الاول فقد فتحت الفتوح واستقر العرب في البلاد المفتوحة وأنشأوا فيها أمصاراً لهم وعظمت شوكتهم فلم يكن يخشى عند موته من خذلانهم اذا طالت مدة اختيار الخليفة بعض الطول. فلم يشأ عمر ان يترك الناس لطريقة اختيار أبي بكر خوفاً من كثرة التردد والاختلاف، وما قد ينجم عنه في بلاد مثل بلاد العرب يسهل أن يثور فيها تعصب القبائل والعشائر ولا سيما بعد أن صار في المسلمين زعماء كثيرون معروفون امتازوا في حوادث الفتح بحسن الفعال واصالة الرأى ولو لم يكونوا من أصحاب السابقة في الاسلام الذين جرى المسلمون على تقديمهم في أول الأمر، وكذلك لم يشأ عمر أن يوصي الى رجل واحد كما أوصى أبو بكر اليه، فانه رأى أن في ذلك الشيء الكثير من عبء المسئولية والاستبداد بالرأى في وقت ليس فيه ما كان عند وفاة أبي بكر من الخطر على الدولة وجنودها في ميادين القتال. فابتكر عمر طريقته المعروفة وهي وسط بين فرض الرأى وبين ترك الاختيار، ففرض رأيه في ترشيح جماعة من الزعماء أولى القدم والسابقة في الاسلام، ولم يخرج عن السنة الاولى، فاختارهم جميعاً من المهاجرين وترك لهم بعد ذلك أن يختاروا واحداً منهم يرضونه في مدة أيام ثلاثة، وأمر زعيماً اسمه مسلمة بن مخلد ألا يدعهم الا مدة تلك الأيام الثلاثة

وكان اجتماع هؤلاء المرشحين أهل الشورى وطريقهم في الاختيار خطوة واسعة في سبيل بناء دستور عربي متين لو بلغ مداه لكان من أتم نظم الحكومات

أخرج أحدهم نفسه من الأمر واجتهد اجتهادا لا يصدر الا عن قلب عامر بحب المصلحة العامة، وقضى الليالي الثلاث التي جعلت للاختيار وهو لا ينام ولا يستريح بل يقضي الوقت كله في سؤال الناس سراً وعلانية. فسأل الأنصار والمهاجرين وسأل زعماء المسلمين وسأل قواد الجنود الذين وجدهم في المدينة عند ذلك وهم يمثلون الجنود العرب الذين بالأمصار، فكان بذلك ساعياً الى الاستنارة برأى مختلف الدوائر، واستشارة مختلف الطبقات، والنظر الى الأمر من مختلف النواحي. فلم يكن بين هذا وبين الانتخاب العام الا خطوة واحدة، وهي أن يحصر حق الانتخاب في جماعة تتوافر فيهم صفات معينة وأن تؤخذ آراؤهم بطريقة منظمة

وقد تبين لعبد الرحمن من وراء بحثه ان الناس لا يقدمون احداً تقديمهم لزعيمين من الصحابة من اهل الشورى وهما على وعثمان، فلما ان استقر رأيه على اختيار واحد منهما ثارت في وجهه مسائل جديدة اولها المنافسة القديمة بين بيتي قريش: وهما بيت هاشم، وبيت امية، وثانيها ما كان في بيت هاشم من الاعتقاد بأن لهم الحق في الامر لقرابتهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام

وخشي اذا هو اختار عليا ان يحمل ذلك على انه انما اختاره لقرابته من الرسول لا لفضله وصفاته السامية ، فكان فى امره فى حيرة شديدة ، وخرج منها على ان يطرح على المرشحين سؤالا يكون بمثابة استطلاع لبرنامج كل منهما اذا هو ولى الحكم . فجمع الناس فى المسجد وعرض سؤاله فقال : « هل انت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل ابى بكر وعمر ؟ » . فرأى على ان معنى ذلك تقييده فوق كتاب الله وسنة الرسول بفعل خليفتى المسلمين قبله . ورأى أنه لا يحسن به أن يقيد نفسه بغير الكتاب والسنة تاركا لنفسه بعد ذلك الاجتهاد والنظر وان خالف رأى صاحبيه . وكانت اجابته على ذلك ان قال : « اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتي » ، واما عثمان فانه قال : « اللهم نعم » ، وكان عبد الرحمن ممن يرون اتباع السلف فيما ساروا عليه منذ كانوا فى ذلك مجتهدين ، ومنذ دلت الحوادث على حسن سياستهم فيه وسلامة عاقبة حكمهم . فرأى اختيار عثمان ورفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال : « اللهم اسمع واشهد . اللهم انى جعلت مافى رقبتى من ذاك فى رقبة عثمان » ، وازدحم الناس بعد ذلك على الخليفة عثمان يبايعونه .

فخرجت الأمة الاسلامية من ذلك الموقف بسابقة جديدة منظمة تنظيما كبيراً صالحة لأن تكون أساساً لنظام واف صالح لاختيار الخلفاء ، ففيه نواة الانتخاب العام ، وفيه نواة النظر والموازنة بين المرشحين ، وفيه نواة ادخال جميع العرب فى حق الاختيار ، سواء أكانوا من أهل المدينة أم من أهل جزيرة العرب أم من أمصار البلاد المفتوحة . وفيه فوق كل ذلك نواة لرسم خطة للحكم يسأل عنها الخليفة قبل توليته ، ويكون اختياره بعد الافصاح عنها والتصريح بها وبذلك يكون عليه الوفاء بما تعهد به من الشرط قبل استخلافه .

ولم يبطىء العرب فى تلقف هذه الحقوق ولم يتهاونوا فى المطالبة بها فى عهد عثمان ولم يترددوا فى الثورة عندما رأوا أن خليفتهم لم يف بما تعهد به . (يتبع)



التجديد فى الأدب

حول مقال الاستاذ أحمد أمين

للدكتور عبد الوهاب عزام

قرأت المقال الثاني الذى تكلم فيه الأستاذ عن « التجديد فى العبارة » فرضيت آراء وأنكرت أخرى .

وأول ما آخذ على المقال أنه لم يحكم تحديده فالقارىء يحس أن كاتبه أراد أن يعالج التجديد فى المعني والعبارة معاً .

يقول الاستاذ فى مستهل مقاله : « واليوم أعرض لضرب آخر من ضروب التجديد وهو التجديد في العبارة . وأعنى بالعبارة الجملة التى يؤدى بها المعنى على اختلاف ألوانها من حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة وكناية . » ولست أدرى كيف يكون التجديد فى التعبير الحقيقي ؟ الحقيقة لفظ مستعمل فيما وضع له . فاذا اتفق معنى لشاعر فى الجاهلية فأداه بالفاظ حقيقية ثم وقع المعني بعينه لشاعر معاصر فأراد الابانة عنه بلفظ حقيقى لم يمكن التجديد فى الأداء الا بالاسهاب أو الايجاز وليس هذا ما يريده الأستاذ ، أو بايثار لفظ حقيقى على آخر مثله وهذا يرجع الى بحث الألفاظ الذى فرغنا منه فى مناقشة المقال الأول ، اذا أراد شاعر معاصر أن يبين بالفاظ لا تجوّز فيه عن قول القتال الكلابي :

ولما رأيت أننى قد قتلته ندمت عليه أى ساعة مندم

لم يستطع فى هذا تغييراً يلائم العصر الحاضر ، ولم يواته إلا أن يضع أبصرت مكان رأيت أو أسفت موضع ندمت أو يقدم ويؤخر فى الكلمات . وليس هذا هو التجديد فى العبارة الذى عناه الاستاذ . أي تجديد فى العبارة يستطيعه قائل يريد أن يترجم عن هذا المعنى :

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا

انما يمكن التغيير فى المجازات والكنايات والتشبيه والتمثيل مما يمكن فيه تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة ، وتصوير الحقيقة الواحدة بصور شتى وألوان عدة تتجلى فيها أثر الخيال والمعايش المختلفة ، والأزمان والبلدان المتباينة . وهو موضوع لا يغنى فيه الاجمال ولا غنى به عن التفصيل :

١ — بعض المجازات والكنايات جرت مجرى الحقائق حتى

نسي أصلها أو كاد. ولا يدرك فيها التجوز أو الكناية الا بالبحث والرجوع بالكلمات الى أقدم أصولها المعروفة. وذلك مثل أسبل المطر، وفلان زميل فلان. وأرهقه العمل، وراض نفسه على الأمر، ودهماء الناس، وأمثال هذا مما شاع استعماله حتى ساوى مجازه الحقيقة أو غلب عليها فلم يبق المعنى الحقيقي شاهداً بأصل الاستعمال ودالاً على التجوز في غيره، كما يعرف التجوز في قولنا زلة في رأيه، وزرع المودة في قلبه، وسمع زئير الحرب، بينما هذه الألفاظ معروفة ذائعة الاستعمال في معانيها المحسوسة.

وحكم هذا المجاز حكم الحقيقة لا تجديد فيه ولا تغيير على الاسلوب الذي يريده الاستاذ أحمد أمين.

٢ ـ وأما المجازات التي يظهر فيها التجوز، ويبين فيها التخيل فبعضها يخترعه الكاتب البليغ الذي يحس في نفسه المقدرة على تصريف الكلام وخلق العبارات. وهذا مأخوذ من عقل الكاتب، او المتكلم واحساسه وعلمه كما يسمي الجمل سفينة الصحراء. ويسمى الرجل الجريء أسداً وذئباً الخ. وكما يسمي أحدنا الغواصة مثلا نسر الماء، ومنطاد زبلين حوت الهواء، ويقول عن خبر فظيع جاءه بالتلغراف: هذه إحدى صواعق البرق. ويشبه الرجل العليم بأخبار العالم وأحواله بالراديو الخ. وينبغي ألا ننسى أن علم الانسان وعقله ليسا مقصورين على البيئة التي يعيش فيها بل من هذه البيئة ومما رأى أو سمع عن بلاد غابرة أو حاضرة، وأمم ذاهبة أو قائمة. فقد يسوغ للكاتب المصري أن يستمد مثلاً أو تشبيهاً مما يعرف عن أمم الاسكيمو أو مما عرف عن الأمة المصرية القديمة أو الأمة العربية قبل الاسلام، أو من خرافات اليونان الأقدمين. فاذا قال عن رأي سيء يظهر بمظاهر مختلفة انه غول متلونة أو عن فكرة سخيفة في نفس باردة أنها كواحد من همج الاسكيمو يقطن بيتاً من الثلج لم يكن لأحد أن يقول له: انك لم تر الغول ولا عاشرت الاسكيمو فينبغي أن يكون بيانك خالياً من التشبيه بهما. وإنما شرط هذا أن يكون مصدر المجاز أو التمثيل معروفاً لا يقف بالقارىء عنده غموض أو اغراب.

وضرب من المجازات وما اليها ينشأ هذه النشأة ثم يذيع وتتداوله الأجيال حتى يصير مظهراً لبيان الأمة وخيالها لا لخيال كاتب أو متكلم كالذى ورثناه في لغتنا عن بلغاء العربية في الجاهلية والاسلام.

وهذا جدير بالاستعمال، فلكل كاتب أو متكلم أن يتوسل به إلى البيان وان كان مصدره غريباً غير مألوف، بل ينبغي المحافظة عليه بما يبين عن تاريخ الأمة وحياتها في طور من أطوارها.

فلا عيب أن يقول القائل: أخذه برمته، وترك حبله على غاربه، وماله خف ولا حافر، ورموا عن قوس واحدة، واعطى القوس باريها، وألقى عصاه، والقافلة تسير، والكلاب تنبح، كالمستجير من الرمضاء بالنار، كمهدي التمر الى هجر، أعقد من ذنب الضب، أعدى من الشنفري، مرق مروق السهم، اختلط الحابل بالنابل، أهدى من القطا، وهلم جرا.

ولغات الأمم الأخرى حفظت كثيراً من عاداتها القديمة وتاريخها ولست أضرب مثلا باللغة الفارسية أو التركية أو الأردية فهي لغات شرقية لا تصلح حجة في هذا العصر، ولكن أضرب مثلا من اللغة الانكليزية والفرنسية: يقال في الانكليزية لمن يبالغ في كلامه: «ينزع في القوس الطويلة» ولمن يخير بين أمور عدة: «عنده أوتار القوس واحدة»[1] وهذه العبارة الأخيرة في اللغة الفرنسية أيضا[2]. ويقال في الإنكليزية في تقدير المسافة: «على رمية سهم»[3] كما يقال في العربية «مقدار غلوة». ويقال في الفرنسية لمن يتوسل الى غايته بكل وسيلة: «يبرى سهاما من كل خشب»[4]. وأمثال هذا كثير. فما منع الانكليز والفرنسيين استبدالهم بالأقواس والسهام آلات الحرب الحديثة منذ مئات السنين، أن يبقوا على العبارات التي حدثت في عهد الاقواس والسهام.

لست أقول ينبغي أن نلزم العبارات القديمة ونأبى كل عبارة حديثة فلا أحد يستطيع أن يحول بين الناس وبين الابانة عما في أنفسهم بوسائل مشتقة من حياتهم ولكني أخشى أن تكون الدعوة الى الجديد دعوة الى هجر القديم، ونحن في هذا العصر ـ عصر الفتن أحوج ما نكون الى التمسك بالقديم، والاستمساك دون التهافت في التقليد، والضلال بين القديم والجديد. ومن ينعم النظر في صحفنا ومنشآت طلبتنا يعرف كيف تركنا كثيرا من عباراتنا الجيدة الموروثة الى عبارات غثة ضعيفة لا تكاد تبين عما وراءها.

ثم يتكلم الأستاذ عن مسايرة الأدب الغربي للزمن ووقوف الأدب العربي، فيقول: «ذلك بأن الأدب الغربي ساير الزمن واعترف بكل ما حدث فيه واستمد منه، على حين أن الأدب العربي

(1) to draw the long bow — to have two strings to one's bow
(2) avoir plusieurs cordes a son arc.
(3) arrow-shot
(4) faire fléche de tout bois.

الحديث أغمض عينيه عن كل ما كان ، ولم يعترف بوجوده الخ ، »

ولو رددنا الأمور الى نصابها وتجاوزنا ظواهر الامور الى بواطنها ما رأينا في هذا قصور الأدب العربي ، ولا عجز أدباء العربية بل عرفنا فيه قصورنا في العلوم والفنون الحديثة أو حداثة عهدنا بها . الأدب ترجمان الحياة العامة فهو لا يتناول مسائل علم واصطلاحاته حتى تشيع أوليات هـذا العلم بين الأمة شيوعا يدخل مصطلحاته في لغة التخاطب . ولا ينبغي للأديب أن يدخل في الأدب المسائل العلمية أو الأسماء التي لا تزال مقصورة على العلماء المختصين بها . فاذا جاوزتهم الى جمهور الامة ودخلت في لغة الكلام ساغ للأديب أن يتناولها . في الكيمياء ، مثلا ، مسائل عويصة لا يعرفها الا علماء الكيمياء فهذه المسائل ستبقى وقفا على العلماء مخبوءة بين أجهزة الكيمياء ، ولن تخرج الى لغة الخطاب العامة فتدخل في الأدب الا أن تصير الامة أو جمهورها من علماء الكيمياء . وهناك مسائل من أوليات هذا العلم كصفات الاحماض ، وتأثير بعض العناصر في بعض .

وهذه تدخل في اللغة العامة وتتهيأ للدخول في الأدب حين يشيع في الأمة علمها فلا يختص بها الكيميائيون . ومن أجل هذا تجد طلاب الفلسفة أو الطب أو النحو يتفكهون بتشبيهات من هذه العلوم لا يفقهها غيرهم اذ شاع علمها بينهم وصلحت للدخول في لغة تخاطبهم . واذا رجعنا الى تاريخ الأدب العربي عرفنا أن اصطلاحات الفلسفة والمنطق وغيرهما لم تدخل في الأدب أول عهد المسلمين بهذه العلوم . ثم شاعت بعض قضاياها واصطلاحاتها فساغ لأبي نواس وأمثاله أن ينظموها في شعرهم . كما قال أبو نواس:

تأمل العين منها ... محاسنا ليس تنفد

فبعضها يتناهى ... وبعضها يتولد

فالتناهي والتولد من اصطلاحات الفلاسفة، وكما قال البحتري :

وكأن الزمان اصبح محمولا ... هواه مع الأخس الأخس

فهو فيما أظن يشير الى قول المنطقيين ان النتيجة تتبع أخس المقدمتين .

وكقول المعري :

طرق العلا مجهولة فكأنها ... صم العدائد مالها أجذار

أدخل في شعره من أسماء الحساب العدد الأصم والجذر .

وكقول الفارابي في اصطلاحات الهندسة :

وهل نحن إلا خطوط وقعن ... على كرة وقع مستوفز

محيط السماوات أولى بنا ... فماذا التنازع في المركز؟

وقد يكفي في هذا أن تشيع القضية العلمية بين المتأدبين من الامة ولا ينتظر بها أن تشيع بين الجمهور . ولا يتسع المجال للافاضة في البيان هنا .

ومهما يكن الأمر فقد غلا الاستاذ اذ قال : « أما الأدب العربي فيحارب متر ليوزا بقوس وسهم ، ويضيء في أدبه سراجا بزيت والناس قادمون على أن يغيروا المصباح الكهربائي بخير منه ويبكي الأطلال ولا أطلال ، ويحن الى سلع ولا سلع ، ويستطيب الخزامى والعرار ولا خزامى لدينا ولا عرار . » هل يستطيع استاذنا أن يعرفنا بشاعر أو كاتب في مصر أو الشام أو العراق يفعل هذا ؟

ويقول الأستاذ : « وسبب آخر من أهم الأسباب في فقر الأدب العربي في التعبير . هو أن الأدب العربي الحديث أدب ارستقراطي لا أدب شعبي . » وأنا لا أخالف هذا الرأي في جملته ولكن لي فيه مآخذ

(١) ليس حقاً أن أحاديث الخاصة من متعلمينا وتنــادرهم وفكاهاتهم باللغة العامية . فأحاديث الخاصة من المتعلمين أقرب الى لغة الكتابة من اللغة العامية . ومراقبة مجلس الأدباء والعلماء تشهد بما أقول .

وفي هذا نفسه بيان خير الوسائل الى مادعا اليه من ازالة الحواجز القوية بين العامية والعربية على أي وجه يرضـــاه قادة الأمة ، وذلك ان قرب أحاديث الخاصة من لغة الكتابة يبين لنا الطريق التي ينبغي أن نسلكها لازالة هذه الحواجز . فليس لنا من وسيلة الا أن ترقى العامة حتى تستطيع ان تفهم عن الخاصة اذا حدثتها . فكلما شاع التعليم في الامة ارتقت العامة الى مستوى أقرب الى لغة الأدب . ونحن اليوم سائرون في هذه السبيل وقد سمعت في السنين الأخيرة جماعة من العامة وأشباه العامة يخطبون ويتكلمون بلغة لا تخالف لغة الكتابة الا قليلا . وآلاف المتعلمين من طلاب مدارسنا وآلاف القارئين الذين يستطيعون مطالعة الصحف والكتب عاملون كل يوم للتقريب بين العامية والفصحى .

(٢) ثم قد غلا الأستاذ حين قال : « وكل أمة قد كسبت من توحيد لغتيها الكلامية والكتابية ما لا يقدر ، فقد أصبح الشعب كله منتجاً أدبياً وتعبيراً قويا . » ليس في العالم شعب ينتج كله أدباً قويا ولا يزال الخاصة من الأدباء منتجي الأدب وأئمته ، بل أنقه الأدباء أقربهم الى العـــامة . فلا يزال عنـــد الاوربيين فوارق بين أدب العامة وأدب الخاصة وستبقى هذه الفوارق ما دام اختـــلاف العلماء والجهال في عقولهم ومشاعرهم ، وكل

الذي تبغيه أن يلتقي العامة والخاصة في مقدار من الادب مشترك هو أعلى ما تسمو اليه العامة وأدنى ماتنزل اليه الخاصة . ولن يزول الفارق بين الادبين أبداً.

وكيف يوفق الاستاذ بين دعوته إلى أن يساير الادب العلم وتستحكم الصلة بين كلية الآداب وكلية العلوم وبين دعوته الى توحيد الادب والمساواة فيه بين الخاصة والعامة . أيمكن أن يكون جمهور الامة آخذاً بحظه من كلية العلوم أيضاً .

(٣) ثم الفكاهات والنوادر . يقول استاذنا الفاضل . « حسبك دليلا على ذلك أن النكت والنوادر ، وهي من أهم أركان الادب ، لا تجد منها شائعا في أدبنا العربي عشر معشار ما تجد في الادب العامي . وأن النادرة تحكى بالعامية فتضحك الى أقصى حد ثم تحكيها باللغة الفصحى فتخرج باردة تافهة »

نظر الاستاذ الى هذه القضية من جانب واحد . والحق أن النكتة تبلغ مبلغها فيما وقعت فيه من حال وعبارة . فالذين يشهدون الواقعة المضحكة أو يسمعون الكلمة المضحكة أكثر ضحكا لها ممن رويت لهم في غير أحوالها أو بغير ألفاظها ، بل ينطق الرجل بالكلمة فيضحك لها الناس فاذا رواها غيره بلفظها في مثل حالها لا تبلغ من النفوس ما بلغته أول مرة لما فاتها من أثر القائل الاول . واذا اختلفت العبارة فأحرى أن يختلف التأثير . فاذا ترجمت الفكاهة من لغة الى أخرى ضاع أثرها كله أو بعضه واذا نقلتها من عبارة الى أخرى في لغة واحدة لم تبق على حالها الاولى . فان تكن النكت العامية تبرد اذا نقلت الى العربية الفصحى فكم من نادرة فصيحة تموت اذا نقلت الى العامية . وكثير من فكاهات الجاحظ و « كتاب الحمق والمغفلين » لابن الجوزي لا يمكن نقلها الى العامية ؛ كالفكاهات المتعلقة بالنحو والعروض والفقه ونحوها . وكثير منها يضعف أثره وان أمكن نقله . والا فكيف تترجم الى العامية هذه العبارات :

قال رجل للحسن يا أبي سعيد . فقال كسب الدرانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد . وقدم رجل من النحويين رجلا الى السلطان في دين له عليه فقال أصلح الله الامير لى عليه درهمان

قال خصمه : لا والله أيها الامير ان هي الا ثلاثة دراهم لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما . واعتبر كل ما في كتب الادب من ملح تجد أكثرها يجري هذا المجرى .

ولاريب أن لغة التخاطب ولغة الكتابة أو لسان العامة ولسان الخاصة كانا متقاربين في عهد الجاحظ ولم يكن بينهما ما بين الفصيحة والعامية اليوم . ولكن الفكاهات اذ ذاك كانت كما هي اليوم لا تصلح للنقل من لغة الى أخرى . قال الجاحظ :

« ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج ألفاظها . فانك ان غيرتها بأن تلحن في اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ومُلحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا الخ » .

وكذلك يقول قدامة بن جعفر في كتاب نقد النثر : « وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز ان يستعمل فيه غيره . وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء . فانه متى حكاها الانسان بغير ما قالوه خرجت عن معنى ما اريد بها وبردت عند مستمعها .

(٤) وبعد فلا ينبغي أن تسف لغة الآداب العالية الى مستوى العامة بل يجب ان ترقى العامة الى مستوى لغة الآداب او ما يقرب منه . على ان هذا التباعد بين ما يسميه الاستاذ « الادب الارستقراطي » وما نسميه « الادب الشعبي » مظهر واحد من مظاهر الاختلاف بين عامتنا وخاصتنا ، بين الفريقين تفاوت عظيم في العقل والمعرفة والازياء والمساكن وطرائق المعيشة . ولا بد من تقريب المسافة بين العامة والخاصة في هذا كله قبل أن يشتركا في لغة واحدة ويستمتعا بأدب واحد فان الادب الصحيح ترجمان معيشة الامة .

التجديد في الادب

للاستاذ احمد امين

— ٣ —

من أوضح الظواهر أن الجمهرة العظمي من المتعلمين الذين درسوا أدباً عربياً وأدباً أجنبياً يعكفون على الادب الاجنبي يتذوقونه ويكثرون من مطالعته، في جدهم إن شاءوا الجد، وفي لهوهم ان شاءوا اللهو. وهم ان قرأوا في الادب العربي ففي القليل النادر، وإن فعلوا لم يطيلوا ولم يتعمقوا، وقل أن يدرسوا كتابا دراسة جيدة، إنما أكبر همهم أن يقلبوا صفحات الكتاب ليقع نظرهم على أبيات من الشعر يستملحونها، أو قصة طريفة يتفكهون بها. ومكتبتهم — على قلتها — تمثل ميلهم، فالكتب الانجليزية أو الفرنسية فيها غالبة، والكتب العربية قليلة نادرة.

ذلك ولا شك حال أغلب المثقفين ثقافة عصرية.

ويذهب بعض الباحثين في تعليل هذه الظاهرة إلى أن السبب يرجع إلى فساد تعليم اللغة العربية وآدابها في المدارس، فان أساتذتها لايحببون الى الطلاب الادب العربي، ولا يصلون به إلى نفوسهم، وإنما هي أمثلة محدودة تتكرر عاما بعد عام، ونماذج من الشعر والنثر تعرض مرة بعد مرة، ولا غرض من دراستها الا ان يذكرها الطلبة عند الامتحان فيؤدوها كما تليت عليهم، ثم تذهب بذهاب الامتحان، لانهم قد تجرعوها على مضض، فهم يفرحون بنسيانها فرح المريض — وقد شفي — بالخلاص من دواء مر المذاق.

قد يكون هذا سببا صحيحا، ولكنه فيما ارى ليس بالسبب الجوهرى، فان بعض اللغات الاجنبية التي تدرس بيننا ليست دراستها باحسن حالا من دراسة اللغة العربية، ومع هذا فالطلبة يسيغون أدبها ويتذوقون كتبها بما لا يظفر ببعضه الأدب العربى.

اهم سبب عندي يرجع الى موقف الادبين الأدب العربى والأدب الاوربى.

ذلك أن كل أدب اوروبي له قديم وحديث، والادب الحديث هو الذي يناسب جمهور المتعلمين وعامة الشعب، لانه في الغالب يعرض لما يشعرون به فيعبر عنه التعبير الفني، فالاديب المحدث يرى ظاهرة اجتماعية فيضعها فى قصة، أو منظرا جميلا فيضعه فى قصيدة، أو معنى أثارته فى نفوس قومه أحداث سياسية أو اقتصادية فيضعه في مقالة أو كتاب، فيقبل الجمهور على قراءة ذلك و يعجبون به، وسبب الاعجاب أن الاديب شعر بما يشعر به الجمهور. واستطاع أن يعبر عنه التعبير الفنى الذى لا يستطيعه الجمهور. أما الادب الاوربى القديم فانما يناسب خاصة المتعلمين لأنه يتطلب دراسة لغوية وأدبية عميقة كما يتطلب — لتذوقه — أن يلم المتعلم بشيء كثير من المسائل التاريخية والاجتماعية التى احاطت بالاديب وبالقطعة الفنية حتي يستطيع ان يفهمها فهما صحيحا، وليس ذلك فى مكنة السواد الاعظم من الناس. فالذين يفهمون الالياذة والاوديسة وخطب ديمستين قليل بالنسبة الي الذين يقرأون الادب الحديث و يفهمونه، وكذلك الذين يفهمون الادب الانجليزى أو الفرنسى فى القرون الوسطي ويتذوقونه هم الخاصة من الادباء، وان قرأ الجمهور شيئا من الأدب القديم فانما يقرأه مترجما الى اللغة الحديثة. أو معروضا في شكل جديد قد ذللت فيه كل الصعوبات التى يحتمل أن يلقاها القارىء العادى. اما الادب الانجليزي او الفرنسى الحديث فيكاد يكون حظ الانجليز او الفرنسيين جميعا

وسبب ذلك ان الادب هو نقد الحياة فى اسلوب فني، واذ كانت كل امة تفهم حياتها الحاضرة فهما ما — وان اختلفوا فى مقدار الفهم — كان الادب الحديث اقرب الى فهمهم وأيسر متناولا لجمهورهم. واذ كان الادب القديم وصفا لحياة قديمة لايستطيع فهمها فهما صحيحا الا من عرف بيئتها و تاريخها، كان ذلك الادب ادب الخاصة

* * *

وبعد. فالادب العربي أدب قديم لا حديث له، وان شئت تعبيرا دقيقا فقل انه ادب قديم لم يستكمل حديثه، لذلك كان الادب العربى أدب الخاصة لا ادب الجمهور

لايستطيع القارىء ان يفهم الادب العربى القديم الا بفهم دقيق للتاريخ، وفهم بالغ للظروف الاجتماعية التى نشأ فيها الأدب ومعرفة واسعة بالجغرافيا، وعلم تام بقوانين الصرف المعقدة كأنها قوانين اللوغارتمات ليعرف كيف يبحث في معاجم اللغة العربية عن كلمة غريبة، وليس يصبر على ذلك كله الا المجاهدون الصابرون، وقليل ماهم.

يريد سواد المتعلمين ان يغذوا مشاعرهم من حب يحلل تحليلا دقيقا، او اعجاب بمنظر طبيعى ملك عليهم نفوسهم، فارادوا ان يصور هذا الاعجاب فى قطعة فنية، او تبرم بأسر ورق فهم يريدون ادبا يتغنى بالحرية ويحفز النفوس الى تحقيقها، او الم من سوء حالة اجتماعية فهم يبتغون قصة تمثلها، اوقصيدة تصفها، او كتابا يحللها،

او نحو ذلك من ضروب المشاعر فلا يجدها فى الادب العربي الحديث الا قليلا نادرا فيضطر الى الادب الاجنبى يقرأه ويتغنى به ويستمرئه ، وهو على الرغم من ان ذلك الادب ليس بلغته ، ولا يصف مشاعر تمثل بالدقة مشاعره ، ولا يحلل حالات اجتماعية تشبه مشابهة تامة حالاته ، على الرغم من ذلك كله مضطر أن يقرأه ، اذ ليس عنده من ادبه ما يكفى لغذائه ، وفى الادب الغربى كل صنوف الغذاء على اختلاف الانواع وعلى اختلاف الاساليب ؛ ان شاء سهلا ، وجد السهل ، او صعبا وجد الصعب ، او بين ذلك وجد بين ذلك ، واذا غمض عليه لفظ استطاع ان يكشف عنه فى المعاجم من اول درس تعلمه ، فكيف لا يهمل بعد ذلك الادب العربى ويعكف على الادب الغربى ؟

ان شئت فوازن بين ما يدرسه الطالب فى المدارس الثانوية او العالية فى الادبين ، فهو فى الادب الغربى يدرس شكسبير و أمثاله فيجد موضوعا شيقا يمثل حالة من الحالات التى تتصل بنفسه ، وتمس حياته الاجتماعية بقدر ما ، قد صيغت فى قالب فنى رشيق ، فيخرج من الدرس يحبها ويحب موضوعها ، اما فى الادب العربى فيدرس مختارات من جرير والفرزدق والاخطل ، او مختارات من مقامات البديع والحريري او نحو ذلك ، وهذه كلها لا تمثل ناحية اجتماعية يحياها او ما يقرب منها ، ولا فكرة عميقة حللت تحليلا واسعا ، لذلك يخرج منها وهو لا يحبها ، او على الاقل يكون على الحياد منها .

لست انكر ان فى جرير و أمثاله ، والمقامات وأمثالها ، وفى الادب العربى على العموم جمالا وفنا وابداعا ، ولكن ذلك لا يدركه الا الخاصة الذين مرنوا طويلا على الدرس وبذلوا الجهد فى تدريب أذواقهم على تقويمه واستساغته ، وليس ذلك فى استطاعة كل الطلبة ولا اكثرهم .

فان انت نظرت الى الادب العربى الحديث فماذا ترى ؟ ترى كثيراً من الادب الغربى قد ترجم الى العربية ، وليس من الحق ان نعد هذا ادباً عربياً فى جوهره وموضوعه ، اذ ليس له من العربية إلا لغة ملتوية على النمط الغربي ، وترى نتاجاً مبتكراً قليلا ، واكثر هذا القليل مقالات و فصول جمعت بعد ذلك وسميت كتباً مجازاً ، لا تربطها وحدة غالبا إلا بضرب من التمحل . والبقية الباقية من القليل هى التى يصح ان تسمى ادباً عربيا حديثا لم يكتمل .

ذلك فى نظرى أكبر سبب فى انصراف جمهور المتعلمين عن الادب العربي ، فان أريد اقبالهم عليه فلا بد من انتاج حديث وافر يغذى كل مشاعر الحياة كما يغذى العقول ؛ وليس من الحق ان تدعو السواد الاعظم الى الادب العربى قبل ان نستكمله او على الاقل نوجد فيه ما يسد رمقهم ، وان أردنا الانصاف فواجب ان ندعو الدعوتين : دعوة الادباء فى العربية الى ان ينتجوا ، ودعوة القراء الى ان يقرأوا .

وينجح الادباء اذا اقتصروا على ان يحتذوا حذو القدماء شكلا وموضوعا دون ان يمسوا حياتهم الواقعية وبيئتهم الاجتماعية ومشاعرهم النفسية ؛ فالادب متغير ، خاضع لقانون النشوء والارتقاء ، فاذا تقيد أدباؤنا بالموضوعات التى عالجها القدماء وبالاشكال التى صب فيها الادب القديم ، عد ادبهم قديما لا حديثا ، ولم يصلح علاجا لما نصف من امراض .

مثال ذلك : انا اذا وضعنا ايدينا على مختارات البارودى ، وهو كتاب ضخم فى اربعة اجزاء اختار فيها لثلاثين شاعرا من شعراء العصر العباسى ، وجدناه قد اختار نحو اربعين الف بيت ، منها اكثر من اربعة وعشرين الفا فى المديح ، واذا اضفت الهجاء والرثاء الى المديح وجدت جميع ذلك يقرب من ثلاثين الفا ، والربع الباقى فى الادب والصفات والزهد والنسيب !

فترى من هذا افراط الادباء القدماء فى وصف العواطف الشخصية من كرم ورثاء وهجاء ، وتقصيرهم فى ابواب كثيرة اهمها وصف المناظر الطبيعية ، وتحليل الانفعالات النفسية ، وغير ذلك من ضروب الادب .

وهذا التقصير وقع فى الادب الاوربي القديم كما وقع فى الادب العربى ، فلو قرأنا شعر هوميروس وفرجيل ودانتى وجدنا فيه قليلا من وصف جمال الطبيعة من جبال وبحار ونجوم ، على حين ان الشعر الاوربى الحديث قد ملىء بهذا الضرب من القول وابدع الشعراء فيه ابداعا لا حد له فأفاضوا فى القول فى السماء ونجومها ، والاشجار وازدهارها وذبولها ، والبحار والصحراء وغيرها ، ووجدوا فى ذلك كله كنوزا استمدوا منها شعرهم ، وكان تقصير القدماء واجادة المحدثين فى ذلك قانونا طبيعيا ، لان الاعجاب بجمال الطبيعة نتيجة رقى كبير فى الذوق ، فاذا قصر ادباؤنا المحدثون فى هذا كما هو حادث الآن وتابعوا الاقدمين فى المديح والهجاء والغزل ، فقط ظل نقص الادب العربى على ما هو عليه .

كذلك يعيش الشرق عيشة خاصة غير التى كان يعيشها آباؤه ، سفرت المرأة بعد حجابها ، وتغير فى العشرين سنة الاخيرة كل نظم الحياة تقريبا من معيشة بيتية ونظم اجتماعية ، وحياة سياسية ، واصبح كل باب من هذه الابواب يتطلب قصصا جديداً وشعرا جديدا وكتبا ادبية جديدة ، فان نظر ادباؤنا الى دواوين الشعراء الاقدمين ولم ينظروا الى دواوين الطبيعة وصحائف العالم الذى فيه يعيشون ، فلا امل فى شعرهم ، ولا نثرهم وظل المتعلم

الى الدكتور عوض

من الدكتور على مصطفى مشرفة

قرأت فى مقال لك منشور برسالة أمس ان بيننا وبين الشمس ٩٢ر٠٠٠ر٠٠٠ ميلا فى الصيف، ٩٣ر٠٠٠ر٠٠٠ ميلا فى الشتاء. ولما كنت انت اعلم الناس بان بعد الشمس عنا اكثر صيفاً منه شتاء (بداهة، يقصد سياق الحديث من الصيف فى النصف الشمالى للكرة الارضية والشتاء كذلك اذ ان العباس بن الاحنف انما عاش فى هذا النصف).

كما ان ال ٩٣ر٠٠٠ر٠٠٠ ميلا هي متوسط بعد الشمس اى البعد حوالى وقتى الاعتدالين الربيعي والخريفى، واما البعد فى فصلى الربيع والصيف فاكثر من ذلك، ويبلغ اقصاه حوالى وقت الانقلاب الصيفى، فيزيد حينئذ بنحو ١/٦٠ من قيمته المتوسطة، اى بنحو ١½ مليون ميل، وفى فصلي الخريف والشتاء يكون اقل من المتوسط، ويصل الى حده الادنى حوالى وقت الانقلاب الشتائى فيكون حينئذ أقل من قيمته المتوسطة بنحو ١/٦٠ منها الى بنحو ١½ مليون ميل ايضا، فتكون نهايتاه العظمى والصغرى نحو ٩٤½ مليون ميل صيفا ونحو ٩١½ مليون ميل شتاء. أقول لما كنت انت أعلم الناس بذلك اردت أن اكتب هــذا اليك لكى تبادر بتصحيح ماقد يكون علق باذهان قراء مقالك الممتع من أن الشمس أقرب الينا صيفا منها شتاء

وفى الختام أرجو أن تتقبل سلامى الخالص واعجابي بمقالاتك التي اتتبعها فى الرسالة بعناية مقرونة باللذة الفكرية ؟

منصرفا عنهم الى الادب العربي على الرغم منهم

ونوع آخر من الادب يصح أن يستغله الأدباء، وهو أن يعمدوا الى الأدب القديم، وابطال الشرق، والاحداث التاريخية العربية فيجعلوا منهــا موضوعا لدراستهم ثم يلقوا عليه اضواء مما وصل اليه العلم الحديث والادب الحديث وعلم النفس الحديث، فيترجموه الى لغة العصر ويبرزوه فى شــكل يناسب ذوق الجمهور ويحبب اليهم قديمهم

انهم ان فعلوا ذلك استطاع من لايعرف لغة اجنبية ان يجد غذاءه فى الأدب العربى، واستطاع ان يكون انسانا مثقفا تكفيه ثقافته، واستطاع من يعرف لغة اجنبية ان يباهى بأدب قومه كتابا هى كل امة بأدبها، وفى ذلك اعتداد بشخصيتنا العربية الشرقية لايستهان به؟

حول قصة مصرية

قرأت كلمة فى العدد الثامن من الرسالة الغراء بعنوان «حول قصة مصرية» وصف فيها كاتبها قصتى «حكمت المحكمة» بانها قشور للقصة الحقيقية، وكم كان يودى أن يذيلها حضرته بامضائه حتى أشكره وأشد على يديه استحسانا وطربا، فان لى غراما بفن القصة القصيرة، وأكبر الظن أني لن أصل الى غايتى فيه إلا على ضوء النقد

كل ما أريد أن أقوله هو أنى عالجت فى أقصوصتى:

١ — عادات الريفيين فى مآتمهم

٢ — مركز العمدة فى القرية المصرية

٣ — اعتزاز العربى بشرفه ودفاعه عن عرضه

٤ — خطأ القانون فى عقاب المدافع عن عرضه ومسامحته المعتدى على هـذا العرض

ولست أعتقد ان كل ذلك قشور كما وصفه الكاتب، بل إني اخاف ان ينطبق هذا الوصف على خطته التى رسمها للقصة.

إنه يتساءل: ١) كيف اتصل ابراهيم افندى بابنة الاعرابي، وهذه نقطة غير لازمة، فيكفى أن يعرف القارىء من القصة إن الاتصال ممكن مادامت سلمى تخرج الى الحقول ترعى غنمها.

٢) وكيف كانت العلاقة بينهما؟ على خير ماتكون ياسيدى. هى علاقة حب ما فى ذلك شك. ولن اترك موضوع قصتى لأحصى عدد القبلات التى طبعها ابراهيم افندى على خد سلمى

٣) كيف ظهرت هذه العلاقة وعرفها والد الفتاة؟ إن يكن الجواب صعبا فهو موضوع لقصة اخرى بوليسية، وإن يكن سهلا مفهوما ففى ذكره اتهام لذكاء القراء

وبعد فقد عاب حضرة الكاتب على القصة خلوها من أثر العواطف والمشاعر، وادعى أنى لجأت فى وضعها الى الحوادث فسردتها سردا كأنها خبر من اخبار الصحف اليومية، وفى هذا تجن على الحقيقة كثير كما ترى؟

السيد ابو النجا

مدرس بالتجارة المتوسطة بالظاهر

في الأدب العربي

ابن خلدون والتفكير المصري

تتمة بحث «ابن خلدون في مصر»

للأستاذ محمد عبد الله عنان

(٥)

على أن ابن خلدون كان من جهة أخرى يحظى بتقدير فريق قوي من الرأى المصري المفكر. وكان على رأس هذا الفريق المؤرخ العلامة تقي الدين المقريزي. فقد درس المقريزي في فتوته على ابن خلدون وأعجب بغزير علمه، وروائع محاضراته، وطريف آرائه ونظرياته. ويتحدث المقريزي عن شيخه ابن خلدون بمنتهى الخشوع والاجلال وينعته «بشيخنا العالم العلامة الاستاذ قاضي القضاة»[1] ويترجمه في كتابه «درر العقود الفريدة» باسهاب واعجاب، ويرتفع في تقديره مقدمته الى الذروة فيقول: «لم يعمل مثلها، وأنه لعزيز ان ينال مجتهد منالها، اذ هي زبدة المعارف والعلوم، ونتيجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الاشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والانباء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبئ عن أصل كل موجود، بلفظ ابهى من الدر النظيم، والطف من الماء سرى به النسيم»[2]. وهو تقدير يعارضه فيه ابن حجر كما قدمنا، ويأخذ ابن حجر وتلميذه السخاوي على المقريزي موقفه من ابن خلدون، ويرميانه بالمبالغة والافراط في تعظيمه واجلاله، ويقدم الينا ابن حجر تعليلا لهذا الموقف، هو ان المقريزي كان ينتمي الى الفاطميين وابن خلدون يجزم باثبات نسبهم، ثم يقول لنا: ان

(١) ذكر المقريزي شيخه ابن خلدون في موضعين من الخطط (بمصر) ج ٣ ص ١٢٣ و ٣٠٩.

(٢) لم يصلنا من «درر العقود الفريدة» سوى قطعة صغيرة. واعتمادنا هنا على ما نقله السخاوي وابن حجر عن المقريزي في الضوء اللامع للسخاوي وفي رفع الاصر وأنباء الغمر لابن حجر

المقريزي غفل في ذلك عن مراد ابن خلدون، فانه كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسب الفاطميين اليهم، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين وكون بعضهم نسب الى الزندقة وادعى الالوهية[1]

وقد تأثر المقريزي فوق تعظيمه وتقديره لابن خلدون بنظرياته تأثرا كبيرا. وظهر هذا الأثر واضحا في كتابه «اغاثة الأمة بكشف الغمة» الذي انتهت الينا نسخة وحيدة منه تحتفظ بها دار الكتب المصرية[2].

ففي هذا الكتاب الذي يقول لنا المقريزي انه كتبه في ليلة واحدة من ليالي المحرم سنة ٨٠٨ والذي يتحدث فيه عن محن مصر منذ اقدم العصور الى عصره، ينحو المقريزي في الشرح والتعليل منحى شيخه واستاذه ابن خلدون في مقدمته. فيقدم لرسالته بمقارنة موجزة بين الماضي والحاضر، وملخص لما جازته مصر من محن الغلاء والشرق منذ الطوفان الى عصره، ثم يفرد لنا فصلا يتحدث فيه عن الأسباب التي نشأت عنها هذه المحن وأدت الى استمرارها طوال هذه الأزمان. وفي هذا الفصل نرى منهج ابن خلدون في البحث والتعليل واضحاً، بل نرى المقريزي يستعمل ألفاظ شيخه وعباراته مثل «أحوال الوجود وطبيعة العمران وما اليهما». وفي رأي المقريزي ان اسباب الخراب والمحن، ترجع أولا الى تولية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة، واستيلاء الظلمة والجهلاء عليها، وثانياً غلاء استئجار الأطيان، وزيادة نفقات الحرث والبذر والحصاد (نفقات الانتاج) على الغلة، وثالثاً ذيوع النقد المنحط، ويتبع ذلك بنبذة في تاريخ العملة في الدول الاسلامية ومصر. ثم يتحدث عن طبقات المجتمع، وأوصاف الناس، ويقسم لنا المجتمع المصري الى سبعة اقسام :

(١) اهل الدولة

(٢) اهل اليسار من التجار واولي النعمة من ذوي الرفاهة

(١) رفع الاصر - الورقة ١٦٠ - ونقله السخاوي في الضوء اللامع

(٢) توجد هذه النسخة ضمن مجموعة خطية محفوظة برقم (٧٧ مجاميع م) وتشغل فيها من الورقة ١٤ الى الورقة ٤٣

(٣) الباعة وهم متوسطو الحال من التجار، وأصحاب المعاش وهم السوقة.

(٤) اهل الدلح وهم أرباب الزراعة والحرث وسكان الريف

(٥) الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم

(٦) ارباب المصالح والأجر وأصحاب المهن

(٧) ذوى الخصاصة والمسكنة الذين يتكففون النـــاس.

ويذكر احوال كل فريق بالتفصيل. ثم يتحدث عن اسعار عصره وبخاصة اسعار المواد الغذائية، ويختم بشرح رأيه فى معالجة هذه المحن، وهو أن يغير نظام العملة، فلا يستعمل منها الا المكين الثابت من ذهب وفضة، وهي فكرة تثبيت النقد بعينها

هكذا ينحو المقريزي فى الشرح والتعليل. وهكذا نلمس اثر المؤرخ واضحاً فى منهج تلميذه، ونستطيع ان نجد كثيراً من اوجه الشبه بين مايعرضه المقريزى فى رسالته، وبين ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته عن طبيعة الملك وعوامل فساده، وعن السكة، وعن اثر المكوس فى الدولة، وأثر الظلم فى خراب العمران، وكيف يسرى الخلل الى الدولة وتغلبها وفرة العمران والغلاء والقحط، وغير ذلك مما يتعلق بانحلال الدول وسقوطها [1] بل نستطيع ان نلمح مثل هذا الأثر فى بعض ما كتبه السخاوى نفسه فى كتابه «الاعلان بالتوبيخ» عن قيمة التاريخ وأثره فى دراسة احوال الأمم. فهنا يبدو السخاوى ايضاً على رغم خصومته لابن خلدون متأثرا بفكرته الفلسفية في شرح التاريخ وفهمه

وهنالك مؤرخ مصرى آخر هو ابو المحاسن بن تغري بردي يشاطر شيخه المقريزى تقديره لابن خلدون ويشيد بمقدرته ونزاهته فى ولاية القضاء ويقول لنا انه باشر القضاء بحرمة وافرة وعظمة زائدة وحمدت سيرته [2]

ويظهر اثر ابن خلدون ايضا في اعتماد بعض اكابر الكتاب المصريين المعاصرين عليه والاقتباس من مقدمته وتاريخه. ومن هؤلاء أبو العباس القلقشندى صاحب كتاب «صبح الاعشى» فانه يقتبس من ابن خلدون فى مواضع شتي من موسوعته [3]

(٦)

هذه صورة دقيقة شاملة لحياة ابن خلدون فى مصر، وصلاته بحياتها العامة، واثره فى حركتها الفكرية المعاصرة

وهذه الحقبة من حياة المؤرخ، وهى حقبة طويلة امتدت ثلاثة وعشرين عاما، تخالف في نوعها وظروفها حياته بالمغرب؛ فنى المغرب عاش ابن خلدون بالأخص سياسياً يتقلب فى خدمة القصور المغربية، ويخوض غمر دسائس ومخاطرات لانهاية لها. ولكنه عاش فى مصر عالما وقاضيا، وإذا استثنينا مفاوضاته مع تيمورلنك فى حوادث دمشق، وسعيه إلى عقد الصلة بين بلاط القاهرة وسلاطين المغرب، فانه لم يتح له أن يؤدى فى سير السياسة المصرية دوراً يذكر. وإذا كان ابن خلدون قد خاض فى مصر معترك الدسائس أيضا، فقد كان هذا المعترك محليا محدود المدي شخصيا في نوعه وغاياته

وكانت حياة ابن خلدون في مصر أكثر استقرارا ودعة، وأوفر ترفاً ونعماء من حياته بالمغرب. ولكن الظاهر أن سحبا من الكآبة والالم المعنوى كانت تغشى هذه الحياة الناعمة. فقد كان ابن خلدون فى مصر غريبا بعيداً عن وطنه وأهله، وكان يعيش فى جو يشوبه كدر الخصومة وجهد النضال. ونستطيع أن نلمس ألم البعاد فى نفس المؤرخ في بعض المواطن، فهو يذكر غربته حين يتحدث عن اتصاله بالسلطان اثر مقدمه ويقول إن السلطان «أبر مقامه وآنس غربته». وهو يكشف لنا عن هذا الألم فى قصيدة طويلة نقلت الينا التراجم المصرية منها هذه الابيات المؤثرة:

أسرفن في هجرى وفي تعذيبى ... وأطلن موقف غربتى ونحيبي

وأبين يوم البين موقف ساعة ... لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

لله عهد الظاعنين وغادروا ... قلبي رهين صبابة ووجيب

ولا ريب أن هلاك أسرة المؤرخ كانت عاملا فى اذكاء هذا الألم المعنوى، وهو يحدثنا عن هذه الفاجعة بلهجة الحزن واليأس حين يقول: «فعظم المصاب والجزع ورجح الزهد».

وكان المؤرخ يؤثر حياة العزلة فى فترات كثيرة، وهو يشير إلى ذلك فى بعض المواطن، حيث يقول لنا انه: «لزم كسر البيت ممتعاً بالعافية لابسا برد العزلة». وتشير التراجم المصرية إلى هذه العزلة فيقول لنا السخاوي: «ولازمه (أى المؤرخ) كثيرون فى بعض عزلاته، لحسن خلقه معهم وباسطهم ومازحهم». وكان المؤرخ يشتغل في هذه الفترات بمراسلة أصدقائه بالمغرب والأندلس من السلاطين والأمراء والفقهاء، وهو يشير الى ذلك في عدة مواضع

(البقية على صفحة ٢٢)

(١) راجع هذه الفصول في مقدمة ابن خلدون (بولاق) ص ١٤٠ ــ ١٤١ و ١٥٧ - ١٥٨ و ٢١٧ - ٢٢٠ و٢٤٦ و ٢٥٢

(٢) المنهل الصافى ج ٢ ورقة ٣٠٠

(٣) راجع «صبح الاعشى» ج ٤ و ٥ و ٦ ففيها أمثلة كثيرة من هذا الاقتباس

من طرائف الشعر

شوقية لم تتم

ننشر اليوم «مشروع قصيدة» كان شاعر الخلود شوقي بك يريد أن ينظمها في (الصحراء)، ثم بدا له فتركها على حالها الأولى قبل أن تتم، فأثبتناها بخطه كما هي خدمة للادب والتاريخ.

يا فضاء أديمه من بني آدم ظهر
سبح الرمل والحصى في نواحيه والحجر
وعلى ظهر جوه صلت الشمس والقمر
جمعا عزلة المدار إلى عزلة المدر
سبحا ثم سبحا بالعشايا وبالبكر

وخضمنا من الرمال أواذيه الصخر
ماله ساحل ولا من لجاته وزر
فيه من كل خاضب جلل الجو وانهمر
هب من كل جانب كالذي اشتد وانتشر
رب أكفان مقمر منه هيئن أو حفر

وفضاء كأنه حلم رائع الصور
العشايا سواحر في حواشيه والبكر
كل سار وسامر

يا فضاء بسحره وانه الركب بالسحر
فتنتهم وجوهه واستخفتهم الصور
وشجاهم سكونه بالعشايا وبالبكر
لا تلمهم فانما قائد الانفس النظر
كل نفس لها هوى كل نفس لها وطر
كم جمال ومنظر فرقا لذة النظر
كل حسن ومنظر فيهما للهوى نظر

يا فضاء أديمـه من بني آدم ظهر
سبح الرمل والحصى في نواحيه والحجر
وعلى ظهـر جوه صلت الشمس والقمر
جمعا عزلة المدا ر إلى عزلة المدر
سبحا ثم سبحا بالعشايا وبالبكر

***

وخضمنا من الرما ل أواذيه الصخر
ماله ساحل ولا من لجاته وزر
فيه من كل خاضب جلل الجو وانهمر
هب من كل جانب كالذي اشتد وانتشر
رب أكفان مقمر منه هيئن أو حفر

***

وفضـاء كأنه حلم رائع الصور
العشـايا سواحر في حواشيه والبكر
كل سار وسامر . . . .

***

ثم غير المرحوم هذه الابيات الثلاثة المتقدمة بالابيات الآتية:

يافضاء بسحره وانه الركب بالسحر
فتنتهـم وجوهه واستخفتهم الصور
وشجاهم سكونه بالعشايا وبالبـكر
لا تلمهـم فانما قائد الانفس النظر
كل نفس لها هوى كل نفس لها وطر
كم جمال ومنظر فرقا لذة النـظر
كل حسن ومنظر فيهما للهـوى نظر
. . . .

وطني جبران خليل جبران

هوذا الفجر فقومي ننصرف عن ديار ما لنا فيها صديق
ماعسى يرجو نبات يختلف زهره عن كل ورد وشقيق
وجديد القلب أنى يأتلف مع القلوب كل ما فيها عتيق ؟

***

هوذا الصبح ينادى فاسمعي وهلمى نقتفى خطواته
قد كفانا من مساء يدعي ان نور الصبح من آياته

***

قد أقمنا العمر في واد تسير بين ضلعيه خيالات الهموم
وشهدنا اليأس اسرابا تطير فوق متنيه كعقبان وبوم
وشربنا السقم من ماء الغدير وأكلنا السم من فج الكروم

ولبسنا الصبر ثوبا فالتهب | فغدونا نتردى بالرماد
وافترشناه وسادا فانقلب | عندما نمنا هشيما وقتاد

يا بلادا حجبت منذ الازل | كيف نرجوك ومن أي سبيل؟
أي قفر دونها أي جبل | سورها العالي ومن منا الدليل؟
اسراب أنت ام أنت الامل | في نفوس تتمنى المستحيل ؟
أمنام يتهادى في القلوب | فاذا ما استيقظت ولى المنام ؟
ام غيوم طفن في شمس الغروب | قبل ان يغرقن في بحر الظلام ؟

يا بلاد الفكر يا مهد الالى | عبدوا الحق وصلوا للجمال
ما طلبناك بركب أو على | متن سفن أو بخيل ورجال
لست في الشرق ولا الغرب ولا | في جنوب الارض أو نحو الشمال

لست في الجو ولا تحت البحار | لست في السهل ولا الوعر الحرج
أنت في الارواح أنوار ونار | انت في صدري فؤاد يختلج

القلب اليتيم

أرأيت النسيم مر على الرو | ض يناغي الزهور بالتقبيل ؟
ورأيت الغصون يهفو بها الشو | ق فتلتف في عناق طويل ؟
ونظرت العشاق : كل خليل | طائر القلب في غرام خليل ؟
يغمر الحب كل قلب ويسقي | كل نفس من كأسه السلسبيل
غير قلبي ، فقد خلا من نعيم | الحب أو روضه البهيج الظليل
بادليه الغرام ثم اقبسيه | من سنا نورك البهي الجليل
طهريني بناره واتركيني | شاردا في مراحه المجهول
ودعيني أفني الشباب غراما | بين نوح ولهفة وعويل
قد ملكت الحياة من غير حب | واراني في الحب غير ملول

أمين عزت الهجين

قلبي

قلبي الذي يحبه يرف حول قده
يسبح في مقله يرقص فوق خده

* * *

قلبي الذي استعار من | مقلته خفوقه
أعمى فان لاح له الـ | حسن رأى طريقه

* * *

قلبي المعنى طائر | دامية جراحه
أكلما خف له | أثقله جناحه ؟

* * *

قلبي سراج في الدجى | من ناظريك نوره
أطفأه بعدك يا | حلو فمن ينيره ؟

(سورية) حمص — رفيق فاخوري

حينما كنا صغيرين

ذاك عهد وان تولى جديد | مشرق النور عاطر النفحات
هو ماض من الحياة سعيد | يملأ النفس في ربيع الحياة

كلما جد ذكره عاودتني | عند ذكراه نشوة المستعيد
واذا غاب طيفه وجهتني | حرقة الوجد نحوه من جديد

يا زمانا عرفته حين كنا | نشبه الزهر في معاني النقاء
وكأن الزهور ترنو الينا | في انتباه وغيرة واشتهاء

حين كنا كطائرين اصابا | في ظلال الربيع غصنا وريقا
نهب اللهو جيئة وذهابا | ونرى العيش ما حللنا طليقا

كم نهضنا مع الطيور صباحا | نطلب اللهو في رواء الصباح
نسبق الطير خفة ومراحا | بين حزن الربى وسهل البطاح

كم سعينا الى الرياض اصيلا | وقطفنا الزهور ملء يدينا
كم ضحكنا وكم لعبنا طويلا | كم جرينا وكم مشينا الهوينى

كم جمعت الزهور من كل غصن | ووضعت الزهور بين يديها!
جمع الزهر كل طهر وحسن | أين حسن الزهور من وجنتيها؟

اعرف الحب منذ كنت صغيرا | مطمئنا الى نعيم الحياة
ليتني قد بقيت طفلا غريرا | ساهي الطرف لاهي النظرات

ليت شعري اتذكر اليوم ودى   أم تناسته والتباعد ينسي ؟
وبحسبي من الصبابة وجدي   ومن الهجر ما يعذب نفسي!

يا زماناً ذكرته في شبابى   فتمنيت أن اعود غلاماً!
وعجيب مع الشباب طلابى   غير ان الزمان يأبى ابتساماً

محمود الحفيف

صورة

لوليم وردزورث

أبدع بفن أبرزت آياته   ذاك الغمام بحسنه المتألق
لم يسه ثمة عن دخان خافت   يسمو ولا عن ضوء شمس مشرق
واستوقف الماشين قبل غيابهم   فى ذلك الغاب الأليف المورق
وأبان ذاك الفلك يفتأ مرسيا   فوق الخليج ومائه المترقرق
يا أيها الفن الذى يروى النهى   ويظل يقبس كل حسن مونق
من روعة الآصال يقبس نوره   أو لمعة الأصباح ذات الرونق
هى وهلة في الدهر مسرعة الفنا   وافيتها يبنانك المترفق
فخلوتها لبنى الممات جديدة   وكسوتها ثوب الخلود المطلق

متاعب الانسانه

لاندريه شنييه

لكل شجون فى الحياة كثيرة   ولكن يوارى عن سواه شجونه
وكل فتي يبكى لبلواه غابطا   فتى مثله باكى الفؤاد حزينه
ولم يدر انسان بآلام غيره   فهم مثلما يخفى الاسى يكتمونه
وكل يناجى نفسه فى شقائه   بان جميع الناس تسعد دونه

فخرى ابو السعود

« ابن خلدون فى مصر »

(بقية المنشور على صفحة ١٩)

وقد يكون من الشائق ان نعرف اين كان يقيم المؤرخ بالقاهرة . ولدينا عن ذلك نصان نقلهما ابن حجر عن الجمال البشبيشى ويقول الجمال في اولهما « انه كان يوما بالقرب من الصالحية فراى ابن خلدون وهو يريد التوجه الى منزله وبعض نوابه امامه ... » فيلوح من هذه الاشارة ان المؤرخ كان يقيم مدى حين على مقربة من الصالحية فى الحى الذى تقع فيه هذه المدرسة اعنى حي بين القصرين او فى احد الاحياء القريبة منه ، وذلك لان مركز وظيفته كقاض للقضاة كان بهذه المدرسة ولان ايوان الفقهاء المالكية كان يقع بجوارها [1] . واما فى النص الثانى فيقول لنا الجمال ما يأتي مشيرا الى ولاية ابن خلدون للقضاء عقب عوده من دمشق سنة ثلاث وثمانمائة « الا أنه (اي ابن خلدون) تبسط بالسكن على البحر واكثر من سماع المطربات .... الخ [2] » ويستفاد من ذلك ان المؤرخ كان يقيم فى هذا الحين فى احد الاحياء الواقعة على النيل ولعله جزيرة الروضة او لعله بالضفة المقابلة من الفسطاط ، حيث كانت لاتزال بقية من الاحياء الرفيعة التى قامت هنالك مذ خطت الروضة وعمرت وصارت منزل البلاط فى اواسط القرن السابع، وسكن الكبراء والسراة في الضفة المقابلة لها من الفسطاط. ويرجح هذا الفرض ان المدرسة القمحية التى كان يدرس فيها ابن خلدون بلا انقطاع كانت تقع على مقربة من هذا الحى .

هذا واما مثوى المؤرخ الاخير ، فقد ذكر لنا السخاوى انه دفن « بمقابر الصوفية خارج باب النصر » ويحدثنا المقريزى عن موقع هذه المقابر [3] وقد كانت تقع بين طائفة من الترب والمدافن التى شيدها الامراء والكبراء فى القرن الثامن خارج باب النصر فى اتجاه الريدانية (العباسية) ومقبرة الصوفية هذه انشأها صوفية الخانقاه الصلاحية فى اواخر القرن الثامن فى هذا المكان وخصصت لدفن الصوفية ، وقد كان المؤرخ كما نذكر مدى حين شيخا لخانقاه بيبرس .

فهل يكشف لنا الزمن يوما عن مثوى رفات المفكر العظيم فيغدو قبره أثراً جليلا يحج اليه المعجبون برائع تفكيره وخالد آثاره ؟ . تم »

---

(١) راجع خطط المقريزى (مصر) (ج) ٤ ص ٢٥٩ .

(٢) سبق أن أشرنا الي هذا النص . وراجع النصان فى كتاب رفع الاصر لابن حجر فى ترجمة ابن خلدون

(٣) الخطط (مصر) ج ٤ ص ٣٤٨ .

في الأدب الشرقي

من الشعر التركي الحديث

للشاعر المرحوم اسماعيل صفا

ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام

(١) الشيخ البائس

احدودبت قامتــــه ، وارتعدت رجله ويده ، وشحب لونه ، وترنحت خطواته ، ونمت اسرة وجهه عن فجائع حياته.

ان تنعم النظر في عينيه البارقتين ، ومحياه الواضح ، ولحيته البيضاء ، تتبين انه طوف في الصحارى والبحار ، وتهادته المدائن والقفار ، وما جبينه المشرق الا كتاب مفعم بالخطوب .

وقد غشي وجهه اشمئزاز من الحياة ، وبرم بها ، فالعالم امامه مقبرة منكرة .

وتقرأ في وجهه انه نضو حانات ، شرب صفوها وكدرها ، وتجرع الوانا من سمومها .

رأيته لأول مرة ، فقلت : ليت شعري من الرجل ؟ ولست ادرى لماذا زدت على الايام شغفا بمعرفته ، وكلفا باستكناه امره ، انه يمر بداري كثيرا ، فهو لا ريب أحد جيرتي ، ولكن من هذا الشيخ البائس المحبوب الطلعة ؟

كم لقيته شريدا تتقاذفه الطرقات ، وتعثر به الخطوات ، قد تأبط زجاجته ، وقطب أسرته ، فليت شعري من هو ، وماذا يضطرب في ضميره ؟

ذهبت يوما الى أيوب ، الى غابة السرو المترعة بالاحجار [(١)] وغصت في لجج من الفكر مالها من قرار ، ألست أرى الشـــيخ المسكين ؟ نعم أنه هو . قد استند الى شجرة من السرو وضرب بيده على لحيته مفكرا حزينا . وأمامه صفائح عتيقة قد استغرقت نظراته ، واستبدت بافكاره .

مشيت اليه على هيئة حذرا ، وقرأت ما كتب على القبر فعرفت حال الرجل ورثيت له ، وجاشت في نفسي ثورة من الحزن والغم ، وكان الذي قرأته هذه الابيات :

« واحسرتاه ! ان صرصر الاجل العاتية ، قد ذهبت بشجرة الامل الناضرة . وقد مشى الموت الجبار على زهرة حياتي ، فما الدنيا من بعد الاما تم ، وما فرحي وعيدي الا الحزن والغم »

ان تاريخ رحلته واحسرتا قد اتفق [(١)] : « جنت مقرا ولدى محمد فريدمك » (صارت الجنة مقر محمد فريدى) سنة ١٢٩٩

(٢) ليكن لك

ليكن لك ماغاب في العالم من جمال وحضر ، وما ظهر من حسن فيه واستتر ، والسحائب بالوانها الباهرة ، والصحارى بمرائيها الساحرة ، وكل ما ترنم به العشق من غناء ، وما أفاضه الوجد على ألسن الشعراء ، وهذه الحدائق بنفحاتها ونغماتها ، وهذه القبة المنيرة بشموسها وسياراتها ، ومطلع الشمس في روائه ، والقمر في لألائه والازهار في حلل من الشفق ، والاشجار مزدهرة في الغسق .

ليكن لك الجبال والبحار ، والفلوات والاشجار ، ليكن لك الدنيا دائمة السراء والسعادة والصفاء ، ليكن لك في هذه الحياة كل ما تشائين ، وليكن طوع أمرك ما تحبين .

ولكن كوني أنت لي يا حبيبتي ، كوني أنت وحدك لي .

(٣) قلت وأقول

قلت : لو أن الليل المظلم صار نهارا !

وقلت : حين أمضني الشتاء : لو أنه انقلب ربيعا معطارا !

قلت : ولو أن طودا تخلله الاشجار ، وتزينه الرياحين والازهار ، مشرف على لجج البحار .

قلت : ولو أن هنالك صحارى ومروجا تمرح فيها الطير والحملان ،

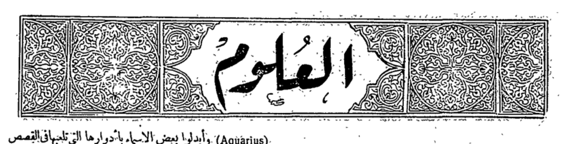
قلت : ولو رأيت في الصحراء الظباء ، فكلما بصرت بي اجفلت وانطلقت حيث تشاء

قلت : ولو ان على الجبل شجرة دلب عتيقة

(١) يريد المقبرة التي عند جامع ايوب في استانبول وشجر السرو يزدرع في المقابر

(١) معنى ذلك ان الجملة الآتية يوافق مجموع حسابها بالجمل تاريخ وفاته

(البقية على صفحة ٣٠)



صــــور النجوم

للاستاذ عبد الحميد سماحة
مفتش مرصد حلوان

يسم الفلكيون من قديم الزمن النجوم الى مجموعات ليتيسر حصرها ومعرفتها بسهولة. وصوروا هذه المجموعات بصور مختلفة وسموها باسمائها ، فكل نجم أعطوه اسم العضو الذي يقع عليه من الصورة ، فالنجم الذي عند القلب في صورة العقرب ، يسمى «قلب العقرب» ، والذي عند الرجل في صورة الجبار يسمى «رجل الجبار» .

ومن الغريب أن تكون هذه الطريقة في تقسيم النجوم معروفة عند أمم مختلفة من سكان الدنيا القديمة على بعد الشقة بينها ، ووجدها الاوربيون عند سكان بيرو وكذا عند اكتشاف الامريكتين

ومن الصعب معرفة تاريخ تسمية الصور باسمائها المعروفة الآن ، ولكن من المقرر أن الكثير منها يرجع في تسميته الى ما قبل الميلاد بنحو الف وأربعمائة سنة ، وقد أطلق اليونان على الكثير منها أسماء أبطال قصصهم التاريخية ، وبقيت هذه الاسماء على مرور الزمن ، ولكن العرب عند ما ترجموا عن اليونان عربوا بعض الاسماء مثل الدلو أو ساكب الماء لكوكبة اكواريوس (Aquarius) وأبدلوا بعض الاسماء بادوارها التي تلعبها في القصص اليونانية مثل المرأة المسلسلة لكوكبة اندروميدا (Andromeda) وتركوا البعض الآخر على أصله في اليونانية مثل قيطس لكوكبة (Cetus) وقنطورس لكوكبة (Centaurus) .

وأطلق العرب أسماء عربية بحتة على كثير من النجوم ولا تزال تطلق عليها عند الاوربيين مثل الذنب المعروف باسم (Deneb) والرجل المعروف باسم (Rigel) والطائر المعروف باسم (Altair)

ويجب ألا ننسى ان هذه المجموعات من النجوم لا تدل تماما في شكلها على صور الاحياء المسماة باسمائها ، اللهم الا في مخيلة أول من سموها بهذه الاسماء . فسبعة النجوم الرئيسية من كوكبة الدب الاكبر مثلا وهي تؤلف الهيكل الرئيسي لصورة دب كما هو ظاهر في الصورة ، يمكننا مع قليل من التعب أن نرسم عليها صورة فيل أو نمر مثلا ، هذا فضلا عن أن ثلاث النجوم التي تكون الذنب متباعدة بحيث نجد هذا الذنب في الصورة طويلا على غير ما هو معروف من أن ذنب الدب قصير جداً

(بعض صور النجوم القريبة من القطب الشمالي)

وقد قسم بطليموس المتوفى سنة ١٥٠ قبل الميلاد السماء الى ٤٨ كوكبة منها اثنتا عشرة في الدائرة الكسوفيــة وهي المعروفة بالبروج ، واحدى وعشرون في نصف الكرة الشمالي ، والباقي وهو خمس عشرة كوكبة في نصف الكرة الجنوبي

وقد أضيفت كوكبات كثيرة اليها . ونقلت بعض النجوم من احدى الكوكبات الى الاخرى ، ومعظم النجوم اللامعة في هذ

الكوكبات لها اسماء عربية أو لاتينية أو يونانية

وليست الكوكبات فيما تتصل به من أسماء ابطال القصص مما يهم الفلكي، ولكن لا بأس من أن نسرد بعض ما يتصل بالمهم منها بالقصة اليونانية لشدة ولع الناس بها من هذه الناحية.

يروي ان كاسيوبيا (Cassiopeia)- وهي المعروفة عند العرب باسم ذات الكرسي - زوجة قيفاوس (Cepheus) ملك اثيوبيا كانت على جانب عظيم من الجمال، وكانت تباهى به الاهات البحر اللاتي توسلن الى (نبتون) أن يرسل قيطس (Cetus) الغول الى شواطىء الملك قيفاوس ليثأر لهن، وان قيفاوس اوحي اليه ان يربط ابنته ، اندروميدا ، الى صخور الشاطىء فيغتالها الغول فداء لهم، ففعل، ولكن عند عودة برشاوش (Perseus) البطل العظيم من رحلة رأى ما حل باندروميدا الجميلة فقاتل الغول حتى قتله وتزوج من الأميرة الحسناء. ويأتي في القصة انه بعد وفاة كاسيوبيا رفعت الى السماء بجوار القطب، وان الاهات البحار انتقاما لأنفسهن وضعنها بحيث يكون رأسها الى أسفل مدة نصف الوقت.

وبرشاوش هو ابن جوبتير وقد أرسل ليقتل مدوسا (Medusa) احدى الشقيقات الثلاث وهي القطيعة المعروفة في القصة باسم (gorgons) لها أنياب حادة ومخالب غليظة ورأس كرأس الثعابين، وكل من نظر اليها بعينه صيرته حجراً جامداً لساعته. وقد احتاط برشاوش للأمر فاستعار درع مينرفا وحذاء عطارد ذا الأجنحة ولم ينظر اليها عند مقاتلتها بل الى صورتها في الدرع. فقطع رأسها ثم عاد به، وكان يستعمله في مقاتلة الأعداء لأنه احتفظ بخاصيته الغريبة في أن يصيّر كل من نظر اليه حجراً

ومما يلاحظ ان العرب كانوا يسمون كوكبة (Perseus) هذا باسمي برشاوش أو حامل رأس الغول

ومن احفاد برشاوش واندروميدا، هرقل، (Hercules) المشهور في القصة اليونانية بمخاطراته الجريئة التي يبلغ عددها اثنى عشرة، ويرى هرقل في الكوكبات المصورة جاثيـاً وقدمه اليسرى على التنين (Draco) ولابساً لبدة الأسد (Leo) الذي كان قتله اول أعماله المشهورة، وقد ذهب هرقل لاحضار التفاحات الذهبية من حديقة هسبريدز (Hesperides) وقد كان يحرس الحديقة الثعبان الكبير لادون (Ladon) الذي لا تغمض له عين (وهو الممثل في السماء بكوكبة التنين، وهي نظراً لقربها من القطب لاتغيب تحت الأفق).

وغنى عن البيان أن هرقل قتل التنين وأحضر التفاحات، غير انا لانعرف لماذا صوروا هرقل جاثيا، وربما كان ذلك هو السبب في تسميته عند العرب باسم الجاثي على ركبتيه

أما ذات الشعور فيروى ان الملكة برنيس زوجة بطليموس ملك مصر في القرن الثالث قبل الميلاد نذرت شعرها الجميل لمعبد الزهرة اذا عاد زوجها مظفراً من احدي حروبه في آسيـا، وقد انتصر فوضعت الشعر في المعبد، ولكنه سرق في الليلة نفسها فغضب الملك لذلك غضباً شديداً. ولكن (كونن) الرياضي أراه مجموعة صغيرة من النجوم وقال له هاهي ذي فتعزى الملك وأطلق عليها اسم (Coma Bernices) وسماها العرب كوكبة ذات الشعور؟

عبد الحميد سماحه



حلم الاستاذ مجنان

للدكتور أحمد زكي

للاستاذ مجنان رأي بديع في مستقبل الطيران يشبه الأحلام في حلاوتها. واذا اعتبرنا انه المستشار الفني لوزارة الهواء الفرنسية وأنه درس خمسمائة جنس من اجناس الطيور، وعدداً لا حصر له من الحشرات الطائرة . بقصد زيادة الطيران دقة وسهولة ويسراً، وأنه قضى في تلك الدراسة نيفاً وعشرين سنة ، واذا اعتبرنا انه قص هـــذا الحلم الحلو في مجمع العلوم بباريس . وان العلم كثيراً ما أتانا بأحلام لم تلبث ان وجدناها أولت تأويلا صادقاً ، اذا اعتبرنا كل ذلك صغينا الى الاستاذ بآذان واعيـــة وقلوب مؤمنة، ان كان بها قليل من الريبة ففيها كثير من الأمل، وان خفت بها غرابة مايقترح الى ابتسامة التكذيب ، فعدت بها ابتسامة هادئة من سرور الطمأنينة والتصديق، ذكريات غريبات كانت بالامس فأصبحت اليوم مألوفات لاتأخذ عيناً ولا ترهف اذناً .

يرى الأستاذ أنك في المستقبل القريب عند ما تريد ان تزور صديقاً لن تدخل اليه من باب بيته وانما تطرق عليه باب سطحه، ولن يكلفك ذلك الا أن تلبس جناحين لاتزيد مساحة الجناح منهما على اربع اقدام مربعة او خمس وتقفز من سطح بيتك في الهواء فاذا بك تطير في الفضاء على بركة الله . وانما يشترط أن يكون بعضلك من القوة مايحرك الجناحين بسرعة بحيث يضربان عدداً من الضربات بين الثلاث عشرة والعشرين في الثانية الواحدة . بالطبع لن يستطيع ذراعان احداث هذا العدد من الضربات في ذلك الوقت القصير . لذلك يقترح الاستاذ أن تقوم الأرجل مقام الأذرع فتضغط على بدالين كبدالات الدراجات ، انما هنا يتحركان معاً . وهذان البدالان يحركان جيرا [1] يحرك جيرا أصغر منه وهكذا حتى تصل الحركة الى الجناحين ، فاذا حركت رجلاك الجير الأول الأكبر مرتين في الثانية ، حرك هـــذا الأصغر منه أربع مرات ، وحرك هذا الذي يليه وهو أصـــغر منه أضعاف هذه المرات ، فلا تصل الحركة الى الجنـاحين وهما خفيفان جدا حتى يتحركا بما بين الثلاث عشرة والعشرين من الضربات . ولكن لا بد أن يضرب الجناح في اتجاه رأسي وهو نازل فاذا صعد صعد في زاوية ، وبهذه الطريقة يقدر المرء أن يسير في الهواء في سطح أفقي واحد، الا اذا واجه تيارات هوائية فهذه ترفعه . أما الآلة فلن يزيد وزنها على مائتين وعشرين رطلا والقوة اللازمة للطيران بها على الصورة المذكورة تبلغ ثُمن حصان وهي القوة التي ينفقها العامل الذي يشتغل بجسمه كل يوم في عمله .

وفي استطاعتك اذا أردت أن تقتصد من قوة بدنك أن تستخدم محركا صغيرا لا يزيد حجمه كثيرا على حجم رأسك ، وعندئذ تستطيع أن تسير أسرع من ذي قبل ، وان تصعد في الجو اذا أردت ، وتفرغ لتوجيه الآلة ، وللبحث عن تيـــارات الهواء والاستفادة منها ، وللمتعة الكبـــيرة بما يمر تحتك من أشباح الجوامد والأحياء .

وفي استطاعتك ان خشيت وقوف المحرك لخلل ما أن تحمل معك دسقطا [2] من المساقط المعهودة تقيك الهبوط السريع فالتهشيم . أما مادام المحرك يعمل والجناحان يضربان بالصورة التي كشفها الاستاذ من الطيور بالكثرة السريعة فلا خوف عليك ولا اذى ، فالصعود في الجو كالصعود في الجبل . ففي الجبل تستعين بعصا تقاوم بها فعل الجاذبية الأرضية ، وفي الهواء عصاك جناحاك تمسك بهما الهواء وتتشبث به كما تمسك بعصاك حجر الجبل ، وللهواء جسم كما للجبل جسم وهو جامد بمعنى كما الجبل جامد ، ولو كان لنا حس أدق من حسنا وعين أبصر من عيننا لأحسسنا جمودة الهواء كما يحسبها الطير ؟

(١) الجير عجلة مسننة تعشق في عجلة مثلها واذا دارت الاولى أدارت الثانية .

(٢) دسقط : تقترحها لتعريب Parachute وهي التسمية التي يستعملها الطيار للنجاة ، ومعنى الكلمة : «ضد السقوط» والكلمة العربية منحوتة من «ضد» و «سقط» . فاذا اتفقنا على هـذا النوع من النحت عربت Antipode بلفظة «ضدل» و«دناعل» و Antibody بلفظة «دجسم» و«دجاسم» وهكذا ؟

القصص

في الادب الايطالي الحديث

الرواية في پونتاسياف !

للكاتب الايطالي لوسيو دامبرا

— تابع —

شرع « مارك » يبتعد ، وهو ممسك بذراعي :

— وهي ؟ ... هي ؟ ... آه ! ليتني أستطيع مشاهدتها ! ليتني أستطيع ذلك ! ... انها لاشك مسرورة الآن كل السرور بل هي الآن فخورة بهذا الانتصار الذي هو انتصارها !!!

ولكن أني لي مشاهدتها أثناء التمثيل ، والظلام يغشى القاعة كلها ؟ ... خير لنا أن ننتظرها على بضع خطوات من منزلها ...

وانتظرنا ... انتظرنا أكثر من ساعة ، وإذا الستار ينزل بين اعصار شديد من الهتاف والتصفيق ، فتسابق أصدقاء « سيريني » إليه ، ليؤكدوا له نجاحه ، وليقودوه إلى المسرح ، لتحية الجماهير ، ولكنه أبي أن ينزل على رغبتهم ، لم يتحرك ، بل لبث يحدق في تلك النافذة ، شاحباً كئيباً !!!

أخذت الجماهير تدفق ، وقصدت جموعها تلك القهوة الحقيرة ، التي ربحت في تلك الليلة مالا يصدق ؛ وبعد ساعة من الزمن ، طفقت ترفض زرافاتها شيئاً فشيئاً ، فأوى من أسعدهم الحظ باستئجار غرف في « پونتاسياف » إلى مضاجعهم ، وانطلقت سيارات القسم الآخر تعدو وتتسابق ، فلم تلبث القهوة أن أقفلت أبوابها ، ولم يبق أحد مستيقظاً ، غير جماعة النقاد المسرحيين ، الذين كانوا يتهافتون على دائرة البرق ، ليبرقوا إلى صحفهم بهذا الانتصار ، وبآرائهم فيه

أما « سيريني » فانه لبث واقفاً يحدق في تلك النافذة ، ولا يرفع بصره عنها ، وقد كانت تلوح على وجهه أمارات الكآبة والحزن :

— طالع منكود !!! ... أنا الذي لم يرغب في هذا الانتصار إلا لأتمتع برؤيتها عن طريقه ...

ماذا كنا ننتظر بعد تلك الساعة ؟ ليس من شك أنها عادت إلى دارها من حيث لم تقع أبصارنا عليها ... ليس من شك أنها عادت ، ومن وقت غير يسير ؛ وانا لكذلك ، وإذا « سيريني » يتأكد أن منزل عروس أحلامه ، لا باب له من واجهته !!!

طفقنا نبحث عن الباب ، فاهتدينا اليه ، في زقاق ضيق .... لاشك أنها عادت ، ولكن ... لو كانت عادت ، لأبصرنا الضوء من خصاص النوافذ ، ولو برهة وجيزة . إلا انا كنا اذا أمعنا في التفكير قلنا : وما يدرينا ؟ هل نحن واقفون على هندسة الدار ، حتى نعلم اذا كان اشعال النور في احدى الغرف ، لابد أن يظهر من تلك النوافذ ؟

دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، في الكنيسة المجاورة ، وكان التعب قد بلغ مني مبلغه ، حتى كدت أسقط الى الارض اعياء وضعفاً ، فشرعت أتوسل اليه أن يعود ، وما زلت به حتي أقنعته بذلك ... وهكذا بفضل الله ، وبعد سلسلة لاحد لها من التأوهات المحرقة ، والتنهدات الملتهبة ، وبعد كثير من الحدس والتخمين ، وبعد نواح شبيه بمراثي أرميا ، وبعد أن رسم خططاً ليقوم بتنفيذها في الغد ، بعد كل ذلك ، أوى « سيريني » الى فراشه ، وهو يزأر ويزمجر ؛ وتركني أرقد بسلام ؛ وأنا ألعن في نفسي الحب الريفي الذي يحتل قلوب كبار رجال المدن !!!

— ٦ —

وفي الصباح ، عند الساعة العاشرة . احتشد الناس في قهوة القرية الحقيرة . وكان « مارك » قد دعا رهطاً من اصدقائه لتناول الطعام في الهواء الطلق ، رغبة منه في استبقائهم حوله . وكان بين المدعوين الممثلة الشهيرة « تيريزا اندرياني » وعدد غير يسير من اصدقائه في فلورانسا وروما . وفريق من النقاد المسرحيين . الذين كان الشاعر الرصين — الذي يعرف كيف يدير أعماله لتكون موفقة حتى في اشد احواله اضطراباً — سيرجعهم بسيارته

الخاصة الى روما ، وهنالك طلق اعظم اولئك النقاد مقدرة ، وابعدهم صيتاً ، ينقد الرواية نقداً وجيزاً ، مبيناً ، ويمتدحها في غير تحفظ ، ثم اخذ يبين كيف كان يصنعها ، لو عهد اليه بتأليفها . ولكنه لم يكد يدرك نقطة التدليل على سداد رأيه ببرهان جليل من علم الجمال ، حتى تحول عنه « مارك سيريني » ولم يعد يكترث به وبارع جمله . . . .

حدث حادثان عظيمان . . . ظهرت عروس احلامه . ومن ورائها امها ، تخطر وتتهادى في ذلك الزقاق الضيق ، متجهة نحو الساحة الكبرى ، ولم يكد يتبينهما تماماً حتى كان احد اصدقائه الفلورانتيين ، قد هرع الى السيدتين ، ورفع قبعته لتحيتهما ... وقد لبث يتحدث اليهما زهاء عشر دقائق ، كاد « سيريني » ينفجر اثناءها ... وقد انفجر ... ، واخذ يطلع الجميع على سره : « هل تريدون أن تعلموا لماذا اصررت على ان تمثل رواياتي لأول مرة في « بونتاسياف » ؟ ... اذن فاعلموا : اني لم افعل ذلك الا من اجل هذه السيدة ، التي اهيم بها هياماً جنونياً ! »

وبكلمات قليلة اطلعهم على كل شيء ، اطلعهم على قصة غرامه منذ وقوف سيارته تحت نافذتها ، حتى انتظاره اياها في الليلة السابقة الى ما بعد منتصف الليل بساعتين !

وكانت ترتفع عبارات الدهشة ، والاستغراب ، من هنا وهنا ، وكانت ترافقها في بعض الاحيان تعليقات مختلفة ، متضاربة ، ورغم هذا كله ، ومع ان سيدة النافذة كانت ماتبرح تتحدث الى « جيورجيني » صديقه الفلورانسي فانها لم تلتفت الى جهتنا قط ... ولكن لا ... لقد جادت علينا بنظرة قصيرة عندما لفت « جيورجيني » نظرها الينا .

اخذ « سيريني » يلاحظ الام ، كانت تحمل عدداً من مجلة « الا لليستراسيون » وكتاباً للصلاة تحت ابطها ... وقد فتحت المجلة وارت صديقنا صفحة فيها ، لم يملك أن يكتم دهشته على أثر النظر اليها .

— هي تريه رسمي بكل تأكيد ! ... ولكن ... لماذا يبدي « جيورجيني » هذه الدهشة ؟

وفي هذه اللحظة تماما ، هز الفلورانسي يدي السيدتين ، ورفع قبعته لتحيتهما ووداعهما ، واتجهت السيدتان ، دون أن تلتفتا الى جهتنا ، نحو الكنيسة ...

وعاد « جيورجيني » الينا مسرعا ، ولكن « مارك » كان قد أسرع لمقابلته ، وسؤاله :

— من هي ؟ ؟ ؟

— مدام « ازوري » ... عرفتها وهي طفلة في مدينة فلورانسا

— وماذا قالت لك ؟

— لم تقل لي شيئاً ذا أهمية !!!

— اذن لماذا نظرت الي ؟

— لم تنظر اليك قط !!!

— ... اني أؤكد لك أنها نظرت الي ...

قال « مارك » ذلك ، واحتد ... فتذكر « جيورجيني » ، وبعد مدة :

— ها ... ربما كان ذلك عندما سألتهما اذا كانتا ترغبان في التعرف الى « مارك سيريني » ..

— وهي ... ماذا ... ماذا قالت ؟

— لم تقل شيئاً !!

— كيف لم تقل شيئاً ؟ ... هـذا محال ! ... تكلم !. تكلم ! .. تكلم ! ...

— اني استميحك العذر يا « سيريني » من اطلاعك على جوابها !!! ... اني لا أجد في نفسي الجرأة الكافية لذلك !!! .. اني لا يسرني أن أسمعك مالا يسرك !!!!

— قل !!! ... قل !!! .. قل والا سحقتك !!!

أما نحن ، فقد كنا على غاية من الدهشة ، والاستغراب .. و « جيورجيني » المسكين لم يك يفهم سببا لهياج الشاعر وثورته ، وكان كلما شدد المؤلف عليه النكير ، ازداد هوجوداً واضطرابا

— قلت لها : هل ترغبان في التعرف الى « مارك سيريني » .. هذا هو ! ... فنظرتا اليك .. ولكن .. بعد ذلك ..

— ماذا بعد ذلك ؟ ؟ ؟ .. قل ... تكلم ...

— وبعد ذلك ... بعد ذلك سألتني ...

— ماذا سألتك ؟ ؟ ؟

— سألتني ... سألتني : ومن هو « مارك سيريني » ؟ ؟

يالصاعقة !!!!

كان « سيريني » واقفاً ، فهوى على كرسيه متهالكا ، ثم قال بصوت ضعيف :

— وانت ، ماذا أجبتها ؟

— لم أجبها بشيء ... فقد تذكرت وقالت : « آه .... أجل ... أليس هو « مارك سيريني » مؤلف الاوبرا التي مثلوها مساء البارحة ؟ »

— « الاوبرا » !!! . . . « الاوبرا » !!! . . . . .
— ان التعبير غريب ، أليس يسمون كذلك ؟ ولكن ينبغي أن نلتمس لها عذراً ، لانها ريفية . وسكان الريف يسمون كل شيء بل في لغتهم « اوبرا » . . . .
— ولكن . . . قل لي . . . (استطرد « سيريني » بصوت يكاد لايسمع) . . . قل لي ، هل ذهبت على الاقل لمشاهدة « الاوبرا » ؟
— كلا !!! لم تحضر التمثيل . . . لقد سألتها ذلك . . . لم تحضره ، لان زوجها مسافر . . . ومن جهة ثانية ليس لها رغبة في مشاهدة الروايات التمثيلية . اذ لديها ما يشغلها عن ذلك من الاعمال البيتية . . . لقد اعترفت لي بذلك . . . . وقد اصبح لها ثلاثة اولاد فاني لها ذلك ؟ ؟ ؟

اخذ يردد « مارك » في نفسه . كيف لم تذهب ؟ . وكلمة « اوبرا » تكاد تسحقه . . . . ثم التفت الي : « اوبرا » . . . . « اوبرا » اهذا يصدق ؟ ؟ ؟

وعرض له خاطر آخر فسأل « جيورجيني » — ولكن . . . لماذا أرتك رسمي ؟
— رسمك ؟ . . . أي رسم ؟
— آه ! . . هل أصبحت أنت أيضاً « خبيثاً » ؟ لقد ارتك رسمي . . . أرتك اياه . . . اني موقن من ذلك !!! أو لم تفتح الام مجلة « الليستراسيون » ؟؟؟

— مجلة « الليستراسيون » ؟ . . . آه . . . هـذا صحيح . . . تذكر « جيورجيني » . . . ولكنها لم ترني رسمك !!! . . . لعل من المستحسن أن أعلمك ، بأن زوجها مسيو « ازوري » ، كيماوي ، وبكلمة أصح ، صيدلي ، وقد اخترع في المدة الأخيرة حبوباً تقوي نهود النساء متى بلغن سناً معينة ، وهو يحسب انه سيكسب بذلك الملايين ، ولو سمعت السيدتين تتحدثان عن هذه الحبوب ، لأيقنت انها حبوب عجيبة جداً ؛ ولقد أرتني الام الإعلان الذي نشرته مجلة « الليستراسيون » عنها ، وهو اعلان طريف ، يصور الالهتين « جينون » و « فينيس » يتشادان من شعورهما وهما يتنازعان علبة من هذه الحبوب التي دعاها الصيدلي : مجددة الشباب !!!

— ٧ —

كان هذا الحديث ضربة قاضية على آمال « سيريني » وأحلامه فارتمى على كرسيه خائراً ، مضعضعاً ، وأشار الى « جيورجيني » بيده ، ألا يتابع حديثه ، والا يعود اليه . . . أما نحن ، فقد كنا غارقين في صمت رهيب ، لا يعدله غير صمت المقابر ، ولا أظنني بحاجة لأن اعلمكم ، بأن الدعوة وقفت عند هذا الحد ، وان المدعوين عادوا الى فلورانسا ليتناولوا الطعام في مطاعمها .

وقد تناولت الطعام مع « سيريني » في مطعم « ميليني » ، واذا الشاعر قد أضاع رشده ، وفقد صوابه ، وأعاد النقاد المسرحيين بالقطار الى روما . . .

ولما فرغنا من الطعام ، جعلنا نتناول الفاكهة ، واذا به ينفجر :
— أرأيت ؟ . . . لقد صادفت في حياتي انتصارات واندحارات عديدة ، ولكني لم أشعر في حياتي على أثر اندحار ، بالخجل القاتل الذي تركه في نفسي انتصار البارحة . . . كلا ! . . . لم أشعر قبل اليوم بمثل هذا الخجل السام !!!

ان الألفي شخص الذين أطاعوا هواي ، وتسابقوا الى « بوتاسياف » لمشاهدة روايتي الحديثة ، وحيتها بأعاصير داوية من الهتاف والتصفيق . . والجرائد الطافحة بالتقاريظ والانتقادات الفخورة بنشر اسمي ورسمي . . . والسياحة الموفقة التي ينتظر أن تصادفها فرقتي . . . وبرقيات التهنئة التي بارحت تتقاطر عليّ من كل حدب وصوب . . . ان كل ذلك ياصديقي قد تلاشى واندثر !!!

ولاطفاء هذا اللهيب . . . ولاحداث الظلام بتلك الاضواء ، لم تتكبد تلك الريفية التي كنت أحسبها تعجب بي اعجاباً ، لا يعد التأليه بجانبه شيئاً مذكوراً . . . لم تتكبد مشقة كبيرة . . . انما كفاها أن تسأل ذلك الأحمق « ولكن من هو مارك سيريني ؟ »

كم يبدو لنا العالم كبيراً ، وكم هو صغير !!! ان أعظم العظماء ، اذا خرجوا عن دائرة بضعة آلاف شخص ؛ يصبحون مجهولين ؛ لايعرفهم أحد ، ولا يأبه بهم أحد !!!

انظر . . هذه جريدة « لاناسيون » قد شغلت أكثر من نصف صفحة بالحديث عن روايتي ، وهذا اسمي قد كتب فيها بحروف بارزة على أربعة عواميد . . . ويخيل اليك بعد ذلك أن جميع الناس أصبحوا يعرفون هذا الاسم ، بل ربما ظننت أنه ينبغي عليهم بعد ذلك أن يعرفوه . . . ولكن الحقيقة أن لا أحد يتذكره ، عند ما يقلب الصفحة . . . هو ذا « الجارسون » يتأهب ليقدم لنا القهوة ، وهو قد طالع الجريدة هذا الصباح ؛ ادعه ، واسأله . من هو « مارك سيريني » ؟ . . . اني أراهنك على زجاجة شمبانيا : انه سيسخر منك ، وسيفتح لك عينين كبيرتين دهشتين .

الا ان « مارك » لم يقدم لي شيئاً من الشمبانيا ، لأني أحسنت صنعاً بعدم دعوة « الجارسون » ، ولكن المؤلف لم ينقطع عن

الشكوى والتذمر، وأخذ ينعى على نفسه جهوده الضائعة، ولم يتردد عن لصق بعض الوصمات بنفسه. لأنه زرع بذوراً قوية من العمل الدائم، ليحصد بعد ذلك الموقف المزرى الذي تقفه بلاده العاقة من نبوغه وعبقريته !!!

وأخيراً، دعونا «الجارسون» لندفع له الحساب؛ وبينا «مارك» يعيد محفظته الى جيبه، ابتسم «الجارسون»، وقال وهو يلتقط البقشيش:

— عفواً... ألم أحرز الشرف بخدمة «مارك سيريني»؟

فانتفض هذا الأخير وقال:

— وكيف عرفتني؟

— لقد أبصرت رسمك هذا الصباح منشوراً في مجلة «الليستراسيون» وذهب يبحث عن العدد. ولم يلبث ان عاد به. وفتحه عند الصفحة التى نشر فيها رسم «سيريني» جديد. بمناسبة تمثيل روايته الحديثة في «بوتاسياف». فنظرت انا و «مارك» اليها. ولحظنا لجاءة على الصفحة اليمنى. ازاء الرسم المنشور على الصفحة اليسرى تماما. ابصرنا — يا لسخرية الصدف ! — ابصرنا «جينون وفيلس» يتنازعان علبة من الحبوب المجددة للشباب !!!!!

فخرج «مارك» من مطعم «ميليني». وقد هدأت أعصابه. وسكنت نفسه

هل ينبغي تهنئة «الجارسون» لانه عرف «سيريني»؟...

هل ينبغي تخطئة سيدة النافذة لانها لم تعرفه؟

كلا أيها الأصدقاء ! ان سيدة «بوتاسياف» الفاتنة قد ألقت علينا درساً مفيداً، ومفيداً جداً: ينبغي علينا أن ندير الاوركستر وأن نضع الروايات لا لغيرنا، بل لأنفسنا !!!

أما الشهرة، فهى كلمة جوفاء أيها الأصدقاء الذين ارادوني على الكلام كثيراً. الشهرة؟... كلمة لا أفكر فيها عند ما أشير بعصاي اللدنة إلى أعضاء الأوركستر... وهى الكلمة التى لم يعد «سيريني» يفكر فيها عند ما يأخذ اليراع ليضع رواية جديدة.......... تمت — حلب — ايزاك شموش

(للشاعر المرحوم اسماعيل صفا — بقية المنشور على صفحة ٢٣)

ولو انى في ظلها وحيد، وعلى غصونها بلبل غريد!

قلت: ولو خلع القمر على الكائنات حلل الضياء. وغشت السكينة الارجاء.

قلت: ولو ان الارض كلها والسموات معطرة الارجاء مضيئة الجنبات

قلت: ما كنت لأسعد بهذا كله الا ان يسعد طالعي فيؤنسني حبيبي

واقول الآن: هب كل هذا ميسرا. انه واحسرتاه! ظل زائل، فلو ذهبت الى عالم لا تحول لذاته، ولا تفني مسراته!!

قصة مصرية

سفروت الحاوي

كان بمدينة بور سعيد رجل اسمه «سفروت الحاوى» يتردد على المقاهى فيعرض ألعابه السيماوية وحيله السحرية على الجالسين لقاء مايجودون به عليه. وكان سفروت هذا لبقاً فكه الحديث سريع الخاطر قلما يخلو له اسبوع من حيلة جديدة، وبذلك اكتسب رزقاً حسده عليه بنو مهنته.

وأهالى بور سعيد كما يعلم القراء اشتهروا بأنه قلما وجد لسان فى شرق الأرض أو غربها لم يلموا منه ببعض مفردات. ولكن سفروت هذا فاق أهل بلده فى ذلك، فقد وهبه الله هبة اللغات فكان يتفاهم فى لغتين، ويشرح حيله ويطلب أجره فى تسع لغات.

كان سفروت رجلاً طويل القامة نحيلاً أسمر اللون، زينت له أمه أذنه اليمنى بحلقة فضية لأنه عاش لها بعد خمسة ماتوا فى طفولتهم. وكان يسير فى جلباب من السكروتة عليه معطف طويل محشو الجيوب وينادى بصوت طلق قوى:

«أنا سفروت الحاوى — أنا الحاوى سفروت — أطلع البيضة من الكتكوت... جلا جلا جلا جلا جلا»

ويترجم ذلك أو شبهه إلى ألسن مختلفة بينما (يفنط) أوراق اللعب بين يديه بمهارة نادرة.

وأغنى الله سفروت الحاوى جزاء استقامته وذكائه واقتصاده فجلب من ألمانيا لعباً سيماوية ثمينة واتخذ له صبية وسيمة الوجه جذابة القد اسمها بهية، وانتشرت شهرته بين أصحاب المقاهى والملاهى فى بور سعيد فاستأجروه لاحياء ليال خاصة أدرت عليه وعليهم الربح الكثير.

وزاد طموح سفروت فبدل ثوبه الوطنى ببدلة سوداء على مثال أبناء حرفته الغربيين، وأرسل شعر رأسه طويلا قائماً، واتخذ لنفسه لقب «بروفيسير»، ثم انتقل إلى القاهرة يشتغل بها فى موسم السواح، ويتركها إلى الاسكندرية وغيرها من المصايف فى موسم الحر.

كان سفروت كعادة الحواة يبدأ ألعابه بالمألوف من الحيل، مثل كسر البيض ووضعه فى إناء أمام النظارة، ثم اخراجه صحيحاً من آذانهم، ويتدرج من ذلك إلى الصعب العجيب مثل أكل

الحرق البالية وقصاصات الورق، واخراجها من فمه، أعلاما للدول المختلفة وهكذا حتى ينتهي الى أصعب ألعــابه وهي لعبة صندوق الاخفاء الألماني العجيب الذي اشتراه بمبلغ كبير .

وأمر هذا الصندوق يظهر غريباً للمتفرجين، وبيانه أن سفروتا يأتي ببهية فيقيدها بالسلاسل والأغلال ويضعها في صندوق أمام المتفرجين، كان قد طلب اليهم فحصه قبل ذلك .

ويوصد الحاوي الصندوق بالأقفال ويربطه بالحبال ويقف عليه، فيكفهر وجهه ، ويقف شعر رأسه ، ويتمتم ويتلو تعاويذ سليمان على الجن الحمراء أن يحضروا ، فتحضر الجن الحمراء ويأمرهم سفروت أن يحولوا جسم بهية إلى المادة الهيولية . عندئذ يتصاعد من الصندوق بخار أحمر فينزل الحاوي عنه ويفتحه فلا نرى أثراً للفتاة فيه .

ويقفل سفروت الصندوق ثانية ، ويقف عليه فيكفهر وجهه ويقف شعر رأسه ، ويدعو سليمان فتحضر الجن ثانية ، فيأمرهم أن يسترجعوا جسم بهية ، وينزل الدخان الاحمر من سقف المسرح ويفتح الحاوي الصندوق فاذا بهية في أصفادها كما كانت .

ooo

حدث ذات مرة في موسم (رأس البر) أن تعاقد مدير فندق كبير مع البروفيسير سفروت ، على إحياء سبع ليال للتسلية المصيفين مقابل أجر طيب ، فأمر الحاوي أن يبنى له مسرح خاص في ردهة الفندق الكبيرة ، وبدأ لياليه كالعادة ، حتى كانت الليلة الثالثة

فني هذه الليلة بعد أن انتهى من لعبة الصندوق وبينما كان يجمع أدواته من المتفرجين ويعطيهم ما كان قد استعاره منهم أثناء الحفلة اعترضه رجل قصير القامة ، بدين الجسم ، يلمع العرق على وجهه الأسمر الأصفر ، رجل من أقباط الصعيد في زعبوط أسود وعمامة سوداء يخاله الناظر من تجار الكسبة أو العجوة .

تقدم الرجل من سفروت خجلا متردداً فقال : « نكتة اللعبة دى !. . . نكته تمام يا أخينا » . فوافق سفروت على قول الرجل ببرود وأدب مصطنع ، ثم مضى إلى غيره ، ذلك أن الناس كثيراً ما كانوا يأتون اليه بعد الحفلات يخبرونه أنهم يعلمون سر العابه أو أن ما فعله قد رأوه منذ سنوات أو ليلحوا عليه كي يعلمهم السر في حيلة أعجبتهم إلى غير ذلك من سخف كثيراً ما سايرهم فيه أو صرفهم عنه بسخرية غير جارحة ، اذ لم يكن من الكياسة أن يجفو لهم في القول وعليهم مدار رزقه .

وتبع القبطي الحاوي وهو يردد في شيء من الذهول : نكتة جوي والله عبارة الصندوق دى !. . . . نكتة جوي جوي » فقال سفروت مستهزئا : « اذا كان أعجبك فلم لا أشترى لك واحدا يامعلم ؟ » فلم يدرك الصعيدى ان الحاوى يهزأ به اذ كان يفكر في أمر ملك عليه انتباهه .

انتهى سفروت وخرج كعادته يتمشى على شــاطئ البحر ليريح نفسه من عناء العمل وليستنشق هواء الليل قبل أن يذهب الى فراشه فاذا بالقبطي يقتفي اثره ويبادره بحديث الصندوق

— لا تؤاخذني ياحضرة . . . . أنا عاوز أكلمك ، انت أولا اسمك ايه ؟

— خدامك سفروت

— عاشت الاسامى ياسى سفروت . . . . تعرف ياسى سفروت عبارة الصندوج دى مش نكته جوى جوي برده !

— اياك انت تكون اهتديت لسرها بنباهتك من ساعة ما سبتك ؟

— لا لا ! مش غرضى .

— وادرك سفروت من لهجة محدثه انه يحاول أن يكتسب صداقته ؛ وكانت الليلة مقمرة ، فلما نظر رأى عيني القبطي تلمعان بانفعال غريب لحدثته نفسه ، ماذا يريد هذا الرجل مني ؟ ، ولكن محدثه قطع عليه تفكيره

— بجه مش تفتكر أن تخبية المرة اللي معاك دى يخصر اللعبة بعض شى ؟

— برده ياخواجـــه لك حق ، لكن يعنى امال حنخبي مين ؟

— ليه ماتخبيش واحد من المتفرجين ؟ اهو ده يكون نكتة تمام .

واندهش سفروت من هذا الاقتراح الشاذ واجاب ساخرا

— يبقى نكتة أوي اذا كان واحد بيه يرضى يوالس معايه ! طبعا اذا كنت انت متطوع يبقى كويس . داحتى ما يقاش فيه فايدة للصندوق . الزعبوط بتاعك ده كفاية أوى ، الزعبوط ده يخبي دستة

ثم ضحك مقهقها .

— ما تآخذنيش يا معلم ! انا راجل احب الهزار .

ولكن الرجل الغريب الأطوار تجاهل وقاحة الحاوي أو هو لم يسمعه فقد نظر حوله كمن يريد أن يستوثق من عيون رقيب ، ثم ادنى فمه من أذن محدثه هامسا : اسمع ! أنا راضى ، انا أتفق وياك . وتلفت حوله في انفعال عصبي ووضع يده في عبه وأخرج منها محفظة نقوده فاخذ ورقة ذات خمسة جنيهات وهو يهمس .

— ما تفتكر شي يا بني سفروت اني بجنون ، يمكن أطواري تظهر غريبة لك شوية ، لكن أنا مجش نون . أنا عاوز اتعلم اللعبة دى ، وآدي خمسة جنيه علشان تعلمهالى وتعملها بكرة سوى قدام الناس

وساور الحاوى الشك في سلامة عقل الرجل ، ولكن المال أغراه فبينما هو يقلب الأمر على وجوهه اذا صوت امرأة يرتفع في وحشة الليل حوله

— بولص !! بولص !

ونظر سفروت فاذا امرأة طويلة هزيلة في خبرة سوداء مقبلة عليهما .

وارتبك الرجل القبطى ارتباكا واضحا وظهر عليه الخوف ، فقال مسرعا :

— اسمع ! ذي مراتى انا لازم أروح . انا لازم أروح حالا . أنت اتفقت ولالأ ؟ فأخذ الحاوي الورقة من يد الرجل قائلا .

— ما دمت أنت عاوز كده ما فيش بأس .

— يمكن تقابلنى بكره الساعة تسعة الصبح علشان تعلمني ؟

فرضي سفروت وانصرف الرجل الي زوجته مسرعا كأنما هو يحرص ألا تكشف عن صفة محدثه .

وفي اليوم التالى في الساعة المحدودة قابل الحاوى بولص وعلمه كيف يهبط قاع الصندوق مع الجزء الذى تحته من خشب المسرح بالضغط على زر خفي بأحد جوانبه ، وكيف يفك أغلاله ويربطها بعد ذلك وكيف يرفع القاع الى ما كان عليه .

وكان بولص برغم بدانته ، وغرابة أطواره ، وزعبوطه ، ذكيا سريع الفهم تعلم في وقت قصير وأتقن اللعبة اتقان صبية الحاوى .

وكانت الحفلة في المساء وقام سفروت بألعابه كعادته الا أنه كان كلما نظر الى بولص رأى عينيه شاخصتين نحوه كأنما يربطهما بالحاوى خيط ، فشعر بوساوس مقلقة وتوترت أعصابه وترك بهية تقوم بدور لا تحتاج فيه اليه فانسرق الى البار وشرب بعضا من الويسكي ثم رجع يعاود ألعابه .

وأتي دور الصندوق ولسفروت من حدة الذهن وجرأة الحجز ما ألهمه هذه الديباجة :

أعمل أمام حضرتكم الليلة أيها السيدات والسادة ، ما لم يعمله حاو في العالم أجمع لا قبلى ولا بعدى ، فارضاء لرباتنا الكرام اتصلت قبل الحفلة بخادمى من الجن الاحمر المدعو جنجلوت ...... لا تضحكوا أيها السيدات ، نعم ، خادمى جنجلوت الخفيف الذى سخره لى سليمان . وبعد الجهد الجهيد أيها السيدات والسادة رضى جنجلوت أن يأخذ أحد حضرات المتفرجين هذه الليلة فيحوله الى المادة الهيولية ويصطحب روحه في نزهة سماوية .

من منكم أيها السيدات والسادة يحب أن يخاطر هذه المخاطرة ؟ من عنده الشجاعة والاقدام ؟ . . . ألو ألو . . . ألا أونا الا دوه . . . . دقيقتين فسحة بين الكواكب ياسيدتي الو ؟ . . . حضرتك ؟ لا ؟ طيب تعالى انت ياست ياأم برقع ، لا ؟ طيب بلاش لا ياسعادة البيه ، أنت ثقيل شوية على جنجلوت انت يا افندي ياصغير ؟ بقي مافيش حد يجبر بخاطر جنجلوت الجنى الخفيف الظريف ؟ ألو ألو ألا أونا الا دوه . . . . مافيش فى الصالة واحد شجاع

وظل المتفرجون بين ذلك يضحكون ولكن سرعان ما اعتراهم الصمت والدهشة اذ رأوا احدهم يرتقي المسرح فعلا ، وفى هذا السكون ارتفع صوت المرأة ذات الخبرة السوداء كما ارتفع فى وحشة الليلة الماضية

— بولص !!! بولص بولص !!! ارجع هنا .

صوت وحشى جهورى تفضح نبراته قسوة قلبها وأنانيتها .

وتبينت أغلبية أهل الفندق بولص تاجر البصل الصعيدي المتيسر والرجل الصامت المنعزل مع زوجته القبيحة ، دائما فى

(البقية على صفحة ٤٢)



شعر ونثر

وحي الاربعين — للاستاذ عباس محمود العقاد

ثورة الادب — للدكتور محمد حسين هيكل بك

على دين ثقيل للاستاذ العقاد حيل بيني وبين أدائه الى الآن. ويظهر أني لن أستطيع أن أؤديه جملة فلا بد من تأديته أقساطا. فبين يدي كتب ثلاثة قرأتها وأعجبت بها ولي فيها آراء وأحب أن أذيعها. وهي كتاب الاستاذ عن ابن الرومي وكتابه عن جوت وديوانه الأخير وحي الاربعين.

ولست أدري لماذا آثرت أن يكون قضائي لهذا الدين عكسيا فابدأ بآخر هذه الكتب الثلاثة ظهورا. ولعلي انما آثرت البدء بوحي الأربعين لأنه شعر، ولأن الوقوف عند الشعر والشعراء عذب لذيذ للكتاب الذين لا يحسنون قرض الشعر. فهم يجدون في قراءته ونقده وتحليله لذة لا يجدونها في قراءة النثر ونقده وتحليله. ولعلي انما آثرت البدء بهذا الديوان لأن نقده أيسر من نقد الكتابين الآخرين. أيسر علي، وأيسر على الشاعر الكبير نفسه. فلن يكون بيننا جدال طويل ولا قصير. ولن نحتاج الى أن نرجع الى كتب الأدب والتاريخ لنثبت رأيا أراه ويخالفني العقاد فيه أو رأيا يراه العقاد ولا أقره عليه. انما هي آراء وخواطر تثيرها في نفسي قراءة هذا الديوان وسأعرضها على العقاد وعلى قرائه الذين نقدوه والذين قرظوه دون ان أحاول ان افرضها على أحد فرضا او ان اتعصب لها او ان أجادل عنها. ودون ان يكون للعقاد وأنصاره وخصومه أن ينكروا هذه الآراء او يجادلوا فيها لأنها آراء تتصل بالذوق وتتصل بمزاج الكاتب وطبيعته وتأثره بالفن الجميل أكثر مما تتصل بالحقائق المقررة او الأمور التي يكثر فيها الجدال والنضال.

وما أظن ان احدا يطمع في أن يفرض علي ذوقا غير ذوقي او طبيعة غير طبيعتي او تأثرا بالفن الجميل غير تأثري به. لمن شاء أن يرضى ولمن شاء أن يسخط وانا أوثر بالطبع رضى الناس على سخطهم ولكن إيثاري لهذا الرضى شيء، وظفري به شيء آخر.

ولعلي آخر الأمر انما آثرت البدء بهذا الديوان لأن كلام الناس قد كثر فيه ولأن جدالهم قد اشتد من حوله ولأن نقاده قد غلوا حتى جاوزوا القصد وأنصاره قد اسرفوا حتى جاروا عن الحق فاحببت أن أقول في هذا الديوان كلمة، لا أقول انها تقر الأمر في نصابه، وترد المختلفين الى الوفاق، فليس الى ذلك من سبيل. ولكنها قد تصور رأي جماعة من المنصفين الذين لا يرضون عن آثار العقاد ولا ينكرونها لأنهم يغلون في حب العقاد او يغلون في بغضه، بل لأنهم ينظرون اليها من حيث هي آثار فنية خالصة تلائم أذواقهم أحيانا فيرضون، وتنافر أذواقهم حينا فينكرون. ومن حق هؤلاء الناس ان تصور آراؤهم وتظهر مذاهبهم في آثار كاتب مهما يقل فيه خصومه، فلن يستطيعوا أن ينكروا عليه البراعة، وشاعر مهما يقل اعداؤه فلن يستطيعوا أن يجحدوا حظه من الاجادة، وتوفيقه الى شيء كثير جدا من الابداع.

وأريد ان أقف وقفة قصيرة عند هذه الصفحات التي قدمها العقاد بين يدي ديوانه هذا لأقره في غير تحفظ، على ما ذهب اليه فيها من ان بين المجددين قوما يقلدون في التجديد، فيخطئون الفهم ويعدون الصواب ويتورطون في احكام على الشعر والفن، لا خطر لها ولا غناء. وان اقره أيضا في غير تحفظ على ما ذهب اليه في هذه الصفحات من ان للشاعر المجدد أن يطارق الفنون التي طرقها القدماء دون ان يمس ذلك تجديده او يغض ذلك من براعته، بل قد يكون من الحق عليه أن يطرق هذه الفنون فيجددها ويبعث فيها حياة ملائمة للعصر والبيئة ولميول الجيل الذي يعيش الشاعر فيه.

فليس المدح عيبا من حيث هو مدح، وليس المدح فنا يجب أن يموت وانما المدح فن من فنون الشعر لابد من بقائه ما بقي الشعر، وما بقي بين الناس من يجيد ويحسن، وما بقي بين الناس من يرضى عن الاجادة ويحمد الاحسان للمحسنين. والهجاء فن من فنون

الشعر لابد من ان يبقى ما بقى في الناس من يسيء، وما بقى في الناس من يحب نقد المفسد وتقويم المسيء. وقل مثل ذلك في غير المدح والهجاء من هذه الفنون التي طرقها القدماء من العرب وغير العرب لا ينبغي ان تزول ولا ان تهجر، وانما ينبغي ان تتطور لتلائم غيرها من أساليب الحياة العقلية والفنية التي يحياها الناس على اختلاف البيئات والعصور

ولكني وقفت مفكرا بعض الشيء عند هذا التعريف الذي أراد العقاد ان يعرف به الشعر حين يقول:

«وان من اراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لكمن يريد ان يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود، فالشاعر لا ينبغي أن ان يتقيد الا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب، وهو التعبير الجميل عن الشعور الصادق، وكل ما دخل في هذا الباب - باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق - فهو شعر وان كان مديحا او هجاء او وصفا للابل والاطلال وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وان كان قصة او وصف طبيعة او مخترع حديث»

فالشعر عند العقاد كالحياة ليس الى حصره ولا الى تحديده من سبيل، او هو كالحياة يحصر ويحدد اذا امكن حصر الحياة أو تحديدها. ولكن العقاد بعد ذلك يعرف الشعر بانه التعبير الجميل عن الشعور الصادق وهو بهذا التعريف نفسه قد حدد الشعر وجعله اضيق من الحياة. فليست الحياة كلها تعبيرا جميلا عن شعور صادق بل في الحياة شعور غير صادق يعبر عنه تعبيرا غير جميل، وفيها شعور كاذب يعبر عنه تعبيرا جميلا، وفيها شعور صادق يعبر عنه احيانا تعبيراً جميلا وتعبيرا غير جميل. واذا فليس الشعر كالحياة لا سبيل الى حصره بل ليس الشعر كالحياة يحصر كما تحصر الحياة ويحدد كما تحدد الحياة. وانما الشعر لون من الوان الحياة وتحديده ليس مستحيلا ولا عسيرا وآية ذلك ان العقاد نفسه قد حاول هذا التحديد فعرف الشعر بانه التعبير الجميل عن الشعور الصادق وجعل كل ما يدخل في هذا الباب شعرا مهما يكن جوهره وكلما يخرج من هذا الباب لم يجعله شعرا مهما يكن شكله وصورته وموضوعه

واظن ان العقاد لم يوفق في هذا التعريف فاذا اراد بالتعبير الجميل اهو المنظوم او المنثور؟ ام هما المنظوم والمنثور معاً؟ فان تكن الاولى فقد يدخل في تعريف الشعر من الكلام ما ليس منه وان تكن الثانية فقد يخرج الشعر المنظوم كله من هذا التعريف، وان تكن الثالثة فكل كلام جميل يصف شعورا صادقا فهو شعر. واذا ففيما تقسيم الكلام الى شعر ونثر؟ سيقول العقاد ان هذا التقسيم قديم لا غناء فيه ولكن العقاد نفسه لم يسم نثره شعرا ولم يطلق لفظ الديوان الا على كلامه المنظوم. ووحي الاربعين فيما اعلم نظم كله لا نثر فيه الا الشرح والتفسير. فالتعريف اذا من هذه الناحية بعيد كل البعد عن الدقة التي يعرف بها العقاد. ويزداد هذا البعد اذا توسعت بعض الشيء في معنى التعبير الجميل فالتصوير تعبير جميل، والموسيقى تعبير جميل، والغناء تعبير جميل. فكل فن جميل اذاً، فهو شعر، وهذا كلام يقوله الكتاب حين يتجوزون أو حين لا يحرصون على التحقيق. فاما اذا ارادوا الاصابة والدقة فلابد لهم من تحديد التعبير الجميل، هذا ولا بد لهم من أن يلاحظوا فيه الوزن والقافية أو الوزن دون القافية او الانسجام الموسيقى على كل حال. وهذا الشعور الصادق ما هو وما عسى ان يكون وهل يطمئن العقاد حقا الى ان كل ما يصفه الشعراء فيجيدون، وصفه انما هو نتيجة لشعور صادق حقا، أليس من الشعراء من يجيد الوصف لطائفة من العواطف، لا يجدها ولا يشعر بها شعورا صادقا وانما هو يعرفها ويحسن معرفتها ويواتيه الفن فيجيد وصفها ويعبر عنها تعبيراً جميلا. واظن العقاد يوافقني على ان المعرفة الجيدة شيء والشعور الصادق شيء آخر. والعقاد يعرف من غير شك هذا المثل الذي ضربه ارسطاطليس لبراعة الشعراء في التناقض وهو مثل بندار حين طلب اليه ان يمدح بغلا ولم يعجبه الاجر، فاستكبر وذم البغل. فلما ضوعف له الاجر، جعل هذا البغل فرساً ذات جناحين ومن المؤكد ان بندار لم يكن يشعر شعورا صادقا لا بمحاسن هذا البغل ولا بعيوبه وانما كان يعرف هذه المحاسن والعيوب، واعانه فنه فصورها تصويرا بديعا.

وكلنا يعلم ان الشعراء والخطباء يروضون انفسهم على مدح الشيء وذمه، فيجيدون في المدح والذم جميعا ويعبرون عنهما تعبيرا جميلا دون ان يكون شعورهم بهما صادقا من غير شك، أو كاذبا من غير شك، انما هي البراعة الفنية الخالصة. واذا فصدق الشعور قد يكون من مزايا الشعر ومحاسنه، ولكنه لن يكون ركنا من أركان الشعر. ولو قد جعلنا صدق الشعور ركنا من اركان الشعر لاسقطنا اكثر الشعراء من تاريخ الادب في جميع اللغات. ولم يخطىء القدماء حين قالوا ان اعذب الشعر اكذبه. ولم يخطىء ارسطاطليس حين اباح للشعراء مالم يبح للخطباء من الاسراف والاغراق. فلا بد اذا من أن يحقق العقاد تعريفه هذا الشعر

ومن ان يحقق جزأيه جميعاً ومع ذلك فهل يصدق هـذا التعريف على وحى الاربعين بحيث نستطيع ان نقول ان هذا الديوان كله تعبير جميل عن شعور صادق

اما ان شعور العقاد بكل ما وصفه في ديوانه صادق فشيء احسه في قوة لاتقبل الشك ولا الريب. ولكن بالقياس الى بعض الابواب . بالقياس الى هذه الابواب التى تظهر فيها شخصية العقاد ظهورا واضحا كل الوضوح . بالقياس الى باب الغزل، مثلا هذا الذى تظهر فيه للعقاد شخصية خفيفة الظل جداً ، حلوة الروح جداً، محبة للحياة جداً ، مقبلة على اللذة جداً ، في حب لها واقتصاد فيها . انظر إلى هذه الابيات :

يالهُ من فـم — يالها من شفة!
بالشهد بهـا — كدت أن أرشفه
بالزهر بهـا — كدت أن أقطفه
حلوة ويحها! — غضة مرهفة
حسرتي بعدها — حسرة متلفة

ألست ترى فيها شخصية تحب الحياة وتكلف بها ، وتحب اللذة وتوشك أن تسرع اليها ، لولا أن شيئاً يصدها عنها صداً ويردها فترتد كارهة آسفة . وانظر اليه كيف وفق إلى الابداع فى تصوير هذه المعانى السهلة المألوفة ، فى لفظ جميل عذب كله أنق، وكيف استطاع أن يصور من وراء هذه المعانى اليسيرة المألوفة، التي يجدها الناس جميعاً، ويراها الناس جميعا، معنى آخر ليس يسيراً، ولا مألوفاً ولا شائعا بين الناس وإنما هو مقصور على الذين يسلطون العقل على الحس ويحكمون الارادة في العاطفة ، ويجدون لذة فى الرغبة الجادة يمسكها الحرمان الشديد . فالعقاد مفتون بصاحبته، مفتون بهذا الفم وهذه الشفة ، شديد الظمأ إلى شهدها، شديد الميل إلى زهرها ، يود ولكنه لايفعل ، ويكاد ولكنه لايحقق . ويجد لذة قوية فى هذا الحب ، وفى هذا الحرمان ، يخرج عن طور اللذة الغرامية المألوفة إلى طور اللذة الفلسفية الخالصة .

فى هذة الأبيات تظهر شخصية العقاد كما هى خفيفة جداً تهفو الى الجمال وتصبو اليه، رزينة جداً تؤثر أن يكون استمتاعها بالجمال عقليا لاإثم فيه ولا جناح.

فى هذه الأبيات تظهر براعة العقـاد ويظهر كل مايملأ قلب العقاد من غناء ، يجمع بين الحلاوة والقوة ، ويغري المغنين بتلحينها فى هذه الأبيات . يتحقق تعريف العقاد للشعر فهي تعبير جميل عن شعور صادق .

وقل مثل هذا في هذين البيتين وهما عندى من أجمل الشعر وأرقاه ، وهما عندى يمثلان العقاد تمثيلاً صادقا . يمثلان جموحه وتمرده ، ويمثلان وداعته وطمأنينته .

لاأرى الدنيا على نور الضحى — حبذا الدنيا على نور العيون
هي كالراووق للنور فلا — صفو الا صفوها العذب المصون

فانظر اليه كيف نفر وشذ وجمح فى الشطر الاول من البيت الاول . فلم ير الدنيا على نور الضحى كما يراها الناس جميعا ، ولم يألفها على هذا النور كما يألفها الناس جميعا . ثم انظر اليه كيف ثاب وأناب وهدأ واطمأن وأحب هـذه الدنيا ، ولكن فى نور العيون بعد أن اختصرت وهذبت ونفيت عنها الاعراض ، واستبقيت منها الخلاصة الخالصة والصفو الذى برىء من كل كدر، حبذ الدنيا على نور العيون . ثم انظر اليه كيف فسر حبه لهذه الدنيا المصفاة فى هذا البيت الجميل :

هى كالراووق للنور فلا — صفو الا صفوها العذب المصون

فالعقاد فى هذين البيتين لايحب الدنيا المبتذلة التي يرخصها نور الضحى ويبيحها للناس جميعا . وانما يحب الدنيا المصونة الممتازة التي يحتويها نور العيون ولا يبيحها الا لطبقة خاصة من الناس هم الشعراء .

فاذا أردت — ويجب أن تريد دائما مع العقاد — أن تتجاوز هذا المعنى الظاهر الذي يفهمه كل ذي حظ من الادب، الى الرمز الذى يريد اليه العقاد . واذا ذهبت — ويجب أن تذهب دائما مع العقاد — مذهب الرمزيين الذين يدلون بالقليل على الكثير وبالواضح على الخفي ، فسترى أن هذين البيتين على قلتهما وقصرهما وضيقهما يسعان كل شيء ويصوران نفس الشاعر ونظرها الى كل شيء . فالعقاد لايحب الابتذال وانما يحب الامتياز . ولا بأس عليه من ذلك ولا جناح عليه فيه ، فالشاعر الذى يستحق هذا الاسم ارستقراطى بطبعه ، وان كان أقدر الناس على تصوير الديمقراطية وفهمها وامدادها بالحياة .

وأكاد لاأشك فى أن شعور العقاد صادق في كل هذا الباب من الديوان ، ولو اني ذهبت أحلل الجيد من هذا الباب ، وكله جيد، لما فرغت من التحليل في فصل ولا فى فصول . وكم كنت أود لو أتيح لى أن أقف عند هذه القصيدة البديعة التى يسميها العقاد «المعانى الحية» ، أو عند هذه الآية الشعرية التى يسميها العقاد «الغزل الفلسفي» . أو عند هذه الآية الأخرى من بين الموشحات وهي التي سماها العقاد «ليلة البدر» . فقد اجتمع للعقاد فى هذه

القصائد الثلاث من محاسن الشعر الرائع ما لم يجتمع له في غيرها من قصائد هذا الديوان. اجتمع له صدق الشعور وعلوه وصدق التصوير ودقته، وصدق الحس وامتيازه، وجمال اللفظ الذي لاغبار عليه، واجتمع له التوفيق إلى المعاني النادرة التي قلما يقع عليها الشعراء عندنا، والمهارة في تأدية هذه المعاني بحيث يخدع عنها القراء والسامعين فيخيل اليهم انهم يقرأون أو يسمعون شيئا مألوفا. وهم يقرأون ويسمعون كلاما من أندر الكلام وأنفسه وأعلاه، كلاما لا يصدر الا عن شاعر حقا. اجتمع له في هذه القصائد جمال التعبير وصدق الشعور، وكاد يجتمع له جمال التعبير وصدق الشعور في كل هذا الباب لولا ألفاظ تنبو عن سمعي وأحسبها تنبو عن سمع كثير من الناس كلفظ المارق في قوله:

لك وجه كأنه طابع الصد ... ق على صفحة الزمان المارق

فلست أدري لماذا لا أحب هذه الكلمة في هذا البيت، ولما أشعر بأنها قلقة لا تستقر في مكانها الا كرها، ولما أشعر بأنها صغيرة ضئيلة بالقياس الى الزمان. وكلفظ الطين الذي أنكره غيري من النقاد على العقاد في قوله في القبلة:

هي كأس من كؤس الخالدين ... لم يشبها المزج من ماء وطين

فأنا لا أناقش في المعنى ولا اعتدى عليه بمحاولة افساده او الغض منه. ولكن ذوقي هذا الذي تأثر بادبنا العربي القديم ينفر، بل يفر من هذا الطين الذي يقرن بالقبلة. وأنا أفهم ان يعتذر الشاعر بصحة المعنى ودقته وامتيازه وارتفاعه من مألوف الناس، ولكني مع ذلك لا أطمئن الى هذا الطين الذي تقرن به القبلة، أو يقرن بها. وهنا تظهر خصلة من خصال العقاد التي تميزه من غيره من الشعراء المعاصرين. فهو من شعراء المعاني الذين يحرصون أشد الحرص على تصحيح معانيهم وتجويدها وتمييزها والارتفاع بها عن المألوف، ولكنهم لا يتكلفون مع الألفاظ ما يتكلفونه مع المعاني من تخير وتدقيق في التخير ومن تحرج وغلو في التحرج. هم اتباع المعاني وهم يزعمون أن الالفاظ يجب أن تتبعهم وأن تدين لهم، وهم لا يطلبون الى الألفاظ الا أن تؤدي لهم معانيهم وتعرب عنها اعرابا صحيحا لا لبس فيه. فان أتيح لها مع ذلك أن تكون جميلة جزلة ورقيقة عذبة فذاك وإلا فليس عليهم بأس ولا جناح. ولكن العقاد خليق بإحدى اثنتين: فاما أن يصلح تعريفه للشعر فلا يشترط جمال التعبير وإما ان يصلح مذهبه في الشعر فيكون احرص على تجويد اللفظ وتجميله وتزيينه في السمع والقلب مما هو الآن. وأنا أوثر له الثانية، فليس من الحق في شيء ان الشعر يستطيع ان يستغني عن جمال اللفظ بجمال المعنى وروعته ولعله يستطيع ان يستغني بجمال اللفظ عن جمال المعنى أحيانا. فالشعر موسيقى اولا، وهو اذا متجه الى السمع. فاذا استطاع، أن يخدع السمع بجمال اللفظ وانسجامه. فقد يستطيع ان يخدع القلب والعقل وقد يستطيع ان يكتفي بالسمع وحده. والخير كل الخير ان يوفق الشاعر الى الملاءمة بين جمال اللفظ وجمال المعنى. والعقاد يوفق الى هذه الملاءمة كثيرا ولكنها تخطئه احيانا.

تخطئه حين ينسى نفسه، ويعمد الى الفلسفة ويريد أن يكون فيلسوفا موضوعيا ان صح هذا التعبير، يعرض علينا لآراء الفلسفية في نفسها ومن حيث هي دون ان يبعث فيها شيئا من شخصيته، او من حياته كأنه العالم يقرر أصلا من أصول العلم او قانونا من قوانينه. في هذه الحال يتقن العقاد معانيه، ويصححها تصحيحا لاغبار عليه. ولكن هذا الاتقان والتصحيح يستغرق جهده او أكثره، ولا يكاد يبقى له الا ما يمكنه من النظم. واذا شاعرنا مفكر من الطبقة الأولى ولكن نظمه يشبه نظم ابي العلاء، تنقصه السلاسة والنصاعة وصفاء الديباجة، وهذا الانسجام الذي يخلب سمعك ويملك عليك أمرك ويجعلك نهبا للشاعر يأتي في روعك ما يشاء.

كل هذه الخواطر تخطر لك حين تقرأ القسم الأول من وحي الاربعين. وأحب ان اكون منصفا فلا يكاد الانسان ينظر في هذا الديوان وفي غيره من دواوين العقاد، حتى يعجب بالشاعر اعجابا لاحد له، لأنه رفع نفسه ورفع الشعر معه الى عالم لم يتعود شعراء العرب أن يعيشوا فيه. لا اكاد أستثني منهم الا ابا العلاء. فالموضوعات التي يقصد اليها العقاد وينظم فيها الشعر موضوعات عالية كلها رفيعة، حتى اذا هبط العقاد الى حيث يعيش الناس وشاركهم فيما تعودوا ان يقرضوا الشعر فيه من الفنون لم يلبث ان يرتفع بهذه الفنون، ويحلق بها في جو لا يكاد يرقى اليه الطرف. وأكاد اجزم بأن العقاد لو استقامت له الألفاظ وأسمحت له اللغة، لما استطاع أحد في هذه الأيام ان يساميه. ولكن لغته لا تمكنه مع الأسف الشديد من ان يستمر محلقا في الجو بل تثقل عليه وتثقل على معانيه وتضطره الى الهبوط، فيهبط ومن حقه أن يظل عاليا. وهل يأذن العقاد في ان انكر عليه خصلة اخرى في وحي الاربعين. وهي هذه الشروح التي يقدمها بين يدي طائفة من قصائده الفلسفية والتي تترك في النفس اثرا ثقيلا الى حد ما، وتخيل الى القارئ ان

الشاعر قد تخير بعض الموضوعات الفلسفية التي طرقها الناس من قبله وأتقنوها بحثاً ودرساً فنظمها، ونظمها في غير توفيق الى الوضوح فقدم هذا الشرح بين يديها وجعل شعره اشبه بالمتون منه بالشعر حقاً.

ان الذين يقرأون شعر العقاد ويذوقونه هم المثقفون المستنيرون، الذين تعودوا أن يقرأوا الشعر وأن يفهموه، وأن يقرءوا اشعرا أصعب من شعر العقاد وأشد منه أمعانا في الغموض، فيستطيع العقاد ان يحسن بهم الظن وان يخلي بينهم وبين شعره ليفهموه كما يريدون وكما يستطيعون. وليس على العقاد بأس أن يفهم شعره أحيانا على غير ما أراد هو فمن يدرى. لعله أن يكون هو مخطئا وأن يكون قارئه مصيبا، ومن يدرى لعله أن يعود الى شعره يقرأه فيفهم منه غير ما كان أراد، قد يكون هذا عيبا في النثر ولكنه مزية من مزايا الشعر الرائع. ولو أن لي أن أقترح على العقاد لطلبت اليه أن يلغي هذه الشروح الفلسفية في الطبعة الثانية لهذا الديوان، ان لم تكن قد تمت. فاني أعلم أن الطبعة الاولى قد نفدت منذ حين.

ولست أدرى لما لا أريد أن أقف، وأن اختم هذا الحديث دون أن آخذ العقاد بملاحظة أخرى اود لو يقدرها ويفكر فيها، وهي: أن التجديد في الشعر يتناول الالفاظ ويتناول المعاني من غير شك، ولكنه خليق أن يتناول الوزن ايضا فلكل نفس مذهبها في التفكير، ومذهبها في التعبير، ولكل نفس موسيقاها أيضا. وإذا صدق هذا بالقياس الى الافراد فهو صادق بالقياس الى الاجيال. والعقاد يعلم أن كل نهضة في الشعر خليقة بهذا الاسم تستتبع تغييرا في الوزن، واستحداثا لفنون جديدة من التوقيع. كان ذلك في شعرنا العربي في الشرق وفي الاندلس. وكان ذلك في غير شعرنا من الامم، وكنت أحب أن يكون ذلك في شعرنا الحديث، وكنت احب ان يكون العقاد من السابقين اليه، ولست يائسا من ذلك فان العقاد رجل خصب النفس قوى الحس دقيق الشعور واخلق بمن تجتمع له هذه الخصال، ويكون له معها خيال قوى بعيد المدى ان يجدد في الشعر فيحسن التجديد، وان يتجاوز التجديد في الالفاظ والمعاني الى التجديد في الاوزان والقوافي.

اعترف بأني قرأت وحي الاربعين مرتين وأني اود لو أقرأه مرة ومرة، وأني واثق بأني سأجد في قراءته المقبلة من اللذة والمتاع ما يجعلني فيها راغبا وعليها حريصا.

* * *

أهي المصادفة التي ارادت أن أتحدث عن العقاد وعن هيكل في مقال واحد، أم هو تشابه قوى او ضعيف بين هذين الاديبين دعاني الى ان اجمع بينهما في هذا الفصل. وان كان الاختلاف بينهما شديدا مغرقا في الشدة.

اما الذي لا اشك فيه فهو ان ظهور ثورة الأدب ليس هو الذي دعاني الى الجمع بين هذين الاديبين فقد كنت استطيع ان افرد لكل واحد منهما فصلا ولعلي لو فعلت ارحت القارئ وارحت نفسي من الاطالة واملي لو فعلت فرغت لكل واحد منهما فوفيته بعض حقه من النقد والثناء. ولكني وجدت نفسي مدفوعا الى ان انظمهما في سلك واجمعهما في فصل. وابحث بعد ذلك عما دفعني الى هذا. وأظن انه الشعور الذي كنت اجده حين كنت انتقل من شعر العقاد الى نثر هيكل، ومن نثر هيكل الى شعر العقاد. فقد كان يخيل الي اني انتقل بين اديبين مختلفين غاية الاختلاف. وانما كنت انتقل من شعر كثيرا ما يشبه النثر الى نثر كثيرا ما يشبه الشعر وكلاهما يمتاز بالخصب والثروة والعمق وكلاهما يمتاز بهذه الديباجة التي ينقصها الصفاء في كثير من الاحيان، وكلاهما يمتاز بإيثار المعاني واهمال الالفاظ الى حد بعيد. وهل انا في حاجة الى ان اصف هيكلا، واحمد قلبه الزكي وعقله القوي، وبصيرته النافذة وفهمه الصحيح لحقائق الاشياء التي يعرض لها بالبحث والدرس. وهل انا في حاجة الى ان اصف هذا الخصب المدهش الذي يحار الانسان في وصفه وفي تصويره، كلما فكر في هذه الجهود الهائلة التي يبذلها هيكل في غير انقطاع ولا تواني ولا فتور، والتي تستطيع مع هذا كله ان تحتفظ بقوة متشابهة لا يكاد يظهر فيها التفاوت ولا يكاد يعرض له الضعف، فهيكل صاحب صحيفة يشرف عليها ويدبر امورها، ويكتب فيها فصلا في كل يوم على اقل تقدير، وهو عضو في حزب سياسي يشارك زملاءه فيما يعملون ويتحدث اليهم كل يوم في السياسة، اذا كان الصباح، واذا كان المساء. وهو اديب يقرأ فيكثر القراءة وينوعها فيحسن تنويعها. يقرأ في الادب العربي، ويقرأ في الادب الانجليزي، ويقرأ في الادب الفرنسي، ويقرأ في السياسة، ويقرأ في التاريخ، والغريب أنه لا يكره ان يقرأ في علوم القانون وان كان من رجال القانون وهو على هذا كله يكتب في الأدب في موضوعات مختلفة منه، يكتب في الأدب الانشائي فاذا هو يصف فيبدع في الوصف، واذا هو يقص فيجيد القصص، ويكتب في الأدب الوصفي فاذا هو ينقد الشعر وينقد النثر، ويوفق في هذا النقد الى خير ما يطمع فيه الناقدون، وهو على ذلك كله اب وزوج لا يبخل على أسرته بحقها عليه وهو صديق

لا يبخل على أصدقائه بحقوقهم عليه . وهو رجل له مكانته الظاهرة في حياتنا الاجتماعية والسياسية، وهو ينهض بما تستتبعه هذه المكانة من حقوق وواجبات . والغريب مع هذا كله أنك تلقاه فاذا رجل هادىء مطمئن كأنه افاق منذ حين قصير من نوم مريح ، فهو لم ينشط كل النشاط بعد ولكنه بعيد كل البعد عن الخمود والفتور ؛ ولا تكاد تتحدث اليه دقائق حتى يفتنك ويروعك فكأنك تتحدث الى جنى ولكنه جنى عذب الروح لذيذ الحديث .

هذا هو هيكل . فالذى لا يقضى الانسان عجبا من قدرته على الانتاج المتصل، في السياسة وفي أي سياسة، في الأدب وفي أى أدب، دون أن يظهر عليه ضعف او اعياء او شيء يشبه الملل .

أصبحت ذات يوم لا أكاد أسمع صاحبي يتلو على صحيفة من صحف الصباح الا سمعت اعلانا في هذه الصحيفة عن كتاب لهيكل جديد هو « ثورة الادب » ، وكان الاعلان امريكيا لا اعهد لهيكل بمثله . فهيكل من أنشط الناس في الأدب والسياسة ولكنه من أشدهم فتورا في الاعلان . فقلت يجب ان يكون هيكل قد تغير ومع ذلك فليس عهدى به بعيداً ، يجب ان يكون شيء من حوله قد تغير يجب ان يكون الله قد رزقه عفريتاً في الإعلان كما هو عفريت في الانتاج . وما هي الا ساعة او ساعتان حتى اقبل رسول يحمل الى نسخة من الكتاب ، وكنت اعرف هيكلا بطيئا في اهداء كتبه وكثيراً ما لمته في ذلك ، وكثيرا ما اسرفت في الالحاح لأظفر بنسختي مما كان يصدر من الكتب . فلم ازدد امام هذه السرعة وهذا النظام الا دهشا، وما زلت الى الآن دهشا لأني لم أفهم بعد مصدر هذه السرعة وهذا النظام في الاهداء والاعلان . ومهما يكن من شيء فقد اسرعت فأعلنت كتاب هيكل الى الناس في الكوكب كما اعلنته الصحف الأخرى ، ثم اسرعت فبدأت في قراءة الكتاب . ولم يخفني عنوانه، إما لان صديقي هيكلا لا يخيف مهما يثر ، واما لأن الثورة مهما تكن لا تخيفني . ولم احتج الى هذا التفسير الذى خيل الى هيكل انه محتاج اليه ، ليفهم الناس عنه هذا العنوان . فاى غرابة في ان يسمي اى كتاب في الادب الآن « ثورة الادب » . وهل حياة الأدب العربي في هذه الايام الا ثورة متصلة . نحن ثائرون حين ننشيء ونحن ثائرون حين نصف ونحن ثائرون حين ننقد . كل انتاجنا الادبي ثورة حتى الذين يسمون انفسهم محافظين ويلحون في المحافظة ويتمدحون بها ويبتغون بها الوسيلة عند الذين يحبونها ويستغلونها . هؤلاء انفسهم ثائرون يفرون من القديم الذى يحرصون عليه ، يريدون ان يؤيدوه فاذا هم يجددونه ويغيرونه ويكون ان تقرأ حتى في نور الاسلام وهي المجلة الرسمية للازهر .

فسترى فيها ثورة ومحاولة للتجديد ، وحرصا على ان يظهر شيوخ الازهر حين يفكرون ويكتبون ملائمين للعصر الذى يعيشون فيه . حياتنا الادبية كلها ثورة اذاً وكل كتاب نكتبه في الادب فهو ثورة الادب ، لذلك لم اقف طويلا عند العنوان وانما اسرعت فمضيت في قراءة الكتاب

لم أجد في الكتاب شيئا جديدا وأرجو ألا يغضب هيكل فالكتاب كله جديد ولكني أعرفه لا لأني قرأت كثيرا من فصوله حين نشرت في السياسة اليومية أو الاسبوعية بل لأنى قرأته وسأقرأه كله في هيكل كلما لقيته او تحدثت اليه . فالكتاب صورة مطابقة اشد المطابقة وأصدقها واجملها لنفس الكاتب . تقرأ في الكتاب فترى هيكلا وتسمع له وقد تنكر الرأى من آرائه فتهم بأن تتحدث بانكارك هذا الى هيكل كأنه جالس اليك تراه وتسمع منه وتريد ان تأخذ معه في الحديث . ليس في الكتاب شيء جديد وهو لذلك من اخطر الكتب واشدها غدرا لك ومكرا بك تمضى فيه فيخيل اليك انك تمضي في كلام مألوف ولكنك لا تكاد تفكر قليلا فيما تقرأ، او لا تكاد تلج في القراءة، حتى يفتح هذا الكتاب لك ابوابا ويبسط امامك آفاقا ما كنت تعرفها او تفكر فيها من قبل واذ كل شيء جديد، واذ كل شيء طريف ، واذا الكاتب يخدعك ويمكر بك وان لم يرد خداعاً ولا مكراً .

اريد ان اعطي قارىء الرسالة فكرة دقيقة عن هذا الكتاب بشرط الا ألخصه ولا احلله لا لأني لم اقرأه كما ظن هيكل بصديقنا المازني بل لأن تلخيصه يفسده ويذهب بجماله وقيمته الصحيحة وكيف تلخص في فصل واحد كتاباً يتناول التجديد والتقليد في الادب ويتناول القصص والتمثيل ويتناول الادب القومي ويحاول الانتاج في هذا الأدب القومي ، كيف تريد أن تلخص هذا الكتاب على اختلاف ما فيه من ثمرات وألوان . لقد حاول صديقنا المازني ان يلخصه فلم يوفق ولولا ان هيكلا شك في قراءته للكتاب لما تكلف المازني هذه المحاولة . اريد اذاً ان اعطى قارىء الرسالة فكرة دقيقة عن هذا الكتاب دون ان ألخصه . ولعلى اوفق ان لاحظت ان لهذا الكتاب ناحيتين فهو تاريخ صحيح دقيق للأدب العربي المصرى في هذه الأعوام الأخيرة من جهة وهو فلسفة ادبية رفيعة موضوعها ادبنا الحديث من جهة اخرى . فاذا كنت تريد ان تعرف كيف نشأت الخصومة عندنا بين القديم والجديد وكيف تطورت والى اين انتهت وما المؤثرات المختلفة التي ألحت عليها فقوتها حيناً وأضعفتها حيناً آخر ، واذا كنت تريد ان تعرف مقدار

ما كسبنا لأنفسنا من شخصية قوية او ضعيفة فى فنون الأدب على اختلافها فى الشعر والنثر رسائل وقصصا وتمثيلا . واذا كنت تريد ان تعرف الصورة التى نرسمها لأنفسنا من الأدب القومى ، والحقيقة التى استطعنا ان نتهى اليها من هذا الأدب فأنت واجد هذا كله فى هذا الكتاب . وأنت واجد مع هذا كله قصصاً هيكلياً ممتعاً بديعاً . ثم اذا كنت تريد ان تجعل الأدب موضوعاً للتفكير والفلسفة كما يجعل الفلاسفة الطبيعة وما بعد الطبيعة موضوعاً لفلسفتهم وتفكيرهم فيحللون ويعللون ويشرحون ويفسرون ويتنبأون فستجد هذا كله فى هذا الكتاب . فقد حلل هيكل وعلل ، وقد شرح هيكل وفسر ، وقد أرخ هيكل وتنبأ ، ووفق هيكل الى كثير جدا من الحق فى هذا كله .

أظلم هيكلا وأظلم نفسى ان قلت ان اعجابى بكتابه يمكن ان يحد فهو مرآة صافية نقية صادقة لحياتنا الادبية منذ وضعت الحرب الكبرى اوزارها ولكنى أظلم هيكلا ، واظلم نفسى ان قلت انى راض عن كتابه كل الرضا ، مقر بكل ما جاء فيه . فبين هيكل وبينى خصومة قديمة ما ارى انها تنتهى لأنه لا يريد ان ينهيها . ولغة هيكل هى موضوع هذه الخصومة . فهيكل من أصحاب المعانى بين الكتاب ، كما ان العقاد من اصحاب المعانى بين الشعراء ، وهيكل يهمل لغته اهمالا شديدا ويتورط فى الوان من الخطأ واضطراب الاسلوب ، يدنيه احيانا من الابتذال ، والغريب انه لا يضيق بذلك ولا يجد به بأسا ، ولا يعترف بانه يسىء الى نفسه والى ادبه معا . ولست اريد ان احصى عليه هذه العيوب ولا ان اضرب لها الامثال فهو لا ينكرها ولا يراها عيوبا ، ولعله يتمدح بها احيانا وهو مخطىء من غير شك . فان من المؤلم ان تبدو معانيه الجليلة الرائعة فى ثياب رثة بالية فى كثير من الاحيان . وهيكل كالسيل اذا عرض لموضوع اندفع فيه فجاء بالجيد الكثير ولكنه لا يسلم احيانا من الغثاء . فكثيرا ما يتورط فى الخطأ لانه يسرع ولا يتكلف التحقق والتثبت فى بعض مسائل التاريخ . أنظر اليه فى المقدمة يريد ان يذكر الاوديسا فيذكر الانيادة ويضيفها الى اليونان . والانيادة هى قصيدة فرجيل ، وهيكل يعلم ذلك حق العلم ولكنه نسى وصحح كتابه ولم يخطر له ان يتحقق مما يكتب وانظر اليه فى موضع آخر حين يذكر تحرر الفرنسيين من آثار اليونان والرومان فى القرن السابع عشر ، كيف يذكر لابروير ومولير وهو يعلم حق العلم ان اولهما تأثر من غير شك بتيوفراست ، وان الثانى تأثر من غير شك بتيرانس وبلوت . وتستطيع ان تأخذ هيكلا بطائفة غير قليلة من هذا الخطأ الذى مصدره الاهمال والسرعة ، وشىء من الازدراء لتحقيق المحققين . ولو انى عرفت ان هيكلا يحفل بنقد الناقدين ، أو نصح الناصحين لالححت عليه فى ان يتخذ لعمله الادبية مصفاة — ان صح هذا التعبير — يصفى بها ما يكتب فيزيل منه الخطأ اللغوى ويزيل منه الاهمال فى بعض الحقائق التاريخية

أتفق أنا بعد هذا كله مع هيكل فى آرائه كلها حول القديم والجديد ؟ ما أظن الا اننا نتفق فى أكثرها ونختلف فى أقلها . ولعل اختلافنا أن يكون ناشئاً من شيئين أحدهما هذا الاهمال الذى أخذ به هيكلا . والذى يدفعه إلى المبالغة ويضطره الى التقصير أحياناً . والثانى أن هيكلا رجل أديب ، ولكن اشتغاله المتصل بالسياسة قد أثر فى تصوره للاشياء ، وحكمه عليها بعض الشىء . فهو يسرف حين يسىء الظن بما يكتبه الاوربيون عنا حين يمسون حياتنا الأدبية . فما أظن أن جيب ، وأمثاله يتخذون السياسة وأهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية ، وهو يسرف أيضاً حين يحسن الظن بنا ويحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج . ولكنه رجل سياسى حتى حين يكتب فى الأدب ، يريد أن يدافع عن مصر والشرق كما يفعل فى السياسة ، ويريد أن يرضى المصريين والشرقيين كما يفعل فى السياسة . اما أنا فأريد ان أدافع عن مصر والشرق وأريد ان ارضى مصر والشرق ولكن بشرط ألا يورطنى هذا فى تغيير الحقائق العلمية او مسها بشىء من التشويه ولو قليلا . فالحق آثر عندى من أى شىء ، ومن أى إنسان .

أما بعد فهما تأخذ به كتاب هيكل هذا ، فلن تنقص منه ولن يستطيع أحد أن ينكر أن هيكلا هو المؤرخ العربى للادب العصرى الحديث . وانه قد فرض بذلك نفسه ، لا أقول على هذا الجيل وحده ، بل اقول على الأجيال المقبلة ايضاً . وانا واثق كل الثقة بأن كتابه هذا سيصبح من المصادر القيمة للذين يريدون ان يدرسوا ادبنا المصرى فى نهضته هذه الحاضرة .

طه حسين

سلمى وقريتها

للسيدة « آمي خير »

بقلم الأستاذ الكبير م . ع .

هذه قصة لبنانية باشخاصها وأماكنها ووقائعها ، فرنسية بلغتها ، وقد كتبت في مصر ، وطبعت في باريس .

واسم المؤلفة مركب من لفظين : ثانيهما عربي ، واولهما اعجمي بهمزة مفتوحة بعدها مدة فميم مكسورة فياء ساكنة .

كنت في مجلس بعض الأدباء ، فجرى حديث هذه القصة فيما تناوله السمر ، قال قائل منهم :

— من تكون مدام آمي خير ؟

— ان كنت لاتعرفها فقد فاتك نصف عمرك .

— أواه ، كم فاتني عمر كله ، وكم فاتني نصف عمر !

— آمي خير سيدة تحدرت ارومتها من منابت الارز في لبنان إلى أمومة لاتعرف الارز ولا لبنانه ، ونبتت في احضان البحر الصغير بمدينة المنصورة ، وربيت تربية فرنسية خالصة في هذه المدينة المصرية الخالصة .

هنا اخذ كل واحد من الجماعة يدلي برأيه غير منتظر تمام الحديث ، فمن قائل : أن مؤلفة « سلمى وقريتها » لايمكن أن تعتبر ألا فرنسية ، لأن صبغة الثقافة الفرنسية قوية جداً تصهر النفوس وتحيلها فرنسية مهما كان أصلها . الثقافة الفرنسية وريثة الثقافة اليونانية التي وجهت الفكر البشري توجيهاً يونانياً ودمغت بطابعها العلم والحكمة والدين

أنظر إلى الكونتس « دي نواي » التي رزىء بها الشعر منذ قريب . لقد ماتت فرنسية ، وعدت فرنسا مصابها مصاباً قومياً . والثقافة هي التي جعلتها فرنسية ، لا الدم الذي كان يجري في عروقها

ومن قائل : إن الثقافة الفرنسية مهما قوى سلطانها فهي لاتستطيع أن تصنع شيئاً في الدم السكسوني وان كان لقاحا ، ذلك الدم النزاع بجوهره إلى غير منازع الفرنسيين .

كان في المجلس شاب لبناني فأخذته حماسة الشباب وصاح : ودم لبنان ؟ أليس للدم اللبناني حساب ؟ انا لنهفو إلى بعض الثقافات ونقلد بعض الامم ، لكننا على ذلك ذوو عرق في الشرق عريق .

وقال فتى من أهل الدقهلية :

— مادامت السيدة قد نبتت بين البحرين فهي منصورية لحماً ودماً ، والمنصورة مدينة لها في التاريخ ذكريات داوية من عهد ابن لقمان وداره . إلى عهد أبي سحلي وآثاره .

ثم عاد صاحب الحديث الأول يتمه :

أن في السيدة « آمي خير » جمال المرأة الذكية ، وفيها ذكاء المرأة الجميلة .

قال بعضهم : يارفاقي — على دين الدكتور « فريد الرفاعي » — أفمن كانت بهذه المثابة تعنّي نفسها بصنعة الكتابة ؟

فانبرى للجواب صاحب الحديث :

— إن للسيدة « آمي خير » مشاركة جيدة في الفن والأدب ، ولها ذوق من ألطف الأذواق ، وهي على اتصال دائم بالمميزين من أهل الثقافات الغربية واخوانهم من اهل الثقافات الشرقية ، وتحاول أن تصل بين الثقافتين اللتين تحبهما على سواء

تعطف على الفنانين والأدباء عطفاً يسمو على اعتبارات الأجناس والأوطان والأديان لانهم يؤدون رسالة الجمال في هذا العالم

وكانما تستصفي صواحبها تخيرا من ذوات الحسن البارع لانها ترى المرأة الجميلة أيضا تؤدي رسالة جمال في هـذا العالم المحتاج الى جمال

وتنقل الحوار الى « سلمى وقريتها » فمضى قائل يقول :

موضوع القصة لاطرافة فيه . فان فتاة من بنات الفلاحين صبا ألبها فتى من أبناء الاعيان ففتنت به ، وكان بينهما كل ما يكون في كل حب ، من : عناق وقبل . وفرقت الاقدار بينهما وتزوجت « سلمى » شابا من أهل قريتها كان يسر في قلبه حبها منذ زمان . لكن عقابيل الغرام الاول لم تزل تعاود سلمى حتى مرضت بالسل ووافاها حمامها

ومن عجب ان المحبين في أقاصيصنا والمحبات يموتون بالسل دائما كأن جراثيم ذلك الداء لاتنتعش الا في صدور العاشقين !

قال آخر : يكون في كثير من الاحايين موضوع القصة بسيطا مطروقا لكن الكاتب يحسن تناوله فيبرزه في اطار من المعاني الشريفة والصور ، ويسمو به الى افق الابداع

كان في حاشية المجلس رجل لم يشترك في شيء من الحديث وان أصغى الى كل الحديث . فلما سكت القائلون تصدى للكلام :

— يشعر القارىء لكتاب « سلمى وقريتها » بان مؤلفته أرادت ان تصور لبنان تصويرا شاملا . فهي ترسم الجبال شامخات عاريات يلمع الثلج فوق هاماتها . وتنحدر الوديان من حولها وهادا سحيقة . ومروجا خضراء ، وتتناثر القرى في سفوحها وفي احضانها وربما تسامت

الى ذوءاباتها. والينابيع تتدفق عن يمين وشمال بالعذب النمير والكروم والأشجار تجتمع جنات الفافا، وتفترق الوانا واصنافا

وتصف السيدة حياة القوم حين يجمعهم الشتاء أسارى، وحين يطلقهم الصيف احرارا، وتذكر إمرهم في بيوتهم. وحالهم في مزارعهم، وشأنهم في مجامعهم، وتنعت ما يأكلون وما يشربون وما يقولون وما يفعلون، وتمثل افراحهم واحزانهم، وجدهم ولعبهم، ورقصهم وغناءهم، وعشقهم وغزلهم. ولا تهمل شعائر الدين فيهم

كل ذلك في اسلوب بسيط ان خلا من زينة الصنعة فهو لا يخلو من جمال السهولة والوضوح

وفي الكتاب لمحات بسيكولوجية، وقصة سلمي نفسها مملوءة من هذه اللمحات التي تكشف عن معان نفسانية

فايثار سلمي لجميل فارس بالعشق ملحوظ فيه أنه وريث وجاهة وغنى، وقد حسبته انصرف عنها بعد أن تلهى بمغازلتها، فثارت في نفسها للكرامة حمية بددها الغرام بابن السادة الاغنياء

وأبو سلمي عرف أن ابنته العذراء قد فتنها جميل، وتهامس أهل القرية بما بينهما فلم تخرجه الغيرة عن حدود الرزانة والحلم

وزوج سلمى حين سمع حليلته تهتف في سكرات الموت باسم عشيقها، صدمه ذلك ففار فورة ثم انطفأ وعاد يريق دمعه عند اقدام سلمى

أما أم سلمى فقد جعلتها مدام خير مثال الزوجة البرة الصالحة والأم الحكيمة الرحيمة

ويوشك أن يكون أروع ما في لبنان مدام خير، بعد منابع المياه ومزة العرق هي ام سلمى

وكان ذلك نهاية السمر بين القوم فتفرقوا مجمعين على أن « آمي خير » قد وصفت لبنان وأهل لبنان في كتاب « سلمي وقريتها » وصفا فيه روعة الدقة ولطف الملاحظة وحسن البيان ؟ م . ع

الفكر والعالم

للأستاذ ابراهيم المصرى

يشتمل هذا الكتاب على مجموعة مقالات (أو دراسات كما يدعوها المؤلف)، ثم قطعة تمثيلية من أربعة فصول. فهو اذن كتابان في كتاب واحد. وسنقصر كلامنا على أولهما.

الفكر والعالم كلمتان عظيمتان تدلان على كل ما في هذه الخليقة من مادة وروح. وقد تشك في أن هذا الكتاب الصغير يحوى بين دفتيه خلاصة الفكر وخلاصة ما في العالم. فاذا ما قرأت هذا الكتاب انقلب الشك يقينا، فالكتاب يخدعك بعنوانه الضخم، وليس به من عنوانه الا القليل.

ولكنك قد تجد في الكتاب متعة أقرب الى النفس، لأنك تتصل بفكر خصب هو فكر المؤلف نفسه. وتتصل بعالم حي هو نفس المؤلف ومشاعره. اذ ليس الكتاب سوى صورة ابراهيم المصرى، صورة ميوله وآماله، ومتاعبه وآلامه. وفي الرسالة الأولى من الكتاب — وعنوانها نجوى — يتمثل تفكير المؤلف، وأسلوبه في الكتابة. استمع اليه وهو يقول :

« .... نهذب نفوسنا ونصقلها بشتي الأفكار والمعلومات. وما تزال الحيوانية الكامنة ترتع في قلوبنا وتستثيره. ترق احساساتنا في بعض الأحايين، وتخمد أعصابنا ويغفو ذهننا العامل المجد، ويخيل الينا أننا بلغنا قمة الحكمة، وسمونا الى حيث يشترك العقل البشرى بالقوة الآلهية المحركة الأولى.

وسرعان ما نتصل بالمجتمع، فنلمس الحقيقة فنكر راجعين والخيبة تملأ جوانحنا، والكمال الروحي يتباعد عنا شيئا فشيئا، حتى يتلاشى بغتة ويغيب عن الأبصار. »

وهكذا تقرأ في الكتاب صفحات وصفحات من العبارات المتراصة المشبعة بالصفات والكلمات المؤكدة تنساق في سلسلة واحدة لتصور لك في الحقيقة وفي النهاية أمرا واحـــدا : الوجه الشاحب، قد أحاطت الغضون فيه بالفم والجبين قبل الأوان. وذلك الشعر الغزير الكثيف الذى وخطه الشيب على رغم الشباب. وتينك العينين المتعبتين من أثر الاسراف في القراءة تغطيهما عدستان قويتان. تلك هى الصورة التى تبرز لك من خلال مطالعة الكتاب : صورة ابراهيم المصري وهو يجاهد في مضمار الحياة تطحنه المادة، ولكن ذهنه المستنير يأبي الا أن ينتصر، وأن يحطم الجسم في هذا السبيل... « فلتنزل بي الطبيعة أشد كوارثها، ولتغمرني في الفقر والمرض حتى مغرقي، ولتمحى جزءا من فضيلة واحدة، ثم لتفعم نفسي بما شاءت من رذائل وآثام... فانا راض. راض بالنقص الذى لا أعتبره نقصا. إنه قوتي. وانما الكون قد أوجدني لأسعى الى الكمال لا لابلغه ».

وهكذا تلمح في هذه الصفحات النفس الثائرة الطامحة. يحدوها الرجاء حينا ويردها اليأس أحيانا، ولكنها لا ترتد ولا تنهزم.

ويتابع الأستاذ ابراهيم المصرى هذا الاسلوب، في رسائله

الأخري ، حين يعطينا صورا لحياة عظماء عرفوا الشقاء وعرفوا اليأس . ولكنهم ظلوا يعملون في عزيمة وصبر ، كي يضيفوا الى تراث الانسانية شيئا خالدا . . فهو يتكلم عن بروست وبودلير وميكائيل انجلو ، وبيرون . مصورا لك حياتهم أو جانبا منها ، تصويرا دقيقا هو خلاصة لإطلاع واسع .

(ميم)

لم يستطع صديقي (ميم) الذي كلفته نقد (الفكر والعالم) أن يطالع وينقد القطعة التمثيلية ، التي تحتل النصف الثاني من الكتاب . وليس هنا مقام الأسف على الظروف التي اضطرت المؤلف أن يطبع الكتابين في كتاب واحد ، والا يستطيع أن يبرزهما للقراء في شكل جميل يليق بكل منهما . أما الرواية التمثيلية (نحو النور) فهي مشبعة بنفس الروح التي تبدو لنا خلال الرسائل فهي تمثل لنا رجلا نابغا شريف النفس ينشد الاصلاح بقوة وبعزم ، وقد تألب عليه كل ما يمكن أن يعترض سبيل المصلحين من كوارث ونكبات ، فمن فقر مدقع ، الى نفس ابية مسرفة في الاباء ، الى زوجة لاتفهم زوجها بل تخونه وتندفع في خيانته ، الى مجتمع جاهل فاسد يضطهده ويغشيه . كالمريض الذي يجمع كل مالديه من قوة لكي يقتل الطبيب الذي جاء لعلاجه .

تلك هي الصورة الجليلة التي أراد المصري أن يبرزها لنا في شخص (محسن) . ولئن كانت الصورة التي رسمها المؤلف لا تنهض تماما الى مستوى الموضوع الجليل الذي يعالجه . فانها مع ذلك محاولة قيمة . وانا لنرجو أن يعود الاستاذ لمعالجة هذا الموضوع الخطير مرة أخري ، بعد أن ترسخ قدمه في فن الكتابة المسرحي فان الموضوع جليل حقا . ويمكن أن يعالج عدة مرار من نواح شتى

م . ع . م

(سفروت الحاوي — بقية المنشور على صفحة ٣٢)

شرفة الفندق الغربي . وتهامسوا فيما بينهم يرقبون بدهشة الحدث ، وهابت نفوسهم اذ رأوا شبه جنون في عيني الرجل ورأوا العرق يتصبب غزيرا من وجهه الأسمر الأصفر . ولكن سرعان ما وجدت انظار الجماهير ما يثير الضحك في هيئة الرجل التعس ، فنادي احدهم

ما تخافيش ياستي ده المعلم بولص بخوف العفاريت

ونادي آخر .

— حاسب يابولص لا الجن يركبك

وقال ثالث : ما تطرفشي يامعلم في السماء لحسن عزرائيل يشوفك

وغير ذلك مما تقهقه له الجماهير ولا يكاد الفرد يبتسم له

وكررت المرأة : انا بأقول ارجع يابولص . فلم يكن بذلك من أثر سوى اسراف الناس في الضحك

قيد الحاوي بولص بالسلاسل والاغلال وأقفل الصندوق بالأقفال والحبال ووقف عليه واكفهر وجهه ووقف شعر رأسه وتمتم وهمهم وحضرت الجن وتصاعـــد البخار الاحمر فنزل عن الصندوق وفتحه فوجده فارغا كما يجب . حدث ذلك طبعا بين قهقهة الناس وهتافهم

وأقفل سفروت الصندوق ثانية الخ . حتي نزل الدخان الاحمر من سقف المسرح ، فرفع الغطاء ولكن بولس لم يرجع اليه ارتبك الحاوي وأقفل على عجل قائلا لنفسه ، ربما لم اعطه الزمن الكافي ، وشغل المتفرجين بلعبة أخري بسيطة برهة ما ، ثم فتح الصندوق ثانية ولكن الصندوق بقي فارغا

أدركت النظارة عدم وجود بولص فارتفع همسهم الى ضجيج وتساءل البعض صائحا . . فين المعلم بولص ؟ . . . اوعه ليكون اتخنق الرجل في الصندوق الخ الخ . .

فتحدث اليهم سفروت بحضور ذهنه المعتاد عن صعوبة رجوع بعض الاجسام من اللامادة الى المادة ، وخصوصا أجسام أهل الصعيد ، حتى اذا استوثق أنه أعطى الرجل ما يكفي من الوقت فتح الصندوق ثالثة ولكن بغير جدوى !!

لغط الناس وهاجوا وتسابق الشباب منهم يفحصون الصندوق ويعبثون بادوات الحاوي ، الذي اسرع الى تحت المسرح يبحث عن بولص بغير نتيجة ، وعلم مدير الفندق أيضا بالخبر فجزع وأرسل رجاله يبحثون .

ولما رجع سفروت الى الزحمة اندفعت اليه المرأة ذات الحبرة السوداء اندفاع الأعاصير في أمشير وقد بلغ منها الغضب أشده .

— ازاي يعني تاخذ راجل طويل عريض تحويه ! هي الدنيا سايبه والا ايه !؟ مسخرة وقلة ادب !!

— ياستي اسن اهدى شوية دلوقت يبان

— يبان ؟ انا عاوزة جوزي دلوقت حالا

— هو انا كنت قلت له تعالى ، ماهو هو اللي جه من نفسه

— ابدا انت خوينه ، انت راجل متختشيش .

(البقية في العدد القادم)

م . م . م

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الحادى عشر « القاهرة فى يوم الخميس ٢٢ صفر سنة ١٣٥٢ — ١٥ يونيـة سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

من بريد الرســـالة

جواب الآنسة حياة

وكتاب آخر فرنسى اللغة ، أنيق الشكل ، جيد الخط ، رائق الأسلوب ، هادىء البيان ، أتانا من الآنسة حياة !! فعجبت من اصرار هذا اللسان الأجنبي على التدخل الفضولى بين لسانين عربيين ! ولكنى لم أكد أسير فى قراءته حتى تسايرعن نفسى العجب ، وتراجع عن وجهي القطوب ، واتضح فى ذهنى العـــذر ، وملكتنى سورة من الحنق المر على نُظمنا التربوية والتعليمية التى شوهت فى النشء عواطف الجنسية ، وشتتت فى الشعب معانى الوحدة ، وأخفقت كل الاخفاق فى تكوين أمة واحدة النزعة والوجهة والثقافة .

تقول الآنسة الفاضلة : « . . . نعيت عليّ أنى كتبت اليك بالفرنسية ، والسبب فى ذلك بعيد كل البعـــد عن التظرف والحذلقة (Pédantrie) والله يعلم وصواحبى يشهدن بما كان بينى وبين الراهبات المعلمات من الجدل العنيف كلما تعرضن لديننا بالغمز ، أو لتاريخنا بالعبث ، أو للغتنا بالزراية . . إنما أنا ومثيلاتى ضحية من ضحايا نظام مدرسى لم يقم إلا لتعليم الفتى (ميكانيكية) الحكومة ، لأن قيامه لهذه الغاية جعل من طبيعته اغفال أمر البنت ، فلجأ بها أولياؤها إلى المدارس الأجنبية ، فنشأت هذه النشأة البتراء المشوبة ، لاتعرف عن دينها إلا الشبه ، ولا من لغتها وأدبها غير القشور .

لو كنت كتبت اليك بعربيتى لحسبتني طفلة تجمجم بالكلام ولا تبين! ويكون من وراء ذلك أنك لا تفهمني ولا تفهم عني، فكتبت اليك بالفرنسية لأن الانسان يميل بطبعه الى جهة القدرة لا الى جهة العجز، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص، ولئن تعرضت بذلك الى غضبك، فقد نجوت ولله الحمد من سخرك. وسخطك على أحب الى كرامتى من استخفافك بى.

ما كان اسعدنى لو ملكت من لغتنا ما تملك فترجمت عن نفسي بمثل ما ترجمت عنى فى الفقرات التى نشرتها من كتابى!! ...

أنا الآن أعالج فى نفسي هذا النقص بالدرس المستمر لآداب العربية، وتكاد (الرسالة) ان تكون الوسيلة الوحيدة لهذا الدرس، فأنا استوعب أبوابها المختلفة، وأتذوق اساليبها المتنوعة، ويخيل الى انى قطعت الى غايتي مرحلة كبيرة. ولكني أجد فى (الرسالة) نفسها ان زعماء الكتاب لايزالون ينتقدون زعماء الكتاب فى مبادىء النحو وبسائط التراكيب!! فليت شعرى أأقنط من دراستي أم أستمر ؟؟ ...»

والآنسة الفاضلة تسمح لى أن اقف هنا فى ترجمة كتابها لأعجل بالنصيحة لها ان تستمر، فان العربية لاطراد قواعدها فى القياس، واتفاق تراكيبها مع الطبع، ابسط اللغات نحوا واقربها غاية. ولكن آفتها ياسيدتى منهاج سيء، ومعلم عاجز، وتلميذ كسول!! وستقرئين فى الرسالة بعد صفحات من هذه المقالة بحثا قيما فى ثقافة المرأة للآنسة أسماء، وشعرا منثورا فى التصوف للآنسة ناهد، فتجدين فى صياغتهما الحسنة، وعبارتهما الصحيحة، واسلوبهما الرقيق، مشجعا لك ومصدقا لى..

جواب الآنسة عفيفة

أجابت الآنسة عفيفة عن تعليقي الموجز بكتاب انكليزي مسهب، وقد فضلت ان تكتب جوابها بالانكليزية لأنها تتهم بيانها العربي بالقصور لقرب عهدها بالكتابة، وتعتقد لذلك اننا اسأنا الفهم فأسأنا الاجابة، وبيان الآنسة سليم من القصور، برىء من العى، لاننا فهمناه على الوجه الذى ارادته. وهو رسالة غزلية الى امرأة عن لسان رجل. اما القصد من اتخاذ الآنسة (دور) الرجل فى موضوع غرامى — وهذا موضع الانكار — فلم تذكره الكاتبة فى حاشية الكتاب، ولم نفهمه نحن من طبيعة الشيء، فحملناه معذورين على العبث الذي نربأ بفتياتنا عنه.

أرادت الآنسة أن تكشف اليوم عن ذلك القصد فى هذا الجواب، فقالت: انها لم ترد أن تتحدث عن الحب، وإنما قصدت أن تضع نموذجاً للرسائل الغرامية فى اللغة العربية يكون مبنيا على الشعور الصادق والمنطق السليم، لأنها تلقت رسالتين: واحدة من صديقة انكليزية، وأخرى من صديقة مصرية، فوجدت الأولى صورة صادقة لحياة الكاتبة، وحال البيئة، وروح الجماعة، من العاب وأصحاب ودرس، ولم تجد فى الثانية إلا عواطف مبهمة، وجملا مزورة، وأمثالا محفوظة. ثم قرأت كتابين أحدهما للكاتبة (جين وبستر) وثانيهما للكاتب (سليم عبد الاحد) وموضوعهما رسائل فى الحب، فوجدت الفرق بين هذين الكتابين، هو الفرق بين تينك الرسالتين

وانا أحترم تفسير الآنسة الادبية لقصدها، وأسلمه من غير مناقشة، وأعتذر اليها اذن من نقد فى غير محله، ولوم وجهته الى غير أهله.. ثم أستميح سيدتى الاذن بمناقشة هذه الطريقة من حيث الفن. إنك تنتقدين ماقرأت من الرسائل العربية، لأنها تصدر من اللسان لا من القلب، وتنقل عن الحافظة لا عن الطبع، فهل تعتقدين أنك صدقت في نقل شعور العاشق حينما أخذت (دوره) فى رسالتك وأنت لاتحسنين هذا الشعور ولا تدركين كنهه؟ لعلك لو كنت أخذت (دور) الحبية أو (دور) (الخطية) لكنت أقرب إلى الصدق وادنى إلى الاجادة، على ان هذه النماذج المصنوعة ياسيدتى أعجز من أن تعير الجامد روحاً والبليد حسا والعيي ابانة، ان الفكرة او العاطفة اذا اشرقت فى الذهن أو فى النفس وجدت الكلمة وخلقت الصورة على غير مثال ولا قاعدة، ذلك لأن الشعور وحده يوجد الفن كما ترين في توفيق الحكيم، ولكن الفن وحده لا يوجد الشعور كما ترين فى عبد الاحد. وان في الأدب العربى الحديث طرفة من هذا النوع الذي تريدين، هى آية من آيات الفن فى دقة الصنعة، ولعلها لا تقل جمالا عن تماثيل فدياس وصور رفائيل، ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور ينقصها شيء واحد هو كل شيء: ذلك هو الروح!!

هل قرأت (رسائل الورد) للاستاذ الرافعي؟ ارجو ان تقرئيها، وان تكتبي إلى رأيك فيها ...

احمد حسن الزيات

من طه الى هيكل [1]

أخى العزيز :

قرات كتابك الممتع الذى تنشره الرساله اليوم وستنشره السياسة بعد غد وسيقرؤه الناس مرتين ، فأذن لى فى ان اشكر لك هذا الكتاب اجمل الشكر لأنه راقنى حقاً ، وأثار في نفسى من حبك ، والاعجاب الشديد ببراعتك ولباقتك ، ماتثيره آثارك الأدبية كلها فى نفسي حين أقرؤها ، وأأذن لى فى أن أعود فأثني عليك لأنى ان أتعب من الثناء عليك ، ولن يعنينى أن أدهشك أو أخجلك ، انى لم اتعود قط ان احفل بدهشك أو خجلك ، وانما تعودت أن اقول الحق سواء على أأرضاك حتى انتهى بك الى الخجل ، أم أسخطك حتى انتهى بك إلى الثورة ، أو إلى غضب هادىء فيه مكر ، هو أشد من الثورة وأحد . فاخجل ياصديقى ما وسعك الخجل ، واذهش ياصديقى ماوسعك الدهش ، واغضب ياصديقى ما استطعت احتمال الغضب ، فانت كاتب بارع ، وأديب فذ كثير الانتاج كأنك الجنى ، قد أخذت تحب الاعلان بعض الشيء فى هذه الايام حتى انك لتنشر ردك على مرتين . وفيك اسراع الى الحكم وفتور عن البحث ورغبة عن الاستقصاء تضطرك احيانا الى الخطا وتصرفك احيانا عن الحق . وفى اسلوبك الرائع البارع وبيانك الفائق الرائق شيء من الضعف يقربه احيانا من الابتذال . ويخيل الى أيها الصديق العزيز ان هذه الملاحظة وحدها هى التى آلمك بين الملاحظات الاخرى التي اخذت بها كتابك ثورة الادب ، فأذن لى فى أن أصر عليها والح فيها . وأذن لى فى ان أصر ايضا على كل رأى فيك لا اغير منه حرفاً ولا انقص منه شيئا . فانت تجيد حتى تصل الى الابداع ، وتضعف حتى تشرف على الابتذال . ولك ان تلومني ما شئت لأنى لم اهدك الى مواضع الضعف فى اسلوبك فقد يئست من هدايتك ، لانك كما تقول محب لاسلوبك كما هو ، مشغوف به على علاته ، لاتريد ان تغيره ولا أن تصلح مواضع النقص فيه ، وكل ما اخشاه ايها الصديق انما هو ان تتهمنى بالاسراف عليك والغلو فى نقدك ، وقد كنت هممت أن اضرب الامثال من ثورة الادب لضعف اسلوبك فيه احيانا ، ولكنى

« البقية على صفحة ٤٢ »

(١) رد على كتاب الدكتور هيكل المنشور فى هذا العدد صفحة ٣٨

الى الاستاذ توفيق الحكيم

من الدكتور طه حسين

سيدى الاستاذ

لست أدرى أيعنينى حقاً ويعنى أصحابى ، ان نعرف رأى الجيل الجديد فى جهدنا الأدبى وما أحدثنا من اثر فى حياتنا الأدبية الجديدة . لأن العلم الصحيح برأى المعاصرين لاسبيل اليه ، أو لاتكاد توجد السبيل التى توصل اليه . أو قل ان هذا الجيل الجديد نفسه قد يشق عليه جداً ان يصور لنفسه فينا رأياً صحيحا مستقيما بريئاً من هذه العواطف الحادة الجامحة التى تسيطر على نفوس الشباب ، وتؤثر أشد التأثير فيما يكونون لانفسهم من آراء فى الكتاب والشعراء المعاصرين . فهم بين معجب يدفعه الاعجاب الى الاغراق فى الثناء ، وبين ساخط يدفعه السخط الى الاغراق فى الذم . وأكاد اعتقد أن ليس من اليسير لكاتب او شاعر أن يعرف رأي الناس فيه حقاً ، لأن هذا الرأي لايظهر واضحاً جلياً بريئاً من تأثير العواطف والأهواء والظروف ، إلا حين يصبح الكاتب أو الشاعر وديعة فى ذمة التاريخ . ومع ذلك فأنا أشكر لك اجمل الشكر رأيك فى أصحابى وفي ، وثناءك على اصحابى وعلى ويسرهم كما يسرني ان يكون رأيك فينا صحيحاً ، وأن يكون ثناؤك علينا خالصاً من الاسراف فى الحب الذى يدعو الى الاسراف فى التقدير .

لقد قرأت كتابك الممتع فترك فى نفسى آثاراً مختلفة ، ولكن أظهرها الاعجاب بهذا التفكير المستقيم العميق ، وهذا الاطلاع الواسع الغنى ، وهذا الاتجاه الخصب الى تعرف الروح الأدبي لمصر فى حياتها الماضية والحاضرة والمستقبلة . وقد دفعنى إعجابي بكتابك القيم الى ألا اختص به نفسى فآثرت به قراء الرسالة وأذعته فيهم . وأنا واثق بأنهم قد رأوا فيه مثل ما رأيت وحمدوا منه مثل ماحمدت ، وأثنوا عليك بمثل ما أثنيت ، وهموا أن يناقشوا بعض ماجاء فيه من الآراء كما اريد أنا الآن ان اناقشها .

ولست أدرى أيقف امر كتابك هذا عند اذاعته فى الرسالة وردى عليه ، أو يتجاوزهما الى مناقشة طويلة عريضة يشترك فيها كتاب مختلفون ونقاد كثيرون . فكتابك خليق بهذه المناقشة لأن أسلوب التفكير فيه جديد قيم ، ومهما أفعل فلن استطيع ان أتناول كل ما أشعر بالحاجة الى تناوله بالنقد والتمحيص

من آرائك الكثيرة المتباينة التي أفعمت بها كتابك افعاماً . ولكني أقف عند طائفة قليلة من هذه الآراء، لا أستطيع ان أدعها تمضي من غير نقد ولا تعليق.

وأول ما أقف عنده من هذه الآراء رأيك فيما تسميه شؤون الفكر في مصر، قبل الجيل الذي نشأ نافيه، فقد ترى ان هذه الشؤون كانت كلها محاكاة وتقليداً وتأثراً للغرب، واحتذاء خالصاً لمثلهم الأدبية، حتى جاء الاستاذ لطفي السيد ففتح لنا طريق الاستقلال الأدبي. وفي رأيك هذا شيء من الحق، لكن فيه شيئاً من الاسراف غير قليل، فلست أعتقد ان الشخصية المصرية محيت من الأدب المصري محواً تاماً في يوم من الأيام. ولست أعتقد أن كلمة أنا لم يكن لها مدلول في لغة المصريين، ولست أعتقد ان المصريين كانوا في شبه اغماء حتى أقبل هذا الجيـــل الذي تتحدث عنه، فرد عليهم الحياة والنشاط. كل ما يمكن أن يصح لك هو ان الشخصية المصرية في الأدب كانت ذاوية ذابلة الى حد بعيد في وقت من الأوقات لعله يبتدىء بآخر عصر المماليك. ولكن هذه الشخصية على ذبولها وفتورها لم تمت ولم تمح، بل ظلت حية تتردد أشعتها الضئيلة في آثار الكتاب والشعراء والعلماء، الى أن كان العصر الحديث. ويكفي ان تقرأ الأدب المصري في ايام المماليك وقبل أيام المماليك، لتعلم أن شخصيتنا الأدبية كانت قوية منتجة، وكانت جذابة خلابة في كل فرع من فروع حياتنا المعنوية. كانت في الشعر بنوع خاص أقوى منها في هذه الأيام، واقرأ ديوان البهاء زهير فستجد صورتك فيه واضحة، وستجد نفسك فيه ظاهرة، وستجد عواطفك فيه ممثلة، وستجد هذا كله أشد جلاء وقوة عند هذا الشاعر القديم منه عند شعرائنا المعاصرين. والأمر ليس مقصوراً على هذا الشاعر، بل هو شائع في شعرائنا جميعاً قبل فتح الترك لمصر. وهو كذلك شائع في كتابنا وعلمائنا. ولو قد كانت شخصيتنا ضعيفة فانيـــة وفاترة واهية، لما أتيح لنا ان تؤدي الحضارة الإسلامية وتحفظها من الضياع حين اخذ التتار والأوربيون عليها أقطار الشرق والغرب. ولم تكن هذه الشخصية في عصور الضعف والوهن خفية ولا غامضة، فأنت تجدها واضحة في شعر هؤلاء الشعراء المتأخرين الذين عاشوا في اول القرن الماضي وفي أثنائه، والذين لا نحب شعرهم ولا نطيل النظر فيه، والذين يخيل الينا انهم كانوا يقلدون فيسرفون في التقليد، ولكنهم برغم هذا التقليد الشديد لم يستطيعوا أن يمحوا مصريتهم ولا ان يخفوها. ولست أستطيع ان اضرب لك الأمثال هنا فذلك شيء لا ينتهي، ولكني أؤكد لك ان حكمك على هذه الشخصية المصرية في الأدب محتاج الى التصحيح، وأنت قادر على هذا التصحيح، ان قرأت أدبنا المصري كما تقرأ الأدب الغربي وكما تقرأ الادب العربي القديم، ستجد فيه تقليداً، وستجد فيه بديعاً كثيراً، ولكنك ستـــجد فيه نزعة مصرية واضحة تحسها حيثما ذهبت، وأينما وجهت من ارض مصر، وتجدها عند المصريين المعاصرين الذين لم تخرجهم الثقافة الأوروبية عن اطوارهم المألوفة، في الشعور والتفكير وفي النظر الى الحيـــاة والتأثر بها والحكم عليها.

هذه النزعة صوفية بعض الشيء، فيها مزاج معتدل من الاذعان للقضاء والابتسام للحوادث، وفيها مزاج معتدل من حزن ليس شديد الظلمة، ولا مسرفا في العمق، ومن سخرية ليست عنيفة ولا شديدة اللذع ولكنها على ذلك بالغة مقنعة، تمض في كثير من الأحيان، ولعلك تجد هذه النزعة نفسها قريباً جداً منك. لعلك تجدها في اهل الكهف. فجيلنا اذن لم يحدث شخصية مصرية لم تكن، وانما جلا هذه الشخصية وأزال عنها الحجب والأستار، وجيلنا لم يمنحها الحياة، وانما منحها النشاط، وزاد حظها من الاستقلال وغير وجهتها، فلفتها الى الأمام بعد ان كانت تصر على الالتفات الى وراء، وليس هذا بالشيء القليل.

وأنا معجب بآرائك في الفن المصري، وفي الفن الاغريقي، ولكني لا أحب لك هذا الاسراع الى استخلاص الاحكام العامة، واقامة القواعد التي لا تثبت للنقد والتمحيص. وآية ذلك أنك أنت نفسك قد أحسست بعض هذا الاسراع فاصلحته حين قضيت على اليونان في أول الكتاب ثم قضيت لهم في آخره. وسترى أنك أسرعت في الأولى وأسرعت في الثانية، وكنت خليقا أن تصطنع الأناة فيهما جميعا. فليس من الحق أن اليونان كانوا أصحاب مادة ليس غير، وليس من الحق أن روحية اليونان هذه التي أنكرتها في أول الكتاب، وعرفتها في آخره قد جاءتهم من الاههم ديونيزوس وحده. فحظ اليونان من الروحية قديم تجده بينا في شعرهم القصصي في الالياذة والاودسا قبل أن تظهر فيهم الآثار العنيفة لدين ديونيزوس، وأنت تعلم أن ظهور هذا الاله عند اليونان متأخر العصر، وأنه في أكبر الظن إله أجنبي جاءهم من تراقيا، وأنه لم يعطهم هذه الحياة الروحية العليا، التي نجدها عند سقراط وعند تلاميذه، وعند افلاطون بنوع خاص، وإنما أعطاهم حياة روحية أخرى كلها تصوف وكلها طموح الى عالم مجهول مختلط تحيط به الأسرار والالغاز، وتعبر عنه الرموز والكنايات.

وكان هذا النوع من الروحية ذا مظهرين مختلفين، أحدهما شائع مشترك، يساهم فيه الشعب كله، وأهل الريف منهم خاصة. والآخر مقصور على طائفة معينة، هي هذه التي تتعلم الأسرار وتشترك في إقامتها واحيائها. فكان دين ديونيزوس أشبه شيء بطرق الصوفية عندنا. علمها الصحيح مقصور على خاصة المتصوفة، ونشاطها العملي الغليظ شائع في أفراد الشعب جميعا. وقد كان أثر ديونيزوس في الأدب اليوناني قويا عميقا. وحسبك إنه إله التمثيل، ولكن روحية اليونان الخصبة حقا، الممتازة حقا، التي أزعم معتذرا اليك أنك لا تستطيع أن تجد لها شبيها ولا مقاربا في مصر الروحية. هذه الروحية اليونانية تجدها واضحة جلية، عذبة ساحرة عند فلاسفة اليونان من تلاميذ سقراط، وعند افلاطون بنوع خاص. ستقول كما قال كثيرون من قبل: إن أفلاطون قد زار مصر، وأخذ منها ولست أنكر روحية مصر، ولكني لا أعرف عنها شيئا كثيراً، ولعلي مدين لليونان بما أعرفه من الروحية المصرية. ومهما يكن من شيء فأنت توافقني على أن اليونان لم يكونوا أصحاب مادة فحسب، ولم تأتهم روحيتهم من ديونيزوس وحده، وإنما اليونان مزاج معتدل من المادة والروح. هم الذين يحققون مثلك الأعلى من المزاوجة بين المادة والروح، والملاءمة بين الحركة والسكون، وبين القلق والاضطراب، ولذلك كان اليونان هم الذين أخرجوا للانسانية في العصر القديم أرقى تراث في الأدب والفن والفلسفة.

قلت إني لا أنكر روحية المصريين. وأقول أيضا إني مؤمن بروحية الهنود، ومعترف بتأثير الروحية المصرية والهندية في حياة اليونان. ولكني لا أعرف من روحية المصريين شيئا كثيراً لأننا لا نعرف للمصريين فناً ناطقاً. لا نعرف لهم أدباً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة. وأنت ترى معي أن الأدب هو أوضح مصور لحياة العقول والقلوب، لأنه يحقق مقدارا مشتركا يمكن الاتفاق عليه، ويصعب الاختلاف فيه. فنحن إذا قرأنا الشعر أو النثر معاً فهمنا فهما واحدا أو فهمين متقاربين، ولكن الفن الصامت فن البحث والتصوير وما اليهما يثير في نفوس الناس معاني مهما تكن متقاربة متشابهة، فهي تختلف باختلاف الاشخاص والبيئات والعصور، ها أنت ذا تفهم من الفن المصري ما تفهم، ويشاركك فيه كثير من المثقفين ثقافة أوربية، ولكن أواثق أنت حقاً بأن قدماء المصريين كانوا يرون تماثيلهم وعماراتهم كما تراها، ويفهمونها كما تفهمها، ويستلهمونها كما تستلهمها؟ أرأيتك لو سألت مصريا معاصرا لرمسيس عن رأيه في تمثال من التماثيل، أو عمارة من العمارات، أيقول فيهما مثل ما تقول؟ ومثل هذا يقال في الفن اليوناني، وفي كل هذه الفنون الصامتة، فليس من الخير أن نعتمد عليها وحدها في تشخيص عقلية الامم وروحيتها، انما المشخص الصحيح للعقول والقلوب والأرواح هو الكلام، والكلام الجميل الذي نسميه الأدب ونقسمه شعراً ونثرا. فالى أن يكشف لنا علماء الآثار المصرية عن أدب مصري قديم خليق بهذا الاسم أرجو أن تأذن لي في أن أشك في كثير جدا من هذه الأحكام التي يرسلها الأدباء والشعراء وأصحاب الفن على عقلية المصريين القدماء وروحيتهم، وبعدهم عن المادة، وقربهم من الروح.

كل هذه عندي أحكام يتعجل بها اصحابها، ويرسلونها على غير تحقيق، واذا فقد يكون من الاسراف أن تتخذ هذه الروحية المصرية الغامضة التي يسرع اليها الشك، والتي تعجز عن أن تثبت للبحث، والتي توشك أن تكون خيالا تخيله أنت وتخيله أصحابك من الأدباء ورجال الفن أساسا لأدبنا المصري الحديث. فمن يدري لعل البحث عن آثار مصر ان يكشف لنا بعد زمن طويل أو قصير عن حياة مصرية قديمة تغاير كل المغايرة هذا الخيال الذي تحبونه وتطمئنون اليه، ويخيل اليكم ان الفن المصري القديم يوحيه ويمليه وينطق به.

نحن إذا أمام أمرين: احدهما عرضة للشك الشديد، لانكاد نعرف منه شيئا، والآخر لا سبيل إلى الشك فيه؛ احدهما حياة مصر القديمة وحضارتها العقلية ان صح هذا التعبير – والآخر حياة العرب وحضارتهم. فالى أي الأمرين نفزع لنقيم عليه بناء أدبنا الجديد؟ إلى الشك ام إلى اليقين؟ وهنا يظهر الخلاف بينك وبيني شديدا حقًا، فقد اصلحت انت رأيك في اليونان، ولا أستطيع مناقشتك في احكامك على المصريين لانها أثر الالهام الفني، ولكن رأيك في العرب وآثارهم في حاجة شديدة جداً الى التقويم. فقد كنا نرى ان ابن خلدون جار على العرب فاذا أنت أشد منه جورا وأقل منه عذراً. فقد يسر الله لك من أسباب العلم بالتاريخ القديم، وتاريخ القرون الوسطى وتاريخ الحياة الأدبية والفنية والعقلية لمختلف الأمم والشعوب مالم ييسره لابن خلدون. فاذا قبل من هذا المؤرخ الفيلسوف ان يتورط في الخطأ لأن عقله الواسع لم يحط من امور اليونان والرومان والهند والفرس والمصريين القدماء بما نستطيع نحن الآن أن نحيط به او نمعن فيه، فليس يقبل منك أنت هذا الخطأ، وليس يقبل من المعاصرين بوجه عام. وقد ذهب الى مثل ماذهبت اليه جماعة من المستشرقين منهم دوزي ورينان، وأحسبكم جميعاً تظلمون العرب ظلماً شديداً وتقضون في أمرهم بغير الحق.

فلو أنكم ذهبتم تقارنون بين العرب وبين الهنود والفرس، والمصريين القدماء لما كان من حقكم ان تقدموا هذه الأمم فى الأدب على الامة العربية بحال من الأحوال، لاننا لانكاد نعرف من آداب هـــذه الامم فى تاريخها القديم شيئا يقاس الى ما بين ايدينا من الادب العربى. فالى ان ينكشف ادب هذه الامم ان كانت لها ادب اكثر من هذا الذي نعرفه، يجب ان نؤمن للعرب بالتفوق عليها فى الشعر والنثر جميعا. للمصريين فنهم، وللهنود قصصهم وفلسفتهم، ولكن للعرب شعرهم ونثرهم ودينهم. ولهم قصصهم أيضا. فاذا أردت ان تقارن بين العرب والرومان فأظنك توافقنى على إن الادب العربى الخالص ارقى جدا من الادب الرومانى الخالص، اى إن الأدب الرومانى انما ارتقى حقا حين اثر فيه الادب اليونانى، فالرومان تلاميذ اليونان فى الادب والفن والفلسفة، والعرب يشبهونهم فى ذلك. ولكن العرب كان لهم ادب ممتاز قبل ان يتأثروا بالحضارة اليونانية. ولم يكن للرومان من هذا الأدب الرومانى الممتاز الخالص حظ يذكر. وقد تفوق الرومان فى الفقه، ولكنهم لم يسبقوا العرب فى هـــذه الناحية من نواحى الانتاج، ولعل الامة الوحيدة التى يمكن أن تشبه بالرومان فى الفقه انما هى الامة العربية. لم يبق إذا الا ادب اليونان، هو الذى يمكن ان يقال فيه انه متفوق على الادب العربى حقا، ولكن من الذى يقيس رقى الادب فى امة من الامم برقى الادب فى امة اخرى؟ فاذا كانت ظروف الحياة العربية مخالفة اشد المخالفة لظروف الحياة اليونانية، فطبيعى ان تختلف الآداب عند الامتين. وليس من شك فى ان الادب العربى قد صور حياة العرب تصويرا صادقا فأدى واجبه احسن الاداء، وكل ما يؤخذ به الأدب العربى القديم هو انه لا يصور حياتنا نحن الآن، ولكن اواثق انت بان الادب اليونانى القديم قادر على ان يصور الحياة الحديثة تصويرا يرضى أهلها؟! أما انا فلا اتردد فى الجواب على مثل هذا السؤال، فالأدب اليونانى القديم خصب غنى ممتع من غير شك، ولكنه كالادب العربى قد صور حياة القدماء، وهو قادر على ان يلهم المحدثين لا اكثر ولا اقل.

واراك تذكر الفن العربى فتعيبه وتغض منه، وقد تكون موفقا فى ذلك، ولكن أليس من الظلم ان تحمل هذا الفن على العرب، وانما هو فن اسلامى ساهمت فيه الأمم الاسلامية المختلفة واستمدت اكثره من البزنطيين. فاذا كان لك ان تعيب هذا الفن او تحمده، فأحب ان تقتصد فى اضافته الى العرب، والخير ان تضيفه الى الامم الاسلامية. وامر العرب بالقياس الى الفن والادب والعلم والفلسفة بعد العصر العباسى الاول، كأمر اليونان بالقياس الى هذه الأشياء كلها بعد غارة الاسكندر على الشرق. كانوا ملهمين باعثين للنشاط، دافعين الى الانتاج، مقدمين لغتهم وعاء لما تنتجه العقول والملكات على اختلافها، وقد يكون من الحق ان كل مقامة من مقامات الحريرى اشبه بباب من ابواب جامع المؤيد، ولكن من الحق ايضا ان الآثار الادبية التى تشبه مقامات الحريرى، والآثار الفنية التى تشبه ابواب جامع المؤيد كثيرة جدا عند اليونان فى العصر المتأخر، وعند البيزنطيين، ولعل هذه الآثار اليونانية البيزنطية هى التى احدثت عند المسلمين مقامات الحريرى وابواب جامع المؤيد.

وانت تميز اليونان بالحركة، وتميز العرب بالسرعة، وتستنبط من هذه السرعة ظلما كثيرا للعرب، كما فعل ابن خلدون من قبل، وليس من شك فى ان العرب يشاركون اليونان فى الحركة، ولكن ليس من شك ايضا فى انك تغلو غلوا شديدا فى وصفهم بالسرعة. انما أسرع العرب فى الخروج من باديتهم، ولكنهم حين بلغوا الأمصار استقروا فيها، وطال بهم المقام، فأثروا فى اهلها وتأثروا بهم، وكانوا فى القرون الوسطى اشبه الامم باليونان فى العصر القديم.

ورأيك فى الموسيقى العربية واليونانية فى حاجة الى التصحيح ايضا، فنحن نعلم من الموسيقى اليونانية شيئا يسيرا غير مضبوط، ولا نعلم من الموسيقى العربية شيئا، ولست ادرى الى اى امـــة او الى اى جيل نستطيع ان نرد هذه الموسيقى، وهذا الغناء اللذين تتحدث عنهما. ولكن الشىء الذى لا أشك فيه هو ان من العسير جدا ان نردهما الى العرب القدماء. وكل شىء يدل على ان الموسيقى العربية والغناء العربى كما كان يعرفهما العرب ايام الامويين والعباسيين وفى الاندلس كانا متأثرين اشد التأثر بالموسيقى البيزنطية والغناء البيزنطى. فاذا اردت ان تعيبهما فلا تنس ان تعيب اصلهما اليونانى القديم.

واريد الآن ان ادع هذه المناقشات التى تمس امورا جزئية وان اخلص الى جوهر الموضوع الذى تريد ان تعرف رأيي فيه، وهو: الروح المصرى الذى ينبغى ان يقوم عليه الادب الحديث ما هو؟ وما العناصر التى تؤلفه؟ وانا أستاذنك فى أن أكون يسيرا سهلا، لا متعمقا ولا متكلفا، ولا باحثا عن الظهر فى الساعة الرابعة عشرة - كما يقول الفرنسيون - فالامر أيسر جدا من هذا كله، عناصر ثلاثة تكون منها الروح الادبى المصرى، منذ استعربت مصر، اولها العنصر المصرى الخالص الذى ورثناه عن المصريين القدماء على اتصال الازمان بهم، وعلى تأثرهم بالمؤثرات المختلفة التى خضعت لها حياتهم، والذى نستمده دائما من ارض مصر

وسمائها ، ومن نيل مصر وصحرائها . وهـذا العنصر موجود دائما في الادب المصري الخالص ، قد حاولت تشخيصه بعض الشيء في اول هذا الفصل ، فيه شيء من التصوف ، وفيه شيء من الحزن ، وفيه شيء من السماحة ، وفيه شيء من السخرية . والعنصر الآخر هو العنصر العربي الذي يأتينا من اللغة ومن الدين ومن الحضارة ، والذي مهما نفعل فلن نستطيع ان نخلص منه ، ولا ان نضعفه ولا أن نخفف تأثيره في حياتنا ، لانه قد امتزج بهذه الحياة امتزاجاً مكونا لها مقوماً لشخصيتها ، فكل افساد له افساد لهذه الحياة ، ومحو لهذه الشخصية ، ولا تقل انه عنصر اجنبي ، فليس اجنبيا هذا العنصر الذي تمصر منذ قرون وقرون ، وتأثر بكل المؤثرات التي تتأثر بها الاشياء في مصر من خصائص الاقليم المصري ، فليست اللغة العربية فينا لغة اجنبية ، وانما هي لغتنا وهي اقرب الينا الف مرة ومرة من لغة المصريين القدماء . وقل مثل ذلك في الدين ، وقل مثله في الادب .

اما العنصر الثالث ، فهو هذا العنصر الاجنبي الذي اثر في الحياة المصرية دائما ، والذي سيؤثر فيها دائما ، والذي لاسبيل لمصر الى ان تخلص منه ، ولا خير لها في ان تخلص منه ، لان طبيعتها الجغرافية تقتضيه ، وهو هذا الذي ياتيها من اتصالها بالامم المتحضرة في الشرق والغرب . جاءها من اليونان والرومان واليهود والفينيقيين في العصر القديم ، وجاءها من العرب والترك والفرنجة في القرون الوسطى ، ويجيئها من اوربا وامريكا في العصر الحديث . فخذ الآن اي اثر أدبي مصري فحلله الى عناصره التي يتكون منها ، فستجد فيه هذه العناصر الثلاثة دائما . ولكنك ستجد بعضها اقوى من بعض بمقدار حظ المؤلف او المنشيء من هذه الثقافات الثلاث المختلفة . بعض هذه الآثار يغلب فيه العنصر العربي ، وبعضها يغلب فيه العنصر الاوربي ، وقليل جدا منها يظهر فيه العنصر المصري القديم . فاذا لم يكن بد من أن أصور المثل الأعلى لروحنا المصري في أدبنا الحديث ، فاني أحب ان يقوم التعليم المصري على شيء واضح من الملاءمة بين هذه العناصر الثلاثة فتشتد عنايته جدا بالتاريخ المصري ، و الفن المصري ، والادب المصري على اختلاف العصور . وتشتد عنايته جدا بالادب العربي ، والتاريخ العربي ، والدين الاسلامي . ثم تشتد عنايته بالثقافة الحديثة واخوف ما اخافه على هذا الروح المصري شيئان : احدهما ان تلهينا الثقافة الاوربية عن الثقافة المصرية والعربية ، وكل شيء يغرينا بها ويغريها بنا فهي ضرورة من ضرورات الحياة ، فمن الحق علينا ألا نضيع حظنا منها ، ولكن من الحق علينا الا نفني انفسنا فيها . الثاني أن تؤثر ثقافة اوربية على ثقافة اوربية فتؤثر الثقافة الانجليزية - كما يريد قوم وكما تريد سياسة الدولة - او تؤثر الثقافة اللاتينية - كما يريد قوم آخرون ، وكما كانت تريد سياسة الدولة من قبل - هذا خطر لانه يجعل الروح المصري الناشيء وجها لوجه أمام روح اوربي اقوى منه واشد باسا . فيوشك ان يخضع له ويفنى فيه ، فلو قد فتحنا أبوابنا للثقافات الاجنبية على اختلافها . لانتفعنا بها كلها ولأضعف بعضها بعضا ، وحال بعضها دون بعض ان يفنينا او يسيطر علينا . لذلك تمنيت وما زلت أتمنى لو لم تفرض على مصر لغة بعينها من لغات الأوربيين ، بل جعلت اللغات الحية الراقيه كلها مباحة للطلاب يأخذون منها ما يشاءون .

هذا الروح المصري الذي يتكون من هـذه العناصر الثلاثة ، هو الذي نشهده الآن عندك وعند كثير من أمثالك المثقفين ، وهو الذي نجد في نشره واذاعته بين المصريين جميعا ، وهو الذي سيطبع أدبنا المصري الحديث بطابعه القوي سواء اردنا أم لم نرد . فشخصيتنا المصرية العربية اقوى بحمد الله من أن تمحى او تزول ، والحضارة الاوربية اقوي والزم من أن نعرض عنها ، أو نقصر في الأخذ بحظنا منها . ستسألني : ولكن الأديب ؛ من أين يستمد خواطره ، ويستلهم وحيه ؟ فاجيبك : من هذه العناصر كلها ، او من أي هذه العناصر شاء ، سيكون منا الأديب الذي يستلهم العنصر المصري القديم ؛ اليس بين الفرنسيين من يستلهم اليونان ؟ وسيكون منا الاديب الذي يستلهم العنصر العربي ؛ اليس من الفرنسيين من يستلهم الرومان ؟ وسيكون منا من يستلهم العنصر الاوربي ، اليس من الفرنسيين من يستلهم السكسونيين ؟ بل من يستلهم الشرق الاقصى ، او الشرق الاوسط ، او الشرق القريب ، بلى . والامر كذلك عند الانجليز وعند الالمان ، وعند غيرهم من الامم الحية . فانت تري أن أمر هذا الروح المصري ايسر من ان يدعو الى الخوف او يضطر الى الحيرة واكبر الظن أن مصدر هذه الحيرة وذلك الخوف انما هو اضطراب سياسة التعليم في مصر وقيامها على غير أساس ، وسيرها في غير طريق ، ولو قد وضحت هذه السياسة واستقامت منذ زمن بعيد لما تساءلنا الآن عن الروح المصري ، ولا عن الادب المصري من أين يستمد الحياة .

أما بعد ؛ فقد كنت أريد أن أقتصد وأوثر الايجاز ، ولكن الحديث معك أغراني بالاطالة وحببها الي ، وارجو أن لا اكون قد أثقلت عليك ولا على غيرك من القراء ، وارجو ان تقبل تحيتي الخالصة ؟

أدب اللفظ وأدب المعنى

للاستاذ احمد امين

من قديم اختلف علماء البلاغة ، أهي في اللفظ أم في المعنى ، وقد عقد عبد القادر الجرجاني فصلا ممتعاً في آخر كتابه دلائل الاعجاز ذكر فيه حجج الفريقين ، فقد كان فريق يرى أن المعاني مطروحة أمام الناس ، والبليغ من استطاع أن يصوغها صوغاً جميلا ، وأنما يتفاضل الأدباء بجودة السبك وحسن الصياغة ، ويرى الفريق الآخر أن المعاني هي مقياس التفاضل ، وأن الأديب يفضل الأديب بغزارة معانيه ، وجدة أفكاره ، وأظن أن الزمان فصل في هذه القضية ، اذ أصبح واضحاً أن حسن الصياغة ، وجودة المعاني ، عنصران أساسيان لابد منهما للأديب ، وأن من تجرد من احدهما لايسمى أديباً بحال ، وأن المثل الأعلى للأديب معان غزيرة سامية ، وصياغة جيدة محكمة .

غير أن هناك — ولا شك — مواضع تراعى فيها المعاني اكثر مما تراعي اللفظ وصياغته ، كفصول النقد الأدبي ، والمقالات العلمية الأدبية ، والمقالات التاريخية الادبية ، وتراجم الأشخاص ونحوها ، فالغاية من هذه الموضوعات ليست اللذة الفنية ، وانما الغرض الأول هو المعاني والحقائق ، فيجب ان تكون غزيرة فياضة ، وكل ما تتطلبه فيها من اللفظ أن يعبر عن هذه المعاني في دقة ووضوح ، أما القصد الى محسنات البديع ومحلات الصناعة فلا داعي له ، وربما كان افراط الكاتب في هذه المحسنات حجباً للمعاني عن الانظار ، ومضلة للعقول عن الوصول الى حقيقة المعاني ، وهي أقوم ما في هذه الموضوعات .

وهناك ضرب آخر من الادب كالشعر والقصص فيه مراعاة اللفظ وحسن السبك في المنزلة الأولى ، ولست اعني ان الحقائق والمعاني فيهما مجردة من القيمة بل هي كذلك من مقدماتهما ، والشاعر الذى يجيد السبك ولا يجيد المعنى ليس من شعراء الطبقة الاولى ، وخير الشعراء من صح حكمه ، واتسعت تجاربه في الحياة . وكان له علم عميق بكثير من الاشياء التي حوله ثم صاغ ذلك كله صياغة جميلة ، وهذا الأدب الصرف كالشعر والقصص والقطع الفنية الأدبية ، ليس الغرض الأول منه نقل المعاني كما في الصنف الاول ، وانما الغرض منه اثارة عواطف القارىء والسامع والألفاظ — كما يظهر لي — لم توضع لنقل العواطف ، وانما وضعت لنقل المعاني والألفاظ أعجز ماتكون عن نقل عاطفة الاديب الى القارىء . فكيف انقل اعجابي بالطبيعة أو أنقل حباً لا جوانحي ، او غضباً استفزني ، أو رحمة ملكت مشاعري ؟ لم توضع الالفاظ لشيء من ذلك ، انما وضعت لنقل مقدمات ونتائج منطقية ، ولكن ما حيلتنا وقد خلقنا عاجزين لم نمنح لغة العواطف ، ولا بد لنا من التعبير عنها ونقلها الى قارئنا وسامعنا — لذلك استخدمنا لغة العقل مرغمين ، وأردنا أن نكمل هذا العجز بضروب من الفن ، كموسيقى الشعر من وزن وقافية ، وكالسجع ، وكل ضروب البديع ، وليس القصد منها الا أن تكمل نقص الألفاظ في أداء العواطف . في هذا النوع من الأدب ليس من الضروري أن تكون معانيه جديدة ، وربما يستطيع الاديب أن يجعل من المعنى المطروق قصيدة رائعة ، أو قصة ممتعة ، وكل مافيها من جديد صياغتها الجديدة ، وخيالها المبتكر ، وليست وظيفة الأديب فيها أن يعلم الحقائق ، انما وظيفته أن يثير مشاعر الناس بها ، ويعبر عما لا يحسنون التعبير عنه ، وان كانت المعاني في نفوسهم ، وبين سمعهم وبصرهم . كل انسان يشعر بجمال الوردة ، ولكن الاديب يملأ مشاعرك بجمالها ، ويوحي اليك بمعان ترتبط بها ، مثل اقتران تفتحها بتفتح الشباب ، ونشوة الأمل ، أو ماتبعث من شجن . وجودة الأسلوب وحسن النظم قد يرقيان بالمعاني المألوفة فيخرجانها في شكل جذاب ولكن لا يمكن الأديب على كل حال أن يتبوأ مكاناً عالياً اذا اعتمد على الأسلوب وحده وكان مصاباً بالفقر العقلي .

في أدب كل أمة نري أدب اللفظ وأدب المعنى ، وفي الادب العربي أمثلة واضحة لذلك ، فمقامات الحريري والبديع ادب لفظ لامعنى ، قل أن تعثر فيهما على معنى جديد ، او خيال رائع ، وهما من الناحية القصصية في ادني درجات الفن ، ولكنهما تؤديان غرضا جليلا من الناحية اللفظية ، ففيهما ثروة من الالفاظ والتعبيرات لا تقدر ، ويظهر أن مؤلفيهما قصدا الى تعليم اللغة وامداد المتعلم بثروة كبيرة من الالفاظ والامثال والتعبير ، وتحايلا على ذلك بهذا الوضع الجذاب ، فان كانا قد قصدا الى ذلك فقد نجحا نجاحا تاماً وان كان قصدهما غير ذلك فلا . وشعراء القرون المظلمة بعد سقوط بغداد وكتابها أدباء ألفاظ ، رواء في العين ، ولا شيء في اليدين ، بل ان ادب كثير منهم لا هو أدب لفظ ولا هو أدب معنى ، يحسبه الظمآن ماء حتي اذا جاءه لم يجده شيئا ، والمعري في لزومياته أديب معنى لا أديب لفظ ، غزرت معانيه وقصرت ألفاظه ، حاول ان

يدخل المحسنات البديعية فى شدة فشل، قد التزم مالا يلزم فأضاع مايلزم، والمتنبي — على الجملة — اديب لفظ ومعنى قد وقع من معانى الحياة علي ما لم يقع عليه من قبله، ثم صاغه صياغة قوية حببته الى النفس.

وبعد فيظهر لى أن الزمن سائر الى تقويم المعاني أكثر من تقويم الالفاظ، وشان الناس فى تقويم الادب شأنهم فى تقويم الجمال في سائر الفنون، فمن لم يصلوا الى درجة راقية من المدنية يعجبهم من الألوان اللون الزاهي كالاحمر القاني والاصفر الفاقع، ويعجبهم من الأجسام السمين القوى فى ملامحه، ومن الأصوات الطبل والمزمار، فاذا بلغوا مبلغا كبيرا في الحضارة أعجبتهم الألوان المتناسقة والألوان الخفيفة، كما تعجبهم وحدة الفكرة التى تنسق الألوان المختلفة والمظاهر المتعددة، وأعجبهم من جمال الانسان الرشاقة وخفة الروح، وأعجبوا بجمال الحركة، وقوموا جمال المعاني أكثر مما يقومون جمال الملامح، ونظروا الى جمال الروح أكثر مما ينظرون الى جمال الجسم، حتى فى جمال الجسم يقومون وحدة التناسق والنسبة بين الاعضاء أكثر مما يقومون جمال الوجه وحده، وفي الموسيقى تعجبهم النغمات الهادئة، والنغمات المتناسقة، والنغمات التي تمثل المعانى. كذلك شأنهم فى الادب يكرهون السجع الدائم، والكتابة التي اختفت معانيها او ضاعت وراء الزينة المفرطة والزخرف الكثير، والقافية الطويلة على وتيرة واحدة، وتعجبهم البساطة في القول والزينة بقدر، والالفاظ كوسيلة لا غاية، يكرهون النكت كلها لعب بالالفاظ، والنكت تلذع لذعا صريحا، وتعجبهم النكتة أسست على معنى، والنكتة تلذع فى ايماء ورقة.

ان الاديب اذا رزق حلاوة فى السبك، وأصيب بفقر فى المعنى كانت شهرته وقتية وقيمته محدودة الزمن، ولا يلبث الناس أن يدركوا ضعفه وفقره فينبذوه، والاديب الخالد من زاد في معارفنا ومشاعرنا بما فى قوله من معنى وقوة.

أديب اللفظ فارغ الرأس قليل العلم بما حوله، قريب الغور، قد ستر كل هذا بزخرف القول كما تستر الشوهاء عيبها بالأصباغ، رخصت بضاعته فبالغ فى التجمل فى عرضها، ولفت الانظار اليها. وشعر أنها مزيفة فغضب لنقدها والتلويح بامتحانها. والأمة فى طفولتها وشيخوختها يعجبها هذا النوع من الادب، لأن خفة رأسها من خفة رأس أدبائها. ولان العقول السخيفة يعجبها السحر والشعوذة وألعاب البهلوان، والأدب اللفظي المحض نوع من هذا اللعب.

فاذا نضج عقلنا تغير ميزاننا ونفذ نظرها الى أعماق الشيء، لتعرف ما وراء الظواهر. واذ ذاك تقدر المعاني أكثر مما تقدر الألفاظ، ترى الالفاظ جسما والمعنى روحه. وترى المعنى غاية واللفظ وسيلة. وتستحسن اللفظ لا لذاته، ولكن لانه لفق المعنى.

تزين معانيه ألفاظه والفاظ زائنات المعانى

ما أحوج أدبنا العربى الحديث الى المعنى القوى الغزير فى اللفظ الجميل البسيط!

نظرة في نظام بيعة الخلفاء

النمو الثاني

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

— ٢ —

هل استطاع التاريخ أن يصدر حكمه فى ثورة الفرنسيين؟ إن هذه الثورة قريبة العهد، فحوادثها قريبة الحدوث واكثرها مدون فى وقته، مضبوط التواريخ وحكومة اليوم قائمة على تلك الثورة، ومن اكبر الجرائم فى دولتها أن يعمل أحد على مس نظام الجمهورية الذى وضعته تلك الثورة. ومع ذلك فانا نجد الافكار مقسمة مضطربة اذا تناولت ذكرها وحوادثها. فقوم من المؤرخين يتشيعون لها ويتغنون بكل ما كان فيها. وقوم آخرون ينكرون عليها فعالها، ويزورون من قاموا بها وآزروها.

وهل يستطيع العرب الا ان يكونوا كذلك؟ فان ثورتهم فى مدة الخليفة عثمان لم تكن ثورة من كل الناس، وان اشترك فيها كل العرب بالرأى والقول، وتناولوها بين منكر ومنتصر. ولسنا بسبيل هؤلاء او أولئك، ولكنا نرى أنها مثل الثورة الفرنسية، ان اختلفت فيها الآراء فان الكتاب جميعا متفقون على انها كانت ظاهرة اجتماعية طبيعية. فلندع الخوض فى هل كانت تلك الثورة حقا ام كانت باطلا، وحسبنا من القول ان يقال إنها كانت ثورة طبيعية، وانها كانت خطوة فى سبيل بناء الدستور العربي. وهي وان لم يشترك فيها كل العرب قد كان فيها ممثلون للانحاء المختلفة من بلادهم، فقد كان فيها جماعة من مصر وجماعة من مصري العراق، كما اشترك فيها الاعراب من انحاء جزيرة العرب. وقد جمعت جماعة من الزعماء كما ضرب فيها العبيد بسهم فعدد الثائرين كان محدودا، ولكن فكرة الثورة كانت شائعة،

وكانت رقعتها كذلك محدودة، ولكن مدى الاشتراك فيها كان يشمل حدود الدولة العربية اذ ذاك. لسنا نقصد أن نقول ان العرب جميعا كانوا يريدون سفك دم الخليفة الشهيد، فقد كان هــذا أبعد شيء عنهم، بل إن الفكرة ذاتها لم تكن في نفوسهم من اول الامر، ولكن الثورة كانت في نفوس الجميع. وكانت ثورة طبيعية لا هي وليدة تدبير ولا هي بنت حادثة، بل كانت نتيجة فكرة اختمرت في النفوس حتى صارت عقيدة، ثم كان من الامر ما كان عن عقيدة.

كان انتخاب سيدنا عثمان كما سبق القول نتيجة اختيار واسع الرقعة وكان كذلك قائما على تعهد وبرنامج. ثم جرت حوادث على مر الايام لاحظها العرب واحصوها في نفوسهم، واذا قلنا العرب فانما نقصد جميع العرب سواء في ذلك من كانوا في قلب الجزيرة والحجاز ومن كانوا في الامصار. وهل كان أهل الامصار يتركون الامر يسير كما يشتهي فئة من قريش وهم جنود الدولة الذين يوفرون لها الفيء والاموال، ويعودون عليها بالنصر والفتح. ولسنا في حاجة الى هذا التساؤل فحسبنا ان تتذكر أن اختيار عثمان كان قائما في ناحية منه على رضى جنود الامصار، فاذا لاحظ هؤلاء الجنود كيف يذهب فيئهم في غير وجوهه انقلبوا ينتقدون رئيس الدولة الذي يسمح بمثل هذا، واذا رأوا مشيختهم يعزلون عن البلاد التي فتحوها لكي تسلم القيادة الى فتية لاغناء لهم ولا تحيط بهم ذكريات المجد والفتح احاطتها بالزعماء المعزولين نفرت نفوسهم وطفقوا يحصون على الوالي الجديد اعماله ويسيئون تأويلها أو يريدون تأويلها قبحا. ومنذ بلغ الحال هذا المدي بدأ النقد يتخذ شكل الشكوى. وانطلقت الالسنة بما دار في النفوس من التهم.

ولسنا نقصد أن نذكر الحوادث او نسرد ما كان من الخطوات التي ادت الى الثورة، فذلك معروف متداول، ولكننا نذكر امرين لاغنى عنهما: الامر الاول ان رؤساء العرب في المدينة اقتنعوا اقتناعا كبيرا بحق الشاكين ووجوب ازالة ما يشكون منه وبدأت نفوسهم تنحرف عن عثمان عندما رأوه لا يبدي الجد في احقاق الحق وكان جديرا به أن يكون عند الحق مقيدا. والامر الثاني ان الذين كانوا يأتون للشكوى لم يكونوا من أهل الفساد والعبث بل كانوا رجالات من الزعماء أتوا وقلوبهم موغرة تملؤها الشكوى، وما كانوا يقصدون سوى أن تزال مواطن تلك الشكوى بعد أن بثوها مرارا. وما كانوا مدفوعين الا بعامل واحد وهو الاصلاح. وكان ابعد شيء عنهم أن يفكروا في قتل الخليفة، ويثيروا بذلك المشكلات والمداوات أو أن ينقضوا بناء الدولة الذي كان لهم الفضل في بنائه فضلا عن انهم من جنود الدولة الحريصين على الدفاع عنها وبسط سلطانها.

واذا كان لا بد من ضرب المثل للتدليل على صدق مذهبنا في هذين الامرين فانا نذكر القراء بما كان من عبد الرحمن بن عوف وهو كما تعلم صاحب اليد في اختيار عثمان. فانه غير متهم اذا هو قام يذكر عثمان بما وجب عليه. ولقد بلغ به الامر أن خاصم عثمان وحلف ألا يكلمه بكلمة حتى يفرق بينهما الموت، وقد بر بقسمه فقد قيل إنه لما حضرته الوفاة دخل عليه عثمان عائدا فأدار وجهه الى الحائط ولم يكلمه. وذلك موقف كان يدعو الى ترك الخلاف لو لم يكن الامر قد بلغ حدا لا يرتاح الضمير الى التساهل فيه واذا شئنا أن نكرر الامثلة التي تدل على انحراف زعماء الصحابة عن عثمان في آخر الامر لم أضق بالامر، فقد غضب طلحة حتى كان فيمن يحرض على عثمان تحريضا شديدا، وغضب عمار بن ياسر وبلغ الامر بأبي ذر الغفاري أن نفي من المدينة، وكان علي في أشد المواقف، ولكنه لم يكن راضيا وإن لم يظهر شيئا من غضبه باكثر من كلمات قالها لعثمان أو لبعض أهله. ولقد كان علي في أشد المواقف فانه كان في حيرة بين واجبه نحو صديق آخى بينهما رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبين واجبه نحو العدل وهو بقية العهد الاول من عهود الاسلام، وهو البطل الذي ما كان يرضي بالحيد عن العدل مهما كان في سبيل ذلك من الاخطار. على أنه كان مع ذلك يحاول أن يحمل الخليفة على الاصلاح لكي يتحاشى النكبة التي لاحت في الافق

وأما الامر الثاني وهو حسن نية الثوار فليس أدل عليه من انهم لم يرضوا بترك الامر فوضى بعد قتل الخليفة، بل كانوا يعرضون الامر على الزعماء ويظهرون لهم وضوح حجتهم في ثورتهم، ولم يفكر احدهم في أن يذهب الى مصره ليضرم فيه النار، أو ان يهرب الى بلده قبل ان يستقر الامر ويتدارك ما كان من الخطب، فلم يكونوا بالمجرمين الذين متى تمت جريمتهم فزعوا هاربين من ضوء الشمس يحاولون أن يدخلوا في غمار الناس حتى لا تنالهم معرة فعلهم. فكانوا أشبه الناس بأصحاب يوليوس قيصر عند ما قتلوه وقاموا بين الناس معترفين بما أتوه، وبأنهم انما فعلوا فعلتهم دفاعا عن الحق والحرية.

قتل الخليفة ولكن قتله كان غير مدبر تدبيرا احكما نتيجة تفكير طويل، بل جاء عند ما فزع الثوار اذ بلغهم أن الجيوش الموالية له تتحرك نحوهم لتبطش بهم من انحاء الامصار. وقد ذهب الخليفة ضحية الظروف القاسية التي كانت تخيم على دولة العرب والتي كانت

تحتاج الى رجل له عقلية غير عقلية عثمان. عقلية محضة لا تردد فيها بين العواطف المختلفة، ولا تنازع فيها بين جانبي العدل والميل الطائفي، فاما ان تكون عقلية دنيوية محضه تسير على الميل الطائفي والاثرة ولكنها تسير قدماً بغير تردد، واما أن تكون عقلية عادلة محضة تسير مع العدل قدما بلا تردد، واما عثمان فقد كان قلبه مملوءاً بفكرة العدل، ولكنه كان لين العاطفة يصل قرابته، ولا يستطيع الا أن يكون مائلا نحو من لهم به مساس من رحم. فتردد بين الدافعين المتضادين، وكانت الكارثة من وراء هذا التردد.

ولما تم الامر عاد الثوار الى أنفسهم وكانهم يريدون انقاذ الموقف فقضوا أسبوعا يبررون فعلهم، ويعرضون الخلافة على الزعماء. وقد أرادوا ألا يبعدوا عن السنن التي اختطها السلف والا يحيدوا عما سار عليه العرب في بناء دستورهم منذ كانت دولتهم، فرأوا أن يرجعوا الى آخر خطوة من خطى ذلك الدستور قبل الثورة، الا وهي خطوة الشوري. ولم يكن الوقت ليسمح لهم بالسير بعد ذلك خطوة أخرى جديدة فى سبيل تقدم ذلك الدستور وهي الخطوة التي كانت تنتظر لبلوغ نظام كفيل بتمثيل العرب واختيار أليقهم للخلافة اذ ان ذلك كان يستلزم الهدوء والاستقرار. فلما لم يستطيعوا السير الى الامام عادوا الى حيث كانوا ورجعوا الى المرشحين للخلافة بعد مقتل عمر. وكان بعضهم قد لحق بربه مثل عبد الرحمن ابن عوف وكان بعضهم بعيدا عن المدينة، وهو الزبير. فعرضوا الخلافة على طلحة فأبى وكره ان يتقدم فى مثل هذا الظرف خوفا من التهمة، اذ كان ممن ظهر منهم التحريض الصريح على عثمان، واما سعد بن أبى وقاص فقد كان أخرج نفسه منها منذ حادثة الشورى وأبى أن يعاود نفسه في ذلك الامر، فلم يبق من المرشحين للخلافة من أهل الشورى الا علي. وقد عرض الثوار الخلافة عليه فلم يرض بادىء الامر، وابى كل الاباء ان يقبلها.

وكان علي عند مقتل عمر أول المرشحين للخلافة، ولولا أنه أبى أن يقيد نفسه بغير كتاب الله وسنة نبيه، ورفض أن يحرم نفسه الاجتهاد على هذين الاساسين فيما يقابله من مسائل الدولة لكان هو الخليفة بعد عمر ولما رأى الثوار أن كل اهل الشورى لايواتونهم فيما يطلبون عادوا الى علي وغيروا الحجة عرضهم وخاطبوه بما وجد فى قلبه موقعاً. وذلك أنهم بدأوا يظهرون له حال الدولة الاسلامية، وقد مضى عليها اسبوع بغير خليفة، وحدودها ممدودة الى اعداء كثيرين. واذا استطال الامر بها لم يؤمن عليها من الضياع والانفراط. وهل كان علي يترك دولة الاسلام فى مثل هذا المأزق ويتردد فى قبول حمله والاضطلاع به؟ لقد كانت المشكلات واضحة لكل ذي عينين، وكان كل من عرضت عليهم الخلافة يرفضونها، وهم يخشون ما وراء قبولها من العقبات والاخطار والمتاعب. فلم يكن الامر أمر خلافة وسلطة وسيادة بل كان الامر امر شقاق، وكان على الخليفة ان يحاول القضاء عليه، وأمر دولة تريد أن تنهار ويجب الاحتفاظ بها وحفظها من الضياع، وأمر شهوات وأغراض يريد اصحابها ان يصلوا اليها متسترين بالثأر، والواجب حماية المجتمع والدولة الاسلامية منها. وقد كان علي من بناة الدولة وأول ابطالها الذين تعرضوا للموت مراراً فى سبيل بنائها، فلما ان جاءه الثوار من ناحية ما يحيط بها من الاخطار ثار قلبه ونسى كل ما يمكن أن يلقى فى سبيل الدفاع عنها، وقبل مايعرضه الثوار، وكان عن الخلافة راغباً. وقال عند ذلك كلمته القصيرة الكبيرة الدلالة: «قد أجبتكم لما أرى، واعلموا اني ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فانما أنا كأحدكم، الا اني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم».

على ان هذه الثورة وإن كانت في مظهرها هدماً قد كانت في الحقيقة بناء له خطر عظيم فى دستور الدولة العربية. فقد أظهر العرب بعنف ان الخليفة اذا قبل شرط المبايعة كان لزاماً عليه أن يفي بما تعهد به، وانه ان لم يفعل كان للشعب ان يعزله. فان أبى ان يعتزل او يعتدل كان للشعب أن يثور عليه. واذن كان على الخليفة الذي يلى امر العرب بعد ذلك أن يحتاط ويحترس فى السير على منهاجه الذى بايع عليه. وبذلك تم بناء الدستور العربي الاول على أسس واضحة صريحة، فقد كان اختيار الخليفة فى ذلك الدستور من حق العرب جميعاً، ولكن السنة التى سار عليها خلفاء العرب الاوائل جعلت اختيار الخليفة محصوراً، فما كان الخليفة ليختار الا من قريش. وكان الخليفة يختار ممن تتوافر فيهم شروط الرجولة التامة والعدل الذي لايعرف ميلا، وكان أساس الاختيار أن يعمل الخليفة بمقتضى برنامج صريح قائم على أحكام الكتاب والسنة والاستنارة بسنن الخلفاء الماضين. وكانت المبايعة من جانبين: جانب الشعب، وجانب الخليفة، فاذا خالف الخليفة شروط المبايعة كان للشعب أن ينقده ويطلب اليه الرجوع الى المنهاج القويم وإلا كان له ان يثور عليه ولم يقف نمو هذا الدستور بعد ذلك لنقص فى القوة الحيوية فى الشعب العربي. بل قد تكلف خلفاء بني امية وبنى مروان شيئاً كثيراً من العناء وارتكبوا جرائم كثيرة وخاضوا الحروب والمخاطر قبل أن يستطيعوا أن ينقضوا أسس ذلك الدستور؟

(تصحيح) ذكر فى المقال الاول الذى نشر فى العدد الماضى اسم مسلمة بن مخلد سهوا والصواب أبو طلحة الانصارى

خواطر في الشعر العربي

للأستاذ محمود البشبيشي
المدرس بدار العلوم

للرسالة الغراء فضل على الأدب العربي أن أتاحت لقرائها فرصا كثيرة للاطلاع على آراء ناضجة، وبحوث طريفة في الأدب العربي. ولقد نال كتابها الفضلاء موضوعات طلية في هذه الناحية لقيت من قادة الأدب والباحثين فيه عناية كبيرة، تردد صداها على صفحات (الرسالة) وفي أندية الأدب، وإذا كان من حق الرسالة على أدباء العربية أن يشكروا لها حسن صنيعها، فان من واجبهم أن يوحوا بما يهتدون اليه من آراء حيال هذه الموضوعات، ليكون للأدب من كتاباتهم وبحوثهم مدد لا ينقطع.

أثار الباحث المفضال (الدكتور محمد عوض) مسالة الشعر الذي لا يجري على سنن واحد، وكان موفقا في تسميته (بمجمع البحور) كما كان جد موفق في نقده وتجريحه حتى تركه هباء تذروه الرياح.

ولقد كانت صيحة (الدكتور) موفقة، نبهت رجال العربية الى خطر داهم يتنظر الشعر العربي من هذه الدعوى الباطلة التي لم تعدم لها أنصارا، ولم تعتمد في قيامها على دليـــل، لقد طالما صدعت آذاننا بمثل هذه الدعوى، فمن داع الى التحرر من القافية، الى مناد بجمود الشعر العربي، الى طارح لأوزان العروض المأثورة، إلى غير هذه النزعات الطائشة الغامضة، وأخيرا فوجئنا بفكرة الحلل من وحدة البحور، وقرض الشعر على غير نظام والسير فيه على غير هدى، ولقد كنا نشفق على الشعر ذلك التراث المجيد أن تعبث به هذه المحاولات، ثم يعود الينا شيء من الطمأنينة، اعتمادا على ما فيه من مناعة تقيه هذه الالاعيب. غير أن دعاة هذه الفوضى الشعرية ما فتئوا يعاودون الكرة بعد الكرة، يريدون أن يتسللوا في غفلة الرقباء الى حمى الشعر فيستبيحوه، فاذ تم لهم ذلك لجوا في طغيانهم، وقضوا على أنصع صفحات الأدب العربي، وأزهى رياضه، وانضر وجوده، ثم نعبت غربانهم على أطلاله، وقطعوا ما بين حاضر الأمة وماضيها، وبنوا على اطلال ذلك الماضي المجيد، ما خيله لهم أهواؤهم من أماني وأحلام،

لست أدري ماذا ينقم القوم من الشعر العربي؟ وهو الذيساير الدهر قرونا طوالا، وماشى الحضارات على اختلافها، واتسع للاغراض الشعرية على كثرتها، واستقبل حكمة الغرب واليونان بعزة الواثق بنفسه، المعتز بقوته، فما دعاه غرض الا لبى، وما أهاب به جديد إلا استجاب، وما سمعنا أنه قعد عن حكمة المتنبي وأبي تمام، ولا تخاذل دون مباهج الحياة وأغراضها في بغداد والأندلس، ولا قصر يوم طلب اليه ترجمة (الالياذة)، ولا نوم دعي لنظم (قمبيز) و(كليوباترا)، بل ما رأيناه نفر ممن حملوه ما لم يخلق لأجله فنظموا به العلم، وأطالوا به المتون، فالشعر العربي خصب بطبيعته، قابل للتجديد ومسايرة الزمن، ولكن في حدود العقل والمنطق، وفي حدود السليقة العربية، والحضارة العربية.

فماذا يريد القوم بعد ذلك؟ وأي غرض يرمون اليه؟ ماذا يريدون بمجمع البحور؟ وهو نوع لاحظ له من النغم الموسيقي الذي هو روح الشعر، وسر تقـــدمه على النثر، هو لون من القول يريد أن يخدع الناس عن نفسه فلا يلبثون أن يعرفوا حقيقته، ويدركوا أنه لا الى الشعر ولا الى النثر.

لقد أبان لهم (الدكتور) الفاضل ان هذا بدع من القول لم تعهده اللغات الاخرى، ولم ينزل اليه شعراؤها النابهون، أمثال (شكسبير) وصاحب الشاهنامة، وعهدنا بأصحاب هذه الدعاوى اذا أخذهم الدليل أن يتشبثوا بأهداب التجديد، ويجروا وراء الأدب الغربي، فاذا كانت حجتهم داحضة، وأسبابهم واهية، وإذا كان فحول شعراء اللغات الاخرى لم يسفوا الى (مجمع البحور) فماذا عساهم يقولون؟ ما أظن الباعث لأكثر هؤلاء الا الطموح الى الشهرة وذيوع الصيت، يستهينون في سبيله بلغتهم، وهي مناط العظمة، وديوان المفاخر، ومظهر الكرامة والعزة القومية، هم يحسدون الشعراء على مكانتهم، ويحاولون ألا يقصروا في كل مظاهر العظمة، فيتعلقون بأهداب الشعر، فاذا هو نافر منهم، ويرون معاناة الشعر أمرا عسيرا على طبائعهم، شـــديدا على نفوسهم، ويدركون أن العقبة الكؤود دون الذي يريدون، قوانين دعت اليها طبيعة الشعر كفن من فنون الموسيقى، وأولها في نظرهم وحدة الوزن والقصيدة أو ما يعبر عنه بالبحور، فلا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار حتى ينفروا الناس من هـــذه القوانين لعلهم أن يحطموها، فتصير طريق الشعر في زعمهم واضحة معبدة، وعند ذلك يستوى الشاعر والمتشاعر، ويندس في زمرة الشعراء الملهمين من لا يمت الى الشعر بسبب، وقـــد نسوا ان الشعر كالموسيقى والصوت الحسن لا ينقاد الا لمطبوع عليه.

رويدكم أيها الاخوان! فما أنتم ببالغي هذه الغاية! وان تراءت لكم قريبة المزار، ان شعرا يفقد أهم عناصره وهي وحدة الموسيقى لجدير أن تمجه الآذان، وتنفر منه الطباع، وما كان هذا شأنه

من أدب الجاحظ

للاستاذ توفيق الحكيم

استاذنا الكبير الدكتور طه

انى أشكر أهل الكهف الذين قادونى اليك . واذا كان هذا هو الغرض من بعثهم فى كتابى فقد حق البعث نجح . الحقيقة ان رعاية الدكتور طه أثمن ما منحني القديسون الثلاثة من كنوز . وان صداقته التى أطمح اليها يوم أكون خليقاً بها هى مفتاح عملى الأدبى فى المستقبل . إنه ليشق علي أن يمضى الاسبوع ولا ألق الدكتور . فلقد وجدت في حديثه الجميل زادا روحيا لا غنى لى عنه .

تشرفت بلقاء الاستاذ الجليل لطفى بك ودار بيننا حديث طويل أرويه ان شاء الله عند اللقاء .

وبعد فقد كنت أقرأ الجاحظ منذ عامين فألفيت عنده كلاما كالحوار التمثيلي لم أر مثله فى الاغانى . وقد بدالي ان أنقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » دون تغيير في الالفاظ والمعاني . انما سمحت لنفسى ببعض الحذف وبعض الملاءمة بين وضع الحوار الاصلى والوضع المسرحى بغير أن أمس جوهر الموضوع . حتى يبقى الفضل للجاحظ وللادب العربي . والحق انه حوار يذكر بالفريد دي موسيه فى « كوميدياته » وأمثاله ، ان عناصر كل نوع من أنواع الادب والفكر موجودة عند العرب . لكنها مجرد عناصر . فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونفصلها ونبوبها ؟ لماذا لا نضع مثلا كل حوار من هذا الطراز فى الشكل التمثيلى على قدر المستطاع . ونجمعه على أنه نماذج تمثيلية من الأدب العربى . او على انه Rajeunissement للادب القديم بالباسه حلة جديدة دون تغيير اللب ؟ اذا صح هذا فان مجال العمل فى الادب العربي القديم متسع . ولن تفرغ منه أجيـــال قادمة برمتها . والدكتور أول من بحث وحفر ونقب فى آثار الادب العربى . وأول من أدخل روح البحث والتنقيب فى الجامعة . والجامعات هى ميدان لمثل هذا العمل .

اذا كان الدكتور لا يوافقنى على أن عناصر القصص التمثيلى موجودة عند العرب . فما تراه يقول فى هذا « المنظر » وهو من تأليف الجاحظ :

الفراق

المنظر : باب دار كبير . جارية كانها قضيب يتثنى . وهي والهة حيري واقفة فى الدهليز . وجائية تخطر فى مشيتها . يدنو منها شيخ ويسلم عليها فترد السلام بلسان منكسر وقلب حزين .

***

الشيخ : — ياسيدتى ! انى شيخ غريب أصابنى عطش فأمري لى بشربة من ماء تؤجرى .

الجارية: إليك عنى ياشيخ ، فانى مشغولة عن سقى الماء وادخار الاجر !

الشيخ : ياسيدتى لاية علة ؟

الجارية: (بعد تردد) لانى عاشقة من لا ينصفنى ، وأريد من لا يريدني !

الشيخ : (يتأملها) ياسيدتى ، هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك

الجارية : انه لعمري على ذلك الفضل الذى ركب الله فيه من الجمال والدلال .

الشيخ : ياسيدتى ، فما وقوفك فى الدهليز ؟

الجارية: هو طريقه ، وهذا ان اجتيازه .

الشيخ : ياسيدتى . هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الاوقات

فلن يرقى الى درجـــة الشعر الصحيح ولن يجد من النفوس الا احتقارا ، ثم لايلبث ان يقبر فى مهده

وانه لخير مما تريدون ان يسمع الانسان كلاما منثورا منسجما لا تكلف فيه ، ولا تتعب أذنه في التوفيق بين انغام مختلفة متنافرة ، لاحظ لها من الشعر ، ولا روح لها من ألفة موسيقية ، وان يوما يستحيل فيه الشعر الى ما ذهبتم اليه لهو يوم القضاء على الشعر العربى وجناية هذا على الأجيال المستقبلة أخطر مما تتصورون .

ليس يجدي ماتدعون اليه أن يتجلى على الناس في حلة الشعر وأن يحمل بين يديه قيثارته ، فلن تلبث الحلة الخادعة أن تبدو مهلهلة شتى الصور والألوان فتقذي بها الأعين ، ولن تلبث القيثارة أن تظهر أوتارها المتنافرة فتحجبها الآذان . ولا يلبث ذلك المسمى شعراً أن يبدو فى حلته عظاماً نخرة ، لاتقوى على الهواء فتعود رفاتاً سحيقاً . فاعملوا للتجديد ان كنتم صادقين على دعائم ثابتة من القديم ، وإذا يمضى أدبكم العربى المجيد فى طريقه قدماً ، ويتسع لما شئتم من جديد نافع ؟

أم حب مستحدث ؟

الجارية: (تتنفس الصعداء، وتسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشد تقول:)

وكنا كغصني بانة وسط روضة ... نشم جنا اللذات في عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع ... فيا من رأى فرداً يحن الى فرد؟

الشيخ: ياهذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟

الجارية: أرى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيره، وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب الروح من جسدي، وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل.

الشيخ: عزيز علي، وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى، أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة. فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء؟ أراك كنت مفتنة في أرض البصرة !

الجارية: كنت والله ياشيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال، ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنني هذا الغلام.

الشيخ: ياهذه ما الذي فرق بينكما ؟

الجارية: نوائب الدهر وأوابد الحدثان. ولحديثي وحديثه شأن من الشأن. وأنبئك أمري: اني كنت اقتصدت في بعض أيام النيروز، فأمرت فزين لي وله مجلس بأنواع الفرش وأواني الذهب، ونضدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار. وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة، فيهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمئة ألف درهم، وكانت الجارية قد ولعت بي، وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن. فلما حصلت عندي رمت بنفسها علي تقطعني عضاً وقرصا... فبينا نحن كذلك اذ دخل علي حبيبي. فلما نظر الينا اشمأز لذلك، وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم، وعض على أنامله وولى خارجا. فأنا ياشيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته، وأستعطفه فلا ينظر الى بعين، ولا يكتب إلي بحرف، ولا يكلم لي رسولا.

الشيخ: ياهذه، أفمن العرب هو أم من العجم ؟

الجارية: هو من جلة ملوك البصرة.

الشيخ: من أولاد نبايها أو من أولاد تجارها ؟

الجارية: من عظيم ملوكها.

الشيخ: أشيخ هو أم شاب ؟

الجارية: (تنظر اليه شزراً): انك لأحمق. أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد، وطرة رقعاء كحنك الغراب، تعلوه شقرة في بياض. عطر اللباس ضارب بالسيف، طاعن بالرمح، لاعب بالنرد والشطرنج، ضارب بالعود والطنبور، يغني وينقر على أعتدل وزن لا يعيبه شيء الا انحرافه عني. لانقصاً لي منه بل حقداً لما رآني عليه.

الشيخ: ياهذه وكيف صبرك عنه ؟

الجارية: (حالي معه كحال القائل):

أما النهار فستهام واله ... وجفون عيني ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكراً ... حتى الصباح ومقلتي لا تهجع
كيف اصطباري عن غزال شادن ... في لحظ عينيه سهام تصرع

الشيخ: ياسيدتي، ما اسمه وأين يكون ؟

الجارية: تصنع به ماذا ؟

الشيخ: أجهد في لقائه وأتعرف الفضل بينكما في الحال.

الجارية: على شريطة.

الشيخ: وماهي ؟

الجارية: تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة.

الشيخ: لا أكره ذلك.

الجارية: هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة. يكنى بأبي شجاع، وقصره في المربد الأعلى. وهو أشهر من أن يخفى. (تصيح في الدار): ياجواري دواة وقرطاسا ..

الشيخ: ياسيدتي وجب حقك علي. ولزمتك حرمتي لطول وقوفي عليك، وكنت قد سألت شربة ماء...

الجارية: استغفر الله، ما فهمنا عنك. (تصيح في الدار): أخرجن الينا شرابا من ماء وغير ماء

(تقبل وصيفتان تحملان الدواة والقرطاس فتشمر الجارية عن ساعدين كأنهما طوماران فضة ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة. ثم تقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الكئوس والجامات والاقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا فيشرب الشيخ..)

ثقـــافة المرأة

للآنسة اسماء فهمي

درجة شرف فى الاداب

اتجه خاطرى نحو هذا الموضوع بعد قراءة تعليق « الرسالة » على خطاب الآنسة حياة التى تشكو من أن صاحب « الرسالة » قد حرم المرأة أن يكون لثقافتها مظهر فى مجلته بجانب ثقافة الرجل ، ورد صاحب الرسالة بأنه لم يرد أن يسمح للرجال بالتحدث عن شؤون النساء الخاصة . ولست افهم تماماً المقصود بشؤون النساء ، أهى امور الدار وتربية الأطفال ، ام المراد مساهمة المرأة فى ميدان التحرير وطبع الأدب بطابعها الأنيق الخاص ، بصرف النظر عن الموضوعات النسوية البحتة ؟

وسواء أكان المقصود الأمر الاول ام الثانى ام الاثنين معاً فان موضوع ثقافة المرأة العامة ، هو ما ينبغي إن يبدأ بحثه حتى نتبين ما اذا كانت ثقافة المرأة تنحصر فى دائرة خاصة ، وهل يحسن ان يكون لها تعليم وتهذيب يختلفان عن تعليم الرجل وتهذيبه .

وقد لايكون من غير الملائم لفت الانظار الى هذا الموضوع فى الوقت الذى تطور فيه تعليم الفتاة فى العشر سنين الاخيرة تطوراً عظيماً ، فبعد ان كان تعليمها قاصراً على بعض الفنون المنزلية ومبادئ القراءة والكتابة وقشور اللغات الأجنبية ، اصبحت تتلقى من العلوم ما يتلقى الفتى فى المدارس الابتدائية والثانوية ، كما اصبحت تدرس معه جنباً الى جنب فى الجامعات .

وبالرغم من ان مصر لم تبتدع ذلك النظام ، وانما نسجت فيه على منوال الأمم الراقية التى تأخذ عنها جل نظم الحضارة والعمران ، فان ذلك الانتقال لم يتقبله الكثيرون قبولا حسناً بعد ، لأنهم يرون فيه ضياعاً لوقت الفتاة التي خلقت لأن تكون أماً ، زاعمين ان سيكولوجية المرأة او تركيبها النفسي ، ووظيفتها فى الحياة تستدعيان اعداداً خاصاً وتعليماً غير تعليم الرجل .

ويظهر ان انصار هذا المبــدأ لهم تفسير خاص ، لأغراض التعليم ومعنى الثقافة ! أما مايفهم عادة من الثقافة فهو كل ما من شأنه تهذيب النفس وصقل العقل وتقويم العاطفة وتوسيع المدارك . وعلى ذلك يدخل تحت الثقافة العلوم بأنواعها والفنون والآداب والاخلاق ، وكل مايكتسب المرء من تجارب وتعليم عملي فى الحياة . ولما كان هذا النوع من الغذاء العقلى والروحى لا يســتغنى عنه الانسان الذى يصبو الى الكمال ، وكانت المرأة انساناً لا تختلف عن الرجل من هذه الناحية ، فلابد لها من غذاء عقلى ومعنوي ايضاً ، ولما كان التكافؤ العقلى بين الجنسين اصبح من الأمور المسلم بها ، وجب اذن ان يتغذى عقل المرأة كما يتغذى عقل الرجل حتى تصل الى حظ مثل حظه من الثقافة . نعم لا مفر الآن من تثقيف المرأة بالطريقة التي تتبع فى تثقيف الرجل ، اذ أصبح من الجلى الآن ان الطريقة القديمة لتعليم الفتاة لم تنتج غير مخلوق ناقص من نواح كثيرة ، بدليــل هجران الرجل لمنزله فى كثير من الأوقات ، لأن شريكة حياته تعجز عن أن تمده بالنصح والمعونة ، كما تعجز عن جعل دارها مهبطاً للجمال والتسلية . أقول هذا القول وأشعر انى لو قلته في بلد آخر متمدين غير مصر ، لنظر الناس الى بمنتهى الدهشة ، نظرتهم الى من يخبرهم مثلا ان النهار فى الصيــف اطول منه فى الشتــاء ، ظاناً انه يذكر لهم امراً طريفاً ! . . ولكن مصر التى سارت بخطى واسعة جداً فى نواح كثيرة من نواحي التقدم والرقى مازالت تتردد فى قبول بعض المبادئ التى تعد أساس الرقى الصحيح وعنوان الحضارة ، أعنى مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق وخصوصاً الثقافة .

وليس الغرض الرئيسى من تعليم الفتاة كما يظن الكثيرون تأهيلها لمزاولة مهنة من المهن كالمحاماة أو الطب أو الهندسة ، وانما الاهم أن تصل إلى حقها الطبيعى من اعتيادها التفكير المنظم

الشيخ : ياسيدتي . مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى ، فلم لا تأمرين إحدى الجوارى ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه . ؟ .

الجارية : لا تغلط ياشيخ . ! .

الشيخ : (يفهم مرادها ويطرق خجلا من هفوته) ! .

انتهى المنظر . وكان فى مقدورى ان اجعل منه فصلا كبيراً . لكنى آثرت أن أبقيه على أصله . لأن المسألة عندى هل نظهر العناصر مع بقائها على شكلها . أو نتصرف بها ونستعملها كما نشاء ؟ سنتكلم فى هذا اذا التقينا فى الاسبوع القادم

وإكسابها خلق الاعتماد على النفس والاعتداد بالكرامة ، وذلك لا ينشأ إلا عند تبين مبلغ المقدرة الشخصية والاستعداد . ولا ضير إذا هي لم تستخدم تلك المعلومات بالذات فى حياتها المنزلية إذ الغرض الاساسى من التعليم كما يقول افلاطون فى « الجمهورية » : توجيه الروح إلى النور باعتياد التفكير المنتج وبالابتعاد زمنا ما عن قيود الماديات . والواقع اننا نحط من شأن التعليم كثيرا إذا نظرنا اليه قبل كل شيء كوسيلة لتحقيق غرض مادى فالتعليم يجب أن يعتبر غرضا في ذاته قبل أن ينظر اليه بتلك النظرة المادية سواء فى حالة تعليم المرأة أو تعليم الرجل . سأل مرة أستاذ فى إحدى الجامعات الكبرى تلميذه لماذا يتعلم تعليما جامعيا ولم اختار التاريخ لفرع تخصصه . فكان جواب الطالب الصريح مما أهاج الأستاذ الذى لم ير مغضبا من قبل . وذلك انه أجاب انما يتعلم ليحصل على درجة عاليـــة تمكنه من الحصول على وظيفة تضمن له رغد العيش ... ثار الاستاذ وغضب لأنه شعر أن تلميذه لا يتعلم لوجه العلم ، وعلى ذلك فهو يفقد أهم شروط التهذيب الصحيح . فبغير هذا الشرط لا يمكن أن يمتزج العلم بالنفس أو بعبارة أخرى لا يمكن أن تحدث الثقافة .

وعلى ذلك تكون المرأة امتن ثقافة وأعمق تهذيبا لو تعلمت تعليم الرجل لانها فى الغالب تتعلم للعلم فيكون لانتاجها مظهر جذاب لأنه تعيد عن المؤثرات المادية التى كثيرا ما تعترض تقدم الرجل .

إلا أن ثقافة المرأة لا تكمل ولا يصبح لها أثر محسوس إذا علمناها علوم الرجل بينما تحرم مما يستمتع به من حرية وارادة مستقلة ، وتحاط بسياج من التقاليد العتيقة والرقابة الخانقة ، فهى فى هذه الحال تقول بمرارة : من لي بعيش الأغبياء .... كما أنه لا يمكن أن يصدر عنها ثقافة عالية ، إذ ينقصها بسبب قيودها الشخصية والابتكار والصراحة والنظرة العملية .. وهكذا تبدو ثقافتها مبتورة وإن تناهت فى الظرف وتألق فيها الذكاء الباهر .

وهنا قد يسأل سائل : وما مبلغ أثر التعليم المنزلى فى ثقافة المرأة ؟ انى وإن كنت أريد تعليم المرأة تعليما عاليا ابتغاء وجه العلم ، او استعدادا للعمل فلست ممن ينكرون ما للتعليم المنزلى من أهمية فى ثقافة المرأة . وهو لا ينفعها عمليا فحسب ، وانما لهذا التعليم أثر جميل فى انتاجها العقلى او مظهر ثقافتها . وقد كان يقال عن (جين اوستن) الكاتبة الانجليزية التى اشتهرت ببراعة الأسلوب وسمو الخيال ودقة التحليل انها انما اكتسبت الطلاوة فى التعبير ، والدقة فى التفاصيل ، من تدريبها الطويل على استعمال الابرة والمنسج . والواقع أن مثل هذا التعليم يكسب المرأة المقدرة على مراعاة النسب ودقة الأسلوب ودقة الحساسية ، وكل ذلك يبدو واضحا الا أن ما يعترض عليه بشدة هو تضحية التعليم العام من اجل هذا التعليم المنزلى ، بحجة عدم استخدامه عمليا فى وظيفتها الخاصة .

انه لمنتهي الظلم الا تنظر إلى المرأة كانسان له حق كامل فى الحرية والتعليم قبل أن تنظر اليها كخادم أو دمية منزل ، بل ان منتهى الاستهتار بمواهب المرأة ان نكتفي منها بالقشور دون اللباب ، فلا نحاسبها على عدم تعمقها فى التعليم وإنما تنظر اليها نظرة كنظرة أهل العصور الوسطى ، الذين كانوا لا يطالبون من المرأة اكثر من اتصافها بالعفة والصيانة . أما الصفات الأخرى كالذكاء وبعد النظر والشجاعة والصراحة فلم يكن عليها اقبال يذكر ؛ وإنما الاستكانة والخشوع كانا من أهم مميزات الكمال النسوى فى تلك العصور . ولقد كانت « جرزلدا الصبور » التى تحملت مرارة هجر الزوج وقسوته مثل الفضيلة والأمومة الصالحة عندهم ... واخشى أن تكون (جرزلدا) هذه لا تزال المثل الأعلى للزوجة عند الكثير من الرجال ...

إن التطورات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي تبعد الشقة كل يوم بين العصور الوسطى والعصر الحديث ، تفرض علينا تغيير الآراء القديمة بالنسبة الى مركز المرأة وثقافتها . ففى حياتنا الحديثة المتشعبة المسالك الكثيرة المطالب ، المملوءة بالصراع والتنافس لم يبق مكان للمرأة الساذجة الضعيفة . وعلى ذلك كان من الخطأ الكبير أن نتعمد انقاص تثقيف المرأة عن تثقيف الرجل ، بل يجب أن يتناسب مقدار الثقافة مع وظيفة تلك التي تهز العالم بيسارها اذا ما هزت المهد بيمينها ! ..

ولكن ماذا تكون النتيجة لو تعلمت المرأة كما يتعلم الرجل ؟ هل تفقد مميزاتها الخاصة ولا يصبح هناك فرق بين ثقافتها وثقافته ؟ الواقع أن الثقافتين لا تختلفان الا شكلا فقط ، فيكون لثقافة المرأة وان اتحدت فى الجوهر مع ثقافة الرجل طابعها الخاص ، إذ تتجلى فيها ما تمتاز به المرأة من حنان ورقة وتأثر بالعواطف والهام وحدة ذكاء وشدة حساسية .

وأنا لنأمل أن نرى أثرا واضحا لتلك الثقافة النسوية ، فى الرسالة ، التي تعتبر بحق رسالة الروح الحديثة المملوءة قوة وابتكارا وتجديدا

اسماء فهمى

الى الله . . !!

للآنسة ناهد محمد فهمى

رباه طالما حادثتك فى ليل الشريرة . . . !!

وطالما ناجيتك حزينة ومسرورة . . !!

وكنت عقب صلواتى اسمع صوتك القدوس يدوى ، صداه فى اركان روحي المادية . . !!

عرفتك بالغريزة وأنا طفلة . . !!

فكنت أتأدب كلما ذكروا اسمك العظيم . . !!

لأنى اعتقد دائماً أنى فى حضرتك . . !!

وكنت اضطرب محبة واحتراماً وعبودية ، كلما فكرت انك تراني دائماً . . !!

حادثتك وأنا فى « الكتاب » أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فآمنت بك لرحمتك وحنانك . . !!

لأن الرحمة والحنان اول مايفتقر اليهما الناشىء فى هذه الحياة القاسية . . !!

* * *

عرفتك فى « الليالى المطرة » . . !!

فكنت أقف ساعات منصتة للرعد ،

فهو جلجلة همساتك . . . !!

وكنت ارقب البرق . . فهو نور ابتساماتك . . !!

غفرانك يارب !!

اذا تخيلتك هكذا « بمخيلتى » الإنسانية الضعيفة . . !!

* * *

عرفتك فى الربيع . . . حين مرت يداك القادرتان علي وجه الارض . . . فتجلى صنعك البديع في النبات والورود ، وعرفت رحمتك فى تلك النفحات الربيعية العطرة وصوتك « فى أهازيج الطبيعة البهيجة . . !! فايقنت برحمتك وآمنت بجنتك . . . !!

* * *

عرفتك فى « الصيف » . . فاعتقدت بجبروتك وآمنت « بنارك » وفى الخريف فآمنت بالموت والفناء والمرض ، وعلمت أنك الباقى ونحن الفانون . . . !

* * *

عرفتك فى النهار عند ماملأت انوارك عيني وبهرت آياتك لبى . . !!

وعرفتك فى الليل حينما باحت لى النجوم الزواهر بسر عظمتك ، وبعث الظلام الحالك في نفسى معنى رهبتك . . !!

* * *

عرفتك في كل مظهر من مظاهر أكوانك

وناجيتك فى كل سورة من سور قرآنك

ولكني بعد هذه المعرفة الطويلة ، والمناجاة المتصلة اسمع في في جوانب نفسى سائلا يسائل : هل عرفتك حقيقة يارب ؟

الادب والحيـــاة

للاستاذ زكى نجيب محمود

تطغى علي العالم موجة مادية تجتاحه أصولا وفروعا ، وتريده على ان يحمل تراث الانسانية الأدبي ، منذ فجرها حتى اليوم الراهن ، فيأخذ سمته نحو اليم ، فيلقى بذلك التراث فى لجة مالها من قرار ، ثم يعود وقد ازاح عن كاهله ذلك العبء المضنى من دموع الشعراء وأنينهم وهزات نشوتهم وسرورهم ، وغير ذلك من نزوات الطفولة التي لاتدعو اليها ضرورة ولا شبه ضرورة فى هذا العصر الحديث ، أن يتوفر علي أزيز المعامل ومقارع الآلات ، التى لاينبغى أن يطرب لسواها ، أو ينصت لصوت غير صوتها !! وماذا يغنى دانتي وشكسبير بجانب علوم الطبيعة والكيمياء ، التى على أساسها تعمل المطارق وتدور الأرحاء !! وفى ذلك يقول الكاتب الانجليزى توماس بيكوك : « الشاعر فى عصرنا هذا نصف همجى يعيش فى عصر المدنية ، لانه يقيم فى الزمن الحالى ، ويرجع بخواطره وأفكاره وخوالجه وسوانحه الى الاطوار الهمجية ، والعادات المهجورة ، والاساطير الأولى ، ويسير بذهنه كالسرطان زحفا الى الوراء . . . . . لقد كان الشعر نقرة تنبه الذهن فى طفولة الهيئة الاجتماعية ، ولكن من المضحك فى عصر النضج العقلي أن نعنى بالاعيب طفولتنا ، ونفسح لها موضعا من شواغلنا ، فان هذا سخف يشبه سخف الرجل الذى يشتغل بألاعيب الصبيان ، ويبكى لينام على رنة الاجراس الفضيه »

هكذا يقال عن الادب الآن ، كأنه عرض من اعراض الحياة ، لا يمسها فى الجوهر والصميم ، والواقع أننا حين ننزل عن الادب وسائر الفنون ، فاننا انما ننزل عن نفوسنا ، لان هذه وتلك شيء واحد اختلفت اوضاعه

وللشاعر الفيلسوف طاغور تحليل يبين به موضع الفن من اساس الحياة ، وأنه ضرورة لازمة لامناص منها ، ونحن نورد للقارىء خلاصة موجزة لذلك البحث الجليل :

من الحقائق البديهية ، ان الانسان مرتبط بهذا العالم بصلات شتي . فهو يعيش فى مضطرب الحياة مدفوعا بطائفة من الحاجات التى يتحتم عليه قضاؤها وهو فى تلك المحاولة مضطر الى ان يتصل بالعالم اتصالا ليس له عنه منصرف ولا محيد.

فالحاجة الجسمية تملى عليه ان يفلح الارض ويتعهد الزرع حتى يثمر له القوت ، وان يلتمس من الطبيعة مسكنا وملبسا يدفعان عنه القر والهجير

والحاجة العقلية تريده على ان يمعن النظر ويستقصى البحث فى مظاهر الكون ، لان العقل لايقنع بالنظر الى الاشياء الخارجية دون أن يتتبع العلل ويكتشف القوانين العامة التى تنتظم جميع الجزئيات ، فهو مطبوع على هذا البحث ، ليخفف عن نفسه أعباء الحقائق الكثيرة التي تصادفه فى حياته ، باختزالها في عدد قليل من القوانين ، أو فى قانون واحد شامل أن استطاع الى ذلك سبيلا

وليست حاجة الانسان تقتصر على العقل والجسد ، بل هو يحمل بين جنبيه نفسا لها مطمح تنشده وتسعى اليه ، فهى بدورها مضطرة الى أن تتصل بالكون كي تلتمس عند مظاهره ما تصبو اليه ، وهي بحكم وجودها تعالج ضروبا من المشاعر ، فهي تموج بالأمل واليأس والسرور والغضب وغير ذلك من ألوان الشعور

ولكن هذه الروابط التي تصل الانسان بالعالم لاتقتصر عليه دون سائر الحيوان ، فهو يشاركه فى الحاجة الجسمية ويشاركه في الحاجة العقلية — ان صح اطلاق هذه الكلمة على الحيوان الاعجم — كما يشاركه فى مشاعره النفسية كذلك ، الا أن أهم ما يرتفع بالانسان عن مرتبة الحيوان ، ان هذا محدود في دائرة ضيقة جدا . لاتتسع لأكثر من الضرورات التي يقتضيها استمرار الحياة ، فهو يبذل ما يبذله من مجهود لحفظ كيانه ، والاحتفاظ بجنسه ، ثم لا يزيد على ذلك الا بمقدار ضئيل ، أما الانسان فلا تكلفه الضرورة الا بقدر محدود ثم يبقى لديه من القوة ما يجول به حرا من الاصفاد والقيود ، مثل الحيوان فى ذلك ، مثل الزارع الذى ينوء باعباء الدين الفادحة فهو يكد و يكدح ويعمل ويشقى طول العام ، فاذا ما حان الحصاد تسرب الثمر الي الدائن ، ويخرج صاحبنا من المعركة صفر اليدين ، أما الانسان فهو فى هذا التشبيه صاحب ضيعة واسعة النطاق ، لا يفقد من دخله الا جزءا يسيرا ، ثم ينعم بعد ذلك حرا لايقف دونه سلطان و لا رقيب ، أي أن لديه من ثروة الحياة ما يزيد على الحاجة الضرورية بقدر عظيم ، وبذلك يتاح له من القوة والفراغ ، ما يستطيع معه أن يعالج مختلف الشئون ، لا باعتبارها واجبا حيا تمليه ضرورة الوجود ، ولكن على أنها أغراض فى نفسها تقصد لذاتها

فللحيوان مقدار من المعرفة ولاريب ، الا أنها معرفة ضئيلة محدودة ، يستخدمها فى حفظ الحياة وكفى ، فهو ملزم أن يدرس بيئته فى شيء كثير من الدقة ليستطيع أن يتخذ لنفسه من أركانها مستقرا يؤويه ، وليتمكن من الحصول على طعامه وشرابه فى سهولة ويسر ، وهو ملزم كذلك أن يعلم بعض خواص الاشياء من حيث الليونة والصلابة مثلا ، ليبنى ما يشاء من أوكار ، ويعالج شئون الحياة الأخرى ، وهو لابد أن يعرف للفصول المختلفة علامات تدل على قدومها . حتى يتهيأ لأجوائها المتباينة بالريش أو الفراء ، هذه واشباهها معرفة لامندوحة عنها لكل أنواع الحيوان للذود عن كيانها والاحتفاظ بوجودها . ولكنها لا تزيد على ذلك الا قليلا . والانسان أيضا . لديه تلك المعرفة اللازمة لاستمرار الحياة — حياة الفرد والجنس — ولكن معرفته لاتقف عند هذا القدر القليل ، بل تفيض معرفته فيضا غزيرا يطغى على تلك الحدود الضرورية ، فهو يحصل جانبا عظيما من المعرفة لذاتها ، وينشد العلم لأجل العلم ، لايبغي وراء ذلك قصدا ولا غاية . ومن هذا الفيض العلمي تنشأ الفلسفة والعلوم .

وللحيوان جانب خلقى غير منكور ، فلديه كثير من الايثار تراه واضحا في حنان الأم على صغارها أيا كان نوعها ويبدو

في العدد القادم

سننشر في العدد القادم بحثاً قيما في الاقيانوغرافيا أو تقويم المحيطات للدكتور حسين فوزى مدير ادارة ابحاث المصايد فتلفت اليه الانظار .

ذلك الايثار بارزاً في هذه النحلة العاملة، وتلك النملة المثابرة، فهما تسعيان وتطوفان هنا وهناك، تجمعان القوت، ولكن لماذا؟ لخلية النحل كلها أو لجماعة النمل بأسرها. وهذا المقدار الضئيل من الأخلاق، انما اوجدته ضرورة الحياة عند الحيوان، أما الانسان فقد وسم لنفسه من التشريع الخلقي ما يربي على حاجته الضرورية أضعافا مضاعفة، فهو يفرض على نفسه الخير لانه صالح للجماعة أولا، ولكنه لا يكتفي بهذا الفرض المتواضع، بل يمعن في ذلك امعانا بعيدا، فينشد الخير محضا ويطلبه لذاته فقط ومن هذا الفيض الخلقي، نشأ علم الاخلاق

وللحيوان شعور يحسه ويعبر عنه، فهو يبغض ويحب، وهو يسر ويحزن، وهو يأمن ويخاف. ولكنه كذلك لا يعدو في التعبير عن مشاعره ذلك الحد الذي تقتضيه ضرورة الحياة. أما الانسان فعواطفه — وان تكن قد نشأت في الأصل لتلك الأغراض التي نشأت من أجلها عواطف الحيوان — الا انها قد جاوزت ذلك الحد تجاوزاً فسيحا، وتركت في الأرض جذورها الأولى التي أخرجتها إلى الوجود، وانبسقت عالية منتشرة بغصونها في سماء اللانهاية، نعم لدى الانسان من العواطف أضعاف أضعاف ما تتطلبه طبيعة وجوده، وهذا الفيض الغزير العميق من المشاعر التي تضطرم وتحتدم في الصدور، لابد أن يجد متنفساً يتسلل منه، ليعلن عن نفسه في أنحاء الوجود، وقد كانت الثغرة التي تدفق منها ذلك الفيض الشعوري هو الفن الجميل في ضروبه المختلفة من أدب وتصوير ونحت وموسيقى وغيرها. إذ اتخذها الإنسان أداة للتعبير عما يحسه من شعور، وهذا الشعور الذي يلتمس طريقه إلى عالم التعبير في صورة فنية، انما يكشف عن نفوسنا وما يدور فيها من احساس. وبعبارة أخرى، أن الفنون وسيلة لابراز مشاعر النفس الانسانية، دون الأشياء المحسة التي تتعلق بها تلك المشاعر، وبذلك أتاحت للانسان أن يسكب نفسه أمامه، فيراها ويلمسها، وليس له عن ذلك بد بحكم تكوينه، فهو حين ينظم القصيدة من الشعر، أو يضرب على أوتار الموسيقى، فان ذلك يوازي في قائمة الضرورات الانسانية الملبس والطعام، ومن هنا كان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يعرف نفسه ويشعر بوجوده

ولما كانت الآداب والفنون هي شخصيتنا تدفقت إلى العالم الخارجي في مختلف الأثواب، كان لا يصلح موضوعاً للفن إلا ما يتصل بنفوسنا وينتظم في سلك مشاعرنا، أو تغذوه عواطفنا، فيكتسي الرضى أو السخط أو السرور أو الألم أو غيرها، وعندئذ يصبح جزءاً منا، يصح له أن يبرز في صورة فنية. فعلمنا أن الأرض تبعد عن الشمس كذا ميلا لا يصلح موضوعاً للفن لانه لا يمس نفوسنا، أما منظر غروب الشمس فيؤثر فينا عاطفة ما — الاعجاب مثلا — فيمتزج المنظر بنا، ويختلج في نفوسنا، ثم لا يلبث أن يسلك سبيله إلى التعبير. وهكذا كلما اجتمعت مشاعرنا حول شيء معين فانها تجاهد في الافصاح عن نفسها مستعينة في ذلك بالفنون، ولما كانت معظم الاشياء التي تصادفنا في الحياة تثير فينا لونا خاصاً من العواطف، فالانسان فنان في الكثير الغالب من نواحي الحياة. فهو يشيد دورا فخمة لمسكنه، وكان يكفيه كوخ خشن ضئيل، وهو يبتني المعابد والمساجد الشامخة، التي ترسل قبابها ومآذنها في الفضاء، لينفس عن عاطفته الدينية، وكان يكفيه حيز محدود في العراء لأداء فريضته، وهو يخطط المدن وينسق الحدائق، ليرضي عاطفته الوطنية، وهو يعنى بأثاث منزله وجمال ملبسه إلى آخر دقائق الحياة. لماذا؟ لأنها تمس مشاعره فتصبح قطعة من شخصيته لا يسعه إلا ابرازها والاعلان عنها.

من ذلك نرى أن الفنون جميعاً هي الأداة التي يستخدمها الانسان ليتمكن من صب الوجود في نفسه، ثم يعود فيسكبها شخصية تنبض فيها الحياة، وقد اتخذت الفنون قوالب الجمال وسيلة الى ذلك التعبير، كالتصوير والموسيقى والعبارة الجميلة، فأدى ذلك الى اقتران الآيات الفنية بمعاني الجمال، فالتبس الأمر على بعض المفكرين، وذهب بهم الظن الى أن الجمال هو الغرض المقصود من الفنون، والحقيقة انه أداة فقط، استعملت للوصول الى الغاية الحقيقية، وهي ابراز الشخصية الانسانية، وقد تبع ذلك جدل ونقاش حول موضوع لم يكن ليحتمل النقاش والجدل، وهو أيهما أفضل في الأدب: المعنى أم المبنى؟ فذهب فريق كبير الى تفضيل العبارة الجميلة، وحجتهم في ذلك، أن المعنى أدخل في باب العلوم منه في باب الأدب، أما اللفظ الجميل، فهو فن خالص لانه قطعة من الجمال، والجمال أساس الفنون! وفات هؤلاء أن جمال الأدب لا يتحقق الا بمزج هذين العنصرين مزجاً (كيميائياً) لا يقبل التجزئة والتحليل، فانت اذا أردت أن تذوق لوناً من ألوان الطعام، فلا تعمد الى تحليله الى عناصره الأولى لتختبر كل واحد على حدة، بل لابد لك أن تتناوله وحدة متماسكة. كذلك الحال في الأدب: الكل شيء آخر غير أجزائه. فالمعنى وحده قطعة من العلم، واللفظ وحده كذلك جزء من علم البلاغة والنحو والصرف، فاذا مزجت بينهما، كان لديك

بذلك آية أدبية خالدة.

فالفنون ومنها الأدب، هي أشخاصنا وأرواحنا، في حين أن العلوم — كالأشياء نفسها — جامدة ميتة، لا تتصل بنفوسنا ولا تظهر فيها الشخصية الانسانية. وقد أحسن فيكتور هوجو حين قال في كتابه (وليم شكسبير): «ينادي كثير من الناس في أيامنا هذه — ولا سيما المضاربون وفقهاء القانون — أن الشعر قد أدبر زمانه. فيا أغرب هذا القول؟! الشعر أدبر زمانه! لكأن هؤلاء القوم يقولون: ان الورد لن ينبت بعد، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه، وأن الشمس كفت عن الشروق، وانك تجول في مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة، وان القمر لا يظهر له ضياء بعد اليوم، والبلبل لا يغرد، والاسد لا يزأر، والنسر لا يحوم في الفضاء، وأن قلل الألب والبرانيس قد اندكت، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان... لكأنهم يقولون انه لا أحد اليوم يبكي على قبر، ولا أم تحب وليدها، وأن أنوار السماء قد خبت، وقلب الانسان قد مات».

والخلاصة أن الأدب والفن بوجه عام، ضرورة تحتمها الشاعر الزائدة على حاجة البقاء، وأنها صورة دقيقة لنفوسنا، ترتبط بالعالم برباط الصداقة والرحم، بخلاف العلوم، فانها صورة العالم الخارجي ولا دخل للانسان فيها، فهي من الانسان بمثابة الزائر الأجنبي الذى لا تصله بنا وشائج القربى. وأحسب أننا لو خيرنا بين العلم والأدب لما ترددنا لحظة في أن ننبذ العلم نبذا، ونتمسك بالأدب ونعتز به اعتزازنا بالنفوس؟

في الأدب التركي

فهل كنت تعلمين؟

اذكرى تلك الأيام، تلك الليالي المقمرة،
وحذارا ان تنسي سويعات الوصال الهنيئة،
وبينا الناس في مضاجعهم نيام يغطون،
كان يصهرني النسيم المنبعث من شفتيك ...
فهل كنت تعلمين؟

كنت تذهبين قلبي مرتعشاً،
وآوي إلى فراشي الموحش باكيا متنحباً،
أراقب النجوم والشهب المتساقطة كالمأخوذ،
كنت مفتوناً بسحرك منذ عرفتك...
فهل كنت تعلمين؟

ينبثق الفجر فأسمع وقع نعليك على السلالم فيرتج قلبي،
وارقب قدومك متحرقاً وقد امضني الليل،
فاذا بك تقبلين والكتاب تحت ابطك،
فاشعر بمطرقته تحاول كسر ضلوعي بينما انظر إلى صدرك المجلل بسواد ثوبك الرهيب.
فهل كنت تعلمين؟؟؟

حلب: ترجمة يحيى جركس

شركة مصر لغزل ونسج القطن

تعلن شركة مصر لغزل ونسج القطن أنها أتمت تجهيز مبيضة ومصبغة بمصانعها بالمحلة الكبرى لتبييض وصباغة كافة أنواع الخيوط والاقمشة القطنية والكتانية ولتجهيزها تجهيزاً نهائياً

وهي على استعداد تام لتبييض وصباغة كل ما يطلب منها بأسعار غاية في الاعتدال، ويسرها أن تجيب عن كل استعلام يطلب منها

الذكرى

ولى ربيع الحب من بعد ما	ضحى فؤادى كل ما يملك
وكنت ارجو قطف أثماره	اذا بها يا أسفا تهلك
تركت عهد الحب في كوخه	وقلت يقضي والاسى بعد حين
وعدت ادراجى وكل الذي	خلفته للعيش قلب حزين
وخلت في طول النوى سلوة	تغني عن الماضي وتخفي عليه
اذا بذكراى وما أوجع الـ..	.ذكرى بهذا اليوم عادت اليه

حماه اسماعيل العظم

مآثر العرب فى الفلك

مقدمة :

يعيب البعض على العرب انهم لم يكونوا عمليين، ولم يعرفوا من العلوم الا قسمها النظرى ، وهذا الاعتقاد خطأ ، ويظهر فساده جلياً بعض الالمام بتاريخ العلوم ، إذ يتحقق لدى الباحث المنقب أن للعرب عدا ترجمتهم أهم نتاج قرائح الامم التى سبقتهم اضافات هامة وابتكارات جمة مبنية على التجربة ، على أساسها بنى الغرب حضارته ، ولولاها لما تقدمت المدنية تقدمها الحاضر . والآن سأبحث بصورة مجملة عن أهم مآثر العرب فى علم الفلك ، وطبعاً لا يمكننى فى هذه العجالة أن اجول كثيراً فى هذا الموضوع فهو أجل من أن يوفى حقه بمقالة ، ولقد سبقنا الغربيون الى البحث عن التراث العربى فى الفلك وغيره من العلوم والفنون ، وأظهروا الاكتشافات الفلكية التى للعرب وأثر ذلك فى تقدم العلوم الطبيعية ، وكان من ذلك أن اعترف المنصفون من علماء الفرنجة بخصب العقل العربى وفضل الحضارة العربية على حضارتهم التى ينعمون بها .

اعتناؤهم بالفلك :

لم يعرف العرب قبل العصر العباسى شيئاً يذكر عن الفلك ، اللهم الا فيما يتعلق برصد بعض الكواكب والنجوم الزاهرة وحركاتها وأحكامها ، بالنظر الى الحتوف والكسوف ، وبعلاقتها بحوادث العالم من حيث الحظ والمستقبل والحرب والسلم والمطر والظواهر الطبيعية ، وكانوا يسمون هذا العلم الذي يبحث فى مثل هذه الامور بعلم التنجيم ، ومع أن الدين الاسلامى قد بين فساد الاعتقاد بالتنجيم وعلاقته بما يجري على الأرض لم يمنع ذلك الخلفاء ولا سيما العباسيون فى بادئ الامر أن يعتنوا به وأن يستشيروا المنجمين فى كثير من أحوالهم الادارية والسياسية ، فاذا خطر لهم عمل وخافوا عاقبته استشاروا المنجمين فينظرون فى حال الفلك واقترانات الكواكب ثم يسيرون على مقتضى ذلك ، وكانوا يعالجون الإمراض على مقتضى حال الفلك ، يراقبون النجوم ويعملون بأحكامها قبل الشروع فى أى عمل حتى الطعام والزيارة . (١) ومما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدماً كبيراً فى العصر العباسى كغيره من فروع المعرفة ، وقد كانت بعض مسائله مما يطالب بمعرفتها المسلم كأوقات الصلاة ومواقع بعض البلدان المقدسة وقت ظهور هلال رمضان وغيره من الأشهر اضف الى ذلك شغف الناس بعلم التنجيم ، كل هذه ساعدت على الاهتمام بالفلك والتعمق فيه تعمقاً أدى الى الجمع بين مذاهب اليونان والكلدان والهنود والسريان والفرس ، والى اضافات هامة لولاها لما أصبح علم الفلك على ما هو عليه الآن .

قد يستغرب القارىء اذا علم أن أول كتاب فى الفلك والنجوم ترجم عن اليونانية الى العربية لم يكن فى العهد العباسى بل كان فى زمن الأمويين قبل انقراض دولتهم فى دمشق بسبع سنين . ويرجح الباحثون ان الكتاب هو ترجمة لكتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس الحكيم ، والكتاب المذكور موضوع على تحاويل سنى العالم وما فيها من الاحكام النجومية ، (٢) وأول من اعتنى بالفلك وقرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى ، وبلغ شغف المنصور بالمشتغلين بالفلك درجة جعلته يصطحب معه دائماً نوبخت الفارسي ، ويقال ان هذا لما ضعف عن خدمة الخليفة أمره المنصور باحضار ولده ليقوم مقامه فسير اليه ولده أبا سهل بن نوبخت ، وقد ساعد المنصور كثيراً ابراهيم الفزارى المنجم وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابى المنجم وغيرهم ، وهو الذي أمر أن ينقل كتاب فى حركات النجوم مع تعاديل معمولة على كردجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك من الكسوفين ومطالع البروج وغير ذلك . وهذا الكتاب عرضه عليه رجل قدم سنة ١٥٦ هـ من الهند قيم فى حساب السندهند ، وقد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزارى بترجمته وبعمل كتاب فى العربية يتخذه العرب اصلا فى حركات الكواكب ، وقد سماه المنجمون كتاب

(١) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي — ج ٣ ص ١٩٠

(٢) كرلونلينو — علم الفلك — ص ١٤٢

السندهند الكبير الذي بقي معمولاً به الى أيام المأمون (١) وقد اختصره الخوارزمي وصنع منه زيجه الذى اشتهر فى كل بلاد الاسلام (٢). وعول فيه على أوساط السندهند وخالفه فى التعاديل والميل فجعل تعاديله على مذهب الفرس وميل الشمس فيه على مذهب بطليموس، واخترع فيه من انواع التقريب أبواباً حسنة ،وقد استحسنه اهل ذلك الزمان وطاروا به في الآفاق ،(٣). وفى القرن الرابع للهجرة حول مسلمة بن أحمد المجريطى الحساب الفارسى الى الحساب العربي.

بعض فلكييهم :

زاد اهتمام الناس بعلم الفلك وزادت رغبة المنصور فيه ،فشجع المترجمين والعلماء ، وفى مسندة خلافته نقل أبو يحيي البطريق كتاب الأربع مقالات لبطليموس فى صناعة أحكام النجوم ونقلت كتب أخرى هندسية وطبيعة أرسل المنصور فى طلبها من ملك الروم ، واقتدى بالمنصور الخلفاء الذين أتوا بعده فى نشر العلوم وتشجيع المشتغلين فيها ، فلقد ترجموا الى العربية ما عثروا عليه من كتب ومخطوطات للأمم التي سبقتهم وصححوا كثيراً من اغلاطها واضافوا اليها . وفي زمن المهدى والرشيد اشتهر فى الارصاد علماء كثيرون امثال ماشاء الله الذى الف فى الاسطرلاب ودائرته النحاسية ، واحمد بن محمد النهاوندى، وفى زمن المأمون الف يحي بن ابى منصور زيجاً فلكياً مع سند بن علي وهذا ايضاً عمل ارصاداً مع علي ابن عيسى وعلى بن البحترى ، وفى زمنه ايضاً أصلحت غلطات المجسطى لبطليموس، والف موسي ابن شاكر ازياجه المشهورة ، وكذلك عمل احمد بن عبد الله ابن حبش ثلاثة ازياج فى حركات الكواكب، واشتغل بنو موسى فى حساب طول درجة من خط نصف النهار بناء على طلب الخليفة المأمون ، وفي ذلك الزمن وبعده ظهر علماء كثيرون لا يتسع المجال لسرد اسمائهم كلها ، وهؤلاء الفوا فى الفلك وعملوا ارصاداً وازياجاً جليلة ادت الى تقدم علم الفلك . امثال : ثابت بن قرة والمهانى والبلخى وحنين بن اسحاق والعبادي والبتانى الذى عده لالاند من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله، وسهل بن بشار ومحمد بن محمد السمرقندي ، وابو الحسني على بن اسماعيل الجوهري، وابو جعفر بن احمد بن عبد الله بن حبش ، وقسطه البعلبكي والكندي ، والبوزجانى وابن يونس والصاغانى والكوهى والمؤيد العرضى وابنه وابو الحسن ، المغربى ومسلمة المجريطى وابو الوليد محمد بن رشد وجابر بن الافلح والبيرونى والخازن والطوسي وابن الشاطر والفخر الخلاتى وجمشيد والقوشجي والبطروجي والفخر المراغي ونجم الدين بن ديران وعماد الدين الانصارى واولوغ بيك وقاضى زاده رومى والتيزيني والحزرى وفتح بن ناجية وابو الفتح عبد الرحمن والغزالى والتوفيقي وهبة الله والمدنى ومبشر بن احمد ومحمد بن مبشر . . . .

(١) ابن القفطي – كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٧

(٢) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٦

(٣) ابن القفطي – كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٨

مآثرهم :

بعد ان نقل العرب المؤلفات الفلكية للأمم التى سبقتهم صححوا بعضها ونقحوا الآخر وزادوا عليها، ولم يقفوا فى علم الفلك عند حد النظريات بل خرجوا إلى العمليات والرصد ، فهم أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار ، وأول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة (١) وقالوا باستدارة الأرض وبدورانها على محورها وعملوا الازياج الكثيرة العظيمة النفع ، وهم الذين ضبطوا حركة أوج الشمس وتداخل فلك هذا الكوكب فى داخل أفلاك أخر (٢). واختلف علماء الغرب فى اكتشاف بعض أنواع الخلل فى حركة القمر إلى البوزجانى أو إلى (تيخوبراهى) ولكن ظهر حديثا أن اكتشاف هذا الخلل يرجع إلى ابي الوفاء البوزجاني لا إلي غيره (٣) . وزعم الفرنجة أن آلة الأسطرلاب من مخترعات تيخوبراهى المذكور مع أن هذه الآلة والربع ذا الثقب كانا موجودين قبله فى مرصد المراغة الذى أنشأه العرب (٤)، وهم (أى العرب) الذين حسبوا الحركة المتوسطة للشمس فى السنة الفارسية ،وحسب البتانى ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة .وظهر حديثاً أنه أصاب فى رصده إلى حد دقيقة واحدة ، ودقق في حساب طول السنة الشمسية وفى حساب إهليلجية فلك الشمس فاستطاع أن يجد بعد الشمس عن مركز الارض فى بعديها الأبعد والأقرب وقد كانت النتائج التى وصل اليها قريبة جداً مما وصل اليه العلماء الآن (٥) والبتانى من الذين حققوا مواقع كثير من النجوم ، وقال بعض علماء العرب بانتقال نقطة الرأس والذنب للأرض، ورصدوا الاعتدالين الربيعى والخريفى، وكتبوا عن كلف

(١) كاجورى – تاريخ الرياضيات – ص ١٠٦

(٢) سيديو – خلاصة تاريخ العرب – ص ٢٣٣

(٣) كاجورى تاريخ الرياضيات – ص ١٠٥

(٤) سيديو – خلاصة تاريخ العرب – ص ٢٣٣

(٥) المقتطف – مجلد ٣٩ – ص ١٤٨

الشمس وعرقوه قبل أوربا (١) وانتقد احدهم وهو ابو محمد جابر بن الأفلح المجسطي في كتابه المعروف بكتاب اصلاح المجسطي وكان جابر يسكن في أشبيليه في أواسط القرن السادس للهجرة . وقدعم انتقاده عالم آخر، اندلسي وهو نور الدين ابو اسحق البطروجي الاشبيلي في كتابه الهيئة الذي يشتمل على مذهب حركات الفلك الجديد (٢) ويقول الدكتور سارطون انه بالرغم من نقص هذه المذاهب الجديدة فانها مفيدة ومهمة جداً لأنها سهلت الطريق للنهضة الفلكية الكبيرة التي لم يكمل نموها قبل القرن العاشر (٣) وابحاثهم في الفلك أوحت لكبلر «ان يكتشف الحكم الاول من أحكامه الثلاثة الشهيرة وهي اهليلجية أفلاك السيارات» (٤) وأخيراً نقول ان العرب عند ما تعمقوا في درس علم الهيئة «طهروه من ادران التنجيم والخزعبلات وارجعوه إلي ما تركه علماء اليونان علما رياضيا مبنيا علي الرصد والحساب وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية» (٥)

المراصد وبعض آلاتها والازياج :

لم يصل علم الفلك عند العرب الى ما وصل اليه الا بفضل المراصد، وقد كانت هذه نادرة جداً قبل النهضة العلمية العباسية، وقد يكون اليونان أول من رصد الكواكب بالآلات وقد يكون مرصد الإسكندرية الذى أنشئ فى القرن الثالث قبل الميلاد هو أول مرصد كتب عنه، ويقال أن الامويين ابتنوا مرصداً فى دمشق (٦) ولكن الثابت أن المأمون هو أول من أشار باستعمال الآلات فى الرصد، وهو الذى ابتنى مرصداً على جبل قيسون فى دمشق وفي الشماسية في بغداد، وفى مدة خلافته وبعد وفاته أنشئت عدة مراصد فى انحاء مختلفة من البلاد الاسلامية، فقد ابتنى بنو موسى مرصداً فى بغداد على طرف الجسر، وفيه استخرجوا حساب العرض الاكبر من عروض القمر (٧) وبنى شرف الدولة ايضاً مرصداً في بستان دار المملكة. ويقال أن الكوهي رصد فيه الكواكب السبعة. وأنشأ الفاطميون على جبل المقطم مرصداً عُرف باسم المرصد الحاكمى، وكذلك أنشأ بنو الاعلم مرصداً

(١) المقتطف - مجلد ٣ - ص ٦٠
(٢) مجلة الكلية الامريكية بيروت مج ١٨ ج ٥ ص ٣٦٩
(٣) مجلد الكلية الامريكية بيروت مج ١٨ ج ٥ ص ٣٦٥
(٤) المقتطف مجلد ٣ ص ٦٠
(٥) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٨
(٦) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٦
(٧) سيديو خلاصة تاريخ العرب - ص ٢١٠

عُرف باسمهم، ولا ينبغي أن ننسى أن مرصد مراغة الذي بناه نصير الدين الطوسى فى القرن السابع للهجرة من أهم المراصد التى قدمت بعلم الفلك تقدماً محسوساً، ويوجد عدا هـذه مراصد أخرى فى مختلف الانحاء كرصد ابن الشاطر بالشام ومرصد الدينورى باصبهان ومرصد البيرونى ومرصد اولوغ بك بسمرقند ومرصد البتانى بالشام ومراصد غيرها كثيرة خصوصية وعمومية فى مصر والاندلس واصبهان . . .

كان للرصد آلات وهي على أنواع، وتختلف بحسب الغرض منها، وهاك أسماء بعضها: اللبنة، والحلقة الاعتدالية، وذات الأوتار وذات الحلق، وذات السمت والارتفاع، والآلة الشاملة، وذات الشعبتين، وذات الجيب، وذات المشتبهة بالناطق، والاسطرلاب وأنواعه المتعددة وقد اعترف الفرنجة بأن العرب أتقنوا صنعته (١) وثبت ان الاسطرلاب وذات السمت والارتفاع والآلة الشاملة والرقاص وذات الاوتار والمشتبهة بالناطق كل هذه من مخترعات العرب عدا ما اخترعوه من المساطر والبراكير وعدا التحسينات التى أدخلوها على كثير من آلات الرصد .

فى هذه المراصد عمل المسلمون ارصادا كثيرة، ووضعوا الازياج القيمة الدقيقة. وعلى ذكر الأزياج نقول ان مفردها زيج وفى معناه قال ابن خلدون «ومن فروعه (علم الهيئة) علم الأزياج وهى صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى اليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب فى افلاكها لأى وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة . ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها فى معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها فى جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين وتسمى الازياج» (٢) ومن أشهر الأزياج زيج ابراهيم الفزارى وزيج الخوارزمى وأزياج المأمون وابن السمح وابن الشاطر وأبى حماد الأندلسى وابن يونس وأبي حنيفة الدينورى وأبى معشر البلخى والايلخاني وعبدالله المروزي البغدادي والصفاني والشامل (لأبى الوفاء) والشاهى (لنصير الدين الطوسى) وشمس الدين وملكشاهى والمقتبسى (لأبى العباس بن احمد بن يوسف بن الكماد) و و . . . (البقية على الصفحة ٣٠)

(١) كتاب تراث الاسلام Le gacy of Islam ص ٢٩٥
(٢) مقدمة ابن خلدون _ طبعه المارف ص ٥٨٥

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

نظم شاعر الخلود شوقي بك مجموعة من رائع الشعر الحكيم السهل لكن للأطفال أدباً وثقافة ، ويسرنا أن ننشر اليوم قطعة منها لم تنشر من قبل وعنوانها المظنونة (ولد الغراب)

وممهد في الوكر من   ولد الغراب مزقق
كرويهٍ متقلس   متأزر متنطق
لبس الرماد على سوا   د جناحه والمفرق
كالفحم غادر في الرما   د بقية لم تحرق
ثلثاه منقار ورأ   س والاظافر ما بقي
ضخم الدماغ على الخلو   من الحجى والمنطق
من أمه لقي الضغـ   ير من البلية ما لقي
جلبت عليه ما تذو   د الأمهات وتتقي
وفتنت به فتوهمت   فيه قوى لم تخلق
قالت كبرت ، فثب كما   وثب الكبار وحلق
ورمت به في الجو لم   تحرص ولم تستوثق
فهوى فمزق في فنا   ء الدار شر ممزق
وسمعت قاقات ترد   د في الفضاء وترتقي
ورأيت غربانا تفر   ق في السماء وتلتقي
وعرفت رنة أمه   في الصارخات النعق
فأشرت فالتفتت فقلـ   ت لها مقالة مشفق
أطلقته ولو امتحنـ   ت جناحه لم تطلقي
وكما ترفق والدا   ك عليك لم تترفقي

أصداء الربيع

قم إلى جدة الزمان وغيب   سورة الهم في مجالي ربيعه
خلص القلب من مآتم كانو   ن وعاد الشادي إلى ترجيعه

عبقت بالسهول أنفاس آذا   ر وساق المشتاق نفح الزهور
رقة في الفضاء شاعت ولطف   ساغ للنفس كالهوى في الصدور

واكتسى الدوح نضرة بعد عري   ولكان رب في المشيب الشباب
وتغنى الحمام فيه وساحت   تحت أظلاله عيون عذاب

وكأن الروض الذي نبهته   من كرى غفوة النسيم العليل
طرفة تملأ العيون بهاء   أخلصتها يمنى حبيب جميل

قم إلى البشر والطلاقة وانفض   عن محياك كدرة الأيام
سيغول الحياة غول ويبقى   متع العيش حسرة في العظام

وتناس الآلام يندمل الجر   ح تصب في مقلتيك الدموع
أنت أضربت بالفؤاد رزايا   ه فضاقت بما تكن الضلوع

أنت أحسست من شجونك ما خيـ   ـلت واخترت أن تكون شقيا
إنما الحزن والسرور اعتبار   لم يكونا لولاه في النفس شيا

ايها القلب قد أظلك آذا   ر ورفت على الربا آصاله
فتزود منه ليومك حظا   قبل أن يوحش القلوب زواله

لا تسل عن غد وخل المقادير   فقد كن في الغيوب وكانا
حسبنا من مغانم العيش يوم   خاضر السعد عن غد أغنانا

أيها القلب إن دعاك التصابي   وثنيت العنان ضل ضلالك
لا تجب داعي الرشاد فقدما   شقيت في طلابه أعمالك

واعبد الحسن في الطبيعة طفلاً   برئت روحه ، وفي الغيد سحرا
وفتونا ينهي الفتى عن نهاه   كلما دار بالمحاجر أغرى

أرسل الشوق لهفة ، وخفوقاً   يوهن الجسم أو يداوي ضناه
وابعث الحب في الجوانح برقاً   يهتدي ناظري ضحي بسناه

رفيق فاخوري   (سورية) حمص

في الأدب الشرقي

نامق كمال

للدكتور عبد الوهاب عزام

أبو الأدب التركي الحديث الذي نزل من أفكار الترك وقلوبهم منزلة لم ينزلها غيره. والذي لا تزال آثاره مدونة في التاريخ التركي الحديث، محفوظة في قلوب الجيل الحاضر. ولد سنة ١٢٥٦هـ في أسرة مجيدة يجمع تاريخها كثيراً من كبار الدولة العثمانية وكان أبوه مصطفى عاصم بك فلكيا، وجده شمس الدين بك رئيس المابين في عهد السلطان سليم الثالث، وأبو شمس الدين قبودان أحمد راتب باشا الذي ينتهى نسبه الى الصدر الأعظم طوپال عثمان باشا.

وأبو الشاعر من يكي شهر وأمه من قونيجه في ألبانيا. وكان أبوه ديِّنا متصوفا، فلما ولد المولود العظيم أخذه الى أحد الدراويش فدعا له أن «يكون كمالا للاسلام»، تعلم كمال في دار أبيه ودرس فيها درس بها العربية والفارسية والفرنسية، ولم يتعلم في المدارس الا تسعة أشهر.

وفي سن الثانية عشرة ذهب مع جده الى قارص وكان يمضي أكثر أوقاته في الصيد، ثم ذهب الى صوفيا حيث شرع يقرض الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره. ثم عاد الى استانبول وهو ابن ١٧ فصار مترجما في الباب العالي واتصل بجماعة من الأدباء الذين يكبرون الشعراء القدماء ويسيرون على نهجهم فشارك في الشعر وعرف به ونشر ديوانا صغيراً تسمي فيه «نامقا» كدأب شعراء الفرس والترك في اتخاذ اسم شعري يردده الشاعر في منظوماته فيعرف به.

وكان شناسي افندي أحد أدباء الترك الذين تعلموا في فرنسا يحتذي الشعراء الفرنسيين ويحرض ناشئة الأدباء على اتباع أسلوب جديد في الأدب، وكان لمقالاته في جريدته «تصوير أفكار» أثر عظيم على «نامق كمال» وأضرابه من الشبان، فأعجب كمال به وشارك في تحرير جريدته ودعا الى تجديد تركيا في السياسة والأدب وعظمت مكانته. فلما فر شناسي افندي الى باريس ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) خلفه في تحرير الجريدة، فانتشرت «تصوير أفكار» انتشاراً عظيما.

وقد ضاقت الحكومة العثمانية ذرعاً بمقالاته فأرادت أن تشغله ببعض المناصب فجعل متصرفا للقلعة السلطانية في غليبولى زمناً قصيراً وهو في سن ٢٣. وبعد حين أريد ارساله سفيراً الى بلاد العجم فأبى. وانتهى الأمر بينه وبين الحكومة الى أن فر هو وجماعة من أنداده الى لندره سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٦م) ويقال انه ذهب اليها اجابة لدعوة مصطفى فاضل باشا ونشر في لندرة جريدة «المخبر» ثم نشرها في باريس ونشر بعدها جريدة «الحرية»، وفي باريس درس الحقوق والاقتصاد السياسي وترجم بعض الكتب من الفرنسية.

ولما مات الوزير عالى باشا سنة ١٢٨٧هـ رجع كمال الى استانبول فنشر جريدة «عبرت» فصارت أعظم الجرائد التركية. ولا يزال أدباء الترك يحرصون على صفحات هذه الجريدة ومقالاتها، وكتب اذ ذاك قصة «وطن ياخود سلستريا» فلم تحتمل الحكومة جرأته وصرامته، فنفته الى قبرص فحبس بها وكتب هناك قصته الأخرى «عاكف بك».

ولما تولى السلطان مراد رجع الى استانبول بعد أن أقام في منفاه ٣٨ شهراً، وشارك مدحت باشا وضيا باشا في تحرير الدستور.

ولما تولى السلطان عبد الحميد لم يصبر على أقوال كمال وأفعاله، فأخذ وحبس خمسة أشهر ونصف، شغل أثناءها بقراءة التاريخ ابتغاء أن يكتب تاريخاً للجيش العثماني. ولما برأته المحكمة مما اتهم به نفاه السلطان الى جزيرة متلين وهنالك كتب قصائد أعرب فيها عن شكاته وحزنه، وكتب قصتين «جلال الدين خوارزمشاه» و«جزمي» تناول فيهما بعض حادثات التاريخ الاسلامي. ثم جعل متصرفاً للجزيرة التي هو بها ثم نقل الى رودس وكانت أكثر ملاءمة

لصحته . وفي رودس شرع يكتب تاريخ الدولة العثمانية وقد جمع بها مكتبة حافلة مكنته من التأليف، ثم جعل متصرفا لمتلين فعاد اليها وواصل كتابة تاريخه على رغم مرضه، حتى منعت الحكومة ان يطبع هذا التاريخ وأمرته ألا يستمر في كتابته . وبعد سنة توفي سنة ١٣٠٥ هـ.

* * *

لايتسع المجال هنا لتعداد مؤلفات نامق كمال، ولكن يمكن جمالها في الديوان وثماني قصص وروايات تاريخية، منها «اوراق پريشان» التي ترجم فيها لصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وسليم الأول وتيمورلنك، ومقدمة في تاريخ الرومان والتاريخ الاسلامي، وكتاب رد فيه مزاعم رينان الفرنسوي سماه «رينان مدافعه نامه‌سي»، وهو من أحسن ماكتب في رد ماكتبه رينان عن الاسلام . ومقالات عديدة هي من أروع آثاره .

ويتجلى في كتب كمال حماسته وغيرته واخلاصه في سبيل وطنه والاسلام، كما يتجلى الخلق العظيم، والنفس الكبيرة، والعزيمة الماضية، والصبر على المكاره، والخيال الرائع، والتصوير الجميل، والاعراب الحر عن آرائه ومشاعره .

ولا ريب أن كمالا هو خالق النثر التركي الحديث، والذي مهد للأدباء الطريقة المثلى في الشعر بعد أن هداه اليها شناسي افندي :

وهذه قطع من آثار نامق كمال وان آثاره لأعظم وأكثر من أن تبين عنها هذه القطع الصغيرة : قال من مقال منشور عن الشعر والشعراء :

— ١ —

الشاعر مخلوق من البسمات الحزينة : بسمات الطبيعة في أشد أوقاتها وجدا ووهلا .

ترى في ضحكه أثر البكاء كقطرات الندى على صفحة الورد، وتلوح في بكائه سمات الابتسام كقوس قزح في السحاب المكفهر :

هو أشد الخلائق استيشارا للطبيعة ولكنه يحاول أن يسمو فوقها، بينا هو لا يحسن تدبير أمره، يبتغي أن يدفع بذراعيه الضعيفتين كرة الأرض إلى مركز كمال جديد ومحور سعادة آخر . فاذا عيي بما يريد أرسل أناته الحزينة كأنات البلابل في الاقفاص خلف الحجب السوداء، أو صاح صياح النسور قد حلقت في الجو حتى ضاق بأنفاسها الهواء فأهوت مسرعة تملأ الهواء صرصرتها .

الشعر هذه الصيحات الأليمة، والشعراء هؤلاء البؤساء الذين فطروا على هذه الفطرة، لا من يؤلف التفاعيل والأفاعيل من خمسة عشر حرفا أو يستطيع أن يؤلف القوافي من ثمان وعشرين كلمة . . الخ

— ٢ —

وهذه قطعة منظومة ختم كل بيت منها بكلمة «على رغم» وتمثل في هذا التكرار اصرار النفس الكبيرة وثباتها على الدهر القلب :

لست أبالي ان أعود ترابا على رغم عمري، ولست أفزع من عنصري، على رغم الممات .

لا تجعلن نفسك أذل من التراب الذى تطؤه، اثبت على عزيمتك على رغم الدهر الذى لا ثبات له .

ما تمثل لى الباطل حقا قط، ولقد اعتمدت على الحق، على رغم الآلهة كلها .

لا يخفين داهية آراءه، أعرض على الناس ما تعرف على رغم الدهاة أجمعين .

إن كان لا بد للحياة على ظهر الارض من تمريغ الوجه بالتراب فاختر بطن التراب على رغم الحياة

رأيت مسير الكائنات شرا فاعتزلتها، ووقفت في هذه السبيل وحيدا على رغم الكائنات .

وما التفت قط الى الحظوظ الفائتة على رغم ما لاح في طالعي من آلاف الحظوظ .

— ٣ —

وهذه أبيات من قصيدة حماسية طويلة .

رأيت ولاة العصر قد حادوا عن الاخلاص والصدق فهجرت المناصب عزيزا سعيدا . ان جرثومة هذا الجسم تراب الوطن . فماذا يفيده أن يمزقه الجور والمحنة في سبيل الوطن؟

لا يمين الظلمة الا الأوغاد كما ينعم الكلب في خدمة الصياد السفاح .

من يخش لوم الناس ولا يستح من نفسه فنفسه أحقر الناس عنده .

ان انتقام العقلاء من الدهر أن يعتبروا بحادثاته فيزدادوا جدا وصرامة واقداما .

انتصار الامة في اتحاد قلوبها والرحمة في اختلاف آرائها

ان عزيمة الرجل المكين تدير العالم، والدنيا في اضطراب من ثبات أولى العزم :

ليس على الأسد المسلسل عار، ولكن العار على الفلك الذى ينصب لحرب أولى الهمم .

نحن سلالة الكرام من بنى عثمان اختمرت طينتنا بدم الشهادة

(البقيه على صفحة ٣٠)

في الأدب الغربي

من الأدب الفرنسي

شاتوبريان

للاستاذ أبي قيس

(١٧٦٨ — ١٨٤٨)

ولد فرنسوا رنيه شاتوبريان فى سان مالو وهو قدوة الكتاب فى القرن التاسع عشر ، أقتبس عن الفصحاء المدرسيين كبسكال وبوسويه وفولتير ، وتأثر بلغاء الابتداعيين كرسو وبرناردان ، ولكنه لم يقلد منهم أحداً . هو مصور ماهر لا يصف الا ما يشاهده بأم العين فيثير في مخيلة قارئه أروع المشاهد ، ويبالغ فى الاتقان والمحاكاة حتى يجعل الغائب كالشاهد ، ففتح بذلك مغالق الطبيعة وكشف عن سواحر محاسنها .

وهو ذلك الشاعر الذى يصور ببراعة حركات الفؤاد ووثباته ، والخطيب البليغ الذى يرتفع حجاب السمع لرائع تشبيهاته واستعاراته ، ولم يظهر فى القرن التاسع عشر أسلوب أفخم ولا أسلس ولا أكثر تنوعاً من أسلوبه ، فكان لنبسطه فى فنون اليراع أماماً للشاعر المبدع ، والكاتب الممتع ، والمؤرخ الصادق ، والناقد المنصف ، والخطيب المثير ، والقصصى القدير ؛ وحسبك دليلا على مبلغ تأثيره فى كتاب عصره ان فكتور هوجو كتب على دفتره المدرسى وهو فى الخامسة عشرة ما نصه : أريد أن أكون شاتوبريان أو لا أكون شيئاً ! »

ومن روائعه : الشهداء وروح النصرانية ، ورحلة من باريس الى بيت المقدس وهي التى عربنا منها للرسالة وصفه لعرب فلسطين ، وحوادث آخر بنى سراج التى عربها الامير شكيب الأديب المنتج العجيب ، ولخصها صاحب النظرات ، واتالا التى نقلها فرح أنطون الى العربية

١ ٢٨

عرب فلسطين

العرب ، حيثما أبصرتهم ، فى فلسطين ومصر أو فى بلاد البربر ، قد ظهروا لى بقامة أقرب الى الطول منها الى القصر ، ومشيتهم البخترية برشاقة طبعوا عليها ، وخلقتهم فى أحسن تقويم : وجوه مسنونة ، وجباه مقوسة عريضة ، وأنوف يزينها القنا والشمم ، وعيون نُجل لوزية الشكل ذات نظر ندى عذب ، ثم لاشيء يشعرك منهم بوحشة ، وان لبثت أفواههم مطبقة أبداً : ذلك انهم اذا ما أخذوا فى التحدث اليك أسمعوك لغة تطربك نغمتها ، ويفعمك شذاها ، ولمحت ثغوراً يروعك البياض الناصع من ثناياها ، والشنب (١) ، مما يذكرك باسنان العسابر (٢) وبنات آوى

والعربى يرتدى — على الأغاب — جلباباً يشده الحزام على الخصر ، وتراه ينزع يده حينا من كم جلبابه هذا فيمثل لك الردية القديمة ، وتبصره حيناً آخر يلف بملاءة من صوف فتكون له رداء أو كساء أو وقاء من الحر بحسب التفافه بها أو طرحها على منكبيه أو رأسه ، وهو يمشى حافياً (أو منتعلا) ، ويتسلح بالبندقية والخنجر والرمح الطويل .

ان القبائل ترحل قوافل ، والابل تمشى قطاراً ، والبعير الاول منه يجره بحبل من مسد حمار هو قائد القافلة : فهو لذلك قد اكرم باعفائه من الاثقال ، وبما حبوه من أنواع الرعاية والاختصاص ، والعشائر الموسرة تزين الاباعر بالمخمل المهدب والريش والبنود .

أما الجواد فانه يكرم على قدر استيفائه لأقسام العتق والكرم ، ولكنهم مع ذلك لا يتسامحون فى سياسته أبداً ، فلا يحبسون الخيل فى الظل ، بل يعرضونها للفح الهواجر ، مربوطة بالأوتاد من قوائمها الأربع ربطا تجمد له فى مقرها ، وهي أبداً مسرجة ، وكثيراً ما تمضى نهارها على ورد واحد ، ولا تعلف فى اليوم كله الاحفنات

(١) الشنب : رقة الاسنان واستواؤها . (٢) جمع عسبر وهو نوع من السنانير الكبيرة التى تقطن اسية وافريقية ويلقبه الفرنجة بفهد الثلوج

من الشعير : ومثل هذا التقتير في العلف ، مع أنه لا يهزلها ، كفيل بتعويدها السرعة والصبر والقناعة .

رأيت كثيراً جواد عربي كان مقيداً في الرمضاء . وشعر عرفه منتشر ، ورأسه منحن بين يديه التماساً لبعض الظل ، وهو يتقد بعين وخشية صاحبه نظراً اليه عن عرض شزرا ، فاذا ما انت فككت قيده ، وقذفت بنفسك على ظهره از بد وحمحم . ثم نهب الارض نهبا .

ان كل ما يروى لنا عن ولع العرب وغرامهم بالقصص هو حق لا مرية فيه ، وأنا مورد لك على ذلك مثالا :

سمرنا ذات ليلة على الرمل من ساحل البحر الميت ، وبات اللاحمة (١) حول النار المتأججة وبنادقهم ملقاة الى جانبهم على الارض والخيل ، وهي مثلا على شكل دائرة ، موثقة باوتادها ، وبعد أن حتسينا القهوة ، وتجاذبنا اهداب الاحاديث ، سكت هؤلاء العرب ما خلا شيخهم الذي كنت ألمح من خلال سنا النار حركات وجهه الناطقة ، ولحيته السوداء . واسنانه البيض ، والاشكال المختلفة التي كانت تتشكل بها ثوابه ، وهو يمعن في سرد قصته . وكان اصحابه يصغون اليه الاصغاء كله مائلين اليه برؤوسهم ، ومقبلين بوجوههم على اللهب ، وهم يصيحون تارة صيحة اعجاب وطرب ، ويقلدون اوضاع الشيخ المحدث تارة أخرى ، وبعض رؤوس من الخيل كانت ممتدة فوق السامر (٢) باعناقها ، وانك لتدينها في العتمة ، فتكمل بها صورة تلك اللوحة الرائعة ولا سيما اذا انت اضفت اليها ناحية من البحر الميت ومن جبال فلسطين !

دمشق   أبو قيس

(١) أهل بيت لحم   (٢) اسم جمع بمعنى السمار

(بقية المنشور على صفحة ٢٧)

ونحن اولو المجد والهمم العالية الذين اخرجوا من عشيرة صغيرة دولة مسيطرة على العالم ، ونحن أصحاب السجايا الرفيعة الذين يرون في ميدان الحمية تراب القبر أهون من تراب المذلة .

هلم أيها الفلك اجمع مظالمك كلها ثم اصمد الي فان كلت عزيمتي في سبيل الامة فأنا المرأة الهلوك . . .

أيها الظالمون احذروا منازلة أبطال الحق فان نار الحمية تصهر سيوف الظلم

« ٤ »

وهذه رباعية دائرة على الالسن من مأثور قوله :

ما حملت في حياتي سلاسل الاسار
وان الدنيا تعرفني مبرأ من قيودها والآصار
هذا ميدان الحمية لا تفر أيها الجبار
فليمحك الله من هذا العالم أو فليمحني .

عبد الوهاب عزام

مآثر العرب في الفلك

(بقية المنشور على الصفحة ٢٥)

الخلاصة

وبالجملة فان للعرب فضلا كبيراً على الفلك .

(اولاً) لأن العرب نقلوا الكتب الفلكية عند اليونان والفرس والهنود والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها وهذا عمل جليل جداً لاسيما اذا عرفنا ان اصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية وهذا طبعاً ما جعل الاوروبيين ان يأخذون هذا العلم عن العرب فكانوا (أي العرب) بذلك اساتذة العالم فيه

و (ثانيا) في اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التي تقدمت بعلم الفلك شوطاً بعيدا

و (ثالثا) في جعلهم علم الفلك استقرائياً وفي عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان

و (رابعا) في تطهير علم الفلك من ادران علم التنجيم ؟

نابلس — فلسطين   قدري حافظ طوقان

« عضو الجمعية الرياضية بلندن »



الرياح

للدكتور محمد عوض محمد

لعلنا معشر المصريين من أقل الامم اكتراثاً لأمر الرياح ، نعيش حياتنا كأننا لا يهب علينا الا نسيم عليل أو ريح رُخاء ، لانستثني من هذا غير شهر أمشير ، الذي ننعته بالأرعن . ولا يلبث أن يمضي امشير حتى نتناسى ان في العالم عواصف وزوابع وأعاصير ، منها ما يثير التراب ، وما يقتلع الشجر ، ويهدم المنازل والدور

على ان هبوب الزوابع حتى في بلادنا — بلاد النعومة والسهولة ليس بالشيء النادر . وكثيراً ما نحس في أمشير وغير أمشير من الشهور — تلك الحركة العنيفة في طبقات الهواء ، وانما تهب بنا فجاءة ونحن عنها لاهون ، فاذا ابوابنا تقرع بعنف . ونوافذنا تكسر ، واذا سحب من العثير المطار تتخذ سبيلها الى اعيننا وآذاننا وانوفنا الرغمة .

وهذه الزوابع قد تدوم ساعة وبعض ساعة أو يوما أو بعض يوم ، ثم لا يلبث الهواء ان يهدأ نسيماً ولا تلبث الريح أن تعود رخاء ، ونحن قوم سريعو النسيان ووطننا العزيز سريع الغفران

ومع ذلك فما اجدرنا أن يزداد اهتمامنا بأمر الرياح ، فانها من الأمور التي تعنى بها طوائف عديدة من الناس في كل زمن وكل بلد . فالشعراء مثلاً من اكثر الناس اهتماما بالرياح . طالما ذكروها ونعتوها ، وحملوها رسائل الغرام ، بل قد تبلغ بالواحد منهم الجرأة أن يحملها القبلات والآهات والأنات :

وإني لأستهدي الرياح سلامكم
إذا أقبلت من نحوكم بهبوب ،
وأسألها حمل السلام اليكم
فان هي يوما بلغت فأجيبي !

وطالما أثارت شجونهم ، وبعثت الحنين في نفوسهم ، والدمع في مآقيهم ، وما أسهل انهمال دموع الشعراء !

وكأني بك أيها القارىء تتوهم أن هذا كله ليس بامر ذي خطر ، بل قد ترى انه من السخف أو دونه السخف ، وقد تكون في هذا مصيبا . ولكن اذا كانت نظرة الشعراء الى الرياح خفيفة سخيفة فان نظرات الملاحين الى الرياح نظرات حادة جادة .

وليس من سبيل لانكار ما للرياح من أياد بيضاء يوم كانت هي القوة الفعالة التي تدفع السفن على اديم الماء . فعلمت الناس ان يتعارفوا وان يتعاملوا ويتعاونوا . وهدتهم لأن يتاجر بعضهم مع بعض ، ويتعلم بعضهم من بعض ، وكيف يستطيعون — وياللاسف — ان يسطو بعضهم على بعض ويفتك بعضهم ببعض ؟ .

كانت الرياح هي الوسيلة الوحيدة الى قطع البحار والتقريب بين البعداء .

ولئن كانت البواخر اليوم في غنى عن الرياح ، فانها لم تزل تخشاها وترهبها ، فان الرياح ما برحت قادرة على أثارة موج كالجبال ، ترتعد له فرائص المراكب ، ويرتاع له الملاحون .

وهنالك سفن جديدة ، لا تجري على صفحة الماء ، بل تشق عباب الهواء ، وتحلق فيه تحليق العقاب . وهذه تخشى الرياح وتحسب لها ألف حساب ، فلئن كانت دولة الرياح قد دالت على صفحات الماء ، فان لها في عالم الطيران سلطاناً لا يزال في أشد عنفوانه .

ثم إن هنالك طائفة من الناس أشد خطراً من هؤلاء جميعاً أو على الأقل تعد نفسها أعظم خطراً من الناس جميعاً — وهي طائفة العلماء ، علماء الطبيعة الذين يدرسون ظاهراتها ، ويحاولون أن يطلعوا على اسرارها . هؤلاء يهمهم أمر الرياح كما يهمهم كل شيء على وجه الارض وعلى غير وجه الارض ، وهم يعنون بها ولكن لا على طريقة الشعراء . فلا يحملونها سلاماً ولا كلاما . بل يقيسون سرعتها باحكام ويعرفون اتجاهها بدقة ، ويشرحون لك ما يسببها وما لا يسببها ، ويعززون أقوالهم بأرقام ورموز يوهمونك بها أن في الامر أسراراً غامضة وأن صدورهم هي خزانة تلك الاسرار .

* * *

والآن فلنتحدث عن الرياح حديث العلم أولا ، ثم نعود فنتحدث عنها حديث الأدب ، وهكذا نقدم للقارىء الغذاء الدسم في البداية ، تاركين الحلوى الى النهاية .

فلنذكر أولا ان هذه الكرة ، التي نزحف كلنا على سطحها ، يحيط بها غلاف عظيم من الهواء : غلاف لم يسبر أحد غوره تماماً ، وقد يكون عمقه مائة ميل ، وقد يكون مائتين ، بل لقد يكون

أكثر من هذا . وإن سألت العلماء كيف عرفوا عمق الهواء ، ولو على وجه التقريب ، قالوا لك إنهم يرقبون سقوط الشهب حين تندفع نحو كوكبنا العزيز ، فإذا رأوها تأخذ في الاحتراق ، علموا أنها قد بدأت تحتك بهوائنا ، فإذا استعانوا بآلات راصدة سليمة لم يتسرب إليها الخلل وكان عقل الراصد أيضاً سليماً لم يتسرب إليه الخلل استطاعوا أن يعرفوا على وجه التقريب درجة ارتفاع الهواء عن أديم الغبراء .

وهنالك طرق أخرى يقاس بها عمق الهواء ، ولكن لن أتعب نفسي وأجهد القارئ في شرحها وتفهيمها . وقد يتفضل بعض الأصدقاء من العلماء بالرد على هذا المقال ، ثم يتوسع في الشرح والبيان بما يشفي غلة الظمآن .

***

علمنا إذن أن هذا الكوكب يشمله الهواء من جميع النواحي . ولحكمة إلهية عظيمة قد أحيطت الأرض بهذا الغطاء الكثيف الذي يحول دون أن تنفذ إلى الفضاء رائحة ما بالأرض من أدران وآثام . وما يغشاها من بغي وظلم . فلنحمد العناية التي عملت على وقايتنا شر الفضيحة ، فلم تطلع سكان السموات على ما انغمست فيها أرضنا من إثم ورجس وفسوق وعدوان .

***

هذا الغلاف العظيم الذي يحيط بالأرض ليس هادئاً ساكناً ، بل فيه حركة دائمة . وهذه الحركة هي التي نحسها حين نحس بهبوب الرياح . وأول سؤال يعرض لنا طبعاً هو : لماذا يتحرك الهواء ، ولماذا تهب الرياح ؟

إن الشاعر العربي يتساءل : « أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ؟ » ويريد هو وأتباعه من الغاوين أن يوهموا العالم أن الريح ما هبت من تلقاء كاظمة إلا لكي يستطيع حضرته أن يمزج دمعا جرى من مقلة بدم ! ونحن نؤكد للشاعر الفاضل أن الريح لا يهمها إذا كان يمزج دمعه بدم أو يمزج الماء بالراح أو الويسكي بالصودا .. وإذا كانت الريح قد هبت من تلقاء كاظمة ، فما ذلك إلا لأن الضغط الجوي شديد (عال) في جهة كاظمة وخفيف يسير (منخفض) في الناحية التي كان بها الشاعر .

ولقد يقف القارئ عند كلمة الضغط هذه ويتساءل — وحق له أن يتساءل — كيف يكون في الجو ضغط شديد أو غير شديد ؟ إننا نسلم بأن في الأرض ضغطاً وظلماً ، واستبداداً يتفاوت من مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان . ولكن أيكون في الهواء ضغط وهو تلك المادة اللطيفة ؟

والجواب على هذا السؤال بالإيجاب . فإن الهواء في بعض النواحي شديد الضغط ، وفي نواح أخرى خفيف الضغط ، فيندفع الهواء من الناحية التي يشتد بها الضغط إلى الناحية التي يخف بها الضغط ، منحرفاً في سيره إلى اليمين قليلاً في نصف الكرة الشمالي ، وإلى اليسار في نصف الكرة الجنوبي .

وهكذا تحدث الرياح .

وكلما كان الفرق بين الضغطين كبيراً ، ازدادت الرياح شدة وقوة . فيكون الاختلاف بين الرياح : فمن نسيم عليل إلى إعصار عنيف .

***

ثم يعرض لنا سؤال آخر ، نحاول أن نفر منه فلا نستطيع إلى الخلاص منه سبيلاً . ذلك أننا ، وإن سلمنا بأن سبب الرياح انتقال الهواء من جهة ذات ضغط شديد (عال) إلى جهة ذات ضغط خفيف (منخفض) . فإننا لابد لنا من أن نتساءل لم كل هذا الاختلاف في الضغط ؟ ألا يمكن تطبيق مبدأ المساواة الجميل ولو في الهواء ، مع العلم بأن المساواة في الظلم عدل ؟

هنالك لابد لنا أن نقرر ، والحزن يملأ قلوبنا ، أن ليس في العالم — ويا للأسف ! — مساواة . انظر حيثما شئت تجد التباين والاختلاف ! انظر إلى البحار تجد منها العميق الذي لا يسبر له غور ، والضحل القريب المنال . والأنهار منها الضعيف القليل الماء ، ومنها المفعم السريع الجريان . ثم انظر إلى اليبس ترى فيه جبالاً شاهقة قد رفعت رأسها فوق السحاب ، وفي ناحية أخرى ترى سهولاً مبسوطة وأودية وطيئة .

إذن فلا عجب إذا اختلف ضغط الهواء على وجه الأرض . وأسباب هذا الاختلاف كثيرة ، وأهمها من غير شك اختلاف حرارة الأقاليم ، فحيث الحرارة الشديدة يتمدد الهواء ويخف وزنه وضغطه ويحاول الصعود إلى أعلى ، فيندفع الهواء من جهات حرارتها أقل من حرارة تلك الأقاليم ، ليحل محل ذلك الهواء المتمدد الصاعد ، ويسد الثغرة التي أوشكت أن تحدث . وإذا كنا نحن في مصر نحس رياحاً آتية من الشمال ، ذاهبة نحو الجنوب (نحو خط الاستواء) مارة ببلادنا العزيزة فتنعشها وتبردها ، ومن أجلها أحببنا لمنازلنا أن تطل على الشمال . فإن هذه الرياح هي من ذلك النوع وهي الرياح التجارية (١) بالذات تمر بنا وهي ذاهبة إلى الأقاليم الحارة لكي تحل محل ذلك الهواء الخفيف المتصاعد في تلك الأقاليم .

(١) سبب تسميتها بالتجارية — مع أنها لا علاقة لها بالتجارة فإنها إذا ساعدت التجارة في ناحية فإنها تعترضها في الاتجاه الآخر — أنها ترجمة خاطئة للكلمة الإنكليزية Trade مع أن هذه الكلمة لفظ قديم معناه مطرد . وكان أولى بنا أن نسميها الرياح المطردة لأنها منتظمة الهبوب طول العام . والفرنسيون يسمونها l'Alizé وعلماء الإغريق سموها الرياح الأتيزية Etesian

هذا بعض السبب في اختلاف ضغط الهواء من مكان الى مكان . وهنا لك أسباب أخرى مثل دوران الأرض وتوزيع الماء واليابس وغير ذلك من أمور لا نريد أن نطيل شرحها خوفا من أن ينقلب هذا الحديث الى درس من دروس الجغرافيا .

. . .

بقيت ملاحظة لابد منها ، وهي ان المصريين وعلى الخصوص الطبقة المثقفة منهم ، قلما يلاحظون الرياح وهبوبها واتجاهها . فقد يختلف اتجاه الرياح في اليوم الواحد من أيام الخماسين مرتين أو ثلاثا ، فلا نتنبه لي هذا التغير في اتجاه الريح . وأقصى ما نلاحظ أن الهواء حار أو شديد . وانه قد انقلب فصار هادئا باردا .

وان المرء لتأخذه الدهشة حين يقارن هذه الحال بما كان عليه العرب من دقة الملاحظة لهذه الظاهرة الطبيعية ، وكيف استطاعوا ان يميزوا شكولها وضروبها ، فراقبوا اتجاهاتها المختلفة وأطلقوا على كل ريح اسما يدل عليها . ثم لاحظوا ما بها من قوة وضعف ، وجعلوا لكل اسمه . وكذلك ميزوا الرطب منها والبارد والحار وما الى ذلك .

ولئن كان العلماء اليوم يرقبون اتجاه الرياح ويقيسون سرعتها وشدتها ، ودرجة حرارتها . مستعينين بآلات دقيقة فان العرب قد سجلوا هذا كله من غير استعانة بآلات .

فمن حيث اتجاه الرياح نرى العرب قد ميزوا بين الرياح التي تهب من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، ورياح الشرق هي التي سموها الصبا ويقابلها من الغرب الدبور . وكانت الريح احيانا تهب منحرفة عن الجهات الأربع الأصلية فكان العرب يدعونها عند ذلك بالنكباء .

ثم أرادوا أن يميزوا بين الرياح الضعيفة المريضة والقوية العنيفة . فأكثرها هدوءا النسيم التي تهب بنفس ضعيف ، ثم الرخاء السهلة ، ثم الحنون التي لها مثل حنين الإبل . ثم تليها الرياح الشديدة ، فالبارح التي تهز الأشجار

وتأخذه عند المكارم هزة
كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

ثم الهوجاء التي تجر وراءها ذيلا من التراب ، ثم الزعزع ، ثم العاصفة ، ثم الحاصب ، وهي التي تقشر الحصا من وجه الأرض (وأرسلنا عليهم حاصبا) .

وكذلك ذكر العرب أنواعا خاصة من الرياح ، فالزوبعة هي التي تدور في الارض دون ان تقصد وجها واحدا . والاعصار ريح تدور بقوة وتنعكس من الارض الى السماء . وهكذا نجد في العربية كثيرا من الدقة في التمييز بين الرياح القوية والضعيفة .

أما ملاحظتهم للرياح الحارة والباردة فلا تقل عن هذا دقة . ٤٣٧ فالريح الليل هي المنعشة ذات الندى التي ليست بالحارة ولا بالقارسة وكذلك الصراد ابرد منها قليلا . اما الرياح الشديدة البرودة فهي العرية التي تهب عادة من الشمال :

وأنت على الأدنى شمال عرية
تذأب منها مرتع ومسيل

ثم الريح الصرصر والحرجف والالوب .

اما الرياح الحارة فمن أسمائها الحرور والسموم والسعار وهذه الاخيرة اشدها حرا وسعيرا .

وليست هذه الاسماء كل ما ورد ذكره في كلام العرب عن الرياح ، بل ان هنالك أسماء اخرى عديدة . وما ذكرنا الذي اوردناه هنا الا لكي يرى القارىء مبلغ دقة العربي في ملاحظة الظاهرات الطبيعية ، وليس بين كل هذه الاسماء ما هو مترادف . بل لكل منها معناه الخاص الدقيق .

. . .

وبالطبع قد اكثر شعراء العرب من ذكر الرياح ، وبوجه خاص اكثروا من ذكر الصبا . واهل الحجاز يدعونها صبا نجد لأنها تهب عليهم من تلك الناحية .

وهي ريح لطيفة جافة ليست بالحارة ولا بالباردة . واظن الاكثار من ذكرها في الاشعار يرجع الى عذوبة اسمها اكثر مما يرجع الى عذوبة المسمى . ولعل شعراء نجد هم الذين اكثروا من ذكرها ، اذ كانوا يفدون الى الحجاز ليتاجروا بما لديهم من تمر وسمن ووبر ، ثم تهيج الصبا شوقهم الى اوطانهم فيصيح شاعرهم :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟
لقد زادني مسراك وجدا على وجد

فالاصل في المعنى ان ريح الصبا يكون صادرا عن النجدي وهو في الحجاز ، ثم يقول الآخرون بالتقليد .

وهنالك نظرية اخرى لا تقل طرافة عن هذه ، وهي ان الوفود اذا اقبلت على مكة ، فان الفتى الحجازي قد يهيم بغانية من بنات نجد لا تلبث ان تعود بعد الحج الى وطنها الا زين . فيطير قلبه وراءها شعاعا . ولا يزال بعدها تهيجه ريح الصبا وتشوقه .

أما بشار بن برد فزعم أنه تستهويه الجنوب ، على أنها عادة رياح حارة شديدة الحرارة . وللناس فيما يعشقون مذاهب !

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت
وأهوى لقلبي أن تهب جنوب

وما ذاك إلا أنها حين تنتهي
تناهى وفيها من عبيدة طيب .

ويعجبني في هذين البيتين مطابقتهما في المعنى لبيتين قالهما بعد بشار بألف سنة الشاعر الاسكتلندي الرقيق روبرت برنز . وهما قوله

« البقية على صفحة ٣٧ »

القصص

قصة مصرية

سفروت الحاوي

— ٢ —

ووقف الجمع برهة ينتظر رجوع الرجال الذين بعثهم صاحب الفندق وعلموا أنهم بحثوا عن بولص خارج الفندق وداخله من غير جدوى. فانفجرت المرأة ثانية بالصياح والتهديد

— انا بقولك إيه واغطس بجوزى دلوقت أهه لحسن اوديك فى داهية.

— ياستى يعني انا حاجذه أعمل به ايه، ياريت كنت عارف طريقه وأنا كنت والله اجيبه لك.

— امال راح فين الراجل ؟

— والله ياستي انا على علمك.

— لا. ابدا. أنت عارف طريقه! انت سخرته بالجن الاحمر والاخضر بتوعك

— جن اخضر بتوعى؟!، هو انت صدقت انى اعرف جن وسحر ؟ ياستى أنا راجل على باب الله. وده كلام بس علشان أكل العيش. تعالى وانا أوريك الصندوق علشان تصدق.

— أصدق؟ انا ماعرفشى أمور الحوى دى، أنا حاوديك في داهية. انت خنقت الرجل علشان تاخذ فلوسه ؟

وولولت المرأة وأمسكت بخناق الرجل بأصابع كانها (ماشة النجار) فالتف الناس حولها وأخذوهما الى نقطة البوليس

ولما لم تكن على سفروت مسئولية جنائية فقد أطلق سراحه بعد يوم فترك رأس البر تتحدث عن هذا الحادث المدهش وسافر الى غيرها من المصايف.

مر على ذلك الحادث عامان نسى فيهما الحاوي بولص وامرأة بولص الا في فترات كانت تعاوده الذكرى، فكان يتعجب للامر فى نفسه ويود لو عرف ماانتهى اليه امرهما حتى اذا كان ذات مساء وهو يدخل باب ملهى من ملاهي العاصمة كان وقتئذ يشغل به لمح بائع سميط بالسنا يعد قروشه على الافريز وتبين فيه صاحبنا بولص فلما أيقن من صواب زعمه دنا من بائع السميط هامسا :

— أنت بولص بتاع واقعة رأس البر ؟

فانتصب البائع واقفا فى رجفة تناثر معها بعض سميطه ونقوده وحاول أن يهرب. ولكن سفروت أوقفه وأعاد عليه السؤال فانكر واشتد في الانكار، وقال ان اسمه محمود، وأنه لا يعرف ما رأس البر ولا من هو سفروت، ورأى الحاوى ان حديثهما وهياج محدثه قد يجمعان عليهما المارة، فاخذ البائع الى حارة باب المسرح الخلفى وهدأ خاطره وأكد انه لا يضمر له كرها ولا ينوي شرا، وان كل مابه انما هى رغبة شديدة فى أن يعرف السبب الذى جذابه الى فعلته الشاذة.

وبعد لأى اعترف البائع بانه هو بولص ورضى ان يدخل مع الحاوى الى غرفته الخاصة بالملهى حيث حدثه بخبيئة أمره. قال سفروت فيما تحدث به لبولص :

— طيب يعنى مالقتش الا صندوقي تختفى منه! ما كنت تسيبها وتمشى من غير شوشرة وفضيحة ؟

قال بولص :

— ما جدرتش ابدا يا أخي. فكرة الهروب منها دى ماجتش فى دماغى الا فى رأس البر.. يظهر انها زى اللى خنت باللي فى نيتي فكانت دايما فى رجليه ما تسيبنيش ١٠ دجايج لما طهجتنى وجطعتني العيش. تعرف بعد مانزلت بالصندوج وبعته لك فاضى! انا طرت على الفلوكة اللى كانت تستناني فوج عند الطابية اخذتها ورحت على دمياط ومن دمياط بجرور الفجر على مصر

— يعنى كنت بتكرهها للدرجة دى ؟

— اكرهها ؟! انت متعرفشى جد إيه يمكن الواحد يكره مراته ياسى سفروت، يكرهها ويكفر منها وينجن كمان. يا اخى، أجول لها ياحنينه انا فى عرضك طلجيني. ابوس مركوبك ياحنينه تسيبيني. اعطيك ٥٠٠ جنيه. اعطيك الف جنيه. مفيش فايده، يمكن انت ماتصدجشى ياسى سفروت

لكن انا كنت راجل غني. انا كنت بتاجر في حسبة ٢٠٠٠ جنيه وكان عندي بيت كويس و ١٠ فدادين طين مالح، وده كله سبته لها. اعمل ايه! مفيش طلاج عندنا ياسي سفروت، زي ماعندكم. فجيت وبعت سوداني، وجصب، وصميط واستحملت اجلام الشاويش وشخطه وعشت في أوده بريال في بولاج كل ده عشان اهرب من وشها. جيت أغير ديني واجه مسلم مطجتش ماهانش عليه ديني ياسي سفروت. دين الواحد زي ولده

ولاحظ سفروت أن توتر أعصاب محدثه بلغ أشده ولاحظ دما قرمزيا يترقرق في وجه الرجل الذي صبغته الشمس والقذارة بلون غرين النيل فحاول ان يهدئه ويواسيه ولكن بولص اندفع يقول:

— دي ورمبت لي وجع الجلب والله ياسي سفروت. انا كل ما افتكر المره دي جلبي زي اللي بيجف. لا، والادهي من كده انها لسه بتعش عني! الآنكت من كده انها لا عاوزه فلوس ولا طين، عاوزاني انا بس

— يمكن بتحبك يا ولص.

— بتحبني!! لا لا. دامش عبارة حب دا جنون. دي تكرهني زي العمى ياسي سفروت

وانتهى حديث الرجلين بعد وقت، فخرج بولص يبيع سميده وذهب سفروت الى مسرحه وهو يعجب لأمر الرجل.

وبعد بضعة أيام بينما سفروت يعد عدته للظهور على المسرح، اذ دخل عليه بولص وبعينيه بريق الجنون الذي يكون به في ساعات هياجه، فلما رحب به الحاوي أظهر القبطي خشونة وجفاء كأنما هو يضمر عداء وشرا فسكت سفروت وقتا حتى تحدث بولص

— انت فتنت علي؟

— فتنت ايه؟!

— ايوه انت فتنت علي. انت اللي بلغت عني للبوليس.

— ازاي افتن عليك يامعلم؟! هو انا لي صالح في كده؟ وحتى لو كان هو انا راجل خسيس للدرجه دي؟ عيب ده يامعلم بولص متكلمشي كلام زي ده.

وقام بولص بعنف فامسك بتلابيب الحاوي الذي ملكه الخوف والدهشة وصاح به قائلا.

— انت مجرز؟ احلف لي بالطلاج انك مبلغتش البوليس.

ولم ير الحاوي بدا من القسم بالطلاق ثلاثا انه لم يفعل شيئا من هذا فهدأ بولص واعتذر ثم شرح ماحدث له قال.

— لما روحت امبارح جالت لي الولية جارتي ام شحاته، أن واحد شاويش جه يسأل عني في النهار مرتين. اول مرة جه لوحده وأم شحاته جالت له ان مفيش ساكن اسمه بولص هنا. بعدين راح ورجع في المغرب، ومعاه حرمة طويلة ووجفوا يتحروا في الحتة. ام شحاته جالت ان الساكن اسمه محمود بتاع السميط، جامت الحرمة سألت عن وصفتي، وام أحمد أعطتها وصفتي، خنينة جالت أهو هو دا بولص. تصدج ياسي سفروت والله ماجدرتش ابات في الأوده رحت اتلجحت في الجامع اللي جنبنا لحد الصبح. أعمل ايه ياسي سفروت؟ أهرب من حنينه فين؟ المره دي مش ناوية تسيبني الا ميت.

وأتت بهية تذكر سفروت بعمله فودع هذا بولص وذهب الى



المسرح . وقبيل نهاية الحفلة ذهبت بهية الي غرفتها لتغير ثوبها استعداداً للدور الاخير ، وتركت الحاوى يشرح للنظارة أمر الصندوق ويعد له عدته ، وتأخرت بهية فبينما هو يفكر فيما يفعل اذ أقبل بولص عليه من جانب المسرح بوجه أدكن وعينين بارقتين شاردتين بماذكر الحاوى بوجه الرجل في الآلة المقمرة . تقدم بولص وبه من الرجفة والذعر ما شغل الحاوى عن حرفته وانساه صيته وموقفه والنظارة الذين خفتت اصواتهم واشرأبت أعناقهم في انتظار ما يكون ، وهمس بكلمات متقطعة كحديث المحتضر قال :

— خبيني . . . أنا في عرضك خبيني . . . مراتي بره ومعاها شاويش . . . حطني في الصندوج ، حطني في الصندوج !!!

ودخل القبطي الي الصندوق بغير انتظار وأقفل عليه بابه . وقد ملك الدهش على سفروت أمره حتى فقد القول والفعل ، ثم رجع الى نفسه بعد برهة ليتبينها امام حقيقة واقعة وليدرك ان لامخرج له سوى ان يخفي الرجل داخل الصندوق .

وقال سفروت في نفسه : لو فلت القبطي فقد اسديت له يدا ولو لحقه البوليس فما على من ذلك لوم ولا تبعة ، وليس هو بالمجرم ولا انا بالخارق للقانون ، وكل ماعلى الآن هو ان اسرع في عملي واعطيه الفرصة ليهرب ، ويقيني انه لن يرجع الى الصندوق فاذا دعوت بهية بعد ذلك فسوف تقوم بحيلتنا كالعادة واما اذا أخرجته الآن من الصندوق بالقوة فسوف يكون من ذلك هياج الناس وتعكير صفو الحفل ومسؤوليتى امام المدير

ولم يتردد سفروت بل ربط الصندوق ووقف عليه وتحدث الى النظارة المذهلين عن جنه وهو يتلو اخ اخ ، حتى اذا انتهى من الديباجة نزل ورفع الغطاء وهو موقن ان بولص قد خرج من الصندوق الى تحت المسرح ثم الى ماشاء له قدره

ولكن بولص لم يخرج من الصندوق ولم يتحرك ؟؟

زوج بولص فقط هى التى بارحت الصندوق الى بارئها ، اما جثته فقد بقيت لتسلمها حرينة !!

قال احد السامعين : غرضك بولص مات فى الصندوق ؟؟

فاجاب الراوى : نعم نعم ، فى رواية انه مات بالسكتة القلبية وفي رواية اخرى انه مات منتحرا بطعنة سكين في جنبه الايمن ، وان سفروت رأى دمه يسيل الى المسرح ، ولكن مهما اختلفت الروايات فمن الثابت ان زوجة القبطى وجدت جثته هامدة لما ارتقت المسرح مع ضابط البوليس

وقال سامع ثان : طيب وجرى ايه لسفروت ؟

فاجاب الراوى : حدثنى صديق احد عن صديقه محمد ان الحاوى طلق حرفته بعد هذه الحادثة وانه يشتغل الآن ترجمانا فى بلدته بور سعيد ولكن الله اعلم بحقيقة الامر

وسأل سامع ثالث : ما اتهموش سفروت بقتل الراجل !

فتجاهل الراوى هذا السؤال لغباوة سائله . م . م . م

الى بئر جنـــدلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

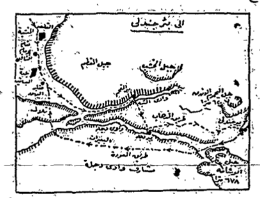
— ١ —

فى شتاء سنة ١٩٠٨ ، وقبيل أجازة عيد الأضحى ، دعاني خالى إليه وابتدرنى قائلاً وفى فمه ابتسامة :

— هيا معنا إلى بير جندلى . غداً مساء سنغادر القاهرة .

— بير جندلى ؟ ماهذا ؟

— رحلة صيد فى جبل المقطم تستغرق خمسة أيام ، وستكون مع أصدقائنا عائلة رشيد ، وقد أعددنا لها العدة .



كانت مفاجأة ، وأترك للقارىء أن يتصور وقع هذه المفاجأة فى نفس شاب لم يبلغ الثامنة عشرة ، لايعرف عن جبل المقطم إلا القليل مما التقطه فى طفولته من أفواه العجائز فى أحاديثهم عن العفاريت والوحوش ، أو عرفه من القراءة فى كتب وضيعة تصور لك المقطم قفاراً ومفاوز لا نبات فيه ولا ماء ، وانه مسكن المردة والجان ومأوى جبابرة اللصوص وقطاع الطرق ومرتع الوحوش الضارية من نوع السباع والاسود التى يرسمها نقاشنا البلدى على واجهات منازل الحجاج العائدين من الحجاز .

كان قد أزف الوقت فانصرفت أعد نفسى للرحلة على عجل ، وأذكر الآن وقد مضى على الحادث مايزيد على خمسة وعشرين عاماً ، أني صرفت شطراً كبيراً من الليل فى تصفح ما كان عندى من الخرائط ، متفرساً فى أسماء الجبال والسهول والأودية ، باحثاً بينها عن بئر جندلى ، ولكنى لم أظفر بطائل ، وأذكر كذلك أنى لم أنم فى تلك الليلة إلا غراراً ، فقد كنت مشرد العقل مهموما

فتقاً تتوارد على ذاكرتي حكايات الوحوش وقطاع الطرق وقصص الأهوال التي لاقاها رواد الجبال ، من عطش ، وجوع ، وخطر ، فينقبض لها صدري وتثور هواجسي ، ولولا إرادة قوية ، وإيمان ثابت ، لغلب الضعف على نفسي ، ولأحجمت عن مصاحبة الجماعة .

بعد الغروب في اليوم الثاني اقلتنا عربة الى منزل عائلة رشيد بشارع الدرب الأحمر بالقرب من الحجر على بعد عشر دقائق من القلعة — منزل عتيق من طابقين له باب كبير ثقيل ومن خلفه دهليز يؤدى إلى فناء رحب تحيط به الحجر والمرافق وتطل عليه النوافذ والشرفات — في هذا الفناء شاهدت جملين مناخين حولهما حركة عنيفة صامتة ، فقد كان القوم منهمكين في إعداد لوازم الرحلة — فهذا يملأ قرب الماء حتى إذا ملأها تعهد متانتها ثم أحكم ربطها إلى جانبي البعير ، وذاك يحزم الملابس والأغطية ثم يضعها على ظهره ، وثالث يرتب علب المأكولات داخل صندوقين من الخشب ثم يشدهما بوثاق إلى ظهر البعير الثاني وهكذا — بعد أن تبادلنا التحية دخلنا حجرة واسعة قد جلس في صدرها رجل وسيم المحيا ملىء الجسم طويل القامة كبير الشوارب وقد وخط الشيب شعره ، فاستقبلنا واقفاً مرحباً ثم قدمني اليه خالي قائلا — عمك عبد الله بك كبير الأسرة

— فلثمت يده على ما كان متبعاً في ذلك الوقت فضمني إلى صدره وقبلني في جبيني وقال وهو يلاطفني : انك الآن ياولدى تجيب داعي التقاليد في أسرتك !

بعد قليل هدأت الحركة في الفناء ، ثم نهضت الجمال وخطت نحو الباب وقد أمسك بزمام الجمل الأول شيخ يناهز الستين في لباس بدوى قد ارتسمت على وجهه جميع أمارات الثقة بالنفس والتوكل على الله ، وكان يقود الجمل الثاني شاب بدوى كذلك ممشوق القامة نحيل الجسم قد علق على ظهره بندقيته وتدلى من صدره حزام للخرطوش

ولما مرت الجمال أمام النافذة اطل علينا عبد الله بك وقال بصوت هادىء رزين :

— على بركة الله يا شيخ سويلم

فأجاب الشيخ بصوت متهدج فيه غنة وبحة — بارك الله فيكم يا بك

— أين الانتظار ؟

— على بير الفحم يابك

خرجت الجمال إلى الشارع وقد انتصفت الساعة التاسعة وبخروجها شمل المنزل سكون عميق ، ثم اتجه عبد الله بك نحو نضد في جانب الحجرة قد ثبتت فيه آلة لحشو الخرطوش فأخذ يديرها بمهارة وخفة ، وبعد أن قضى في ذلك نحو نصف ساعة تناول من علاقة قريبة مناطق الخرطوش ، ملأ به عيونها ثم خرج .

وبعد قليل عاد يتبعه اخوته الأربعة وهم جميعا في حلة الصيد من سترة مقفلة وسروال قصير وقد لفوا حول الساق « الفلاشير » ووضعوا فوق الرأس قبعات كبيرة على نحو ما يلبسه المهندسون زمن الصيف ، فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث ، وفي نحو الساعة التاسعة والنصف دق الباب فصاحوا جميعا ها قد أقبل الشيخ محمد — ثم دخل رجل في لباس بدوى فاستقبلوه باحتفاء وترحاب ، وبعد أن استوى في مجلسه سأل عن الجمال فقيل له أنها بارحت المكان منذ ساعة ثم نظر إلىّ وقال من هذا الصغير ؟ فقيل له ابن أخت احمد بك ، فمال نحوى وقال بلهجة عذبة هل تصاحبنا ياأخي ؟ فقلت نعم . فقال هكذا يكون الشباب يا سادة ! — كان الرجل يكلمني وأنا مأخوذ فلم أر فيه الا وجها صغيراً تحيط به لحية خفيفة ، وجسما نحيلا وقامة قصيرة

وفي تمام الساعة العاشرة وقف الشيخ محمد وتناول بندقيته وثبتها على ظهره وفعل مثله الآخرون ثم قال هيا بنا ياسادة . توكلنا على الله فخفق قلبي خفقاً شديداً ثم تقدمنا وسرنا خلفه في صفوف .

« لها بقية »

الريـــاح

(بقية المنشور على صفحة ٣٣)

Of all the airts the wind can blaw
I dearly l ke the west
For there the bonnie lassie lives
The lassie I love best.

وتعريب البيتين

من بين الرياح التي تهب من مختلف الجهات
أحب حبا شــديدا رياح الغرب
لأن هنالك تعيش الغادة الحسناء
الغادة التي أحبها أكثر من كل شيء

وهذا من أبدع الأمثلة التي يمكن ان تذكر في توارد الخواطر .

ولابد أن نختم الآن هذا المقال لأن حديث الشعراء كحديث العفاريت اذا فتحته فمن الصعب ان تسده .

محمد عوض



ثورة الأدب

من هيكل الى طه

اخى طه

لم تخلفني موعدك عند ظهور كتابى (ثورة الأدب) فقد عودتني اخوتك الصادقة وصداقتك الخالصة كلما ظهر لى كتاب ان تتناوله بالبحث وأن تتناولنى بالثناء . بل عودتني هذه الاخوة أن تتناول بعض فصول كتبها بالبحث فيها وبالثناء على من أجلها . وتحت نظرى الآن ثلاث فصول من قلمك العذب أحدها عن كتابى « فى أوقات الفراغ » ، والآخر رد على تعدى كتابك فى « الأدب الجاهلي » ، والأخير عن الفصل الذي كتبت عن النثر والشعر والذي احتواه كتابي الجديد . وفى كل واحد من هذه الفصول كما فى غيرها من فصول ، نشرت السياسة ونشرت الاهرام من قبل هذا الثناء . وهذا البحث الذى يسعرنى بمالك من أثر فى مجهودى وانتاجي يجعلك صاحب فضل فيه كبير . ولست أخفيك أنى مدين فى حياتى ككاتب لأشخاص كثيرين شجعونى وآزرونى وعاونونى بوحيهم وبنقدهم وبحسن توجيههم إياى ، وانى ما أزال بحاجة الى هذه المؤازرة والى هذا الوحي إن كان قد قدر لى أن أنتج فى الكتابة شيئا جديدا ، وأملى أستطيع يوما أن أفى لاصحاب الفضل هؤلاء ، بفصل على الاقل اكتبه ، فما أستطيع اليوم أن أحصيهم وهم كثيرون . لكنك كنت وما تزال ياصديقى فى مقدمتهم كنت وما تزال كذلك حين ألقاك وأتحدث اليك ، وحين اقرؤك وأستمتع بجمال ما تكتب ، وعظيم لذته ودسم غذائه ، وحين أفكر فيك وفيما أثرت فى الأدب وفى تاريخ الأدب العربي من ثائرات لما تهدأ . والحق أنه اذا كانت ثورة الادب مدينة فى هذا العهد الأخير لعدد غير قليل من الكتاب والأدباء ، فهي مدينة لك باعنف ما فيها ، مدينة لك باشد ما فيها طراقة . وبحسبى أن أذكر ذلك لتعلم كم يفكر فيك من فكر . وما يزال يفكر في ثورة الأدب ، ومن يعتقد بل من يلمس هذه الثورة ويرى أنها ماتزال لما تهدأ ، وانها ماتزال تحطم وتهدم وتحاول أن تبنى كما حطمت الثورة الفرنسية النظم والطبقات . ولست أحاول الرجم بما عسى أن تتمخض عنه هذه الثورة حين يستقر الأمر الى التوليد الهادئ المطمئن ، ولعل صديقنا المازنى أقدر منى على هذا الرجم .

ولست أخفيك كذلك ان فصلك عن (ثورة الأدب) أثار منى ابتسامات دهشة وخجل متصلين من أوله الى آخره فقد رأيتك تصورني فيه صورة لا أعرفها لنفسى ، صورة جن لا ينقطع انتاجه وأب لا يبخل على أسرته بحقها عليه ، وصديق لا يضن على أصدقائه بحقوقهم عليه . فلست أعرف لنفسى من هذا كله شيئا . إنما انا مقصر فى حقوق أصدقائى ، أكثر من مقصر فى حق اسرتى . ثم ماذا ترانى ياصديقى انتجت ؟ دعك من فصول يومية تكتب فى الصحف فانت أعرف الناس بتفاهة ما ينفق من مجهود فى هذه الفصول . ودعك من العمل فى حزب سياسى فانت ادرى بالسياسة المصرية بما هى وما مبلغ الجد فيها . دعك من هذين وانظر وإياى فيما انتجت . إنه لاشئ ، أو لا يكاد يكون شيئا فانا رجل بيني و بين الخامسة والاربعين شهور ، وهذا انا لا خيل عندك تهديها ولا مال ، فليسعد النطق إن لم تسعد الحال . أم تحسب هذه الكتب القليلة مجهود جن ؟ ! أن يكن ذلك فهو جني بليد ، يطوف فى الآفاق ثم يرضى من الغنيمة بالاياب ، أو هو كما ذكرت جنى هادئ مطمئن أفاق منذ حين قصير من نوم مريح . ولئنى لا آسف اذ أصف نفسى فى ذلك على حقيقتها . وكل رجائى أن أصل من الحياة الى حظ هادئ مطمئن يكفينى بعده أن أفى لاصدقائي بحقوقهم ولاسرتى بحقها ، وألا اكون هذا الرجل المقصر الذى يعذر الناس تقصيره ويتوهمونه لكثرة عمله ، وما هى كثرة العمل وانما هو تقصير من جعله الحظ مقصرا .

وتذكر ياصديقى انك دهشت حين رأيتنى أعلنت عن (ثورة الأدب) اعلانا أمريكيا وانى سارعت فى اهدائى وكنت تعرفني أشد الناس فتورا في الاعلان والاهداء ، وتتساءل ان كان الله قد رزقني عفريتا فى الاعلان ، وتكرر انك ماتزال دهشا لانك لم

تفهم بعد مصدر هذه السرعة فى الاهداء والاعلان . وانى لجد حريص على ان تزول دهشتك . فلأدلك على هذا العفريت الذى رزقني الله فى الاعلان والاهداء . هو النظام الجديد للمطبوعات والصحف . فقد تعلم ان هذا النظام يقتضى إجراءات ، منها تقديم عدد من النسخ الى ادارة المطبوعات ومنها ان اية هيئة علمية أو أدبية أو دينية أو ماأدرى ماذا تستطيع أن توحى الى الحكومة فتصادر الكتاب الذي يطبع ، وقد تصادر المطبعة التي طبع الكتاب فيها . ولئلك لم تنس قصة كتاب الخطيب البغدادي فى السنة الماضية وحسن بلائك فى الافراج عنه . وقد ابتلينا نحن من قبل بشيء من هذا ، حين طبعت وصاحبي المازنى وعنان كتاب (السياسة المصرية والانقلاب الدستورى) فقد قدمنا منه خمس نسخ لادارة المطبوعات وأخذنا بها ايصالا وأردت بنفسى أخذ خمسمائة نسخة من الكتاب فاذا البوليس يحيط بى ويقتادني وكتبي الى قسم عابدين، واذا به يأمر الا ينشر الكتاب، واذا بى أضطر الى الالتجاء للنائب العام والى انتظار أسبوع أو نحوه حتى يفرج عن الكتاب . أفليس من حقى وذلك ما رأيت ان أحتاط لنفسى حتى لايقودني البوليس والجند مرة أخرى الى القسم . فإني لأرى كذلك ياصديقي طه إن مثل هذا الموقف ليس مما تستريح له نفسي ولا نفس أى رجل مثقف . ولتلاحظ ياصديقى أن عنوان كتابي (ثورة الأدب) ... واذا كنت مهما أثر لا أخيفك، او كانت الثورة لاتخيفك مهما تكن ، فيخيل الى ان غيرك يخاف حين أثور وان لم أر نفسي يوما فى حاجة الى أن أثور ، ويخيل الي أن غيرك يخاف من كلمة الثورة كما كان الأتراك فى العهد الحميدى يخافون كلمة الثورة و كلمة الحرية ولا يأذنون بنشرها أو نشر ما يماثلها . ولكى أتقى البوليس والجند والذهاب الى القسم أعلنت الكتاب للناس وسارعت الى اهدائه أصدقائى حتى اذا صودر قبل نشره أو أصابته مصيبة من مصائب هذا العهد أكون قد تعزيت بما أهديت من بعض نسخه، وبأنى أعلنته للناس ليحل بي وبه ما حل من ظلم وهضم .

هذا هو العفريت الذى لم تعرف ياصديقي مصدره . ولعلي إذ دللتك عليه وذكرت لك ما أصاب كتابي (السياسة المصرية والانقلاب الدستورى) عذيري عن خروجي على ما طبعت عليه من فتور فى الاعلان والاهداء يعادل فتوري فى حق أصدقائي وفي حق أسرتي . فان رأيتني مع ذلك بالغت في الاحتياط فظهرت في غير ما كان يليق بي أن أظهر فليس لى إلا أن اعتذر اليك وأن أعدك ني لن أعود اليها

هذا عن شخصى . وما أدرى ياصديقى ما عساى أقول لك فيما كتبت عن (ثورة الأدب) لقد أثار دهشتى وأثار خجلى فما كنت أحسبه ينال منك كل هذا التقدير . ولا كنت أحسبه جديراً به . وما عساى أقول فى تقديرك الكتاب بأنه « تاريخ صحيح دقيق للادب العربى المصري فى هذه الأعوام الأخيرة من جهة وهو فلسفة ادبية رفيعة موضوعها أدبنا الحديث من جهة أخرى ، وإنه كتاب ، تمضي فيه فيخيل اليك أنك تمضى فى كلام مألوف ولكنك لاتكاد تفكر قليلا فيما تقرأ ، او لا تكاد تلح فى القراءة حتى يفتح لك هذا الكتاب أبوابا ويبسط امامك آفاقا ما كنت تعرفها او تفكر فيها من قبل . واذا كل شيء جديد . واذا كل شيء طريف . وإذ الكاتب يخدعك ويمكر بك وان لم يرد خداعا ولا مكرا » ، « وان المؤلف هو المؤرخ العربى للأدب العصرى الحديث ، وأنه قد فرض بذلك نفسه ، لا اقول على هذا الجيل وحده ، بل اقول على الأجيال المقبلة ايضا . . . وان كتابه هذا سيصبح من المصادر القيمة للذين يريدون ان يدرسوا أدبنا المصرى فى نهضته هذه الحاضرة » ما عساي ياصديقى اقول فى هذا كله . اقول انه كثير . وانه أثار دهشتى وخجلي . واحسب صدق مودتك واخلاص اخوتك كان لهما اثر غير قليل فى املاء هذه العبارات ومثلها عليك ، كما كان لهما اثر غير قليل فيما كتبت عن شخصى :

ولعلك أنت شعرت بهذا ، وخشيت من أن يتهمك الناس بالاسراف فى الثناء على صديقك اسرافاً يصرفهم عن حسن الاستماع له فأردت أن تحصي عليه وعلى كتابه بعض هنات تجعلهم أدنى إلى الايمان بعدالة ثنائك . وأنت على حق فيما أحصيت من بعض الهنات وإن كنت قد أسرفت في بعضها . فقد ذكرت أن هيكلا : « من أصحاب المعاني بين الكتاب وأنه يهمل لغته اهمالا شديداً ويتورط فى ألوان من الخطأ واضطراب الاسلوب ، يدنيه أحياناً من الابتذال . والغريب أنه لايضيق بذلك ولا يجد به بأسا ولا يعترف بأنه يسيء إلى نفسه وإلى أدبه معاً » . والحق ياصديقي أنني لا أضيق بشيء ولا أجد به بأساً . لكنى أستأذنك فى أن أوجه اليك شيئاً من اللوم غير قليل . فنحن حقاً مختلفان في أمر اللغة والأسلوب خلافاً سأتلو عليك سببه . لكني لم أعرف قط منك أن لغتى وأسلوبي يدنياني من الابتذال . بل عرفت منك غير هذا . ولعلي لا أخطىء إذا وضعت تحت نظرك بعض عبارات كتبتها أنت فى هذا الشأن . فقد ذكرت حين كتبت فى السياسة الاسبوعية فى ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ عن كتابي (في اوقات الفراغ) « . . . كذلك كنت منذ عشرين سنة أو نحو ذلك حين كنت تكتب فى « الجريدة » وكذلك أنت الآن . وإن يكن قد جد شيء فهو أنك ازددت فيما أنت فيه من القوة ثباتاً ورسوخ قدم ، وانك استطعت

أن تملك اللغة العربية وتسخرها لأغراضك ، وقد كانت تستعصى عليك وتنتهي بك أحياناً إلى مايكره سيبويه والخليل ، وصديقك طه حسين . وأنت تذكر ما كان بيني وبينك من جدال متصل في هذا الموضوع . فقد كنت أتهمك بقلة البضاعة في اللغة العربية وكنت تجيبني بأني أزهري . وكان أستاذنا لطفي السيد يسخر منك ومني في رفق وحنان . وقد مضت أيام وأعوام وما زلت أنا أزهريا كما كنت ، أما أنت فقد أتقنت اللغة العربية اتقانا وروضتها حتى ذلت لك . فأنت تستطيع أن تقول أني أزهري وأنا لا أستطيع أن أتهمك بالضعف في اللغة العربية . ولكن لكل شيء حدا . فما رأيك في أنك أتقنت اللغة العربية ، حتى لقد تسرف في هذا الاتقان وتصطنع من الألفاظ والاساليب ما يصح أن تعاب به لأنه أدنى الى التقعر منه إلى شيء آخر . صدقني فأنت أزهري في بعض الأحيان . وكم لى عليك من فضل أيها الصديق العاق . مازلت أعيب لغتك حتى اصبحت شيخا قحا ، . . . وقد ذكرت حين كتبت عن وصل الشعر والنثر في السياسة الاسبوعية بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٢٧ : « انت لا تكتب إلا اضطررت قراءك إلى الثناء والاعجاب ، وانت لا تسمع ثناء ولا تحس اعجابا الا ازددت إجادة وأمعنت في الإتقان . ولست ادرى إلى اين يذهب بك هذا الإمعان في إجادة البحث وإتقان التفكير والتوفيق إلى الجمال الفني فيما تكتب . الخ » لعلي لم اخطيء إذ وضعت تحت نظرك هذه العبارات وما قد تذكر من مثلها لاوجه اليك شيئا من اللوم غير قليل . فمالك ياصديقي وكلنا نعرف دقة ذوقك الادبي ، لم توجه نظري منذ تلك السنوات الطويلة إلى ما اتورط فيه من خطأ واضطراب في الاسلوب يدنيني احيانا من الابتذال . لقد كان لى اثناءها متسع من الوقت لاوجه شيئا من الجهد أسلم به من هذا الذى لم تنبهني اليه إلا اليوم . اما ولم تفعل فلعلي لا أغلو ياصديقي اذا اتهمتك بأنك خدعتني كل هذه السنين وعبثت بي كل هذا العبث ، وتركتني حتى تقدمت بي السن إلى حيث لا يستطيع الانسان إصلاح ما أفسد الدهر .

أم أن الأمر ليس كذلك ياصديقي وأنك أنت قد ازداد ذوقك الفني دقة زادت نقدك اللغة والاساليب بأساً وشدة ، فأخرجني ذلك من حظيرة رفقك وتسامحك . إن يكن ذلك فأنت جدير من أجله بكل ثناء ، جدير بكل تقدير على ما حباك الله مما كنت اود لو جاد على ببعض منه .

اما انى كنت ياصديقي على ما وصفت في سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ ثم عادت بضاعتي من اللغة العربية الى مثل ما كنت تذكر قبل خمس وعشرين سنة من قلة ، وعاد اسلوبي الى الاضطراب احيانا .

ان يكن ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله . وانا لله وانا اليه راجعون . فاما ان لم يكنه فلومى شديد اياك وعتبى عليك يقضى به عليك وفاؤك لصديقك ان تراجع كتبه كلها ما ظهر منها وما قد يظهر وأن تزيل منها ما قد يكون فيها من اضطراب وخطأ فان لم تفعل وجهت اليك اليوم ما وجهت أنت الى في سنة ١٩٢٦ من تهمة عقوق الصداقة وعدم الوفاء بما لها من حق .

أحسبك ستبتسم حين تقرأ هذه العبارة لأنك تعلم اني لا أضيق بأسلوبى ، ولا أجد به بأسا . ولعلك ياصديقي على حق . بل انك لعلي حق . فليكن اسلوبي ما يكون فلن ارضى به بديلا : فاسلوب الكاتب هو الكاتب . ولن أرضى لنفسي ان أكون إلا انا . انا بما في من حسن وقبيح . من خير وشر . من عرف ونكر . والحمد لله الذي جعلني كما انا ، ولم يجعلني شرا مما انا . والحمد لله الذي جعل كثيرين ممن تناولوا كتابي هذا وغيره من كتبي يعجبهم اسلوبي اكثر مما اعجبك ياصديقي .

ومالي اضيق باسلوبي ولم اتخذ الادب يوما صناعة ولا انا توفرت على دراسة الادب . انما انا رجل درس القانون ودرس الاقتصاد والسياسة ومال الى قراءة الفلسفة والادب لا الي دراستها دراسة انقطاع وتمحيص ، وطبيعي ان يكون اسلوبي اسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون ان تؤدي المعانى بالفاظ لا تزيد عليها ولا تضيق بها ، والذين لا يعنيهم لذلك بهرجة اللفظ للفظ ، وقد زادني حرصا على هذا الأسلوب أنى رايت مثله موضع الاطراء من طائفة من كبار الكتاب والفلاسفة . وانت لا ريب ياصديقي قد قرأت نقد « تين » لفلسفة كوزن في احد الاجزاء الثلاثة من كتابه (رسائل في النقد والتاريخ) ورايت كيف جعل من اشد ما آخذه به انه يطيل من حيث لا تقتضي الفكرة الاطالة ، وكيف جعل ينقل الصفحة الكاملة من كوزن فيضع فكرتها في سطرين او ثلاثة أسطر . هذا والادب الذي أقرأ ينحو اليوم نحو هذا الاسلوب . فبعد ان كانت روايات روسو تقع في خمسمائة صفحة او اكثر نزعت القصة شيئا فشيئا بأسلوبها الى الايجاز . لا في وقائعها ، ولكن في بهرجة الالفاظ التي تقص بها تلك الوقائع ، ولعل ميل العالم الحاضر الى السرعة في كل شيء هو الذى عفى على الأطالة ، فمل الاستماع الي الاشخاص الذين يعجبون بالاستماع الى كلامهم حين يتكلمون فيطيلون القول لتطول لهم لذة هذا الاستماع ، ومل قراءة الاشخاص الذين يعجبون بالفاظهم حين يكتبون فيطيلون رسائلهم وكتبهم لعل هذا الميل الى السرعة هو الذى مال حتى بالادب الى اسلوب

القانون، وهو الذي جعل الذين درسوا القانون في فرنسا وفي مصر وفي كل امة من الامم يجددون في الاساليب كما يجدد فيها الذين توفروا على دراسة الأدب، او أكثر مما يجدد فيها هؤلاء في بعض الاحايين، والفن الحديث هو الآخر ينحو هذا النحو، فالبساطة والقوة هما اليوم اساسه، ويخيل الى ان اسلوب هذا الفن واسلوب الأدب واسلوب القانون قد اتفقت اليوم وقد نفت الزخرف للزخرف، وأصرت على ان يكون اللباب هو الاساس في اساليبها جميعاً. اللباب الذى يعطي القطعة الفنية طابعها والذى يقيم نظريات القانون ويحقق رسالة الأدب، اللباب الذي يقف من هذه جميعا كالبيت المشيد من غير حاجة الى ماتعودته القرون الماضية من زخرف عصور الرومانتسيم ومن زخرف الكلاسيك انفسهم. ولعلك توافقني ياصديقي على هذا ولا ترى رايا غيره، وان كان الخلاف بيننا على اللغة وعلى الاسلوب قديما. فقد درجت انت من ازهريتك التى اشرت اليها الى اسلوبك الجديد، وجاهدت انا مااستطعت الجهاد حتى وصلت الى ما انا اليوم

لكنى أعترف ياصديقي بأنك على حق حين آخذتني بأنني أسرع فيفوتني لذلك التحقق من بعض الشؤون، وانك وقعت على هنة ما كان يجوز لى أن أقع فيها حين اردت أن أذكر الاوديسا فذكرت الانياد. واذا ذكرت لك انني انا الذى قمت بتصحيح تجارب الكتاب فقرأته عدة مرات قبل طبعه، رأيت أنى أكبر جريرة. لكنى اختلف وإياك، وإن كنت لا أحسب ذلك خلافا فيما ذكرت عن لابرو يير وموليير. فما أشك في أنهما تأثرا بكتاب اليونان ممن ذكرت ومن تعرف أكثر مما أعرف لأنك درستهم دراسة خاصة. ولكنني إنما أردت أن موليير ولابر ويير لم يتخذا من تاريخ اليونان والرومان إطار أدبهما كما فعل راسين وكورني. بل اتخذا الحياة المحيطة بهما وتأثرا بها إطار أدبهما. وهذه خطوة فى التحرر من آثار اليونان و الرومان مهدت للخطوات التى بعدها. فان تكن إشارتك ياصديق الى طائفة من الخطأ تأخذ به كتابى انما هي الى خطأ من هذا النوع، فلعله لا يكون خطأ. ولعلنا نستطيع أن نتفق عليه اتفاقنا على أكثر مافى كتابي من آراء، وليس شيء أحب الى من أن أتفق واياك. وان كنت أجد فى اختلافنا لذة لا أجدها فى خلاف يقع بيني وبين أحد غيرك.

وقد لاحظت يا أخي أن اشتغالى المتصل بالسياسة قد أثر في تصورى الاشياء وفى حكمى عليها بعض الشيء وذكرت لذلك مثلين: أحدهما انى اسرفت حين اسأت الظن بما يكتبه الاوربيون عن حياتنا الادبية بينما انت تظن ان «جب» وامثاله لا يأخذون السياسة واهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية. والثاني انى اسرفت حين أحسنت الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج وانى انما فعلت ذلك لارضى المصريين والشرقيين فى الأدب كما افعل فى السياسة. وانك أنت ترى هذا شرا لانه تغيير للحقائق العلمية ارضاء لمصر والشرق، والحقائق آثر عندك من أى شيء ومن أي انسان. وانني لأؤكد لك صادقا ان الحقائق العلمية آثر عندى انا ايضاً من كل شيء ومن كل انسان. واذا كان اشتغالى المتصل بالسياسة قد اثر فى تصورى الاشياء وفى حكمي عليها فانما كان أثره أن زادنى تقليبا للاشياء، وامتحانا لها وتعمقا فى بحث ما تنطوى عليه وما ترمى اليه. وأنا معك فى أن «جب» وأمثاله لا يتخذون السياسة وأهواءها مقياسا لدراساتهم الأدبية. لكن دراساتهم هذه، ودراسات الكثيرين منهم على الاقل، يقصد بها أكثر الأمر الى تنوير الساسة من أهل بلادهم، والى اطلاعهم على عنصر من عناصر حيوية الشرق هو فى رأيهم، وهو في الواقع، أجل هذه العناصر خطراً. فاذا كانت الاهواء السياسية ليست هي التى توجه دراساتهم فدراساتهم يقصد بها فى كثير من الاحيان الى خدمة هذه السياسة وإن قصد بها كذلك الي أغراض علمية بحتة. وما أحسبك تخالفنى ياصديقي فى أن كتاب «وجهة الإسلام» الذى الفه خمسة من كبار المستشرقين المشتغلين بالادب الحديث في بلاد الشرق المختلفة إنما هو كتاب سياسى مداه بحث ماوصلت اليه أوربا مما يسميه الاستاذ «جب» تغريب الشرق، ومايرجى لهذا التغريب، فى المستقبل من نجاح وانا لا أعيب هؤلاء العلماء المحترمين بهذا بل أحسدهم عليه أعظم الحسد. فهم به يخدمون أوطانهم ويخدمون العلم ويخدمون الحقيقة من ناحية سياسة بلادهم ومن ناحية الحضارة الغربية التي يريدون أن تظل المدنية الحاكمة فى العالم. وهذه الخدمة الجليلة التي يقومون بها لأوطانهم وللعلم ولحضارتهم حقيقة علمية يسّر لي اشتغالي بالسياسة الوقوف عليها. ولو أنك اقطعت للسياسة ياصديقي انقطاعي وأفنيت من تفكيرك فيها ما أفنيت انا لوافقتني على هذه الحقيقة ولم تتهمني بالاسراف اذ علمتها. وما ذكرت انا فى مقدمة (ثورة الأدب) عن الحضارة التي نعمل جميعا لبعثها، وهل هى حضارة اسلامية، ام حضارة غربية، واهتمام بعض الطلاب والطالبات الاوربيين برأينا فى ذلك وحرصهم على اقناعنا بأنها حضارة عربية، وليست حضارة اسلامية، اذا صدقوني، ففيه جانب من السياسة يعادل ما فيه من جانب البحث عن الحقيقة العلمية.

اما اني اسرفت متأثراً باشتغالي المتصل بالسياسة في حسن الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج فأحسب صديقي يوافقني على انه اذا زالت عوامل الفتور والضعف مما اشرت اليه في تضاعيف كتابي لما كان فيما قلت شيء من الاسراف . وإذا جاء اليوم الذي ينفسح فيه عندنا ميدان العلم وتزول كل العوائق التي تقف اليوم في سبيله والذي تتقرر فيه حرية العاطفة وحرية الحس وحرية الأدب والذي يبعث فيه تراث هذا الشرق العظيم ، والذي يكثر فيه المتعلمون تعلماً صحيحاً منا كثرة تسمح بالتخصص في الأدب والانقطاع لفرع من فروعه ، يومئذ يكون القول بقصورنا في الخيال وفي القوة على الانتاج تجنياً على هذه البلاد وعلى الحقيقة ، هذا الا ان تكون ياصديقي من الذين يقولون بان الاوربيين ينتمون الى الجنس الآري ، وهم لذلك ارقى منا ونحن ننتمي الى الجنس السامي بالطبع . وما إخالك تقول بهذا او تعتبره حقيقة كما يود بعض العلماء في اوربا اعتباره ، بل احسبك ترى هذه حقيقة سياسية يراد بترويجها تغريب الشرق والقضاء عليه بأن يبقى خاضعاً للغرب الى الابد .

واختم رسالتي هذه اليك ياصديقي بشكرك شكراً لاحد له وبان اشير عليك ان تقرأ كتيباً صغيراً كتبه بول جزل Paul Gsell عقب وفاة اناتول فرانس عنوانه Propos Anatole France لترى ما ذكر فيه عن موليير وشكسبير وغيرهما من كبار الكتاب وما قاله بعض النقاد فيهم . واذا كنت انت اكبر من هؤلاء النقاد ، وكنت أنا لاشيء الى جانب هؤلاء الكتاب الذين خلقهم القدر اعلاماً في حياة الانسانية بل في حياة الوجود كله كان فيما قرأت أنا من ذلك ما عزاني عن اسلوبي ، وعن بعض ما أخذت على بحق من هنات أو كدت لك اني سعدت بتنبيهك اليها اكثر مما سعدت بثنائك علي . افليست الحياة جهاداً متصلاً نحو الكمال ، كل في حدود ما يطيق ، وهل للكمال سبيل الا المجهود المتصل والتهذيب الدائم لهذا المجهود ، وتشذيب ما يند عن الطريق السوي فيه حتى لاينساق وراء الشذوذ فيضل الطريق السوي .
وهذا فضل لك جديد اضيفه الى سابق افضالك علي . وارجوك ان تعتقد اني دائما

صديقك الوفي المخلص
محمد حسين هيكل

(خطأ مطبعي) ورد في صفحة ٢٦ (لنكن) و(المقاونة) وصوابهما لنكون والمقاومة

من طه الى هيكل

« بقية المنشور على صفحة ٥ »

كرهت ذلك واكتفيت بالاشارة . فأما وانت لاتحب الاشارة ولا ترضى الا التصريح . فأذن لي في ان اضع يدك على طائفة من مواضع الضعف لافي ثورة الادب بل في هذا الكتاب القيم الذي ترد به علي في الرسالة اليوم وفي السياسة بعد غد .

فانت تقول في هذا الكتاب « وليست اخفيك » ولعلك توافقني على ان الخير في ان تقول « ولست اخفي عليك » ، وانت تقول « ويرى انها ماتزال لما تهدأ » ، ولعلك توافقني على أن لما هنا ثقيلة جداً مفسدة للاسلوب لوقوعها هذا الموقع النابي بين فعلين . وانت تقول « اذوضعت تحت نظرك هذه العبارة » ، واظنك توافقني على ان تحت نظرك هذه قريبة جداً الى الابتذال . وانت تقول « لن ارضى لنفسي ان أكون إلا أنا » . ولعلك توافقني على أن الصواب الا اياي .

ومثل هذا كثير ايها الصديق العزيز في هذا الكتاب وفي ثورة الادب . ولعلك ترى ان الخطأ والابتذال شيء ، وان البساطة والايجاز والقوة شيء آخر . وانك تستطيع ـ ان اردت ـ ان تكون بسيطاً موجزاً قوياً دون ان تخطيء او تدنو من الابتذال .

اما بعد فقد اعجبني منك ايها الصديق انك سجلت في كتابك على ثنائي عليك كله تسجيلا ، ففيم كان هذا التسجيل ؟

اخائف انت أن انساه ؟ وكيف انسى ما سجلت المطبعة ؟

اخائف انت ان انكره ؟ فثق باني قد اثنيت عليك صادقاً وما تعودت أن اعطي باليمين واسترد بالشمال ؟ بعض هذا المكر وبعض هذا الدهاء . فالامر بينك وبيني أرفع من المكر وأمتن من الدهاء ، وأوضح من ان يحتاج الى التسجيل والتشديد في الحساب .

اما بعد فهل تأذن لي في ملاحظة يسيرة جداً كنت اود لو لم احتج اليها ، ولكن حياة الادباء في هذه الايام تضطرني اليها . كم احب للادباء الا يضيقوا بالنقد والا يحفلوا بالرد عليه الا ان تدعو الى ذلك حقيقة علمية لاينبغي اهمالها ، فماذا يعنيك ان يحسن رأي الناس او يسوء في اسلوبك ، فان كان هذا يعنيك او يؤذيك فالخير في ان تجعل هذا سراً بينك وبين نفسك لا ان تعلنه الى الناس .

وأنا ارجو ايها الصديق العزيز ان تقبل مني تحية كلها الحب والاعجاب .

طه حسين

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
مص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العــدد الثاني عشر « القاهرة في يوم السبت ٨ ربيع أول سنة ١٣٥٢ — أول يوليــه سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العــدد

ذكرى المــولد...

في مثل هذا الأسبوع من مثل هذا الشهر لسنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة أعلن الله كلمته من جديد، في استهلال هــذا العربي الوليد!!

وكانت قافلة الحياة يومئذ جائرة السبيل حائرة الدليل خائرة العزيمة. والعالم الانساني يكابد في هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح، وجاهلية توثق العقل، ومادية ترهق الجسد. وكانت الولاية عليه في ذلك الحين لأعقاب من الروم شفهم الفسوق والترف، وأخلاف من الفرس هدهم الغلول والطمع، والناس غدا هؤلاء وأولئك أوزاع وهمج.. اللهم إلا شعباً نبيل الفطرة اعتصم بالصحراء من هذا الفساد الشامل، فما عبث بضميره سلطان، ولا عدا على خلقه طاغية.. نشأته الطبيعة على سجاياها المرسلة، وراضته على نظمها المحتومة، وصفَّاه الانتخاب الطبيعي بالغزو المتلاحق والدفاع المتصل، فأودى بضعيفه، وأبقى على قويه، حتى لم يدم على أديم الجزيرة إلا سيف صارم، وفرس جواد، ودارع بطل! ثم تنخل من هذه الصفوة الباقية في القرن السادس أمة وسطاً تمثل في قوة الحيوية، وكمال الرجولة، وصفاء الجنس، المثل الأعلى للانسان الأعلى (سوبرمان)

تلك هي الأمة العربية التي اختارها الله لقيادة شعوبه الحائرة،

واختار منها محمدا لتبليغ رسالته الأخيرة ...

* * *

بين إيوان كسرى وبلاط القيصر اهتز مهد العربي اليتيم في أرض مكة! فتصدع لهزته الايوان، وتطامن لهيبته القصر!! وكأنما هتف بالعاهلين العظيمين من جانب الغيب هاتف: «اليوم ينتهي تاريخ ويبتدىء تاريخ! ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد! إنما العبادة لله، والقيادة للرسول، والسيادة للدين، والحكومة للعرب، والدنيا للجميع!!»

* * *

وبين عرش القيصر وعرش كسرى انتصب منبر النبي الكريم في سماء المدينة! فتضاءل لجلاله عرش، وتقوض لدعائه عرش! ثم انبثق نوره القدسي في مجاهل البدو ومعالم الحضر، كما يبتسم الأمل في قطوب اليأس، وتومض المنارة في ظلام المحيط!

هنالك ظهرت الوحدانية على الوثنية، والغيرية على الانانية، والانسانية على العصبية، والاسلام على الجاهلية، ثم عرف الانسان قدر الانسان، وادركت النفوس جمال الاحسان، ووجدت قافلة الحياة طريقها القاصد!

* * *

كان العالم يقاسي حين ولد محمد بن عبد الله تفكك الخلق، وتحلل الرجولة، وضياع المثل الأعلى، فكان اكمل ما في حياة (الأمين) هذه الصفات النوادر: خلق عظيم شهد به الله، ورجولة كاملة خضع لها الناس، ودين يجمع الى سعادة الدنيا سعادة الآخرة، ورسالات الرسل انما تعالج بظهورها الفساد الذى استشري في العالم، والداء الذي استفحل في الناس. فاذا كانت معجزة الرسول في القرآن، فان مجده في الخلق، وفوزه بالرجولة. والشعوب المختلفة التى صهرتها شخصية العرب، وطبعتها ثقافة العرب، لم تصل الى الاخاء والوحدة الا على مناهجه وهديه.!

* * *

ظهر رسول الله والعرب أشتات من غير جامع، وهمل من غير رابط، وأحياء من غير غرض، فاضت في نفوسهم الحياة، وزخرت في صدورهم القوة، فصرفوا هذا النشاط العجيب الى نزاع لاينقطع، وصراع لايفتر. فحمل اليهم وحده رسالة الله لايسنده سلطان، ولا يؤيده جيش، ولا يمهد له مال، فنفروا منها نفور الوحش المروع! ثم رأوا فيها سيادة لأسرة، وخضوعا لقانون، وخروجا على عرف، فقابلوها بالعناد وعارضوها بالحجاج ودافعوها بالكيد. آذوا الرسول في أهله وفي صحبه وفي نفسه، فما وهن عزمه ولا لانت قناته. وانما قابل الأذي بالصبر، والسفه بالحلم، والفظاظة بالرقة، وهذا هو الخلق؛ ثم قارع الجدال بالتحدى، والمكابرة بالسيف، وهذه هي الرجولة: وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر محمد وحده على العرب! وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر العرب بعده على العالم!

* * *

فلينظر اليوم شعب محمد واتباع محمد ماذا في نفوسهم من دينه. وفي اخلاقهم من خلقه، وفي ايديهم من تراثه؟؟ فان وجدوا ان دينهم أصبح رسما محيلا في نفوس الخاصة، وأثرا مشوها ضئيلا في نفوس العامة، وان اخلاقهم فقدوها يوم فقدوا الحرية، واضاعوها يوم اضاعوا الملك، وان تراثهم أصبح نهبا مقسما بين شذاذ الشعوب وذؤبان الأمم، فليفيقوا من النوم، وليخففوا عن القدر اللوم، فان الله لايظلم الناس مثقال ذرة! ومن عاند طبيعة الحياة فقتل في نفسه الطموح، وفي فكره التجدد، وفي عمله الابتكار، ورضى ان يكون في الدنيا كالأثر في المتحف، انما يدل على ملك باد وشعب انقرض، كان يسيرا عليه ان يدع دينه للمبشرين، ووطنه للمستعمرين، ثم يقعد مقعد الخوالف يتحسر على المجد المفقود، ويتعلل بالأماني الكواذب!!

* * *

ان ذكري مولد الرسول ذكرى انطلاق الانسانية من اسر الاوهام، وطغيان الحكام، وسلطان القوة، وتحكم الجهالة. فما أجدر النفوس الذاكرة الحرة على اختلاف منازعها أن تخشع اجلالا لذكرى رسول التوحيد والوحدة، ونبي الحرية والديمقراطية، وداعية السلام والوئام والمحبة!! وما احق الزعماء الذين يحاولون اليوم توحيد العرب من جديد، أن يتخذوا مناهجه سبيلا الى هذا العمل المجيد!!

احمد حسن الزيات

لغـــو الصيف

للدكتور طه حسين

من هنا يا آنسة؟ من هنا؟ ثم أشار الى مائدة منعزلة كأنما هيئت لقوم يريدون الخلوة واعتزال الناس. فلما انتهيا اليها أعجبهما مكانها الجميل على شاطىء النيل فى ظل هذه الشجرة الضخمة الباسقة، قد مدت أغصانها فى قوة الى أمام، حتى إذا تجاوزت بها الشاطىء حنتها نحو الماء، وغمستها فيه كأنما تريد أن ترتشف منه، ونظر الصديقان من حولهما فلم يريا أحداً، ومد الصديقان بصرهما أمامهما وأطالا النظر الى النيل وهو يجرى من تحت أقدامهما فى قوة الشاب وهدوء الحكيم، ثم جلسا، وقال الرجل لصاحبته: هنا يحسن الحديث، قالت: ويحسن الصمت أيضاً، وقد ظهرت على وجه صاحبها علائم تدل على أنه لم يفهم عنها ما أرادت اليه، وأحست هى منه السؤال الذى لم ينطق به، فقالت وكأنها تجيب. ان تحدثنا تساقينا موسيقى الحوار، وإن سكتنا تساقينا نجوى الضمائر ووحى القلوب. ولنا فى كلتا الحالين لذة، ولنا فى كلتا الحالين متاع، فخذ بأيهما شئت. قال فأيهما تريدين؟ قالت لا أريد شيئاً إلا أن نترك أنفسنا على سجيتها. فان انطلقت ألسنتنا سمعها آذاننا، وان آثرت نفوسنا الحديث الصامت وعته قلوبنا. قال وهو يضحك: أيسر من هذا كله وادنى الى التناول أن نتساقى ما يبرد الغليل، ويرد عنا حر هذا القيظ، ثم دق يدا بيد فى شىء من الرفق. فاقبل الخادم وتلقى عنه أمره وانصرف

وكان هو طويلا نحيفاً، ظاهر النشاط، خفيف الحركة، مكتمل القوة، لا يظهر عليه ما يدل على سنه إلا خيوط بيض متفرقة قد انتثرت فى شعر رأسه إنتثاراً. وكان عذب الصوت، حازم اللهجة، معتدل الحديث، ولعله كان الى الابطاء فيه واصطناع الاناة ادنى منه الى الاسراع والتعجل، وكان صوته يمتد من حين الى حين، لا غضباً ولا تحمساً. ولكنه كان مقتنعاً بما يقول، فكانت حدة صوته ولينه يمثلان حظه من الايمان والاقتناع بما يقول.

وكانت هي ربعة، ممتلئة الجسم، مستقيمة القد، معتدلة القامة، وكان وجهها مشرقا شديد الاشراق، منسقا بديع التنسيق، تمر به من حين الى حين سحابة رقيقة جداً، من حزن لا يكاد يتبينها إلا من اعتاد أن يلقاها ويطيل صحبتها والتحدث اليها. وكانت هذه السحابة الطارئة لا تمر بها وهى تتحدث. إلا قطعت عليها الحديث فجأة، ثم لا تلبث أن تزول فيتصل الحديث، ولا تمر بها وهى تسمع إلا لهت عن محدثها لحظة ثم تزول، وإذا هي ترفع الى محدثها طرفا فيه شىء كثير جداً من الحياء والاشفاق وتستعيده ما قال فى صوت عذب، ولفظ حلو، يحسن مسه للآذان ووقعه فى القلوب. وكان صوتها هادئاً عريضاً يمثل نفسا هادئة غنية ممتلئة بالعواطف الخصبة والشعور الحي والعلم الغزير.

وكأن الفرصة أرادت أن ترضى حاجتها الى الصمت، وحاجة صديقها الى الكلام، فقد أقاما صامتين لحظة غير قصيرة ينظران الى سعى النهر امامهما، كأنهما ينتظران شيئاً، وكأنهما يلهوان بالنهر وسعيه الهادىء القوى عما يضطرب فى نفوسهما من الخواطر والآراء، ومن العواطف والاهواء، حتى إذا أقبل الخادم فهيأ المائدة وصف أكوابه وأطباقه، وانصرف راضياً عن نفسه مبتسما لضيفيه، نظرت هى الى صاحبها كأنها تسأله أن يبدأ الحديث فقال: وقد فهم عنها ما كانت تريد، لسنا فى حاجة الى أن نبتدىء الحديث، وما علينا إلا ان نأخذه حيث تركناه حين انتهينا الى هذا المكان الهادىء الجميل. قالت فان هدوء هذا المكان وجماله قد انسيانى حدة ما كنا فيه من حوار، واضطراب ما كنا نتبادل من رأى، فلننظر القضية من أولها، فلعل هذا الهواء الطلق وهذا المنظر الحلو، وهذا السكون الساكن، أن تكون قد ردتك الى شىء من الصواب وصدتك عما كنت فيه من جموح. فما أرى إلا أنك تظلم الأدب والأدباء جميعاً، وتقسط على الشبان والشيب. وكم أحب لك أن تكون سمح النفس، رضى الطبع، مستعداً لشىء من التجاوز، تعذر طيش الشباب، وترفق بحدة الشيوخ. قال فاحب ان أعلم اين الشباب واين الشيب، ومتى يكون الأديب شابا، ومتى يكون الأديب شيخا فهذا حديث طريف لم أسمع به فى مصر قبل هذه الأيام، ولقد رأيت الأدباء منذ عرفت الأدب ينشئون النثر ويقرضون الشعر على اختلاف اسنانهم وتفاوت حظوظهم من القوة والضعف، فلا يختصمون فى شباب ولا شيخوخة، وإنما يختصمون فى الرأى ويختصمون فى الفن، يعين بعضهم بعضا، ويدافع بعضهم بعضا، لا يعتز الشيخ على الشاب بتجاربه وكثرة ما انتج من الآثار، ولا يعتز الشاب على الشيخ بحداثته وقوته، ونضرة شبابه، واتساع الايام امامه، وانبساط الآمال له. قالت لم تر ذلك من قبل ولكنك قد رأيته الآن. فاى غناء فى أن تنكر

١٠ ٢٩

شيئاً حدث الآن لأنه لم يحدث من قبل، وأى فرق بينك وبين عامة الناس الذين يضيقون بالجديد، لا لشئ إلا لأنهم لم يألفوه ولم يطالوا عشرته.

إن فى الشباب نزوعاً الى الفوز، وطموحاً الى الظفر، وتعجلا لابتاع الشهرة وبعد الصوت، وكل هذا طبيعى، وكل هذا مألوف لأنه يلائم فطرة الشباب واخلاقهم. فلا تنكره عليهم ولا تصرفهم عنه، فانى اخشى ان يمت ذلك فى اعتدادهم، وأن يضعف من نشاطهم، وأن يرد بعضهم هذه الجبلة الى الخمود. قال لقد كنا شباناً كما كانوا، وكان لنا من رفاقنا فى الادب اساتذة قد سبقونا الى الحياة وتقدمت بهم علينا السن، وأخذوا من التجارب العلمية والفنية بحظوظ لم نأخذ مثلها. فما حسدناهم ولا انكرناهم، ولا جاهدناهم ولا قصدنا الى المكر بهم والكيد لهم، وإنما كنا نقفو آثارهم ونستمع لنصائحهم ونستعذب احاديثهم، ولعلنا كنا نحس ما بينهم وبيننا من خلاف، فلم يكن ذلك يغرينا بهم، ولا يصرفنا عنهم، وانك لتذكرين كم كنا نستعذب احاديث حفنى ناصف، وكم كنا نحرص على أن نروى عنه كل ما كان يحدثنا به من هزل القول وجده. وانك لتذكرين انا كنا ننصرف عنه بعد الجلسة الطويلة معجبين به محبين له، ثم لا نلبث أن نستعيد ما سمعنا منه فننكر بعضه ونعرف بعضه الآخر، ولا يمنعنا ذلك من ان نتعجل عودته الى القاهرة آخر الاسبوع لنلقاه فنسمع منه ونتحدث اليه. وما خطر لك ولا خطر لي ولا خطر لواحد من أصحابنا ان ينكر حفني ناصف لأنه كان شيخاً. ولأننا كنا من الشبان، أو يلوم حفنى ناصف، لأنه سبقنا الى الحياة والانتاج، فسبقنا الى الشهرة وبعد الصوت، إنما كنا نستعينه على ان نكون خيراً منه، وكان يعيننا على ذلك راضياً به مبتسماً له راغباً فيه. قالت: فانى أحب لكم معشر الشيوخ ان تكونوا كحفنى ناصف وأمثاله من أساتذتكم، لا تضيقون بابنائكم ان ثاروا أو تمردوا أو لعبت برءوسهم نزوات الشباب. هنا قال صاحبها فى شئ من الغضب الضاحك: ومن زعم لك أنى شيخ، هذا شئ لا أقره ولا ارضاه. قالت وهى مغرقة فى الضحك، وما يعنيني أن تقره أو لا تقره، وأن ترضاه أو لا ترضاه، فانت شيخ سواء أردت أم لم ترد. ألست قد انفقت أكثر من ربع قرن تنشئ الرسائل وتنشر الفصول وتذيع الكتب؟ أليس قد اختلف اليك أجيال من الشباب فقرأوا ما كتبت، وسمعوا ما قلت، وتأثروا بهذا وذاك. فمنهم من يذهب مذهبك، ومنهم من ذهب مذهب فلان أو فلان من اصحابك. فكن شيخاً او لا تكن، فانت أب على كل حال، ماذا أقول؟ بل أنت جد. فلم يختلف اليك جيل واحد وإنما اختلفت اليك أجيال، ولم تتخرج عليك طبقة من الكتاب، وانما تخرجت عليك طبقات. ولست أدرى ماذا يغيظك من الشيخوخة. وماذا يسوؤك منها؟ ولم تكره ان يراك الناس كما انت؟ بل لم تكره أن ترى نفسك كما أنت. ولم تريد ان تطمع فى غير مطمع؟ وتطلب ما لا سبيل اليه؟ فليس التصابى من الاشياء التى تحب أو يرغب فيها الرجل المحتشم، وقد عرفتك رجلا محتشماً، فاحتمل نفسك حيث أراد الله أن تكون، قال فى لهجة ماكرة وصوت عابث: فأنت شيخة إذن. فقد كتبت الكتب واذعت الرسائل، ودبجت الفصول. منذ عشرين سنة، قالت بل منذ خمس عشرة سنة. قال بل منذ عشرين. قالت لم أكن أكتب حين شبت الحرب. قال بل كنت تكتبين، وانى لزعيم أن اذكرك ببعض ما كتبت قبل أن تشب الحرب. قالت فاني لم أكن قد بلغت الخامسة عشرة. قال لا أقول انك شيخة فى السن، ولو قلت ذلك لكذبني ما أرى وما اسمع. فعلا وجهها احمرار شديد، ومدت يده فى رفق كأنما تريد أن تضربه. وهى تقول: متى تدع هذا العبث. ومضى هو فى الحديث. فقال: أنت على نضرة شبابك شيخة فى الادب.

قد كتبت منذ زمن طويل، وعلمت اجيالا مختلفة من الشباب وتخرجت عليك طبقات مختلفة من الكتاب. قالت تعال نتفق. لسنا شيخين ولا شابين، وإنما نحن شئ بين ذلك وانت ادنى الى الشيخوخة وأنا ادنى الى الشباب. قال ولا هذا، فلا بد من ان نتفق على معنى الشيخوخة فى الادب، فليس يكفى أن نكون قد اصطنعنا الادب منذ زمن طويل، وأثرنا فى أجيال مختلفة من الكتاب لنكون شيوخاً، وليس من الحق ان كل أب شيخ، ولا أن كل جد شيخ. فقد نكون آباء، وقد نكون أجداداً، ولكننا على ذلك لسنا شيوخاً، إنما الشيخوخة ضعف. وما أرى إلا أن الشيخ هو الذي أخذه الضعف، وبلغ منه العجز والفتور، فاضطر الى العقم، وحيل بينه وبين الانتاج. افترين انا قد انتهينا الى هذه الحال؟ انك تكتبين فى كل يوم، وانى اكتب فى كل يوم. والناس يقرأون لك ويقرأون لي، والناس يعجبون بك ويرضون عن بعض ما أكتب. قالت بعض هذا التواضع، ولكنه مضى فى الحديث فقال: وما زالت آمالك وآمالى فى الادب أبعد من ان تحد، وأوسع من ان تحصر، وما زلنا نتم الفصل او الكتاب.

(البقية على صفحة ٤٠)

الكيف لا الكم

للاستاذ أحمد أمين

روي ان ابن سينا كان يسأل الله أن يهبه حياة عريضة وان لم تكن طويلة، ولعله يعني بالحياة العريضة حياة غنية بالتفكير والانتاج، ويرى ان هذا هو المقياس الصحيح للحياة، وليس مقياسها طولها اذا كان الطول في غير انتاج، فكثير من الناس ليست حياتهم الا يوما واحداً متكرراً، برنامجهم في الحياة أكل وشرب ونوم ، أمسهم كيومهم ، ويومهم كغدهم ، هؤلاء ان عمروا مائة عام فابن سينا يقدره بيوم واحد، على حين انه قد يقدر يوما واحداً — طوله أربع وعشرون ساعة — بعشرات السنين. اذا كان هذا اليوم عريضا في منتهى العرض ، فقد يوفق المفكر في يومه الى فكرة تسعد الناس أجيالا أو الى عمل يسعد آلافا ، لحياة هذا — وان قصرت — تساوي أعمار آلاف بل قد تساوي عمر أمة، لأن العبرة بالكيف لا بالكم.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وتقدير الاشياء بالكيف لا بالكم منزلة لا يصل اليها العقل الا بعد نضوجه. أما الطفل في نشأته، والامة في طفولتها فأكثر ما يعجبهما الكم ، فالريفي عنده خير « الخيار » ما كبر حجمه وبيع بالكوم ، والمدني خير « الخيار » عنده ما خف جسمه وكان « كالقشة » وبيع بالرطل . والطفل وأشباهه يرغبون بكثرة العدد لا بجودة الصنف ، فحيثما مررت في الشارع أو زرت متجراً رأيت اكثر الترغيب بالكم ، « فاربعون ظرفا وجوابا بتعريفة » ، و « دستة اقلام رصاص بصاغ » ، وهكذا ، وسبب هذا ان البيع والشراء يعتمدان على ادق قوانين علم النفس ، والباعة من اعرف الناس بهذه القوانين التي تتصل بعقلية الجمهور ، فهم يعلمون انهم اكثر تقويما للكم ، واكثر انخداعا بالعدد، فهم يأتونهم من نواحي ضعفهم وموضع المرض منهم ، وقل ان يرغبوهم في الشيء بانه من « العال » أو « عال العال » ، لان هذا تقدير للكيف وليس يقدره الا الخاصة .

وكل انسان قد مر بدور الطفولة ، والامم جميعها مرت كذلك بهذا الدور فعلق باذهانهم تقدير الكم ولم يستطيعوا ان يتحرروا منه مهما ارتقوا ، وأصبحوا — حتى الخاصة منهم — ينخدعون بالكم من غير شعور وبلا وعي، وصار هذا مرضا ملازما ، انما يتحرر منه الفلاسفة والى حد ، ألا ترانا نري الرجل الضخم حسن الهيئة جميل الطلعة فنمنحه الاحترام، لو لم نعرف قيمته ، ونرى الرجل صغير الجسم غير مهندم الثياب فنحتقره لأول وهلة من غير ان نعرفه ، واساس معاملتنا بالاجمال احترام ذوي المظاهر الجيلة حتى يثبت العكس ، واحتقار ذوي المظاهر الوضيعة حتى يثبت العكس ، وليس ذلك إلا من خداع الكم ، ولو انصفنا لوقفنا على الحياد من الجميع حتى تتبين الكيف .

ونرى ذا العمامة الكبيرة واللحية الطويلة فنعتقد فيه العلم والدين، مع ان لا علاقة بين كبر العمامة وطول اللحية ، وبين العلم والدين ، وان كان ثمت علاقة فعلاقة الضدية، لان الدين محله القلب والعلم موطنه الدماغ ، واذا ملىء القلب دينا والدماغ علما ، احتقر المظهر وابى ان يدل على دينه او علمه بمظهر خارجي ، بل هو ان امتلأ دينا وعلما انكر على نفسه الدين والعلم، واعتقد انه ابعد ما يكون عما ينشده من دين وعلم ، وكذلك الشان في اللباس الجامعي واللباس الكهنوتي .

وقديما إدرك العرب خداع الكم فقالوا : « تري الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل » .

وقال شاعرهم :

ترى الرجل النحيف فتزدريه . وفي أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه   فيخلف ظنك الرجل الطرير

وفي كل شأن من شؤون الحياة وضرب من ضروب العلم والفن ترى خداع الكم، ولنأخذ الادب مثلا

فالمؤلفون يعلنون عن كتبهم أنها في أربعمائة صفحة - مثلا - من القطع الكبير ، والمتعلمون كثيرا ما باهوا بكثرة ما قرءوا ، والكتاب بكثرة ما كتبوا ، والصحافة كثيراً ما خدعت القراء بالكم. فكان مما اصطنعته زيادة عدد الصفحات في الجرائد والمجلات مع أن الصفحات وحدها كم، ولا قيمة لها ما لم يصحبها الكيف، وكم أتمنى أن أرى جريدة أو مجلة ترغب قراءها بالكيف فقط ، وإن كنت أجزم بإن مصيرها الفشل لإن اكثر الناس لم ينحوا - بعد - ميزان الكيف .

وقد جرت كثرة الصفحات في الجرائد والمجلات الى تحوير الاسلوب الى ما يناسبها ، فكان الاسلوب احيانا كالعهن المنفوش ، يصاغ في صفحة ، ما يصح ان يصاغ في عمود ، وفي عمود ما يصح ان يصاغ في سطر - ولست ادري لم كان الناس إذا ارسلوا تلغرافا

تخيروا اوجز الألفاظ لأغزر المعاني . ولم يفعلوا شيئا من ذلك في كتبهم ورسائلهم ومقالاتهم ؟ ولعلهم يفعلون ذلك لأن الكلمات في التلغراف تقدر بالقروش وليس كذلك فيما عداها . إن كان هذا هو السبب دل على تقدير القرش أكثر مما يقدر زمن القارىء والكاتب، وفي هذا منتهى الشر ، وفي هذا اقسى مثل لغفلة الناس في تقدير الكم لا الكيف

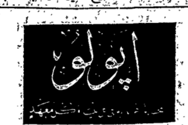
وقديما عرض علماء البلاغة للكيف والكم في الأدب وسموها اسما خاصا هو الايجاز والاطناب ، وعدوا الايجاز اشرف الكلام والاجادة فيه بعيدة المنال لما فيه من لفظ قليل يدل على معنى كثير، ومثلوا للايجاز والاطناب بالجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة ، فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ومن ينظر الى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها ، ولا يعدل عن الايجاز الى الاطناب إلا لايضاح معنى أو تأكيد راي .

والحق ان الأدب العربي في هذا الباب من خير الآداب، فأكثر ما صدر في عصوره الاولى حبات من المطر تجمعت من سحاب منتشر ، او قطرات من العطر استخلصت من كثير من الزهر

وبعد ، فلست احب ان تكون كتابتنا كلها تلغرافات ، وإذن لعدمنا ما للاسلوب من جمال، وما لتوضيح الفكرة وتجليتها وتحليتها من قيمة ، وإنما اريد ان يكون المعنى هو القصد وهو المقياس فان أطنبنا فللمعنى ، وإن اوجزنا فللمعنى

واريد ان يقوم الناس الكيف للكيف ، وإذا قدروا الكم فللكيف

ولعل من الطف ما كان ، اني حين بلغت هذا الموضع من مقالتي اخذت اعد صفحات ما كتبت، فوجدتها قليلة العدد فآلمني ذلك لأني لم ابلغ ما حزرت ان يكون ، ولأني خشيت ان يستصغرها صاحب « الرسالة » وقراء الرسالة ، وفرحت بهذه الملاحظة لأنها سدت فراغا ما في المقالة يكمل بعض ما فيها من قصر، ألسنا جميعا عباد (كم) ، أو ليس هذا من نوع تقدير الخيار بالكوم ؟



الشعر المرسل ايضا

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

نشرت الرسالة ترجمتين لقطعة من رواية « عطيل » الشهيرة، إحداهما نثر والأخرى شعر مرسل ، وقد حاولت أن أعرف رأي الأصدقاء في أوقع الترجمتين في نفوسهم أهي الترجمة الأولى أم الثانية . وكان رأي الكثرة أنه الشعر المرسل . على أن بعضهم استدرك في قوله ، فقال إن الذي يقرأ السطر الواحد من الشعر المرسل ثم يقف في آخره ينتظر ما اعتاد انتظاره من انتهاء المعنى يشعر بالمضايقة ، ويقبح في عينه ذلك الأسلوب .

ولكنه إذا قرأ ذلك الشعر المرسل على سجيته فلم يقف الا حيث يقف به المعنى وجده قولا سائغا لا قبح فيه .

وها أنذا أعرض على القارىء صفحة من رواية صغيرة لي بها علم وهي في شعر مرسل . وقفت فيها رجل غجري يحاول إمالة قلب فتاة من جنسه جامحة العاطفة معرضة عنه . وهي تجيبه إجابة تمنع ودلال :

الفتى : جرحت فؤادي

بدلال يثير في لهيبا

فأعيدي سعادتي وأعيدي

بسمات الرضا أعيدي حياتي

الفتاة : (ضاحكة ساخرة)

ليت قلبي يسير طوعي سميعا

فيلبي نداء كل شفيع .

أن قلبي له هواه فيمضي

حيث شاء الهوى جموحا عنيدا.

الفتى : كنت (ميسون) سلوتي وحياتي

فاذكري عهدنا القديم وعودي

لفؤادي الجريح ياميسون .

الفتاة : (بعناد)

ان ماء العيون يحلو جديدا

وجمال الغرام أن تتولى

كفراش الربيع بين الزهور

الفتى : (بتذلل)
أنت روحي وكيف أحيا وحيدا؟
فانظري لي ببسمة لأداوي
مهجتي —
الفتاة : (جامدة) . إنه كلام ثقيــــل
الفتى : (غاضباً)
ويل نفسي — أما بصدرك قلب؟
الفتاة : (ضاحكة)
لا تحاول نوال حبي برجاء
لا ينال الهوى بدمع وشكوى
إنما الحب آمر ليس يعصى
يأخذ القلب قاهراً منصورا .

. . .

ولعل القارىء اذا اتبع نصيحة ذلك الصديق فقرأ ذلك القول كما يقرأ النثر واقفاً عند نهاية المعاني وجد فيها ما يقبله ذوقه .

هذا وقد عرضت لي ترجمة بارعة لقصة أخرى من قصص شكسبير ، وهي ترجمة أستاذنا المفضل محمد بك حمدي ناظر مدرسة التجارة العليا ، وقد كانت ترجمة حلوة بديعة دقيقة في نثر حلو ممتع، واتفق أن قطعة من تلك القصة كانت كذلك مترجمة في شعر مرسل ، فرأيت أن اتبع الموازنة الأولى بموازنة ثانية ، لعل ذلك يكون أفسح في التدليل وأقوى إعانة على صدق الحكم .

وتلك القطعة المختارة هي في الموقف المشهور الذي وقفه انطونيوس برثي قيصر بعد مقتله ، وفيه استطاع تحويل رأي العامة من الحنق على قيصر والعطف على قاتليه الى الثورة للثأر له والانتقام من أعدائه .

ترجمة الاستاذ حمدي بك

انتوني : أيها الاخوان . أيها الرومان . بني وطني . اعيروني اسماعكم فاني ما جئت للتمــــديح بقيصر ومناقبه ، ولكن لاواريه لحده . واهيل عليه التراب . فقــد جرينا على أن ما يعمل الانسان من شر يخلفه ، وما يعمل من خير يرمس معه في غمار الرمم ولفيف الرفات ، وهذا شأن قيصر معنا اليوم نتناسى مناقبه ونعدد معايبه ، قال لكم بروتاس وهو رجل الشرف الصميم : أن قيصر طماع فان كان كذلك كان ذنبه يوجب الأسى والاسف كما كان جزاؤه ادعى للحزن والشجن ، إني أقف بينكم الآن في جناز قيصر باذن من بروتاس وهو رجل النبل والفضل وباذن من زملائه الآخرين وكلهم مثله أجلاء نبلاء ، ولكن قد كان لي في قيصر صديق حميم وبر كريم ، لم أعهد فيه الطمع الذي يرميه به بروتاس رجل الفضل والشرف ، أتاكم قيصر بالاسرى مكبلين

الترجمة الأخرى في شعر مرسل

أيها الروم يا صحابي وقومي
انصتوا ساعة لبعض مقالي :
لست آتي أصوغ قيصر مدحا
بل لأسعى مشيعاً لرفاته .
انما تخلد الذنوب وتبقى
بعد ما خاضها على حين تثوى
حسنات الماضين بين القبور
فليكن حظ قيصر مثل هذا .
قد سمعتم (بروت) وهو كريم
قال ياقوم إن قيصر طاغ
ولئن كان ما يقول صحيحا
كان هذا لا شك وزراً كبيرا
نال من أجله جزاء أليما .
فلندع ذكر ذاك . انى مدين
لبروت وصحبه إذ أجازوا
أن أقوم الغداة أرثي صديقي
فبروت كما علمتم كريم
وذووه كما عرفتم كرام :
كان نعم الصديق خلا وفيا
لا . ولكن بروت ينقم منه
أنه طامع حريص وانتم
قد عرفتم بروت شهما نبيلا .
إنه قد أتى بأسرى جموعا

فلاءت دياتهم بيت المال ، فهل كان في عمله هذا ما ينبيء عن طمع ؟ كان قيصر يبكي شفقة ورحمة كلما ذرفت الفقراء دموع الفاقة والاملاق ، وعهدي بالطماع أخشن طبعاً وأغلظ كبداً ، ولكن بروتاس يقول انه طامع وبروتاس كما تعلمون رجل الفضل والشرف . ألم تروا اني عرضت عليه التاج ثلاث مرات في (لوبركال) فكان يرفضه في كل مرة ؟ فهل كان هذا الطامع فيه ؟ ومع ذلك فان بروتاس يقول أنه طامع وبروتاس رجل الفضل والشرف . لا أريد أيها السادة أن أدحض دليل بروتاس ولا أن أقارعه الحجة بالحجة ، وإنما أنا أقول ما اعرفه من الحق الصراح . لقد كنتم كلكم تحبون قيصر حباً جماً فهل كان ذا من غير داع وبلا مسوغ ؟ إذن ما الذي يمنعكم الآن أن تقيموا عليه شعار الحداد ؟ بالنذالة ! لقد أويت الى قلوب الوحوش الضارية فغادرت الانسان جباراً عتياً فاقد الرشد والصواب عفواً سادتي أن قلبي مدرج مع قيصر في أكفانه فأمهلوني حتى يرتد إلي .

وحبانا فداهم أموالا
ملأت بالغنى خزائن روما .
أبهذا ترون قيصر يطغى ؟
كان والحق إذ يصيح فقير
يسبل الدمع رأفة ولعمري
إن قلب الطغاة عات صليب .
غير اني أقول هذا وانتم
قد سمعتم بروت وهو كريم
قال قد كان طامعاً جباراً .
أرأيتم تلك الغداة وانا
يوم عيد (الخصيب) إذ قد شهدتم
كيف قدمت نحوه التاج أرجو
لو تلقاه بالقبول ثلاثاً
فأباه . أكان ذلك حرصاً ؟
لا ولكن بروت قد قال حقاً
إنه طامع . ولا شك فيه
فبروت كما علمتم شريف
ولئن قلت ما علمت فاني
لست فيه مكذباً لبروت .
أيها الناس كان قيصر منكم
في ثنايا القلوب وهو جدير .
فلماذا أرى العيون صلاداً
جامدات ، وفيم هذا الجفاء ؟
لؤم ! قد أصبح الرجال سواماً
منذ طارت أحلامهم وكأني
بوحوش الفلاة أرجح عقلاً .
أي رفاقي لا تعذلوني وعفواً
إن تعديت في المقال . فاني
ضاع لبي وضل عني فؤادي
فغدا عند نعش قيصر رهناً .
فدعوني حتى الاقي فؤادي .
أنظروني حتى يعود جناني .

ولعلي أستطيع أن أسأل من لم أسأل من الإصدقاء بعد لأعرف رأيهم في هذه البدعة الادبية أهي وسيلة صالحة أم هي مدخل الى العبث والاسفاف ؟ فان كان من الأدباء من يراها صالحة رجوت أن يبعث لنا منها قصة غنائية أو ملحمة بارعة بعد أن يكون قد فاض عليها من جمال روحه وروعة عبقريته .

م. ف. أبو حديد

بين بريسكا[1] وتوفيق الحكيم

بريسكا : اني أبغضك . أبغضك من أعماق قلبي .

ت . الحكيم : استغفر الله ! لماذا يا سيدتي ؟ ما جنايتي ؟

ب : وأحتقرك كما أحتقر غالياس .

ت : لاحظى يا سيدتي قبل كل شيء أن ليست لي لحية غالياس !

ب : قل لي أنت قبل كل شيء : ماذا عليك لو انك أبقيت لي مشلينيا ؟ . . لو ان قلمك تمهل لحظة صغيرة ولم يقصف تلك الحياة قبل أن يحضر غالياس وعاء اللبن . . . ! ماذا كسبت أنت من موت مشلينيا قبل الأوان ؟ لحظة واحدة صغيرة كانت كافية لانقاذ الفتى . . لكنك ضننت بها أيها القاسى الظلوم !

ت : لست قاسيا يا سيدتى ولا ظلوما . ولو كنت أملك أمر بقاء مشلينيا دقيقة واحدة لأبقيته لك عن طيب خاطر .

ب : لو كنت تملك ؟ ومن غيرك يملك ؟ !

ت : لا تحملنى يا سيدتى هذه التبعة .

ب : جميل أن يتنصل خالق من تبعة خلقه كل هذا التنصل ! !

ت : ما أظلم الانسان ! وما أحوج المبدعين الى الرحمة والرثاء في هذا الوجود !

ب : نحن الظالمون وهم المظلومون ! شيء بديع !

ت : انكم تحملونهم التبعات وترمونهم بالظلم وهم براء من كل صفة من الصفات . فلا ظلم ولا عدل ، ولا قسوة ولا حنان ، ولا غضب ولا رضى ، تلك عواطف لايعرفونها ولا يشعرون بها . ولو أصغى إله لصوت آدمى لانحل الكون فى طرفة عين . كما تنحل قصة أهل الكهف لو اني أصغيت الى شخص واحد من أشخاصها ! فأنت تريدين أن أؤخر موت مشلينيا دقيقة . ولاتعلمين أن هذه الدقيقة الواحدة كانت كفيلة أن أن تغير وجه القصة وتقلب مصير الأشخاص وتأتى عناصر الفوضى فى العمل كله ، كلا يا سيدتي . اني لم أرد موت مشلينيا ولم أرد بقاءه . ولم أحب ولم أكره . ولم أظلم ولم أعدل . ان المبدع لايمكن أن يخضع لغير قانون واحد : « التناسق » . .

ب : هذا كلام تبرر به قسوتك .

ت : أنت ياسيدتى لا تعرفين ما مهنة المبدع ! ثق ان كلمة « قسوة » لا معنى لها في تلك المهنة .

ب : أنت كائن لايمكن أن يفهمني ولا يمكن أن يفهم الحب .

ت : لا أفهمك ، هذا صحيح . أما انى لاأفهم الحب فهذا غير صحيح .

ب : هل أنت تفهم الحب ؟

ت : قليلا .

ب : هل أحببت فى حياتك . . ؟

ت : أيتها الأميرة . لا أسمح بالكلام فى شئونى الخاصة .

ب : معذرة . انما أردت أن أعرف كيف فهمك للحب ؟

ت : ماذا تريدين أن تعرفي : أحب الخالق وهو روح التناسق . أم حب المخلوق . . ؟

ب : حب المخلوق . . حب القلب . . الحب ماأريد . صدقت مادمت أنت خالقا وأنا مخلوقتك فان بيننا تلك الهوة . . فأنت لا تنظر إلىّ بعين خاصة . ولا تعرفنى معرفة خاصة . ولا تتصل بي اتصالا مباشراً . إنما تنظر إلىّ كعنصر من عناصر الكل المتسق . تنظر إلىّ بعين ذلك القانون الذى تحكى عنه ، وينبغي أن تكون مخلوقا مثلى وعنصراً أو جزءاً مثلى حتي يكون بيننا ذلك الارتباط الخاص وذلك الالتفات الخاص . فهبك كذلك وهبنى أحببتك فهل تحبنى ؟

ت : يالك من ذكية ماهرة !

ب : أجب . إذا أحببتك . . . ؟

(١) بريسكا شخص من اشخاص رواية (اهل الكهف) التى الفها الاستاذ توفيق الحكيم وهى حبيبة مشلينيا

ت : ومشلينيا؟

ب : دعنا الآن من مشلينيا.

ت : إذا أحببتني؟.. أنا..؟

ب : نعم.

ت : إني أخشى هذا الحب.

ب : لماذا؟

ت : لأنك لن تحبيني.

ب : من أين لك العلم؟

ت : هل رأيتني؟ إني لا أشبه مشلينيا في شيء فلست لي قوته ولا جماله ولا قوامه ولا ذراعاه ولا شفتاه.....

ب : ولا قلبه؟

ت : أتردد قبل أن أجيب. قد يكون لي قلبه. لكن ثقي أني إذا شقيت في هذا الحب فاني لا أذهب الى الكهف ولا أموت جوعا. أولا ليس عندي كهف أموت فيه. وان وجدنا الكهف فلسنا واجدين الشجاعة والصبر عن أكل الشواء والدجاج يوما واحداً.

ب : إذن ليس لك حتى قلبه أيضا!

ت : نعم وا أسفاه!

ب : إذن ما يصنع مثلك لو شقي في هذا الحب؟

ت : يذهب الى كهف من كهوف النبيذ في مونمارتر.. ويؤلف قصصاً تمثيلية.

ب : مرحى! مرحى..!

ت : لا تغضبي أيتها العزيزة بربك.

ب : أهكذا فهمك للحب؟

ت : ماذا تريدين؟ إنا لسنا قديسين!

ب : أنتم مدعون!.. كنت أحسبكم خيراً من هذا!!

ت : كذلك قال غالياس يوما. فيما أذكر عن القديسين الثلاثة إذ خاطبهم وحادثهم. ألا تذكرين؟

ب : كنت أظنك على الاقل خيراً من غالياس المسكين فهماً للحب!!

ت : يشق علي أن يخيب ظنك فيَّ ياعزيزتي!

ب : عزيزتك! كلا. لست أسمح لك. انك تخاطبني كما لو كنت تعرفني من قبل. أو كما لو كنت لي بعلا!!

ت : حقيقة أيتها الاميرة. ليس لي هذا الشرف.

ب : تستطيع أن تنصرف يا هذا.

ت : أنصرف الى أين أيتها الأميرة..؟

ب : أتسألني؟ الى حيث كنت.. الى حانتك..

ت : أين هي هذه الحانة؟ في دمنهور؟ أو في قهوة «جراسمو»؟ ما أكثر أوهامكم أيتها المخلوقات!

ب : نعم ما أكثر أوهامنا.. وتخيلاتنا.. وخيبة آمالنا!..

ت : ذلك انكم تريدون أن تخضعوا كل شيء لخيالكم أنتم.

ب : صدقت. إنا نتمثل القديسين والآلهة كما تصورهم لنا عقولنا..

ت : ثقي أن لو كشف المجهول يوما لأعين البشر لصاحوا كلهم بكلمتك التي لفظت الساعة: وكنا نحسبه خيراً من هذا..!

ب : ربما.

ت : ذلك انهم سيرون المجهول شيئاً لا علاقة له بعقلهم ولا بخيالهم ولا بمنطقهم ولا بعواطفهم ولا ببشريتهم.

ب : إنا مخلوقات. ماذا تريد من مخلوقات؟ إنا لا نستطيع أن نخرج من أنفسنا لنفهم ونرى شيئاً غير أنفسنا.

ت : ومع ذلك فان لهذه المخلوقات كنزاً لا يوجد عند الآلهة.

ب : القلب.

ت : نعم.

ب : إني أؤمن بما تقول. فها أنت ذا خالق من نوع تافه. ليس لك القلب الذي لمشلينيا..!

ت : أعترف اني أقل شأناً من حبيبك.

ب : ومع ذلك فقد اجترأت يدك على إطفاء حياته الجميلة....

ت : عدنا الى الاتهام.

ب : إني أبغضك.. أمقتك.. أبغضك من أعماق قلبي..

ت : سبحان الله! أقسم أن لا فائدة من مناقشة امرأة تحب.

أدب القوة وأدب الضعف

للاستاذ محمود الخفيف

أحس إذ أتناول هذا الموضوع أنى بين عاملين: عامل الحياء وعامل الفخر. أما الحياء فاول دواعيه أن أعقب أنا الصغير على مقال أستاذنا العلامة احمد امين. وأما الفخر فحسبي أن يقرأ لى الاستاذ سطوراً قد تحظى برضاه في موضوع كهذا يعنيه.

يرى الاستاذ «أن الشاعر المجيد هو الذى يثير العواطف بقدر، ويبنيها على أساس عميق»، ويرى أن الأدب فى العصر العباسى كان أدباً ضعيفاً إن أنت حصرته وجدته بين باك ومادح ومستهتر، ثم يرى أن عود الأديب الشرقى على نحو عود المغني الشرقى أشجى أغانيه أحزنها، وخير نغماته أبكاها.

وعلى ذلك يسمى الاستاذ ذلك النوع من الأدب الباكى الذي يتعمق فى أثارة العواطف أدباً مائعاً، وذلك الأدب الذى لا يثيرها إلا بقدر أدباً قوياً. فهل يسمح لى الاستاذ أن أتجرأ فأقلب هذا الوضع، فاسمي ذلك الأدب الوجدانى الجياش الذى يبالغ في اثارة العواطف أدبا قويا، وذلك الأدب الذى لا يمت الى العـاطفة بصلة قوية أدبا جافاً أو مائعاً؟

أرى الانغام الوجدانية الحادة أساس الأدب الحاد، ولن يكون الأدب الحاد مائعاً، وأري العبارات الخالية مما يثير العواطف أو التي تثيرها بقدر أساس التفكير العقلى، والخطوة الاولى نحو الفلسفة «القوية»، ولن تكون الفلسفة القوية أدبا قويا، وعلى ذلك فما يسميه الاستاذ أدبا مائعا هو فى الواقع أدب قوي، وأما ما يسميه أدبا قويا فهو فلسفة قوية.

والأدب والفلسفة شيئان: فالأدب لغة القلب، والفلسفة لغة العقل، والانسان إنما يبدأ بقلبه فيفرح أو يبكى ويحب أو يبغض ويرضى أو يغضب ويأمل أو ييأس ويثور أو يهدأ حسب مايحس من عواطف، فان كان لابد من تخفيف حماسه، فليكن ذلك بشىء من حدة عقله، ولكنى لا أرى تجريده من ذلك الحماس ولا أحسب ذلك ممكنا، إذ ما القلب بغير حماس؟ ثم ما الأدب بغير عاطفة؟

وإذا اشتدت العاطفة فكيف يكون الأدب مائعاً، وكيف تشتد العاطفة إلا إذا اشتدت بواعثها؟ وإذا ما اشتدت بواعثها فما القوة إن لم تكن القوة فى إظهارها قوية رائعة؟

أن الانسان بطبعه عسوف عنوف، لا يسكن إلا لعجز، ولا يرتدع إلا من خوف، ولا يعفو إلا عن ضعف، ولا يقنع إلا مضطراً، ولو أطلق له العنان لكان شره مستطيراً ومكره خطيراً بيد أنه على غلظته لا يخلو قلبه من عواطف نبيلة، ولكنها خامدة وميول خيرة ولكنها كامنـــة، ولذلك فهي فى حاجة الى الاثارة والتنبيه، والأدب الوجدانى الحاد يخاطب القلوب فيهزها ويستثير ما كمن فيها من نبل فيبعثه، ولذلك كان هو عماد المصلحين ودعاة الانسانية، فانك ان تخاطب الانسان فى منطق وفى عبارات جافة فقلما يصغي اليك، وان استمع فقليلا ما يعى، وإن أنت بدأت بقلبه فهززته فى رفق وألنته بأنغام قيثارتك ثم أهبت به فقد يهوى اليك.

تحدث شكسبير عن تأثير الموسيقى فى النفوس فبدأ بالعجماوات فقال ما بال تلك الوحوش الكاسرة تسمع أناشيد الموسيقى فتمعي متراخية وتظهر كأنها مأخوذة حائرة؟ وما بال ذلك العـــدد المضطرب من الخيل الجامحة يسمع الموسيقى فيهدأ فجأة ويسير فى نظام كأنما تذهب الأنغام ثائرته وتسحره عن نفسه.

والأدب الوجدانى موسيقي النفس، وموقفه من القلوب البشرية الفطنة موقف الموسيقى الحسية من تلك الخلائق الهائمة الثائرة، فهو الذي ينفذ الى القلب ويختلط بالنفس فيلائم بين ذراتها وينظم تموجاتها. ويقلل من عنف الانسان وجبروته فيجعله رقيقا وادعاً.

ولا تثريب على الشاعر، أو القصصى أن يبكى فيبكى عيونا تكاد أن تتحجر، ويفتح آذاناً ضربت عليها المطامع المادية ويهز قلوباً كانت لا تحفل دعاء أو تجيب رجاء.

وهو أن بكى على نفسه فغير ملوم، فانما ينطق بما يحس، وبذلك ينفس عن قلبه وقد تخفق قلوب معه وتهوى أفئدة اليه، وها هو ذا البارودى الفارس يقول:

أفى الحق أن تبكى الحمائم شجوها
ويبـــلى فلا يبكى على نفسه حر؟
وماذا عليهم إن ترنم شاعر
بقافية لا عيب فيها ولا نكر؟

وهو في بكائه غير ضعيف، بل أن حدة عواطفه لتنهض دليلا على قوته، وإلا فما أضعف جيته ولا مرتين وهوجو وأبا فراس والمعرى وغيرهم ممن ضربوا على أوتار حزينة باكية!

ولقد بكى هؤلاء فى شبابهم أعني فى أيام قوتهم وبكوا القوة احساسهم ونبالة قصدهم وجمال انسانيتهم.

ومن البلية أن يسام أخو الأسى رعى التجلد وهو غير جلاد

وليس من الضرورى أن يكون الشعر المتناهى فى وصف ما يلاقي المحب من عذاب غير مؤسس على عاطفة صحيحة، لأن

مثل هذا الشعر يكون ترجمة لاحساس الشاعر فما دام انه يحب فله أن يعبر عما يحس، وليس لنا أن نتهمه فى ذلك بضعف، بل أنه يكون ضعيفاً حقاً ان هو أخفى عذاباً من وراء حبه ثم لم يستطع الافصاح عنه.

ولم يكن الأدب العباسى ضعيفاً، لما جاء فيه من بكاء ومديح واستهتار، فان الأدب فى كل عصر صورة لذلك العصر، فاذا عبر أدباء العباسيين عما يحسون فلم نتهمهم بالضعف؟ وإذا كان أدبهم حزيناً باكياً يتخلله المديح والاستهتار فكيف كان يتسنى لهم أدب غيره؛ وإذا هم تطاولوا فى غير عزة وتفاخروا في غير فخر وضحكوا فى غير مرح، افما كنا نتهم ادبهم بأنه سقيم وائف أو بعبارة أخرى ضعيف مائع؟

ثم أن الضعف السياسى لا يستلزم أن يكون وراءه ضعف فى الأدب، بل لقد يكون الضعف السياسى ذاته سبباً قوياً من أسباب قوة الآداب، كما يحدث عند انقسام الدول الواسعة كما كان الحال فى القرن الرابع، وكما كان الحال عند الاغريق فى مدنهم الحكومية وكما كان الحال فى النهضة الايطالية الحديثة.

وليت شعرى لم لا يكون بكاء الشعوب على ما يصيبها قوة واستنهاضاً للهمم؟ هزمت فرنسا فى حرب السبعين وخرجت ألمانيا متفاخرة بالنصر، فخاطب أحد أدباء الفرنسيين الألمان الظافرين بقوله «نعم قد انتصرتم علينا ولكن ليس لديكم شاعر ينشيد بنصركم كشاعرنا هذا الذى يبكينا على مصابنا» فهل كان بكاء الفرنسيين فى ذلك الوقت ضعفاً؟ اللهم لا.

وأما ما جاء عن مصعب بن الزبير حين استخفه الطرب، وعن استخفاف المنصور به لذلك حتى جعله يتمثل بتلك الأبيات التى أوردها الاستاذ، فاقول أن مصعبا كان متغزلا وأن المنصور كان متفاخراً وشتان بين الموقفين، فهذا تستملح فيه الرقة واللين وذلك لا يليق فيه إلا الصرامة والشدة، وإذا كان فى كلام مصعب ضعف فماذا يكون فى كلام الرشيد وهو يخاطب جارية بهذا البيت:

أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس كلهم عبيدى؟

وبعد فيعجبنى من الاستاذ قوله أن أرقى الأدب فى نظره ما أحيا الضمير، وزاد حياة الناس قوة، وهذا فى رأيى هو الأدب الوجدانى القوى، هو ذلك الأدب الذى يرقق القلوب، ويستثير الهمم ويطهر النفوس، هو ذلك الأدب الذى يجعل من الشيخ شاباً فتياً، وهو ذلك الأدب الذى يملأ المحاجر بالدموع والقلوب بالشفقة والحنان؟

فلسفة سبينوزا

للاستاذ زكى نجيب محمود

لم يكد سبينوزا يبلغ سن الشباب، حتى انكب على الفلسفة يدرسها دراسة صادفت فى نفسه هوى. فأخذ ينهل من مواردها العذبة، ويؤثرها على كل شىء. وقد طالع فيما طالع فلسفة برونو فوقعت منه آراؤه موقع الاعجاب، وامتلأ ذهنه بما قاله ذلك الفيلسوف من: أن الوجود فى جوهره وحدة متجانسة، وان تعددت ظواهرها. اذ نشأت جميعها من أصل واحد، ثم اتخذت الوانا مختلفة لا تغير من جوهر طبيعتها المتجانس.

كذلك اعجبه رأى برونو المذكور القائل بأن الروح والمادة شىء واحد، فبكل ذرة من ذرات الكون يتحد فيها الجانبان: الروحى والمادى، وعنده ان موضوع الفلسفة هو ادراك تلك الوحدة التى تربط هذه الأشتات المتضاربة فى الظاهر فترى الروح فى المادة، كما تلمس المادة فى الروح.

ثم قرأ سبينوزا فلسفة ديكارت قراءة درس وتمحيص، فدعاه الى التفكير الطويل رأى ديكارت فى تقسيم الكون الى شطرين: شطر مادى متحد فى الجوهر على الرغم مما يبدو فى الأجسام المادية من اختلاف، وشطر روحى متجانس فى جوهره كذلك، وهو عبارة عن مجموع القوى العقلية الحالة فى مختلف الأجسام، وتدير هذين الشطرين وتشرف عليهما قوة الهية عليا... قرأ سبينوزا ذلك فلم يوافق على شطر الكون، واختمرت في نفسه على الفور فكرة وحدة الوجود التى تقول بأن الكون شطر واحد لا يتجزأ، وهذه الفكرة هى المحور الذى تدور حوله فلسفة سبينوزا، وها نحن أولاء نتناولها بالشرح والتحليل.

يقول سبينوزا ان فى الكون حقيقة واحدة خالدة، هى عبارة عن قانون عام شامل لا ينقص ولا يزيد. هذه الحقيقة الخالدة، أو هذا القانون الشامل، لا يمكن ان يعبر عن نفسه ويفصح عن حقيقته الا بواسطة الاجسام المادية، فاتخذ من تلك المادة التى تملأ جوانب الكون، قوالب وأشكالا لكى يبرز عن طريقها الى عالم الواقع المحسوس، وهذه الصور والأشكال المادية التى تتخذ وسيلة للتعبير عن ذلك

القانون الخالد، لا تظل على هيئة خاصة معينة، فهى متغيرة متبدلة أبداً، بل قد تزول وتفني، ولكن تلك الحقيقة نفسها باقية خالدة لاتفني ولا تزول، بل لاتنقص ولا تزيد، وهى لاتفنا تلبس هذا الثوب المادي وتخلع ذلك الى أبد الآبدين. ذلك كما تقول ان للدائرة قانونا لايتغير، يخضع لناموسه كل ماوجد أو يوجد من الدوائر، وان كانت الدوائر نفسها تمحى وتتجدد، الا ان قانونها يظل باقياً لايعتريه التبدل أو الفناء. فأجسامنا وأفكارنا وهـــذه الأرض التى نعيش عليها، وكل ما يحتوي الكون من أشياء، كل ذلك صور مخالفة تستخدم لابراز الحقيقة الكائنة وراءها. والتي لا يمسها معنى من معاني التغيير والتبديـــل، انما القوالب المادية وحـــدها هى التي تخضع لذلك التبديل والتغيير.

فالطبيعة على هذا الاساس مزدوجة الجوانب، فهي فعالة حيوية منشئة من ناحية (قارن أل Elan vital في فلسفة برجسون) وهي منفعلة متأثرة منشأة من ناحية أخرى، هـــذا الجانب المنفعل المتأثر من الطبيعة: هى اجزاؤها المادية، هي هذه الجبال والبحار والمزارع والرياح وما الى ذلك من الصور المادية التى لايحدها الحصر، أما الجانب الفعال المنشىء فهي تلك القوة الكامنة وراء هـذه الصور المادية، وهي التي خلقتها خلقا وأبدعتها ابداعا، أو بعبارة أوضح هو الله عز وجل...

ويقصد سبينوزا بكلمة «الله» ذلك القانون الثابت الذي لا يجوز عليه التغيير أو الفناء، تلك القوة الفعالة التي تنظم الكون وتباشر ترتيب ما يطرأ من احداث على المادة التى تملأ جوانب الكون. ولولا تلك القوانين العامة التي يسير بمقتضاها العالم، لتداعي الكون بعضه على بعض، مثل ذلك مثل الجسر (الكوبرى)، فهو فى حد ذاته كتلة من المادة، ولكنه مشيد على أساس من القوانين الرياضية والميكانيكية، التي وان تكن مختفية لا تظهر بشكل محسوس، فى مادة الجسر، الا أنها كامنة فيه، ولو اختل واحد منها انهار البناء على الفور. فالعالم المادى بمثابة ذلك الجسر، والله سبحانه وتعالى من هـذا العالم بمثابة تلك القوانين التي لا ترى ولكنها لا تنكر.

وعلى هذا الإعتبار تكون ارادة الله وقوانين الطبيعة شىء واحد، وكل ما يقع من حوادث عبارة عن النتيجة الآلية المحتومة لتلك القوانين الدائمة، أى أنها ليست عبثا ولا فوضى. فهذا العالم تسيره تلك الارادة العليا، وليس مخيرا فى كثير ولا قليل مما يفرض عليه فرضا، وليس له عن تنفيذه محيد. والإنسان — ككل جزء آخر من أجزاء العالم — يسير كذلك فى هذه الطريق المرسومة، الا أنه قد تبلغ به الانانية حدا بعيدا فيظن أنه المقصود من خلق هذا الكون الفسيح، وان هذه الطبيعة وما فيها انما وجدت من أجله ولصالحه، ولكن لا يجوز للفيلسوف بحال من الأحوال ان ينظر الى العالم هذه النظرة الشخصية الضيقة فواجب أن نجرد أنفسنا من نزعتنا البشرية، حتى يتسنى لنا أن ندرك الكون مستقلا عنا، بعيدا عما تمليه أغراضنا، وان ندرسه دراسة موضوعية (objective) كحقيقة عارية لا تؤثر فيها الميول الانسانية. فلا ننسب الخير والشر لهذا الشيء أو ذاك لأن الخير والشر نسبيان للبشر، وليس لهما وجود فى الواقع، فاذا ما حكمنا على شيء فى الطبيعة بأنه عبث وشر، أو أنه يثير فينا السخرية. فذلك لأننا لا نعرف الأشياء الا معرفة جزئية، ولأننا نريد أن تسير الأمور كما نشتهى نحن، وحسب ما تمليه عقولنا. لأننا نجهل أن الكون وحـــدة لا تتجزأ، فما نحكم عليه بأنه شر ليس فى الحقيقة شرا بالنسبة للقوانين التي تسير الطبيعة بمقتضاها، ولكنه شر بالنسبة لطبيعتنا نحن بعد فصلها وانتزاعها من تلك الوحدة الكونية. فالشر والخير أوهام لا تعرفها الحقيقة الخالدة. لا ولا الجـــال والقبح لأنهما كـــذلك أوصاف أصطلح عليها الانسان. فالشيء الجميل والشيء القبيح هما فى نظر القوانين العامة سواء ولا تفضيل لأحدهما على الآخر. هكذا يريد سبينوزا أن نجرد أنفسنا من كل النزعات والميول والأغراض وأن ننظر الى العالم من وجهة نظر الواقع، لا من وجهة نظرنا نحن، حتى نصدر أحكاما صحيحة، يجب أن ننظر الى العالم نظرة مجردة كما ننظر الى المثلث مثلا، فأنت لاتحكم عليه كما يقع فى نفسك، فيكون لك فيه رأى ولى فيه رأى آخر، لا بل تنظر اليه بالنسبة الى القانون العام المجرد الذي يتحكم فى جميع المثلثات على السواء، فيكون المثلث عندك كما هو عندى وعند أى انسان. فلننظر اذن الى هذا العالم من وجهة نظر قوانينه الثابتة الشاملة حتى لا يتغير باختلاف الميول والأشخاص.

ويزعم سبينوزا: ان تلك النظرة الشخصية قد أفسدت علينا فهم الله سبحانه وتعالى فهما صحيحا، فأخذنا ننسب اليه صفاتنا نحن، لماذا؟ لأننا أبصرناه من نافذة نفوسنا، ولم نتجرد لنطل عليه من جانب الحقيقة والواقع، فنحن مثلا نتصور الله فى صورة المذكر دائما، ولا نرضى ان نصبغه بصبغة التأنيث، نقول هو

ولا تقول هي ، وليس ذلك الا نتيجة لخضوع المرأة لسلطان الرجل ، كذلك ننسب اليه كل الصفات التى نراها حسنة كاملة لا من حيث الواقع ولكن من حيث حكم العقل البشرى المحدود بميوله وأغراضه . وقد كتب سبينوزا فى ذلك الى أحد معارضيه يقول : « اذا اعترضت على بأننى لا أريد أن أصف الله بالنظر والسمع والملاحظة والارادة وما الى ذلك من الصفات . . . فانت اذن لا تعرف الإله الذى أتصوره ، وأحسب أنك لا تستطيع أن تتخيل مثلا أعلى من الصفات السالفة الذكر ، وانى لا أستغرب منك هذا القصور فى الخيال ، لأننى أعتقد أن المثلث اذا استطاع أن يعبر عن نفسه ، لقال كذلك أن الله يتميز بصفات المثلث . كما تقول الدائرة أن طبيعة الله دائرية . وهكذا ينسب كل شىء الى الله من الصفات ما يراها فى نفسه »

الله عند سبينوزا هو مجموع الأسباب والقوانين جميعا ، وقوته هى مجموع القوى العقلية الكامنة فى كل أجزاء المادة المنتشرة فى الزمان والمكان . لان لكل شىء فى الوجود جانبا عقليا أي روحيا كما أن الامتداد أى الجسم جانب آخر .

ولكن ما هو العقل وما هى المادة ؟ ذهب الخيال الجامح ببعضهم الى حد القول بأن المادة روح كلها ، وليس الجسم الا محض فكرة ، كما جد الخيال عند بعض آخر الى حد القول بأن العقل مادة كله ، وليست الافكار الا عمليات جسمية ، وذهب فريق ثالث الى أن العقل والمـــادة مستقل بعضهما عن بعض ، الا انهما متوازيان في عملهما ، أي أن العقل يفكر والجسم يتحرك دون ان يكون بين ذلك التفكير وهذه الحركة علاقة ما . يستعرض سبينوزا هذه الاراء جميعا فيرفضها جميعا ، فلا المادة روحية ولا العقل مادى ، ولا هما مستقلان متوازيان ، اذ ليس هناك شيئان متميزان : عقل ومادة ، حتى نبحث عن العلاقة بينهما ، بل ثمت شىء واحد فقط ، وعملية واحدة فحسب ، لها مظهران أو جانبان ، فانت تراها الآن باطنيا فى صورة الفكرة ، ثم تراها خارجيا فى صورة العمل . فالعقل والجسم وحدة لا تتجزأ ، وكل أجزاء الوجود لها هاتان الشعبتان الممتزجتان المتحدتان ، وبعبارة أخرى ، المادة التى فى الكون والروح التي فى الكون شىء واحد ذو وجهين ، وبعبارة ثالثة ، الطبيعة والله شىء واحد ، واذا كان الأمر كذلك من توحيد العقل والجسم ، أى الروح والمادة وجعلهما شيئا واحدا ، فلا اختلاف اذن بين الارادة والذكاء ، ما دامت الارادة هى عبارة عن نزوع الجسم الى عمل معين ، والذكاء هو القوة الفكرية الخالصة

وها نحن أولاء قد رأينا أن أعمال الجسم وقوة الفكر ليسا الا ناحيتين من حقيقة واحدة :

الانسان اذن بعقله وجسمه وحدة لا تقبل التقسيم ، وعماد وجوده هو الرغبة اللاشعورية فى البقاء ، فالرغبة اللاشعورية عند سبينوزا هي كنه الانسان وجوهره (قارن ارادة الحياة عند شوبنهور ، وارادة القوة عند نيتشه) وكل الغرائز خطط دبرتها الطبيعة لحفظ الفرد أو النوع ، والسرور والألم ينشآن عن اشباع الغرائز أو تعطيلها ، فليس السرور والالم سببا لرغباتنا كما يذهب فريق من المفكرين . ولكنهما نتيجة لها . نحن لا نرغب فى الشىء لانه يسرنا ، ولكنه يسرنا لاننا نرغب فيه ، ولا بد لنا أن نرغب فيه لانه يشبع لنا الغرائز التي تمهد لنا سبيل البقاء . ولا بد أن يكون القارىء قد سارعت اليه النتيجة الطبيعية لهذه المقدمات ، وهي أن ليس ثمت ارادة حرة ، وأن الانسان مجبر على السير فى طريق معينة مرسومة ، ليس له أن يحيد عنها قيد شعرة ، لان ضرورات الحياة تحـــدد الغرائز ، والغرائز تملى الرغبات ، والرغبات تخلق الأفكار والاعمال المعينة . وقد يتوهم الانسان أنه حر فيما يفكر ويعمل ، ومنشأ ذلك الظن الخاطىء أنه مدرك لرغباته ولكنه يجهل الاسباب التي تسوق اليه تلك الرغبات ، ويخيل اليه أنها انما تولدت بمحض ارادته ، والحقيقة ان هناك من الدوافع الغريزية ما تحتم عليه أن يحقق هذه الرغبة أو تلك رغم أنفه ، فهو يدرك النتائج فقط ويجهل الاسباب الدافعة اليها ، ويشبه سبينوزا الانسان فى ذلك بقطعة من الحجر الملقى ، الذى لابد له من أن يسقط فى مكان معين تبعا لقوة الدفعة ، فلو فرضنا ان ذلك الحجر الملقى له ادراك كالانسان ، لظن أنه انما يسقط فى هذا المكان الخاص ، وفى هـــذه الساعة المعينة ، لأنه يريد ذلك ، وهذا لانه يجهل اليد التى دفعته فقسرته على تصرف لا يستطيع أن ينحرف عنه .

وهكذا تخضع أعمال الانسان لقوانين ثابتة ثبوت القوانين الهندسية ، ومعنى هذا أن الانسان جزء لا يتميز من سائر اجزاء الطبيعة ، بل يندمج فيها ويخضع لناموسها . الانسان ظاهرة مادية ككل الظواهر الاخرى يتحكم فيها ذلك القانون الشامل الذى يكمن وراء الكون جميعا ولا ينفصل عنه ، بل يكون معه كلا لا تنفصم عراه . وقد ضربنا مثلا بذلك الجسر (الكوبرى) وقوانينه الميكانيكية ، نحن أجزاء من ذلك التيار الذى يجرف أمامه كل شىء ، تيار القانون العام والسببية ، ولما كان ذلك القانون هو الله ، فنحن اذن أجزاء من الله تعالى ، ولو أن الأفراد تفنى بالموت ، الا أن

تلك الحقيقة الخالدة التى تتمثل فينا ، باقية لاتموت . اجسامنا خلايا في جسم الجنس ، والأجناس أعضاء من جسم الحياة ، وبهذا الدبج — دمج الفرد فى الكل — يقول شاعر هندى « اعلم أن روحا واحدا ينظم نفسك فى الكل ، وابذالوهم الذى يفصل الأجزاء عن كلها الشامل ».

وباعتبار الإنسان جزءا من كل ، فهو خالد . ذلك لأن القانون الذى يسيره لايفنى بفنائه كما قدمنا . بل هو أبدى تظهر آثاره فى الأفراد بعد الأفراد . فانت اذا محوت مثلثا مخطوطا على ورقة أمامك ، فليس معنى ذلك فناء القوانين التى تخضع لها المثلثات ، لأن هذا المثلث المعين الذى محوته ، لم يكن شخصية منفصلة عن زملائه المثلثات . بل يضبط الجميع ناموس واحد لايعتريه التغير والفناء . وقل مثل هذا تماما فى أفراد الانسان ، يموت الواحد ويبقى قانونه ممثلا في سائر الأفراد ، وهذا هو معني الخلود عند سبينوزا ، وهو كما ترى ليس خلودا لأفراد ، بل خلودا لقوة وقانون ، وذلك يتضمن بالطبع انكار الثواب فى الحياة الآخرة جزاء الفضيلة الدنيوية . وهو يقول فى ذلك : « ان هؤلاء الذين ينظرون للفضيلة كأنها عبودية مفروضة عليهم من الله تعالى ، ولا بد أن يمنحهم الله جزاء على قيامهم بهذا الفرض الثقيل ، انما هم أبعد ما يكونون عن فهم الفضيلة على الوجه الصحيح . فالفضيلة أو طاعة الله هى سعادة فى نفسها ، يشعر الانسان بالطمأنينة والنعيم فى أدائها ، فعلام تنتظر الجزاء ؟ انك تكون كرجل أسكنه سيده قصرا فخما وأعد له فيه كل ألوان النعيم ، فيظل يرتع فيه وينعم ، ثم هو بعد ذلك ينتظر من سيده أجر البقاء فى ذلك النعيم !!

والخلاصة أن الطبيعة تسير بمقتضى قوانين كامنة فى صورها كما تكمن قوانين الصوت مثلا فى جهاز الراديو ، فكما أنك لا تستطيع أن تقول هذا هو الجهاز المادى للراديو ، وتلك هى قوانينه النظرية منفصلة ، بل هما شىء واحـــد لاينفصل ، كذلك لا يمكنك أن تقول هذا هو العالم المادى وتلك هي القوة الروحية التى تسيره ، لأنهما متصلان فى وحدة لاتتجزأ . وبما أن هـــذه القوانين تسيطر على كل جزء من أجزاء الوجود — والانسان واحد منها — فالانسان يسير بمقتضى تلك القوانين الثابتة . ولا يتمتع بذرة من الحرية فى تصرفاته .

وهناك جوانب أخرى من فلسفة سبينوزا ، فقد كتب رسالة فى الأخلاق وأخرى فى النظام السياسي ، وكنا نحب أن نتناولهما بالشرح الموجز لو لا ضيق المقام ، فلعلنا نوفق الى تحقيق ذلك فى مقال آخر ؟

عمالقـــــة الاشجار

للدكتور محمد بهجت

خريج جامعة كاليفورنيا

لاريب ان العالم كان مسكونا بكائنات على جانب عظيم من الضخامة ، فالعلم يخبرنا عن « الديتوسور » Dinosaur العظيم الذى يوجد هيكله العظمي الماثل بالمتحف البريطانى مع هياكل أشباهه من عظائم الحيوان وأغواله . وكذلك « العنقاء » ، أو الطـــير العظيم المسمي « بترودا كتيلس » Petrodactyles ، ولم يكن هذا الأخير طيرا بمعنى الكلمة أو وطواطا بل نوعا من العظايا الهائلة اكتسب خصوصية الطيران .

دبت هـذه الحيوانات المرعبة على ظهر الارض فى العهد « الميوسينى » Miocene كما يسميه علماء طبقات الارض او عهد منتصف الحياة ، وذلك من ملايين السنين الخالية !! ويحتمل انها عاشت قبل الإنسان بكثير .

ويظهر ان هذه الحيوانات انقرضت فجأة بفعل بتاثير بركان عنيف أبان معظم المخلوقات . ثم تبع ذلك العصر الجليدى فاتى على آخرها ولم يترك لنا من آثارها الا عظاما نخرة أقامها العلم هياكل هائلة ووقف الانسان مبهوتا فاغرا فاه ، أما فى البحار فلا يزال بها من المخلوقات العظيمة ما لم تنقرض كأقربائها الدواب ، فالحوت الهائل يمخر البحار ويشق عبابها ، وأذكر انهم اقتنصوا وحشا منه فى المحيط الهادى قرب شاطىء كاليفورنيا الجنوبى منذ سنتين وكان يزن سبعين طنا !!

كذلك كان الحال فى المملكة النباتية ، كانت لها عمالقتها ، كانت هناك أشجار ضخمة تؤلف غابات شاسعة تشمل المناطق الشمالية من أوربا وأمريكا ، ولا ريب انها أظلت وحمت الكثير من تلك الوحوش ، ومن هذه الاشجار شجرة « السيكويا » Sequoia — ملكة النباتات — التى قاست ولا ريب كل المحن التى ألمت بالكائنات الحية التى عاصرتها ولكنها نجت من دونها وعاشت الى هذا الوقت تخبرنا فى صمت رهيب ، عن ماض بعيد ملىء بالكوارث والخطوب .

وتنتمي شجرة السيكويا الى العائلة المخروطية أي عائلة الصنوبر ، ويوجد منها نوعان : « سيكويا سمبرفيرنس » Sequoia sempervirens

و « سيكويا جايجانتيا » Sequoia gigantes ولا يوجدان في مكان ما على ظهر البسيطة الا في ولاية كاليفورنيا. فيوجد النوع الاول ناميا على ساحل المحيط في شمال الولاية حيث الطقس بارد صيفا وشتاء وحيث الرطوبة متوفرة طول السنة ، وفي منطقة يبلغ طولها ٤٥٠ ميلا بموازاة الساحل ، ويقل تدريجيا كلما ابتعد عن البحر وامتد شرقا الى الجبال الساحلية . وأما خشبه فضارب الى الحمرة ويعرف في مصر بالجوز الامريكاني الذي يصنع منه الاثاث ؛ واما النوع الثاني فيوجد بداخل الولاية ومنتصفها في ثلاثة أحراج متقاربة في قمة جبال السييرا على ارتفاع عظيم من سطح البحر . ومن العجب انه لا توجد أشجار متفرقة من هذا النوع ، فكأنها خافت على نفسها نوائب الحدثان وخشيت الانقراض فتجمعت في هذه الاحراج متقاربة كما تتقارب أفراد القطيع اذا أحست خطراً ...

وعندما اكتشف النوع الثاني الذي هو أضخم من الاول في سنة ١٨٥٥ ، أرسلت منه نماذج الى انجلترا فاسماه النباتي ليندلي « ولنجتونيا » تمجيداً لاسم الجنرال ولنجتون الذي قهر نابوليون والذي كان في ذروة المجد وقمة الشهرة إذ ذاك . فأخذت الامريكان النعرة الوطنية إذ عز عليهم ان تسمى شجرة امريكية باسم رجل انجليزي فاسموها « واشنجطونيا » نسبة الى جورج واشنجطن أبي الامريكيين . وأخيراً قر الرأي على جعل اسمها الجنسي « سيكويا » نسبة الى رجل من متوحشي الهنود الحمر سكان امريكا الاصليين ، لم يصب المجد بالفتح واراقة الدماء ، بل بعقلية جبارة وعبقرية نادرة . ينتمي هذا الهندي الى قبائل « الشيروكي » التي كانت ضاربة في تخوم ولاية جورجيا الجنوبية ، تزوج أبوه الابيض من أمه الهندية ثم لم يلبث أن هجرها فاعتزلت وابنها ركنا في غابة . ونشأ نشأة هادئة تغاير نشأة اترابه الهنود الذين يتلقنون فنون الصيد والقنص والحرب وغيرها من اعمال الفروسية في سن مبكرة ، فكان يساعد امه على اعمال المنزل أو فلاحة الارض وقطع الاخشاب ، فلما شب وترعرع احترف الصياغة ونبغ فيها نبوغا عظيما وذاع صيته ذيوعا كبيراً ، ثم وجد أن البيض يغيرون على وطنه ويقتطعون أراضيه ويجلون أهله وعشيرته عن مساقط رؤوسهم فأحزنه ذلك وأخذ يفكر في الامر وخرج من تفكيره بضرورة مقاومة المدنية بالمدنية .

ولما أدرك بثاقب فكره أن السر في تفوق البيض وتمدينهم ينحصر في مقدرتهم على التفاهم قراءة وكتابة قرر أن يخترع لغة لقومه . فنبذ الصياغة وعكف على الدرس في الغاب وأخذ يكد ذهنه ويحفر في قشور الاشجار الى أن وصل بعد ثلاث سنين الى اختراع رموز تمثل كل كلمة أو فكرة في لغة قومه ، ولكن هذه تكاثرت لدرجة يصعب على الاذهان استيعابها ، ففكر مرة أخرى واهتدى أخيراً الى أن الصوت هو مفتاح اللغة ، فكد واجتهد الى أن خلق حروفا أبجدية فاستطاع أن يكتب لغة أغنى بمفرداتها من لغاتنا !! بعد ذلك علمها قومه فتهافت عليها صغيرهم وكبيرهم الى أن حذقوها ، ومن ثم تحسنت أحوالهم العمرانية وازدادت ثروتهم وخطوا في سبيل المدنية خطوة واسعة ، ولكن جشع الابيض وظلمه كانا دائبين . فما زال باراضيهم يغتصبها بقوة السلاح الى أن تشردت قبائل الشيروكي وتقلصت حدودهم . لم يقف سيكويا عند هذا الحد بل خرج وهو في الثانية والثمانين من عمره في صحبة صبي صغير ليدرس لهجات الهنود المختلفة ويضع بعد ذلك لغة عامة للهندي الاحمر ، فعبر السهول والجبال ولكن مات رفيقه الصبي من مشاق الرحلة فسار وحده ضاربا في الفيافي المقفرة والغابات الموحشة والجبال الشامخة المكسوة بالجليد ، الى أن وقفه الضعف والعياء فحط رحله قرب حدود المكسيك لآخر مرة . ودفن حيث مات في حفرة عادية ، ولم تلبث الذئاب أن نبشت قبره وبعثرت عظامه ...

هذا رجل من عظماء العالم قل من يعرفه ، حتى قبره امتهن ، ولم تكن عليه أقل اشارة تدل على عقله الراجح ونفسه العظيمة ، ولكن العبقرية لا تفنى فقدر لاسمه أن يقترن بهذه الاشجار الخالدة ، وسوف يخلد معها الى أبد الآبدين .

وأشعر بعد طول هذه المقدمة أن أقصر كلامي على حرج واحد من الاحراج الثلاثة ، لا لانه أهمها فقط بل ولانه أعجبها ...

(يتبع)

حاجة اللغة العربية

الى دراسة الثقافة اليونانية

من محاضرة للمستر أبري

أستاذ اللغة والآداب اليونانية واللاتينية في كلية الآداب

انقضى نحو ألف من السنين والعالم الاسلامى مول ظهره لليونان وثقافتهم ، ولم يبدأ الاهتمام بهذه الثقافة مرة أخرى إلا فى الجيل الحديث ، وهذه العودة الى دراسة الآثار اليونانية ليست أقل الظاهرات التى امتازت بها النهضة العلمية والأدبية الجديدة فى البلاد الناطقة بالضاد . وقد كان لمصر فضل السبق فى هذا الميدان كدأبها فى جميع الحركات الهامة .

ونظراً لأن أشعار هوميروس هى أول ثمرة أنتجتها قرائح اليونان ، كان من الملائم جداً أن يكون أول ماترجم الى العربية جديثاً من الآثار اليونانية الياذة هوميروس . وقد بدأ سليمان البستانى ذلك العمل الشاق فى عام ١٨٨٧ ، واستطاع أن يخرج للناس فى سنة ١٩٠٤ ترجمة عربيــــة كاملة منظومة ، ومن الظلم البين أن يحاول الانسان نقد هذا العمل الجليل أو الحط من شأنه ، ماذا يهمنا أن نقرر بأن النظم ليس من مرتبة عالية ، أو أن المعنى الأصلى - بل والروح أيضاً - لم يدركه المترجم أحيانا ؟ حقيقة أنه من سوء حظ المترجم أنه اختار للترجمة ملحمة لكى يظهر فيها مقدرته على النظم ، فان اللغة العربية لا يلائمها هذا الضرب من القريض بنوع خاص (كذا) نظراً لما لها من نظام معقد فى الوزن والقافية . ولكن على رغم هذا ، الأجدر بنا ألا نطبق قواعد النقد الأدبى على تلك الترجمة ، بل ننظر اليها كأنها بشير ينبئنا بما يمكن للأدب العربى أن يبلغ اليه بعد .

ولا أظن أن بى حاجة الى أن أحصى لكم المترجمات الأخرى التى ظهرت فى هذا القرن . فكلنا نعلم جهود الأستاذين لطفى السيد بك ، والدكتور طه حسين فى هذا الباب . فبفضل ما بذلاه من جهود أصبحت اللغة العربية مرة أخرى غنية بما ترجم من آثار الفيلسوفين افلاطون وأرسطو . وواجب على كل محب لرقى الآداب والعلوم العربية أن يشجع كل عمل من هذا القبيل .

ولكنى الآن أريد أن أتساءل - ومن المهم جداً أن أتساءل - هل من المستحب ترجمة الآثار اليونانية واللاتينية الى اللغة العربية فى الوقت الحاضر ؟ وإذا كان هذا مستحباً ، فهل يكتفى بالترجمة عن التراجم التى فى اللغات الأوربية الحديثة ؟ أم هل من اللازم أن يكون المترجم ملماً بالأصل اليونانى أو اللاتينى للكتاب الذى يترجمه ؟

ولنبدأ بالرد على السؤال الثانى . فنرى من البديهى أن الترجمة عن ترجمة شيء لا يكفى ولا يغنى ، وإذا جاز لنا أن نضرب مثلا ، فلنتصور كاتباً فرنسياً يريد أن يطلع قومه على جمال الأدب العربى ، ولكنه بدلا من المبادرة الى تعلم العربية يلجأ الى ترجمة انكليزية أو ألمانية للكتاب الذى يريد أن ينقله ، ثم يكتفى بنقله على هذه الصورة الى اللغة الفرنسية . فكيف يستطيع مثل هذا الكاتب إذا أراد ترجمة المعلقات مثلا بهذه الطريقة ، أن تحتفظ بما فيها من خيال شعرى ، ونظم بديع ؟ أو إذا أراد نقل رسالة من تلك الرسائل الدقيقة المعنى التى ألفها ابن العربى ، أو مقالة من مقالات الجاحظ البليغة . فهل يمكن أن تكون ترجمة الترجمة التى يقدمها للقراء ، إلا بمثابة شبح لشبح ؟ ولو أنى قابلت رجلا من هذا القبيل لأبديت له إعجابى بحماسه وغيرته ، ثم طلبت اليه بكل ما لدى من أدب وحزم أن يبدأ بدراسة العربية خمس سنين ، ثم ينظر بعد ذلك هل فى وسعه أن ينهض بذلك العبء .

فاذا كان لا بد من نقل الآثار اليونانية واللاتينية الى العربية ، فليس من شك فى أن هذا العمل الخطير يجب أن ينهض به علماء من الناطقين بالضاد ، لهم إلمام تام بهاتين اللغتين . وليس من وسيلة أخرى لاتمام ذلك العمل على الوجه الأكمل . بل انى أذهب الى أبعد من هذا فأقرر بان العمل لا يستحق أن يعمل بأى شكل آخر .

ولكن هل من اللازم القيام بذلك العمل ؟ لقد يتساءلون : أليست آدابنا وحدها كافية لتثقيف المصرى فى عصرنا هذا ؟ أليس الأولى بمن لغتهم العربية ، أن يقصروا دراستهم على الأدب العربى اللهم إلا فريق المتخصصين ؟ ثم على فرض أنه من المستحب لأسباب كثيرة - أن ندرس لغات وأدبيات أجنبية ، ألا يكون الأفضل دراسة اللغات الأوربية والاسيوية الحديثة ؟ وما دامت اللغتان اليونانية واللاتينية قد ماتتا منــــذ قرون عديدة ، أليس الأولى بنا نحن أن نتركهما فى رمسهما ؟ وإلا فما الفائدة التى تجنيها اللغة العربية والآداب المصرية من دراسة تلك الآثار اليونانية واللاتينية مما لا يمكن الحصول عليه بشكل أكمل وأحسن بدراسة الآداب الحديثة ؟

لقد جاء فى كتاب (الفلسفة فى الاسلام) تأليف دى بوير العبارة الآتية : « ان أجل شىء خلفه لنا العقل اليونانى فى الفنون وفى الشعر وفى التاريخ ، لم تصل اليه أيدى الشرقيين . وكان من

الشاق عليهم أن يفهموه لجهلهم حياة الاغريق . فنرى مثلا مؤرخي العرب قادرين على ذكر أمراء اليونان حتى كليوباطره وكذا قياصرة الروم . ولكنهم كانوا يجهلون المؤرخ تيوسيديد ، ولا يعرفون اسمه . أما هوميروس فلم ينقلوا عنه غير جملة واحدة وهي : « لا يكون الحكم إلا للواحد » . ولم يكن لهم أدنى دراية بالشعراء والروائيين من الاغريق » .

ولكن مثل هـذا الحكم ليس عادلا تماما . حقيقة لم يكن للمسلمين الأولين اطلاع على القسم الاعظم من أدب اليونان . ولم يكن لهم علم بحياة الاغريق ، ولم يهتموا بمعرفتها ، ولكن لو أن المصادفة ساقت إليهم هذه الآثار الجيدة ، أكان يتعذر عليهم أن يتذوقوها ويقدروها حق قدرها . أليس الارجح أن شعبا متوقد الذكاء ، شديد الاحساس بالجمال ، مثل الشعب العربي هو أقدر الناس على تقدير محاسن الأدب اليوناني ، كما أمكنه أن يقدر ويفهم دقائق الفلسفة اليونانية ؟ ولكن ظروفا سيئة حالت بين العرب والأدب اليوناني . ففي وقت نشأة الاسلام كانت الدولة البزنطية يغشاها ظلام ، وأشد العصور التي مرت بها حلكة وظلاما هي المدة ما بين سنة ٦٤١ و ٨٥٠ . ويحدثنا ساندس Sandys عن الحالة في أول هذه الفترة فيقول في كتابه عن تاريخ الدراسات اليونانية واللاتينية : « أن القيصر ليو الثالث الذي استطاع أن يرد إغارة العرب على القسطنطينية . وأن يعيد تنظيم الامبراطورية سواء من الناحية الحربية أو المدنية . لم يصنع مع هـذا كله شيئا لتشجيع العلوم . بل لقد حرم معهد العلوم الامبراطوري من ممتلكاته بالقرب من أيا صوفيا . وطرد رئيس المعهد ومعه اثنا عشر معلما كانوا يتولون مع رئيس الفنون والفقه . وكذلك يروي بعض المؤرخين أنه أمر باحراق مكتبة المعهد ، وبها نحو ثلاثة وثلاثين ألفا من المجلدات في موضوعات دينية وغير دينية ، ولئن كانت هذه حالة دولة اليونان في هذا العصر أي في العصر الذي اتسع فيه نفوذ الثقافة اليونانية في البلاد العربية ، فكيف نرجو أن يعنى العرب بدراسة الآداب اليونانية واللاتينية ؟ أما الفلسفة والعلوم المفيدة فقد كان لها عندهم المكان الاول ، نظراً للظروف الخاصة التي دعت للاهتمام بهما : إذ كانت الفلسفة عندنا على الجدل الديني ، والعلوم النافعة مثل الطب والهندسة ، من بواعث الراحة المادية للانسان . وكذلك يجب ألا ننسى أن العرب كان لهم أدب زاهر لا مراء في أنه من الرقي بمكان عظيم . وكأنما وجد الناس في القصائد الجاهلية وفي المدائح والمراثي والمنظومات المختلفة ، التي تغنى بها الشعراء الأمويون والعباسيون . وجد الناس في هذا كله بغيتهم من الخدمة الادبية . أما النثر فانه من بعد تلك المعجزة الابدية : - القرآن - قد جعل يرتقي حتى بلغ في أيدي كبار الاساتذة أمثال الجاحظ والحريري والهمذاني على مرتبة عالية من الكمال . وبهذه الصورة نما للعرب أدب خاص ممتاز وأصبح تراثا عظيما ، آل اليوم الى البلاد الاسلامية .

ولكني وإن علمت ما امتاز به هذا التراث من عظمة واتساع ورقى . فاني على ذلك لا أتردد في أن أقرر بأن الذكاء العربي قادر بعد على انتاج ثمرة لا تقل عن تلك المنتجات . بل لقد تفوقها . وأنا زعيم بان بلوغ تلك الغاية على أكمل وجه إنما يكون بدراسة آداب اليونان والرومان .

* * *

أن جميع الآداب الأوربية الحديثة مدينة ، دينا لا يمكن حصره ، للآداب اليونانية واللاتينية ، وحسبنا أن نذكر تلك الحقائق المألوفة عن عصر النهضة في غرب أوربا ، وكيف أن استكشاف الآداب اليونانية من جديد - على أثر استيلاء الاتراك على الأستانة وانتشار العلماء والاسفار اليونانية في أوربا - كان باعثا لحياة جديدة في ميدان العلم والأدب ، ووسيلة لغرس بذور الآداب القومية في كل بلد من البلاد الاوربية .

* * *

في الوقت الحاضر نرى الآداب الاوربية الحديثـة تدرس بحماس وبتقدير يبعثان على الاعجاب وحاشاي أن أحاول الغض من هذا الحماس والنشاط . بل اني لارى في المقالات التي أنشأها المنفلوطي ومدرسته والكتاب المعاصرون أمثال العقاد ومنصور فهمي وسلامه موسى وغيرهم من أعضاء ذلك الرهط النابغ من الكتاب بعثا جديداً في الادب العربي . وخصوصاً وفوق كل شيء نرى تلك النهضة في نبوغ شوقي الذي لا يضارع إعجابنا به إلا حزننا على فقده . وفي تلك الروايات التمثيلية التي أثمرها فكره الناضج الجميل .

ولكن إذا ما ذهبنا لرؤية رواية من رواياته تمثل في أحد المسارح . فلنذكر أن الفن التمثيلي إنما ولد في بلاد اليونان ، وإن ما خلفه الاغريق من القطع التمثيلية التي هي للعالم ذخر يعتز به ويحرص عليه ، منذ خمسة وعشرين قرنا ، لانها هي أكمل وأبدع الروايات التمثيلية التي أنتجها الفكر البشرى . ولنذكر ونحن نقرأ روايات شكسبير وكورني وجوته ، أنه لولا اليونان لما كانت تلك الآثار . وكذلك فنون الادب الاخرى فان مرجعنا فيها الى أدب اليونان والرومان . الذى هو المنبع والمرجع لكل من آداب

الأمم العربية. والآن يحق لنا أن نتساءل هل يجوز أن تستبعد الآثار اليونانية من النهضة الجديدة التي يعيش في ظلها كل مصري في وقتنا هذا - سواء أدرك ذلك أم لم يدركه، وسواء رغب في ذلك أم رغب عنه ؟ ومن ذا الذي تبلغ به الجرأة على ان ينادي بالاكتفاء بالادب الاوربي عن الادب اليوناني. والاستغناء عن المثال اكتفاء بالقياس ؟

قال الاستاذ جيب في كتاب (تراث الاسلام) مقارنا بين أدب اليونان والعرب ؟ : «من أهم ميزات الادب العربي والفارسي أنه عاطفي (Romantic) . وان الطالب الذى نشأ على حب المثل اليونانية في الادب لن يجد في ادب العرب والفرس تلك الصفات التي امتاز بها ادب اليونان والتي هي السر في قوته الساحرة الباقية على مدى الزمان، وبرغم ما فيه من قوة الصياغة التي قد يفوق فيها قوة الصياغة في أدب اليونان، فان فيه جمودا وفي أدب اليونان تنوعا، وفيه اغراق ومبالغة وفي أدب اليونان شدة ووقار، وقد بلغ الكتاب اليونان واللاتين ما بلغوه من العظمة بتوخي البساطة والسهولة وعدم الاندفاع. بينما الكاتب الشرقي ينسج آياته فيملأها بالبديع الغامض من اللفظ، ويلتمس لها الاستعارات والكنايات البعيدة الخلابة.. واليوناني يؤثر في الفكر بواسطة الجمال الخالص. أما العربي أو الفارسي فيؤثر في الحاسة وفي الخيال بما يأتي به من الالوان الساحرة».

والآن أليس من المحتمل أن قد يتاح لابناء مصر ان يوفقوا بين المثل الادبية العربية واليونانية ؟ أليس ممكنا أن تعليما يتناول دراسة الادبين العربي واليوناني في آن واحد، قد يأتي بنتائج لايحلم بها أحد، ويوجد في الادب العربي ثروة جديدة، إذ يكون سببا في خلق مسرح قومي وأناشيد وقصائد وتاريخا ونقدا أدبيا، وهذا كله يجمع مزايا كل من الادبين ويفوق كلا منها ؟ فهل يكون أملا بعيداً ان نرجو ان الجامعة المصرية قد تصبح يوما ما ذات شهرة عظيمة في أمور كثيرة، ومنها أنها المعهد الذى ساعد على إيجاد مثل ذلك الادب ؟

في القرن الثالث الهجرى، كتب الجاحظ وهو بالبصرة :—

«انا لو لم تكن لدينا كتب الاوائل التي خلدوا فيها حكمتهم وعلمهم والتي ذكروا فيها تاريخهم واعمالهم حتى نكاد ان نراهم بأعيننا. ولو لم تكن عندنا ثروة تجاربهم، لكان حظنا من الحكمة والعلم صغيرا ضئيلا، هكذا كتب الجاحظ وما كان نصيبه من حكمة القدماء إلا نزرا يسيرا. فهل نكون نحن أقل اعترافا منه بالجميل مع ان نصيبنا أكبر وأوفر ؟ ؟

١٠٣٠

بلاط الشـــــهداء

بعد الف ومائتى عام

للاستاذ محمد عبد الله عنان

في أواخر اكتوبر من العام الماضي، كان قد انقضى الف ومائتا عام كاملة على حادث كان له أعظم الآثار وأبعدها في تاريخ الاسلام والنصرانية، بل كان كلمة الفصل الحاسمة في مصاير الاسلام والنصرانية.

هذا الحادث الجلل، هو موقعة بلاط الشهداء التي تعرف في التواريخ الفرنجية بوقعة «تور او بواتييه»، والتي نشبت بين العرب والفرنج في سهول فرنسا على ضفاف اللوار في اكتوبر سنة ٧٣٢.

وقد مضى على بلاط الشهداء الف ومائتا عام، وتغير وجه التاريخ، ومحيت آثار الاسلام من غرب أوربا ومن الاندلس منذ نحو أربعة قرون. ومع ذلك فان ذكريات بلاط الشهداء مازالت حية في الغرب، وما زالت وقائعها وآثارها التاريخية موضع التقدير والتأمل من جانب المؤرخ الغربي. وكان انقضاء الالف ومائتي عام على حدوثها، ذكري جديدة نظمت من اجلها الاحتفالات في فرنسا، وكانت مثار تأملات وتعليقات جديدة، تدور كلها حول الصيحة التاريخية القديمة : لو لم يرد العرب والاسلام في سهول تور، لما كانت ثمة أوربا نصرانية، بل لعله ما بقيت نصرانية على الاطلاق، ولكان الاسلام اليوم يسود أوربا، وكانت أوربا الشمالية تموج اليوم بابناء الشعوب السامية ذوى العيون الدعج والشعور السود، بدلا من أبناء الشعوب الآرية ذوى الشقرة والعيون الزرق

وهذا الحادث الجلل، وهذه الذكريات والتأملات التي أثارها وما زال يثيرها، هي موضوعنا في هذا الفصل. وسنعنى بشرح مقدماته وتفاصيله على ضوء أوثق المصادر العربية والغربية، وسيرى القارىء بعد إذ يتلو هذه التفاصيل، ان التاريخ الاسلامي كله قد لايقدم الينا حادثا له من الخطورة والاهمية وبعد الاثر ما لموقعة بلاط الشهداء

— ١ —

افتتح العرب اسبانيا، وغنموا ملك القوط في سنة ٩٧ - ٩٨ هـ (٧١١ — ٧١٢ م) على يد الفاتحين العظيمين طارق بن زياد وموسى بن نصير ، في عهد الوليد بن عبد الملك ، وأضحت اسبانيا من ذلك التاريخ كمصر وافريقية ولاية من ولايات الخلافة الاموية ، وتعاقب عليها الولاة من قبل الخليفة الاموي ، ينظمون شئونها ، ويدفعون الغزوات الاسلامية الى ماوراء جبال البرنيه (البرت أو الممرات) في غالة (جنوب فرنسا) ، فلم تمض عشرون عاما على افتتاح الاندلس حتى استطاع العرب أن يجتاحوا ولايات فرنسا الجنوبية ، وأن يبسطوا سلطانهم على سهول الرون وأن يتقدموا بعيداً في قلب فرنسا .

ولكن اسبانيا المسلمة على حداثة عهدها لم تلبث أن اضطرمت بالفتن والمنازعات الداخلية ، ولم تلبث النصرانية أن أفاقت من دهشتها الاولى ، وتأهبت للنضال والمقاومة ، ولقي العرب بعد فورة الظفر التي اجتاحت جنوب فرنسا ، هزيمتهم الاولى في موقعة تولوشة (تولوز) في ذي الحجه سنة ١٠٢ هـ (يونيه سنة ٧٢٢ م) وقتل أميرهم وقائدهم السمح بن مالك ، فارتدوا الى سبتمانيا بعد أن فقدوا زهرة جندهم وسقط منهم عدة من الزعماء الاكابر .

وقطعت الاندلس بعد ذلك زهاء عشرة أعوام من الاضطراب والفوضى ، وخبت ثورة الفتح ، وشغل الولاة بالشئون والمنازعات الداخلية ، حتى عين عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي واليا للاندلس في صفر سنة ١١٣ هـ (ابريل سنة ٧٣١ م) .

ولسنا نعرف كثيرا عن سيرة الغافقي الاولى ، ولكنا نعرف انه من التابعين الذين دخلوا الى الاندلس ، ثم نراه بعد ذلك من زعماء اليمانية وكبار الجند ونراه في سنة ١٠٢ هـ ، على أثر موقعة تولوشة ومقتل السمح بن مالك ، يتولى قيادة الجيش وامارة الاندلس باختيار الزعماء والقادة مدى أشهر ، ثم لا نسمع عنه بعد ذلك ، حتى يولى امارة الاندلس للمرة الثانية من قبل الخليفة سنة ١١٣ هـ (١) . على الذي لا ريب فيه هو ان عبد الرحمن الغافقي كان جنديا عظيما ظهرت مواهبه الحربية في غزوات غاليا ، وحاكما قديراً ، بارعا في شئون الحكم والادارة ، ومصلحا مستنيراً يضطرم رغبة في الاصلاح ، بل كان بلا ريب أعظم ولاة الاندلس واقدرهم جميعاً . وتجمع الرواية الاسلامية على تقديره والتنويه برفيع خلاله ، والاشادة بعدله وحلمه وتقواه (١) ، فرحبت الاندلس قاطبة بتعيينه ، وأحبه الجند لعدله ورفقه ولينه ، وجمعت هيبته كلمة القبائل ، فتراضت مضر وحمير ، وساد الوئام نوعا في الادارة والجيش ، واستقبلت الاندلس عهدا جديداً .

وبدأ عبد الرحمن ولايته بزيارة الاقاليم المختلفة فنظم شئونها وعهد بادارتها الى ذوي الكفاية والعدل ، وقمع الفتن والمظالم ما استطاع ، ورد الى النصارى كنائسهم وأملاكهم المغصوبة ، وعدل نظام الضرائب وفرضها على الجميع بالعدل والمساواة ، وقضى صدر ولايته في اصلاح الادارة وتدارك ما سرى اليها في عهد أسلافه من عوامل الاضطراب والخلل ، وعني باصلاح الجيش وتنظيمه عناية خاصة ، فحشد من الصفوف من مختلف الولايات ، وأنشأ فرقا جديدة مختارة من فرسان البربر باشراف نخبة من الضباط العرب وحصن القواعد والثغور الشمالية وتأهب لاخماد كل نزعة الي الخروج والثورة (٢) .

وكانت الثورة توشك أن تقض في الواقع في الشمال ، وبطلها في تلك المرة زعيم مسلم هو عثمان بن أبي نسعة الخثعمي حاكم الولايات الشمالية . وكان ابن ابي نسعة (أو منوزا أو مونز كما يسميه الافرنج) من زعماء البربر الذين دخلوا الاندلس عند الفتح مع طارق . وقد عين واليا للاندلس قبل ذلك بثلاثة أعوام ولم يطل أمد ولايته ، ثم عين حاكما لولايات البرنيه وسبتمانيا . وقد كان الخلاف يضطرم منذ الفتح بين العرب والبربر وكان البربر يحقدون على العرب إذ يرون انهم قاموا بمعظم أعباء الفتح واستأثر العرب دونهم بالمغانم الكبيرة ومناصب الرياسة . وكان ابن أبي نسعة كثير الاطماع شديد التعصب لبني جنسه ، وكان يؤمل أن يعود الى ولاية الاندلس ، ولكن عبد الرحمن فاز بها دونه فزاد ذلك في حقده وسخطه ، وأخذ يترقب الفرص للخروج والثورة .

« يتبع »

(١) تختلف الرواية الإسلامية في تاريخ ولاية عبد الرحمن فيقول الضبي ان تعيينه كان في حدود سنة ١١٠ هـ (بغية الملتمس رقم ١٠٢١) وكذا ابن بشكوال (نفح الطيب ٢ ص ٥٦) . ويقول ابن عذارى انه كان في صفر سنة ١١٢ (ج ٢ ص ٢٨) . وابن حيان انه كان في صفر سنة ١١٣ (نفح ج ٢ ص ٥٤) وهي أرجح رواية فيما نعتقد ومنها أخذنا لاتفاقها مع سير تواريخ الولاة المتقدمين

(١) راجع ابن عبد الحكم - ص ٢١٦ و ٢١٧ - بغية الملتمس الضبي (في المكتبة الاندلسية) رقم ١٠٢١ - المقرى عن الحميدي (نفح الطيب ٢ ص ٩٦)

(٢) Condé—I P. 105

الى الدكتور هيكل

باذن الدكتور طه

عزيزي هيكل

حوار ناعم صاغته أناملكما القديرة . وحجاج ذو غمزات تواثبت فيه من كل جهة مع براعات الربيع ، وهبات الصبا ونفحات النرجس.

إن ما نترسّماه على طريق القراء أشبه ، بأقاحي الخميلة وحريرها ، ولكني لهذا خفت ان يكون ما بين طيات النرجس وتحت الحرير نفاثة طائشة ، من حشرة ساهية ، تضرب ما بين الدعاب البرى ، فتصيب من غيركما مقتلا للهوى أو ميلا وليداً للفن .

بل خفت على رغم ما صرحت به ، أن تهود فتعتصم من الغلط . إغلط ياصديقي هيكل — بل ياصديق قرائك ، إذ لا معرفة بيني وبينك ، إلا ما بلغني من فيض قلبك ، — إغلط وأكثر من الغلط الموهوم . وكسر من هذه القيود التي كسر بعضها من قبلك طه . كسرها لنفسك ولنا ، كما كسرها لنا وله . — وأعلن ، أعلن عن جهدك ، عن كتبك ، فاسمك للقراء شعر موسيقي يتهلل له الضمير المسجون . أعان لنعرف نحن ، قريبين أو بعيدين ، أن منا رجال العمل والتفكير . اسمك مجد لقارئيك وللعربية . — كلا ! لست بذلك أميركيا ، فارباب القلم أجمعوا أن يكون لهم جمعيات ومجلات ومشروعات عدة لمجرد الاعلان الأدبي فى أقطار العالم المتمدن .

أسلوبك شائق ، عباراتك كصفوف جيش أعدت للهجوم . أفكارك تلتهب ما بينها التهاب القنابل : هذا جيشان نفسك المزدحم ! أكثر من شخصيتك . اسكب نفسك كأنوار الشمس ، يتلذذ بالحياة العلمية والوطنية فيها من يقرؤك .

إن أغلاط أكابر الكتاب هى صك تحرير النشء الصاعد .

بيروت — حبيب شماس

* * *

والرسالة تسأل السيابة :

أهذا الكتاب الرقيق على ما فيه خير أم ذلك الخزى الذى نشرته يوم الاثنين فأهانت بنشره اللغة والادب والذوق والعروبة ؟ !

بنت فرعون تحب

للأديب حسين شوقي

الأميرة (تي) تعسة جدا لانها تحب ، ولكن حبها مستحيل لانه بشرى .. يا للكفر ! بنت الفراعنة ، بنت الآلهة تحب رجلا فانيا ؟ حقا انه لخطب جلل ! ماذا تفعل الأميرة فى حيرتها واضطرابها الوجداني ؟ ستطلع الملكة على سرها علها تعينها فى الخطب فهى امها ذات الصدر الحنون ، برغم ما يزعمه الناس من ان تلك الأم من منبت رباني ، وبرغم ما يحيطونها به من مظاهر العبادة والتقديس . ذهبت الاميرة الى الملكة فاطلعتها على جلية الأمر ...

حزنت الملكة من أجل ذلك حزنا شديدا ، لعلمها بان ابنتها لن يتحقق حلمها اللذيذ ، وقد كان لها هي أيضا فى صباها مثل هذا الحادث ولم يشفها منه إلا سيل من الدموع .. الملكة فى حيرة من أمرها لأن حب تي ليس حبا زائلا كما توهمت اول وهلة ، بل هو حب مرضي في درجته الثالثة .. والاميرة آخذة في الذبول .. على ان شحوب وجهها قد زادها رونقا وجمالا ، .. أتطلع الملكة بدورها فرعون على الأمر ؟ كلا ! لا فائدة من ذلك لان فرعون ليس بشريا وانما هو إله عابس نحت قلبه من صوان نوبيا الأصم .. ولو عرف السر لقضى على العاشق وهو فتى أغريقي فى جيشه ..

هدأت الملكة من روع (تي) ، ولكن من إذن يخرج الملكة من حيرتها ؟ الكاهن الاكبر ؟ أجل ! هو صديقها وهو رجل قادر مهيب مقرب كما يزعم الناس من الآلهة متصل بهم إتصالا وثيقا .. اطلعت الملكة الكاهن على السر ، ولكن ماذا يعمل الكاهن ؟ الكاهن يحك صلعته حيرة ، لان الحب كما يعلم شيطان متعب لا يعبأ بالرقى والتعاويذ ، بل يسخر من الآلهة والناس على السواء !.

قال الكاهن ، بعد أن عصر قريحته : حسن يا مولاتي سنقيم تمثالا لآمون ، الرب الاكبر ـ فى حجرة الاميرة عساه يطرد ذلك الجنى الخبيث الذي اختبأ فى قلب الفتاة ..

ثم مرت الايام والتمثال لا يأتى بالمعجزة ، إلا انه زاد في زينة الحجرة لانه كان جميل المنظر ، صيغ كله من الذهب الخالص ..

أما العاشق واسمه بالاس وهو من منبت اغريقي كما قدمنا فقد كاد يجن من هذه الخرافات ، فضلا عن انه كان يحب الاميرة حبا جما ، تلك الفتاة التى كان يدعوها بحق : الظبية الافريقية ..

« البقية على صفحة ٣١ »

عكاظ والمربد [1]

للاستاذ أحمد أمين

من أبعد الاماكن أثراً فى الحياة العربية عكاظ والمربد ، وقد كان أثرهما كبيراً من نواح متعددة : من الناحية الاقتصادية ومن الناحية الاجتماعية ومن الناحية الادبية ، ودراستهما تضيء لنا اشياء كثيرة فى تاريخ العرب .

ولكن يظهر لى أنه لم يعن بهما العناية اللائقة ، ولا نرى فيما بين أيدينا ـ الا كلمات قليلة منثورة فى الكتب يصعب على الباحث أن يصور منها صورة تامة أو شبهها ، ومع هذا فسنبدأ فى هذه الكلمة بشيء من المحاولة فى توضيح أثرهما ، وخاصة من الناحية الادبية .

عكاظ

فى الجنوب الشرقى من مكة ، وعلى بعد نحو عشرة أميال من الطائف ، ونحو ثلاثين ميلا من مكة ، مكان منبسط فى واد فسيح به نخل وبه ماء وبه صخور ، يسمى هذا المكان « عكاظ » ، وكانت تقام به سوق سنوية تسمى سوق عكاظ ، وقد اختلف اللغويون فى اشتقاق الكلمة ، فقال بعضهم : اشتقت من « تعكظ القوم » اذا تحبسوا لينظروا فى أمورهم ، وقال غيرهم : سميت عكاظا لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضا بالمفاخرة أى يعركه ويقهره ، كما اختلفت القبائل فى صرفها وعدم صرفها ، فالحجازيون يصرفونها وتميم لاتصرفها ، وعلى اللغتين ورد الشعر :

قال دريد بن الصمة : « تغيبت عن يومى عكاظ كليهما »

وقال ابو ذؤيب :

اذا بنى القباب على عكاظ
وقام البيع واجتمع الالوف

* * *

وكان للعرب أسواق كثيرة محلية كسوق صنعاء ، وسوق حضرموت ، وسوق صحار ، وسوق الشحر ، انما يجتمع فيها ـ غالبا ـ أهلها وأقرب الناس اليها .

وبجانب هذه الاسواق الخاصة أسواق عامة لقبائل العرب جميعا ، أهمها : سوق عكاظ ، وسبب عمومها وأهميتها على مايظهر :

(١) ان موعد انعقادها كان قبيل الحج ، وهى قريبة من مكة وبها الكعبة ، فمن أراد الحج من جميع قبائل العرب سهل عليه أن يجمع بين الغرض التجاري والاجتماعي بغشيانه عكاظ قبل الحج ، وبين الغرض الديني بالحج .

(٢) ان موسم السوق كان فى شهر من الاشهر الحرم ـ على قول أكثر المؤرخين (١) « والعرب كانت فى (الشهر الحرام) لاتقرع الاسنة ، فيلقى الرجل قاتل ابيه أو اخيه فيه فلا يهيجه تعظيما له ، وتسمى مضر الشهر الحرام بالاصم لسكون أصوات السلاح فيه (٢) » وفى انعقاد السوق فى الشهر الحرام مزية واضحة ، وهي ان يأمن التجار فيه على ارواحهم ، وان كانوا احيانا قد انتهكوا حرمة الشهر الحرام فاقتتلوا كالذى روي فى الاخبار عن حروب الفجار كما سيجيء ، ولكن على العموم كان القتل فى هذا الشهر مستهجنا ، قال ابن هشام : « أتى آت قريشا فقال : ان البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعكاظ » الخ (٣) وقد قال ذلك استعظاما لقتله .

« فكان يأتى عكاظ قريش وهوازن وغطفان والاحابيش وطوائف من أفناء العرب » (٤) وكانت كل قبيلة تنزل فى مكان

(١) الاشهر الحرم هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

(٢) تفسير الطبرى ٢ : ٢٠١ ولشدة تعظيمها اياه قيل له رجب مضر ولم يكن يستحله الاحيان خثعم وطيء الازمنة والامكنة ١ : ٩٠ . (٣) سيرة ابن هشام طبع اوربا ١١٨ . (٤) الازمنة والامكنة طبع الهند للمرزوقى ٢ : ١٦٥ .

(١) عن مجلة كلية الاداب م ١ ج ١ مايو سنة ١٩٣٣ .

خاص من السوق ، ففي الخبر ان رسول الله ذهب مع عمه العباس الى عكاظ ليريه العباس منازل الاحياء فيها (١) ويروى كذلك ان رسول الله جاء كندة في منازلهم بعكاظ (٢).

بل كان يشترك في سوق عكاظ اليمنيون والحيريون، يقول المرزوقي: « كان في عكاظ اشياء ليست في اسواق العرب ، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة والمركوب الفاره فيقف بها وينادى عليه ليأخذه اعز العرب ، يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته (٣) ويروى ابن الأثير عن أبي عبيدة « ان النعمان بن المنذر لما ملكه كسرى ابرويز على الحيرة كان النعمان يجهز كل عام لطيمة — وهي التجارة — لتباع بعكاظ ».

فترى من هذا ان بلاد العرب من أقصاها الى أقصاها كانت تشترك في هذه السوق.

واختلفت الاقوال في موعد انعقادها ، وأكثرها على انه كان في ذي القعدة من أوله الى عشرين منه ، أو من نصفه الى آخره ، قال الازرقي في تاريخ مكة.

« فاذا كان الحج ... خرج الناس الى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ ، والناس على مداعيهم وراياتهم منحازين في المنازل تضبط كل قبيلة اشرافها وقادتها ، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ، ويجتمعون في بطن السوق ، فاذا مضت العشرون انصرفوا الي مجنة فاقاموا بها عشرا ، اسواقهم قائمة ، فاذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز ثم الى عرفة ؛ وكانت قريش وغيرها من العرب تقول لاتحضروا سوق عكاظ والمجنة وذا المجاز الا محرمين بالحج ، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئا من المحارم أو يعدو بعضهم على بعض في الاشهر الحرم وفي الحرم (٤).

٭٭٭

وظيفته : — كانت سوق عكاظ تقوم بوظائف شتى فهي — أول كل شيء — متجر تعرض فيه السلع على اختلاف انواعها ، يعرض فيه الادم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني (٥) ويباع به الرقيق (٦) ويعرض فيه كل سلعة عزيزة وغير عزيزة ، فما يهديه الملوك يباع بسوق عكاظ (٧) ويتقاتل ابن الخمس مع الحارث بن ظالم فيقتله ابن الخمس ويأخذ سيف الحارث يعرضه للبيع في عكاظ (١) وعبلة بنت عبيد بن خالد يبعثها زوجها بانحاء سمن تبيعها له بعكاظ (٢)

ونسبوا الى عكاظ فقالوا : أديم عكاظي أى مما يباع في عكاظ (٣).

ولم تكن العروض التى تعرض في سوق عكاظ قاصرة على منتجات جزيرة العرب ، فالنعمان يبعث الى سوق عكاظ بمتجر من حاصلات الحيرة وفارس لتباع بها ويشترى بثمنها حاصلات أخرى (٤) بل كان يباع في عكاظ سلع من مصر والشام والعراق ، فيروي المرزوقي انه قبل المبعث بخمس سنين حضر السوق من نزار واليمن مالم يروا انه حضر مثله في سائر السنين ، فباع الناس ما كان معهم من ابل وبقر ونقد وابتاعوا امتعة مصر والشام والعراق (٥)

وكانت السوق تقوم باعمال مختلفة اجتماعية ، فمن كانت له خصومة عظيمة انتظر موسم عكاظ ، كانوا اذا غدر الرجل أو جني جناية عظيمة انطلق احدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر فيقول : إلا ان فلان ابن فلان غدر فاعرفوا وجهه ، ولا تصاهروه ولا تجالسوه ، ولا تسمعوا منه قولا ، فان اعتب والا جعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ فلعن ورجم ، وهو قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه
مقام الذئب كالرجل اللعين

ومن كان له دين على آخر أنظره الى عكاظ (٦)

ومن كان له حاجة استصرخ القبائل بعكاظ كالذى حكى الأصفهاني أن رجلا من هوازن أسر فاستغاث أخوه بقوم فلم يغيثوه فركب الى موسم عكاظ وأتى منازل مذحج يستصرخهم (٧)

وكثيراً ما تتخذ السوق وسيلة للخطبة والزواج فيروى الأغانى انه اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ ، وقدم أمية بن الأسكر الكناني وتبعته ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر . فتردد أبو هاشم ، ففخر كل منهما بقومه وعدد فعاله في قصائد ذكرها (٨)

ومن كان صعلوكا فاجرا خلعته قبيلته — ان شاءت — بسوق عكاظ وتبرأت منه ومن فعاله ، كالذى فعلت خزاعة : خلعت قيس بن منقذ بسوق عكاظ ، وأشهدت على نفسها بخلعها اياه ، وانها لا تحتمل له جريرة ، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه (٩)

« يتبع »

---

(١) دلائل النبوة لابي نعيم طبع الهند ص ١٠٥ . (٢) دلائل النبوة ١٠١ ـ ١٠٢ . (٣) الازمنة والامكنة ٢ : ١٦٥ . (٤) أخبار مكة للازرقي ص ١٣٢ . (٥) الاغاني ١٩ : ٧٣-٨٢ (٦) تاريخ الطبرى جزء ٣ ص ٢٢٩٨ (٧) الاغاني ١٠ : ٩

(١) الاغاني ١٠ ص ٢٩ (٢) الاغانى ١ : ٨٤ (٣) ما يدول عليه في المضاف والمضاف اليه نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب (٤) الاغانى ١٩ ص ٧٣ ـ ٨٢ (٥) الازمنة والامكنة ٢ : ١٦٨ (٦) الكامل لابن الاثير ١ : ٢٤٦ (٧) الاغاني ١٠ / ٢٤٨ ومابعدها (٨) انظر الحكاية بطولها في الاغانى ١٠ / ١٤٥ (٩) الاغانى ١٣ ص ٢ وما بعدها

من طرائف الشعر

كليوبطرة تناجي القصر

قطعة نظمها شاعر الخلود شوقي بك في رواية كليوبطرة ثم بدا له فاسقطها منها فلم تنشر (١)

أيها القصر أترعى عهدنا   وتقى ان عز في الناس الوفى ؟
لا تضع عندك اسرار الهوى   واخزنها في الزوايا والحنى
واتخذ ختماً على أشيائه   ان اشياء الهوى كنز سنى
ذكريات كلما حركتها   ضاع من جدرانك المسك الزكى
قبل لم يحصها إلا الهوى   طبن بالصبح وطيين العشى
يجد الجسم لها همساً كما   خفق السنبل أو رن الحلى
وعناق كالجفون اشتبكت   والغصين التف باللدن الطري
ايها القصر انقضى عرس الهوى   وطوى الاصباح ليل الانس طي
وقديماً في الليالي لم تدم   بهجة العرس ولم يبق الدوى

القرآن والتعليم

عرض مشروع التعليم الالزامي على مجلس الشيوخ فاقترح الاستاذ حسين والى حفظ القرآن لتلاميذ التعليم الأولى . فهز ذلك من صديقنا الهراوى فبعث الى الرسالة بهذه الابيات :

قل «لوالى» عززت بالقرآن   هل درى نيل قصدك المجلسان ؟
وثقة منك بالكتاب وللدين   تولى تسجيلها الملكان
ليت شعرى والخلق في الناس فوضى   هل له وازع سوى القرآن ؟
نحن في أمة تداركها الله   بلطف ورحمة وحنان
خدعتها حضارة الغرب حتى   كان منها عداوة الايمان
فانبرت للفسوق والنكر والبغي   جميعا والاثم والعدوان
فاذا لم يكن من الدين حصن   تمادى في الغي والعصيان
أن هذا القرآن يهدى الى الرشد   ويدعو لصالح الانسان
أصلح الله سعيكم هل أبيتم   أن تمدوا القرآن بالسلطان ؟
لا تقولوا : فى الحافظين غناء   بعض هذا ! أفما تفيد الأماني ؟
غير مجد أن يحمل الوحى صوت   يتغنى للأجر والاحسان
نحن نبغي القرآن علما وفهما   يخلقان الكمال فى الشبان
نحن نبغي القرآن لفظا ومعنى   فهو صيقل الحجا وصيقل اللسان
نحن نبغي القرآن دينا ودنيا   يتجلى في هديه الحسنيان
ليس مثل القرآن سحر من اللفظ   وهدى وحكمة في المعانى
نحن نبغي القرآن في معهد الدرس   وفى كل منزل ومكان

الهراوى

رويدك قلبي

صبا القلب من شوق وحن إلى مصرا
رويدك قلبي لا حنين ولا ذكرا
تشوقك مصر لا فؤاد بها إلى
لقائك مشتاق ولا كبد حرى
تركت بمصر قبل بيني وديعة
من الود فاستولى عليها الردى غدرا
وما حفظت مصر ودادي ولا رعت
بعادي ولا صانت كما خلتها السرا
فؤاد رحيم كان مس حنانه
أرق على قلبي من القطر أو أسرى
حنت له حيناً وشاطرته الجوى
وحن إلى عودى وشاطرنى الذكرى
ولو دام لى في مصر عذب وداده
لما اسطعت بعد اليوم عن أرضها صبرا
سلا اليوم ذكرى فى الثرى وتفردت
بحمل الأسى والشوق مهجتي الحسرى
أحن له ما راح دهرى وأغتدى
وما عشت أبلو بعد أمره له أمرا
وأسقى بدمعى ذكره كلما هفا
وهاجت بصدرى لوعة تلهب الصدرا
يعود إلى أوطانه كل نازح
فيحمد ظلا فى حماها ومستذرى
وأحيا غريباً طول عمرى مفرداً
رجعت لمصر أو تناءيت عن مصرا

لندن   فخرى أبو السعود

(١) بعث بها الينا الشاعر الرقيق وصفى القرنفلى بحمص ثم نبهنا الى ان كلمه (مقبر) التى وردت فى البيت الخامس من قصيدة شوقى الخطية صوابها (مصيحر) فله الشكر

في الأدب الشرقي

من الأدب التركي الحديث

محمد بك عاكف

للدكتور عبد الوهاب عزام

لا أريد أن أعرف اليوم بصديقي عاكف بك، ومكانته بين شعراء الترك، وكيف استحق أن يسمى «شاعر الاسلام»، وعسى أن أعود اليه في مقال آخر حين يأذن لي تواضعه وحياؤه أن أكتب عنه، ولكني أعرض قطعة من الجزء الاول من ديوانه المسمى «الصفحات» عنوانها «سيفي بابا» أي «الأب سيفي» أو «عمنا سيفي» بلغة مصر.

ولست في حاجة الي أن أبين للقارىء العزيز ما يفوته من جمال القطعة حين تترجم منثورة عاطلة من حلية النظم، ولا سيما نظم عاكف بك المحكم السلس الذي يعمد الى الموضوع الانف لم يألفه النظم ولم يروضه الشعراء فاذا هو ريض مذلل موطأ للشعراء كأنهم درجوا عليه قرونا.

سيفي بابا

عدت البارحة الي داري فقيل لي: «سيفي بابا» مريض طريح الفراش..

— ليت شعري ماذا به؟

— لاندري. غير ان ابنه مر علينا مصبحا فاخبرنا.

— ليتني كنت هنا. وا أسفاه.. الي بالفانوس. أين عصاي؟ عجلي يابنيتي. سأبيت هناك ان تأخرت فلا تنتظروا أوبتي. الطريق طويلة موحلة.

— لا بأس السنا وحدنا الليلة، فقد جاءت خالكم.

العكاز في يمناي، وفي اليسرى فانوس مكسور الزجاج تبص فيه شمعة، والمطر منهمر، والوحل الى الحيازيم، ليس للسابل منجاة من الغرق، لولا أن أرواح الاحجار — أحجار البلاط التي دفنها البلى تنبعث امامه فتدعوه الى الاعتصام بها (١).. ما زلت كالعقعق أحجل من حجر الي حجر، ممطرا أشآبيب الرحمة على موتى الاحجار لا تسل عما عانيت، ما جاوزنا الاحجار الا لنسبح في البحيرات سبحا، كان فانوسي يعوم فينثر الشرر حوله (٢). كنت واياه زورقين يتباريان، لا أدري كم سبحنا ولكنا انتهينا الى البر. فاخذ فانوسي يحس ما حوله قليلا قليلا، وكان الجهد قد بلغ مني مبلغه، ولكنه كان اشد تعبا، وكنت أرى عليه خمار الكد والنعاس، تارة يصطدم كالاعمي بجدار غير مطلي، وتارة تتساقط أشعته الميتة على قبر، وحينا ينطلق تحت سقف دار خربة، وحينا يتخطي معبدا دارسا، وطورا أراه يطوف في زوايا مقفرة مخوفة، ثم يعترض أفظع الرجال لقاء غير هياب.

وعابر تدثر في ثوب من حالك الليل يأوي الى طنف، هو والويل مضطجعا في مهاد من الرغام. تخاله نائما وكيف ينام؟

وجماعات من البؤساء، ضن عليهم بالبيوت الشقاء، وأوكار خرست اصداؤها، وبيوت خاوية على عروشها، واسراب من نساء أيامى مطلقات، واشتات من افراخ هذه الزيجات المبثوثة، وأكوام من القمامات جاثمة في الظلمات: اسرات هائمات في الازقة تحمل بيوتها على ظهورها، وقاطع طريق بالليل وهو في وضح النهار سائل. وشريد، وشحاذ، ولص وقاتل.

مناظر هائلة كلما بصر بها الفانوس الاعمي أبى الا أن يريني اياها ولست ادرى لماذا:

شرب الفانوس من ماء المطر فقال «جز» (٣) لافظا آخر انفاسه.

فانقلبت اعمي يتحسس طريقه بالسمع واللمس، وما اشد هذا

---

(١) يريد الشاعر ان أحجار الرصيف قد ساخت في الارض وظهر بعضها بين الماء والوحل (٢) مجاديف الزورق تبعث من الماء بالليل شيئا يشبه الشرر يسمى بالتركية يقاموز. (٣) حكاية صوت انطفاء النار بالماء.

هو لا ! وصارت العكازة لي عينا ويدا ورجلا ، لا اكذب الله ، لقد استشعر قلبي الفزع .

اشكر الله ، هذه ثلاثة فوانيس تمر أمامي . فلو استقامت على الطريق غير معرجة فسرت في أثرها ! ما حاجتي اليها . قد اهتديت الطريق . أقول ، واهتديت الطريق ، وقد بلغت غايتي فهذه دار صديقي القديم . أ أرى ضوءاً ؟ إن لم يكن فلا ريب انه قدهجع . لا بد ان يكون في وسط الباب حبل في طرفه خشبة ، فاذا وجدته جذبته ففتحت الباب . أجل . ولكن الباب موجف (١) أحسب ان خارجا قد خرج الآن . مالي ولهذا ؟ قذفت نفسي داخل الدار ونزعت الجرموق (٢) من رجلي وتقدمت ثم ملت ذات اليمين فاذا سلم ذو أربع مراق او خمس شق على الارتقاء فيه قليلا . وملت نحو اليسار ، وعالجت الستر الغليظ البالي المنسدل على الباب فوقع في اذني صوت الصديق الفقير

أين كنت يابني ؟ ما تفقدتني قط . لك العذر ، والذنب لي إذ لم اخبرك . أعرف أن عملك كثير وان دارنا بعيدة . هلم فاسترح قليلا فلا شك انك قد جهدت . أوقدت جارتنا النار منذ قليل فان تكن مقرورا فانبش في الموقد ، قلب النار واصطل ؛

كانت غبشة الحجرة موحشة ، فقلت لو أضاء هذا الفانوس ! وقدحت علبة من الثقاب حتى أمسكت آخر الأعواد فأدنيته من رأس الشمعة فهبط النور الى عينها العمياء ، كما تكحل العين بالميل انفتح ستر الظلام قليلا فتجلى للعين مرأى البؤس العريان . فلو كنت شاعرا ما استطعت أن اصوره فانها فلا كة لا يدركها الخيال .

زحف « سيق بابا » الى الموقد ناشرا على ركبتيه عباءة بالية .

قد أغلي جارنا الزيزفون منذ حين فلو وجدناه !

لا تقم ، أنا ابحث عنه

وإن اصبناه شربنا منه فهو نافع . ها هو ذا يابني . لا تبحث لا تبحث ،

ووقعت يدى على مغلاة بطية (٣) فاخذت أغلي الماء واسقيه قدحا بعد قدح ، فاستبان الدم قليلا في وجه صاحبنا الهرم .

— خبرني ماذا كانت علتك ؟ لعل زكاما اصابك فهذا شتاء قارس جدا .

— قطر الماء من سقف محمد آغا فصعدت الى السطح لاصلاح القراميد فاصابني البرد منذ خمسة عشر يوما . قل : ما لك وللقراميد أيها الأحمق ! أراني العام مشترك اللب ، ولست أدرى أهي

(١) مفتوح قليلا (٢) الجرموق حذاء يلبس على الحذاء ليقيه الوحل ونحوه

(٣) أريد بالمغلاة ما يغلى فيه الماء الشاى ونحوه وبطية عظيمة البطن .

الشيخوخة . أم ماذا . ولكن هب انى لا اصعد الي السطوح لإصلاح القراميد فمن لي بالخبز ؟ احسن ان اقعد كالأعمي وابسط يدى الى كل لئيم ؟ يا بنى من لم يكدح من اجل الخبز في هذه الدنيا فهو عار الاصدقاء ، وسخرية الأعداء . وإلا فالشيخ الذى جاوز الخمس والسبعين ليس كفئا للعمل ، وليس عليه إلا ان يفرغ للوضوء والصلاة . مرضت فلم اجد احدا يمرضني . عثمان (١) دائب ليل نهار يطلب عملا يقتات منه . ولست ادرى متى تدرك يده القوت . نحن في الساعة الثالثة الآن وهو لم يعد : ما افظع الوحدة ! يمضى الاسبوع يا بني لا يسقط إلي احد . قد بلغت مني الوحدة هذه المرة ما لا اطيقه .

— سأعرقك وانقل عباءك هذه الليلة فانى احسبك ان عرقت كثيرا تماثلت .

دع الشيخ يعرق ملففا في لحافه . . . رقدت على كليم بجانب المرقد وشرعت اتحسس النوم ولكن هيهات هيهات . . . وكان التعب قد غلبني فاغفيت ، فلما لاحت تباشير الصبح استيقظت فقلت ينبغي ان انصرف ، ولكن لا بد ان ادخل السرور على هذا الشيخ المعدم .

لم اجد في كيسى شيئا ، لم اجد عشر بارات ، لم اجد إلا خاتمي ذليلا منكسرا (٢) ؟

(١) ابن سيقي بابا (٢) الخاتم مقبض له مفصل فالانكسار هنا أن يميل المقبض وهو كناية عن الذلة

في الأدب الغربي

الذئب في الأدبين العربي والفرنسي

— ١ —

وصف الفرزدق صداقته وذئباً عاهده على ألا يخونه، فكان وفياً، ووصف الشريف الرضي ذئباً اصبح غرضاً لقسي نوازع، وطعمة لرهط جائع؛ ووصف البحتري ذئباً هزيلا سدد اليه نصالا اوردته منهل الردى، في قصائد تراها في دواوين هؤلاء.

وقد رأيت انها في موضوع واحد ـ هو الذئب ـ فما المجلية بينها اذا جرت معاً في حلبة السباق ؟ وما التي تقرب من المثل الاعلى في الموضوع ! ؟ وهل لها في غير العربية مثيل او شبيه ؟

وما دام في الفرنسية لهذه القصائد ند، وما دام بين الشعراء الفرنسيين من نظم في هذا الموضوع، فسنعرض لقصائدهم هذه بالنقل علنا نستطيع الموازنة بينها كلها او البحث فيها كلها، ولعل قصيدة (الفرد دفني) الشاعر الفرنسي الفذ في «موت الذئب» أقرب ما قرأت الى هذه الروائع، فستكون أول ما نترجم. واما الموازنة بينها فستكون في عدد تال إن شاء الله.

موت الذئب

La mort du Loup

خفت السحب الى القمر المتألق، كما يخف الدخان الى الحريق، واسودت الغابات فبلغ سوادها الأفق، وكنا نمشي على النبت الأخضر الندى دون ان ننبس بكلمة. فلمحنا في الظلام الكثيف تحت اشجار الصنوبر مخالب الذئاب التي كنا نطاردها منذ هنيهة.

فانصتنا حابسين انفاسنا، وسمرنا ارجلنا الى الأرض، فلا الغابة ولا السهول يتنفسان في وجه الريح الساكنة، اللهم الا دولاب هواء حزينا كان يصعد في السماء زفرة وداع اليمة، لان الهواء ارتفع عن الارض فلا يصيبه منه شيء.

وكان كل شيء ساكنا، حين تقدم الصياد الشيخ خافض الرأس يتحرى ويدقق، فنظر الى الرمل الذي اضطجع عليه منذ قليل ثم قال:، وهو الذي لم تؤخذ عليه هفوة، «إن هذه الآثار آثار مخالب ذئبين كبيرين وجرويهما تبخترت من وقت غير بعيد.»

فهيأ كل منا سكينه، وأخفينا بندقياتنا وبريق حديدها الابيض، ووقفت وثلاثة من رفاقي نرمي ببصرنا الى الامام، واذا عينان تتقدان بالشرر، وأربعة اشباح أخرى رشيقة ترقص في وسط الاعشاب على ضوء القمر.

كانت الذئاب تشبه الراقصين بحركاتها، تلعب في صمت ورزانة عالمة أن على قيد خطوتين منها عدوها الانسان، مضطجعا بين جدران بيته لم يأخذ النوم بمعاقد اجفانه بعد.

وكان الذئب الأب واقفاً على بعد أمام الشجرة وزوجه مستريحة كصنم المرمر الذي عبده الرومان ومنه انحدر روموس وروموليوس.

وأقعى الذئب ومخالبه غائصة في الرمل، حين علم انه هالك لا محالة، لان عدوه باغته وملك عليه سبيله، وامسك بفمه الملتهب عنق أجرأ كلابنا، ولم يحول عنه فكيه الحديديين على رغم طلقاتنا النارية التي اخترقت جلده، وعلى رغم مدانا الحادة التي مزقت احشاءه، ولكنه لما احس بأن فريسته فارقت الحياة قبل ان يفارقها هو، أفلته من فكيه، ونظر الينا مرة واتبعها أخرى الى جسمه فرأى المدى غارقة في احشائه، ورأى نفسه سابحاً في بحر دمائه، تحيط به البنادق، فحدق فينا ثانية واضطجع وهو يلعق ذنبه بفمه، ويلقف نزيف الدم من كلومه، ودون ان يجرب او يبحث كيف يموت، اغمض عينيه الكبيرتين ومات دون ان يصرخ صرخة واحدة...

.....

اسندت جبهتي حينذاك الى بندقيتي واستسلمت للأفكار فلم اجد سبيلا الى متابعة تلك الصور المزرية التي سيصبح عليها اولاده الثلاثة، وتصورت حال الأم وقد ارادت أن تشارك زوجها في حمل عبء هذه التجربة الخطرة، ولكن واجبها يقضي بأن تنقذ أولادها. وان تعلمهن كيف يتحملن الجوع، ويصبرن على ملاقاة

الموت ، وان تحذرهن دخول المدن لئلا يخدعن بالعهد الذى قطعه الانسان للحيوان . هذا الحيوان الذى يجرى امامه فى الصيد ، ويخدمه . . كل ذلك لؤوية وهو سيد السهل والجبل . .

* * *

واأسفاه ! لقد فكرت كثيراً فى معنى عظمة هذا الاسم الذى يتحلى به بنو الانسان ، وعدت الى نفسى خجلا اتهم الانسان بالضعف والجبن .

أنت وحدك ايها الحيوان علمت كيف يجب ان نغادر الحياة واوزارها ، فليس فيما نعمله فى الحياة الدنيا ، وفيما نتركه عليها ما يستحق الذكر الا الصمت . هو العظمة ، وكل ما سواه ضعيف .

آه ! . . لقد فهمت معنى نظرتك ايها المسافر المستوحش لأنها نفذت الى اعماق فؤادى قائلة : —

« اذا استطعت فاجعل نفسك — على تفكيرها وحلمها — واثقة مطمئنة من القضاء والقدر .

« الشهيق والبكاء وصلاة الخوف كلها جبن ، فاعمل بثبات عملك الطويل الشاق ، فى الطريق التى شاء الحظ ان يدعوك اليه ، ثم . . تألم . . ومت . . مثلى دون ان تنبس بكلمة . . .

حلب : سامى الدهان

بنجن على ضفاف الرين

للشاعرة الانكليزية HON. MRs. NORTON

كان ثمت جندى ملقى على الأرض فى بلاد المغرب ينتظر موته .
لم تعن به ممرضة ، ولم تذرف الدمع على فقده امرأة .
ولكن عنى به صديق وقف الى جانبه وهو يلفظ النفس الاخير .
ومال على المحتضر بنظرات كلها اشفاق وحسرة ليسمع ما ذا يقول .
تناول الجندى المشفى على الموت يد رفيقه وقال بصوت متهدج مرير : « لن أراك يا وطنى — يا وطنى العزيز بعد :
بربك خذ رسالتى وأبلغها أصدقائى البعيدين كل البعد ،
فقد ولدت فى بنجن — فى بنجن على ضفاف الرين !

* * *

« قل لاخوتى ورفاقى عند ما يحتشدون حولك ،
ليسمعوا قصتى المحزنة فى مزرعة الكرم ،
قل لهم اننا قاتلنا بشجاعة واقدام ، فلما انتهى اليوم كانت الجثث
مبعثرة فوق الثرى عليها صفرة الموت تحت الشمس الغاربة
وبين الموتى جنود مارست الحرب وعركتها ،
صدورهم دامية من اثر الطعن ،
وبعضهم صغير السن لم يلبث ان اظلم صبح حياته ،
وواحد منهم من بنجن — من بنجن الجميلة على ضفاف الرين .

* * *

« قل لأمى ان اخوتى الباقين سيكونون لك خير عزاء !
قل لها لقد كنت عصفوراً هائماً يحسب وطنه القفص
وقد كان ابى جنديا وكنت فى طفولتى اهتز طربا عند ما اسمعه
يقص عن الحروب اروع القصص
فلما مات وتركنا نتقاسم ميراثه المتواضع
قلت لهم خذوا ما شئتم ولكن دعوا لى حسام ابى
وبشغف الطفولة المرحة علقته حيث تسطع الشمس ،
على حائط الكوخ فى بنجن — بنجن الهادئة على ضفاف الرين .

* * *

« قل لاختى لا تبك على ولا تحزن !
إذا رأت الجنود عائدة الى مستقرها تخطو مطمئنة فرحة ،
قل لها لا تبك ، ولا تعول بل لتنظر اليهم بفخر وزهو
لأن اخاها كان جنديا مثلهم ، ولم يكن يهاب الردى
واذا تقدم اليها احد الرفاق من الجند يخطب ودها
فانبئها باسمى أن تنصت اليه ، لا آسفة ولا مانعة .
ولتعلق ذلك السيف القديم فى موضعه ، سيف ابى وسيفى
حيا فى بنجن القديمة — بنجن الغالية على ضفاف الرين .

* * *

« وثمت فتاة اخرى ليست باخت . صحبتها فى الأيام السعيدة السالفة ، ستعرفها من ذلك الحبور الذى يتلألأ فى عينيها ، بريئة لم يمسها العار ، متهكمة يحلو لها ان تهزأ وتسخر .
غير انى ايها الصديق اخاف على اشد القلوب جذلا من ان يثقلها الحزن
قص عليها حديث الليلة الأخيرة من حياتى ، لاننى سأموت قبل طلوع القمر .
ستذهب من جسدى الآلام وتخرج روحى من السجن .
كانى احلم بها وانا واقف معها نشاهد الشمس وهى تغرب وراء

تلال بنجن المكسوة بالكروم ـ بنجن
الجميلة على ضفاف الرين .

* * *

« اني ارى النهر الأزرق يتدفق ماؤه » واسمع او يخيل الى اني اسمع : اناشيد الألمان التي كنا نغنيها في صوت متناسق عذب فتتردد بين النهر والسهول المنحدرة في جوف الليل الصامت الهادى .

اني ارى عينيها محدقتين فى ، ضاحكتين زرقاوين ، وكانى اسير الى جانبها فى تلك الطرق المحببة الى ، تلك الطرق التى اذكرها بالاجلال والتقديس ، واحس يدها الصغيرة آمنة فى يدى .

ولكننا لن نلتقي مرة اخري فى بنجن ـ فى بنجن العزيزة على ضفاف الرين .

* * *

اخذ صوته الأجش يضعف ويفنى ، وصارت قبضته كقبضة الطفل وارتسمت فى عينيه اشباح الموت ، ثم تنهد وامسك عن القول .

فمال عليه صديقه لينهضه ؛ ولكن سراج حياته كان قد خبا .

لقد مات الجندى المسكين في ارض نائية عن وطنه .

عندئذ طلع القمر على مهل واطل على الكون وعلى الرمال المخضبة بالدماء إثر المعركة ، وعلى الجثث المتناثرة المبعثرة .

وفي هدوء ، ارسل اشعته الشاحبة على ذلك المنظر المفزع .

كما يرسلها على بنجن البعيدة ـ بنجن الجميلة على ضفاف الرين .

محمود فهمي رزق

« أغنية .. لفكتور هوجو »

يولد الفجر ، وانت موصدة الأبواب !
فلم يا حسنائي الرقود ، ساعة يقظة الورود ؟
فهلا تستيقظين ؟
اسمعي يا فاتنتي غناء محبك وبكاءه !
كل يقصد جمالك المبارك .
فالفجر يشدو : « انا النهار » !
والعصفور يغرد : « انا الموسيقى » !
وقلبي يردد : « انا الحب » !
اسمعي يا ساحرتي غناء محبك ونواحه !
اعبدك كملاك ، واحبك كامرأة .
والاله الذى كمل خلقه بك
جعل حبي خصيصاً لك
ونظري لرؤية جمالك !
اسمعي يا غادتي غناء محبك ونحيبه

حلب   سامي الدهان

بنت فرعون تحب

« بقية المنشور على صفحة ٢٣ »

ولكن ماذا يفعل بالاس في قوم يشركون الآلهة فى كل شأن من شؤون الحياة ؟ التقى بالاس ذات ليلة بالاميرة تحت شجرة الجميز الكبرى القائمة فى إحدى زوايا القصر ، حيث اعتاد الفتى والفتاة ان يتناجيا بلغة كوبيدون الشجية ، كلما سمحت لهما الفرصة ، فقال بالاس : أميرتي ! هيا نهجر هذا البلد الذي حرم الحب تحت سمائه ، حيث يسعد القط والضفدع ، فيؤلهان ويقدسان ، بينما يشقى البشر .. لنذهب الى يونان الجميلة .... فأجابت تى فى حماسة : ما أعظم شوقى الى رؤية وطنك المحبوب ذي الجبال الشاهقة التى يرتقى منها الناس الى مقر الآلهة في الاولمب !! .

ولكن عادت تي فقطبت حاجبيها قائلة : ولكني أخشى غضب الآلهة وسخطهم علينا يا بالاس ! فصاح بالاس : كلا ياحبيبتى لا تخشى شيئاً الآن الحب الذى يحرك قلبينا : ماهو إلا هبة من نفس أولئك الآلهة ..

أعد بالاس بعد تلك المقابلة زورقاً وجهزه بالزاد لرحلة طويلة ، وفى ليلة ظلماء ، حمل بالاس الاميرة الى الزورق نازلا في النيل الى البحر الابيض ، ولم ينس ان يحمل معه ايضا التمثال الذهبي الذى وضع فى حجرة تى لشفائها من الحب ، ولما سألته الاميرة فى دهشة عن سبب حمله للتمثال كذلك ، اجابها مبتسما : هذا ... مهرك ياحبيبتي !

كرمة ابن هانىء : حسين شوقى

الاقيانوغرافيا

أو

تقويم المحيطات

بقلم الدكتور حسين فوزى

مدير ادارة ابحاث المصائد

قلما استطاع المرء مهما امتدت ثقافته أو رق شعوره أن يدرك وهو على شاطىء البحر مدى ذلك الجزء من الارض يغطيه الماء. وعبثا يعلم أن البحار تغمر نحو ثلاثة أرباع الكوكب الذى نعيش عليه. وانى له أن يقدر معنى هذه الحقيقة ويفهم أثرها فى تطور المخلوقات، بل فى تاريخ البشرية منذ ظهر الانسان على سطح البسيطة؟ وماذا يعلم عابر المحيط من أمره اذ يرى سفينته العظيمة تتلقفها الأمواج وسط دائرة الافق المطبق على سطح زاخر من الماء؟ وهل أدرك فى تلك اللحظات أنه رب سابح فوق هوات عميقة لو أن جبال أيفرست اقتلعت من رواسيها وغاصت فى البحر لابتلعتها تلك الهوات دون أن يظهر أثر لقمتها الشامخة بتاج جليدها الأبدى؟ وكيف يدرى أسرار تلك المياه وحركاتها وما اودعته من مخلوقات كأنها أسرار الجنة مغلقة فى قاعها؟ وأنى له أن يفهم أثر الافلاك فى ذلك المنبسط العظيم من الماء؟ وكيف يطلع على المآسى الدائرة على أساس تنازع البقاء وسط ذلك الخضم الهائل؟

أدرك الشعر عن طريق احساسه شيئا من تلك العظمة البالغة. ووقف الشعراء يقارنون بين اليابسة وما عليها — فهنا تترك العصور الجيولوجية طابعها فى الثلاجات والجبال والكهوف والوديان. والعصور التاريخية آثارها فى المعابد والمقابر والمنازل. ولعل الصحراء أشد ما على اليابسة قدرة على الكتمان، ومع هذا فقد تنجح أو لا تنجح فى أخفاء معالم الحضارات فى بطون كثبانها — وبين البحر وقد شهد معالم التاريخين، وتنازعته القوى الطبيعية والقوى البشرية، واتصلت بين شواطئه الحضارات. وهو عدا زئير أمواجه صامت لا يفشى سرا من اسراره. تأمل البحر الأبيض تلك البحيرة الضئيلة وسط المحيطات. دُر حوله وطالع اثر الحضارات العظيمة التى قامت على شواطئه. هنا فينيقيا ومصر ويونان وروما والبندقية وجنوا وعصر الاحياء (الرينسانس) والقرن التاسع عشر. نصت الى صفحته المصقولة لتستخرج حديثا وحيدا. نبه عن ذلك الماضى، سله عن سفن يونان عائدة من طروادة لعله يخبرك بخبر اوديسيوس او أينياس. او عن سفائن الفرس وما اصابها من تمستوكل فى سلاميس. او عن اسطول كليوبطرة لتعلم كيف باع انطونيوس ملك العالم فى اكتيوم مطاردا الهاربة الجميلة. سله عن محاربة بونابرت فى أبى قير. أو عن اجدادنا الاقربين فى نافارين، ذهبوا ليخنقوا حرية يونان وما استطاعوا ان يدافعوا عن حريتنا. سله عن ذلك التاريخ القريب والبعيد، بل سل عن الجاريات المنشئات وكانت منذ لحظة صروحا شامخة يمرح على سطوحها ألوف من الناس. اى جواب تتلقى من البحر غير اصطخاب أمواجه او تلألؤ الشمس فوق صفحته اللازوردية الصافية؟

وليس من عجب ان نجد البحر فى اساطير الاقدمين ركنا من اركان القوة الهائلة المجهولة المحيطة بالبشر. فقد طغى على البشرية جمعاء ذات يوم فاغرقها الا فرقة صالحة استوت سفينتها على جبل الجودى.

وشطر (مردخ) العملاق (تيامات) فجعل من اشلائه الارض والسماء. وركز الاولى وكانت على شكل جبل متوج بالسحب فوق البحر الذى تبزغ الشمس من شرقه لتغوص فى غربه

وامر جيهوفا الماء ان يغيض فى مكان لتظهر اليابسة وسماها الارض واقام صرح السماء كالقبة على سطح البحر.

واقيانوس أبو الآلهة تقمص بحرا احاط باويقومينا واتصل بالبحر الأبيض عند اعمدة هرقليس. ونفذ تحت الارض لينبثق فوق سطحها عيونا وغدرانا وانهارا.

وقصت علي جدتي حكاية ثور معروف يحمل الارض على قرنه. وينقلها من قرن الى قرن كما انقل ثقل جسمي من ساق الى ساق، حين يعاقبني مدرس الجغرافيا بالوقوف الى الحائط

وقد اردت تحويل خرافات جدتي الى حقائق جغرافية.

— وأين تنتهي الارض ياجدتي؟

— عند جبل قاف يابني

— وماذا بعد جبل قاف؟

— تنين يحيط بجبل قاف يابني.

— والتنين ياجدتي؟

— سابح في البحر الذي يحيط بالدنيا. والثور واقف على جزيرة من جزر ذلك المحيط..... وهكذا.

ولقد حاول اليونانيون ايضا تحويل امثال هذه الصور الخرافية الى حقائق جغرافية.

ولكن هيرودوت انكر وجود بحر يحيط بالارض من الشرق، وقد عرف في مصر خبر بعثة وجهها نيخو الثاني سنة ٦٠٠ قبل الميلاد في البحر الاريتري = بحر البلاد الحمراء اى بلاد العرب = فدارت حول افريقيا حتى عادت الى مصر بعد ان اخترقت اعمدة هرقليس (جبل طارق). ولم يصدق هيرودوت ما ذكر عن ملاحي تلك الرحلة من أنهم شاهدوا الشمس تشرق وتغرب عن يمينهم في احدى مناطق طوافهم.

ورأى ارسطاليس الرأى القائل بأن الاريتري والاطلانطيق بحر واحد، وتضاءلت الدنيا امام عليه حتى قال باستطاعة سفينة شراعية ان تسافر في رياح ملائمة من أعمدة هرقليس (جبل طارق) حتى الهند.

وجاء العالم الاسكندري بطليموس في القرن الثاني قبل الميلاد وقال بان افريقيا تتصل شرقا اتصالا تاما بآسيا وان المحيط الهندي بحر داخلي. وكان يعتقد هو ايضاً أن غرب اوربا قريب من شرق آسيا. ويرجع الى هذا الرأى الذى ارتآه عالم كبير كبطليموس بعض الفضل في اعتزام كولمبوس الوصول الى الهند من غرب اوربا واكتشافه أميركا

وهكذا ظل العالم يتخبط في تفهم مدى المحيطات حتى بدأ البرتغاليون والاسبانيون رحلاتهم المجيدة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر. واستطاع فاسكو دى جاما تطويق رأس الرجاء الصالح. واكتشف كولمبوس جزر الانتيل وقد حسب انه وصل الى آسيا، ولم يدر أنه كان في اسبانيا اقرب الى آسيا منه وهو في دنياه الجديدة

وسافر ماجلان من اسبانيا مخترقا الاطلانطيق فالمضيق الذى حمل اسمه فما بعد فالمحيط الهادى. ومع انه قتل في الفيلبين فقد عادت بعثته الى اسبانيا بعد اتمام طوافها حول العالم في ثلاث سنوات

وهكذا استطاع العالم في اقل من نصف قرن (١٤٩٢-١٥٢٢) ان يعرف اضعاف ما عرفه الاقدمون عن البحار. واذا استثنينا رحلات العرب في المحيط الهندي بعد ذلك التاريخ فان الاستكشافات فقدت نشاطها منذ أوائل القرن السادس عشر حتى قام الكابتن كوك برحلته في البحار الجنوبية في اواخر القرن الثامن عشر. حينئذ استطاع الملاحون أن يتصوروا عن المحيطات صورة اقرب الى الحقيقة

واذا كانت الجغرافيا تشمل وصف المحيطات باعتبارها جزءاً من الكوكب الارضي فقد اختصت الاقيانوغرافيا بدراسة المحيطات كوحدة كونية تغمر ثلاثة ارباع الكرة الارضية، ومع ان الاقيانوغرافيا تحاول ان تجد لها نسباً عريقاً في جميع الاكتشافات السالفة الذكر، فالواقع انها لم تنشأ كعلم مستقل الا في النصف الاخير من القرن الماضي

وعلينا الآن ان نترك التاريخ لحظة اذا اردنا ان نعرف الى اى حد يحق للاقيانوغرافيا ان تصل بنسبها الى الاستكشافات الجغرافية قديما وحديثا، ولا يمكننا معرفة ذلك قبل الاجابة على السؤال الآتي:-

ما هي الاقيانوغرافيا

الاقيانوغرافيا هي وصف احواض المحيطات والظواهر التي تبدو على سطحها، والعوامل والتفاعلات الحادثة في بطنها. ودراسة القاع وتكوينه منذ أن ينحدر الشاطئ القاري تحت الماء حتى ابعد الأعماق، ودراسة المياه التي تملأ احواض المحيطات وما فيها من مواد عالقة او ذائبة. وأثر الضوء والحرارة على المياه ومحتوياتها.

هذه هي الاقيانوغرافية الاستاتيكية

وفهم أثر الرياح والقوى العالمية (كجاذبية القمر) على سطح الماء من امواج ومد وجزر. ودراسة أثر الثلوج القطبية وما تسببه من تيارات

تلك هي الاقيانوغرافيا الديناميكية

ودراسة الاحياء التي تغشى القاع او تعيش في طبقات الماء المختلفة. وتلك هي الاقيانوغرافيا البيولوجية

يظهر من هذا العرض السريع ان الاقيانوغرافيا تستعين بعلوم مختلفة . فدراسة خصائص الماء وما بها من مواد ذائبة او عالقة . وأثر الضوء والحرارة عليها وحركة التيارات تقتضي تطبيق علوم الكيمياء والطبيعة . ودراسة القاع وتكوينه ليست إلا تطبيقا جيولوجيا . كما ان تحديد مرتفعات هذا القاع ومنخفضاته - بطريق قياس الأعماق - هي عملية طبوغرافية . وفهم أثر الرياح على سطح الماء يقتضي فهم الجو نفسه بطريق علم الارصاد (الميتيورولوجيا) وتقدير ارتفاع المد وانخفاض الجزر وتوقيتهما يحتاج الى معارف فلكية . وفي كل هذا يلجأ الاقيانوغرافي الى الرياضيات لحصر تلك الظواهر الطبيعية في دائرة المعادلات والقوانين. كما ان من البديهي ان ترتكز الاقيانوغرافيا البيولوجية على علمي الحيوان والنبات

وقد يتساءل نوع من القراء ، وقد فرغ من هذا التعداد . وما فائدة كل هذه الدراسات ؟ وهذا النوع من التساؤل طبيعي في الناس ولكنه يتخذ في مصر لهجة يشوبها غير قليل من السخرية ، ويظهر اننا برغم مايبدو من مقدار نجاحنا في دوائر العمل — أو فشلنا بالاولى — رجال عمليون بالفطرة .

فاذا حدثتنا عن فينوس ميلو ، أو مخلفات ميكلانج ، أو بدائع دورر ، أو نظرية اينشتين . أو تافشتيناقيمة ، ولف عظيم اتهينا بك الى « جيل » . ولكن « مافائدة كل هذا ؟ » . إذ يجب على المؤلف والفيلسوف والمصور والحفار أن يحض على فضيلة أو ينشىء مصنع طرابيش ليكون لعمله قيمة في نظر أبناء : « مصر ... قطعة من أوربا » .

ومن حسن حظ الاقيانوغرافيا أن تجيب السائل عن سؤاله باكثر من جواب . على اننا قبل أن ننوه « بفوائد » الاقيانوغرافيا لن نتردد في القول بانه اذا كان الاصل في البحث العلمي هو رغبة الإنسان في استخدام القوي المحيطة به ، فانه يرجع في غير قليل الى رغبة البشرية في فهم تلك القوى لمجرد الفهم .

واذا كان الكشف العلمي قد أدى إلى حضارة اليوم فان هذه الحضارة لم تكن لتبلغ هذا المبلغ لو لم يكن من أجل صفات الذهن البشري أن يفكر لمجرد التفكير ، محاولا فهم كنه الظواهر المحيطة به . والا فما الاديان وما الفلسفة ؟

واذا كان الانسان قد قام برحلاته في المحيطات لغرض عملي ، فليس معنى هذا أن ننسى فضل المفكر الذي يقف بشواطىء المحيط حائراً متسائلا إلى أين تمتد مياهه . ناظراً إلى السماء متسائلا ماذا وراء النجوم . والانسان الأول قبل أن يمد عدته للانتفاع بمنتجات البحار ، وقف بشواطئها يتأمل مياهها لا لشيء إلا لأن الانسان حيوان مفكر . ثم لمح مخلوقا غريبا يلمع في طبقات الماء فغاص وراءه أو فكر في طريقة لصيده ، لا لشيء إلا للرغبة في تعرف هذا المجهول . ثم أدرك بعد ذلك أنه يستطيع الانتفاع بلحم هذا المخلوق في غذائه .

رأيت أن لا مناص لي من أن أتنحى هذا الجانب من التفكير في عرض الكلام عن الأقيانوغرافيا . قبل أن أتحدث عن فوائدها ، ذلك لأن هذه الفوائد مهما كبر شأنها فلن تستطيع أن تفسر الذهن العادي معنى المجهود الذي بذاته وتبذله الانسانية لكشف البحار . ولقد سئمت أذني سماع سؤال واحد في الأيام الاخيرة بمناسبة البعثة الأجنبية التي تستعير السفينة الأقيانوغرافية المصرية « مباحث » للكشف العلمي بالمحيط الهندى . « ما فائدة هذه الرحلة ؟ » .

وكان جوابي واحداً في كل مرة : « لافائدة منها الا أن نضيف كنزاً من المعرفة إلى كنوز العالم » .

ما فائدة الاقيانوغرافيا

رأينا في بدء هذا المقال كيف جهد الملاحون جهدهم في تعرف أنحاء الأقيانوسات . ولا يكفي في معارف الملاح أن يعلم باتجاهات الرياح وكيف يجد الجهات الاصلية في الليل والنهار . فهو إذا رفع نظره دائما إلى النجمة القطبية كان نصيبه من البحر نصيب ملاح (الراين) في أنشودة هاينى « لوريلاى » إذ تأسر بصره الجنية الجالسة عند أعلى الصخرة تمشط شعرها الذهبي ، فاذا بقاربه يرتطم بالصخور ويتحطم ..

فالملاح يجب أن يعرف من أعماق البحر ما يقيه شر المياه الضحلة لذا كان سبر الاعماق من أقدم ما قام به الانسان من دراسة أقيانوغرافية . على انه إذا كان سبر الغور هاما قرب الشواطىء وما اليها من مواضع قريبة القاع ، فلم يكن يهم الملاح أن يعرف أعمق ما يصل اليه البحر . ويغلب على الظن انه كان يعتقد بان غوره في بعض الجهات لا نهائي كالجو . وأول محاولة سجلها التاريخ لقياس الاعماق البعيدة هي ما قام به ماجلان ، إذ دخل المضيق المعروف الآن باسمه وأدلى مقياس أعماقه وهو ثقل معلق بحبل لا يزيد طوله على بضع مئات من الامتار ، فلم يرتكز الثقل على قاع ، ولذا اعتقد انه وصل الى أعمق بقعة في المحيط . والواقع أن العمق في مضيق ماجلان لا يتجاوز ٤٠٠٠ متر في حين انه اكتشفت أعماق أبعد من هذا (نحو ١٠٠٠٠ متر)

كذا يهم الملاح معرفة نوع القاع في الأعماق القريبة . وقد

روى هيرودوت خبر العلامة التي يعرف بها الملاحون اقترابهم من شاطئ مصر – وهو شاطئ منخفض لا يرى إلا عن قرب – فهم إذا عاد ثقل مقياس الغور مخاطا بالطين وسجل عمق احد عشر ذراعا عرفوا أنهم على مسيرة يوم من شواطئ مصر .

وإذا كانت الأعماق السحيقة لا تهم الملاح فهو مهتم في جميع أنحاء البحر بالعميق منها وقريب الغور بمعرفة اتجاه التيارات . وقد لاحظ بنيامين فرنكلين في سنة ١٧٧٠ وكان مديرا للبريد في انجلترا الجديدة ان البريد المرسل من انجلترا يصل أميركا على السفن الاميركية أسرع من وصوله على السفن الانجليزية . فاخبره القبطان الاميركي بخبر تيار بحري يتجه في المحيط الاطلانطيق الى الشرق تنتفع به السفن الاميركية في الذهاب وتتجنبه في الاياب . بينما تجهل امره السفن الانجليزية . وحينما سافر فرنكلين الى فرنسا حرص على تدوين ملاحظاته عن هذا التيار (جولفستريم) ورسم خريطة له ظلت سراً حتى طرد الانجليز من مستعمراتهم الاميركية الكبيرة وقد كان هذا الاكتشاف بدء عهد الملاحة الترمومترية . إذ كان الملاح يتعرف وجوده في طريق هذا التيار بملاحظة ارتفاع درجة حرارة الماء من معدل معروف للاقيانوس في المناطق التي لا يمر بها التيار . وللملاحة الترمومترية فائدة عظمى في الضباب إذ يدل انخفاض درجة حرارة الماء انخفاضا سريعاً وغير عادي على اقتراب السفينة من جبال ثلجية عائمة .

ويعرف الملاح أيضاً حركات المد والجزر . إذ بدون معرفتها تتعرض سفينته لأخطار الارتطام بالصخور كما لا يستطيع تعيين وقت دخوله المرافئ .

ويعني صانعو السفن ومهندسو الموانئ بدراسة خصائص ماء البحر . لاختيار المواد التي ينشئون منها قاع السفن وحواجز المياه والأرصفة فلا تؤثر فيها مياه البحر وما بها من أملاح ذائبة وخصوصاً كلورور الصديوم .

وإذا سقنا الملاحة والهندسة البحرية مثلا على الفنون والحرف التي تنتفع بالمعلومات الاقيانوغرافية فان علينا أن نشير الى حرفة قديمة قدم الاقيانوغرافيا بغير قليل من تقدمها . تلك هي حرفة الصيد .

ولقد سبق أن كتبنا عن « بحوث مصائد الأسماك »(١) وهي في البحار فرع من الأقيانوغرافيا محدود بأغراض نفسية محضة . وسنعود في فرص أخرى الى هــــذا الموضوع وانما نكتفي الآن بالاشارة الى كنوز البحار من أسماك وحيتان ووحوش وسلاحف ولآلئ ومرجان وأعشاب . ينتفع بها الانسان لغذائه وزينته وتدخل في صناعاته إذ يستخرج منها الزيوت والأسمدة واليود الخ .

وأخيراً عرف المتتبعون أخبار العلم بخبر تلك المحاولة الجبارة التي يقوم بها جورج كلود للانتفاع بقوى المحيطات الحرارية . فهذا العالم الفرنسي يبني تجاربه على أساس ظاهرة كشفت عنها الأقيانوغرافيا . وهي ان اختلاف درجة الحرارة بين السطح والقاع في البحار الاستوائية كبير الى حد إمكان تحويل هذا الاختلاف الى قوة محركة .

هذا عن الفوائد العملية المباشرة . أما عن فائدة الاقيانوغرافيا للعلم نفسه فقد وجد فيها علم الارصاد خير معين على تفهم الظواهر الجوية على سطح الارض . فالجو بحر غازي يتأثر بالحرارة والضغط وجميع العوامل الأخرى التي تؤثر في البحر . ولما كان هذا الاخير بطيء التأثر بالنسبة الى الجو الأهوج . فان بطء الظواهر البحرية خير معوان على تفهم ظواهر الجو السريعة كما يفهم الانسان حركات العدو ، أو القفز العالي عن طريق فلم سينمائي يدار ببطء ، كما ان سطح المحيط هو خير منطقة لدراسة الجو في أبسط مظاهره ، فبينما تكثر المرتفعات والمنخفضات على سطح الارض ويتغير الضغط الجوي تبعاً لها . نرى البحر بسطحه المستوى وصفحته المائية يحول دون التغيرات السريعة في الضغط الجوي الناشئة في الارض عن مرتفعاتها ومنخفضاتها . كذا برودة الهواء وسخونته أقل استعداداً للتغير الكبير السريع فوق الماء منها فوق اليابسة .

وكان من الطبيعي أن تنتفع الجيولوجيا من الأقيانوغرافيا ، فى دراسة قاع المحيطات الحالية وتفسير تكوينها مما يعين الجيولوجي على أن يفسر تكوين بحار العهود الجيولوجية المنقرضة

وتبدو استفادة علم الحيوان من الأقيانوغرافيا بمقارنة مجموع الحيوانات الأرضية والحيوانات البحرية المعروفة . فاذا فتحت أي كتاب حديث في علم الحيوان عند الفهرس وجدت ان فصائل الحيوانات البرية لا تمثل الا نسبة ضئيلة في مجموع الحيوانات المعروفة

وبعد أليس هذا طبيعياً ؟ فساحة البحار تعادل نصفا وضعف مساحة اليابسة . واذا كانت الاحياء الأرضية تعيش فوق السطح أو تغادر هذا السطح قليلا لتطير في الهواء ، فالاحياء المائية تغشى المحيط عند سطحه وفي جميع طبقاته . وفوق قاعه . فاي عجب أن تكون أكثر بكثير من الأحياء البرية ؟ ونعرف ان عمق المحيط يتراوح بين متر وعشرة آلاف مــــتر ، هذا الى اننا الآن

« البقية على صفحة ٣٧ »

(١) انظر العدد الخامس من الرسالة ص ٢٣

القصص

قصة سودانية

تاجوج ومحلق

ما كنت أحسب قبل ان يحدثني صديقي حمدان ، ان بجانب الغاب أكواخا تحوي جمالا ، وان في أواسط البيد جنات يرف ورد الحياة الفياح فيها ، وتتفتح اكمام العيش الهني عن زهرات من الحب السعيد والهوى البرئ

لذلك لم تتهيأ لي الفرصة لركوب السفين حتى انتهزتها ميمما الجنوب الى ان رست بنا على مرسى الغاب المزعوم

وهناك انتقلت من ظهر السفين الى ظهر الهجين ، فأخذ يخب بي بين نجاد ووهاد ، تارة في رأد الضحى ، وطورا في طفل الأصيل ، حتى انتهيت الى حيث أراد الدليل

فادرت ناظري فيما حولي من الأدغال يخفق قلبي روعة ، ويذهب لي حيرة ، وإذا بشيخ كهل قد أتزر بمئزر ، والتفع برداء ، يقول في جفاء البداوة ، وجفوة الاعراب ، ماذا تريد يازول ؟ قلت التمتع والاستطلاع ، فاربد وجهه ، وانقبض جبينه ، وكأنما الشر قد جثم بين عينيه ، فانخلع قلبي حذر ان اكون استبحت حماه ، ولكن صديقي دلف الينا بسرعة ، وحيا البدوي في حديث مرسل ينم عن سابق معرفة ، وقديم صحبة ، فهدأت نفسه وسكن غضبه ، وانبسطت أسارير وجهه ، ثم أقبل علي باشا مصافحا

فسألت من الرجل ؟ قال : من بني عقيل بن جعفر بن أبي طالب ، قلت : وأنا من بني الحسين بن علي بن أبي طالب ، فعاد إلي مصافحا معانقا ، وكانت المصافحة حارة ، والعناق طويلا

ثم ساق رواحلنا الى كوخ من القش بجانب خيمة من الوبر ، ونادى : ياليلى ! ابن العمومة من بني هاشم شرف احياء العرب ، فبرزت ليلى من خبائها كما يبرز البدر من خلال الغيوم ، ثم قالت : يابشرى ! هذا ابن الريف ، قرة العين ، وسليل الحسين ، واطلقتها زغردة دوت في الفضاء ، فمال حمدان برأسه علي وقال : لله ليلى من فتاة بارعة الحسن تامة الجمال ! أنظر تر جسما مستقيما منتصبا كأنه قضيب بان ، وعينين سوداوين فيهما سحر وفيهما دلال ، وشعرا لا معقوصا ولا مضفورا وإنما هو مدلى كخيوط الليل ، ووجها تمتزج حمرته بسمرته فيبدو من امتزاجهما دم جذاب يرق حتى ليكاد يكون روحا ، وثغرا كأنما يبسم عن در ، ويفتر عن لؤلؤ

فقلت : ياسبحان الله ! أما قرأت : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم .. وكان حمد مضيفنا تجاوز الكوخ ليدعو بعض غلمانه ، فقلت لحمدان ، وكان من طبعه الانقباض ، إن كنت رجلا حقا فاطلقها ضحكة عالية في وادي الهموم ، كما أطلقتها ليلى زغردة في أجواز الفضاء .. قال : كيف ؟ والمدنية الحديثة جعلت فينا أمزجة منقبضة وطبائع سوداوية ، فاضعنا نضارة الشباب في هم مبرح . ولم تلق غفلات العيش على ما في طيها من نعم وخيرات ، كما يتلقى قطان البادية من الاعراب ، وسكان الغابات من عجائز السود ، شظف الحياة ، وضيق العيش . بصدر رحب ، وثغر بشوش

قطعت علينا الحديث خادم عجوز سوداء لليلى . أتت ولا شيء يسترها غير رقعة تحجب سوءتها ، ثم مدت بساطا بديع النسج إلا انه مهلهل ، وعادت فأتت بمبخرة فيها عود او صندل

ثم أتى حمد وخلفه جزور فنحره ، وحمله الخدم بعد لطهيه وجاءت أقداح الشاي واستمرت تدور المرة بعد المرة ، وحمد يحدثنا بحديث عذب فيه رطانة الزنوج ، ولحن الاعراب

حدثنا انه يتصل بعرب الحمران ، وان لهم احاديث كالمسك ، في الهوى العذري ، والحب الطاهر ، وأن منهم « تاجوج ومحلق » اللذين ضربت بحبهما الأمثال ، وتحدثت عن عفتهما الركبان

قلت : ومَن تاجوج ومحلق ؟

فأجاب ، كانت تاجوج فتاة جميلة ، لم تر بلاد السودان فتاة أجمل منها الى اليوم ، وقد بلغ من جمالها ان الناس كانوا يحثون المطايا ليروها ثم يعودوا

وكان ابوها يدعى « الشيخ أوكد » شيخ القبيلة ، أحبَّها ابن ٤٨١
عمها « محاق » وتزوجها ، وفي يوم أسكره الحب وتيمه الغرام ، فالح عليها ان تتجرد من ثيابها وتمشى أمامه عارية فامتنعت حياء ، ألح مرة أخرى فامتنعت ، ثم ألح ثالثـــة فقالت ، إذا أطعتك فاذا تفعل ؟

قال : أنفذ كل طلب لك.

قالت : أقسم ، فاقسم ، فتجردت ومشت امامه ذهابا وإيابا . الى ان قال : كفى كفى !

ثم قال . اطلبي الآن ما تريدين . قالت : ان تطلقني في الحال ، فطار صوابه ، ووقع على قدميها يقبلهما ويسألها العفو فابت إلا البر بقسمه ، فطلقها وهام على وجهه ينشـــد في حبها الأشعار كمجنون ليلي

ثم تزوجت بعد طلاقها رجلا من وجهاء قبيلتها فثأره محاق فغلبه على ماله ، المرة بعد المرة ثم رده اكراما لتاجوج

واخيرا اشتد عليه الكرب وأضناه الحب ، فالح على اهله ان يمكنوه من رؤيتها ، فذهبوا اليها واخـــبروها بحاله فرقت له ، وذهبت لرؤيته . فاذا هو طريح الفراش وحوله نساء يرددن بها لينصرفن قلبه عنها ، فلما دخلت لم يسعهن إلا الوقوف احتراما لجمالها واعجابا بها ، واجلسنها الى جانب سريره فلما رأته على تلك الحال تنهدت وقالت :

أ إلى هذا الحال وصلت ياحشاى وانا لا أدرى ؟

ثم وضعت رأسه على ركبتها وكان قد أغمى عليه ، فلما أفاق نظر اليها وانشد أبياتا منها هـــذا البيت الذى ننقله بلغته ولحنه وصورته :

« حبك فى الضمير قاطع لا كباده
تقتلى الزول سريع قبل الشهاده »

ثم شهق شهقة ومات مسلماً الروح.

ثم أطرق حمد طويلا برأســه الى الأرض وعاد فنظر إلي ساهما وقال :

حدث بعد ذلك ان غزانا عرب « الهدندوه » فوقعت تاجوج أسيرة فى ايديهم فاختلفوا فيها إختلافا كاد يفضى الى سفك الدماء وأراد كل فريق ان تكون تاجوج من نصيبه

فنهض احد مشايخهم وكان حازما ، ونادى « تاجوج » من

خبائها . فلما أقبلت طعنها بخنجره في صدرها فماتت وحسم النزاع

ماتت تاجوج ، ولكنها ظلت حية في نفوس الذين قتلوها كما هي حية فى قلوب بنى وطنها جميعاً

ولا زال قبرها الى اليوم يزار « فى رأس النيل » بين خور جب وكسلا ، وما زال أهل السودان يضربون بها وبمحلق الأمثال

ثم جاء الطعام على عادة العرب « كسرة . ومرقة . وشواء » فكانت رغبتنا فى التهام حديثه أكثر من رغبتنا فى التهام طعامه

فقلت وهو يستطعمنى فاطعم ، ثم ماذا بعد ؟ فان أعذب الحديث حديث المائدة خاصة مع العرب الاجواد

فقال : ثم إن بطنا من عرب الحزان حل بهـــذا المكان القريب من هذه الغابة فانجباني أنا وليلى . فكنت معها كمحاق مع تاجوج ، غير انها وفت لى فلم تستبدل بي زوجا ، ووفيت لها فلم أدخل عليها زوجة ، مع كثرة تعدد الزوجات فى هذا الحى الذي نزل به

وما كدنا ننتهي من طعامنا وشرابنا وأحاديثنا حتى كانت الشمس مضيفة للغروب ، والقمر يستعد للجلوس على عرش السماء بعدها ، فتهيأنا للجولان بالغابة ومعنا معداتنا من جراب ورماح ، وموعدنا بقية الحديث رسالة أخرى ؟

محمد النيراري
مدرس بالخرطوم

الاقيانوغرافيا

« بقية المنشور على صفحة ٣٥ »

أقرب الى حصر الانواع الارضية منا الى الاحاطة بجميع الانواع البحرية.

الآن وقد عرفنا أغراض الاقيانوغرافيا نستطيع الحكم بانه اذا حق لهذا العلم ان يتصل بنسبه ونشأته الى رحلات جوابي البحار حتى أواخر القرن الثامن عشر ، فان عهد الاقيانوغرافيا الحقيقى لم يبدأ الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وهذا ماستراه فى مقالنا التالي إذ نتابع قصـــة البحار قاصرين حديثنا على بعثات الاستكشاف الأقيانوغرافى . (يتبع)

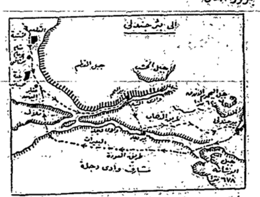
الي بئر جنـــدلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

— ٢ —

وبعد دقائق انحدرنا إلى ميدان المنشية وأخذنا طريقنا الى مقبرة الامام الشافعي ، وبعد أن اخترقناها أقبلنا على قرية البساتين فكانت فى سكون لا يسمع من حولها الا نباح الكلاب وصرير الصراصير ، ثم مررنا بمقابر اليهود فاستقبلنا حارسها وأخبر الدليل بمرور الجمال



كان الليل باردا والسكون شاملا وضوء القمر فاترا يملأ الارجاء ، وكنا نسير فى صمت وامامنا الدليل منحن قليلا الى الامام يجد فى السير بقدم ثابتة ونحن نتبعه ونتابعه

معنا السلاح والذخيرة ، ومعنا الماء والزاد ، ومعنا الدليل الخبير المجرب ، ونحن جماعة اشداء ، فمم الخوف ؟ - كانت تجول هذه الافكار بخاطرى وأنظر الى الرفاق وهم يسيرون على هيئة الجند فتملكنى روح زهو وفخار ، واشعر بنشاط وقوة ، فيرتفع رأسى ويتسع صدرى والاحق الدليل واتقدم الجماعة ، والنفس طافحة بشر او غبطة . بعد ساعة مال بنا الطريق نحو الشرق ، ثم أخذنا نرتقى هضبة واخذت تتلاحق التلال وتعلو ، وقبيل نصف الليل غاب القمر وخيم الظلام واصبح منظر الوادى رهيبا موحشا ، وهنا قال الدليل : « وادى التيه يا سادة » - فى هذا الوقت كنا نتقدم فى واد متسع تعلو الهضاب على جانبيه وهو يتثنى بينها تارة يمينا وطورا شمالا

وعند الساعة الثانية صباحا وصلنا حيث كانت تنتظرنا الجمال فى ناحية من الوادى ، وقد جلس بجانبها سـويلم يدخن غليونه بينما انشغل على الجمال بإعداد بؤرة التدفئة بالعشب الجاف .
كان قد طال بنا السير واجهدنا فاصبحنا فى حاجة الى الراحة بل الى النوم ، فاستلقينا على الارض قريبا من الجمال ثم غلبنا النعاس فنمنا

كنا نائمين فى العراء وليس علينا غطاء ، فاستيقظنا عند مالاح الصباح بعد نوم قصير واجسامنا ترتعد واطرافنا ترتجف من شدة القر ، وكانت الطبيعة هادئة وبزوغ الشمس من وراء الجبال فاتنا ساحرا ، وكنت اطيل النظر فيما حولى واسائل نفسى : أنا فى حلم ام فى يقظة ؟ فقد زال عنائى وغدوت مرحا فرحا نشطا ، وبعد ان تناولنا فطورا ساخنا بسيطا ذهبت الجماعة بصحبة الدليل الى الصيد وبقيت انا ومحمد بك لنسير مع الجمال ، وقد تواعدنا ان نلتقى ظهرا على بئر دجلة

كان الصباح لطيفا منعشا ، والشمس مشرقة ، وقد وجدت فى محمد بك خير صاحب ، فقد كان لطيف المعشر حلو الحديث على علم بالصيد وطرق الجبال والاودية ، فاستأنست به ، واطمأنت نفسى اليه فاخذ يقص على فى حماس ونحن نسير الهوينى خلف الجمال ماوقع له فى رحلاته السابقة من مخاطر عجيبة ، ونوادر لطيفة ، وبعد ان سرنا هكذا نحو ساعة ضاق الوادى وانتهى بنا الى هضبة عالية فارتقيناها على مهل ، وكان صعودنا على جرف فى طريق لولبى شديد الانحدار ، لايزيد عرضه على القدم ومن تحته هوة عظيمة ، وقد اجتازت الجمال هذا المنحدر الوعر من غير مشقة ، فكانت متزنة الخطوات متئدة متنبهة تحاذر السقوط او الزلل ، وبعد ساعة اخرى اخذنا نهبط واديا عظيما كثير التعاريج جدرانه قائمـــة ، وتقوم على جانبيه الروابى العالية والقمم الشامخة ، وقبل الظهر بساعة وصلنا بطن الوادى بسلام ، واتجه سويلم الى ناحية فيه وأناخ الجمال ، وأشار بيده الى كوة مرتفعة فى الجدار الجنوبى للوادى يظللها نتوء من الجبل كبير البروز ، وتكتنفها أحجار ضخمة تجعلها كالوكر فى مأمن من الرياح والأمطار ، وقال هنا نمضى الليلة ، فحملنا اليها الغطاء وبعض الحاجات وفرشنا ارضها بسجادة واعددنا فى ناحية منها موقدا جمعنا بالقرب منه عشبا جافا من شيح وشوك وطرفاء ، ثم هيأ محمد بك للجماعة طعاما دسما من لحم مسلوق وارز وخضار ، وبعد الظهر بساعة اقبل الصيادون يحملون ارنبين كبيرين وقد لفحت الشمس وجوههم وبدا عليهم التعب ، وبعد اكلة شهية تفرقنا فى الوادى نتفرج على مناظره الطبيعية البديعة ، وتقع بئر دجلة على عشر دقائق من معسكرنا جهة الشرق فى حضن شلال فخم يعلوه خانق جميل ، والبئر فى مسقط السيل وعمقها نحو ثلاثة امتار تمتلىء بالماء وقت

الامطار ويغيض ماؤها وقت الجفاف، والوادى كثير العشب وافر الكلأ، يسبح فى فضائه انواع من العصافير والحدأة، وترعى فيه الابل والماعز، وبعد الغروب عدنا الى المعسكر وقد خيم الظلام واشتد البرد وشمل الوادى سكون موحش، وبعد العشاء آوينا الى الفراش وتمايل الجفون حتى قبيل الفجر، وكان منظر الوادى فى السحر فاتنا يستهوى الافئدة ويملأ النفس دهشة وروعة،

من مناظر وادى دجلة

وفى الصباح الباكر توجهنا للصيد وبقى عبد الله بك وسليمان بك للسير مع الجمال، واتفقنا أن نلتقى عصرا على بئر جندلى

خرجنا من وادى دجلة مع بزوغ الشمس وأخذنا طريقنا فوق الهضاب وفى الأودية متوغلين شرقا لانتبع طريقا معينة، وكان فى القيادة حسن بك وهو صياد ماهر خفيف الجسم رشيق الحركة بصير بالصيد وضروبه — وبعد قليل أقبلنا على واد وافر العشب فابصرنا أرنبا يقطع عرض الوادى بسرعة البرق يتلوه ثان وثالث، وفى لمح البصر اختفت وراء الصخور وكان لمنظرها وهى تعدو أثر مدهش فى الجماعة، فاندفعوا وراءها لايلوون على شىء، وفى المقدمة حسن بك ينهب الارض نهبا كأنه الجواد فى حلبة السباق. وفى لحظات توسطنا الوادى وبدأت المطاردة، وما أن رأتنا الأرانب حتى تفرقت الى وهدة ثم مرقت كالسهم الى اخدود، ثم تسلقت الجبل ونحن فى أثرها نتبعها من غير هوادة، نرتقى الهضاب ارتقاء، ونلقى بانفسنا من الجبال الى السهول القاء، واشارات القائد تقذف بنا يمينا أو يسارا، طورا مقبلين وطورا مدبرين، مرة فى صياح وجلبة، ومرة فى حذر وسكوت، تارة نعلو وتارة نهبط، وهكذا كانت تستمر المطاردة ساعات متواليات والحيوان التعس ينتقل من ساحة الى ساحة، يطلب النجاة وراء الصخور وفى الصدوع وفوق الربى وتحت الارض، ونحن وراءه نحاول دفعه الى السهل وهو يأبى الا الوعر، تقوده غريزة البقاء، فان أخطأ المسكين التقدير وحم القضاء، ضاق النطاق وعز الفرار وتلقفته نيران البنادق من كل صوب، فيخر صريعا ضاربا أعلى المثل فى الروغان والعناد، والصبر على الجهاد

وقد بلغ حماس القوم فى المطاردة هذا اليوم حد الجنون، وكاد يقضى على أحدنا، وهو احمد بك بالموت على أبشع صورة لولا أن قدرت له السلامة، ذلك انه اندفع وهو مأخوذ وراء غزالة فجرت الغزالة الى جرف صاعد فى جدار الجبل، فلحق بها وأطبق عليها ولكنها أفلتت منه، ولما انزلق وراءها انهار الجرف فهوى بجسمه من شاهق فتشبث بصخرة ناتئة وأصبح معلقا بين الارض والسماء.

« يتبع »

لغو الصيف

(بقية المنشور على صفحة ٦)

وإذا نحن نفكر في فصل جديد او كتاب طريف ، نريد ان نكتبه او نذيعه ، وما دمنا نجد هذه القوة ، ونملك هذا النشاط ونعرض آثارنا على الناس ، ومنهم هؤلاء الشباب ، فلسنا شيوخا ولا قريبين من ان نكون شيوخاً . قالت ليهنك هذا الشباب الذى تحبه وتحرص عليه ، وتخشى ان يغتصبه منك الشبان . ولقد كدت ارضى منك بهذا الحديث واحمد لك إحياء الامل فى نفسي لولا انى أجد من الضعف ما لا تجد ، واحس من الهزيمة ما لا تحس . فانت تكتب وتفكر فى الكتابة ، وانت تنشىء وتهيأ للانشاء ، أما انا فلا أكتب ولا افكر فى الكتابة ، وإن كتبت فلا اكتب للناس وانما اكتب لنفسى ، ولا اتحدث الى الناس وإنما اتحدث الى نفسى . ولعلي لا أذكر الناس فى هذا الحديث وإنما أذكر نفسى . إنما أنا شيخة قبل ان ابلغ سن الشيوخ . أمحزونة انا لذلك أراضية أنا به ؟ لا أدري ، ولعلى أحزن له حيناً وأرضى عنه حينا آخر . ولكنى على كل حال لا أجد فى نفسى هذا النشاط الذى يمكنني من رفض الشيخوخة . قال فى صوت هادىء جار : كلا ياسيدتى هذه ازمة من ازمات الشباب ليس بينها وبين الشيخوخة سبب ، وانا زعيم بأن هذا الصيف لن ينقضى حتى يتحدث الناس عنك فيطيلوا الحديث ، ويعجب الناس بك فيكثروا الاعجاب . وسأكون أنا احد هؤلاء المتحدثين وأحد هؤلاء المعجبين ولكن حديثي عنك وإعجابى بك لن يقعا من نفسك إلا كما يقع منها حديث غيري من الناس وإعجابهم . قالت فانت إذن تريد الثناء . قال : كلا وإنما أريد شيئاً آخر خيرا من الثناء . أريد ان اسبق الناس الى قراءة شىء مما تكتبين . قالت دعنى ودع ما أكتب وما لا اكتب وحدثنى عن ظاهرة أخرى فى الادب المصرى ظهرت عنيفة في هذه الايام . قال وما هى ؟ قالت ألست ترى غضب الادباء من الشيوخ والشبان . قال دعي لفظ الشيوخ فليس فى أدبائنا شيوخ . فضحكت وقالت : الست ترى أن الادباء جميعاً يضيقون بالنقد ولا يحتملونه ، ولا يطيقون الصبر عليه . وكيف تفسر هذه الحدة ؟ واين تجد العلة لهذا الضيق ؟ لقد كنت اريد ان أجد فى هذه الحدة والضيق دليلا على شيخوخة الادباء ، ولكني أراهما شائعين حتى عند الذين لا أشك ولا تشك انت فى انهم من الشبان . فهم ابغض للنقد والناقدين من كل انسان . ومهما أعجب فان ينقضى عجبى من كاتب أو شاعر ينشر نثره او شعره على الناس فى كتاب مطبوع أو فى صحيفة سيارة فيخرجه بذلك عن ملكه الخاص ، ويجعله بذلك ملكا للناس جميعاً . ثم يأبى على الناس بعد ذلك أن يتصرفوا فى ملكهم كما يريدون . قال : ان الكتاب والشعراء يسرفون على قرائهم ويكلفونهم شططاً ، فهم يغضبون أن لم يقرأهم الناس ، وهم يغضبون ان قرأهم الناس ونالوهم بشيء من النقد ولو خفيفا . ولقد اتردد احيانا فى أن اقرأ الكتاب أو الديوان يرسله الي صاحبه ، لأنى واثق بأني قد أري فيه غير ما يحب الكاتب او الشاعر . فان سكت عنه أثمت فى حق الادب وفى حق نفسى ، ولم يرض مني صاحب الكتاب او الديوان بهذا السكوت ، وان قلت ما أرى فتحت بابا من أبواب الجدال ليس اغلاقه بالامر اليسير ، ولعله لا يغلق الا على كثير من الموجدة . قالت : هذا اعوجاج في أخلاق الادباء كنا ننكره على شيوخنا المتقدمين ، وكنا نقدر أن ادباء الجيل الحديث سيقومونه فى انفسهم وفى الناس ، فاخلفوا الظن ، وكذبوا الرأى ، واصبحوا خليقين ان يقومهم المقومون سواء أرضوا بذلك ام كرهوه . فهم ان يتكلم ، ولكنها مضت فى الحديث قائلة : على انهم لا يضيقون بالنقد فحسب ، ولكنهم يتهالكون على الثناء ، فما اشد ثورتهم على الناقدين وما احسن لقائهم للمقرظين ! قال ومع ذلك : فانى اتهم كل مقرظ ، واسيء الظن بكل تقريظ ، واعتقد إعتقاد الموقن ان النقد مهما يشتد ومهما يسرف صاحبه فهو انفع واجدي . لأن الكاتب الى ان يعرف عيوبه ويتبين مواضع الضعف فى ارائه والفاظه وأساليبه ، أحوج منه الى ان يقال له احسنت حين يحسن ، واصبت حين يصيب .

ومر فتى لم يبلغ السادسة عشرة ، صبيح الوجه رث الزي حافى القدمين يحمل سلة فيها باقات من زهر ، فوقف على الصديقين وقدم اليهما ازهاره . قال الصديق لصاحبته : اختارى . قالت اليس من الاختيار بد ؟ قال الفتى لابد من ذلك ياسيدتى فانى فى حاجة الى العشاء . هنالك اضطرب بصرها بين باقتين فى احداهما ورد ، وفى الأخري قرنفل . قال الرجل للغلام : ضع هاتين الباقتين ، ثم التفت الى صاحبته وهو يقول : اما انا فاحب لثم الورد وشم القرنفل .

طه حسين



الأمواج

لأحمد الصافي النجفي

يتغنى الشاعر العراقي الفاضل في هذا الديوان بنغمات جديدة طريفة. فهو لا يسمعك مدحا فى أمير أو سلطان، ولا تجد في شعره تلك العواطف المبتذلة، وليس فى الكتاب نسيب يستحق الذكر. وانما يتغنى الشاعر في ديوانه هذا بانشودتين جليلتين الأولى الفضيلة والثانية الوطنية. وليس الموضوعان بالشىء الجديد، ولكنه يتناولهما بطريقة جديدة، ويسمعك فى الانشودتين نغمات جديدة. ولقد عاش شعراء العرب هذه القرون الطويلة وهم يحرقون فنهم بخورا أمام أصنام بشرية زائلة، ألم يأن لهم أن يقضوا قرونا أخرى يمجدون الفضيلة والوطن وهما من الموضوعات الخالدة؟

ولكي يفهم القارىء كيف يتناول المؤلف هذه الأغراض نذكر هنا القطعة الآتية:

قد كثر الفقراء ظلم ذوى الغنى ... لم يكثر الفقراء حكم البارى
كم عاش قوم من طوى، قوم وكم ... عمرت ديار من خراب ديار!
فلرب قصر بالجماجم مبتنى ... ولرب نهر بالمدامع جاري
كم يجتنى ثمرا ولم يغرس، وكم ... من غارس لم يجن من أثمار!
عجز الفقير عن استعادة حقه ... فأحال ذنب الفقر للاقدار
أغنى! لا تسخر بزفرة بائس ... كم من دخان منذر بالنار

وفى الكتاب قطع وقصائد كثيرة تردد هذه النغمة وأمثالها. وكلها دليل على أن الشاعر يرى أن عليه واجبا نحو وطنه ونحو بنى جنسه، وان الشعراء يجب أن يكونوا رسل اصلاح لا مجرد عصافير تغرد وتطرب، وتنشدك ماتعانى وماتكابد، وماتحرق لها من مهج، وما سال من عيونها من دمع، الى آخر ماهنالك مماتجيش به أشعار الأدب الضعيف.

وفى عدد مضى من الرسالة مقالة للاستاذ احمد أمين فى أدب القوة وأدب الضعف، وبهذه المناسبة نرى واجبا علينا أن نعلن أن هذه (الأمواج) من أدب القوة..

ويتناول المؤلف أحيانا موضوعات أخرى فى الوصف مثل قصيدته فى (الشاى) و (الحنين إلى الطبيعة) و (الليل والنجوم). ولكن نزعة الوطنية والفضيلة هي الغالبة البارزة.

وقراء الرسالة قد قرأوا فى عدد سابق قصيدة لهذا الشاعر وهي قصيدة (الفلاح). ومن يتأمل تلك القصيدة والقطعة التى أتينا بها هنا يستطيع أن يدرك مواضع القوة والضعف فى أشعار (الصافى). أما مظاهر القوة فبادية واضحة، وأما مواضع الضعف فهو فى نظرنا أن الشاعر — وشأنه في هذا كشأن أكثر المجددين من شعراء هذا العصر — تشغله العناية بالمعنى عن العناية باللفظ، فألفاظه لاتنهض الى مستوى معانيه إلا قليلا. ونحن نؤاخذه أنه أحيانا يهمل العبارة اللفظية الى درجة الخطا كما جاء فى قصيدته (بين شاعر وصاحب فندق) ورويها هى التاء الساكنة بعد ألف المد ويقول فيها:

قد جاء رب النزل لى سائلا ... يقول ماشغلك فى ذى الحياة
فقلت شغلى الشعر في نظمه ... أدفع عنى جحفل النائبات
قال وهل بالشعر تحيا وهل ... تملى به أحشاؤك الجائعات

ثم يقول:

وكنت أدعى عجميا بهم ... كأننى لست ابن عرب أباة
فرحت للبدو وعاشرتهم ... فلم أجد لى مشبها فى البداة

ومعروف أن التاء فى الحياة وأباة والبداة فى الوقف تنقلب هاء.. وكذلك قد يذكر الشاعر ألفاظا كنا نود الا يذكرها مثل قوله:

أريد لثم كفها لولا اختشا عقابها

فلفظ (اختشا) ليس من الألفاظ التي يأسف الانسان على فقدها من شعره.

على أن هذا لايحط من قدر (الأمواج) كديوان شعر عصرى لأديب مفكر قوى. وانا لنرجو أن يهتم القارىء المصرى خاصة بهذه الثمار القيمة التي تنضجها روح الأدب فى العراق وسورية.

م. ع. م.

JUILLET

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الناصرية رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك
ـــــــص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثالث عشر — القاهرة في يوم السبت ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٥٢ — ١٥ يوليه سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

شروح وحواشي

الشعر بعد أميريه: عام مضى أو كاد على يومى حافظ وشوقى! فهل شغب القلوب الدامية عنهما سلوان، وعزى النفوس الآسية منهما عوض؟ لا يزال الجزع يهفو بالافئدة على مستقبل الشعر اليتيم، ولا يزال الصمت الموحش يقبض الصدور في خمائل الوادي، بلى، نشطت في مصر القريض، وتجاوبت الافراخ النواهض بالاغاريد، ولكن أصواتها الناعمة الرخوة لم تملأ الاسماع ولم تطرد الوحشة، ولاحت في سورية المهاجرة مواهب النبوغ، ودلائل القيادة، ولكن البعاد يبدد الصوت القوى، والاغتراب يوهن الجهد الجهيد.

كان اسم حافظ واسم شوقي علمين على الشعر في العهد الأخير، وكان الناس يؤمنون بقوة أدبية لازمة تظاهر نهضتنا، وتساير ثقافتنا، في هذين الشاعرين. فكلما خفقت القلوب لنزوة من الألم، أو لنشوة من الأمل، اصغت الأسماع تنتظر من رياض (الجيزة) او ربى (حلوان) تلحين هذه العواطف، أو تدوين هذه المواقف. فلما خلا مكان الرجلين وقع في الأوهام وجرى على بعض الاقلام أن تلك القوة زالت وأن زمان الشعر ذهب! فحاول عشاق الأدب ورواض القريض أن يقروا في الرءوس سلطان هذا الفن، ويقرروا في النفوس وجود هذه القوة، فحشدت جماعة (ابولو) جميع وحداتها، وعزفت جوقتها على جميع آلاتها، وشرقت الصحف والمجلات بفيض القرائح الشابة، ودعا الكهول القرح الى عقد موسم للشعر، والزمن الذى يمحص الاشياء فينفي البهرج الزائف ويثبت الحق الصريح، هو الذي يعرف مكان هذه الجهود، من عالم الفناء أو من عالم الخلود

فهرس العـــدد

صفحة

موسم الشعر: وقع في نفس الأستاذ الهراوى منذ شهرين ان يدعو الشعراء الى مواضعة الرأي في اقامة موسم للشعر، فلبى فريق، وتأبى فريق، ورأت جماعة (ابولو) في الدعوة احتكارا لفضل الفكرة، واقتصارا على بعض أغراض الشعر وأهملتها، ثم قررت ان تقوم هي بمهرجان سنوى جامع. ثم سعى بين الجماعتين ساع من حسن النية وشرف القصد فاتفقتا على العمل معا، ثم اجتمع اعضاؤهما في دار لجنة التأليف والترجمة والنشر، ونظروا في نظام الجماعة ومنهاج العمل، ومضى الشعراء الموظفون يلتمسون من معالى وزير المعارف شرف الرآسة للموسم فأجاب الملتمس، ثم اضطربت الألسنة والأقلام بالفكرة التي قام عليها، والغاية التي يقصد اليها، فلم نخض مع الخائضين وانما تحدثنا الى القائم بالدعوة نستجلى منه الغرض فما أجاب الا بجمجمة، فقلنا ليس في الأمر اذن الا قصائد تنشد على المسرح، وتصفيق يدوى في المحفل. ثم ريح لينة تذهب رخاء بهذه الاصوات الى مجاهل الأبد.

ولكن موسم الشعر تولى أمره نفر من كبار الأدباء فرسموا خطته وعينوا وجهته، ونشروا ذلك في بيان للناس فجعلوا وجوده أمرا لاشك فيه، وتسجيله عملا لابد منه.

أصبحت (جماعة موسم الشعر) بحكم البيان المنشور مجمعا أدبيا له وسائله وله أغراضه. فأما وسائله فقرض الشعر الفصيح ووضع البحوث في الأدب، والقاء المحاضرات في الموسم، وأما أغراضه فاقامة موسم عام للشعر العربي في مدينة القاهرة. و(العمل للاحتفاظ في الشعر العربي بقوة الأسلوب ووضوحه، والجرى على ما تقتضيه ضوابط اللغة من الصحة وما تتطلبه خصائص البيان من بعد الأسلوب عما يضعفه أو يفنيه في غيره أو يقطع صلة حاضره بماضيه، وتقريب ما بين الشعر العربي وغيره مع المحافظة على السنن العربي والعمل لتنوع أغراضه وفنونه وأخيلته ومعانيه؛ وابراز الحياة الحاضرة والمدنية القويمة في صورها الصحيحة، والمحافظة في الشعر على الذوق العربي مع مماشاته لحاجات العصر وروحه. وتوجيه الشعراء إلى القيام بحاجة العامة والتلاميذ من الشعر في أغانيهم وأناشيدهم، وحفز مواهب الشعراء إلى تهيئة السبل لظهورها والانتفاع بها، وخدمة اللغة العربية ونشر آدابها وتقويم ملكاتها وتنمية ثروتها من الالفاظ والمعاني والاخيلة، وتوثيق الصلات الأدبية بين مصر والأقطار العربية الأخرى.)

والرسالة تؤيد هذه الاغراض السامية من غير تحفظ، وتدخر غبطتها بها وتصفيقها لها ليوم التنفيذ؛ فان صوغ الأماني ووضع الانظمة واذاعة العزم شيء، وتجويد العمل وتنفيذ الفكرة وتحقيق الغرض شيء آخر. ولعلك تذكر ان (مجمع اللغة العربية الملكى) سن له قانون، ورصدت له أموال، ورشحت له رجال، ودعيت اليه دعوة، ووعدت به حكومة، ومع ذلك قد انقضى عليه عام وهو لايزال كما كان منذ سنين عدة من عدات المنى، وحديثا من أحاديث الظنون!!

عيد المولد: لعل أروع المظاهر الاسلامية في مصر مولد الرسول، لانه ائتلاف منسجم من جلال الدين وأبهة الحكومة وابتهاج الشعب، ولكنه كذلك أدل الدلائل على البطء الفاتر في شيوع المدنية وارتقاء الذوق في مهد الحضارة القديمة، واسبق الشرق القريب الى الحضارة الحديثة!

ان كنت ذهبت الى هذا الاحتفال منذ بضعة أيام، فثق أنه هو الذي ذهب اليه أجدادك منذ عشرات أعوام!: خيام مضروبة على الثرى الجديب، ومطاعم منصوبة على الطريق المغبر، وملاعب كنماذج الصناعة في عهد (ما وراء الفن)، وملاه يراها المثقف فيظن نفسه في مصر غير مصره، أو في عصر غير عصره!

اظهر المظاهر في هذا العيد شيئان: الاسهم النارية وهي الشيء الوحيد المدنى. لأنها الشيء الوحيد الاجنبي! والحلوى، وهي موضع البلوى ومحل النظر!: حوانيت خشبية وقتية ثابتة أو متنقلة، تكدست فوق رفوفها البالية ألوان (السمسمية والحمصية والسكرية والعلف)، ثم قامت على حواشيها تماثيل وعرائس محشوة من الحلوى الرديئة، عليها غلائل فاقعة الألوان من الورق المصبوغ، وكل ذلك في غير ذوق ولا جمال ولا فن، وكل ذلك من غير غطاء ولا وقاء ولا ستر! انما هي مهبط للذباب والغبار، طول الليل وطول النهار! يراها الخاصة فيشمئزون من شكلها القبيح! أو قذرها البادى، وبائعها الوسخ! ويحملها العامة الى بيوتهم في المناديل الغليظة والجرائد القديمة فيجعلون مثابة للنمل ومباءة للجراثيم!

أن حلوى عيد الميلاد في ديسمبر، وألعاب يوم الحرية في يوليو، مثلان أجنبيان في سلامة الذوق وجمال المظهر وحسن المتاع، فلتبق حلوانا وطنية، ولتبق ألعابنا شرقية، ولكن ارتقوا بالذوق والجمال والصحة فأدخلوا عليها شيئا من المدنية!

احمد حسن الزيات

لغـــو الصيف

للدكتور طه حسين

— ٣ —

من هنا ، ياأستاذ من هنا ! وائذن لى في أن اسعى بين يديك فلا بد لك من دليل . ثم سعت امامه رشيقة انيقة فى طريق طويلة جيلة ، يحفها من جانبيها الشجر والزهر ، وفيها قليل من ضيق ، وشيء من التواء . وقد استمتعت الاشجار القائمة على جانبيها بشيء من الحرية عظيم لا يستمتع به الناس فى هذه الأيام ، فمدت اغصانها كما شاءت فى غير نظام ، حتى أختلط بعضها ببعض والتف بعضها ببعض . وجعلت الآنسة تسعى أمامى رشيقة رفيقة ، وتجد فى التفريق بين هذه الاغصان الملتفة المتعانقة لتشق طريقها وطريق صاحبها ، وكأنها كانت تجد فى ذلك شيئا من العسر اللذيذ . فكانت تحاول ان تعتذر بهذه الجمل السهلة اليسيرة الفارغة التي تقال فى مثل هذه الحال : ليست الطريق سهلة هنا ، يجب أن تحتاط ، وما رأيك فى هذه الاغصان التى تريد أن تداعبنا وان لم نطلب اليها المداعبة ؟ حقا لقد اسرفنا فى اهمال هذه الاشجار فاسرفت فى الانتفاع بحريتها . وكان صاحبها يجيب على هذه الجمل بضحك فارغ لايدل على شيء الا على انه لم يكن يجد ما يقول . لأنه لم يكن يسمع لهذه الجمل التى تلقى الا باحدى اذنيه . وقد كانت نفسه كلها مفتونة بهذه الطبيعة الحرة المطلقة ، وبما بينها وبين حياة الناس فى هذه الايام من تناقض واختلاف . ولعله كان يعجب بهذا القوام المعتدل الذى كان يسعى أمامه فى رفق ، ويجاهد هذه الاغصان فى لباقة وظرف ، ولكنه كان يخفى حتى على نفسه هذا الاعجاب الذى لو أحسته صاحبته لضاقت به ضيقا شديدا . حتى اذا طال سعيهما فى هذه الطريق الخفية الملتوية انتهيا الى رقعة واسعة رحبة من الارض ، قد فرشت ببساط ناعم كثيف من العشب ، وانتثرت فيها قطع بديعة من الزهر ، قد نسقت أحسن تنسيق واجمله ، وقامت فى وسطها مائدة قد نثرت عليها أوراق الورد فى كثرة تلفت النظر . فلما انتهيا الى هذا المكان الهادىء الباسم الجميل ، ارسلت من صدرها زفرة ضاحكة وهي تقول : لقد انتهى الجهد وآن للمتعب أن يستريح ، اجلس ياسيدى فهنا يحسن الحديث فيما اظن . قال : بل هنا يحسن الاستماع . قالت : الاستماع لمن ! الاستماع لماذا ؟ قال : الاستماع لك والاستماع لهذا الصمت الناطق من حولنا . قالت : دع عنك الاستماع لى فما احسب الا انك قد سئمته ، او ستسأمه ، وما أحسب الا انك قد زهدت فيه او ستزهد فيه حين يستأنف بيننا الحوار ، فسيستأنف بيننا الحوار من غير شك ، ولكن حدثني عن الاستماع للصمت كيف يكون ؟ وحدثنى عن الصمت كيف ينطق أو كيف يصدر عنه الكلام ؟ وكانا فى أثناء هذا الحديث قد أخذا مكانهما الى المائدة وجها لوجه . وكان صاحبها حائر النظر بعض الشيء يردده بين السماء والأرض ، ويردده بين قطع الزهر المنتثرة من حوله وبين آنية الزهر القائمة على المائدة ، وبين أوراق الورد المنثورة بين يديه . قالت : الست قد زعمت لى منذ أيام انك تحب لثم الورد وشم القرنفل ؟ فهذا هو الورد تستطيع أن تمتع نفسك به كيف احببت ، انظر اليه مختلفا الوانه مستويا على سوقه ، بعضه قد هام بالحياة والضوء فانبسط لهما انبساطا واخذ يلتهمهما التهاماً ، وبعضه قد احبهما ، ولكنه يسمو اليهما فى استحياء فيتفتح لهما قليلا قليلا ، وبعضه يحسهما وينعم بهما ، ولكنه لايكاد يشعر بهذا الحس وهذا النعيم ، فهو أكمام لم تتفتح بعد . وانظر اليه اسيرا فى هذه الآنية لم يبق فيه من الحياة الا ذماء يسير يمسكه عليه هذا الماء الذى تحتويه الآنية . وانظر اليه صريعا قد فقد الحياة وتفرقت أوراقه ، وانتثرت بين يديك غضة ، ولكنها تسرع الى الذبول أو يسرع اليها الذبول . وهذه زهرات من قرنفل قد هيئت لك وفرقت فى آنية الورد تبعث اليك عرفها هادئا قويا . فماذا تريد فوق هذا ؟ قال : لاأريد الا أن تمضى فى هـــذا الحديث الذى اخذت فيه منذ الآن ، فاني لا أعرف ترجمة عن هذا الصمت الذي كنت اريد ان اسمع له ابلغ من هذه الالفاظ التى ينثرها حديثك العذب . قالت : ومازلت مشغوفا بالعبث لاتفرغ منه الا لتعود اليه . لقد انبأتني عن حبك للورد والقرنفل ، فها أنت ذا بين الورد والقرنفل ، فحدثنى أنت بحديثهما فانت أعلم به واقدر عليه مني . قال :

ما اعرف يا آنسة ان لهما حديثا يحكى ، فان كان لهما حديث فما اعرف أن أحدا يستطيع أن يحكيه غيرهما فاستمعي لهما ان شئت ، وغيرك فاسمعيني حديثهما ان شئت ، فانما انت زهرة بين الزهر. قالت : كأنك تريد ان تحفظني . فاعلم أنك لن تبلغ ماتريد ، ولن تثير حفيظتي ، ولن تصرفني عما ازمعت من ان اسمع منك حديث الورد والقرنفل . فلا تلتو به فلن ينفعك الالتواء.

واقبلت خادم تسعى وهى تحمل صينية عليها ابريق وأكواب . فوضعت ابريقها ، وصفت اكوابها ، وانصرفت متثاقلة . وكانت عجوزا شمطاء قد انحنت قامتها ، وأسرف الذبول فى وجهها ، فلم تكد تبقى فيه قطرة من حياة . وكان منظرها فى هذا الفناء مناقضا أشد المناقضة لما يحيط بها من هذه الحياة القوية ، فهم ان يتكلم ، ولكن صاحبته قالت وقد فهمت عنه ما كان يريد : ومع ذلك فهى انشط منك للحياة ، واحرص منك على نعيمها ولذاتها ؛ لايفوتها موسم ، ولا يفلت منها عيد ، ولا تقصر عن فرصة ان سنحت لها لتشترك فيما يراه الناس سعادة ونعيما أولهوا وصفوا . وهى بعد هذا كله صماء مغرقة فى الصمم ، تستطيع أن تتحدث اليها وتصيح بها فلن تسمع لك ولن تفهم عنك . وهى بعد هذا وذاك قد نيفت على الستين ، ولكن هات حديث الورد والقرنفل .

ثم عمدت الى الابريق فملأت منه قدحين وهى تقول : لقد انسيت ، فهذا يوم الورد تستطيع ان تراه وان تشمه ، وان تلمسه وان تلثمه ، وان تشربه أيضا . فليس فى هذا القدح بين يديك إلا ماء الورد .

والآن تحدث ، فقد يحسن الحديث . قال : أى حديث يحسن فى مصر وما اعرف بلدا افضح لسر الحديث ، واكلف بنشره واذاعته من هذا البلد . اتذكرين ؟ قالت : وكيف لا أذكر ! انك تشير الى مجلسنا ذاك على شاطىء النيل ، والى حديثنا هناك عن شيوخ الادب وشبابه . فقد نشر هذا الحديث فى الرسالة : قال : ومع ذلك فلم يكن فى مجلسنا ولا قريبا منه احد . قالت : ولست انت قد القيته الى من اذاعه ، هذا شىء لاشك فيه . قال : ولا أنت ، هذا شىء لم يخطر لى . قالت : واذن ؟ قال : واذن فهو طائر من هذه الطير التى تؤوى الى الاغصان اذا كان الاصيل ودنا الليل فتسمع حديث الناس وتعيه ، وتلقيه فى روع الكتاب والشعراء . أو هو جنى من هذه الجن التى تألف شاطىء النيل فتقيم فى ظل الاشجار التى تقوم عليه ، أو تسكن تحت هذا الماء الذى يجرى فيه ، وتسمع احاديث الناس والاشياء وتعيها فتنقلها الى الكتاب والشعراء وتنطق بها السنتهم ، وتجرى بها اقلامهم . ولهذا لست مسرفا فى حب الحديث ، وفى حب الحديث عن هؤلاء الذين لايحبون ان يتحدث الناس عنهم الا بما يريدون لابما يريد الناس . قالت : من الظواهر التى لا تحتاج ملاحظتها الى دقة ولا الى ذكاء ان مصر مفشية للسر ، قليلة الحرص على الكتمان . انظر الى بيئاتها المختلفة ، فلن ترى لها سرا . أحاديث ساستها وقادتها وأدبائها واصحاب الاعمال فيها ذائعة شائعة يعرفها الناس جميعا ويتناقلها الناس جميعا . ومصدر هذا فى أكبر الظن ان طبيعة مصر نفسها صافية واضحة ، مسرفة فى الصفاء والوضوح ، سماؤها صحو دائما ، لايتكاثف فيها الغمام ، ولا يتراكم فيها السحاب ، وارضها مبسوطة هينة لاترتفع فيها الجبال الشاهقة ، ولا تنتشر فيها الكهوف والاغوار ، ولاتنبت فيها الغابات الكثيفة الملتفة ، فامرها كله ظاهر ، وحديثها كله شائع ، وشمسها المشرقة دائما لاتؤتمن على سر مصون . على اننا لم نقل فى حديثنا ذاك شيئا يسوء الادباء أو يغضب أحدا ، فليس من اذاعته بأس وان كنت لا أحب ذلك ، ولا ارتاح اليه ، ولاأخفى عليك انى انما آثرت أن يكون اجتماعنا الليلة عندى لأنى واثقة أن لنا من العزلة ما نحب ، وبأن أحدا لن يستطيع ان يندس لنا ، أو يتسمع علينا . قالت : الا هذه الطير التى تؤوى الى الاغصان اذا اقبل الاصيل ودنا الليل ، والا هذه الجن التى تستظل بالاشجار وتتضاءل احيانا حتى تتخذ لنفسها منازل فى ثنايا العشب وبين أوراق الازهار . فى هذه الطير ، وفى هذه الجن ، وفيما يحيط بنا من الزهر والشجر من يسمع لنا وينم بما نتساقى من ماء الورد ، وما يجرى بيننا من لغو الحديث ، قالت : وأى بأس بأن يذاع ما يجرى بيننا من لغو الحديث ؟ انما يكره الناس جد الحديث ويخافونه ، فاما لغو الحديث فالناس مزدرون له ، أو راغبون فيه . قال : وهل تظنين انا نستطيع ان نأخذ بالجد حين نعرض للحديث عن الأدب والادباء فى مصر ؟ وأين تجدين الجد فى حياة الأدب والأدباء ؟ أتجدينه فى هذا الحوار الذى يطول ويطول حتى يثقل ويمل حول ألفاظ وقعت فى كتاب ، أو حول رأي رآه ناقد فى كتاب ، أو حول حديث كان بين كاتبين ، او مناظرة يسيرة كانت بين أديبين ؟ أليس هذا كله دليلا على فراغ البال واحتياج الادباء الى ما يشغلون به انفسهم عن هذه الاحاديث الطوال الثقال التى تضيع الوقت ، وتفنى الجهد دون ان تنفع او تفيد ؟ قالت

« البقية على صفحة ٤٠ »

آفة اللغة هذا النحو ...

أذكر أن الطالب الناشىء كان يدخل الأزهر فيجد أول مايقرأ من كتب النحو شرح الكفراوى على متن الأجرومية، وهذا الكتاب شديد الكلف بالاعراب، يأخذ به المبتدىء أخذا عنيفا قبل أن يعلمه كلمة واحدة من اقسام الكلام ووجوه النحو. يفتحه الصبي المسكين فلا يكاد يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) حتي يصيح به الشارح أو المقرر أن انتظر حتي أعرب لك البسملة! وهنا يسمع لأول مرة بحرف الجر الأصلي والزائد، ويعلم بطريقة حسابية أن له في البسملة تسعة أوجه نشأت من رفع الرحمن ونصبه وجره، مضروبة فى رفع الرحيم ونصبه وجره، ثم يمضي المعرب فى إعراب هذه الأوجه بالتخريج العجيب والحيلة البارعة حتى تقف قدرته عند وجهين لايجدلها مطلبا ولا مأتى فيمنعهما، وهما جر الرحيم مع رفع الرحمن أو نصبه؛ ثم يخشى بعد ذلك الجهد أن يعبث النسيان الساخر بهذه الدقائق الغالية فيسجلها فى هذين البيتين وهما:

أن ينصب الرحمن أو يرتفعا　　فالجر فى الرحيم قطعا منعا

وأن يجر فأجز فى الثاني　　ثلاثة الأوجه خذ بياني!

يأخذ الطالب هذا البيان على العين والرأس ثم يخطو خطوة فتقع عينه على العنوان الأول في الكتاب وهو (باب الأعراب)! وهنا يقول له الشارح: قل باب الإعراب بالرفع أو باب الأعراب بالنصب أو باب الأعراب بالجر فلن تعدو وجه الصواب فى أى حالة!! فالرفع على أن (باب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا باب الأعراب، أو على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره: باب الأعراب هذا محله، والنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: اقرأ باب الاعراب، وإما الجر فعلى أنه مجرور بحرف جر محذوف تقديره: أنظر فى باب الاعراب!! ثم يصعد الطالب فى معارج النحو على كتاب من هذا الطراز بعد كتاب، حتى يتسنم ذروته، وليس في ذهنه مذهب صحيح ولا قاعدة سليمة. وماذا تنتظر من مثل هذا الخلط غير أفساد الذوق وأضعاف السليقة، وطبع القرائح على هذا الغرار من التفكير العابث والتقدير المزيل؟

جنى هذا النحو الفوضوى على الناشئين فى معاهده فعمي عليهم وجوه الأدب، ثم فتح لهم من الجدل اللفظي والتخريج اللغوى أودية وشعابا يقصر دون غايتها الظرف. فعندهم كل صواب يمكن أن يخطأ، وكل خطأ يمكن أن يصوب، وكل كلام على أى صورة يجب أن يفسر أو يؤول! اخرق القواعد، واقلب الأوضاع، وانطق اللفظ على أى حركة، واستعمله فى أي معنى فأنك واجد ولا شك من هؤلاء من يلتمس لك وجها من وجوه (البسملة) التسعة، أو مخرجا من مخارج (باب الأعراب) الثلاثة!

عرفت أيام الطلب شيخا قد ابتلى بهذه الشعوذة، فحشا جسمه بهذا العبث النحوى حتى ليرشحه من جلده، ويرعفه من أنفه، ثم يتكلم فيتعمد اللحن القبيح، فاذا انكر عليه منكر انفجر عن هذا الهوس فذكر لكل خطأ وجها، ولكل وجه علة، ثم يقول فى تفيهق وزهو: (لولا الحذف والتقدير، لفهم النحو الحمير) وسمعت ان شيخا ضعيف البصر ممن يسوغ فى فهمهم كل كلام، قرأ قول الرسول (ص) «المؤمن كيّس فطن» فصحفها: المؤمن كيس قطن! وراح يحملها على التشبيه فيقول: معناه أن المؤمن ابيض القلب كالقطن: وزعموا ان شيخا كبيرا كان يفسر كتاب الله وهو لايحفظه، فرأى قوله تعالى: (اذ يبايعونك تحت الشجرة) فقرأها أذنبا يعونك... وكتب فى تعليلها وتأويلها أربع صفحات من القطع الكبير بالحرف الصغير!!.. وحدثوا ان ممتحنا من هذا النمط، كتب فى ورقة طالب راسب: «لايصلح» ثم ظهر الأمر خارج عن ارادته أنه ناجح، فكتب تحت هذه الجملة: «قولي لايصلح» صوابه يصلح ولا زائدة، والاحاديث مستفيضة عمن نكبوا بهذه الدراسة دون أن يكون لهم من المنطق ضابط، ولا من الطبع دليل

* * *

إن ما نجده فى النحو العربى من التناقض والشذوذ وتعدد الأوجه وتباين المذاهب انما هو أثر لاختلاف اللهجات فى القبائل، فقد كان رواة اللغة يرودون البادية ويشافهون الاعراب، فيدونون كلمة من هنا وكلمة من هناك، فاجتمع لهم بذلك المترادفات والاضداد، وتعدد الجموع والصيغ للفظ. واختلاف المنطق فى الكلمة، والنحاة مضطرون الى أن يمطوا قواعدهم حتى تشمل

هذه اللحون، وتستوعب تلك اللغات، فاغرقوا القواعد في الشواذ، وأفسدوا الاحكام بالاستثناء، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة، أو يطرد عندهم قياس. وزاد في هذه البلبلة أن أسرف أعاجم النحاة في التعليلات الفاسدة، والتقديرات الباردة، منذ نهج لهم ذلك النهج ابن ابي اسحق الحضرمي، فجعلوا النحو ضربا من الرياضة الذهنية، والقضايا الجدلية، التي لايصلها باللغة سبب، ولا يقوم علينا فن ولا أدب.

ليس من شك في ان دراسة النحو على هذا الشكل تفيد في بحث اللهجات في اللغة، ودرس القراءات في القرآن، ولكن دراسته لضبط اللغة وتقويم اللسان امر مشكوك فيه كل الشك. نحن اليوم وقبل اليوم انما نستعمل لغة واحدة، ونلهج في الفصيح لهجة واحدة، فلماذا لانجرد من النحو القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة، وتقوم تلك اللهجة، وندع ذلك الطم والرم لمؤرخي الأدب، وفقهاء اللغة، وطلاب القديم، على الا يطبقوه على الحاضر، ولا يستعملوه في النقد وانما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التي خلق لها وتأثر بها، فيكون هو وهي في ذمة التاريخ وفي خدمة التاريخ؟

لقد صنعت المدارس المدنية شيئا (١) من ذلك، فنجحت بعض النجاح في تجريد نحو عام يكاد يسير في وجه واحد، ولذلك لاتجد المتخرجين فيها يتقارعون في النقد بالنحو القديم، ويقصرون المناظرة على هذا الجدل العقيم. ولكن فريقا ضئيل الشأن من بقايا الثقافة القديمة في مصر والعراق، لايزالون يظنون أنا مجبرون على اخضاع ألسنتنا واقلامنا لتلك اللهجات البالية، فيقعد بهم تخلف الذهن وضعف الملكة وكلال الذوق، عند هذه البقايا الأثرية ينبشون عنها قبور البلى، ثم ينثرونها كالشوك في طريق الادباء الموهوبين، ويتبجحون بأن هذا اللغو هو اللغة!!

يقرأون الكتاب القيم للعالم الباحث، أو للاديب المجدد، فيعمون عن خطر البحث في نفسه، وجهود الباحث في بحثه، ولا يرون الا حرفا وقع مكان حرف، أو جمعا لم يجدوه في كتب الصرف!

لانريد أن نسمي الاسماء ولا أن نضرب الامثال، فحسب الشذوذ أن يدل على نفسه، وحسبنا أن نهيب بالعلماء والادباء أن يشذبوا هذه الزوائد من لغتنا لتقوى، وينحوا هذه الطفيليات عن ادبنا لينتعش.

الزيات

(١) نقول (شيئا) لان الكتب المدرسية لاتزال فيها امثال الاسم الواقع بعد لاسيما وتابع المنادى والوجوه الجمة في المنادى المضاف الى ياء المتكلم!

رأي في أوراق الورد

للآنسة عفيفة سيد

قلنا في العدد الحادي عشر في معرض الرد على الآنسة الفاضلة عفيفة «ان في الأدب العربي الحديث طرفة من هذا النوع الذي تريدين «الرسائل الغرامية» هي آية من آيات الفن في دقة الصنعة، ولعلها لاتقل جمالا عن تماثيل «فدياس» وصور «رفائيل» ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور ينقصها شيء واحد هو كل شيء: ذلك هو الروح»

اردنا بتلك الطرفة اوراق الورد (وقد كتبناها سهوا رسائل الورد) للاستاذ الرافعي. ثم رجونا من الآنسة عفيفة ان تقرأها وتبدي رأيها فيها، فقرأتها ثم بعثت الينا بهذه الرسالة

سيدي الاستاذ

ما كان الأمر يحتاج الى رجاء، فرسائل الورد، او «اوراق الورد»، اسم مشوق يستميل القلب ويستهوي النفس. ومن ذا الذي لا يسرع الى اوراق الورد لتبهج قلبه، وتزيل كربه، وتهذب احساسه، وتغذي خياله؟

غير انى لم اكد أطالع رسالتين من رسائل الورد حتى عرفت سبب الرجاء، وقلت لعل الامر كان يحتاج الى الف رجاء اذ وجدت ان من العسير علي بل من المتعذر أن امضي في مطالعتها، وكدت ان ابعث اليك برأيي فيها مكتفية بما طالعت، غير أني وجدت من الاسراف ان احكم على الكتاب بقراءة رسالة أو رسالتين، قضيت في المطالعة والله يعلم كم مرة انقبضت نفسي، وكم مرة اعتراني الملل، حتى زهدني في ان ادلي برأيي فيها

ولعلك ياسيدي الاستاذ لو كنت دفعت بي الى الوراء سبعمائة عام مضت لوجدت في «البهاء زهير» صورة صادقة لنفسي، ومرآة جلية لعواطفي وشعوري، بل لذكرني لفظه الرقيق ومعناه الدقيق رقة طبيعة مصر وعذوبتها، بل لوجدت في مقطوعاتها الحية مايحملني ان اتخيل أن كاتبها معاصر لنا أكثر من كثير من معاصرينا الموجودين

حاولت ان اقف على الفكرة التي تدور حولها «أوراق الورد» فلم اوفق، فهي رسائل مفككة لايتصل بعضها ببعض، لاتترجم عن عواطف صحيحة ولا عن شعور صادق.

يعرض علينا الكاتب عواطف مبهمة فيها تكلف وفيها صنعة ، دون أن يبعث فيها شيئاً من شخصيته و ميوله وعواطفه . لا أثر فيها لروح الجماعة أو البيئة التى خضع لها الكاتب ، هو متكلف متصنع ، وإلا لأطلق لشعوره العنان وترك نفسه على سجيتها، فلا يتسامى عن وصف الحياة الاجتماعية، ولا عن الحوادث اليومية بما يسميه هو حشواً ، لان المترجم الصادق هو من يعنى بالصغيرة قبل الكبيرة فلا يتقيد بقيود لفظية ولا معنوية ولا يضع بيننا وبينه حجابا كثيفا

يسير الكاتب الى غرضه فى المعنى القليل الى كثير من التعقيد اللفظى ، ليخلق منه فلسفة ، فاذا أراد أن يقول ماقاله شوقى :

لا أمس من عمر الزمان ولا غد
جمع الزمان فكان يوم لقاك

يقول فى صفحة ٢٤٥ :

« قد عرفنا ان لنا أعماراً محدودة ، أفلا يجوز ان ساعات الهناء والسعادة إنما كانت محدودة لانها اعمار لاعمارنا ؟

فبضعة اشهر من الجفاء أو البعد يكون عمرها هو ساعة اللقاء التى تنفق بعدها ، وسنة كاملة من عمل يكون عمرها يوم سرور ان كان هذا صحيحا فما اقصر عمرك يا عمرى ! ... »

فها هو ذا شعر شوقى لرقة لفظه وسهولة معناه ، يكاد ان يكون نثراً ، اما نثر « اوراق الورد » فيحتاج الى طول أناة لنعرف قصده ونقف على مرماه .

أنا ياسيدى الاستاذ لم اعرف السر فى توجيهك نظري الى « أوراق الورد » فاذا كان قصدك ان تدفع بالبرهان قولك : ان الفن وحده لا يوجد الشعور فهذا الكلام لا يحتاج الى برهان ، وانا مؤمنة به كل الايمان . واما اذا كنت تعنى جادا أن تطلعنى بقراءتها على جمال فى الأدب العربى الحديث ، لعله لا يقل جمالا عن تماثيل فدياس ، وصور « رفائيل » فأرجو ان يسمح لى سيدى الاستاذ ألا اشاركه هذا الرأى ، فاوراق الورد لاجمال فيها اذ لا معنى لها و المعنى مصدر الروح ، وهو ان حل فى الشىء المادى كونه وناسب بين اجزائه ، وجعلها وحدة لا تنقصم .

إذن لا جمال حيث لا روح ولا وحدة ولا تعبير والمعنى مصدرها جميعا

أرجو ان يتفضل سيدى الاستاذ فيدلنى على موضع الجمال فيما سانقله اليه نموذجا لما اشتمل عليه الكتاب

من رسالة فى العتاب (صفحة ٢٠٧) .

« ..... ما هذا ياسيدتى وليس خيط عمرى فى ابرتك ... ولاما يتمزق من ايامى تصلحه ماكينة الخياطة ، بقدرتك ، وان كنت انا أقل من (انا) ، فلست انت باكثر من (انت)

« ... فان كان قلبك ياسيدتى شيئا غير القلوب فما نحن شيئا غير الناس ، وان كنت هندسة وحدها فى بناء الحب ، فما خلقت اعمارنا فى هندستك للقياس ، وهى قلبك خلق « مربعا » أفلا يسمنا « ضلع » من اضلاعه ؟ أو مدورا افلا يمسكنا محيطه فى نقطة من انخفاضه او ارتفاعه ؟ وهبه « مثلثا » فاجعلينا منه بقية فى « الزاوية » ، أو « مستطيلا » فدعينا نمتد معه ولو الى ناحية ... ما بال كتابنا يمضى سؤالا من القلب فيبقى عندك بلا « جواب » ، ونبنيه نحن على حركة قلوبنا فتجعلينه انت مبنيا على « السكون » ثم لا محل له من « الاعراب » ... الخ »

أما الصور والتماثيل التي تفوز منا باعجاب الجمال ، فيكاد أن يكون لها روح ، أو لها روح بالفعل من معانيها التى حدت بعبقرية المثال أو المصور الى تصوير الافكار الجياشة بمخيلته ، فهى معبرة عن الرجاء ، أو الحب ، أو الحكمة ، أو الخوف ، أو الوداعة ، او الطهارة .

وسقراط كان يقول عن خبرة انه يجب على المثال ان يصور حالة الذهن فى تمثاله ، وكانت تماثيل الاغريق لها اثر كبير فى تقرير مزاج الامة .

هذا رأيي فى « أوراق الورد » وكم أحب أن أقرأ كلمة الاستاذ الفاضلة ..... ؟

والرسالة تترك الكلمة للاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعى .

اعتذار

جاءنا من الآنسة الفاضلة ناهد محمد فهمى رد شديد على زميلتنا (النهضة الفكرية) فرأينا الاعتذار الى الآنسة من حفظ المقالة ، أسهل علينا من فتح هذا الباب فى الرسالة .

الى الصديق الراحل

دود على عود

للدكتور محمد عوض محمد

ها أنت ذا، أيها الصديق، قد استويت ومن معك على ذات ألواح ودسر. وقد أذنت ساعة الرحيل، ولم يبق بد من الفراق، فلم نجد مناصاً من النزول الى البر، تاركيك على ظهرها، غير آسف لفراقنا، ولا مستشعر لوعة على تركنا . . . وانطلق الصفير والزئير يشقان الفضاء، فاذا السلالم قد رفعت، والاهلاب قد جذبت من قاع البحر. وإذا سفينتك آخذة فى الابتعاد على مهل كأنها لا تريد أن تؤلمنا ببعدكم مرة واحدة؛ وإذا مناديلنا تخرج من جيوبنا بيضاء ناصعة، وقد جعلتها الأيدي أعلاماً تهزها هزاً؛ وبين الجوانح قلوب تخفق خفقان الأعلام، ولكن أعينكم لا تراها.

وها أنتم أولاء وقوف بأفريز السفينة، تخفق مناديلكم بايديكم خفقانا فاتراً، لم ينبعث من قلب حزين، ولا نفس آسفة؛ وعلى ثغوركم ابتسامة تعنت في تأويلها وتفسيرها؛ وأحسبها ابتسامة الرثاء والاشفاق: إنكم ترثون لنا، معشر المقيمين، وتنظرون الينا كأننا من نوع آخر غريب عنكم، نوع يعيش عيشة الاشجار: تنشأ حيث تغرس، ثم تنمو عليها الغصون والأوراق، والزهر والثمر؛ وهى باقية فى مكانها لا تبرح: وكلما تقادم بها العهد ازدادت تشبثاً بمنبتها، وتعلقاً بمغرسها، لا تعرف ما ركوب البحار، ولا لذة التنقل والاسفار..

أجل كنتم تنظرون الينا نظرة اشفاق، وكأنكم بعض الآلهة تلقي نظرة من السماء على ما دونها من الكائنات ... وفى تلك الساعة رأيت دموعاً كثيرة تنهمل، ولكنها كانت تتساقط من عيون المودعين، لا الراحلين.. فياويل الشجى من الخلى! وياويل المجهود من المجدود!

***

وعجبت لك أيها الصديق، كيف ترحل عنا باسم الثغر، قرير العين مثلج الصدر. وأنت تعلم أنك راحل عنا أشهراً طوالا، لا ترانا فيها ولا نراك، أليس للود القديم حرمة، ولا للحب المؤلف رعاية؟ وهذا الوطن العزيز الذي أنبتك ثراه وغذاك هواؤه، وأظلك دوحه، وأضحكتك شمسه، مالك لا تحس لفراقه جزعاً ولا أسفا؟ بل كأنك بهذا الفراق جد مغتبط، ولهذا الرحيل مشتاق متلهف! لا تحاول الانكار! إن سرورك بهذا البعاد أكبر من أن يخفيه التكلف، وما أنت ممن يحسنون تصنع الأسف، بل إن بك شوقاً شديداً بادياً لمغادرة هذه الديار، وكأنك لا تحيا بيننا تلك الشهور من كل عام، إلا لكي تقضي هذه الأشهر بعيداً عنا

فياعجباً! أى شيء هذا النسم الزعاف الذى يملأ هواء بلادنا، ويحملنا على أن نجد في البعد عنها، وينفر الإبن البار من أمه البرة؟ أهو هواؤها الحار، أم مجتمعها الفاتر، أم ما يحيق بها من ظلم وجحود، ومن حرج وضيق؟

لقد أخذت سفينتك تبتعد، ولم تلبث أن اختفت عن الابصار وأضحت كأمل البائس لا تزداد على المدى إلا بعداً. وكأني بك واقفاً على ظهرها، تتنفس نفساً عميقاً، لكى تخرج من رئتيك ما قد ثوى فيهما من هواء؛ كأنك لا تريد أن تحتفظ حتى بهذا القدر القليل من الذكرى . . . بل تريد أن تأخذ عدتك لحياة جديدة، وأيام سعيدة.. فما أخلقك ألا تبقى للشقاء الغابر فى نفسك أثراً!

لكن أمامك فى السفينة أيام لا أراني غابطك عليها، بين أناس قد اتخذوا الدعة شعاراً، يصبحون كسالى، ويمسون كسالى، لا يعرفون جداً ولا دأباً، أقصى همهم أكلة لذيذة يصيبونها! أو رقدة طويلة يستطيبونها، وما عرفت الناس أدنى إلى الأنعام في مكان منهم على ظهر سفينة . . . قصاري جهد كل منكم أن يقتل الوقت، وأن يتخذ لذلك سبلا شتى: فمنكم العاكف على الشراب، لا يشق عليه الإسراف فيه .. ومنكم المكب على الورق يتسلي باتلاف القليل من دراهمه أو الكثير. وبعضكم يلتمس اللهو فى ألعاب تافهة، أو فى تقليب صفحات كتاب هزيل، إذ لا يستطيع أن يجشم نفسه مشقة أو جهداً.

ولقد تقدم العالم فى طريق المادة، وجاء الاختراع بسفن ذات قوة وجسامة، ولكن الركب ما برحوا اليوم كما كانوا فى قديم الزمن : دود على عود!

***

وأحسبك تتوهم أن سيتاح لك وانت بالسفينة ان تلتقى باعظم الرجال، واجمل النساء، ولست ادري على أى عمد قام فى نفسك مثل هذا الرجاء؟ وهو لعمرك جدير بما يصيبه من

الحية المرة بعد المرة. انك تظن أن العظمة والجمال فى العالم من الكثرة بحيث يجوز أن يكون لكل سفينة تشق البحار نصيب منهما، وخيل اليك أن السفينة خير دار تلقاهما فيها، حيث لا مفر لهما منك. وأن المجال الضيق كفيل بان يجعل الناس بعضهم مقبلا على بعض، والوقت طويل مديد، لأبد للناس أن يتعاونوا على قطعه بالحديث والسمر: فالفرصة اذن مؤاتية — فيما كنت تزعم — لأن تنعم نفسك بحديث العظمة ومرأى الجمال.

وما اشد ألمك حين ترى نفسك بين أناس ككل الناس، او اتفه من كل الناس. وان المجال الضيق قد حال بينك وبين المهرب منهم. والوقت الطويل الفسيح قد حباك الفرصة اللازمة لأن تعجب كيف استطاع بنو الانسان ان يشتملوا على كل هذه التفاهة والبلاهة.

لكن، صدقني ان الذنب ذنبك انت اذ تركت نفسك يحلق بها الامل الكاذب. فليست ام الدنيا ولودا للعظمة والجمال بالدرجة التي صورها لك الوهم. وما جل بنيها لو فتشت الا الطغام، وليس ببدع ان خلت سفينتك مما كنت تتمناه، ثم نظرت حولك فلم تجد على ظهرها سوى دود على عود

* * *

ولقد تشرق عليكم الشمس صبحاً، وملؤها الروعة والبهاء، فتضرج وجنات المشرق بالنجيع، ثم تسكب على صفحة الماء نضاراً وسحراً، وأنتم فى أسرتكم الضيقة القلقة راقدون، يحاول كل منكم النعاس وسط دمدمة الآلات، وصرير الابواب والجدران؛ فلا تصيبون من النوم سوى شيء غريب، ليس بالنوم الهادىء، ولا باليقظة أو السهاد، بل هو أشبه بغفلة المخدرين، تتخللها إفاقات قصيرة المدى... وأخيراً تنهضون من رقادكم المضطرب، ويقبل بعضكم على بعض تتثاءبون، وتتحدثون أتفه الحديث.

وعند المساء تميل الشمس إلى الغروب، وقد أحاطت بها السحب، طبقات بعضها فوق بعض، وهي تنحدر وسطها فى شيء من الحيرة، كأنما تلتمس بينها طريقها إلى المغرب. تارة تحتجب وراء سحابة قاتمة حمراء، وطوراً تستتر وراء أخرى استتاراً جزئياً لايكاد يخفيها، كأنها الحسناء فى الغلالة، وتارة تنحسر السحب عنها تماماً، فتبدو للعين كاملة، لكنها ضعيفة لاتبهر البصر، وكأن سير النهار قد أنهك قواها وأذال منها. فبات من السهل عليك أن تقف أمامها، محدقا فى محياها آمنا، وهي كلما ازدادت ميلا إلى المغيب ازدادت ضعفاً وسقما... لكنها استطاعت أن تملأ السماء بشعاع أحمر قانيء، ونشرته أيضاً على صفحة الماء؛ وقد اختلطت هذه الألوان كلها بعضها ببعض، فكان منها صور تعجز الوصف. وأنت تذكر أيها الصديق، اننا قد اتفقنا — وقلما نتفق — على أن هذا المنظر: الشمس الغاربة توسط السحاب المنشور، فوق صفحات اليم، هو أبدع شيء فى الطبيعة كلها!

وما اخالك إلا آلما أشد الألم، حين تنظر إلى من معك من أهل السفينة، تحاول أن تتحدث اليهم بما يبعثه هذا المنظر فى نفسك من إحساس وإجلال.. وفى تلك اللحظة يؤذن مؤذن العشاء، فاذا هم يغادرونك فى شعرك وسحرك، ويتسللون الى حجرة الطعام، راغبين عن لذة لايعقلونها إلى لذة يفهمونها ويستمرئونها... وإن الصخور الصماء لتحس من معاني ذلك الغروب البديع أكثر مما تحسه أفئدة أصحابك هؤلاء. وماهم، لعمرك، سوى: دود على عود.

* * *

ولقد يكون البحر لكم أول الأمر صديقاً، وبكم رفيقا. ولكنه بعد ذلك قد ضاق بكم ذرعا، فأراد أن يريكم أنه مثلكم يابني آدم، ليس ذا وجه واحد. بل إن له أوجها كثيرة، وقد أراكم من قبل صفحة فيروزية زرقاء، ووجها هادئا، أملس ناعما. كأنه سهل فسيح من مرمر أزرق. وكانت جاريتكم تجري عليه فى اعتدال واتزان، لاتهتز ولا تميل وكلكم فرح بذلك مسرور. تحسبون أن الوقت قد طاب، وأنكم بنجوة من العذاب. ثم رأى البحر أن يريكم وجها من أوجهه الأخرى. فعبس وتجهم، وثار ومار، وتطاير من وجهه الشرار. وانقلب صفاؤه إلى كدر، وهدوؤه إلى انفعال، وحلمه إلى جهل، ورزانته إلى رعونة، وعلا موجه من كل جانب، ووثب رذاذه على باخرتكم، ودخل إلى نوافذ حجراتكم، وجعلت السفينة تمايل من اليمين إلى اليسار، ثم من اليسار إلى اليمين، ومن الخلف إلى الأمام، ثم من الأمام إلى الخلف، سكرى من غير سكر، صرعى من غير صرع.

ولم تك إلا لحظة حتى انقلب اطمئنانكم إلى اضطراب، وامتلأت نفوسكم جزعا وقلوبكم هلعا. وانصرفتم عن الطعام والشراب، وعن اللعب والحديث، واستحالت رؤوسكم إلى قطعة من صداع وأوجاع، وضعفت أرجلكم عن حمل أجسامكم، فارتميتم على سرركم، وأسلمتم أمركم إلى بارئكم.

فياعجبا لقد أمعن الانسان فى الابداع والاختراع، واستحدث كل هذه السفن الهائلة ذات السرعة والفخامة... ثم لايزال راكبها اليوم كما كانوا فى عهد عمرو وعمر: دود على عود

* * *

تلك أيامكم على ظهرها أيها الصديق. وإنى لأرجو لك بعدها سفراً هينا ورحلة ميمونة، وما أجدرك ألا تجعلها كلها عبثا ولعباً؟

توفيق الحكيم

للدكتور حلمى بهجت بدوى

لشبابنا المثقف شكوى تواضع على صيغتها على اختلاف ألوان ثقافته ، وتلك الشكوى هى نقص الغذاء الفكرى فى الحياة المصرية . وقد كان لتبين وجه هذا النقص آثار بغيضة ، فهو أولاً منتشر فى النفس فى مزيج من التشاؤم والتشاؤم ، وهو على أى حال باعث فى العزيمة خوراً وفى الهمة فتورا ، وهو بعد ذلك — وهنا وجه السوء — دافع الى المغالاة فى التقدير . إذ كثيراً مايصيب الصيغة الصحيحة هزى من النفس فتظل فى عرف الناس صادقة على مدى الزمن وان تساقط بعد ذلك وجه الصواب فيها .

وكان من أثر هذا النقص أن نظر الشباب إلى الجانب الفكرى من الحياة المصرية فتخيله مستنقعا آسناً ، فانصرف عنه اما إلى الحياة المادية وما فيها من لهو وعبث ، واما إلى مصدر ثقافته مستعيناً بالكتب والمجلات الأجنبية .

فلم يكن غريباً بعد ذلك أنه كلما بدا وميض من النور فى حياتنا الفكرية لم يلق إلا أعيناً مغمضة ، وإذا أينع زهر صغير صادف برداً فذبل والتوى .

أزمة الغذاء الفكرى شر اذن ، إنما شر منها روح التشاؤم الذى فشا فى هذا الشباب المثقف ، وكلمة الشر التى جرت على الألسنة فى سهولة عجيبة من أنه لاسبيل إلى تلمس هذا النوع من الغذاء فى الانتاج المصرى والتى تنتهى إلى قتل العناصر السليمة التى قد تنهض لتغذية حياتنا الفكرية .

وإذا أنا ذكرت الانتاج المصرى فانى أرسل هذه الكلمة على معنى خاص . فانا أستبعد الترجمة لأنها ليست إلا وسيلة لتغذية من كانت ثقافتهم عربية محضة ، أو لتهيئة الاتصال بين ثقافتين مختلفتين . وأنا أستبعد كذلك النقد لكى أستبقى بعد ذلك صورة واحدة ، هى الخلق Création

وإذا أنا استبعدت النقد فليس ذلك لأنى أخرجه عن معنى الانتاج ، أو لأنى أتمثله ضعيف الشأن فى تموينا بالغذاء الفكرى ، وانما استبعده لأنه مرهون بالخلق ومن أجل ذلك كان النقد الذى أينعت أثماره فى مصر هو ذلك النقد للانتاج الأوربى وللانتاج العربى القديم . أو ذلك النوع من النظرات العامة التى تلمس أوجه النقص والكمال فيما لدينا من انتاج لترسم صورته الحقيقية جميلة كانت أو قبيحة .

* * *

وقد ظهر أخيراً كتاب أهل الكهف لتوفيق الحكيم وهو من نوع الانتاج الذى أقصده . ولا أذكر كتاباً قابله النقد فى مصر بعناية وتقدير بمثل ماقوبل به هذا الكتاب . ولست أتعرض هنا لنقده بعد أن وفاه حقه الدكتور طه حسين والأساتذة مصطفى عبد الرازق والمازنى وهيكل بك ومحمد على حماد وغيرهم من فضلاء الكتاب .

ذلك أن مؤلف أهل الكهف صديقى وربما كان تقدمى لنقد كتابه — والأمر كذلك — مثيراً لريبة مشروعة . وهل هناك من شك فى أنى سوف أحيط كتابى باطار من العطف الذى تبرره شريعة الصداقة ، أوليست الصداقة فى بعض وجوهها نوعا من التعاون الخالص وضرباً من التنابذ فى سبيل النجاح !

وإنما حلا لى أن أكتب عن تاريخ حياة هذا الكتاب . وقد قدرت فى تلك الصداقة التى كانت تاتى الريبة على نقده تزكية لاغبار عليها للكتابة عن تاريخ حياته ، وما تاريخ حياته إلا وجه من تاريخ حياة مؤلفه ، وقطعة من شخصيته لعلى أجدر الناس بالكتابة عنهما .

* * *

منذ عشر سنوات خلت كان توفيق الحكيم طالباً فى مدرسة الحقوق ومؤلفا مسرحياً ملحقاً بمسرح حديقة الأزبكية ، وقد تقدم إلى هذا المسرح بروايات عدة بعضها مؤلف وبعضها مقتبس عن المؤلفات الأوربية . وقد قرأت هذه الروايات فى ذلك الوقت وكنت عندئذ هاوياً لكل مايتعلق بالمسرح . وكان من بين هذه الروايات رواية مؤلفة عنوانها « المرأة الجديدة » وموضوعها مشكلة المرأة فى الجيل الحالى . وقد لاقت هذه الرواية من النجاح مالاقت ، وقد يكون دون ماتستحق وقد لايكون ، وقد لايزال توفيق الحكيم ينظر إلى رواياته الأولى بعين لا تخلو من الحنو والعطف ، وقد يكون هذا الشعور مفهوماً من جانبه ، أوليست أعمال الشخص كأطفاله اذا حظى السليم منها بالحب اختص العاطل منها بالعطف والحنان !

وكنت أنظر حينئذ إلى توفيق الحكيم بعين الأمل ، ذلك انى كنت أراه منصرفا إلى فنه تمام الانصراف ، فى إخلاص وإيمان ، شاعراً بأن هذا الفن يجرى فى دمه ، وهو لم يشعر بذلك شابا فقط . وإنما هو هم احتواه صبياً فراهقا . فهو لايعيش إلا

من أجله ، ولا يفكر إلا فيه . وإذا اطمأن اليك مرة لحدثك عنه أدهشك ذلك الحماس الذي ينبعث منه ، وتلك النشوة التي يغرق فيها إلى آذانه فتأخذ بلبك ولبه .

من أجل ذلك كنت أنظر اليه بعين الأمل ، ولكن لم يكن أملي فيه محدداً بل كان أملاً غامضاً لعل مصدره ما في الشباب من صحة وثورة وتفاؤل ، وعلى أي حال لم أكن آمل في نجاحه الا من ناحية الكتابة الفكهة ، وقد بعث هذا في نفسي روايته «المرأة الجديدة» ، إذ كتبها وهو يقصد عين الجد فاذا به أصاب دعابة لذيذة ، وكنت ألمح في دعابته نوعا من العمق لم أكن متيقناً منه ، وإنما كنت أحس به وأنا بين المصدق والمكذب .

* * *

إلى أن سافرنا منذ ثماني سنوات إلى باريس بعد انتهائنا من دراسة الليسانس ، وكان المقصود من سفرنا دراسة دكتوراه الحقوق

وبهرنا عند وصولنا ازدهار الفن والادب في باريس ، وظهر لنا جلياً ناطقاً محدداً ذلك الجانب الروحي والفكري من الحياة الذي حرمنا من نعيمه في مصر ، كيف أينعت أزهاره في هذا البلد ، كيف كان داني القطوف ، عجيب الالوان ، شهي الرائحة . ويدرك من يتذوق هذا الجانب من الحياة كيف يحلو الري بعد هذا الظمأ والامتلاء بعد طول الطوى . فهل كان من المعقول أن يعيش توفيق الحكيم في باريس وهي مهبط الفن والادب ، وأن يمر بهذا الفن والادب وفي دمه ذلك الحماس ، وفي روحه ذلك الخلوص والانصراف فلا ينهل من الفن والادب إلا بقدر ما ينهل الناس لمجرد الغذاء الفكري ؟

ما مضت بضعة أشهر على إقامتنا في باريس حتى بدأت أنظر اليه بعين ملؤها الاحترام . . . الاحترام الغامض أيضا .

ذلك أني رأيته وقد انصرف عن اللهو وعما يحصل كل شاب من باريس عادة ، عن باريس اللاهية ، عن باريس الضاحكة الماجنة ؛ انصرف عن كل هذا بنفس آمنة مطمئنة . وإذا به وأحياء باريس عشرون حيا يبدأ أولها في مركز المدينة وينتهي آخرها بأطرافها يسكن الحي العشرين ، وما أظن مصريا قد هبطت قدمه إلى هذا الحي غير توفيق ، ومن كان يفكر في زيارته من أصدقائه .

* * *

قرأ كتاب تين Taine عن فلسفة الفن فانبثق له من هذا الكتاب قبس من نور ، فتعلق به وقد شعر أنه باستهوائه اياه لابد واصل الى استكمال تثقيفه ، والى ادراك مكنونات الفن أسراره ومنعطفاته . وانكب على دراسته انكبابا . والكتاب يتحدث عن فن التصوير والنحت أكثر مما يتحدث عن غيرهما ، فهو ذاهب اذن لزيارة متحف اللوفر في زيارات دورية ، وقد أصبح له هذا المتحف بمثابة الجامعة للطالب . وهو مصطحب هذا الكتاب كصديق مرشد . وهو متثبت من مطابقة التدليل البديع الذي يجري به قلم تين عن كيفية نشوء فن ما ، في بيئة ما ، على تلك المجموعة التي لا تقدر من كنوز الصور في متحف اللوفر . وهو قد قرأ الكتاب واستوعبه استيعابا وهضمه هضما ، ثم شاهد كيف استخلص تين حياة هذه القطع الفنية من جنس الفنان والوسط الذي أحاط به والوقت الذي ظهرت فيه .

ولكن أنى له أن يفهم فن التصوير فهما واعيا ، وثقافتنا المصرية في هذا الشأن معروفة ! ان كتاب تين ليس الا خلاصة محاضرات كان يلقيها على طلبة مدرسة الفنون الجميلة في باريس ، فهو يتقدم به الى أناس على قدر متقدم من الثقافة الفنية ، وقد شعر توفيق بعد قراءته للكتاب بالنور يبهره ، فادرك أن هناك جمالا لم يكن يحس بوجوده قبل ذلك وعالما آخر تراءى له ولكن في اطار من السحب والغيوم . وأحس في الوقت نفسه أنه لم يدرك كنه هذا الجمال بعد ولم يدخل هذا العالم الجديد .

وكان أن عرضت له فرصة يتعجل بها سد هذا النقص الذي كان يقض مضجعه ، فلم يتردد في التعلق باهدابها ، فهو قد تعرف في ذات يوم الى شاعر فرنسي أخنى عليه الفن والادب ، ولعله البقية الباقية من جماعة البارناسيين Parnassiens من مذاهب الشعر ، فرأى فيه توفيق رجلا مثقفا ثقافة واسعة ، ذا مكانة في الأدب والشعر ، وان جار الزمان عليه وعلى مذهبه . فجعل يمد هذا الشاعر البائس باعانة مالية نظير استعانته به في فهم أسرار اللوفر ومتحف رودان والمكتبة الاهلية .

ثم انكب على القراءة انكبابا ، ولكن الانتاج الاوربي هائل فيه الغث وفيه السمين ، والى جانب الانتاج الحديث يوجد الكلاسيك وهو لا يقل هولا ، والوقت من ذهب ، لابد اذن من ان يختار ما يقرأه من بين هذا كله ، وهو شاعر بالمراحل الواسعة التي لابد له من قطعها ليستعيض عما ضيعه من أيام شبابه في قراءات كان يتخبط فيها دون هدى او مرشد ، وهو يستعين اذن بصاحبه الفرنسي في هذا الاختيار ، وهو يستمع اليه في دروس خاصة منظمة ، جعل صاحبه يعايرها له كما يعاير الدواء للمريض ، واذا به الآن قوى البنية بعد هذا الهزال الطويل ، عبل الذراعين بعد هذا الضعف والتهالك .

وهو لا يكتفي بعد ذلك بالتهام الكتب واستيعابها ، وإنما هو

١٠ - ٣٢

يجعل من قراءاته اداة للتأمل والتفكير . فهو يركن الى الوحدة في غالب أيامه يهضم فيها ما قرأ ، وهو يجلس في قهوة نائية وقد فتح امامه كتابا ذرا للرماد في العيون ، ثم يظل يسبح في بحر خياله وهو مغتبط بهذه الوحدة كبير بها ، وكأنه قد أدرك قول ابسن : «ان الرجل الوحيد المنفرد هو الرجل القوى» .

وكنت دائما أتلقى ثمرة ذلك التأمل الطويل ، فهو يغيب عني اسبوعين او ثلاثة ثم يزورني فاجلس اليه ساعات متوالية ، لا ينقطع فيها حديثه ، وهو دون شك قد اختار موضوع هذا الحديث قبل حضوره . ودون شك كان هذا الموضوع شاغله الوحيد في هذه الأسابيع الماضية ، وإذا بي أمام محاضرة طويلة عريضة . . . متشعبة ، ولكنها مبوبة تبويبا كاملا ، مرتبة ترتيبا بديعا . وإذا لها خاتمة لم بأغراضه ، وإذا بي غارق في نشوة صافية ، وإذا أنا مفكر في هذا الموضوع وذاك الحديث ، لا في أثناء انصاتي اليه فقط ، بل بعد انصرافه عني أيضا .

أنصرف في حين ما إلى قراءة ما كتب عن قدماء المصريين وعن روحهم العميق ، وإذا هو شاعر بمصريته العريقة كيف هي تمشي في دمه ، وإذا هو محدثك عن هذا الروح في فخر وإدراك لا في مجرد زهو ونعرة ، وإذا أنت يبهرك هذا الافضاء ويتملكك نوع من الحماس ، وتتكشف لديك آفاق جديدة ، وتتحلل في ذهنك ألغاز كنت تحار في تعليلها أو كنت تعللها تعليلا غامضا ، وإذا الأمل الذي كان يدب في نفسك دبيبا مبهما في مستقبل مصر ، وفي روح مصر قد تجدد لديك تجديدا كاملا ، لأنك تشاهد النور بعد أن حجبه عنك ستار ، وتلمس الحقيقة بعد ان كانت وراء حجاب ، وتشعر بما في روح مصر من عبقرية خاصة ، بعد أن أدركت أسبابها فلم يصعب بعد ذلك أن تأمل فيما تؤدى اليه من ثمرات .

وهو لم ينس المسرح — فنه العزيز عليه — في وسط هذا كله ، فهو يشاهد التمثيل من الكوميدي إلى الأوديون إلى مسارح البولفار إلى مسارح الطليعة Avant Garde ، لا يدركه ملل ولا سأم ، وهو لا يذهب لمجرد اللذة الفكرية ، بل أيضا للدرس والوعي . وهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك وتلك النار المقدسة تنفخ في صدره وتوطد من عزمه لا تدركها هوادة ولا خمود !

ويدهشك بعد هذا أنه في يوم ما منصرف عن هذا كله ، عن قراءاته وعن مسارحه ، عن اللوفر وروودان وبقية المتاحف ، وإذا به يشغله شيء واحد : الموسيقى ، ماذا؟ توفيق الحكيم الذى كان يكاد يشترك في تلحين رواياته الموسيقية في مصر ، توفيق الحكيم الذى كان مولعا بالموسيقى الشرقية ، غارقا وراء أسرارها يستمع الآن الى الموسيقى الغربية ؟

لقد أدرك معنى ، أنها إحدى الفنون السبعة ، فهو الآن منكب علي دراستها انكبابا ، ولا بأس أن يستعين بأصدقائه الفرنسيين على فهمها ، وهو منصرف الى الأوبرا والأوبرا كوميك والى صالات الموسيقى السمفونية ، ولا بأس من أن يذهب الى الأوبرا ولو لم يقتدر الا على أعلى التياترو ، ولا بأس من أن يتسلل بلباسه الغريب المتواضع على درج أوبرا باريس الفخمة ، ومن بين أزياء المساء الفاخرة ولألاء الجواهر الثمينة !

وإذا به يتدرج كالطالب في المدرسة ، فهو معجب أولا بسان سانس وبيزيه وموسيقاهما ذات النغم الشرقي ، ثم هو منتقل بعد ذلك إلى الاعجاب ببتهوفن وموسيقاه الرومانتيكية ، وهو بعد ذلك مشيد بذكر فاجنر وموسيقاه القوية ، وهو أخيرا يستمع الى موسيقى استرافسكي وغيره من المجددين .

سأله أخيرا المكاتب الفنى لاحدى الجرائد المصرية عما أوحى اليه بأهل الكهف ، فكاد ينطلق لسانه باسم بتهوفن ، وقد قص على هذه الحادثة فلم أملك نفسى من الابتسام .

— ولماذا لم ينطلق لسانك ؟

فكان رده الذي كنت أتوقعه والذي من أجله ابتسمت :

— يضحكون مني !

وهو في وسط هذا التموين الهائل الذي كان يمون نفسه به أخذ — ومن ساعة متقدمة — يحاول الانتاج ، فجعل يزاول الكتابة بالفرنسية ، فكتب قطعا من الحوار وجعل يعرضها على بعض أصدقائه الفرنسيين ، ولم يثن عزمه عن الكتابة المامه الابتدائى بالفرنسية ، فهو مثابر مجد على رغم ذلك ، وهو في النهاية قد عثر على صيغته ، وإذا بأصدقائه الفرنسيين يشهدون له بأنه في توجيه الحوار واسع الحيلة ، وإذا بعضهم يذكر عند قراءته لتوفيق بورتوريش الكاتب الفرنسى الشهير وحواره المقتضب المتماسك .

وكنت أراقب هذا النماء عن قرب مغتبطا به ، سعيدا بمشاهدتى هذه البذرة كيف غرست ، ثم كيف نمت ، ثم كيف ترعرعت وأينعت ، ولم ينشأ شعوري بهذه السعادة عند ما نشر كتاب أهل الكهف ، وعند ما استقبله النقد هذا الاستقبال العظيم ، وانما هو قد نشأ من زمن بعيد ، عند ما قرأت «اهل الكهف» مخطوطة منذ ثلاث سنوات قبل أن تتخاطفها أيدى المدرسة الحديثة ، بل عند ما قرأت «شهرزاد» مخطوطة منذ أربع سنوات ، لما ارسلها إلى توفيق في

باريس بعد عودته الى مصر ولما حملتها واكبضا الى الدكتور ماردروس (وهو اديب فرنسي ترجم الف ليلة وليلة الى اللغة الفرنسية . وزوج مدام لوس دلارو ماردروس الكاتبة الفرنسية المعروفة) ليقرأها وليرى من أى زاوية نظر مؤلف مصرى الى قصص الف ليلة وليلة .

بل شعرت بذلك منذ خمس سنوات عندما كنت أقرأ أولا بأول الصفحات الأولى من رواية «عودة الروح» عند ما كان مؤلفها يحاول ترجمتها الى اللغة الفرنسية .

عند ذلك كله تجدد أملي فيه بعد أن كان غامضا ، وتبدد ذلك التشاؤم الذي كنت أنظر به الى جونا الفكري ، وأدركت أن لدينا مؤلفا نفاخر به المؤلفين الأوروبيين نقرأه فى لذة واعجاب ، اعجاب بهذا المنظار الخاص الذى ينظر به الى الاشخاص والأشياء والحوادث فيكتشف فيها نواحى فذة .

نعم . فقد تمر أمامنا الحادثة لانفكر فى أن نعلق عليها اهمية خاصة .. ولكنها تستوقفه فيناقشك فيها .. ويبدأ يصور لك فيها تصويرا غريبا . فاذا هى امتدت ، واذا هي ذات جسم وكيان ، واذا بها نواح من الاهمية بمكان ، واذا أنت دهش بعد ذلك كيف مرت عليك ولم تلحظ فيها كل ذلك .

كنت أتحدث مرة الى أحد أصدقائنا عن روايات توفيق الحكيم ، وتسلسل الحديث الى أن ذكرت لمحدثى أن توفيقا قد كتب رواية اسمها «الخروج من الجنة» فكان رده على :

— وطبعاً شخصيات الرواية ثلاث : آدم وحواء وابليس !

فلم أتمالك من الابتسام ، ذلك أن عنوان الرواية ليس الا رمزا وأن أشخاص الرواية عصريون فليسوا آدم وحواء ، وانما هم محمود واقبال وغيرهما من أبناء آدم وحواء .

وقد ابتسمت لقول صاحبي لأنه لفظه فى اطمئنان عجيب ، وبنى اطمئنانه أنه قد قرأ «أهل الكهف» ورأى كيف استخلص مؤلفها تلك القطعة الفلسفية من القصة التى لايجهلها مصرى وقرأ «شهرزاد» فرأى ثمرة التأمل الذى اوحت به قراءة الف ليلة وليلة الى صديقنا توفيق . فاذا هو كتب رواية بعنوان «الخروج من الجنــة» ، فهو لاشك قد عالج خروج آدم وحواء لان هذه الحادثة قد استوقفته ، ولابد انه قد نظر اليها من زاويته الخاصة فصبها رواية مسرحية !

خرج صاحبنا من مجرد عنوان الرواية ومن ان مؤلفها توفيق الحكيم بهذه النتيجة التى يراها طبيعية ، وهو حريص على ان يكون استنباطه لتلك النتيجة من تلقاء نفسه ، فهو لايسأل عن اشخاص الرواية وانما هو يبادر بذكرهم من تلقاء نفسه ، شأن من فهم روح مؤلف أهل الكهف !

***

بهذه الموهبة الفذة وبهذه الثقافة الشاملة وهذا المجهود الجبار يتميز توفيق الحكيم ، فهو قد أدرك أن الأدب ليس مجرد سليقة نطلقها فتنطلق ، أو الهاما يوحى الينا به فنرسله على طبيعته ، وانما هو الى جانب ذلك وقبل ذلك علم ودراسة ، لابد فيهما من المثابرة على القراءة ، والانكباب على المذاكرة ، والالمام بجميع نواحي الفنون ، والتأمل فى كل مانقرأ ونشاهد .

وكتاب أهـــل الكهف الذى لاقى مالاقاه من نجاح لدى النقد فى مصر ، والذى لاأشك فى أنه سوف يستقبل استقبالا عظيما لدى النقاد الأوروبيين اذا ما ترجم اليهم ، هـذا الكتاب اذن لم يكن ثمرة مصادفة ، لم يكن زهرة صغيرة أينعت فى المستنقع المصري وانما هو دوحة هائلة غرسها غارس ثم تعهدها بالصيانة والتهذيب

***

وبعد ، فانى أدرك أن مقالى هذا قد يرسم على الشفاه ابتسامة ذات مغزى !! «هو صديق يقوم بالدعاية لصديقه» .

ولأمر ما ، يهمني أن أرفع هذا الخطأ المحتمل ، فان مؤلف «أهل الكهف» وكتابه ليسا فى حاجة الى دعاية بعد أن أجمع النقاد على تقدير الكتاب .

وانما حاولت ان أرسم صورة لتاريخ حياة الكتاب بأن قدمت صورة من تاريخ حياة مؤلفه ، أظهر بها جانباً هيأت لى الصداقة التى تجمعنى ومؤلف هذا الكتاب أن ألم به ، فآثرت أن يطلع قراء الكتاب على هذا الجانب .

وربما كان لي غرض آخر من هذا المقال : هو ان يدرك شباننا المتأدبون أن فن الأدب لايكتفى فيه بالموهبة ، أو بالاعتقاد فى تلك الموهبة ، ثم ارسال القلم فى كتابات لاتقدمنا خطوة واحدة ، وانما هو الى ذلك اطلاع وتأمل ، لافى الشعر والنثر بأنواعه فقط ، بل كذلك فى النحت والتصوير والموسيقى ، ولافى الانتاج العربى وحده ، بل كذلك فى الانتاج الأوربى ، ولست احاول أن أرسم بهـــذا خطة ، فالخطة مرسومة مقدماً ، بل هى بديهية من البديهيات ، وانما قصدت لفت النظر .

فاذا أتى اليوم الذى نرى فيه شباننا المشتغلين بالادب قد ادركوا هذه الحقيقة كنا سعداء : توفيق الحكيم ، وكاتب هذه السطور وكل من يجرى فى دمه الاخلاص لهذا البلد المنكود بكل ماتحتويه كلمة الاخلاص من معنى ؟

عمالقة الاشجار

للدكتور محمد بهجت

خريج جامعة كاليفورنيا

— ٢ —

حرج ماريبوزا

يقع في قمة جبال السيرا على ارتفاع ستة آلاف قدم . سمي كذلك لوجوده بمقاطعة بهذا الاسم . « وماريبوزا » كلمة اسبانية معناها « ابو دقيق » وكان أول من لمح رءوس اشجاره عن بعد رجلا يسمى « اوج » Hogg في سنة ١٨٥٥ ولكن رجلا آخر يسمى « جالن كلارك » Galen Clark اكتشفه عام ١٨٥٧ واليه يرجع الفضل في ذلك . يصل اليه الزائر من طريق ضيقة لا تتسع لأكثر من عربة ، شديدة الانحدار والتعاريج ، تمر وسط غابات كثيفة مكتظة بأنواع الصنوبر التي تعطر الجو دواماً . وغالباً ما تكون حافة الطريق هي حافة هوة بعيدة القرار يغطي منحدرها آلاف الاشجار . وكثيراً ما يصادف الانسان قطيعاً من الغزلان يعترض الطريق ، ترنو اليه بأعين سوداء كبيرة هادئة ثم لا تلبث أن ترتاع وتقفز في رشاقة نادرة وتختفي في ظلمات الغاب . ومن وقت الى آخر تخترق الاذن نغمة حلوة لطير جميل الريش يتفيأ ظلال الاغصان . او يقفز امامك سنجاب صغير يقف على خلفيتيه ويرفع ذيله الطويل المنقوش على ظهره حتى يكاد يلامس مؤخر رأسه ، ينظر اليك لحظة ثم ينقلب راجعاً في سرعة البرق . واحيانا يصادفك دب أسود الفرو لامعه ينظر اليك متكاسلا ثم يدير رأسه الى الناحية الاخرى متباعداً عنك غير عابيء بك .

وأخيراً تنتهي الطريق الى الحرج الذي لا تتجاوز مساحته ميلين مربعين . وهناك يشعر الزائر انه داخل في معبد فسيح معطر الارجاء ذي عمد هائلة ، لا تستطيع الشمس ان ترسل الكثير من أشعتها الى ارضه لكثافة رءوس الاشجار ، فالظل لذلك وارف ظليل ، والهواء بارد عليل ، واما الصمت فرهيب شامل وما هي إلا برهة حتى تملك الانسان خشية ورهبة فيصمت هو الآخر ويتأمل ا اشجار باسقة تحلق رءوس بعضها في الجو الى ارتفاع مائة وعشرة من الامتار . ويبلغ قطر البعض الآخر عشرة أمتار !! يرفع الانسان رأسه ليدرك سمو هذه المخلوقات النبيلة ولكنه لا يلبث ان يطأطئه في خشوع وذهول ، يميد بالحيرة ويضج بالاسئلة : ترى كم من السنين قامت هذه العمد النباتية في مكانها لا تبرحه ، تحمل الثلوج شتاء على اذرعها الضخمة المنبسطة وتحتمل الزمهرير ولطمات البروق وجلجلة الرعود ، وهطول الامطار وتدفق السيول ؟ يقول بعضهم ثمانية آلاف سنة ، ويقول بعضهم اربعة آلاف !! ومهما يكن التقدير فانها ولا شك أسن المخلوقات الحية واعظمها . كيف لا والشجرة « الصغيرة » التي تجاوزت الخمسمائة ربيع لا تزال في ميعة الصبا . واما التي بلغت من الزمن الفي سنة فلا تزال في سن الكهولة !! إذا نظر الانسان الى شيخ قارب المائة او جاوزها شعر بوقار السن وجلاله ، وخشع لتلك المسحة الهادئة الحزينة التي تطبعها عليه يد الهرم . فما بالك اذا نظر الى مخلوق عمر ستة قرون ؟ ومع هذا فلا ترى ضعفا ولا تقوسا ولا تهدما ، بل ترى سمواً وقوة وعظمة . ترى اصلها كأنه أبو الهول ناشباً أظفاره الضخمة في جانب فريسة هائلة ، ترى التمكن والرسوخ . نعم ان عليها روح الكآبة والحزن ولكنها كالجبار



العملاق الممدد او الملك الساقط

المكتئب يرفع رأسه الى السماء في جمال وروعة ، غير عابيء بما في جنبه من طعنات او في نفسه من وخزات . وحقيقة ترى بعضها محترق الجانب او القلب غير انها لا زالت حية باسقة تهزأ بكوارث الطبيعة وهوجها ، تطالع فيها رمز الصبر والاحتمال والخلود ، ثم انها كتاب تاريخي ضخم استوعب الكثير من تاريخ القرون ولكن كيف السبيل الى حل رموزه وطلاسمه ؟ هيهات ! تقف صامتة ، تنظر مبتسمة ساخرة ، ولكنها لا تبوح بمكنون فؤادها فكأنها حفيظة لسر الدهر

ولكل من هذه العمالقة اسم يعرف به ، فهذه شجرة مارك تواين تخلد اسم الكاتب المشهور وهي أطول اشجار العالم إذ يبلغ ارتفاعها ٣٣١ قدما ، وهذه شجرة جالن كلارك مكتشف الحرج وهذه شجرة واشنجطن ، وهذه شجرة غروب الشمس وهي آخرة الاشجار التي تغيب عنها اشعة الشمس . وتلك شجرة الاصطبل

التي تؤوي خمسة عشر حصانا جذعها الأجوف ، وتلك شجرة المنظار التي احترق من جوفها ما طوله خمسون قدما فاصبحت كالمنظار ترى من داخلها السماء . ثم تلك شجرة « واوونا » Wawona — تلك الشجرة العجيبة التي شق في احشائها طريق في سنة ١٨٨٠ ارتفاعه ثماني اقدام وعرضه إحدى عشرة تمر منه عربات الزوار الذين يحجون اليها من انحاء المعمورة . ومع هذا لا تزال حية تضحك من اقزام الانسان الذى اعمل فيها قواطعه ومناشيره وأجرى عليها هذه العملية الجراحية القاسية من غير ما مسكن او مخدر !! هي ارفع من ان تشكو هذا العبث الصغير !!...

وترى وسط الحرج « العملاق الرمادى » Grizzly Giant وهو من أضخم ما على وجه البسيطة من اشجار ومن أطولها عمرا . يبلغ ارتفاعها ٢٠٤ ومحيطها ١٠٤ اقدام ، ورأسها غير كامل لأنه محترق ، ويظهر أن صاعقة انقضت عليه فاطارته . يبلغ سمك قشرها الذى يكسو خشبها نحو ٧٥ سنتيمترا ، والعادة ان يكون لونه لون

شجرة واوونا يبين بها الطريق التي شقت في اصلها

القرفة ، اما فى هذه الشجرة المعمرة فاللون رمادي يشهد بمعاركة الرياح والامطار والشمس وعناصر الطبيعة الأخرى القاسية قرونا طويلة ، واقفة كانها تصارع الزمن بسيف متكسر فهي كالبطل المنهوك المثخن بالجراح تغيب بين اضلاعه النصال والسهام . فمن ذا الذى يرى هذا المخلوق النبيل ولا يحني رأسه فى خشوع واعظام واكبار ؟ من ذا الذى لا يقف اصلها ضارعا بعد ان يشعر بعظمة الخالق والمخلوق ؟ وسأحاول تصوير ضخامتها بما يلي من الامثلة :—

١ — إذا وقف عشرون رجلا فى حلقة مقفلة حول أصلها بحيث تتلامس أطارف اصابعهم مع امتداد اذرعتهم فانهم يستطيعون تطويقها تماما.

٢ — إذا شق فى اصلها طريق يمكن ان تمر منها مركبتان من مركبات الترام جنبا الى جنب

٣ — إذا امكن ان تقور قاعدتها بحيث تشبه الغرفة استطاع اربعة عشر شخصاً ان يجلسوا على مقاعد حول مائدة مستديرة فى وسطها من غير ما تزاحم

٤ — إذا قطع ونشر خشبها انتجت ما يربو على نصف مليون قدم من الخشب

وبجانب آخر من الغاب يرى عملاق هائل صريعاً ممدداً يسمونه « الملك الساقط » Fallen monarch تقصر دون عظمته وضخامته عمد قدماء المصريين الصوانية المتساقطة فى المعابد . مؤثرة والله رؤية ذلك الطود الأشم بل ذلك الملك منزوع التاج منطرحا على الارض جسما بلا روح — ذلك الطود الذى عاصر الاهرام حيا وها هو ذا لا يزال باقيا في خلية العمر إذ يأبى خشبه الاستسلام للعفن وللاضمحلال والفناء مع ان جنبه يلامس الارض منذ مائتي عام !! وقد صورت اكثر من مرة وعليها عربة بستة أحصنة وعدة سيارات وجم غفير من الرجال .

ولعل أهم ما يتساءل عنه الزائر المتحير هو كيفية تكاثر هذه الاشجار وحفظ نوعها . وربما تأخذه الدهشة إذا علم انها تتكاثر من بذرة في حجم الخردلة !! وتوجد هذه البذرة مع غيرها في مخروط صغير لا يزيد حجمه على حجم البيضة الكبيرة . وقد يحتوى المخروط على ثلاثمائة بذرة . وتنتج الشجرة عددا هائلا من هذه المخاريط ولكن ما ينبت من بذورها قليل جداً

وقبيل الغروب عندما يتأهب الزائر لمغادرة ذلك المكان الساحر يرى ضربا آخر من الجمال إذ تنفذ اشعة الشمس في حزم عريضة تشق ظلام الغاب الى سوق تلك الاشجار فتضيء جوانبها المفضضة بفيض من النور البديع يشف عن لون محمر يزرى بأجمل ألوان رخام ايطاليا المصقول . أما الجوانب المقابلة فتكون معتمة مصبوغة بلون بنفسجي شفاف .. بعد ذلك نرى نفسك مضطراً الى مغادرة المكان إذ يهجم الظلام سريعاً . فاذا ما خرجت من الحرج الى الطريق استطعت ان ترفع صوتك بالحديث بعد ان كنت تهمس ، ثم تؤخذ بجمال الجبال عند الغروب . عجباً !! كيف يمكن أن تصطبغ رءوس تلك الجبال ومنحدراتها واشجارها بهذا اللون البنفسجي البديع الذى لم يستطع العلم تقليده الى الآن ؟ ... وإن استطاع فأي جن يمكنهم أن يصبغوا بمثل تلك السطوح الهائلة في ذلك الوقت القصير ؟!! ثم بعد ذلك ايضا تطبع صور تلك الاشجار العجيبة فى ذاكرتك الى مدى العمر ، وتقف فيها بارزة قوية بحيث تراها وتحسها وتحن اليها وانت في أي ركن من أركان العالم ؟

العبقرية

علم وأدب وفن

للاستاذ الجوماني

أديب جبل عامل

قبل الكلام على واحد من هذه الثلاثة ، يجب أن تتكلم على النفس التي هي مصدر العلم والفن ، اللذين هما مصدر الحياة ، التي هي مصدر العالم

والنفس هنا هي جماع ما في الجسم من جوهر ، وأما النفس التى هى نواة الحياة فى الحى مجردة عن الخصائص التى تعرضها ، فهى السر الكامن فى الجسم الحي الحساس ينبعث عنه الفعل أو ينفعل هو بما يعرضه في الحياة

فهى (١) على هذا التحديد الاعتبارى مجمع الخصائص فى الانسان كالارادة والفكر والعقل ونحوها من أمهات العمل الخارجي او الداخلي

ولما كان المرء عبارة عن شخصيته التى يمتاز بها ، وهي نتاج هذه الخصائص ، وكان هذا الجسم قشرة لذلك الجوهر ، أطلقت النفس على المرء بمجموعه قلباً وقالبا

فالنفس التي هي مصدر العمل طرداً وعكسا ، هى أم الارادة التى هى مصدر العمل طرداً لا عكساً ، اى ان النفس تفعل وتنفعل واما الارادة فتفعل ولا تنفعل ، إذا صح ان كبت الارادة إنما هو انفعال النفس ، لا انفعال الارادة كما سيمر بك . .

أما مصدر هذه النفس وارادتها التي يتطور بها الانسان بله الحيوان روحا وبدنافا نما هو تلك القوة المالئة هذا الكون ، او لعلها هي نفس الكون ، او لعل الكون إحدى جزئيات معناها الكلى .

ولم اكن لاومن كل الايمان انها ، أى النفس الناطقة ، نتيجة تفاعل هذه الخلايا ، أو انها احدى خواص هذا التركيب الجسدى ، او انها هى هو ، او انه ظرف يشتمل عليها ، وإن كان بعضها اقرب الى العقل من البعض الآخر .

لا أومن بشىء من ذلك ، ولا بعدمه ، على رغم انى اعتقد باقتسام خصائص النفس اجزاء الجسم كالدماغ والقلب والاعصاب

لا أومن كل الايمان ، ولا أجحد كل الجحود ضرورة انه لم يثبت لدى أن الكائن مطلقا إنما هو نتيجة تفاعل الممكنين

(١) أي الاولى .

كما لم يثبت لدى عدمه مطلقا

فقد تكون الروح من الجسد مكان اللون والنور من الاجرام المرئية ، كما قد تكون منه مكان الطعم من الثمر والعطر من الزهر ، وقد تكون منه مكان الصدي والنبير من السيارة ، كما قد تنزل منه منزلة السائق منها فتكون غيره

ولعلى لم آل جهدا فى التفكير بما يقفنى على هذه القوة (مصدر النفس) واكتناه حقيقتها الغامضة ، او لعلي لم احجم عن درس أي كتاب اتصل بي صادرا عن أى مفكر في العالم للبحث عن هذه القوة ، فلم يزدنى كل ذلك علما بما وراء ما احس الا انه امرفاتنى حسه ففاتنى اكتناه سره ، ولم اكن لاقول فيه الا من وراء الحدس والظن

ولعل ما نقوله فى تلك النفس التى توحى الينا الفكر ، وتحرك السنتنا بالنطق ، انما هو من قبيل الخوض فى هذا التيار الحافل باسرار هـــذه القوة الغامضة فلم نقل فيه الا تخرصا وحدسا

ثم ما هى حقيقة هذه الارادة ؟

وما هو هذا الفكر ؟

هل هي وليدة انفعال تلك القوة العليا ؟

وهل هذا الفكر الذى نجول به فى عالم النفس هو وليد ما يصدر عن هذه الارادة من عمل ؟ أم هما معاً فعل تلك القوة الاولى ام نتيجة انفعالها ؟

وهل من الممكن لو لم يصدر عن الارادة عمل فى الحياة أن يتكون هنالك فكر يتدبر هذا العمل فنقول قد كانت ارادة ولم يكن فكر ، وسيدق الفكر ويهرم الارادة ثم تموت ؟؟؟ اى ان الارادة هى التى اوجدت الفكر ، والفكر سيتغلب عليها بما يعضده من نواميس الاجتماع التي يسنها ، فيخلق الارادة حينئذ من جديد ويصبح الانسان ملكا

ومهما يكن من شيء فلا بد لنا قبل التعمق فى البحث عن الفكر من تحرير الارادة ، وهذا التحرير يستلزم كلمة تتناول ما وراء هذا العمل الخارجى من عامل داخلي

الانفعال :

الانفعال هو من عوارض النفس [1] بما يفاجئها من حوادث خارجية ، أو تصورات داخلية ، فالغضب الذى هو نتيجة انفعال النفس بما يثير حفيظتها ويمتهن قدرها ، والسرور الذى هو نتيجة انفعالها بما تتلقاه من نبأ سار ، هما من العواطف التى هى

(١) النفس هنا هى الثانية لا الاولى ، التى هي مجمع الخصائص كما علمت

نواة الشاعرية في النفس ، والتي تنبعث عن هذا الانفعال .

وقد يكون الانفعال غير مفاجىء فينجم عن أمر الارادة للنفس بما يكبتها كاليأس الذي يتسرب الى النفس تدريجا بما تحدوها الارادة الي فعله من وراء الامل فتخفق في تحصيله جملة ، ويبقى لها رجاء بالحصول عليه ، ثم يضمحل هذا الامل تدريجا فيضغطها اليأس ويكون من وراء ذلك حزن عميق ينشأ عن انفعالها بالاخفاق

وقد ينشأ هـــذا الانفعال العميق بما تلمسه النفس الشاعرة أمام مشهد اجتماعي له جلاله كالاثر الفخم والجند الزاحف ، أو منظر طبيعي له جماله ، كالحدائق الغضة والخمائل الملتفة والمروج الخضراء ، كل ذلك يفعل في النفس ما يعشقها السرور أو الحزن فتنفعل به فالانفعال من عوارض النفس لا الارادة ، ضرورة انها تنفعل بما لاتريد

الارادة :

أكما تتأثر نفسك الشاعرة باحد المشاهد الاجتماعية ، أو المناظر الطبيعية ، فتنقبض أو تنبسط ، والفكر من ورائها يشرف على ثورتها ويحول دون طغيانها فينشأ بين جمالها وجلاله اثر في الخارج ، هو نتيجة فعله وانفعالها ، أكذلك كانت هذه النفس وليدة القوة الاولى مصدر القوى الكونيه ، وكانت الارادة من لوازمها الذاتية ، ضرورة بقاء الحي حياً ، فهي لاتنفك عن النفس منذ الازل[1]؟

ثم لابد لنا من تمهيد بسيط ، هو ان في الاثر جزءاً من مؤثره ، سواء أكان الاثر معنويا ام ماديا كالحكمة والفن في الاجرام التي نبتدعها . فالحكمة في الاثر أعني الغاية التي كان لها ، انما هي جزء من عقل المؤثر المجرد[2] يشير الى عظمته في نوعه من هذه الناحية ، والفن فيه هو جزء من عقله المتخيل المبدع ، يشير الي عظمة المؤثر من حيث خياله وتصويره في رقيه الفكري

ومجموع الحكمة والفن في الاثر هو الجمال ، فجمال الجرم المبتدع هو مايروعك فيه من شكل ولون وهو الفن ، ومن سمو غاية وهو الحكمة ، وكذا الاثر المعنوي ، فى البيت الواحد من الشعر او الفقرة الواحدة من النثر جزء من روح الشاعر أو الناثر تلمسه روح الناقد البصير من ورائهما

وهكذا الصورة والقلم ونحوهما من نتائج الفكر المادي ، ففيهما جزء من روح الصانع يتراءى للحكيم من وراء صنعه فجلال هذا الروح وجماله بجلال هذا الاثر وجماله

ففي قول القائل :

لا يغرنك في الشآم رجال موهوا بالرياء وجه الفرنسي
ربما أثرت العيون من الكحـ ل وخلف الجفون منبت ورس

تتجلى روح لم تكن ، وانت الشاعر ، لتلمسها في قول الاخر :

لايغرنك منهم نفر اظهروا نحوك حبا ووداد
لو تبدى لك ما قد اضمروا لرأيت النار في وسط الرماد

وهكذا فانك لاتستطيع ان تقابل ما في الكرسي بما في الساعة من حكمة الصانع ، فبقدر ما في الصانع من عظمة يبدو لك ما في صنعه من جمال او جلال

وكون هذا الاثر مرآة مصدره كما نشاهد من وقوفنا على روح الشاعر بدراسة شعره ، وفكرة الفنان بتحليل فنه هو أمر متحقق في الخارج لاشبهة فيه

« يتبع » النبطية (جبل عامل) (الحوماني)

(١) قد يقف في طريق هذا التلازم تقرير افراد النفس دون الارادة والعقل فيما بعد ، فانتظر

(٢) هذا الحكم اعني جعل الفن والحكمة صادرين عن العقل باعتبارين مبني على ماسنحققه من ان الجوهر المكنون في الجسم انما هو واحد بعد الارادة والنفس

بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

وكان أثناء غاراته أو رحلاته في (اكوتين) قد اتصل بأميرها الدوق أودو، وتفاهم معه، وكان الدوق مذ رأى خطر الفتح الاسلامى يهدد ملكه يسعى إلى مهادنة المسلمين، وقد فاوضهم فعلا، فانتهز كارل مارتل حافظ القصر وزعيم الفرنج هذه الفرصة لاعلان الحرب على الدوق، وكان يخشى نفوذه واستقلاله، وغزا اكوتين مرتين وهزم الدوق فكان أودو في الواقع بين نارين يخشى الفرنج من الشمال والعرب من الجنوب، وكانت جيوش كارل مارتل تهدده وتعيث في أرضه (سنة ٧٣١ م) في نفس الوقت الذي سعى فيه عثمان بن أبي نسعة لمحالفته والاستعانة به على تنفيذ مشروعه في الخروج على حكومة الاندلس والاستقلال بحكم الولايات الشمالية، فرحب الدوق بهذا التحالف وقدم ابنته الحسناء (لاميجيا) عروسا لعثمان، وفي بعض الروايات أن ابن أبى نسعة أسر ابنة الدوق في بعض غاراته على اكوتين ثم هام بها حبا وتزوج منها. وعلى أى حال فقد وثقت المصاهرة عرى التحالف بين الدوق والزعيم المسلم، ورأى ابن أبي نسعة كتمانا لمشروعه أن يسبغ على هذا الاتفاق صفة هدنة عقدت بينه وبين الفرنج، ولكن عبد الرحمن ارتاب في أمر الثائر ونياته، وأبي قرار الهدنة التي عقدها، وأرسل إلى الشمال جيشا بقيادة ابن زيان للتحقق والتحوط لسلامة الولايات الشمالية، ففر ابن أبي نسعة من مقامه بمدينة الباب[1] الواقعة على (البرنيه) إلى شعب الجبال الداخلية فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة حتى أخذ وقتل مدافعا عن نفسه، وأسرت زوجه لاميجيا وأرسلت إلى بلاط دمشق حيث زوجت هناك من أمير مسلم[2]. ولما رأى اودو ما حل بحليفه واستشعر الخطر الداهم تأهب للدفاع عن مملكته، وأخذ الفرنج والقوط في الولايات الشمالية يتحركون لمهاجمة المواقع الاسلامية، وكان عبد الرحمن يتوق إلى الانتقام لمقتل السمح وهزيمة المسلمين عند اسوار تولوشة. ويتخذ العدة منذ بدء ولايته لاجتياح مملكة الفرنج كلها. فلما رأي الخطر محدقا بالولايات الشمالية لم ير بدأ من السير إلى الشمال قبل أن يستكمل كل اهبته، على أنه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيره المسلمون إلى (غاليا) منذ الفتح، وفي أوائل سنة ٧٣٢ م (أوائل سنة ١١٤ هـ) سار عبد الرحمن إلى الشمال مخترقا أراغون (الثغر الأعلى) ونافار (بلاد البشكنس) ودخل فرنسا في ربيع سنة ٧٣٢ م، وزحف توا على مدينة (آرل) الواقعة على نهر الرون لتخلفها عن أداء الجزية واستولى عليها بعد معركة عنيفة نشبت على ضفاف النهر بينه وبين قوات الدوق أودو، ثم زحف غربا وعبر نهر الجارون وانقض المسلمون كالسيل على ولاية اكوتين[3] يثخنون في مدنها وضياعها، فحاول أودو أن يقف زحفهم، والتقى الفريقان على ضفاف الدوردون فهزم الدوق هزيمة فادحة، ومزق جيشه شر ممزق. قال ايزيدور الباجي: «والله وحده يعلم كم قتل في تلك الموقعة من النصارى». وطارد عبد الرحمن الدوق حتى عاصمته بوردو (بردال) واستولى عليها بعد حصار قصير، وفر الدوق في نفر من صحبه إلى الشمال، وسقطت اكوتين كلها في يد المسلمين، ثم ارتد عبد الرحمن نحو الرون كرة أخرى، واخترق الجيش الاسلامي برجونيا واستولى على ليون وبيزانصون[4] ووصلت سرياته حتى صانص التي تبعد عن باريس نحو مائة ميل فقط، وارتد عبد الرحمن بعد ذلك غربا إلى ضفاف اللوار ليتم فتح هذه المنطقة ثم يقصد إلى عاصمة الفرنج[5]. وتم هذا السير الباهر. وافتتح نصف فرنسا الجنوبي كله من الشرق إلى الغرب في بضعة أشهر فقط. قال أدوار جيبون — «وامتد خط الظفر مدى ألف

---

(١) واسمها بالقشتالية Cuidad de la Peurta وقد كانت تقع على احدى ممرات البرنيه وتسمى احيانا بويكاردا

تحيط الرواية سيرة لاميجيا وزوجها بكثير من القصص الخيالية الشائقة التي اختلقت فيما بعد سبقي لخيال بعض الكتاب والشعراء غير ان معظم هذه القصص لا يخرج عن حد الاساطير

(٢) كانت امارة اكوتين في ذلك الحين تمتد بين نهر الرون شرقا وخليج بسقونية غربا وبين اللوار شمالا ونهر الجارون جنوبا وتشمل من مقاطعات فرنسا الحديثة اجويان وبيرجور وسانتونج وبواتو وليموزين وجزءا من ابهو

(٣) وهي مسقط رأس الشاعر الفرنسي الأشهر فكتور هوجو

(٤) يقدم كاردون شرحا آخر لسير عبد الرحمن فيقول . انه زحف اولا على آرل وحاصرها فبادر الكونت الي انجادها فلقيه عبد الرحمن وهزمه والجأه الى الفرار ثم عبر عبد الرحمن نهر الجارون واستولى على بوردو . وكان الكونت قد جمع جيشا جديدا وحاول رده وهزمه فهزم مرة أخرى. ثم اخترق عبد الرحمن بيرجور وسانتونج وبواتو وهو يثخن في تلك الانحاء حتى انتهى الى تور Cardonne; Hist. de L'Afrique et de L'Espagne I. 129 ولكن عبد الرحمن اقتحم وادى الرون ايضا كما بينا وقد شرحنا سيره طبقا لجميع الروايات مجتمعة وطبقا للمواقع الجغرافية التي تتعلق بهذه الغزوة . وقد يكون ان عبد الرحمن لم يسر بنفسه شمالا نحو بورجونيا ولكن الجيش الاسلامي اقتحم هذه الانحاء بلا ريب .

(٥) الفصل الثاني والخمسون Roman Empire

ميل من صخرة طارق إلى ضفاف اللوار . وقد كان اقتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا و زبي ايكوسيا . فليس الرين بامنع من النيل أو الفرات ، ولعل أسطولا عربيا كان يصل إلى مصب التيمز دون معركة بحرية ، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد اكسفورد وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد صدق الوحي والرسالة ،

أجل كان اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية، والشرق والغرب، على وشك الوقوع . وكان اجتياح الاسلام للعالم القديم سريعاً مدهشا ، فانه لم يمض على وفاة النبي العربي نصف قرن ، حتى سحق العرب دولة الفرس الشامخة ، واستولوا على معظم أقطار الدولة الرومانية الشرقية من الشام إلى أقاصى المغرب ، وقامت دولة الخلافة قوية راسخة الدعائم فيما بين السند شرقا والمحيط غربا ، وامتدت شمالا حتى قلب الأناضول ، وكانت سياسة الفتح الاسلامى مذ توطدت دولة الأسلام ترمى الى غاية أبعد من ضم الأقطار وبسطة السلطان والملك . فقد كان الاسلام يواجه في الأقطار التى افتتحها من العالم القديم ، أنظمة راسخة مدنية واجتماعية ، تقوم على أصول وثنية أو نصرانية ، وكانت النصرانية قد سادت أقطار الدولة الرومانية منذ القرن الرابع ، فكان على الخلافة أن تهدم هذا الصرح القديم وأن تقيم فوق انقاضه في الأمم المفتوحة نظما حديثة تستمد روحها من الاسلام وان تذلل النصرانية لصولة الاسلام سواء بنشر الاسلام بين الشعوب المفتوحة أو باخضاعها من الوجهة المدنية والاجتماعية لنفوذ الاسلام وسلطانه ، وكان هـــذا الصراع بين الاسلام والنصرانية قصير الأمد في الشام ومصر وافريقية ، فلم يمض نصف قرن حتى غير الاسلام هذه الامم بسيادته ونفوذه ، وقامت فيها مجتمعات أسلامية قوية شاملة ، وغاضت الأنظمة والأديان القديمة ، ثم دفعت الخلافة فتوحها الى أقاصى الأناضول من المشرق وجازت الى اسبانيا من المغرب . فاما في المشرق فقد حاول الاسلام أن ينفذ الى الغرب من طريق قسطنطينية ، وبعثت الخلافة جيوشها وأساطيلها الزاخرة الى عاصمة الدولة الشرقية مرتين : الأولى في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٨ هـ (٦٦٨ م) والثانية في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ (٧١٧ م) وكانت قوى الخلافة في كل مرة تبدى في محاصرة قسطنطينية غاية الاصرار والعزم والجلد ، ولكنها فشلت في المرتين وارتدت عن اسوار قسطنطينية منهوكة خائرة .

«يتبع»

الى روح شوقي بك

خيم الليـــل وفي آفاقه ... شهب ترمى الى الارض سناها
ملكت عيني كئيب عاشق ... قد رعته مذ تبدت ورعاها
شاعر قد ضاقت الدنيا به ... فرنا شوقاً الى رحب سماها
روحه الثكلى بكت فقد المنى ... اين للباكى اسى مثل أساها ؟
بات يدعو الله في احزانه ... علة يشفي من النفس ضناها
« أطلق اللهم قيدى في الهوى ... وأبن عن مهجتي الحرى جواها
وأعد نفسى الى جيف الورى ... في سماء الحب لم تعبد سواها
كل يوم للردى سخرية ... تجرح القلب وللناس صداها
تتراءى لى تهاويل الاسى ... بين خذلان حياتى ورجاها
كحسان عاريات تكتسى ... من لهيب النار مايدمي حشاها
واثبات تنزى حسرة ... والمنايا تتهادى في خطاها
كلما في الليـل مالت نجمة ... خلتها نفسى دهاها مادهاها
أو رأيت الطير في دوحته ... والخريف السوء عرّاها خلاها
خلته العاشق في وحدته ... واجماً يذكر اياماً قضاها
عـذبات الانس ما عانقتها ... وثمار اللهو لم اجن جناها
زهرة الجثمان في ريعانها ... وركاب العمر لم تبلغ مداها
والامانى لم تزل في فجرها ... باسمات الثغر والأمن غطاها
عطفت روحي على ريحانها ... عطفة الام على مهد فتاها
ثم ولت وهى عبري بعدما ... لثمت منها خدوداً وشفاها
غالهـا الدهر بسهم صائب ... فغدت تذبل في زهر صباها ،

* * *

ثم فاضت روحه طاهرة ... وجرت في مقلة الشمس دماها
صدح البلبل لما اشرقت ... وصداح الطير نوح من بكاها

حلب — عمر ابو قوس

دعابة

ماأنت في ثوبك بدر الدجى ... كلا ولا أنت غزال شدن !
أنت وربي فتنة صورت ... للناس من كل أنيق حسن
تستأسر الآه فتهفو لدى ... مرآك من كل فؤاد فتن
لاتحتجب بالبعد عنا فما ... يعرف فضل الحسن إن لم يبن
وأنت في ذاتك سر وذا ... حسنك في أبصارنا قد علن
يا نعمتي في محنتي ، داونى ... يا سكنى إما تجافى السكن
تعال زودّ شفتى قبلة ... من قبل أن يسرع فيك الزمن

حمص — رفيق فاخوري

الحرية فى الكتابة

ومدى التجديد فيها

لست أقصد بحرية الكتابة ما يقصده كتاب السياسة حين يكتبون عن الصحافة والصحف، وما يجوز للصحف أن تتعرض له وما لا يجوز لها الخوض فيه، وانما أقصد ذلك القدر من الحرية الذى ينبغي ان يتمتع به الكاتب الاديب حين يكتب مقالته او ينشيء رسالته، وأسأل: أهو قدر غير محدود؟ وهل هي حرية غير ذات نهاية او حد؟ أم هو قدر من الحرية مهما اتسع افقه وطال قطر دائرته فان له حداً لا ينبغي للاديب أن يتجاوزه، وقواعد لا ينبغي له ان يطغي عليها فيمحوها او يغير منها؟ وقد دعاني الى هذا التساؤل ما قرأته في العدد الأخير من الرسالة للاديب الفاضل حبيب شماس يخاطب فيه الدكتور هيكل بك فيقول له: «اغلط واكثر من الغلط الموهوم وكسر من هذه القيود التى كسر بعضها من قبلك طه»، ويختمه بقوله: «ان اغلاط اكابر الكتاب هى صك تحرير النشء الصاعد».

وليست المسألة أن يخطيء الدكتور هيكل او يصيب، ولا أن يكسر الدكتور طه قيوداً من قيود الادب او يتركها تغل الايدى والاقلام، وانما المسألة مسألة اللغة العربية وما وضع لها من قواعد وحدود، كما وضع لغيرها من لغات العالم كله، فان هذه الاغلاط والاخطاء إن ابيح للدكتور هيكل وغيره من كبار الكتاب أن يقعوا فيها، فليس لاحد بعد ذلك ان يحظر على النشء الصاعد ما ابيح للنشء الذى صعد، وسيحاول اولئك المخطئون من النشء، أن يبرروا اخطاءهم كما يفعل كبار كتابهم وقادتهم من الادباء، ولكنهم عندئذ لن يقدموا دليلا على صحة ما كتبوا كما لم يقدم أكابر الكتاب دليلا على صحة ما كتبوا، وإنما سيؤول الأمر فى ذلك كله إلى ارادة الكاتب وهواه، وستعود قواعد اللغة العربية إلى مثل ما نحن فيه الآن من خلاف فى النقد الادبى، أهو قائم على قواعد وأسباب بعينها، أم هو قائم على الذوق وحده؟ وسيرى كل فى اللغة العربية ما يريد، هذا يرفع المفعول وذاك ينصبه وذاك يجر الفاعل وهذا ينصبه، فاذا سألته فى ذلك أو نقدت قوله قال لك دعني فانى هكذا أكتب، وهكذا أريد، ولن أغير فى كتابتي وان أكتب غير ما أريد وستنفرد اللغة العربية اذن بهذا الأسلوب الغريب المتعدد الذى لا ضابط له من قواعد ولا قياس، فتفوق بذلك لغات الأرض قديمها والحديث، وسيكون ذلك كله باسم التجديد فى اللغة والأدب.

ان هذه اللغة العربية ليست لغتنا نحن المصريين، وانما هى لغة طغت على اللغة المصرية، واحتلت مكانها فصارت لغتنا وأخلفناها ونحن راضون بها مطمئنون اليها، فهى لغة كتاب السواد الأعظم من المصريين ولغة نبيهم الكريم، فاما أن نحرص عليها وعلى قواعدها ونسير وفق مناهج أصحابها، وأما أن نغير تلك القواعد ونجعلها موافقة لطبيعة عصرنا وأمزجتنا، ونصطلح على قواعد لا يختلف فيها نشء صعد ولا نشء صاعد، أما قبل ذلك التجديد فليس لنا الا أن نتبع ما لدينا من قواعد اللغة ونحوها. سيقال أن هذا التجديد الذى يحدثه كبار الكتاب فيما يكتبون سيصبح مع الزمان قواعد تتبع ونماذج تحتذى، بل هو قد قبل بالفعل، ولكن ليس كل الكتاب من الأكابر، وليس من الممكن أن نقصر التجديد على كبار الكتاب ونحظره على الناشئين منهم، ولسنا نأمن على اللغة من هؤلاء الناشئين أن يفسدوها من حيث أرادوا لها تجديداً أو اصلاحا.

للكتاب أن يغيروا من الأساليب كيفما يشاءون، وأن يصطنعوا الاطناب أو الايجاز كما يريدون، فان هذا كله خير للغة ودليل على غناها ومرونتها، ولكن فى حدود القواعد المرسومة والنحو الموضوع، ولا يهمني أن تكون تلك القواعد جديدة نصطلح عليها الآن أو أن تكون هي التى بين أيدينا والتى أجاهر بانها فى حاجة كبيرة الى الاصلاح، فالمقصود هو أن ننزع اللغة من براثن الفوضى، وما دام الكتاب كباراً ففي وسعهم من غير شك أن يكتبوا فيحسنوا الكتابة، وأن يعرضوا أفكارهم الناضجة وآثارهم الادبية فيحسنوا عرضها، وأن يحافظوا مع ذلك كله على قواعد اللغة؟

محمد قدري لطفي
ليسانسيه فى الآداب

اسكندرية

في الأدب العربي

عـــكاظ والمربد

للاستاذ أحمد أمين

— ٢ —

وقد يتفاخر الرجلان من قبيلتين فيفخر كل بقبيلته ومكارمها ، يتحا كمان الى حكم عكاظ ، كما فعل رجل من قضاعة فاقر رجلا من اليمن فتحا كما الى ذلك الحكم (١)

ومن كان داعيا الى اصلاح اجتماعي أو انقلاب ديني كان يرى أن خير فرصة له سوق عكاظ ، والقبائل من أنحاء الجزيرة مجتمعة ، فمن قبل الدعوة كان من السهل أن يكون داعيا فى قومه اذا عاد اليهم ، فنري قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو دعوته ويخطب فيها خطبته المشهورة علي جمل له أو رق ، فيرغب ويرهب ويحذر وينذر .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجه الى دعوة الناس بعكاظ لأنها بجمع القبائل ، روي الواقدى أن رسول الله أقام ثلاث سنين من نبوته مستخفيا ، ثم أعلن فى الرابعة فدعا عشر سنين ، يوافي الموسم ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ والمجنة وذى المجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوه حتي يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره حتي انه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة ، حتى انتهي الي بنى عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الأذى ما لقى منهم (٢) وفى خبر آخر أنه أتي كندة في منازلهم بعكاظ فلم يأت حيا من العرب كان ألين منهم (٣) وعن على بن أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج فى الموسم فيدعو القبائل فما أحد من الناس يستجيب له نداءه ويقبل منه دعاءه ، فقد كان يأتي القبائل بمجنة وعكاظ ومنى حتي يستقبل القبائل ، يعود اليهم سنة بعد سنة ، حتى كان من القبائل من قال : أما آن لك أن تيأس منا ؟ من طول ما يعرض نفسه عليهم ، حتى

(١) أمثال الضبي ص ١٨ (٢) دلائل النبوة ١٠١ ، ١٠٢ . (٣) ص ١٠٣ .

استجاب هذا الحى من الأنصار (١)

وروى اليعقوبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال : يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتنجحوا ، ويتبعه رجل يكذبه وهو أبو لهب بن عبد المطلب (٢)

كذلك كان لعكاظ أثر كبير لغوى وأدبي ، فقد رأينا قبائل العرب علي اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل بها ، وملك الحيرة يبعث تجارته اليها ، ويأتي التجار من مصر والشام والعراق (٣) ، فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل ، وتقارب اللهجات ، واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى أنه اليق بها وأنسب لها ، كما أن التجار من البلدان المتمدنة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا من أحوال تلك الأمم الاجتماعية . وفوق هذا كانت عكاظ معرضا للبلاغة ومدرسة بدوية يلقى فيها الشعر والخطب وينقد ذلك كله ويهذب ، قال أبو المنذر : « كانت بعكاظ منابر فى الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام الى عام فيما أخذت العرب أيامها ونخرها ، وكانت المنابر قديمة يقول فيها حسان :

أولاء بنو ماء السماء توارثوا　　دمشق بملك كابرا بعد كابر
يؤمون ملك الشام حتي تمكنوا　　ملوكا بأرض الشام فوق المنابر (٤)

فيقف اشراف العرب يفخرون بمناقبهم ومناقب قومهم .. فبدر بن معشر الغفارى . . . . كان رجلا منيعاً مستطيلا بمنعته على من ورد عكاظ فاتخذ مجلسا بهـــذه السوق وقعد فيه وجعل يبرح على الناس ويقول .

نحن بنو مدركة بن خندف　　من يطعنوا فى عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف　　كأنهم لجة بحر مسدف

فيقوم رجل من هوازن فيقول :

أنا ابن همدان ذوي التغطرف　　بحر بحور زاخر لم ينزف
نحن ضربنا ركبة المخندف　　اذ مدها فى أشهر المعرف (٤)

(١) ص ١٠٥ . (٢) اليعقوبي ١ ص ٢٣ و ٢٤ . (٣) يروون أن عبد الله بن جدعان أتي مصر فباع ما معه وعاد الى سوق عكاظ . انظر الا كليل للهمداني جزء ٨ ص ١٨٤ وما بعدها . (٤) الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٧٠ (٥) الاغاني ١٩ : ص ٧٤

وعمرو بن كلثوم يقوم خطيبا بسوق عكاظ وينشد قصيدته المشهورة:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا (١)

والاعشى يوافي سوق عكاظ كل سنة، ويأتي مرة فاذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها فينشدهم الاعشى في مدح المحلق (٢) والنابغة الذبياني تضرب له قبة أدم بسوق عكاظ يجتمع اليه فيها الشعراء فيدخل اليه حسان بن ثابت وعنده الاعشى والخنساء فينشدونه جميعاً ويفاضل بينهم وينقد فيما زعموا قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

فيقول لحسان قللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر. وقلت يلمعن بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان ابلغ في المديح لأن الضيف بالليل اكثر طروقا (٣)

ودريد بن الصمة يمدح عبدالله بن جدعان بعدان هجاه فيقول:

اليك ابن جدعان اعملتها مخففة للسرى والنصب (٤) الخ

وقس بن ساعدة يخطب الناس خطبته المشهورة فيذكرهم بالله والموت ورسول الله يستمع له (٥). والخنساء تسوم هودجها براية وتشهد الموسم بعكاظ وتعاظم العرب بمصيبتها في أبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، وتنشد في ذلك القصائد، فلما وقعت وقعة بدر وقتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة الى عكاظ وفعلت كما فعلت الخنساء، وقالت اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا، فعاظمت هند الخنساء في مصيبتها وتناشدتا الأشعار، تقول احداهما قصيدة في عظم مصيبتها وترد الأخرى عليها (٦). وعلى الجملة فكانوا في عكاظ يتبايعون ويتعاكظون ويتفاخرون ويتحاجون، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم، وفي ذلك يقول حسان:

سأنشر ما حييت لهم كلاما ينشر في المجامع من عكاظ

فمن هذا كله نرى كيف كانت عكاظ مركزاً لحركة أدبية ولغوية واسعة النطاق كما كانت مركزا لحركة اجتماعية واقتصادية.

نظام سوق عكاظ

كانت القبائل — كما أسلفنا — تنزل كل قبيلة منها في مكان خاص بها، ثم تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو في الحلقات المختلفة. كالذي حكينا أن الأعشى رأي الناس يجتمعون على سرحة، أو حول الخطيب يخطب على منبر، أو في قباب من أدم تقام هنا وهناك، ويختلط الرجال بالنساء

(١) الاغاني ٩ ص ١٨٢ (٢) الاغاني ٨ ص ٧٩، ٨٠
(٣) أغاني ٨ ص ١٩٤، ١٩٥ (٤) أغاني ٩ ص ١٠
(٥) اغاني ١٤ ص ٤١ و ٤٢ (٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٣

في المجامع، وقد يكون ذلك سببا في خطبة أو زواج او تنادر (١) وكانت تحضر الأسواق — وخاصة سوق عكاظ — أشراف القبائل، وكان أشراف القبائل يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل ان الملوك كانت ترضخ للأشراف، لكل شريف بسهم من الارباح، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده، الا عكاظ فانهم كانوا يتوافون بها من كل أوب، (٢).

والظاهر أن المراد بالملوك هم الأمراء ورؤساء القبائل الذين يرسلون بضائعهم لبيعها في أسواق العرب كملك الحيرة والغساسنة وأمراء اليمن ونحوهم — وكانت القبائل تؤتي لرؤسائها اتاوة في نظير اقامتهم بالسوق، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه أخبار أسواق كثيرة كان يعشرها أشرافها — أي يأخذون العشر (٣) وفي عكاظ كانت القبائل تدفع لأشرافها هذه الاتاوة، فهوازن كانت تؤتي زهير بن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ، وهو يسومها الخسف وفي أنفسها منه غيظ وحقد، (٤) وكانت الاتاوة سمنا وأقطا وغنما (٥)؛ وكان عبدالله بن جعدة سيدا مطاعا وكانت له اتاوة بعكاظ يؤتي بها، ويأتي بها هذا الحي من الازد وغيرهم، ومن هذه الأتاوة ثياب (٦)

وكان الاشراف يمشون في هذه الأسواق ملثمين، ولا يوافيها (عكاظ) شريف الا وعلى وجهه برقع مخافة ان يؤسر يوما فيكبر فداؤه، فكان أول من كشف طريف العنبري، لما رآهم يطلعون في وجهه ويتفرسون في شمائله، قال: قبح من وطن نفسه الا على شرفه، وحسر عن وجهه وقال:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الي عريفهم يتوسم
فتوسموني انني أنا ذلكم شاكي السلاح وفي الحوادث معلم

الى آخر الأبيات (٧).

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس اليه أمر الموسم واليه القضاء بين المتخاصمين، قال أبو المنذر: وتزعم مضر أن أمر الموسم وقضاء عكاظ كان في بني تميم .... وكان من اجتمع له ذلك منهم بعد عامر بن الظرب العدواني سعد بن زيد بن مناة من تميم، وقد فخر المخبل بذلك في شعره:

ليالي سعد في عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

(١) أنظر الاغاني ج ١٠ ص ١٤٥ وما بعدها و ج ١٣ ص ١٤٠ وما بعدها
(٢) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦ (٣) اليعقوبي جزء ٢ ص ٣١٣ وما بعدها (٤) الكامل لابن الاثير ١ ص ٢٢٩ (٥) أغاني ١٠ ص ١٢
(٦) أغاني ٤ ص ١٣٦ وما بعدها (٧) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦

حتى جاء الاسلام فكان يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع (١)

تاريخ عكاظ :

من العسير جدا أن نحدد بدء عكاظ ، فلم نجد فى ذلك خبرا يصح التعويل عليه ، يقول الألوسى في بلوغ الأرب « انها اتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، ولكن اذا بحثنا فى الأحداث التى رويت فى عكاظ وجدنا ذلك غير صحيح ، فهم يروون — كما قدمنا — أن عمرو بن كلثوم أنشد قصيدته فى عكاظ ، وعمرو بن كلثوم كان على وجه التقريب حول سنة ٥٠٠ م .

كذلك اذا عدنا الى ما رواه المرزوقى فى الازمنة والأمكنة عن رؤساء عكاظ وجدنا أنه عدهم قبل الاسلام عشرة ، أولهم عامر بن الظرب العدوانى . وهـذا — من غير شك — يجعل تاريخ عكاظ أبعد مما يحكى الألوسى بزمان طويل ، كذلك يروى الأغانى ان عبلة زوجة عبد شمس بن عبد مناف باعت أنحاء سمن بعكاظ (٢)

وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة ، وكانت فيها قبيل الاسلام حروب الفجار ، وهى حروب أربع ، وكان سبب الأولى على ما يروى ، المفاخرة فى سوق عكاظ . وسبب الثانية تعرض فتية من قريش لامرأة من بنى عامر بن صعصعة بسوق عكاظ . وسبب الثالثة مقاضاة دائن لمدينه مع اذلاله فى سوق عكاظ ، وسبب الأخيرة أن عروة الرحال ضمن أن تصل تجارة النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ آمنة فقتله البراض فى الطريق (٣)

فكلها تدور حول سوق عكاظ ، وهـذه الحروب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وشهدها النبى وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه ، وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومتى (٤)

واستمرت هـذه الحروب نحو أربع سنوات . وقد كانت هناك نزعتان عند أشراف العرب نزعة قوم يقصدون الى السلب والنهب وسفك الدماء لا يصدهم صاد ، ولا يرعون حتى الأشهر الحرم ، ويتحرشون بالناس ، فيمد أحدهم رجله فى سوق عكاظ ويتحدى الأشراف مثله أن يضربوها فتثور من ذلك الثائرة (٥)

وفريق يميل الى السلم ودرء أسباب الحروب ونجاح التجارة والأسواق بتأمين السالكين وعدم التعرض لهم بأذى ،

(١) أنظر تعداد من ولى عكاظ فى الأزمنة والامكنة ٢ ص ١٦٧
(٢) أغانى ١ ص ٨٤ . (٣) انظر العقد الفريد ٣ ص ١٠٨ والأغانى .
(٤) النهاية لابن الاثير مادة فجر (٥) الاغانى ٤ ص ١٣٦ .

جاء فى تاريخ اليعقوبى : « أنه كان فى العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هـذه الأسواق فسموا « المحلون » وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة « المحرمون » فأما المحلون فكانوا من أسد وطيء وبنى بكر بن عبد مناة وقوم من بنى عامر بن صعصعة — وأما الذادة المحرمون فكانوا من بنى عمرو بن تميم وبنى حنظـلة بن زيد مناة وقوم من هـذيل وقوم من بنى شيبان . . . فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس (١) — .

وكان من أشهر الداعين الى السلم عبد الله بن جدعان . فقد كان اذا اجتمعت العرب فى سوق عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان ، ثم يردها عليهم اذا ظعنوا ، وكان سيدا حكيما مثريا (٢) .

ويظهر أن أصحاب هـذه النزعة الثانية وهم الذادة هم الذين سموا هـذه الحروب حرب الفجار ، لما ارتكب فيها من الفجور وسفك الدماء ، وهم الذين تغلبوا فيما بعد ونجحوا فى وقف هذه الحروب ، ودعوا الناس أن يعدوا القتلى فيدوا من فضل ، وأن يتعاقدوا على الصلح ، فلا يعرض بعضهم لبعض ، وربما كان من أثر ذلك حلف الفضول ، وقد عقد فى بيت عبد الله بن جدعان هذا .

واستمرت عكاظ فى الاسلام ، وكان يعين فيها من يقضى بين الناس ، فعين محمـد بن سفيان بن مجاشع قاضيا لعكاظ ، وكان أبوه يقضى بينهم فى الجاهلية وصار ذلك ميراثا لهم (٣)

ولكن يظهر أن هـذه الأسواق ضعف شأنها بعد الفتوح فأصبحت البلاد المفتوحة أسواقا للعرب خيرا من سوق عكاظ ، وصار العرب يغشون المدن الكبيرة لقضاء أغراضهم ، فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ . ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية . قال الكلبى : « وكانت هـذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذى المجاز قائمة فى الاسلام حتى كان حديثا من الدهر ، فأما عكاظ فانما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى الاباضى فى سـنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن ، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك

« البقية على صفحة ٢٧ »

(١) اليعقوبى ٢ : ٣١٣ وما بعدها (٢) انظر الاغانى ١٩ ص ٧٣ وما بعدها (٣) الازمنة والامكنة ج ٢ ص ١٦٧ وما بعدها .

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

وهذه قطعة اخرى من أدب الأطفال عنوانها «الرفق بالحيوان» نظمها شاعر الخلود شوقي بك ولم تنشر.

الحيوان خلق   له عليك حق
سخره الله لكا   وللعباد قبلكا
حمولة الأثقال   ومرضع الأطفال
ومطعم الجماعة   وخادم الزراعة
من حقه أن يرفقا   به وألا يرهقا
إن كل دعه يسترح   وداوه إذا جرح
ولا يجع في داركا   أو يظم في جواركا
بهيمة مسكين   يشكو فلا يبين
لسانه مقطوع   وما له دموع

بين صياد وأسد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

لأبي اسامة وهو الضيغم الضاري   في الغاب صياد آساد وأنمار
فقال والسيد تحوي بندقيته   يلقي عليه سؤال الغاضب الزاري
يا ليث قل لي : لماذا أنت ذو ولع   بقتل باقورة[١] ترعى وبقار[٢]
قال بالقتل يغريني السغار فسل   من كان يقتل لهواً بالدم الجاري
وقد أحاول قتل النفس مثترا[٣]   والقتل للهو غير القتل للثار
وربما اضطرني للقتل معترض   وما على القاتل المضطر من عار
القتل فيه حياة لي سأشكر من   له حباني بأنياب وأظفار
اصوم يومي وحسبي ان يكون على   دم عبيط لظى صدتُ افطاري
لأنت أضعف مخلوق، ويدهشني   ما في سلاحك من سحر واسرار
ان القضيب[٤] الذي تلهو يداك به   يكاد يخطف منه البرق ابصاري
وتعتري رجفة مني الفؤاد لدى   سماع صوت له كالرعد هدار
وهذه الأرض من خوفي سأهجرها   فلست تسمع بعد اليوم اخباري
لأنت اعدى عدو لي يطاردني   وانت اجدر من عادي بإكباري
قد كنت أحمي عريني ان يطوف به   وحش واني ذاك القسور الضاري
اذا زأرت فاني مثل راعدة   أو انقضضت فاني شبه إعصار
وقد اهاجم جاموسا فاصرعه   بضربة من يميني ذات آثار
ما أكثر الوحش في الآجام واغلة   وما بها كل ذي ناب بغرار
واليوم اني على ما بي من ثقة   بقوتي خائف من زندك الواري
الليل منك اذا ما جن يسترني   اما النهار فواش غير ستار
اني أقر باوزاري الى عظمت   لو كان يذهب اقراري باوزاري
ان كنت اقتل ذا شر يهاجمني   فقد قتلتم الوفا غير اشرار
بالسيف، بالنار، بالغازات خانقة   وباتبعاث ألوباء الفاتك السارى
ونحن إما اردنا البطش ننذركم   وتفتكون بنا من غير انذار
ندنو فنقتل بالانياب عن كثب   وتقتلون برغم البعد بالنار
كانت لنا الارض ملكا قبل خلقكم   من صلب قرد طريد آكل الفار
سل ان شككت رجال العلم يعترفوا   بما اقول وما ذو الجهل كالداري
بلى اضر اذا ما جعت مفترسا   لكنني لست في شبعي بضرار
لا أوثر القتل حبا في محاسنه   بل ان في حاجتي بعثا لايثاري
خلقت ليثا هصورا وسط غابته   ولم اكن انا في خلقي بمختار
انى بكوني رئبالا لمفتخر   فلا تعين اخلاقي واطواري
وجدت في الغاب نفسي ضاريا اسدا   فهل يغير مني الهازئ الزاري؟
ولست تعلم ما نفسي ترى حسناً   فان رأسك يحوي غير افكاري
اما الحياة فليست مثل مازعموا   مقسومة بين اشرار وابرار
أدير عيني في الاحياء ارقبها   فلا الاقي امامي غير اشرار
ان القوى ليبقى والحياة وغى   في البر في البحر في الاجواء في الغار
ولا يعيش عزيزا غير مجترئ   ولا يموت ذليلا غير خوار
تود سجني لو استطيع في قفص   ويمقت السجن حر شبل احرار

الخريف والزهرة

همس الخريف لغرسة فواحة   ضحك الربيع لها وبرعم عودها
اليوم يرقصك النسيم وتلتوي   بيد النسيم من الزهور قدودها
اليوم تفرح بالربيع خمائل   جليت مطارف زهوها وبرودها
اليوم تسكرك الطيور وتسمعـ   ين على الغصون مرنما غريدها
لكن غداً او غداً اذا خف الهوي   وذوت ازاهير المنى وورودها
يمشي الشحوب على محاسنك التي   سطعت يزيل خطوطها ويبيدها
وأمد كفي للزهور تهزها   تيهاً، فيفرط شذرها وفريدها
فـذرى حياة للعذاب ألفت   ويل الشقاء يشوبها ويعودها
قالت حياتي ياخريف عزيزة   وانا على رغم الشقاء أريدها
انا كالغواني تستلذ العيش ما   فتئت أشبع ميولها وخدودها
قال الخريف : أميتها وتميتني   قال الربيع : تعيدني وأعيدها

خليل هنداوي...

(١) جماعة البقر (٢) صاحب البقر (٣) بتشديد التاء
(٤) كناية عن البندقية

(١) الضنين ـ الباشق.

عبقر

لاسرة المعلوف قدم سابقة في الادب ، وعبقرية خالقة في الشعر ، ورحم الله فوزي المعلوف فقد ابتدأ الشعر من حيث انتهي غيره ، ولو لم يحتضر وهو في ريق العمر لاري الناس كيف يتحضر الشعر ويتجدد الادب . وقد نبغ اليوم من هذه الاسرة الكريمة الشاعر الشاب شفيق المعلوف : فقد نظم ملحمة عنوانها « عبقر » ثم نشرها في البرازيل • وسنكتفي اليوم باختيار شيء منها على ان نعود الى الكلام عنها في عدد قادم

قال من الفاتحة :

يايقظة تنفض عن مقلتي ۝ اغفاءة طارت وحلماً رأى
ان الضحي صعد انفاسه ۝ على سراجي فغدا مطفأ
ومن تكن حالته حالتي ۝ لم يستعض بالسيء الاسوأ
ماالفرق في نومي وفي يقظتي ۝ وكل ما في يقظاتي رؤى ؟

شيطان الشاعر :

على الربى استاق شعاع الضحي ۝ يعبث فيه الارج العاطر
فعانق الزهر وضيتهما ۝ غمامة علقها الناظر
غمامة بينا أراها اذا ۝ شيطان شعري تحتها سائر
كأنه لما بدا خفية ۝ أظهره فوق الثرى ساحر
في فــمه من سقر قطعة ۝ منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني ۝ انيابها والمحجر الغائر
كأنما محجرها كوة ۝ يطل منها الزمن الغابر
اقبــل نحوي قائلا انني ۝ طوع لما يقضي به الآمر
اتيت والليـل طوي ذيله ۝ فعم صباحاً ايها الشاعر

***

قلت لشيطاني : أمن حالق ۝ اتيتني ام من شقوق الثرى ؟
فقال اني جئت من بقعة ۝ خافية تدعونها عبقرا
تسوس فيها الجن عرافة ۝ ترى بزجر الطير ما لا يرى
الشعر ولاها شياطينه ۝ فسادت الهوجل والهوبرا
ساحرة مطلسم مسحها ۝ تطوي بها الاجيال والاعصرا
تقفو السعالى اثرها كلما ۝ أججت المندل والعنبرا
جن ، من النور جلابيبها ۝ في كل سعلاة ترى نيرا
تضطرب الارض متي اقبلت ۝ قاذفة عزيفها المنكرا
فقم بنا صاح الى عبقر ۝ نجوس ذاك المجهل الاوعرا

***

وانطلق الشيطان في الجو بي ۝ كأنه النيزك او اسرع
مكنت من فقاره قبضتي ۝ مندفعاً اصنع ما يصنع
حتى تهاوى بي الى موضع ۝ ماراقني من قبله موضع
غمائم زرق على متنها ۝ منازل جدرانها تسطع
تثور في ابراجها ضجة ۝ بها يضيق الافق الاوسع
فقال هذي عبقر ماترى ۝ وضجة الجن الذي تسمع
عزت على الانس فمن حولها ۝ ابالس الابراج تستطلع
انحاؤه الاربع مرصودة ۝ تحرسها الزعازع الاربع
ما افلت الانسي من زعزع ۝ الا تلقى صدره زعزع

الشهرة :

جنية تمعن في وثبها ۝ كأن شيئاً حولها راعها
حلتها كالضوء شفافة ۝ عن بشرة تزيد اشعاعها
كأنما الشمس التي كورت ۝ من حلقات النور اضلاعها
القت الى الارض بما أبدعت ۝ ليكبر العالم ابداعها
ان بسطت ذراعها احجمت ۝ ملتاعة تود ارجاعها
ثم اراها وهي مأخوذة ۝ تطوي ، على ما لا ارى ، باعها
من عالم الاجساد مبلوة ۝ بنهمة تود اشباعها
لشهوة في نفسها طاردت ۝ في ظلمة الادغال اتباعها
تعانق الارواح حتى اذا ۝ خابت مضت تحمل اوجاعها

شفيق المعلوف

« عكاظ والمربد ـــ بقية المنشور على صفحة ٢٥ »

واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة .... وآخر سوق خربت سوق حباشة خربت سنة ١٩٧ أشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت الى اليوم (١)

فعكاظ عاصرت العصر الجاهلي الذي كان فيه ما وصل الينا من شعر وأدب ، وجرت فيها أحداث تتصل بحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبيل مبعثه ، ومهدت السبيل قبيل الاسلام لتوحيد اللغة والأدب ، وعملت على ازالة الفوارق بين عقليات القبائل ، وقصدها النبي صلى الله عليه وسلم يبث فيها دعوته ، وعاصرت الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي ولكن كانت حياتها في الاسلام أضعف من حياتها قبله ، وبدأ ضعفها من وقت الهجرة لما كان من غزوات وحروب بين مكة والمدينة أو بين المؤمنين والمشركين ، فلما فتحت الفتوح رأى العرب في أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق ومصر عوضا عنها ، ثم كانت ثورة أبي حمزة الخارجي بمكة فلم يأمن الناس على أموالهم فخربت السوق ، وختمت صحيفة الحياة حافلة ذات أثر سياسي واجتماعي وأدبي .

« يتبع »

(١) أخبار مكة للأزرقي ص ١٢١ و ١٢٢ .

منه الأدب التركي الحديث

بين صديقين

منه رنف الاناضول الى خمائل الاستانة

للكاتب الاجتماعي يعقوب قدري

من يدري مدى الحيرة التي تنتابك، والدهشة التي تستولي عليك، حينما يقع بصرك على امضائي في آخر هذه الرسالة؟

قد انقضت أعوام وانا لم أكتب اليك حرفاً، وانت لم تخط الي سطراً. ولا ريب انك ستجد في صوتي الذي اخترق حجاب هذا الصمت الطويل، رجعاً لصدى غريب من أصداء ما وراء الطبيعة. وهل أنا — والحق يقال — إلا رجل يخاطبك من وراء الطبيعة ويناديك؟؟

ان هذه الحرب الطاحنة، والفوضى الجارفة، قد بدلتا كل شيء؛ حتى اصبح كل من خرج منهما سالماً ذا أنباء وأخبار كأنما هو بأسرار القيامة عالم، وعلى أدوار ما قبل التاريخ واقف.

أن هذه السنين الخمس من أعمارنا علوءة بحوادث خمسة عصور فالأشياء التي كنا نعلمها، والملامح التي كنا نعهدها، قد أصبحت غريبة عنا، ليس لنا بها من عهد. وأنا اليوم لا أجد في نفسي القدرة على أن أتذكر أيام الصبى التي كنا نقضيها مجتمعين، والكتب التي كنا نقرؤها مشتركين، والأعمال التي كنا نقوم بها متعاضدين، والخيالات التي كنا نبني عليها سعادتنا متفائلين، وكل ما استطيع ان أتذكره اننا لم نكن في تلك الأيام أسعد بالا ولا أحسن حالا منا في هذه الأيام.

وأنا اريد ان أوضح هذا لنفسي بنفسي فلا أوفق، فيخيل الى الآن انني كنت بانشاد الشعر مشغوفاً، وانك كنت بالرسم مفتوناً، في السنة الأولى من عهد الانقلاب، كنت أنا في عالم الآداب شاعراً معروفاً بعض المعرفة، وكنت انت في عالم الصناعة النفيسة رساماً مشهوراً بعض الشهرة، وانا كنا أكثر رفاقنا اهتماماً بالملبس، وأكثرنا للمسكن، واحتفالاً بالمأكل: فكنا نقضي أيامنا بالذهاب الى المآدب الفاخرة، أو بالسعي في ترتيب الملاهي الساهرة.

على انني اتذكر أن شهرتنا الصغيرة، وثروتنا التي كانت تمهد لنا السبيل الى رغباتنا، والاعجاب الشديد الذي كان يظهره رفاقنا بنا، كل ذلك لم يكن ليروي ظمأ نفوسنا الصادية، ولا ليطفئ حرارة قلوبنا المتأججة. وكنا اذا ما انفردنا بانفسنا تشاكى ما يجول في خواطرنا من رغبات، وما يختلج في ضمائرنا من نزعات: فلطالما كنا نحتقر محيطنا وبيئتنا، ونشمئز من عالمنا وإقليمنا، فكانت ضالتنا المنشودة: أوربا ...

وكنا حين نسير في الشوارع، اذا تطاير الى أثوابنا الوحل، أو تناثر على أحذيتنا الغبار، اشمأزت نفوسنا، واكفهرت وجوهنا، وزفرنا زفرة وصحنا: «هل يستطيع الانسان أن يعيش في هذه البلاد؟!»

وأخيراً ذهبت انت الى روما، وانا الى باريس. ولكن يخيل الى أن تلك الرسائل التي كنت ترسلها الى من روما، وأرسلها اليك من باريس، كانت مملوءة بنفس الشكاوي، ومغموزة بعين الاحزان.

فكنت تقول: «ان مظاهر الصنعة الباهرة، ومشاهد الفن الساحرة، لا تكفي لترويح روحي المعذبة، وتسكين نفسي المضطربة، وبالرغم من وجودي بين الجدران، وتحت السقوف التي زينها (ميخائيل آنجلو) و(رفائيل) بريشتهما البديعة، فانني منقبض النفس ولهان، مشرد الفكر حيران، وان ذلك السجين الذي يحبس في الاقبية الضيقة ذات الهواء الفاسد، والحلك الدامس، لا يعرف معنى القسوة والشدة، مثل ما اعرف، فما الذي أريد، وعم أبحث؟ ...»

هكذا كنت تقول ، وكنت أجيبك : « أجدني في هذه المدينة الكبرى وحيداً ، أرجو السلوان فلا أجده ، والتمس العزاء فلا القاه . فمن أنا بين هذه الجموع الغفيرة ، ومن يدرى بي ؟ فان الجنون والخبال كادا يخالطاني لولا كتبي التي كانت تعيد الى نفسي الأمل والتفاؤل بين الفينة والفينة ! » .

لم يمض زمن طويل ، حتى عدنا إدراجنا الى الاستانة ، فكنت أنت قد سئمت الرسم ، وكنت انا قد تركت الشعر

فكنت أقول : « قد قيل كل شيء ، وشعر بكل شيء ، فما الفائدة من ترديد الأقوال التي مجتها الأذواق ، وتكرير الاحساسات التي نفرت منها الأسماع ؟ ؟ »

وكنت تقول : « ما الذي يرسمه الانسان ويصنعه ، بعد أن رأى جدران كنيسة (سيكستين) المزخرفة البديعة ، وسقوفها الملونة الجميلة ؟ فيجدر بالرسام إما أن يكون فناناً كأنجلو ، وأما أن يترك الرسم لأهله » .

وكانت الحياة تمتد امامنا وتنبسط ، ونحن نسير يمنة ويسرة كالتائه في البادية القفراء التي لاحد لها ولا نهاية .

فكنا في وطننا وبلدنا ، وبين احدائنا وخلاننا ، مهذارين لاعمل لنا ولا شغل ، نطوف الشوارع حيارى ، ونجول في الأزقة كسالى . وكنت كلما استيقظ من النوم ، افتح عيني وانا في سريري وأقول : « يا الهي ! كيف أقضي هذا اليوم أيضاً ؟ ! » ، وأئن أنيناً شجياً كأن بين جنبي داء مبرحاً ، وفي أحشائي ناراً ملتهبة ، وهكذا كنت أضيق بالحياة ذرعاً ، واسخط على العالم كرهاً ، وبينا افكر ذات صباح في عثار جدي ، اذ خطر ببالي خاطر لم أفكر فيه من قبل : ذلك هو خاطر الذهاب الى مزرعة أبي ، لعل الهم يسري عني قليلا ، والغم يهجرني ملياً .

فكنت تضحك مني يا أخي — وأنا أفارق الاستانة ضحكا مشوباً بالألم ، وممزوجا بالحنان ، وتقول : « الحياة الريفية في الأناضول ؟ ... إن ذلك لبعيد عنك ؛ وسوف نرى ! ! »

ها قد مضت ستة أعوام ، وأنا هنا ! ولا أكذبك إنني تألمت في أوائل قدومي ، فساورني الهم والشجن ، واستولى على الغم والحزن ؛ ولكني باعدت عن نفسي تلك الهموم ، وشمرت عن ساعد الجد ، وأخذت أسعى وأتعب ، بعد أن سئمت الحياة المدنية المتكلفة ، وضجرت من العيشة البلدية المتصنعة فلت الى الأرض أفلحها ، والى الحيوانات أخدمها ، والى الزروع أتعهدها . ولم تمض سنة واحدة على مجيئي حتى حولت ذلك البناء الصغير الى قصر كبير ، وتلك البحيرة الكدرة الآسنة التي كانت للجواميس مقيلا ، وللخيول مشرباً ، الى بحيرة صافية الماء ، طيبة الرائحة . وكان يخترق المزرعة جدول أجرد ليس على ضفتيه نبات ولا شجر فأصلحت مجراه وغرست على جانبيه أشجار الصنوبر ، فغدا اليوم روضة ذات منظر يملأ العين ، ويبهج القلب . وأن تلك الأراضي الواسعة الجرداء ، والبراري الشاسعة القفراء ، قد استرجعت حيويتها بفضل السماد والعناء ، فأخذت تدر علينا الحب الكثير ، والرزق الوفير .

وأما أنا يا أخي « فريس (أغا) قرية ، تراني وانا أجول في الأراضي ، وأطوف في البراري ممتطياً صهوة جوادي ، قابضاً على سوطي ، محمر الخدين ، مخشوشن اليدين ، قد أكسبني العمل قوة العضلات ، ووهبني الجهد حدة النظرات .

نعم ! أن مسعاي قد اصابه أثناء الحرب بعض الاخفاق ، ومزرعتي قد امتدت اليها يد الاملاق ، وذلك لتلبية الشبان داعي الدفاع عن الوطن ، وكان يجدر بي أنا أيضاً الذهاب حيثما ذهبوا ، والتوجه أينما توجهوا ، ولكن الأرض لم تدعني أذهب ، ولم تتركني أجيب . ففضلت البقاء بين الأطفال والنساء أسعى لسد عوزهم ، وقضاء حاجتهم .

وانا يا أخي ما كتبت اليك هذه الرسالة إلا لتعرف أن السعادة قد توجد في الأماكن التي لا تخطر على البال ، والمواضع التي ليست بذات جمال ، ولتعلم انها لا تتوافر بالشهرة ولا الثروة ، ولا بالسفاهة والعزلة ، وإنما تتوفر بالعمل المنتج في الأرياف ، والسعي المتواصل في المزارع .

فانك إذا كنت لا تزال في ذلك المكان المظلم الضيق الذي تركتك فيه ، فاسمح لي أن أقول أن كل جهد تبذله فيها لا يثمر ضلالة عمياء تبعث القلق والندم ، وكل سعي تقدمه فيها لا ينتج جهالة صماء توجب الخيبة والخذلان ؟

(سورية) الريحانية : (عمر البيرزوق)

لامرتين والخريف

لامرتين شاعر رائق الفكر، سليم الأسلوب، رقيق العبارة، وهو واحد من شعراء فرنسا المجددين في القرن التاسع عشر. وإليه يعزى الفضل في إحياء الشعر الغنائي الفرنسي الحديث.

حياته:

ولد في ماكون، في اليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٩٠، وكان أبوه ملكيا متحمسا. وقد أضطر بعد عهد الإرهاب إلى الاعتكاف في ضيعته في بلدة ميي Milly على مقربة من مسقط رأسه ماكون. وهناك شب ونما في أسرة حنون ومناظر طبيعية غاية في الجمال.

وقد ألقيت مقاليد تربيته إلى قسيس كريم كان لحبه للأقاصيص وكلفه بها أثر كبير في لامرتين، حين كتب قصته «جوسلان» Jocelyn. أرسله أبوه بعد ذلك إلى كلية ليون ثم إلى مدرسة بليه Belley الاكليريكية. وكانت دراسته حتى ذلك الحين ضئيلة تافهة قومها بعيد خروجه من المدرسة بمطالعاته العديدة، وبإنمائه النظر في الطبيعة، وبحريه وراء الأحلام والخيال.

انتظم عام ١٨١٤ في فرقة حرس الملك لويس الثامن عشر، ولم يتركها إلا بعد «المائة يوم». وفي عام ١٨٢٠ نشر مجموعة من الأشعار باسم «التأملات». وقد لاقت هذه المجموعة نجاحا منقطع النظير. وكان لها أثر كبير في شهرة لامرتين وتوجيه حياته في طريق العظمة والمجد. وفي العام التالي عين كاتما لسر المفوضية الفرنسية بفلورنسا. ونشر عام ١٨٢٣ مجموعة شعرية جديدة سماها «التأملات الجديدة». ثم دخل بعد ذلك بسبع سنين «الأكاديمية الفرنسية» وعكف على الرحلة والأسفار فزار بلاد اليونان وسوريا وفلسطين. وكتب عند عودته «سياحة في الشرق».

غير أن الحياة السياسية جذبته إليها فرغب فيها ومال إليها فرشح نفسه للنيابة وفاز في الانتخاب عام ١٨٣٣ دون أن يكون له آراء أو مبادىء سياسية مرسومة محددة. ثم أندمج شيئاً فشيئاً في صفوف المعارضة، ووجه أشعاره نحو الآراء الديمقراطية فاستقبلها وحفل بها. ويبدو ذلك جليا واضحا في مؤلفه «تاريخ الجيرونديين» عام ١٨٤٧. وقد ساعد على سقوط الملكية بتمهيد الطريق لثورة يولية ١٨٣٠ التي انتهت بخلع شارل العاشر، وبتنصيب مجلس النواب الفرنسي دوق أورليان (لويس فيليب فيما بعد) ملكا على الفرنسيين. وانتخب لامرتين عام ١٨٤٨ وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة التي تألفت من الجمهوريين والاشتراكيين حين ملت فرنسا حكم فيليب، إلا أن لامرتين أضطر الى اعتزال السياسة والعودة إلى الحياة الخاصة بعد أن حل لويس نابليون المجلس وشتت أعضاءه عام ١٨٥١.

وقد كانت كهولة لامرتين حزينة إذ اضطر، تحت عبء الحاجة للمال، إلى الانقطاع إلى الانتاج العاجل المهين لعبقريته والقاتل لذكائه. وقضى في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٦٩ بعد أن باع أكثر عقاره الموروث.

شعره:

هو شاعر عظيم ولكنه ليس بفنان موهوب، هو «هاوي الشعر» كما يقول هو عن نفسه. وهو لا يستطيع حين يعوزه الوحي والالهام أن يفعل مثل غيره من الشعراء فيلجأ الى كفايته ومقدرته في الصياغة والتأليف ليسد بها حاجته وليشبع بها رغبته. غير أن مجموعة أشعاره الأولى «التأملات» تكفي من غير شك لأن تجعل من لامرتين شيخا للشعر الفرنسي الحديث. وقد ساعد على ذلك أن مجموعته الشعرية هذه تضمنت كل الصفات الغنائية التي فاتت شعراء القرن السالف الذين كانوا ينظمون أشعارا موسيقية في كل الموضوعات دون أن يفيضوا عليها شيئاً من أرواحهم. أما لامرتين فينشدنا ما أحس به من فرح أو حزن، ومن سرور أو ألم، ومن راحة أو وصب

وعبقرية لامرتين فى مرونة اشعاره وتنوعها وفى تعبيره الدقيق عن العواطف السامية والإفصاح عنها الافصاح كله

وهو شاعر الطبيعة . عرف روح الاشياء وكنهها دون ان يتجشم مرة محاولة تصويرها وتلوينها ، وهو يحب على الأخص ساعات الغسق وفصل الخريف الذي تمتزج مظاهره الاخيلة والاوهام فى رقة وعذوبة . وهكذا يتلاشى فكره ، الذى ليس له من غاية محدودة ، في سحابات مبهمة عديدة ، وهو بعد ذلك يعرف كيف يستخلص لنا منها فكرة ويفصح عما يجول فى خاطره في موسيقى عذبة جذابة .

وقد بلغ لامرتين بوضوح الاسلوب وصفائه وتوافق نظمه وايقاعه — وهما خلتان لازمتان للكاتب — درجة لم يبلغها شاعر قط . وقد ابدع لامرتين — دون تكلف أو جهد او صقل — فى نظم اشعاره وترقيقها وتنغيمها . غير ان البساطة والسهولة اللتين نظم بهما اشعاره اساءتا اليه من حيث لا يدرى . فقد جعلتاه عرضة للسهو واستعمال العبارات المبهمة الغامضة ، والقوافى النابية الركيكة وذلك نجده بوضوح حتى فى القطع الجيدة القليلة من شعره .

مؤلفاته :

كتب لامرتين ، غير اشعاره الغنائية التى اشهرها «التأملات الشعرية» و«التأملات الجديدة» اشعارا أخرى قصصية وفلسفية نذكر منها «موت سقراط» و«جوسلان» و«سقوط ملاك» . هذا الى مجموعة من المذكرات والقصص مثل «رحلة فى الشرق» و«رفائيل» «جرازيلا» . وقد كتب ايضا فى التاريخ «تاريخ الجيروندبين» ولم ينس فى أخريات أيامه ان يكتب «دروسا عامة فى الادب» .

والقطعة التي اعرض لترجمتها اليوم هى قطعة من مجموعة اشعاره «التأملات الأولى» . وقد كتبها فى خريف عام ١٨١٩ . ولم تكن حالته الصحية وقتئذ على حال من الثبات والاستقرار . فقد كان نهبا لشتى آلام وعلل . هذا الى صدمة تلقاها من قبل ، اذ رفضت خطبته الآنسة ماريان اليسا بيرسن الانجليزية التى أصبحت له فيما بعد زوجة . وهو يشير فى الفقرة السابعة الى هذا الامل الضائع .

وقد اوحى بها الى لامرتين نوبة حادة من الحزن والكمد وقد صار موضوعها من الموضوعات التي يتميز بها شعر جماعة (الرومانتيكيين) . فالخريف ؛ صورة من الفناء والموت ، يحمل بين طياته الحسرة والندم على السعادة الذاهبة .

وقد كتب فى هذا الموضوع نفر من الشعراء الانجليز والفرنسيين الا أن لامرتين أسبغ عليه فيضا من التعبيرات الدقيقة استخلصها من حس رقيق وخيال واسع وقريحة خصبة . قال :

— ١ —

سلام عليك ايتها الخمائل المكللة بفضلة من الخضرة ! ويا ايتها الاوراق المصفرة المتناثرة على العشب ، سلام عليك أيتها الايام الاخيرة الجميلة ! إن حداد الطبيعة يلائم والمى ، ويتفق ومشاربى .

— ٢ —

وهأنذا اسير فى الطريق المنعزل حالما مفكرا ، ويحلو لى ان ارى ثانية وللمرة الاخيرة الشمس الكاسفة ، وقد أخذ شعاعها الواهى الضئيل يكشف الطريق بعد لأى لقدمى وسط ظلمة الخمائل الحالكة

— ٣ —

حقاً انى اجد فى لحاظ الطبيعة المحجبة حين تقضى في ايام الخريف جاذبية وسحرا ، انها وداع صديق ، بل هى ابتسامة شفتين سيلجمهما عما قريب الموت الى الابد .

— ٤ —

وهأنذا وقد شارفت أفق الحياة ، ما زلت اتلفت وانا ابكى امل ايامى الطويلة المتلاشى ، وانعم نظرى فى حزن وحسرة فى محاسن الحياة التي لم اتمتع بها بعد .

— ٥ —

يا ايتها الغبراء ، وياشمس ، ويا وديان ، ويا ايتها الطبيعة الجميلة الحلوة ، اني مدين لكن بدمعة وانا على حافة قبرى ! ما اعبق النسائم بالعطور ! وما انقى الضوء ! وما اجمل الشمس فى نظر المحتضر !

— ٦ —

كم أود الآن ان استشف هذه الكأس وقد امتزج فيها الرحيق بالمر . فلربما تبقى لى فى هذه الكأس التى اتناول فيها الحياة ، قطرة من الشهد

— ٧ —

ولربما اخفى لى المستقبل ايضا فى ثناياه أوبة لسعادة ضاع الأمل فيها ! ولربما تفهم نفسى ؛ من بين الصفوف ، نفس اجهلها فتجيبنى !...

— ٨ —

تسقط الزهرة تاركة عطرها للريح الدبور ، وهذا وداعها للحياة وللشمس . وهأنذا اموت ! وروحى حين تفيض تتصاعد كرجع صوت حزين شجى

محمود فهمى أدريس
ليسانسيه فى اللغة الفرنسية وآدابها

(الرسالة) نشرنا هذه المقالة تشجيعا لشبابنا الناشئين فى الادب ونعلمهم قبل أن يفكروا فى الكتابة يستكملون أداتها الضرورية من نحو وبيان، فان اهمال ذلك شر ما يؤاخذ به الكاتب.

العلوم

الاشعاع

للدكتور أحمد زكي

وكيل كلية العلوم

الاشعاع من أظهر ظواهر الوجود وأهم حادثاته الدائمة ، تجده فى المثل الصغير الحقير ، كما تجده فى المثل الهائل الكبير ، فالشمعة يحترق دهنها فيشع من احتراقه نور مضطرب ضئيل ، يجهد ان يبدد من ظلمة الليل ما استطاع حتي يتبدد هو ، والنجوم تتوقد في السموات العلى فتشع فتبعث فى القبة الموحشة السوداء روحا وتبعث فيها جمالا ، ويتأجج هذا النور السيار الهائل ، تلك الشعلة الدوارة الابدية التى اسميناها الشمس ، فتشع علينا بالنور والدفء ، وبالهدى والحياة

هذه أمثلة للاشعاع معروفة مألوفة ، لأن العين تراها ولكنها ليست كل ما فى الوجود من ذلك . فنى غير المألوف اشعاعات كثيرة لا تراها العين كشفها العلم . فالاشعاع اللاسلكي مثل حادث قريب الوقوع لا يزال يملأ قلوبنا بالاعجاب ، ورؤوسنا بالفكر والتأمل والحيرة ، ولكنه ليس الا بعضا من كل ، ومثلا من مثل تحدث ظواهر بينة الخلاف شديدة التغاير ، وهى على شدة تغايرها وظاهر تناكرها وتعدد أسمائها حبات فى عقد واحد ، وحلقات فى سلسلة مطردة ، وأفراد من أسرة واحدة ، تختلف سمة وتقاسيم ولونا ، ولكن تحت هذا الظاهر المضطرب باطن مستقر تلتقى جميعها فيه ، وتتوحد جميعا عنده . ولكل شعاع من تلك الأشعة حكاية رائعة ، وأحدوثة جميلة تنطق عن صبر للانسان لا ينفد ، وعن حيلة لا تعرف الخيبة ، لا فى استكشاف تلك الأشعة فحسب ، بل فى إلجامها وركوبها وتأنيسها حتى تكون ذلولا طيعا لا تنفر إلا اذا أراد الانسان منها النفار ، ولا تبطش الا حين يريدها على البطش

تناول السير اسحق نيوتن أظهر أنواع الاشعاع بالبحث فأمرّ أشعة الشمس فى منشور ثلاثى من الزجاج ، فبدل أن تخرج بيضاء كما دخلت ، خرجت خليطا من اضواء عدة ذات ألوان عدة . فأعاد تجربته ثم أعاد فخرج على أن ضوء الشمس الابيض مزيج من عدة أضواء ، أي أن اشعاعها وأن ظهر متجانسا خليط من جملة اشعاعات مستقلة الحدوث . وأسمى هذا المزيج بالطيف ، فكان هذا هو الحجر الاول فى بناء علم الاشعاع الحديث

وانتقل الانسان يسأل نفسه بعد ذلك : وكيف تسافر أشعة هذا الضوء ؟ قال نيوتن انها تسافر فى خطوط مستقيمة ، وقال بنظريته المعروفة وفسر بها بعض الظواهر الضوئية كالانعكاس ، وبالتدرج أخذ عقل الباحثين يقتنع بالشبه الذى بين سفر الضوء على متن الفضاء ، وسفر الامواج على متن الماء ، حتي اهتدوا الى اثبات أن اضواء الطيف انما اختلفت ألوانها من الاحمر الى البرتقالى الى الاصفر الى الأخضر الى الازرق الى النيلى الى البنفسجى لاختلاف فى الطول بين موجاتها ، واهتدوا كذلك الى ان الضوء الواحد ذا اللون الواحد اذا ضعف أو اشتد فانما يحدث ذلك لضعف الموجة أو اشتدادها ، أعنى زيادة ارتفاعها وانخفاضها ، او نقصهما عن مسارها المستقيم فى الفضاء ، وان شئت فسم ذلك اتساعها ، اما طولها فثابت لا يتأثر ما بقى اللون على حاله ، فان تغير طول الموجة تغير اللون ، فاللون الاحمر أطول موجة من البنفسجي ؛ ولو انك

وقفت فى مسار هذين اللونين وعددت موجات الاحمر التى تمر عليك فى ثانية ، وعددت مثال ذلك من البنفسجى لوجدت عدد موجات الاحمر أي ذبذبته اقل لطول موجتها من ذبذبة البنفسجي . وخرج العلماء من هذا كله بان الشعاعة تتعين وتتحدد بذبذبتها وبطول موجتها وبسعتها

بعد ذلك تساءلوا عما يحمل موجة الضوء من مكان إلى مكان . موج البحر يحمله الماء . وتهز الحبل فتسير فيه موجة تبتدىء من حيث مسته يدك وتنتهي حيث ربطته من الحائط . فالحبل أو كتانه هو الذي حمل موجته . فاي مادة حملت موجة الضياء حتي أتتنا من الشمس والقمر والكواكب ؟ ليست هي مادة الهواء ، فانما الهواء غلاف كقشرة البرتقالة يلف الأرض ولا يصعد إلا أميالا نحو السماء ، وليست هي مادة مما نعرف من المواد ، بل ان الضوء يسير في الفراغ ، فان الانابيب المفرغة بالمعني الذى نفهمه لا تعوق الضوء في انسيابه . ولكن الموجة طاقة متنقلة ، والطاقة لا بد أن يتقمصها شيء . فما هو هذا الشيء الذى عجزت حواسنا الموهوبة عن ادراكه ، وآلاتنا مهما دقت عن كشفه ؟ والآلات كثيراً ما بصرت بما عميت عنه العين ، وسمعت ماصمت عنه الأذن ، وناءت بأثقال تراقه لا تحفل بها اليد . ما هو هذا الشيء المعدوم فى وجوده ، الموجود في عدمه ؟

أن هذا الشيء معدوم عند العقل العادي الذى لا يؤمن إلا بالذى يراه ، ولكنه موجود عند العقل العلمى الذى يتخذ من الآلات حواس جديدة فوق حواسه الخمس ، ويتخذ من حقائق العلم وتجارب العلم وماضى العلم وحاضره ومآسيه ومفارحه دروسا وعبراً ، ويتخذ من التفكير العلمى وحواره وحجاجه واستنتاجه منطقا جديداً غير منطق الشراب والطعام والملبس والمركب . موجود عند ذلك العقل العلمى الذى لبس جناحين من ذكر للماضى عاصم من خدعاته ، وثقة جريئة في المستقبل لاتعرف إلا الامكان ، يطير بهما فى مجاهل لا يغني فيها السمع والبصر ، ومفاوز على حدود البشرية أشبه بالمعانى منها بالمباني ، وبالارواح اللطيفة منها بالاجسام الكثيفة ، هذا الشيء الذي لابد أن تسير فيه موجات الضوء موجود عند ذلك العقل العلمي بالرغم من ظاهر انعدامه ، منظور بالرغم من خفائه ، ملموس ولو افلتته الاصابع . واذن فلا بد له من اسم . فأسموه الاثير . وما مادته ؟ لست أدرى ولا المنجم يدري . وما خواصه ؟ لا يعرفها حتى الذى أسماه . سئل الاستاذ أوليفرلودج العالم الطبيعى المعروف عن تعريف له فقال فى كلمات ثلاث : هو شيء يتموج . وان كان لابد لك من تعريف فقل انه شيء له من الخواص ما يأذن بانتقال موجات الضوء فيه على نحو ما نعرف وفقا للقوانين التي نعرف ، وبالسرعة الهائلة التي نعهد . فمثلا نعرف أن سرعة الموجة تتوقف على كثافة المجال الذي تنطلق فيه ، ونعرف ان الضوء فى سيره يقطع في طرفة العين ولمحة الخاطر مسافات يصعب على خيال المرء تصورها ، فنستنتج من هاتين الحقيقتين ان الكتلة التي في سنتيمتر مكعب من هذا الاثير لابد ان تكون هائلة المقدار

وبعد أن درس العلماء الوان الطيف وهو كالسلم بدرجاته السبع ، أسفلها الاحمر وهو اطولها موجة وابطأها ذبذبة ، واعلاها البنفسجى وهو اقصرها موجة واسرعها ذبذبة ، أخذوا يبحثون عن موجات أسفل من الاحمر واطول منه موجة ، وعن أخرى أعلى من البنفسجى واقصر منه موجة ، فهدتهم التجارب الى صدق ماحدسوا : الى موجات دون الاحمر وهي الموجات التي تنتقل بها الحرارة من بين ما تنتقل ، والى موجات فوق البنفسجى وهي موجات ذات خواص كيميائية تستخدم فى التصوير الشمسى ، وأمرها الآن معروف ومشهود ، وكلا هذين النوعين من الاشعاع غير منظور ، فالعين لا ترى إلا سلم الطيف بدرجاته السبع

وأحس الطبيعيون بان شعاعات أخري لابد موجودة فيما دون الاحمر غير التي اكتشفت ، فأجرى العالم الطبيعي « هرتز » تجاربه فكشف بها عن موجات جديدة غير مرئية وجدها شبيهة بموجات الضوء والحرارة ، إلا انها اكثر طولا واقل ذبذبة ، وسميت باسمه . وفى الناحية الاخري فى أعلى السلم اكتشفت موجات غير مرئية أخرى قليلة الطول كثيرة الذبذبة ، سميت بالاشعة الكهربائية المغنطيسية ، ثم تلتها الاشعة « السينية »

المعروفة باشعة «أكس» ، وقد أفادت الطب اكبر فائدة وهي تنفذ في الرصاص الى نحو من خمسة سنتيمترات

واليوم نتحدث عن الاشعة «الكونية» Cosmic التى صعد الاستاذ منطاده في بالونه المشهور الى طبقات الجو العليا في طلبها ، وتحدثت عنها وعنه الجرائد منذ اشهر قليلة . وهذا الاشعاع الجديد لا يتوقف انبعاثه على الكرة الارضية التى لنا الحظوة بالعيش عليها ، فهو ينبعث صباح مساء في الصيف والشتاء غير آبه لنا أولها ، وينبعث حاملا طاقة واحدة لا تزيد ولا تنقص ينفذ بها في الرصاص بضعة امتار وفي الماء نحو الثمانمائة من الاقدام . ما أثر هذه الاشعة الجديدة اكتشافا ، الازلية مولداً ، فيما على الارض من حياة ؟ ما اثرها في حياة النبات والحيوان وفي حياتنا نحن وارثي الارض وما عليها ؟ يقول الاستاذ السير جيمس جينز ان هذه الاشعة تحلل في الثانية الواحدة ملايين الجزئيات من اجسامنا . ان كان هذا حقا فما اثقل النعاس الذي كنا فيه حتى نمنا كل هذه القرون والاجيال عن أمر له هذا المساس القريب بذواتنا . و ياترى كم من امواج اخرى في هذا الفضاء تعمل فينا وفي اجسامنا وفي أرواحنا ، ونحن عنها غافلون . وهل ياترى نجد في هذا النوع من الاشعاع تفسيراً لبلى الجديد وشيخوخة الشباب وفناء الحي

أذكر من سنوات عدة كلمة للسير اوليفر لودج لا أنساها إلا اذا نسيت حضرته الرائعة ، تروعك منها قامته الطويلة وكتفاه العريضان ورأسه العظيم يطل عليك من فوق جسمه الكبير مجللا بالشيب ، ولحية وقورة بيضاء صافية كصفاء ايمانه ، وعينان وادعتان تنظر اليك منهما حقب من الزمان امتلأت علما وفكراً في مبنى الوجود ومعناه . كان يحاضرنا في جمع حافل أتى يستمع للعالم الشيخ ، فساقه ختام المقال الى عفو من الكلام قال : « انا هنا واقف بينكم في القرن العشرين في قاعة مملوءة بانواع عدة من امواج عدة (يقصد الامواج اللاسلكية) منبعثة في اتجاهات عدة وكلنا صموت نسمع ولكننا لا نسمع شيئا . ولكننا جميعا برغم ذلك مؤمنون بوجودها . ولو اني وقفت بينكم هذا الموقف في القرن الغابر احدثكم عن هذي الامواج لقلتم خرف اصابه مس الكبر . الفرق بين الموقفين فرق بين الزمنين ، ذلك اني اليوم استطيع ان اعيركم هذه الاذن الجديدة (وأشار الى سماعة اللاسلكي التي تلتقط الامواج) تسمعون بها ما عجزت عن سماعة آذانكم ، ثم دار الاستاذ بعينيه في ارجاء الحجرة الواسعة في صمت وبطء كأنما يستوحي جدرانها ثم قال : « وليت شعري كم بهذه الغرفة الآن من أمواج غير التي نحن بصددها ، وليت شعري أي الآذان يبتدعها الانسان لادراكها ، وليت شعري متى يكون هذا ... وانى ، وأين ؟ ثم صمت يفكر وصمتنا ننتظر . فقال « ما الخاطر يرد لي ولك في آن وبيننا الاقطار العريضة والبلاد الواسعة ؟ ما النذير يأتي قلبي وقلبك بالشر فيصدق حينا ويكذب حينا ؟ ما الايحاء ؟ ما الوحي ؟ » وفنيت جملته في تمتمة لم نسمعها ، ورسمت يمناه في الهواء دوائر كأنما كانت تستكمل له رأيا لم يبح به أو فكرة وجد من الكياسة لا يذيعها ، أو لعله الهام جاءه على غير احتساب فشاء أن يتذوقه في مخدعه فرداً قبل أن يكون للجماعة شأن فيه . وفي العلم الهام كما في الشعر الهام ، وكما في النبوة وحي ؟

القصص

قصة مصرية

دموع بريئة

للاستاذ محمود الخفيف

عرفته فتى فى الثامنة عشرة ، طويل القامة فى غير إفراط ، نحيل الجسم فى غير هزال ، مهيب الطلعة فى غير تأنق ، حلو الحديث فى غير تكلف ، ولست أذكر وقد مضى على تعارفنا نحو ستة أعوام ما الذى جذبني اليه حينما رأيته لأول مرة ، حتى لقد امتزجت روحى بروحه ، أهو هدوؤه ورزانته أم نشاطه وهيبته ؟ وكل ما أتذكره الآن هو انى رأيته فاحببته ، ولشد ما أبهج نفسى أن رأيته يحس نحوى ما أحس نحوه ، فما هى إلا أيام حتى توثقت عرى المودة بيننا ، واستحكم الوفاق بين قلبينا ، وصار كلانا يأنس بصاحبه ويهش للقائه ، ويحرص على رضائه .

ولما عاشرته وتبينت خلاله ، أعجبنى منه أدبه الجم ، ووقاره العاقل ، وقلبه الرحيم ، وأكبرت منه نظراته الهادئة ونفسه المتوثبة ، وعواطفه الثائرة ، وشبابه المرح ، وروحه الجذابة .

وتبينت فيه شاعراً يقدس الجمال ويعشق الطبيعة فى خيال خصب ، وذهن متوقد ، وحس دقيق ، كما تبينت فيه على حداثته فيلسوفا بعيد النظر ، دقيق الملاحظة ، حلو الفكاهة ، عذب الروح ، ورأيته مشغوفا بالحياة مقبلا عليها قانعا بحظه منها ، راضياً عن نفسه ، غير ساخط على أحد .

ولقد جعلنى منذ أن تعارفنا موضع سره ، يحدثنى فى غير تحفظ ويجد عزاء طيباً فى أن يبثنى لواعج نفسه وخطرات حسه ، كما يجد هناء سائغاً فى ان أشاطره مسراته وأسباب سعادته .

وكان حديثه تارة حزينا يستدر الدموع ، وتارة بهيجا يملأ جوانب النفس سروراً وغبطة ، وكان يقص على مشاهداته فى الحياة ، غير انه كان يشفعها بآرائه أو يمزجها بخواطره فيكسبها بذلك قوة تحرك القلب وتستثير العواطف . وكنت أحرص على أحاديثه إذ أرى فيها خواطر فتى كبير القلب راجح العقل .

غاب عنى شهراً فاشفقت أن يكون قد مسه الضر ، وأردت أن أذهب اليه ، ولكن الخادم أحضر إلى كتابا تبينت خطه على غلافه ، ففضضته فى شغف فاذا به يخبرنى أنه سيكون عندى فى المساء ، ومرت الساعات ثقالا حتى كانت الثامنة ، فاذا هو يطرق الباب ، ثم يفتحه فى هدوء . ودخل علىّ شاحبا مكدوداً واجما مهموما . ومد الى يده وكانه قرأ فى وجهى إشفاقي وتلطفي ، فابتسم ابتسامة قصيرة ، ثم جلس وقد اتكأ بمرفقه على حافة المقعد ، وأسند رأسه الى قبضة يده ، وشملته كآبة مرعبة دق لها قلبى ، فانا أعرفه ثائر العواطف واسع الرحمة يستوقف بصره بكاء بائس فتدمع مقلتاه ، ويطرق اذنه أنين ملتاع فيملك عليه مشاعره ، وكثيرا ما أظهرت له إشفاقى فكان يضحك منى قائلا : لاحيلة فى ذلك فتلك جبلته ، ولقد كان يتهم نفسه بالطفولة ، ولكنه كان يعود فيفتخر بهذه الطفولة التى تملأ قلبه رحمة وحنانا .

وأطرق قليلا ، ثم رفع رأسه وقال وهو يضحك ضحكة غريبة ، تعبر عن الأسى والألم :

— هو شهر ، ولكنه قرن فى حوادثه —

وتالله لقد ألهب شوقى بتلك العبارة فاصخت بسمعى اليه ، وأقبلت بكليتى عليه ، وفهم هو من نظراتي أني أستعجله ، فهز رأسه هزة عصبية وقال :

لله ما أغرب هذا المسرح الهائل ، مسرح الحياة الذى يموج بالناس فى غير نظام ، وكل يلعب دوره حتى يسدل الستار عليه فاذا هو فى طى الفناء وفى أغوار الابدية . هذا ضاحك مستبشر ، وهذا فرح فخور . وهذا بائس محزون ، وهذا حائر مشدوه ، وهذا ضعيف مستسلم ، وهذا مغتر متطاول ، وهذا . . . وأخيراً يتساوى الجميع فيساقون فى سكوت كل الى حفرته .

قلت أمرك عجيب أيها الصديق ، وهل هذا ما يحزنك هذا الحزن ؟ لكأني بك قد اجتمعت فيك كل هذه الصور . ماذا احزنك وعهدى بك مرحا خلي البال ؟

وتنهد الفتى تنهداً عميقاً وقال :

— على هذا المسرح المرعب أو قل فى زواياه التى لا تراها

إلا الأعين البصيرة ، أو التي لا تراها الأعين إلا مصادفة ، على هذا المسرح الصاخب المضطرب ، وفي هذه الزوايا المتوارية عن الأنظار يوجد من المآسي والآلام ما يتفطر له القلب حقاً ...

وقاطعته قائلا : هون عليك يافيلسوفنا الصغير ، ومالك ولهذا الانقباض وأنت في زهرة العمر ؟

فنظر إلي نظرة لوم وقال :

— ما حيلتي وتلك جبلتي ؟ يراني الناس ضاحكا فرحا فيظنون أني خلو من الهموم ، وتالله ما ضحكي إلا خداع مني لنفسي ومغالبة لشعوري ، هو كالزهر الصناعي يغالط به الطفل نفسه ... ولكن ... ولكن أراك على حق ، فسأضحك وسألعب وسأنسى كل شيء .... نعم سوف أضحك مع الضاحكين ... وسوف لا أبكي بعد اليوم مع أحد أو على أحد ...

وضاحكته أستطلع دخيلة نفسه وحقيقة أمره فاعتدل في جلسته وتوثب وتحفز واستجمع قوته ثم قال في قوة وعزم :

هو دور لعبه أمامي وبالتي لم أره ، ولكن ما أسخف لعبته هذه !! . ليكن ما يكون وليكن ما قدر وهو كائن .

قلت ما الامر ؟ إنك تحيرني ..

فاستطرد في صوت أبح لم أسمعه منه قبل اليوم وقال :

« هن فتيات أربع ، جئن فسكن في المنزل المجاور لنا ، وكان قبل مجيئهن تسكنه سيدة وابنها وهو فتى في نحو الخامسة والعشرين ، ولقد تبينت بعد مجيئهن أنهن اخوته ، وكان أول ما رأيتهن في ظهيرة يوم عند ما عدت الى المنزل ، ففتحت النافذة كعادتي في كل يوم وإذا بي أراهن أمامي لا يكاد يفصلني عنهن إلا نحو سبعة أمتار ، وما وقعت انظارهن علي حتى جرين مسرعات الى داخل الحجرة وأقفلن الباب من ورائهن ، إلا صغراهن وهي في العاشرة تقريبا فقد ظلت ترمقني بنظرات ساذجة بريئة ، وكأنها وكانت تجيد لعبة اليويو ، قد أرادت أن تريني مهارتها فأخذت تلعبها وتنظر إلي ، فابتسمت فضحكت ودخلت الى اخواتها صائحة لاعبة .

ومضيت أنا الى بعض المجلات فجعلت أقلبها ولكن نظري كان كثير الاتجاه دائماً نحو هـذا المنزل او نحو ذلك الباب ، وأنت يا أخي تعرفني أحب الاستطلاع ولا أكاد أستقر حتى تصل نفسي الى ما تريد ، فجلست أختلس النظرات وأتظاهر بالنظر الى الصحيفة التي في يدي ، فرأيت كبرى البنات وهي في العشرين تقريباً قد وقفت الى الباب فرأيتها ذات حظ من الجمال غير قليل ، غير انه جمال شاحب حزين ، ومرت اختها الصغيرة أمامي وهي في نحو السادسة عشرة تكسو محياها سمرة خفيفة ، وهي فتاة ضاحكة العينين مرحة جريئة النظرات ، سريعة الحركة ، خفيفة الروح الى حد عظيم .

أما وسطاهن فلم تظهر طول ذلك اليوم ـ ولست أدري وأيم الله لم ضايقني ذلك وكل ما أذكره هو أني أحسست بانقباض وضيق لعدم ظهورها ، على أني ما لبثت أن ضحكت ، بل وسخرت من نفسي ومضيت الى كتبي ونسيت من أمرها ومن أمرهن كل شيء .

وفي صبيحة اليوم التالي نزلت الى عملي فتبينت وجهها من خلال زجاج النافذة ، جميلة رائعة الجمال ، دعجاء المحاجر ، بيضاء الوجه ، دقيقة الأنف ، حلوة اللفتة ، ناهدة الصدر ، وفي ظهر ذلك اليوم رأيتها واقفة فلم تهرب كعادتها بل رفعت إلي بصرها ، ثم دخلت حجرتها في هدوء ورزانة .

لا أكتمك يا أخي اني شعرت بميل نحو تلك الفتاة ، كان أول أمره معتدلا عاديا . فقد أعجبني منها رشاقة جسمها واتزان حركاتها ، وتناسق أعضائها ، وغضارة بشرتها ، وجمال محياها ، وكانت عيناها الدعجاوان ترسلان من أشعتهما حرارة الشباب فتهز قلبي وتفتح جوانب نفسي ، حتى لقد صرت أجد في النظر اليها متعة وهناء أشبه بهناء النفس في حلم هادئ جميل .

غير أن ما جذبني اليها حقا ، هو تلك النظرات الحزينة الهادئة التي كانت تتخلل نظراتها اللامعة القوية ، وتلك البسمات الخفيفة الفاترة التي كانت لا تلبث أن يطفئها وجوم غريب واطراق مؤثر .

وازداد ميلي اليها الى أن كنا صبيحة يوم فسمعت وأنا بين النوم واليقظة نحيبا متقطعا ، ولست أدري لم انصرف ذهني اليها لأول وهلة ؟ فقفزت الى النافذة فرأيتها ووجهها بين كفيها ، باكية تئن أنينا موجعا ، وأنا أترك لك أن تقدر لنفسك مبلغ ما نالني من الحزن في تلك اللحظة الرهيبة ، ولقد كدت أن أصيح بها أن كفكفي دموعك يافتاة ، لولا أنها أفاقت سريعا من غشيتها ومسحت دموعها في هدوء ثم نظرت الى الشمس المشرقة نظرة حزينة ، يهتز قلبي كلما ذكرتها ، ودخلت بعد ذلك الى مخدعها .

ومنذ ذلك اليوم عرفت طعم الألم حقا ، وكانت تتمثل لي صورتها فيكتنفني من الألم اللاذع ما يمزق شغاف قلبي ويحرك كامن وجدي ، ولا سيما وقد تكرر ذلك منها كثيراً في الصباح أحيانا وفي المساء أحيانا أخرى .

وأخيراً ... وأخيراً حم القضاء ووجدت نفسي أسير تلك

الفتاة الحزينة الباكية، ولك أن تعجب مني ما شئت أنا الذي طالما سخرت من الحب وهزأت بالعاشقين، أنا الذي طالما وصفت لك الحب بأنه حلم من أحلام الشباب الخادعة، وسراب خلب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا، أو فورة دماء واضطراب مزاج لا أقل ولا أكثر، ولكن الأنسان ضعيف لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا.

ولماذا أحببتها؟ أهو جمالها الساحر قد ملك علي نفسي، أم هو حزنها العميق قد صادف عطفا وحنانا في قلبي؟ ولكن مالي أبحث عن سر حبها، ومتى كان الحب أمرا يقبل التعليل ويخضع للتحليل! مالي لا أقول اني أحببتها لأنني أحببتها، ولتضحك بعد مني ماشئت، ولكن لم تضحك؟ أليس الحب تفاعلا نفسانيا أو مزيجا روحانيا، يأتي بكل سهولة وبغير أدنى ترتيب؟

أحست باهتمامي بأمرها واشفاقي عليها، فكانت تشكرني بابتسامة عذبة، وصرت أرى في عينيها ما يدل على الاعتراف بالجميل، ولكنني كنت لا أرى في نظراتها مايدل على أنها تبادلني حبي وتطارحني هيامي، انها كانت نظرات شكر وامتنان، وتالله انها كانت تؤلمني أحيانا، ولكني كنت في سكرة الحب أعلل النفس بالآمال وأترك للغد القول الفصل والحكم الأخير، ولكن تصرمت أيام دون أن أجرؤ على مخاطبتها ولو بالتحية.

وراقبتها مرة فرأيتها تتأهب للخروج، وثارت نفسي واعتراني جنون الشباب، وامتدت يدي الى ملابسي فلبستها دون أن أشعر بشيء أو أدري ماذا أفعل، وسرت في اثرها وان فؤادي ليخفق وان نفسي كلها لتهتز، الى أن رأيتها تجلس وحدها على حافة قناة صغيرة كانت تقرب من المنزل، وقد أطرقت قليلا ثم رفعت رأسها فاذا هي تراني أمامها فساورها مزيج من الدهشة والابتسام والخوف والارتياح والغضب والرضى، ولست أدري أني جاءتني تلك الشجاعة في تلك اللحظة الدقيقة؟ فقلت في ثبات:

هل لي يافتاة أن أسألك سؤالا صغيرا؟

فنظرت الي نظرة عميقة فيها كثير من المعاني، ويخ نفسي اني لأراها الآن، أرى تلك العينين الدعجاوين، وتلك التقاطيع الحلوة وذلك الفم الجميل وتينك اليدين الرشيقتين.

قالت وما سؤالك يافتى؟

قلت: هل لي أن أعرف سبب حزنك وبكائك؟

فسرت رعدة قوية في أعضائها، وتمشت صفرة فاقعة في وجهها، وكأنني هززت بذلك السؤال كل كيانها، وتمتمت بكلمات لم أسمعها ثم قالت:

شكرا لك على اهتمامك بأمري، لست أستطيع أن أجيبك على ما سألت.

قلت ولكنني أريد أن أعرف.

فعظمت دهشتها وبدا على محياها ذهول وخوف، ثم قالت في حدة مصطنعة:

وما شأنك أنت والسؤال عن هذا؟

قلت اني... اني... أريد... أرجو...

فساورها الشك في عقلي فلقد قرأت هذا الشك في نظراتها، وحدجتني بنظرة طويلة وقد اغرورقت بالدمع مقلتاها، ثم أشاحت بوجهها عني فالحفت وتوسلت فقالت:

اليك عني واتق الله في فتاة ضعيفة بريئة.

قلت لا أستطيع البعد عنك.

ثم انهمرت دموعي فصدقت، وقالت وهي تنتفض من شدة الاضطراب:

حسبتك أحد أولئك الشبان الذين لا أخلاق لهم، ولقد هممت أن اصرفك في قسوة.

ثم نظرت الي طويلا دون أن تتكلم، فقلت في صوت خافت متقطع: ستكونين لي منذ الآن.

فتجهمت قليلا ثم ابتسمت ابتسامة فهمت من معانيها الندم والحسرة والألم، وهزت رأسها كأنها تريد أن تقول لي انك لاتدري من الأمر شيئا، ثم قالت:

دعني بربك، ولا تشغل نفسك منذ اليوم بأمري فلن يجديك ذلك نفعا، وستبدي لك الأيام صحة قولي، وصدق نصحي.

وكأنها ارتاعت لوقع ذلك على قلبي فقالت وهي تبكي:

آه ليتني أستطيع! ليتني أستطيع! اتركني اشكرك على...

وغلبها الحزن والبكاء فأجهشت كما يجهش الطفل. فتطرقت اليها ولاطفتها، ثم تناولت يدها فلم تمانع، ولما أردت أن أجذبها نحوي نهضت قائمة وسارت لاتلوي على شيء ولم تلتفت وراءها، وغابت عن بصري في منعطف، فبقيت في مكاني جامدا كالصخر ثائرا مضطربا، ثم مرت علي دقائق افتقدت فيها نفسي وحسي.

ومرت أيام وأنا أتجنب النظر اليها ما استطعت، أيام كنت اثناءها كالذي يتخبطه الشيطان من المس، ولقد بلغ من نفسي أنني

كنت أرى الأسرة كلها حزينة كأنهم مقبلون على أمر خطير. ولما ضاقت بي الدنيا كتبت إليها اطلب عفوها وأبثها لواعج نفسي. وفي صبيحة يوم جلسن جميعا يبكين حول أمهن وأنا حائر مشدوه لا أدري من أمرهن شيئا، فناديت البدال فأقبل وهو فتى طيب القلب، فقلت له: أتدري يا فتى سر هذا الحزن؟ وأشرت إليهن دون أن يرينني

قال او ما تعلم؟

قلت كلا.

قال ان صاحب المنزل قد «أوقع الحجز» عليهن وأعقبه بائع الخبز بحجز مثله وفاء لما عليهن من الدين وقد قرب يوم البيع.

قلت وقد دق قلبي دقا عنيفا – هل مات أبوهن؟

قال خير لك الا تعرف عنه شيئا – ثم قال:

كان أبوهن تاجرا من كبار التجار، وكان عظيم الثراء ولكنه لم يرع النعمة وراح يقامر مرة ويسرف مرة، ويتعاطي المخدرات بكثرة مخيفة وهو الآن نزيل السجن من سنتين

وارتفع الدم بغزارة إلى وجهي وأحسست بحرارة كحرارة المحموم، ومرت غشاوة حجبت بصري ورأيت الجو بعد برهة أصفر مكفهرا ثم قلت:

وأخوهن؟

قال هو شاب عاطل لا يجد لنفسه عملا مع أنه يحمل شهادة عالية. منّاه أصدقاء والده كثيرا بوظيفة ولكن أين هي الوظائف الآن؟ وكثيرا ما نصحناه أن يلجأ الى اى عمل حر، ولكن يظهر ان الأبواب سدت في وجهه.

قلت أو لم يتقدم أحد لخطبة البنات من قبل؟

– قال بلى. خطبت الكبيرتان ولكن خطيبيهما تركاهما بعد ما جرى لأبيهن ما جرى. ثم سكت البدال برهة وقال في ألم: – مع أن البنت الوسطى ولعلك تعرفها ذات الشعر الأصفر، كانت تحب خطيبها لدرجة الجنون

– فصرفته ودخلت حجرتي كئيبا ملتاعا وذرفت الدمع سخينا.

وسكت صاحبي برهة ثم قال في نبرات حزينة: أرأيت كيف يقضي هؤلاء الاغفال على أنفسهم وأموالهم وأولادهم؟ ألا قاتل الله الجهالة! انها أصل الفواجع والآلام. ثم قال دونك فاسمع البقية،

وبدت منه حركة عصبية كانت ظاهرة في يديه وعينيه وصوته المبحوح وصدره المجروح، قال:

في صبيحة اليوم التالي سمع سكان البيوت المجاورة صراخا عاليا ففتحوا النوافذ فوجدوا الدخان يتصاعد من نافذة المطبخ في ذلك المنزل، أما أنا فكأني كنت أعلم بما سيجرى من قبل، فسكت ولكنه كان سكوت اليائس، وتجلدت ولكنه كان تجلد الاغماء. وهرع الناس فدخلوا المطبخ فاذا هي ممدودة على الأرض لا تبدي حراكا، ولم يحترق منها الا شعرها، وقرر الطبيب أن الوفاة بالاختناق. وارحمة لك يا... حتى النار أكبرتك وأشفقت من أن تلهب هذا الجسد الطاهر، ولكنك جدت بغدائرك الذهبية التي طالما تطلعت اليها الأعين وخفقت لرؤيتها القلوب

وهنا لم يتمالك صاحبي نفسه فأجهش كما يجهش الصبي وناولني قصاصة من الورق فقرأت فيها ما يلي:

وصلتني كلمتك الرقيقة يا صاحبي فضممتها الى صدري وقبلت الخطاب من أجلك، وذرفت الدمع سخينا شفقة عليك. سامحني واعف عني، وسنتقابل في الحياة الأخرى حيث لا شقاء ولا عذاب، وأرجو أن تستغفر لي الله في صلواتك، الوداع.. الوداع والشكر الجميل!

ولما تلوت تلك الورقة وجدته قد غلبه النوم وطول الجهد فأخذت رجليه برفق ومددتهما على المقعد وعمدت الى ملحفة فنشرتها عليه، وخرجت على أطراف أصابعي وتركته لينام علّه يجد في النوم بعض الراحة، وسألت الله أن يشفق به في أحلامه وأن يهبه العزاء والسلوان؟

محمود الخفيف

الي بئر جنـــــدلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

— ٣ —

لحظة رهيبة مرعبة ، ولولا أن ملك الجماعـــة زمام عقولهم وتصرفوا بما يستلزمه الموقف من بديهة حاضرة وهمة عالية ، لسقط احمد بك في الهاوية ، ولا أدرى الآن ، وقد توالت الحوادث بسرعة مدهشة ، كيف نسي الرفاق أن ينتشلوا زميلهم من ورطته ، وعلى كل حال فقد انتهى الحادث بسلام ، وعاد الجماعة الى ما كانوا فيه من مطاردة الأرانب ، وعند الظهر كانوا قد أنهكهم التعب وأضناهم الجوع ، فملوا المطاردة وقنعوا بما أصابوه في ذلك اليوم وكان شيئاً كثيراً ، فحثوا المطايا في السير كي يصلوا وادى جندلى في الموعد المضروب .

وكانوا حينئذ يسيرون على ظهر ربوة عالية وعن يسارهم نحو الشمال ، جبل اليحموم الازرق بلونه القاتم ، وعن يمينهم نحو الجنوب جبل ابو شامة بقمته العالية (٢٣٠٠ قدم) ، وكانوا كلما توغلوا شرقا تغيرت معالم الجبال وزادت ارتفاعا ، والأودية خضرة وعمقاً ، وقبل الاصيل أقبلوا على واد شديد الانخفاض كثير التعاريج كبير الشبه بوادى دجلة ونظروا من عل فابصروا الجمال ترعى في باطنه والاستعداد قائم حولها لتهيئة الطعام واعداد مكان المبيت ، فطابوا نفساً وقروا عيناً .

يقع بئر جندلى على خمسين كيلو متراً من القاهرة على ارتفاع ٣٠٠ متر من سطح البحر ، وقد قضينا بالقرب منه ليلتين ويوما وسط طبيعة نقية هادئة مشرقة في صحبة أصدقاء مخلصين حباهم الله الصحة والبشر وسلامة الطوية - حقيقة انها سويعات تعد من أسعد فترات الحياة واصفاها ، وقد وافق اليوم الثالث من رحلتنا أول أيام العيد ، ففي الصباح صلينا ونحرنا غزالة ثم قضينا اليوم في الوادى نلعب ونضحك ونتسابق ونمرح ونمزح كأننا الاطفال الصغار ، وبعد الغداء جلسنا الى الدليل نستمع لحكاياته الطريفة عن حياته فقال - وقد مال في جلسته واسند ظهره الى حجر كبير ، وعقد يديه على رأسه - من خمس وعشرين سنة كنت شابا شقيا أجوب الصحراء شرقا وغربا شمالا وجنوبا لا أستقر على حال ، وفي مرة نزلت السويس وقت موسم الحج فتحككت بشيخ مغربى يحمل خرجين كبيرين ينوء بثقلهما ، فظن انى اسديه المعونة فمد يده الى رأسى ودعا لى بالهداية ودعانى أن أرافقه الى الحجاز ، وقد كان فأديت الفريضة واستقبلت الكعبة ، وبصوت عميق خلته يخرج من كل جسمي دعوت الله ان يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ، فاستجاب الله دعائى وعدت من الحج صالحا طاهر القلب شديد الايمان ، والتحقت بالازهر فمكثت فيه خمسة عشر عاما الى ان قطعت عني الجراية في عهد الشيخ محمد عبده ، فتحولت الى التجارة وشغلت بعرض الدنيا ولكنى وقد ناهزت الخمسين — لا زلت شديد الحنين الى الجبل فاخرج اليه كلما سنحت الفرصة فاقضي فيه أياما قريبا من الله بعيداً عن المدينة وكدرها ثم أعود وقد تطهرت نفسى وهدأ عقلى واستراح جسمي — ثم انه على غـــير انتظار امسك عن الكلام وترقرقت دمعة في عينه وتحول ببصره عنا واطرق برأسه ثم اطبق عينيه ونام .

كان البرد في تلك الليلة شديدا فأوينا الى مضاجعنا مبكرين واشعلنا نارا كبيرة لنصطلى ، وفي اول الليل اكفهر الجو وعصف الريح وابرقت السماء وارعدت وانهمر مطر غزير ثم اخذت الصواعق تنقض من حولنا ، والبرق يومض بلمعان يضيء الفضاء كانه نور النهار ، والماء يتدفق الى الوادي بدوي شديد ، ثم فاض الوادي بسيل عنيف جارف ، فكان مشهدا رائعا . وبعد ساعة انقشعت السحب وصفا اديم السماء واشرق الوادى بنور القمر فسرى عنا ماساورنا من قلق واضطراب ، ثم نمنا نوم الهناء والعافية . وقبل الفجر استيقظت على صوت حركة غير عادية بمعسكرنا فوجدت الجماعة يتقلدون سلاحهم وعلامات الاهتمام بادية على وجوههم وابصرت الدليل ينزل الى وهدة متوسطة ويقف وراء صخرة كبيرة ويتجه ببصره نحو البئر ثم يتبعه عبد الله بك ويهمس في اذنه بكلمات ويحتمى هو الآخر وراء حجر كبير ثم تتفرق باقى الجماعة على الصخور المجاورة ويتخذونها متاريس يكمنون وراءها وينصبون بنادقهم على حوافيها - دهشت لهذا الاستعداد وانتقلت الى حيث كان خالى رابضا واستوضحته في صوت خافت جلية الأمر فاشار الى الدليل وقال ، إنه رأى شبحين ومعهما بعير هبطا الى الوادى بالقرب من البئر وبعد ان عقلا الدابة اخذا ينسلان نحو مربط الجمال ملتزمين السفح ، فقلت هل تراهما ؟ قال ان البئر بعيد والضوء ضعيف والرؤية متعذرة .

وبعد قليل صاح الدليل « ها ! ! كنوا لا تطلقوا النار » ثم انه اطلق عيارا في الهواء وعندها برز رجلان الى عرض الوادى واندفعا نحو الجمال - فصاح الدليل « جماعة اطلقوا النار في الهواء » فدوى في سكون الليل صوت البنادق كأنه زمجرة المدافع فذعر الرجلان لهذه المباغتة ووقفا مكتوفي اليدين علامة التسليم ، فانتقل اليهما سويلم الجمال وقادهما الى حيث كان الدليل - فقالا انا قادمان من المرج قاصدين وادي الحقول على البحر الأحمر في امر مستعجل ، وفي المساء كنا نجتاز اليحموم الأزرق فشاهدنا ناركم فعرجنا عليكم لنستدفىء وماقصدنا بكم سوءا ولكنها مداعبة على عادة البدو ، وبعد اخذ

ورد امن الدليل على قولهما ثم سألهما عن البعير فقالا انهما وجداه ضالا فساقاه امامهما حتى لايقع غنيمة فى يد اولاد على (اسم قبيلة) وبعد ان نفحناهما بطعام وكبريت انصرفا بسلام وقد تنفس الصبح ولاح.

قضينا اليوم الرابع فى الصيد كذلك فوق سفوح جبل القطامية على ثلاث ساعات شرقى بئر جندلى، وعند الظهر التقينا بوادى الغز بجبل ابو شامة حيث كانت تنتظرنا الجمال وبتنا فيه تلك الليلة وفى صباح اليوم الخامس غادرنا ابا شامة راجعين عن طريق البعيرات فرق مشارف وادى دجله، وبعد سير حثيث دام عشر ساعات من غير انقطاع وصلنا القاهرة عند العشاء ونحن على احسن حال وفى اجود صحة ؟

ابراهيم محمد

(الرسالة) لاحظ القارىء ولا ريب ان عبد الله بك واخوته يمثلون جيلا من الناس أولع بالصفة الباقية من صفات الفتوة وهى الصيد. والصيد رياضة بدنية نفسية تربى فى النفوس أخلاق الرجولة كالنخوة والمغامرة والقوة، وقد كانت ولا تزال ديدن الملوك والامراء والقادة، فعسى أن يكون لهذا الجيل بقية فى مصر. وأن يكون لهذه البقية أثر صالح فى توجيه الناشئة لمثل هذه الرياضة.

لغـــو الصيف

بقية المنشور على صفحة ٥٠٦

هذا حق ولكن الادباء أصحاب كلام، وما داموا يتكلمون فهم يؤدون حق الناس عليهم، فالناس لا ينتظرون منهم إلا أن يكتبوا لهم ما يقرأون. قال: لا كل ما يقرأون، بل ما ينتفعون به إذا قرأوه. قالت: هنا نختلف، فقد ينبغى أن نتفق أولا على معنى الانتفاع بما يقرأ. انت تريد إذا قرأت كتابا او فصلا ان تفيد شيئاً جديداً أو ان تضيف علماً الى علم، وأن تنمى حظك من الثقافة، او ان يثير ما تقرأه فى نفسك عاطفة او لونا من ألوان الشعور، وانت لا ترضى من القراءة دون هذا. فانت عسير ليست السبيل الى ارضائك سهلة ولا يسيرة. وانت لذلك تلتمس قراءتك عند قليل جدا من ادباء الشرق، وعند عدد غير كثير من ادباء الغرب. ولكنك تخطىء كل الخطأ حين تزعم ان القراء جميعاً يطلبون الى الكتاب مثل ما تطلب اليهم. ولو قد فعلوا لكان الادباء شر الناس حالا وادناهم الى العجز والافلاس. أنت وامثالك تشقون على الادباء فيما تطلبون، ولكنى أنا وامثالى لا نطلب اليهم كل هذا أو لا نطلبه اليهم فى كل وقت،

فنحن نحب ان ننتفع إذا قرأنا، ولكنا نكتفى من القراءة بما دون ذلك. نريد منها ان تلهينا إذا ركبنا الترام او القطار، وان تعيننا على انفاق الوقت إذا لم يمكنا نشاطنا من العمل، وان تدعو الينا النوم إذا ابطأ علينا. ولا تغضب إن زعمت لك اننا قد نضيق بالقراءة الخصبة الغنية، ونؤثر علينا هذه القراءة السهلة الفارغة التى لا تنفع ولا تضر، ولكنها تعين على انفاق الحياة. وانت تستطيع ان تنكر على أدبائنا ما شئت، ولكنك لن تستطيع فيما اعتقد ان تنكر عليهم انهم يكتبون لنا من الكتب، وينشرون لنا من الفصول، ويثيرون بيننا من ألوان الخصومة والحوار ما يمكننا من ان نركب الترام والقطار، ومن ان نقرأ إذا أجهدنا العمل، ومن ان نتعجل النوم إذا طال انتظارنا له. وانت تظن ان هذا قليل، وأؤكد لك ان هذا كثير، فليس الامر ذو الخطر فى الحياة هو ان نتعلم ونثقف انفسنا، وانما الامر ذو الخطر حقاً هو ان نحتمل الحياة، وادباؤنا يعينوننا على احتمال الحياة حقا بما يكتبون ويذيعون. قال: قد يكون هذا حقا ولكنه مؤلم

ثم سكت وأطال السكوت. وسكتت هى فاطالت السكوت. ثم مد يده الى قدحه فاستنفد ما كان فيه من ماء الورد. وأراد ان يعود الى صمته ولكنها سألته باسمة: فيم هذا الصمت الطويل! أمستمع أنت لحديث الزهر؟ أم مشفق أنت من الطير والجن ان تنم عليك بما تقول؟ هنالك ابتسم ابتسامة شديدة المرارة وقال فى صوت حزين: كلا لست أستمع للزهر، ولا أخاف الطير والجن وانما أستمع لنفسى واخافها. فهل تعلمين انك قد بغضت الى الكتابة والانتاج الادبى منـــذ اليوم. قالت وهي مغرقة فى الضحك: انا! ولماذا؟ قال: من يدرى؟ لعلى لا أكتب ولا أنشر إلا لأعين القراء على أن يركبوا الترام والقطار، وينفقوا الوقت إذا اضناهم العمل، ويتعجلوا النوم إذا أبطأ عليهم النوم. قالت: لم أقل هذا وهبنى قلته، أليس يكفيك أن تكون عونا لقرائك على احتمال الحياة؟ قال: لا. قالت: انك لواسع الطمع عظيم الكبرياء. ثم مدت يدها الى اناء من آنية الزهر فاخذت منها قرنفلة وضعتها فى صدره، ووردة أدنتها من فمه. وقالت: لتلتمس عزاءك عند هذه الوردة، وهذه القرنفلة فما أري إلا انهما قادرتان على هذا العزاء. ولكنك مخطىء ان ظننت انك قد انسيتنى بهذا الحديث قصة الورد والقرنفل، فما زلت أذكرها وانتظرها. فتحدث. قال: أنها يا آنسة قصة طويلة وليس هذا وقت البدء فيها. فاذا عدت من رحلتك السعيدة الى أوربا فسأحدثك بها، وانا زعيم بانك ستجدين فى الاستماع لها لذة ورضى؟

طه حسين



أهل الكهف

للدكتور علي مصطفى مشرفة

عزيزي الأستاذ توفيق الحكيم

لطالما تاقت نفسي إلى رؤية أدب عربي اجد فيه الغذاء الروحي واللذة الفكرية، اللذين ألفتهما فيما اطلع عليه عادة من الأدب. ومع إيماني باليوم الذي يرتفع فيه أدبنا إلى المستوى العالمي، كنت اشعر بأن هذا اليوم سيجيء بحكم طبيعة الأشياء متأخرا، فربما رآه اهل جيلي، وربما حبت به الظروف ابناء جيل قادم. فلما قرأت «اهل الكهف» - الذي تكرمت على بنسخة منه - علمت علم اليقين ان اليوم الذي كنت ارقبه قد طلع وملأت شمسه الآفاق

تعلم انى لست من الأدباء ولا من (المستأدبين)، وإنما نظرتي إلى الأدب، كنظرتي إلى غيره من نواحي الفن الانساني: نظرة الرجل المثقف العادي يطلب الجمال والالهام الصادق حيث يجدهما، كما يتطلب مستوي خاصاً من التفكير المطلق المخلص فيه لوجه الحق حيث وجد. وفي رايي ان «اهل الكهف» قد ارتفع من كل هذه النواحي إلي أسمي ماقرأته. وإن كانت لي ملاحظة على كتابك فربما كانت شيئاً من التحديد في دائرة ماتناولته فيه من الموضوعات، فما كان اشوقني إلى رؤية بعض المسائل الاجتماعية مثلا تعالج بنفس القلم الذى صور لنا إيمان المسيحيين الأولين وقابل لنا بين الحقيقة والتاريخ! ولكن لعل ذلك شراهة مني، فالوليمة ولاشك فاخرة وإن كانت تشحذ شهية امثالي.

لاتنتظر مني نقداً فنياً لروايتك التمثيلية فاشخاص الرواية كلهم أحياء يتحركون ويلبسون - ربما كان الملك اقل الشخصيات وضوحاً ولعلك تريده عديم الشخصية - والمواقف على اشدما تكون من التشويق والتأثير. وإلى حد ما، استطيع ان اري، ستكون روايتك ناجحة على المسرح إذا استطعت ان تجد لها ممثلين يفهمون ادوارهم فيها، واظنها تكون ناجحة بدون ذلك.

لم يبق علىّ بعد هذا إلا ان اشكرك على التحية التي انطوى عليها إرسالك نسخة من كتابك إلى، وأن ارجو ما انتظره لك من التوفيق والسلام.

وجدت خطا — لعله مطبعي — على صفحة ٨٨ السطر ٢٠ في «فيما أرى» والصواب «فيما ار».

النجوم في مسالكها

تأليف الاستاذ جيمس جينز

وترجمة الدكتور احمد عبد السلام الكرداني

كتاب جليل الموضوع لطيف الحجم أنيق الطبع كان محله من المكتبة العربية خاليا. وضعه السير جيمس جينز أحد اساطين علم الفلك في العصر الحديث باسلوبه المشرق وبيانه الرائع وعرضه الحقائق العلمية العويصة في معرض سهل المأخذ قريب التناول، وذلك ما انفرد به بين العلماء، وتميزت به كتبه بين الكتب.

بسط المؤلف في هذا الكتاب (خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث في الكون ونظامه واصله ونشوئه، وتركيب اجسامه وذراته، وتولدها وانحلالها، وبحث مدى الكون من حيث هو محدود أو غير محدود ومتمدد أو منقبض، وعرج علي الطاقة والاشعاع والنسبية، ثم بحث الحياة في عالمنا والعوالم الأخري في الكون[1]) واستوعب تفصيل هذه المباحث الطريفة في ثمانية فصول واربعة ذيول.

قرأه الدكتور احمد عبد السلام الكرداني ناظر مدرسة القبة الثانوية - وهو في هذا الموضوع ثقة - فاعجب بمادته وطريقته فترجمه ترجمة أمينة رصينة. ولم يقف جهد الاستاذ المترجم عند امانة النقل. وانما تجاوزها الى مسألتين خطيرتين هما تمصير الكتاب، وتحقيق المصطلحات. فمصر الكتاب بان وضع للقارىء المصرى مصورا للنجوم يبين ما يرى منها في القاهرة علي الدوام أو في بعض الايام، كما وضع المؤلف مصوره مراعيا فيه موقع انجلترا وحال القارىء فيها. وحقق المصطلحات بالرجوع الى مظانها العربية ككتاب عجائب المخلوقات للقزويني ومحاضرات السنيور نللينو المستشرق الايطالى، ثم جعل الكتاب لحقا يشتمل على فهرس أبجدي شامل لمواده، وقائمة باسماء النجوم والسيارات باللغتين العربية والانجليزية، وقائمة ثانية بالحروف العربية المقابلة للحروف اليونانية والرومانية، ثم قائمة ثالثة بالمصطلحات وما يقابلها بالانجليزية،

(١) مقدمة المترجم.

وأثر الجهد والعناية باد فى ترجمة الكتاب وتحقيقه وصوره وطبعه . وحسبه مزية ان يكون السير جمس مؤلفه ، والدكتور الكرداني مترجمه ، ولجنة التأليف والترجمة ناشرته ، ومطبعة دار الكتب المصرية طابعته .

أ . ح .

رحلة إلى بلاد المجد المفقود

بقلم وريشة مصطفى فروخ ــ مطبعة الكشاف ببيروت

كتاب أنيق الشكل جيد الطبع ، لا تكاد تتناوله حتى تدرك ان صاحبه من رجال الفن ، فهو بقلمه وبريشته ، على غلافه صورة لناحية من جامع قرطبة وقد كتب عنوانه من الخارج ومن الداخل بخطين مختلفين طريفين ، وتناثرت فوق صحائفه طائفة من الصور ألتقطت بعضها عدسة التصوير ، ونقشت بقيتها ريشة المؤلف الفاضل ، فجاءت فى مجموعها جامعة بين الجمال والفائدة ، ولذلك فالكتاب من هذه الناحية طريف خفيف الظل .

وتقرأ فى أوله كلمة تحت عنوان « الأندلس » فتلمس فيها إعجاب الكاتب بتلك البلاد وتشوقه اليها ، بل هيامه بها قبل زيارتها ، ولمس ذلك فى مثل قوله « أجل شغفت بها طفلا وشابا وسأحتفظ بهواها مدى الحياة » وكأنك لشدة حماسته تسمع صوته ولست تقرأ عبارته ، ولذلك فالكتاب من هذه الناحية قوى الروح عميق الأثر .

ولقد أحسن الكاتب صنعا بأن مهد لكتابه بكلمة في أهمية الفن ، ثم بلمحة فى الفن العربى عامة ، والاندلس خاصة ، ثم بعجالة فى تاريخ الاندلس .

قضى المؤلف أربعة ايام فى مجريط ، ثم اتخذ سبيله الى طليطلة ويسميها المنيعة ، فمتع نفسه بجمال آثارها ثم عاد الى مجريط فاتخذ القطار من محطة مديوديا الى قرطبة دار العلم كما نعتها ، فزار جامعها ووصفه وصفا مسهبا وأتى له بطائفة من الصور البديعة ثم سار الى أشبيلية ، وهي عنده مدينة الطرب وهناك زار قصر الزهراء ووصفه وصفا دقيقا ومن أشبيلية سار الى اختها غرناطة مقر الحمراء فوصفها فى حماس قوى واعجاب شديد .

ومما أجده للمؤلف تلمسه الروح العربية فى تلك البلاد ، مما يشهد بدقة ملاحظته ، ففى مجريط أحس تلك الروح فى كرم أهلها ، ووفرة الطعام على موائدهم ، وفى طليطلة رآها فى نوافذها وأبوابها الدمشقية وفيما يعرضه الباعة فى الطرقات من اقمشة زاهية الألوان ، من أساور وأقراط و « بقج » مقصبة وأسلحة وحلى ... إلخ وفى قرطبة وأشبيلية وغرناطة تجلت له تلك الروح فى عادات الناس وفى شكل المنازل ذوات الردهات الفسيحة والابواب والنوافذ العربية ، وفيما رآه من امثال بائعى « البوظة » و « الليمونادة » ، وهم يضربون صحونهم ويصيحون فى لحن عربي على نحو ما يشاهد فى شوارع دمشق .

ولئن قدرت قيمة الكتب بما تتركه من أثر فى نفوس قارئيها فاني أشهد ان هذا الكتاب من أجمل الكتب فى بابه ومن أعظمها فائدة ، وكما ان تلك الآثار المحزونة الجميلة التي وصفها تمد دمعة أرسلها التاريخ على ما فات من مجد العرب فان هذا الكتاب يعتبر بدوره دمعة كريمة على ذلك المجد وعلى تلك الآثار .

يسوءني على الرغم من اعجابي اصارح المؤلف بان اسلوبه مع الأسف لا يتمشى مع روح الكتاب ولا يتناسب مع ما يحتويه من فن وأدب ، ولولا حماسة الكاتب ، ودقة وصفه ، وتدفق معانيه ، لفقد الكتاب بذلك الاسلوب كثيراً من قوته ، هذا عدا ما فيه من هفوات تاريخية لا أحبها له ، كقول المؤلف : ان معاوية بن هشام ابن عبد الملك المسمى بالداخل أتى من الشرق هاربا عام ٧٥٩م والواقع ان الذي جاء هاربا من الشرق هو ابنه عبد الرحمن الداخل ، وكان ذلك عام ٧٥٦م . وقوله ان العرب طردوا من الأندلس فى القرن الرابع عشر والصحيح أنهم لم يطردوا إلا فى أواخر القرن الخامس عشر عام ١٤٩٢م .

ولكن ذلك لن ينقص من جوهر الكتاب إلا كما ينقص من جمال الحسناء شذوذ بسيط فى نظام ملبسها والمؤلف كفيل بان يزيل هذا النقص حتى يكون الكتاب من جميع جهاته جديراً بفنه وعلمه وأدبه ؟

م . الخفيف

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

....

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك
ـصـ
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد

....

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الرابع عشر « القاهرة في يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ — أول أغسطس سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العدد

شروح وحواشي

ذكرى حافظ : عجبت لهذا البؤس العنيف الملح كيف لازم حافظاً في عمره الأول، ثم أبى أن يفارق ذكراه في عمره الثاني !!

قطع هذا البؤس مع الشاعر مراحل عمره الفاني جميعا، فترك حياته المضطربة من غير منارة ولا مرفأ، وداره الموحشة من غير ولد ولا زوج، واسمه النابه من غير جاه ولا مجد، وقلبه الشاعر من غير عزاء ولا أمل. ثم فرق بينهما الموت فانقلب حردان يعبث بما خلف الشاعر في الدنيا وفي الناس من أثر وذكرى، فتنكر الحكومة حافظا لأن من أسماء البؤس السياسة، وتهمل الخاصة حافظا لأن من أسماء البؤس النكران، ويغفل الشعب حافظا لأن من أسماء البؤس النسيان، وتثور الحفيظة من هذا الجحود بأصدقاء حافظ فيعتزمون إقامة حفل وتأليف كتاب وتشييد ضريح، ولكن البؤس المغيظ يطوف على أولئك الاصدقاء في دورهم، فيقول لاغنيائهم : امسكوا عن البذل، ولأدبائهم : أمسكوا عن الكتابة، فحسب كل امرىء ما تبا كره به الصروف كل يوم من هموم ومغارم ! ويذكر الشباب الذين طالما هدهد الشاعر عواطفهم بأغانيه، وخلد مواقفهم بقوافيه، ان يوم الذكرى يقع في الحادي والعشرين من شهر يوليو. فيريدون ان يكفروا اليوم عن تقصير الامس، فيقرر (اتحاد الجامعة المصرية) إقامة حفلة تأبينية، ثم يعلن عن مكانها وزمانها في الصحف، ويتقدم الى الأدباء والوجهاء بالدعوة، ويعد الاستاذ (البشري) كلمته فيمن أعد،

ثم يقبل من ظاهر القاهرة الى نادى الاتحاد فلا يجد غير البواب يتحدث الى نفر من زملائه ، عن تعويض الحكومة للنوبيين وموعد أدائه ! فيعجب الاستاذ ويغضب ، ويستمر عجبه وغضبه يومين حتى يقرأ فى بعض الصحف ان اتحاد الجامعة قد رأى تأجيل الحفلة الى الاسبوع الاول من نوفمبر لتكون حفلة جامعية يشترك فيها أساتذة الجامعة وأقطاب الادب . . . وأعجب من عجب الاستاذ الا يخطر هذا السبب الخفيف ببال الاتحاد ، الا بعد إعلان الحفلة وتحديد الميعاد !!

بؤسا لك يا بؤس حافظ !! لقد أسرفت فى العبث حتى اتهم الوفاء ، وتظنن البعداء ، وتردد على ألسنة الناس قول صاحبك :

فما أنت يامصر دار الاديب ... وما أنت بالبلد الطيب

على ان حافظا وقد فرض على أدب العصر سلطانه . وأجرى على لسان الدهر بيانه ، وكتب فى ثبت الخالدين اسمه ـ لا يضره بعد ذلك نكران المنكر ، ولا ينفعه عرفان العارف !

جاد الله بالرحمة ثراه ، كلما تجددت فى النفوس ذكراه ، وجزى بالخير (أبولو) فقد كان عددها الخاص بالذكرى أخلص تحية صعدت الى هذه النفس الكريمة ، من هذه الدنيا اللئيمة !

تعليق على تعليق : روى صاحب التعليقات فى (البلاغ) أن أديبا مصريا علل شيوع الالفاظ (الجنسية) فى أدب الدولة العباسية ، بأن العربى لكثرة ما خالط الابل والخيل والحمير فقد طبيعة الحياء ، فأصبح يقول ما يشاء ، ويفعل ما يشاء ! ولو صح هذا التعليل المضحك لكان الأدب الأموي أمعن فى المجون ، والأدب الجاهلى أدخل فى الاباحية لصلتهما الوثيقة بحياة البداوة ، وهما على النقيض من ذلك أعف الآداب العالمية ، وأكثرها استعمالا للأساليب الرمزية . ثم كان من رأى الأستاذ المعلق أن السبب فى ذلك إنما يلتمس فى طغيان الحضارة ، لأن الكتاب الانجليز مثلا لا يتحرجون اليوم ان يذكروا ما كان يتحرج منه بشار وأبو نواس بالأمس . والواقع ان فحش المجون فى الأدب العربى لم ينبت فى أصله ولم يأت من أهله ، فان شعراء المجون لم يكونوا بديا من العرب ، وإنما كانوا من الموالى الذين أساءوا أخلاق الأمراء بالعدوى . وافسدوا أدب الشعراء بالقدوة ، وأكثر الاشعار المجونية إنما كان ينشد فى المجالس الخاصة ، ويروى على الالسنة الخاصة ، ويدون فى الكتب الخاصة . فلو كان أولئك الأدباء يكتبون للنشر ويؤلفون للجمهور كما نفعل اليوم لطووا فى نفوسهم أكثر ما نشروا . ولا تجد اليوم أديبا من الأدباء الاولى مثل هذه الاشياء ، ولكنه يقصرها على خاصته فلا يعلنها فى الناس ولا يدونها فى الكتب .

كوبرى الخديو اسماعيل : كذلك كتبت الحكومة بخط الثلث الجميل ، على مدخل الجسر الجديد بقصر النيل ، فهيأت للعابر المفكر موضوعا للتفكير يقطع به طول الجسر فى راحة ولذة :

بماذا نعلل بقايا الالفاظ التركية فى دواوين الحكومة المصرية ، ولم يعد لأمتنا بالترك صلة ، ولا للغتنا بالدخيل حاجة ؟

منذ سنوات تخلص الترك من العرب ـ وقد كانوا خاضعين لسلطانهم الأدبى ـ فرأوا من الغضاضة على استقلالهم أن يظل لسانهم خاضعا للساننا ، وأدبهم تابعا لأدبنا ، فأخذوا يحررون التركية من الألفاظ العربية ـ وهى معظمها ـ ويستبدلون بها الفاظا تركية خالصة أو فرنجية مشوبة ، ثم ترجموا القرآن وتركوا الأذان ، وأعجموا الصلاة ، وفرضوا التركية فرضا على الاجانب فى المدارس والمصارف والأسواق .

ومنذ سنوات تخلص العراقيون من الترك ـ وقد كانوا خاضعين لسلطانهم السياسى ـ فكان أول ما عملوه ان طهروا العربية من شوائب التركية فى الدواوين والقوانين والمدارس والجيش . واستبدلوا بهذه الالفاظ الدخيلة على أصالتها وكثرتها الفاظا عربية صريحة .

ومنذ قرن ونيف تخلصت مصر من الترك ، ولكنك ماتزال تسمع فى البيوت تيزه وآبله وأبيه وإنشته ، وفى المدارس قلفة وطابور ويمكخانه وبحيث جزيرة ، وفى الدواوين الفاظا وأساليب ليس الى حصرها من سبيل ، وأما فى الجيش فأسماء رتبه وفرقه وعتاده ومصطلحاته وإيعازاته كلها تركية ، فبماذا نعلل هذا ؟ تعليل ذلك فيما أظن أن الامة المصرية من أشد الامم الشرقية احتفاظا بالقديم ، وتسليما بالواقع ، ورضا بالحاضر ، مع ما قد يكون فى ذلك كله من شر ، فليس من طبعها ذلك القلق السامى الذى يدفع النفوس الى التجدد ، ويحفز الامم الى التقدم ، ويربأ بالانسان ان يقنع من حياته بالنصيب الأخس ، وتقدم الامم على هذه الحال فى سبيل الكمال عسير أو بطىء .

رفقا بالقوارير يا أبا السامى ! نشرنا فى عددنا الأخير رأيا للآنسة عقيفة فى (أوراق الورد) للاستاذ الرافعى ، ورأت الرسالة مؤاتاة الفرصة ليمتع الاستاذ قراءها بفصل من فصوله الرائعة فتركت له الكلمة ، وتفضل الأستاذ فكتب . ولكنه حين وضع يده على الدواة ليتناول القلم الذى كتب به (أوراق الورد) أخطأ فتناول القلم الذى كتب به (على السفود) . لحظنا هذا السهو حين قرأنا هذه الكلمة فطويناها معتقدين ان الكاتب الكبير سيتبعها كلمة أخرى تكون منها مكان (بدل الغلط) ، تشاركها فى الاعراب ، وتنفرد دونها بالصواب .

احمد حسن الزيات

لغو الصيف

للدكتور طه حسين

سمعت طرقا خفيفا فرفعت رأسها وصوتها آذنة بالدخول، ومدت عينها الى الباب، فلما فتح لم يرعها الا صديقها الأديب، يسعى اليها مشرق الوجه، باسم الثغر، مبسوط اليد، مرتبكا مع ذلك شديد الحياء. قالت وقد غشي وجهها احمرار رقيق زاده جمالا وحبا الى النفوس. مصدره الدهش لهذا المقدم غير المنتظر، أو مصدره زيها المهمل وثوبها الذي لبسته لنفسها لا للناس، ولم تكن تقدر ان الطارق أحد غير الخادم التي تعودت أن تطرق عليها الباب في رفق اذا كانت الساعة الخامسة من كل يوم لتحمل اليها الشاي، فلما رأت صديقها ارتاعت لمرآه، وقالت في دهش وخجل واضطراب: «وأنت من أين اقبلت؟ انجمت من الأرض أم هبطت من السماء؟» قال ولم يكن أقل منها ارتباكا واضطرابا: نعم أنا أقبلت من حيث تريدين، ولكن لي اليك حاجة يا آنسة أعرضها عليك قبل التحية، وأتمنى لو تجيبيني اليها قبل السؤال والجواب، فسيكون السؤال طويلا دقيقا. وسيكون الجواب ملتويا مرتبكا، ولكن حاجتي يسيرة فاسمعيها مني واقضيها لي، ثم لنأخذ بعد ذلك فيما تحبين، قالت وقد اخذت تثوب الى نفسها والى ثوبها: من أين أقبلت؟ وكيف اراك في نيس وقد تركتك في القاهرة على أنك ستقضي فيها الصيف؟ قال ثقي يا آنسة اني قد سمعت سؤالك ووعيته ووعيت ما يحيط به من عجب وانكار. واني سأجيب وسأحاول أن أزيل هذا العجب وأمحو هذا الانكار. ولكن حاجتي اسمعيها واقضيها قبل كل شيء. قالت لا قبل أن نجلس، ثم عادت الى كرسيها وقد حولته شيئا عن المائدة وأشارت اليه أن اتخذ هذا الكرسي، وأخذت تجمع صحفاً كانت منثورة على المائدة، ثم قالت مبتسمة: وما عسى أن تكون هذه الحاجة التي تقدمها بين يدي تحيتك، وقد بعد العهد بينك وبيني والتقينا من وراء البحر، فقد تركتك منذ أسبوعين. قال بل منذ عشرة أيام ان لم أخطيء الاحصاء، فقد زرتك قبيل السفر... فقطعت عليه الحديث قائلة نعم، قد ذكرت فهات حاجتك فاني لم أتعود أن انتظر تحيتك وعبثك كل هذا الوقت الطويل: قال حاجتي يسيرة وهي ألا تلومي ربة الدار. فقد مكرت بها واحتلت عليها، وما زلت أخدعها عنك وعني حتى تركتني أطرق الباب وأدخل عليك في غير استئذان سابق. فأغرقت

١٠٣٤

في الضحك حتى استلقت الى كرسيها وهي تقول: انها لحاجة عسيرة، لست أدري كيف أقدر على ارضائها، وقد أذنت لك فيما كنت تريد وطرقت الباب وفاجأتني بغير اذن سابق مني بذلك. وفيم كان كل هذا المكر، وفيم كان كل هذا الاحتيال؟ ومتى استباح أمثالك أن يفجأوا أمثالي على هذا النحو، وفي مثل هذا الوقت من النهار؟ هنالك اشتد ارتباكه حتى بلغ الاضطراب أو كاد يبلغه، فلم يكن يقدر انها ستلقاه هذا اللقاء، ولا انها ستنكر هذه المفاجأة، ولعله كان يظن بل كان يوقن أن سرورها بلقائه سيكون أشد من حاجتها الى الاستطلاع، وسيكون أشد من انكارها لهذه الفجاءة، فلما رأى منها هذا الالحاح في السؤال والتشدد في النكير، فقد ما كان يملك من الاسباب، واختلط عليه الأمر، فلم يدر ماذا يصنع، ولم يعرف كيف يقول. ولو أنه كان على شيء من البصر بصاحبته والعلم بدخيلة نفسها لرأى انه لم يكن مخطئا حين قدر انها ستبتهج بلقائه، ولكنه كان شديد الذكاء قوي الفطنة واسع الحيلة ما بعد عن النساء. وعن صاحبته هذه خاصة، فاذا لقي واحدة منهن أو لقي صاحبته هذه فهو رجل ساذج أول الامر، لاحظ له من ذكاء ولا من فطنة، ولا قدرة له على ثبات أو فهم، حتى اذا اتصل الحديث وتنوع استرد ملكاته قليلا حتى يعود كدأبه في الحياة العادية. ذكي القلب قوي الفطنة متصرفا في ألوان الحديث. فلما رأت ارتباكه واختلاط الأمر عليه واضطراب لسانه في فمه دون أن يبلغ الافصاح عما كان يريد، رقت له واخرجته من حيرته باجابته الى ما كان يريد، واعلانها اليه انها لن تلوم صاحبة الدار، ولن تظهر لها سخطا ولا أنكارا. ثم قالت: والآن حدثني من أين أقبلت وكيف اراك هنا اليوم، وقد تركتك في القاهرة منذ عشرة أيام؟ أنجمت من الارض أم نزلت من السماء؟ قال ان عشرة أيام تكفي لقطع الأمد من القاهرة الى الاسكندرية ولعبور البحر الى مرسيليا (وطولون) ولبلوغ مدينة نيس حيث تقيمين قبل ان تستأنفي السفر الى تلك المدينة الصغيرة الجامعية من مدن فرنسا الوسطى لتسمعي دروس الصيف. قالت فاني لا أشك ان عشرة أيام تكفي لهذا كله ولا كثر من هذا كله، ولكني تركتك في القاهرة غضبان أسفا لانك ستقضي الصيف حيث لم تكن تعودت أن تقضيه، ولعلك تذكر انك كنت تحسدني وتسرف في الحسد على هذه الرحلة الجامعية التي كنت ازمعتها. ولعلك تذكر انك مازلت تصور لي حزنك ويأسك حتى رحمتك وأشفقت عليك، فكيف استطعت ان تفارق القاهرة وترحل عن مصر وتظفر بزيارة باريس؟ فأنت ذاهب الى باريس من غير شك، قال نعم انا ذاهب الى باريس، وماذا تكون فرنسا بدون

باريس وبدون الحى اللاتينى ومونبارناس ومونمارتر ؟ وقد زعموا أن الحركة الأدبية والفنية قد اخذت تنتقل الآن من مونبارناس الى . . . قالت حسبك قد علمت هذا كله وعرفت رأيك فيه ، وسنعود اليه ، ولكن كيف تركت القاهرة ؟ وكيف أتيت الى فرنسا ؟ قال وأى شىء أيسر من ذلك يا بنية ؟ انما يستغرب هذا من رجل كانت تمسكه الازمة فى مصر ويعجزه أجر السفينة ، أو نفقات الاقامة فى فرنسا ، فهذا الرجل اذا أتيح له السفر بعد امتناعه عليه يمكن ان يسأل أنى لك هذا فى مثل هذه الأيام الشداد ، فاما اذا كان الذى يحول بين الرجل وبين السفر ارادة وزير من الوزراء ، أو عناد رئيس من الرؤساء ، فما أيسر أن يريد الوزير وقد كان لا يريد ، وما أسهل ان يلين الرئيس وقد كان متأبيا عنيدا . وهذه قصتى فما زلت برئيسى حتى رق لى ، وما زلت بوزيرى حتى عطف على ، قالت صنع الله للرئيس وللوزير معا ، فلولا ظرف أحدهما وعطف الآخر لما أتيح لك أن ترى باريس . قال بل لما اتيح لى ان أسعد بلقائك فى نيس ، وان اسعد باصطحابك ساعة أو ساعات على ساحل البحر ، هذا الساحل الجميل الهادىء القوى معا ، حيث نستطيع ان نرى البحر والجبل وقد دنا كلاهما من صاحبه فى مودة وألفة ، وحيث نستطيع أن نرى الطبيعة الحرة القوية والحضارة البديعة المترفة وهذه القصور الشاهقة تشرف على البحر وتشرف عليها الجبال ، وحيث نستطيع ان ننشد قصيدة بودلير ، هذه القصيدة الرائعة التى كنت تغنيها فى القاهرة أجمل غناء ، أتذكرين ؟

لقد عشت دهرا طويلا تحت أروقة واسعة تضيفها شمس البحر ،

قالت نعم كل هذا اذكره ، وكل هذا أفهمه ، وكل هذا لا تفسير له الا انك قد رجعت الى صوابك واستردت قواك موفورة واستأنفت ما ب من العبث والمزاح . فقد آمنت انك سعيد بلقائى . وقد آمنت انك ستسعد ، وسأسعد معك بقضاء ساعة أو ساعات على هذا الساحل الجميل . وقد آمنت بأن رئيسك خليق بالشكر لأنه رق لك بعد ان قسا عليك ، وان وزيرك حرى بالثناء لأنه لطف بك بعد ان كان شديدا عنيفا ، ولكنى لن أتحدث اليك الآن ولن اسمع منك الحديث عن الجبل والبحر ، ولا عن الصخور والقصور ، فقد يتاح لنا الحديث عن هذا كله بعد حين . انما أحب ان أسمع منك أنباء مصر ، قال أنهما لخليقان بالشكر والثناء حقا ، ولا سيما حين تعلمين . . . قالت لا اريد ان أعلم شيئا . قال وهو يضحك ضحكا ملؤه المكر والالحاح : بل يجب ان تعلمى لتضاعفى الشكر وتجزلى الثناء ، فانى لم ارحل للسياحة ولا للراحة ولا لرؤية باريس ، وانما رحلت . . . قالت لامر من أمور الدولة فستدرس شأنا من شؤون التعليم أو فنا من فنون النظام ، أو لونا من ألوان الادارة ، أو شيئا من هذه الأشياء التى يرحل الموظفون لدرسها فى أوروبا أثناء الصيف ، فيسرحون ويمرحون ويلهون ويلعبون ويكتبون فى آخر الصيف تقريرا يرفعونه الى الرئيس أو الوزير ، فيتلقى الوزير أو الرئيس هذا التقرير ويتلقى صاحبه كلمة شكر وثناء ، وقد فهم الرئيس عن صاحب التقرير ، وفهم صاحب التقرير عن الرئيس ما يريد كل منهما ان يفهم عن صاحبه ، وأؤكد لك انى أضاعف شكرى لصاحبيك وثنائى عليهما ؛ ولكن أرحنى من حديثهما كما أرحنى من حديث البحر والجبل والساحل وعد بى الى مصر ، قال ما أشد شوقك الى مصر وتلهفك الى الحديث عنها ! ألم تشبعى من مصر وقد أقمت فيها سنة كاملة منذ رحلتك الأخيرة ؟ أمشوقة انت الى مصر ولما يمض على فراقك لها الا عشرة أيام ؟ قالت فانى لا أريد ان تحاسبنى على ما اجد أو لا أجد من الشوق الى مصر ، وعلى ما أحس أو لا احس من الضيق بمصر ، وانما أريد ان تحدثنى عنها ، كيف تركتها ؟ وكيف تركت أهلها ؟ ثم مست هذا الزر الكهربائى الذى لا تخلو منه غرفة من غرف الفنادق ، فما أسرع ما أقبلت الخادمة فهمت أن تطلب اليها الشاى ، ولكنه اعترض دون ذلك وقال : ماذا تريدين أجئنا حتى نتناول الشاى فى غرفة مغلقة والجو صحو والماء صفو والشمس توشك أن تنحدر الى مغربها فترسل على الجبل والبحر . . قالت حسبك فانى أستطيع أن أتم ما تريد أن تقول . قال واذن فهلم نتناول الشاى حيث نستطيع أن نستمتع بهذا الجمال الذى لا نجده فى مصر ، وكان حازما ملحا فلم تجد بدا من أن تسمع له وتستجيب لدعائه . فصرفت الخادم ونهضت فغابت عنه قليلا فى غرفة مجاورة متصلة بالغرفة التى كان فيها . ثم عادت اليه وقد اتخذت زيها المنظم المنسق الذى عرفه فى القاهرة ، فلما رآها اطمأن الى هذا الزى الذى كان يألفه ، ولعله أسف على ذلك الزى المهمل الذى كان أعجبه والذى كان قد أخذ يطمئن اليه . وما هى الا لحظات حتى كانا يسعيان معا فى هذه الطريق الجميلة على ساحل البحر تلك التى يسمونها فى نيس طريق الانجليز .

وكان طرفه حائرا بين البحر وهذه الفنادق الضخمة المشيدة . وهؤلاء الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون ويجيئون فى هذه الطريق وقد اتخذوا للرياضة والشاى زينتهما . لكنها لم تتح له الاستمتاع بهذه الحيرة ، فما أسرع ما ردته الى مصر وحديثها ، وعادت تسأله عن المصريين كيف تركهم . قال ولم يخف شيئا من الضجر الباسم العابث تركتهم من خمسة أيام كما تركتهم أنت منذ عشرة أيام ، وكما سيتركهم كل مسافر ويلقاهم كل عائد ، وكما يترك كل

« البقية على صفحة ٣٩ »

التجديد فى الأدب

للأستاذ احمد أمين

٤

الشعر

من قديم حاول الأدباء والنقاد أن يضعوا تعريفا للشعر فاختلفت تعاريفهم لاختلاف أنظارهم ، ولأن كلمة الشعر استعملت فى معان مختلفة ، فكان كل أديب يعرفه حسب نظره ، وحسب المعنى الذى يرمى اليه ، وكان سواء فى ذلك أدباء العرب والفرنج

ذلك أن الشعر - على العموم - يتكون من عنصرين اساسين وهما الوزن والقافية أولا ، وإثارة المشاعر ثانيا ، فاذا فقد الكلام عنصرا من هذين العنصرين لم يصح أن يسمى شعرا ، غير أن بعض العلماء طغى عليه النظر الى عنصر الوزن فعرفه تعريفا أفقده روحه ، فقالوا أن «الشعر هو الكلام الموزون المقفى» ومثله قول بعض الفرنج «أى كلام موزون يسمى شعرا سواء أكان جيدا أم رديئا» وعلى هذا التعريف فالفية ابن مالك شعر ، وقواعد الحساب المنظومة شعر ، والمتون الفقهية المنظومة شعر - كما أن بعض العلماء طغى عليه النظر الى روح الشعر ومعناه فعرفوه تعريفا أفقده موسيقاه ، كالذى قال بعضهم «الشعر فيضان من شعور قوى نبع من عواطف تجمعت فى هدوء» ومثله قول رسكن : «الشعر ابراز العواطف النبيلة من طريق الخيال» وهو تعريف يصح أن يكون للأدب كله نثره وشعره بل للفن جميعه من أدب ونحت وتصوير وموسيقى

وابن خلدون نقد التعريف بأنه الكلام الموزون المقفى وقال انه ان صح تعريفا عند العروضيين لا يصح عند البلاغيين ، ثم اختار أن يعرفه «بأنه الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى ، مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله ، الجارى على أساليب مخصوصة» وعيب هذا التعريف أنه ممل وأنه لم يلتفت الى مزية الشعر وروحه وهو أثارة المشاعر ، واستقلال كل جزء منه فى غرضه ومقصده ليس من العناصر الأساسية التى يصح أن تدخل فى التعريف

فلو قلنا ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى المنبعث عن عاطفة والمثير لعاطفة كان تعريفا أقرب الى الصواب

فاذا وجدت نوعا من الأدب يجمع الوزن والاتصال بالمشاعر فسمه شعرا والا فلا

والشعر يثير المشاعر بما فيه من خصائص - فأولا - بأوزانه وقوافيه ، ولذلك كان المعنى الواحد اذا قيل مرة شعرا ومرة نثرا كان فى الشعر أقوى أثرا - وثانيا - بلغته ، فللشعر لغة غير لغة النثر ، ولسنا نعنى بلغة الشعر الكلمات الغريبة أو أنواع البديع أو نحو ذلك ، فقد يكون الشعر فى منتهى الرقى وكلماته فى منتهى السهولة ، وهو كذلك خلو من كل أنواع البديع ، أنما الذى نعنيه أن للشاعر ملكة لا يمكن أن نوضحها تمام الوضوح ، بها يستطيع أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث للمشاعر . وهو كذلك يضعها فى قوالب يتخيرها من القوالب العديدة والتراكيب اللغوية المختلفة ، وهذا هو ما يجعل الشاعر شاعرا فقد يكون عندنا شعور فياض كالشعور الذى عند الشاعر أو أغزر منه ولكن ليس لنا هذه القدرة على الافصاح واختيار الألفاظ والقوالب والتراكيب - ومن ثم كان من المستحيل ترجمة الشعر الى شعر ، لأن الترجمة لا تريناما للشاعر من قدرة فنية على أختيار الألفاظ والأساليب ، والذى نترجمه هو المعنى الذى حواه الشعر وما فيه من تصوير وخيال ، ويعد المترجم أمينا اذا هو أستطاع أن ينقل هذا ، أما طريقة الأداء فلا يمكن ترجمتها ، نعم ان بعض الشعراء قد يقرأ القطعة من الشعر ويكون له قدرة فنية فيصوغ هو شعرا مستمدا من وحى ما قرأ ، وقد يجرى مع الأول فى واد واحد وتكون له عذوبة ما للأول ، ولكن ليس هذا ترجمة على الاطلاق

كذلك يثير الشاعر الشعور بما عنده من لطف النظر أو الالهام أو اللقانة أو ماشئت فسمه ، فللشاعر روح غامض طبع عليه لا يكتسب بتعلم . به ينظر الى الأشياء نظرا خاصا ، وبه ينبعث الشعور عند السامع . ولعل هذا هو الذى جعل شعراء العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا ينفث فيه الشعر . ولأمر ما خلط العرب فسموا النبى شاعراً أحيانا وكاهناً أحيانا (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)

وللشاعر نظر باطن للحياة يغوص فيها ويستخرج معانيها ويعرضها في شعره – ولأن الشعر هو معنى الحياة كان شعر كل عصر مرآة له . وقديماً قالوا : (الشعر ديوان العرب) والحق أنه ديوان الأمم تسجل فيه حياتها وأفكارها ومشاعرها. فالشاعر يعطينا صورة روحية حية أكثر مما يعطينا إياها التاريخ. والشعراء عادة في مقدمة قومهم شعوراً ، وشعرهم إيذان بالفلسفة وإرهاص لها ، فهم يلهمون الشيء إلهاما غامضا ، ثم يتضح ما ألهموا به على مر الأزمان ، وتأتي الفلسفة بعد فتشرح وتحلل وتدلل .

ه ه ه

أما الوزن في الشعر فهو موسيقاه ، وله قيمة كبرى في الشعر حتى عد أهم فارق بينه وبين النثر ، والشعر يحلو بالموسيقى الجيدة ، ويضعف شأنه إذا ساءت موسيقاه. وارتباط الشعر بالموسيقى أشد من ارتباط الفنون الأخرى كالنقش والتصوير ، حتى كان الرومان يقولون : ان الشعراء ليسوا إلا مغنين يترنمون بشعرهم ، ويغنون به لأنفسهم ولمن شاء أن يردده بعدهم ،

ومن أنواع الشبه بين الموسيقى والشعر ما لاحظه بعضهم من أن كلا منهما يتنوع أنواعا متماثلة . فالصوت يختلف عن الصوت من نواح أربعة : (١) من ناحية الطول والقصر (٢) والغلظة والرقة (٣) والارتفاع والانخفاض (٤) ومن ناحية مصدر الصوت كعود أو قانون .

وهذه النواحي الأربعة يمكن أن نراعيها في الشعر ، فمن النوع الأول اختلاف التفاعيل طولا وقصراً ، فالرجز أقصر في التفاعيل من الطويل وهكذا . ولهذا الاختلاف تأثير كبير في الأذن الموسيقية .

كذلك نرى في الشعر ما يتناسب مع الشدة والضعف ، والغلظة والرقة . فالشعر قد يناسبه – أحياناً – حروف وكلمات ضخمة قوية ، وقد يناسبه حروف وكلمات لينة رخوة ، كالذي قالوا في قوله :

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجل الحب؟

فالشطر الاول قوي شديد والثاني رخو ناعم

وفي الشعر ما يناسبه الهدوء والدقة كشعر الغزل ، ومنه ما يناسبه الشدة والبطش ، ويناسبه أنشاده في قوة وجلبة كشعر الحماسة

ونلاحظ في الموسيقى أن النغمة الواحدة اذا وقعت على الكمنجة ثم وقعت بعينها على البيانة كانت النغمتان مختلفتين تأثيرا ، وهذا يقابله في الشعر القافية ، فالقصيدة على قافية قد يكون لها أثر لا يكون إذا قيلت على قافية أخرى وهكذا

والشعر أقل تقدما وأبطأ خطى من النثر ، سواء في ذلك اللغة العربية وغيرها من اللغات ، وسبب ذلك على ما يظهر أن الشعر لغة العواطف ، والنثر لغة العقل ، والمشاعر والعواطف قليلة التغير بطيئة الرقي ، وما حدث فيها من تغير فأكثره تغير في الشكل لا في الموضوع ، أما العقل فراق أبدا ، وثاب في الرقي ومظهر ذلك الرقي العلمي الذي نحسه من سنة الى أخرى ، ولأن الشعر تعبير شخصي وأعني بذلك أن الشاعر يعرض علينا في شعره مشاعره ونظراته الى الحياة واحساسه بها ، أما الناثر فعالمي انساني يعرض الشيء كما هو لا كما يرى ، تحس في الشعر دائماً بالشاعر يحدثك عن نفسه ، وتحس في النثر بعقل يخاطب عقلك ، وان شعرت بالناثر فمن وراء حجاب ، ومن أجل هذا خضع النثر للمنطق ولم يخضع له الشعر ، ترى في الشعر غلوا ومبالغة لا يرضاها المنطق ، وتناقضا لا يقره المنطق ، وتحكما في الحكم لا يؤيده المنطق ، وتخبطا وهراء يغتفرهما العقل في الشعر ولا يغتفرهما في النثر – وهذه الظاهرة وهي سير النثر الى الأمام في سرعة وقفز ، وسير الشعر في بطء وتمهل ، هي التي جعلتنا نتذوق الشعر العربي في العصر العباسي وما بعده أكثر مما نتذوق النثر في ذلك العصر ، لأن الصلة بين نثرنا والنثر القديم صلة ضعيفة قد خالفناها كل المخالفة ولم يبق منها الا أساس التركيب الذي تقتضيه طبيعة اللغة ، بل أن مسافة الخلف بين نثرنا والنثر من عشرين سنة بعيدة كل البعد ، وعلى العكس من ذلك الشعر ، فالفرق بين الشعر القديم والحديث قليل تافه ومع هذا – فالشعر يجب أن يخضع لسنة النشوء والارتقاء ، ويجب أن يتقدم ويجاري الزمان كما حدث في الشعر الغربي

يجب ان يتقدم الشعر في كل من عنصريه عنصر الوزن وعنصر المعنى ؛ ففي الوزن نرى ان العرب في الجاهلية صبت شعرها في ستة عشر بحراً ، وكان خضوعها لهذه البحور لا لأنها حصرت كل ما يمكن أن يكون ، ولكن ابتكروا أولا بحرا أو بحرين ثم جاء الخلف فزادوا هذه البحور شيئا فشيئا لا يهديهم في الابتكار الا الأذن الموسيقية : وهم لا عيب عليهم في ذلك

ولكن العيب عيب من أتى بعدهم فقدسوا هذه البحور ولم يشاءوا ان يخرجوا عنها قيد شعرة، وقد تحكم العلماء والادباء فى اذواق الناس فابوا عليهم أن يقولوا فى غيرها أو ان يشذوا ولو قليلا عنها. وهو تقديس فى غير محله، لأن أوزان الشعر كما قلناهى موسيقاه، وكما تطورت الموسيقى فى العصور واخترعت نغمات وولد من القديم نغمات جديدة، وكانت موسيقى العصر العباسى غير موسيقى العصر الاموى، وهما غير موسيقى الجاهلية، كان واجبا ان يغير الشعراء موسيقى الشعر ولا يقفوا عند الحد الذى رسمه الجاهليون، وعجيب أن نسمح فى عصرنا للموسيقى الشرقية أن تطعم بالموسيقى الغربية ونهيء آلاتنا للتوقيع عليها بهذه النغمات الجديدة، ونهيء آذاننا لسماعها ثم لانفعل ذلك فى الشعر! نعم أخذ بعض الناس يتحللون من قيود البحور والقوافى الجاهلية كما فعل الأندلسيون بالموشحات وما اليها، ولكن وقف من بعدهم على اختراعهم ولم يسيروا على سننهم فى التقدم

يجب أن يتحرر نوابغ الشعراء من هذه القيود ويشعروا بما يحسون، ويوقعوا على النغمة التى يرتضون، وليس الحكم بيننا وبينهم هو البحور الستة عشر، ولكن الحكم هو الأذن الموسيقية، والأذن الموسيقية وحدها، وكما نرجع فى كل فن الى الخبيرين نستفتيهم ونحتكم اليهم، فكذلك فى هذا الضرب يجب أن نحتكم الى من رقت أذنهم الموسيقية وأذواقهم الفنية، وليس فى هذا ضير ما على ثروتنا القديمة فى الشعر، فأنا باختراعنا بحورا وأوزانا نزيد فى ثروتنا الى ثروتهم كما نزيد فى موسيقانا الى موسيقاهم وفى علمنا الى علمهم.

أما من حيث الموضوع ومعانى الشعر فمجال القول فيه أوسع، وتقصير الشعراء فيه أبين، ولئن كانت كل أمة تعد الشعر ديوانها تسجل فيه نزعاتها وآمالها وحياتها، فأنى أخشى أن يكون الشعر العربى سجلا ناقصا لم يدون فيه الا وقائع قليلة من نزعات كثيرة، وصفحات ضئيلة من حياة حافلة مركبة معقدة. لقد دون الشعر كثيرا من وقائع المديح والرثاء والغزل والخمريات وما اليها وهذا حسن، وهو ضرب من الشعر لابد منه، ولكن ليس هذا كل مشاعرنا ولا أكثرها. لقد مررت فى هذا العام على تلاميذ مدارس ثانوية خارجين من لعب الكرة فسمعت بعضهم يصيح «يامحى ديل العصفورة، ومدرستنا هى المنصورة» فجرت من عينى دمعة على مانحن فيه من ضعة وانحطاط، وقلت أين الشعراء يضعون الأناشيد تجارى نفسية الطلبة، وترقى من مشاعرهم، وتزيد فى روحهم حماسة وقوة، وتميز الطبقة المتعلمة من طبقة العامة وأمثالهم؟ وأنى كشافة العراق ينشدون الأناشيد المختلفة فى المناسبات المختلفة، فلم يجد كشافة مصر مايحيونهم به ويساجلونهم فيه الاهراء من الكلام وسخفا من الغناء، ثم أين الشعراء يضعون أغانى للشعب وأغانى للمتعلمين تناسب حياتهم وموقفهم الاجتماعى؟ نعم تنبه بعض الشعراء لهذا ووضعوا أغانى أرقى مما وضع من قبلهم، ولكن أكثرها بكاء وحنين وذوبان، وهى من الأدب الذى سميته أدبا مائعا، والذى لايصح لأمة ناهضة أن تقتصر عليه، بل أين شعراء الشرق الذين تغنوا بما حوته طبيعة بلادهم من جمال وأبداع فرقوا ذوق شعوبهم وأشعروهم بجمال الطبيعة، وغذوا عواطفهم وعودوهم تقدير الجمال والهيام به؟ لقد قصر شعراء العرب قديما وحديثا فى هذا الباب، فلا نعثر منه فى الأدب العربى الاعلى قليل، وهذا القليل لا يكفينا الآن ولا يسد رغباتنا. لان شعر الطبيعة قد رقى عند الأمم وأصبح مؤسسا على شيئين لابد منهما، وهما علم بالطبيعة ومعرفة بقوانينها، وحب للطبيعة وهيام بها، ثم صياغة ذلك كله فى قول ساحر جذاب.

وهذا الضرب من الشعر قطع فيه المحدثون من الغربيين شوطا بعيدا وسبقوا فيه من قبلهم بمراحل طويلة — وبعد هذا كله — أين الشعر الاجتماعى العربى الذى يساير نزعات أمم الشرق ومطامعها وآمالها فى الحياة؟ أن أمم الشرق تنزع إلى الحرية وتأمل أن تتبوأ فى العالم الأنسانى المكان اللائق بها، وتنشد ضروبا من الأصلاح الاجتماعى ترى الحاجة ماسة اليه، وكلها مجال فسيح للشعر يلهب حماستها ويقوى إيمانها ويهديها سبل الحياة. فأين الشعراء الذين وقفوا هذه المواقف وقادوها قيادة صالحة؟

ان عواطف الأمم الشرقية ساغبة تنتظر من يغذيها ولا تجده.

الحق أن أدباء النثر قد أدوا رسالتهم خيرا مما أداها أدباء الشعر، وفى كل من الفريقين تقصير ؟

عمر بن عبد العزيز

٦٢ - ١٠١ هـ

للأستاذ عبد الحميد العبادى

ود الحكماء من قديم لو أن ملوك الأرض كانوا فلاسفة، أو لو أن الفلاسفة كانوا ملوكا: اذن لاقترنت السياسة بالأخلاق على أساس ثابت مطرد. وتعاونتا جميعا على النهوض بالمجتمع الإنسانى، ولاستحال عالمنا المضطرب جنة راضية ونعيما مقيما.

وكثيرا ما كتب الحكماء فى نظم عامة ابتدعتها أخيلتهم وزعموها توفر على الناس فى هذه الدنيا اللذة والسعادة، وتنفى عنهم الإثم والشقاوة: فعل ذلك أفلاطون فى «الجمهورية» والفارابي فى «أهل المدينة الفاضلة» وتوماس مور فى «أوطوبيا»، كما فعله كثير غير هؤلاء ممن ترسم آثار أفلاطون ونسج على منواله.

هذا الحلم الجميل تحقق أو كاد فى التاريخ مرة واحدة على ما نعلم، وذلك على عهد الخليفة العربى المسلم عمر بن عبد العزيز، فهو رجل ألقت اليه المقادير بزمام أعظم دولة فى الأرض فى زمنه، ومع ذلك استطاع أن يقدع شهوته حتى كاد يميتها، وأن يروض نفسه حتى ردها الى الرضا بالقليل الأقل. ثم تجرد لإصلاح رعيته من طريق العدل والرفق والرحمة، فأذاقهم لذة الأمن واليسر والرضا. وفوق هذا وذاك قد سامت همته الى ما وراء قومه وبلاده، فطمع أن يجمع شعوب الأرض طرا فى نظام واحد يقوم على مبادىء الإخوة والعدالة والمساواة. وقد وفق ابن عبد العزيز فى هذا المطمع البعيد توفيقا حد من مداره بالأسف، ان عجلت اليه المنية وهو لا يزال فى ميعة العمر وعنفوان الحياة.

***

قد اجتمع فى تكوين هذه الشخصية العجيبة عاملا الوراثة والبيئة معا، فأبوه عبد العزيز قد ولى مصر عشرين سنة دلت على ثقافته العالية واضطلاعه بأعباء الحكم، وبصره بتألف القلوب، وجده مروان بن الحكم هو ذلك السياسى الجرىء العارف بنفسية الأفراد والجماعات، والخبير بانتهاز الفرص عند أمكانها. وأما نسبه لأمه، فأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكفى بانتسابه الى تلك الشخصية العظيمة تعريفا بسبب من أسباب ورعه وجرأته فى الحق على نفسه وغيره.

وليس أثر البيئة فى تكوين ابن عبد العزيز بأقل من أثر الوراثة، فقد ولد بالمدينة عام ٦٢ هـ وشب بها على أصح الروايات. فلما ولى أبوه مصر عام ٦٥ هـ حمل اليه. ولبث بمصر زمنا ما، نعم فيه بصحبة أبيه ومشاهدة آثار الحضارة المصرية والبيزنطية، وهنا رمحته دابة فشج شجته التى عرف من أجلها بأشج بنى أمية. فلما بلغ سن التأديب بعث به أبوه الى المدينة ليتأدب بها وينشأ نشأة أسلامية مدنية. وكانت المدينة اذ ذاك بيئة مركبة غير بسيطة، يعرف فيها من يحللها الروح الدينى الصحيح ماثلا فى نفر من بقايا الصحابة وكبار التابعين، أمثال أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. كما يعرف فيها الجانب الأرفه من الحياة ممثلا فى مثل عبد الله بن جعفر أول نصير لصناعة الغناء العربى، وطائفة من المغنين والقيان يتقدمها معبد ومالك بن أبى السمح المغنيان المدنيان الشهيران. ثم ان المدينة كانت اذ ذاك من الناحية السياسية موطنا للمعارضة التى تستند الى الكتاب والسنة فى مقاومة الحكومة الأموية. فى هذه البيئة تخرج ابن عبد العزيز، فروى الحديث عن حملته ورواته، ولقف صناعة الغناء وأعانه على المساهمة فيها صوت ندى عذب. كما أشرب روح الحكومة الاسلامية القديمة التى كانت تختلف عن الحكومة الأموية أختلافا كبيرا. الى ذلك كله كان ابن عبد العزيز فتى مليح الخلقة ناعما مترفا كعادة فتيان بنى أمية. يروى أنه أبطأ يوما عن الصلاة فسأله مؤدبه صالح بن كيسان عن سبب أبطائه فقال: «كانت مرجلتى تسكن شعرى» فكتب مؤدبه بذلك الى أبيه. فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق شعره.

***

فى عام ٨٥ هـ توفى عبد العزيز بن مروان بمصر، وكان ابنه عمر قد تم تأدبه بالمدينة، فاجتذبه الخليفة عبد الملك بن مروان الى الشام وزوجه من ابنته فاطمة، ثم ولاه (خناصرة) وهى بليدة من أعمال حلب واغلة فى البادية. فلبث واليا عليها سنتين كانتا من أنعم سنى حياته وحياة زوجه. وقد أعجبته خناصرة حتى أنه عندما استخلف اتخذها منزلا على عادة ملوك بنى أمية فى أيثارهم سكنى البادية على الحاضرة. وفى عام ٨٧ اختاره الخليفة الوليد بن عبد الملك لولاية المدينة بدلا من هشام بن اسمعيل المخزومى الذى أساء السيرة فى أهلها، ولا شك ان الوليد انما اختار عمر للمدينة لما يعلم من المشاكلة القوية بينه وبين هذه الولاية، ثم أنه بعد قليل ضم اليه مكة والطائف

فأصبح عمر بذلك أميرا على الحجاز كله .

كانت حكومة عمر بن عبد العزيز بالحجاز (٨٧ - ٩٣) حكومة شورية أبوية يمازجها من ناحيته الشخصية مقدار غير قليل من الحرص على الترف والتنعم . فلأول قدومه المدينة أصطفى عشرة من العلماء أتخذهم نصحاء ومستشارين يصدر في الأمور عن رأيهم . ثم عكف على أصلاح شئون الحجاز فهدم المسجد النبوي وأعاد بناءه على نحو أوسع وأروع ، وأصلح الطرق ، وأكثر من الآبار ، فتيسر بذلك الماء في ذلك القطر الظمىء ، كما أنه عمل بالمدينة فوارة يستقي منها أهلها . وقد أعجب الخليفة بتلك المنشآت عندما زار المدينة سنة ٩١هـ وأمر للفوارة بقوام يقومون عليها ، وان يسقى أهل المسجد منها ، ففعل عمر ذلك . ومن مظاهر بساطة عمر في أمارته بالحجاز أنه جلس مرة في المسجد يرتل القرآن بصوته العذب فتأذى بذلك سعيد ابن المسيب على غير علم منه بصاحب الصوت ، فلم ير عمر بأسا بأن يتنحى ناحية أخرى من المسجد . وبلغه ان قاضيه على المدينة استخفه الطرب عند ما سمع جارية تغنى حتى أخرجه من وقاره ، فعزله عمر ، ولكن القاضي المعزول تحدى الأمير لسماع الجارية ، فسمعها عمر وكاد هو أيضا يستخف . فعذر القاضي ورده الى عمله . وعند ما قدم الفرزدق الشاعر المدينة وكانت السنة محلة وخاف أهل المدينة لسانه رفعوا أمرهم الى عمر فأخرجه من المدينة ونهاه ان يعرض لأحد من أهلها بمدح أو بهجو . إما من حيث حياة عمر الشخصية في تلك الفترة فكان مترفا مسرفا في الترف ، يرخي شعره ويسبل أزاره ، ويلبس الثوب تبلغ قيمته مئات الدنانير ، ويكثر من الطيب حتى لتقصف ريحه اذا مشى مشيته « العمرية » وهي مشية كان يتبختر فيها ويختال ، ولملاحتها كانت الجواري تأخذها عنه .

حادث واحد نغص على ابن عبد العزيز أمارته على الحجاز : ذلك مصرع خبيب بن عبد الله بن الزبير فقد نقم الخليفة الوليد من خبيب أشياء بلغته عنه وكتب الى عمر أن يضربه ، فضربه عمر ضربا كان فيه هلاكه . وقد جزع عمر لذلك جزعا شديدا . ويقولون أنه لبس المسوح سبعين يوما حدادا على خبيب . ثم أقلع عن ذلك . فلما استخلف دفع دية خبيب الى أوليائه . ومع ذلك كان يرى أن الله لابد مؤاخذه بذلك الذنب . فكان اذا بشره أحدهم بالجنة قال : « وكيف بخبيب ! »

وغدا الحجاز ينعم بأمن وعافية مما أبتليت به الأمصار الاخرى ولاسيما العراق من الفتن والقلاقل . ولذلك أخذت فلول ثوار العراق والخوارج تفد على الحجاز فرارا من وجه الحجاج وسيفه المسلول . فكان ابن عبد العزيز يجيرهم ويحميهم . ثم لم يكتف بذلك فكتب الى الخليفة يندد بعسف الحجاج وبطشه . فاضطغنها الحجاج عليه وكتب الى الخليفة يشكو من أن أمير المدينة يجير « مراق » العراق وان ذلك موهن له . وقد نظر الخليفة في الأمر مليا . ثم رأى ان يشد أزر الحجاج في هذه الخصومة . فالعراق أخطر من الحجاز . والحجاج أولى بالمصانعة من عمر بن عبد العزيز . فصرف عمر عن الحجاز بأميرين أحدهما للمدينة والآخر لمكة . فكان أول ما صنعا أن أخرجا من الحجاز الى الحجاج كل عراقي في الجوامع والأغلال . وتوعدا كل حجازي أنزل عراقيا أو آجره دارا .

***

خرج ابن عبد العزيز من الحجاز الى الشام مغاضبا للخليفة الوليد ، وقد ساءه ان عزل عن أمارة المدينة حتى قال لمولاه مزاحم وهو ببعض الطريق : « أخشى أن أكون ممن تنفيه المدينة » أشارة الى الحديث الوارد في ان المدينة تنفي خبثها . فلما حصل بالشام شغل نفسه بالغزو فرارا من وجه الوليد والتماس الأجر والسلوة . فلما توفي الوليد عام ٩٦ وولي سليمان بن عبد الملك لزمه عمر ، وكان أثيرا عنده يستشيره سليمان وينزل على رأيه في كثير من الأمور . على ان عمر نفعه أن عزل عن الإمارة على النحو المتقدم فقد دفعه ذلك في السنوات الست التي قضاها بالشام قبل ان يستخلف (٩٣ - ٩٩) الى النظر في حال الدولة العربية في أواخر القرن الأول الهجري

نظر فإذا الدولة الإسلامية قد أبعدت في التخلي عن الصفة الدينية التي كانت لها قديما ، وأسرفت في الاصطباغ بالصبغة الزمنية المتطرفة ، أليست حكومة عبد الملك والوليد والحجاج ويزيد بن المهلب حكومة تجبر وطغيان ؟ أليست حكومة سليمان حكومة الشهوة العطشى والجسد المنهوم ؟ لقد أصبح السلطان يعتمد في شد أركانه وتقوية دعائمه على القوة الغشوم والسيف المرهف . أما العدل ، وأما الرفق ، وأما الرحمة . فلم يعد لكل ذلك عنده محل ولا حساب . ونظر فإذا أموال الدولة قد عراها الخلل والإضطراب من كل نواحيها . فنحو ثلث أموال الدولة قد استحال ملكا خاصا لبني أمية ، وأكثر الضرائب يجبى من غير وجوهه ، ويصرف في غير مصارفه الشرعية . فكثير من الأراضي الخراجية التي لا يصح تملكها قد استحالت أرضا عشرية يتملكها أفراد من المسلمين يؤدون عنها الزكاة التي مقدارها أقل من مقدار الزكاة . وكثير من الموالي أو مسلمي الأعاجم لا يزالون مع أسلامهم يؤخذون بالجزية لغير ما سبب سوى أن العمال لحظوا في أسلامهم معنى الفرار من الجزية فأبوا ان يعفوهم منها . هذا فوق ان هؤلاء الموالي لم يكونوا

والعرب سواء فى الحقوق، فكانوا يغزون الى جانب العرب دون ان يكون لهم عطاء. ثم ان عدم أنفاق الزكاة في مصارفها الشرعية قد أدى ألى كثرة الفقراء والمساكين والمرضى والزمنى ممن جعل لهم الشرع حقا فى الصدقات العامة. ثم نظر فرأى بأس الأمة الإسلامية بينها شديد، قد توزعتها الفرق المتباغضة والأحزاب المتناحرة، فن شيعة يطوون الصدور على الاحن لما نالهم به بنو أمية من أذى ومساءة، ومن خوارج يتحينون الفرص لهدم النظام القائم وأحلال نظامهم محله، ومن موال قصاراهم الا يسوى بينهم وبين العرب فى الحقوق العامة، ومن مضرية ويمنية وربعية، كل يحاول ان يكون له النفوذ السياسى من طريق الولاية على الأقاليم والتأثير فى السلطان نفسه. هذا فى الداخل، أما فى الخارج فرأى عمر ان الجهاد الذى شرع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمنع العدوان على النفس والعقيدة، والذى كان على عهد الشيخين ضرورة اقتصادية ملحة، قد استحال فى زمن الأمويين أداة للتوسع فى السلطان، وجر المغنم الوافر، والسبى الرائع، حتى قال الشاعر:

الا ذهب الغزو المقرب للغنى … ومات الندى والجود بعد المهلب

نظر عمر فى كل ذلك فرده الى سبب جوهرى واحد هو انحراف الجماعة الأسلامية عن الاساس الذى قامت عليه، أساس الدين. والدين عند عمر هو الدين المتصل بالحياة العامة يمدها ويغذيها بقوته المعنوية، والممسك لشئون الجماعة ان تضطرب وتصبح فوضى، هو الدين الذى أثره فى الحاكم شعور قوى بالمسئولية وعمل صادق على أسعاد العباد والترفيه عنهم، والذى أثره فى المحكومين اقتضاء للعدل اذا حرموه، وأنفة من الضيم والذل اذا ما أريدوا عليهما، الدين عند عمر بن عبد العزيز: هو الحق والإنسانية عبر عنهما بلفظ واحد.

وبينا عمر يرسل الفكر فى أنحاء الحياة الإسلامية العامة متعرفا عللها اذا به فى الوقت نفسه قد اخذ يخضع لتطور نفسانى عنيف. لقد اخذ حرصه على الترف والتنعم يضعف رويداً رويداً، وميله الى الزهد والتنسك يقوى شيئا فشيئا، واصبحت نظرته الى الحياة نظرة الى متاع قليل زائل، لا يعدل شيئا بجانب طمأنينة النفس وراحة الضمير، كما أصبح دائم التفكير فى الموت وفيما بعد الموت، فالموت آت لا ريب فيه؛ والموت برزخ مؤد اما الى جنة واما الى نار، والمنتهى على كل حال رهين بما يكون عليه المرء فى العدوة الدنيا من ذلك البرزخ الرهيب.

ما سر هذا التطور العجيب الذى جعل من ابن عبد العزيز الناعم المترف ناسكا زاهداً متصوفا؟ تتبين ذلك السر فى نفسية ابن عبد العزيز من جهة؛ وفى مقدار تأثره بالحياة الاسلامية العامة لذلك العهد من جهة أخرى. لقد كان فى عمر نزوع طبعي الى الزهد، فهو كما رأينا من سلالة عمر بن الخطاب؛ وكان فى طفولته يحاول التشبه بخاله الزاهد عبد الله بن عمر، ولما تورط فى أمر خبيب لبس المسوح سبعين يوما يأسا من غضارة العيش. ولذاذة الحياة، فلما نصح بالاقلاع عن ذلك أقلع. ثم ان الحياة الاسلامية قد ألمت بها فى أواخر القرن الأول نزعة زهد جاءت كرد فعل للبادية التى طغت عليها اذ ذاك. هذه النزعة التى تحولت بعد الى الحركة الصوفية المشهورة تتبينها فى طبقة العباد والنساك التى يتكلم عنها صاحب العقد الفريد طويلا. وقد خضع عمر لتأثير هذه الطبقة وهو فى المدينة، فكان من أشد الناس تأثيرا فيه عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة. فلما صار بالشام خضع لتأثير رجلين يعتبران بحق من أقطاب عصرهما علما وزهداً وورعا. هذان هما الحسن البصرى ورجاء بن حيوة الكندى. أما الحسن فقد اتصل به عمر من طريق المراسلة، ولعله قد اخذ عنه كراهية القول بالقدر الذى ينسب الى الحسن خطأ. وأما رجاء فقد كان مستشار سليمان بن عبد الملك، وكان لذلك أقرب الى عمر وأقوى به اتصالا.

وبعد فلئن كان النظر فى الأحوال العامة قد انتج لعمر ضرورة الرجوع الى الدين فى اصلاح غيره؛ فقد انتج له مزاجه الخاص وتأثره بالزهاد من أهل عصره ضرورة الزهد من اجل اصلاح النفس وتهذيبها. الدين والزهد، هاتان هما الخلتان اللتان كانتا تعمران فؤاد عمر وقلبه عندما أخذ صلحاء الشام يرشحونه للخلافة.

(يتبع)

الثقافة المصرية

وكيف تستفيد من ثقافة الجاحظ

الأدبية والعلمية والسيكولوجية

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف المحامي

دعونا فى مقال نشر بالسياسة الاسبوعية ألى الرجوع إلى الثقافة العربية بدوية كانت أم حضرية ، وأهبنا بالمثقفين ثقافة عالية أن يصرفوا جهودهم ألى بعث تلك الثقافة ، وتغذية ثقافتنا المصرية بمادة مفيدة صالحة ، وذكرنا فى ذلك المقال أسماء بعض زعماء الثقافة العربية . ومن بينهم أبو عثمان بن بحر الجاحظ أحد أعلام العصر العباسى ومن أكبر زعماء الفكر الأسلامى .

وهانحن أولاء نعود ألى هذه الدعوة ، وتأييد تلك الفكرة ، بذكر شيء من ثقافة الجاحظ الواسعة ، تلك الثقافة التى يباهى بها العرب ويعجب لوفرتها الجيل الحاضر ، لأنها ثقافة تزيد فى الوفرة على ثقافة جوت الألمانى ، وديدرو الفرنسى ، ودستوفسكى الروسى ، وغيرهم من ذوى الثقافات الواسعة الرفيعة .

والحق أنى بعد أن تصفحت جمهرة من مؤلفات الجاحظ وما كتب عنها ، لم أجد وصفا أصدق عليها من أنها كالبحر اللجب الزاخر . تحوى الجوهر كما تحوى الصدف ، فأنت أذا تناولت تلك المؤلفات ألفيت بحوثا شائقة فى الأدب ، وملاحظات قيمة فى العلم ، ومعلومات رائعة فى سيكولوجية الأنسان والحيوان . وأفكارا كالأمواج متزاحمة متلاحمة تشرق عليها أنوار الثقافات الفارسية واليونانية والهندية .

هى ثقافة ثرة متعددة النواحي يتطلب تصويرها كتبا مفردة . ولكنى سأحاول أن أتناول فى اختصار ثلاث شعب منها . وهى ثقافة الجاحظ : الأدبية ، والعلمية ، والسيكولوجية . وا كتفى برسم خطوط لتلك الثقافات تاركا أخراج صورة كاملة لها لمن هم أقدر منى عليها ، وغايتى من المقال كما سبق أظهار روائع الثقافة العربية ، وبيان صلاحيتها لتغذية ثقافتنا المصرية ، أذ فيها خير مادة لنا وخير ثقافة .

ثقافة الجاحظ الادبية

ونحن أذا قلبنا البصر فيما صدر عن الجاحظ من المؤلفات الأدبية الفصيحة الكثيرة . أدركنا قطعا نفع تلك المؤلفات لثقافتنا ، وصلاحيتها لتغذية ألهاماتنا . ويحتاج بحث هذه المؤلفات ألى كتاب مفصل . ولكنى سأقصر بحثى على وصف رسالة الجاحظ الموسومة « بالتربيع والتدوير » وهذه الرسالة اعتقد أنها تكفى لرسم صورة تامة عن أدب الجاحظ وأسلوبه الرصين المونق . ومعانيه البليغة . وميله ألى خلط الجد بالهزل فى كتاباته . وهذه الرسالة مدبجة فى احمد بن عبد الوهاب من معاصرى الجاحظ ومن ذوى النفوذ والمقربين لدى الخلفاء ، وهى تمثل فى أوضح بيان جمال الرصف ، والقدرة على ملكية العبارة . ومن المستحسن أن أصف هذه الرسالة وآتى بفقر منها : ابتدأ الجاحظ الرسالة بالقدح فى احمد والزراية بعقله . وطرح عليه مائة سؤال منها الخفيف ومنها الثقيل . ومنها الجدى ومنها المضحك ، حتى أذا ما آذاه وجرحه جرحا يكاد يقطر دما ، وأدرك فداحة ماصنع . أسرع الى قلبه فمسحه من الدم ودهنه بالمرهم ليأسو الجرح ، ويداوى مابضع سنان القلم ، فأخذ يقدم وجه العذر ، ويدير اليراع بالمغفرة ، ويزكى صفات احمد ويطنب فى مدحه ويسرف . فها هو ذا يسم احمد فى مفتتح الرسالة بالادعاء وينعته بالجهل بقول . — « كان احمد بن عبد الوهاب مفرط القصر . ويدعى أنه مفرط الطول . وكان جعد الأطراف قصير الأصابع . وهو يدعى السباطة والرشاقة . وكان كبير السن متقادم الميلاد . وهو يدعى أنه معتدل الشباب حديث الميلاد . وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها ، وتكلفه للأبانة عنها على قدر غباوته فيها . . . . وكان قليل السماع غمرا . . . يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها . ويحسد العلماء من غير أن يتعلق فيهم بسبب » .

واستطرد يقول بعد كلام طويل فصيح : — « فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا . وكدنا نعتاد مذهبه ونألف سبيله ، رأيت أن أكشف قناعه . وأبدى صفحته للحاضر والبادى . وسكان كل ثغر وكل مصر بأن أسأله عن مائة مسألة أهزأ به فيها وأعرف الناس مقدار جهله » .

وأخذ يلقى عليه الأسئلة فى خلال الرسالة ومنها قوله : — « خبرنى ماتقول فى القراسية ؟ وماتقول فى أسرار الكف ؟ وماتقول فى النظر فى الأكتاف ! وخبرنى متى تستغنى الحية عن الغذاء ! ومتى ينتفع الضب بالنسيم ! وخبرنى ما السجر وما الطلسم وما الدنهش ! وما قولهم فى اللبان الذكر !؟ » .

وبعد أن سقاه سخرا وأشبعه تهكما وجعله ضحكة الضاحكين

وهزأة الساخرين ، انبرى يشيدو بذكره ويتغنى بمدحه ، مما يجعلنا نعجب من الجاحظ ومن تناقضه الظاهر . ومن انقطاع الملابسة المنطقية بين هجوه الفارط المفرط ، ومدحه اللاحق المفرط . استمع اليه يقول في مدح أحمد : — « وهل على ظهر الارض جميل حسيب ، أو عالم أديب إلا وظللك أكبر من شخصه . وظنك أكثر من علمه ، واسمك أفضل من معناه ، وحلمك أثبت من نجواه . وصمتك أفضل من نجواه ! » . . ثم تأخذه الأنفة وتغطيه العزة ، فيتسامى على أحمد بالمعرفة ويتفاضل بالحكمة يقول : — فأنت والله يا أخى تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار انى أشد منك عقلا ، وأظهر منك حزما ، وألطف كيدا ، وأكثر علما ، وأوزن حلما ، وأخف روحا ، وأكرم عينا . . . وأنت رجل تشدو من العلم ، وتنفق من الأخبار وتموه نفسك ، وتعز من قدرك ، وتتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب » . . . وأخيراً يحس الجاحظ شدة ما ساقه من الذم اليه فيعمد الى تلطيفه ببيانه الساحر الجذاب فيقول : — « فان أنت عاقبتنى ، فقد رغبت عن النبل والبهاء ، وعن السؤدد والسناء ، وصرت كمن يشفى غيظا أو يداوى حقداً أو يظهر القدرة أو يحب أن يذكر بالصولة . . . .

ويشفع هذا بكلام يتنفس الملق والدهان يقول : — « وأنى لك بالعقاب وأنت خير كلك ، ومن أين اعتراك المنع ، وأنت أنهجت الجود لأهله ؟ وهل عندك الا ما فى طبعك ؟ وكيف لك بخلاف عادتك ؟ »

وأكتفى بهذا الاقتباس الطويل ، الذي تعمدت اطالته لاثارة القارىء لتلاوة هذه الرسالة برمتها ، ليتذوق جمالها الفنى وحلاوة عباراتها وعذوبة أدائها ، وهذه الرسالة عندى لا تمثل الجمال الفنى للعبارة ، بل انها تمثل جمال المعنى وبلاغته .

وللجاحظ رسائل أخر شائقة متقدمة فى الفصاحة متناهية فى الرصانة والسلاسة والجزالة ، وهى آية قائمة على تفوق الرجل فى أدب المقال وإحسانه فيه أقصى الاحسان . والمجال يطول بذكر شىء عن هذه الرسائل ونسرد أسماء بعضها ليدرك القارىء كيف تنبه الجاحظ منذ قرون لمعالجة موضوعات تهز العواطف والمشاعر والانفعالات . فرسالة البخلاء تحوى قصصاً غريبة عن بخلاء عصره وعاداتهم ، ورسالة الحاسد والمحسود تهجن الحاسد وتذم انفعال الحسد . ورسالة « العشق والنساء » تصف عاطفة العشق وكيف يخنع لها الجبابرة وكيف خنع لها الحجاج الطاغية . وكتابه « المحاسن والاضداد » تناول فيه ذكر محاسن كثيرة من العواطف الفردية مثل عواطف الصدق ، والعفو ، والمودة ، والوفاء ، والشجاعة ، والسخاء ، وحب الوطن : ومدح فيه انفعال الغيرة وذمه فى صفحات معدودة ، وهذا الكتاب لا تظهر فيه شخصية الجاحظ الخلاقة لأن مادته منقولة عن الأعراب . وعلى العموم فمؤلفات الجاحظ الأدبية بجملتها تفتق اللسان ، وتقوى العارضة ، وتمدنا بثروة واسعة من التعابير الجميلة ، وتعطر أفئدتنا وتنعش صدورنا بمعانيها اللطيفة الفريدة . يقول المسعودى فى هذا الصدد : — « كتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان . . . » ويقول ابن العميد : « كتب الجاحظ تعلم العقل أولا ، والأدب ثانيا . . . »

ثقافة الجاحظ العلمية

ويعنى ابن العميد بهذا القول أن يقول أن كتب الجاحظ تعلم العلم أكثر من أنها تعلم الأدب . والواقع ان كتب الجاحظ الأدبية لا العلمية تتضمن ملاحظات بارعة . وأشارات دقيقة ، ومعلومات قيمة ، يمكن أن تبنى عليها بحوث علمية رائعة

حدثنى أحد المهتمين بالثقافة العربية أنه قرأ رسالة التفاح للجاحظ فى مكتبة بألمانيا ، فوجدها بملاحظات وتجاريب للجاحظ مدهشة منها ان الجاحظ كان يكتب بمادة كيماوية بعض الأسماء على التفاحة قبل نضجها . فتظهر الأسماء على التفاحة بعد النضج ، وكأنها خلقت على هذه الصورة ، وكأن الاسماء نقشت على التفاحة نقشاً طبيعياً ، وذكر أن الجاحظ أبان فى هذه الرسالة كيف تتلون التفاحة فى الطبيعة : فالقمر يخلع عليها اللون الأصفر ، والشمس تهبها اللون الأحمر . وهذه الحقائق لا أعلم مبلغ صدقها . ولكنى أثبتها بقصد الاثارة للبحث عن هذه الرسالة ونشرها . ولا شك فى أن رسائل الأدب لا تخلو من معلومات مفيدة للعلم ، فما بالنا بالرسائل والكتب العلمية مثل كتب ـ النبات ـ والمعادن ـ والكيمياء ـ والطب ـ وغيرها التى لم نطلع عليها وا أسفاه الى الآن ، والتى أفاد منها الغربيون واستقوا آراءهم . فقد جاء فى دائرة المعارف الاسلامية أن كازوينى . وداميرى اعتمدا فى بحوثهما العلمية على كتاب الحيوان والنبات للجاحظ . ونحن وان كنا قد عثرنا فى مطالعاتنا على طائفة من حقائقه العلمية ، فأن هذه الحقائق تعتبر نقطة من محيط . وشعاعة من شمس ، قد يهدف ذكرها فى هذا الموضع الى سوء التقدير ، وغباوة الحكم ، ولهذا فأنى اكتفى هنا بتوضيح مذهبه فى البحث ، وطبعه العلمى ، وحبه للتحقيق والتدقيق ، فها هو ذا يقدم لأحد كتبه فى الحيوان بالتعوذ بالله من أن يدعوه شغفه باتمام كتب الحيوان الى أن يصل الصدق بالكذب . أو يدخل الباطل فى تضاعيف الحق . أو يتكثر بقول الزور . أو يتلمس تقوية ضعفه

باللفظ الحسن. وستر قبحه بالتأليف الموثق. وهذه الأقوال لا تصدر الا من رجل وهب ضميرا عليا يزعه عن الأوهام. وينزهه عن ذكر المغالط. ويدعوه الى التثبت من العلة. وتنقية الثقة من الريبة. وتطهير الحجة من الشبهة.

وأنا لنراه في كتبه ومؤلفاته يستند كثيرا الى التجربة. ويعتمد على الملاحظة. فاذا ما أعوزته التجربة. ولم تتيسر له الملاحظة. رجع الى ثقة من الثقات المذاكرة والمناقشة. فاذا لم يجد الثقة الذي يعتمد عليه ويتذاكر اليه. ربأ به ضميره عن نقل المعارف نقلا مهما كان مصدرها. فها هو ذا في كتب الحيوان تناول ذكر كثير من الحيوان والطير والحشرات، ورجع الى ما كتب أرسطو في الحيوان. وأخذ عنه بعض ما حققه بنفسه أو قامت التجربة على صدقه. ورفض أن يثبت في كتبه معلومات غريبة عنه. فنراه مثلا لم يكتب شيئا عن «السمك» مع ان ارسطو أفاض وأشبع القول في هذا الموضوع: ولكن الجاحظ أبى أن ينقل عن ارسطو شيئا في هذا البحث: وعلة ذلك أنه لم تتوفر له الملاحظة عن السمك وعن طباعه وأحواله، وأنه سأل البحريين عن بعض الحقائق الواردة في كتب ارسطو فلم يصل منهم على قول محقق: لهذا ترك هذا الباب كلية. ولم يكتب فيه حرفا.

وأنا لنتمنى أن نجد مثقفا مصريا أو شرقيا يخصص نفسه: وينفق عمره. في التنقيب عن كتب الجاحظ العلمية في مظان وجودها ومحال مكامنها. وينقلها الينا ليخدم بذلك الثقافة المصرية. لأن البحوث التي لدينا عن الجاحظ كلها موجزة مجملة: وكلها تركت الناحية العلمية جانبا. فالسندوبي قصر بحثه الواسع على - أدب الجاحظ - وتركه عليه. واستقى مادته من جمهرة صالحة من الكتب الادبية. والاستاذ خليل بك مردم كتب بحثا مجملا مفيدا عن الجاحظ وثقافته. والأستاذ أحمد أمين كتب فصلا بديعا موجزا عن الجاحظ، ومس الناحية العلمية مسا خفيفا. وليس من شك في أننا في حاجة الى من يدرس الجاحظ درسا واسعا من جميع نواحيه. واليوم الذي نجد هذا الرجل هو اليوم الذي نقع فيه على ثقافة ممتعة. ونواح طريفة للتفكير العربي.

ثقافة الجاحظ السيكولوجيه

ومن النواحي الطريفة لثقافة الجاحظ الناحية النفسية أو السيكولوجية. وهذه الناحية ماثلة بجلاء في طائفة من كتبه. وهي أشد ما تكون جلاء في كتب الحيوان السبعة. فقد تناول في هذه الكتب نفسيات الحيوان والطير والحشرات، وتحدث عن أخلاقها وطباعها وعاداتها. وضمنها معلومات عجابا وملاحظات دقاقا تشهد بسعة ثقافة الجاحظ. وبأنه أنفق عمرا طويلا في معاشرة الطير ومؤالفة الحيوان، ومراقبة الحشرات. وانه هام من أجل ذلك في الغياض وتوغل في بطون الأودية: وركب البحار، وسكن الصحارى. ونبض قلبه مع النبات. واهتز لسحر الطبيعة. ففي كلامه عن الحيوان تحدث عن نبالة الكلب. وذكر انه يتخير انبل موضع في المجلس. وتحدث عن القط وذكر أنه لئيم خؤون وشره شديد الشراهة. وفي الوقت نفسه يؤثر أولاده بالاكل على نفسه!

وتكلم عن الديك وأيثاره الدجاج على نفسه في سن الشباب: فاذا هرم صار أنانيا لا يعرف الا نفسه. وتكلم عن الفيل وجرأة قلبه. وقوة عزمه. بينما هو يفزع من القط فزعاً شديدا! وتكلم عن اليربوع وسعة حيلتها. وأنها علمت الفرس والروم الاحتيال، واتخاذ المطامير على تدبير بيوتها. وأفاض في ذكر عداوة الحيوان بعضه لبعض. فالأسد عدو للكلب يشتهي لحمه، والذئب يشتهي لحم الثعلب. والثعلب يصيد القنفذ وهكذا. وفي الفصول التي عقدها عن الطير أفاض في ذكر الحمام والعصافير. فذكر ان العصافير لا تقيم في الدار اذا خرج أهلها منها وأنها شديدة العطف والبر باولادها. وتحتمل الاخطار في سبيل الذود عنها. وتحدث عن الحمام فذكر حبه للناس، وأنس الناس به، وانه لا يهجر الدار اذا هجرها أهلوها وأنه لا يغير... وفي الفصول التي عقدها عن الحشرات تكلم عن النحل وكمال غريزته. وعن خلق الخلية ومافيها من غرائب الحكم وعجائب التدبير. وكيف يتضافر النحل في عمل الخلية. فمنه ما يقوم بجمع المادة من الشجر والزهر. ومنه ما يبني البيت، ومنه ما يقوم لعمل الشمع. وتكلم عن العنكبوت وبداعة نسجه. وطريقته الحكيمة في صنع مصيدة من خيوطه لايقاع الذباب وصيده. وتكلم عن عداوة القنفذ للحية، والحية للعصافير، والعصافير للجراد، والجراد لفراخ الزنابير. والزنابير للنحل. والنحل للذباب، والذباب للبعوض، وغير هذا من أجناس هذه المعلومات وأشباهها مما وعته صفحات كتب الحيوان. وقد ذكرنا وشلا منها، ولا ريب أن المشتغلين بعلم النفس يجدون في هذه الكتب معلومات قيمة مفيدة. وبالأخص المهتمون بعلم النفس التجريبي الحديث الذي تدور بحوثه على درس الحيوان والحشرات. فجدير بنا أن نهتم بهذه الكتب التي سبقنا الغربيون الى تعرف خطرها وقدرها ونباهتها.

الخلاصة

ونخلص مما تقدم الى أن الجاحظ كان رجلا مثقفا بكل معنى

ذو الفـــأس

للآنســة سهير القلماوى

ليسانسيه في الآداب

جان فرانسوا ميلين رسام فرنسي عاش في النصف الأول من القرن التاسع عشر . وقضى أخريات حياته في الريف على مقربة من غابة فونتينبلو حيث رسم لوحاته الريفية المشهورة . أشهر هذه اللوحات لوحة (الانجلوس) وهي تمثل فلاحة وفلاحاً

سمعا صوت جرس الكنيسة فهما يصليان خاشعين .. ومن أشهر لوحاته « ذو الفأس » وهي تصور فلاحاً متكئاً على فأسه وقد بلغ به التعب والبؤس أقصى درجات الألم . تلك الدرجة التي يشعر فيها الانسان أنه فقد حواسه .

جاء بعد الرسام ميلين ، الشاعر الامريكي أدوين مركهام فنظم قصيدة أوحاها اليه هذا الفلاح المتكئ على فأسه . ولقد أذاعت هذه القصيدة صيت الشاعر حتى أصبح يعرف باسم مؤلف ذي الفأس ..

وهذه قصيدة أوحتها إلى قصيدة الشاعر مركهام والرسام ميلين . ولقد راعيت فيها خاصتين من خواص الشعر العربي : وهما الوزن ، وتمام المعنى في البيت الواحد . وأهملت الخاصة الثالثة وهي القافية . وأشعر تماماً أن اهمال القافية لا يحس به ما دام المعنى كاملاً في البيت الواحد فهل يشعر القارىء بمثل ما أشعر ؟

الكلمة . ولأقصى درجة من درجات الثقافة العالية . فقد وعى أدبه ثروة وجمالاً وملاحة ، وحوى علمه براعة الملاحظة ، وصدق التجربة وتغلغلت نفسه في أعماق نفوس البشر ونفوس الحيوان . وسلك مذهب الحرية في الدين فأحب جمال الدين وشعر العقيدة . ولم يتحرج من اعتناق مذهب المعتزلة برغم مخالفته للرأى السائد .

وقصارى القول أن الجاحظ أديب العلماء ، وعالم الأدباء غير مدافع : وفيلسوف عملي لامذهبي وعالم يكثر الملاحظة والتفكير . وملاحظاته أغزر من تفكيره . فجدير بنا بعد هذا أن نتذوق ثقافته ونتذوق روح الحياة . وننشق عطر البحث ونستمتع بجمال الأسلوب ولذة المعرفة .

مصطفى عبد اللطيف المحامى

ذو الفـــأس

متكئاً ع الفـــأس في انكسار
منحنى الظهر من الهموم
ينظر في الأرض بلا انتباه
فليس إلا نحوها المصير .

.....

قد أوهنت عظامه السنين
وغضّنت جبينه العصور
وقسوة المسعى وراء العيش
قد أفقدته جزءه الانساني .

.....

من أطفأ الشعلة من حياته ؟
من رده وثوره سواء ؟
لا يعرف اليأس ولا الرجاء
لا يعرف الآمال والأحلاما .

.....

ما المجد عنده وما الجمال ؟
ما الجاه ؟ ما السمو ؟ ما الخلود ؟
ما أبعد الهوة بين هذا
وبين حلم العالم المنشود !

.....

أذاك من قد أبدع الرحمن ؟
أذاك من قد كون العظيم ؟
أذاك من قد خصه الجبار
بالعقل والعرفان والسلطان ؟

.....

يا سادة العبيد والأراضي
هذا الذى قد صنعت أيديكم !
هذا الذى قدمتم لقاء الـ
غفران والرحمة من باريكم !

.....

يا سادة العبيد والأراضي
كيف لقاء الرب يوم الدين ؟
يوم مثوله أمام الله
بعد سكون الساع والسنين !

سهير القلماوى

فى الادب المصرى القديم

فنون الشعر الفرعونى

القصائد — القافية — الاوزان — البديع — الجناس

للأستاذ حسين صبحى
مؤلف قصص الهدى

يحفظ التاريخ للمصريين القدماء سبق الابتكار فى كل ناحية من نواحى المدنية. فتراه يسجل لهم أولوية الصناعة. كما ينعتهم بالزراع الاول. ثم يقص علينا من أنباء بعثاتهم التجارية الى النوبة والى الشام والى العراق ماامكن لذوى المطامع منهم أن يستبسلوا فى الأغارة على هذه البلاد بين حين وحين. وهم اذ ينتصرون يملكون الارض ومن عليها فينشرون من أسباب المدنية بين أهل هذه البلاد ما بقى أثره الى اليوم فيها. سيواء كان فى أساليب الزراعة أو فى طرائق الصناعة أو طرق التجارة، أو كان فى اللغة والنحت والتصوير. أو الموسيقى والرقص والشعر، مما بقى أثره لهذا الوقت الحاضر، فروح كل فن أو مهنة أو صناعة تمت للعصر القديم فى أى من هــذه الاقطار بصلة.

وكما كان المصريون فى كل فن الأول، فقد كانوا أيضاً الشعراء الاول لهذا العالم، رأوا وأحبوا مايحيط بهم من جمال الطبيعة الهادئة، ومناظرها المتكررة الساكنة، فنظموا الشعر وقصّدوه فى وصف النيل ومجراه، وفى مطلع الشمس ومغربها. وفى فضية القمر وشحوبه، وفى خضرة الحقل ووحشية القفار. ثم عاشوا بين أسباب المدنية التى أقاموها فوجد الحب والبغض والحسد والشكر، وقامت الحروب وأقيمت الصلوات، وأحسوا كل هذه الصور فى الحياة فقالوا الغزل والحمد، وهجوا واستعدوا، وأشادوا واستنهضوا، وكان لابد لقول هذه الصور المختلفة من الحياة من قوالب تصاغ فيها، فخلقت القوالب وكانت القصائد والقوافى والاوزان والسجع، وتطور افتنانهم ورقى فدخلته التباديل، ولعب فيه الجناس اللفظى، اليست هذه كلها أحدث فنون الشعر العصرى؟

القصائد المصريه

منذ خلق المصريون القدماء لانفسهم الكتابة الهيروغليفية. وهم يكتبون الشعر فى صورة غير صورة النثر. يكتبونه مقطوعات مشطرة ثلاثية أو رباعية الشطرات. متقاربة الطول. مرتبطة المعنى. تستقل كل مقطوعة منها بمناسبة. تميز المقطوعة من غيرها، حتى فى أقدم صور الشعر. قبل أن يفطن المصريون الى ضرورة فصل الشطرات عن بعضها بنقط حمراء فى كتابته للدلالة على الوقف.

وانك لتجد فى القصيدة التالية مايعطيك صورة حقيقية لاقدم اشكال الشعر المصرى، وهى منقولة عن الأصل الهيروغليفى:

«أنت تبحر فى سفينك العطرى الخشب
يملأه الرجال من المقدمة الى السكان
فتصل الى مضيفتك العامرة هــذه
التى ابتنيتها لنفســك،

....

«يملأ فمك النبيذ والخمير
والخبز واللحم والفطير
وتذبح الثيران وتفتح الادنان
وتنشد الاغانى كلها أمامك،

....

«يضمخك كبير معطريك بالدهون الزكية
ويحمل اليك الاكاليل سقاتك
ويقدم اليك الطيور ناظر فلاحيك
كما يقدم اليك السمك صيادك،

القــوافى

وليس التشطير والمقطوعات وحدها هى ماتدل على شعرية النظم المصرى، وتميزه من النثر، لكن القوافى أيضاً تدل عليه وتميزه. ولو أنها من نوع غير الذى نعرفه فى شعرنا الحاضر فى أية لغة من اللغات. فقد كانت قوافى الشعر المصرى قوافى استفتاح، يستهل بها الشاعر ابيات قصيدته، ويكررها فى مستهل كل مقطوعة، كما ترى فى القصيدة التالية المنقولة عن الهيروغليفية، والمعروفة بقصيدة (جدل المتعب من حياته مع روحه):

شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من رائحة الدود
فى ايام الحر حين تكون السماء ساخنة
شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من صيد السمك
فى يوم الصيد حين تكون السماء ساخنة
شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من رائحة الطير
أكثر من مستنقع فيه أوز

الى آخر هذه القصيدة الطويلة التى تبدأ دائماً بـ (شوف كم هو بغيض اسمى) . وأنا اذ أعرب اللفظ المصرى القديم الى اللفظ الحديث الدارج (شوف) انما أريد أن أعطى القارىء فكرة صحيحة عن معنى اللفظ الاصلى الذى يراد به أكثر من الرؤية بالعين ، ومقصود به أن يلفت نظر القارىء او السامع فى تعجب لمبلغ التشبيه من نفسه ، ووقعه فيها . مما تحمله كلمة (شوف) الدارجة التى نستعملها فى حديثنا الآن عندما نريد لفت النظر والحس الى التعجب من أمر نهتم له .

الأوزان الشعرية

من النقائص الكبيرة فى دراستنا للغة المصريين القدماء ، عدم معرفتنا معرفة أكيدة لنطق الفاظها كما كانوا ينطقونها . وكل ما استطعنا أن نصل اليه فى هذا هو النطق الذى احتفظت به اللغة القبطية لالفاظها وهى تأخذها من المصرية فتكتبها بحروف اغريقية ، وتخضعها حتما لاختلافات كثيرة متباينة ، يرجع بعضها لاختلاف نطق اللهجات المصرية بين صعيدى وبحيرى وفيومى وأخميمى ، والبعض لاختلاف نطق حروف الكتابة الاغريقية عن المصرية ، والآخر لتدخل كثير من الكلمات الأجنبية فى المصرية ، وأخيرا لاضطرار الاقباط الى نحت كثير من الالفاظ الجديدة مما يتفق مع تطور العمران وازدياد مقتضيات الحياة ، واتساع أسبابها .

لهذا كله نعتمد فى أوزان الشعر على ما لدينا من الشعر المصرى المتأخر ، الذى كتب فى عهد المسيحية ، وبقى لنا باللغة القبطية يعطينا صورة هى أقرب الصور الى الاصل القديم من غيرها .

والثابت الآن من قواعد النحو والصرف فى اللغة المصرية القديمة التى أصبحت راجحة التفسير فى العصر الحاضر ، ان كل كلمة ذات معنى فى اللغة اسما كانت أو فعلا أو صفة — لم تكن تحتوى الا على حرف متحرك واحد شديد الحركة ، واذن فكل شطرة من شطرات الشعر المصرى تحتوى على وقفتين أو ثلاث او أربع ، هى مواقع الحروف المتحركة الشديدة الحركة ، بينها وهدات متفاوتة الطول والقصر ، تكون الميزان الشعرى للشطر ، وتكون بهذا الوصف ميزانا شعريا مطلقا لم تصل بعد الى ربط صنوفه وتبويبها

واليك مقطوعة من الشعر المصرى المتأخر بنصها القبطى مشار تحت مواضع الحركة الشديدة فى شطراتها بخطوط قصيرة ، والى جانبها تعريبها ولم أجد خيراً منها مثلا لبيان أوزان الشعر المصرى :

النص المصرى (بالقبطية)	التعريب
أرشان إز أومى بوك إيشمو	رجل آخر يذهب للخارج
تفز أورومى شاف أكتوف أبف إى	يدور سنة ثم يعود الى بيته
أتا أرخيليتس بوك إتازيف	لكن أرخيليتس ذهب للمدرسة
اس أوميشى إنهو ايناو أيف هو	فكم هى الأيام حتى انظر الى وجهه

البديع

والشعر المصرى يفيض بالبيان والبديع ، وهو فى كل أطواره وعهوده يدل على أن الشاعر المصرى لم يكن يكتفى بالسطر الواحد فى المقطوعة ليدل على معنى يريد أن يصوره فى صورة بارزة جميلة ، فاكسب بتلك الفصاحة لغته ثوبا أنيقا رقيقا ، صور دقة احساسه بما كان بين يديه من العبارات المتشابهة المعنى المختلفة الالفاظ البديعة الاختيار ، التى يقتضى تخيرها نعومة فى الذوق ، وعلوا لا يتفق لكل الناس . فهو يقول حين يتحدث عن « تحوت »

« يستيقظ القاضى - يظهر تحوت »

والقاضى هو تحوت إله الحكمة ثم يقول عن الملك .

« وعندئذ يتكلم اصحاب الملك
واجابوا أمام ربهم »

« البقية على صفحة ٢٤ »

نهضة الشعر العربي

وموسم الشعر

رسالة من الدكتور أحمد زكي أبو شادي

سيدي محرر «الرسالة»

اسمح لي أن أشكر لكم عنايتكم بخدمة الشعر العربي. ولقد أتيح لي الاطلاع على فاتحة العدد الأخير من «الرسالة»، إذ أشرتم الى حالة الشعر العربي بعد شوقي وحافظ ثم تكلمتم عن فكرة موسم الشعر، وإني حبًا في الإنصاف الأدبي وفي خدمة الحقيقة التاريخية أستأذنكم في التعليق على فاتحتكم بهذه السطور القليلة.

(١) لقد أصبتم في اشارتكم الى ضياع شعر المناسبات بعد شوقي وحافظ. وأما الشعر الفني الأصيل المتسامي بالنفس الانسانية فقد ازداد تألقه، وإن الشعب الذي يصقل عواطفه بمثل هذا الشعر والذي يتجه به الى مثل أعلى لن يكون الخاسر بفقدان شعر الحماسة الجوفاء والوطنية العمياء وأمداح المواسم المعهودة .... إن أحسن ما في شوقي وحافظ حي دائم، تضاف اليه الآن جهود الشباب الشاعر المثقف المتوثب. وقد أصبتم بقولكم: (إن الزمن الذي يمحص الأشياء فينفي البهرج الزائف، ويثبت الحق الصريح، هو الذي يعرف مكان هذه الجهود، من عالم الفناء أو من عالم الخلود).

(٢) بدأ نشاط (جمعية أبولو) منذ تكوينها في حياة كل من شوقي وحافظ، وبرنامجها هو هو لم يتبدل. وقد كان ولا يزال من المبادىء الأصلية للجمعية أن الشعر العربي لم يغنم فنياً من استخدامه في المناسبات السياسية وغيرها استخداماً لا ضوابط له. ويرجع للجمعية الفضل في وقف ابتذال الشعر في الصحف، والقضاء على جعله مادة للتكسب الوضيع، وفي الارتفاع بتعريف الشعر والتسامي بغاياته، مع العمل على ابراز المجهول من الشعر العصري الجيد وإظهار الشعراء القادرين الخاملين وما هم بالقليلين.

(٣) ستصلكم هذه الكلمة وعدد (أبولو) المخصص لذكرى المرحوم حافظ. ومن دراستكم له وللعدد الذي خصصناه من قبل لذكرى المرحوم شوقي ستقتنعون أننا لسنا من يجحد جمال القديم، فللفن جماله كيفما كانت صبغته ونزعته، وفي الوقت عينه لسنا من يتجاهل روح العصر والتطور الذي بلغته الفنون الجميلة جميعها اتجاهاً وتعبيراً، ونحن جد حريصين على أن ينال الشعر العربي نصيبه من كل هذا، واثقين من حيويتنا الشاعرة الفسيحة الأفق.

(٤) إن الروح العالمية التي دعتنا الى اختيار اسم (أبولو) لجمعيتنا ولمجلتنا هي نفس الروح التي نصت في دستور جمعيتنا على إقامة مهرجان سنوي، وعلى تمثيل العالم العربي. ففكرة إقامة موسم سنوي للشعر هي فكرة أصلية لجمعيتنا، وغير صحيح نسبتها الى أي هيئة أو فرد آخر، ولم يدر بخلد صديقنا الهراوي سوى استغلال الموسم النبوي للشعر الديني، ويرجع لأعضاء جمعيتنا الذين لبوا الدعوة الى اجتماعه الأول الفضل في التخلي عن هذه الفكرة والدعوة الى إقامة موسم سنوي للشعر الخالص، وكل هذا ثابت لا شك فيه.

(٥) لم تغضب جمعية (أبولو) إلا عندما رأت استغلال مبادئها وبرنامجها بأسماء أخرى، واقتران ذلك بدعايات ضدها، فان صديقنا الهراوي وصحبه من المحافظين ما كتموا يوماً خصومتهم لجمعية أبولو، فقد كانوا وما يزالون وسيبقون دائماً خصوماً لها، لأن الجمعية ذات روح تعاونية قوية وتأبى إيثار فكرة الامارات والوزارات الشعرية وعبادة الأفراد، وتعمل بالروح التي أطراها شوقي في قوله:

لعل مواهباً خفيت وضاعت ... تذاع على يديك وتستغل

بينما أصدقاؤنا الأعزاء يحلمون دائماً بالمجد الشخصي على غير ابتكار رائع يؤهلهم الى شيء من هذا الحلم.

كذلك يرجع الى (جمعية أبولو) الفضل في تقدير رعاية وزارة المعارف وفي ضم الصفوف وترك الحزبية والمعاونة على تكوين (جماعة موسم الشعر) التي نالت (جمعية أبولو) أغلبية الكراسي في ادارتها، وبعد الاعتراف بمنزلة وجهود (جمعية أبولو) ودعوتها الى مناصرة موسم الشعر بكل قواها لم يبق هناك خلاف في هذه المسألة، وإن بقيت الذكرى واليقين بأن هذا لن يكون آخر خلاف بيننا وبين اخواننا المحافظين، وأنهم لن يتورعوا عن استغلال آراء الجمعية في أي وقت مع الطعن فيها.

وتفضلوا بقبول إعجابي وولائي؟

تجديد التقليد

بهذا العنوان نشرت مجلة المغرب التي تصدر بالرباط هذا المقال فأحببنا أن يطلع أبناؤنا عليه.

في مصر اليوم جماعة من حاملي الأقلام بلغ بها حب التجديد الى حد أنها رأت التقليد الذي يرسف في اغلاله كتاب العربية وشعراؤها قد بلي وقدم، وأنه في حاجة ماسة الى التجديد فراحت تسود أوراق الصحف والمجلات بالنهي عن تقليد العرب، وأسلوب العرب، وتفكير العرب، وكل ماهو من العرب باختصار... لا لتضع في محله شيئا جديدا مبتكرا، ولكن لتحاكي الغرب، وأسلوب الغرب، وتفكير الغرب! وكل ما جاء عن الغرب وان لم تسعر بذلك.

أليس هذا تجديداً... للتقليد؟ أوليست هي جماعة المجددين؟ وعدم فهمكم لها جعلكم ترمونها بعدم القدرة على التفكير بالعربية وأساليبها الضادية؛ وكيف تكون غير قادرة على هذا وهي التي تعلمت في أوروبا وقضت شهوراً وأعواماً في «حي مونبارناس» والحي «اللاتيني»...! وهل نجرؤ؟ لا. ليس هذا (عجزاً يتظاهر بالقدرة، وجهلا يتستر بالتحذلق) كما زعم الزيات، بل سبيل التجديد طغى حتى على التقليد وأراد تجديده.

أتدري ماذا تنكر هذه الجماعة على العربية؟ تنكر عليها أنها خالية من القصة والرواية، ومن «التراجيديا والكوميديا والميتولوجيا»، وأن أدبها ليس منقسما مثل الأدب الغربي الى «كلاسيكي ورومانتيكي»، وأن شعرها ليس منقسما الى «أبيك وليريك» وأن جن شعرائها لم يتأله، ولم يتخذ «ابولو»: ذلك الاسم العالمي اسما له، وأن التاريخ العربي الاسلامي ليس منقسما كالتاريخ الغربي الى: «العاديات والقرون الوسطى وعصر النهضة والعصر الحديث والعصر الحاضر».

وصفوة القول أن ذنب العربية هو عدم مجيئها على النمط الغربي، وقد تكون جديرة بأن تقلدها جماعة المجددين المصريين لو أنها احتوت على مثل تلك الأقسام، وأخشى مع هذا أن لو كان مثل ذلك للعربية دون الغرب لألفته قديما باليا، ويكون مع ذلك الحق معها؛ لأنها ليست جماعة المبتكرين بل جماعة المجددين، وكل مايهمها هو التجديد لا الابتكار. ولو كان يهمها هذا لأخرجت لنا عوض هذا التقليد المشوه والصخب الفارغ والكلام الأجوف، انتاجا فكريا صحيحا، ولست أنكر أنها جاءتنا «بمعجزات» فنية جديدة كل مافيها غربي إلا بعض ألفاظ وحروف عربية.

وهنا ضرب الكاتب المثل برسالة الاستاذ توفيق الحكيم إلى الدكتور طه حسين، ثم لخص بعض رأي الاستاذ وعقب عليه بقوله:

هذا رأي الكاتب، أما رأيي أنا فهو أن مصر القديمة لولا تلقحها بعناصر أجنبية لما كان لها أدب أو فكر: والتاريخ بالباب. وهو أصدق مرشد وأعظم برهان. فلولا الأغريق لما كانت مدرسة الاسكندرية الفلسفية. ولولا العرب لما كان لمصر أدب أو فكر حديث يذكر، ولا ذكرت مصر في تاريخ العالم إلا بفنها وهندستها الدينية: والحقيقة أن تلك الجماعة انما تريد ابدال المقلد: ابدال العرب بالغرب: وقد بلغ تطرف صاحب مقال «الرسالة» الى حد أنه رمي الكاتب الوحيد الذي ابتكر جديداً في العربية ولم يحاك أحداً بالتقليد. وكتاب المويلحي «حديث عيسى بن هشام» لايزال قريب العهد. وما يعنيني الاسلوب اذا كان الكتاب عربيا مبتكرا؟ ولم تنتج مصر بعده جديداً سوى «الأيام» لطه حسين.

ومنذ سنوات كانت جماعة المجددين المصريين تبرق وترعد بمحاسن المدنية الغربية وأفضليتها وسوء الحضارة الشرقية. ولما أراد الله رفع الستار عن مساوىء الاولى وظهر افلاسها بعد الحرب فبرز كتاب أوربيون عظام للتنديد بها وتفضيل الحضارة الشرقية في عدة نواح وخصوصاً الروحية منها، أخذت هذه الجماعة نفسها تمجدها تقليداً لهؤلاء لا عن عقيدة، وهذا حد التقليد!

اني لا أنكر على هؤلاء الكتاب حملتهم على التقليد وانما انكر عليهم أولا سعيهم في ابدال المقلد بدون كبير فائدة. وثانيا انهم بدلا من أن يشتغلوا في ابتكار جديد والعمل على الانتاج الصحيح يضيعون وقتهم في الصخب. أما خلق أدب مصري قومي فهو «مودة» بالية قديمة بالنسبة لمن يتخذ لقب مجدد: على أن الادب الجميل جميل في كل محل وتحت كل شمس وقمر و«ألف ليلة وليلة» حجة لذلك.

وأما أن يكون عدم وجود الرواية والقصة سبب فقر أدبنا العربي فهذا غلط. فربما جاء فكر عربي عند نضوجه بشيء أفضل من القصة والرواية، شيء يلائم طباعنا وأدبنا؛ وان كان لابد منهما فسيجيئان في وقتهما حسبما تنضج وتختمر الفكرة في عقول أبناء العربية، ولا يكفي قولنا لهما كونا فيكونان، لأن النبوغ يتدفق من تلقاء نفسه ولا يستخرج، وكذلك تقسيم الأدب العربي على النمط الغربي؛ وله تقسيمه الذي لايحتاج الا الى اصلاح وضبط. ويكفي مثلا لفساد تطبيق أقسام التاريخ الأوربي على التاريخ العربي الاسلامي، أني كنت أقرأ أخيراً كتابا عن تاريخ الاسلام والعرب لكاتب مجدد جرى فيه على الأسلوب الغربي في التقسيم، جاء فيه: «... وقد كان آباؤنا يتخبطون في بحر الجهل والتعصب طيلة القرون الوسطى ...» والكل يعلم أن القرون الوسطى في التاريخ العربي هي أزهى عصر المدنية الاسلامية العربية.

وأرجو لمصر أن تخرج من هذا المخاض بخير وعافية بفضل مابقي صالحا سالما من أبنائها الكرام، وأن يسفر هذا المخاض عن انتاج صحيح مبتكر؛ وألا تكتفي جماعة المجددين بابدال المقلد فحسب.

محمد حصار

العبقرية

علم وأدب وفن

للاستاذ الحوماني

أمامك ماتحسه فى الطبيعة كائنا ومكيناً من عظمة (١) وقفت عقولنا دون حدها أو تصورها . فكنا أمامها ولا نزال حائرين لا الى الرشد كل الرشد فتتبين مصدرها ، ولا الى الجهل كل الجهل فصدف عنها بطبعنا . لان الحى لا يستطيع ان يفكر فيما وراء حياته ، فهو يريد ان يقيس ماخفى عنه على مابدا له ، ولعل مايبدو له هو خلاف الحقيقة التى ينشدها من وراء ما يحس اذ يمكن آن يكون ما يتراءى له اليوم حقيقة، ينكشف عنه الغد خيالا ، نتيجة كذب فى حس أو خطأ فى فكر

وربما كان مايأتيه العقل فى يقظته ، وهو قيد الحواس ، حلما يبدو له بعد تحرره من رق هذه الحياة الدنيا فتكون نسبة مانأتيه اليوم الى ماندركه بعد الموت كنسبة مانأتيه فى الحلم الى ما ندركه فى اليقظة

فاذا ثبت لدينا ان فى الاثر لامحالة جزءاً من روح المؤثر ثبت بداهة ان فى هذه النفس جزءا من القوة المسيطرة على الكون أو القائمة به ضرورة أنها (أى النفس) أحدى جزئياته الداخلة فى مفهوم كلياته

فالارادة كما يبدو لنا هى أولى خصائص النفس وقد كانت الكنز الاول فى خزائنها . ولكن هل هى الجزء الذى ينم على الفكرة التى ابتدعتها فى الكون ؟

قد تكون ذلك اذا ثبت لنا انها هى جماع مافى النفس من جمال ، ولكن ابى لها ان تكون كذلك وليست هى المثل الاعلى فى الانسان بله الحيوان بداهة ان مناطها فى النفس حب البقاء والسيادة والاستمتاع ؟ فالمرء يريد بطبعه ألا يتناول من الخارج الا مايتصل ببقائه وسيطرته واستمتاعه .

فاذا كان ذلك مناطها ورأينا ان الصلاح كثيرا مايكون فى كبتها وصدها عما تأتيه ، علمنا إذ ذاك ان المثل الاعلى فى النفس الذى يشير الى حكمة الصانع الاول هو غير الارادة

ثم اذا استعرضنا ماتاتيه هذه الارادة من عمل بعد تنفيذه

(١) مساق الكلام هنا فى معرض النداء على عظمة المكون عطفا على ماسبق من ان عظمة الصانع مقيسة على عظمة صنعه

١٠٣

أو فى طريق هذا التنفيذ ، نحس بشىء يشعرنا بصحة هذا العمل أو فساده . فما هو أذن ذلك الشىء الذى نشعر به فى أنفسنا غير الارادة ؟

هل هو ذاتها ، فيصح كون الشىء ضدا لنفسه ، أم غيرها ، فيثبت لدينا ان الحى مركب من أرادة تفعل ، ونفس تفعل وتنفعل ، وشىء آخر يشرف عليهما . فيكون من الفعل والانفعال مثلا أعلى هو وهو ذلك الجزء المنبعث من الحكمة المبدعة الاولى ؟

ثم على فرض وجود هذا الثالث ، فهل وجد مع النفس كالارادة ثم نماه فعل الارادة فى الخارج الى حد أصبح معه ذا سلطة عليها فى كثير من الاحيان ؟ أم هل تكون فى النفس من تصادم الارادات ضرورة بقاء المجموع ليضمن بقاء الفرد فيكون وجوده متأخرا ؟

وهذا إنما يتضح فى أجماع العقول الناضجة مثلا على استحسان أمر له علاقة فى بقاء المجموع واستقباح أمر آخر يتعلق بفساد المجتمع فيرى هذا الاجماع المستمر فى النفوس ملكة كبت الارادات والحاكمة بينها فتكون هذه الملكة أم هذا الموجود الثالث الذى نسميه فكراً تارة ومعقولا تارة أخرى ، ان صح تعاقب هذين اللفظين على معنى واحد كما سيمر بك

وعلى كلا الأمرين فانا نشعر ان فى ذواتنا نفوسا تتدافع وتتصادم فى الحياة فتحرك هذه القوالب بأمر من الارادة ، أو تتحرك هى بارادة أخرى تتصادم وارادتها ، ذاتية كانت أو عرضية

ثم نشعر ان ضمن هذه النفوس أرادات تسيرها الى ماخلقت له طبعا (١) فهى تريدك على الطعام والشراب والمتعة ضرورة أن هذه من مقومات حياتك

ونشعر بعد ذلك ان هنالك مايستعرض هذه الأوامر الارادية ثم يعرضها على الحياة فيصل بها إما الى صلاح فيستمر معها وأما الى فساد فيصدها . ذلك هو الفكر قبل الحكم وهو يستعرض ويقيس ، وهو نفسه العقل والهوى بعد الحكم متسلطاً على الارادة أو خاضعاً لها

ومن الصعب جدا تحديد أى الثلاثة فى طريق تحديد الآخر منها لشدة تمازجها والصلات المتأصلة بينها .

وربما كان أصدق تأويل لها هو أن النفس (٢) أنما هى الوسيلة الاولى لتنفيذ أوامر الارادة . والاعضاء هى الوسيلة الثانية . على ان العقل هو الحاكم الاعلى المشرف على المجموع ، ينتهى الحكم عنده سلبا أو ايجابا

(١) لايلزم من قولنا طبعا ان يكون ماتأمر به هو العلة لوجودها وجده ، فان لارادة لما خلقت وكان ماتأمر به ناقصا لان يكون علة تامة لها ، سلط عليها العقل فكان مثلها مع تهذيبه هو علة لوجودها وذلك هو المثل الاعلى فتامل

(٢) النفس هنا هى ثانية المعبر عنها بنواة الحياة والتى مر بك تعريفها فى صدر المقال

فالإرادة في الطبع تأمر والعقل يوقع . والنفس تنفذ مباشرة في الداخل أو بواسطة الاعضاء في الخارج . والنفس تنفرد دونهما في النوم والجنون والاغماء ونحوها . اذا صح ان لا إرادة للمجنون بناء على ان الإرادة مناط أمر النفس بما يعوزها طبعا لا اجتماعا ، والمجنون قد يفعل مايضره في الطبع بله الاجتماع . فالإرادة لا تحمل الحي انسانا كان أو حيوانا على أن يلقي بنفسه من شاهق كما يفعله المجنون أحيانا ، من أجل ذلك تتحقق فيه النفس دون الارادة والعقل .

وهكذا هي في النائم دونهما ، اذا صح ان العقل الباطن الذي هو زعيم الاحلام ليس الا خيال العقـــل الظاهر الذي هو زعيم اليقظة وحقائقها كما أعتقد ، لأنه حقيقة مستقلة تتكون من تجاريب العقل الظاهر التي اخفق معها في حاضره أو ماضيه . ولكن العقل اليقظ المتخيل الذي ينتزع من الحقائق خيالا غريبا ينطبع خياله هذا في مرآة النفس فيفعل فعله منتزعا من اخيلة الحقائق في اليقظة أخيلة غريبة في النوم . واذا لم يكن العقل الباطن هو نفس العقل الظاهر (١) يبدو ضعيفا لضعف مركزه العصبي المتأثر بالنوم الى حد يختل معه نظامه ، فيكون تناهي العقل بالحدة الى درجة التخيل المبتدع . وتناهيه بالضعف الى درجة خرافات الاحلام . وكلاهما ينتزع من بين حقيقتين أو حقائق خيالا مزعجا في الحلم أو رائعا في اليقظة ، وكما يصيب في يقظته المغيبات أحيانا كذلك هو في حلمه . . . إذا لم يكن كذلك فهو خياله المنطبع على مرآة النفس يتضاءل لبعده عن الحقيقة فيظهر مبترا منقطعا .

وأما الإرادة والعقل فلزومان للنفس لا انفراد لهما دونها ، فحيثما وجدت الارادة والعقل كانت النفس ولا عكس

ماذا وراء النفس بعد الارادة ؟؟

يقولون ان هنالك عقلا وفكرا وخاطرا وضميرا ، ان هنالك ذهنا وفطنة وذاكرة وذكاء ، ان هنالك شعورا وعاطفة وخيالا . وليست العبرة في تعـــداد هذه الخصائص في الانسان ولا في نسبتها اليه ، وانما العبرة في تحديد كل منها وبيان مايميزها من غيرها من الخلال ، ولغموض هذه الفروق نرى الكثيرين يخلطون في الكلام عليها ، من أجل ذلك يجمل بنا قبل تحديدها أن نتمثل فيما يعرضها واضحة الحدود .

لنفرض أن لك صديقا حميما قد كثر غشيانك اياه في منزله الذي يضمه واجمل فتاة قد اقترن بها ، وفي كل زيارة ينمو في نفسك حب هذه الفتاة ، لما ترسل اليك من نظراتها الساحرة ويملأ نفسك من ورائها جمال نفس يفيض على فمها رقة وابتساما ، والى جانب هذا الحب تنمو في نفسك صداقة الزوج لما يغمرك به من فضل واحسان الى رقة طبع ودماثة خلق ، وليس ماتربي في نفسك من ولاء اخيك وحب فتاته بأقل مما يحمل الزوج لك من ولاء . وتشعر به الزوجة نحوك من غرام

تبادلتما هذا الحب وبدا لك جليا واضحا هيامها بك وشوقها لك من عينيها الشاخصتين اليك ونظرها المسبغ عليك ، ثم بدا لك أن تزور صديقك في وقت كنت مضطرا معه الى أن تراه ، وكان هو مضطرا فيه الى أن يغادر مكانه ، فكنت والزوجة خليين في منزل واحد وعلى مقعـــد واحد يناجي كل منكما الآخر بما يجول في نفسه ، فيبدو جليا على عينه رقة وفي حديثه تقطعا ، وفي حركاته اضطرابا . ثم امتد الأمر بكما الى أن هم كلا كما بصاحبه فكانت هي أشد ثورة منك ، فأول ماتحرك فيك الارادة والرغبة ؛ ولكنك قبل أن تنفذها أو تباشر تنفيذها تلحظ ما يحف بهذا العمل الذي اقدمت عليه بدافع قوة الإرادة الحيوية ، تلحظ مايحف بهذا العمل ـ وهو إشباع نفسك من جمالها ـ من أمور خارجية منها مايدفعك اليه ومنها مايردعك عنه ، فمن الاول التمتع بالجمال الماثل أمامك والذي هو في متناول يدك ، ثم أمان العاقبة وشيوع الامر المفضي بك الى العار ، ثم اشباع نفسها من جمالك لتأمن مكرها فيما اذا هي اخفقت منك

ومن الثاني ـــ خيانة صديقك البار بك ، والتعـــدي على جمال ليس لك فيه حق ، وتشويه هذا الجمال بما تخفيه منه دخيل داء

لابد من ملاحظتك هذه الامور واستعراضها جملة أو متفرقة في زمن واحد أو ازمنة مختلفة تتخللها فترات قصيرة . فأى العوامل كان أقوى أثرا في نفسك لقوته في الخارج كانت له السيطرة عليك داخليا فكان قائدا لك .

فاما أن يكون الاول فيجذبك اليها وتلبث زمناما تعبث بجمالها والشهوات تقيمك وتقعدك بين يديها

وإما أن يكون الثاني فيصدك عنها وتخرج ناصع الجبين مطمئنا الى راحة الوجدان .

تجري هذه المحاكمة بناء على سلامته بذلك واستقامة نظام الحياة فيك وإلا فلضعف الاعصاب . وهي بعض مراكز هذه الخصائص تأثير قوي في صرف الارادة وتعضيدها .

« يتبع »

(١) خذ الطفل مثالا لذلك فانه يعقل ولكن عقله ضعيف لضعف مركزه من الجسم ، من اجل ذلك تراه يتخيل الغريب من الصور كالحالم

٣ – بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتى عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وأخفق مشروع الخلافة في فتح الغرب من تلك الناحية ولقى الاسلام هزيمته الحاسمة فى المشرق أمام سور بيزنطية ، وقامت الدولة الشرقية في وجه الاسلام حصنا منيعا يحمى النصرانية من غزوه وسلطانه . ولكن جيوش الاسلام جازت الى الغرب من طريق اسبانيا ، وأشرفت من هضاب البرنيه على باقى أمم أوروبا النصرانية ، ولولا تردد الخلافة وخلاف الزعماء لاستطاع موسى ابن نصير أن ينفذ مشروعه فى اختراق أوربا من المشرق الى المغرب ، والوصول الى دار الخلافة بطريق قسطنطينية ولكان من المرجح أن تلقى النصرانية ضربتها القاضية يومئذ ، وان يسود الاسلام أمم الشمال كما ساد أمم الجنوب ، ولكن الفكرة قبرت فى مهدها لتوجس الخلافة وترددها .

على ان الفتوح التي قام بها ولاة الأندلس بعد ذلك فى جنوب فرنسا كانت طورا آخر من أطوار ذلك الصراع بين الاسلام والنصرانية ، فقد كانت مملكة الفرنج أعظم ممالك الغرب والشمال يومئذ ، وكانت تقوم فى الغرب بحماية النصرانية على نحو ما كانت الدولة الرومانية فى الشرق . بل كانت مهمتها فى هذه الحماية اشق وأصعب ، اذ بينما كان الاسلام يهدد النصرانية من الجنوب كانت القبائل الوثنية الجرمانية تهددها من الشمال والشرق ؛ وكانت الغزوات الاسلامية تقف فى المبدأ عند سبتمانيا ومدنها ؛ ولكنها امتدت منذ ولاية السمح الى اكوتين وضفاف الجارون ؛ ثم امتدت الى شمال الرون وولاية بورجونيا وشملت نصف فرنسا الجنوبى كله ، وبهذا بدا الخطر الاسلامى على مصير الفرنج والنصرانية قويا ساطعا ؛ وبدت طوالع ذلك الصراع الحاسم الذى يجب ان يتأهب لخوضه الفرنج والنصرانية كلها .

كانت المعركة فى سهول فرنسا اذن بين الاسلام والنصرانية . بيد أنها كانت من الجانب الآخر بين غزاة الدولة الرومانية والمتنافسين فى اجتناء تراثها ؛ . كانت بين العرب الذين اجتاحوا أملاك الدولة الرومانية فى المشرق والجنوب ؛ وبين الفرنج الذين حلوا فى ألمانيا وغاليس . والفرنج هم شعبة من أولئك البربر الذين غزوا رومة وتقاسموا تراثها من واندال وقوط والان وشوابيين . فكان ذلك اللقاء بين العرب والفرنج فى سهول فرنسا اكثر من نزاع محلى على غزو مدينة أو ولاية بعينها : كان هذا النزاع فى الواقع أبعد ما يكون مدى واثرا . اذ كان محوره تراث الدولة الرومانية العريض الشاسع ؛ الذى فاز العرب منه باكبر غنم ثم أرادوا أن ينتزعوا مابقى منه بايدى منافسيهم غزاة الدولة الرومانية من الشمال

وكانت هذه السهول الشمالية التى قدر لها ان تشهد موقعة الفصل بين غزاة الدولة الرومانية تضم مجتمعا متنافرا لم تستقر بعد قواعده ونظمه على أسس متينة . ذلك ان القبائل الجرمانية التى عبرت الرين وقضت على سلطان رومة فى الاراضى المفتوحة كانت مزيجا مضطربا من الغزاة الظمأى الى تراث رومه من الثروة والنعماء . وكان القوط قد اجتاحوا شمال ايطاليا منذ القرن الخامس وحلوا فى جنوب غاليس وأسبانيا ؛ ولكن هذه الممالك البربرية لم تكن تحمل عناصر البقاء والاستقرار ، فلم يمض زهاء قرن آخر حتى غزا الفرنج فرنسا وانتزعوا نصفها الشمالى من يد حاكمه الرومانى المستقل بامره ، وانتزعوا نصفها الجنوبى من القوط وحلت فى غاليس سلطة جديدة ومجتمع جديد . وكان الغزاة فى كل مرة يقيمون ملكهم على القوة وحدها ، ويقتسمون السلطة فى نوع من الاقطاع ، فلا يمضى وقت طويل حتى تقوم فى القطر المفتوح عدة امازات محلية . ولم يعن الغزاة باقامة مجتمع متماسك ذي نظم سياسية واجتماعية ثابتة ولم يعنوا بالاخص ان يندمجوا برعاياهم الجدد ، فكان سكان البلاد المفتوحة من الرومان والغاليين الذين لبثوا قرونا يخضعون لسلطان رومة ما تزال تسود فيهم لغة رومة وحضارتها . ولكن القبائل الجرمانية الغازية كانت تستأثر بالحكم والرياسة وتكون وحدها مجتمعا منعزلا لبثت تسوده الخشونة والبداوة احقابا قبل ان يتأثر بمدنية رومه وتراثها الفكرى والاجتماعى . وكان اعتناق الفرنج للنصرانية منذ عصر كلوفيس اكبر عامل فى تطور هذه القبائل ، وتهذيب عقليتها الوثنية وتقاليدها الوحشية . ثم كان استقرارها بعد حين فى الارض المفتوحة ؛ وتوطد سلطانها وتمتعها بالنعماء والثراء بعد طول المغامرة والتجول وشظف العيش ، وحرصها على حياة الدعة والرخاء ، عوامل قوية فى انحلال عصبيتها الحربية وفتور شغفها بالغزو ، واذكاء رغبتها فى الاستعمار والبقاء . وهكذا كانت القبائل الجرمانيه التى عبرت الرين تحت لواء الفرنج ، واستقرت فى غاليا قد تطورت فى أوائل القرن الثامن الى مجتمع مستقر متماسك نوعا . ولم تكن غاليس قد استحالت عندئذ الى فرنسا ، ولكن جذور فرنسا المستقبلة كانت قد وضعت وهيئت

الاسباب والعوامل لنشوء الامة الفرنسية. بيد ان هذا المجتمع رغم تمتعه بنوع من الاستقرار والتماسك كان وقت ان نفذ العرب الى فرنسا فريسة الانحلال والتفكك. وكان الخلاف يمزقه كما بينا. وكانت أكوتين وباقي فرنسا الجنوبية في يد جماعة من الامراء والزعماء المحليين الذين انتهزوا ضعف السلطة المركزية فاستقلوا بما في ايديهم من الاقاليم والمدن. ثم كانت القبائل الجرمانية الوثنية فيما وراء الرين من جهة أخرى تحاول اقتحام النهر من آن لآخر وتهدد بالقضاء على مملكة الفرنج. فكان الفرنج يشغلون برد هذه المحاولات، ويقتحمون النهر بين آونة وأخرى لدرء هذا الخطر ولارغام القبائل الوثنية على اعتناق النصرانية. فكانت المسألة الدينية أيضاً عاملا قويا في هذا النضال الذى يضطرم بين قبائل وعشائر تجمعها صلة الجنس والنسب. ولم ينقذ مملكة الفرنج من ذلك الخطر سوى خلاف القبائل الوثنية وتنافسها وتفرق كلمتها(١)

هكذا كانت مملكة الفرنج والمجتمع الفرنجى فى أوائل القرن الثامن أعنى حينما نفذ تيار الفتح الاسلامى من اسبانيا الى جنوب فرنسا. وكان قد مضى منذ وفاة النبى العربى الى عهد هذا اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية (سنة ٧٣٢ م) مائة عام فقط، ولكن العرب كانوا خلال هذا القرن قد افتتحوا جميع الامم الواقعة بين السند شرقا والمحيط غربا، واكتسحوا العالم القديم فى وابل مدهش من الظفر الباهر، واستولوا على جميع أقطار الدولة الرومانية الجنوبية من الشام الى أقاصى المغرب وأسبانيا، وعبروا البرنيه الى أواسط فرنسا. هذا بينما انفقت القبائل الجرمانية الشمالية أكثر من ثلاثة قرون فى افتتاح أقطار الدولة الشمالية ومحاولة الاستقرار فيها.

« يتبع »

« الأدب المصرى القديم - بقية المنشور على صفحة ١٨ »

وربهم هو الملك، لكن لكل من الجملتين معناها الخاص على رغم تشابه الغرض. ثم انظر كيف يصف واقعة فى موضع آخر:

« أولئك الذين يدخلون الى هذا القبر
أولئك الذين يرون ما فيه »

هاتان الجملتان تبدوان للقارىء السطحى تكراراً، لكن القارىء الدقيق الاحساس يستطيع ان يتبين فيهما فرقا اراده الشاعر المصرى القديم، هو يريد ان يأخذ يد الداخل الى القبر فيضعها على ما فى القبر من نقوش وتحف، أكثر مما فيه من شىء آخر. أليس فى هذا منتهى دقة الحس ونعومة التصوير؟

(١) راجع Creasy: Decisive Battles الفصل السابع ففيه استعراض حسن لاحوال المجتمع الجرمانى فى هذا العصر وعرض شائق لحوادث موقعة تور. راجع أيضا Zeller: Hist. de L'Allemagne, Ch. VII

الجناس

وكما يشتهر المصريون فى الوقت الحاضر بحبهم الشديد للجناس اللفظى. الذى تفيض به الاغانى والأشعار الدارجة. فأن أجدادهم المصريين القدماء هم أصل هذا التراث الفنى البديع. الذى يلذ للقارىء ان يطالعه، وينعم بفكاهاته.

خذ مثلا الاغنية المصرية الدارجة:

يا ذى الجمال والدلال والحب ونهاره
والشعر فوق الجبين كالليل ونهاره
والدمع فاض م الجفون كالبحر وانهاره
قلبى أسير فى هواك ويحل انهاره؟

والكلمات الاخيرة فى كل الابيات متشابهة النطق لكنها تؤدى معانى مختلفة تمام الاختلاف.

مثل هذا الجناس كثير فى الشعر المصرى، وجميل. لكنه مستحيل الترجمة لأن اللعب فيه يدور على الالفاظ فى علاقاتها بالمعانى، فاذا ما تغير اللفظ بترجمته فقد الجناس بطبيعة الحال، ومع ذلك فسأحاول أن أنقل هنا بضعة شطرات من هذا الشعر الذى يحتوى الجناس وانا أعربه عن المصرية بتصرف كبير لأوفق فيه الفاظ الجناس، وأقربها للفهم لا أكثر ولا أقل هى قصيدة طويلة فى وصف عربة الحرب قال فيها واصفها:

« عرفت رأسها كل البلاد، وخر لها القواد »

ورأس العربة أى مقدمتها، وإذ دخلت فى ركاب الملك كل البلاد فقد عرفتها، ولأنها مصنوعة على شكل رأس كبش رمزا لآمون إله هذا العصر فان القواد جميعهم خروا سجدا لهذا الرأس. ثم يقول.

« مقابض عربتك عنات وعشتر ».

يريد بذلك من جهة مقابض العربة التى يمسكها الملك وهو يحارب فيها، من الجهة الأخرى أن القابضين على زمام العربة هما إلها الحرب فى العربة

ولا يستطيع القارىء مطلقا ان يتذوق جمال هذا الجناس الا وهو يقرأ النص المصرى القديم الذى يدل على مبلغ ما وصل اليه المصريون من الافتنان فى الشعر والصنعة الشعرية، ومبلغ حبهم للنكتة والتورية منذ أربعين قرنا مضت. ناطحتهم فيها شدائد توهن أصلب الاعواد، ومع ذلك لم تذهب بروحهم الكبيرة، ونفسهم المرحة، مدى هذه القرون الطويلة؟



عكاظ والمربد

اضطرنا لكثرة المواد أن نرجىء بقية هذا البحث القيم إلى العدد المقبل فمعذرة الى قرائه .

من طرائف الشعر

مداعبات شوقيــــة لم تنشر

ظفرنا بثلاث قصائد من الشعر الفكه لشاعر الخلود شوقى بك نظمها ولم يتمها (فى الدكتور محجوب ثابت ومكسوينى) . ومكسوينى هذا كان حصانا بائسا يجر مركبة الدكتور ولا يزور الاصطبل الا لماما ، فألح عليه التعب والسغب حتى لصب جلده ووهن جلده فمات وكان فى حياته وموته موضوعا طريفا الكثير من الشوقيات الغر : نشر بعضها ولا يزال البعض الآخر مطويا . وسنكتفى اليوم بهذه القصيدة التى قالها الشاعر على لسان خلفه بعد موته . وكان الدكتور محجوب يومئذ معتقلا فى قصر النيل عقب الثورة مدة الخلاف بين الزعيمين سعد وعدلى .

سيوفُ أبيه من خمسين عاما   لواصق بالجدار بغير سلٍّ
علاها العنكبوت فكان غمدا   على غمد قديم العهد خلٍّ
ولى كالخيل اصطبل ولكن   افارقه وأترك فيـــه طلى
سلوا (بار اللواء) و(صُلْتَ) عنى   ومصطبة السرى الشيخ الاجل
من المرشال[1] أطلب رد روحى   وعودة فارسى وفكاك خلى
وأنذر أن تفضل صوم عام   ومثلى من يصوم ومن يصلى
والا مُتُّ دون الحق جوعاً   كذلك مكسوينى مات قبلى
ويا كبوت[3] فيمَ كسرت قلبى   وأمس الحادثات كسرن رجلى
وما الدكتور مجنون بسعد   ولا هو بالحلل شتم عدلى
ولكن قبلة الدكتور مصرٌ   وسودان يراه لهـــا كظل
بقصر النيل بات ، وكل سجن   وأن كان الخورنقَ لايُسلى

(١) المرحوم ابراهيم باشا سعيد رئيس لجنة الوفد المركزية اذ ذاك .
(٢) اللورد اللنبي ، وكانت الاحكام العسكرية معلنة . .
(٣) المستر كين بويد مدير الامن العام القسم الاوربي .

أقضى الليل حول السجن شوقاً   للحيتــــه أناجيها : أطلّى
تشير من النوافذ لى وتومى   كغانية هنالك ذات دلٍّ
ولولا الديد بان دنوت منها   وكنت أنا الممشط والمفلى

نجوى

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

أقول لنفسى ، فى هذه الساعة . وفى هـــذا المكان :
لاكنت ذات يوم محبوبا . ولقد أحببتها . ولقد كانت جميلة .
ثم خبأت هذا الكنز فى نفسى الخالدة . ورفعته الى الله ! »
(الفريد دى موسيه)

إليكِ أبعَثُ أحلاماً مرَوعةً
منزُوعةً من فؤادٍ جدِّ مخزوبِ
ما تستنيم إلى صمت فيغمرُها
لكنها أختُ تسهيد وتعذيب
تظلُّ تقلقُ هذا القلبَ صارخةً
حتى تسلِّمَ بطيف منك محبوبِ
كيافعٍ موجع أفضى الهزالُ به
الى مرام عسير الدَّركِ محجُوبِ
إن عللُوهُ بما ينسيه مطلبهُ
أوحى الخيال إليه الف مطلوبِ
يصورُ الدمعُ مايعيا اللسانُ به
ومدمعُ الطفل موشيُّ الأساليبِ
لهفي عليه تُمنيه الرؤى عبثاً
كأنهُ لعبــة بين الألاعيبِ
أقصيتنى عنكِ لاعهدٌ ولا أملٌ
سوى عذابٍ على الايام مصحوبِ
وعشتُ بعدَكِ مخطوف الفؤآدِ هوًى
مغرّباً فى دِياري أيَّ تغريبِ

خيبتني فطويت العمر مكتئباً
ما كان أوجع حرماني وتخييبي

خلفت نفسي آمالا مصرعة
ما في قرارتها غير الأكاذيب

ترى السموات تابوتاً قد انسدلت
على جوانبه سود الجلابيب

من الجوى أن يعود العمر طائفة
أيامه بصبي كالحلم موهوب

يبني من الشفق الرفاف زورقه
ويستحيل إلى أنس وتحبيب

هذي الأماني أضنتني مآربها
يا ويحها كم أداريها وتلهو بي!

منحتها خافقاً نهلان من أمل
يهز بالشدو أرواح المطاريب

فما جزتني على ودي بعارفة
تبقي ضماذا لجرح غير مرؤوب

الكون بعدك أنقاض مبعثرة
كمعبد من عراك الدهر مخروب

ترى به مقلتي المسلوب رونقها
دار الحريب ومأوى كل منكوب

مشت عليه الليالي وهي هازئة
تكرار تقرع مشعوباً بمشعوب

لا دميتي بت أرعاها وأعبدها
كناسك ذاب في جوف المحاريب

ولا دعائي أدت بي معارجه
إلى مطاف شهي الحلم مرغوب

وأين، لا أين مي همس فاتنة
أفنيت في حسنها حبي وتشبيبي

غابت فولت عن الدنيا بشاشتها
فلست ألمح فيها غير تقطيب

وقد بدا العيش خلواً من مفارحه
مجللاً بشجاً كالليل غربيب

والحقل بعدك تؤذيني زيارته
فأنثني عنه والترداد يغري بي

لا أستطيع أجيل الطرف مفتقداً
آثار حب كدمع الفجر منهوب

مافي خمائله حسن ولا ألق
ولا أزاهره تخضل بالطيب

إذا خيالك لم يبهجه مؤتلقاً
فالحقل في ماحل كالقفر مجدوب

غشيته وفؤادي ما يفيق جوى
ما كان أجدرني عنه بتنكيب!

هنا تذوقت سر الحب مغتبطاً
من غير مأثم فيه وتريب

هنا من الحب سفر رائع عجب
قد ضم أقدس تذكاري وتجريبي

هنا شبابي مد الله سرحته
رباً وما فيه من وزر ولا حوب

هنا الهوى كان طفلا في محفته
وكان أمتع مولود ومربوب

لما حبا هلل الوادي له فرحاً
وقد تقلب فيه أي تقليب

فرشت بالزهر المنضور ملعبه
فرف يزهو بتنضيد وترتيب

وحينما سعد الوادي بمطلعه
رمى به الموت في هلك وتتبيب

وراعني أن أرى الأطيار ساكتة
خرساء من غير ترنيم وتطريب

لا النهر يوحي اليها ناغماً هزجاً
سكران يركض في أثناء ملحوب

ولا النسائم تذكي فى جوانحها
أشعار قلب من الأوجاع مكروب
تكاد إن أخذت عيني خيالتها
تردها بين تصديق وتكذيب
لم يبق من أنسها الخالى سوى أثر
من اسمك العذب فوق الجذع مكتوب
خشعت بالقرب منه ذاهلا حيرا
كهيكل فى شعاب الأرض منصوب
قدسته فمشى ثغرى يقبله
ومدمعي بين محبوس ومسكوب
تقتات نفسى بالذكرى ويؤنسها
خيالك الحلو فى صحوى وتغييبي
وقد أراك فينسى القلب لاعجه
ولا يطيف بيأس منك محلوب
تبارك الحلم الرفاف كم غلبت
غيابة منه حزناً غير مغلوب
حججت بيتك فى وهمي فاستعدت
روحى يود نقى النبع مصبوب
كأنما نسى الحسن الذي طفحت
منه السموات ادلاجى وتأويبي
فتشت فى ساحه عن ظل موجية
غيداء غطت على سحر الرعابيب
ناديتها باسمها فارتعت مرتجفاً
من موحش دائب الانصات مرهوب
فما رأيت لها ظلا ولا أثراً
وملت الدار من بحثى وتنقيبي
خلت مقاعد كانت أمس مونقة
فغامت اليوم من نسج العناكيب
أجبن منه صدى صوت أقدسه
أسرى الى الخلد من وخد وتقريب
كأن بالأذن من نجواه وشوشة
تبكى على أمل فى الغيب مغصوب

مشى مع النور لا تثني عزيمته
عجلان يدفع ألهوباً بألهوب
يلوح فى الفلك الفضي متشحاً
بلامع من شعاع الخلد مصبوب
مازال يطوى الفضاء الرحب مختفياً
كتائه في فجاج الغيب مجزوب
حتى ترامى على عرش الاله أسى
وذاب فى لاهب بالحب مشبوب

أنور العطار

مجمرة الأفق

لله عند المغيب موقفنا ... وللهوى عندنا تباريح
نرتقب الليل فوق رابية ... يعبق منها العرار والشيح
والشمس فى أفقها معلقة ... من حولها للسحاب توشيح
كأنها والسحاب مجمرة ... أطار عنها رمادها الريح
ليلاى ماج الغدير وارتجحت ... بالليل فى حضنه مصابيح
دونك روضا كأن أغصنه ... صدر لضم العشاق مفتوح
هزى أراجيحه، فهل خلقت ... إلا لأحلامنا الأراجيح؟
لا شمس غابت، ولا ظلام دهي ... ولا غصون هفت ولا ريح
لكنه حبنا فما اختلجت ... فى الروض لولا غرامنا روح

شفيق معلوف

شاعرة

غادة جرت ذيول الأدب ... وتغنت بقريض العرب
يأسن الشعر فإن مر على ... ثغرها عاد بنشر طيب
تنطق الألفاظ معذوذبة ... بفم حلو اللمى معذوذب
درر خارجة من درر ... تلك لم تثقب وذى لم تثقب
شد ما يأسر لى قلم ... مرهف فى أنمل مختضب
يارعى الله قواما لينا ... ينحنى كالقوس خلف المكتب

« البقية على صفحة ٣٠ »

من الأدب التركى الحديث :

عبد الحق حامد

للدكتور عبد الوهاب عزام

شاعر الترك الأكبر ، حمل لواء الشعر أكثر من خمسين عاما غير منازع ، ولا يزال على المرض والشيخوخة مطمح الأبصار ، وقبلة الأفكار .

ولد سنة ١٢٦٧ هـ فهو الآن فى الخامسة والثمانين من عمره المبارك ، وما فتىء منذ بلغ العقد الثالث فياضا بالشعر والنثر يسلك فيهما المسالك المختلفة موفيا على الغاية ، بالغا من الجمال والجلال النهاية ، حتى كتب أكثر من ثلاثين كتابا ، ثروة يفخر بها الأدب التركى بل يتحلى بها الأدب الإنسانى .

وليس يتسع المقام هنا للابانة عن شعره ونثره ، أو الافاضة فى وصفه والكشف عن نواحى النبوغ والاعجاز فى طبعـــه ، ولكنى أعرض لكتاب واحد من كتبه :

فى سنة ١٣٠٢ كان الشاعر فى الهند فرضت زوجه ، فسافر بها راجعاً الى دياره فماتت فى الطريق ودفنها فى بيروت . وكانت فى سن الخامسة والعشرين ، وشاعرنا يومئذ ابن خمس وثلاثين .

كانت وفاة فاطمة قيامة فى نفس عبد الحق وفى الادب التركى . كتب فى البكاء عليها زهاء ألف وخمسمائة بيت فى كتابين أكبرهما وأولهما سماه « مقبر » ، وهو صرخة ما تزال مدوية فى الأدب التركى منذ خمسين عاما . ولن يمحى صداها فى الحياة ما بقى فى الانسان قلب ، وما بقى للشعر التركى قارىء . والثانى سماه « أولو » أى الميت .

يقول جناب شهاب الدين وهو من أعاظم أدباء العصر :

« ان « المقبر » ومقدمته فتحا عصراً جديداً فى أدبنا المنظوم والمنثور ، ولم تؤثر وفاة فاطمة فى حياة الشاعر وحده بل فى آداب الامة كلها . . . ولا ريب أنه قد ولد من القبر الذى فى بيروت شاعر جديد أعظم من شاعرنا الاول . ان « المقبر » أعظم وأجمل تمثال فى آدابنا . ولست ارتاب فى أن هذه البديعة التى كتبت على حافة البقاء قد قدر لها الخلود . »

« المقبر » ثورة هائلة يبعث فيها الشـــاعر أناته وعبراته وصيحاته وكل ما فى قلبه وعقله . ينظر الى القبر باكيا فيطير به الفكر فى أرجاء العالم ، ويصعد به الى الله ثم يطوى فكره شيئا فشيئا ويهبط به الى القبر ليطير عنه الى السموات كرة أخرى . وهو فى ثورته واستسلامه يذكر القارىء بقصيدة فكتور هوجو (A. Villequier) التى رثى بها ابنته .

ثارت ثائرة بعض النقاد على حامد « ومقبره » حينما نشره اذ رأوا فيه لغة غير مألوفة ، وثورة غير مفهومة . فكان فى جلال الحزن وشدة الالم أسمى من أن يبالى المدح والذم . وما كتب الشاعر كتابه ليكون بديعة أدبية . بل أراد ، كما يقول : أن يبنى بالشعر قبر الحبيبة ، لا يكترث بالناس حين يبنيه ؛ ولا يبالى بما يقولون فيه .

وقبل أن أعرض على القارىء نموذجا من « المقبر » أترجم مقدمته المنثورة التى يراها بعض الادباء عهداً جديداً فى النثر ، كما يعدون الكتاب عصراً جديداً فى الشعر . قال :

« المقبر » : وهو آخر ما كتبت — كتب لتخليـــد وجود أصابه الفناء . وأنا أعلم أنه ليس فى « المقبر » أثر من المعانى الشعرية التى تنطوى عليها المقابر . وانما « المقبر » صيحة حسرة منبعثة من العدم ، فلن يظفر قارئه بشىء ، ولكنه عندى شىء . أجل أن الفكر حين يجوس خلال الكتاب ليطوف فى مقبره ثم يخرج منه كما يخرج من المقابر ؛ لا يفقه شيئا . .

قراءة فاتحة هذا الكتاب كاستيعابه كله ، والاحاطة بما فيه كالتفكير فى اسمه . لقد كتب هذا الكتاب فى مقبرة ، فهو وحى من الالم لمن يعرفون الكاتب السىء الحظ ، ووحى من الكلال لمن لا يعرفونه .

من يسألنى : لماذا تنشر على الناس آلامك فى هذه الصورة وكان يسعك أن تكتمها فى قلبك ، أو تكتبها ولا تنشرها ؟ فذلك جوابى له :

لايبقى من هذه الاجساد المتهافتة في وادي الصمت الأحفان من التراب ، وكذلك لايبقى في القلب من أحب الذكريات إلا خيال دارس . ولست أقنع بهذا الخيال .

وأما نظم الكتاب وحفظه بين أوراقي فمصيره أن يبلى كما تبلى الإعضاء الميتة والإفكار اليائسة ولست أرضى بهذا البلى .

هل يضمن نشر الكتاب خلودها كما رجوت ؟ لا — ولكن مهما يكن من شيء فان المقبر ، أطول مني عمراً . ومن أجل ذلك نشرته . انه قبر مبني من الصيحات التي في قلبي : أود أن تكون كلماته كالكلمات التي نقشت على الاحجار : هيهات... !

كل صيحة في هذا « المقبر » قبر منفصل ولكن فيها كلها دفينا واحدا . هو الانسانية التي تجلت لي في الوجه الذي أحببته .

كتبت هـــذا الكتاب لاقرأه وحدي ، فقليل من يشاركني احساسي . بل لاأود أن يشاركني أحد في هذا الاحساس خشية أن لا تكون هذه المشاركة الا بالتجريب . أريد أن أبكي وحدي على المسكينة التي بكيتها ، وهذه الوحدة عندي سلوان لانها أكبر العذاب .

ألا يرى القارىء أن هذه المقدمة كذلك تشبه كتابا كتب لي وحدي . وبعد . فليست العبارات المكررة في « المقبر » الا كلمة واحدة ، وليست هذه الكلمة الا قبرا : كما تنتهي الاصوات كلها الى النفس الأخير .

لا ارتاب ان « المقبر » كآثاري الأخرى سيفنى ، بل أعرف ان الابدية كلها لاتفي بحفظ آلامي على عالمها ، وسيصعد الكاتب الى حضرة الخالق ودماء هذا الجرح سيالة من قلبه

من القلوب مالا يجتمع فيه السرور والآلام ، ومن القلوب مالا يزول حزنه بما يصيب في الدنيا من سعادة وجد . ولكن هذا الحزن لايحول دون السرور ، وفي بعض القلوب يخيم السرور والحزن معا ، ومن أجل ذلك تلوح السلوة في الحزن أحيانا ، و يبين الالم في الابتسام ..

ومن القلوب ما يزيد الفرح أحزانها . ومن هذه الآلام آلامي .

أود أن أطرب ليزيد حزني ، ولست بمستطيع أن أفهم الناس ذلك ، فلغة هذا الإحساس تكبر على الأفهام . فلأصمت !

إن القارىء الذي يريد أن يعد « المقبر » شعراً لأنه من آثاري لن يجد فيه من شاعريتي أثراً . ولكنه اذا فكر يسمع صرخات يستطيع أن يحسبها شعراً . وما هذه الصرخات الا عجز البشر .

أعظم الشعر وأجله وأصدقه أن يعيا الانسان بالبيان فيصمت حين تروعه أحدى الحقائق الهائلة . ولكن المقبر يخطب ولا يصمت .

يعجز الانسان أحيانا أن يعرف خيالا لا خطر له لما يبهره من جماله . ويقصر أحيانا عن أدراك الفكر الطائر عن عقله لما يفوته من علائه . ويعيا أحيانا بفهم الاحساس المولود من قلبه لما يهوله من عمقه . وفي هذا العجز يرسل صيحاته . أو يشدو بما لا يفهم من كلماته . أو يصمت فلا يترجم عن حسراته . فيأخذ قلمه فيطؤه بقدمه فيحطمه . وهذا كله شعر .

« المقبر » يتضمن أحساسا ولده قلبي . ولكنه في بعض نواحيه غريب كل الغرابة عما يروى من شاعريتي . يجد القارىء فيه لغتين لاتشبه أحداهما الأخرى ، حتى يحسب أن قد تعاقب على « المقبر » كاتبان . بل يبعد بعضه مني حتى أعيا أنا بفهمه .

فأما حديثي فيه عن الماضي — وهو أكثر مواضعه خرابا على أنه أحبها الي — فيبكي من يعدونني شاعرا ، ويزيد تمدق من لايعدونني من الشعراء . وبعض مواضعه ليس من شعري ، بل هو أشبه بقبر فتاة في ميعة الصبا .

أول هذين من النقائص الادبية ، والثاني من النقائص الإنسانية .

ومايرجع الى تصوير الفضائل ناقص أي نقصان

وبعض نواحيه لايستطيع أن يمكث في الارض لأنه صيحات .

« المقبر » في جملته ، يراه كثير من الناس أثرا باردا . ولكنها البرودة التي تحرق قلبي .

لابد لعالم الأدب من آخرة ، والمقبر من هذه الآخرة علامة .

« المقبر » قبر حياتنا الأدبية . والمقبر زوالي (١)

« المقبر » يبين عن فكر واحد بأساليب شتى . الفاظه عند الخاصة لاشيء . ومعانيه عند الخاصة والعامة لاشيء ، ولكن هيكله قبر ميت عزيز فهو عندي شيء .

« المقبر » خفيف في جانب ثقل المصيبة التي أصابتني ، فارغ في جانب عمقها ، عدم في جانب شعرها . ولكنه بالقياس الى شيء .

ينبغي أن يكون « المقبر » ضريحا لا قبرا . معبدا لاضريحا ، كوكبا لا معبدا ، فضاء لاينتهي لا كوكبا . ولكنه وأسفا . لم يبلغ أن يكون قبرا .

« المقبر » ينبغي ان يكون منبرا ينزل اليه نور الاهي ، ولايستطيع أن يصعد اليه الفكر الانساني ، يجب ان يكون « المقبر » محشرا . هيهات . !

لاأقول يجب الا أظهر فكري . بل ، يجب أن يكون مما لايمكن ظهوره . « المقبر » يئن أبدا . وان دل هذا الأنين الأبدي على العمق فواحسرتا أنه لايعدو أن يكون قبرا . ان معنى هذا « المقبر » ظواهر المقابر .

ذكرت النقائص الأدبية والنقائص الانسانية . نعم . ماذاعسى

(١) يريد الشاعر أن الكتاب بغموضه وركاكته قضى على الشعر التركي .

أن أفعل؟ ماذا أفعل لتصحيح الخطأ وأكبر الخطأ صادر من المصحح

ان الأبيات يجب أن تصنع للوقائع الجليلة، والأفكار الجميلة، كما تبنى الهياكل للأسماء الكبيرة، وبأسماء الوجوه الجميلة. والقبر هيكل بناه الله فكيف نستطيع نحن أن نصور ونجسم؟

أى شاعر جسد امرأة جميلة فصورها للذين لم يروها؟ أي قلم حكى المحاسن الطبيعية على وجهها؟ ان الذي يلهمنا احسن ما نشعر ونكتب هو الطبيعة وهذا الشعر يشبه الصورة التى تتراءى فى الماء لابد لها من مصدر خارجه.

بعض أكابر الأدباء يدعون أن مزايا الشاعر تتولد من نفسه وليس هذا رأيى. ان محاسنى «ان كانت» هي للجبال والمروج والوجوه الجميلة والأزهار. وأما سيئاتى فهى لى. أقول قبل أن أختم:

ان المصيبة التى أخبرنى بها «المقبر» قلبت شعرى كما قلبت كل شيء فى. فهل صعدت صدمة هذا الانقلاب بفكرى أو هبطت به؟ يعرف ذلك أخوانى.

انظروا كيف عجزت عن كتابة كلمات حتى فى المقدمة؟

الانقلاب الذى ذكرت هو قيامى فى نقطة أو فى فضاء غير محدود حيث تصطدم السماء والقبر: بقى قلبي طويلا بين هاتين القوتين الهائلتين، كلما اقتربتا شعرت بالعزاء وكلما ابتعدتا غمرني اليأس.

ثم أتحدتا فتحطمت فظهر «المقبر». فهل هذا شعر؟ محال. كان يجب أن يتحد القبر والسماء أو بعبارة أصدق أن يبقيا مفترقين، وكان يجب أن أنوح فى الافتراق والاستغراق فيكون هذا شعرا

أنا لا أستحسن معظم ما كتبت قبل «المقبر» وبعضه يعجبنى قليلا، وأما المقبر فلا يعجبنى قط، ولكنى أحبه كل الحب. لا يعجبنى لأن صلة هذا الكتاب بالأدب واهية، وأحبه لأنه «مى»

لعل «المقبر» يشبه الشعر عند من يرون الخليقة كلها شعرا، وهو عندى يذكرنى بشاعرة ـ شاعرة كانت شعر القدرة الصانعة كل ما فى «المقبر» على نقصه وحشوه. روحانية متوفاة، ومعنوية روح «المقبر» خالها وصورتها وخيالها وهيكلها وقبرها وحياتها التى ذهب الدهر بمحاسنها. ثم أكرر فأقول: «المقبر» «مى» ومن أجل ذلك أحبته.

ولكن «المقبر» فى نظر الأدب طفل دميم: ظاهر، ولكنه ليس جميلا. وفيلسوف حقير: حكمة ولكنها ذات ريب، وحسن معيب: صيحة ولكن ذات صناعة، وقبر مشيد: ليس حزينا ولكنه قبر: مغرب ولكنه متلالىء، جمال ولكن بغير حب، شعر ولكنه بوقافية، لأجل هذا لا أحبه

الفكر نهايته الموت، والشعر نهايته الألفاظ والقوافى، فماذا أصنع؟ ان لم يكن «للمقبر» بد من فكر شرعى فهذا الكتاب قبر متوفاة، أسأل زائريه الفاتحة.

وفى العدد الآتى نعرض على القارىء مثالا من شعر «المقبر» ان شاء الله؟

« بقية المنشور على صفحة ٢٧ »

وبيمينا بضة ناعمة خلقت للجد لا للعب
طبع النقش عليها شامة كالتى فى خدها الملتهب
أن فى قرطاسها مرقها كأنين العاشق المكتئب
وحنا بين يديها رأسه كانحناء الساجد المقترب
غادة مرآتها أن نظرت صفحة من صفحات الكتب
يا أله الشعر باركها أذا سبحت فى موجه المصطخب
احفظ الهيفاء من تياره ليس بحر الشعر سهل المركب
يافتاة الخدر عوذتك من سهر الليل ونجوى الشهب
وشرود الفكر فى جنح الدجى وهروب اللفظ عند الطلب
أترى جفنك ينفث سحره فى خيالى وقى عن كثب
لا تقولى الشعر بل أوحى به أنت خصب للخيال المجدب
أنما الشعر محيط فاسلمى ودعى أمواجه تقذف بى
أنه عبء على حامله ما لهذا العبء ألا منكبى

محمود غنيم

ياليتنى!

عينى هل من صوب دمع مسعد؟ نفدت دموعي والأسي لم ينفد
روح فقدت جنانها البر الذى لا يستظل بمثله إن يفقد
مازلت فى حزن عليها مرمض وتحير فى إثرها وتلدد
جاءت وراحت أشهر لم تنصرف عن ودها روحي وقد صفرت يدى
وتجىء أعوام وتذهب أشهر
لا يرتوى من وجهها الطرف الصدى
ياليتنى قد كنت حاضر يومها وسعدت قبل رحيلها بتزود
وشهدت أنتها بلين مهدها ورأيت سكتتها بجافى المرقد
لما نضت أوصاب داء مسقم من بعد طول تصبر وتجلد
ورمت قيود معيشة ماعاشها فى الناس غير مثقل ومقيد
لولا حذارى أن يفجعها الأسى ويؤودها صرف الحمام المعتدى
ويزيدها شجنا على أشجانها
لوددت لو عاشت وكنت أنا الردى
وتعمت فى لحدى بهاطل دمعها ينهل لى وبشوقها المتجدد
وحنانها الصافى يظل مزاوراً قبرى يروح مع الزمان ويغتدى
وأقر جسمى فى التراب موسداً ذاك الفؤاد يعودنى فى العود
قد كان ذلك راحتى لا ما أرى من حيرة تضنى وعيش مكمد

فخرى ابو السعود

في الأدب الغربي

الزهرية المصدوعة

لسولي برودوم
ترجمة الأستاذ أبي قيس عز الدين علم الدين
عضو المجمع العلمي العربي

سوللي برودوم شاعر فرنسي ولد بباريس سنة (١٨٣٩-١٩٠٨) وثقف بها في شبابه بثقافة علمية متينة، اكتسب منها عنايته الشديدة بتدقيق العبارات وتوضيح الدلالات، وقد امتزج ذلك بما أوتيه من قوة الأحساس وسعة الاحلام، ولم يتخرج الا من المدرسة البرناسية التي تعلم فيها كما قيل: « ان ينظم بصعوبة قصائده السهلة ».

وقد برع في التعبير عن أدق عواطف القلب البشري وأصدقها. براعته في قصائده الفلسفية المشتملة على أسمى المعاني وأنبلها.

وأما قصيدته الموسومة بالزهرية المصدوعة فان لها شهرة ذائعة في الغرب، وهي من آيات سوللي والروائع الرمزية الخالدة، وقد عرف بها ناظمها لبعد شهرتها فقيل له: شاعر الزهرية المصدوعة وفيها أبدع الأبداع كله بتشبيه القلب الجريح الذي نضب دمه فذبلت زهرة محبته بالأناء (١) الصديع الذي جف من الصدع ماؤه. فظمئت زهرة نبتته وذبلت أخيراً، والذي جرح القلب هو قسوة المحبوب وتماديه في هجرانه، تمادياً حرمه ندى عطفه وحنانه، قال:

شهدت الأناء الذي فيـ ـه تقضي من الزهر سوسنة وادعه
قد اصطدم اليوم ـ ويحا له ـ بمروحة صـــدمة صادعه
لكنها لم تك غير لمس
فلم تثر من ضجة أو حس
ومع أنه كان صدعا لطيفا وما ظنه احد بالشديد
فقد كان تأثيره، وهو سار بلوره كل يوم يزيد
وقد سرى الصدع به خفيا
فامتد في الأناء تدريجيا
وماء الاناء وفيه الحياة غدا يتقطر من صدعه
فجفت عصارة أزهاره وغاض الرحيق جنى طلعه
لم ينتبه لذاك حي يعلم
لا تلمسوه! إنه محطم

***

ورب يد غضة قد تحب أناملها وهي تبدو لطيفه
تمس شغاف القلوب فتخـ ـدشه خدشة قد تخال خفيفه
ينصدع القلب لها من نفسه
ذابلة زهرته ليبسه

***

وقلب يرى أبداً في العيو ن صحيحاً وما هو قلب صحيح
نما جرحه فبكى صامتا وبالجرح يشعر قلب الجريح
وجرحه العميق هتذا مؤلم
لا تلمسوه! إنه محطم

دمشق — أبو قيس

(١) الاناء الذي تنمو فيه الازهار وتزدان به الدار ويسمى الاصيص أو القصرية.

حديث الطبيعة

لشاعر الطبيعة وردزورث

أجاب صديقي ذات صباح لدن رونق العيش غض نضر
هنالك عند البحيرة إذ جلست أطيل لديها النظر:
أراك قضيت سحابة يومـ ـك منفردا فوق ذاك الحجر
ففيم اعتزالك يا صاح تمضي حياتك بين الرؤى والذكر؟
وكتبك أين؟ شعاع الحياة يبين من أمرها كل سر
إليها! وفز بتراث الجدود الـ ـلذي خلفوه لآتي العصر
تقلب في أمك الأرض عينا كأن ولدتك لغير وطر
كأنك أول من ولدته ولم يحي قبلك حي غبر،،
فقلت: وهل أذن تأتلي عن السمع، أو مقلة عن بصر؟
سواء على الجسم إن رمت منه الشعور وإن لم ترمه شعر.
رأيت الطبيعة ذات قوى تغلغل في مهجات البشر

تغذى النفوس وهن سكون ولم نشق فيها النهى والفكر
أيحسبنا لن ننال الحقيقة دون طلاب طويل عسر
وهذى الطبيعة آثارها شواهد ناطقة بالعبر؟
فان ترنى الحديث الطبيعة أنصت فى صمتى المستمر
فلا تسألى علام قضائى حياتى بين الرؤى والذكر»

فخرى أبو السعود

محمـــد

للشاعر الفيلسوف جيته

بقلم الأستاذ الجليل معروف الارناءوط

أولع جيته شاعر المانيا الاكبر وأديب الانسانية الاعظم فى شبابه باشعار الشرق واقاصيصه، وبلغ من ولعه بمحاسن الشرق حدا جعله يتهافت على دراسة ماضى شعوبه، وفى سنة ١٧٧٢ قرأ جيته للمرة الأولى ترجمة القرآن للاستاذ ماغرلين فسحرته بلاغة سورة ابراهيم، كما استهوته طفولة محمد، هذه الطفولة البارعة التى أمضاها فى بيت حليمة السعدية مرضع الرسول اليتيم، وكان جيته على نصرانيته يشعر بصفاء الاسلامية وطهارتها، فعكف على دراسة حياة محمد وخرج من هذه الدراسة التى وهب لها عواطفه واحساساته بروايته التمثيلية «محمد»، وهى مأساة فى ثلاثة فصول أودعها جيته أرق اشعاره وأعذبها، وكان أمتع فصول هذه الرواية التى لم تنقل لسوء الحظ الى اللغة العربية ذلك الفصل البارع الذى صور فيه شاعر المانيا الاكبر محمدا معتزلا قومه ليعيش فى الريف، وفى هذا الفصل يتحدث الرسول الى الكواكب، ثم يفتح صدره لله فيغمره بنوره الخالد، ويخرج يتيم مكة بعد ذلك الى العالم نبيا ورسولا

ومما هو جدير بالذكر أن رواية محمد لم تكد تظهر فى المانيا حتى راح خصوم جيته يتهمونه بالكفر والخروج على النصرانية فنشر جيته على أثر ذلك رسالته المشهورة وعنوانها: لماذا آمنت بمحمد، وذكر فيها انه أحب محمدا كما أحب عيسى بن مريم، وأنه يرى فى الاسلامية ديانة الخلق السامى الصحيح.

وقد نقلنا بعض فقرات من هذه الرواية العظيمة ليقف القراء على رأى سيد أدباء العالم فى سيد انبياء العالم.

الفصل الاول — المشهد الاول

محمد ينظر الى الكواكب..

أواه! لا أستطيع أن أفرق بينك يا اشعار السماء، الا ترين الى نفسى وقد برح بها شجن بليغ عنيف، لقد كان من أرضى أمانى هذه النفس أن تهب احساساتها لكل كوكب؟ فما قدرت على ذلك؟ فأى هذه النجوم الفواتن يسلفنى السمع ويسترق صلاتى؟.. أى هذه النجوم ينظر الى طرفى الدامع الضارع؟

أى كوكب العشية الساجية الرخية الظل، انك لتجوز نواحى الافق، فى حاشية من بروق فتانة، ثم تواريك هذه الغلائل الرقيقة فتنأى عنى فأناديك، الا عد الى مسفرك وانظر الى، فانى أولعت بك أشد الولع، وهمت بفتونك واشراقك

أثابك الله ايها القمر، انك لافضل من يرشد هذه الكواكب، ويقودها الى عوالم الضياء والبهاء، فأنر طريقى ولا تذرنى هائما فى هذه الظلمات مع شعبى السادر الحائر!

وانت ايتها الشمس التى تخلع ظلها على الاشياء والناس، ظلليني بنورك البهى وقودى خطواتى، ولا يحجبك عنى سحاب أو ضباب!

اواه! أتتوارين عن عينى فى الاسداف البعيدة ايتها الشمس يا من غدا أمرها فتنة لجميع الناس

من يجذبنى اليك ايها القدير العظيم، من يقربنى منك يا من خلق الارض والشمس والقمر والسماء وخلقنى انا فى لحظات، من يقربنى منك فاغسل قلبى بنورك الذى لا يغيب

المشهد الثانى ـ محمد ـ حليمة

«محمد»: اى حليمة! لماذا جئت فى هـــذه الساعة الهانئة الصافية؟! كان وفودك على لاثارة حياتى الراكدة الساجية؟

«حليمة» جنب نفسك الخوف يا بنى فانى مازلت أبحث عنك منذ غارت الشمس واظفل النهار، ناشدتك الله الا تعرض شبابك الرقيق الناعم لاسواء الليل ومخاطره

«محمد» يفرق الرجل الردىء الخبيث من متوع النهار كما يفرق من سحر الليل، وذلك لان الرذيلة تجلب التعاسة، أما أنا فلست ذلك الرجل الذى يعاف متوع النهار وبهاء الليل، فلقد غمر الله نفسى بضوئه، وخلق من حولى عالما يزهر شبابى ويريق عليه سحره وفتونه.

«حليمة» ولكنى أخاف عليك وأنت فى عزلتك فى هذا الليل البهيم ان يدهمك اللصوص والسراق

«محمد» الا ترين الى؟ اننى لم أكن وحدى فى هذا الريف الضحيان

«البقية على صفحة ٤٠»

العلوم

الحمى داء ودواء

للدكتور احمد زكى
وكيل كلية العلوم

الحمى من قديم الزمان عرض مخوف وطارق مرهوب ، وكثيرا ما كانت رسول الموت وقائد الحى تحدو ركبه الى وادى الفناء . ولكن فى هذه الايام القريبة الماضية نشأت فكرة أخذت تحل محلا ذا بال فى رءوس البحاث من الاطباء ، أو فى رءوس القليل منهم الذين لاتزعجهم غرابة الخاطر ، ولا يصرفهم عن الامر خروجه عن المألوف . ومحصول هذه الفكرة أن الحمى ذلك العدو القديم للحياة قد تنقلب ، أو يمكن تأليفها وقلبها الى صديق نصير ، فبدل أن تكون عوناً على الداء ، تصبح عونا على الشفاء ، فى بعض الامراض التى عجز عنها الطب وحار فيها الاطباء .

وحكاية هذه الفكرة بسيطة بقدر غرابتها ، ومنشؤها تافه بالرغم من خطورتها ، وهى فى ذلك جرت على سنة جرى عليها كثير من المستكشفات التى غيرت من سطح الارض ، وتحكمت فى مستقبل الانسان . ذلك انه منذ خمسة أعوام فى معامل للكهرباء كبيرة مشهورة لاحظ مديرها المستر «وتنى» ان المهندسين الذين كانوا يمكثون فى مجال الكهرباء الاستاتيكية لناقلات الراديو ذى الذبذبات العالية ، ولو زمنا قليلا ، يحترون وترتفع فعلا درجة حرارتهم . وأذاع المدير فى تقرير له هذه الحقيقة ، ولكنها لم تسترع اهتمام أحد فى عالم الطب . ولحسن الطالع لم يكن «وتنى» طبيبا فلم يأبه لهذا الخذلان ، وكان يهوى الحقيقة انى وجدها وكيف وجدها ، وكان واسع الاطلاع كثير القراءة ، فذكر أنه قرأ مرة أن العالم النمسوى الاستاذ «وجنار ياوديج» شفى عدة أشخاص مجذومين مشلولين من أثر الجذام المعروف بالزهرى بأن أصابهم عامدا بداء الملاريا ، وذكر أن هذا الحادث أثار مناقشات حارة بين رجال الطب فى أوربا ، ثارت فى سبب هذا الشفاء أهو الملاريا أم ظروف عارضة لا علاقة لها ؟ وانتهى النقاش الى غير خاتمة .

ذكر «وتنى» ذلك ، وكان جاهلا بالطب ، وذكر أن الملاريا تصحبها حرارة عالية ، فتراءى له فى لمحة ان الحمى التى تصحب الملاريا ربما كانت هى السبب الاول فى الشفاء ، ذلك أنها تطبخ ميكروب الجذام فتهلكه . وتراءى له أنه لو صح هذا لكان للحمى التى تحدثها الكهرباء مثل هذه الصفة . على أثر هذا استأجر خبيرة فى علم وظائف الاعضاء اسمها الآنسة «هوزمر» فاثبتت له ان الفئران وأمثالها من الحيوانات القارضة يمكن اصابتها فى المجال الكهربائى بأى قدر يراد من الحمى . وبعد ذلك استخدم الدكتور «كربنتر» وهو بكتريولوجى ذو خبرة وأمانة ، فعدى كثيرا من الارانب بالجذام ثم وضعهم فى المجال الكهربائى ليصيبهم بالحمى فشفاهم بذلك

نشرت هذه الابحاث منذ ثلاث سنين ، كان من المنتظر ان تثير فى عالم الطب عاصفة ، ولكنها لم تثر الا نسائم خفيفة ، وسبب هذا أن الطب امتلأ فى السنوات الاخيرة بأكاذيب كثيرة وشعوذة مهينة للعلم ، صدرت عن علماء أو متعالمين ، وعدا هذا فالجديد اينما سار يجرور اءه ظلاما من الريبة ، ولاسيما اذا كان الجديد بالغا فى الغرابة ، شديد المناقضة للمعروف ، وقد تكون بساطته سببا لاتهامه ، وتعقده شفيعاً له الى قلوب الناس وعقولهم .

لم يجزع «كربنتر» للذى لقي من جمود القوم ، وأخذ سبيله ، فبنى صندوقا أشبه شىء بناووس الموتى ، وأغرى قوماً يؤمنون بالتضحية فى سبيل الخير بالدخول فيه ، فاستطاع بالكهرباء أن يرفع درجة حرارتهم ، ولم يلبث قليلا حتى وجد أنه بضغط زر أو ادارة عقرب يستطيع أن يتحكم فى حرارة المريض رفعا أو خفضا مقلدا بذلك حمى الملاريا ، ولم يلبث أن ذهب هذا العلاج بجنون ثلث المرضى الذين عالجهم . ولكنه كان علاجا مؤلما شديد الوطأة ، وهو فوق ذلك لا يؤتمن ، لأن المريض أثناءه يتصبب عرقا يتجمع فتتركز فيه الطاقة الكهربائية ، فيحدث من هذا تفريغ ينشأ عنه شرر وبرق يحرق جلد المريض ، ولعل جنون المرضى فى الاحوال المذكورة كان رحمة ، فلولاه لخافوا الالم ونظروا فى العاقبة فاحجموا

لو أن تجربة «وتنى» وقفت عند هذا الحد لما قدر لها النجاح ، ولكانت طرفة تقفهنا للعلم والتاريخ فحسب ، ولظل الطبيب الى

الابد يعالج هذا الداء بالزرنيخ ، ذلك العقار السام الذي لا تؤدى القناطير منه الى شفاء تام لاشبهة فيه . ولكن في يوم شات مثلج من يناير عام ١٩٣١ بالولايات المتحدة بلغ رجلا من العلماء ما كان من أمر التجربة ، ففكر فخال لساعته أنه لو صنع خزانة على مثال الناووس وأمر فيها تيارا من الهواء الساخن بقدر ليخر بذلك العرق المتساقط من المرضى فحاهم خطر الحريق . وبعد عشرة أشهر كان هذا العالم مع رفقة آخرين آثروا جميعا ستر أمرهم الى حين قد أتموا الخزانة في حجرة من مستشفى متداع يقعة بغرب الولايات لا تسمى . وكان فاتحة أعمالهم أن وضعوا فيها ضحية من ضحايا الزهري — ولم تكن الخزانة تهيأت للهواء الساخن يمر فيها — ولكن الرجل كان في المرحلة الاخيرة من المرض يعاني كربه فلم يبال أحيا خرج من الخزانة أم ميتا . ولعله رأى فيها وسيلة انتحار أضمره لا تصم ذويه من بعده ، واليوم هذا الرجل حي يرزق ان كان يشكو شيئا فذلك أنه لا يكتسب من عمل يومه بمقدار ما يحب .

وأدخل الهواء في الخزانة على درجة ٥٠ مئوية . وكانت هذه الحرارة يظن كافية لتجفيف قطرات العرق المتجمعة على اجسام المرضى ، ولكن هذا الظن لم يتحقق كله . وعلى رغم ذلك جرى العمل على ما رسم بفضل مهندس شاب مخلص قيم على جهاز الهواء . وبممرضات صبورات كن يبعثن من لطفهن وأنوثتهن وحنانهن الامل والرجاء في قلوب المرضى التعساء ، وهم في الخزانة ، في ألم من الداء وهول من الدواء .

وفي ذات أحد من الآحاد اشتعلت النار بالخزانة فانقض في نصف ساعة بناء عام ، فكنت لا ترى الا ركاما من فحم ورماد وأنابيب منصهرة وأسلاك ملتوية . والى جانب هذا الحطام المهندس الفتى والممرضات بعيون شاخصة حجبت أبصارها الدموع

لم تستطع النار ولا الدمار اللاحق أن يضعف من همة تلك الرفقة الكريمة في صراعها في سبيل الخير . فلم يمض قليل من الزمن حتى أقاموا خزانة جديدة أقرب الى الغرض وأكثر إراحة للمرضى ، وقد يكون بعض النفع من البلاء . وجاءت النقالة بعد النقالة تفرغ في الخزانة الجديدة حمولتها من أجسام أهلكها الجذام وأعقابه . وما لبث الكثير منهم ان خرج من المستشفى على رجليه يسعى كالناس يحدوه رجاء جديد في حياة جديدة . من ذلك شاب بلغ الزهري الى أعصابه وشرايينه فلم يكن يستطيع الحراك ولا اطعام نفسه . حم في الخزانة ثلاث مرات كل مرة خمس ساعات فاستطاع بعد ذلك أن ينال فمه بيده . وبعد الحمى الثامنة استطاع أن يقف لأول مرة على قدمين مرتعدتين ، وذلك بعد عام من بدء العلاج . وهو الآن يزاحم الأحياء بالمناكب في الطرقات يسعى الى رزقه سعيهم الى أرزاقهم .

ومن ذلك طفل في التاسعة من عمره جاءت تقوده أمه لأن الزهري كان أصاب عينيه فلم يكد يفرق بهما بين نور النهار وظلمة الليل . حم تسع مرات فارتد اليه بصره كما كان . وعولج اثنا عشر مريضا من شل الزهري أجسامهم وذهب بعقولهم فعاد اليهم جميعا صوابهم الا واحدا . وعولج آخرون ظاهرهم الصحة وفي دمائهم خبث المرض فتطهروا بعد الحمى من الداء الدفين النائم الذي قد يستيقظ يوما من أيام العمر فيودي بصاحبه بعد أن يذيقه ألوان الشقاء .

وتتجه الأبحاث في الوقت الحاضر الى محو مرض الزهري وهو في أدواره الأولى قبل ان يستقر الميكروب في جثمان المريض ويتغلغل فيه الى حيث أصول الحياة ومنابتها ، وقد لا يمضي عقد من الزمان حتى يمكن تأمين ملايين البشر من هذا البلاء الذي لا تزيده الأيام الا انتشارا ، ففي أمريكا وحدها نحو من عشرة ملايين مسهم هذا الوباء ، اما بالعدوى واما بالوراثة . وفي مصر يفتك الداء في ذوي الخطايا والأبرياء على السواء ، وهو في مأمن من الاحصاء .

وسوف تقوم دون انتشار هذا الجهاز الجديد عقبات ، منها أنه غالي الثمن فليس في استطاعة كل مطبب حيازته ، ومنها انه معقد ككل جهاز في أول نشأته ، ومنها أن التطبيب به ليس من الأمور اليسيرة الا في أيد خبيرة قديرة ، وبقوامة ممرضات لبقات صبورات تدربن خصيصا لهذا العلاج الجديد . وهي كلها عقبات هينات عرفت حيلة الإنسان كيف تتخطى الألوف من أمثالها ، وأنا لما تأتي به السنون لمرتقبون .

العمدة في أخبار هذا المقال الاستاذ بول دي كرويف

القصص

كلبتى (بلوتا)

بقلم الاديب حسين شوقى

من المظنون ان العبقرية لاتغيب طويلا عن (كرمة ابن هانئ) فان البواكير التى تتفتح عنها قريحة حسين شوقى فى الشعر والقصص لابد أن تذكرها بمطلعها الأول ومألفها القديم . ولعلك واجد فى هذه القصة الساذجة من رقة الحديث وخفة الاسلوب ما يبعث الأمل فى هذا الظن

اذا سقت اليك الحديث الآن عن كلبتى (بلوتا) فانما هى حجة أصطنعها لأذكر فصلا من عهد الطفولة اللذيذة التى تنعش ذكراها النفس كأنما هى على حد تعبير المصريين القدماء : مكان رطب ظليل فى يوم قيظ لافح ..

(بلوتا) كلبة اسبانية . حصلنا عليها فى برشلونة أثناء المنفى ، على سبيل الهدية . . وكان صاحبها من رجال السلك السياسى اضطرته المهنة أن يغادر اسبانيا الى بلد آخر بعيد . وكان يخشى ما تجره اليه بلوتا من متاعب أثناء الطريق . فرأى ان يهديها الينا ..

قدمتنا بلوتا بعد ظهر يوم من أيام الشتاء ضاح جميل ، وكنا مجتمعين فى الحديقة ننظر ذلك العضو الجديد فى أسرتنا ! .

حقاً ! ما كان أجمل بلوتا بشعرها الأبيض الناصع ذى اللفائف المتعددة ، لانها كانت من النوع الذى يشبه الخراف فى فروته . . . وكان شعرها مقصوصا على شكل يحاكى لبدة الأسد ، أرسلوه الى آخر الصدر ثم حلقوا النصف الباقى بالموسى . . وكان فى عنقها طوق أحمر يبدو احمراره بين الخصل المكدسة من تلك الفروة القطنية . .

وكانت بلوتا فى تلك اللحظة تمشى الهوينى فى خيلاء وتيه كأنها تطلب منا أن نتأمل حسنها فى أناة . أو ربما لم يكن فى استطاعة المسكينة أن تمشى أسرع من ذلك لبدانة جسمها . . وقد سميت من أجل هذا بلوتا أى الكرة . .

وألفت بلوتا عشرتنا فى أقصر مدة . حتى كانت تضايقنا بهذه الألفة . . اذ لم يعد فى استطاعتنا أن نذهب الى أى مكان بدونها

وكان فى احدى ضواحى برشلونه متنزه جميل تتوسطه بحيرة حفت بالأشجار الكثيفة الملتفة فكنا نقصد هذا المكان فى أيام الصيف فنتغدى على ضفاف البحيرة ، فكانت بلوتا ترافقنا الى هذا المكان . . بل كانت تتقدمنا اليه فى المسير . . فاذا ما شاهدت الماء جن جنونها فتلقى بنفسها فى البحيرة وتظل تسبح طول النهار رائحة غادية فى عظمة وأبهة كأنما هى مدرعة تختال فوق عباب الأطلنطيق !

فاذا دعوناها الى الانصراف أبت مغادرة الماء ، فكان لابد من الاحتيال عليها لاخراجها منه ، وكانت أنجع الحيل معها ان نلوح اليها من الشاطئ بقطعة من السكر ، لانها كانت مولعة بأكله . فاذا خرجت لتلتهمه قبضنا عليها بسرعة !

لشد ما كانت بلوتا تعبد الماء ! ، انها لتحملنى على ان أصدق الرأى القائل بتقمص الأرواح ! فليت شعرى فى أى نوع من السمك قد حلت روح بلوتا من قبل يا ترى ؟

الفت بلوتا كلاب الحى كذلك ، حتى كان لها من بينهن العشاق الكثر . . لأن كلاب الاسبان ككلاب الشرق يملن أيضا الى الأجسام البضة !

واذا كان لبلوتا «كما تقدم» شكل الأسد ، فلم تكن لها أبدا شجاعته ، فانها كانت تولى الأدبار عند ما يحتدم الشجار بين عشاقها (من أجلها) وتعود فتختبئ تحت سريرى . .

والأمر الغريب ان بلوتا كانت على علاقة حسنة حتى مع القطط ! كانت مثال التسامح صادقة الايمان بمبادئ لوكارنو السلمية !

ولما كانت بلوتا بدينة الجسم فقد عولت ذات يوم على ان أجرب على جسمها التمارين الرياضية لاخفف من شحمها المتكدس ، فكنت فى صباح كل يوم أطرحها على الأرض ثم أشد يديها الى الخلف ، ورجليها الى الأمام . . مرارا عديدة . . حتى تئن المسكينة من التعب والألم وكلما كان والدى يرانى منهمكا فى ذلك . كان يلومنى على عملى صائحا ، ما أقسى طبيعة الطفل ! أما أنا فكنت أفعل هذا لأنتقم لنفسى على حساب بلوتا المسكينة ، مما كنت أعانيه من الشدة فى التمارين الرياضية بمدرستى من أستاذها الألمانى

ولشد ما كانت بلوتا ذكية أيضا !

كانت لها حجرة نوم تحت السلم طولها متران فى مثلهما عرضا . وكانت الخادم تأتى كل ليلة الى الصالون حوالى الساعة العاشرة فتأخذها من بيننا لتذهب بها الى تلك الحجرة فتغطيها باللحاف ، لان ليالى برشلونه الشتوية قارسة البرد ، فاذا أبطأت الخادم فى بعض الليالى فى الحضور ، كانت بلوتا تذهب بنفسها الى حجرة نومها ثم تعود الى الصالون وفى فمها غطاؤها ، وتظل منتظرة على هذه الحال حتى تحضر الخادمة فترافقها الى مضجعها ! .

وكانت بلوتا تعبد الشكولاته ! واليك ما صنعته بى ذات مرة : كنت أنا أيضا أحب الشكولاته . . فكنت أشترى منها كل يوم لدى عودتى من المدرسة ـ بما قيمته خمسة قروش ، لان مرتبى لم يكن يسمح لى وقتئذ واأسفاه ان أشترى بأكثر من هذه القيمة . . وكنت آكلها سرا حتى لا يشاركنى فيها أحد . . ولكن بلوتا بذكائها الفطرى العجيب كانت تدرك الامر فتقف أمامى حينما تعرف إن القرطاس بجيبى ، ولا تبرح مكانها حتى أناولها قطعة منه . . فى ذات يوم كنت جالسا الى مكتبى ، عاكفا على دراستى ولم أعطها فى تلك المرة حصتها من الشكولاتة ؛ فلم يكن منها إلا ان دست يدها خلسة فى جيبى فسرقت القرطاس وذهبت دون ان اشعر ، فلما وضعت يدى فى جيبى لاخرج قطعة من القرطاس لم أجده ، ولكنى عرفت فى الحال من هو السارق ، فاسرعت الى السرير حيث اعتادت بلوتا ان تختبىء لانقذ ما يمكن إنقاذه ، فوجدتها ويا للاسف قد التهمته كله ! . . وكانت الشكولاتة قد لوثت ذقنها . . لقد غاظتنى فى ذلك اليوم لانه كان يوم عطلة ولم يكن فى استطاعتى ان اشترى قرطاسا آخر . . فلما انتهت الحرب الكبرى ، وسمح لنا بالعودة الى مصر ، اردنا ان نعجل الرجوع الى الوطن المحبوب فاجمعنا الرأى على أن نركب أول باخرة تغادر أوربا ، لذلك قصدنا البندقية لنلحق باخرة إيطالية كانت تتأهب للسفر بعد أيام قلائل ، ولما كان السفر طويلا شاقا على السكة الحديدية من برشلونة الى البندقية ، فقد تركنا بلوتا عند بعض الأصدقاء فى برشلونة ليرسلها الينا فى مصر على الباخرة التى تسافر من برشلونة مباشرة الى بورسعيد بعد شهر من ذلك التاريخ

وما كان أسعدنا وأسرنا حين جاءتنا برقية تنبئنا بوصول بلوتا الى بورسعيد ! . هرع فى مساء ذلك اليوم الى محطة القاهرة والدى وأخى وأنا لاستقبالها . . فلما وصل القطار اذا بنا نجد بلوتا سوداء اللون كأنها أحد عمال المناجم ، لان المسكينة قطعت المرحلة ما بين بورسعيد والقاهرة فى عربة الفحم ! . . عرفتنا بلوتا فى الحال . . وكم كان سرورها عظيما ! فكانت تارة تقبل ايدينا وطورا تجذب أرديتنا ، ومرة أخرى تقفز فى الهواء ، على رغم بدانتها . . اما ركاب القطار فكانوا ينظرون اليها دهشين . . ولما عدنا بها الى المنزل استطاعت بلوتا بقوة شمها الحاد ان تعرف حجرة والدتى فقفزت الى سريرها بفحمها وغبارها فايقظتها . ولم تنج بلوتا فى تلك الليلة من عقاب ، ثم الا لفرط اشتياقنا اليها بعد غيبتها الطويلة !

ولكن مسرات هذا العالم واأسفاه قصيرة المدى ! كما يقول سرفانتس . . فانه لم تمض على بلوتا أشهر قليلة فى مصر حتى مرضت مرضا شديدا اضطرنا إلى قتلها كى تستريح مما كانت تكابد من عذاب وألم

ثم دفناها بالحديقة تحت الشجرة الكبيرة بالقرب من السور الخلفى . . ثم حفرت اسمها وتاريخ ميلادها ووفاتها على شاهد من المرمر نصبته على قبرها . . وما لك تستكثر على بلوتا الوفية الذكية هذا الاكرام وفى الكلاب ناس كما فى الناس كلاب ؟



بليـــــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الاستــــاذ حسن صـادق

أشخاص القصة :

١ — اركل ملك ألموند
٢ — جنفييف أم بلياس وجولو
٣ — بلياس حفيد اركل
٤ — جولو « «
٥ — مليزاند
٦ — إينيولد الصغير ولد جولو من زوجه الاولى
٧ — طبيب

الفصل الأول

المنظر الأول :

(غابة في وسطها ينبوع ماء بعيد الغور تجلس على حافته مليزاند — يدخل جولو)

جولو — أقحمني النزق تيه الغابة الكثيفة ، وأخاف أن يعييني الخروج منها . . . الله يعلم الى أي مكان قادني الجواد وهو ضال في جموحه ! وقد جمعت فزعي في يمناي وقدمي : ثم صبته في جروح قاتلة تفتحت في جسمه الملتهب ، ولكنه أصر على الجموح وأسرف في الغضب ، ولمـــا ضللت الطريق أفلت مني وأمعن في الهرب . فقدت الجواد و يقيني أني هالك في هذا المكان الموحش . . . ستأكل الطير من رأسي وتلغ الضواري في دمي ، ولن يعرف كلابي السبيل الى ، سأعود الى البيت راجلا اذا اهتديت الى الطريق . . . ماهذا ؟ أخرير ماء أسمع أم هنين بكاء ؟ آوه ! من هذا الراقد على العشب . المطل على صفحة الماء الهادىء ؟ فتاة على حافة الينبوع تنوح ! (يسعل) إنها لا تسمع صوتي ولا أرى وجهها (يقترب من مليزاند ويلمس كتفها) لم تبكين ؟ (تنتفض مليزاند وتنهض مذعورة تريد الهرب) . خلي عنك الفزع فلست مارداً وما أنا من الشياطين . لماذا تبكين وحدك في هذا المكان الموحش ؟

مليزاند — ابتعد عني ! لا تقربني !

جولو — لا تخافي ولا تجزعي . لن يصيبك مني سوء . . . آوه ! ما أجملك !

مليزاند — إليك عني أو ألقي بنفسي في الماء !

جولو — إني بعيد . بيني وبينك خطوة . أترينني ؟ إني باق في مكاني اتحامل على هذه الشجرة . لا تحزني ولا تخافي . هل أصابك مكروه أم رماك أحد بشر ؟

مليزاند — أوه ! نعم نعم ! (ثم تتنهد تنهدة عميقة)

جولو — ومن الذي أشقاك ؟

مليزاند — كل الناس أشرار

جولو — وماذا أصابك ؟

مليزاند — لا أريد أن أبوح به ! لا أستطيع التعبير عنه !

جولو — كفكفي دموعك . أين مقامك ؟

مليزاند — لقد هربت . . . نعم هربت !

جولو — أدركت ذلك . ولكن من أين هربت ؟

مليزاند — ضللت الطريق ... واصطلح على الخوف والحيرة في سكون الغابة . لست من أهل هذا البلد ، ولم أولد حيث تراني

جولو — من أي بلد تكونين ؟ وأين مولدك ؟

مليزاند — من بلد بعيد المزار

جولو — ماهذا الشيء الذي يشع في جوف الماء بريقا ؟

مليزاند — أين هو ؟ ... آه ! إنه التاج الذي أعطاني اياه . . . لقد سقط في الماء أثناء بكائي

جولو — تاج ؟ ! من الذي أهدى اليك تاجا ؟ سأبذل جهدي في انتشاله

مليزاند — لا تفعـــل . لم أعد أشتهيه . تلاشت رغبتي فيه . متمناي الساعة أن أموت

جولو — هين على انتشاله فانه من حيلتي قريب

مليزاند — ليس لي رغبة فيه . إذا انتشلته ، ألقيت نفسي في مكانه

جولو — اطمئني بالا وقري عيناً .. سأنزل على مشيئتك ، وأتركه في مستقره . في استطاعتي مع ذلك إخراجه من الماء بلا عناء ! إنه رائع بديع ! هل مضى على هروبك زمن طويل ؟

مليزاند — نعم نعم . . . من أنت ؟

جولو — الأمير جولو حفيد إركل ملك ألموند الشيخ

مليزاند — أوه ! بدأ الشيب يدب في فوديك !

جولو — بعض شعرات بيضاء نثرها الزمن على رأسي

مليزاند — وعلى لحيتك أيضا . لماذا تحدق في هكذا ؟ !

جولو — أرنو الى عينيك ... انك لا تغمضينهما لحظة واحدة !

مليزاند — أغمضهما في الليل .

جولو — مالي أرى الحيرة في لحاظك .

مليزاند — أمارد أنت ؟

جولو — إنى بشر مثلك .

مليزاند — لم وطئت هذا المكان ؟

جولو — أجهل ذلك الجهل كله . كنت أصيد فى الغابة فرأيت خنزيرا وحشيا فانطلقت وراءه بجوادى . ولكنى أخطأت الصيد وضللت الطريق . . . ماء الشباب يترقرق فى وجهك ، ما عمرك ؟

مليزاند — بدأت أشعر ببرودة الهواء !

جولو — أتأتين معى ؟

مليزاند — كلا سأبقى هنا .

جولو — من ضعف الرأى أن تبقى وحدك فى وحشة الغابة ولن تستطيعى قضاء الليل فى سكون يروع القلب ويفزع النفس . . . ما اسمك ؟

مليزاند — مليزاند .

جولو — تعالى نخرج من الغابة .

مليزاند — إنى باقية .

جولو — ستخافين وحدك ظلمة الليل . ومن يدرى . . . ربما تكون الغابة ذات وحوش .

. . . الليل كله ، وبمفردك ؟ ! أقلعى عن عنادك وتفهمى قولى . هاتى يدك .

مليزاند — لا تلمسنى .

جولو — لن ألمسك فلا تصيحى . سيكون الليل حالك السواد شديد البرد . تعالى معى .

مليزاند — إلى أين أنت ذاهب ؟

جولو — لا أدرى . . . إنى ضال مثلك (يخرجان) .

المنظر الثانى :

(ردهة فى القصر . إركل وجنفيف جالسان يتحدثان)

جنفيف — سأتلو عليك ما كتبه إلى أخيه بلياس : « وجدتها ذات يوم عند الغبش تسكب الدمع الغزير على حافة ينبوع فى الغابة ، إنى أجهل عمرها وأصلها ولا أعرف لها موطنا . ولا أجرؤ على سؤالها لأنها نابية الطبع يستقر فى نفسها الذعر الشديد ، ويقينى أنها عانت أمرا أدخل على نفسها الاضطراب والهلع . وإذا سئلت عما حدث لها ، انخرطت فى البكاء دفعة واحدة وملأت الجو بالتنهدات العميقة التى تفرض على السائل الصمت والخشوع . وقد مضى على زواجى منها ستة أشهر ، ولا أعرف اليوم من أمرها أكثر مما عرفت فى ساعة اللقاء الأولى . ولكنى آمل أن أصل إلى ما أريد بعد وقت وجيز . وليس هذا ما يهمنى يا بلياس ، يامن أعزه أكثر من شقيق . ولو أننا من صلب واحد ، وإنما الذى يشغل بالى ويقض مضجعى هو أمر العودة إلى أحضانكم والعيش بينكم كما كنت قبل الزواج . ولذلك أكتب إليك ضارعا أن تمهد لى الطريق . أعلم علم اليقين أن أمى تعفو عنى فرحة مستبشرة . ولكنى أخاف إركل على الرغم من طيبة قلبه وسراوة خلقه . لأنى هدمت بهذا الزواج صروح أمله وخيبت فجأة كل خططه السياسية . وأخوف ما أخافه ألا يشفع لى إلى حكمته جمال مليزاند وسحرها الحى . فاذا قبل بعد سعيك الجميل أن يستقبلها فى بيته كما يستقبل ابنته ، فأشعل مصباحا بعد أيام ثلاثة وضعه فى أعلى البرج المطل على البحر ، حتى أستطيع رؤيته من السفينة التى أقيم فيها مع زوجى . وإن رفض رجاءك فإنى ذاهب إلى نبة بعيدة ولن تروني عوض » . . . كيف ترى ؟

إركل — وماذا أقول ؟ إن ما حدث يبدو لنا غريبا لأننا لا نرى دائما إلا عكس ما يهيئه القدر . . . كان فى كل حين يتبع نصحى ، وقد اعتقدت أن زواجه من الأميرة (إرسولا) يهىء له أسباب السعادة ، ولذلك تقدمت إليه أن يذهب إلى أهلها ويخطبها إليهم ! لم يكن فى مقدوره أن يعيش منفردا . وقد ثقلت عليه الوحدة بعد موت زوجه ، وجزت فى جلباب نفسه الحزينة . لو تم هذا الزواج الذى كنت أرغب فيه ، لوضع حدا لحروب طويلة وأحقاد قديمة ! لم يشأ ذلك . فليكن الأمر كما أراد . إنى لم أجعل من نفسى قط عقبة تعترض حظ انسان ، وهو يعرف مستقبله أحسن منى . وربما أنتج عمله نفعا لا ندركه اليوم .

جنفيف — كان فى كل أدوار حياته حازما رزينا بعيد النظر ، وقد وقف كل حياته بعد موت زوجه على ولده الصغير (راينولد) لقد نسى كل شىء . . . والآن ماذا نصنع ؟

(يدخل بلياس) (يتبع)



لغو الصيف

بقية المنشور على صفحة ٦

رجل من الناس أى جيل من الأجيال ، تركتهم قوما كراما يكرمون آباءهم وامهاتهم .. ويؤثرون ابناءهم وبناتهم ، ويشفقون من الآلام ، ويسرعون الى اللذات ، ويكثرون القول ، ويقصدون فى العمل ، ويفرون من الدور ، ويستقرون فى الأندية ، ويطيلون الحوار فى الأدب والسياسة ، ويقرأون الصحف ويعبثون بكتابها . . . قالت ياله من سيل جامح لا يقف ولا يهدأ ولا يتئد ، ولا يتخير ما ما يحمل ، ما عن هذا أسألك ، وما طلبت اليك ان تصور لى المصريين كما تراهم أنت بهذا الرأى المظلم القاتم ، الذى لا يعجب بشىء لا يرضى عن شىء ، بل ينكر كل شىء ، انما سألتك ... قال ياله من جدول هادىء متئد ، عذب ظريف ، لا يحمل غثاء ولا جنادل ، وانما هو صافى الصفحة نقى الأديم ، كله رضى وكله ابتهاج ، وكله أمل ، إنما تسأليننى عن الأدباء اليس هذا ما كنت تريدين ، قالت هو هذا ، ومتى رأيتنى أتحدث اليك عن غير الأدباء ؟ قال فقد تركت الأدباء فى شغل شاغل وهم مقيم ، يقولون فيطيلون ، ويعملون فلا يملون ، وكأنهم هذا القطار الذى يهم بالحركة فيكثر فيه الضجيج والعجيج والقعقعة والاضطراب ، وهو ثابت فى مكانه لا يريم ، لأن الله لم يأذن له بالحركة بعد ، او لأن أداة من أيسر أدواته لم يتح لها ان تشترك فى العمل مع أخواتها ، قالت وما ذاك ؟ قال إنهم يذكرون حافظا ، فقد دار العام على وفاته ، ولم يصنع له أحد شيئا . فهم يلومون أنفسهم وهم يلومون غيرهم ، وهم يلومون مصر كلها ، يلومون الشعب لأنه قصر غير عامد ، ويلومون الحكومة لأنها تعمدت التقصير ، حتى إذا أسرفوا فى اللوم واعياهم الاسراف عزوا أنفسهم وعزوا الشعب الذى قصر عن غير عمد ، والحكومة التى قصرت عن عمد بأن حافظا كان أديبا حقا ، فلا غرابة فى ان تدركه حرفة الأدب . وقد كان حافظ رحمه الله حسن الحظ . ميسرا له فى الأمر بالقياس الى زميله فى حرفة الادب منذ أكثر من الف سنة . فانت تذكرين أنها قد أدركت ابن المعتز فانتزعته من الخلافة ، ولما يقم فيها يوما ولم يكفها أن تنتزعه من الخلافة ، فانتزعته من الحياة على شر الاحوال وأشدها نكرا ، اما حافظ فقد كان بائسا فى حياته لم يعرف النعيم ، والبؤس أيسر من الخلع ، والبؤس الدائم ايسر من البؤس الطارىء ، بعيد طول النعمة وحسن الحال ، وقد مات حافظ على فراشه ، والموت الهادىء أيسر من الموت العنيف ، وحافظ بائس بعد موته لم يجتمع له الناس ، ولم تمتلىء له الاوبرا ، ولم تلق فيه الخطب المدبجة . ولا القصائد المنمقة . وقبر حافظ مجهول أو كالمجهول ولكن هذا البؤس كله ليس شيئا بالقياس الى بؤس آخر أشد وامض . وهو هذا الثناء المتكلف ، وهذا الاكبار المصنوع ، وهذه الخطب والقصائد التى لا يراد بها وجه الله ، ولا وجه من قيلت فيه ، وانما يراد بها وجه الذين يصرفون السياسة ويسيرون أمور الناس كما يحبون ، والى حيث يحبون ، فقد كان حافظ ومازال بائسا ، وكان حافظ ومازال شقيا ، ولكن شقاء حافظ سعادة ، وبؤس حافظ نعيم ، وما كان أحق شوقى رحمه الله واجدره بأن يشارك حافظا فى هذا البؤس المجيد ، فقد كان شوقى كما كان حافظ مجدا لمصر وللشرق وللادب العربى ؛ ولكن السياسة استأثرت بشوقى فازدردته ازدرادا ، وعجزت عن ان تستأثر بحافظ ، وأى غرابة فى هذا ؟ لقد كان شوقى رحمه الله هينا لينا رفيقا رقيقا ، وكانت فى حافظ صلابة الشعب وغلظته ، وخشونة الشعب وشدته

قالت وهى محزونة : ولكن بؤس حافظ مهما يكن مجيدا بالقياس اليه فهو عار على مصر ، ومن حق مصر لنفسها ان تكشف هذا العار ، وكانا قد بلغا ناديا من هذه الاندية التى يكون فيها الرقص مع المساء والتى يؤخذ فيها الشاى ، فاتخذا مكانا منزويا فيه دون ان يتفقا على ذلك ، انما هى رغبتهما فى إتصال الحديث ، وزهدهما فى هذا المتاع الذى يتهالك عليه الناس ، ولم ينقطع حديثهما وقتا طويلا ، انما هى لحظة طلبا فيها الى الخادم ما كانا يريدان ، ثم اتصل بينهما الحديث ، ولكنه لم يمس أمير الشعراء ولا شاعر النيل . قال ومع ذلك فلم تسأليننى عن مصر والمصريين وانت ترين مصر وأدباءها فى فرنسا كأحسن ما تحبين ان تريهم ؟ قالت فى فرنسا ؟ واين ذاك ؟ قال ماذا تصنعين اذن منذ تركت السفينة ؟ ألا تقرئين ؟ قالت لا . قال بل تكتبين وقد كان ينبغى ان أفهم هذا . ولعلى قد فهمته حين رأيت تلك الصحف المنثورة على المائدة ، والتى اسرعت الى جمعها واخفائها حين رأيتنى مقبلا عليك كأنك خفت أن أمد اليها يدا . أو أن أختلس اليها نظرة ، قالت لا تقل هذا ولا تسرف فى التجنى ، فما كنت أستطيع ان أمضى فى الكتابة وقد أقبلت ، وما كان ينبغى لى أن أدع المائدة مختلطة كما كانت ، قال فاذا سألتك أن اقرأ بعض هذه الصحف التى كانت منثورة فهل تأذنين ؟ قالت هذا شىء آخر . دعنا من هذه الصحف المنثورة فستقرأها يوما ما ، ولكن حدثنى أين وكيف أستطيع ان أرى مصر والمصريين فى فرنسا ؟ قال تستطيعين أن ترى مصر والمصريين فى فرنسا الآن ، وفى هذا المكان ، وعلى هذا النحو ، ثم أخرج لها صحيفة النوفيل ليترير ونشرها ، وقال انظرى ، فنظرت فدهشت فسكتت ، ثم قالت هذا غريب ! صفحة أدبية عن مصر لا يكاد يكتب فيها مصرى ! قال ولو ترجم

مافيها للمصريين لرأوا أنفسهم كما يرونها فى المرآة الصافية الناصعة ، أليس قد صور لهم كاتب أمير شعرائهم العظيم تصويرا لا يصفه من قريب ولا من بعيد ؟ أليس قد زعم هذا الكاتب ان قد كان لأمير الشعراء خصوم كلهم بغيض ؟ أليس قد أذاع هذا الكاتب بين الفرنسيين والاوربيين الذين يقرأون هذه الصحيفة صورة عن شاعر مصر وعن انصاره وخصومه لاتلائم رأى مصر ولا حاجتها ، وانما تلائم رأى السياسة القائمة وحاجة السياسة القائمة ؟ قالت سأقرأ هذا الفصل ، ولكن انظر ، قال وما تريدين أن أنظر ؟ أتظنين انى لم أقرأ هذه الصفحة قبل الآن ؟ ماذا تنكرين ؟ فصل لصديقنا الاستاذ أنطون الجميل عن المجمع اللغوى الملكى ، أى غرابة فى هذا ؟ قالت وهى تضحك ضحكا حزينا ، الغرابة أن يعلن عن هذا المجمع فى فرنسا ولما يوجد فى مصر بعد ، قال لم يوجد الآن فسيوجد بعد عام ! قالت فقد كنت أحب من صديقنا ، بل كنت أحب لصديقنا أن ينتظر حتى يوجد هذا المجمع بالفعل قبل أن يكتب عنه فصلا طويلا ، فقد أرى أن فصله غير قصير ، وما عسى أن يكتب بعد أن يوجد المجمع ؟ قال ليس على صديقنا بأس من أن يكتب عن مجمع ان لم يوجد بالفعل فهو موجود بالقوة ، ولا سيما اذا طلبت اليه الكتابة وألح عليه فى الطلب ، وليس انتزاعه الى الكتابة فى شىء هو الى الوهم أقرب منه الى الخيال ، فضلا عن الحقيقة الواقعة هو الذى أنكره عليه أو ألومه فيه ، انما أنكر عليه فهمه للمجامع اللغوية وتصويره لتاريخها عند العرب ، أترين الى أسواق الجاهليين ؟ لقد كانت مجامع لغوية عند الاستاذ انطون الجميل .. اترين الى قصور الخلفاء ؟ لقد كانت مجامع لغوية عند الاستاذ أنطون الجميل ، ثم اترين الى مدارس اللغة والنحو والادب فى البصرة والكوفة وبغداد وفى حلب ودمشق والقاهرة وقرطبة ؟ لم تكن من المجامع اللغوية فى شىء عند الاستاذ انطون الجميل .

هذا كثير ! الا ترين ذلك ؟ قالت وأكثر منه أن يستجيب صديقنا لدعوة السياسة ، وان يرضى صديقنا لنفسه أن يضع الادب من السياسة هذا الموضع ، وقد كنت ارى أنه يجب اخضاع السياسة للأدب ، لأكتبن اليه ، قال لا تفعلى ، فليس هو الآن فى القاهرة ، انه يطوف فى لبنان فانتظرى حتى تعودى ويعود ، ثم خذى معه فى هذا الحديث ، ولكن أقرئى هذا الفصل وفكرى فيه ، فهو فصل من فصول الصحف السيارة فى مصر لا أكثر ولا أقل

ولكن حدثينى اتريدين أن تطيلى الاقامة فى نيس ؟ قالت وانت حدثنى كيف وقعت الى نيس وانت تقصد الى مدينة النور ؟ قال وهل يكون النور الا حيث أنت يا آنسة ؟ قالت مغيظة : هل تعلم انك تثقل على احيانا بهذا العبث السخيف ؟ قال ما أردت هذا ولا فكرت فيه . وما أرى انى الام ان كنت ثقيلا . فلعل الثقل أن يكون بعض طبيعتى ؟ فخذينى كما أنا ، قالت فان لم يعجبنى منك هذا . قال فاحتمليه على أى حال . فلعل عندى ما يهون عليك احتماله ، اتريدين أن تطيلى الاقامة فى نيس ؟ قالت سأقيم اياما ، وانت ؟ قال سأقيم فيها ما أقمت أن لم يثقل عليك ذلك ، وسنرتحل معا حتى اذا كنا فى بعض الطريق تخلفت أنت فى مدينتك الجامعية الصغيرة فاصطليت فيها حر الصيف ونار العلم والأدب ، ومضيت انا الى باريس ، ومن يدرى ، لعل نار الأدب والعلم أن تستهوينى فاتخلف وقتا طويلا أو قصيرا ، وهل أنا فراشة تستهويها النار ، ولا تكره أن تحترق بها ؟ قالت فى شىء من التفكير : انت مقيم فى نيس ما أقمت ، مرتحل عن نيس اذا ارتحلت عنها ، متخلف حين اتخلف ، مصطل للنار التى أريد أن اصطليها . قال هذه خطة مرسومة ، وكيف تريدين يا آنسة أن تغيرى ما رسم القضاء ؟

طه حسين

« محمد — بقية المنشور على صفحة ٣٢ »

فلقد أبى الله سيدى ومولاى وخالقى الا أن يصحبنى فى هذه الوحدة

« حليمة » أرأيت الله يابنى ؟

« محمد » وأنت الا تبصرينه ؟ انه غير بعيد عنى ، ولا يبرح يتراءى لى عند الينبوع الدافق الهادر ، وتحت السرحة الغناء . وفى الظل الرقيق البهى . . لقد توافى الى من عليائه فاحسست حرارة حبه ، وشق صدرى وانتزع من قلبى حوباته حتى يتاح لى ان أفهم معنى حبه ! .

« حليمة » : ولكنك تحلم اذن كيف يقدر لك ان تحيا وقد شق الله صدرك ؟

« محمد » سأصلى صلاتى لله فلعله يضىء عقلك فلا يبدو لك حديثى غامضا مبهما

« حليمة » : وأى اله هذا الذى تعبد ؟ أهو اللات أم هو هبل ؟

« محمد » : أى شعبى التعس ! انك لتضل السبيل وتنزع الى الحجارة والأصلاد فتجعل منها الها يعبد ! ولكننى ما زلت أحبك على شديد تعسك ، وهذا الحب الشديد العنيف هو الذى يحفزنى الى مصارحتك بان هذه الحجارة التى تصلى لها لا تستطيع أن تستمع لك ، وليس فى ميسورها أن تفتح لك ذراعيها

« حليمة » : أين يسكن الهك ؟

« محمد » : انه فى كل مكان يا حليمة ! . .



النجوم فى مسالكها

أدب جديد

للأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

ليطمئن دعاة الجديد من كتابنا الأدباء فلست بمقاسمهم فخر نصر أحرزوه ، ولا بمنازعهم فضل طريق شقوه ، وليطمئن أنصار القديم فلست بمنتقص تراثا عزيزا قدسوه ، ولا عائب جمالا فتنوا به وألفوه ، ولكنى مطلعهم على واد جديد من أودية الأدب تلتقى عنده وجهاتهم ، ويجدون فيه جميعا ماينقع غلتهم .

سيجد فيه عشاق المعانى المبتكرة منبعا خصبا ، لايعوزهم معه امتداد فى الخيال أوسعة فى التأمل أوعمق فى التفكير ، وسيجد فيه عشاق الصياغة البارعة ، والأنغام الرنانة مشاهد سحرية تتجلى فى وصفها بدائع صناعتهم ، وآفاقا خلابة يطيب فيها ترديد أنغامهم ، ومسارح للجمال أشد استهواء وأروع تناسقا من كل مامر بخاطرهم

ففيه مبعث التفكير ومهبط الوحى لمن كان عصى الابتكار ، يضنيه تلمس الخيال الرائع ، ويجهده أن يلد كل يوم جديدا ، وفيه ذخيرة الرأى ومادة الوصف لمن كان غنيا باللفظ والصياغة فقير المعانى هذا الأدب هو ماأسميه أدب العلم .

وقد يبدو غريبا امكان التزاوج بين العلم والأدب ، فقد ألفنا أن نرى العلم سلكا من الحقائق الجافة يؤلف بينها منطق صارم دقيق ، وألفنا لغة العلم مضغوطة جافة مشحونة بمصطلحات موضوعة تجعل بينها وبين الغريب عن العلم حجابا ، وألفنا الأسلوب العلمى محبوكا لايكاد يفلت منه ماينم عن كاتبه ، ولايكاد يطل عليك من خلف عباراته روح انسانية تفيض عليه الحياة ، فهو جسم سليم الأعضاء تام التركيب ، ولكنه ميت لاروح فيه ، وهذا شر ماضيق دائرة العلم وحصره فى طائفة المشتغلين به .

والأدب ؟ لقد ألفنا الأدب متمردا على مقاييس المنطق الجافة يحمل رسالته للقلوب لاللعقول ، هو روح يفيض على كل مادة فيسبغ عليها حياة خالدة ، هو نفس الأديب مقطرة تشف من وراء كل عبارة يسطرها ، هو موسيقى الانسانية تتجاوب أصداؤها فى كل قلب ، ومن أجل ذلك كان الأدب رسالة عامة يفهمها الناس جميعا ويطربون لها ، فكيف التقى الأدب والعلم ؟

أن الثقافة الحديثة هى التى قربت بين المتباعدين ، وألفت بين المتنافرين ، فلقد أنتجت كثيرا من العلماء المتأدبين ، أو الأدباء العالمين ، وقد وجد هؤلاء من حقائق العلم ماهو أعجب من أوهام الخيال ، وبصروا بعين العلم مشاهد ترتد عنها العين غير العلمية كليلة لاتبلغ جمالها ولاتدرك مافيها من فتنة .

وسمعوا بأذن العلوم موسيقى رائعة دقيقة لاتصل الى الآذان غير العلمية ، ووصل العلم بين الماضى والحاضر ، والقريب والبعيد ، والحياة والفناء ، والمادة والطاقة

وسلك الكل فى وحدة « كونية » تضاءلت أمامها الوحدة « الانسانية » وطلع علينا أدب كونى اسمى وأروع وأبدع من الادب الانسانى الضيق

حطم الأدباء العالمون الحواجز التى كانت تعزل العلم عن الجماهير ، وأسبغوا مواهبهم الأدبية على حقائق العلم فكسوها حلة فاتنة قربتها للجماهير ، فكانت غذاء لعقولهم وشفاء لقلوبهم …

وبين يدى مثل رائع لهذا الأدب العلمى هو كتاب « النجوم فى مسالكها » الذى وضعه بالانجليزية العلامة السير جيمس جينز ، ونقله الى العربية صديقنا الدكتور احمد عبد السلام الكردانى

هو سياحة فى الكون على أجنحة الخيال العلمى ، تعبر بك ملايين السنين والأميال وتنقلك الى عوالمه . وتقف بك عند السيارات والكواكب ، وتخترق بك الشمس ، وتريك أسرار كل هذه العوالم

وستنسى نفسك وأنت تسبح مع الكاتب كما نسيت نفسى ؛ ثم تؤوب منها كما عدت منها وقد امتلأت يقينا بجلال الله وعظمته ، وشعوراً بقدرته وبالغ حكمته ، وسترى كما رأيت مبلغ غرور الانسان وهو ليس الا هباءة حقيرة فى جزء حقير من الكون ! وتعجب كيف طوعت له نفسه أن يناصب العداء هذا الخالق العظيم الذى دبر هذا الكون الذى لاندرك مداه فأحكم تدبيره

ومالى أقطع عليك بالوصف لذة تلك السياحة وأنت لابد قارئها .

وواجد فيها ما وجدت . وفوق ما وجدت ، ولقد وفق صديقى « الكردانى » كل التوفيق فى تعريب الكتاب فجاءت عباراته طلية واضحة دقيقة ، ويبدو فى كل صفحة من صفحاته مجهود فى اللغة يهنأ عليه الأستاذ المعرب كل التهنئة

ولن ينقص من قيمة هذا المجهود الكبير تلك الحملة الظالمة التى حملها كاتب مقنع فى جريدة الاهرام على تعريب هذا الكتاب ، وراح يتلمس عثرة للمعرب فلم يجد الا بضعة الفاظ عابها عليه وهى مفخرة له

أن عبارة النقد تنم عن كاتبها وسوء نيته ، وانى لأرجو أن يمر بها المعرب وتمر بها لجنة التأليف والترجمة والنشر الكرام ، وسيجدون من انصاف القراء وتقديرهم لهذا الكتاب القيم ما يكفيهم عناء الرد عليه

أكرر التهنئة لصديقى « الكردانى » وأرتقب مع القراء مجهودات أخرى له فى الأدب العلمى الذى نفتقر اليه أشد افتقار ؟

أربعون يوما من عام ١٩١٤

تأليف الجنرال موريس

وترجمة الضابط محمد عبد الفتاح ابراهيم

تأبى حركة الترجمة فى مصر الا أن تكون قوية عنيفة واسعة النطاق حتى تشمل كل نواحى الحياة وشتى ضروب التفكير ، فهذه آيات الادب الغربى الرائعة ، والوان العلم المختلفة تنقل الى اللغة العربية ، ويطالعها المصريون فيشاطرون العالم المتمدين علمه وأدبه ، حتى لتكاد العقلية المصرية أن تدمج فى العقلية الاوربية اندماجا تاما ، ولم تقتصر حركة الترجمة على الآداب والعلوم ، ولكنها امتدت فتناولت شعبا واطرافا متنوعة دقيقة ، نعم امتدت حركة الترجمة حتى شملت الثقافة الحربية أيضا ! فهذا كتاب « أربعون يوما من عام ١٩١٤ وضعه بالانجليزية الجنرال موريس ونقله الى العربية الضابط الفاضل محمد عبد الفتاح ابراهيم . وأول ما نلاحظه أن المعرب ضابط فى الجيش ! !

ولست أشك فى أن القارىء يسىء الظن ، كما كنت أنا أسىء الظن : بضباطنا جميعاً من حيث الرغبة فى الاطلاع والدرس . فنحن اذن نسجل الثناء للمعرب الفاضل مضاعفاً ، فقد أثبت نشاطاً أو ميلا الى النشاط العلمى بين ضباطنا ، وهو فوق ذلك قد ساهم بكتابه هذا فى حركة التعريب الشاملة بنصيب محمود .

والكتاب تاريخ دقيق لاربعين يوما من سنة ١٩١٤ ، تلك السنة التى رفع فيها الستار عن أكبر مأساة شهدها التاريخ ، اذ انطلقت صيحة الحرب العظمى تدوى فى ارجاء العالم دويا شديدا ، فارتج منها رجة عنيفة امحت فى أثرها دول وأنشئت أخرى . ففيه تحليل للخطط الحربية التى رسمها الالمان والفرنسيون ، فتشعر حين قراءته بالمهارة البارعة التى كانت تبدو من قواد الفريقين ، فهى محاورة طريفة بين الالمان والفرنسيين على الحدود الغربية ، أقرب الى مباريات اللهو واللعب منها الى أى شىء آخر : هذا يريد أن يأخذ خصمه على غرة ويحيط بجناحيه أو يغزو قلبه ، وذلك يفسد عليه خطته بمهارة فائقة تدعو الى الاعجاب

ويخيل اليك وأنت تقرأ الكتاب أنك بصدد رقعة للشطرنج بين لاعبين ، يكيد كل واحد منهما للاخر وينصب له الاحابيل (ولكن لم تكن والأسفاه قطع ذلك الشطرنج من خشب أو عاج ، وانما كانت أرواحا بشرية تحصد حصدا بغير حساب)

الكتاب لذيذ ممتع حقاً ، وجدير بكل ضابط وكل مشتغل بالتاريخ أن يقرأه ويقتنيه . ولغة المعرب سلسلة ، فيها كثير من الدقة فى التعبير والشرح ، لولا بعض الاخطاء النحوية التى نؤاخذه عليها ، وأظنها أكثر من هفوات يجوز أن تجتمع فى كتاب واحد

نذكر قليلا منها على سبيل المثل : فى صفحة ٥٢ وردت هذه العبارة : تسود الجنود روحا غريبة ، وصحتها روح غريبة . وفى ص ٢٠٨ « لم يكن ذو دراسة ، وصوابها لم يكن ذا دراسة . وأمثال هذه الاخطاء كثير فى الكتاب نرجو المعرب أن يتداركها بالتصحيح فى الطبعة الثانية ان شاء الله ، كما نرجو أن يكون أكثر دقة فى تعريب الاسماء الجغرافية ، فيذكرها كما هى شائعة معروفة فى الكتب العربية ولا ينقلها حرفا بحرف ، فمثلا فى صفحة ٣٨ ذكر مدينة باسل وهى تنطق بال بحذف السين ، فذلك أكثر نفعا لقراء الكتاب

ز . ن . م

Ire. Année No. 15 — Mardi 15-8-1933

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٣٩٩٢

بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد

تصدر مؤقتاً
في أول كل شهر ونصفه

السنة الأولى — العدد الخامس عشر — القاهرة في يوم الثلاثاء ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٣

فهرس العدد

بين النيل والاكروبول

الى الشباب أسوق الحديث

رحلت إلى بعض بلاد الغرب وإلى بعض أمم الشرق فلم أجد شعباً كهذا الشعب هان وجوده على نفسه، وانطمس تاريخه في ذهنه، فأعطى الضيم عن يد وهو صاغر!!

أسرف في اللين حتى رُمي بالجبن، وأمعن في التسامح حتى وُصف بالبلادة، وأفرط في التواضع حتى نسي الأنفة، وبالغ في إكرام الغريب حتى أصبح هو الغريب!!

فليت شعري يا ابن العرب أو ياسليل الفراعين من أين داهمتك هذه الذلة؟!

نسب يزحم النجوم، وحسب يطوّل الدهر، وماض كالشمس نفذ إلى كل أرض وسطع في كل أفق، وواد كرفرف الخلد زخر بالغنى وفاض بالنعيم! فكيف لا يرفع رأسك هذا النسب، ولا ينصب صدرك هذا الماضي؟!

مالك تمشي في أرضك خافت الصوت، خافض الجناح، ضارع الجنب، كأن النيل يجرى لغيرك، وكأنما الآثار تتحدث إلى سواك؟!

لقد أصبحت في بلدك المنكود تحيا حياة الجسم كما يحيا الاجير والخادم، أما حياة الروح التي ينبض فيها القلب بعزة القومية وصلف الوطنية، فقد أماتها فيك الوباء الوافد من كل مكان!

إن إخوانك في سورية لا يحبون الغريب الا ضيفا، وان إخوانك في العراق لا يكرمون الاجنبي الا ضيفا،

أما الدود الذى يمتص الدم ويقذى العيون ويغثى النفوس فلا يجد مغذاه ومرواه الا على النيل !! وليت الذى قاسمنا أنعم الوادى الحبيب يذكر فضيلة الاحسان ، ويشكر عطف الانسان على الانسان !! انما يتمتع بخيرنا تمتع الغازى الفاتح ، فى يمناه سيفه ، وفى يسراه قانونه ، فاذا عاملناه احتقرنا ، واذا عاتبناه انتهرنا ، واذا ضج المغبون ، أو صاح المسروق ، أو صرخ الجائع ، ضربه (الخواجة) ضربته ، ثم استعدى عليه دولته !!

فى أى بلد من بلاد العالم اليوم يأتى محام أجنبى ، ليدافع عن مجرم من جنسه أجرم على هذا البلد ، فيجد له قضاء فى قلب قضاء هذا البلد ، وقانوناً بجانب قانون هذا البلد ، وقوة فوق قوة هذا البلد ، ثم يقوم بين يدى قضاة من جنسه فيقول فى بلاغة ديمستين وحماسة من ، لا أدرى :

« أظهروا أيها السادة أنكم قضاة تنشقون هواء الأكروبول ، وأنكم لا تخوضون فى ماء النيل العكر »

معك الحق كله يامتر باباكوس ! لقد تركت أثينا فى اليونان ثم عبرت البحر فوجدت أثينا فى مصر !! فالفنادق للروم ، والمطاعم للروم ، والمقاهى للروم ، والمواخير للروم ، ودور السينما للروم ، وقاضيك من الروم ، وجانيك من الروم ، وبقالك من الروم ، وحلاقك من الروم ، وخادمك من الروم ! واذا طلبت الماء ، أو أردت الكهرباء ، أو ركبت الترام ، أو دخلت البنك ، أو قصدت المتجر ، وجدت كل ذلك فى أيدى أقوام سحنتهم غير مصرية ، ولغتهم غير عربية !! فاذا سألت (مخالى) عن المصريين قال لك أنهم أجراء عند (خريمى) فى المزرعة ، أو سكارى عند (يني) فى البار !!

معك الحق كله يامتر باباكوس ان تهين شعبا يسمع إهانته فى كل يوم وفى كل مكان فيغضى ثم يمضى ! وأى إهانة آلم وأشنع من (الامتيازات) وهى طعن فى انسانيته وقدح فى كفايته وتجريح لعدله !! ولكن الحق يبرأ منك حين تقول وأنت وريث ارسطو ومدرة أثينا إنك لم تقصد بهذه الجملة إهانة مصر ، وانما هى : (عبارة من عبارات البلاغة التى يستعملها المتكلم عادة) فلسنا من البلاهة بحيث يخدعنا عن جد الجريمة هزل الاعتذار !!

رحم الله أستاذنا المهدى ! لقد كان يرى الرجل المتمدن يرمى الرجل المتمدن بالكلمة العوراء يندى لها جبينه ، ويغلى منها دمه ، فما هو إلا أن يقول الشاتم المتمدن للشتوم المتمدن : (سجبتها) حتى يجف عرق الجبين ، ويكف غليان الدم ! فيقول الاستاذ بلهجته العربية :

« عجيب !! كلمة قيلت كيف تسحب ! ولطمة أصابت كيف تسترد ؟! »

لا نريد من شبابنا أن يدفعوا البغى بالبغى ، وإنما نريد منهم أن يفهموا الواغلين أن كدر النيل ليس من أهله ، وأن الطريق الذى يسفى عليه الغبار والاقذار هو الطريق الذى فتحه لهم الاقتصاد المستعمر . فاذا ملكناه ونظفناه عادت الى نيلنا نقاوته ، وإلى شعبنا كرامته

ليس على الأجنبى من حرج فى أن يزاحمك فى بلدك ، فانما جهاد الدنيا زحمة ، ليس فيها رحمة ، وهو حين ينافسك فى حمى القانون ، ويغالبك فى حدود الطبيعة ، وانما الحرج كله عليك اذا ظللت تشترى وهو يبيع ، وتغرم وهو يغنم !!

نضر الله وجوه الشباب العاملين !! لقد أخذوا يجلون عن وجه مصر الجميل غبرة القرون وذلة الاحداث وإهانة الدخيل ! نزلوا ميدان الاقتصاد جنوداً متطوعين ، وعمالا متواضعين ، فعرفوا أين تكون المعركة الفاصلة بين الاستعباد والحرية ، وبين الاستعمار والحق ، وشقوا الطريق القاصد الى إنقاذ مصر من احتلال دولى شديد الخطر قبيح الأثر لا تكائه على العدل واعتماده على القانون

إن (عيد الوطن الاقتصادى) و(مشروع القرى) و(تعاون الشباب) و(تعاون الطلبة) و(جماعة تمصير مصر) وشركات الدخان والألبان والاعلان والجزارة والمقاهى . . . فتح مبين فى جهاد مصر الفتاة ، وإن تحلل الشباب المثقفين من ربقة التقاليد وإسار العرف فلا يرون غضاضة فى أن يقيموا المشارب والقهوات فى مولد النبى ومولد الحسين يكونون فيها الطهاة والباعة والندل والمديرين ، لهو تحلل الحاضر الطموح الناهض ، من قيود الماضى القنوع العاجز . وليس على أولئك الشيوخ الذين مكنوا بجمودهم وقعودهم للأجنبى فطغى بيده ، وبغى بلسانه ، الا أن يطووا معهم هذه الصفحة المخزية من تاريخ مصر ، ويتركوا الشباب يجدد ما بلى ، ويدعم ما وهى ، ويسد ما خل

إن شطط المبشرين قد انقلب الى تبشير بالاسلام ودعاية الى المؤسسات الخيرية ، فهل تنقلب سفاهة (الممتازين) الى اعزاز القومية المصرية ، وتحقيق الأمانى الوطنية ؟؟

احمد حسن الزيات

لغو الصيف

للدكتور طه حسين

أيهما خير يا آنسة: أن نفترق الآن لنلتقي غدا، أم أن نظل كما نحن رفيقين في السفر والاقامة؟ قالت: بل أن نفترق لنلتقي بعد شهرين في القاهرة أو بعد شهر في باريس. وحسبنا ان قد أقمنا معاً أسبوعاً كاملا في هذه المدينة من مدن البحر نلتقي اذا أصبحنا، ونلتقي اذا أمسينا ولا يفرق بيننا إلا الليل، قال: فانك اذاً قد سئمت هذا اللقاء وطال عليك أمده، وأخذت تودين لو فرقت بيننا النوى دهرا طويلا أو قصيرا! وما رأيك في أني بعيد كل البعد عن هذا السأم، كاره كل الكره لهذا الفراق الذي تحبينه وتطمحين اليه؟ قالت: لك أن تفهم رأيي كما أحببت، وأن تقدره كما شئت، وأن ترضى عنه أو تسخط عليه، فمن المحقق أني لم أره لك وانما رأيته لنفسي، ومن المحقق أني لم أعلنه اليك إلا وأنا محتملة لنتائجه عالمة بموقعه من نفسك وتأثيره فيها، ولن يغير من رأيي ما تبدي وما تعيد، فقل لي: الى اللقاء ودعني أمضي أمري فقد دنت ساعة السفر، قال: ما شككت في أن ساعة السفر قد دنت، ولكن الذي أشك فيه هو أن دنو هذه الساعة يضطرنا الى أن نفترق، فقد نستطيع أن نسافر معا كما أقمنا معا. قالت: فاني لا أريد. قال: ما رأيت كاليوم ظرفا ولا رفقا ولا حسن مودة للاصدقاء، سنفترق يا آنسة ما دمت حريصة على هذا الفراق فهل تأذنين في أن أصحبك إلى القطار. قالت: ولا هذا فاني لا أحب هذا الوداع السريع البطيء في وقت واحد. ولا أحب أن يفترق الناس لأن قوة غريبة عنهم تكرههم على أن يفترقوا فلنفترق منذ الآن واكتب إلي، ولعلنا نستطيع أن نلتقي في باريس. فان أعيانا ذلك ففي القاهرة متسع للقاء المتصل والحديث الطويل. ثم صافحته في قوة وعلى وجهها ابتسام يشبه العبوس. وفي وجهه عبوس يشبه الابتسام.

ولم يكد يقبل المساء حتى كانت ماضية في قراءتها لا يصرفها عنها شيء، كما كان قطارها السريع ماضياً في سيره لا يقفه عنه شيء. وكانت حركة الناس من حولها لا تسكن، وحديث الناس من حولها لا ينقطع، وأصوات الناس من حولها لا تهدأ. ولكن شيئا من ذلك لم يكن ليلهيها عن هذا الكتاب الذي غرقت فيه. حتى اذا انتهت بها القراءة إلى شيء من الجهد والاعياء، ووضعت كتابها لتستريح ورفعت رأسها تجيل الطرف فيما حولها لم ... عيناها الا صديقها الأديب جالسا أمامها جلسة المتأدب الخاضع الذي ينتظر أن يفرغ سيده له ويلتفت اليه. فلما رأته لم تدهش ولم تنكر، ولكنها أظهرت ضيقا به وغضبا عليه، وقالت في لهجة حازمة: أتعلم أني أكره هذا النوع من اللعب، وأنك توشك أن تغيظني وتحفظني وتصرفني عنك ان مضيت فيه؟ قال في صوت خافت غير مطمئن: أعلم ذلك حق العلم وآلم له أشد الألم. ولو استطعت أن أكون عند ما تحبين ما أثقلت عليك، ولا ترددت في طاعتك. ولا تحولت عما يرضيك. ولكن ما رأيك في أني لا أحب أن أموت. قالت ولم تملك نفسها من ضحك غالبته فغلبها. لا تحب أن تموت؟ قال نعم لا أحب أن أموت، ألم تفهمي بعد؟ قالت. ومتى رأيتني أحل الالغاز؟ قال: والغريب أنك قد عاشرت الفرنسيين فأطلت عشرتهم وأتقنت لغتهم وآدابهم الرفيعة والشعبية حتى كأنك واحدة منهم. فكيف يغيب عنك ما يتحدثون به كلما هموا برحيل أو فراق، وهل تعلمين شعراً وجد عددا ضخما من الرواة. تختلف طبقاتهم وتتفاوت منازلهم كهذا الشعر الذي ينشده الفرنسيون كلما هموا أن يفترقوا انما السفر ضرب من الموت بالقياس إلى المحبين. قالت: وقد نسيت غضبها واطمأنت إلى طبعها، وخرجت من التكلف ولاءمت بين حديثها ومظهرها، وبين ما وجدت من الغبطة بلقائه الذي كانت ترجوه، والذي كانت تغضب وتحزن لو لم تظفر به. فانت إذاً تريد إلى هذا اللغو من الحديث. قال أنت تزعمين أنه لغو أما أنا فأراه الجد كل الجد، والحق كل الحق. ولولا أن السفر ضرب من الموت لما كرهه المحبون، ولا سخط عليه الشعراء. ولا تغنوا آلامه وأحزانه. ولولا أن السفر ضرب من الموت حين يفرق بين الناس لما رأيتني الآن في هذا المكان بعد ان افترقنا على أن لا نلتقي حتى يمضي شهر او أكثر من شهر.

ولكني فكرت بعد أن افترقنا، فرأيت أني ميت بالقياس الى كل الأصدقاء الذين تركتهم في مصر. مهمل بالقياس الى كل هؤلاء الناس الذين كانوا حولي في نيس، والذين سألقاهم في باريس، وأني لا احتفظ من الحياة إلا بشعاع ضئيل، هو هذا الذي أحسه حين أصحبك وأسمع لك وأتحدث اليك، فشق على أن أجود بهذا الشعاع. وأن أسلم نفسي للموت المطبق والاهمال المطلق شهراً وبعض شهر، ولولا خوف الموت والضيق بالاهمال ما خرجت عن طاعتك ولا خالفت عن أمرك، ولا عرضت نفسي لهذا الغضب اللاذع وهذه الثورة المهينة. قالت: فقد عدت إلى ذكر الغضب والثورة كأنك تريد أن أنكرهما أو أعتذر منهما أو أنبئك بأني تكلفتهما تكلفا، واصطنعتهما اصطناعا. قال:

لا تنكرى شيئا ولا تعتذرى من شيء، فأنا معترف بأنى ملح، وأنا معترف بأنى مثقل فى الإلحاح، ولكنك تعودت احتمالا لهذا الثقل، وتجاوزا عن هذا الالحاح، فدعى حديثهما وحديث الغضب والثورة، وحدثيني عن هذا الكتاب الذي لم تكادى تقبلين عليه حتى ألهاك عن كل شيء، وصرفك حتى عن هذه المناظر البديعة الخلابة التى تعرضها عليك الطبيعة عرضاً سريعاً أثناء سير القطار. قالت: هذا كتاب تعجب إن عرفت أنى أقرأه للمرة الخامسة، فأنا لا أعرف كتابا أهون ولا أيسر ولا أمتع ولا ألذ من هذا الكتاب أثناء السفر الطويل، أو حين يلح على الحزن الثقيل.. هذا كتاب من كتب كورتلين، قال: هو كتاب «قطار الساعة الثامنة والدقيقة السابعة والاربعين» قالت: هو ذاك. قال: فانى لم أقرأه خمس مرات، ولكنى قرأته ثلاثا، ولولا أنى علمت أنى سأصحبك فى القطار لقرأته للمرة الرابعة! فانا مثلك معجب بهذا الكتاب إعجابا لاحد له، والغريب أنى لا أدرى بماذا أعجب من هذا الكتاب! بمعانيه أم بالفاظه أم بأسلوبه، أم بهذه الصور الرائعة التى يعرضها علينا فى غير انقطاع؟ أم بهذا كله مما أعرفه، وما أحسه دون أن أعرفه، فهذا الكتاب عندى آية من آيات الأدب الفرنسى. قالت: وعند كثير من الفرنسيين أيضا، وإذا لم تكذبنى الذاكرة فقد كان أناتول فرانس مشغوفا به شغفا عظيما، لست أدرى أكان يعده بين آيات الأدب أم لا. وأنى لأرجو أنه لم يضعه بين هذه الآيات فقد كان أناتول فرانس يضيق بآيات البيان، ويرى أنها ثقيلة مملة! وليس فى هذا الكتاب شىء من الثقل ولا الاملال. قال: ومع ذلك فان فى هذا الكتاب ألفاظا لا تكاد تحصى وجملا لا يكاد يبلغها العد، وكلها خارج على النحو الفرنسى، مخالف لأساليب البيان المألوف. قالت: فهذا مظهر من مظاهر الجمال فى هذا الكتاب، ومصدر من مصادر الاعجاب به، وسبب من هذه الأسباب التى تضطرنا إلى مراجعة النظر فيه.. وما رأيك لو أن كورتلين أنطق أبطاله بهذه اللغة الفرنسية الفصحى، وأجرى على ألسنتهم هذه الجمل الأدبية الرائعة التى نجدها فى كتب كورتلين نفسه وفى كتب غيره من الأدباء؟.. اذاً لما وجدت فى الكتاب لذة كهذه اللذة التى أجدها الآن، ولعلى أن أعجز عن المضى فى قراءته إلى آخره فضلا عن أن أقرأه مرات. إن للغة الفصحى خطرها وقيمتها، وهى مقياس البيان، وظرف الأدب، ولكنها قد تسخف وتسمج اذا جرى بها لسان هذا الجندى الذى اتخذه كورتلين بطلا لقصته. قال: هذا حق ومهما أنس فلا أستطيع أن أنسى هذه الجملة الطريفة التى يرددها جندى كورتلين كلما وقف موقف الحرج أمام الكابتن:

Mon capitaine j'va vous dire une bonne chose.

فلولا هذه اللحنة الظريفة الشائعة، التى تجرى بها ألسنة العامة من الفرنسيين والتى أذاعها كورتلين، حتى تفكهت بها الخاصة لما كان لهذه الجملة موقع فى النفس حسن، ولا منزل من القلب عجيب. قالت: وكل كلام الجندى وكلام رفاقه ظريف محبب إلى النفوس، لأن ما فيه من اللحن والتواء الأسلوب يصور روح الشعب كما هى صريحة مستقيمة لا غموض فيها ولا التواء. قال فأنت إذاً من أصدقاء اللغة العامية وأنصارها، وماذا تصنعين لو عرف أعلام البيان فى مصر عنك هذا الرأى؟. قالت: لا أصنع شيئا فليس يعنينى أن يعرفنى أو ينكرنى أعلام البيان فى مصر أو فى غير مصر. وما تعودت قط أن أرى الرأى فأسأل نفسى عن حظه من رضى الناس أو غضبهم. قال: قد علمت ذلك حق العلم وجربته حق التجربة، ولم تمض ساعات على هذه التجربة اللذيذة الأليمة معا. ألست قد زعمت لى؟ قالت: لم أزعم لك شيئا! فلا تعبث ولا تفسد علينا بهذا الاستطراد ما نحن فيه من الحديث لست من أصدقاء اللغة العامية، ولكنى لست من أعدائها. وما أذكر أنى كتبت شيئا باللغة العامية، وما أظن أنى سأكتب بها شيئا؛ لأنى لا أحب ذلك، ولو أحببته ما قدرت عليه. ولست أرضى أن تصبح اللغة العامية لغة البيان الأدبى، ولا أعطف على كاتب يتعمد الكتابة بها ويتخذها ترجمانا لما يريد أن يعرضه من الخواطر والآراء، ولكنى على هذا كله لا أستطيع أن أمحو هذه اللغة، ولا أستطيع أن أنكر أن لها جمالا تنفرد به أحيانا وتعجز عنه اللغة الفصحى. ولا أستطيع أن أمحوها من قلوب الأشخاص الشعبيين وأضع مكانها اللغة الفصحى، وأوفق مع ذلك الى تصوير هؤلاء الأشخاص الشعبيين تصويرا صادقا كل الصدق، جيداً كل الجودة، متقنا كل الإتقان. قال وهو يبتسم ابتسامة ملؤها المكر والخداع: ألا تعجبين أن ينتهى بنا الحديث عن كورتلين الى الحديث عن توفيق الحكيم؟ قالت: ومن توفيق الحكيم؟ ما سمعت به قبل اليوم! . قال: فأنت اذاً من أهل الكهف. قالت: وأى عجب فى أن أكون من أهل الكهف، ومتى زعمت لك انى أعرف الناس جميعا أو أقرأ للناس جميعا؟!. قال فان أهل الكهف عنوان قصة لتوفيق الحكيم هذا الذى لم تعرفيه ولم تسمعى به، وأؤكد لك أنى أكره لك هذا الجهل. فتوفيق الحكيم شاب خليق أن يعرف، ومن العيب كل العيب ان يجهله أديب شرقى. ولكنك قد أقررت على نفسك بأنك من أهل الكهف فلا لوم ولا تثريب. قالت: قد أقررت وأنا خليقة أن ألام فأنبئنى عن توفيق الحكيم، وكيف انتهينا من حديث

«البقية على صفحة ٤٠»

الاشـــعاع

للأستـــاذ احمد أمين

كتب أخي الدكتور احمد زكي في مجلة الرسالة مقالا ممتعا في الإشعاع في « باب العلوم » تكلم فيه عن اشعاع الشمعة والنجوم والشمس والأشعاع اللاسلكي وموجات الضوء واختلافها، فأوحت مقالته الي معاني في الأشعاع النفسي .

ان للنفوس والعقول أشعاعات لاتقل جمالا عن أشعاعات النجوم والكواكب، نشعر بها وقد لانستطيع التعبير عنها ، وهي أشد غموضا وتعقدا من الأشعاع الحسي ، وهي مختلفة أكثر من الاختلاف بين أشعة الألوان من حمراء وبنفسجية وتحت الحمراء وفوق البنفسجية ومابين ذلك ، وهي مختلفة في القوة أشد من اختلاف المصابيح الكهربائية ، فلئن كانت قوة المصباح شمعة أو شمعتين أو ألفا أو ألفين فللنفوس قوى تختلف الى مالا نهاية له صغرا وضآلة ، والى مالا نهاية له عظمة وسناء .

لعلك تشعر معي أنك ترى الرجل أو تحادثه أو تجالسه أو تسمع لمحاضرته فيشع عليك نوعا من الاشعاع يخالف الآخر قد تحسن التعبير عنه وقد لاتحسن ، فهذا يشع عليك سرورا وأريحية واطمئنانا ، وهذا يشع حزنا ووجدا ورقة وحنانا ، وذاك يشع هيبة وجلالا ووقارا ، وآخر يشع ضعة وذلة وهوانا ، وقد تحس من رجل بنوع من الأشعة تدركه وتستطعمه ، ولكنك لاتستطيع وصفه كما اذا أكلت كمثرى وتذوقتها وأردت أن تصف طعمها لمن لم يذقها .

في الناس من اذا جالسته أشع عليك نورا أضاء لك مابين جوانبك فأدركت نفسك ، وأشع نورا على العالم الذي حولك فتبينته وعرفت محاسنه ومساوئه ، وأدركت مكانك منه ، ورأيت كل شيء حولك صافيا بينا كأنك تنظر اليه من مصباح « المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار »

وفي الناس من يجالسك فتتلقى منه أشعة مظلمة تنقبض لها نفسك وتظلم جوانبها وتحس بميل الى الفرار منها ، وتتنفس الصعداء اذا بعدت عنها ونجوت من ظلامها وخرجت الى النور .

قديما قالوا : « ان درة عمر أهيب من سيف الحجاج » ذلك لأن عصا عمر كان معها يد عمر ومعها نفس عمر ، وهي تشع جلالا وعظمة وتخضع أمام أشعتها نفوس الجبابرة ، ويحس كل من وقعت عليه هذه الأشعة أنها صادرة من مستودع قوي دونه المصباح الكهربائي ، البالغ ماوصل اليه العلم من القوة ، وأما سيف الحجاج فمعه نفس الحجاج ، وهي تشع من غير شك قوة ، ولكنها قوة على الجسم لا على الروح ، قوة تخاف وترهب ولكن لاتحترم ولاتحب ، أشعة عمر كانت تطاع سرا وعلنا ، وأشعة الحجاج تطاع علنا لا سرا ، لذلك كفت عمر عصاه ، ولم يغن الحجاج سيفه .

هذا الاشعاع هو السر في انك تلقى عظيما فيملؤك أثرا ويملؤك قوة ، بهيئته ، بنبرات صوته ، بطريقة تعبيره ، بنظراته ، بأشاراته ، بهزة رأسه ، بحركة يديه ، فكأن في كل عمل من هذه الاعمال يوصل بينك وبينه تيارا كهربائيا قويا يهزك هزا عنيفا ، قد لا يحدثك طويلا ، وقد لا يكون لكلامه في الواقع قيمة ذاتية ، ولكنه يوقظ نفسك ويحيي روحك ، وتبقى رنات كلماته في الأذن الايام والليالي ، تعمل عملها في هدوء حينا وعنف حينا ، وأصدقك أني لقيت عظيما من هذا النوع يوما فخرجت من عنده مملوءا حماسة وقوة وحياة ، حتى اذا بلغت الى محطة الترام لأركبه الى مسافة بعيدة عففت الركوب لأنه يبعث على السكون ونفسي ثائرة ، والمشي في شدة القيظ ظهرا أنسب لها وأكثر اتفاقا لما هي فيه من نشاط وقوة ـ اذا ذكرت الآن كلامه لم أجده ذا قيمة ، وكثير من الناس يتكلمونه ويتكلمون خيرا منه وأسمى وأعمق ، ولكن أحدا منهم ليس له هذا الاشعاع ولا قوته وعظمته . وحدثني من أثق به أن الأستاذ جمال الدين الافغاني كان يرتطن عجمة ، ولم يكن فصيح اللسان ولا سلس القول ، ولكن تجلس معه فيشعلك نارا دونها فصاحة الفصيح وبلاغة البليغ ، لانها النفس مستودع كهربائي قوي يصعق أحيانا ، ويضيء أحيانا ، ويدفع للحركة أحيانا

والرجل العظيم ، أو الكاتب الكبير ، أو المؤلف القدير ، يخرج ماينتجه كتلة من الأشعة من جنس نفسه . ألست تقرأ المقالة أو الكتاب فيشع عليك معاني مختلفة ، منها الهادىء الرزين ، ومنها القوي المتين ، منها المضحك ، ومنها المبكي . منها الذي يأخذ بيدك

فيحلق بك في السماء، ومنها ما يدفعك إلى الحضيض، وآية هذا الإشعاع أنك تقرأ المقالة أو الكتاب فيبعث عندك من المعاني ما لا تدل عليه الألفاظ من طريق الحقيقة ولا المجاز، بل ما بين السطور يشع كالسطور نفسها، أو ليست ترى مقالة الإشعاع في باب العلوم أشعت علي معاني في باب الأدب؟

ليسم هذا علماء النفس تداعي المعاني، أو ليسموه إيعازاً أو اقتراحاً أو ليسموه ما شاءوا، فليست إلا إشعاعات نفسية من جنس الإشعاعات التي يشعها الأشخاص في كلامهم وحديثهم وحركاتهم فتلقف منها من المعاني ما يقرب وما يبعد. وفي الأماكن كذلك أشعة مختلفة، فشارع عماد الدين يشع رغبة في اللهو وميلا إلى مسرات الحياة، والمساجد تشع ميلا للعبادة وتمجيداً لله، والبحر الجليل يشع عظمة وجلالا، ونجوم السماء تشع حسناً وجمالاً، والبنك يشع حباً في المال، والجامعة تشع حباً في العلم، بل وكل بلد يشع نوعاً من الأخلاق، وإلا فلم يذهب المصري إلى انجلترا وقد اعتاد الفوضى في حياته ومواعيده وصحوه ونومه، فما هو إلا أن يطأ أرضها حتى يتقلب خلقاً آخر دقيقاً في نظامه، دقيقاً في معيشته؟ ويذهب المصري إلى ألمانيا فيكون في بيئة علمية فيشرب من مشربهم ويسير سيرتهم، فإذا عاد هذا وذاك إلى مصر عادا سيرتهما الأولى، فما هو إلا الجو النفسي تلقى فيه أشعة نفسية مختلفة الإثر، مختلفة الإلوان.

والأرض بمطرها السحاب، فمنها جنان ناضرة، ومنها صحراء مجدبة قاحلة، والنار تضيء للساري فيهتدي وللفراش فيحترق

لقد أثبت العلم الإشعاع اللاسلكي وأصبحنا نسمع الآن من الراديو أصوات الموسيقى في أوربا، وسنسمعها من أمريكا، وسنسمعها من أنحاء العالم، ومعنى هذا أن في جو مصر تموجات من أوربا وأمريكا وأنحاء العالم، وإذا كان هذا في المادة فأشعاع النفوس أبعد مدى، وأنفذ شعاعا، وأسرع سيرا. وإذا كان في حجرتي أمواج هوائية من مناحي العالم يظهرها الراديو، فإن في حجرتي ملايين وأكثر من الملايين من إشعاعات نفسية تشع من السماء ومن الأرض ومن النفوس البشرية، ومما لا يعلمه إلا الله.

وما الفكرة تصدر عني، ولا الإلهام ألهم به فلست أعرف له مصدرا وليس يخضع لقوانين المنطق ولا نظريات الاستنتاج، ولا الظواهر النفسية تتعاقب علي فلا أعرف تعليلها من انقباض وانبساط، وسمو وانحطاط، وكدورة وصفاء، وظلمة وضياء إلا أثر من هذا الإشعاع.

إن وراء هذا العالم المادي عالما روحانيا نفسيا أسنى وأبهى، وإذا كان للأجسام والحواس جو يحيط بها قد امتلأ أشعة من نجوم وكواكب وشموع ومصابيح، فللنفس جو يحيط بها اشتبكت فيه أشعة نفسية لا عداد لها. وإذا كان للعين أفق يختلف باختلاف النظر قصراً وطولاً، فللنفوس أفق يختلف كذلك، فبعضها ينفذ إلى ما وراء الحجب ويستمد منه ما يستخرج العجب، وبعضها قصير المدى قريب المتناول. ولئن كانت قوانين الإشعاع الحسي لما يستكشف منها إلا القليل، فقوانين الإشعاع النفسي أشد تعقدا وأكثر التواء وغموضا، والعاكفون على دراستها، والموفقون لاستكشاف بعضها أقل وأندر، يخضع كل الناس للإشعاع المادي، ويخضع كل الناس للإشعاع النفسي، ولكن آمن بالأول كل الناس، وما آمن بالثاني إلا قليل.

هل تنبعث من عالم النفس شرارة قوية تضيء جوانب النفوس؟ وهل يبعث العالم النفسي موجة قوية تعم العالم وتهزه هزة عنيفة فينتبه من سباته، ويهب علماؤه لتنظيم الحياة الروحية كما نظموا الحياة المادية، ويتخصص علماء النفس لاستكشاف قوانين الإشعاع النفسي كما استكشف الماديون قوانين الإشعاع الحسي، ثم ينتفعون وينفعون الناس كما انتفعوا بقوانين الضوء وما إليه، وإذ ذاك يكون الناس أسعد حالا وأهدأ بالا وأكثر اطمئنانا؟ من يدري!!!

ومن قوانين هذا الإشعاع النفسي أنه في كثير من الأحيان يعتمد على الفاعل والقابل معاً، واعتماده على القابل أبين فيه من الإشعاع الحسي، فاللون الأبيض أبيض عند كل الناس، والأحمر أحمر عند كل الناس، إلا من أصيب بعمى اللون، وليس كذلك الإشعاع النفسي، فالخطيب يخطب وإشعاعه يختلف باختلاف السامعين، والكلمة قد تهدي ضالا وقد تضل هاديا، كما يقول المثل الانجليزي: إن الليل الذي يغمض عين الدجاج يفتح عين الخفاش، وهذا هو السبب في أنك تستخف روح إنسان وغيرك يستثقله، وتعجب بقول متحدث ومن بجانبك يستسخفه، وتتفتح نفسك لكتاب وغيرك ينقبض منه، ما هذا إلا لأن الإشعاع الواحد يختلف باختلاف من وقع عليه الشعاع، وإن هناك تفاعلا قويا بين مصدر الإشعاع وقابله، ومن أجل هذا قد ترى لصا في مسجد وعابدا في حانة.

وموسى الذي رباه جبريل كافر

وموسى الذي رباه فرعون مرسل

عمر بن عبـــد العزيز

٦٢ - ١٠١ هـ

للأستاذ عبد الحميد العبادى

تتمـــة

لم يكن عمر بن عبـد العزيز صاحب حق فى الخلافة بمقتضى نظام الخلافة الاموية . ولكن ذيوع فضله وسموه الروحى على سائر بنى أمية لفت اليه نظر أولى الحل والعقد من صلحاء الشام أمثال رجاء بن حيوة الكندى وابن شهاب الزهرى ومكحول الشامى ، فلما مرض سليمان بن عبد الملك بدابق مرضه الذى مات فيه ولم يكن له ولد بالغ يعهـــد اليه ، لم يزل به رجاء بن حيوة وأصحابه حتى كتب عهده لعمر بن عبدالعزيز ، ثم من بعده ليزيد ابن عبد الملك . ثم أمر فأخذت البيعة من بنى أميـة لمن سمى فى عهده دون أن يعينه لهم ؛ فلما قبض سليمان وأعلن الأمر الى بنى أمية جددوا البيعة لعمر على كره منهم (٢٠ صفر سنة ٩٩).

شرع عمر فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى منذ تم له الامر ، ولقد كان له من زهده ، ومناصرة العلماء له ، ومواتاة أهل بيته : زوجه فاطمة ، وابنه عبد الملك ، وأخيه سهل ، ومولاه مزاحم ، أقوى عون على ماأراد . بدأ عمر بمنصب الخلافة ممثلا فيه فجرده من كل مظاهر الأبهة ورده الى بساطته القديمة ؛ ولا أدل على ذلك من كلام ابن عبـــد الحكم قال : « ولما دفن سليمان وقام عمر بن عبد العزيز قربت اليه المراكب ؛ فقال ما هذه ؟ فقالوا مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول مايلى . فتركها وخرج يلتمس بغلته ؛ وقال يامزاحم ضم هذه الى بيت مال المسلمين . ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط كانت تضرب للخلفاء أول مايلون ، فقال ماهذه ؟ فقالوا سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول مايلى ، قال يامزاحم ضم هذه الى أموال المسلمين ، ثم ركب بغلته وانصرف الى الفرش والوطاء الذى لم يجلس عليه احد قط ، يفرش للخلفاء أول مايلون . فجعل يدفع ذلك برجله حتى يفضى الى الحصير ، ثم قال يامزاحم ضم هـذه لأموال المسلمين .

« وبات عيال سليمان يفرغون الأدهان والطيب من هذه القارورة الى هذه القارورة ، ويلبسون مالم يلبس من الثياب حتى تكسر . وكان الخليفة اذا مات فما لبس من الثياب أو مس من الطيب كان لولده ، ومالم يمس من الثياب ومالم يمس من الطيب فهو للخليفة بعده . فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان هذا لك وهذا لنا . قال . وما هذا ، وما هـذا ؟ . . . . ما هذا لى ولا لسليمان ولا لكم ولكن يا مزاحم ضم هذا الى بيت مال المسلمين . ففعل ، فتآمر الوزراء فيما بينهم فقالوا : أما المراكب والسرادقات والحجر والشوار والوطاء فليس فيه رجاء بعد ان كان منه فيه ما قد علمتم ، وبقيت خصلة وهى الجوارى نعرضهن ، فعسى ان يكون ماتريدون فيهن ، فان كان والا فلاطمع لكم عنده . فأتى بالجوارى فعرضن عليه كأمثال الدمى . فلما نظر اليهن جعل يسألهن واحدة واحدة من أنت ؟ ولمن كنت ؟ ومن بعثك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف أخذت فيأمر بردهن الى أهلهن ويحملهن الى بلادهن حتى فرغ منهن . فلما رأوا ذلك أيسوا منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق ».

ثم عمد الى النظام الأقليمى فأصلحه بأن عزل العمال المتشبعين بروح الحجاج ، عزل يزيد بن المهلب وحبسه فى مال كان للدولة فى ذمته ، ونفى نفرا من بنى عقيل أسرة الحجاج ، وولى عمالا جددا لم يحفل فى تخيرهم بعصبياتهم ولا بقدرتهم على جمع الأموال كما كانت الحال من قبل ؛ ولكن بحسن سيرتهم وطهارة ذمتهم ، فكان من عماله عدى بن أرطاة الفزارى والى البصرة ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن القرشى والى الكوفة ، وعبد الرحمن بن نعيم القشيرى أمير خراسان ، وأبو بكر بن حزم أمير المدينة ، والسمح بن مالك الخولانى أمير الأندلس . وقد شد أزر الولاة بقضاة عدول ، فجعل الحسن البصرى على قضاء البصرة ، وعامرا الشعبى على قضاء الكوفة كما جعل أبا الزناد كاتبا لأمير الكوفة . ولم يكتف عمر بذلك فى أصلاح الأدارة الأقليمية بل تقدم الى العمال فى أمر العقوبات ألا يأمروا بقطع أو صلب قبل مراجعته هو أولا .

ثم ثنى عمر بالمسائل المالية فرد المظالم ، والمراد بالمظالم الأموال التى استولى عليها بنو أمية بغير حق ، وقد بدأ فى ذلك بنفسه فخرج لبيت المال عن كل مال لم يرض سبب تملكه ، حتى لم يبق له الا عقار يسير ببلاد العرب يغل عليه غلة يسيرة فوق عطائه الذى كان يبلغ مائتى دينار فى العام ، ثم أخذ يتتبع أموال بنى أمية يرد منها ماليس مشروع الملكية الى مستحقه ، وقد هاج ذلك سخط بنى أمية عليه ، وذهبوا ينعون عليه أخذه أموالهم باسم « المظالم » ؛ فلم تلن لغامزهم قناته ، وأراهم انه لايحجم عن بلوغ الغاية فى التنكيل بهم اذا اقتضى الأمر ذلك . يروى ابن عبد الحكم « ان رجلا من

أهل حمص أتاه يخاصم روح بن الوليد بن عبد الملك فى حوانيت بحمص كان أبوه الوليد أقطعه أياها . فقال له عمر أردد عليهم حوانيتهم؛ قال له روح: هذا معى بسجل الوليد. قال ومايغنى عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم، قد قامت لهم البينة عليها؟ خل لهم حوانيتهم. فقام روح والحمصى منصرفين، فتوعد روح الحمصى، فرجع الحمصى الى عمر، فقال هو والله متوعدى يا أمير المؤمنين. فقال عمر لكعب بن حامد وهو على حرسه: أخرج الى روح يا كعب، فان سلم اليه حوانيته فذلك، وأن لم يفعل فأتنى برأسه! فخرج بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد فذكر له الذى أمر به عمر؛ فخلع فؤاده. وخرج اليه كعب وقد سل من السيف شبرا، فقال له: قم فخل له حوانيته! قال نعم! نعم! وخلى له حوانيته»

وسار عمر فى إصلاح الشئون المالية على الأساس الشرعى، فالأموال ينبغى أن تجىء من وجوهها وتنفق فى مصارفها الشرعية، فمن أسلم من أهل الذمة سقطت عنه الجزية، وقد أسقط الجزية فعلا عن كثير من موالى خراسان وأهل مصر، وقال مقالته المشهورة «إن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا» ونهى عن أن تصير الأرض الخراجية أرضا عشرية ابتداء من سنة ١٠٠ هـ مع عدم التعرض للحقوق التى اكتسبت من قبل. وألغى وظيفة مالية وظفها أخو الحجاج بن يوسف على اليمن فوق الزكاة، ونهى العمال عن اقتضاء أطلاق مالية لم يرد بها الشرع، وقد جمعها فى كتابه الى عامله على الكوفة فقال «ولا تحمل خرابا على عامر، ولا عامرا على خراب، أنظر الى الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر الا وظيفة الخراج فى رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذن فى الخراج ... أجور الضرابين، ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف، ولا أجور الفيوج، ولا أجور البيوت، ولا دراهم النكاح، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض».

وقد وسع عدل عمر أهل الذمة من هذه الناحية كما وسع المسلمين. فانه لما شكا اليه أهل نجرانية الكوفة تناقص عددهم الى العشر مع بقاء جزيتهم على حالها، أمر برد جزيتهم الى العشر (البلاذرى ص ٦٧) كذلك رد جزية قبرس الى ما كانت عليه وقت الفتح وألغى ما زاده عليها عبد الملك بن مروان (البلاذرى ١٥٤) ويروى البلاذرى أيضا (ص ٤٢٢) انه «وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا اليه، أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر، فكتب عمر الى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا، فان قضى بأخراج المسلمين أخرجوا، فنصب لهم جميع بن حاضر الناجى، فحكم بأخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء. فكره أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمين» وأبلغ من ذلك فى الدلالة على تحرى عمر العدل المطلق مارواه البلاذرى (ص ١٢٤) قال «وقال ضمرة عن على بن أبى حملة، خاصمنا عجم أهل دمشق فى كنيسة كان فلان قطعها لبنى نصر بدمشق، فأخرجنا عمر منها وردها الى النصارى» ويروى البلاذرى أيضاً (ص ١٢٥) أن الوليد بن عبد الملك قد أدخل كنيسة يوحنا فى مسجد دمشق بغير رضا النصارى «فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى اليه مافعل الوليد بهم فى كنيستهم، فكتب الى عامله يأمره برد مازاده فى المسجد عليهم. فكره أهل دمشق ذلك وقالوا نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد بيعة، وفيهم يومئذ سليمان ابن حبيب المحاربى وغيره من الفقهاء، وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التى أخذت عنوة وصارت فى أيدى المسلمين، على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها، فرضوا بذلك وأعجبهم. فكتب به الى عمر فسره وأمضاه» ذلك موقف عمر بن عبد العزيز من أهل الذمة. أما ما ينسب اليه فى بعض كتب الفقه من تحامل عليهم، وانه كتب الى عماله يعزلهم عن أعمال الدولة وأخذهم بألوان من الاضطهاد والتضيق عليهم (الخراج لابى يوسف ٧٣) فغير مؤتلف مع المستيقن من سيرته على فرض صحته، وقد يكون نوعا من العقاب كان يعاقب به ذميو الحدود الإسلامية اذا هموا بمظاهرة العدو على المسلمين.

وكما كان عمر حريصا على جباية الاموال العامة من مصادرها الصحيحة. فقد كان كذلك حريصاً على أن تنفق فى مصارفها الشرعية. فمن حيث الفىء، قد فرض لذرية المقاتلة وعيالهم عملا بسنة عمر بن الخطاب التى ترك بنو أمية العمل بها، وكتب الى عامله على الكوفة «وانظر من أراد من الذرية الحج فعجل له مائة يحج بها». وفرض لعشرين ألفا من الموالى كانوا يغزون بخراسان بغير عطاء. وأظهر استعداده لان يحمل من بيت المال الى خراسان أموالا اذا كان خراجها لايفى بعطاء أهلها. ومن حيث أموال الزكاة، فكانت صدقات كل أقليم تقسم على عهده فى فقراء أهله، وقد قسم فى فقراء البصرة كل انسان ثلاثة دراهم وأعطى الزمنى خمسين خمسين، وفرض للفقيرات من عوانس النساء، وأعتق كثيراً من الرقاب. وقد كتب الى أحد عماله «ان أعمل خانات فى بلادك، فمن مر بك من المسلمين فاقروهم يوما وليلة، وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين. فان كان منقطعا به فقووه بما يصل به الى بلده» وأمر عماله بقضاء الديون عن الغارمين فكتب

اليه بعضهم « انا نجد الرجل له المسكن والخادم وله الفرس والأثاث في بيته » فكتب عمر « لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى اليه رأسه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، وأثاث في بيته ، فهو غارم فاقضوا عنه » ولما رأى عمر ان ليس للشعراء حق في بيت المال جعل يجيزهم من عطائه وماله الخاص على قلته ، بالدراهم والدنانير المعدودة ، وقد أدرك الشعراء سبب تحرجه هذا فكانوا يقبلون منه العطاء اليسير أو الرد أحيانا بغير عطاء ، ولم يقصروا في مدحه وقدره .

على ان أهم ميزة تميز عمر بن عبد العزيز من غيره من خلفاء الاسلام ورؤساء الدول طرا انما هي رغبته الصادقة في نشر لواء السلم، لا على بلاده وحدها ولكن على العالم بأسره . ولبيان ذلك نقول انه عمد في داخل الدولة الاسلامية الى الأحزاب التي ناوأت الأمويين منذ قام ملكهم فترضاها وحملها على ما يريد من أيثار السلم والعافية . فالشيعة استجلب مودتهم بان منع سب علي بن أبي طالب على المنابر، وبأن رد على العلويين (فدكا) التي رآها حقا قديما لهم قد غصبوه . والخوارج قد كبح جماحهم من طريق المجادلة بالحسنى والاقناع بالحجة والبرهان . فعندما ظهر شوذب الخارجي بأرض فارس أمر عمر ألا يقاتلوا حتى يسفكوا دما أو يفسدوا في الأرض ، وكتب في الوقت نفسه الى شوذب يطلب اليه المناظرة في دعواه ، فأنفذ اليه الخارجي اثنين من فقهاء الخوارج ليناظراه . وقد استطاع عمر أن يهدم كل حجة أورداها الا ما احتجا به عليه من اقراره يزيد بن عبد الملك على ولاية العهد مع ما يعلم من قبح سيرته ، وكان من وراء هذه المناظرة الطريفة ان انضم أحد الخارجيين الى عمر ، وأما الآخر فعاد الى أصحابه وأثنى اليهم على مايظهر من سيرة الخليفة ما حملهم على السكون طوال عهده . وأما الموالي فقد قطع أسباب شكواهم ، بأن أسقط الجزية كما رأينا عنهم ، وبأن فرض لمقاتلتهم عطاء . وأما العصبية القبلية من يمنية ومضرية وربعية فقد هدأ من حدتها ، بأن ردع الشعراء الذين كانوا يذكون نارها ، وبأن اختار ولاته بالنظر الى كفايتهم لا الى قبائلهم .

أما من حيث العلاقات الخارجية ، فقد سلك عمر بن عبد العزيز في الأمر مسلكا بدعا لم يسبق اليه ولم يلحق فيه . ذلك أنه أقفل جميع الجيوش الاسلامية التي كانت تغزو وراء الحدود ، أقفل مسلمة ابن عبد الملك وكان مرابطا حول أسوار قسطنطينية وأعانه على القفول بأموال بعث بها اليه . وأقفل الغزاة بما وراء النهر على كره منهم كما أقفل من كانوا يغزون بالسند . على أن عمر لم يقف في هذا الأمر الخطير عند هذا الحد، بل اتبع العدول عن سياسة العنف بالدعوة السلمية الى الاسلام . يروى البلاذرى انه لما أقفل الجيوش التي كانت تغزو بما وراء النهر كتب الى ملوك تلك الجهة من الترك يدعوهم الى الاسلام فأسلم بعضهم . ولما انقض ملوك السند كتب اليهم يدعوهم الى الاسلام والطاعة على أن يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، قال البلاذرى « وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه فأسلم جيشبة والملوك وتسموا بأسماء العرب » كذلك كانت سياسته بازاء بربر المغرب الذين أشجوا الجيوش العربية زهاء ثمانين عاما . يقول البلاذرى « ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز (رضه) ولى المغرب اسمعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم ، فسار أحسن سيرة ودعا البربر الى الاسلام ، وكتب اليهم عمر كتبا يدعوهم بعد الى ذلك ، فقرأها اسمعيل عليهم في النواحي فغلب الاسلام على المغرب . ويذكر المؤرخ اليوناني تيوفان ان عمر كتب أيضا الى الامبراطور البيزنطي يدعوه الى الاسلام

وكأن عمر بن عبد العزيز قد اطلع بلحظ الغيب على نظمنا الحديثة التي تفرض على الدولة الاشراف على التعليم والعمل على نشره بين أبنائها . فقد أراد تعليم الناس كما يؤخذ من قوله في رواية ابن عبد الحكم « ان للاسلام حدودا وشرائع وسننا . . . . . فان أعش أعلمكموها وأحملكم عليها » بل لقد أخذ في ذلك بالفعل فبعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن محمد الأشعرى الى البادية ليفقها الناس وأجرى عليهما رزقا . ثم هو أول خليفة أمر بجمع أحاديث رسول الله وتدوينها . نقل السيوطي « أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر محمد بن حزم ان انظر ما كان من حديث رسول الله صلعم أو سنته فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء . وأخرج أبو نعيم في تاريخ اصبهان عن عمر بن عبد العزيز انه كتب الى الآفاق ان أنظروا الى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه » قال في فتح الباري يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي

* * *

وبعد ، فماذا كان اثر تلك الجهود كلها ؟ لقد أدت الى الغاية التي كان يرمي اليها عمر . فقد طاف بالأمة الاسلامية اذ ذاك طائف الزهد والورع والتدين اقتداء بخليفتها ، والناس على دين ملوكهم كما قالوا قديما . يروى الطبرى « وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ مصانع وضياع ، وكان الناس يلتقون في زمانه ، فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع ، فولي سليمان فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ، ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ؟ وما تصوم من الشهر ؟

وأصبح الناس وقد شملتهم نعمتا الرضا واليسر. قال «كثير» يخاطب عمر ويمدحه:

تكلمت بالحق المبين وانما تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت موعودالذى قلت بالذى فعلت فأمسى راضيا كل مسلم

وروى ابن عبد الحكم قال «قال يحيى بن سعيد: بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا، ولم نجد من يأخذها منى، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين».

نعم، لقد أغنى عمر الناس جميعا إلا نفسه وأهله. فلم ير ولى قوم أعف عن مالهم منه، ولم ير أهل بيت أصبر على الطعام الخشن والثوب المرقوع والبيت المتهدم منه ومن أهل بيته. ولقد أراح عمر الناس ولكنه أتعب نفسه، فكان حركة دائمة يعمل ليل نهار حتى ذهبت نضرته واخترق جسمه. وزاده هما فقدانه فى آجال متقاربة من عهده القصير أحبابه وأعوانه: ابنه عبد الملك، وأخاه سهلا، ومولاه مزاحما، فلم يقو جسمه على احتمال العمل والألم، فأسلم الروح بخناصرة فى ٢٥ رجب سنة ١٠١ ولما يعد التاسعة والثلاثين من عمره. وقد دفن بدير سمعان قريبا من دمشق.

لاندرى ماذا كان عمر صانعا لو مد له فى حياته؟ أغلب الظن أنه كان يتلافى موضع الضعف من أصلاحه فيقيم هذا الاصلاح على أساس ثابت لا يتزعزع بمجرد موته. ومهما يكن من شىء فقد فاز عمر بن عبد العزيز بتقدير أنصاره وخصومه على السواء. فهو عند أهل السنة مجدد المائة الأولى وآخر الخلفاء الراشدين، وقد رضى عنه العلويون وأهدى الى روحه فى أواخر القرن الرابع شاعرهم الشريف الرضى أبياتا من الشعر حارة جميلة، بل ان العباسيين عندما قامت دولتهم احترموا قبره فلم ينبشوه كما نبشوا قبور غيره من بنى أمية، على ان أبلغ من وصفه وأبنه رجل كان بحكم الظروف السياسية خصمه العنيد بل عدوه اللدود، ذلك ملك الروم أليون الثالث. أخرج ابن الجوزى عن محمد بن معبد قال «أرسل عمر بن عبد العزيز بأسارى من أسارى الروم ففادي بهم أسارى من المسلمين. قال فدخلت على ملك الروم يوما فاذا هو جالس على الأرض مكتئبا حزينا. فقلت ماشأن الملك؟ فقال أوماتدري ماحدث؟ قلت ماحدث؟ قال مات الرجل الصالح! قلت من؟ قال عمر بن عبد العزيز. ثم قال ملك الروم: لأحسب انه لو كان أحد يحيى الموتى بعد عيسى بن مريم لأحياهم عمر بن عبد العزيز. ثم قال انى لست أعجب من الراهب ان أغلق بابه ورفض الدنيا وترهب وتعبد، ولكنى أعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها وترهب»

أما نحن فنلحظ فيه خير نزعاته وأشرف عواطفه: نلحظ فيه حبه للسلام وسعيه فى توفيره فى العالم، فهو بحق داعية السلام فى القرن الأول الهجرى والثامن الميلادى، وكفى بذلك مفخرة فى الدنيا، وقربة فى الآخرة؟

أوراق مالية

في القرن السابع الهجري

للدكتور عبد الوهاب عزام

كيخاتو بن أباقا خان بن هلاكو خامس ملوك المغول المسمين أيلخانية كان كما يقول مؤلف «حبيب السير» أسخى بنى هلاكو: كان يفيض جوداً فى موائده، ولا يقف به حد فى الاسراف واللهو.

وقد اختار لوزارته صدر الدين الزنجانى المعروف بصدر جهان. ولم يكن الوزير مخالفا مولاه فى التبذير. فخلت الخزائن، واشتدت الحاجة الى المال، وضاق بالملك الأمر، فبدا للوزير أن يأخذ عن أهل الصين سنة كانت معروفة عندهم فى ذلك العصر: هى التعامل بأوراق تغنى غناء الحجرين الكريمين أو المعدنين النفيسين: الذهب والفضة. وليس الفرق بين الورق والورق ذا خطر.

أمر الوزير بطبع أوراق للتعامل سميت «الجاو» وأنشأ فى كل ناحية داراً لطبع الأوراق سميت «جاو خانه» وشرع قانونا يحتم على الناس الاقلال من تداول الذهب والفضة جهد الطاقة.

وكانت الأوراق كما وصفها رشيد الدين الشيرازى فى تاريخه المعروف بتاريخ (وصاف) والمؤرخون المعاصرون على هذا الشكل:

ورقة مستطيلة عليها كلمات صينية، وفوقها باللغة العربية كلمة الاسلام: «لا إله الا الله محمد رسول الله» اتباعا للمألوف فى المسكوكات الاسلامية. وتحت هذا اسم الكاتب ودائرة كتب فيها قيمة الورقة. وكانت القيمة تختلف من نصف درهم الى عشرة دنانير. ومما كتب على هذه الأوراق هذه الكلمات الهائلة: «أصدر ملك العالم هذه الجاو المباركة سنة ٦٩٣ ه، فمن غيرها أو محاها يقتل هو وزوجه وأولاده ويصادر ماله».

وأرسلت الى المدن منشورات تبين فوائد التعامل بهذه الأوراق، وتبشر الناس أن الفقر والبؤس سيزولان لامحالة ان دام التعامل بها. ومما جاء فى هذه المنشورات هذا البيت:

جاو أكر در جهان روان كردد   رونق ملك جاودان كردد

وترجمته: «اذا راجت فى العالم الجاو دام رونق الملك أبدا».

ومما جاء فى قانون هذه الأوراق أن الورقة التى تمزق أو تبلى ترد الى الجاوخانه ويعطى صاحبها ورقة أخرى تنقص عنها عشر القيمة.

ثار الناس على هذه الأوراق، فيروى أنه جعل موعد تداولها فى مدينة تبريز شهر ذى القعدة سنة ٦٩٣ ه، فلما جاء الموعد أقفلت الحوانيت ثلاثة أيام ووقفت الأعمال وأبى الناس أن يقبلوا الجاو المباركة.

وكان أعظم رجال الدولة نصيبا من سخط الناس وبغضهم عز الدين المظفر الذى وكل اليه اخراج الأوراق والقيام عليها. ومما قيل فيه:

تو عز دينى وظـــل جهانى   جهان را هستى تو نيست درخور
ازان گبر ومسلمان ويهودى   بس از توحيد حق والله أكبر
همى خوانند از روى تضرع   بنزد حضرت داراى داور
خدايا بر مراد خويش هر گز   مبادا در جهان يكدم مظفر

وترجمتها:

«أنت عز الدين وظل العالم، ولكن بقاءك شر على العالم، ومن أجل ذلك ترى المسلمين واليهود والمجوس بعد توحيد الله وتكبيره يتضرعون الى الحكم العدل: ربنا لاتجعله ساعة واحدة مظفرا بمراده».

انتشرت الثورة فى مدن كثيرة حتى ذهب كبراء المغول الى السلطان كيخاتو فكلموه فى أمر هذه الأوراق البغيضة حتى رضى بالغائها.

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الالمانى

نقله عن الفرنسية

أحمد حسن الزيات

القلب المحطم

رسالة الى صديق

بغير هذا اللون من الصور الشاحبة الحزينة ، كنت أود أن أصور لك عواطفى ومشاعرى ، وبغير هذه السطور التى تترقرق فى خلالها دموع البث والشكوى ، كنت أحب أن يجرى بالكتابة اليك قلبى ، ولكنى لا أريد أن أخدعك فى شأن من شئون نفسى ، وما أحسبك تريدنى على أن اصنع لك كلاما عن راحة القلب وهدوء الضمير فى الوقت الذى تعصف فى الاحداث فيه عصفا تزلزل كيان النفس ، وتزعزع أشد الافئدة احتراما لقوانين الارض ، وايمانا بعدالة السماء ، لقد شغلت فى مطالع الشباب وبواكر الصبى بما تشبه أن يكون استجابة حارة لرغبات القلب ونوازع الهوى ، وأجتنى متعة اليوم عن التفكير فيما عسى أن يطلع به الغد ، وقنعت بتلك النشوة التى يملأ بها الحب شعاب القلب فى عالم تألق حواشيه بالبسمات والاحلام ، وكنت لغفلتى أحسب الحياة ستظل على هذا النحو رخية لينة ، وان الحب مادام يغمرها ويخلع عليها من مفاتنه سلاما وابتساما ونورا ، قمة تلتقى الغصن ، وغاية الامل ، ونهاية المطاف ، فلو أنى أحطت هذه الحياة الاثيرة لدى بسياج يكفل لها على الايام بقاء واطرادا ، لما تعثرت فى أذيال هذه الخيبة الاليمة . ولما صرت الى ما أعانيه اليوم من تعس وشقاء .

أيها القلب ! لقد سعدت بالحب حلما ذهبيا سلسل فى نواحيك الامل ، وأشاع فى جوانبك الرجاء ، ولكنك شقيت به يقظة رهيبة تكشفت لك فى ضوئها عناصر الجريمة من خيانة وغدر وعبث اليم بقداسة العهد والوفاء . فهل تراك ياقلب معتبرا بما اسلفك الحب من تجاربه القاسية الاليمة ، فتظل بنجوة عن الوقوع فى شرك البسمات المغريات ، والنظرات القاتلات ، ترسلها العيون الذابلة المريضة ؟ أتراك معتبرا بعد أن عرفت أن الحب انما يصور لك الحياة روضة مسحورة تشدو بلابلها ، وتطرد جداولها ، وتتأرج بالعطر الجميل أزاهرها ؟ ثم ... ثم تجف الروضة وتغيض الجداول وتصمت الاطيار ، وتتحطم الامانى ، وتتبدد الاحلام . واذا الدنيا مناحة قائمة ... واذا الحب الذى سعدت به تلك اللحظات الخاطفة يستحيل الى حسرة الماضى ، وفجيعة الحاضر ، ولعنة المستقبل . واذا تلك الاناشيد الداوية تحور الى انين خافت ، وآلام دفينة خرساء . واذن ففيم هذا التهالك العجيب على تلك الشجرة الملعونة وقد بلوت المر من ثمرها ؟ وفيم تلك الخفقات السريعة المتلاحقة كلما رنت اليك غانية بنظرة . أو توامضت لك على شفتيها ابتسامة ؟ وهذا الجسم الذى أذبلت زهرته ، وأيبست عوده ، وعطلت نشاطه ، وصرفته عن مثله العليا ، وفجعته فى اقدس ماكان يرجيه من أمل ويحرص عليه من سعادة ، إلا تأخذك فيه عاطفة من الاشفاق والرحمة ، فتدعه يفرغ لما تتطلبه الحياة من جهاد طويل الشقة ، وعر المسالك ، فادح الاعياء ... ايها القلب ! إنك ان تظل سادرا فى غوايتك فانى لأخشى أن أناجيك غدا بقول الشاعر :

أقول لقلبى كلما ضامه الاسى : اذا ما أبيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيى تعرضت للهوى ، وقولك لا قولى ، وفعلك لا فعلى
فان تك مقتولا على غير بيعة ، فانت الذى عرضت نفسك للقتل

عبد الوهاب حسن

بمراقبة النشر — وزارة المالية

منهن ومنهن

للأستاذ عبد القادر المغربي
وكيل المجمع العلمي العربي بدمشق

(وإن من النسوان من هي روضة
تهيج الرياض دونها وتصوّح)
(ومنهن غُلٌّ مقفل لا يفكه
من الناس إلا الأحوذي الصَّلنقح)

يقول حكيم العرب: «إن النساء مختلفات في طباعهن وأمزجتهن وغرائز نفوسهن»:

فمنهن امرأة حسنة السجايا طيبة الأخلاق، تشبه الروضة فيما اشتملت عليه من خضرة وزهر، وطيب ماء، ورقة هواء. بل ان الرياض الحقيقية ذات الخضرة والنضرة، قد (تهيج) أي يصفر نباتها و(تتصوّح) أي تيبس أو تذبل أوراقها. أما تلك المرأة فهي روضة لا تهيج ولا تصوّح، وانما تبقى ناضرة الخضرة، طيبة الشذا طول حياتها.

هذه واحدة من النساء باسعادة مجتمعها بها.

ومنهن واحدة أخرى وصفها الشاعر في البيت الثاني بأنها كالغُلّ. وهو القيد المقفل أي المشدود على عنق الرجل أو يديه، يمنعه الحركة ولا يقدر على فكه إلا (الأحوذيُّ الصَّلَنْقَحُ)

(الأحوذي) الحاذق في السَّوق، الذي يعرف كيف يسوق الدابة ويحملها على السرعة في السير. فبينا ترى غيره يقطع بها مسافة عشرة أيام تراه هو يقطع بها ثلاثة أيام. وذلك لأنه (صَلَنْقَح) أي صيّاح شديد الصوت. (وصَلَنْقَح) كلمة غريبة وثقيلة على السمع، غير أنها قد تروج لدى القارىء المنصف مذ يرى المقام يقتضيها، والسياق يواتيها، والقافية تناديها.

ووَصفُ امرأة السوء بالغُلّ معهود عند العرب، ومنه قولهم: (هي غلٌّ قَمِل. وجرح لا يندمل) ومعنى (قَمِل) أن الغُلّ أحياناً يكون من جلد غير مدبوغ ويكون على الأسير الذي يدوم أسره ويطول عهده بالاغتسال فيتسخ بدنه ويعشش القمل في غله ويأخذ يرعى في تجاليده فيؤذيه ويمنعه طيب المنام وهكذا حال امرأة السوء في البيت الذي تعيش فيه.

***

قد يعترض معترض على البيت الثاني بأن فيه إحالة، ومعنى (الاحالة) في اصطلاح علماء النقد الأدبي أن يكون الكلام معدولا به عن وجه الصواب

وهنا قد شبه الشاعر امرأة السوء بالغل الموثق المحكم الشد. ثم قال انه لا يفك هذا الغل إلا سائق صياح شديد الصوت

ولكن هل من عادة القيود المحكمة الشدّ أن تفك وتُحَلَّ عُقَدُها بكثرة الصياح والجلَبة؟

ربما كان في هذا الاعتراض شيء من الحق. فماذا كان يجب أن يقال اذَن؟

كان ينبغي أن يقال في البيت الثاني هكذا:

(ومنهن مُهر شامسٌ لا يروضه
من الناس إلا الأحوذيُّ الصلنقح)

فيكون المعنى أن من النساء من تكون كالمهر الشامس (أي الشَّمُوس) الذي يكثر شروده ولا يقدر على ترويضه وتليين شكيمته إلا الرجل الذي يعرف كيف يسوسه ويؤدبه بالانتهار ورفع الصوت والصَّخَب عليه.

فتقول: ولكن كلمة (شامس) غير مأنوسة الاستعمال والمعروف (شَمُوس) فماذا يمكن أن يحلّ محلّها من كلمات اللغة؟

أقول يمكن أن يقال في البيت هكذا:

(ومنهن مُهر كَوْسَجٌ لا يروضه... الخ.

و(الكوسج) من الخيل: الفرس الذي تريده على السير فلا يسير حتى تضربه.

فيقول القارىء معنى (الكوسج) حسن. ولكن لفظه اشتهر في معنى خفة شعر اللحية فلا أرى استعماله هنا. هات كلمة سواها يا استاذ.

فأقول ها كها:

ومنهن مهر خارط لا يروضه... الخ.

و (الخارط) الفرس الذى يجذب رسنه من يد ممسكه ثم يفلت شاردا لايلوى على شيء.

ومثل (الخارط) الخروط.

ولذلك تسمى المرأة الفاجرة التى جذبت رسنها من يد أسرتها (خروط)

يقول القارىء: وكلمة (خارط) أيضا قبيحة اللفظ وكفى (بالخرط) قبحا.

على أن استقباح القارىء لكلمة (خارط في غير محله. وليس معه حق فيه: إذ كيف يستثقل كلمة (خارط) وهذه كلمة (خارطة) بمعنى الاطلس الجغرافى يتلفظ بها كثيراً. ويسمعها من صبيانه وبناته وهم يدرسون فى بيته، ومن سائر التلامذة وأساتذتهم يقولونها عشرات من المرات فى اليوم - كل هذا لا تستثقل معه أيها القارىء الكريم كلمة (خارطة) وتقوم الآن فتستثقل كلمة (خارط) وتتشاءم بها!!

ومع هذا فدونك كلمة رابعة وهى:

(ومنهن مهر ضاغنٌ لا يروضه الخ.

ومعنى (الضاغن) الفرس الذى لا يُعطى كل ما عنده من الجرى حتى يُضرب، أو هو الفرس الذى إذا مشى كان كأنه يرجع القهقرى. ويمشى الى الوراء.

وقبل أن يبادرنى القارىء بالتأفف من كلمة (ضاغن) أذكره بالأسرة اللغوية التى تنتمى اليها كلمة (ضاغن) — ولو لفظاً —:

فان تلك الأسرة وجميع سلالتها مقيمة بيننا محببة الينا. شائعة على ألسنتنا:

فالضغن أمّ الأسرة ومن نسلها (الاضغان) و (الضغينة) و (الضغائن) و (تضاغنَ) القوم و (اضطغنَ) فلان على فلان

فهل بعد هذا يصح للقارىء أن يتجهم لكلمة (ضاغن) ويدّعى غرابتها. ويطلب أن يستبدل بها سواها؟

دمشق المغربى

فى الأدب المصرى القديم

ملخص فصل من كتاب
(النيل والحضارة المصرية)
للأستاذ (آ. موريه)

كان المصريون أصحاب ألسنة لاتعرف الملل فى نطق، على ان ماجاءنا من آثارهم الادبية هو ثروة قليلة بالنسبة الى ثمار شعب يحكى عنه منذ اربعة آلاف عام. وفى هذه الاعمار التاريخية قامت مآثر أدبية تختلف صفاتها الاجتماعية والطبيعية. والادب كما هو فى مصر وغير مصر - مرآة تتمثل فيها الحياة الاجتماعية

نشأت المآثر الاولى فى «الدولة القديمة» مصحوبة بأدب دينى صرف مقيد بتعاليم الكهنة، وهذا الادب هو النصوص الجليلة والآثار المعروفة «بموضوعات الاهرام» والتى تحفظ كثيرا من التاريخ القديم، والديانة القديمة والحركة العقلية القديمة، والجزء الثانى منها هو عبارة عن نصوص منقوشة على حجارة؛ وحكم هذا الادب حكم الزخرفة وبقية الفنون، لم يكن المراد منه الا تزيين الهياكل والقبور، ومن الواجب ان يكون خاضعا حتى فى مظهره الخارجى لهيئة العمارة، وفى قبور (ممفيس) فصول شعبية لايتلاءم اسلوبها الخرمع الطقوس والتقاليد، وهذه النصول الخرافية تطلعنا على اللهجة العامية؛ بل تكاد توحى لنا عن نفسية الشعب...

هذه أغنية قديمة للراعى الذى يسوق قطيعه بين اتلاع الارض ناثراً بذوره.

«الراعى هو فى الماء مع الاسماك يتناجى مع (صنف من السمك) ويتبادل التحيات مع (صنف من السمك). يامغرب! من أين جاء الراعى؟ انه من بلاد المغرب»

وهنا لك مقطوعة مرفوعة لأوزيريس الملقى فى النهر. وقد هشمته الأسماك، وأجزاؤه المتناثرة على الارض قد أخصبت تلاع الارض. والذين يحملون - على أكتافهم - الأسياد الضخام: يخففون من أتعابهم بانشادهم.

«ان حاملى الهودج هم فى سرور
ولأن يكون الهودج ملآن خير من ان يكون فارغاً»

وعصر ثان تفتح فى عهد الثورة الاجتماعية بين المملكة القديمة والمملكة الوسطى . فازدهرت الفصاحة فيه أيما ازدهار ، وترك الادب الديني محلا للادب الاجتماعى ، فانقضى عصر الادب الحجرى وأصبح يدون منه شيء على ورق البردي ، وبهذا خفف الفكر عنه بانعتاقه من السجن الحجرى . فأصبح كل شيء يدعو إلى الملاحظة ، ويغرى بالتأمل ، وأصبحت العقول المثقفة تشعر بالضيق وتحس بالشك واليأس ، والشعب تدفعه عوامل الرغبة الى المعرفة واللذة ، نشوان بنجاح جرأته ، وكما يكون الامر فى كل ثورة ، تصطدم الحركة العقلية بالقوة الجارفة ، فلا يكاد يجد العقل متسعا ولا فراغا للانتاج ، على أنه برغم ذلك قام بعض متأملين معتزلين . وألقوا بذورا مثمرة فى هذا المجتمع يوم ثورته . وفى عهد ملوك « هيراكليوبوليس » دون المصريون « تعاليم للملك مريكارا » وهجاء الصانع ، وأنين الفلاح . وكلها مرايا تنعكس فيها الحالة السياسية التى شرحناها من قبل . وفى العهد نفسه نشأت موضوعات مختلفة - أيام الفوضى - وضعها أصحابها على لسان حكيم هرم أو كاهن ، و شكاوى طرحها (مبغض البشرية) بينه وبين نفسه ، وفى كل هذا نرى الشعور الدينى قد ضعف شأنه ، وهنالك حيث تحطم النظام الاجتماعى الاول نرى التعاليم الاعتقادية قد تقوضت ووهن تأثيرها فى النفوس .

فى الأسرة الثانية عشرة على أثر الانعتاق من الروابط السحرية التى تلت عصر الثورة ، حل شيء من الثقة فى النظام ، وأصبح المجتمع تسيطر عليه شرائع عادلة ، والإدب الجديد الدينى المنقوش على الصفائح والتوابيت ، وعلى ورق البردى كان يعمل على انماء الخواطر التى تدفع بالانسان الفاضل الى التلذذ بالنعيم الالهى فى العالم الثانى . وفى هذا العصر ازدهرت مدرسة ادبية عنيت بتهذيب اللغة وتنقيح الاسلوب ، ونحن مدينون لاصحابه بقصص لطيفة منها (سيروت) و(الغريق) وهذه قصة حادثية تحوى أهواء مسافر طرحته المقادير فى صحراء ، أوساقته الى بحار مجهولة . وهنالك مشروع ساعد على تهذيب موظفى الحكومة وتثقيفهم ، فنشأ من كل ذلك موضوعات وصفية وعاطفية وقصصية تؤلف ادب ذلك العصر كله . بل الادب (الكلاسيكى) لمصر القديمة .

والادب - فى الدولة الحديثة - فاض معينه ، وتوثبت امواجه الى شواطىء حرة ، وأساليب غير مقيدة . والدولة الحديثة قد حطمت قيودها وفتحت لنفسها ينابيع جديدة « للتحسس » حتى أصبحت الفنون فى عهد (العماونه) عالمية .

والأدب الحديث حطم قيود المدرسة الأدبية واستطاع أن يدخل على لغته المختارة بساطة اللغة العامية . ولم يكن من طريق الاتفاق ما رأيناه فى كتابات (ايكوناتون) لأول مرة من التطورات الصرفية والنحوية التى طغت على الأسلوب الخاص ولهجة الشعب بما فيها ، وادخلت (اداة التعريف وأفعال المساعدة ، والبناء الصرفى أو الاشتقاق) . والقصص الصغيرة التى كتبت للاطفال خير مثال لنا ، والأدب الدينى نفسه قد تطور وتشذب ليدنو من أدب الشعب وروحه : وأغانى (آمون) الذائعة الصيت تبث بسلامة قلب محبة الخلائق المتواضعة .

بعض نصائح أخلاقية من تعاليم « آنى » :

يقول : (ضاعف الخبز الذى تحمله لأمك ، واحمله لها كما حملته لك ، عند ما ولدت وبعد ولادتك بشهور . حملتك على حضنها ، وثلاثة أعوام ظل ثديها يدر فى فمك ، فلم يأخذها سأم منك ولم تقل لنفسها يوماً : لماذا أصنع هكذا ؟ قادتك الى الكتاب وبينا أنت تتعلم الكتابة كانت تنقل لك من بيتها خبزاً ونبيذاً . وغدا اذا صرت كبيرا وصار لك امرأة ، ووجب عليك تدبير منزلك فأرجع بصرك الى العصر الذى كنت فيه طفلا على حضن أمك يوم لم تصخب عليك ولم تبسط يدها لله الذى لم يسمع لها أنيناً ... »

ثم يذكر الأخلاقى علاقة الرجل مع المرأة فيقول :

« احترس من المرأة الأجنبية المجهولة فى مدينتها ، هى كالماء الواسع العميق لا يدرى ما تحت أعماقه

واحذر المرأة التى يغيب بعلها ، وتتصدى لك كل يوم قائلة لك « انى جميلة » ليس هنالك من شهود ، ولكن الخطيئة عظيمة جدير صاحبها بالموت اذا فشت !

(يتبع) خليل هنداوي

بلاط الشهداء

استدراك

اطلعنى صديقى محرر الرسالة الغراء على خطاب بعث به أحد القراء (محمد فرغلى محمد بمنفلوط) يشير فيه الى خطأ وقع فى مقالى الأول عن (بلاط الشهداء) فى رقم السنة التى حدث فيها فتح الأندلس اذ ذكر انها فتحت سنة ٩٧ — سنة ٩٨ هـ . والواقع كما لاحظ القارىء الفاضل نفسه أن كتابة الرقم بهذه الصورة كانت سهوا محضا بدليل صحة التاريخ الميلادى الذى قرن به التاريخ الهجرى (سنة ٧١١ م) . أما حقيقة التاريخ الهجرى فهى سنة ٩١ — سنة ٩٢ هـ

عنان

على ذكر الشعر المرسل

الشكل والموضـــوع

حول قصيدة الآنسة سهير القلماوي

في الأدب كما في القانون شكل وموضوع، وكما يرفض القاضي الطعن في حكم ما شكلا ويقبله موضوعا، فقد يرفض القارئ قصيدة ما شكلا وإن قبلها موضوعا، والشكل في الأدب لا يقل في خطره عن الموضوع، فكم من قطعة أدبية أفسد أسلوبها موضوعها، وكم من قصيدة ذهب قبح نظمها بجمال معناها، وكم من قصيدة رقيقة اللفظ جميلة الأداء، في كلماتها عذوبة وفي نظمها اتساق، غير ان المعنى الجليل فارق فيها اللفظ الجميل، والخيال السامي بعد فيها عن الأداء الحسن، وهي مع ذلك خالدة على الدهر سائرة كالمثل.

وقد قرأنا للآنسة الأديبة سهير القلماوي في عدد الرسالة الماضي قصيدة نظمتها، فراعت فيها كما قالت خاصتين من خواص الشعر العربي وهما الوزن وتمام المعنى في البيت الواحد، وأهملت الخاصة الثالثة وهي القافية، فعنيت بالموضوع وأهملت الشكل، وكان الأجدر بها وقد أرادت أن تتبع سنة التجديد في الشعر العربي الا تجيء الى ركن من أهم الأركان الفنية فيه فتمحوه وتهمله وتقرب الشعر بذلك الى النثر، فلست أرى الشعر المرسل الا نثرا موزونا نخشى أن تمتد اليه يد التجديد فتنتزع منه الوزن أيضاً. ولو قد أنصفت لأهملت تمام المعنى في البيت الواحد وراعت القافية فهي التي تعد بحق وباطراد من خواص الشعر العربي البارزة التي تميزه من كل شعر سواه، والتي أكسبته روعة خاصة، وأشركت الحس مع العقل فيه، وهيأت له السمع والادراك، وجمعت للقارئ بين لذة التوقيع ولذة الفكر والفهم، وربما قيل ان التوقيع انما جاء من الوزن لا من القافية، ولكن اصطدام القارئ بحروف متغايرة في أواخر الأبيات يشعره بفقدان الوزن في ثناياها.

اما تمام المعنى في البيت الواحد فلم يكن من خصائص الشعر العربي، وإنما كان من خصائص الشعراء العرب. فليس يدخل إذن في أصول الفن الشعري التي لا بد للشعر منها كالوزن والقافية، فقد كان العرب أميل الى الايجاز والالمام بالمعنى في غير توسع ولا اطناب، ومن هنا كان حرصهم على اتمام المعنى في البيت الواحد كبيرا، حتى جرى الكثير من أبياتهم مجرى الأمثال لاحتوائه على المعنى الجليل في اللفظ القليل، ومن هنا جاز لنا وقد تغير العصر وبعد الزمان وتغيرت الأذواق الا نتبع سنة القوم في ضرورة اتمام المعنى في البيت الواحد، على ان الشعر العربي لم يخل من قصائد لا يمكننا أن نقف فيها على كل بيت لعدم تمام المعنى فيه، ولكنه خلا تماما من قصيدة لم تنته بحرف واحد.

وقد يقال أيضا ان الشعر اذا أطلق من قيده وأعفي الشعراء من التزام القافية فيه أصبح الأمر مألوفا تقبله الأذواق وتعتاده الأسماع، ولكننا اذا عدنا الى قراءة الشعر العربي القديم وما نظمه المحدثون من شعر مقفى، وهذا كله كثير ثمين فسنشعر بالفرق بين الشعرين وسنعود الى القافية نستحسن مراعاتها والتزامها، ولا أحسب أحدا يدعونا الى ترك الشعر القديم واهماله لنفسح المجال للشعر المرسل في غير حاجة ملحة ولا ضرورة ملجئة، وإذن فالتجديد في الشعر بارساله دعوة لا تقوم على أساس من الفن يصلح لأن يطغى على القافية فيمحوها من الشعر العربي.

وتشعر الآنسة ان المعنى اذا تم في البيت الواحد لم نحس باهمال القافية، وهذا صحيح اذا كان الشعر معنى فقط لا دخل للحس فيه، الا ترى الآنسة ان بعض أبيات قصيدتها وقد راعت فيه القافية كان ألذ للسمع من البعض الآخر الذي أهملتها فيه. هذا قولها:

قد أوهنت عظامه السنين وغضنت جبينه العصور
وقسوة المسعى وراء العيش قد أفقدته جزءه الانساني

ألا ترى أن اهمال القافية في البيت الثاني قد جعله نابيا غريبا على السمع، فقبله الادراك لحسن معناه، ورفضه السمع لاختلافه مع سابقه في مبناه؟ وهذا قولها:

ياسادة العبيد والأراضي كيف لقاء الرب يوم الدين؟
يوم مثوله أمام الله بعد سكون الساع والسنين

ألا ترى ان مراعاة القافية فيه قد كسبه جمالا وتهيأت له الاسماع والافهام؟ أؤكد للآنسة ان اهمال القافية لا يغني عنه تمام المعنى في البيت الواحد، وان شعور الكاتب نفسه لا يكفي دائما للحكم على آثاره الأدبية؟

محمد قدري لطفي
ليسانسيه في الآداب

(الرسالة): جاءنا في هذا المعنى مقالان آخران للأديبين (أبو الفتوح رضوان) و(نصري عطا الله) فاكتفينا بهذا المقال لأنهما لا يخرجان عنه

فلسفة سبينوزا

للأستاذ زكي نجيب محمود

— ٢ —

شرحنا في المقال السابق فلسفة سبينوزا الميتافيزيقية التي تتلخص في أن في الكون حقيقة واحدة خالدة، هي عبارة عن قانون عام شامل لا ينقص ولا يزيد. هذه الحقيقة الخالدة، أو هذا القانون الشامل، لا يمكن أن يعبر عن نفسه ويفصح عن حقيقته إلا بواسطة الأجسام المادية، فاتخذ من تلك المادة التي تملأ جوانب الكون، قوالب وأشكالا لكي يبرز عن طريقها الى عالم الواقع المحسوس، وهذه الصور والأشكال المادية التي تتخذ وسيلة للتعبير عن ذلك القانون الخالد، لا تظل على هيئة خاصة معينة، فهي متغيرة متبدلة أبداً، بل قد تزول وتفنى، ولكن تلك الحقيقة نفسها باقية خالدة لا تفنى ولا تزول، بل لا تنقص ولا تزيد، وهي لا تفتأ تلبس هذا الثوب المادي وتخلع ذاك الى أبد الآبدين. وذكرنا أن ذلك القانون الأعلى وهذه الطبيعة شيء واحد لا يقبل التجزئة

ونريد في هذا المقال أن نتناول بالشرح الموجز فلسفته الاخلاقية والسياسية إتماما للبحث:

١ — الذكاء والأخلاق

للأخلاق فلسفة متضاربة متناقضة. فهذا الفيلسوف يدعو الى نظام أخلاقي معين، وذاك يروج لنقيضه، وثالث يقف بين بين، يأخذ من هذا وذاك بمقدار. فهذه المسيحية تبشر بفضائل الاستكانة والتواضع، وتدعو الناس إلى العطف والرحمة والإيثار، وتعلم الناس أنهم جميعا سواسية لا يمتاز رجل على رجل، ترد الشر بالخير. وتميل في السياسة إلى الديمقراطية المطلقة من كل القيود. وهي تعتبر المحبة أساس الفضيلة. وذانكم مكيافلي ونيتشه يدعوان الناس الى التخلق بأخلاق الرجولة القوية الصحيحة، وينكران المساواة بين الناس، فمنهم الضعيف ومنهم القوي، وفيهم العبقري الفيلسوف وفيهم الغبي الأبله، ويحفزان الناس الى نبذ السلم والمغامرة في معمعان العراك والقتال ليحرز النصر من هو جدير بالنصر، وليتربع على الحكم من يستحق الحكم والسلطان، والفضيلة عندهما هي القوة، ويميلان في السياسة إلى الاستبداد والأرستقراطية الوراثية. فمكيافلي يصرح في كتابه «الأمير» بكل جرأة: «أن الأمير الذي يريد حفظ كيان دولته، لابد له في كثير من الأحيان أن يخالف الذمة والمروءة والانسانية والدين» كما يحبذ نيتشه سياسة بسمارك التي تنتصر بالحديد والدم.

وبين هذين النقيضين يقوم نظام أخلاقي وسط بين حب المسيح وقوة نيتشه، دعا اليه أرسطو، ومؤداه المزج بين أخلاق الضعيف وأخلاق القوة، ويريد أن يلقى بزمام الأمر الى العقل المثقف الحكيم، فهو وحده الذي يصح أن يؤتمن على اختيار الأخلاق الملائمة للمواقف المختلفة، فهو يعرف متى يلبس لبوس الحنان والعطف، ومتى يتنمر ليفترس، ومعنى ذلك أن الفضيلة عند أرسطو هي الذكاء، ويميل في السياسة إلى مزيج من الأرستقراطية والديمقراطية

ثم جاء سبينوزا فأخذ ينسج من هذه الصور وحدة خلقية متناسقة. وهو في هذا يسير سيرا منطقياً دقيقا حتى ينتهي الى نتائجه التي يقدمها، فهو يبدأ بتقريره أن السعادة هي الغرض المقصود من الأخلاق الفاضلة. ولكن ما هي هذه السعادة التي نتجه نحوها ونقصد اليها؟ هي عنده في بساطة لا لبس فيها ولا غموض، وجود السرور وارتفاع الألم. ولكنا نعود فنقول: وما السرور والألم؟ أهما حالتان معينتان؟ أم هما نسبيان يختلفان باختلاف الأشخاص؟ هنا يجيب سبينوزا بأنهما ليسا حالتين، أي ليس ثمة حالة مستقرة يقف عندها المرء قائلا: هنا السعادة، وهناك الألم. انما السعادة شعور بانتقال النفس الى درجة أدنى الى الكمال، والألم شعور بانتقالها الى مرتبة أبعد عنه. ولما كان الكمال عنده هو القوة، لا قوة نيتشه الغاشمة العمياء التي تقوم على الغريزة الوحشية، ولكنها القوة العقلية المتزنة. فكلما درجت صاعدا في سبيل هذه القوة العقلية كنت أقرب الى الكمال، وكنت بالتالي سعيدا مطمئن النفس. ومعنى هذا أن العواطف والمشاعر المختلفة هي مسالك أو طرق تسير فيها النفس، مقبلة نحو القوة تارة، مدبرة عنها طورا. (لاحظ العلاقة بين كلمتي pass و passion. وكذلك بين كلمتي motion و emotion لتدرك العلاقة القوية في اللفظ بين ألفاظ الحركة وألفاظ العواطف والمشاعر. ومثل هذه العلاقة موجودة أيضا في اللغة الفرنسية) فالفضيلة والقوة عند سبينوزا شيء واحد، أي أن الفضيلة هي زيادة فاعلية النفس التي تعمل على حفظ البقاء. وكلما اتسعت مقدرة الانسان على حفظ وجوده ازداد ما يتحلى به من فضيلة. وبعبارة أوضح يعتقد سبينوزا أن أساس الفضيلة هي الأنانية المعتدلة التي تعينك على الاحتفاظ بوجودك، وهو لا يرى في حب الشخص لنفسه ضرراً يلحق بالآخرين. واذن فلا خير في أن تضحي بنفسك من أجل غيرك الا اذا كان في ذلك قوة لك،

وهكذا يجب أن يحب كل انسان نفسه ، وان يلتمس كل وسيلة ممكنة تأخذ بيده الى مرتبة أدنى الى الكمال

فأنت ترى من ذلك أن سبينوزا لا يبنى الأخلاق على الايثار والخير الطبيعي ، ولا على الأنانية البشعة والشر الطبيعي ، ولكن على انانية معقولة لا يجد منها مفرا لحفظ البقاء وعنده أن هذه الأنانية المعتدلة التي يمليها منطق الحياة نفسها لا يمكن أن تباعد بين مصالح الأفراد ، أو تبذر بذور البغضاء فى النفوس ، لذلك نراه لا يتمالك نفسه حيرة فى هذا التحاسد والتنابذ والكراهية ، وهو يائس من أن يبرأ المجتمع من علله وأمراضه قبل أن يهذب الناس من هذه العواطف ويصلحوها ، وهو ينصح لنا أن نبادل أعداءنا حبا بكره ، ذلك لأن الكراهية تنمو وتتغذى اذا وجدت لها صدى من كراهية مثلها فى نفوس الآخرين . وهو بمحاربة هذا التباغض ينشد فينا النخوة الحق والرجولة الصحيحة ، فأنت حين تشعر بالكراهية نحو غيرك ، فانما يكون ذلك اعترافا صريحا منك بانحطاطك دونه وخوفك منه ، لأنك لا تكره عدوا تثق بأنك تستطيع أن تتغلب عليه فى سهولة وتدحره فى غير عناء .

واذا كانت عواطفنا الغريزية كما نرى حائرة السبيل يعوزها الدليل الأمين ، فلا يجوز اذن أن نلقى بزمامنا اليها ، انما يجب أن يكون الفكر وحده رائدنا ، ولكن سبينوزا لا يريد أن نكبح الغرائز جملة واحدة ، لا بل نستغلها ونتخذ منها دافعا يسوقنا تحت سيطرة العقل واشرافه ، فتكون هى بمثابة قوة البخار التى تدفع القطار ، ويكون العقل بمثابة السائق الذى يتحكم فى سيره ووقوفه ، وحجته فى عجز الغرائز وحدها عن القيادة ، انها متضادة الأغراض متضاربة المقاصد ، فاذا ما تركناها على سجيتها ، انطلقت كل واحدة تسعى فى اشباع رغبتها ، دون أن تراعى صالح الكل ، واذن فلابد من رقابة رشيدة تعمل أولا وقبل كل شيء لما فيه خير الشخص كمجموعة متحدة ، بأن نكبح بعض الغرائز حينا ، ونطلق بعضها الآخر حينا ، حسب ما يتطلبه الموقف ، ومعنى ذلك كله أن الفضيلة مرهونة بالمعرفة أو الذكاء

والذكاء وحده هو الوسيلة التى نستطيع بها أن نحرر أنفسنا من سيطرة الغرائز التى تفرض علينا سلوكا معينا ، وتعمل جهدها لقسرنا عليه : فنحن عبيد لها بقدر انسياقنا لما تمليه علينا ، أى أن سلبية العاطفة عبودية للانسان ، وحريته فى فاعلية العقل : فالحرية الشخصية متوقفة على المعرفة ، وفى ذلك يقول ديوى أستاذ الفلسفة فى جامعة كولمبيا بالولايات المتحدة : « إن الطبيب أو المهندس يكون حرا فى فكره وعمله بمقدار ما تتسع معرفته فى المهنة التى يباشرها ، وقد تكون هذه المعرفة مفتاح الحريات جميعا »

بناء على ذلك يكون السوبرمان (الانسان الأعلى) الذي ينشده سبينوزا هو الذى يستطيع أن يحرر نفسه من سلطان الغرائز ، وليس هو الذى يتخلص من القيود الاجتماعية العادلة كما صوره نيتشه . يقول سبينوزا : « ان من يعملون الخير بناء على ارادة العقل ، ويلتمسون النفع الذى يدل عليه المنطق الصحيح ، هؤلاء فى الواقع ينشدون مع خير أنفسهم صالحا للانسانية عامة » فلأن تكون عظيما لا يعنى أن تضع نفسك فوق مستوى البشر لتنشب أظفارك فى أعناقهم كما يريد نيتشه ، ولكن العظمة هى أن ترتفع عن سخف الرغبات الغريزية ، التى لا يشرف عليها عقل متزن حكيم ، ليست العظمة فى أن تحكم الآخرين ، وانما هى فى أن تحكم نفسك

هذه الحرية التى تستطيع أن تنعم بها من السيطرة على نفسك هى أشرف مما يسمونه حرية الارادة ، لأن الارادة مجبرة مسيرة ، أو قل ليس ثمة ارادة ما ، لأن الارادة والفكر وجهان لحقيقة واحدة . وهنا يلاحظ سبينوزا أن ليس فى جبر الارادة نقيصة يؤسف عليها ، بل هو يهذب الأخلاق ويسمو بها الى مستوى رفيع ، فهو يعلمنا الا نحتقر انسانا ، كائنا ما كان موضعه من المجتمع ، لأنه غير مسئول عن ذلك الموضع ، أنما كتبت له الارادة العليا أن يكون حيث هو ، والجبر كذلك يوحى الينا الرضى عما قد يديه الدهر من قسوة وغلظة ، لأننا نعلم أنه ان ظلم وجار فى ناحية معينة ، فلابد أن يكون ذلك لصالح الكل ، مادامت الأفراد جزءا من جسم الوجود المتحد

٢ - الرسالة السياسية

كان صوت سبينوزا واحدا من تلك الأصوات التى انطلقت تصيح بحرية الانسان . ففى نفس الوقت الذى كان فيه (هوبز) يدافع عن الملكية فى انجلترا ، ويقاوم بنظريته قوة الشعب الانجليزى التى أخذت تناهض استبداد الملك ، كتب سبينوزا فلسفته السياسية ، وهى تعبر تعبيرا صادقا عن الديمقراطية التى بدأ يختلج حلبها الجيل فى نفوس الناس عندئذ ، والتى أخذت تنمو وتنمو حتى بلغت ذروتها عند روسو ، ثم تدفقت ثورة عنيفة فى فرنسا

يقدم سبينوزا بادىء الأمر هذه البديهية التى لا تحتمل الشك . وهى ان الانسان فى أول نشأته كان يعيش منفردا غير مجتمع ، فلا يرتبط مع غيره بقانون ولا نظام ، لا يفهم معنى للحق الا ما يستطيع أن يستولى عليه بالقوة ، واذن لم يكن ذلك الانسان الأول يدرك معنى للخير والشر ، لأنهما عبارتان اصطلح عليهما

بعد تكوين المجتمع، اذ أطلقنا على بعض الأعمال التى تواضع عليها الأفراد. أما قبل ذلك فكان الفرد يتصرف حسب ما تملى عليه شهوته، وبالطبع لم يكن مسئولاً عن تصرفاته الا أمام نفسه، ومعنى هذا أن الجريمة لم يكن لها وجود فى الحياة الطبيعية الأولى، لأنها لاتدرك الا فى حالة المدنية، حيث يتفق الجميع على تحديد الخير والشر، ويصبح كل انسان مسئولا عن ذلك أمام هيئة معترف بها هى الدولة

وأنت تستطيع أن تتمثل الحياة الطبيعية الأولى التى لم تكن تفرق بين الخير والشر، أو بعبارة أخرى بين ما يجوز عمله وما لا يجوز، فى علاقة الدول بعضها مع بعض، إذ لا يربطها نظام خلقى معترف به فى قوة النظام الذي يربط الأفراد، ولا تشرف عليها سلطة عامة نافذة الارادة كما هى الحال بين الأفراد، لذلك كان الحق فى العلاقات الدولية هو القوة (يلاحظ أن اسم الدول العظمى بالإنجليزية هو Great powers وفى هذا إشارة صريحة تؤيد هذا المعنى) اذ لا تفهم الدول على وجه الدقة معنى الخير والشر كما يفهمها الأفراد.

كان الناس اذن يعيشون بادىء الأمر كما تعيش الدول الآن، ليس لأحدهم عند الآخر حقوق: ولكن لم يلبث الانسان أن شعر بحاجته إلى التعاون لدرء ما يتعرض له من الخطر، فاتفق الأفراد فيما بينهم على أن يتآزروا اذا دهمهم داهم من سوء، ومعنى ذلك أن الإنسان ليس مدنيا بالطبع، ولكنه اجتمع لدفع أخطار الحياة. وحسبك دليلا أن تلقى نظرة عجلى على الغرائز الانسانية، لترى كيف أن الغرائز الاجتماعية أضعف جدا من الغرائز الفردية، فالانسان يسعى لخيره أولا ثم يسعى لخير الدولة، بل هى الأنانية أيضا التى تدفعه للسعى وراء خير الدولة، لأنها دولته هو، ويريد أن يسعد بسعادتها

اضطر الانسان اذن الى الاجتماع بعد تلك الحياة الفردية، فتواضع الجميع على حدود خاصة لا يجوز لواحد أن يشذ عنها، بحيث يصبح لكل انسان الحق فى أن يتصرف كيف شاء، دون أن يخرج على تلك الحدود المرسومة، أى أن له أن يستمتع بكل ماله من قوة شخصية دون أن يغير على حرية الآخرين، وبعبارة أخرى اتفق الأفراد على أن ينزل كل منهم عن بعض حقوقه الطبيعية لهذه الجماعة المنظمة، فى مقابل أن يأمن ويطمئن على حقوقه الباقية، أى أن قانون الجماعة يجب ألا تزيد وظيفته على الإشراف العام، بحيث يسعى كل فرد حرا، فى غير تضارب ولا تنافر بين الأفراد، أى أن القانون الكامل يجب أن يكون للافراد بمثابة العقل للعواطف: يحسن تصريفها بحيث يزيد نشاطها من قوة الكل، دون أن تتعرض واحدة منها لنشاط الأخرى

« فالغرض الاسمى من الدولة اذن، لا أن تحكم الناس، ولا أن تحد من مجهودهم، بل يجب أن تؤمن الانسان من كل المخاوف، حتى يعيش ويعمل فى طمأنينة تامة... الغرض من الدولة أن تدع الناس يعيش بعضهم بجانب بعض، كل يستغل قوته العقلية فى صالح المجموعة، حتى لا تتبدد قواهم فى التنابذ والتنافر، اذن فالغرض الاسمى من الدولة هو الحرية»

وظيفة الدولة العليا أن تكفل للافراد حريتهم، ومعنى ذلك أن الديمقراطية هى المثل الاعلى لنظام الحكم. ثم يستدرك سبينوزا بقوله إن ضرر الديموقراطية الوحيد هو ميلها الى وضع غير الأكفاء فى مناصب الحكم، ولذلك ينصح علاجا لذلك أن يتسلم ادارة الدولة جماعة من ذوى العقول الجبارة، كى يسيروا بها بعيدا عن مواطن الزلل......

وفاضت روح سبينوزا وهو يكتب للناس رسالة الحرية

زكى نجيب محمود

ياليتنى...

اذا أطل البـــدر من خدره
فانما يطلع كى تنظريه
وان شدا البلبـل فى وكره
فانما يشـــدو لكى تسمعيه
وان يفح عطر زهور الربى
فانما يعبق كى تنشـــقيه

ياليتنى البـــدر الذى تنظرين!
ياليتنى الطـــير الذى تسمعين!
ياليتنى العطر الذى تنشقـــين!
أواه لو تصـــدق «ياليتنى»!

ايليا أبو ماضى

٣ — العبقرية

علم وأدب وفن

للأستاذ الحوماني

تتمة

واختلال نظام الحياة في الجسم مدعاة كبرى لاختلال نظام الحياة في الروح لشدة تلازمهما بشدة امتزاجهما ، فاذا كان لمحيطك جزء فيك ولك فيه مثل ذلك بصحبتك أياه زمناً ما ، فما قولك بصحبة الروح للجسم أزمانا يقصر العقل دون حدها ؟

ولا تنس انك وانت تلحظ ما يدفعك اليها مستعرضا ما يحف بها من هذه العوامل ، أنك جد عاجز عن لحاظ ما يردعك عنها من مرجحات العفاف .

وهكذا تراك ، وانت تلحظ مرجحات الفعل قاصراً بطبعك ان تلحظ مرجحات الترك ، ضرورة أنه يستحيل على المرء ان يفكر في أمرين في وقت واحد فيجمع بين النقيضين ، فاحفظ هذه لترجع اليها قريبا .

فالذي يدفعك الى هذا العمل أو سواه من وراء الارادة لقوة عوامل الدفع من الخارج في نفسك .. ، والذي يردعك عنه لقوة نقيضها من عوامل الردع ، والذي تستعرض به هذه العوامل أو غيرها في المجتمع ، والذي يميز هذه الخواطر وهو يتصفحها فيفاضل بينها ، والذي يخزنها في أحدى زوايا النفس أو يطبعها على صفحات القلب ، والذي يستخرجها عند مسيس الحاجة اليها ويبحث عنها فيما اذا خفيت وراء الضمير ، والذي يدرس بها الحوادث الخارجية درساً يستحيل ملكة في النفس تعصمها عن الزلل في الحياة ، والذي تحس به ما تمسك اليه الحاجة في نفسك أو في بدنك ، والذي يلهب جسيمك تصوره ويحدم صدرك بما يتأثر به من عامل ، والذي يزاوج بين محسوساتك فيستخرج من الحقيقة خيالا عن طريق الابداع في التصوير ، كل ذلك واحد لا تتعدد حقيقته ، وجزئي فيك من ذلك المعنى الكلي تتعدد اسماؤه بما يتكيف به من شكل ولون خارجيين

فاذا استعرض الحوادث وحاكم بينها ليميز حسنها من قبيحها كان فكراً ، واذا حملك على فعل الحسن لقوة ما يحفه من عامل خارجي كان عقلا . واذا دفع بك الى اقتراف الاثم لما تحصل عنده من ترجيح بسبب ما يحفه من عامل كان هوى ، فاذا خزن ما يمر به من خواطر في احدى زوايا النفس سمي حافظة ، ثم اذا هو استخرجها بعد حين أو راح يبحث عنها سمي ذاكرة

واذا دربت به الحوادث فربي فيك ملكة الاستنباط سمي حذقا ودهاء ، وهكذا قد تتصور به مباشرة أو عن طريق حواسك ما تنفعل به نفسك فينتج سرورا أو حزناً ينتجان لذة أو ألما فتدعو ما ينتج عنه عاطفة .

وقد يبدع في التصوير أو يتصور مرغما بدافع الوهم الخارجي فيعطيك على طريق العبث بالحياة أو الخطأ في التصور صوراً خيالية ينتزعها من الحقيقة فتسميه خيالا أو وهما

فالعقل والفكر والحذق والحافظة والذهن والفطنة والذكاء والحلم والهوى النفس الأمارة بالسوء والشيطان ، كل ذلك مصدر واحد لهذا العمل الخارجي ، يتلون بالعوامل التي تحف بالعمل بحسنة ومقبحه ، يلبس لكل مؤثر لونا غير لونه مع مؤثر آخر ، ويدعى معه باسم كان قد دعي مع غيره باسم آخر

أما استلزامه في الدين حكم الجبر فذلك مما رجحه ، والدين إنما كان لتربية المجتمع تدريجا ليستحيل الهوى فيه عقلا ، ويحول المثل الأدنى فيه مثلا اعلى بحكم التطور ، اذ الخصائص النفسية بعد الارادة غرائز تكونت من الكسب الاجتماعي ، والجبر لا مناص منه قبل هذه الاستحالة وبعدها ، فالمرء مع الهوى المطلق مجبر على كونه شيطانا ، ومع العقل المطلق مجبر على كونه ملكا .

فعلى هذا يكون مناط المثل الأعلى والمثل الأدنى في المرء واحدا ولكنه باعتبارين مختلفين ، ولا عجب في ذلك فالمرء مجمع الاضداد ، فبينا هو الحليم الرزين في حالة ، اذا هو الاحمق الطائش في حالة اخرى ، وبينا هو الشجاع المقدام في مشهد ، اذا هو الجبان الرعديد في مشهد آخر ، فليس ذلك ناشئاً فيه الا بفضل هذا السر الغامض الكامن في نفسه المتلونة

وربما استقام لنا ان نخص المثل الاعلى بالعقل ، ونعزو المثل الأدنى للارادة ، إنما لابد لنا ونحن نمشي مع رغباتنا الى العمل السيء بعد المحاكمة العقلية وثبوت قبح هذا العمل لدى العقل أن نتساءل اين ذهب عنا ما نسميه عقلا فلا نحصله اذ ذاك الا بعد ان نلتفت اليه ؟

فما هو هذا الذي نلتفت به الى العقل ؟

هل هي الارادة وهي التي تدفعنا ؟

ثم اين يكون العقل ونحن في انغماس بما تحملنا الارادة على الخوض فيه خلاف العقل ؟ فهل نفقده اذ ذاك ويكاد يكون جزءاً مقوما في النفس والنفس بمجموعها تيار لا ينفك متلاطماً ، ولا يخبو له نشاط حتى يتعطل ما يمسكه من آلة

فهل يذهب به اذ ذاك أختلال مركزه العصبي بينما نستطيع استرجاعه بأقل التفات ؟

(النبطيه) جبل عامل — الحوماني

٤ ــ بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وبينما قامت الدولة الاسلامية ثابتة وطيدة الدعائم، وقامت في جميع أقطار الخلافة حكومات محلية قوية ومجتمعات اسلامية مستنيرة، وجيوش غازية منظمة، اذا بمجتمع القبائل الجرمانية غزاة رومة من الشمال ما يزال اذا استثنينا مملكة الفرنج على حالته من البداوة والتجوال والتفرق. وكان الفرنج هم قادة القبائل الجرمانية فى هذا الصراع الذى نشب فى سهول فرنسا وآذن طوره الحاسم بعبور المسلمين الى فرنسا فى ربيع سنة ٧٣٢، وكان سيل الفتح الاسلامي ينذر باجتياح فرنسا منذ عشرين عاما اعنى منذ عبر المسلمون جبال البرنيه بقيادة موسى بن نصير لاول مرة واستولوا على سبتمانيا ثم اقتحموا بعد ذلك وادي الرون واكوتين أكثر من مرة. ولكن مملكة الفرنج كانت يومئذ تشغل بالمعارك الداخلية وتقتتل حول السلطان والرياسة حتى ظفر كارل مارتل بمنصب محافظ القصر، وأنفق اعواما أخرى فى توطيد سلطانه؛ بينما كان خصمه ومنافسه أودو أمير أكوتين يتلقى وحده ضربات العرب. فلما استفحل خطر الفتح الاسلامي وانساب نحو الشمال حتى بورجونيا منذ ولاية الهيثم فزع الفرنج وهبت القبائل الجرمانية فى أوستراسيا ونوستريا لتذود عن سلطانها وكيانها.

وكان الخطر داهما حقيقيا فى تلك المرة لان المسلمين عبروا البرنيه عندئذ فى اكبر جيش حشد واتم أهبة اتخذت منذ الفتح. وكان على رأس الجيش الاسلامي قائد وافر الهمة والشجاعة والبراعة هو عبد الرحمن الغافقي وهو أعظم جندي مسلم عبر البرنيه. وكان قد ظهر براعته فى القيادة منذ موقعة تولوشة حيث استطاع انقاذ الجيش الاسلامي من المطاردة عقب هزيمته ومقتل قائده السمح والارتداد الى سبتمانيا. وتبالغ الرواية الفرنجية فى تقدير جيش عبد الرحمن وأهبته فتقدره باربعمائة الف مقاتل، هذا غير جموع حاشدة أخرى صحبها لاستعمار الارض المفتوحة (١) وهو قول ظاهر المبالغة. وتقدره بعض الروايات العربية بسبعين أو ثمانين الف مقاتل، وهو أقرب الى الحقيقة والمعقول. بل لقد أثارت هذه الغزوة الاسلامية الشهيرة وهذا الجيش الفخم خيال الشاعر الاوربي الحديث، فنرى الشاعر الانجليزي سوذي يقول فى منظومته عن رد ريك آخر ملوك القوط:

« جمع لا يحصى، من شام وبربر وعرب وروم خوارج. وفرس وقبط وتتر عصبة واحدة. يجمعها ايمان هائم راسخ الفتوة. وحمية مضطرمة واخوة مروعة. ولم يك الزعماء. أقل ثقة بالنصر. وقد شمخوا بطول ظفر. يهيمون بتلك القوة الجارفة. التي أيقنوا أنها كما اندفعت. حيثما كانوا بلا منازع ستندفع ظافرة الى الامام حتى يصبح الغرب المغلوب كالشرق. يطاطيء الرأس اجلالا لاسم محمد. وينهض الحاج من أقاصي المتجمد. ليطأ باقدام الايمان الرمال المحرقة. المنتثرة فوق صحراء العرب واراضي مكة الصلدة » (١)

ونفذ عبد الرحمن فى جيشه الزاخر الى فرنسا كما قدمنا فى ربيع سنة ٧٣٢ م (أوائل سنة ١١٤ ه) واقتحم وادى الرون وولاية اكوتين وشتت قوى الدوق أودو طبق ما أسلفنا، وأشرف بعد هذا السير الباهر على ضفاف اللوار. وتقول بعض الروايات الكنسية أن أودو هو الذى استدعى عبد الرحمن الى فرنسا ليعاونه على محاربة خصمه « كارل مارتل » (٢). ولكن هذه الرواية مردودة غير معقولة لما قدمنا من أن أودو هو الذى بادر الى مقاومة عبد الرحمن ورده، وكانت مملكته وعاصمته أول غنم للمسلمين. وكان ملك الفرنج يومئذ تيودريك الرابع. ولكن ملوك الفرنج كانوا فى ذلك العصر أشباحا قائمة فقط. وكان محافظ القصر كارل مارتل هو الملك الحقيقي يستأثر بكل سلطة حقيقية وعليه يقع عبء الدفاع عن مملكته وأمته. وكان منذ استفحل خطر الفتح الاسلامي يتخذ اهبته ويحشد قواه. ولكن عبد الرحمن نفذ الى قلب فرنسا قبل ان يتحرك للقائه. وترد الرواية الاسلامية هذا البطء الى خطة مرسومة مقصودة فتقول فى هذا الموطن، فاجتمعت الفرنج الى ملكها الاعظم قارله وهذه سمة لملوكهم. فقالت له ما هذا الخزى الباقى فى الاعقاب؟ كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم. فقال لهم ما معناه: الرأى عندى ألا تعترضوهم فى خرجتهم هذه، فانهم كالسيل يحمل من يصادره، وهم فى اقبال أمرهم، ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد، وقلوب تغنى عن حصانة الدروع، ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا فى الرياسة ويستعين بعضهم ببعض، فحينئذ تتمكنون منهم بايسر

(١) Aschbach: Geschichte der Omajaden in Spanien I. 670

(١) Southy: Roderick the last of the Goths

(٢) راجع موسوعة Bouquet رواية قندبس دنى Vol. III p. 310 — راجع ايضا موسوعة Bayle تحت كلمة Abderame

أمر » (١) ونستطيع أيضاً ان نعلل تمهل كارل مارتل بقصده الى ترك خصمه ومنافسه أودو دون غوث حتى يقضي المسلمون على ملكه وسلطانه فيتخلص بذلك من منافسته ومناوأته .

وعلى أى حال فان عبد الرحمن كان قد اقتحم أكوتين وجنوب فرنسا كله . حينما تأهب كارل مارتل للسير الى لقائه . وجاء الدوق أودو بعد ضياع ملكه وتمزيق قواته يطلب الغوث والنجدة من خصمه القديم أعنى كارل مارتل . وكان كارل قد حشد جيشاً ضخماً من الفرنج ومختلف العشائر الجرمانية المتوحشة والعصابات المرتزقة فيما وراء الرين يمتزج فيه المقاتلة من أمم الشمال كلها ، وجله جند غير نظاميين نصف عراة يتشحون بجلود الذئاب وتنسدل شعورهم الجعدة فوق أكتافهم العارية . وسار زعيم الفرنجة في هذا الجيش الجرار نحو الجنوب لملاقاة العرب فى حمى الهضاب والربى حتى يفاجىء العدو فى مراكزه قبل أن يستكمل الاهبة لرده .

وكان الجيش الاسلامى قد اجتاح عندئذ جميع أراضي أكوتين التى تقابل اليوم من مقاطعات فرنسا الحديثة جويان وبريجور وساتونج وبواتو . واشرف بعد سيره المظفر على مروج نهر اللوار الجنوبية حيثما يلتقى بثلاثة من فروعه هى « الكريز » « والفيين » « والكلين » .

ومن الصعب أن نعين بالتحقيق مكان ذلك اللقاء الحاسم فى تاريخ الشرق والغرب والاسلام والنصرانية . ولكن المتفق عليه أنه هو السهل الواقع بين مدينتى بواتيه وتور حول نهرى « كلين » « وفين » فرعى اللوار على مقربة من مدينة تور . والرواية الاسلامية مقلة موجزة فى الكلام عن تلك الموقعة العظيمة وليس فيما لدينا من المصادر العربية عنها أى تفصيل شامل . وإنما وردت تفاصيل للرواية الاسلامية عن الموقعة نقلها الينا المؤرخ الاسبانى كوندى سنعود اليها بعد . وتفيض الرواية الفرنجية والكنسية بالعكس فى حوادث الموقعة وتقدم الينا عنها تفاصيل شائقة ولكن يحفها الريب تنقصها الدقة التاريخية . وقد رأينا أن نجمل وصف الموقعة أولا مما لدينا من أقوال الروايتين ثم نورد كلتيهما بعدئذ بتفاصيلها .

انتهى الجيش الاسلامى فى زحفه الى السهل الممتد بين مدينتى بواتيه وتور كما قدمنا ، واستولى المسلمون على بواتيه ونهبوها وأحرقوا كنيستها الشهيرة . ثم هجموا على مدينة تور الواقعة على ضفة اللوار اليسرى واستولوا عليها وخربوا كنيستها أيضاً . وفى ذلك الحين كان جيش الفرنج قد انتهى الى اللوار دون أن يشعر المسلمون بمقدمه بادىء بدء ، وأخطأت الطلائع الاسلامية تقدير عدده وعدته . فلما اراد عبد الرحمن أن يقتحم اللوار لملاقاة العدو على ضفته اليمنى فاجأه كارل مارتل بجموعه الجرارة . والفى عبد الرحمن جيش الفرنج يفوقه فى الكثرة فارتد من ضفاف النهر ثانية الى السهل الواقع بين تور وبواتيه . وعبر كارل مارتل اللوار غرب تور وعسكر بجيشه الى يسار الجيش الاسلامى بأميال قليلة بين نهرى كلين وفين فرعى اللوار .

(يتبع)



(١) المقرى عن الحجارى فى المسهب ، نفح الطيب ج ١ ص ١٢٩ ، - ويورد الحجارى هذه الرواية لمناسبة عبور موسى بن نصير الى فرنسا . ولكن ظاهر من اسم قارله ، كارل ، ان الأمر يتعلق بالغزوة الكبيرة التى نتحدث عنها . واليها ترجع الرواية الكنسية (راجع جيبون - الفصل الثانى والخمسون) حيث يترجم نفس هذه الفقرة فى كلامه عن موقعة تور

عكاظ والمربد

للأستاذ احمد أمين

٣ — المربد

أما المربد - على وزن منبر - فضاحيـة من ضواحى البصرة؛ فى الجهة الغربية منها مما يلى البادية، بينه وبين البصرة نحو ثلاثة أميال. كان سوقا للابل، قال الاصمعى: «المربد كل شيء حبست به الابل والغنم... وبه سميت مربد البصرة: وانما كان موضع سوق الابل (١)» وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها. ويظهر أنه نشأ سوقا للابل، أنشأه العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم قبل أن يدخلوا الحضر او يخرجوا منه.

وقد كان العرب فى بادية العراق قبل الفتح الاسلامى: ونزلت فيه قبائل من بكر وربيعة، وكونوا فيه امارة المناذرة فى الحيرة: فكان هذا الاقليم معروفا لهم قبل الاسلام: وكانت الرحلات من البادية الى العراق، ومن العراق الى البادية فى حركة مستمرة - ومعلوم أن البصرة انما خططت فى الاسلام فى عهد عمر بن الخطاب ونزل بها العرب على منازلهم من يمنية ومضرية - ولكن يظهر أن المربد كان قبل أن تخطط البصرة، وكان قبل الاسلام: وربما فهم ذلك من قول الطبرى: «بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان فقال له انطلق أنت ومن معك حتى اذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا. فأقبلوا حتى اذا كان بالمربد وجدوا هذا الكذان قالوا ماهذه البصرة»(٢).

وقال فى اللسان - فى مادة ب ص ر - وقال ابن شميل: البصرة ارض كأنها جبل من جص وهى التى بنيت بالمربد وانما سميت البصرة بصرة بها».

ولكن أخباره فى الجاهلية منقطعة أو معدومة مما يدل على قلة خطره إذ ذاك، انما كان له الخطر بعد ان فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة، فقد أنشئت فيه المباكن بعد ان كان مربداً للابل فقط. واتصلت العمارة بينه وبين البصرة(١) حتى قالوا فيه: «العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، ودارين عين المربد» (٢)

وقد كان المربد فى الاسلام صورة معدلة لعكاظ، كان سوقا للتجارة، وكان سوقا للدعوات السياسية، وكان سوقا للأدب - جاء فى كتاب «مايعول عليه» المربد كل موضع حبست فيه الابل... ومنه سمى مربد البصرة لاجتماع الناس وحبسهم النعم فيه - كان يجتمع العرب من الأقطار، يتناشدون فيه الأشعار؛ ويبيعون ويشترون وهو «كسوق عكاظ»، وقال العينى: «مربد البصرة .... محلة عظيمة فيها (فى البصرة) من جهة البرية، كان يجتمع العرب فيها من الأقطار و يتناشدون الأشعار ويبيعون و يشترون»(٣)

وليس يهمنا هنا أثره التجارى: وانما يهمنا أثره السياسى والادبى، وهما مرتبطان بعضهما ببعض أشد الارتباط. فلا داعى للتفريق بينهما: فقد كانت الأحزاب السياسية تنتج أدباً من خطب وشعر، وكانت الخطب والشعر تقوّى الأحزاب السياسية وتساعد فى تكوينها والحروب بينهما.

المربد فى عصر الخلفاء الراشدين

كانت أهم أخبار المربد فى ذلك العصر ما كان بعد قتل عثمان ابن عفان من سير عائشة أم المؤمنين الى البصرة، فانها نزلت بفناء البصرة ورأت أن تبقى خارجها حتى ترسـل الى أهلها تدعوهم بدعوتها، وهى المطالبة بدم عثمان، وبعبارة أخرى الخروج على علىّ؛ وكان معها طلحة والزبير، ثم سارت الى المربد معهما وخرج اليها من قبل دعوتها؛ وخرج الى المربد كذلك عامل علىّ على البصرة، وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده، وأصبح المربد وهو يموج بمن أتى من الحجـاز ومن خرج من البصرة، حتى ضاق المربد بمن فيه؛ ورأينا المربد مجالا للخطبـاء ممن يؤيد عائشة

(١) لسان العرب فى ربد، ومعجم ياقوت فى مربد (٢) تاريخ الطبرى ١: ١١٦٦

(١) معجم ياقوت فى مادة مربد (٢) عيون الاخبار ٢ - ٢٢٢
(٣) عقد الجمان مخطوط بدار الكتب جزء ٤ - ٩٣

ومن معها ، ومن يؤيد عليا وعامله . أصحاب عائشة في ميمنة المربد وأصحاب علي في ميسرته ؛ ويخطب في المربد طلحة ويمدح عثمان بن عفان ، ويعظم ما جنى عليه ويدعو الى الطلب بدمه ، ويخطب الزبير كذلك وتخطب عائشة أم المؤمنين بصوتها الجهوري ويؤيدهم من في ميمنة المربد ، ويقولون صدقوا وبروا وقالوا الحق وأمروا بالحق ، ويؤثر قول عائشة في أهل الميسرة فينحاز بعضهم اليها ويبقى الآخرون على رأيهم وعلى رأسهم عثمان بن حنيف ، ويخطبون كذلك يبينون خطأ هذه الدعوة وأن طلحة والزبير بايعا عليا فلا حق لهما في الخروج عليه ، ويؤيدهم أبو الأسود الدؤلي وأمثاله (١)

وهكذا ينتقل المربد الى مجمع حافل ، فيه الدعوات السياسية مؤيدة بالحجج والبراهين وفيه معرض البلاغة من خطب طويلة وجمل قصيرة متينة : وفيه الجدل والمناظرة وبحث أهم الاحداث في ذلك العصر ، وهو مقتل عثمان بن عفان ، وتحديد المسئولية في قتله — ولم تفد هذه الحرب اللسانية فانتقلت الى حرب بالسلاح وأصبح المربد ساحة للقتال .

المربد في عهد بني أمية

كان العصر الأموي ازهى عصور المربد ، ذلك لأن العرب كانوا قد هدءوا من الفتح واستقرت الممالك في أيديهم ، وأصبح العراق مقصد العرب ، يؤمه من أراد الغنى وخاصة البصرة ، جاء في الطبري « ان عمر بن الخطاب سأل أنس بن حجية وكان رسولا الى عمر من العراق فقال له عمر : كيف رأيت المسلمين ؟ فقال انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة ، فرغب الناس في البصرة فأتوها » وكان المربد باب البصرة يمر به من أرادها من البادية ، ويمر به من خرج من البصرة الى البادية ، ويقطنه قوم من العرب كرهوا معيشة المدن ، ويقصده سكان البصرة يستنشقون منه هواء البادية ، فكان ملتقى العرب ، وكانوا يحيون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالأنساب وتعاظم بالكرم والشجاعة ، وذكر لما كان بين القبائل من أحن ، فالفرزدق يقف في المربد ينهب أمواله فعل كرماء الجاهلية « حكى في النقائض أن زياد بن أبي سفيان كان ينهى أن ينهب أحد مال نفسه ، وأن الفرزدق أنهب أمواله بالمربد ، وذلك أن أباه بعث معه ابلا ليبيعها فباعها وأخذ ثمنها فعقد عليه بمطرف خز كان عليه ، فقال قائل لشد ما عقدت على دراهمك هذه ؛ أما والله لو كان غالب ما فعل هذا الفعل فحلها ثم أنهبها ، وقال من أخذ شيئا فهو له ، وبلغ ذلك زيادا فبالغ في طلبه فهرب .... فلم يزل في هربه يطوف في القبائل والبلاد حتى مات زياد (١)

وكان الأمويون على وجه العموم — يعيشون عيشة عربية ويحتفظون بعربيتهم ، إن أخذوا شيئا من الحضارة صبغوه بصبغتهم وحولوه الى ذوقهم وكذلك فعل عرب البصرة ، أرادوا أن يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم من سوق عكاظ في الحجاز فبلغوا غايتهم . وأحيوا العصبية الجاهلية . وساعد الخلفاء الامويون أنفسهم على احيائها لما كانوا يستفيدون منها سياسيا ، فرأينا ظل ذلك في الأدب والشعر ، ورأينا المربد في العصر الأموي يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون . ويعلي كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسي ، ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف لنا المربد أجل شعر أموي من هذا النوع — فكثير من نقائض جرير والفرزدق والأخطل كانت أثرا من آثار المربد قيلت فيه ، وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة . يروى الأغاني أن جريرا والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل الخ في خبر طويل . (٢)

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباسا خاصا ويخرج الى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء ، والرواة يحملون الى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه . قال أبو عبيدة « وقف جرير بالمربد وقد لبس درعا وسلاحا تاما وركب فرسا أعاره اياه أبو جهضم عباد بن حصين . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشي وسوارا وقام في مقبرة بني حصن ينشد بجرير والناس يسعون فيما بينهما باشعارهما فلما بلغ الفرزدق لباس جرير السلاح والدرع قال :

عجبت لراعي الضأن في حطمية
وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله

ولما بلغ جريرا أن الفرزدق في ثياب وشي قال :

لبست سلاحي والفرزدق لعبة
عليه وشاحا كرج وجلاجله (٣)

وما زالا كذلك يتهاجيان ويقولان القصائد الطويلة الكثيرة حتى ضج والى البصرة فهدم منازلهما بالمربد فقال جرير :

فما في كتاب الله تهديم دارنا
بتهديم ماخور خبيث مداخله (٤)

(يتبع)

(١) انظر القصة بطولها في الطبري جزء ١ ص ٢٥٣١ طبع أوربا وفيه بعض ما قيل من الخطب في المربد في ذلك اليوم

(١) النقائض ٦٠٧ و ٦٠٨
(٢) الاغاني ٤ — ١٣٢
(٣) النقائض ٦٢٤
(٤) النقائض ٦٨٣

مِنْ طرائفُ الشِّعرُ

مداعبات شوقيـــة لم تنشر

قصيدة أخرى لم تكمل ، قيلت فى مكسويني حصان الدكتور محجوب ثابت أيام الثورة المصرية حين كان الدكتور يرتاد (بار اللوا) وجريدة الأهرام .

تُفَدِّيك يامكسِ الجيـادُ الصلادمُ
وتَفدي الأُساةُ النُّطسُ من أنت خادم
كأنك ان حاربت فوقك عنتر
وتحت ابن سـينا أنت حين تسالم
ستُجزى التماثيـل التى ليس مثلها
اذا جاء يوم فيه تُجْزَى البهائم
فانك شمسٌ والجياد كواكب
وانك دِينار وهن الدراهم
مثال بساح البرلمان منصَّب
وآخر فى (بار اللوا) لك قائم
ولا يظفر (الاهرام) إلا بثالث
مزاميرُ داود(١) عليه نواغم
وكم تدَّعى السودانَ يامكسِ هازلاً
وما أنت مسوَدٌ ولا أنت قاتم
وما بك مما تبصر العين شُهبة
ولكنْ مشيب عجَّلته العظائم
كأنك خيل الترك شابت متونها
وشابتْ نواصيها وشاب القوائم
فيا رُبَّ أيام شهدتَ عصيبة
وقائعها مشهورة والملاحم

وهذه قصيدة أخرى لم تكمل قيلت فى الدكتور محجوب أيام الثورة أيضاً والشاعر يشير فيها الى ألفى جنيه كان الدكتور قد اكتنزها وحرص عليها فى بنك حسن باشا سعيد

(١) ربما يقصد الشاعر التورية بالأستاذ داود بركات رئيس تحرير الإهرام .

قل لابن سينا لا طبيـ ـبَ اليوم الا الدرهم
هو قبل بقراط وقبـ ـلك للجراحة مرهم
والناس مذ كانوا عليـ ـه دائرون وحُوَّم
وبسحره تعلو الأسا فِل فى العيون وتعظُم
يا هل ترى الالفان وقـ ـفٌ لا يمس ومَحْرِم
بنك السعيد عليهما حتى القيـامة قيم
لا شيك يظهر فى البنو ك ولا حوالة تُخصم
وأعفَّ من لاقيت يلـ ـقاه فلا يتكرَّم

الغـــريب

للشاعر الوجدانى الرقيق أحمد رامى

يانسيم الفجر ريَّانَ النـدى
ما الذى تحمل من أرض الحبيب ؟
فرح الكونُ بلقياه غـدا
والأسى غيمانُ فى عين الغريب
غرَّد الطـير وغنى
كل إلف يتهنى
وانا قلـبىَ حنـا
أرسلَ الشكوى وأنا
آهــةٌ تبـترى مقـلة شكرَى
تبصر الاحباب من بين الدموع
رائح منهم وغادٍ
وترى بالظن أيام الربيع
لخيالى وفؤادى
يا نسـيم الفجر
نادياً بالزهر
رنَّم الدوح ورَنَّ الجدول
وسرَتْ فى الجو أنفاس العبير
وبدا النور فصاح البلبـل
داعياً للشدْو أسرابَ الطيور
والنجـوم فى الغيوم
لبست منها نقاب

والشــفق في الأفق
لونه وردٌ مُذاب
كل مافي الكون بشرٌ وهنا !
وأنا ؟
أنا مازلت غريباً مفردا
في ديار عزّتي فيها الحبيب
فرح الكون بلقياه غدا
والأسى غيمانُ في عين الغريب

احساساتي

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

قال الأستاذ حفظه الله من كتاب خاص :
نزلت قبل أسبوعين تقريباً من السيارة عند باب السوق . أريد مقابلة أحد الكتبيين فسقطت مغمى عليّ . فحملوني في عربة الى داري . وبعد انتباهتي قلت لعل يومي قداقترب ، ونظمت قصيدة « احساساتي » ورجحت نشرها في رسالتك الغراء . . . .

قد أنى(١) يامنيّتي أن تعودي   بي الى حيث كنتُ قبل وجودي
حيث لا أقتني شعوراً يريني   كيف أدنو للفوز بالمقصود
حيث لانبض في عروقي ولاضر   ب لقلبي ولا حراكَ لعودي
هوّني يانفسي فعلّكِ تسطيـ   ـعين عن هوّة الردى ان تحيدي
ليت أن الحياة ترجع في يو   م الى جسم الميّت الملحود
ليس من هذا الموت يانفسُ بدٌّ   فهو للناس من تراث الجدود
يا أماني فارقيني ويانفـ   ـس وداعاً ويا حُشاشة جودي
بعـد أيام قد تقارب مني   انا يا نفسي لا محالة مودي
وسواء عليّ من بعد موتي   ان تبيدي معي والا تبيدي
وسواء أكنتُ أحيا سعيداً   قبل موتي أم لم أكن بسعيد
واذا كنت لا تبيدين ، نفسي ،   تبعاً لي فاستبشري بالخلود
واذا الشيخ بات يشكو الونى والـ   ـوهن فالموت عنه غيرُ بعيد
سيقولون شاعر غاب في اللحـ   ـد وكم غاب مثله في اللحود !
لا تخافي عليّ فالموت سهل   لا كما ينعتونه بشديد
لا تخافي فالموت ليس على الار   ض ولا في سمائها بجديد
سبقتني الى المقابر موتى   أنا في الراحلين غيرُ وحيد

(١) أني : قرب

من قضى نحبه فنام بقبر   لا يبالي طول الليالي السود
غير اني ما إن سئمت حياتي   وهبوطي وهادها وصعودي
فأرى راحة بقبري وان نا   لت على وجه الارض مني جهودي
انا والفراق صعب سننفض   الى غير ملتقى وشهود
جمع الدهر حقبة شملنا ثم   م رمته يداه بالتبديد
مابلغنا من اللبانات يانفـ   ـسي سوى النزر بعد جهد جهيد
انت ياذ ليلي كنت ماثلة لي   كل يوم في يقظتي وهجودي
انا ماض الى لقاء المنايا   بخطى ليس مشيها بوئيد
عانقيني قبل النوى لوداعي   وضعي الجيد ساعة فوق جيدي
وانظريني بأعين باكيات   ترسل الدمع مثل درّ نضيد
لهف نفسي على صبابة عيش   هو لولاك لم يكن برغيد
أبّنيني يانفس فوق ضريحي   بقواف رقيقة وأعيدي
غن لي ياهزار أغنية النو   م على قبري كي يطيب رقودي
ولعلّ الصبا تمر رخاء   فوق ملحودتي فتنعش عودي !
لست أدري أللفناء سنمضي   بعد ما قد نموت أم للخلود ؟
حبذا لو حظيت من بعد موتي   بحياتي التي انتهت من جديد !
انني في شك وان ملأ واسمـ   ـعي بوعد يروونه ووعيد
لا تثق بالجمهور يا عقل يوما   ان رأي الجمهور غير سديد !
ولعلي رجوت ماليس يرجى   ولعلي حمدت غير حميد
بعد نومي على فراش وثير   عن قريب أنام في أخدود
لا أنيس ولا نسيم ولا نو   ر يزيل الظلام من ملحودي(١)
آه يانفس إن ذلك سهل   لو نسينا ما فيه من تجريد
يوم لا أبصر الربيع ولا أصـ   ـغي لأنغام البلبل الغرّيد
شاغر الروض يرسل الشدو شجواً   جاثماً فوق ناعم أملود
يوم لا تطلع النجوم علينا   باسمات من السماء كخود
يوم لا يسفر الصباح لنا من   جانب الشرق قائماً كعمود
يوم أيدي الردى تجردني من   كل مالي من طارف وتليد
. . . .
أنا ياصحبي واحدٌ كنت منكم   فاذكروني ولا تناسوا عهودي
أنا في قبري اليوم عنكم بعيدٌ   وانا عنكم فيه غيرُ بعيد
خير قبر يسقى تراب حفيري   هو ياصحبي عبرة من ودود
واذا كان للفقيد بقلب   خافق مثوى ، فهو غير فقيد
ولعل البكاء غير مسلٍّ   ولعل البكاء غير مفيـد
. . . .
تأكل الارض كل حيٍّ فلا تبـ   ـقي على والد ولا مولود

(١) الملحود كناية عن القبر

اسألوها هل امتلأت تقل من   شره فى الجواب، هل من مزيد؟
أممٌ كلها تبيـــد فتأتى   أممٌ أخرى بعدها للبيود
سوف يقفو ركب الى الموت ركباً   ثم لا أشدو خلفه بنشيدى
انني ان أهلك فمن لقريضى   يتغنى به ومن لقصيدى؟
....
حشرونى والجامدين، على ما   أخذوا من آبائهم، فى صعيد
إننى منذ كنت أشدو بشعري   كان يوحي الىَّ بالتجديد
أنا لا أدعى الزعامة فيه   غير أنى أبثُّ فيه وجودى
قلت شعراً فكاد يأكل لمّا   سمعوه كالنار قلب الحسود
فدعونى مقلداً ينظم الشعـ   ـر كما كان فى زمان الرشيد
كذبوا انني الى اليوم ماقلـ   ـدت غيرى، مالى وللتقليد؟
حبذا الليـــل والنهار بعينى   انني مغرمٌ بكل جديد
وجديد القريض قربُ معانيـ   ـه وبعدٌ له عن التعقيد
وشعور كأنه فلق الصبـ   ـح اذا فاض ضوؤه من بعيد
لا ترد الشعور منى حداً   فهو شىء يسمو عن التحديد
حبذا النقد لم يكن حين يغزو   نائلاً من كرامة المنقود
....
لا أغالى، فربما قلت شعراً   لم أكن فى قرضى له بالمجيد
ليس فى الارض شاعر قد نجا فى   كل ما قاله من التفنيد
منه بكر يطرى، ومنه عوانٌ   لم تحز رتبة الكعاب الخريد
قلته لاهيا به فى شبابى   من هموم الهوى وبرح الصدود
يوم للغيد كنت أصبو ومن ذا   ليس يصبو الى الحسان الغيد؟
ثم أرهفته فكان سلاحى   ثم غنيته فكان نشيدى
ثم صيرتُه مجنّاً يقينى   فى «فروق» من شر عبد الحميد
ثم أودعتُه حقائق تسمو   فأتى جامعاً لكل مفيد
حِكَمٌ تهدم التقاليد قد كا   نت تراعى من أهلها للجمود
عاب فى الروض العندليب غراب   قائلاً صه فانت غير مجيد
فمضى العندليب فى شدوه غيـ   ـر مبال بقول ذاك البليد
قائلا ليس للغراب بروض   زهرُه الغضُّ باسم اغرودى
انا للورد قد تفتح أشدو   فهو إن أصغى تم لى مقصودي
يمّمي يانفسى السماء فانى   لا أرى فى الثرى طريق الخلود
هى ممتدة لغير تناه   وهى منبثة لغير حدود
اهتدي بالشعرى وبعد خفاها   من بياض للفرقدين استفيدى
انما تخشيتى ضلالُك فى تلـ   ـك المجانى الكثيرة التجعيد
لاتهابى فلست أول روح   وغلت فى هذا الفضاء المديد
لاتهابى فأنت يانفس بعدى   مثل صمصام ليس بالمغمود
ربما جاء وا يمنعونك فيها عن   وصول الى المقام الحميد
انهم قد يثبطونك عنه   بشهاب يلقونه من بعيد
فاصدميهم بمالديك من القوة   فى صولة الكمىّ العنيد
واذا ماقسوا عليك فلاقيـ   ـهم بقلب أقسى من الجلمود
واذا ما والوك فيها فوالى   واذا ما عدوا عليك فذودى
ولقد كان الحق فى كل جيل   ضائعاً بين سائد ومسود
ان تلك السماء كالأرض هذى   حومةٌ تدمى للكفاح الشديد
لا يخيفنك اللقاء بحرب   هى بالنار تلتظى والحديد
أنت حاربت للتحرر أعوا   ماً طوالاً تحاربى من جديد
انت فى الارض ماتطأطأت حتى   تخضعى فى السماء أو تستقيدى
إنما أنت للتمرد لا للـ   ـخسف والرسف فى ثقال القيود
وإذا ما لاقيت سداً منيعاً   فاخرقيه بجرأة الصنديد
أسرعي واجتازي عوالم تحشو   سدماً قد أسرفن فى التحشيد
مسرعات الى التوسع لا يرضين الا أخذ المكان البعيد
ليست الطالعات يفجأن، الا   رسلاً جئن من وراء الوجود
إنما مستقر قافلة الأر   واح فى غير العالم المشهود
للذى يبتغى الولوج جريئاً   ليس باب السماء بالمسدود
انت روح ترقى الى حيث شاءت   لا حجاب لها عن التصعيد
لاتخافى هلكا من الضرب فيها   أنت روح والروح ليس يمود
انما العز من نصيب الذى يجـ   ـرأ والذل حصة الرعديد
أنت أن تعزمى يهن كل صعب   لا ينال المراد غير المريد
....
أحمد البارىء الذى يتساوى   عنده ايمانى به وجحودى
قيل ان الشهيد يحيا لدى الربـ   ـب فمن ذا فى الارض غير شهيد؟
انما هـذه حقائق صرحـ   ـت بها صادعاً بلا تمهيد
فاسمعيها ولا تبوحي بها للـ   ـملأ الأعلى حول عرش المجيد
كلنا مؤمن يسبح للرحـ   ـمن فى ظل عرشه الممدود
انني ما سجدت يوما لغير الـ   ـله فالله وحــده معبودى
اسأل الله ان يخفف سجنى   فى حفيرى وأن يفك قيودى
وسلامٌ عليك يوم فراقى   وسلام علىّ يوم همودى

بغداد   جميل صدقي الزهاوي

١٠٣٨

في الأدب العربي

الذئب في الأدبين العربي والفرنسي (1)

— ٢ —

قص علينا الشاعر الفرنسي «ألفرد ده فيني» حديث المعركة التي نشبت بينه وبين الذئب، وانتهت بموت الذئب ميتة سكينة وطمأنينة، بعد أن تظاهر عليه أربعة من الرجال ببنادقهم ومداهم، يشد أزرهم في هذه المعركة كلب من الكلاب الضارية، سقط هو قتيلا، وأنياب الذئب الحادة في عنقه قبل أن يسقط الذئب قتيلا برصاص بنادق الصائدين ومداهم

فصور لنا في هذه الحكاية صورة واضحة تمثل إقدام الذئب وجرأته، وثبات الأم ورصانتها، تستبقي لتعلم أولادها تحمل الجوع، وتحيا لتحذرهم من احتمال الخضوع. وتمثل كذلك احتقار الذئب للحياة وزرايته بها، فقد تركها بعينيه الواسعتين، وأستودعها بنظرتين قويتين، أولاهما إلى أعدائه، وثانيتهما إلى أعضائه، ثم أغمضهما ومات ميتة جبان، بل أستاذ في الجبروت يحق أن يتلمذ عليه «فيني» ليلقى عنه هذا الدرس الأخلاقي. فكيف كان أمر شعرائنا مع ذئابهم؟ ...

ذئب الفرزدق:

كان كل ماعرضه علينا الفرزدق من حديثه مع ذئبه أنه عشاه وصرفه:

وأطلس عسال وما كان صاحباً   دعوت لناري موهناً فأتاني
فلما دنا قلت أدن دونك أنني   وإياك في زادي لمشتركان
فبت أقد الزاد بيني وبينه   على ضوء نار مرة ودخان
فقلت له لما تكشر ضاحكا   وقائم سيفي من يدي بمكان
تعش فان عاهدتني لاتخونني   نكن مثل من ياذئب يصطحبان
وانت امرؤ ياذئب والغدر كنتما   أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى   أتاك بسهم أو شباة سنان
وانا لترعى الوحش آمنة بنا   ويرهبنا إن نغضب الثقلان

لا يريد بذلك الا أن يدلنا على ماعنده من كرم وسخاء، وشجاعة عند اللقاء، لا يصرفه عن طعامه أقبال الذئب عليه ووقوفه بين يديه، فهو الذي قد بينه وبينه الزاد، وأناله منه ماأراد، مع أنه يعرف ماللذئب من طبيعة الفتك والغدر، ولكنه يعتمد على ساعد قوي وسيف باتر.

فقصيدته اذن قصيدة بدوية ليس فيها غير التمدح بالكرم والشجاعة، والجمال الفني فيها قليل.

ذئب البحتري

أما البحتري فقد قدم لنا قصة سينمائية جميلة عن نفسه وذئبه:

وأطلس ملء العين يحمل زوره   واضلاعه من جانبيه شوى نهد
له ذنب مثل الرشاء يجره   ومتن كمتن القوس أعوج منأد
طواه الطوى حتى استمر مريره   فما فيه ألا الروح والعظم والجلد
يقضقض عصلاً في اسرتها الردى   كقضقضة المقرور أرعده البرد
سما لي وبي من شدة الجوع مابه   ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب يحدث نفسه   بصاحبه، والجد يتعسه الجد
عوى، ثم أقعى فارتجزت، فهجته   فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها   على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد الا جرأة وصرامة   وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فاتبعتها أخرى فاضللت نصلها   بحيث يكون اللب والرعب والحقد

(1) انظر العدد الثاني عشر من الرسالة ص ٢٩

فخر وقد اوردته منهل الردي
على ظمأ لو أنه عذب الورد
وقمت فجمعت الحصى فاشتويته
عليه وللرمضاء من تحته وقد

فأرانا ذئبه رؤيا عين، في لونه الأطلس، ومتنه الأعوج المقوس، وجسمه المنهوك، وعظامه المقضقضة، حتى ملأ قلوبنا رهبة منه، وخوفاً على صاحبه، ثم صور لنا المعركة التي نشبت بينهما حتى كأننا نراها، وكأنه أجاد في تصوير تلك المعركة وابرازها الينا محسوسة مشهودة، لم يقصر في تصوير جرأته وجرأة ذئبه، واستماتة كل منهما في الذب عن نفسه والغيلة على عدوه، حتى جعلنا نؤمن بعظمته وعظمة ذئبه.

كل ذلك في قوالب متينة محكمة في وضوح وجلاء، وفن بديع موثق يملأ البصر والبصيرة، ولعله قد وفق في هذا شعراً إلى مالم يوفق اليه أديب نثراً.

ذئب الرضي:

أما ذئب الشريف الرضي فانه ذئب البحتري نفسه، وأيما الرضي فانه أبو عبادة:

وعاري الشوى والمنكبين من الطوى
أتيح له بالليل عاري الاشاجع
أغبر مقطوع من الليل ثوبه — انيس باطراف البلاد البلاقع
قليل نعاس العين الا غيابة — تمر بعيني جائم القلب جائع
اذا فات شيء سمعه دل أنفه — وان فات عينيه رأى بالمسامع
تظالع حتى خلت بالأرض زوره
وراغ — وقد روعته — غير ظالع
ولما عوى والرمل بيني وبينه — تيقن صحبي أنه غير راجع
تأدب والظلماء تضرب وجهه — الينا باذيال الرياح الزعازع
له الويل من مستطعم عاد طعمة — لقوم عجال بالقسي النوازع

أخذ ظاهر، وانتحال بين، وهو مع ذلك قد أفاض على حديثه من جمال الفن ما كاد ينسينا حديث أبي عبادة، فلئن فاته حسن تصوير البحتري للمعركة فلم يفته حسن اجمالها وتصويرها في صورة صغيرة في بيت واحد:

له الويل من مستطعم عاد طعمة — لقوم عجال بالقسي النوازع

دل به على جرأة في مبتداها، وظفر بالعدو في منتهاها.

***

فاذا وضعنا القصة الفرنسية الحديثة بجانب القصة العربية القديمة وجدنا الفرق بينهما جلياً واضحاً، فالقصة العربية كل الغرض منها التمدح بالكرم والعطاء، والافتخار بالثبات عند اللقاء، وما هذه الصورة المخيفة التي صور بها الذئب الا لينفذ منها الشاعر الى مايريد من مدح نفسه بالشجاعة فليس فيها صورة خاصة لموت الذئب وساعة نزعه؛ بل ان الشريط لينقطع عند خبر موته، لأنه لا يهم هؤلاء الشعراء الاسترحام عليه، أو الرثاء له، فهو عدو غدار نال حتفه بسيف الشاعر البتار وكفى، فليس بين موت ذئابهم اذن وموت أي حيوان فرق.

وأما القصة الفرنسية فهي على وحدة موضوعها وصورة ذئبها الخالدة التي ما تبرح مخيلة القارئ، ولا تنفك تعاوده كلما ذكر الذئب، سامية الغرض جليلة المغزى نبيلة القصـد. فالغرض منها اجتماعي تربوي ذو شأن، فهو يريد أن ينبه القارئ الى مايجب عليه من أجابة دعوة القدر بهدوء وسكون، وتلبية نداء الموت في سبيل الواجب برزانة وصمت، لأن الصمت هو العظمة، والبكاء والأنين وأشباههما جبن ونذالة.

فقصيدة دفيني، إذن مجلية في الحلبة التي أنشأناها، وهي وحدها تقرب من المثل الأعلى، لأن العقلية غير العقلية والعصر غير العصر وثقافة دفيني غير ثقافة هؤلاء الشعراء.

سامي الدهان

العلوم

كيمياء الروح

للدكتور احمد زكي

الكيمياء علم طواف جوال سلك من العالم مسالك لم يدانه في سلوكها علم ، ونزل من الأرض منازل لم ينزل في مثلها عرفان ، فطورا تراه في البلقع الأجرد ينقر الصخر وينكت في الترب يستخرج معادنه ويتعرف جواهره ، وطورا تراه في الريف الأخضر يطعم النبات بالقوت الأنسب ويسقيه بالقدر الاوفق ، وإذا مرض طببه بصنوف الأدوية وحماه من الحشر بشتيت العقاقير ، وطورا في المدينة في الحديقة الفسيحة . وفي الجنينة الصغيرة الأنيقة يعنى بزهرها وورودها وبنفسجها ، أو بعنبها وتفاحها وبرتقالها ويوسفيها ، عنايته بسنبلة القمح ولوزة القطن في الحقل في ظاهر البلد ، وتجده في البيت إما في المطبخ قد سبق الطاهي اليه لا بصنوف الأطعمة المستطابة فحسب بل بالآنية والنار ، وإما لدى غانية الدار جلس في مزينها ينتظرها بدقيق الأرز ودهن الحيوان وزيت الإزهار وصبغة الارض ترطب بها جلداً وتورد خداً وتصبغ رمشاً وتزجج حاجباً ، ويغنيك عن هذا التعداد المفصل أن تسير في كل حجرة من حجر البيت ، وتنظر الى كل ركن من أركانه ، بل الى جدران هذه الحجرات وسقوفها وأرضها ، فلن تجد شيئاً فيها لا تدخله الكيمياء . كذلك تجد علم الكيمياء في الشارع وفيما فيه من ذي حركة أو سكون ، وفي المصنع تصنع فيه الإبرة الصغيرة أو القاطرة الكبيرة ، وفي المستشفيات وفي المقابر ، وفي كل مظهر من مظاهر المدنية ومظاهر الحياة من مأكول وملبوس ومركوب ، وكذلك في مظاهر الموت .

ولهذا الاتساع انقسمت الكيمياء الى أقسام عدة : فالكيمياء العضوية وغير العضوية والكيمياء الطبيعية والهندسية والحيوية وهلم جرا . ولكن كل هذه موضوعها المادة ، موضوعها الاجسام الملموسة الموزونة ، سواء في ذلك الاجسام الجامدة والاجسام الحية ، وهي اذا عالجت الأجسام الحية فهي لا تعني أو لم تكن تعنى — الا بمادتها الصامتة وهيولاها الجامدة دون حياتها وروحها . ولكن العلم طموح ، والكيمياء علم ، فكان من هذا أن بدأت تطمح الى ما طمحت اليه وعجزت عنه القرون ، تطمح الى لمحة وراء المادة ، ونظرة تختلسها من خلف ذلك الحجاب الأزلي الكثيف الذي فصل ما بين الأجسام وأرواحها ، تطمح الى تفهم العقل ، لا من حيث الخلايا المخية التي هي مركزه ، بل من حيث هو اسم لكل مظاهر الذكاء والغباوة والحب والبغض والغضب والحلم واليقظة والنوم . فتكون من ذلك أو كاد يتكون علم جديد لا أجد اسما أنسب له من « كيمياء الروح » .

وطريقة هذا العلم الجديد كطريقة كل علم ، يبدأ بالمعلوم ليتعرف المجهول . والمعلوم هنا الجسم والمجهول النفس ، فهو يحدث تغيرات في الجسم ويرقب أثرها في النفس . وليست علاقة الجسم بالنفس بجديدة ، فقديما عرفنا الصيام يشحذ الفكر الى حين ، والطعام الكثير يثلمه حتى يسلم صاحبه الى النوم . وسمعنا الفلاسفة والمفكرين في قديم الأزمان يعافون الطعام رغبة في صفاء البصيرة وجلاء الذهن . ونسمعهم اليوم يترسمون في ذلك سنة السلف ، فغاندي يعيش على اللبن والبرتقال ، وأينشتين يقنع من اليوابس والسوائل بالقليل الميسور الذي لا يقنع الولد الصغير . ولكن هذه ملحوظات يلحظها الانسان عفوا وهو لا يدري أين يلحظها ولا متى ، وان هي حانت فهو لا يتعمد لحظها الا إذا ملكت عليه انتباهه . ولكن هذا العلم الجديد ينتظر الحوادث ويجثم على مرقب

عال طلبا للفرص التي قد تمر . وهو إلى جانب هذه الحوادث وتلك الفرص السانحة يخلق لنفسه الحوادث ويفتح مواطن للتجارب يكون هو العامل الأكبر في إحداثها ، والمهيمن الأول على إدارتها وتوجيهها .

جاءت الحرب العالمية فأجاعت كثيرا من الخلق في الأمم المختلفة ، وكان من أشدهم جوعا ألمانيا ، وكان من أشد أهلها تأثرا بذلك أطفالها ، فتهيأت الفرصة للبحث ، فجاء هذا العلم يبحث في الغذاء الذي كانت تتعاطاه تلاميذ المدارس أيام السنوات العجاف ، في مقداره وفي نوعه وعناصره . ويبحث بعد ذلك لا في أثر ذلك في أجسامهم فحسب ، بل في أثره في عقولهم ونفسيتهم وروحهم . لا اجمالا بل تفصيلا . فعاهات النفس كعاهات الجسم . وخلل الروح كخلل المادة التي تتقمصها ، أي أنهما تختلف في الكيف كما تختلف في الكم ، ولكل عاهة اسم ان كان الآن فيه كثير من الابهام ، فانه ابهام ينجلي لاشك بطول البحث وكثير من الأناة والجلد . وخرج العلم من هذا البحث على أن أربعين في المائة من التلاميذ فقدوا مقدارا كبيرا من طاقتهم العصبية التامة بسبب فقدهم عناصر هامة في الطعام ، وخرج على أن اختلافات خاصة في الشخصية وتغيرات محدودة في الطبع ترتبط بنقص في بعض جواهر الغذاء الذي كان . ومن النتائج التي خرجوا عليها علاقة بينة بين مرض عصبي خاص ، مظهره اضطراب وخوف ، وبين خلو الطعام من الشحوم الفسفورية والأحماض الدهنية غير المشبعة ، ومن الاستيرولات . وليس معنى هذا أن هذه الشحوم مفيدة دائما في كل مرض . فقد درس شارل مرسيه عالم الأعصاب الانجليزي المعروف عدة من المرضى بعقولهم فزاد غذاءهم من الشحم والسكر والنشا ونقصه من اللحم فوجد ان الجمع بين هذه الزيادة وهذا النقص زاد المرضى سوءا على سوء . ولم يجد هذا هو الحال في كل المرضى ، دليلا على أن المرض يختلف ، ولو جمع المرضى ظاهر واحد نسميه الجنون . على أننا قد بينا قلنا الجنون فنون .

ومن الدراسات الأحدث أثر الفيتامينات في نفسية الاصحاء . والفيتامينات طائفة من المواد الكيماوية موجودة بالطبيعة في كثير من الاغذية ولاسيما الفاكهة ، ولتشابهها وتعددها أعطوها حروفا ا ب ء د وهلم جرا بمثابة اسماء لها . درسوا الأثر الناشيء من قلة الفيتامين ح في الغذاء أو انعدامه فيه فوجدوه يسبب في النفس هموداً تستتر وراءه حدة في الطبع وقابلية للتهيج شديدة . وهذه النتيجة تتفق تماما مع ما لاحظه رواد القطب الشمالي من المستكشفين لما قلت مواردهم وخف زادهم ، وهو زاد قليل الفيتامينات أو عديمها بطبيعة الحال . فانهم كانوا دائما يجدون الكسل في نفوسهم وحب الشجار في قلوبهم ، يثورون اليه للسبب الحقير التافه كأنما يجدون فيه متنفساً من ضيق

وهناك نوع من الجنون يصحبه مثل هذا الهبوط في النفس ، يعتري الرجل وقد اكتمل نموه وبلغت حيويته أقصاها . دخل هذا المرض في دائرة علم الكيمياء الروحي من سنوات قريبة واسترعى همة كثير من البحاث ، وقد بدأوا يصلونه لا بخلل نفسي محض بل بخلل في الجسم واضطراب في وظائفه . أي أن ذلك العقل ساء لما ساءت كيمياء التربة التي انبثق فيها ، وتلك الشخصية الوقورة ضاع اتزانها لما ضاع اتزان بين الغدد التي تهيمن في الجسم على دخل السكر اليه وخروجه منه واختزانه فيه . ومصداق هذا أن المرض الذي نحن بصدده يكثر في الأسر المصابة بالبول السكري ، ولعل هذه الحقيقة هي أول ما لفت البحاث الى تلك الغدد ودرس وظائفها في هذا الصنف من المتوهين

والنوم ، ذلك الطلسم الذي أعيا سره الأولين والآخرين ، بدأوا يسلطون عليه شعاعات من ذلك العلم الجديد لعلهم يردون أصله الى الكيمياء ، وحديثا نشر (هرمان زندك) نظرية بناها على دراسات مبدئية لم تنضج بعد ، مؤداها ان الغدة النخامية ، وموضعها بقاعدة المخ . بها مادة كيميائية تسمى بالهرمون . وهي واحدة من عدة مواد توجد في الجسم تسمى بالهرمونات ، وهرمون هذه الغدة به عنصر البروم . فاذا بدأ النوم يخرج هذا الهرمون البرومي الى سائر المخ شيئا فشيئا حتى يضيع كله ، فاذا استيقظ الانسان أخذت هذه الغدة تحشد البروم ، حتى اذا تكون فيها بقدر معلوم أتى المرء النعاس ، وخرج البروم يسير سيرته الاولى . بالطبع هذه النظرية في حاجة الى بحث كثير

من غير واحد لتأييدها، ولكنها اذا تأيدت واتضح لنا ان النوم ما هو الا محاولة الجسم أعادة اتزان كيميائى فى الرأس لكان فى الامكان أحداث هذا الاتزان فى المعمل والاستغناء عن النوم، وبذلك يتضاعف عمر العامل المنتج.

لا نريد ان نعدد كل ماصنع هذا العلم ولا كل النتائج التى خرج عليها ولا الظنون التى لا تزال تساوره ولم تدخل بعد فى مضرب الحقائق، فانه علم وليد، ولكننا نريد ان نؤكد العقيدة البارزة فى كل أعماله وهى ان مظاهر الروح الخارجية وثيقة الارتباط بالتفاعلات الكيميائية للجسم الذى تسكنه. وان الانسان اذا أنصت يفكر فى ضحولة أو عمق، أو تكلم يقرع الحجة بالحجة، أو اذا هو سُرّ فضحك فزاط وقصف، أو تجهم واكتأب فتجرع الحزن فى هدوء وصمت، أو اذا هو أحب أو أبغض أو خاف أو تجرأ، فانما يفعل ذلك بجسمه لا بروحه، أو إن شئت فقل لا بروحه وحدها. يفعل ذلك بالعقاقير الكيميائية التى بدمه ولحمه وغدده وعصبه وخلاياه جميعا. وان هذه الانفعالات تسبب شدتها وكثرتها اجهادا للمراكز الجسمية التى تصنع هذه العقاقير، وأخص تلك المراكز الغدد التى تقوم بسبب العقاقير التى تفرزها بموازنات عدة لتفاعلات متناقضة شتى ينشأ من أختلالها اختلال الجسم والروح. ولا أدل على هذا من نظرة يلقيها المرء فى معترك الحياة التجارية فى هذه المدنية الحاضرة حيث تتصارع قوى العيش الهائلة وتصطدم العواصف والآمال تصادم الجبال، أعنى بذلك البورصات، فقد دل الاحصاء على ان عدد الأصابات التى سببها تلف يعترى تلك الغدد، كالبول السكرى وصنوف معروفة من الجنون، يزداد بعد كل زوبعة من زوابع المضاربات.

وان كانت انفعالات الروح الطائشة تتلف معمل الجسم الكيميائى الذى فى صلاحه صلاحها، كان من الطبيعى اذا اعترى التلف الروح – ذلك السر المعجز – ان نبحث عن سبب هذا التلف فى حجرات المعمل، وان نرد غازات كريهة نشمها ولا نراها تخرج من مداخن النفس، الى الاسباب التى سببتها فى بوادق البناء وقواريره. وهذا عمل العلم الجديد «كيمياء الروح»؟

القصص

الباسمة

قصة مصرية

للآنسة سهير القلماوى
لسانسيه فى الآداب

سكت القوم وكأنهم ينصتون الى نغم سماوي جميل. وكأن النغم قد حملهم من الأرض الدنسة الى السماء الطاهرة، واستمرت هى فى عزفها تهز أوتار القلوب هزا ضعيفا مطربا، ثم أتمت عزفها والتفتت الى السامعين فاذا كل منهم مشدوه، ألهاه الطرب وأنساه النغم أن يظهر اعجابه أو سروره. ورنت ضحكتها العذبة الجميلة فتنبه السامعون ودوى المكان بالتصفيق الشديد.

كنت فى السامعين ولم أكن أعرف عنها الا أنها عذبة الابتسامة وضاحة المحيا، يشع من نفسها سحر عجيب يملأ ما حولها حياة فرحة نشيطة. سألت عنها فقيل أنها تكسب بعزفها هذا لتعول طفلها الصغير الوحيد. ورحت أسأل عنها هذا وذاك فعرفت أنها شخصية فذة، شخصية نادرة عجيبة. مات أبواها وهى فى سن الطفولة، وفقدت أقرباءها واحدا وراء الآخر حتى فقدت زوجها منذ زمن يسير. ولكن الغريب من أمرها أنها برغم هذا كله كانت مبتسمة ومتفائلة دائما. لقد صغرت الدنيا فى عينها ولم يسلمها هذا الاستصغار الى الالم أو الحزن أو اليأس. فهى لم تكن يوما ما تؤمل من الدنيا شيئا حتى يخيب أملها فيها. ثم هى لا توقن بشىء من أمر آخرتها. كل ما تعرفه أنها تعيش وأن الحياة شىء بهيج يجب أن تستمتع بها كل الاستمتاع. فمن يدرى لعل نهايتها قريبة! بل لعل ألوانا من العذاب تنتظرها بعد حين!

كانت شديدة الشغف بالطبيعة، تخرج اليها كلما استطاعت تستنشق نسيمها واريج ازهارها، وكانما تستنشق حياة جديدة فتزيد حيويتها ويزداد بشرها وسرورها.

منذ ذلك اليوم اصبحنا صديقين تزداد معرفة كل منا بالاخرى، يوما بعد يوم، فيزداد لذلك حبنا ويستوثق رباطنا. ولقد صحبتها فى بعض محاولاتها الاخيرة، فقد حاولت لتزيد كسبها أن تطرق ميدان الادب ثم ميدان الرسم ثم ميدان التعليم فطرقتها جميعا واخفقت فى كل منها اخفاقا لاذنب لها فيه. ولكنها كانت ترجع من كل خيبة وكانها أول الظافرين وآخرهم! ثم لا يلبث فشلها ان يستحيل سريعا الى أمل جميل وعزم وطيد.

وفى ذات يوم مرض ابنها مرضا شديدا فعاونتها على علاجه والسهر على رغم أباها ذلك على. وفى ليلة طاخية الظلام شديدة البرد اضطررت الى تركها بجانب وحيدها العليل. وفى الغد عدت اليها فوجدتها محمرة العينين تنفرج شفتاها عن ابتسامة ساخرة مرة مؤلمة. ترى ماذا حل بهذا الوجه الصبوح المستبشر الذى لم يقو الدهر على قلب ابتسامته أو تشويهها؟ واتجه نظرى أولا الى الطفل ماذا حل به وأين هو؟ وأخيرا علمت أن طفلها الوحيد الذى كان يربطها بالحياة فارق الحياة أمس مساء. فانهمرت دموعى على رغم ما حاولت من حبسها واحسست بفراغ حولى وكانما نار ألهبت رأسى وعينى، فأخذت أبكى وابكى وظلت هى تكفكف عبراتى وتواسينى وكانى أنا الثكلى المكلومة. أيمكن أن تكون عديمة الاحساس؟ كلا لقد عرفت من حساسيتها الشىء الكثير، ولعل نظرة واحدة الى ذلك الوجه الجميل تقنع الناظر بالآلام التى تحاول اخفاءها.

كل المصائب التى توالت عليها لم تغير نوع ابتسامتها، ولكن موت طفلها غير ملامح وجهها كلها. يا ليتها بكت! ياليتها استطاعت أن تبكى!

وظلت نحو شهر فى صراع بين الحزن وبين طبيعتها المرحة الضاحكة، تحاول بكل ما أوتيت من ارادة وعزم ان تتغلب على مصابها فتبتسم كما كانت تبتسم، ولكن ابتسامتها أضحت مبكية مؤلمة تبعث الشفقة والالم بعد أن كانت تبعث المرح والحياة.

لقد لازمت فراشها منذ أيام وكانت متعبة مريضة خائرة

النجـــوم

للقصصي الفرنسي الفونس دوديه

عند ما كنت أرعى الماشية على جبل (الليبرون) كنت أقضي أسابيع طويـــلة لا أبصر في خلالها مخلوقاً حياً غير كلبي (لابري) وقطيعي في المرعى، وقيس جبـــل (الاور) وبعض عمال (البيامون) مارين من هناك في سبيلهم، تلك الجماعة التي أخرستها الوحدة وشغلتهما عن تسقط أخبار قرى الساحل ومدنه. ولهذا كنت أشعر بالسعادة تمر بي كلما سمعت رنين أجراس بغلنا — آتيا يحمل الى الزاد كل خمسة عشر يوما — مرة مع أجيرنا ومرة مع عمتي. فكنت أتلقى منهما أخبار البلد من تعميد وزواج وغير ذلك، وأهتم خاصة بما آلت اليه ابنة سيدي الآنسة ستيفانيت، هذه الآنسة التي فاقت أترابها بجمالها الفاتن، وأستفهم بلباقة عما اذا كانت تكثر من حضور الحفلات العامة او قضاء الليالي الراقصة، وهل تقدم الى خطبتها أحد. كل ذلك كنت أقف عليه دون أن أترك لمحدثي سبيلا يلحظ منه هذا الاهتمام البالغ، ومن يسألني الآن لماذا كانت تعنيني هذه الأمور أجبه بأني شاب في العشرين من عمري، وان الآنسة ستيفانيت أجمل فتاة رأيتها في حياتي.

وفي ذات مرة كنت أنتظر الزاد يوم الأحـــد فتأخر عن موعد وصوله، فحملت ذلك في الصباح على «حفلة القداس الكبير» وفي الظهر علمت ان الدابة لم تستطع متابعة سيرها لرداءة الطريق بعد هبوب العاصفة الشديدة، وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تماما، بينما الجو في صفاء أديمه، والجبل يرفل في حلته اللؤلؤية، وخرير المياه يشنف أذني، سمعت رنينا مطربا كأنه رنين الناقوس في عيد الفصح. فتحققت ان الدابة التي أنتظرها آتية. ولما تبينتها مليا لم ار معها لا الأجير ولا العمة وانما رأيت عليها... أتعرف من!... آنستنا! نعم آنستنا ستيفانيت نفسها: فقد شاهـــدتها متصنة على ظهر البغل بين السلال. موردة الوجنتين كأن نقاوة الهواء وطراوة الجو بعثتا في وجهها الحياة.

وقبل أن تطأ قدماها الارض أخبرتني أن الاجير المسكين مريض لا يغادر فراشه، وأن عمتي (نوراد) غائبة منذ أيام عند أبنائها. ولما سألتها عن سبب ابطائها اجابت «اني ضللت الطريق» ولكن من يبصرها في أبهى زينة!، بشريطها الحريري المغطى بالزهر، وردائها اللماع المطرز الحواشي، يحكم بأنها كانت تلهو بالرقص — لا بالتفتيش عن الطريق بين الادغال.

آه ما الطف هذه المخلوقة التي لم تملها عيناي وما أجملها! كنت بالأمس أشاهدها أحيانا في الشتاء وانا عائد في المساء من الحظيرة الى المزرعة لاتناول طعامي، فكانت تدخل غرفتها وهي في زينتها وكبريائها دون أن تكلم أحدا من الخدم.... حينئذ علمت أني ما تأملتها من قبل في مثل هذا القرب. وبعد أليست الآن واقفة أمامي في هذه الخلوة التامة فلم لا أعانقها؟

ولما أفرغت (ستيفانيت) السلال أخذت تتأمل كل ما حولها باهتمام، ثم نزعت ثوبها الفضفاض — الذي لا ترتديه الا أيام الآحاد — خوفا عليه من التلف، ودخلت المراح تريد ان تشاهد المكان الذي انام فيه، وفراش القش المغطى بفروة الخروف، ومعطفي الضخم المعلق على الجدار، وهراوتي الغليظة، وبندقيتي العتيقة. فكان في هذه الاشياء مسلاة لها.

— اذن أنت تقضي أيامك في هذا المكان أيها الراعي المسكين؟ لابد أن تكون قد مللت الحياة في هذه الوحشة وتلك العزلة! والا فقل لي ماذا تفعل، وفيم تفكر؟

فهممت بأن أجيبها: «اني أفكر فيك يا سيدتي» كما هو الواقع، ولكني كنت في حالة اضطراب شديد، فلم أجد كلمة واحدة أقولها لها. ولما توسمت وجهها لاحظت أنها شعرت بما يجول في خاطري، وكأني بها أرادت ان تزيد في حيرتي وتلعثمي لتتلذذ في قرارة نفسها، فقالت:

— وصديقتك العنزة الذهبية اللون، هل تزورك احيانا؟ أنا لا أشك في اخلاص هذه الشيطانة التي لا يلذ لها الجري الا على

الأعصاب. فذهبت أعودها يوما فلم أجد بالدار أحدا، سألت عنها مرتاعة، وأخيرا أعلمت أنها فارقت الحياة أمس مساء، سألت ماذا حل بها وأي أمر جديد انتابها؟ فعرفت انها لم تصب بشيء جديد، وانما فارقت الحياة وكأنها الشمعة تحترق. فارقتها شيئاً فشيئاً وقد لاقت ربها وعلى فمها ابتسامة رضا وطمأنينة، مر اذ ذاك بخاطري قول الشاعر الامريكي برانيت، ذلك القول الذي كانت تردده أثر كل فشل أو مصاب، والذي ظلت تردده كثيرا في آخر أيامها: «هكذا عش، حتى اذا ما نادى منادي الموت لا تسر اليه كالعبد مسوقا الى سجنه، بل سر اليه بايمان ثابت، وطمأنينة تامة كمن يسحب غطاءه عليه ليستسلم الى حلم عذب جميل..»

روس الجبال . . .

ولكن ستيفانيت نفسها بوجهها الضحوك ، ورأسها المنحنى . وإسراعها فى العودة إسراعا كاد يجعل زيارتها إغماضة عين . كانت أشبه بهذه الشيطانة المذكورة .

— استودعك الله أيها الراعى .

— سلاما يا سيدتى .

ولم أتم جوابى حتى كانت فى طريقها وليس معها غير سلالها الفارغة . ولما اختفت عن ناظرى فى المحدر خلت أن الحجارة المتناثرة من حوافر البغلة كانت تقع على قلبى واحدة بعد واحدة .

ومع أنها أصبحت بعيدة عنى فقد ظل صوت الحجارة المتناثرة يدوى فى أذنى . وبقيت حتى أزف المساء كأننى فى غفوة لا أتحرك من مكانى خوفا من أن يتبدد هذا الحلم اللذيذ . ولم أصح إلا على صوت يناديني من السفح . وكان الليل بدأ يرخى سدوله والقطيع أخذ يزاحم بعضه بعضا ليدخل الحظيرة . وبينا أنا أفتش عن مكان الصوت ظهرت أمامى فجأة الآنسة ستيفانيت . ولكن بغير الهيئة التى قابلتنى بها فى المرة الأولى . قابلتنى وهى ترتجف من البرد والخوف ، وأثوابها مبللة . فعلمت حينئذ أن فيضان نهر (السورغ) فى الوادى بعد تلك العاصفة الشديدة أخذ عليها الطريق ، فخافت على نفسها أن هى اجتازته . والأغرب من ذلك أنها ساعة ودعتنى ما كان يجب عليها أن تفكر فى الرجوع إلى المزرعة ، وما كان بإمكانى أن أترك القطيع وحده لأرافقها فى طريقها الوعر .

ويظهر أن فكرة الإقامة هذه الليلة فى الجبل كانت تزعجها ولا سيما عندما كانت تفكر فى قلق أهلها عليها . فكنت أهدئ من روعها وأطمئنها بما أستطيع إليه سبيلا . وأذكر أنى قلت لها أن ليالى يوليو قصيرة ، وأن السماء يصفو أديمها بعد حين .

وأشعلت النار بسرعة وأخذت أدفئ قدميها وأجفف أثوابها . ثم قدمت لها شيئا من الجبن والحليب . ولكنها لم تكن لتفكر فى الدفء ولا فى الأكل تلك الساعة ، واسترسلت فى النحيب حتى كدت أبكى لبكائها .

ولما أرخى الليل سدوله تماما ولم يبق على قمة الجبل غير شعاع حائل من الشمس ، وإلا قطعة من نور فى حواشى الأفق ؛ أمسكت بيد الآنسة وأدخلتها المراح لتستريح ، فمددت على فروة ناعمة الصوف كنت قد فرشتها على القش الطرى ، ثم خرجت من عندها لأجلس لدى الباب متمنيا لها ليلة سعيدة . . .

ويشهد الله أنى لم تخامرنى فكرة سيئة قط ، بالرغم من نار الحب المتأججة فى دمى . ولكنى كنت فخورا جداً لأن فى زاوية من المراح تنام فى حراستى ابنة سيدى ـ كأنها نعجة أثمن من تلك النعاج التى ترمقها بنظرات الاهتمام وأشد منها بياضا .

والحق يقال أنى لم أر السماء من قبل بمثل هذا الصفاء الذى رأيتها به فى تلك الليلة . ولا النجوم بمثل هذا النور الساطع الذى كانت ترسله . .

وفجأة فتح باب المراح ؛ وظهرت منه ستيفانيت . فالغنم كانت تزعجها بأصواتها فتمنع عنها لذة النوم . لذلك أحبت أن تأتى قرب النار . ولما لاحظت منها ذلك وضعت معطفى على كتفيها وأرثت النار ثم أدنيتها منى . وبقينا مدة جالسين جنباً إلى جنب لا نجد حديثا نفتحه ولا حادثا نشرحه .

ويعلم الذين قضوا بضع ليال فى الفلوات أن عالما خفيا يهب من سباته ساعة ينام الانسان فى هذا الانعزال التام والسكون العميق . فى هذه الساعة تستيقظ الطبيعة . فالينابيع تغنى بصوتها العذب . وترسل المياه الراكدة بريقا لألائها السماوى . وتأخذ الاشباح تروح وتجيء . وترتفع فى الهواء أنغام خفية وأصوات كالحفيف . وكأن الأغصان أخذت تمتد والأعشاب تنمو . فالنهار يعطى الحياة للمخلوقات الحية ؛ أما الليل فيعطيها للأشياء الميتة . وهذا ما يرعب الإنسان إذا لم يكن له به سابق عهد أو عادة . ولهذا كانت الآنسة ترتجف أبداً من الخوف ، وتلتصق بى كلما سمعت صوتا كأنها طفلة صغيرة .

وفى ذات مرة تعالت جلبة حزينة من المستنقع فى الوادى وارتفعت إلينا تموجاتها مع الأثير ، ثم رأينا شهابا جميلا يهوى فوق رأسينا من عل ويتجه نحو ذلك المستنقع كأن الضجة التى كرهنا سماعها تحمل معها بارقة خير . فسألتنى ستيفانيت :

ـ ماذى جرى ؟

— نفس دخلت الجنة ياسيدتى .

فرسمنا الصليب على صدرنا ثلاثا وبقيت هى تنظر إلى السماء بنفس مطيشة ، ثم قالت :

— أصحيح ما يقال عنكم معشر الرعاة أنكم سحرة ؟

— لا ياسيدتى ، إنما نحن أقرب هنا إلى النجوم من سكان السهل ، ولذلك فنحن أكثر منهم علما بما يجرى فيها .

ثم وضعت يدها على فودها وقالت :

— ما أكثر هذه النجوم وما أجملها ! أنا فى حياتى ما رأيت هذا المنظر . . . هل تعرف أسماءها أيها الراعى ؟

— نعم أيتها الآنسة . . . أنظرى ! فوق رأسينا تماما ترين « طريق سان جاك » (المجرة) الممتدة من فرنسا إلى أسبانيا ، تلك الطريق التى اختطها (سان جاك دى غاليس) ليرى الفاتح العظيم (شارلمان) سبيله عند ما كان يحارب « العرب » وعلى

مسافة منها ترين محفة الأرواح (بنات نعش الكبرى) بأقطابها الاربعة الساطعة . وعلى مقربة منها « الحيوانات الثلاثة » . والنجم الصغير المقابل للثالثة هو « السائق » ؛ وانظرى من حولها هذه النجوم الهاوية ، إنها النفوس التي لم يقبلها الخالق في جنته . . . .

وتحتها بقليل ترين « المشط » أو « الملوك الثلاثة » (الجوزاء) التي نستعين بها على معرفة الوقت . فيكفي أن ألقى عليها نظرة واحدة لاتأكد أن نصف الليل قد انقضى . وعلى مسافة منها للجنوب يلمع « جان دي ميلان » سراج الكواكب كلها (الشعرى اليمانيه) واليك الحكاية التي يرويها الرعاة عنها :

في ذات ليلة دعيت الشعرى اليمانية و « الملوك الثلاثة » والثريا الى حفلة زواج احدى صديقاتها النجوم . فتقدمت الثريا رفيقتيها وانطلقت حتى استقرت في أعالى طبقات الجو كما ترينها : ولحق بها « الملوك الثلاثة » بطريق أدنى ؛ أما الكسول « جان دي ميلان » فقد أخره نومه عن اللحاق بها ، فاغتاظ ورماها بعصاه ليقفها في مكانها . ولهذا يطلقون أحيانا اسم « جان دي ميلان » على « الملوك الثلاثة » .

ولكن أجمل النجوم وأكبرها قدرا « نجمة الراعي » التي تنير لنا الطريق في الفجر عندما نخرج بالماشية الى المرعى ، وفي المساء عندما نعود بها الى الحظيرة . ونسميها أيضا « ماغلون » وهي الجميلة التي تمشي دائما إثر « بيير دي بروفانس » (زحل) لتتزوج به كل سبع سنوات مرة واحدة .

ـ ماذا تقول ! وهل من زواج عند النجوم ؟

ـ نعم أيتها الآنسه

ولما أخذت أشرح لها محور هذا الزواج احسست بشيء ناعم يثقل على كتفي في لطف ورقة ؛ فنظرت فاذا برأسها الناعس متكئا على ، واذا بشرائطه الحريرية وتخاريمه اللطيفة وشعره الجعد تلتصق بي الى ان بدأت الكواكب تصفر في سمائها ، وأخذ ضوء الفجر ينبثق في الافق البعيد ليمحو أثرها . اما انا فكنت أتأمل الفتاة النائمة بشيء من الحزن الخفيف . لا أفكر في هداة الليل وصفائه إلا بكل ما هو جميل وشريف . وعلى جوانبنا تتابع النجوم سيرها ببطء وسكوت كأنها قطيع من الغنم . وبين الفينة والفينة كنت أشعر ان ألطف وأجمل نجمة كانت قد أضلت الطريق فهبطت الى كتفي فنامت عليه بهدوء . . . .

كيفون (لبنان) مجيد كرما

بليـــــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

اركل ـــ من القادم ؟

جنفيف ـــ أنه بلياس وفي عينيه أثر البكاء .

اركل ـــ هذا أنت يابلياس ؟ اقترب مني حتى أراك في النور

بلياس ـــ تسلمت ياجدي رسالة من صديقي مارسيللوس في الوقت الذي تسلمت فيه كتاب أخي . . . إن هذا الصديق العزيز على يعاني ألم الاحتضار . وهو يستقدمني إليه ليراني قبل أن يفارق العاجلة . ويقول في رسالته إنه يعرف بالدقة اللحظة التي سيموت فيها ، وإني أستطيع الوصول إليه قبل حلول تلك اللحظة إذا شئت . إني ذاهب إليه في الحال .

اركل ـــ يجب عليك أن تنتظر قليلا ، على الرغم من ذلك إننا لاندري ماذا تعده لنا عودة أخيك . ثم هل نسيت أن أباك ملقى على فراشه في الغرفة التي فوقنا ، وقد شفه الداء وبراه السقم ؟ أليس من الجائز أن يكون أشد مرضا من صديقك ؟ ومن أولى برعايتك وعطفك ، الوالد أم الصديق ؟ (يخرج)

جنفيف ـــ لاتنس أن تشعل المصباح الليلة يابلياس « يخرجان متفرقين »

المنظر الثالث

(أمام القصر . تدخل جنفيف ، ومليزاند)

مليزاند ـــ ماهذا السكون المعتم الذي يخيم على الرياض ؟ إنه يدخل على النفس الرهبة والاكتئاب ! وماهذه الغابات الكثيفة الجاثمة حول القصر ؟ !

جنفيف ـــ لما وطئت هذا المكان أثار هذا المنظر العجب في نفسي وأخذ منها مأخذا شديدا . إنه رائع مخوف يغرق كل من رآه في التأمل العميق . توجد أمكنة لايرى الانسان فيها نور الشمس ولا ضوء القمر ، فاذا ماطال مقامه بها ألفها واطمأن اليها . . . قضيت في هذا القصر الموحش أربعين عاما أو تزيد قليلا . . . لو نظرت إلى الناحية الأخرى لرأيت نورا ينبعث من ماء البحر

مليزاند ـــ أسمع حركة قريبة منا

جنفيف ـــ نعم : أحد الناس يسير نحونا . . . آه ! إنه بلياس . .

مازال التعب باديا في أساريره وجهه وفي خطواته المتثاقلة . . . لقد انتظركما طويلا

مليزاند — إنه لم يرنا

جنفيف — أعتقد أنه رآنا . ولكنه لا يعرف ما يجب عليه عمله . بلياس . بلياس ، أهذا أنت ؟

بلياس — نعم . إني آت من شاطىء البحر .

جنفيف — ونحن أيضا كنا نبحث عن مكان ينعم بشيء من النور ، ولكننا لم نجد مكانا أقل ظلمة من هنا . كنا نرجو أن نجد البحر منيرا فألفيناه قاتما مكفهرا . . .

بلياس — ستهب الليلة عاصفة كما هبت من قبلها عواصف في الليالي القليلة الماضية . . . ومع ذلك أرى الجو هادئا في هذا المساء ، والسماء مصحية والبحر ساكنا لا تعتروه رعدة ولا تعلوه موجة ، قد يركب البحر الليلة إنسان وهو مطمئن الخاطر مثلوج الفؤاد ، حتى إذا بعد عن الشاطىء ، دهمته العاصفة ، وحطمت السفينة ، وابتلعه اليم في جوفه . . .

مليزاند — أرى شيئا يخرج من المرفأ

بلياس — لابد أن يكون هذا الشيء سفينة كبيرة . الأنوار عالية ، وسنرى السفينة بعد قليل حينما تبلغ الموضع الذي فيه أشعة الضوء

جنفيف — قد يحجبها عن عيوننا الضباب الراقد على سطح البحر فلا نراها

بلياس — كأني بالضباب يعلو في دءوب وبطء . . .

مليزاند — نعم . . . أرى الآن على البعد نورا ضئيلا لم أره قبل ذلك .

بلياس — هذا هو ضوء منارة . . . توجد منارة أخرى لم نرها بعد

مليزاند — بلغت السفينة الحيز المضيء . . . أنها الآن بعيدة عن الشاطىء

بلياس — إنها تبتعد مسرعة وقد نشرت كل شراعها .

مليزاند — وهي التي جازت بي الى المرفأ . . . ان لها شراعا كبيرا أعرفه حق المعرفة

بلياس — سيباغتها الليلة هياج البحر !

مليزاند — ولماذا أقلعت في هذا المساء ؟ . . اختفت عن الأبصار أو كادت . قد تحل بها كارثة في وحشة الظلام !

بلياس — الليل يبسط على الكون ظلمته في سرعة غريبة (سكوت)

جنفيف — حان الوقت لدخول القصر . بلياس ، دل مليزاند على الطريق . إني ذاهبة لأرى (اينيولد) الصغير وأمكث بجانبه بعض لحظات (تخرج)

بلياس — لم أعد أرى شيئا على سطح البحر :

مليزاند — أرى أنوارا أخرى . . .

بلياس — إنها المنائر الأخرى . . . أتسمعين صوتا يأتينا من البحر ؟ إنه زفيف الرياح وقد مسحت عن عينيها فتور الكرى . . . هاتي يدك . . . الطريق من هنا

مليزاند — أنظر . . . أنظر . . . في يدي أزهار كثيرة !

بلياس — أعتمدي على ذراعي . . . ان الطريق كثيرة الالتواء شديدة الانحدار ، والظلام حالك متكاثف . . . في نيتي الرحيل غدا

مليزاند — أوه ! لماذا تنوي الرحيل ؟ (يخرجان)

الفصل الثاني

المنظر الأول :

(عين ماء في الحديقة . يدخل بلياس ومليزاند)

بلياس — تجهلين دون ريب هذا المكان الذي قدتك اليه . . اني أفزع اليه في كثير من الأوقات فرارا من شدة القيظ . . الحر خانق اليوم ، حتى تحت ظل الشجر !

مليزاند — أوه ! الماء صاف للغاية . . .

بلياس — وهو بارد منعش كعهدي به أيام الشتاء . . . هذه عين ماء عتيقة أهملت منذ زمن بعيد . . . وأظنها كانت تأتي بالمعجزات . . . كانت تشفي الأعمى ولذلك مازال الناس يطلقون عليها « عين العمي » . . .

مليزاند — ولم تعد تنتج هذا الأثر ؟

بلياس — من يوم أن ضعف بصر الملك وشارف العمى لم يعد يتردد على العين أحد .

مليزاند — ما أثقل الوحدة على صدر الانسان في هذا المكان ! إني لا أسمع فيه حسا ولا ركزا !

بلياس — السكون التام الغريب يألف هذا المكان في كل حين ويستطيب صحبته في كل آن . . . أنظري الى الماء ، إنه في سبات عميق . . . اجلسي إذا شئت على هذا المرمر الذي يحيط بالعين . . . فوق رأسك شجرة الزيزفون لا تخترقها أشعة الشمس

مليزاند — سأرقد على المرمر . . . إن شوقا ملحا يدفعني إلى رؤية القاع

بلياس — لم ير قط . . . قد تبلغ العين في عمقها البحر

مليزاند — قد يرى الانسان قاعها اذا وضح فيه شيء يلمع

بلياس — لا تنحني هكذا !

مليزاند — أرغب في لمس الماء

(يتبع)

لغو الصيف

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

كورتلين اليه ؟ وأي سبب بين هذا الشاب المصري وهذا النابغة الفرنسي؟ قال : بينهما سبب لا أدرى الآن ماهو ، ولعله إن صدقت الظنون وتحققت الآمال أن يكون التفوق والنبوغ ، ولعل الله قد أذن لمصر أن يكون فيها كورتلين كما كان في فرنسا . قالت : فإني لا أحب الإطالة ، ولا أحب الالتواء ، فأوضح وأبن عما تريد . قال توفيق الحكيم يا آنسة شاب مصري ، ظهر فجأة بقصة تمثيلية أنت أحد أشخاصها . قالت : أنا أحد أشخاصها ! ماذا تقول؟ قال: نعم! لأن أشخاصها أهل الكهف ، ولست أريد أن أطيل في تقريظ هذه القصة وإنما أقول إني قرأت في هذا العام قصصا تمثيلية كثيرة ظهر بعضها بالفرنسية ، وبعضها بالانجليزية ، وبعضها بغير هاتين اللغتين . وترجم اليهما أو الى إحداهما ، فكانت قصة أهل الكهف هذه خير ما قرأت من هذه القصص كلها وأحسنها موقعا من نفسي ، وأشدها إثارة لاعجابي . ولست أدرى أمعجب أنا بموضوعها أم بأسلوبها السهل أم بألفاظها الساذجة أم بتحليلها الدقيق أم بهذا كله . ولست أشك في أن إعجابي بها سيضاعف منذ اليوم لأنك أحد أشخاصها . ومن يدرى لعلك بريسكا التي صورها توفيق الحكيم ! قالت : وقد ضاقت بهذا المزاح : لو كنت بريسكا لما جهلت مبدعي ! قال : أتنكرين الناس يعرفون مبدعهم ؟ قالت : وقد كتب صاحبك هذه القصة باللغة العامية ؟ قال : لا . بل بلغة لا تبعد كثيرا عن العامية . وليست هذه القصة هي التي ذكرت حين تحدثنا عن كورتلين ، فان لتوفيق الحكيم قصة أخرى غير تمثيلية سماها عودة الروح . والغريب أن أهل الكهف ظفرت أول الامر باعجاب الشباب والشيوخ جميعا . فلما ظهرت عودة الروح تنكر لها بعض أعلام البيان في مصر ، ودعا هذا التنكر بعضهم إلى أن يراجعوا إعجابهم بأهل الكهف فيخففوا منه ويقتصدوا فيه . أما الشباب فاضافوا إعجابا إلى إعجاب ، ورضى الى رضى وبدوا يتخذون هذا الكاتب الشاب قدوة لهم ومثالا . قالت : وماذا ينكر أعلام البيان من عودة الروح ؟ قال : لغتها . فهى ككتاب كورتلين أبطالها شعبيون فينطقهم المؤلف بلغة الشعب . ولعله يغرق في ذلك بعض الشيء . وأعلام البيان يكرهون ذلك ويحرضون على الا تظهر آيات البيان الا في اللغة الفصحى . وهم يضنون بهذا الشاب على أن ينفق جهده الخصب ويضيع وقته العزيز في هذه اللغة المبتذلة . قالت : ولكن القصة نفسها ما رأيهم فيها ؟ فليست القصة ألفاظا خالصة ولا معاني خالصة ، وإنما هي قوام من الالفاظ والمعاني ، ولا بد من أن يستقيم لها جمال اللفظ وجمال المعنى ، فهب ألفاظها رديئة عند أعلام البيان فما حكمهم في معانيها ؟ قال : قرأها بعضهم فلم يظهر رضى ولا سخطا ، ولم يستطع بعضهم الآخر أن يقرأها فعابها لأن لغتها العامية صرفه عن قراءتها . قالت : فهذا يخل بالانصاف وتجاوز للقصد ، وقد شوقتني الى أن اقرأ هذين الكتابين . ولكن هلا حدثتني عنهما حين كنا في القاهرة . قال ومتى حدثتك في القاهرة عما كنت أريد أن احدثك عنه . انما نلتقي فنمضي الاحاديث بيننا كما تريد هي لا كما نريد نحن . ولولا أني سألتك عن هذا الكتاب الذى تقرئين لما جرى بينك وبيني ذكر لتوفيق الحكيم ، وهل فرغنا من الحديث عن أنفسنا لنتحدث عن هذا الأديب الجديد . قالت كم كنت احب أن أظفر بكتابيه لأقرأهما منك ومن نفسي . فقد يخيل الى أنا نسرف في الحديث عن أنفسنا ونغلوا في الإعراض عن غيرنا . وقد يخيل الى أن بين هؤلاء الكتاب الناشئين من هم احق بعنايتك وعنايتي من هذا اللغو الذى نخوض فيه كلما التقينا . قال : وعلى ذكر كورتلين وتوفيق الحكيم ، ما رأيك في هذا الكتاب الفرنسي الجديد الذى كثر الكلام فيه ، واختلف فيه أدباء فرانسا كما اختلف أدباء مصر في كتاب توفيق الحكيم ؟ قالت : وماذاك أيضا ؟ قال ماذا ، ألم تقرئي كتاب سيلين الذى سماه سياحة في آخر الليل ؟ ألم تقرئي ما كتب النقاد حول اللغة التي ألف فيها هذا الكتاب ؟ قالت لا . قال وهو يضحك : معذرة فقد أنسيت أنك نائمة ، وأنك من أهل الكهف . قلت : وقد رمته بكتابها مغيظة منه محنقة عليه : هبني نائمة فما لك لا توقظني وما احتلاؤك الى في القاهرة ، وما لزومك لي في نيس ، وما مرافقتك لي في هذا القطار على كره مني . قال وقد أغرق في الضحك : اما رافقتك في القطار يا آنسة لأوقظك ، ولأخرجك من الكهف . ولأنبئك بأن في مصر شابا يقال له توفيق الحكيم كتب قصة يقال لها أهل الكهف ، وأخرى يقال لها عودة الروح . وبأن في فرانسا أديبا جديدا يسمى نفسه سيلين ، وقد أظهر كتابا سماه « سياحة في آخر الليل » اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا . قالت : فيم اختلفوا قال : في لغته فهو أيضا مسرف في حب العامية ، وأنا معجب بكتابه اعجابا شديدا ، مبغض للغته بغضا شديدا لأنه يتعمدها تعمدا ولا تدفعه اليها الحاجة ولا الضرورة ولا الرغبة في التصوير الصادق والتعبير الصحيح . وكل هذه الكتب عندي أستطيع أن أعيرك اياها لتقرئي وتحكمي ثم لنتحدث بعد ذلك . قالت : فابدأ بقصة أهل الكهف فأعرني إياها منذ الآن فسأنفق ليلتي بينها وبين كورتلين . قال : ولكن أليس خيرا منها ومن كورتلين ان ننفق ساعة أو بعض ساعة ؛ لا أقول في الحديث فقد يظهر أنك سئمته وضقت به ، وإنما أقول في العشاء فاني اسمع جرس الخادم يدعو اليه ؟ ! طه حسين



النجــــوم فى مسالكها

هذا هو النقد الذى بعث به الى الرسالة الأستاذ عبد الحميد سماحة منذ عددين. وكنا على وشك أن ننشره لولا أن رأيناه بروحه ومعناه منشوراً فى الاهرام بامضاء ناقد. فلما كتب الأستاذ فى الاهرام أنه هو وزميله غير هذا الناقد الحاقد، وأنه ينتظر ظهور نقده فى الرسالة ليعلن فى الكتاب جلية رأيه. نشرناه اليوم متبوعاً بتعليق للأستاذ الغمراوى حتى لا تحول بين علم الأستاذ وبين جهل المترجمين الذين أقروا الكتاب! وحتى تهيء الفرصة لمن أحسنوا الظن بالاستاذ أن يوازنوا بين نقده وبين نقد (ناقد)

قال الاستاذ سماحة بعد المقدمة:

يبدو لى أن شخصية المؤلف كان لها تأثير شديد على المترجم فالتزم الترجمة الحرفية التزاما فى مواضع كثيرة شوهت من جمالها فى الأصل الأنجليزى وأخرجتها فى بعض الأحيان عن معناها الحقيقى حتى أصبح من الصعب فهمها دون الرجوع إلى الأصل الأنجليزى

مثال ذلك ما جاء من الصفحة الثامنة (وعلى ذلك فلا أقل من ١٠٣٠٠٠٠٠ أرض يمكن أن يزج بها فى الشمس، وفى الأصل الإنجليزى As a consequence no fewer than 1,300,000 earths could be packed inside the sun.

وما جاء فى صفحة ٧٤ (رأى السير إسحق نيوتن أن هذا الانحناء المستمر نحو الأرض فى مسار القمر إنما يعنى أن الأرض تجذب القمر جذبا مستمرا)

وفى الأصل الأنجليزى صفحة ٦٩: Sir Isaac Newton saw that this continual earthward curving of the moon's path could only mean that the earth.... etc.

وفى صفحة ٧٧: (منذ عهد نيوتن برهنت الحقائق الفلكية فوق كل شك غير جزافى صدق ما نقرره) وفى الأصل الانجليزى: Since Newton's day, the facts of Astronomy have proved beyond all reasonable doubt.

وفى آخر صفحة ٩٤: (وليس هناك نواة تستطيع أن تقبض على كهاربها بقوة فى طوقها أن تصمد لمثل هذه الحرارة)

وفى رأيى أنها لو وضعت فى الصيغة الآتية لكانت أدل على المعنى المقصود: (وليس هناك نواة تستطيع أن تستبقى كهاربها فى أطواقها عند مثل هذه الدرجة العالية من الحرارة) وما جاء فى صفحة ١٠٧: (ولما تكلمنا عن وجه السماء فى الفصل الأول لم تكن النجوم فى اعتبارنا إلا ورلماً بعيدا عن نقط ضوئية) فهنا أيضاً يكاد يكون المعنى غير مفهوم.

وفى صفحة ٤٢ فى آخر الفقرة الأولى جملة مكررة ليست موجودة فى الاصل الانجليزى (فالجو فى النجم يتدخل بالتدريج فى مادة النجم نفسها لأن النجم وجوه مصنوعان من مادة واحدة، فالانتقال يتم تدريجا من مادة الجو الى المادة الاساسية للنجم نفسه لأن تكوينها واحد)

وفى صفحة ٥٥ وضع المترجم شرحا عن عطارد ذكر فيه أن رؤيته بمصر صعبة نسبياً، والحقيقة أن رؤية عطارد ممكنة فى مصر.

أما ترجمة Size بقدر Magnitude بمرتبة، فلا زلت على رأيى الذى كاشفته به قبيل إصدار الكتاب وهو أن النحت هنا غير جائز بالمرة إذ أن كلمة قدر هى اصطلاح فنى يدل على درجة لمعان النجم ويقابلها فى الأنجليزية Magnitude وكلاهما أقدم على الزمن من جينز ومؤلفات جينز وليس لمؤلف أو لمترجم ان يثور على الاصطلاح بغير ما سبب قوى ويمثل هذه السهولة. أما ما أشار اليه المترجم فى مقدمة صفحة ح من أنه راجع كتاب محمود باشا الفلكى لمعرفة أسماء النجوم والكوكبات العربية، فالذى أعرفه أن محمود باشا ليس له مؤلفات باللغة العربية أو على الاقل فى هذه الناحية من البحث، وأن الكتاب الذى يشير اليه الدكتور الكردانى هو كتاب «الدرر التوفيقية فى علم الفلك والجيوديزيه» والمؤلف هو اسماعيل بك مصطفى

1re. Année, No. 16.

Vendredi, 1-9-1933

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

....

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٣٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

العدد السادس عشر « القاهرة في يوم الجمعة أول سبتمبر سنة ١٩٣٣ — ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ » السنة الأولى

فهرس العدد

على الشاطئ...!

الشاطئ شاطئ استانلى ! واليوم يوم الأحد ! والطرقات الجميلة الصاعدة إلى هذا الخليج البهيج تصب فيه أنماطا من الناس ، فى أنماط من اللباس ، وكلهم فى سن أهل الجنة ! وكنت فى هذا التيار الجارف المتدفق كأنى السمكة الغريبة ؛ تفقد الاختيار ، وتخشى كل شىء !

هبطت مع الهابطين إلى هذا الشاطئ على سلم من سلالمه ، ثم أرسلت فيه عينى فاذا هو مستدير على صدر الماء ، استدارة الهلال البازغ على صدر السماء ، وإذا النجوم الزواهر من الأنس تختلج فى قلب هذا الهلال اختلاج العواطف الرقيقة ، تتماس فى رفق ، ثم تنفرج فى سهولة !!

أخذت أخطو وئيدا بين العذارى المتجردات ، على استحياء وارتباك ! فلما لم أجد فيهن حتى من تتقى النظر باليد ، كما فعلت « متجردة النابغة » حين سقط نصيفها ولم ترد اسقاطه ، أرسلت نفسى على طبيعتها فى هذا الحمى المباح ، وذكرت الاستاذ « الثعالبى » وهو يقول لى بالأمس فى لهجة جازعة : « اذهب بربك الى (استانلى) ثم صف ما تراه »

هاتان عيناى يا صديقى مفتوحتين ! وهاتان أذناى مرهفتين ! فماذا أرى ، وماذا أسمع ؟؟

أكشاك أنيقة الصنع والوضع ، تدرجت طبقاتها الثلاث على حضن الشاطئ ! ومظلات شتى الألوان قد ركزت هنا وهناك فى منحدر الساحل ، وجمع حاشد عار كسوق الرقيق فى ألف ليلة وليلة

قد يعثر أمام الأكشاك وتحت المظلات وفوق الرمال وبين المياه، وصراع لذيذ عنيف بين أمواج البر وأمواج البحر، تتخلله صيحات وضحكات كرنين الفضة المصفاة، وأحاديث كهمس الأوتار تطير من بين الشفاه البواسم: كما تطير أنفاس الصبي الحالم، ولكنها لا تصعد الى حيث يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح! وبيئة أجنبية ناسها غير ناسنا، واحساسها غير احساسنا، ولغتها لغة فرنسا لا لغة مصر، وسمرتها سمرة الشمس، لا سمرة الجنس!!

فعلام اذن هذا الجزع الباكى، والقوم انما يجرون على أعراقهم، ويعملون على مقتضى أخلاقهم، وبين فتياتنا وفتياتهم من العرف الاسلامى حجاب، ومن الحياء الطبيعى وازع؟!

كنت ألقى على نفسى هذا السؤال حين جرجر البحر احدى موجاته الضخام الى أعلى الساحل، فجريت الى فوق أتقى هذا المد المفاجىء، فاذا بى واقف ازاء مظلة جميلة منعزلة، قد انبطحت تحتها فتاة ناهد لم تقع العين منذ الصباح على أكمل منها صورة! وكان ذعر السائرين من هجمة البحر قد لفتها لتنظر، فلما وقع بصرها على نهضت نهضة الظبى الفزع تحيى بالعربية أستاذها القديم!

— أوه! فلانة؟!

— نعم! ويسرنى أن أراك بعد خمس سنين

— هل أنت وحدك هنا؟

— كلا بل معى أخى.. وقد أتعبه صراع الامواج الثائرة فذهب الى (الكابين)

— وكيف حال البك؟

— الحمد لله خير حال! وما أكثر سؤاله عنك وأشد شوقه اليك! لقد كان جالسا بالكازينو ثم انصرف الى البيت منذ قليل

قالت ذلك تلميذتى الارستقراطية المسلمة وهى تنصب كرسيا طويلا من القماش دعتنى الى الجلوس عليه، ثم جلست هى على كرسى آخر، وكانت كأنها حواء لا يستر جسمها العارى الا «ورقتان» خصفتهما عليه، من أمام ومن خلف! فسرعان ما ذكرت ذلك المكتب الفخم الذى كانت تجلس قبالتى عليه لتستعد لامتحان البكالوريا وهى ملففة بثوبها الأزرق الانيق المسبل، وعيناها الساجيتان لا تفارقان الصحيفة حياء وخفرا، وثغرها الحيى الدقيق لا يرسل سهل الكلام الا فى تلعثم وبطء!!

لم تدعنى الآنسة فى ذكراى الا ريثما ردت التحية على فتاة فى مثل حالها وجمالها، كانت تسير فى رفقة شاب شديد السمرة غطى كتفيه شعر كثيف، كصوف الخروف

— هذه ابنة فلان وهذا الذى معها أخوها، وهذه ابنة فلان وهذا ابن عمها، وهذه المضطجعة فى الشمس بنت فلان ومحادثها صديق من أصدقاء أخيها.....

— لولا علمك يا آنسة لحسبت هؤلاء جميعاً أجانب!

— وما الذى يحملك على هذا الحسبان؟

— هيف القد واكتناز اللحم واتساع الحرية

— ذلك من أثر الرقص والرياضة. ستكتب ولا شك عن استاذى شيئاً فى الرسالة!

— وهل قرأت ما كتب عنه؟

— قرأته ولم أسغه، لانه شديد المبالغة سطحى النظر. وأى بأس فى أن تمتع المصرية جسمها كله بأشعة الشمس، وماء البحر كالغربية؟؟

— لا بأس، وأظنها تدرك ذلك كله فى شاطىء خاص وفى لباس مناسب

— ان شمس الشواطىء كما تعلم انما تقصد لخصائص أشعتها. وكلما تعرض أكثر الجسم لها، كان أكثر انتفاعا بها، والامر فى الشواطىء كالامر فى المراقص والمرايض، يهيمن على الحياة فيها روح رياضية عالية، تغنى كل إنسان بشأنه عن شأن غيره. فالراقص لا يفكر الا فى الرقص، والمرتاض لا يفكر الا فى الحركة والمستحم كذلك لا يفكر الا فى الامواج والاشعة

— ابدئى بالمثال قبل القاعدة يا آنسة. اين تجدين الروح الرياضية فى هذه المرأة التى علت صدر هذا الرجل لتتعلم فوقه السباحة؟ وأين تجدين الروح الرياضية فى هذين الجسمين الراقدين على الرمل يتلامسان بشهوة، ويتناجيان بنشوة، وقد امحى من حولهما البحر والشاطىء والناس؟؟

أرى يا آنسة أن المرأة تسىء الى نفسها بهذا التبذل – حتى من الجهة النسوية الخالصة – فانها متى فقدت سحر المحجوب، وجاذبية المجهول، أصبحت كسائر الأناث من سائر الحيوان

عفواً يا آنسة اذا اصطنعت فى خطابك لهجة الأستاذية، فانها لا تزال أقوى الصلات التى أمت بها اليك

ألا تلاحظين أننا فى الجد نتطور ببطء موئس، وفى الهزل نتطور بسرعة جامحة؟! لقد كنا بالأمس نتجادل فى السفور، وها نحن أولاء اليوم نتجادل فى العرى!!

أستودعك الله يا آنستى! وأسلم على أبيك وأخيك

ثم أخذت طريقى على الشاطىء الشهوان وفى نفسى كلام حبسته! على أن من الظلم الموروث أن الرجل يشارك المرأة فى الذنب ثم يفردها بالعقوبة! فالأب يقود ابنته عارية الى الشاطىء، والزوج يجلس مع زوجه عارية على المقصف؛ والأخ يتعرى مع أخته فى الكشك والبحر، ثم يندلع لسان النقد على المرأة وحدها فيتهمها بخنق الفضيلة ويرميها بذبح الخلق!!

ياقوم، لقد فتشتم فى الشواطىء كثيرا عن حياء المرأة، ففتشوا فيها ولو قليلا عن نخوة الرجل!!

الاسكندرية

احمد حسن الزيات

الأمل اليائس

للدكتور طه حسين

ولدت فى آخر القرن السابع عشر سنة ١٦٩٧ . وماتت فى آخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٠ ، وجمعت لنفسها من مزايا هذين العصرين . ما جعلها أبرع الناس أدبا وأشد الناس شكا ، وأوسع الناس أملا ، وأقتم الناس يأسا ، وأظهر الناس فرحا ، وأعمق الناس حزنا . ولكني أنسيت أن أسميها . وقد كان يجب أن أبدأ بتسميتها هذا الحديث . فهى مارى دي فيشى شمبرند Marie de Vichy Champrond التى يعرفها تاريخ الآداب الفرنسية باسم مدام دى ديفاند Madame du Deffand .

كان مولدها ونشأتها فى هذه السنين القاتمة التى ختمت حكم لويس الرابع عشر . وأدركها اليتم طفلة فارسلت الى دير من هذه الأديرة التى كان يرسل اليها بنات الأغنياء . وكانت أسرتها عريقة فى الشرف والنبل ، متقدمة فى خدمة الدولة . محتفظة بمكانة رفيعة بين أشراف الأقاليم . وكانت هذه الاسرة من أشراف بورجونى Bourgogne وأهل هذا الأقليم من فرنسا معروفون بالنشاط القوى وحدة الذهن . وذلاقة اللسان ، وحب الحياة ، وإيثار ما تقدمه الى الناس من لذات . فلم يطل مقام هذه الصبية فى ديرها الارستقراطى حتى ظهر من حديثها وسيرتها ما أقلق الاسرة . وأقلق رئيسة الدير . ويجب أن يكون هذا الذى ظهر من سيرتها وحديثها خطيراً جداً . فلم تكن أسر الاشراف لتقلق من شىء يسير . ولم يكن أهل الاديرة ليضيقوا الا بالشىء الذى لا يطاق . ذلك بأن حياة الناس فى ذلك العصر كان قد أخذها الفساد الخلقى ، من جميع نواحيها ، حتى استهانوا بكل شىء ، وتجافوا عما لم يكن يتجافى الناس عنه الا فى مشقة وعنف . وحسبك أن تعلم أن الاديرة كانت قد استحالت فى ذلك العصر الى قصور فخمة يلهو فيها من أبناء الأشراف وبناتهم من لم تسمح له ظروف الحياة بالعمل فى السياسة أو فى الجيش ، ومن لم تتح لهن ظروف الحياة أن يظفرن بالزوج . وكان بنات الأشراف خاصة يتخذن من هذه الاديرة دوراً للعبث واللهو ، يسترن ذلك بستار رقيق من اسم الدين . ولم يكن ليتحرجن من استقبال الزائرين والزائرات ، ولا من اقامة الحفلات الراقصة ، بل كان الرقص والموسيقى جزأين أساسيين من برنامج التعليم الذى كان يلقى اليهن فيها : فاذا استطاعت صبيتنا هذه أن تزعج اسرتها ، ورئيسة الدير بما أظهرت فى سيرتها و أحاديثها من خروج على التقاليد . فيجب أن تكون قد أتت أمراً عظيما . وهى قد أتت أمراً عظيما حقا ، فقدكانت تجادل فى الدين ولما تبلغ الثانية عشرة ، وكان جدالها هذا خطرا مخيفا . لأنها كانت تنكر أصول الدين انكارا . وقد استعانت الاسرة ورئيسة الدير على جحود هذه الصبية بعظيم من عظماء الكنيسة وخطيب من أبرع الخطباء فى عصره وهو ماسيون Massillon فدعى هذا الحبر للقاء هذه الطفلة ومحاورتها ، فلما رآها سمع لها وتحدث اليها وانصرف عنها يائسا وهو يقول انها لظريفة. فلما سألته رئيسة الدير عما تصنع لردها الى طريق الحق أطال الصمت ثم قال : ضعى فى يدها كتابا من أرخص كتب الدين ، ثم لم يزد على ذلك شيئا . وذكرت الصبية حين تقدمت بها السن حوارها مع هذا الحبر العظيم ، فقالت : إن عقلى قد اضطرب أمام عقله ، وقالت انى لم أذعن لحجته وانما أذعنت لجلاله ؛ ومعنى ذلك أن الخصمين التقيا فلم يقنع أحد منهما صاحبه ، ولكن أكبر كل منهما صاحبه . فلما بلغت هذه الفتاة العشرين أو جاوزتها قليلا ، زوجت من رجل شريف ، عظيم الخطر ، من حكام الاقاليم . ولكنها لم تكد تقضى معه اشهراً حتى أنكرته وضاقت به وكرهت عشرته كرها شديدا . وكانت تقول عنه إنه يبذل أقصى ما يستطيع ليسوءك ويصرفك عنه . على أنها قد اقنعته بالرحلة الى باريس . ولم تكد تصل الى هذه المدينة وتستقر فيها حتى اندفعت فى حياة اللهو والعبث ، اندفاعا لفت اليها الناس ، وجعلها موضوع الاحاديث فى هذه المدينة الباسمة اللاهية . وكان لويس الرابع عشر قد مات ، وكان أمر الدولة الى الوصى الذى أقيم على الملك ، الصبى لويس الخامس عشر . وكان هذا الوصى صاحب لهو لاحد له ، وصاحب مجون وعبث لاحد لها أيضا . وكان الناس قد ساروا سيرته كأنما أرادوا أن يعوضوا ما فاتهم فى تلك الايام الحزينة التى ختمت حكم الملك الشيخ ، وما أسرع ما اتصلت صاحبتنا بقصر الوصى واشتركت فيما أقام فيه من حفلات ، ثم اتصلت بالوصى نفسه ، وأصبحت له خليلة ولكن حبه لها لم يتجاوز خمسة عشر يوما . على أنها قد ربحت من هذا الحب القصير ستة آلاف من الجنيهات الفرنسية ، تصرف لها فى كل عام ما امتدت لها الحياة . واسرفت صاحبتنا فى اللهو حتى أنكرها أصحاب اللهو من أهل باريس ، وحتى ساءت الصلة بينها وبين زوجها ، فافترقا دهراً ثم كان بينهما صلح لم يطل ، وعادا الى الفرقة . ثم كان بينهما صلح آخر ، قوامه أن يلتقيا على الغداء والعشاء . والا يعيشا معا ، ولكن هذا الصلح نفسه لم يتصل أيضا ، ففرق بينهما . وعاد الرجل الى قصره فى الأقاليم وأقبلت هى على لهوها فى باريس لا تدع

فما من فنون العبث الا أخذت منه بحظ عظيم . على أنها لم تكد تجاوز الثلاثين حتى تبينت أن ما هى فيه من الأمر باطل كله . وحتى سئمت اللهو، وعافته ، وأخذت تحس انصراف الناس عنها. فآوت الى أخ لها قسيس أقامت عنده دهراً ثم انصرفت عنه الى أخ آخر لها فى الأقاليم ، ثم عادت مرة أخرى الى باريس . واتصلت بقصر من قصور الأشراف كان يؤوى أكبر من تعرفهم فرنسا وأوربا من الأدباء والفلاسفة . وأصحاب الفن . وفى هذا القصر ظهرت قيمتها الأدبية ، واستكشفت براعتها فى الحديث وتبين الذين عاشروها أنها امرأة ليست كغيرها من النساء . بل ليست ككثير من الرجال ، وانما تمتاز بقلب ذكى ، وعقل قوى ، ولسان فصيح عذب ، ومهارة فى تصريف الحديث لا تبلغ الاعجاب وحده ، ولكنها تبلغ اعجاب المحدثين مهما تكن منزلتهم . ومن ذلك الوقت أخذ أمر هذه المرأة يعظم . وشأنها يرتفع ، لا من حيث أنها امرأة جميلة خلابة . تحب اللهو وتسرف فيه ، فقد كانت فى ذلك الوقت قد بدأت تقصر عن اللهو وتعرى افراس الصبى ورواحله ، كما يقول زهير ، بل من حيث انها امرأة اديبة اريبة يستطيع ان يستمتع بحديثها ، وعشرتها ، وبراعتها ، ذوو العقول . وقد آثرتها صاحبة القصر إيثاراً عظيما حتى لم تكن تصبر على فراقها ، وأحبها فولتير ، وكلف بها منتسكيو ، وأطاف بها أعلام الادب ، والفلسفة من الفرنسيين يستبقون الى مودتها ، وما هى الا أن تتخذ لنفسها داراً فى باريس وتدعو اليها أصدقاءها هؤلاء من الأدباء والعلماء والفلاسفة يسمرون عندها يوم الأربعاء من كل أسبوع ، ثم تضيق هذه الدار بمن يقصد اليها من رجال فرنسا وأوربا على اختلافهم ، فتتحول عنها الى دار أخرى رحبة تستأجرها فى دير من هذه الأديرة الإرستقراطية فى باريس . وفى هذه الدار التى استأجرتها كانت تقيم قبلها مدام دى منتسبان خليلة لويس الرابع عشر ، تلك التى ملأت حياة الملك العظيم لذة وإثما ، وكلفت رجال الدين من حوله مشقة وجهداً ، والتى كانت تؤوى الى هذا الدير من حين الى حين تستغفر الله من خطاياها ، وتضرع اليه فى الوقت نفسه أن يحفظ عليها هذه الخطايا . أقامت صاحبتنا فى هذه الدار ، ونظمت استقبالها لأعلام فرنسا مرتين فى الأسبوع يتناولون عندها العشاء ، ويسمرون الى قريب من آخر الليل ، ويتحدثون فيما شئت من أدب وعلم ، ومن فلسفة وفن ، ومن سياسة وحرب . ولكنها لم تكن تحب أن تشارك الأدباء والعلماء والفلاسفة فيما كان يجرى بينهم من حوار ؛ لأنها كانت تكره الادب والعلم ، وكانت تكره الفلسفة خاصة وتضيق بها ضيقا شديدا ، وكانت تعنى بأشخاص زائريها أكثر مما تعنى بما كان عندهم من علم ، أو أدب ، أو فلسفة . كانت مسرفة فى الشك . وكان إسرافها فى الشك يصرفها عما كان يكلف به الناس فى عصرها من هذه الفلسفة الحرة الغالية التى كانت تعمل فى الهدم . أكثر مما كانت تعمل فى البناء .

وتقدم السن بصاحبتنا وقدمات زوجها وأصبحت حرة حتى أمام القانون ، وقد جدت فى تنظيم حياتها وانصرفت عن اللهو والمجون الى حياة الجد ولذة الحديث والسمر . ولكنها على ذلك اتخذت لها خليلا عاشت معه عيشة الأزواج ، لم تكن تحبه ولكنها لم تكن تكرهه . انما كانت تستعين به على احتمال الحياة . كما كانت تستعين بكل شىء على احتمال الحياة . فقلما عرف تاريخ الآداب امرأة ضاقت بالحياة كما ضاقت بها هذه المرأة . بل قلما عرف تاريخ الآداب رجلا ضاق بالحياة كما ضاقت بها هذه المرأة . كانت متشائمة كأشد ما يكون التشاؤم ، وكانت تردد هذه الكلمة التى تقربها من أبى العلاء وهى : إن شر ما ابتلينا به من الشقاء . انما هو الحياة . وكانت تستعين بإسرافها فى المجون والعبث . ثم فى الجد والانتاج الأدبى على احتمال الحياة . ولعلها لم تله . ولم تعبث ، ولم تجد الا لتنسى الحياة وتنصرف عن نفسها ، فقد كانت تكره العزلة وتخافها خوفا شديداً ، فكانت تسهر الليل ، ولا تنام الا قليلا فى النهار ، وتنفق وقتها قارئة أو لاهية ، أو مستقبلة . ولا تكاد تبلغ الخمسين من عمرها حتى يتم الله محنته لها ، وحتى يأخذها الشقاء من كل وجه ، فهذا حجاب رقيق يلقى شيئا فشيئا بينها وبين النور ، ثم يتكاثف هذا الحجاب قليلا قليلا ، وهى تحس ذلك وتجزع له وتلجأ الى الاطباء والسحرة ، والمشعوذين ، فلا تجد عند أحد منهم شيئا . والحجاب يتكاثف ويتكاثف ، حتى يستحيل الى سور صفيق يقطع كل سبب بينها وبين الضوء . واذا هى عمياء .

أفتظن ذلك قد غير من سيرتها أو اضطرها الى شىء من القصد والإعتدال ، ليس من شك فى أنها قد حزنت لذلك حزنا عميقا ولكنه حزن اضيف الى حزن . حفظته فى أعماق نفسها ولم تظهر منه للناس شيئا . أنما كتبت الى بعض أصدقائها من أعلام الادب والسياسة تنبؤهم بهذه الكارثة فمنهم من رق لها كفولتير ، ومنهم من عبث بها كمنتسكيو ، وكلهم قد مضى فى اكبارها ، والاختلاف اليها ، لم يغير من سيرته شيئا كما لم تغير هي من سيرتها شيئا . فظلت مائدتها تقام يوم الاثنين والاربعاء من كل أسبوع . وظلت تختلف الى الاوبرا والملاعب ، وتشترك فى الحفلات كما كانت تفعل من قبل . واتخذت

«البقية على صفحة ٤٠»

بين اليأس والرجاء

للأستاذ احمد أمين

صوتان لابد أن يرتفعا فى كل أمة ، ويجب أن يتوازنا حتى لا يطغى أحدهما على الآخر، صوت يبين عيوب الأمة فى رفق وهوادة ، ويستحث على التخلص منها والتحرر من قيودها ، وصوت يظهر محاسنها ويشجع على الاحتفاظ بها والاستزادة منها . والصوتان معا إذا اعتدلا كونا موسيقى جميلة منسقة تحدو الأمة الى السير إلى الأمام دائما . هى موسيقى الجيش تبعث الرجاء والأمل ، وتمنى بالنصر والظفر . فان بغى أحد الصوتين كانت موسيقى مضطربة تهوش النفس وتدعو إلى الفوضى والارتباك ، وإذا كان « الدور » فى الموسيقى يكون منسجما كله ، ويشذ أحد أصواته لحظة فيكون « نشازا » يخدش السمع ويجرح النفس ، فما ظنك « بدور » كله « نشاز » ؟

***

مما يدعو إلى الأسف أن صوتا فى الشرق علا كل صوت ، وهو ليس خير الأصوات واحبها إلى النفس ، هو صوت اليأس والتثبيط يتغنى به كل أصناف الدعاة . فخطيب المسجد تدور خطبته دائما على أن من يخطبهم ليسوا مؤمنين حقاً ، فقد ارتكبوا من الأوزار ، واجترموا من الآثام ما أخرجهم عن الايمان الحق ، وأبعدهم عن الدين الصحيح ، ولو آخذهم الله بأعمالهم لأمطرهم حجارة من السماء ، أو خسف بهم الأرض ، ثم يصب هذا المعنى كل أسبوع فى قالب ، وكل القوالب تختلف أشكالها ، ويتحد معناها ، ويخرج السامع دائما وقد ملأه اليأس ، وانقطع به الرجاء ، الا أن يتداركه الله بعفو ليس جزاء على عمل .

ودعاة اللغة والأدب يلحون فى أن اللغات الأجنبية خير من اللغة العربية ، وأن الأدب الأجنبى أدب الثقافة والفن والعلم ، ولا شىء من ذلك فى الأدب العربى ، وأن من شاء أن يفتح عينيه فليفتحهما على أدب أجنبى ولغة أجنبية ، وإلا ظل أعمى ، وموجز دعوتهم أن يتحول الشرق فى لغته وأدبه إلى الغرب فى لغته وأدبه ، لا ان يختار من لغة الغرب وأدب الغرب ما تلقح به لغة العرب وأدب العرب .

ودعاة الاجتماع أدهى وأمر ، فليس فى الشرق كله مايسر ، قد جرده الله من كل حسن . فلا طبيعته جميلة ولا مناظره جذابة ، ولا شىء فيه يأخذ باللب ويدعو إلى الاعجاب ، والقمر فى الغرب أنور منه فى الشرق ، والبحر الأبيض قد جمل منه ما لامس الغرب ، وقبح مالامس الشرق ، وكل شىء فى عادات الشرق وتقاليده تعافها النفس ، وينفر منها الطبع ، وعلى الجملة فالله تعالى الواهب ماشاء لمن شاء قد جمع الحسن كله فى ناحية ، وقال له كن الغرب فكان ، وجمع القبح كله فى ناحية وقال له كن الشرق فكان . وهم اذا لم يقولوا ذلك كله جهارا آمنوا به ايمانا ، وصدرت عنه أفعالهم ، واتجهت اليه حياتهم .

ودعاة العلم من هذا الطراز ، فكتب العلم العربى انما تصلح لدارس التاريخ أو طعمة للنار ، وماذا فيها إلا تخريف أو تحريف ، قد كانت نتاج القرون الوسطى ، ونحن نتاج العصر الحديث ـ ومالى وللسياسة ودعاتها فلأهرب منها اتقاء لنارها ـ ومجالسنا صدى لهذا الصوت ، فاذا استثنيت عشر معشارها فكلها نقد للأخلاق ، وطعن فى حياة الشرق ، وتهجم على حال أمتهم ، وتجهم لكل ما يصدر منهم . وقل أن تسمع صوتا ينطق بمدح أو يعجب ببطولة ، أو يتغنى بعمل مجيد .

هذه نغمة مملولة كانت أجنى على الشرق من كل عيوبه ، ولن تفلح أمة من غير ذخيرة تعتز بها ، ومجد طارف وتليد تعتد به ، ونعرة قومية تدعوها الى الفخر والاعجاب . ولأمر ما قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، وليس عبثا أن يكون فى أناشيد الألمان « ألمانيا فوق الجميع » ، وأن يعتقد بعض الأمم فى أنفسهم أنهم شعب الله المختار ، ونحو هذا مما ينعش الأمل ، ويدعو الى العمل .

تلك ظاهرة نفسية لا مجال لانكارها ، فاعتقد الغباوة فى طفلك وكرر عليه اعتقادك تقتل كل مافيه من ذكاء ، واعلن أنه ذكى وشجعه على ما يبدر منه من ضروب الذكاء تستخرج أقصى ماعنده من عقل . وفى المثل الانجليزى « دعوا الكلب

عقورا فشنق ، يعنون أنهم اعتقدوا فى كلب سوءا وسموه عقورا وظلوا يطلقون عليه هذا الاسم حتى صدر منه من أفعال السوء ما استوجب قتله . وفى أمثالنا العامية ، قالوا للفلاح ياحرامى شرشر منجله ، ذلك أن الاتهام يحمل على ارتكاب الجريمة من ناحيتين : من ناحية الايعاز ، فمن اتهمته فقد أوعزت اليه واقترحت عليه العمل ، وأظهرت له الجريمة ماثلة أمام عينه حينا بعد حين ـ ومن ناحية أن أكبر ما كان يمنعه من الشر خوفه أن يتهم بالشر ، فاذا اتهمته فقد كان ما يخشاه ، وأقدم على ما كان يتحاماه ، هذا الى ما يوحيه الاتهام الدائم من شعور باطنى يسيره نحو العمل وفق الاتهام ، وهذا هو السر فى أن بعض قوانين تسن لمعاقبة بعض أنواع الأجرام فتكون سببا لكثرة الأجرام ، ثم ترفع فيقل الأجرام ، لأن وجود القوانين كان موعزا بارتكابها ـ ولعل أنواعا من الآثام زادت بكثرة الكلام فيها من جهلة الوعاظ ممن لم يحسنوا دراسة النفوس وقوانينها

إذا سقط الفتى فأريته أن سقطته قابلة للعلاج ، وأخذت بيده لانتشاله ، كفر عن سقطته وعاد الى حاله ، وان أنت أريته أن سقطته لا تغتفر ، وأنه لم يصبح انسانا استمر يسقط أبدا ـ وكثير من الساقطين والساقطات لو أحسوا فى الناس استعدادا لقبولهم ، وشعروا أنهم يفسحون لهم فى صدورهم لعدلوا عن سقطهم ، ونهضوا من عثرتهم .

***

وبعد فليس الشرق بدعا من الخلق ، إن إعتز أحد بماض فليس أمجد من ماضيه ، وان كان لكل أمة غربية محاسن ومساو فللشرق محاسنه ومساويه . وإن كانت مساوى الغرب لم تمنعه من نهوضه فلم تمنع الشرق مساويه من نهوضه ؟ ليس أعوق للشرق من هذا الصوت الكريه يصدر من دعاته فيبعث اليأس وينفث السم .

أيها الدعاة : كسروا قيثارتكم هذه التى لا توقع إلا نغمة واحدة بغيضة ، واستبدلوا بها قيثارة ذات ألحان صنعها طب بأدواء النفوس عليم ، واكثروا من الحان تبعث الأمل ، وتدعو الى العمل ، وتزيد الحياة قوة ، ولا تشهروا برذيلة الا اذا أشدتم بفضيلة ، ولا تسمعونا صوت المعاول ، الا اذا أريتمونا حجر البناء .؟

ستانلى باى!

لأستاذ كبير

لم يشأ أن يتعرف لقرائنا اليوم

نعم هو ستانلى باى الذى تكتب عنه الآن الجرائد اليومية كل يوم .. والذى تكتب عنه المجلات الأسبوعية كل أسبوع . . .

فما للرسالة لا تساهم فى حديثه وقد أصبح حديث جميع من فى مصر . . ؟

أفليس هو الذى يزوره (الأستاذ الصاوى) فيتكلم عنه فى (الأهرام) يومين متتاليين ؟

أليس هو السر فى (قطر الندى) كما يسميه أهل الاسكندرية الظرفاء . وهو نفس ما يسميه مدير السكة الحديدية (قطار البحر) ؟

أليس هو الذى حرمته القاهرة فقام فانوها من مديرى المسارح والصالات ينقلون مشاهده الى مسارح القاهرة ؟

أليس هو الذى يشغل بال حكمدار بوليس الاسكندرية ورئيس نيابة الاسكندرية ؟

ثم أليس هو الذى استلفت أخيراً نظر رجال الدين ، على رغم ما هم آخذون فيه من توزيع (الطوابع) الجديدة التى ابتكروها لاسترداد هيبة الأسلام واعلاء كلمة الدين ؟!

إن الرسالة وقد جعلت مهمتها أن تقاوم حيرة الأمة بتوضيح الطريق كما جاء فى عهدها ، لا تستطيع أن تفتك من قيود التحدث الى الأمة فى هذا الموضوع الذى يشغل الدنيا والدين على السواء !

ولقد كان من حق قراء (الرسالة) أن ينتظروا كلمة من بعض أقلامها المعهودة أو تعليقا من حامل شعلتها الوضاءة . ولكن يخيل إلينا أن هذه الأقلام قد استراح كل منها الى موضوع فهو لا يفتأ يتقلب فيه ، وقد أستقل كل منها ببحث فهو لا ينفك يجول فى حواشيه ، فالدكتور عزام مثلا فى محمد اقبال وعبد الحق حامد وناموق كمال . والأستاذ العبادى ما بين زرياب وعمر بن عبد العزيز . والأستاذ أمين أخيرا فى عكاظ والمربد . والدكتور طه أخيراً أيضا فى لغو الصيف ما بين مصر وما وراء مصر ... ولكن لا عن طريق ستانلى باى والسلام !

فلم يبق بعد ذلك الا أن يتقدم الفضوليون الذين لا يريحون ولا يستريحون . وإنى أعوذ بالله ـ وأنا أثير هذا الموضوع ـ أن أكون أحد هؤلاء . . .

كنت من رواد هذا الشاطىء منذ نحو عشرة أعوام . ومازلت أزوره كل عام . فأقسم لك صادقاً أن لست أدرى فيم هذه الضجة التى بدأت تقوم حوله فى هذه الأيام ؟ . . .

لقد كان الطريق اليه فيما مضى متعباً مترباً . فتعبد واستقام . وكان شاطئه مجهداً مرهقاً فى السير لغزارة رماله ، فقام الى جانبه افريز ممهد سهل يجعل السير فوقه متعة من متع الحياة . وكانت (الكبينات كذا) على غير نسق . يقوم فيها الكبير الى جانب الصغير ، والوجيه الى جانب القمىء ، والعالى المشرف الى جانب المنخفض الوضيع . فتناوله الذوق السليم بالتهذيب حتى أصبح فى صورته الحالية درجات متماثلة بعضها فوق بعض كأنه القلادة الفرعونية تزين صورة ذلك الشاطىء الجميل .

هذا هو الشاطىء نفسه ما بين يومه وأمسه . . .

أما أهله فهم هم أهل « ذلك » الزمان . وأما زيهم فهو زى « هذا » الزمان ! فمن أراد أن يثور بالشاطىء فلست أدرى لم لا يثور بكافة الطرقات التى تغشاها السيدات ؟ وهل أنت ترى فوق ذلك الشاطىء إلا من ترى فى الترام وفى غير الترام من مسالك الاسكندرية وشعابها ؟ إنهم وحق أبيك ليس فيهم من خلق جديد ، ولكنهم يبدون فى الطريق بزى الطريق وينزلون إلى البحر فى زى البحر . فانظر أية الزينتين أدعى للفتنة وأيتهما أقرب الى الفجور ؟ . . .

هذه سيدة فى عربة الترام تراها وثوبها يغطى جسمها ـ وقبعتها تغطى رأسها ـ وحذاؤها يغطى رجليها . فهل حقيقة تغطى شىء من ذلك ؟

ألست ترى تحت القبعة شعراً مصفوفاً ، وجدائل بعضها يتدلى فوق الأذن . وبعضها يزين الجبهة . وبعضها يمر فوق الخد لتلعب ضدية الألوان دورها فى إبراز محاسن العنصرين . . . اشراق الوجنة . ونعومة الخصل ؟ !

ثم انظر ماذا فعل الثوب بالجسم ؟ ألم يفصله تفصيلاً ؟ ألم يلف بمنطرحه وينهض بمسترخيه ؟ ويضغط هنا وينسدل هناك ؟ ثم ينشق فوق الصدر تلك الانشقاقة الماكرة التى يبدو منها انفلاق الثديين ! إنما مثل هذا الذى يفعله الثوب فى جسم صاحبته كمثل المعلم الذى يمسك (بمؤشره) فيؤشر به لتلاميذه على هذا الموقع من الخريطة حيث « مجمع البحرين » وعلى ذلك حيث « مفرق الجبلين » وهكذا . . . .

إن كل قطعة فى لباس المرأة العصرية إنما يؤدى اليوم غرضاً واحداً هو إبراز ذات المحاسن التى كان المقصود به أن تسترها .

أما اعتبارات الجد والاحتشام وما إلى ذلك من تلك الأغراض التى اتخذ الانسان الأول من أجلها اللباس فقد انطوت مع أهلها ومع زمانها . . . . .

ثم دعنى أعود بك الى الحذاء . أفلا يتخذه النساء الآن مخرماً مهلهلاً مثقباً ؟ وهو على الرغم من كل ذلك يلبس فوق الجلد بغير جوارب أو نحوها .

فحدثنى بعد هذه الصورة وكن صريحاً . . أى المنظرين أشهى للعين وألفت لنظرها ؟ أهى القدم الحافية أم المستورة تحت مثل هذا الحذاء المفضوح ؟ أهو الجسم الصريح البادى على علاته أم ذلك المرائى المتحصن فى كل تلك الغلائل . . . هذه تبرز نهديه . . . وتلك تضغط كشحيه . . . وغير هذه وتلك من الخرق والمزق التى تغريك كل قطعة منها بكشف ما دونها ومعرفة ما وراءها !

إن ما يثير الرجل من المرأة ليس هو ظهرها المتجرد ، ولا هى سيقانها العارية . ولكنها نظرتها الساجية التى ترخيها فى وجه الرجل كأنما تدافعه عن نفسها وهى إنما تراوده بها عن نفسه !

وليست المرأة العارية هى التى تبعث الفتنة ، فقد علمنا أن فى هذه الدنيا قبائل كاملة يعيش نساؤها عاريات وسط الرجال . فلم نسمع بأن ذلك كان مدعاة إلى أن يتخطف الرجال بعض هؤلاء النساء . ولا أن تشيع الفتنة والفساد فى تلك البيئة بسبب هذا العراء . ولقد علمنا من الجانب الآخر بأن الفتنة على شر ما تكون هنا فى طرقات القاهرة والاسكندرية حيث (الملاءات) التى تنسدل من الرأس إلى القدم ، ومع ذلك فأنها لا شأن لها إلا أن تحسر الأرداف ، وتنحسر عن بعض السيقان ، تبدى جانباً منها وتضن بالجانب الآخر ، إمعاناً فى الفتنة واستفزازاً للغرائز

* * *

أنى أحدثك صادقاً أن الرجل يكون فى البحر أو فوق الشاطىء تموج حوله السيقان ، وتصطخب الأثداء ، وتتلألأ الظهور ، وتترقرق النحور ، فلا يشغله كل ذلك بمثل ما يشغله فى الطريق وقوف امرأة تميل على جوربها ترفعه ، أو انشغال أخرى بذيل ثوبها ترخيه على ساقيها بعد إذ هفا به من فوقهما النسيم

* * *

وعلى الرغم من كل ذلك فأن النيابة . . . والبوليس . . . والصحافة . . . ورجال المطافىء . . . ورجال الدين . . . كل أولئك يعلنون الحرب عواناً على . . . « شاطىء ستانلى باى »

« مضطاف »

أحياء ذكرى ابن خلدون

نشر الأستاذ محمد عبدالله عنان فصولاً في الرسالة أرّخ فيها العلامة ابن خلدون، فكانت هذه الفصول ولا غرو خير ما كتب في تاريخ هذا العلامة، بيد أن الأمر الذي يرجوه الناس ودعا اليه الصحافي العجوز في مايو سنة ١٩٣٢ بالأهرام لم يتحقق ولم نصل اليه .

دعا هذا الصحافي الفاضل الى أحياء ذكرى ابن خلدون لكي ينتفع هذا الجيل وما بعده بهذه الذكرى الطيبة ، وقام الكتاب على أثر ذلك يبينون ما نعمل لأحياء هذه الذكرى ، وكان من رأي الأستاذ احمد زكي باشا أن ينصب له تمثال ، وأن يبحث عن قبره ليشيد . وكان من الآراء القيمة النافعة ان يطبع تاريخ ابن خلدون ومقدمته وينشرا على الناس بنفقات طبعهما . وهذا الرأي كان خير الآراء وانفعها ، وقد انقضى عام وبعض عام بغير ان نرى أحداً قد نهض لأحياء هذه الذكرى .

ولقد كنت قرأت في صيف سنة ١٩٢٣ للمرحوم تيمور باشا بحثاً في الهلال ، أبان فيه انه لا يوجد في ماطبع من مقدمة ابن خلدون طبعة صحيحة ، وأنه رأى بخزانة الأستاذ زكي باشا نسخة مخطوطة صحيحة بقلم ابن خلدون نفسه ، فرجعت الى احمد زكي باشا لأسأله عما قال تيمور باشا فأجاب بأن لديه حقيقة نسخة مخطوطة مصححة بقلم ابن خلدون . وأنه في سنة ١٩٣٠ أتى بصورتها عن النسخة الأصلية الموجودة بمكتبة عاطف افندي بالأستانة ، وزاد على ذلك بأنه يدعو من يشاء الى طبعها ونشرها . ولما استيقنت من وجود هذه النسخة أرسلت خطاباً الى رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر رغبت اليه أن تعمل اللجنة على نشر هذا الأثر الجليل ، فرد على حضرته في اغسطس سنة ١٩٢٧ بأن اللجنة تضع اقتراحنا موضع البحث ، ففرحت بهذا الجواب وجعلته بشرى أذعتها بجريدة المقطم الغراء بين الناس . وها قد انقضى ستة أعوام كاملة بغير ان يتحقق مارجونا .

ولما كان من أغراض اللجنة الموقرة نشر الكتب القيمة ، وليس من شك في أن تاريخ ابن خلدون بمقدمته الموجودة بالخزانة الزكية هو خير ما ينشر من كتب الأوائل في هذا العصر ، فاني أعيد الرجاء على صفحات الرسالة الى هذه اللجنة الموقرة ، لتعمل على طبع هذا التاريخ ومقدمته ، ويكون ما كتبه الأستاذ عنان تصديراً لهذا التاريخ ، وبذلك تكون اللجنة قد أدت للعلم والأدب أجل عمل ، ولابن خلدون أجمل ذكرى ؟

محمود أبو ريه

دائرة المعارف الاسلامية

أنكم بترجمتكم لدائرة المعارف الاسلامية تؤدون أكبر خدمة للاسلام »

عزّ طوسون

(من حديث لسموه مع أعضاء لجنة الترجمة)

« ... إن لم تكن أعظم عمل علمي قامت به مصر فانه من أعظم أعمالها »

خليل مردم

(عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)

— يجب أن يقرأها كل شرقي —

١) لأنها أوسع قاموس تناول تراث الاسلام وما يتصل به .
٢) لأن شيوخ المستشرقين هم الذين قاموا بتأليفها وإصدارها .
٣) لأنها تمتاز بأسلوبها العلمي ووفرة ماذكرته من مصادر عقب كل بحث .
٤) لأن اللجنة القائمة بالترجمة تتحرى الدقة والامانة في النقل .
٥) لأن الذين يقومون بالشرح والتعليق والرد هم قادة الفكر في مصر والشرق العربي
٦) لأنها أنموذج جديد في شكلها وطبعها وطريقة إصدارها .
٧) لأن هذا العمل صادف القبول والتشجيع من جميع الهيئات العلمية والدينية في العالم العربي
٨) لأن قيمة الاشتراك زهيدة جداً .

عن ستة أعداد داخل القطر : ٤٠ قرشاً صاغاً مصرياً
« « « خارج « : ٧٠ قرشاً صاغاً مصرياً

٩) يظهر العدد الأول في أول أكتوبر القادم . عدد النسخ المطبوعة محدود . ترسل الاشتراكات اذن بوستة برسم أمين صندوق اللجنة ابراهيم زكي خورشيد   مقر اللجنة : ٣٣ شارع قصر النيل بمصر

مطالعات فى التصوف الاسلامى

تمهيد — كشف المحجوب — عوارف المعارف

— ١ —

١ — يمتاز العصر الذى نعيش فيه بانه عصر نهضة فكرية تناولت الحياة العامة والخاصة للافراد والجماعات ويمتاز هذا العصر أيضاً بما استحدث فيه الباحثون من مناهج علمية لها قيمتها وأثرها فى كشف الحقيقة التى يقصد اليها كل باحث . على أن هذه النهضة مهما تكن عامة شاملة . وهذه المناهج العلمية الحديثة مهما تكن دقيقة منتجة ، الا أننا لا نزال نرى أن فى تاريخ الفكر الاسلامى ناحية خصبة ممتعة طريفة قد أعرض عنها الباحثون من الشرقيين اعراضا هو أقرب مايكون الى الاهمال الشنيع منه الى أى شىء آخر . على حين ترى الباحثين من المستشرقين قد عنوا بهذه الناحية عناية خاصة فائقة . فكشفوا عن خباياها وأظهروا ما اشتملت عليه من فكر عميق وشعر رقيق . وأحسوا بما تثيره فى نفوسهم هذه الآثار من متعة عقلية ولذة شعورية . هذه الناحية التى أهملها الشرقيون وعنى بها المستشرقون هى ناحية التصوف الاسلامى وما أنتج فيه من مؤلفات لها مكانتها الأدبية . وقيمتها الفكرية بين ما أنتج العقل البشرى عامة ، والعقل الاسلامى خاصة .

وليس أدعى للأسف ولا أبعث على الحسرة من أنك اذا أردت أن تعرف شيئا عن تاريخ التصوف الاسلامى : نشأته وتطوره ، وان تلم الماما كافيا بمن ظهر من متصوفة المسلمين فى عصور الإسلام المختلفة ، وما صدر عن هؤلاء المتصوفة . من شعر ونثر واشارات وإيماءات تلتمس هذا كله عند المستشرقين فى لغاتهم الأوروبية المختلفة . وتلتمس هذا كله بصفة خاصة عند ماسينيون فى الفرنسية وعند نيكلسون فى الانجليزية . وأنت لاشك واجد عند هذين العالمين ما تطمع فيه من بحث منظم وأسلوب على دقيق ، وتصوير جميل بديع لهذه الشخصيات الفذة العجيبة التى ظهرت إبان العصور المتعاقبة لتاريخ التصوف الاسلامى . وانك حين تتصفح كتابا من كتب المستشرقين فليس من شك فى أنك ستعجب بمهارتهم الفائقة فى البحث وبمقدرتهم الغريبة على جمع الأخبار ولم شعث الآثار وتحقيقها على ضوء المنهج العلمى الحديث بحيث ينتهون من هذا كله الى الحقيقة الثابتة التى لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها . وليس من شك أيضاً فى انك ستقدر ما بذل هؤلاء القوم من جهد ، وما تحملوا من مشقة وألم فى سبيل اخراج ما أخرجوا من ابحاث منظمة وأسفار قيمة .

وليس أدل على عناية المستشرقين بالحضارة الاسلامية عامة وبالتصوف خاصة من أن أحدهم وهو العالم الكبير والباحث الجليل المسيو لويس ماسينيون قد قضى أعواما طوالا يجوب فيها البلاد الاسلامية المختلفة باحثا عن نصوص صوفية لم يسبق نشرها ، وقد وفق فيما قصد اليه توفيقاً عظيما كانت ثمرته هذا الكتاب القيم المسمى « مجموعة نصوص لم يسبق نشرها تتعلق بالتصوف الاسلامى » . ناهيك بأن المسيو ماسينيون قد تعرض الى بحث شخصية قوية جداً وغريبة جداً من شخصيات التصوف الاسلامى وأعنى بها شخصية الحلاج . فكانت ثمرة بحثه هذا السفر الضخم حقاً . الخالد حقاً ، فى تحليل شخصية الحلاج ونفسيته . والابانة عن مذهبه وعن رأى المدارس الاسلامية المختلفة فيه . وليس أدل على عناية المستشرقين أيضاً بهذه الناحية القيمة الممتعة من انهم قد عمدوا الى ما أنتج المتصوفة من مؤلفات فاوسعوها درسا وتحليلا . وما هى الا أن تناولوها بالترجمة الى لغاتهم وشرحوها وعلقوا عليها . وما هى الا أن طبعوها وأذاعوها فى الناس . وما هى الا أن قرئت هذه المؤلفات وفهمت ونوقشت . وانتهى هذا كله الى أن اختلف المستشرقون حول هذه الكتب فنهم من تعصب لها ومنهم من تعصب عليها ومنهم من رأى فيها رأيا غير الذى يراه غيره . ومن هنا كثرت المؤلفات الأوربية فى التصوف . على حين انك اذا أردت أن تعثر على كتاب فى العربية يعطيك صورة واضحة جلية لنشأة التصوف وتطوره فى الاسلام فانك لن توفق الى بغيتك . ذلك لأن الشباب المثقف عندنا قد ضاق صدره بكتب التصوف القديمة كما ضاق بغير كتب التصوف من الآثار الاسلامية وغير الاسلامية ، فأنت اذا طلبت الى شاب مصرى مثقف أن يطالع كتابا عربيا قديما فى التصوف فمن المؤكد أنه لا يكاد يقرأ منه فصلا — استغفر الله — بل أنه لا يكاد يقرأ منه صفحة أو صفحتين حتى تضيق نفسه . ويحرج صدره . ويستولى عليه الملل والسأم . فيلقى بالكتاب القاء على أن لا يعود اليه مرة أخرى . ولعل عذره فى ذلك هو أن ما تكلفه قراءته وما تحمله مشقة مطالعته انما هو كتاب مختلط مضطرب لم ترتب أبوابه . ثم هو ضخم طويل ان عرف أوله فقد لا يعرف آخره . وأكبر الظن أن شبابنا حين ينظر الى الآثار الاسلامية هذه النظرة التى هى أقرب الى الازدراء منها الى أى شىء آخر . أقول ان شبابنا مسرف على نفسه وعلى الحضارة الاسلامية . مسىء الى نفسه والى الحضارة الاسلامية . ولو قد تجمل

بالصبر على مايقرأ وتضرع بالثبات امام مايقرأ . واستعان بالفهم المستقيم لما يقرأ . لاتنهي منه الى ما يشبع رغبته ويرضي حاجته العقلية والشعورية . واذن فما أجدر شبابنا المثقف أن يعمد الى هذه النواحي المهملة من تراثنا المجيد فيتناولها بحثا و تحليلا ، وتفسيرا وتأويلا ، بحيث يخضعها لمناهج البحث الحديث فهي كفيلة بأن تكشف له عن وجه الحق فيما يقرأ ، وهي كفيلة بأن تشعره بما في قراءته من لذة قوية ومتاع خصب .

وأحب أن أحدثك في سلسلة من الفصول عن التصوف الاسلامي . فأتناول في بعضها الحديث عن بعض المؤلفات الصوفية التي أودعها أصحابها مسائل التصوف ونظرياته . وأتناول في بعضها الآخر تحليل بعض الشخصيات القوية التي ظهرت في تاريخ التصوف الاسلامي فكان لها أكبر خطر وأعظم أثر . وبهذا أكون قد قمت بجزء من الواجب على كل شاب مصري مثقف أن يقوم به نحو هذا التراث الاسلامي المجيد . وأحب بعد هذا كله أن أتناول في هذا الفصل كتابين عني بهما المستشرقون فترجموهما الى لغاتهم ، وذلك لأن هذين الكتابين يعدان من أهم الكتب التي تظهرنا على المسائل الصوفية ، والاشارات الباطنية ، وما ينسب الى المتصوفة من أقوال في هذه الاشارات وهذه المسائل . هذان الكتابان أحدهما « كشف المحجوب » للهجويري . والثاني « عوارف المعارف » للسهروردي .

٢ - أما مؤلف « كشف المحجوب » فكان معاصرا للقشيري الصوفي الفارسي الذي عاش بنيسابور وتوفي عام ٤٦٥ هـ (١٠٧٢م) والذي يعرف بمؤلفه المشهور « الرسالة القشيرية » . ولم تكن لكشف المحجوب هذه الروح النقدية المؤسسة على قواعد علمية راسخة ، فهو كتاب من هذه الكتب التي يمتاز مؤلفوها بالقدرة على جمع المسائل الصوفية وأخبار المتصوفة ، ووضعها في أقسام وأبواب . هذا فضلا عن أن هذا الكتاب قلما يذكر فيه شيء عن تواريخ الأشخاص الذين يتحدث عنهم . ولعل أكثر مايذكر لك عن الشخص الذي يعرض له قولا أو قولين من هذه الاقوال التي تنسب اليه . وانه ليكتفي بهذا القول أو بهذين القولين فيعمد اليهما بالشرح والتفسير ولكنه شرح غامض وتفسير مبهم . ومن الحق كل الحق ألا يثق الباحث المدقق ثقة تامة بكل ماينسب الى المتصوفة من أقوال وماينسب حولهم من قصص كتلك التي يذكرها الهجويري في كتابه . وانما هو مضطر على العكس الى ان يخضع هذه الاخبار وهذه القصص وهذه الاقوال الى البحث العلمي الصحيح فينكر بعضها حين يلزم الانكار ويشك في بعضها الاخر حين يجب الشك . ويرجح طائفة منها اذا كانت هناك حاجة الى الترجيح ويؤكد طائفة أخرى حين لايجد الشك سبيلا الى ما يؤكد بحيث ينتهي من هذا كله الى الحقيقة الثابتة الراسخة التي لا تقبل شكا ولا تحتمل جدلا . واذا كنا نلمس في تضاعيف المؤلفات الصوفية امورا من شأنها ان تحملنا على التفكير وتدعونا إلى الشك فلابد لنا من أن نقف من هذه المؤلفات موقفا ان لم يكن موقف المتشكك المرتاب . فلا أقل من أن يكون موقف المحقق المدقق الذي لايبغي من وراء تحقيقه وتدقيقه الا وجه الحقيقة خالصا صافيا لا تشوبه شائبة . ولعل الهجويري نفسه قد قدم لنا مثلا لما من شأنه أن يحملنا على الشك في صحة بعض ما يذكر في كتب التصوف القديمة . فهو حين يتحدث عن الحلوي يقول : « هو مترجم الاولياء المعروف ولكي يفسر المذاهب الصوفية الاساسية فقد نسب الى شخصيات عديدة قصصا الفها هو .... » . ومهما يكن من شيء فتلك مسألة نتركها الآن لنعرض الى تلخيص الكتاب الذي نحن بصدده .

يرجع الهجويري بداية التصوف الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما يذكر تحت اسم (أهل الصفا) فريقا من الصحابة الذين وقفوا حياتهم على التضحية وكانت معيشتهم اقرب الى الأعراض عن الدنيا والزهد فيها ، منها إلى الاقبال عليها والميل اليها . ولعل أشهر هؤلاء الصحابة رجلان : أحدهما بلال الحبشي والآخر سلمان الفارسي .

أما في الجيل الأول من التابعين فاقوى الشخصيات التي ظهرت وذكرها الهجويري شخصية الحسن البصري . وليس ثمة شك فيما لهذه الشخصية من أثر قوي وخطر عظيم في تاريخ الحضارة الإسلامية . فاسم الحسن البصري يذكر على رأس دراسات اسلامية متعددة . فهو يذكر في دراسة القرآن والنحو وعلم الكلام وغير ذلك من فروع الثقافة الإسلامية المتنوعة .

ويذكر مؤلف « كشف المحجوب » بعد جيل الحسن البصري أربعة وستين صوفيا أخذ يعددهم حتى دنا من العصر الذي كان يعيش فيه . وانك تراه يذكر فيمن يذكر من هؤلاء المتصوفه أبا حنيفة وابن حنبل وداود الطائي . أما الصوفيون الحقيقيون ، وبعبارة أدق المتخصصون - فمن بين الذين يذكرهم ذوالنون المصري وابن أدهم والبسطامي . وهذه الأسماء الثلاثة كثيرا مايتردد ذكرها في المؤلفات الصوفية نظرا لما لها من قيمة ولما لعبت من أدوار في تاريخ التصوف الاسلامي . ويذكر الهجويري بعد هؤلاء عشرة من المتصوفة المعاصرين له أشهرهم القشيري . ثم فريقا كان لايزال حيا وقتئذ في الأنحاء المختلفة لبلاد الفرس .

ويأتي بعد هذا كله فصل طويل عن احدى عشرة طائفة صوفية وقد جعل لكل طائفة مقالا خاصا تناول فيه ناحية معينة من مذهبها . ويرى السواد الأعظم أن الخلاف الذي شب بين هذه

الطوائف لم يكن ذا أهمية وانه ليس الا وسيلة يستعان بها على تفسير المذاهب المختلفة . فالطائفة الاولى مثلا تذكر الرضى من بين الأحوال بدلا من أن تجعله بين المقامات . ويعقب الهجويري على هذا بمقال عن الرضى . والطائفة الأخيرة تظهرنا على رأي المتصوفة فى مسألة فلسفية نفسية ذات خطر . ذلك أنها كانت تؤمن بالتناسخ . ومن هنا ترى مؤلف « كشف المحجوب » يذيل كلامه عن هذه الطائفة بمقال عن الروح . وفوق هذا كله فان المؤلف قد بسط مذهب المتصوفة فى صورة أخرى موضوعة فى احد عشر فصلا مثلها فى هذا العدد كمثل الفصول التي سبقتها . وانه ليجعل عنوان كل فصل من هذه الفصول هكذا : « كشف المحجوب الأول والثانى والثالث . . . الى الحادى عشر » والمحجوبات هنا تقابل المسائل الجوهرية للدين الاسلامى (وحدانية الله - الايمان - الوضوء الصلاة . . . الخ) فكل مسألة من تلك لها تفسير صوفى . أو هى بعبارة أخري تقابل فصلا من فصول التصوف . وانك لتلاحظ فى هذا القسم حرية التفسير والتأويل التى اصطنعها المتصوفة فى فهمهم للدين . فأنت ترى مثلا فى صفحة (٣٠١) من الترجمة الانجليزية التي وضعها الاستاذ نيكلسون وطبعتها ونشرتها لجنة احياء ذكرى جب: « الصلاة عبارة عن تعبير يجد فيه المريدون الطريق الموصل لله من البداية الى النهاية . وفيه تنكشف لهم المقامات . والطهارة للمريدين هي التوبة . وأنت حين تولى وجهك نحو القبلة معناه انك تخضع نفسك للدبر الروحى . وأنت حين تصلى واقفا معناه انك تذل نفسك . وتقابل تلاوة القرآن التأمل الباطنى . واطراق الرأس هو التواضع . والركوع والسجود هما معرفة الانسان لنفسه والتسليم هو الانفصال عن الدنيا . ويحل محل الاعتراف بالايمان الأنس بالله » وآية ذلك هى أن كل حركة عملية يمكن تأويلها تأويلا صوفيا وان كل رياضة جسمية تقابلها عاطفة روحية .

* * *

٣ - ولنترك الآن كشف المحجوب لنقف وقفة قصيرة عند الكتاب الثانى الذى أريد أن أحدثك عنه وأعنى به « عوارف المعارف » ويمتاز هذا الكتاب بأنه أكثر تقسيما وأوفر تنظيما من سابقه. ثم هو أقدر على اظهارنا على منشأ العلوم الصوفية والابانة عن آداب المتصوفة ومذاهبهم وأخبارهم وأقوالهم بحيث يمكن اعتباره كتابا تعليميا بكل معانى الكلمة . وليس أدل على قيمة هذا الكتاب من أن ويلبرفورس كلارك قد ترجمه . ومن أن بعض المستشرقين ينظر اليه كانه تحفة أدبية لها قيمتها بين الاسفار العربية الكلاسيكية التي تسودها روح المنطق ويسيطر عليها أسلوب البحث والاستقصاء . ومن أن البارون كارا دى فو قد تكلم عن هذا الكتاب فى مؤلفه عن الغزالى ثم أعاد الحديث عنه مرة أخرى فى كتابه «مفكرى الاسلام» . فهذا كله يظهرك على ما للكتاب من خطر وما فيه من غناء.

أما مؤلف الكتاب فهو شهاب الدين السهروردى أحد أعقاب أبى بكر رضى الله عنه . كان تلميذا لعمه أبى النجيب وللصوفى المعروف عبد القادر الجيلى . وكان شيخا لمشايخ بغداد . التف حوله عدد ضخم من المتصوفة والزهاد. وله غير مؤلفه الذى نحن بصدده طائفة لا بأس بها من الأشعار . مات فى بغداد سنة ٦٣٢ هـ .

وأبو النجيب عم المؤلف الذى أشرنا اليه آنفا صوفى أيضا . أورد شهاب الدين ذكره كثيرا فى كتابه فهو يبدأ كل أبواب هذا الكتاب أو جلها بهذه العبارة : « حدثنا شيخنا شيخ الاسلام » يعنى عمه . وقد كتب عنه ياقوت فى معجمه مقالا بديعا اعتبره فيه أذكى أبناء سهر ورد . سافر فى شبابه إلى بغداد حيث درس الشريعة والفقه . ثم الى أصفهان . وكان يعمل كسقاء ولم يكن يعيش إلا من عرق جبينه . وبعد أسفاره هذه عاد إلى بغداد حيث كان يلقى تلاميذه الذين درسوا عليه الشريعة وحيث تولى رياسة النظامية . ثم قصد بعد هذا الى دمشق سنة ٥٥٨ هـ حيث أولاه نور الدين الزنجانى شرفا كبيرا . وهناك أسس طائفة من الصوفية . ويعقب ياقوت على كلامه عن أبى النجيب بقوله : أن ابن أخيه مؤلف عوارف المعارف كان من أبرز شخصيات عصره لما له من مواهب . ولما كان عليه من صلاح وتقوى . اجله الخليفة الناصر وخلع عليه لقب شيخ مشايخ بغداد . ولهذا الخليفة ألف شهاب الدين السهروردى كتابه عوارف المعارف.

ويقول عنه ابن خلكان فى وفيات الأعيان أنه كان فقيها شافعى المذهب تخرج عليه خلق كثير من الصوفية فى المجاهدة والخلوة وصحب عمه ابا النجيب والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى . . . . ولد بسهرورد فى أواخر رجب سنة ٥٣٩ هـ وتوفى فى المحرم سنة ٦٣٢ هـ .

هذه ترجمة موجزة لحياة مؤلف عوارف المعارف . أما الكتاب نفسه فقد بلغ من الخصوبة والطول بحيث أنه وضع فى أكثر من ستين بابا . ولابد لنا من وقفات عند أهم هذه الأبواب التى بسط فيها المؤلف منشأ علوم الصوفية ، وآدابهم وأخلاقهم واشاراتهم وأحوالهم ومقاماتهم . فكل أولئك مسائل خليقة بالبحث ، جديرة بالدرس . وهذا ما أرجو أن أعرض له منذ الفصل التالى بحيث أكون لديك صورة صادقة لهذا الكتاب تمكنك من أن تتعرف مكانته وتقدر قيمته وتتبين ما له من خطر وما فيه من غناء..

محمد مصطفى حلمى.
ماجستير فى الآداب

الزينـــة

عند قدماء المصريين

أناقة الرجال — الزى والحلاقة والحلى — زوجة النساء — الثياب — الاصباغ — العطور

للأستاذ حسن صبحى

« تلبس ثيابا من الكتان الناعم
وتركب الخيل وتحمل لها السوط الذهبي فى يدك
لك سرج جديد شغلته أيدي الشوام
وتجرى أمامك العبيد يصدعون بما يؤمرون
يدهن جسمك كبير معطريك بطيب الكيمى
وفمك ملىء بالنبيذ والخير......
..... الخ »

« من قصيدة تحية المعلم من الشعر المصرى القديم »

يالها من أناقة وفخامة! ثياب من كتان ناعم! وسوط الركوب مؤشى بالذهب! وسرج جديد من صنع أهل الشام! وعبيد يتأسون يجرون امام السيد المعلم يفسحون له الطريق ويصدعون لما يأمرهم به! وعطور وطيب يدهن به جسمه!

وأية أناقة تعدل هذه الأناقة! وأين هاتيك الأناقة الرائعة، والفخامة فى الثياب وفى المركب وفى الخصاصية عما نحن عليه الآن، وعما نظنه منتهى ماوصلت اليه مدنية القرن العشرين بعد الميلاد!!

لسنا نحن الذين نصف أزياء المصريين فتتهم بالتحيز لأجدادنا، بل هم المصريون أنفسهم يتحدثون عن أزيائهم فى هذا الشعر القديم، ولا يتركون لمتشكك فرصة ما فى أن يظن بهم غير ما يصفون، فيخلفون فى قبورهم الثياب الكتانية البيضاء الناعمة، والحلى الذهبية المطعمة بالجواهر والاحجار، ويخلفون القفازات. والصنادل الجلدية الفاخرة، ويخلفون السروج المزركشة بالذهب والفضة، والبساط المنقوشة الموشاة بالذهب والفضة وكرائم الاحجار، وآنية مرمرية وأخرى رخامية تحوى عطوراً فيها السوائل وفيها الصلب وفيها مابينهما من معاجين ومقشطات، ويخلفون غير هذا وذاك صوراً على الجدران تمثلهم فى هذه الثياب الرقيقة، وهاتيك الحلى الثمينة، وتلك الأناقة الرشيقة، وتمثلهم وهم يدهنون، وهم يعطرون، وهم يتزينون!....

أفنستطيع بعد هذا ان نتنكر على القوم ما كان لهم من «تواليت»؟ وتواليت ذي لوكس أيضاً!!

اناقة الرجال:

نظر المصريون الى الرجل من نواحى الرجولة التى تبعده كل البعد عن المرأة ونواحى الأنوثة فيها؛ فالرجل يجب أن تبدو منه عضلاته دليلا على القوة والبأس، الم يخلق للعمل والحرب؟ إذن: فليترك صدره ليبرز ماعليه من الفورسبس (عضلات الصدر) أمام الأعين، دليلا على قوة الرجل أو هزاله، وليخل عن ذراعيه من الثياب ليظهر مافيها: بايسبس وترايسبس (عضلات الذراعين فوق الرسغ والكتف) فيميز الناس فيه القدرة والعجز، ولتحلى تلك الصدور البارزة القوية بالعقود والمدليات وتلك الاذرع والمعاصم بأساور من ذهب أو ما يشبه الذهب، كى تستلفت العين الى مافيها من شدة وبأس وكمال فى النمو، هى ما يقترن بلفظ «الجمال» فى الرجل، وما يميز جمال الرجل عن جمال المرأة.

هذا الجمال فى النمو وفى الشكل توجده الطبيعة فى الأصل، ولكنها تكل للرجل تعهده والعناية به، فهو لابد مستمر فى القيام على اظهاره فى أجمل صورة له، وهل يتم له هذا الاظهار الا بمداومة النظافة والرياضة والعناية؟ والنظافة لم تكن بعيدة المنال على المصريين فقد كان النيل دائما الأب الرحيم، يغتسلون فيه، وفى ترعه، وفى مياهه يجرونها فى قنوات الى بيوتهم، ونقرأ فى قصصهم عن احواض الاستحمام التى كانت تبنى فى القصور، كما نقرأ عن ضرورة الاغتسال قبل الصلاة، وضرورتها لرفع الحدث الأكبر، أى أنها جعلت ركنا من أركان دينهم، كما ينص الاسلام على ضرورة الوضوء والاغتسال قبل الصلاة وبعد الحدثين.

واذا عرفت ان المصرى القديم لم يكن يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يعمل الا بعد ان يؤدى صلاته لالهه، وعرفت أن الدين كان فى دم المصرى القديم الى حد ان أفقر الناس كان يبنى دار دنياه من طين، بينما يبنى لنفسه فى حياته قبراً من أغلى الاحجار التى يستطيع شراءها، ويسمى هذا القبر (البيت الأبدى) بينما يدعو مسكنه الدنيوى (بيت الاختبار)؛ اذا عرفت هذا كله ادركت مبلغ تدخل الدين فى كل شىء، ومكان النظافة الشخصية من نفس كل مصرى تبعا لعقيدته..

الحلاقة

والنظافة عند المصرى القديم ليست الاغتسال بالماء فقط، اذ نرى من صورهم الكثيرة جداً، انهم كانوا يقصون شعور رؤوسهم، ويقصرونها لتميز رؤوسهم عن رؤوس النساء، ثم كانوا حليقى الوجوه، لا لحى ولا شوارب، ولم يكونوا يكتفون بقصها أو

قطعها ، ولكنهم كانوا يحلقونها بالأمواس لتكون وجوههم نظيفة خالية المسام ، تميزهم عن غيرهم من الشعوب التى كانت ترخى ذقونها وشواربها كشعب فلسطين وشعب لبنيا وغير هؤلاء ممن ظهرت صورهم على الآثار بلحى وشوارب سوداء طويلة .

وقد يعجب القارئ اذ يعلم ان المصريين عرفوا أمواس الحلاقة منذ خمسة آلاف عام ، لكنها حقيقة خلفوا آثارها لنا ، اذ يحوى المتحف المصرى طائفة كبيرة من هذه الأمواس مصنوعة صناعة متقنة من شظايا الجرانيت والاردواز والبازلت الصلبة التى تتحمل الترقيق والتشحيذ ، وتقاوم استمرار استعمالها فى الحلاقة .

وإذ نمر بالاغتسال وبالحلاقة بعد الزى ، وهى أوليات التواليت ، فاننا نصل الى أقصى مراتب التواليت ، وهى ما نسميه من قبل « تواليت دى لوكس » .

التواليت العالى

لم يكن للرجل العادى نصيب فى التواليت العالى ، الذى لم يكن يعرفه غير أفراد الطبقة الممتازة . من الملوك والكهنة والوزراء والكتاب والأعيان ...

هؤلاء كانوا يستمدون من ثروتهم وسلطانهم ما يستطيعون أن يقتنوا به العطور والأدهان يطلون بها أجسامهم كى تطيب رائحتها وينعم جلدها وتبرق بشرتها ، فيبدو كل ما فيها من جمال الرجولة وأناقتها . وكانوا يلبسون فى أيديهم القفازات ، لا يتقون بها البرد ، وصدورهم وظهورهم عارية ، ولكن ليقبضوا بها على الاقواس ويشدونها حين يطلقون منها السهام ، ويكملون بها زينتهم وأناقتهم . ثم يضعون فى أقدامهم صنادل أنيقة من الجلد الموشى بالخيوط الذهبية ، مبالغة فى الأناقة والرفاهية .

هذه صورة حقيقية للرجل المصرى من الطبقة الممتازة :

رجل كامل النمو فى جميع أجزاء جسمه ، لا يستر منه غير عورته ، بسروال قصير من الوسط الى الركبتين مصنوع من الكتان الابيض المثنى (بليسيه) ، يلبس فوق صدره عقودا وخرزا وفى معصميه أساور من ذهب ، حليق الوجه منسق شعر الرأس قصيره ، لا يضع على رأسه شيئا ، يلبس قفازا من الجلد وصندلا من الجلد ، ويمسك بيده سوطا من الجلد موشى بالذهب يسوق به فرسا يمتطيه ، وتحوطه مظاهر الفخامة والاناقة والرجولة !

هل منكم من يعطينى صورة أكمل لأناقة الرجولة من هذه الصورة بعد مضى خمسة آلاف عام على هذه الأناقة وعلى هذا التواليت ؟!

زبرجة النساء

لم تكن المرأة المصرية القديمة محجبة ، ولم تكن للرجل مجرد متعة ، اذ كانت تشاطره العمل فى الملك ، وفى الكهانة ، وفى الحقل ، وتقوم بنصيبها فى البيت أيضا . تربى أطفالها ، وتجهز بيتها ، وتطهى طعام أسرتها ، وتحيك ثياب زوجها وصغارها ونفسها ....
وكل هذا يضعنا وضعا صحيحا أمام حالة المرأة المصرية كى نفهم على أى أساس كانت تقوم المرأة بعمل تواليتها فى مصر .

كانت المصرية (ربة بيت) فثوبها يجب أن يكون طويلا يستر ذراعيها وصدرها وكعبها ، لكنه كان أنيقا ليجارى أناقة رجلها ، فهو اذن ثوب يجمع بين الحشمة والأناقة ، يستر انوثتها المغرية ، ويبرز انوثتها الطبيعية غير المثيرة . ثوب طويل ضيق ذو ثنيات (بليسيه) يكون فى معظم الأحوال أبيض ناصعا تتجلى فيه نظافتها وأناقتها ، يسدل عليه فى بعض الأحيان ثوب شبكى من خيوط ذهبية أو فضية ، ويتدلى فوق هذا الثوب شعرها الأسود الفحمى الطويل ، مصفوفا منسقا فى ضفائر ملتوية ، هى آية فى الاعجاز والأناقة اذا قيست بتنسيق الشعر فى العصر الحاضر .

ولم يكن السمن من سمات الجمال المصرى ، فقد حرص المصريون القدماء على تصوير نسائهن فى نحافة ورشاقة كأمثلة ونماذج للجمال النسوى ، وامتدحوا نحافة السيقان فى اشعارهم وغزلهم ، اذ يقول الملك خوفو لكبير أمنائه حين أراد النزهة فى قارب :

« هيا احضر عشرين فتاة نحيفات السيقان والاذرع ، ناهدات الصدور ، لم يخلق مثلهن من قبل » (من قصة الملك خوفو والسحرة : قصص البردى)

العطور

لم يكن نصيب هذا الجسم المستور الجمال ، من العناية والتواليت بأقل من نصيب جسم الرجل ، فاننا نقرأ فى النصوص : ان المرأة كانت تطلى جسمها بالعطور والأدهان لتصقله وتجعله براقا ناعما تحت ثيابها ، ونرى فى الصور فوق شعر المرأة قطعة من الدهن العطرى الابيض ، ينحل دهنها فوق الشعر شيئا فشيئا كى يحفظ له طراوته ولمعانه ، وفى وصف المرأة فى نصوص المصريين كثير يدل على طيب اريج ثيابها وجسمها

الاصباغ

لم يكن بياض البشرة فى مصر القديمة يعتبر جمالا ، ذلك أن شمس مصر اللافحة تخرج ذلك اللون الخمرى البديع ، الذى يجعل من بشرة المصريات خلابة وظرفا لا تصل اليه البشرات الاوربية البيضاء الناصعة ، اذن فقد كانت النسوة المبيضات اللون تسعى الى الوصول للمثل الأعلى فى جمال البشرة ، فيعمدن الى الحناء وهي من النبات المصرى الاصيل فيصبغن بها أجسامهن ووجوههن لتصبح لهن تلك البشرة النحاسية الخمرية الظريفة .

وهذا ما يطابق تمام المطابقة الغرض الذى استعملت فيه « البودرة » الاوربية . اليس منشأ البودرة هو الحصول على بياض يقترب من بياض المثل الأعلى للجمال الاوربى ؟

والأحمر ؟ فيم تحتاجه المرأة الخمرية اللون ؟ المحمرة البشرة بطبيعتها ؟ ثم أى جمال تشاهده الآن فى تلك الشفاه الحمراء فى لون (الطماطم) بين خدود خمرية وشعر أسود فى لون الفحم ؟ إنها تبعث فى العين تنافرا قل أن يرضى أحدا .

لهذا لم يعرفه المصريون فى زينتهم مع معرفتهم للونه ومسحوقه فى تلوين الجدران البيضاء ، وفى التصوير على الفخار ، وفى الكتابة على البردى ......

لكنهم عرفوا (الكحل) ووضعوه فى عيونهم ، وجعلوا منه الوانا متباينة بين الأسود الفحمى والأخضر القاتم ، والازرق الداكن ، والعسلى العميق ، وكلها لتطابق الوان الشعر والعيون والاهداب ، وتتمشى مع تناسق الوان هذه الاجزاء فى الجسم .

* * *

واليك صورة جميلة للمرأة المصرية القديمة :

« امرأة رشيقة فى ثوب رقيق ناعم من الكتان ذى ثنيات طويلة يستر كل جسمها ويدل على مواضع الجمال الطبيعى فيه ، ذات وجه خمرى يبدو فوق هذا الثوب الانيق بجماله الطبيعى ، خفيفة حمرة الشفاه ، بيضاء الاسنان ، سوداء العينين مكحولتهما بكحل يطابق لونه لون حبة عينها ، مرسلة الشعر الاسود فى ضفائر على كتفيها ، ينتشر اريجه وطيبه وعطوره ، وتضع فى قدميها صندلا رقيقا يزيدها رشاقة وأناقة .. »

هذه هى مثل الاناقة المصرية ، والتواليت المصرى منذ خمسة الاف عام !..؟

حى بن يقظان

لمحة عن النظريات والمذاهب الفلسفية التى توحيها مطالعة الكتاب

لكتاب حى بن يقظان مقام جليل فى تاريخ الفلسفة العربية . سجل لصاحبه شهرة واسعة فى القرون الماضية لاسيما فى بدء نهضة الافرنج . ولا نزال نذكر الى الآن مؤلفه ابن الطفيل كلما طالعنا كتاب « روبنسن كروزو » لديفو الانجليزى ، فنحن وان كنا بغير حاجة فى هذا العصر الى ما فى هذه القصة من نظريات عقلية أو مذاهب عملية نرتب عليها أعمالنا فى الحياة ، لا نزال نحفظ لمؤلفها فضل الاسبقية فى مثل هذا الفن القصصى الفلسفى ، ونريد أن نذكرها كلما اتينا على ذكر ديفو وبطل قصته روبنسن كروزو . ولست أريد من ذلك أن قصته روبنسن هى ككتاب حى بن يقظان قلباً وقالباً ولكن أريد ان اشير الى شبه فى الفكرة ومجانسة فى الفن القصصى .

ولننتقل بعد هذه الكلمة الى ما نحن بصدده من استخراج النظريات والمذاهب الفلسفية من قصة حى بن يقظان لتتبين قيمة هذا التراث الفلسفى الخيالى فى أدبنا العربى .

لا نريد ان نقول ـ قبل ان نأتى على تلخيص القصة ـ ان ابن الطفيل قد ضمنها زبدة التعاليم الفلسفية العربية . والمذاهب العملية وصاغها فى قالب خيالى جذاب تستشف من ورائه شخصية الفيلسوف الوادعة ، وفكرته الخاصة التى تنهتك سراعاً للخير ، فكان بذلك سابقاً لديفو واضرابه من الافرنج القصصيين :

فأول ما يستلفت نظرك أيها القارىء الكريم من هذا الكتاب هو عنوانه الرمزى الغريب : حى بن يقظان . فمن هو هذا « حى » ؟ وابن من ؟ ابن يقظان ... هذا الاسم رمزى فى مدلوله وهو فى عرفهم ابن من لا ينام أى الله عز وجل

وتفتح الكتاب فاذا هناك مقدمة وجيزة فى نقد الفلاسفة الإسلاميين ، ونظرة سريعة فى الحكمة المشرقية سيشرحها لك منفصلا عند الحديث على بطله حى

كل الكتاب نظريات وثبت للمذاهب الفلسفية . فأول ما تفاجأ به أيها القارىء هى هذه النظرية ، نظرية التوليد من غير أم واب ، فيدهشك هذا القول من فيلسوف إسلامى ويغضبك خصوصا اذا كنت من اصحاب الايمان الحار ، ويأخذ بك ابن الطفيل فى منعرج هذا المذهب الوعر الذى يصعب علينا حله واتباعه ، ويستطرد فى كيفية تخمر الطينة تحت اشعة الشمس وعلوق الروح بها ، فلذلك الاستطراد ولا يعجبك الاعتقاد ، والحق يقال ان هذا المذهب

الطبيعي الذي يبنى مبدأ الخلق والتكوين على الصدف والتصادف والذي يعتقه الكثيرون في عصرنا - وما اكثر المذاهب والآراء في هذا العصر - غير مبنى على أساس متين ولا براهين جلية بحيث تقتلع من صدرك الايمان بصحته. فالمذاهب الفلسفية، الاقوال فيها كثيرة ومختلفة، وليس هناك دستور واحد في البحث تتمشى عليه. وحقيقة واحدة تتفق عليها. ففي المسألة الواحدة تجد قولين أو ثلاثة أو اربعة، والانسان عندما يكون مترددا في مسألة ما، تكثر تعاليله وحدسياته. فابن الطفيل مثلا لا يجزم بصحة هذا المبدأ الطبيعي كما هي عادته، فيأتيك بقول آخر أعم وأشهر، ولكنه ليس بنظرية بل تعليل ثانوي لكيفية وجود حي بن يقظان في جزيرة من جزائر الهند تحت خط الاستواء، فقد اختلفوا في وجود هذا الشخص في هذه الجزيرة المنقطعة عن السكان المقفرة من بني الانسان. فيقولون ان حياً كان ابناً غير شرعي وان أمه أخت ملك قد وضعته في صندوق وقذفت به في اليم، فقاده المجرى المائي الى هذه الجزيرة «الاستوائية»، وهذا القول اقرب واخف وطأة على القارىء من الأول، اذ يعرف ان موسى أيضاً قد قذف به في اليم، ولديه على ذلك نص وهو القرآن.

قد فرغنا من استخراج هذه النظرية وسللناها من طيات هذا السفر الجليل، فاتبعني أيها القارىء الكريم لنستطلع بعد ذلك خبر ما آلت اليه حال هذا الطفل البائس الذي سيكون له فيما بعد شأن يذكر.

رمت به الأمواج الى شاطىء جزيرة تحت خط الاستواء، وكم يكون جزعك على هذا الطفل عند ما تعلم ان هذه الجزيرة خالية من السكان. ترى من يغذى هذا الطفل، ومن يشفق عليه ويشمله بحنانه، اذ لا انسان يعطف عليه ويحسن رعايته ويوفر له أسباب الحياة: ولكن كم يكون فرحك عظيما عند ما ترى أن ظبية من بني الحيوان قد رئمت به، ووجدت فيه تسلية وعوضا عن ابنها المفقود، فغدت تغذيه بلبانها وتشمله بحنانها، حتى درج وأصبح قادراً على المشي والعدو مع أمه في البرية، وما ان صار على رأس أسبوع من عمره أي سبع سنين، حتى صار يرافق أمه في غزواتها، يناشدها بأنغامها وتناشده، فاذا سمع تغريدة عندليب حاول تقليده. واذا سمع فحيح أفعى أو زئير أســـد لم يحاول الابتعاد ولم يوجس خيفة. وتكررت هذه الأصوات على سمعه فوعاها، وغدا يرددها فيجيدها.

وهنا أيها القارىء الكريم تعرض لنا نظرية غامضة ولكنها جميلة ومشوقة، فلنتئد في درسها وتحليلها قليلا. النظرية هي نظرية النطق والكلام. أخلق الانسان متكلما لغة أجاد فهمها منذ البدء أم علمه الله اياها؟ واذا كان ذلك فلماذا لم تتفق البشر عليها؟ وما تعليل كثرة اللغات واللهجات التي نسمعها وما هو علة هذا الاختلاف؟

كل ذلك - أظن - جدير باسترعاء خاطرك وانتباهك، وهو يوقظ في نفسك حب الاطلاع والتعليل، وتريد أن تفكر وان تجد تحليلا فلا تجد، فيؤول بك التفكير الى حدس بحدس. وتخمين بتخمين لا طائل تحتهما ولا جدوى. فابن الطفيل لا يبدى لنا الا قولا واحدا في كيفية نشوء اللغة عند الانسان وهو ليس من أرباب الوحي والالهام الذين يقولون ان الله أوحى الى الانسان أن يتكلم فتكلم، وهو ليس من الذين يقولون ان الله خلق الكلام وخلق في الانسان المقدرة والقوة على نطقه. كلا ليس ابن الطفيل في شيء من هذا، وهو على مذهب البعض من المحدثين في القرن التاسع عشر؛ فهؤلاء يعللون نشوء اللغة أي النطق بأن الانسان في طوره الهمجي طور الغريزة الحيواني يتلقى أصوات الحيوان ويقلدها في جرسها ونغمتها، ويضعون لذلك مقاطع طبيعية دارت على ألسنة البشر أجمع في طور وحشيتهم، توجد في جميع اللغات الحية وهي إد، آر، آد... وما أشبه ذلك على أن الاختلاف الذي نراه ناتج عن سنن التباعد والتقارب في أخلاق البشر وأميالهم الطبيعية.

فانت ترى ان ابن الطفيل من هذا الرأي وان «حيا» قلد الحيوانات في أصواتها ولم يجد التكلم في بدء أمره بدليل ان ابن الطفيل يتيح لبطله حي مصادقة اسال فيعلمه الكلام وأمور الدين. فحياة حي هي اذن نفس حياة البشر في طور وحشيتهم وهمجيتهم. ولكن ابن الطفيل لا يقف عند هذا الحد، ولا يريد أن يسرح بطله مع الحيوانات بل يرقى به الى مستوى فكري سام تقصر عنه المدارك، ويريه أشياء لم تقع على سمع أحد «ولا خطرت على قلب بشر».

فانه بعد أن يعلمه الأصوات يريد أن يعلمه الطب كما تعلمه كلية الطب في بيروت لتلامذتها، وان يطلعه على علم التشريح وما فيه من سر دفين. وماتت الظبية أمه، وقعد للبكاء عليها ولزم الحزن أياما يناديها فلا تعي ولا تجيب، ويندبها فلا تأبه لتحرقه وبكائه، وأراد أن يعرف موطن الآفة في جسد أمه محاولا انقاذها مما هي فيه، وبطريق النظر والاستدلال يفتح جوفها ويتوصل الى القلب المركز الرئيسي لجميع الأعضاء، ومنه الى الدماغ فلم يجد بها آفة، حتى اذا ما انتهى من البحث والاستقصاء اتى على علم التشريح بكامله، وتحصل له من ذلك: ان ما يحرك الجسد انما هو بخار يتولد في التجويفات القلبية فيصعد منها الى الدماغ، وهذا بدوره يحرك الأعضاء. وهذا ماقال به ديكارت معبراً عن هذا البخار بالأرواح الحيوانيـــة Esprits animaux.

قد يدهشك مثل هذا البحث المنظم الذي يقوده حي بن يقظان، وهذا الاستدلال الثاقب، ويضؤل في نفسك شخص ابن الطفيل

القصصي ليتجسم لك في شخص حي الطبيب الحاذق والمشرح اللبق؛ والحق يقال أن ابن الطفيل بعد أن يرتفع بخياله يكبو به جواد هذا الخيال ليحطه الى الارض. لذلك كان الفيلسوف الطبيب، ولم يكن الفنان القصصي بالمعنى الواسع لهذه الكلمة. فمن الغريب أن يكون حي قد استكشف مثل هذه النظريات والتطبيقات العملية في مثل هذه المدة الوجيزة، فانا نرى فكراً سامياً يتوصل بمحض فكره الى الحقيقة، لا فكراً وحشياً غريزياً يليق بمثل حي؛ ولكن هي قصة أقرب الى: « الاوتوبيا »، منها الى الحقيقة الملموسة. ولا نجزم بأنها نظرية، ولا نريد أن نناقشها بل نترك ابن الطفيل وتلميذه يعلمه ما يشاء وكيف يشاء، على أننا نستشف من خلال البحث عن كيفية تعلم حي بن يقظان على نظرية النشوء والارتقاء في العناصر الطبيعية وفي مدارك البشر، وكيف أنها تنتقل من الملموس الى المحسوس الى المعقول، وكيف أن الحواس تتصل بالاشياء الخارجية فتؤثر هذه فيها وتنفعل عنها فتحولها (أى الحواس) الى دائرة التفكير والتفهم فتصوغ ما أحست بقالب السبب والقانون.

ويفقد حي أمه ويخرج الى معترك الحياة وحيداً طريداً، فكل شيء في قطر وجوده يستلفت نظره ويسترعي انتباهه، فهو كآلة واعية — اذا كانت آلة تعي — وضعت في مكان ما تلتقط كل ما أوحي لها من حيث ألقي أو أوحي، فتسجل حركات الاشياء وتنفعل عنها، وهل الانسان — كما عرفه بعض علماء النفس — الا مجموعة من المؤثرات الداخلية والخارجية تجمعت فشكلت هذه النفس التي تعي وهذه النفس التي تفهم وتذكر؟

ويستكشف « حي » النظريات ويستدل بمحض فكره السامي وثاقب ذهنه على وجود « واجب الوجود » وهذه النظرية هي محور القصة بكاملها وهي التي شغلت جميع فلاسفة الإسلام. ويستكشف « حي » مبدأين: المادة والصورة، بواسطتهما يتوصل الى اكتشاف وجود الله، فاعتبر: « أن كل حادث لا بد له من محدث » فلمس هذا المحدث في المحسوسات فلم يعثر عليه، وانتقلت فكرته الى الأجرام السماوية ورسخ في ذهنه أنها تعقل ذواتها، وأنها صادرة عن فلك واحد وهو الاعلى. وهنا يجب علينا أن نقف قليلاً ونشير الى هذه النظرية التي كانت شائعة عند اليونان والتي اقتبسها العرب ولا سيما ابن سينا، ووسعوا دائرتها. فانهم اعتقدوا أن الاجرام السماوية تعقل وتحيا وفيها العقل الفعال الصادر عن الله عز وجل، وأن الله يعلم ما في الكون بواسطتها وهي أشرف الموجودات. وقديما دعوها أنصاف آلهة. ونتجاوز عن تفنيد هذه النظرية الخرافية التي تعد — الى جنب المباحث الفلكية العصرية — خرافة من خرافات القدماء.

ولما عرف « حي » حقيقة نفسه وأنها غير أجسمانية وبها عرف « الموجود الواجب الوجود »، حدث له شوق حثيث الى معرفة الخالق عساه يراه. فشرع في تفحص الأعمال التي تقربه إلى الله عز وجل، فوجد أن الطريقة المثلى هي: في ترك المادة وتثقيف الروح التي هي مبدأ روحاني صادر عن الله تعالى، ولما كان يعلم ان الاجرام السماوية تعرف الله، التمس لنفسه الصلاح بالتأسي بها ليتوصل اليه، وهنا يعتنق حي مذهب الاتصال وترويض النفس والعزوف عن الإشياء المادية كما كان يفعل متصوفة المشرق. الا أن هناك فرقا كبيراً بين المذهبين يجب أن تنتبه اليه أيها القارئ. ألا وهو: أن المتصوفين يصلون الى الله عز وجل عن طريق العاطفة الدينية والعلم الالهي؛ أما حي المتصوف النظري فيتصل بالله عز وجل عن طريق البحث والنظر، ويجهل تماما طرق الصوفية الدينية. وعلى هذا المذهب مذهب التصوف النظري سار فلاسفة الاندلس فولدوا بذلك نزعة جديدة ضد التصوف الديني الشرقي. على أن ابن الطفيل إن اختلف مذهبا لم يختلف عنهم نتيجة بل أدى به هذا المذهب الى القول بالفناء والحلول، ولكنه حلول معتدل مغشى بستار القصة الخيالي، فانه عند ما يفني حي في الذات الالهية ويوشك أن يعتقد أن ذاته لا تغاير ذات الله، وأنه هو الله. يبادر ابن الطفيل ليبدد هذا الاعتقاد، ويقول على لسان بطله « حي »: ان هذه الهواجس التي عرضت له وأقنعته أنه ذات الحق، لم تكن إلا من بقايا المادة والأشياء الدنيوية. وهذه النظرية هي ما يدعوها بنظرية الشمول النظري Sdéalisme pantheistique. ولا نريد أن نبحث في مثل هذه النظريات الالهية بل نترك الخوض فيها إلى أولياء الله العارفين، تعالى الله عما يصفون.

فابن الطفيل إذاً يفضل الوصول الى الله عن طريق البحث العلمي النظري، ويمثل لنا هذه النظرية ويدافع عنها في شخص « حي » وانه استطاع بنظره وفكره السامي اكتشاف الحق تعالى، بدليل أن ابن الطفيل يدخل في القصة شخصاً آخراً « أسال » وهو العقل المهتدي الى الله عن طريق الدين والاجتهاد. فيعجزه عن الوصول الى المقام الذي توصل اليه حي « وطلب حي مقامه الجليل فبلغه واقتدى به أسال حتى اقترب منه أو كاد » فلا ريب بعد ذلك في أن فيلسوف الأندلس يفضل الطريق النظرية على الطريق الدينية: وأنه ما استطاع ان ينجو من ورطة هذا القول الذى كثيرا ما جر على آخرين التعذيب والتنكيل، إلا بواسطة هذا الوشاح القصصي الذى يلقيه على النظريات والمذاهب الفلسفية في رسالته النفيسة.

على أن ابن الطفيل لم يخل من اللوم، وأرباب الدين يؤاخذونه على أربعة: ١ ـ بإهماله أمر النعمة وسقوط الطبيعة البشرية ٢ ـ بتفضيله

٥ ـ بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وكان الجيش الاسلامي في حال تدعو الى القلق والتوجس . فان الشقاق كان يضطرم بين قبائل البربر التي يتألف منها معظم الجيش . وكانت تتوق الى الانسحاب ناجية بغنائمها الكبيرة . وكان المسلمون في الواقع قد ابتصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المظفر ونهبوا جميع كنائسها وأديارها الغنية وأثقلوا بما لا يقدر ولا يحصى من الذخائر والغنائم والسبي فكانت هذه الاثقال النفيسة تحدث الخلل في صفوفهم وتثير بينهم ضروب الخلاف . وقدر عبد الرحمن خطر هذه الغنائم على نظام الجيش واهبته وخشى تأثيره في نفوس الجند من الحرص والانشغال وحاول عبثاً ان يحملهم على ترك شيء منها : ولكنه لم يشدد في ذلك خيفة التمرد . وكان المسلمون من جهة أخرى قد أنهكتهم غزوات أشهر متواصلة منذ دخلوا فرنسا . ونقص عددهم بسبب تخلف حاميات عديدة منهم في كثير من القواعد والمدن المفتوحة . ولكن عبد الرحمن تأهب لقتال العدو وخوض المعركة الحاسمة بعزم وثقة

وبدأ القتال في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أواخر شعبان سنة ١١٤ هـ) فنشبت بين الجيشين معارك جزئية مدى سبعة أيام أو ثمانية احتفظ فيها كل بمراكزه . وفي اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عامة فاقتتلا بشدة وتعادل حتى دخول الليل . واستأنفا القتال في اليوم التالي ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد حتى بدا الاعياء على الفرنج ولاح النصر في جانب المسلمين . ولكن حدث عندئذ أن افتتح الفرنج ثغرة الى معسكر الغنائم الاسلامي ، وخشى عليه من السقوط في أيديهم ، أو حدث كما تقول الرواية أن ارتفعت صيحة مجهول في المراكز الاسلامية بأن معسكر الغنائم يكاد يقع في يد العدو . فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة الى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم . وتواثب كثير من الجند الدفاع عن غنائمهم . فدب الخلل الى صفوف المسلمين . وعبثا حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام وان يهدئ روع الجند ، وبينا يتنقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، اذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته ، فسقط قتيلا من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب في الجيش الاسلامي ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل في صفوفهم ، ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل . وكان ذلك في اليوم الحادي والعشرين من اكتوبر سنة ٧٣٢ م (أوائل رمضان سنة ١١٤ هـ) (١)

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامي ، واختلف الرأي وهاجت الخواطر وسرى التوجس والفزع . ورأي الزعماء أن كل أمل في النصر قد غاض فقرروا الانسحاب على الأثر . وفي الحال غادر المسلمون مراكزهم وارتدوا في جوف الليل وتحت جنح الظلام جنوبا صوب قواعدهم في سبتمانيا ، تاركين أثقالهم ومعظم اسلابهم غنما للعدو . وفي فجر الغد لاحظ كارل وحليفه أودو سكون المعسكرات العربية فتقدما منها بحذر واحجام فالفياها خاوية خالية الا من بعض الجرحى الذين لم يستطيعوا مرافقة الجيش المنسحب ، فذبحوا على الأثر . وخشى كارل الخديعة والكمين فاكتفى بانسحاب العدو ولم يجرؤ على مطاردته وآثر العود بجيشه الى الشمال .

(١) تجمع معظم الروايات الفرنجية والكنسية على أن الموقعة كانت في أكتوبر سنة ٧٣٢م . وهذا التاريخ يوافق بالهجرة شعبان سنة ١١٤ هـ بيد أن الرواية الاسلامية تختلف في تحديد هذا التاريخ . فالبعض يقول انها كانت سنة ١١٥ هـ (ابن عبد الحكم ص ٢١٧ ـ الضبي في بغية الملتمس رقم ١٠٢١ ـ ابن عذاري ج ١ ص ٣٧ ولكنه يعود فيذكر ان الموقعة كانت سنة ١١٤ هـ ـ ج ٢ ص ٢٨) . ولكن ابن الاثير (٥ ص ٦٤) وابن خلدون (٤ ص ١١٩) والمقري عن ابن حيان (ج ١ ص ١٠٩ و ج ٢ ص ٥٦) متفقون على انها كانت سنة ١١٤ هـ ـ ويقول الاخيران أنها كانت في رمضان سنة ١١٤ هـ ؛ وهو أصح تعيين يتفق مع الرواية الغربية

المعرفة بالعقل على المعرفة بالايمان . ٣ ـ باعتقاده أن الانسان قادر على رؤية الله عز وجل في الدنيا . ٤ ـ أقواله المنتجة مذهب تأليه الكل أو البانتيسم الشمولي . وما كان أحد ليخلو من عتب أهل الدين ولومهم . ومدار القصة بكاملها هي أن معرفة الله الفلسفية أسمى من المعرفة الدينية ، وهذا مالاقى في سبيله ابن رشد واضرابه من التعذيب والاضطهاد ما لاقى

هذه لمحة ـ ربما تكون سطحية في قصة حي بن يقظان ـ عن النظريات والمذاهب الفلسفية التي تضمنتها ، وربما عدنا الى الموضوع في بحث آخر نفصل فيه العناصر الاجنبية في فلسفة ابن الطفيل وتعاليمه . ونختم الآن هذا الفصل في أن : فيلسوف الاندلس قد أجاد كل الاجادة في سبك قصته الفلسفية وأسلوبه فيها جميل سهل وجذاب يقرب إلى ذهن القارئ الاقوال الفلسفية ، ومع أن انشاءها سهل وبسيط رائق لم تخل أحيانا من التعقيد والغموض . ونتيجة القول أن هذا الكتيب النفيس مشحون بالتعاليم الفلسفية الاسلامية ترفرف عليه روح الافلاطونية الحديثة . ومن يطلع على هذه القصة يوافق الافرنج على حكمهم : « انها آية من آيات القصص العربية الحكيمة ومختصر فلسفة العرب . » اهـ

طرطوس   سوريا   احمد المحمود

١٠٤٠

هذه هي أدق صورة لحوادث تلك الموقعة الشهيرة طبقا لمختلف الروايات . والآن نورد ماتقوله الرواية الفرنجية الكنسية ثم الرواية الإسلامية ..

أما الرواية الفرنجية الكنسية فيشوبها كثير من المبالغة والتحامل والتعصب ، وهي تصف مصائب فرنسا والنصرانية من جراء غزوة العرب في صور مثيرة محزنة ، وتفصل حوادث هذه الغزوة فتقول احداها : « لما رأى الدوق أودو أن الأمير شارل (كارل) قد هزمه وأذله وانه لا يستطيع الانتقام اذا لم يتلق النجدة من احدى النواحي ، تحالف مع عرب أسبانيا ودعاهم الى غوثه ضد الأمير شارل وضد النصرانية . وعندئذ خرج العرب وملكهم عبدالرحمن من أسبانيا مع جميع نسائهم وأولادهم وعددهم وأقواتهم في جموع لا تحصى ولا تقدر ، وحملوا كل ما استطاعوا من الاسلحة والذخائر كأنما عولوا على البقاء في أرض فرنسا . ثم اخترقوا مقاطعة جيرونده واقتحموا مدينة بوردو وقتلوا الناس في الكنائس وخربوا كل البسائط وساروا حتى بواتيو .. (١)

وتقول أخرى : « ولما رأى عبد الرحمن أن السهول قد غصت بجموعه اقتحم الجبال ووطىء السهول بسيطها ووعرها ، وتوغل مثخنا في بلاد الفرنج ومحق بسيفه كل شيء ، حتى أن أودو حينما تقدم لقتاله على نهر الجارون وفر منهزما أمامه لم يكن يعرف عدد القتلى سوى الله وحده . ثم طارد عبد الرحمن الكونت أودو ، وحينما حاول أن ينهب كنيسة تور المقدسة ويحرقها التقى بكارل أمير فرنج أوستراسيا وهو رجل حرب منذ فتوته ، وكان أودو قد بادر باخطاره ، وهنالك قضى الفريقان أسبوعا في التأهب واصطفا أخيرا للقتال ثم وقفت أمم الشمال كسور منيع ومنطقة من الثلج لا تخترق واثخنت في العرب بحد السيف »

« ولما ان استطاع أهل أوستراسيا (الفرنج) بقوة أطرافهم الضخمة ، وبأيديهم الحديدية التي ترسل من الصدر تواً ضرباتها القوية ان يجهزوا على جمو [illegible] أخيراً بالملك (عبد الرحمن) وقضوا على حي [illegible] دخل الليل ففصل الجيشان والفرنج يلوحون بسيوفهم عالية احتقاراً للعدو . فلما استيقظوا في فجر الغد ورأوا خيام العرب الكثيرة كلها مصفوفة أمامهم تأهبوا للقتال معتقدين ان جموع العدو جاثمة فيها ولكنهم حينما أرسلوا طلائعهم ألفوا جموع المسلمين قد فرت صامتة تحت جنح الليل مولية شطر بلادها . على انهم خشوا ان يكون هذا

(١) هذه هي رواية القديس دني saint Denis وردت في موسوعة بوكيه Dom Boquet: Receuil des Historiens de Gaule et de la France — III — 310 ووردت في هذه الموسوعة أيضاً أقوال أخرى من الرواة الاحبار

الفرار خديعة يعقبها كمين من جهات أخرى فاحاطوا بالمعسكر حذرين دهشين . ولكن الغزاة قد فروا . وبعد ان اقتسم الفرنج الغنائم والاسرى فيما بينهم بنظام عادوا مغتبطين الى ديارهم (١) »

وأما الرواية الاسلامية فهي ضنينة في هذا الموطن كل الضن كما أسلفنا ويمر معظم المؤرخين المسلمين على تلك الحوادث بالصمت أو الاشارة الموجزة كما سنرى غير أن المؤرخ الاسباني كوندي يقدم الينا خلاصة من أقوال الرواية الاندلسية المسلمة (٢) عن غزو فرنسا وعن موقعة تور ننقلها مترجمة فيما يلي :- (يتبع)

(١) هذه هي رواية ايزيدور الباجي وهو معاصر للموقعة — راجع Creasy: ibidch VII-Hoigkin : Charles the Great وكذلك Gibbon: ch.III, Ch LII ففيها تنقل هذه التفاصيل وتلخص

(٢) لم نقف في أي المصادر العربية التي بين أيدينا على أصل هذه الاقوال التي يقول كوندي انه اقتبسها من الرواية العربية ولم يذكر هو مصدر اقتباسه . ومن المحقق أنه نقلها عن بعض مخطوطات الاسكوريال أو الجنيات الخاصة التي لم تتداول حتى عصرنا . ولعله نقلها على الاغلب من كتاب جذوة المقتبس للحميدي حيث يقول في مقدمته أنما تفع به في عصر الفتح والولاة الاوائل . ولعله أيضاً نقل شيئاً منها من شذور لابن حيان وابن بشكوال ويلوح لنا أن الحجاري في كتابه « المسهب » قد تناول هذه الحوادث بالتفصيل حيث نقل المقري عنه شذرة تفيد ذلك (نفح ١ ص ١٢٩) ولعل كوندي وقف على شيء منها . غير أن هذه المصادر جميعها لا توجد للاسف بين أيدينا وليست بين محتويات دار الكتب المصرية وما تزال مخطوطة في ظلمات الاسكوريال وغيره من المكاتب الاوربية . وقد يتاح لنا يوما أن نظفر بالاطلاع عليها والانتفاع بها راجع حديث كوندي عن مصادره في مقدمه الترجمة الانكليزيه (ج ١ ص ٢٢)

عكاظ والمربد

للأستاذ احمد أمين

تتمـــة

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه ؛ جاء فى الاغانى « وكان لراعى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة » (١)

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشـــعر فى هجاء الفرزدق والراعى ، فما زال كذلك حتى كان السـحر وقد قالها ثمانين بيتا فى بنى نمير فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من نمير ، فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم أصبح حتى اذا عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد — وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا فادهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا وقصد مجلسهم وأنشدها فنكس الفرزدق وراعى الابل(٢).

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والأخطل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم . فالعجاج الراجز يخرج الى المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس مجتمعين ، ويقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الآله فجبر »

ويهجو ربيعة فيأتى رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستحثه على الرد عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القلب وجهلا ماذكر »

ورؤبة الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الأعماق خاوى المخترق »

ويجتمع حوله فتيان من تميم فيرد عليه أبو النجم فى رجزه :

« اذا اصطبحت أربعا عرفتنى » (٣)

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار ؛ وينشد ودموعه تجرى على لحيته :

« ما بال عينك منها الماء ينسكب » (٤)

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويسخف بعض تشبيهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط (٥) .

والامراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقد يهيجون بعضهم على بعض خدمة لاغراض حزبية او سياسية فعبد الملك ابن مروان يأمر أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق . وعباد بن حصين — وكان على أحداث البصرة — يعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح (٦)

وهكذا كان المربد فى العهد الأموى معهدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص . وكاد هـذا الشعر يكون امتدادا للشعر الجاهلى . لاتحاد الاسباب والبواعث ، فأما الشعر الغزلى كشعر عمر بن أبى ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر فى المربد لانه فوق النزال والمهاجاة والمفاخرة . فليس مجاله حياة المربد التى وصفناها.

المربد فى العصر العباسى :

بقى المربد فى العصر العباسى . ولكنه كان يؤدى غرضا آخر غير الذى كان يؤديه فى العهد الأموى . ذلك أن العصبية القبلية ضعفت فى العصر العباسى بمهاجمة الفرس للعرب . وأحس العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم امة لافرق بين عدنانيهم وقحطانيهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم . وبدأ الناس فى المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هى أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والامراء عن مثل النزاع الذى كان يتنازعه جرير والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم

(١) أغانى ٧ — ٤٩ (٢) اغانى ٧ — ٥٠

(٣) انظر الاغانى ٩ ص ٧٨ ومابعدها . (٤) أغانى ١٦ — ١٢٣

(٥) أغانى ١٦ — ١١٢ (٦) أنظر الكامل للمبرد

تراجم الأدب والشعر ؛ وفشا اللحن بين الموالى الذين دخلوا فى الاسلام ؛ وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ؛ فتحول المربد يؤدى غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة .

أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لاليتهاجوا : ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية ، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ؛ فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدونون مايسمعون ، روى القالى فى الأمالى عن الأصمعي . قال : « جئت الى أبي عمرو بن العلاء فقال لى من أين أقبلت ياأصمعى ؟ قال جئت من المربد ؛ قال هات مامعك ، فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحي : فمرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو فى الدرجة وقال : — شمرت فى الغريب — أى غلبتنى » (١) .

والنحويون يخرجون الى المربد يستمعون من أهله مايصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة فى النحو وتعصب كل لمذهبه ؛ وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد ؛ وفى تراجم النحاة نجد كثيرا منهم من كان يذهب الى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الأدباء الى المربد يأخذون الأدب من جمل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم . مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ؛ كما فعل الجاحظ ؛ يقول ياقوت : ان الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش واخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد (٢) .

وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برنامجها فى العصر العباسى عن برنامجها فى العهد الأموى وأدت رسالة فى هذا العصر تخالف رسالتها فى العصر السابق .

آخر الأخبار عن المربد :

فى ثورة الزنج التى ظهرت فى فرات البصرة والتى بدأت سنة ٢٥٥ ه حدث قتال بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة ، فاحترق المربد ؛ روى الطبرى قال : يقول ابن سمعان : فانى يومئذ لفى المسجد الجامع اذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه : زهران والمربد وبنى حمان فى وقت واحد ، كأن موقديها كانوا على ميعاد ، وجل الخطب وأيقن أهل البصرة بالهلاك (٣) .

وتوالت فيه الحرائق وعوتب شاعر البصرة أبو الحصين بن

(١) الامالى ٣ ص ١٨٢

(٢) معجم الادباء ٦ ص ٥٦

(٣) الطبرى ٣ ص ٢٥٧ وما بعدها طبعة أوربا

المثنى على أنه لم يقل شيئا فى حريق المربد ؛ مع أن المربد من أجل شوارعها . وسوقه من أجل أسواقها ، فقال ارتجالا فى آخر حريق لها :

أتتكم شهود الهوى تشهد ... فما تستطيعون أن تجحدوا
فيامربديون ناشدتكم ... على أننى منكم مجهد
جرى نفسي صاعداً نحوكم ... فمن أجله احترق المربد
وهاجت رياح حنينى لكم ... وظلت به ناركم توقد
ولولا دموعى جرت لم يكن ... حريقكم أبداً يخمد (٤)

ويذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٩ أن سيف الدولة صدقة بن مزيد تقاتل مع اسماعيل فنهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر . . . ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد . فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة بأهل البلد سوى من ذكرنا (٥) .

ويقول ياقوت « إن المربد كان سوقا للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وهو الآن : (عاش ياقوت حتى سنة ٦٢٦ ه) — بائن عن البصرة ؛ بينهما نحو ثلاثة أميال ، وكان مابين ذلك كله عامرا وهو الآن خراب ، فصار المربد كالبلدة المفردة فى وسط البرية » .

ثم عفا أثر المربد ، ولم نعد نجد له ذكرا ذا قيمة ، وأخنى عليه الذى أخنى على عكاظ ؛ ومات بموته معهدان أدبيان اتصلت حياة الثانى منهما بحياة الأول فقاما نحو ستة قرون يخرجان شعراً وأدبا ونقدا كان من خير تراث العرب ؟

(٤) معجم البلدان

(٥) الكامل لابن الاثير جزء ١٠ ص ١٥١ طبع بولاق

مِنْ طرائفِ الشِّعر

ذقتــــه مرتين

للأســـتاذ بشارة الخوري

أتت هند تشكو إلى أمها فسبحان من جمع النيرين
فقالت لها : إن هذا الضحى أتاني وقبـــلني قُبلتين
وفرَّ فلما رآني الدجى حباني من شَعره خصلتين
وما خاف يا أم بل ضمني وألقى على مبسمي نجمتين
وذوَّب من لونه سائلاً وكحَّلني منه في المقلتين
وجئت إلى الروض عند الصباح لأحجبَ نفسيَ عن كل عين
فناداني الروضُ يا روضتي وهمَّ ليفعل كالأولين
فخبأت وجهي ولكنه الى الصدر يا أم مد اليدين
ويا دهشتي حين فتَّحتُ عيني وشاهدت في الصدر رمانتين
ومازال بي الغصن حتى انحنى على قدمي ساجداً سجدتين
وكان على رأسه وردتان فقدم لي تينك الوردتين
وخفت من الغصن اذ تمتمت بأذنيَ أوراقهُ كلمتين
فرحت إلى البحر للابتراد فحملني ويحه موجتين
فما سرت إلا وقد ثارتا بردفيَّ كالبحر رجراجتين
هو البحر يا أم كم من فتىً غريق وكم من فتى بين بين
فها أنا أشكو اليك الجميع فبالله يا أم ماذا ترين
فقالت ، وقد ضحكت أمها وماست من العُجب في بُردتين
عرفتهم واحداً واحداً وذقتُ الذى ذقتهِ مرتين

حــــلم

رأيتُ أمسِ حُلماً روَّعني في مضجعي
رأيتني مع الحبيـ ـب في عتــاب موجع
آلمتـــهُ من غيرتي ظلمـــاً بلا تورع
ثم طلبتُ صــفحه لكنه لم يَسْـمع
فقــد تولَّى مُغْضَباً ولم يُفِـد تضرّعي
وعنـــدما أمسكتـهُ من ثوبه صاح : دعْ
لكنني عنــد انتبا هي من منامي المُفْزِع
وجدتهُ بجــــانبي مســتغرباً من جزعي
يســـألني في رقةٍ عن حُلمي وأدمعي !

كرمة ابن هانى — حسين شوقى

ليل المعـــذَّب

هذا عُبابُ الظلام وافى يَسْحبُ فوقَ الثرى خُطاهُ
أعشَى عيونَ الورى عَماهُ وأفزعتْ في الكرى رُؤاهُ
....
ليلٌ كلونِ الغرابِ داجٍ مُقفلٌ أغمُّ اكتسى وقارا
كأنمــا النور في حَشاهُ عن مستهلِّ الصديع جارا(١)
....
تَحسبهُ لجةً غَضوبًا كلُّ سَبُوحٍ بها غريقُ
أو مهمهاً موحشاً مُريعاً عُمَّارُه الدهرَ لا تُفيق
....
يزفُر وجداً به المعنَّى فيستحيل الاسى دموعاً
ويستحيل العذابُ جمراً والقلبُ في كهفه صدُوعا

(سورية) حمص — رفيق فاخورى

حيـــاة ثانية

أي نور ألقى عليَّ غرامي فاشتريتُ الآمال بالآلام
كان ذا الجسم غُصْبةً من جراح تنزي في هيكل من حطام
كان ذا القلبُ شعلةً من عذاب وشجون ولوعة وضرام
كان ذا الطرف منهلاً سرمَديًا يغمر الروح بالدموع الدوامي
كنتُ والله في شبابيَ شيخاً لاح للناس في مُسُوح غلام
....
كان ذا الشعرُ غنوة اليأس في القلـ ـب وناياً أنعى به أحلامي
كان عمري كأنه حلكة الليـ ـل على عالَم الدُجى المترامي

---

(١) الصديع : الفجر

كنت لا أعرف التبسم حتى ... عودتني المنى ابتذال ابتسامي
شفتاي الحزينتان وقلبي ... وعيوني مدينة لغرامي

....

عالم أنت من جلالك وسحر ... وجمال وفتنة وسلام
فيك أمر غير الجمال سيبقى ... أبد الدهر حيرة الأيام
فيك سحر من السذاجة والطهـ ... ـر يمد الشعور بالإلهام
قد هجرت الكروم والحان والسا ... قى وصوت الكؤوس والأنغام
ورأيت الحياة إلا خيالا ... وعشقت الحياة بالأوهام
تتساقى بها الكؤوس من السـ ... ـحر وتحيا في روضة الأحلام
والأزاهير حولنا تتثنى ... راقصات بغير جرح دوامي
وطيور الخيال فيها تناغى ... برقيق الغناء عذب الكلام
كل شيء حتى الأنين أراه ... مستحبا يوقع الأنغام

....

اشربي الكأس واتركي لي فيه ... قبلة تستقر بين عظامي
قبل أن يخطر النسيم فيمضي ... بأماني الهوى ويذرو حطامي

صالح جودت

الذكرى

لمن آهاتي الحرى ... إذا ما أظلم الكون
ودمعة مقبلة شكرى ... يغالب سكبها الجفن

....

ذكرت هواي مذ شبنا ... مع الأحلام فتانا
فرحت أقطع القلبا ... وأذرى الدمع هتانا

....

ذكرت شفاهنا تدنو ... وما تفترق في اللثم
كلانا مدنف يحنو ... كأن العيش في حلم

....

ذكرت البدر والأفقا ... ونجمة قلبي الدامي
ذكرت نجيها الشفقا ... وفي العينين أحلامي

....

ليالي الأنس لم تبق ... لقلبي غير ذكراها
يعانق طيفها عنقي ... وثغري لاثم فاها

....

أشاهد طيفها الباكي ... مع الأدمع جوالا
واسمع صوتها الشاكي ... يذيب القلب منهالا

....

سلاما أيها الحب ... وإن أورثتني شجوا
يخلد عهدك القلب ... على ما فيك من بلوى

دمشق ... م. جميل سلطان

على لسان شاب مصرى فى الثلث الاول
من القرن العشرين

ألا كم مر جيل بعد جيل ... وماضي المجد لا يبغى إيابا
تنقل في بلاد الأرض طرا ... وغادر مهده منه يبابا
إلى أن عاده شوق لأم ... تكابد من تنائيه عذابا
فحياها وأرسلها إليها ... رياحا قد رددن لها الصوابا
سرين وقد حملن لنا جليا ... نداء للمكارم مستجابا

....

كذا قمنا بعزم ليس يخبو ... لنرفع مصر في الدنيا شهابا
نعيد لها الشباب وكان حتما ... علينا أن نعيد لها الشبابا
صحا فينا الضمير فباد شعب ... صحا للمجد يطلبه طلابا
يعد الفكر في ثقة سفينا ... لبحر العيش مصطحبا عبابا
علينا الواجبات هناك شتى ... وطرح الضيم أولها حسابا
فما نشطت بذاك العبء قوم ... إلى فضل ولا شرفوا جنابا

....

بني مصر الكرام سلام بيه ... إذا ما نلتم العلياء طابا

دمعة على شاعر العرب الكبير
المرحوم حافظ بك ابراهيم

أرسل الينا الشاعر اللبناني الرقيق سابا زريق قصيدة بهذا العنوان في ٧٠ بيتا من أصدق الشعر وأروعه، جلا فيها عواطفه النبيلة في ذكرى فجيعة العرب بشاعرهم حافظ، واذا ضاق باب الشعر في الرسالة عن نشرها، فلن يضيق عن تقديرها وشكرها. فللأستاذ الشكر الموفور والمعذرة الخالصة ؟

«الرسالة» وقعت غلطتان مطبعيتان في قصيدة «احساساتي» للأستاذ الزهاوي التي نشرت بالعدد ١٥، ص ٢٨. الاولى سطر ١٥: بعد ماقد يموت، وصوابها: بعد ما يموت والثانية سطر ٢٠: خير قبر. وصوابها خير غيث.

من الأدب التركي الحديث

عبد الحق حامد

للدكتور عبد الوهاب عزام

نشرت فى « الرسالة » الماضية ترجمة المقدمة المنثورة التى كتبها شاعر الترك الأكبر للمرثية الكبرى التى رثى بها زوجه فاطمة وسماها « المقبر » ووعدت أن أنشر فى هذا العدد مثالا من شعر هذه المرثية.

ولا أكتم القارىء أنى حين وضعت الكتاب أمامى – وهو زهاء ألف بيت تدفق بها قلب الشاعر الحزين على غير ترتيب – لم أدر كيف أختار: الرسالة لا تتسع للإسهاب، والإيجاز لا يفى بالإبانة. ولولا وعد لقراء الرسالة سبق ما كلفت نفسى هذا الشطط. عبرت الكتاب أنتقى من صفحاته، أبدأ ترجمة الفكرة ثم يضطرنى إطناب الشاعر إلى الوقوف دون غايتها. وأجد البيت الفرد البديع مكملا أبياتا كثيرة فلا أستطيع أن أترجمه وحده، ولا أن أترجم كل ما اتصل به، على أن فى بعض الأبيات إبهاما وغموضا وفى بعضها اضطرابا. وقد وصف الشاعر كتابه فى المقدمة التى يذكرها القارىء. وقد ترجمت عجلان حين ضاق الوقت، حتى أرسلت المقال بالبريد على قطعات، من خوف « الزيات »:

....

أوّاه لم يبق الحبيب ولا الدار، وبقى قلبى ملؤه الأحزان والأكدار. كانت هنا الآن فصفرت منها اليد؛ جاءت من الأزل وذهبت إلى الأبد.

ذهبتُ وبقيت هى ترابا، وحلت رفاتها قفرا يبابا. أوّاه انما بقى من أنس القلب الكريم، قبر فى بيروت مقيم.

أين أين أفتش عن هذا الحبيب؟ ومن أسائل عن هذا الغريب. يارب! أين أين هى: فى الأرض أم السماء؟ ربّ! من قذف بى فى هذا الشقاء؟

يقولون: انس خلّ الوفاء، فقد سلك طريق البقاء. هل يسع الخيال هذه الحقيقة، وهل ترى العين هذه الفجيعة؟

ما أسرع ما انقلبت بى الحال! انقلابٌ لا يصدقه الفكر والخيال. أرى شيئا، أراه يشبه القبر! ويشبه الحبيب حين أنعم النظر.

تمضى بى على الشك الليالى، ويزيد على مرّها حزنى ووبالى. إنها صدمة انقلاب قتّال، فليت شعرى هل حُم لى الزوال؟

هلمّ فاطمة اصعدى من اللحد، وارجعى سيرتك التى أعهد. لا تكتمى عنى هذا السر. وأفصحى بكلمة. أواه إنما أريد كلمة منك.

ابتسمى ابتسام الورد، وداوى جرح القلب. وأنمى أيام حياتى بنظرة معسولة، أو بسمة ساحرة.

أقبر هذا؟ ما هذا الذى أرى؟ أمكان الحبيبة هذا الثرى؟ انها لمحنة، إنها لحيلة، انها لفنائى وسيلة.

أنظر أنظر كيف حالَ الياسمين المنوّر، وانظر إلى الوجه الوردىّ كيف اغبرّ: تعسا لك تعسا أيها الجدّ الأعسر، وياويلتا الى يوم المحشر.

ربِّ ما غاية هذا العيش الأغبر؟ وما غدُ هذا البشر؟ أبلغ فكرى روحها، أو سيِّر روحى إلى ترابها....

ربّ ماهذا الصفر فى الحساب، لكل الأرقام اليه انقلاب. أهو عدم ذو وجود أو قبر فى اضطراب؟.......

لقد تولاها السقام، وملأت صدرها الآلام، تضحك وضميرها فى عذاب، تخفى بضحكها خفى الأوصاب

وكم حسبها الناس فى سرور، وماسرورها إلا الحزن المكتوم، حتى ملأت باليأس نفسى، وأثارت الفتنة فى قلبى.

القبر منتهى هذه الدقائق، وسر عجيب من أسرار الخالق. نور كلما مال للغياب، هبط إلى كومة من التراب.

هذا أعلى الشواهق، وهذا أروع الحقائق، أيها الشقى تلك حقيقة لا تدركك. هذا شأنك، وهذه فى الدنيا حالك.......

لقد كانت شعرا بليغا مبهما، كان فكرها شاعرا ملهما. «صحراء وتزر وأشبر (١)» من وحيها وما كنت الا واسطتها....

(١) صحراء وتزر وأشبر ثلاث منظومات للشاعر

كنت أفهم هذا الوجه الشاحب ، الذى منح شعرى اللون المعجب . تأبي أفكارى أن يكتب ويُفهَم ، وهل تنحت الجبال بقلم ؟

اجتمعت ضروب الآلام فى صدرها . والناس فى غفلة عن أمرها ؛ كان كل من رآها يشفق عليها ويحبها ، ولا يدرى لماذا ؟ . . .

وكانت ملكة الخلق الكريم والفكر السديد ، تشعر بخطرات نفسى وتقرأ أسارير وجهى .

وكانت وإن لم تكثر الكتابة ، ملهمة لا تخطىء الاصابة ، وكم فتنت منها بالكلم الدقاق والذكاء العجيب ، قد عمر بها شعرى الخراب ، وتلألأ فيه صنعها العجاب . كانت تجى الأفكار فى نفسى خيرة بالكلمات التى تند عنى .

....

تذبل الوردة الناضرة فتخلفها وردة أخرى ، تضىء مكانها وتفتر ، كأن الأولى لم تتغير . وتغرب الشمس المنيرة فاذا هى فى الصباح مشرقة . ولكن شجرة الورد هذه لن تزدهر ، ولكن هذا النجم فى غروب مستمر .

سلكت بى الفكر ألف سبيل وراءك أيها القمر فعى العقلُ دونك وأقصر . صاعقة ولكن لا يسمع صوتها ، ونور يسقط ولكن لا يبين ضياؤه . . .

....

يارب أين أين الحقيقة ؟ أجعلت الغم سر هذه الخليقة ؟ مهما طال بى الأنين واستمر ، فما هو الا كأنين الشجر . . . .

لا ريب أن حياتى سم أتجرعه ، فيدنينى من الموت الذى أرتقبه ، شرح هذا الوجود فهو عدم ، وقلب هذا السرور فهو ألم .

ليت شعرى أفى الموت نجاتى ؟ ليت شعرى ماذا يحبب الى حياتى ؟ قد انهدمت خليقتك على يارب فكيف تحتها ثباتى ؟

حسبى حسبى سموم هذا القهر ، حسبى حسبى طغيان هذا النهر . أليس لهذه السيول تناهى ؟ حسبى جرعة واحدة ياالهى .

ما بقائى فى الدنيا ! أعضو أنا فى جسم الدهر ؟ أأنا يارب مرآة جلالك أم أنا شعاع من جمالك ؟ . . . .

....

أمامى مسجد التوحيد الوضاء ، وفى عقلى الشك وفى قلبى الرجاء ، وفوق لقاء السرمدية ، وتحتى فناء الآدمية .

أرجو من الخالق خلودا ، فيبدو لى التراب والحجر وعيدا(١) وأقول ان الانسان لا مزية ، الى الفناء ، فتصيح روحى : كلا إنه للبقاء . . .

ان لم يكن للبشر مزية فى الوجود ، فلماذا توحى اليه المشيئة الخلود ؟ أيها القبر إنما هذا السكوت ، خطاب الحى الذى لا يموت .

(يستمر الشاعر يقيم الحجج على خلود الانسان ثم يرجع الى خطاب حبيته ثم يخاطب الله بين الاعتراض والتسليم الى أن يقول)

رب كيف لا أشكو ؟ ألا يصيح الجريح ؟ ماهذا القبر الذى أمامى ؟ وضعت فيه حبيبا جميلا ، وجعلت التراب حدود عقلى ، وحبست ادراكى على هذا الحجر . واعتصمت بك فهويت علىّ .

إن لم يكن للبكاء جدوى فكيف يسكت القلب اللجوج عن الشكوى ؟ لماذا تئن الطيور فى الأوكار ؟ أليس لقلبى أغنية كهذه الأطيار ؟

قالت لى يوما فى اضطراب : جئت الى الهند لأموت فى اغتراب . فضحكت من قولها وتكلفت الثبات ، ولكنى أحسست أن قلبى قد مات . ثم ودعنا الهند بين الموت والحياة .

جاوزنا القناة فى غم وكرب ، وليس القوت الا دم القلب .

كلما سألت أجاب السعال الظالم . ذلك الجواب المظلم .

حتى اذا لم يبق الا رمق ، لاحت بيروت فى الأفق ، ومر يوم ولم أدر بما كان . وسألتها فاذا النعش عيان

النعش هذا الدليل دليل المقبر ، النعش ذلك الهيكل الأغبر ، النعش ذلك الخطيب الأصم الأبكم ، النعش ذلك الهمود المجسم . النعش هذه السكتة المحيرة ، النعش تلك المصيبة المتكررة . النعش ذلك الانقلاب الصموت ، ذلك الحد المتحرك للعقل المبهوت . النعش خرابة الأمل الخامد ، النعش ذلك الاغبرار الخالد . النعش ظل المحشر على الاكتاف ، النعش ذلك الموت المتموج التفت على هذه الروح الواحه ففتحت ذراعىّ للموت . . . .

أيها التراب المضىء ، تراب الحبيب الصامت ! أيها النور الأسود الثابت ! ان قلبى ليتحطم من جمودك ، وان روحى لتموت من خمودك .

لا لا ، ليس ترابا انه موت نابت . لا لا ، ليس موتا انه جؤار صامت . لتحرس الملائكة هذا القبر ولتضىء عليه الثوابت .

....

ليس ترابا كله قبر الحبيب ، ان له قبرا آخر من النسيان الرهيب . النسيان أسفل المقابر ، النسيان مقتل الأكابر .

وقبر آخر ذلك القلب الهباء فهو والتراب سواء . فالحبيب ذلك الملك المسافر ، طائر بين هذه المقابر . . .

....

يارب ما أعظم محبتك التى أرى وما أعظم رحمتك التى

(١) يريد تراب القبر وأحجاره

في الأدب الغربي

« وإذا أتى يوماً ؟ »

قصيدة لموريس ماترلنك

للأستاذ أبي قيس عز الدين علم الدين

عضو المجمع العلمي العربي

بمناسبة مانشرته الرسالة البارعة في العدد الرابع عشر من رواية بلياس ومليزاند ترجمة الأستاذ حسن صادق ، أبعث للرسالة بقصيدة تعد من روائع الأدب الرمزي ، وقد نقلت الى معظم اللغات الغربية ، وأما شاعر هذه القلادة المروية فهو الأديب البلجي الكبير موريس ما ترلنك Maurice Maeterlinck الذي ولد في غاندسنة ١٨٦٢ ، وقد نشأ مفطوراً على حب الأدب ، فحذق الصناعتين ويعده البلجيون من عباقرة شعرائهم وكتابهم الخالدين : وقد أدخل في الادب البلجي اسلوباً جديداً وإمتازت قصائده بطابع حزن عميق يثير مكنون الاسى ، وأما رواياته التمثيلية فانها تقنع مطالعها بأن حياة الناس خاضعة لعوامل خفية ، وأن العالم الارضى مقضي عليه بقضاء وقدر مضاعف : قدر الحمام ، وقدر الغرام.

وأهم آثاره : بيوت الزجاج (١٨٨٩) ، الاغاني الاثنتا عشرة (١٨٩٧) ، الاميرة مالين (١٨٨٩) ، العميان (١٨٩٠) ، بلياس ومليزاند (١٨٩٢) ، العصفور الازرق (١٩١١) ، كنز المتواضعين (١٨٩٦) ، الحكمة والقدر (٨٨٩٨) ، حياة النحل (١٩٠١) .

والآثار الثلاثة الأخيرة تدل على براعة ماترلنك وعبقريته ، وعلى رسوخه في فلسفة الاخلاق وعلى شاعريته الجبارة .

وأما قصيدته الخالدة الموسومة بعنوان «وإذا أتى يوماً ؟» فهي من مرويات أغانيه الاثنتي عشرة ، ويعود تأثيرها البليغ الى تأثير موقفها الفاجع ، ولعمري أي أمر أفجع من موقف شقيقتين تحتضر احداهما فتسألها الاخرى عما تجيب به اسئلة خطيبها اذا ماعاد يوماً من دار هجرته الى دار مهجته ، فتجيبها ، ولم يبق من شقيقتها إلا الحشاشة ، بأجوبة رمزية تشبه غصص المنية ، وإليك الآن هذه الاغنية تلتاع القلوب الشاعرة لزفراتها ، وتنتزع العقول العبرة من عبراتها . . .

س : وإذا أتى يوماً وعاد فما أقول لمن يعود ؟
ج : قولي له : انتظرتك حتى فارقت هذا الوجود
....
س : واذا الحّ وليس يعرفني ليكتشف الحقيقه ؟
ج : فتحدثي معه كما تتحدثين الى شقيقه
....
س : وإذا تساءل : أين أنتِ فما يكون جوابه ؟
ج : أعطيه خاتمَ خطبتي الذهبيّ فهو جوابه

تفيض بها الأرجاء كلها ! ألا يفنى في هذا كله الفراق المنبعث من القبر ؟ . . . . . .

هذه الأنجم ضياء وحدتك ، وروحي كذلك أحد كواكبك ، والحبيبة التي كانت ملكا — طارت لا ريب — الى جنتك

كلما ذكرتك اتسع خيالي . وصارت فجراً منيراً هذه الليالي . ما أعظم اسمك أنساً للروح ، انه يسير اليك في صيحات الفؤاد المجروح .

....

أقول « الله » فينفسح المجال . أقول « الله » فيفارقني الزوال . بحركة هذا الصوت الأعظم ، يطير جناحي وان حطمه الغم

أنت أقرب الى الله يا محمد ، أيها العقل المعظم المؤبد ، أنت الذي سلكت بنا السبيل ، وكنت الى الله الدليل .

....

ليصمت بعدُ هذا النواح ، فلا تضيق به الأرواح ، هذه الآهة التي تفيض من الروح ، لن يسمعها بعدُ الاقلبي المجروح سأكون في الدنيا قبرها ، تطوف فوق روحها . سأصمت عن هذا النحيب ، لأفرغ للتفكر في الحبيب . اهـ

س: وإذا استراب وقد رأى في المخدع الخالي العجاج؟
ج: فاريه أن الباب مفـ توح مذ اطفأ السراج

س: وإذا استزاد مروعاً عن حال ساعتك الاخيره؟
ج: قولي له: ابتسمت مخا فة أن تنوح على الكسيره

الفيحاء أبو قيس

« بوفون BUFFON »

تمخض العالم عن شخصية « جورج لكلرك » قونت بوفون » في مدينة « مونت بار » عام ١٧٠٧. ولما يفع وترعرع دخل معهد الآباء اليسوعيين، ليحتلب من ضرعه علوم القرن الثامن عشر؛ ولكن نفسه الجبارة نزعت الى الطبيعة الخلابة، فودع بقية العلوم في ذلك المعهد، وراح يضرب في انحاء ايطاليا وانجلترا، يتحرى قوانين الطبيعة في أماكنها، ويدرس طبائع الحيوان والنبات عن كثب، شأن البحاثة المدقق الذي لا يرضى بما لاح من صيد، ولا يعود من مغامرته بالقشور دون اللباب. فانكب على العلوم الطبيعية، يقتلها درساً وتحقيقاً، حتى ضرب فيها بسهم صائب، وبلغ منها ما أمل وما أراد؛ ولم يدر مع الارض حول الشمس ٢٦ دورة حتى انتخب عضواً في « أكاديمية » العلوم.. وبعد هذا التاريخ بست سنوات عين ناظراً عاماً « لبستان الملك »، الذي يطلق عليه الفرنسيون اليوم اسم « بستان النبات ».. كان « بوفون » إذا أراد الكتابة، اعتزل الضوضاء في غرفة منزوية، وارتدى ثوبه ذا الأكمام الموشاة، والناطق باسم مقامه العالي، وتقلد سيفه المحلى بحلى ثمينة، ثم جلس الى مكتبه يتخير لأفكاره أشرف المباني، ولعواطفه أرق التعابير، وحينما ينتهي من كتابته يعيد قراءة ما دبجته يراعته، بصوت مرتفع أجش، وجنان تتجاوب في ارجائه عواطف الحماسة والعظمة، حتى إذا ما هذب ونقح، وتلا ما كتبه ثالث مرة: غادر مكتبه وماء البشر يترقرق في وجهه، ونشوة السرور تدب في جسمه. اشتغل بوفون مدة خمسين عاماً في تأليف كتابه « التاريخ الطبيعي » جوهرة الأمس ودرة اليوم، ولكن المنية شعبته فحالت دون تدوين دراسته المستفيضة بكاملها، فظل الكتاب مبتوراً تنقصه ابحاث مهمة كالأفاعي والأسماك، والحشرات والنبات، وقد سد هذه الثغرة في هذا الروض الأريض « لاسيد » تلميذ بوفون المخلص، وصديقه الحميم.

ومهما يكن من شيء فأن شهرة « بوفون » ما زالت تطوى المراحل وتجوب الأمصار، وسمعته ما انفكت تسير بذكرها الركبان، وتتجاوب بصداها المحافل. وقد عرف له مواطنوه نبوغه، فانتخبه المجمع العلمي الفرنسي عضواً فيه، وأنعم عليه لويس الخامس عشر بلقب « قونت ».

ولم تخترمه يد المنون في عام ١٧٨٨ حتى رأى تمثاله منتصباً في مدخل متحف التاريخ الطبيعي، وقد حفر عليه باللغتين الفرنسية والألمانية: « إن عظمة الطبيعة تساوي عبقريته ».

ولست لأعرض الآن لأدبه بالتحليل والنقد، فعساي أن أعود اليه في يوم آخر، ولكني مترجم هنا آية من آياته الخالدة، في وصف الصحراء العربية.

« صحراء جزيرة العرب Le desert de l'Arabie »

« تصور بلاداً لا تتنفس عن اخضرار، ولا تترقرق في مآقيها المياه! شمسها تتقد اتقاداً، وسماؤها أشد جفافاً من الضرع الذاوي. تستر الرمال أدم وديانها، وتسيطر جنود الجدب على جبالها!! تطل عليها الباصرة فيضل البصر فيها، دون أن ينعم برؤية شيء تتجاوب فيه خطرات الحياة.

أرض جر عليها الموت أذياله، قد عصفت فيها أعاصير حاصبة، نزعت عنها غلالتها الرملية، فلا يصطدم فيها نظرك العقابي، إلا بهياكل عظمية، وحصباء منتثرة، وصخور منتصبة، وأخرى مستلقية.

صحراء ليس بينها وبين وهج الشمس من حائل، فليس بمقدور المسافر أن يفيء الى ظلال ظليلة. هنالك لا صاحب

فيؤنس وحشته، ولا شيئاً حياً فيذكره بالطبيعة الحية: عزلة مطلقة، وارفة الجناحين، ترعب أكثر من ألف مرة من عزلة الغابات، لأن الاشجار كائنات حية في نظر المنفرد المسكين الضال في هذه المهامه الخاوية، والمتمردة على سلطان الحدود.

يتراءى للمسافر حيثما اشاح بوجهه، أن قبره منبوش في هذه الفيفاء: فيرى نور النهار الساطع، أكأب من حلوكة الليل الدامس، لأن هذا النور لا ينبعث الا ليثير له عن خوره وارتخاء مفاصله، والا ليمثل له هول موقفه وحراجته، ذلك أنه ينأى عن عينيه حدود الخلاء.. ويزيد في بسطة هوة الأتساع، تلك الهوة التي تفصله عن الأراضي الآهلة. رقعة واسعة تكفيه مؤونة التطواف، ففيها جوع كاسر للطرف، وفيها ظمأ عاصب للفم، وفيها حرارة قادحة للثقاب. هذه كلها تضغط على ما بقي لديه من لحظات تتردد بين اليأس والموت.

حلب: عبد الوهاب حومه

بحر ناعس

(SLEEPING SEA)

لجون فريمان

بحر

كالطفل الغارق في سباته.

يحتفظ

بخوالج وجدانه في نهاره ليرددها على لسانه في ليله

لا تكاد

تطفح لجته المرتفعة حتى تخور فتتراجع في هوادة وبطء

والبحر

في هدوئه كركود الطفل في غفلته. القمر من هزاله

كلهب الشمعة يذوي ويحتضر.

لا صوت.

بالبحر كالطفل الحالم في سكرة نومه الحادة بين بخفوت مؤلم.

ثم يرسل من أعماق صدره زفرات حارة في تأوهات

صامتة. لقد تشابها.؟

منوف احمد محمد البيه

اللقاء العجيب

لأندره شينيه

هي: أيها الغاب هل رأيت حبيبي ... قرب ماء الغدير عند الغروب؟
كم صباح أتاك بل كم مساء ... عندهمس الصبا وشد الجنوب
سوف أصغي لكل صوت بعيد ... فلعلي أحظى به من قريب
هو: إيه يا موجة الغدير سلاماً ... يا عروس الماء النمير السكوب
إحملي لي حبيبتي فهي عندي ... زهرة الحب فوق غصن رطيب
كم لمت الخشب الذي وطئته ... قدماها في الغاب دون رقيب!
هي: آه لو يعلم الحبيب بشوقي ... وحنيني وحرقتي وشحوبي
هل أراه في الغاب؟ إن خيالي ... ليراه في ذا المكان الرحيب
سوف أدعوه بابتسام وعطف ... فعساه يكون بعد مجيبي
هو: رب هب لي رحماك صبراً جميلاً ... إنما الصبر جنة المكروب
هل أتاها أني ليخفق قلبي ... لسماع اسمها الجميل الطروب؟
سأناديْ دوماً بصوت حنون ... علها أن تجيب صوت الحبيب
هي: آه إني رأيته فأعني ... بالثاني في ذا اللقاء الرهيب
إيه يا ناظري ويا شفتيا ... إهدآ ساعة اضطراب القلوب
هو: ما للهذي الأوراق تهتز دوني؟ ... قد بدا لي ثوب الفتاة اللعوب
إنه ثوبها فيا مقلتيا ... عبرا عن غرامي المحجوب
هي: أهنا أنت؟ إن ذا لعجيب ... أنا وحدي في ذا المكان الجديب
لم أفكر في أن أراك ولكن ... جزته نحو بيتي المحبوب
هو: أنا ألهو برؤية الموج وحدي ... وذرى الزيزفون تجلو كروبي
لم أفكر في أن أراك أمامي ... لم أفكر في ذا اللقاء العجيب!

دمشق محمد ناجي الطنطاوي



العلوم

نشوء الكائنات الحية على وجه البسيطة

للاستاذ السر أرثر طمسن

خلال الادوار الاولى لتاريخ الارض لم يكن فى مقدور اى مخلوق حى نتصوره ان يعيش وسط تلك الظروف. فقد كانت الحرارة مرتفعة جدا، وكان الهواء والماء معدومين فى وجه البسيطة. اذن فلا بد من ظهور المخلوقات الحية منذ عصور سحيقة فى القدم لا نستطيع معرفة تاريخها: اما كيفية ظهور الحياة للمرة الاولى فلا يعلم أحد ذلك بالضبط، وكل ما هنالك احتمالات متباينة نأتى على ذكر أهمها:

منذ القديم كان الاعتقاد السائد ان الحياة نشأت من طينة الارض بطريقة خارجة عن نطاق البحث العلمى، على ان هذا الرأى يفسد علينا فهم المسألة لتسرعه فى الحكم عن نشوء الحياة بهذا الشكل، فاذا كنا لا نعتبر هذا الرأى علميا فذلك لان العلم لا يعطى قرارا جازما ولا يبت فى أمور لها من الشك نصيب كبير:

وذهب فريق من العلماء وعلى رأسهم الاستاذان « هلمهلتز Helmhotz» واللورد كلفن Lord Kalvin الى ان المخلوقات الحية البسيطة لم تنشأ من صميم الارض بل جاءت اليها من الخارج محمولة بقطع الشهب المتساقطة او بواسطة الغبار الكونى، على ان تلك الكائنات ظلت فى حالة السبات لعدم ملائمة الظروف لها حينذاك، وبهذه المناسبة يجب أن نتذكر ان بذور النباتات تستطيع ان تقاوم البرودة والجفاف زمنا طويلا، كما ان « البكتريا » تستطيع احتمال درجات مرتفعة من الحرارة دون ان تفقد حيويتها. وكما يرى الاستاذ « برثلو Berthelot » انه طالما لا يحدث انحلال جزيئى فقى إمكان الافعال الحيوية ان تتوقف عن العمل مؤقتا ريثما تعود الظروف الملائمة. اذن فنظرية اللورد كلفن تنسب أصل الكائنات الحية الى غير الارض.

وذهبت فئة اخرى من العلماء تقول بأن المخلوقات الحية البسيطة نشأت على سطح الارض من مواد غير حية اى من مركبات كربونية نصف سائلة بتأثير بعض الخمائر. وتعزز هذه النظرية بما وصلت اليه أبحاث علماء الكيمياء التركيبية الذين نجحوا فى تركيب بعض المواد العضوية كحامض الاوكساليك والنيل، وحامض الساليسليك والكافئين، سكر القصب بطرق صناعية بحتة. على أننا لا نعلم بالضبط من يقوم مقام العالم الكيمائى فى مختبر الطبيعة! ومهما كان الامر ففى المسألة غموض وتعقيد كبيران لا نتخلص منهما الا بنتيجة واحدة وهى ان العلم لا يستطيع الى الوقت الحاضر ان يقول كلمته فيها.

أول جسم عضوى على الارض

ان أول ما يتبادر الى ذهننا التساؤل عنه هو كيفية نشوء المخلوقات الحية الاولى على الارض أو بالاحرى عن الحياة التى كانت تغطى وجه البسيطة فى ابتداء دور تكونها. ولادراك ذلك علينا أن نستعين بابسط المخلوقات الحية فى الوقت الحاضر كبعض أنواع البكتريا أو العضويات الأحادية الخلية وخاصة المسماة منها بالاحياء الاولى (Protists) التى لا يمكن تعيين انتسابها الى المملكة الحيوانية أو النباتية. لا شك ان الجزم فى مثل هذه الامور يعد تطرفا لا يجيزه العلم: انما يميل العلماء الى التسليم بالنظرية القائلة، ان المخلوقات الاولى كانت كريات مجهرية من مادة البروتوبلازم الحية، لا تختلف عن أبسط أنواع البكتريا فى الوقت الحاضر الا بكونها تستطيع المعيشة فى الهواء والماء والاملاح الذائبة على السواء ويظن أن العضويات البحرية الأحادية الخلية نشأت من هذا الاصل وكانت قادرة على صنع الكلوروفيل أو ما يشابهه وربما كانت هذه الوحدات الصغيرة الحية محاطة بغلاف سيليولوزى. غير ان طاقتها الكامنة عظمت فتمخضت عن ذنيبات أو شعيرات (flagella) صغيرة مكنتها من تسيير نفسها فى الماء للتفتيش عن الغذاء. ولا يزال من امثال هذه العضويات كثير فى الوقت الحاضر أغلبها يعيش فى الماء والبعض منها ـ وهى نباتات بسيطة أحادية الخلية ـ تصبغ سوق الاشجار وحتى الصخور الرطبة باللون الأخضر وتدعى الخزيات (Algae) ويرى الاستاذ (شورش) A.H. Church أن البحار التى كانت تغطى وجه البسيطة فى مستهل تاريخها كانت مأهولة بهذه المخلوقات المدنية الخضراء التى وضعت الحجر الاساسي لعالم النبات

ويظن ان الاحياء الاولى ولدت سلسلة أخرى من المخلوقات

المفترسة البسيطة لم يكن في وسعها أن تكون المادة العضوية ـ الغذاء ـ من الهواء والماء والأملاح فكانت تعيش على افتراس ما يجاورها من العضويات. ان هذه الوحدات كانت عديمة الغلاف السيليولوزي بحيث يسهل للمادة الحية أو البروتوبلاسم القيام بالعمليات الحيوية المتنوعة على نحو ما نراه الآن في الاميبا أو في كريات الدم البيضاء وغيرها . من هذه العضويات المفترسة نشأت المملكة الحيوانية بأسرها .

نستنتج مما سبق ان الحيوانات الاولى والنباتات الاولى نشأت من الأحياء الابتدائية البسيطة ثم أخذ كل منها يسير في اتجاه خاص.

بداية نشوء النباتات البرية :

من المحتمل جداً أن المياه كانت تغطي وجه الارض في أدوارها الأولى، وأن ذلك البحر المترامي الأطراف كان مأهولا بالنباتات الابتدائية من ذوات الشعيرات (Flagellates) على أن انكماش القشرة الارضية احدث مرتفعات ومنخفضات في قاع البحار، واقتربت على أثر ذلك الطبقات الصلبة في بعض الأماكن نحو سطح الماء، فسمحت للنباتات العائمة أن تستقر هناك على مقربة من النور. هذا ما يصوره لنا الاستاذ « شش » عن مبدأ النباتات الثابتة وهي خطوة ذات شأن عظيم في سير التطور. ويظن ان أول نجاح صادفته الحيوانات كان بين هذه النباتات القديمة. وقد أخذت النابتة بالظهور عندما ارتفع قاع البحر في الاماكن المنضحلة تدريجيا. ان تلك النباتات الثابتة كانت اسلاف حشائش البحر التي تعيش على الشواطىء البحرية الآن.

الحيوانات الأولى

ان الحيوانات التي هي تحت مستوى « الحيوانات النباتية » (Zoophytes) والاسفنجيات تدعى بالحيوانات الابتدائية أو البروتوزوا (Protozoa) — ومعنى هذه الكلمة الحرفي الحيوان الاول — وكل ما نستطيع أن نقوله عن هذه الحيوانات ان أبسطها قد ينيرنا عن بساطة تركيب الحيوانات الاصلية الاولى. والواقع ان أغلب الحيوانات الابتدائية المعروفة في الوقت الحاضر هي على درجة من التعقيد لانستطيع معه أن ندعوها « أولية » بالمعنى الصحيح، ومع ان أغلبها مجهرية الا أن كلا منها حيوان تام قائم بذاته يقوم بنفس العمليات الحيوية التي نقوم بها نحن، وتختلف عن الحيوانات العليا في عدم تكونها من الوحدات التي نسميها « خلايا » فهي اذن خلية واحدة مستقلة عديمة الانسجة وعديمة الاعضاء ـ بحسب المفهوم العلمي لهذين الاصطلاحين — على انا في كثير منها نعثر على تعقيد كبير في البنية الداخلية أكثر مما نقع عليه في الخلايا الاعتيادية التي تبنى منها أنسجة جميع الحيوانات الراقية ، وبهذا الاعتبار نستطيع أن نقول ان المخلوقات الابتدائية هي مخلوقات حية تامة لم تكتسب التكوين الجسمي بعد

بدء تكون الجسم

قال العالم الطبيعي «لويس اكاسيز» (Louis Agassiz) ان أكبر فراغ وجد في العالم العضوي كان ما بين الحيوانات الاحادية الخلية والمتعددة الخلايا وبعبارة أخرى ما بين الحيوانات الابتدائية (protozoa) وما وراء الابتدائية (Metazoa). ولكن لم يبق ثمة فراغ بين الفرعين بتطور الاسفنجيات وأمعائية الجوف والديدان البسيطة وظهورها باجسام المرة الأولى. فكيف نعلل تكون الجسم وهو في خطوات التطور الكبرى؟ ليس في استطاعتنا ان نعلم كيف حدث ذلك على وجه اليقين انما يمكننا ان نبسط هذا الرأي المستمد من دراسة عميقة وبحث دقيق :

عند ما ينقسم الحيوان الابتدائي (protozoon) الى شطرين أو اكثر ـ وهي طريقة التكاثر التي يتبعها ـ تنتشر الانسال وتعيش مستقلة بعضها عن بعض ؛ ولكن بعض الابتدائيات لاتنفصل أنسالها بل تبقى مرتبطة مع بعضها فالفولفوكس (Volvox) ـ وهو حيوان كروي أخضر اللون جميل يوجد في بعض الاقنية ، ماهو الا مستعمرة لألف أو عشرة آلاف خلية ومن مجموع هذه الخلايا نبدأ بتمييز الجسم. على أن خلايا الفولفوكس هي من نوع واحد بينما نجد في خلايا الحيوانات التي تلي الابتدائية تخصص في العمل مما يدل على رقيها في توزيع الأعمال. فالجسم يبدأ بالتكون من تجمع قسم من المادة الحية حول كل نواة، ويرتقي تكوينه كلما حصل توزيع في العمل وتميزت الخلايا الجرثومية (أو التناسلية) فيه عن الخلايا الجسدية.

اكتسابات عظيمة

ان تناظر الجسم العام في حيوانات كشقائق البحر وقنديل البحر يكون شعاعيا أي لا يوجد له جهة يمنى أو يسرى ويمكن تنصيف الجسم با كثر من سطح واحد. وهذا النوع من التناظر ملائم جدا لحياة الارتكاز أو الانجراف مع التيار. على ان حياة الديدان كانت تتطلب الحركة فاستدق طرفاها وصار لها جهة امامية وجهة خلفية وأصبحت اغلب الحيوانات من الديدان الى الانسان ذات تناظر جانبي تتميز في جسمها جهات أربع ولا يمكن تنصيفها الا بسطح واحد.

الاقيانوغرافيا

أو

تقويم المحيطات

بقلم الدكتور حسين فوزي

مدير إدارة أبحاث المصائد

— ٢ —

أرموريك بلاد الأنواء! رابضة فى درعها الجرانيتى عند الطرف الشمالى الغربى من فرنسا بين المانش والأطلانطيق. تنشأ حول أخاديدها وجوناتها وخلجانها قوم من الجازفة عركوا أهوال البحر جنوبى أسلنده وشرقى الأرض الجديدة. ومن تلك الخلجان والجونات خليج دوارنينيه تشرف عليه من نواحيه المحمية من الريح الصرصر غابات الصنوبر. وهو فى أغلب أنحائه غار أجرد تحف به منازل صيادى السردين قائمة الى جانب الكنائس البريتونية المنحوتة من الجرانيت. عابسة للمحيط عابس لها. صامدة للعواصف تتلقاها على أسنة أبراجها القوطية:

الوقت منتصف الليل وقد شهدت نسوة الصيادين عند غروب اليوم عودة النوارس فازعة من عرض البحر. فوجفن للعاصفة وارتفعت أبصارهن الى صور العذراء وتماثيلها فى أركان القرية وتحت أعطاف الكنيسة وفوق الاسرة الخشبية يتعوذن بها لتحمى أزواجهن وأولادهن وعشاقهن من هول النوء المهاجم.

وفى أشد مايكون صرير النوء تنصت نساء سانتان دى لايالود وأودىرن ودوارنينيه الى أصوات نواقيس تتصاعد من أعماق الخليج. تلك نواقيس عاصمة كورنواى الغارقة «أيس» حاضرة الملك جرالون حامى حمى المسيحية الأولى فى أشخاص قديسيها رونان وكورنتان وجينوليه. من دون ابنته داهوت التى ركبت مركب الشيطان ففتحت المغاليق التى تحمى مدينة أيس من الاقيانوس.

يصيح سان جينوليه «البحر يامولاى. بادر الى جوادك» فيمتطى الملك جواده. وتقفز داهوت خلفه. ويحاول عبثا أن يلحق بالقديس السابح بجواده فوق العباب

— النجدة ياجينوليه!

— ألق تلك الملعونة فى اليم أو أنت من الهالكين.

وإذ تبتلع الأمواج داهوت يواصل الملك سراه حتى يوقفه جينوليه فيتلفت خلفه باحثا عن عاصمة كورنواى فأذا «أيس» لا أثر ولا عين طغت عليها أمواج خليج دوارنينيه.

كذا جاءنا حديث الخرافة بخبر مدينة «أيس» الغارقة. وخبر غيرها من المدائن. ليونيس وأسمايدا وسان برندان.

ولو أن الأمر وقف عند هذا الخرافة لارتحنا إلى قصص السندباد. وتهريف بعض كتاب العرب إذ يقصون نبأ الجزيرة التى ينزل النها الواحدة فما أن يوقدوا نيرانهم حتى تميد بهم وإذا هى حوت هائل يتأهب للعودة الى الأعماق. ولم نتساءل ان كان هذا حوتا أو تنينا أو دابة من دواب البحر الأخرى على حد قولهم.

ولكن فيلسوفا له فى نفوسنا إجلال وإعظام.. هو أفلاطون ردد ما ذكر عن سولون من أنه عرف عن كهنة مصر بأمر جزيرة «أطلانطيس» الواقعة عبر أعمدة هرقليس فى البحر المحيط وهى بلاد «أكبر من آسيا الصغرى وليبيا مجتمعين» غزا أهلها جميع شعوب البحر الأبيض الا شعب أثينا من تسعين قرنا خلت قبل ميلاد سولون.

لاشك ان هذا النوع الآخر من التناظر يلائم حياة أكثر نشاطا من الحياة التى تستلزم التناظر الشعاعى، لذلك كان فى وسع هذه الحيوانات الجانبية التناظر ان تفتش عن طعامها وتتجنب الأعداء وتتربص لاقتناص الزوج أو الزوجة. وقد رافق هذا التناظر تخصص القسم الامامى من الحيوان للتحسس بالمؤثرات الخارجية، وهكذا تميز الرأس عن الجسم وكانت تلك خطوة أولى فى تكوين الدماغ.

ثم ارتقى الحيوان فى مدارج التطور خطوات واسعة فكان له رأس تام فيه أعضاء للحس وتكون فى جوفه سطوح داخلية واسعة كالجدار الهضمى ومناطق الامتصاص فى قناة الطعام، ثم نمت فيه عضلات تتقلص وتنبسط بسهولة، واخيرا تأسس فيه نظام الدوران الذى جعل الدم وسيطا لنقل الأوكسيجين والمواد الغذائية الى كافة انحاء البدن وحمل الافرازات الضارة بالجسم لتفرز خارجا.

الهورمونات Hormones

وارتقت الحيوانات العظمية درجة أخرى بتكون غدد الافراز الداخلى كالغدة الدرقية، والغدة الادرينالية وغيرهما. وفائدة هذه الغدد تحضير مواد كيماوية يوزعها الدم على جميع أقسام البدن. ولها أثر كبير فى تنظيم العمليات الحيوية. وتعرف المواد الكيماوية التى تفرزها هذه الغدد باسم «هورمونات» التى تزيد فى فعالية الأعضاء والانسجة. ان بعض هذه الهورمونات تنظم النمو وتغير ضغط الدم وتركيبه بسرعة. والبعض الآخر يستدعى بعض أقسام البدن الى النمو الفعال كغدد الحليب فى الأم التى تتنبه بفعل بعض الهورمونات.

(الموصل) تلخيص: بشير الياس اللوسى

وعاد أفلاطون في موضع آخر الى الاشادة بثراء « أطلنطيس » وحدث بانخسافها في مياه الأقيانوس الغربي « الأطلنتي فيما بعد » فكانت عائقا للملاحة فيما وراء أعمدة هرقليس .

أبى الخلف الذي بجل يونان وفلاسفتها إلا أن يصدق افلاطون فاعتقد بوفون ومونتيني وفولتير بحقيقة تلك البلاد المغمورة . وحاول الكثير أن يثبت أن الجزر السعيدة « الخالدات » هي البقية الباقية من « أطلانطيس » الجنة الأرضية

كذا كان هذا شأن الجزيرة التي قيل بأن القديس برندان عبر اليها المحيط . توجهت اليها بعثات الاستكشاف الاسبانية والبرتغالية حتى اتفق في سنة ١٧٥٩ على أن جزيرة « سان برندان » لم تكن سوى سراب بحري

ولكم حدثنا جواب البحار بأحاديث بنات الماء معسولات النغم . يغررن بالنوتي فيلقي بنفسه بين أحضانهن فيحملنه الى قصر ملك البحر في أعماق المحيط . وهو قصر « جدرانه من المرجان ونوافذه من أرق ما يكون القهرمان . سقوفه من أصداف تتفتح عن لآلىء . تظلله أشجار عجاب تسبح بينها أسماك ذات ألوان كأنها طيور لاتعرف الأسجاع (١)

واذا كان النواخذة اهتموا بتعرف سطح المحيطات منذ أقدم العصور لأغراض الملاحة ، فقد ظل باطن البحر سرا أمعنت في اغلاقه خرافات رواد البحار وأقاصيصهم بل وتلك المخلوقات الغريبة التي اصطنعوها اصطناعا ليدللوا بها على تهريفهم . ولا زلنا نذكر تلك السمكة التي اصطنع لها وجه قرد أو انسان للتمويه بها على الناس بأنها من عجائب البحار . وقد رأيناها معروضة في متحف موناكو كأثر من آثار تلك العهود

ولم نذهب بعيدا وما فتىء صياد البحر الأحمر يتحدث اليك عن أسماك ذات أظلاف وشوارب أو شعور وصدر ناهد . وليس العهد ببعيد أن نشرت احدى كبريات صحفنا صورة وحش بحري كبير لاصقة به سمكة صغيرة قيل عنها بأنها « تقوده لضعف بصره وتسعى لغذائه » وكأني بها أنتيجوني تقود أوديب الاعمى خارج اسوار طيبة

ليس من العسير إذن أن نكون صورة عن رأي الناس في أعماق البحار وسكانها في أواخر القرن الثامن عشر . وبيننا من لا يزال يعتقد « بالنص سمكة والنص بني آدم » و « الهايشة » وما إليها من مخلوقات تبتلع المدائن في لمح البصر بله الآدميين .

فاذا كانت استكشافات الملاحين في القرنين الرابع والخامس عشر قضت على خرافة « أقيانوس » المحيط « باويقومينا » .

(١) أندرسن . قصة « بنت الماء »

المتفجر غيونا وغدرانا وانهارا . ورحلات الكابتن كوك في أواخر القرن الثامن عشر أثبتت أن لا وجود لقارة جنوبية تصل أفريقيا بآسيا وتجعل المحيط الهندي بحرا داخليا فقد لبث الناس حتى القرن الثامن عشر جاهلين بأعماق البحار سوى النزر اليسير .

قيل في موت ارسطاطاليس أنه ألقى بنفسه في دوامات مضيق أوريبوس يأسا من تفهم تيارات ذلك المضيق . وهو موت « غير قمين لا بفيلسوف ولا بعالم اقيانوغرافي » (١)

الا اننا أقرب الى احترام الرجل الذي يحمله على الانتحار يأسه من تفسير ظاهرة طبيعية منا إلى احترام أمثال بلينيوس وهو يقول منذ نحو الف عام « أي وهم قليس لا يعيش في البحر ولا في المحيط مهما عظم مخلوق ليس لنا به علم . بل الحق العجاب اننا أعرف بتلك المخلوقات التي غيبتها الطبيعة في الاعماق منا بأي أمر آخر »

فهذا الغرور وتلك الحماقة من عالم كبير ينمان عن روح لم يسلم منها بعض العلماء وهي روح خطرة في العلم سيئة الأثر على تقدم العالم . فذاك البلينيوس وهو لم يصف سوى نيف ومائة نوع من الاحيا البحرية — أي أقل مما وصفه أرسطاطاليس قبله — يتمشدق بمعرفته جميع الأنواع التي تعيش في البحار . ما عساه قائل لو علم بالآلاف العديدة من تلك الأحياء التي كشف عنها علماء البحار بعده ؟

لم ينتحر هؤلاء العلماء يأسا من تفهم المحيطات كما زعموا عن ارسطاطاليس . ولم تتملكهم صفاقة بلينيوس فيشيدوا بعلمهم الواسع العريض ولكنهم جهزوا البعثات الاستكشافية ورعوا البحار منذ القرن الماضي إلى اليوم . يخرجون منها عجائب ليست من « الاطلانطيس » ولا « أيس » في شيء ولا هي من بنات الماء وما اليها من خوارق . ولكنها بدائع ذلك الكوكب الذي نحيا على سطحه نسقتها الطبيعة تنسيقا يتفق وما أودعته فيها من قوى وما فرضته عليها من نواميس .

وانا لنستسمح القارىء أن نقدم اليه بعض أولئك الأعلام الذين أقاموا ذلك الصرح البديع بين قصور العلم . أعني صرح الاقيانوغرافيا . ولعل القارىء راغب معنا أن يعرف طرفا مما قاموا به في هذا السبيل .

اكتشافات وأسماء أعلام

كان العالم بواش في سنة ١٧٥٢ ممن اعتقدوا بالطوفان فقال بأنه اذ

(١) سير وليام هيردمان . مؤسسو الأقيانوغرافيا

غيض الماء كشف عن الجبال فالأودية . ولو واصل الماء هبوطه لظهرت أعماق البحار وديانا تتوسطها جبال أخرى . فالجبال المغمورة بمياه الأقيانوسات تشكل سلسلة جبال اليابسة . وهي تقسم البحار أحواضاً متصلة فوق قممها المغطاة بالماء .

هذا النوع من التفكير قائم معظمه على أساس من المنطق ولكنه غير عملي إذ يتعدى ما يمكن استنتاجه من المشاهدات المباشرة . الا أن ما يعنينا من بواش هو أن الاكتشافات الاقيانوغرافية أثبتت أن قاع البحار أغوار سحيقة وجبال مرتفعة وأنه قد يمكن اعتبار تلك الجبال حلقات من السلسلة الأرضية . وأن في شواطىء بعض الجزر وانحدارها السريع الى أعماق بعيدة ما يدعو الى اعتبار هذه الجزر قمة جبال شمخت برأسها على سطح المحيط . وأن المحيطات مقسمة الى أحواض تفصلها أسوار جبلية ، وأن هذه الاحواض إن ظهرت متصلة فلأن مياهها تغطي أعالي فواصلها الجبلية

قال صيادو المرجان « البحر لا قاع له » فهزأ مراسيمي بقولهم ووعده أحد الأمراء بتجهيز سفائن خصيصا لدراسة الأعماق . ومراسيمي رجل فرنسي مفكر يرتكز تفكيره على قواعد الموازنة والتقابل «symétrie» ولما كان يجد وجوداً الجبل يعني وجود الوادي فقد استنتج أن الشواطىء الجبلية تعني انحدار الشاطىء عاجلا الى الأعماق . ولم يقف مراسيمي عند هذا المنطق . بل عني بدراسة الاعماق القريبة وقسمها بحسب أنواع رواسبها وكان أول من وضع خرائط الأعماق مبيناً عليها نوع القاع من صخري ورملي وطيني . ولقد قيست درجة حرارة الماء تحت سطح البحر أثناء رحلات الكابتن كوك التي كشف فيها عن البحار الجنوبية . ولم يكن في المستطاع قياس حرارة الماء الى عمق بعيد بدقة قبل اختراع ترمومترات النهاية الصغرى والنهاية العظمى وغيرها مما تسجل درجة الحرارة عند عمق معلوم ثم تبقى على تسجيلها فلا تتأثر بطبقات الماء التي تخترقها وهي عائدة الى سطح السفينة .

الا أن دي سوسور تمكن في سنة ١٧٨٠ من قياس حرارة مياه البحر الأبيض على عمق ٦٠٠ و١٠٠٠ متر بواسطة ترمومتر عادي أحاطه بموصل ردىء للحرارة .

تصل بنا هذه الملاحظات التي ترددت بين التخمين والملاحظة المباشرة الى أوائل القرن التاسع عشر حين انتشر نوع من الهواية هو عمل المجموعات الحيوانية والنباتية . وكان ذلك فاتحة عهد « الطبيعيين في الخلاء » أو أولئك الذين يجوسون بالاحراج والجبال والأودية يلاحظون الاحياء في وسطها الطبيعي وينتخبون منها مجموعات تمثل سكان المنطقة من حيوانات «Fauna» ومن نباتات « Flora » .

في ذلك العهد استعان دوناتي ومارسيلين على دراسة أحياء القاع الضحل قرب الشواطىء بمجرفة «dragne» الصيادين . والمجرفة كيس شبكي يحيط بفوهته أطار من حديد ذي أسنة . تسحب على القاع فيجرف الاطار الحديدي حبات الرمل أو الطين ويتلقى الكيس ما يجرف من تربة ومن احياء تعيش على تلك التربة .

وانتشرت المجرفة بين علماء أوربا فبدأ ملن أدوار باستعمالها في فرنسا سنة ١٨٣٠ وفوربس في انجلترا سنة ١٨٣٢ وسارس في النرويج سنة ١٨٣٥ .

كان من أثر امتحان الرواسب البحرية بالميكروسكوب في ايطاليا في أواخر القرن الثامن عشر أن لوحظت ظاهرة كان لها أحسن الأثر في استثارة حب الاستطلاع البحري عند علماء القرن التاسع عشر ، ذلك أنهم لاحظوا تشابها بين الحفريات التي وجدها الجيولوجيون في باطن الأرض على أبعاد كبيرة من البحر ، وبين مخلوقات بحرية تعيش قرب الشاطىء . . والحفريات كما يعلم القارىء بقايا أحياء انقرضت في غابر عصور الأرض . وهنا دخل في روع الباحثين أنهم لابد مهتدون في قاع البحار الى نماذج حية من تلك المخلوقات التي لم يعثروا الا على آثار انقراضها في قطاعات الجبال والأودية . وامتد خيال العلماء — وما حرم العلماء ملكة الخيال — الى يوم يكشفون فيه عن صورة حية لما كانت عليه الأرض منذ بضع ملايين من السنين .

وكاد فوربس الاسكتلندي يقضي على هذا الحلم الشائق اذ أفتى بعد رحلة الى بحر أيجه : بأنه لا أثر للحياة في البحار بعد عمق ٦٠٠ متر ومع أن فوربس أدى الى الاقيانوغرافيا أجل الخدمات — فهو أول من لاحظ بأن الأحياء البحرية تعيش جماعات لكل عمق معلوم جماعة خاصة منها تختلف عن جماعة عمق آخر — ومع أنه وصف كثيراً من حيوانات الأعماق الضحلة حول الجزر البريطانية فقد كان خاطئا في زعمه أن لاحياة بعد عمق ٦٠٠ متر . وحصل سيرات على مخلوقات تعيش في البحر الأبيض على عمق ٣٠٠٠ متر . وجاء عهد وصل البلاد بالأسلاك التلغرافية عبر قاع البحر فكانت سببا في سبر أعماق بعيدة . وكان أبعد غور وصل اليه ثقل مقياس العمق في سنة ١٨٤٠ أثناء بعثة سير كلارك روس الى القطب الجنوبي هو ٦٠٠٠ متر . وحدث في سنة ١٨٦٠ أن قطع سلك من أسلاك التلغراف البحري على عمق ٢٥٠٠ متر فوجدت عالقة به مخلوقات حية .

كان طبيعيا أن تثير أمثال هذه الاكتشافات فى جميع الشعوب الحية الرغبة فى الاستزادة من تعرف أعماق البحار . واذ علم ويفيل تمسون الاسكتلندى بأن سارس النرويجى عثر على عمق ٦٠٠ متر فى فيورد لوفوتن على حيوان حى من فصيلة كانت تعد من الفصائل المنقرضة، توجه اليه لمشاهدة ذلك الحيوان . وكان ويفيل تمسون من أولئك العلماء الذين بنوا كبار الآمال على اكتشاف مثل حية من الفصائل المقرضة فى الأعماق البعيدة . فارتاد الاطلانطيق على ظهر السفينة « لايتنج » مرة والسفينة « بوركوبين » مرة أخرى . وسبر حتى عمق ٤٥٠٠ مترا فوجد فيه مخلوقات حية منها ما يتصل بفصائل انقرضت منذ العهد الثلاثى والطباشيرى .

طارت شهرة ويفين تمسون فى آفاق أوربا وأمريكا نتيجة اكتشافاته ولكنه بلغ قمة مجده حين ألقيت اليه مقاليد أكبر بعثة فى تاريخ الاقيانوغرافيا . وهى بعثة « تشالنجر » .

تشالنجر : « أعظم البعثات الاقيانوغرافية »

قامت تلك البعثة على ظهر « تشالنجر » وهى سفينة شراعية حمولتها ٢٣٠٦ طن . ذات محركات بخارية مساعدة . خرجت من الجزر البريطانية فى سنة ١٨٧٢ وعادت فى سنة ١٨٧٦ بعد أن قطعت ٦٩٠٠٠ ميل فى الاطلانطيق والباسيفيك، وصلت فيهما حتى الحاجز الثلجى للقطب الجنوبى . أسند قيادها الى ويفيل تمسون وكان من أهم أعضائها جون مورى وبكنان، وقيدت مشاهداتها فى ٣٦٢ محطة حصلت منها على مجموعة ضخمة من الاحياء البحرية ونماذج المياه ونماذج القاع وسبرت حتى نيف و ٨٠٠٠ متر .

ومهما أشيد بأبحاث من تقدموا « تشالنجر » فقد كانت هذه البعثة فتحا مبينا فى دراسة المحيطات . ولا غرو أن تؤرخ الاقيانوغرافيا تبعا لها فيقال عهد تشالنجر وما قبله وما بعده .

استغرقت دراسة النماذج التى جمعتها البعثة ٢٠ عاما كانت فيها أدنبرة محط رجال العلماء من كل صوب . يتقاسمون شرف دراسة تلك المجموعات التى وزعت عليهم دون نظر الى جنسيتهم . لذا ظهرت مجلدات هذه البعثة الخمسين متوجة بأسماء أكبر علماء الحيوان والنبات والجيولوجيا والكيمياء والطبيعة . وبرغم السنين وتقدم الابحاث الاقيانوغرافية وابتداع الآلات الدقيقة فلا تزال تلك المجلدات مرجعا من أهم مراجعنا . وما تزال دراسة السير جون مورى والأب رينار لرواسب المحيطات أكبر عمدة لمن يختصون بهذا النوع من الدراسة .

ليس فى مكنتنا ونحن نستعرض سراعا بعثات الاستكشاف الاقيانوغرافى أن نقف طويلا ببعثة تشالنجر . وستعرض لنا فرص عديدة للعودة الى نتائجها . ونكتفى هذه المرة بتلخيص جد مقتضب لتلك النتائج .

بعض نتائج بعثة « تشالنجر »

— وضع خرائط لاحواض المحيطات والقضاء على المبالغات التى شاعت عن أعماقها وكان أبعد عمق سبرته البعثة نيفا و ٨٠٠٠ متر فى شمال الباسيفيك (١)

— اثبات أن لا علاقة لحرارة مياه المحيطات بتغير الفصول بعد عمق ٢٠٠ متر

— اكتشاف درجة حرارة ثابتة للمياه العميقة فى مساحات واسعة من المحيط . من ذلك أن اكتشفت البعثة ثبات حرارة مياه الاطلانطيق الشمالى بعد عمق ٤٠٠٠ متر عند درجة ٢٫٥ سانتجراد . كما أن حرارة مياه القاع فى الباسيفيك ثابتة عند درجة ـــ ٠٫٨٣ سانتجراد .

— دراسة كثير من تيارات السطح والاعماق فى المحيطات

— محاولة فهم تكوين الشعاب المرجانية . وقد تعارضت نظرية مورى « وهى المؤسسة على نتائج بعثة تشالنجر » ونظرية داروين فى أصل تكوين هذه الشعاب . ولا تزال المعضلة قائمة اذ لم يصل أحدهما الى نظرية مقنعة . ولعل بعثة « السير جون مورى » فى المحيط الهندى تلك البعثة التى تقوم على ظهر السفينة الاقيانوغرافية المصرية « مباحث » توفق الى تفسير مقنع

— اصلاح الخرائط الجغرافية فيما يختص بكثير من الجزر والشعاب

— تقدم المعارف الحيوانية تقدما كبيراً وخصوصا ما عرف عن فصيلة الاحياء ذات الخلية الواحدة من « الرادبولاريا » و « الجلوبيجرنيا » . واكتشاف مئات من أنواع الاسفنج منها ذلك الحيوان البديع الذى أطلق عليه اسم « سلة أزاهير فينوس »

— أثر الاعماق على الحياة . ففى الظلام الدامس الذى يغمر تلك الأعماق تعيش مخلوقات كف بصرها أو لا عيون لها أصلا . وأعاضتها الطبيعة أعضاء فوسفورية تضىء سبيلها فى الغياهب .

تلك بعض نتائج بعثة « تشالنجر » نمر بها سراعا على كره منا

---

(١) أقصى عمق كان معروفا حتى عهد قريب هو ١٠٤٣٠ مترا وذلك على مقربة من جزر الفلبين وأخيرا اكتشف الاستاذ بول بارتش عند شمال شرقى بورتوريكو الانتيل هوة بحرية عمقها ١٣٥٠٠ مترا . وقد قاسها بواسطة الجهاز الذى يسبر الاعماق بطريق سرعة انتشار الصوت حتى قاع البحر ثم ارتداد صداه مرة اخرى الى سطح الماء .

فقد كانت حادثا له خطره في عالم العلم. وكانت الأقيانوغرافيا في مهدها فنشأت ودرجت وتقدمت بخطوات الرجال في الماضي القريب الى حد أن الدهشة تعرونا اذ نعلم أن آخر مجلد من تقارير البعثة صدر في سنة ١٩٠٧ وأن بكنان أحد أعضاء البعثة لا يزال حيا. وأن السير جون مورى قتل في حادثة سيارة سنة ١٩١٤ وكان قد حبس مبلغ ٢٠ ألف جنيه يصرف في سبيل بعثة جديدة. وتشاء الصدف أن يقترن اسم مصر باسم السير جون مورى اذ تقوم هذه البعثة على ظهر السفينة المصرية «مباحث» في سبتمبر المقبل رافعة العلم المصرى

بعثات أخرى

كانت «تشالنجر» نتيجة منطقية لتلك الحركة الواسعة التى اتجهت منذ القرن الثامن عشر إلى دراسة الطبيعة. وقد وافق قيام هذه البعثة ونجاحها تلك اللحظة العظيمة في تاريخ الامبراطورية البريطانية حين بلغت تلك الامبراطورية في أواخر القرن الماضي أوج عزها وشأو رفعتها. وبعثة «تشالنجر» ان امتازت فلا تمتاز بانفرادها، ولا بأسبقيتها ولكن بأنها طمحت طموحا كبيرا وحققت مطمحها.

بيد أن أمريكا وجهت بعثة الى الباسيفيك معاصرة لتشالنجر. معاصرة لها أيضا رحلة السفينة الألمانية «غزال» حول الأرض. والبعثة النرويجية الى شمال الاطلنطيق — معاصر لها العلامة الاقيانوغرافى اسكندر أجاسيز. وهو سويسرى مولدا ونشأة هاجر الى أمريكا ورفع علمها العلمى على السفينة «بليك». والسفينة «الباتروس».

ولم تقف فرنسا ولا ايطاليا وراء الصفوف بل قامت الاولى بقسطها العلمى على ظهر «ترافيور» و«تاليسمان» في شرق الاطلانطيق من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٨٣. وأدت الثانية واجبها نحو البحر الابيض المتوسط بواسطة السفينة «واشنجتن». وطوفت سفينتها «فيتور بيزانى» حول الارض

حتى تلك الامارة السعيدة الضاحكة وسط ابتسام الرفييرا قدر لها أن يجلس على عرشها أمير عالم من سلالة الجريما لدى الابطال. هو البير الأول أمير موناكو. ارتاد المحيطات بين سنة ١٨٨٥ حتى وفاته في سنة ١٩٢٢ على يخوته الفخمة «أيروندل» الاولى والثانية و«برنسيس أليس» الاولى والثانية. وهو صاحب الايادى البيضاء على الأقيانوغرافيا اذ ابتنى لها معهدا في قلب الحى اللاتينى بباريس. ومتحفا على صخرة موناكو العالية هو كعبة القاصدين، سواء من العلماء لدراسة مجموعاته النادرة. أو من أهل اللهو في مونت كارلو لمشاهدة الاكواريوم

وسواء كانت روسيا بالسفينة «فيتاز» التى طافت حول الارض. أو النمسا بالسفينة «بولا» التى درست الحوض الشرقى للبحر الابيض واخترقت قناة السويس وجابت البحر الاحمر أو نانسن على ظهر «فرام» في المحيط المتجمد الشمالى. أو الدانيمارك بسفينتها «أنجولف» فلم ترض لنفسها دولة من الدول الحية — تلك الدول التى يعتقد كثير منا أننا ساويناها أو نكاد لبضع طرقات فتحناها أو مبان أقمناها أو أعلام وضعناها على غير مسميات. — أن تتقاعس في القيام بواجبها نحو نفسها ونحو الانسانية جمعاء.

كلا. لم تتريث بلجيكا عن توجيه بعثتها الى القطب الجنوبى بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٨٩٩. ولم توسد ألمانيا أوراق غارها بل عادت الى كتابة اسمها في تاريخ علوم البحار اذ وجهت «الفالديفيا» الى الاطلانطيق والمحيط الهندى والمحيط المتجمد الجنوبى ما سمحت ثلوجه.

كلا ولا هولندة التى أضافت جوهرة الى تاج العلم ببعثها على ظهر «السيبوجا» حول جزر الهند الشرقية «سنة ١٨٩٩ — سنة ١٩٠٠»

وكما اختتم القرن الماضى بتلك الدول وهى في ميدان العلم أفراس رهان فقد افتتح القرن العشرين ببعثات أخرى تحمل أسماء مجيدة.

ويكفينا ختاما لهذا المقال أن نذكر أسماء الدول التى اشتركت في دراسة المحيطات منذ أوائل هذا القرن

فهى هى موناكو وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وانجلترا والنرويج والدانيمارك وهى هى دواما وتكرارا.

القصص

إلى الواحات الخارجة

جنة الصحراء الغربية

(وجزيرة الناعمين) في عرف قدماء المصريين

من الأصقاع الجديرة بالزيارة فى مصر الواحات الغربية تلك التى يجهل عنها كل شىء ولا نذكرها الا فى مقام التشويه أو العقاب أو النفى كأنها شقة من الجحيم . فكرت فى زيارة تلك الناحية المنبوذة لأرى مافيها من رهبة ووحشة فاذا بى أنتقل الى جنة يانعة هواؤها رائق عليل، وثمرها وافر عميم، وماؤها دافق غزير، يحف بكل أولئك كثبان من الرمل الناعم النقى تعلو وراءها نجاد صخرية تمتد إلى الآفاق مما جعل الواحة فى ظنى خير مزار فى الربيع وشطر من الشتاء.

أقلنى اليها القطار من مصر الى مواصلة الواحات فى عشر ساعات وهناك أنتقلت الى قطار الواحات الصغير الذى سار بنا بين ست ساعات وسبع الى الخارجة فأخذ ذاك القطار يشق طريقه وسط الحقول الزراعية مسافة هى دون خمسة كيلومترات بعدها بدأ يصعد تدريجيا وقد استحال الطمى الراسب على الأرض رمالا وعند الكيلو السادس وقفنا بمحطة «القارة» وهى محطة عند اتصال الهضبة الصحراوية بالسهول الفيضية الخصبة . بعدها أوغل القطار فى الصحراء صاعداً وسط واد مجدب ظل يختنق تدريجيا وتقارب القطار جوانبه الصخرية المشرفة حتى اذا قاربنا الكيلو ٤٠ كنا فوق هضبة تنتثر بالحصى وكلما قطعنا ثلاثين كيلومترا كنا نقف فى محطة موحشة يأخذ القطار منها الماء ولا يقطنها من الأهلين نفر . وبعد نصف الهضبة دخلنا شبه وادى فسيح غير محدود الجوانب يسميه القوم «وادى البطيخ» لأنه يغص بكرات الصخر المسودة فى أحجام مختلفة فتبدو وكأنها البطيخ وعند الكيلو ١٤٦ بدأنا نهوى خلال مجرى جاف جوانبه رائعة وكان الهبوط سريعا وعرا حتى أن القاطرة حبست بخارها فكانت تهوى المسافة كلها بقوة انحدار ليس غير، ولبثنا نتلوى ليات متعاقبة وسط ذاك الصخر المجدب حتى خرجنا الى سهل أدى بنا الى محطة «المحاريق» عند الكيلو ١٦٥ وهى بدء الوهدة التى تتوسطها الواحات ولذلك كنا نبصر على بعد بقاعا تزينها الخضرة فى شبح فاتر . والمحاريق محلة لا بأس بمبانيها . كانت قد اتخذت مقرا للنفى الادارى وكان يرسل اليها المحكوم عليهم من كافة الطبقات حتى علية القوم من المغضوب عليهم وكانوا يتركون أحرارا بعائلاتهم يتجولون الى حدود معينة وراءها يقف الهجانة لكيلا يتجاوز المجرمون الحدود ، والفقير منهم كان يكاف عملا يؤجر عليه خمسة قروش فى اليوم . لكن الحكومة رأت فى النفى أداة للتشفى والانتقام وبخاصة من العمد الذين كانوا يسعون الى نفى من يكرهون . هذا الى المبالغ الطائلة التى تكلفتها الحكومة فى الانفاق على النفى لذلك قررت الغاءه .

قمنا الى محطة «الشركة» وسميت كذلك لأنها كانت المستودع الرئيسى لشركة سكة حديد الواحات وكانت شركة انجليزية سعت بمجهود كبير أن تبيع متاعها للحكومة لأنها خسرت خسائر فادحة ولم يسد الخط شيئا يذكر من نفقاته وتمت الصفقة سنة ١٩٠٩ ودفعت الحكومة ربع مليون جنيه فأيدت بذلك ما يغله الأجانب عن سخائنا العميم ، وهى لا تزال تخسر فيها كل عام ، اذ من ايرادها البالغ أربعة آلاف جنيه يخص خط الواحات الف جنيه وهذا المبلغ لا يذكر بجانب النفقات . وجل الايراد وقف على البلح فى شهور الصيف .

أخيرا عند الكيلو ١٩٥ دخلنا محطة الواحات الخارجة وقادنى الغلام الى نزل بديع ما كنت أتخيل وجوده فى تلك الناحية النائية هو «فيلا» أنيقة تزينها الأشجار الباسقة وتحوطها كثبان الرمل الناعمة . يديرها مصرى يدعى «مصطفى عمر» ويقوم على خدمة النزلاء والسائحين خير قيام ، ولقد تصفحت سجل الزائرين عنده فكان من بينهم الكثير من الوجهاء ، مصريين وأجانب وبينهم بعض الأمراء . على أنى أسفت لما علمت أن الرجل لا يكاد يكسب من وراء عمله هذا شيئا ولا تكاد تساعده مصلحة السكة الحديد بشىء حتى ولا بزيادة الدعاية لمنطقة الواحات وتخفيض أجور السفر اليها كى يزيد اقبال السائحين عليها كما كانت الحال فى عهد الشركة

الأنجليزية التى كانت تروج للواحات فكان عدد من يؤمها يفوق المئات سنويا، أما اليوم فلا نكاد نحن المصريين نسمع عن الأقليم شيئا رغم ما فيه من جاذبية كبيرة



معبد هيبس بناه دارا الاول ، الفارسى ، تمجيدا لآمون

قمت أتجول فى المدينة فبدأت بزيارة آثارها التاريخية فالواحة كانت عامرة أيام قدماء المصريين، وإبان حكم الرومان ولعل أجل آثارها : معبد هيبس الذى بناه دارا الأول فى القرن الخامس قبل الميلاد تمجيدا لآمون والمعبد عظيم الامتداد شامخ العمد فاخر البنيان يكاد يحاكى معابد الكرنك

وهناك مدافن رومانية قديمة بها بضع مئين من المقابر أقامها الروم من اللبن فى قباب صغيرة تزينها فى البعض صور القديسين وفى البعض الآخر أشباه البوائك والأعمدة

وسكان الواحات : يمتون بصلة الى المصريين القدماء والى الرومانيين، وقد لاحظت ذلك فى سحنهم المصفرة وتقاطيعهم النحيلة الممطوطة، ولا يزال للعائلات الرومانية الصرفة هناك بقية فى اثنتين : عائلة الصنديدية ، عائلة الأدارسة . ويمتازون بأدمغتهم المنبطحة من نواصيها . والعجيب أن أهل البلاد اعتنقوا الإسلام جميعا فلا تجد منهم مسيحيا واحدا ويظهر انهم أسلموا مجبرين وكانوا يعتصمون بالصحراء هروبا من أراضى الريف وما أثقلها من ضرائب إبان حكم المماليك ، وهم لا يزالون يحتفظون بالكثير من الشعائر المسيحية رغم أنهم مسلمون ، فمثلا شاهدتهم يعلبون سعف النخل الأبيض لضفره فى أشكال عدة احتفالا (بحد الزعف) على نحو ما يفعل اخواننا الأقباط هنا . وبينهـم مسجد ذو مئذنة قصيرة كان من قبل كنيسة .

ومن أعجب ما راقنى مبانى القوم ومساكنهم فهى من طابق واحد أو اثنين تبنى باللبن وتتجمع كلها فى كتلة واحدة تشقها سراديب ضيقة سقوفها واطئة لا يستطيع الانسان السير فيها الا منحنيا ولياتها من الأعاجيب ، ولا تتخللها فتحات أو نوافذ قط ، لذلك كانت حالكة الظلام فى رابعـة النهار ، ومنها ناحية يسمونها (المدرة) أرضها صخرية زلقة مغضنة وعرة . وسط ذاك الظلام الدامس زلقت قدماى فيها مرتين . ولقد كانت تلك السراديب وسيلة من وسائل الدفاع ضد غارات البدو والدراويش الذين طالما باغتوا البلاد بغاراتهم ، فكان الواحد من الأهلين يعتصم بتلك المفاوز ليمنع العدو من اختراق حرمة داره . وفوق ذلك فهى تقيهم وهج الشمس المحرقة صيفا ، ولما رأت مصلحة الصحة اليوم ما يخلفه ذلك الضيق والظلام من الأوساخ وخطر الأمراض ، فتحت خلال الطرق كوى صغيرة فى مسافات متباعدة انارتها اليوم بعض الشىء على انى رغم ذلك كنت أسير فى سراديب كأنها السراديوم أو التيه ظلاما ووحشة ، وكثيرا ما كنت أصطدم بالمارة خصوصا عند مفاجآت الثنيات العديدة لتلك المفاوز وقد استرعى نظرى السقاءون وكلهم من مكفوفى البصر يسيرون فى تلك الطرق بخفة عجيبة وعلى ظهورهم قرب الماء ولا يخطئون البيوت ولا تزل أقدامهم أبدا ولقد أضافنى رب بيت من تلك البيوت ، فكنت أتوقع ان آوى الى كوخ صغير أو قاعة وسط تلك المطاوى الحالكة ، ثم دخلنا البيت من كوة صغيرة واشد ما كانت دهشتى عند ما رأيتنى وسط بيت مشيد البناء طلى بالملاط ورصف بالبلاط على نحو ما نقطن هنا فى مصر

والعيون والينابيع : منثورة فى الواحات فى كثرة لا يكاد يحصيها العد حتى قيل أن فى الواحة الخارجة وحدها ثمانمائة عين بين صغير وكبير ، وهذا الماء الغزير يتفجر من طبقة من الخراسان الرملى على عمق يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ مترا والواحات فى وهدة متوسط ارتفاعها عن سطح البحر يزيد على خمسين مترا وتحف بها النجاد الجيرية والطباشيرية من جميع الجوانب تعلو فى مدرجات أعلاها فوق اربعمائة متر وبخاصة ناحية الغرب وزرع تلك الواحة ٣٠٠ ك م فى الطول وبين ٣٠ و ٨٠ فى العرض . ومن صدوع ذاك الصخر الجيرى تتفجر العيون العديدة ، وغالب العيون كانت مستغلة فى عهد الرومان فكانوا يحفرون حول العين متسعا الى عمق كبير ويضعون منقور الخشب وجذوع النخل فى شكل الأنابيب لحصر الماء ، ثم تطمر الحفرة ، ويستدل القوم على وجود العيون كلما رأوا منخفضا رطبا يبدو نز الماء فيه ، وتجاوره ربوة .

(يتبع)

بليـــاس وмلیزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

« تابع »

بلياس — أخاف عليك السقوط . . . سأمسك يدك . . .

مليزاند — لا تفعل . أريد أن أغمس يدى فى الماء . . . من ينظر النهمان ، يظن أن بهما اليوم مرضا !

بلياس — اوه ! آوه ! حذار ، حذار من الوقوع فى الماء !

مليزاند ! اوه ! شعرك !

مليزاند — (تنهض) لا أستطيع أن أبلغه !

بلياس — شعرك انغمس فى الماء

مليزاند — نعم . انه أطول من ذراعى . . . انه أطول منى (سكوت)

بلياس — لقد وجدك على حافة عين مثل هذه تبكين . أتذكرين ؟

مليزاند — نعم

بلياس — وماذا قال لك ؟

مليزاند — لاشىء . . . لم أعد أذكر . . . نسيت كل كلماته

بلياس — وهل دنا منك ؟

مليزاند — نعم . وأراد أن يقبلنى

بلياس — وأنت ؟ هل أرضيت رغبته ؟

مليزاند — كلا

بلياس — ولماذا ؟

مليزاند — اوه ! رأيت فى قاع الماء شيئا يتحرك !

بلياس — كدت تسقطين فى الماء ! . . . بماذا تعبثين ؟

مليزاند — بالخاتم الذى أعطانى إياه

بلياس — لا تلعبى به فوق هذا الماء العميق

مليزاند — يداى لا ترتعدان

بلياس — ما أشد بريقه ! لا تقذفيه فى الفضاء هكذا !

مليزاند — آوه !

بلياس — هل سقط ؟

مليزاند — سقط فى الماء !

بلياس — أين هو ؟ أين هو ؟

مليزاند — لم أره أثناء وقوعه

بلياس — أعتقد أنى أراه يشع فى الماء بريقا

مليزاند — خاتمى ؟

بلياس — نعم . نعم . . . انظرى جيدا

مليزاند — آوه ! إنه منا بعيد ! لا . لا . ليس اياه . . . لقد فقد وغاب عن البصر . . . لم يعد إلا دائرة كبيرة على سطح الماء . . . ماذا نصنع الآن ؟

بلياس — لا تجزعى من أجل خاتم . هذا أمر ضئيل الشأن . ستجده أو نجد غيره

مليزاند — كلا لن نجده ولن نجد غيره أيضا ! كنت أعتقد أنه فى يدى . . . وكانت يدى حريصة عليه ، ولكنه وقع فى الماء على الرغم من هذا الحرص . . . قذفته فى الفضاء بقوة شديدة كأنى أردت له أن يبلغ الشمس !

بلياس — تعالى سنعود للبحث عنه فى يوم آخر . تعالى لقد حان الوقت . سيبحثون عنا بعد قليل . . . سمعت ساعة البرج تدق اثنتى عشرة مرة تعلن الى الناس منتصف النهار ، وقد سقط الخاتم فى الماء قبل أن تتلاشى الضربة الأخيرة فى الهواء !

مليزاند — ماذا تقول لأخيك (جولو) اذا سأل عنه ؟

بلياس — الحقيقة ، الحقيقة . الحقيقة ! (يخرجان)

المنظر الثانى

(غرفة فى القصر — جولو راقد على فراش ومليزاند جالسة بالقرب منه)

جولو — آه آه : خلى عنك الجزع فليس ماأصابنى بذى خطر إنى فى حال حسنة ولن يكون لجراحى أثر سىء . . . ولكن لا أستطيع تفسير ماحدث ! كنت أصيد فى الغابة مبتهجا هادئا . . . ثم جمح جوادى دفعة واحدة دون أن أعرف السبب . . . هل رأى شيئا غريبا مخوفا أدخل على نفسه الرعب والفزع ؟ . . . سمعت ساعة البرج تدق أثنتى عشرة مرة تعلن الى الناس منتصف النهار ، وقبل أن تتلاشى الضربة الاخيرة فى الهواء ، أقبل الجواد فجأة وجرى كغرير مجنون . . . وظل فى عدوه حتى صدم شجرة غليظة . . . وقعت على الارض ، وأعتقد أن الجواد وقع على صدرى . . . شعرت فى تلك اللحظة بأن الغابة كلها تثقل على وتنزع منى الحياة فى ألم مبرح . . . وأيقنت أن قلبى يتمزق . . . ولكنه والحمد لله سليم فى مكانه . . . لا تجزعى ولا تخافى . ستلتئم الجراح وتعود إلى العافية الشاملة .

مليزاند — أتشرب جرعة من الماء ؟

جولو — ليس بى ظمأ . شكرا لك

مليزاند — أتريد مصدغة أخرى ؟ . . أرى على هذه نقطة صغيرة من الدم

جولو — كلا . لست فى حاجة الى مصدغة أخرى

مليزاند — أصدقنى القول ياجولو ، هل تتألم من جراحك كثـيرا ؟

جولو — كلا . كلا . ليست هذه أول مرة تصيبنى فيها الجراح . . . خلقت من حديد ودم

مليزاند — أغمض عينيك وتملق النوم . سأقضى الليل كله بجوارك

جولو — جنبى نفسك التعب فلست فى حاجة إلى شىء . سأنام كالطفـل الوديع . . . ماذا جرى ؟ مليزاند ! لماذا تبكين دفعة واحدة

مليزاند — (تستخرط فى البكاء) إنى . . . إنى مريضة

جولو — مريضة ؟ ! ماذا بك ؟

مليزاند — لا أدرى . . . الحياة هنا تعمز على المرض . . آثرت أن أقول لك ذلك اليوم . . لست بسعيدة هنا

جولو — ماذا حدث ؟ ! هل أساء اليك أحد ؟

مليزاند — كلا . ليس هذا ما أعنيه . . .

جولو — إنك تخفين عنى شيئا فى أغوار نفسك . أفضى إلى جملة حالك . من الذى يكدر عليك صفو حياتك ؟ أهو الملك ، أم أمى أم أخى بلياس ؟

مليزاند — لا أحد يكدر على صفو الحياة . إنك لا تستطيع إدراك نفسى . . . شىء أقوى منى . . .

جولو — لا تسلمى زمام نفسك إلى أوهام تبلبل بالك وتشقيك . ماذا تريدين أن أفعل ؟ ! هل عدت طفلة غرة تتلاعب بلبك أفكار الخيال ؟ ! هل زهدت فى زوجك ورغبت فى هجره ؟

مليزاند — آوه كلا . ليس هذا هو . . أتمنى أن أذهب معك . . . لا اريد أن أعيش هنا بعد اليوم . . . أشعر بأن عمرى قصير ولن أستمتع بالحياة طويلا !

جولو — ولكنى أريد أن أقف على علة ذلك . . . سيعتقد الناس إذا سمعوا قولك ، أنك فقدت رشدك ، أو أنك طفلة يغرر بها حلم ساذج . تكلمى أهو بلياس الذى . . . ؟ يقينى أنه لا يتحدث اليك كثيرا

(يتبع)

الأمل اليـــائس

« بقيـــة المنشور على صفحة ٦ »

لها رفيقة فتاة من أهل الاقاليم ولدت فى اسرة شريفة ولكن مولدها لم يكن شرعيا ، وكانت هذه الفتاة مدموازيل لسبيناس ذكية بارعة الذكاء ، حساسة قوية الحس ، مثقفة واسعة الثقافة ، وكانت المودة بينها وبين سيدتها قوية متينة ، دامت عشر سنين لم يكدر صفوها مكدر . ثم لاحظت صاحبة الدار ان زوارها أو فريقا منهم اذا انصرفوا عنها لم يخرجوا ، وانما أتموا سمرهم عند الفتاة ، فغاظها ذلك وكانت القطيعـة بين الصديقتين ، ولكنها لم تكن قطيعة مألوفة إنما كانت حدثا من أحداث العصر فى باريس ، انقسم له الادباء والفلاسفة انقساما عظيما ، تعصب بعضهم للشيخة وتعصب بعضهم للفتاة ، وكانت كثرة الفلاسفة وعلى رأسهم دالمبير d'Alembert من أنصار الفتاة وكانت الارستقراطية المعتدلة والمحافظة من أنصار الشيخة .

ثم استأنفت الحياة المنظمة طريقها عند صاحبتنا ، واتخذت الفتاة لها ناديا أو صالونا أدبيا واشتدت المنافسة بين هاتين المرأتين . وصاحبتنا الآن فى الثامنة والستين من عمرها قد فقدت البصر منذ ثمانى عشر عاما ، وعظمت مكانتها فى أوربا حتى لم يكن عظيم من الاوربيين يزور باريس الا رأى حقا عليه لنفسه ولمكانته أن يلقاها ويتحدث اليها . وفى إكتوبر من هذه السنة ١٧٦٥ زار باريس رجل من عظماء الانجليـز هو هوراس ولبول Horace Walpole . كان أبوه روبير ولبول Robert Walpole وزيرا وكان هو عضوا فى البرلمان ، فلما مات أبوه ترك السياسة ، وانصرف الى الادب والفن ، وكان فى الخمسين من عمره . ولم ير هذا الرجل بدا من أن يزور صاحبتنا هذه ويغشى ناديها كما كان يغشى أندية الادب والسياسة كلها فى باريس . فلما رأى هذه الشيخة أنكرها ، وكتب الى صديق له يصفها بأنها عجوز عمياء فاجرة العقل . على أن وقتا قصيرا لم يمض على هذه الزيارة حتى تغير الامر بين هذا الانجليزى وهذه الفرنسية ، وتكررت الزيارة فوقع الانجليزى من نفس هذه المرأة موقعا غريبا رد اليها الشباب بل رد اليها الصبى فاحبته . وأنا أعنى بهذه الكلمة معناها . احبته وقد أشرفت على السبعين ولم يرفض هو هذا الحب . ومن المحقق انه لم يلق هـذا الحب بمثله ، ولكنه أضمر لهذه المرأة مودة قوية صادقة لم تغيرها الايام واظهر بها اعجابا لا أحد له . واتصلت أسباب المودة والحب بينهما ما أقام فى باريس ، فلما رجع الى لندرة اتصلت بينهما الكتابة ،

وكان يأتي الى باريس من حين الى حين ليرى حبيبته أو ليرى عاشـقته ، أو ليرى يتيمته ، كما كانت تسمي نفسها ، فقد كانت تسمي نفسها يتيمـة وتسميه هو وصيا . وكان هو يسميها ابنته الصغيرة . وكان الحنان بينهما كأقوى ما عرف الناس من الحنان بين المحبين . وكانت نتيجة هذا الحب أربع مجلدات نشرت بعد موتهما ، وفيها ثمانمائة من الرسائل التي اتصلت بينهما . وهي آيات من آيات الادب الفرنسي لا أكثر ولا أقل ، فيها تصوير لهـذه العواطف النادرة ، الشاذة ، التي لم يألفها الناس والتي تملأ قلوبهم مع ذلك رحمة وبرا ، وإشفاقا ، وعطفا . وماذا أنبئك في هذه الضريرة التي نيفت على السبعين والتي تكتب لصاحبها رسائل حب وغرام كرسائل الفتيات اللاتي لم يتجاوزن العشرين . على أن صاحبها كان انجليزيا ، ومعنى ذلك أنه كان يخاف السخرية ، والمزاح ، وكانت الرقابة مضروبة على الرسائل في انجلترا ذلك الوقت . فكان صاحبنا مروعا دائما يخشى أن تفض رسائل صاحبته ، وان يعرف مافيها من هذا الحب الغريب ، فيتندر الناس به في القصر وفي الأندية . فكان يرد صاحبته الى القصد في تصوير عواطفها الحارة ، وكانت هي تخاصمه في ذلك ، وكان الامر يفسد بينهما أحيانا ، ولكنه لايلبث أن يعود الى خير ما كان . وانقطعت رسائله عنها مرة فكتبت اليه : يظهر انك لا تريد أن تظهرني من أمرك على شيء ، فاحذر أيها الوصي أن تصر على ذلك فاني خليقة ان فعلت أن ارسل اليك سكرتيري وان أكلفه الاسراع الى لندرة وآمره ان يلزمك وان يرسل الى بأنبائك ، وأن يعلن الى الناس جميعا وفي كل مكان أني يتيمتك ، وانك وصيي ، واني أحبك ، وان يهيأ لي عندك مكانا فالحق به ، وأعلن الى الناس جميعا ما بيننا ، لا أخاف فضيحة مهما تكن ، فاختر لنفسك بين الفضيحة والكتابة الي . ولعلها كانت في بعض الوقت تذعن وتطيع ، وترد نفسها الى القصد ثم تثور فترسل نفسها على سجيتها وتطلق حبها صريحا حرا . وكذلك عاشت هذه المرأة خمسة عشر عاما ، استرد قلبها فيها شبابه كله وتبينت هي وتبين هو وتبين الناس في عصرهما ، ومن بعدهما ان ما اندفعت فيه هذه المرأة من العبث واللهو ، ومن المجون والفساد ، ثم من الجد الخصب والنشاط المنتج ، كل ذلك لم يكن الا ضيقا بالحياة وافتقادا لهذا النور الذي يحببها الى النفس . وهو الحب ، ومصارعة لهذا العدو الفاتك وهو اليأس . فلما بلغت السبعين أو كادت تبلغها ظفرت بالحب عند هذا الانجليزي ، وظفرت به من غير طريقه كما كان يقول المعاصرون ، فان العيون هي أوضح طرق الحب الى النفوس ، ولكن الحب قد يسلك الى النفوس طريق الآذان كما قال شاعرنا القديم . وأكبر الظن أن صوت هذا الانجليزي هو الذي حمل الحب الى نفس هذه الفرنسية فثبته فيها تثبيتا .

وفي سنة ١٧٨٠ ماتت هذه المرأة وكتبت قبل موتها بقليل جدا الى صاحبها كتابا تنبؤه فيه بقرب آخرتها . وتنبؤه بأنها لا تأسف لفراق الحياة ، لأنها لا ترى في الحياة خيرا بعد أن كتب اليها أن لا تلقاه . وتنصح له بأن يستمتع بالحياة ما استطاع ، وتنبؤه بأنه سيحزن عليها ، فليس من اليسير أن يتعزى الناس عمن كان يؤثرهم بالحب . فلما أتمت املاء كتابها هم سكرتيرها الشيخ أن يقرأه عليها كعادته ، فلم يستطع لأنه كان يقطع قراءته بالبكاء . هنالك احست هذه المرأة المتشائمة اليائسة التي اسرفت في سوء الظن بالناس ؛ احست أن هذا السكرتير لم يكن يعمل عندها ليعيش . فقالت له بصوت خافت فيه نغمة الموت ، وفيه مع ذلك نغمة الرضى والغبطة أكنت تحبني اذا ؟

هذه صورة من صور هذه المرأة وهي من غير شك أشد هذه الصور اتصالا بالنفوس ، وتأثيرا في القلوب . ولكن لهذه المرأة صورا أخرى عظيمة الخطر جدا في حياة الأدب الفرنسي . فقد كانت ناقدة ، ولها في أدباء فرنسا ، وفي كبار أدبائها خاصة آراء قيمة تثير الاعجاب لرقتها ولبراعة الصيغ التي كانت تعلن فيها . كانت تؤثر فولتير ، وكانت تضيق بروسو فانظر الى هذه الجملة البديعة التي تنقد فيها أسلوب جان جاك : « ان لروسو حظا من الوضوح ، ولكنه وضوح البرق ، وله حظ من الحرارة ولكنها حرارة الحمى » .

واتصلت هذه المرأة بأصحاب السياسة ، واتصلت بالعظماء والأشراف وكانت منهم ، وقد كتبت اليهم وتلقت منهم الكتب وقد صورتهم وصوروها ، فهذه ناحية أخرى من حياتها لها أثرها في توضيح التاريخ السياسي والاجتماعي لفرنسا في القرن الثامن عشر وقبل الثورة الفرنسية الكبرى .

وبعد فلعل أحسن ما كتب عن هذه المرأة الى الآن فصلان كتبهما سانت بوف في أحاديث الاثنين تستطيع أن تقرأ أحدهما في الجزء الأول ، وثانيهما في الجزء الرابع عشر ، فان أردت الايجاز المقنع فاقرأ الفصل الذي نشر عنها في «مجلة العالمين» أول أغسطس ، فان أبيت أن تتكلف القراءة أو تشق على نفسك بالبحث فقدر هذا الوصف الذي كان يصفها به فولتير ، وفكر فيه فانه يعطيك منها صورة قوية ، تملأ نفسك رحمة واعجابا . فقد كان فولتير يسميها : « الضريرة المبصرة » .

طه حسين



الفجر

مجموعة من الشعر

يا ويح مصر من الشعر والشعراء! يا ويحها من هذا الشعر الرائف الذى يملأ الصحف والدواوين! فكل من اهتزت فى يده يراعة فى هذا البلد يريد أن يكون شاعرا، حتى غصت بالشعراء حجرات المدارس!! الشعر فى كل أقطار الارض عبقرية لا يسمو اليها الا الاقلون، أما فى مصر، فهى العوبة اللاعب ولهو اللاهى

عندى أنه إن لم يرتفع ديوان الشعر بقارئه الى مستو أعلى من مستواه الشعوري والفكري، بحيث لو كان هائما فى الارض حلق به فى السماء، وإن كان القارئ فى السماء الاولى، سما به الشعر الى السماء السابعة، أقول ان لم يكن الشعر كذلك، فأولى به أن يحبس فى صدور قائليه، فلا يجد سبيلا الى المطابع والمكاتب ثم الى رءوس القراء. أما هذا الهراء الذى يتردد كل يوم، فى كل صحيفة وفى كل مجال، فيجب أن ينتهى، لان الحياة أثمن من أن تضيع فى مثله،

وأقسم بالله لو أن الامر بيدى، لانزلت العقاب – العقاب الادبى على الاقل – بهذه الفئة المتشاعرة التى ضقنا بها ذرعا.

أقول ذلك بمناسبة هذا الديوان الذى أطلق عليه صاحبه اسم «الفجر»، ودفعه الى الاستاذ الزيات لاقرأه وأعلق عليه، فانطلقت أبحث فيه عن شعور قوى واحد أو فكرة عالية فلم أجد! فيم اذن قيل، وفيم طبع ونشر، لست أدرى. استمع اليه حين يقول فى استقبال صديق:

مرحبا، مرحبا، بخير صديق	غاب عنا عاما فخلناه دهرا
مرحبا، مرحبا، بخير صديق	كان عن أصدقائه مزورا
رام بعدا عنا، ورام خصاما	فجفانا واستبدل الوصل هجرا
بينما نحن – لا نطيق فراقا	لصديق، وإن تباعد شهرا

وبعد فأنى أتوجه بالرثاء والاشفاق، لا الى مؤلف الديوان ولكن الى قرائه: فهو شعور ضعيف فى لفظ ركيك، سىء الطبع خشن الورق.

ز. ن. م

القصاص

هذه القصة من تأليف الكاتب الانجليزى المعروف جون جالزورثى وهى من أشهر قصصه ان لم نقل انها أقوى قصة له على الاطلاق. وقد نقلها الى العربية الاستاذان صالح بكتاش والسيد كامل الشرقاوى

يهاجم المؤلف فى هذه القصة العدالة كما تفهمها القوانين الصارمة التى لا تحسب للمشاعر المختلفة والمواقف المتباينة حسابا. فهى مأساة تدور حول زوجة لاقت من زوجها الغليظ عيشة مريرة. ومع ذلك فلا يبيح لها القانون أن تنفصل عنه لتتزوج من شاب آخر أحبها وأحبته. كذلك انتقد المؤلف نظام السجون وبين كيف أنها أقرب الى افساد النفوس الطيبة منها الى اصلاح النفوس الشريرة.

ويجب أن نلاحظ انحرافا فى ترجمة عنوان القصة، فقد كان أولى أن يكون العدالة أو القضاء لانهما أصدق تعريبا لكلمة Justice من هذا العنوان الحالى

ز. ن. م

١ – القوميات

٢ – روح المبدأ والوطن

هما مجموعتان من الشعر نظمهما الاديب السورى حسن حفار وهما كما يدل عليهما العنوانان، يفيضان بحماسة الشباب وقوة الوطنية وسمو الطموح، فلا يسعك حين تلاوة ما يحويان من شعر الا ان تحس مع الشاعر نزعة وثابة الى الحرية والعزة القومية كما تلمح حينا ظاهرا الى الاقطار العربية عامة

ولكنا يجب أن نشير الى ضعف فى اللفظ يسود الكتابين، ونرجو أن يتاح لهذا الشعور المتدفق لفظ يناسبه قوة وجزالة

ز. ن. م

الرسالة – لدى الادارة أعداد من المجلة من مبدأ ظهورها الى الآن تباع بثمنها المعتاد لكل من يطلبها

نفهم واجب المترجم على عكس ما يفهم الأستاذ، نفهمه على أنه جهاد فى سبيل إظهار شخصية المؤلف كما تتجلى فى كتابه، وإخفاء شخصية المترجم تماما إن أمكن. وأكبر صعوبة الترجمة كما نراها هى فى ذلك الأظهار وهذا الأخفاء، إذ ليس من السهل أن يتخلى مترجم عن شخصيته ويجتهد فى تقمص شخصية مؤلف مكانها ليخرج للناس ترجمة تكون فى اللغة المنقول اليها مثل الأصل فى اللغة المنقول عنها. هذا مثل أعلى فى الترجمة يقترب الأنسان منه كما يشاء من غير أن يبلغه. ويظهر أن الدكتور الكردانى قد نجح فى الإقتراب منه الى حد أن التبس الأمر على الأستاذ سماحة فظن المسألة مسألة شخصية غلبت شخصية، وما هى الا مسألة مبدأ فى الترجمة قائم على الأمانة والتضحية قد أفلح الأستاذ المترجم فى اتباعه وتوخيه

بقيت الملاحظتان الفلكيتان اللتان ذكرهما الأستاذ سماحة.. فأما مسألة قدر ومرتبة فأنا نظن الحق معه فيها، وان كان هذا ليس معناه أن يحرم مثل الأستاذ الكردانى من ابداء رأيه بصورة عملية فى مسألة مصطلح من مصطلحات لم يستقر الناس فيها بعد على قرار. وأما مسألة رؤية عطارد فان القول الذى كان قاله الدكتور الكردانى من أنها صعبة نسبيا لا ينبغى انها ممكنة كما يقول الاستاذ سماحة. ولعله يحسن هنا انصافا للاثنين أن نقول ان الدكتور الكردانى أراد أن يستوثق من الامر فسأل الاستاذ سماحة فكان رأيه أن رؤية عطارد غير ممكنة فى مصر، فراجعه فى ذلك حتى اتفقا على أن خير تعبير هو «صعبة نسبيا» وقد غيره الدكتور الكردانى بعد الى «سهلة نسبيا». فاذا كان الاستاذ سماحة يخبرنا الآن أن رؤية عطارد ممكنة يريد سهلة فمرحبا بخبره، لكن كان الاولى أن يقول سهلة ان كان هذا مراده فان لم يكن هذا مراده فقد أقر الرأى الاول ولم يكن فى ملاحظته فائدة للناس

وأما مسألة الفلكى باشا فهو اسماعيل مصطفى باشا لا محمود باشا، فملاحظة الأستاذ سماحة هى فى صميمها حق، الا فى ما تفيده من أن المترجم قال انه راجع محمود باشا الفلكى فان ماقاله المترجم فى مقدمته لا يفيد الا انه خالف من غير أن يستلزم إنه راجع. وعلى أى حال فان معلومات المترجم التى نسبها للفلكى باشا فى صلب الكتاب هى كما أذن لنا المترجم أن نقول مأخوذة كلها عن الاستاذ سماحة وان سماه الاستاذ سماحة اسماعيل بك وسمته نسخة دار الكتب للدرر التوفيقية اسماعيل مصطفى باشا. وهذه كانت إحدى أيادى الاستاذ التى نوه بها الدكتور الكردانى فى مقدمته وأراد أن ينوه بها بصورة عملية فطلب اليه أن ينقد الكتاب

وبعد فقد كنا نود لو قصر الاستاذ سماحة نقده على الناحية الفلكية التى هو من رجالها فأشبع فيها القول، أما الناحية اللغوية فلها رجالها، وكثير منهم من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر التى تولت اخراج الكتاب؟

جريدة «الشورى»

جاءنا من حضرة الاستاذ صاحب جريدة «الشورى» المحتجبة ما يلى:

قرأت فى الجرائد أن أحد أصحاب الصحف الاسبوعية بدمشق الشام قد غير اسم جريدته وسماها «الشورى» وقد ظن بعض اخوانى هنا وفى الخارج أن لى علاقة بهذه الجريدة التى اختارت اسما لا يخلو اختياره من ميل الى استغلال اسم جريدتى التى أصدرتها سبع سنين ثم حجبتها مؤقتاً الى أن يفرج الله عنها بمصر

لذلك أعلن هنا انه لا علاقة لى بجريدة «الشورى» التى صدرت بدمشق ولا أعرف عنها شيئاً.

مصر — محمد على الطاهر: صاحب الشورى

لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤

الحرب العالمية

موضوع من أهم الموضوعات توافر على بحثه مؤرخ عالمي شهير هو الأستاذ سيدني برادشوفين فأخرج فيه كتابه المشهور

أسباب الحرب العالمية

يشرح فيه حالة أوربا السياسية من حرب السبعين الى فاجعة سيراجيفو . ويعالج الأسباب التي أفضت بعد تلك الفاجعة الى الحرب العالمية . فهو صفحة شائقة من التاريخ . لا غنى لطالب التاريخ الأوربي الحديث عن دراسته ولا القارىء المثقف عن استكناه خفايا الماضي القريب من بين ثناياه

عربه عن الانجليزية الأستاذ محمود الدسوقي

وتولت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » إصداره

فجاء بجزءيه في قرابة ٧٠٠ صفحة

وثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

النجوم في مسالكها

تأليف

العالم العالمي السير جيمس جينز

وترجمه

الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني

ناظر مدرسة القبة الثانوية

وصاحب المؤلفات المعروفة في الكيمياء والطيران والميكانيكا

يبسط خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث في الكون ونظامه وأصله ونشوئه وتمدده . ويبحث الطاقة والإشعاع والنسبية والحياة في عالمنا والعوالم الأخرى بأسلوب سهل طلي يجعلك تقرأ هذا العلم الدقيق كما تقرأ الرواية الممتعة

يحتوي على سبع وأربعين لوحة وأربع خرائط وقوائم بالمصطلحات وبأسماء النجوم باللغتين الانجليزية والعربية

طبعته اللجنة بدار الكتب المصرية على ورق صقيل في نحو ٢٦٠ صفحة وثمنه ١٦ قرشا عدا أجرة البريد

حياة نابليون

للأستاذ حسين جلال

مؤلف الثورة الفرنسية

يبحث بحثا مستفيضا في حياة نابليون وحروبه وآثاره

ويقع في جزءين وثمنه ٢٠ قرشا

فتح العرب لمصر

تأليف الدكتور بتلر

وتعريب الأستاذ محمد فريد ابو حديد

يصف خير وصف حالة مصر من الوجهة السياسية والعلمية قبل الفتح وأثناءه وبعده

وثمنه ٤٠ قرشا عدا أجرة البريد

تطلب هذه الكتب من اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ

1re. Année, No. 17

Vendredi, 15-9-1933

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة فى الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

فى أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire, Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

....

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

العـــدد السابع عشر «القاهرة فى يوم الجمعة ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العـــدد

الملك الشهيد ...!





فى ليل يوم الجمعة الماضى سكت فى (برن) قلب الملك فيصل! وما كان فى حسبان أحد من دنياه أن هذا القلب الذى يجيش بالحياة، وينبض بالأطماع، ويستخف بالأمور الجسام، يسكت فى وحدة الغريب ووحشة الليل الرهيب هذه السكتة الفاجئة!!

فلما نعاه البرق الى الآفاق فزع الناس الى الشك يدافعون به

هول الخطب، ورجم بعضهم بالظنون يعللون بها بغتة الحادث، وتعذر على العقل أن يفهم الموت مقرونا الى فيصل (صقر قريش) وقد كان الى أمس يقطع بعزمه الجبار أجواء الشرق والغرب حاملا في يمناه العراق، وفي يسراه سورية، وفي قلبه دولة العرب!! ثم انجلى الشك وانجابت الظنون فاذا العراق واذا سورية واذا العرب أمام الفاجعة التي روعت النفوس وضرّمت الأنفاس وقوضت حصون الأمل!!

لم يجزع العرب حين نعى الناعي فيصل على نفس كسائر النفوس تغوص في لجج العدم، وانما جزعوا هذا الجزع الهالع على آمال أمة، وجهود نهضة، ومستقبل فكرة؛ لأن ملك العراق كان مناط هذه الآمال، ومبعث هذه الجهود، وعدة هذا المستقبل!!

ومن العجيب أن يكون مصدر هذا الجزع كثرة الزعماء الأكفاء لا قلتهم! فان هذه الكثرة كانت دائما وبالا على وحدة العرب إذا لم يقم على رأسها زعيم يعتمد في قيادتها على سلطان الدين وشرف النسب، وقد اجتمع للملك فيصل مع هاتين القوتين عقل كيس، وخلق نبيل، ونفس طموحة، وجاذبية قوية. فلا جرم أنه كان رجل الساعة لهذه الأمة الناهضة يجمع كلمتها حول رأيه، ويوحد وجهتها وراء خطاه!

* * *

عرفت جلالة ملك العراق أثناء مقامي ببغداد معرفة وثوق وخبرة. وكانت حال البلاد في ذلك الحين محنة ابتليت بها كفاية الملك النابغ: فالانتداب كان قبل الملكية يعمل في العلن ويحمل التبعة، فأصبح بعدها يعمل في السر ولا تبعة عليه، والحكومة كانت يومئذ بادية البلى ممزقة الجوانب لا تستطيع بخروقها أن تستر العرش، فالملك بحكم الوضع كان يستر الانجليز، ولكن الوزارة بحكم الضعف كانت تكشفه. فكانت أوزار أولئك وأخطاء هؤلاء تحمل في رأي المعارضة والشعب على الملك. وكانت البطانة بعبثها تنفض ظلالة على جد البلاط ووقاره شيئا من العبث، والشعب العراقي على اختلاف منازعه وعقائده وأجناسه ناقد متبرم طموح لا يصبر على نقص، ولا يغفل عن خطأ. فقدر في نفسك كيف كان مصير الملك لو كان غير فيصل!

اضطلع الملك فيصل وحده بأعباء الملك والحكم والزعامة في هذه الحال المضطربة، فكفكف بحكمته من شرة الانتداب، وخفف بحنكته من عنف الوزارة، ولطف بحلمه من غضب الشعب، وصرّف شؤون الدولة على قدر ما يسلم الرأي الحصيف من خبث الاستشارة وضعف الوزارة، ثم سهل حجابه لأمراء العشائر ورؤساء الطوائف وزعماء الأحزاب فانتزع ما في صدورهم بالقول اللين والعتاب الهين والشخصية الجذابة، حتى كان الرجل منهم يدخل قصره وهو عليه، فلا يخرج منه الا وهو له! ثم نظر خارج العراق فرأى على حدوده دولا يتنزّى في صدورها حقد الماضي وطمع الحاضر، فزار تركيا وفرنسا وايران فأحال عداءها الى صداقة وجفاءها الى مودة! ثم اجتمع بملك الحجاز وأوفد الى امام اليمن فأحكم أواخي المودة بينهما وبينه، ثم هداه تفكيره العملي المرن الى أن يعالج الانتداب بالمصانعة والموادعة حتى انتهى به الى نوع من الاستقلال يحفظ الكرامة ويعين على النهوض

دخل الملك فيصل العراق دخول الامام الحسين! لا مال أمامه ولا جند خلفه! ولكن الحسين جرى على سياسة علي فهلك، وجرى فيصل على سياسة معاوية فملك! ثم اعتمد في تأثيل ملكه وانهاض شعبه على الاخلاص العامل والجهد النزيه، وتحامل في ذلك على دمه وعصبه وروحه حتى ذهب فيصل شهيد الواجب، كما ذهب الحسين شهيد الحق!!

كان الملك فيصل الأول ملكا من طراز خاص، ولعله كان أقرب الى خلفاء الصدر الأول منه الى ملوك اليوم! كان ناصع الظرف، جم التواضع، رحب الاناة، ظاهر الوداعة، زاهدا في أبهة الملك، عازفا عن مظاهر السلطان؛ فلا يخدع بتحية، ولا يمشي في حرس، ولا يتشدد في حجاب.

وكان من أجمل مظاهر ديمقراطيته الأصيلة أن تراه غالبا في شارع الرشيد أو في طريق الصالحية يقود سيارته بيده، ويشق طريقه بنفسه، دون ريبة من خلفه ولا طليعة بين يديه، فيسبقه أي سابق، ويزاحمه أي سائق!!

وقد تبكر ذات صباح الى مدرستك أو ديوانك فتراه في ذرور الشمس قد طلع عليك بوجهه العربي المسنون، وقده السمهري المشوق، ورشاقته الرياضية البارعة، فيسلم عليك ويتحدث اليك، ثم يتعهد المكان ويتعرف العمل، ويودعك بابتسامته الرقيقة، وملحوظته الدقيقة!

ودعا مرة مؤتمر المعلمين العراقيين الى الشاي في حديقة قصره، فكان يجلس الى كل منضدة من المناضد الكثيرة جلسة يفاكه أهلها بحلو الحديث، ويناقشهم في وجوه الاصلاح، ثم خطبهم في شؤون التعليم خطبة جامعة تمنى في سياقها أن يكون معلما مع المعلمين يؤدي الى الأمة هذا الواجب المقدس. وفي صباح أحد الأيام

ظلم العــــدالة؟!

للأستــــاذ حسن جلال

القاضي بالمحاكم الأهلية

ومؤلف حياة نابليون والثورة الفرنسية

أصبح معنى العدالة في البلاد التي لها (قوانين مكتوبة) كبصر غير معناها في البلاد التي ليست لها قوانين مكتوبة كانجلترا مثلا . ومعنى العدالة في مصر أن تطبق القوانين على الناس بالسواء . ولذلك أمكننا أن نسمع هنا من يقول «إن المساواة في الظلم عدل!» وكان ينبغي البحث عن وسيلة أخرى لضمان العدالة الحقيقية لا العدالة التي كل أساسها تساوي الناس ولو عند توزيع الظلم . لأن من القوانين مالو طبق بحرفه لكان الظلم بعينه . وكل حالة من الحالات التي يراد تطبيق القانون عليها لها ظروف خاصة تجعلها تختلف عن غيرها من الحالات . فتطبيق نص القانون حرفياً على كلا الحالين دون مراعاة لهذه الظروف هو الاجحاف بعينه . وإن كان يستتر تحت اسم تطبيق العدالة باتباع نصوص القوانين . ولهذا السبب قال الفرنسيون وهم أئمة القانون المكتوب في العالم :

« La lettre tue, l'esprit vivifie »

«القانون يقتل بحرفه ويحيي بروحه» والمعنى أن القاضي الذي يطبق نص القانون بالحرف دون مراعاة للظروف قد ينتهي الى عكس النتيجة التي يصل اليها القاضي الذي ينظر الى روح القانون ويراعي ظروف الأحوال .

***

هذه مقدمة جافة ربما كانت غير سائغة عند من لا يهمه الدخول في تفصيلات علمية .. ولكني أسوق مثالا للايضاح يتبين منه معنى ما أردت أن أصل اليه :

رجل يبيع الفاكهة على عربة يدفعها بيديه يطوف بها الأسواق والطرقات . هذا رمان . وهذا بلح . وذاك عنب ، وذلك غير ذا وهذا وذاك . والرجل له زوجة صغيرة السن لم تفرغ بعد من سلخ عقدها الثاني، وللزوجين طفلة رضيعة تحملها الأم على كتفها لأنها لا تزال في ذلك الدور الذي يكون فيه الأطفال أقرب الى الطفيليات منهم الى الكائنات الآدمية المستقلة .

هؤلاء الثلاثة هم أشخاص القصة . . .

أما القصة فتبدأ كما يأتي :

تقدمت للمحكمة هذه الأسرة بأفرادها الثلاثة وتهمتها أن الأبوين أحرزا مادة مخدرة (أفيون) بدون مسوغ قانوني ، وطلبت النيابة فيما طلبت تطبيق نص المادة ٣٥ من قانون المخدرات الجديد الذي قصد به محاربة المخدرات حربا رادعة

ونص المادة المذكورة هو كما يأتي :

«يعاقب بالحبس مع الشغل من سنة الى خمس سنوات وبغرامة من ٢٠٠ جنيه الى ١٠٠٠ جنيه . . . كل شخص ليس من الصيادلة أو من الاشخاص المرخص لهم بالاتجار بالجواهر المخدرة يكون قد حاز أو أحرز أو اشترى جواهر مخدرة ما لم يثبت أنه يحوز هذه الجواهر بموجب تذكرة رخصة أو تذكرة طبية أو بموجب أي نص من نصوص هذا القانون»

***

أما الوقائع فتتلخص في أن جماعة من رجال البوليس الملكي خرجوا على عادتهم يجوسون خلال الأسواق والطرقات يبحثون عمن يتجر في المخدرات أو يتعاطاها لضبطه واتخاذ الاجراءات القانونية قبله . فصادفوا الزوج يتغنى ببلحه ورمانه وفاكهته فدهموه اذ كان يعلم أحدهم أنه ممن يشتبه في أمرهم لسابقة ضبطه ومعه مقدار من الأفيون . وأخذوا يفتشونه فتولى بعضهم شخصه وملابسه . وتولى آخرون أقفاصه

غدا على المدرسة المأمونية الابتدائية فقضى ردحا من الزمن فيها ، ثم سجل اسمه في ثبت مدرسيها !

كان الملك فيصل في العراق ملك دولة ، ورئيس حكومة ، وزعيم أمة ، وهو في الاقطار العربية مؤسس نهضة ، وممثل فكرة ، ورسول وحدة ، وداعية سلام ، ومعقد أمل ! فاذا هفت النفوس جزعا لفقده ، واستولى على العرب الوجوم والحيرة من بعده ، فان في منطق الحوادث وطبيعة الامور ما يسوغ هذا الجزع ويعلل هذه الحيرة

ألهم الله الأمة العربية على جلالة ملكها فيصل أجل الصبر . وجعل لها في جلالة ملكها غازي خير العوض !

احمد حسن الزيات

وبضاعته . وبيناهم آخذون فى عملهم إذ أبصر أحدهم زوج الرجل مقبلة من بعيد . فلما رأتهم محدقين بزوجها يفتشونه عادت ادراجها مسرعة ، فاوجس رجل البوليس منهاريبة وتبعها فى تلصص ، حتى إذا دخلت بيتها اقتحمه عليها فاذا هى تنقى من يدها شيئا فالتقطه ، فاذا هو قطعة من الأفيون فضبطها هى الأخرى وعاد بها الى زوجها وطفلها على كتفها . واقتيدت الأسرة الى مركز الشرطة حيث حُرر ضدها (المحضر اللازم) وتحدد يوم للمحاكمة ، وأحيل المتهمان على المحكمة (بعد أن القى القبض على الزوج وأفرج عن الزوجة بالضمان)

***

ظاهر القصة ينادى بأن الزوج وهو صاحب المنزل يحرز الأفيون المضبوط ، إما لاستعماله الشخصى وإما لأنه يتجر فيه . ولا سيما وقد سبق للرجل أن حكم عليه بسبب احرازه أفيونا فى قضية أخرى

وكانت المحاكم تجرى فى أحكامها على إدانة الرجل فى مثل هذه الأحوال ، وتبرئة الزوجة التى ينحصر كل عملها فى محاولة تفادى الاتهام . وهو عمل مشروع من حق كل انسان أن يأتيه . وفى السعى لتخليص زوجها ورب بيتها من مأزق وقع فيه وتوشك بسببه أن تحرم من حمايته ومعاشرته ورعايته . . .

ولكن محكمة النقض والابرام . وهى القوامة على قضاء المحاكم جميعها . فسرت نص المادة ٣٥ المذكورة تفسيرا آخر أخذت فيه بحرفية القانون . ولها عذرها فيما فعلت . وقالت : إن الشخص يجب أن يعتبر محرزا تنطبق عليه نصوص المادة ٣٥ متى امتدت يده الى المادة المخدرة ، ولا عبرة بعد ذلك بالباعث له على تناولها ، ويستوى فى ذلك أن يكون إحرازه لها بقصد تعاطيها ، أو الاتجار فيها . أو العمل على اخفائها لتفادى ضبطها معه أو مع شخص آخر قريب اليه .

وزاد الحالة حرجا أن هناك مادة أخرى هى المادة ٤٠ من ذلك القانون الصارم ونصها كالآتى :

« لا يجوز الحكم بايقاف تنفيذ الحبس لمن يحكم عليه فى جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون . وتكون الأحكام واجبة التنفيذ فورا ولو مع حصول استئنافها . ويحرم المحكوم عليه بناء على هذا القانون من استعمال حقوقه السياسية والانتخابية لمدة خمس سنوات تبتدىء من انتهاء مدة العقوبة »

يعنى أن من يحكم عليه بسبب احرازه مخدرا لا سبيل الى استعمال الرحمة معه ، فالحكم يقع عليه نافذا فورا . ولا يمكن تعليق تنفيذه أو ايقافه بحال من الأحوال ، مع أن السارق والمزور وخائن الأمانة والنصاب كل أولئك وغيرهم أيضاً تستطيع المحاكم أن توقف تنفيذ العقوبة التى تحكم بها عليهم اذا وجدت مبررا لذلك من جنس أو سن أو نحوهما .

وقد عرضت تلك القضية التى نحن بصددها على المحكمة فلم يكن أمام قاضيها الا طريق واحد : وهو أن يأخذ الزوجة بأحرازها المادى لقطعة الأفيون المضبوطة ، فقضى عليها بالحد الأدنى للعقوبة المقررة وهى حبسها سنة واحدة مع الشغل وتغريمها ٢٠٠ جنيه وشمل حكمه أيضاً بالنفاذ . أما الرجل فلما كان لم يضبط معه شىء وكان قضاء محكمة النقض يفيد قصر العقوبة على المحرز أيا كان السبب فى احرازه فقد قضت المحكمة ببراءته !

***

وهكذا انقلب الوضع !

فأصبح الرجل بريئا — وهو الذى ضبط الأفيون فى بيته ، والذى يفترض فيه الاحراز بحكم جنسه وبحكم السابقة التى له . أما الزوجة . تلك الصبية الغريرة الساذجة . التى هالها أن ترى زوجها بين يدى الشرطة يوشك أن يمنع من العودة اليها والى طفله . والتى خشيت أن تمتد أيديهم الى ما فى منزل زوجها فاسرعت اليه تخفيه عن أعينهم . والتى لا يفترض فيها تعاطى الأفيون ولا الاتجار فيه بحكم جنسها وبحكم سنها ، والتى كانت يدها وهى تمدها الى الأفيون المضبوط يدا عارضة لا يقصد بها إحراز ولا حيازة ولا تعاط ولا اتجار ، فهى التى أودعت السجن هى وطفلتها تبعا لأنها جزؤها الذى لا يتجزأ . وهى التى سوف تخرج من السجن بعد عام مدموغة بأنها (من ارباب السوابق) وكل ذلك باسم العدالة وباسم القانون !!

إن الانسان ليفكر مرتين قبل أن يقرر أن القوانين قد كفلت العدالة .

القلب

للاستاذ احمد أمين

رمتني آنسة في جريدة الأهرام ، بأن لا قلب لي ، وان كان فليس يخفق ، لأني كتبت موضوعا في مجلة الرسالة عنوانه « أدب القوة وأدب الضعف » سميت فيه الأدب الذي يضعف النفس ويمرض العاطفة أدبا ضعيفا مائعا

لك الله يا آنسة ! أتدرين أن أشنع سبة يسب بها إنسان : أنه لا قلب له ؟ وهل المرء إلا قلبه ؟

ليس الانسان جسما بعضه القلب لكنه ، قلب غلافه الجسم

لقد قالوا : « إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه » ولكنهم – بقولهم – قد رفعوا من شأن اللسان حتى قرنوه بالقلب ، ووضعوا من قيمة القلب اذ قرنوه باللسان ، وهل اللسان إلا حاكٍ بكيٌّ لاحط حركات القلب وانفعالاته ؟ وكيف يعبر المحدث عن القديم ؟ أم كيف يحيط المحدود باللامحدود ؟ وأين يقع معجم اللغة من معجم العالم ؟

إن القلب يقرأ ما رسمه الله على السماء والأرض من أشعار ، ولا يسمح منها للسان الا بالقليل التافه ، وما الشعر الملفوظ بجانب الشعر المحسوس ؟

القلب لا يكذب أبدا واللسان لا يصدق الا قليلا .

لعلك يا آنسة إن فتشت عن أعجب ما خلق الله في السماء وفي الأرض لم تجدي أعجب ولا أروع ولا أدق ولا أجمل من قلب الانسان – تصلح أوتاره فيفيض رحمة وشفقة وحبا وحنانا ، ومعاني لطافا وشعورا رقيقا ، حتى يتجاوز في سموه الملائكة المقربين ، وتفسد أوتاره فينضح قسوة وسوءا حتى يهوي الى أسفل سافلين

حوى على دقته كنه العالم فما أدقه واجله وما أصغره وأعظمه !

يكبر – ولا نرى كبره – فيتضاءل أمامه كل كبير ،

ويصغر – ولا نرى صغره – فيتعاظم عليه كل صغير

اتحد شكل القلب واختلفت معانيه ، فقلب كالجوهر الكريم صفا لونه وراق ماؤه ، يتلقى الأشعاع ويعكسه وهو على أشد ما يكون ضوءاً ولمعانا ، وقلب كالصخر قوي متين ، ينفع ولا يلمع ، وقلب هواء ، خف وزنه ، وحال لونه – وقلب ... وقلب ... ما لا يحصيها الا خالقها – إن اتحدت عيون الناس وآذانهم ووجوههم ورءوسهم نوعا من الاتحاد فان لكل انسان قلبا وحده ، ينبض بنوع من حب وكره ، وقسوة وحنان ، وإعظام واحتقار ، ورفعة وانحطاط ، لا يشركه فيه قلب آخر – وبهذا ، وبهذا وحده . اختلفت قيم الناس وتعددت مراتبهم

يموت القلب ثم يحيا ، ويحيا ثم يموت ، ويرتفع الى الأوج ، ويهبط الى الحضيض ، وبينا هو يسامي النجوم رفعة ، اذا به قد لامس القاع ضعة ، وهكذا يتذبذب في لحظة بين السماء والأرض ، والطول والعرض ، وخير الناس من احتفظ برفعة قلبه ، وسموِّ نفسه

هو ان شئت فردوس ، وإن شئت جحيم ، هو ان شئت مَلَك ، وان شئت شيطان ، هو ان شئت نار تتقد بالحب

هل الوجد الا ان قلبي لو دنا ... من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر

هل الحب الا زفرة بعد زفرة ... وحر على الأحشاء ليس له بَرْد

وفيض دموع العين يا مي كلما ... بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وان شئت سلا فكان بردا وسلاما

وقلت لقلبي حين لج به الهوى ... وكلفني ما لا أطيق من الحب

الا أيها القلب الذي قاده الهوى ... أفق لا أقر الله عينك من قلب

القلب مركز العاطفة ، والرأس مركز العقل ، وما العقل لولا العاطفة ؟ إن العقل أكثر ما ينفع للهدم ، والقلب أكثر ما ينفع للبناء ، إن القلب يؤمن ، والعقل يلحد ، والقلب يحب والعقل يحذر

نصحتك علما بالهوى والذي أرى ... مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

القلب يؤسس العالم ، والعقل يسكنه . والقلب يخلق الشيء والعقل يغصبه ، سل التاريخ أليس أعظم بناة العالم قد امتازوا بكبر القلب ، وصدق الشعور ، وقوة الارادة ، أكثر مما امتازوا بسعة العقل وقوة الأدراك ؟

القلب بني البناء والعقل نقده ، والقلب أحيا الشعور والعقل حدّه ،

هل تعلمين – يا آنسة – أن من وجد كل شيء وفقد قلبه لم يجد شيئاً – وان من جرد من قلبه لا يعرف صداقة ولا يدين بوطنية ولا يشعر بحنان ، ولا ينطوي على ايمان ؟

أو تعلمين أن من سُلب القلب فقد سُلب الفن والأدب ، لأن الفن مناطه القلب ، والعلم مناطه العقل ، وقد سئل مصور ماهر كيف تمزج ألوانك ؟ فقال : أمزجها بدم قلبي . وكذلك الأدب الحق ، هو ما كان ذوب القلب

يا آنسة لقد رميت فأصميت ، ولشد ما خفق قلبي لسُبتك ، كأنه يريد أن يثبت وجوده !

قبر مفقـــود

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال صاحبي: هذا مسجد النبي دانيال، فولجنا الى الفناء فاذا جماعة من السؤال جالسين الى الجدار كأنهم موتى أعوزتهم القبور. قال صاحبي: وهذا البناء مقبرة. فملنا ذات اليمين الى رجل واقف بباب البناء عرفنا من موقفه وأوامره أنه قيم المقبرة.

— السلام عليكم

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هل من حاجة؟

— يا سيدي: شاعر من شعراء الترك ووزير من وزرائهم قدم الى مصر أيام محمد على باشا ومات بهذه المدينة ودفن بجوار النبي دانيال، فهل تعرف عن قبره خبراً؟

— أكان وزيراً في مصر؟

— كلا، ولكنه مر بمصر حاجاً ثم عاد اليها بعد الحج فمات بالاسكندرية.

— هذه مقبرة لأسرة الأمير عمر، يا محمد! اذهب معهما الى المقبرة القديمة؛ أليست مفتوحة؟

— لا ياسيدى ولكن فتحها يسير. فهناك ابراهيم

سرنا وراء الرجل يسلك بنا مضايق في فناء المسجد حتى انتهى الى زقاق ضيق يفضى الى باب مرتفع، فنادى ابراهيم وكلمه فجاء يحمل المفتاح، وتقدم نحو الباب ففتحه ثم ألقى خشبة ضخمة على كوم من الحطب أمام الباب فارتقى عليها ودخل فاتبعناه:

سور قصير يحيط بعرصة واسعة فيها ارتفاع وانخفاض وأكوام من التراب وأكداس صغيرة من الأحجار، يبدو بداخلها قبران الى اليمين عليهما نصبان من الرخام، واذا أنعم النظر تبين قبرين دارسين او ثلاثة في أرجاء أخرى

قال ابراهيم: ليس هنا الا القبران اللذان ترى، فتأملت كتابة تركية فقرأت ما في سطور الفناء من عظات وتواريخ وأسماء، فاذا اسمان آخران ودفينان مضى عليهما زهاء ثمانين عاماً. فجلت في أرجاء المقبرة فرأيت قبرا عليه نصب واقع يتضمن اسما آخر، ثم مررت بقبر لا نصب عليه، وبنصب لا قبر له: بطشت يد الزمان العسراء، ببقايا الفناء!

تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع

لبثت حينا أسائل القبور والأحجار فلم تحر عن الشاعر جوابا. فرجعت الى ابراهيم فقال: كانت هذه الأرض كلها قبورا فذهب بها الحفر. قلت أى حفر؟ قال: قلبوا الأرض يفتشون عن قبر الاسكندر. وقد أخرجوا ماضمنته الأرض من أحجار وعظام الى عشرين مترا فلم يظفروا بشيء. قلت انها لتعزية: إن فقدنا قبر شاعرنا فقد ضل في ثنايا الأرض وظلمات التاريخ قبر الملك العظيم الفاتح الاسكندر بن فليب، انها لتعزية!

رجعنا الى صاحبنا الذي أشار بالذهاب الى المقبرة القديمة فقال:

— هل عثرتم على القبر المنشود؟

— لا. رأينا قبورا قليلة، وقرأنا ما وجدنا من أنصاب فلم نجد قبر عاكف باشا

— هنا مقبرة سعيد باشا. أيمكن أن يكون مدفونا هنالك؟

— ليس بعيدا فقد حدث التاريخ أن محمد على باشا أحسن وفادته وبالغ في الحفاوة به. فليس بدعا أن يكون قد أمر بدفنه بين قبور الأمراء.

— يافلان (قيم مقبرة سعيد باشا) وكان بجانبه، ادخل بهما لعلهما يجدان القبر، فأحسبني رأيت هذا الاسم على بعض القبور

— عندى أوراق فيها أسماء القبور كلها فتفضلا معى.

ودخل الى بهو به مكتب، فأخرج ورقتين فيهما أسماء معظمة لأمراء وأميرات، أسماء كانت عناوين حياة حافلة بالعظمة والرفاهية، مليئة بخطوب الزمان، ونوب الأيام، وما هى الآن إلا أسماء قبور. ماوجدت «عاكف باشا» بين الأسماء، فشكرت الرجلين وانصرفت.

قال صاحبي: لم تعثر عليه

قلت: أجل، ولكنى أعلم أنه في باطن الأرض، فان يكن لابد لشاعرنا من قبر، ! فهب الأرض كلها قبره: يا أخى، انما يخلد الناس بالآثار، لا بهذه الأحجار. وقد صدق جلال الدين الرومي إذ قال:

بعد از وفات تربت ما در زمين مجوى

در سينه هاى مردم عارف مزار ماست:

فلا تطلبن في الأرض قبرى فانما

صـــدور الرجال العارفين مزارى(١)

اسكندريه ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٣ — عبد الوهاب عزام

(١) مزار كلمة مشتقة من الزيارة وهى تقال للقبر فى الفارسية والتركية وقد آثرت ابقاءها فى الترجمة

مناظر من موقعة صفين

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

اجتمع فى سهل صفين جمعان من العرب لم يشهد تاريخ ذلك الشعب اجتماع مثلهما فى موقعة منذ الزمن القديم المعروف فى التاريخ. فقد كانت المواقع القديمة لاتزيد على أن تكون معارك بين بضع مئات. فلما كان الاسلام سمعنا عن موقعة حنين وقد اعجبت المسلمين كثرتهم اذ كانوا عشرة آلاف. فلما خرج العرب الى حروب الروم والفرس زاد عدد الجنود فصار الى عشرات الآلاف. فكان عدد العرب مثلا فى اليرموك ستة واربعين الفا، وكان عددهم فى القادسية ثلاثين الفا. وفى نهاوند كذلك ثلاثين الفا. واما فى صفين فلم يكن جيش على بأقل من سبعين الفا. ولم يكن جيش معاوية بأقل من تسعين الفا.

وكان معاوية السابق الى النزول فى سهل صفين، فاختار لجيشه سهلا فسيحا متصلا بنهر الفرات فى مكان يسهل الاستقاء منه. ولم يكن فى ذلك الجزء من نهر الفرات الأعلى مكان غيره يمكن الشرب منه. إذ ان النهر يجرى هناك فى اقليم الجبال فيغلب على مجراه ان يكون عميقا قائم الجوانب سريع التيار

ولعل معاوية كان يريد السبق الى اختيار ذلك المكان ليكسب الموقعة قبل أن يلتحم الجيشان. فلما اقبل على فى جيشه رأى عدوه نازلا فى خير المنازل وقابضاً على ناصية الشريعة. وقد وقفت كتيبة من جيشه لتدافع عن مورد الماء إذا حاول عدوه أن يصل اليه.

كانت خطة على فى حروبه أن يأمر جنده بالكف عن القتال حتى يحاول حل الخلاف بالحجة والمسالمة. حقاً لم تفده هذه الخطة فى كثير من المواطن. ولكنه لم يخرج عنها مرة واحدة فى حرب من حروبه. وقد كان فى هذه الموقعة جارياً على عادته هذه، فانه أمر أصحابه ألا يتعرضوا لأحد من جيش معاوية حتى يراسله فيما جاء له. ولكن العطش ألح على أصحابه، فالتمسوا مكاناً على النهر يستطيعون أن يشربوا منه فلم يستطيعوا، فأرسل على الى معاوية يطلب اليه اباحة الماء لأصحابه فأبى. فلم يكن بد من القتال على الماء قبل محاولة المفاوضة فيما جاء له الجيشان.

وكان بطل القتال فى ذلك اليوم الأول رجلا اسمه الأشعث ابن قيس، كثر تردد اسمه فيما بعد فى آخر الموقعة. وقد كان من قبل خلافة على عاملا لعثمان على أذربيجان، فلما قتل عثمان دخل فى طاعة على حتى جاء معه لمحاربة معاوية فى صفين. ولكنه كان ممن ينظر اليهم بعين الريب فى جيش على. ولا يمكن أن يكون الأمر على غير ذلك لأن جيش على كان لا يثق بأحد ممن كان يعمل لعثمان، على أن الاشعث كان يطمع فى الصدارة والرياسة، وهاهى فرصة تهيأت له فتقدم اليها مسارعا، فطلب الى على أن يخرجه لقتال القوم على الماء فاذن له على فى ذلك. واشتدت الحرب وتوالت الامداد من الجانبين وانتصر جيش على وأصبحت الشريعة فى يده، وارتدت جنود معاوية الى مكان بعيد عن النهر، وتقدمت جنود على فنزلت فى ناحية من السهل الفسيح الذى كانت جيوش معاوية تحل فيه وتملك الانتقال خلاله.

كثر تحدث الجنود والقواد بعد ذلك فيما يظنونه من صنع على عقب انتصاره، فمن قائل إنه يقابل الاساءة بمثلها، ومن قائل إنه يتفضل على عادته فى النبل، وقال عمرو بن العاص: «ما اظنه يمنعنا الماء كما منعناه من قبل، لانه قد جاء لغير ذلك» وكان عمرو أصدق المتوقعين، فان عليا أبى ان يمنع أحداً ورود الماء. وقد يسائل احدنا نفسه: «ما ذا كان يجب عليه أن يفعل؟»

وقد يجيب بحسب ما يظنه الأمثل والاصلح، ولكن لا يشك أحد فى وصف ما أتاه على بأنه نبل.

نزلت جنود على فى سهل صفين فى أواخر ذى الحجة، فلما دخل المحرم اتفق الجيشان على الموادعة مدة الشهر الحرام، وكان على يرجو أن يستطيع فى اثنائه حسم الشر والوصول الى توحيد كلمة المسلمين بغير حرب، غير أنه كان يعلم أن معاوية لايقصد غير الملك، وما كانت الحجج لتستطيع أن تحوله عن مثل ذلك القصد. غير أنه كان يطمع فى أن يستميل بالحجة أهل الرأى ممن مع معاوية، فكانت رسله تختلف الى معاوية تحمل من الحجج ما هو أشبه بالدعاية السياسية منه بالمراسلة المعتادة بين رئيسى حزبين متعادين، وكان ينتهز فرصة وفود رسل معاوية لكى يحاول أن يستميلهم بالحجة، وكان اذا وجد من هؤلاء الرسل انصرافا عن حجته وتمسكا بمعاوية أظهر أشد الاسف حتى ليقول مثلا: «انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» فلما رأى المحرم قد مضى وأيقن أن تلك المحاولات لم تفده شيئا، أمر أحد قواده أن يعلن استئناف القتال، ولم يرض أن يهاجم أعداءه حتى يعلن اليهم عزمه. فلما غربت شمس آخر يوم من المحرم نادى مناديه باعلان الحرب معتذرا بأنهم أبوا الاذعان للحجة ولم يلبوا الدعوة الى الاسلام. وابتدأت المصادمة على شكل مواقع جزئية، وذلك بأن ترسل كتيبة من جيش على

فتلقاها كتيبة من جيش معاوية فيتجاولان مدة نهار حتى يحجز بينهما الليل ، وكانت القتلى فى مثل هذه المجاولات قليلة العدد . وكان الناس اذا أقبل الليل يضعون السلاح ويدخل بعضهم الى مخيم بعض فيتحادثون ويتسامرون ويسمع بعضهم قول بعض فى غير قتال حتى تستأنف المعركة سيرها فى اليوم التالى . وقد استمر الحال على ذلك مدة الاسبوع الاول من المعركة ، ثم عزم على المقاتلة بكل جيشه فى يوم الاربعاء الثانى من شهر صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة .

وكان الجيشان مرتبين حسب النظام المتبع حين ذلك . وهو أن يجعل لكل منهما قلب وجناحان ، وكان الهجوم يحدث من الجناحين أو من أحدهما ويكون القائد فى القلب ومعه أوثق جنوده يهجم بهم وقت الضرورة ، أو يمديهم من يحتاج الى المدد من الجناحين . وقد بدأ على الهجوم بجناحه الايمن وجل جنوده من أهل اليمن ، فهبطوا على جناح معاوية الايسر . وكان قائد ميمنة على أحد شجعان العرب وقرانهم وهو عبدالله بن بديل ، فكانت الحملة الأولى تيارا قويا تزعزعت له ميسرة معاوية حتى اضطر الى امدادها بالشجعان الذين معه فى القلب وهم الذين بايعوه على الموت ، وعند ذلك قويت ميسرة معاوية وكرت على ميمنة على حتى ردتها ، ولم يبق ثابتا إلا القائد مع مائتين أو يزيدون استماتوا فى القتال أمام الجموع المتزايدة الجرارة التى تدفقت عليهم ، فلما رأى على أن ميمنته ارتدت هذا الارتداد السريع الذي لم يكن متوقعا عقب الانتصار الاول حاول أن يقابل الهجوم بمن معه فى القلب وكانوا من مضر ، فلم يستطع أن يرديهم ذلك التيار واضطر الى أن ينحاز الى ميسرته وكان جل جنودها من ربيعة . فلما رأت الميسرة ما حاق بالميمنة والقلب وانحياز الخليفة اليها ثارت فيها الحمية وثبتت ثباتا عظيما ووقف على معهم يحارب بنفسه .

رأى احد قواد على وهو الاشتر النخعى ما حاق بالميمنة من الهزيمة وكان يمنيا . فثارت روحه القوية وجاشت نفسه الباسلة فأسرع نحو المنهزمين وتمكن بقوة نفسه وشجاعة قلبه وفصاحة لسانه من أن يرجع كثيراً منهم ويذمرهم ويثير فيهم الحماسة حتى التف حوله عدد عظيم ممن كان انهزم من الميمنة . فعطف بهم الى القتال فأدرك عبدالله بن بديل وهو بآخر رمق من الجهد يقاتل مع اصحابه القلائل المستميتين . فأعاد الكفة الى الرجحان ومازال يقاتل حتى صار القتال متكافئاً بين الفريقين ، ولما رأى على ذلك عاد الى الميمنة وجعل يشجعهم ويذمرهم .

وأقبل الليل والكفتان متراجحتان بعد ، ولم يشأ أحد من الفريقين أن يقف القتال أثناء الليل إذ كان كل منهما يعض على النواجذ من أجل النصر .

وأصبح الصباح فاذا بجنود على فى الميمنة لا يزالون منتصرين مع الأشتر النخعى حتى صرعوا صفوف المعقلين الذين التفوا حول معاوية وقد بايعوه على الموت وعقلوا أنفسهم بالعمائم حتى لا يستطيعوا الانصراف من حوله . وكانت الميسرة كذلك منتصرة قد أوشكت أن تبلغ الى قلب جيش معاوية وجعلته يفكر فى الفرار . وفيما كان الأمر على ذلك ارتفعت صيحة من ميمنة جيش معاوية وما زالت تتزايد حتى بلغت ميسرة جيش على ، فاذا الصيحة ترتفع فيها حتى تبلغ علياً ويأخذ قواده فى المجادلة فيما بينهم ، ثم تنتقل المجادلة حتى تصبح بينهم وبين الخليفة ، وتلك هى صيحة تحكيم القرآن إذ رفع جند الشام المصاحف على الرماح وقالوا : « قفوا تلك الحرب الطاحنة . الى متى يتطاحن المسلمون ؟ لقد قرب المسلمون من التفانى .

ومن يكون لحرب الفرس ومن يكون لحرب الروم اذا نحن تفانينا وقتل بعضنا بعضا ؟ »

تردد علىٌ فى وقف الحرب وعلم أن تلك خدعة لجأ اليها عدوه عند ما رأى كفة النصر تنصرف عنه . ولكن بعض قواده هدده بالثورة عليه . وكان أشدهم فى ذلك الأشعث بن قيس صاحب الانتصار العظيم يوم الشريعة . فاضطر على أن يبعث الى ميمنته المنتصرة لوقف الحرب . وتردد الأشتر فى ترك الحرب وقد أوشك أن ينتصر . فأعاد الامام أمره الى الاشتر بوقف الحرب وأفضى اليه بنبأ ثورة قواد ميسرته ، فاضطر إلى أن يرفع يده وعاد الى على حنقا ثائرا ساخطا على افلات النصر من يده وكان قد ظنه قريبا .

ولم يمض بعد ذلك زمن طويل حتى كتبت صحيفة التحكيم وانصرف الجيشان أولهما الى الشام وهم فرحون اذ أفلتوا من هزيمة محققة ، وثانيهما الى العراق وهم يتلاومون ويتجادلون ويختلفون وفى قلوبهم أشد الاسى على ما أصابهم من الخذلان بعد وشك الانتصار .

وإنا نسائل النفس عن علة هذا الفشل العجيب ولا نستطيع أن نقنع النفس بأن الحوادث الظاهرة كانت كافية لاحداثه . فان أمر هذه الهزيمة كان شبيهاً بعود من الثقاب أشعلته فرأيت من إشعاله انفجاراً مدمراً لم يكن ليخطر لأحد ببال . فاذا عزى الانفجار الى عود الثقاب كان ذلك إهمالا لذلك الغاز الملتهب الذى كان خفياً عن الأعين فأحدث الانفجار المروع عند ما اشتعل فيه ذلك العود الضئيل . إن الحرب هى الجهد الأعظم الذى ينتهى اليه الخصام بين حزبين . وفيه يبذل كل جانب أقصى ما عنده من الهمة ليفوز . وقد لا يتورع المحارب عن الكيد بالكذب والدس والتجسس ، وقديماً أباح الناس أمثال هذه الدنايا فى الحروب مع تحريمهم . إياها فى المعاملة المعتادة .   (تتمة المقال فى العدد المقبل)

الشعر المرسل

للآنسة سهير القلماوي

ليسانسيه في الآداب

في مقال الأستاذ قدري لطفي الذي نشر بالعدد الخامس عشر من الرسالة أشياء كثيرة يحسن الاجابة عنها ، لولا انى احببت أن أكتب هذا المقال عن رأيي في الشعر المرسل لا في الرد على الأستاذ . ولكني لا أترك مقال الاستاذ هكذا بل سأطلعك على بعض فقرات ترى منها انى لم أهمل الاجابة عنه لانها شاقة بل لأنها من السهولة بحيث يعرفها القارىء متى قرأ المقال .

انظر الى قوله مثلا : « اما تمام المعنى في البيت الواحد فلم يكن من خصائص الشعر العربي وإنما كان من خصائص الشعراء العرب » . . !! وخبرني بعد معنى هذا القول ومدى نصيبه من الصحة .

ثم انظر الى قوله « ولا أحسب أحدا يدعونا إلى ترك الشعر القديم واهماله لنفسح المجال للشعر المرسل في غير حاجة ماسة ولا ضرورة ملجئة » وخبرني بعد من ذا الذي يريد للفن أن يخضع للضرورات الملجئات والحاجات الملحات ، وخبرني أيضاً إذا دعونا الى الشعر المرسل كان معنى هذا أن نهمل الشعر المقفى ، لم لا يجوز وجودهما معاً ، وكلنا يعلم أن الشعر المرسل في كل لغة وجد فيها لم يمح الشعر المقفى وانما وجد بجانبه .

وأمثال هذين المثلين كثير فليقرأ القارىء مقال الاستاذ فهو خير دليل على ما زعم .

ولقد تورط الأستاذ ابان ثورته غيرةً على القافية في غير هذا النوع من الخطأ . فقد زعم أني قلت : « اني لا أشعر بفقد القافية ما دام المعنى كاملا في البيت » ؛ زعم الأستاذ انى أريد بذلك حكما أو تأثيراً في الحكم على قصيدتي . وانا وان كنت لا ألوم الأستاذ على هذا النوع من الفهم لما يقرأ الا انني أذكر له اني لو لم أدون فكرتي في هذا النوع من الشعر المرسل الذي نظمت به قصيدتي لأسأت الى نفسي والى قارئي لأني أؤمن تماماً أن من واجب الكاتب أن يصور للقارىء فكرته واضحة جلية ، ولما كانت فكرتي شيئاً يتعلق بالحس فقد صورت للقارىء شعوري . ولكن الفرق بين طريقتي في التعبير وبين طريقة الأستاذ ، هو أني دونت شعوري ونسبته الى نفسي ، أما هو فقد دون شعوره وعممه متخذا نفسه مقياساً لكل قارىء ، انظر الى قوله : « ولكن اصطدام القارىء بحروف متغايرة في أواخر الأبيات يشعره بفقدان الوزن في ثناياها !! » .

ولندع مقال الأستاذ لأدون رأيي في مسألة الشعر المرسل واضحاً جلياً حتى لا يتورط غير الأستاذ فيما تورط فيه .

الجدال في الشعر المرسل لا يقوم على أساس ، فالمسألة ليست من مسائل الحساب أو المنطق ، وانما هي مسألة حس . أنت تسمع تفاعيل فتعجبك ، وأنا أسمعه فلا يعجبني ، فاذا تناقشنا أعواماً ما استطاع أن يقنع أحدنا الآخر . أذني تستسيغ الشعر العربي مرسلا ، وقد تكون أذني شاذة ، ولكنك لن تقنعني بعدم استساغته . ستقول لي : ولكن المسألة ليست فوضى ، فهناك الذوق العام ، ولكني وإن كنت احترم الذوق العام لا أقبل حكمه دائماً ، وفي كل الأحوال ، فالذوق العام له تاريخ في مثل هذه الأحوال يجعلني أتشبث برأيي . فقد يستسيغ الذوق العام غداً ويشغف بما لم يطق سماعه بالأمس ، وفي مسألة الشعر المرسل خاصة كان للذوق العام تاريخ يعيد نفسه منذ كان هذا النوع من الشعر بغيضاً غير مستساغ أول ظهوره في كل لغة ظهر فيها ، فلا ضير أن يكون كذلك في اللغة العربية أيضاً .

ثم هناك ناحية أخرى ، فالذوق العام لا يستطيع اليوم أن يحكم حكماً عادلا في الشعر المرسل لأنه لم يسمع منه الا القليل ، وقد لا يكون في هذا القليل شيء جميل رائع كالذي في الشعر المقفى .

وقد تقول لي أخيراً أن طبيعة اللغة العربية لا توافق مثل هذا النوع من الشعر ، وأنا وإن كنت لا استطيع التحدث عن طبيعة اللغة العربية بمثل هذه السهولة الا انى أزعم أنها قد تحور

قليلا فتقبله. وأنت إن استطعت الحكم على الماضي والحاضر فلن تستطيع الحكم على المستقبل. ولكن ما بال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية في القصيدة الواحدة اذا غيرتها كل خمسة أبيات مثلا، ولا تقبلها اذا غيرتها في كل بيت. ثم ما بال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية في كل بيت اذا ما راعيت القافية بين شطري كل بيت على حدة، ولا تقبل تغيير القافية دون مراعاة الموافقة بين الشطرين؟ ثم ما بالها أخيرا قبلت تغيير البحور في القصيدة الواحدة ولا تقبل تغيير القافية ولزوم بحر واحد؟ ستقول ولكن في كل هذا نوعا من القافية كافيا لاحداث تلك الموسيقى المألوفة. اذن لقد أصبحت تقتنع بشيء من القافية بعد أن كان الشعر العربي لا يقنع الا بالقافية كلها متبعة من أول القصيدة الى آخرها. واذا قبلت اللغة بعض التغير فاني أزعم أنها ستقبل التغيير كاملا.

وما رأيك في أني أرى في الشعر المرسل أنواعا جديدة من الموسيقى يعجز عنها بل قد يفسدها الشعر المقفى؟

الوزن في القصيدة ليس بالنغم الخافت الذي تسمعه الأذن، فهو عندي وأظن عندنا جميعا أقوى موسيقى في الشعر، ثم هناك موسيقى الألفاظ وموسيقى الحروف، فهل من المحتوم وجود القافية المكررة الحركة بحركة معينة حتى نشعر بأن هناك موسيقى؟

والغريب أنه بينما نحن نتناقش في الشعر المرسل يتناقش الأدباء الأمريكيون الحديثون في الشعر الحديث الذي لا وزن له ولا قافية.

ليطمئن قرائي فسيفنى عمري في الدعوة إلى الشعر المرسل، فهل يتيسر لي أن أدعو الى هذا الشعر الحديث الذي لا أستسيغه الآن؟ ولكني لا أعرف، فقد استسيغه غدا.

وأخيرا أرى كما أسلفت أن المجال ليس مجال جدال وإنما خير رد على خصوم الشعر المرسل هو أن أكتب وأن يكتب غيري من أنصار الشعر المرسل قصائد نستطيع أن نقنع بها الذوق العام الذي نحترمه جميعا، وأن نقنع بها أيضا من يهمنا اقناعهم.

سهير القلماوي

العالم يجرى !!

كل شيء يجرى في هذا العصر، وكل شيء يسرع. والعالم في اسراعه للأمام، لا يكاد يتلفت يمنة ولا يسرة، وان كان يتجه الى الخلف في أحيان قليلة، ليرى كم قطع من المسافات

فالبخار لم يعد يستطيع تلبية هذه الحاجة الملحة للسرعة فخلفه الطيران، والطائرات نفسها تكاد تعجز عن تلبيتها، فتزيد كل يوم في سرعتها، وتقوم المسابقات العالمية لهذا الغرض.

والتليفون والبرق لم يعودا كافيين، فاذا بالراديو واذا بالتلفزيون لنقل الاصوات ولنقل الصور، بل لنقل المناظر ذاتها لا صورتها. واذا بالأفلام الناطقة تعرض الصوت والحركة، وتغني بالعين والسمع عن الوهم والخيال!

هذه الظاهرة السيكلوجية الغريبة، قد جرفت معها الأدب أيضا، وجرفت الفنون جميعا، وكان ذلك طبيعيا، لأن الفنون هي الظاهرة للنفس الباطنة.

فالفن اليوم لمحات خاطفة، وملاحظات سريعة، لا يقف للدرس العميق، والتحليل الدقيق، لأن طبيعة العصر لا تمهله للوقوف، وإلا سبقته الحياة بآلاف الأميال

والمجلات العلمية اليوم تكاد تنعدم، والباقي منها أخذته نشوة السرعة أيضا فلم تعد بحوثه مركزة، ومع ذلك فهي لا تجد العدد الكافي من القراء فتضمحل وتذوى، وتدرج في زوايا النسيان.

وأنا على يقين من تبدل هذه الحال، فالعالم الذي يجرى الآن بكل قوته، لا بد أن يدركه الكلال، ولا بد أن تنقطع به هذه النشوة الطائشة، فيتمهل ليعرف ما يحيط به

وسيضحك العالم من نفسه يومئذ على تلك الحماقة التي ارتكبها، كما يرتكب الأطفال حماقاتهم، ركضا وجريا ووثبا

ثم يفيقون من هذه الغمرة عندما يكتمل نضجهم ، ويتوبون الى الرشـاد .

النشاط شيء ، والعجلة شيء آخر ؛ واذا كان النشاط من مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . فليس للعجلة هذه المزية مطلقاً، بل أن لها أضرارا ، قد لا تعرف اليوم فى أبان هذه النزوة الطائشة؛ وقد تعرف ولكنها لا ترد إلى أسبابها الحقيقية ، ولا تعلم علاتها الأصلية !

ويقيني أن هذه الأزمات التي يعانيها العالم اليوم من مالية وسياسية وأدبية واجتماعية ، انما منشؤها هذه السرعة ، هذا التسابق ، هذا الجنون ، الذى يعمى الانسان عما حواليه ، فلا يرى إلا الامام . دون ما على الايمان والشمائل .. وحتى حين يصطدم بما حواليه ، فهو لا يقف ليتأمل ، أو ليصلح ما أصابه من الاصطدام ، بل ينطلق إلى الأمام أيضاً ، محتملا أثر الصدمة تلو الصدمة حتى يلحقه العطب الكامل . . . فتكون هذه الأزمات !

إن السائق الذى يعرف كيف يسوق ولا يعرف كيف يقف : أو يدرى كيف يسرع ، ولا يدرى كيف يبطىء ، إنما هو سائق جاهل ، غير مأمون على نفسه ولا على الركاب . وإذا كان للقيادة السريعة لذة فى النفس ونشوة ؛ فليس معنى هذا أنها أحسن القيادات وأولاها بالاتباع

* * *

وبعد ففى مصر اليوم دعوة حارة ومخطرة معاً ، الى تقليد الغرب ، والجرى وراء الغرب ، وإن كان الغرب نفسه لا لا يعرف اليوم وجهته ، وهو شارد كالضال فى متاهات الحياة ، فكأننا سنجرى وراء من يجرى وهو لا يعرف مبتغاه !!!

وهذه الدعوة مفهومة من الوجهة « السيكلوجية » وقد عرف « ابن خلدون » أسبابها منذ قرون حينما عللها . بأن المغلوب يميل بطبيعته لتقليد الغالب لاعتقاده أن غلبته له إنما كانت لخصائص فيه .

والسيكلوجية الحديثة تقر ما ذكره ابن خلدون ، وتضيف إليه نظرية العقل الباطن ، إذ يندفع الانسان فى بعض الأحيان ، الى أمور لا دخل لارادته فيها ، ولا لتفكيره ، بحكم إندساسها فى العقل الباطن ، من مخلفات مشاهداته ، أو ملاحظاته أو تفكيره التى يغمرها النسيان .

وهـذه الدعوة مع أنها مفهومة وطبيعية . ليست مُسَلَّمة : ومن الواجب التحذير منها ، وابرازها للنور ، بعيداً عن المؤثرات النفسية الغامضة . واذا كانت الحرب العظمى قد أفقدت العالم الغربي اتزانه وطمأنينته ؛ وبعثته من المكامن والخنادق وحفر الموت ، مأخوذا ، مشدوها ، مجنونا .. فليس من الواجب أن يفقد الشرق طمأنينته كذلك ، ويجرى وراء الغرب المأخوذ المشدوه ، دون ما تأمل ولا تفكير !

إن للشرق رسالة قد يكون الآن موعدها ، ورسالته هذه ستقوم على خصائصها لأصلية فيه ، وستصبح واجبـة بل أصبحت ـ لأن الغرب يكاد يتهالك ضعفاً وأعياء لفرط جريه ، وكثرة اصطداماته .

نحن لا ننكر النشاط كما قلنا . ولكن ننكر العجلة . ونريد أن يحتفظ الشرق بشيء من يقينه ، ومن عمقه واتساعه ، ومن سحره أيضاً ! ، وألا يفرط فى تقليد الغرب ، ولا سيما والغرب يتخبط ، ويئن ، ويشكو من الصدمات ولم يوفق بعد لاتقائها ، لأن النشوة لا تزال تطيف برأسه فيجرى ، وينهكه الجرى ، ولكنه لا يكف عن الجريان !

سيد قطب



مطالعات فى التصوف الاسلامى

عوارف المعارف ـ منشأ علوم الصوفية وفضلها

ـ ٢ ـ

وقفت بك فى نهاية الفصل الماضى عند ترجمة موجزة لحياة شهاب الدين السهروردى مؤلف كتاب « عوارف المعارف » وأحب أن أقف بك فى هذا الفصل عند الباب الأول والثالث من هذا الكتاب حيث يحدثنا المؤلف عن منشأ علوم الصوفية وعن فضل هذه العلوم وما تمتاز بها على غيرها من فروع المعرفة الانسانية . ولكنى أحب قبل هذا أن أعطيك صورة عامة مقاربة لأبواب هذا الكتاب فى جملتها . يقع «عوارف المعارف» فى نيف وستين باباً منها المطول المسهب ومنها المختصر الموجز . وفيها القوى الدقيق المسرف فى القوة والدقة ، والضعيف المهلهل الذى لا يشتمل على فكرة منظمة ولا منطق منسجم يربط أجزاءه ويلم شعث عناصره . ولكن الكتاب فى جملته خصب حقاً ممتع حقاً نافع حقاً . وهو من هذه الناحية اقدر على أن يعطينا صورة قوية شاملة لما احتوى عليه التصوف من وجدانيات واشارات وأحوال ومقامات ، ولعل من أنفع أبوابه وأوفاها هذه الأبواب التى تناول فيها المؤلف بيان منشأ علوم الصوفية وفضلها ، وماهية التصوف ، وسبب تسميتهم بهذا الاسم وأخلاقهم ومعرفتهم لأنفسهم ومكاشفاتهم فى ذلك ، وشرح الحال والمقام والفرق بينهما . تلك هى أهم الأبواب وأكثرها حظاً من الدقة والغناء . فلنترك إذاً هذا الضرب من الكلام العام لنقف عند الباب الأول الذى أبان فيه المؤلف عن منشأ علوم الصوفية ، والباب الثالث الذى أظهرنا فيه على فضل هذه العلوم وذكر نماذج منها

***

استهل مؤلف « عوارف المعارف » الباب الأول من كتابه بهذا الحديث الشريف : « إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء . فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا . وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » ثم عقب على هذا الحديث بحديث آخر هو أبلغ فى الدلالة على ما قصد اليه وهذا الحديث هو : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً . فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها طائفة اخاذات امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله . ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

والغرض الذى يرمى اليه المؤلف من ايراد هذين الحديثين هو أنه يريد أن يستخلص منهما القيمة المعنوية لنفوس الصوفية والابانة عن أن هذه النفوس كانت أكثر قابلية من غيرها لما جاء به ودعا اليه من الهدى والنور رسول الله صلى الله عليه وسلم . وان حظها من صفاء السرائر ونقاء الضمائر وذكاء القلب اوفر من حظ غيرها ، فنفوس العلماء الزاهدين زكت . وسرائرهم صفت ، وقلوبهم صقلت وتهيأ لها من العلم حظ لم يتهيأ لغيرها من النفوس . وبعبارة اخرى كانت هذه النفوس كأوعية للعلوم كما قال مسروق عن اصحاب رسول الله . وقلوب الصوفية واعية لانهم زهدوا فى الدنيا بعد أن احكموا أساس التقوى . ومن هنا زكت نفوسهم بالتقوى وصفت قلوبهم بالزهد . فكانت تقواهم عوناً لهم على أن تصقل مرايا سرائرهم وتجلى صفحات ضمائرهم . وكان زهدهم عوناً لهم على ان يتصرفوا عن الدنيا وعلى أن يقبلوا على الدين اقبالا من شأنه ان يقربهم من الله ويوحدهم معه ويفنيهم فيه .

يأخذ المؤلف بعد هذا فى اظهارنا على مكان العلوم الصوفية بين العلوم الاسلامية الاخرى . فذكر من هذه العلوم التفسير والحديث والفقه واصول الفقه والخلاف والجدل . ثم اخذ يعرض علينا تفاسير مختلفة للاية الكريمة « انزل من السماء ماء » وانتهى من هذه التفاسير الى تطبيق مااشتملت عليه هذه الآية بالنسبة الى العلماء الذين تخصص كل منهم فى فرع من هذه العلوم التى ذكرها آنفاً . ثم انتهى من هذا كله الى أن الماء الذى انزل من السماء هو العلم والى ان اوعيتـــه هى القلوب . فمن هذه القلوب ما سال واديه بالتفسير فكان علم التفسير . ومنها ما سال بحفظ رواية الحديث وسنده وتمييز صحيحه من سقيمه فكان علم الحديث . وعلى هذا النحو من التأويل والفهم يمكنك ان تقول فى غير علمى التفسير والحديث ما قيل فى كل من التفسير والحديث ، واما علوم الصوفية فنشأت من أن نفوسهم قد احكمت اساس التقوى وزهدت فيما اشتملت عليه الدنيا من عرض زائل وزخرف حائل . فسالت أودية قلوبهم بما انصب منها من مياه العلوم التى اجتمعت فصارت هذه القلوب اخاذات .

اخذ الصوفيه حظا من علم الدراسة فأفادهم هذا الحظ من ناحية انه اظهرهم على الاحكام الظاهرة للعبادات فعلموها وعملوا بها . ثم تميزوا على غيرهم من علماء الدين بعلم آخر خاص بهم قاصر عليهم هذا العلم هو علم الوراثة . وعلم الوراثة هو علم العالم الزاهد المتقى الذى فقه الدين فقها ابان له عن قواعده واصوله بحيث يتعرف المعنى الحقيقي للدين . وليس الدين شيئا آخر غير الانقياد والخضوع فهو مشتق من الدون . وكل شيء تضع فهو دون . فعلى هذا يصبح الدين عبارة عن ان يخضع الانسان نفسه لربه وينقاد لما أمر به . وافضل مراتب العبادة الفقه في الدين . فمن كان افقه في الدين واعرف باصوله كانت نفسه أسرع اجابة وقلبه اشد انقيادا لمعالم الدين واصوله .

فانت ترى من هذه الملاحظات التى ذكرها السهروردى فى هذا الباب ان علم الشريعة قد انقسم الى قسمين متمايزين : قسم اختص به الفقهاء واهل الفتيا للاحكام العامة والعبادات والمعاملات . وقسم اختص به الصوفية واهل الباطن اشتمل على ما يتعلق بهم من مراقبات ومحاسبات، ورياضات ومجاهدات، واحوال ومقامات. وما الى ذلك من الأمور الكثيرة التى نراها منبثة فى تضاعيف علومهم ومعارفهم . كتب الفقهاء كتبهم فدونوا فيها الاحكام التى استخلصوها من القرآن والحديث . وكتب الصوفية كتبهم فدونوا فيها مكاشفاتهم ومواجدهم التى انتهوا اليها عن طريق القرآن والحديث . ولكن هناك فرقا بين فقه الفقهاء وتصوف الصوفية . ذلك أن الفقه هو علم الأحكام الظاهرة للعبادات والمعاملات على حين أن التصوف هو علم المواجد القلبية ، والرياضات النفسية ، والاحكام الباطنية . وإذن فقد سمى الفقه بعلم الظاهر وسمى التصوف بعلم الباطن

ويظهرنا مؤلف « عوارف المعارف » بعد ماقدم على كيفية نشأة الشر وكيف أصبحت النفس مأوى لهذا الشر وكيف امتازت نفوس الأنبياء والاولياء على نفوس غيرهم . فذكر هذه القصة التى تتلخص فى ان الله بعث جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فلما أبت بعث عزرائيل فقبضها ، وكان ابليس قد وطئ الارض بقدميه فأصبح بعضها بين قدمين وبعضها الآخر بين موضع أقدامه . ومن هذه المواضع التى مسّها أقدام ابليس خلقت النفس فصارت مأوى للشر . ولكن هناك جزءاً من الارض لم تصل اليه أقدام ابليس ومن هذا الجزء أصل الانبياء والأولياء . ولما كانت ذرة رسول الله موضع نظر الله من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم ابليس ، ولهذا لم يصبها الجهل ، وانما كان رسول الله على العكس موفور الحظ من العلم ، والنور ، ومن هنا بعثه الله تعالى بالعلم والهدى فانتقل هذا العلم من قلبه إلى القلوب ، وانتقل هذا الهدى من نفسه الى النفوس . ومن هنا كانت العلاقة بين رسول الله وبين الذين دعاهم الى الأخذ بما بعثه الله به . وبعبارة أخرى كانت هذه العلاقة بنسبة طهارة الطينة . فمن كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كانت نفسه أكثر استعدادا للقبول باجابة رسول الله . وقلوب الصوفية أقرب مناسبة من هذه الناحية ، وهى لهذا قد ظفرت بحظ كبير من العلم فأصبحت بواطنهم اخاذات فعلموا وعلموا ، مثلهم فى ذلك كمثل الاخاذ الذى يسقى منه ويزرع منه . وهم بعد هذا ومن اجل هذا جمعوا بين فائدة علم الدراسة وفائدة علم الوراثة بأحكام أساس التقوى . ولما ان صقلت مرايا قلوبهم وصفت صفحات نفوسهم ظهرت لهم الأشياء على حقيقتها وما هيتها . فبانت لهم الدنيا بما فيها من قبح فأعرضوا عنها ، وبدت لهم الآخرة بما فيها من حسن فاقبلوا عليها .

وختم المؤلف هذا الباب بملاحظة لها قيمتها وخطرها فى فهم التصوف فهما صحيحاً مستقيما . هذه الملاحظة هى التى يظهرنا فيها على المعنى الذى تدل عليه لفظة الصوفى . فالصوفى عنده بمعنى المقرب . وهذه اللفظة لم يرد ذكرها فى القرآن ولكنها تركت ووضع مكانها لفظة مقرب . ولا يعرف فى بلاد الاسلام هذا الاسم لأهل القرب . وانما يعرف للمترسمين . فهناك نفر كبير من المقربين فى بلاد المغرب وتركستان وما وراء النهر لا يسمى باسم الصوفية لأن افراده لا يتزيون بزى الصوفية . ومن هنا انتهى مؤلف « عوارف المعارف » الى أنه لا يقصد حين يتكلم عن الصوفية فى كتابه الا المقربين . وهناك ملاحظة ختامية أخرى ذكرها المؤلف فى نهاية هذا الباب ، هذه الملاحظة لها قيمتها وخطرها أيضا إذ هى تظهرنا على الفرق بين الصوفى والمتصوف . فالمتصوف هو من تطلع الى مقام المقربين من جملة الابرار مالم يتحقق بحالهم . والصوفى هو من تطلع الى مقام المقربين حيث يتحقق بحالهم . وأما من هو دون المتصوف والصوفى ممن تميز بزى ونسب الى الصوفية أو المتصوفة فهو متشبه

ولنمض الآن الى الباب الثالث حيث يحدثنا السهروردى عن فضيلة علوم الصوفية والاشارة الى انموذج منها . ذكر المؤلف فى مستهل هذا الباب الحديث الشريف الذى امر فيه النبى صلى الله عليه وسلم بطلب العلم والذى جعل فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم فقد قال رسول الله : « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » . ذكر بعد هذا الحديث الشريف آراء العلماء من المتقدمين

واختلافهم في هذه الآراء حول هذا العلم الذى أمر رسول الله بتحصيله وجعل طلبه فريضة على كل مسلم. وقد اختلف القدماء اختلافا قويا حول هذا العلم ماذا عسى أن يكون. فنهم من قال هو علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس. « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين ». ومنهم من قال هو معرفة الخواطر وتفصيلها، لأن هذه الخواطر هى مبدأ الفعل واصله ولا يمكن حدوث فعل اذا لم يسبقه خاطر. وذهب فريق الى انه علم الوقت. وانتهى فريق آخر ومنه سهل بن عبد الله الى انه علم الحال اى حكم حال العبد الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته. ورأت طائفة انه علم الحلال او انه علم الباطن الذى يستفاد من مصاحبة العلماء الزاهدين والاولياء الصالحين. وطائفة اخرى انه علم البيع والشراء، والنكاح والطلاق، او انه علم التوحيد. وقد رأى أبو طالب المكى ان هذا العلم هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الاسلام

تلك هى الآراء المختلفة التى رآها القدماء فى هذا العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم والتى اعترضها مؤلف (عوارف المعارف) فى شئ من الاسهاب كثير، وانتهى من هذه الآراء كلها الى أنه أميل ما يكون الى رأى أبى طالب المكى، والى رأى من قال بان العلم الواجب تحصيله على كل مسلم هو علم البيع والشراء، والنكاح والطلاق، اذا اراد الدخول فيه.. ومن هنا يستخلص السهروردى ان العلم المقصود فى حديث رسول الله انما هو علم الامر والنهى. والمأمور فى علم الامر والنهى هو ما يثاب على فعله، وما يعاقب على تركه. والنهى فى هذا العلم هو ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه. والنتيجة التى خرج بها المؤلف من هذا الكلام المستفيض هى ان علماء الصوفية عرفوا العلم المفترض على المسلمين فاقاموا دعائم علم الاوامر والنواهى بترسمهم خطى رسول الله فى الاستقامة، مستعينين على اقامة هذا العلم وتدعيمه بما منحوا من زهد فى الدنيا وحب للآخرة وصفاء فى السرائر ونقاء فى الضمائر، والاستقامة التى رفع الصوفية لواءها وأثلوا بناءها هى سبيل المجتهد الصادق، والصوفية حين اكرمهم الله بالنهوض بواجب هذه الاستقامة رزقوا سائر العلوم كعلم الحال، وعلم القيام، وعلم الخواطر، وعلم اليقين، وعلم الاخلاص، وعلم النفس، واخلاقها وشهواتها وما الى غير ذلك من العلوم المتعددة التى ظفر بها الصوفية وحرمها غيرهم من علماء الدنيا. وهذه العلوم كلها ذوقية وجدانية يستعان فى تحصيلها بالذوق والوجدان.

وكم كنت احب ان اقف وقفة قصيرة عند اختلاف القدماء فى أمر هذا العلم المفترض أبين فيها مقدار حظ هذه الآراء من الصواب أو الخطأ. ولكن حسبى ان أوجز لك الآن ما اعتزمت إيجازه من ابواب الكتاب ايجازا يعطيك صورة مقاربة له، على ان اتناول مناقشة بعض ما ورد فيه من آراء مناقشة نقدية سوف اعرض لها فى مقال ختامى.

ويعد ان عدد المؤلف انواع العلوم التى ظفر بها الصوفية. قارن بين علمى الوراثة والدراسة مقارنة تتلخص فى أن علوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة. مثلها فى ذلك كمثل الزبد الذى يستخرج من اللبن الخالص. فلو لم يكن لبن لم يكن زبد. ثم عرض السهروردى الى علوم الاسلام فقال ان للاسلام علوما هى علوم مبانيه. والاسلام بعد الايمان نظر الى مجرد التصديق: ولكن للايمان فروعا بعد التحقق بالاسلام. وهذه الفروع مراتب كعلم اليقين الذى يعطيه لنا الدليل. وعين اليقين وهو ما تعطيه المشاهدة، وحق اليقين وهو ما حصل من العلم بما اريد به ذلك الشهود. وهذه قد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة. وللاسلام فى كل فرع من فروعه علوم، وبالجملة فانك ترى أن علوم الاسلام هى علوم اللسان، وان علوم الايمان هى علوم القلوب. ولعلوم القلوب هذه وصفان احدهما عام والآخر خاص. فاما الوصف العام فهو ان علم اليقين يتوصل اليه بالنظر والاستدلال. ومن هنا اشترك فى هذا الوصف كل من علماء الصوفية وغيرهم من علماء الدنيا. واما الوصف الخاص فهو هذه السكينة التى انزلها الله على قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا على ايمانهم. ومن هنا ترى ان علوم الصوفية اشتركت مع علوم غيرهم فى مرتبة اليقين، وهى المرتبة الاولى ثم امتازت عليها بالمرتبتين الاخريين وهما مرتبة عين اليقين ومرتبة حق اليقين

ويقسم المؤلف الناس طبقات انقسموا اليها بالنسبة الى نفوسهم وقلوبهم وارواحهم. فمنهم من كانت نفسه ظاهرة على قلبه. وهذا الفريق يدعوه الله بالموعظة. ومنهم من كان قلبه ظاهرا على نفسه وهذا يدعوه الله بالحكمة. فاجاب الابرار الدعوة بالموعظة بذكر الجنة والنار. واجاب المقربون الدعوة بالحكمة وهى الدعوة بمنح القرب وصفو المعرفة. ولما وجدوا التلويحات بهذا القرب اجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم. وهم حين يتابعون الاعمال يجيبون بقلوبهم. وحين يتحققون بالاحوال يجيبون بارواحهم. فانت ترى من هذا الفرق بين الصوفية وبين غير الصوفية. فهؤلاء يجيبون بالبعض وأولئك يجيبون بالكل. والصوفية حين يجيبون بالكل يتهيأ لهم بالعلم والمعرفة حظ لم يتهيأ لغيرهم. ومن هنا كانوا اقدر من غيرهم على الوصول الى اليقين الذى لا يخالطه شك. اليقين الذى يكشف لهم عن حقيقة الذات الالهية ويظهرهم على ماهية الاشياء. بحيث ينتهون من هذا كله الى الاتحاد مع الله والفناء فيه اتحادا يضمن لهم السعادة، وفناء يكفل لهم السلام.

محمد مصطفى حلمى
ماجيستير فى الآداب

سيبويه المصري[1]

للاستاذ احمد أمين

شخصية غريبة كانت في مصر في عهد الدولة الاخشيدية قبل بناء القاهرة . وكان يدوي اسمها في الفسطاط والقطائع وما بينهما قبيل مجيء الفاطميين، كانت شخصية ترهب وتحب. ويضحك منها . ويعتبر بها . ان شئت علما فعالم . أو شعراً فشاعر، أو أدباً فأديب . أو وعظاً فواعظ . أو فكاهة ففكه . أو نقدا مقذعا فناقد . أو جنوناً فمجنون

ولد بمصر سنة ٢٨٤هـ وعاش أربعا وسبعين سنة وأتقن النحو حتى لقب بسيبويه

ألطف مافيه لوثة (لحسة) كانت بعقله، هي سر عظمته فقد جرأ على مالم يجرؤ عليه أحد في عصره . كان معتزلياً يقف في المسجد وفي الشارع فيصرح بآرائه في الاعتزال . ويصيح بأن القرآن مخلوق فيقولون مجنون . ويتركونه يقول ماشاء حيث لا يقول أحد شيئاً من ذلك الا همساً أو من وراء حجاب، ويتعرض للناس بالقول اللاذع سواء في ذلك كافور الاخشيد أو وزيره ، أو العلماء أو التجار . فيتضاحكون منه ويتقون لسانه ببره والاهداء اليه ، سراً وجهراً

كانت نوادره كثيرة ، تتلقفها الألسن . ويتناقلها الرواة . فتشيع في الناس وتكون سلوتهم ومثار ضحكهم

وقديماً عرف المصريون بالفكاهة الحلوة والنادرة اللطيفة كما عرفوا بالأعجاب بها والجد في طلبها والامعان في الضحك منها

من أجل هذا ألف ابن زولاق المصري كتابه اللطيف في نوادر سيبويه . لم يذكر فيه الا قليلا عن علمه ولم يذكر شيئاً عن نحوه ولا عن جده ، وانما ملأه كله بفكاهته ولوثته

حذا ابن زولاق هذا حذو مؤلفي العراق في تدوين حوادث ظرفاء الممرورين . وابن زولاق نفسه يقول «لو كان سيبويه بالعراق لجمع كلامه، ونقلت ألفاظه، ولو عرف المصريون قدره لجمعوا عنه أكثر مما حفظوه »

عرف منذ شب بهذه اللوثة ، تظهر في حركاته ورمش عينه ، وزادت بترديه في بئر أمام بيته ، وتهيج أحياناً فيطرح ثيابه ويمشي عريان في الطريق. على عورته خرقة، وعلى أكتافه خرقة، وبيده عصا ومصحف ويروح الى الجامع. وهو على هذا الشكل يعظ ويتزهد. وأحياناً تهدأ ثائرته فينادم الأمراء والوزراء ويعجبون بلطفه وظرفه. وتقول زوجه انه انما كان يهيج اذا لم يأكل اللحم والدسم فاذا أكلهما هدأ

قلت ان لوثته سر عظمته ، فاذا هو هدأ سكت ولكنه اذا هاج أتى بالنوادر الطريفة والكلم السيار ، ولذلك قالوا فيه انه « اذا لم يكن له من يهيجه لم يخرج علمه »

سب مرة خازن الاخشيد أو وزير ماليته فاخذه وعذبه ثم أطلقه وأجرى عليه الرزق فكان الصبيان أحياناً اذا رأوه يتصايحون « ياخازن اخرج عليه » فيهيج مابه وينطق بالقول اللطيف

كان يقول القول على سجيته لا يرهب أحداً ، قد أدخل مرة مستشفى المجاذيب ثم أخرجه كافور الاخشيد ، فلما مثل بين يديه قال له سيبويه « ما مثلك يصطنع بعشرين ألف دينار ولا بثلاثين ألفاً اذا كنت عادلا، فاما اذا كنت جائراً فأسود بعشرة دنانير يقوم مقامك »

وكان أكثر قوله سجعاً . ومن ثم كان أكثر دورانا على الألسنة وأسهل حفظاً

لقي المحتسب وبين يديه أجراسه فقال « ماهذه الأجراس يا أنجاس ، والله ما ثم حق أقمتموه ، ولا سعر أصلحتموه ،

(١) لفت نظر الناس الاستاذ عنان الى كتاب في دار الكتب لابن زولاق عن سيبويه المصري بخط مؤلفه. وللكتاب قيمة كبيرة، فابن زولاق مؤرخ مصري دقيق، قد عاصر سيبويه . وكتب عن مشاهدة وعيان وسيبويه شخصية تستحق التدقيق فيها والكتابة عنها كما سترى

فأثار كلام الاستاذ عنان الاديبين محمد ابراهيم سعد وحسين الديب وحملها على نقله وطبعه. فقاما بذلك ولقيا في نشره عناء شديدا لقدم النسخة الخطية ورداءة خطها وعدم اعجام الكثير من كلماتها فيستحقا [illegible] الثناء لولا ما وقع فيه من أخطاء كان يمكن تحاشي كثير منها بقليل تبصر و كثرة المراجعة

ولا جان دبّنوه، ولا ذو حسب وقرّبوه، وما هي إلا أجراس تسمع، لباطل يوضع، واقفاء تصفع، وبراطيل تقطع، لا حفظ الله من جعلك محتسباً، ولا رحم لك ولا له أمّا ولا أباً،

وكان مخشي اللسان يهرب الوجهاء والاعيان اذا سمعوا صوته من بعيد، حتى لا يقذفهم بقذيفة من لذعاته تسير في الناس، وكان كافور يعجب كيف يسكت المصريون على سبه ويقول: سبحان من سلط سيبويه عليكم ينتقم منكم وما تقدرون على الانتصار.

وما السبب في هذا الا أنه كان يعمد الى الرؤساء فيصب عليهم كلماته القارسة تصيب منهم مقتلا، ويسر الشعب من هذا لأنه يعبر عما في نفوسهم، وينتقم من خصومهم ويجرؤ بجنونه على ما لم يجرؤ عليه عقلاؤهم. وكان يستطيع بلسانه أن يصل الى ما يتحرج من ذكره المتدينون — لقد كان يوما يؤاكل ابن المادرائي الوزير، وعنده هارون العباسي فقدمت هريسة فقال هرون: أكثر منها يا سيبويه فانها تذهب بالوسواس من رأسك، فكف سيبويه عن الطعام وأخذ يفكر، فقالوا فيم تفكر؟ قال أفكر في امتناع ابليس من السجود لآدم، والآن ظهر عذره — علم ابليس أن هذا في صلب آدم فلم يسجد له، ولو عرض على كلاب اليهود أن تسجد لنسمة هذا في ظهرها ما فعلت.

ونحو هذا من انواع الهجاء القاسي

وهو مع هذا أديب ظريف له نظرات في الادب جميلة يقول: ان أفضل الكلام ما اعتدلت مبانيه، وعذبت معانيه، واستسلس على ألسن ناطقيه، ولم يستأذن على آذان سامعيه

وقد هجا بعض الناس شيخا من شيوخه فقال سيبويه

ما يضر البحر أمسى زاخرا   أن رمى فيه صبي بحجر

وسمع بيت المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

فقال هذا كلام فاسد، لان الصداقة ضد العداوة ولو قال:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من مداراته بد

لكان أحسن وأجود

وبلغ المتنبي هذا النقد فذهب الى سيبويه وسمعه منه فتبسم وانصرف، فصاح سيبويه — انكم !—

ومع هذا فلما سمع قول المتنبي:

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى
رضوى على أيدي الأنام تسير الخ

صاح سيبويه لبيك لبيك! أنا عبد هذه الأبيات مما يدل على ذوق حسن ونقد صحيح وتقدير للادب

ولقد كان عالي النفس، دقيق الحس، يرى الناس كلهم دونه، فلا يذل لعظيم، ولا يهين لكبير، طلبه أنوجور بن الأخشيد أمير مصر لينادمه، فقال على شرط أن أنزل حيث تنزل، وأركب حيث تركب، وأجلس متكئاً، فاجابه الى شرطه

وكان سيبويه يحدث عظيما لجاه خادم يسر حديثا الى هذا الجليس فسمع له وقطع الاستماع لسيبويه، فقام سيبويه مغضبا، فسأله الى أين؟ قال لا تجالس من لا يرى مجالستك رفعة، ولا تحدثن من لا يرى حديثك متعة، ولا تسألن من لا تأمن منعه، ولا تأمرن من لا تأمن طوعه

ولما ماتت أم سيبويه حضر في جنازتها كل كبير في مصر الا ابن المادرائي الوزير، وعاد والناس حوله، فاخذ سيبويه يطلق لسانه في هجاء ابن المادرائي، وما نجاه من لسانه الا أن لقيه في الطريق يأتي مسرعا ليدرك الجنازة

على الجملة كان سيبويه طرفة مصر في عصره، علما وأدباً وفكاهة وجنونا — كان يقوم فيهم مقام العالم والواعظ والأديب، ومقام الجريدة السيارة الناقدة اللاذعة، وكان منظره بديعاً، يدور في الاسواق على حماره أو حمار غيره، وما أكثر من كان يتقي لسانه بتقديم حماره!

فبحق قال جوهر الصقلي لما دخل مصر وذكرت له اخباره لو أدركته لأهديته الى مولانا المعز في جملة الهدية، وبحق لما سمع بوفاته ممدوح المتنبي قال: ذكروني به فلعلي أستدعيه فانه نزهة.

في الادب المصري القديم

ملخص فصل من كتاب
(النيل والحضارة المصرية)
للأستاذ (آ. موريه)

— ٢ —

وهنا نجوى تبسط لنا شيئا من الحياة الزوجية ، يرددها زوج يبكي فقد امرأته . وامرأته — كما يبدو — ما زالت روحها أتبع له من ظله . قال يناجيها :

« لماذا أشقيتني حتى غلبت عليّ هذه التعاسة ؟ ما ذا صنعتُ حتى رفعتِ يدكِ عليّ دون أن أباديك بشيء ؟ سأرفع دعواى لآلهة المغرب التسعة ، حتى يفصلوا بيننا .

ما ذا صنعت ؟ كنت امرأتي حين كنتُ أخطر في برد الشباب

ما أزعجتك وما سيستك بسوء . إذ كرّبني عندما كنت عريفاً بين المحاربين في جيش فرعون ، تركتهم لأجيء اليك . حاملا اليك منهم هدايا ثمينة ، وأنا لم أخف عنك سراً طيلة حياتك ، ولم أدخل منزلا غير منزلك (بعد الطلاق) . وعد ما رهنوني في الموطن الذي أنا فيه الآن وجعلوا رجوعي اليك مستحيلا ، أرسلت اليك زيتي وخبزي وأثوابي ؛ ولم أبعث بها الى أحد سواك . وعندما مرضتِ جئتك بطبيب ، فوصف العلاج ، وأتى بكل ما قلت عنه ؛ وعند ما وجب علي أن أرافق فرعون في رحلته الى الجنوب لبثت أفكاري متوزعة عندك . وقضيت ثمانية شهور حليف الأسى لا يلذ لي طعام . ولا يسوغ لي شراب . وبعد وفاتك عدتُ الى ممفيس ، ورجوت من فرعون الذهاب الى بيتك ، وهناك وقفت باكياً . وأسعفني أصحابي على البكاء ، وأعطيتهم ثياباً للف جثمانك .

واليوم وقد تعاقب ثلاثة أعوام وأنا قابع في عزلتي ، مادخلت منزل أحد ، ولا عرجت على أخت من الأخوات اللاثيات في البيت » .

ثم نشأت قصص صغيرة مشبعة بالروح الشعبية التي تجلت فيها . أضف الى ذلك مقطوعات غزلية عاطفية ، تمثل لنا الحياة الوجدانية والعقلية للمصريين القدماء . ومن هذه القطع مقاطيع بعنوان (أغاني لغبطة القلب) وهي أغاني يجب أن تكون مصحوبة بآلات الطرب ، على أن الموسيقى المصرية ظلت مجهولة برغم آلاتها الشائعة عندهم . وجل هذه المقطوعات محاورات بين رجل يدعو المرأة (يا أختي) ، وامرأة تدعو الرجل (يا أخي) وكلاهما يتجاذب الأغاريد بلهجة جذابة رقيقة . وتلوح على هذه المقطوعات بعض ملامح مصرية وأخلاق مصرية تثبت ماقصه علينا المؤرخ هيرودوت إذ قال : « ان المصريات كن أحراراً في مسالكهن وتصرفاتهن في تجارة الحياة وفي مزدحم الأعياد الدينية ، ومن اللواتي كن يخرجن من بيوتهن لتدبير البيت والانفاق عليه . والرجال يقومون بالخدمة المنزلية خلال تغيبهن . وهذه القبور الطيبة (Thébains) تطلعنا على حياة المرح عندهن . وكثير من الحكايات الشعبية تدلنا على اخلاقهن وما اتسمن به من صفات الجرأة . وهذه الجرأة قد تبدو في هذه المقطوعة الغزلية . إذ نرى العاشق كالمتفاني . والعاشقة هي التي تتكلم :

يقص علينا العاشق هبوطه الى ضفاف النيل بجوار ممفيس . وهناك شاهد (اخته) في حديقة طيبة الأريج ، « واذا هو لثم شفتيها كان نشوان بغير نبيذ » هو يدنو منها كالعصفور الذي ينقض بنفسه على الشرك (شرك الحب) . ولكن حميا الحب أقوى من حميا الخمر .

يقول العاشق : « نزلت المنحدر . وأنا أحمل على كتفي حزمة قصب . وبلغت ممفيس وقلت (لباتا) سيد العدالة . أعطني أختي هذه الليلة ، فالنهر من خمر ، (وباتا) قصبه . وسُبكميت سدرته ، (وأريت) يراعه . و (نفرتوم) أزهاره .

هذا هو الفجر وممفيس كأس من تمر . مصفوفة امام الاله باتا ذي الوجه الجميل .

سأنام في بيتي . وأغدو عليلا ، وسيهرع جيراني الى عيادتي . واذ ذاك تجيء أختي معهم ، وتريني للاطباء لأنها عارفة بدائي .

ارى (اختي) مقبلة . وقلبي يستفزه الطرب وذراعاي تنبسطان لعناقها ، وقلبي يخفق في موضعه عندما تجيء .

اذا عانقتها وفتحت لي ذراعيها . فكأني أتيت بنفسي في « بونت » مدينة الطيوب . واذا لثمت فاها وتفتحت لي شفتاها . فانا سعيد سكران بدون نبيذ

اما العاشقة فهي سهلة المأخذ . تنطلي عليها الاساليب المغرية ، حبها الدقيق أدنى الى الندب والشكوى . في حالة الانتظار ، تبدي كل مظاهر الدلال ، وتقيس ذراعاً كلما قاس العاشق أصبعاً . وهذه (صائدة الطيور) لا تنصب الشباك لمجرد اللذائذ وانما تصبو من وراء الحب الى اتحاد الروحين بالزواج والى السهر على خيرات عاشقها كأنها صاحبة بيته .

تقول العاشقة :

« يا أخي المحبوب ! إن قلبي يسعى وراء حبك ، انظر ماذا أصنع !

قد نصبت فخي بيدي ، ان عصافير (بونت) هبطت على مصر بخالبها مفروكة بالصبر ، والعصفور الذي نزل — في البدء — قد التقط طعمي .

هو نأقل عطره من (بونت) ، ومخالبه مفعمة بالصبر الطيب .

أرغب منك أن تعمل على افلاته من الفخ ، حتى تصغى أنت الى انين هذا العصفور المطيب بالصبر .

ما أجمل وجودك معي عند ما أنصب الفخ !

الوزة (العاشق) تشكت عند ما علقت .

وذلك حبك يستهويني اليك دون أن أستطيع الافلات منه ، يجب علي أن أهجر (حبائلي) . ولكن ماذا أقول لأمي عمن أغدو اليه كل يوم وأنا مثقلة بعصافيري !!!

أنا سجينة حبك ! وقلبك وجدها هي التي تحيي قلبي .

قد وجدت من أحبه ، فليت شعري هل يقدر (آمون) على أن يعطيني اياه الى الأبد . . ؟

ياصديقي الجميل ! اود ان ازعى خيراتك كصاحبة بيتك ؛ وذراعي مسندة الى ذراعك .

سأقول في نفسي عندما يعاودني حبك : ان أخي الكبير بعيد عني هذه الليلة .

ما أشبهني بالاموات ، لانك أنت عافيتي وكل حياتي » .

وهذه عاشقة أخرى تلوم شاة أيقظتها عند الصباح وهي لا تود أن تستيقظ :

« ناجتني الشاة قائلة لي : هذا هو الفجر فاستيقظي ، الا تهمين بالخروج ؟

لا لا ! يا شاتي : أنت تسيئين الي !

قد وجدت أخي يتمطى في سريره ، فطرب قلبي له وقال لي : لن أتركك أبداً ، وهذه يدي في يدك ، سنطوف معا كل مكان يحسن فيه التنزه .

اتخذ مني خليلته الأولى ، وهو لن يحمل أي هم الى قلبي » .

وبعد هذا الحب كله يضعف الهوى وتهب الشكوك ثم تتصاعد أنات العاشقة لخيانة صاحبها إياها واستبداله غيرها بها ، فأصبح حب المرأة أدنى الى العاطفة وأغنى «هوى» من الحب الذي أعلنه الرجل بلسانه .

والشاعر يزين نفثاته بالاساليب الغزلية الرقيقة ، فالعاشقة تطوف في حديقة غنية الأزهار والأعشاب ، فما من نبتة أو ثمرة الا تذكرني بشيء من محاسن المحبوبة اوترمز الى سعادتها المتلاشية ، الاشجار تتكلم : فهي التي تؤوي الى افيائها العاشقين ، وتخفي عن العيون فصول غرامهم ، فيها شجرة رمان تشكو وتتوعد من أهملها ، وهناك سدرة غرستها كف عاشقة تعلن رضاها عن القدر ، وهنالك جميزة صغيرة سعيدة بمواقف العاشقين تحتها . وهي تراقب الازواج بعين خبيثة ولكنها تكتم اسرارهم .

وثمت شيء من الشعر الذي يصف الوان الجمال النسائي . وهذه هي اهم صفات هذا الجمال المنشود ، شعر حالك كالليل ، واسنان اسطع من لمعان الصوان ، وقامة رشيقة ، وصدر صلب طافح »

واذا قارنت هذا الجمال بما جاء في تماثيلهم وصورهم عرفت أن المصريين قد أهملوا رقة الصور والاشكال في الجمال ، فكانوا على نقيض الشرقيين المعاصرين الذين يحبون (الخط الاهيف في الجمال الفني) الذي يعدهم — في العالم الثاني — بامرأة لهاشباب خالد .

وفي هذا الأثر الادبي الذي ابقى عليه الزمن ، نرى عمل المخيلة الصافية فيه مهملا ، وتعاليم الفن والعلم والأدب التي وضعت لخدمة الدين والدولة جاءت غنية الخطوط . طابعة الحضارة المصرية بطابعها .

أما مصر القديمة فلم تكن الا — في القليل النادر — بلد البراعة المنزهة عن الغرض ، والتي جاءتها من أجل الفن . فعلها العلم المجرد ، وتفكيرها التفكير المطلق ، وأدبها الادب النفسي ، واعمالها العظيمة المجهولة الاسم قد وضعها أربابها بدقة ومهارة في سبيل خدمة مذهب فني يسمو الى غايات اجتماعية ودينية . وهكذا ضيق الجمال المصري باكرا ساحة الابداع على المبدعين القادرين ، ولكنه لم يبن ولم يقصر في تحليل كل ما يقدسه الشعب ويجله من تعاليم السلطة والصلاح والادب ، فكان أعظم ميزاته وأسمى سماته تمثيله — بالرموز — معنى النسل ، وسهولة فهم مثله الاعلى الشريف ، وكل ذلك بأسلوب يستحيل التقليد فيه ، وعلاء يصعب السمو اليه .

خليل هنداوي

---

٦ — بلاط الشـــهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأســـتاذ محمد عبد الله عنان

« لما علم الفرنج وسكان بلاد الحدود الإسبانية بمقتل عثمان بن أبى نسعة وسمعوا بضخامة الجيش الاسلامى الذى سير اليهم، استعدوا للدفاع جهدهم وكتبوا الى جيرانهم يلتمسون الغوث. وجمع الكونت سيد هذه الانحاء (يريد أودو) قواته وسار للقاء العرب ووقعت بينهما معارك سجال. ولكن النصر كان الى جانب عبدالرحمن بوجه عام فاستولى تباعا على كل مدن الكونت. وكان جنده قد نفخ فيهم حسن طالعهم المستمر فلم يكونوا يرغبون الا فى خوض المعارك واثقين كل الثقة فى شجاعة قائدهم وبراعته.

« وعبر المسلمون نهر الجارون وأحرقوا كل المدن الواقعة على ضفافه وخربوا جميع الضياع وسبوا جموعا لا تحصى؛ وانقض هذا الجيش على البلاد كالعاصفة المخربة فاجتاحها، وأذكى اضطرام الجند نجاح غزواتهم واستمرار ظفرهم وما أصابوا من الغنائم.

« ولما عبر عبد الرحمن نهر الجارون اعترضه أمير هذه الانحاء ولكنه هزم فقر أمامه وامتنع بمدينته. فحاصرها المسلمون ولم يلبثوا أن اقتحموها وسحقوا بسيوفهم الماحقة كل شىء. ومات الكونت مدافعا عن مدينته واحتز الغزاة رأسه (١). ثم ساروا مثقلين بالغنائم فى طلب انتصارات أخرى، وارتجت بلاد الفرنج كلها رعبا لاقتراب جموع المسلمين، وهرع الفرنج الى ملكهم قلدوس فى طلب الغوث، وأخبروه بما يأتيه الفرسان المسلمون من العيث والسفك وكأنهم فى كل مكان، وكيف أنهم احتلوا واجتاحوا كل أقاليم أربونة وتولوشة وبردال (٢) وقتلوا الكونت. فهدأ الملك روعهم ووعدهم بالغوث العاجل. وفى سنة ١١٤ سار على رأس جموع لا تحصى للقاء المسلمين. وكان المسلمون قد اقتربوا عندئذ من مدينة تور، وهناك علم عبدالرحمن بأمر الجيش العظيم الذى سيلقى. وكان جيشه قد دب اليه الخلل لانه كان مثقلا بالغنائم من كل صوب. ورأى عبد الرحمن واولو الحزم من زملائه أن يحملوا الجند على ترك هذه الأثقال والاقتصار على أسلحتهم وخيولهم ولكنهم خشوا

(١) وهذا خطأ بين لان الكونت اودو لم يقتل عندئذ بل فر الى الشمال وعاد لقتال عبد الرحمن فى تور كما قدمنا

(٢) مدينة بردو

التمرد أو أن يثبطوا عزائم الجند واستسلموا لرأى الواثقين المستهترين. واعتمد عبد الرحمن على شجاعة جنده وحسن طالعه المستمر. ولكن الاضطراب خطر خالد على سلامة الجيوش. صحيح أن الجند يحملهم ظمأ الغنم أن يأتوا جهودا لم يسمع بها فطوقوا مدينة تور وقاتلوا حصونها بشدة رائعة حتى سقطت فى أيديهم أمام أعين الجيش القادم لانقاذها وانقض المسلمون على أهلها كالضوارى المفترسة وأمعنوا القتل فيهم. قالوا ولعل الله أراد أن يعاقب المسلمين على تلك الآثام. وكان طالعهم قد ولى ».

« وعلى ضفاف نهر « الأوار » (اللوار) اصطف رجال اللغتين والتقى المسلمون والنصارى وكلاهما جزع من الاخر، وكان عبد الرحمن ثقة منه بظفره المستمر هو البادىء بالهجوم فانقض بفرسانه على الفرنج بشدة وقابله الفرنج بالمثل. ودامت المعركة ذريعة مروعة طوال اليوم حتى جن الليل وفرق بين الجيشين. وفى اليوم التالى استؤنف القتال منذ الفجر بشدة، وشق بعض مقدمى المسلمين طريقهم الى صفوف العدو وتوغلوا فيها. ولكن عبد الرحمن لاحظ والمعركة فى أوج اضطرامها أن جماعة كبيرة من فرسانه غادرت الميدان بسرعة لحماية الغنائم المكدسة فى المعسكر العربى، لان العدو أخذ يهددها. فأحدثت هذه الحركة خللا فى صفوف المسلمين، وخشى عبد الرحمن عاقبة هذا الاضطراب فاخذ يثب من صف الى صف يحث جنوده على القتال، ولكنه ما لبث أن أدرك أنه يستحيل عليه ضبطهم. فارتد يحارب مع أشجع جنده حيثما استقرت المعركة، حتى سقط قتيلا مع جواده وقد اثخن طعانا. وهنا ساد الخلل فى الجيش الاسلامى وارتد المسلمون فى كل ناحية ولم يعاونهم على الإنسحاب من تلك المعركة الهائلة سوى دخول الليل »

« واستفاد النصارى من هذا الظرف فطاردوا الجنود المنهزمة أياما عديدة، واضطر المسلمون أثناء انسحابهم أن يحتملوا عدة هجمات واستمر الصراع بين مناظر مروعة حتى اربونة ».

« وقد وقعت هذه الهزيمة الفادحة بالمسلمين وقتل قائدهم الشهير عبد الرحمن سنة ١١٥هـ، ثم إن ملك فرنسا حاصر مدينة أربونة. ولكن المسلمين دافعوا عنها بشجاعة متناهية حتى أرغم على رفع الحصار وارتد الى داخل بلاده وقد أصابته خسائر كبيرة » (١)

وأورد المؤرخ كاردون من جهة أخرى فى كلامه عن الموقعة فقرة، ذكر أنه نقلها عن ابن خلكان جاء فيها: « لما استولى العرب على قرقشونة خشى قارله (كارل) أن يتوغلوا فى الفتح فسار لقتالهم فى الارض الكبيرة (فرنسا) فى جيش ضخم وعلم العرب

(١) كوندى فى ترجمة الانجليزية ج ١ ص ١٠٨—١١١

بقدومه وهم فى لوذون (ليون) وان جيشه يفوقهم بكثرة. فعولوا على الارتداد. وسار قارله حتى سهل أنيسون دون أن يلقى أحدا. اذ احتجب العرب وراء الجبال وامتنعوا بها، فطوق هذه الجبال دون أن يدرى العرب ثم قاتلهم حتى هلك عدد عظيم منهم وفر الباقون الى أربونة. فحاصر قارله أربونة مدة ولم يستطع فتحها فارتد الى أراضيه وأنشأ قلعة وادى زذوته (الرون) ووضع فيها حامية قوية لتكون حدا بينه وبين العرب » (١)

ونعود بعد ذلك الى الرواية الاسلامية فنقول ان المؤرخين المسلمين يمرون على حوادث هذه الموقعة الشهيرة اما بالصمت أو الاشارة الموجزة. ويجب أن نعلم بادىء بدء أن موقعة تور تعرف فى التاريخ الاسلامى بواقعة البلاط أو بلاط الشهداء لكثرة من استشهد فيها من أكابر المسلمين والتابعين. وفى هذه التسمية ذاتها، وفى تحفظ الرواية الاسلامية، وفى لهجة العبارات القليـــلة التى ذكرت بها الموقعة، ما يدل على أن المؤرخين المسلمين يقدرون خطورة هذا اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية، ويقدرون فداحة الخطب الذى نزل بالاسلام فى سهول تور. ويدل على لون الموقعة الدينى ما تردده الاسطورة الاسلامية من أن الاذان لبث عصورا طويلة يسمع فى بلاط الشهداء (٢) ونستطيع أن نحمل تحفظ المؤرخين المسلمين فى هذا المقام على أنهم لم يروا أن يبسطوا القول فى مصاب جلل نزل بالاسلام ولا أن يفيضوا فى تفاصيله المؤلمة، فاكتفوا بالاشارة الموجزة اليه، ولم يكن ثمة مجال للتعليق أيضا، ولا التحدث عن نتائج خطب لا ريب أنه كان ضربة للاسلام ولمطامع الخلافة ومشاريعها. واذا استثنينا بعض الروايات الاندلسية التى كتبت عن الموقعة فى عصر متأخر، والتى نقلناها فيما تقدم فان المؤرخين المسلمين يتفقون جميعا فى هذا الصمت والتحفظ. وهذه طائفة من أقوالهم واشاراتهم الموجزة:

قال ابن عبد الحكم وهو من أقدم رواة الفتوح الاسلامية واقرب من كتب عن فتوح الاندلس ما يأتى : —

(يتبع)



(١) راجع — —Cardonn ; ibid : V.I 129— 131 وقد بحثنا طويلا فى كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان فى مظان وجود هذه التفاصيل فلم نعثر عليها. ولعل كاردون وقد كتب فى اواسط القرن الثامن عشر واستعان بمخطوطات عربية فى المكتبة الملكية فى باريس قد نقل عن نسخة لابن خلكان فيها زيادات عن النسخة التى بين أيدينا، ولسنا نعلم من جهة أخرى أن لابن خلكان مؤلفا تاريخيا آخر يمكن أن يحتوى مثل هذه التفاصيل.

(٢) المقرى عن ابن حيان (ج ٢ ص ٥٦)

فى الأدب العربى

نابغة من شعراء مصر

الخشاب الشاعر

للأستاذ محمد كامل حجاج

هذا النابغة الذى سأحدثك عنه كان ثانى النيرين وأحد الفرقدين فى عصره اذ لم يكن لهما ثالث يجاريهما فى حلبة القريض، أو يدانيهما فى مضمار الأدب . ولقد خان الحظ شاعرنا فى عصرنا هذا حتى أصبح نسيا منسيا لدى الجمهور ولو أنه معروف بين الخاصة من الطبقة الراقية فى الأدب . ولقد جنت عليه المطابع المصرية اذ لم تنشر ديوانه ، وطبعته مطبعة الجوائب بالاستانة مع مجموعة كبيرة أصبحت نادرة جدا .

خدم الحظ البهاء زهير فطبع ديوانه فى أوربا ومصر عدة طبعات بيع بعضها بقرشين حتى انتشر وحفظ منه الفقهاء والمنشدون والمغنون كثيرا وغنوه فى الحفلات حتى شاع وملأ الأصقاع مع أنه لا يذكر بجانب شاعرنا المترجم به

وكان ثانى النيرين العالم العلامة والشاعر المجيد الذى ضرب بسهم فى مختلف العلوم والفنون الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر . وقد ارتحل عن مصر وقت هجوم الفرنسيين عليها وتجول بين ربوع الشام واشقودره ، ولما آب من رحلته مازج المترجم به وخالطه . ورافقه ووافقه ، فكانا كثيرا ما يبيتان معا ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ، وكثيرا ما كانا يتنادمان فى دار صديقهما الحميم الوفى الشيخ الجبرتى ويطرحان التكلف ثم يتجاذبان أطراف الكلام فيجولان فى كل فن جولة ، وكانت تجرى بينهما منادمات أرق من زهر الرياض ، وافتك بالعقول من الحدق المراض ، وهما حينئذ فريدا عصرهما ، ووحيدا مصرهما لم يعززا بثالث فى ذاك الوقت

كان والد المترجم به نجارا ولما راجت صناعته فتح مخزنا لبيع الاخشاب بجانب تكية الكلشنى بالقرب من باب زويلة ، وارسل ابنه الى الكتاب لحفظ القرآن ، ثم طمحت نفسه الى طلب العلم فذهب الى الازهر ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت فانجب فى فقه الشافعية والمعقول بقدر الحاجة ، وشغف بمطالعة الادب والتاريخ والتصوف حتى أصبح نادرة عصره فى المحاضرات والمحاورات واستحضار المناسبات .

ولدماثة أخلاقه . ولطف سجاياه، وكرم شمائله، وخفة روحه صحبه كثير من أرباب المظاهر والرؤساء والكتاب والامراء وكبار التجار

يقول لنا الجبرتى إن شاعرنا السيد الشريف أبا الحسن اسماعيل ابن سعد بن اسماعيل الوهبى الحسينى الشافعى كانت له قوة استحضار فى ابداء المناسبات حسبما تقتضيه حال المجلس، فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور ويأسر لبه بلطف سمره ومنادمته الجذابة الخلابة

ولما دخل الفرنسيون مصر عين المترجم له محررا لتاريخ حوادث الديوان وقرر له الجنرال جاك منو فى كل شهر سبعة الاف نصف فضة

علق المترجم به شابا من رؤساء كتاب الفرنسيين وكان جميل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العلوم العربية ويحفظ كثيرا من الشعر ، فلتلك المجانسة فى الميول، مال كل منهما الى الآخر حتى كان لا يقدر احدهما على مفارقة صاحبه، فكان المترجم له تارة يذهب الى داره وطورا يزوره هو ويقع بينهما من لطيف المحاورة ما يتعجب منه . وهو الذى نفح الشاعر بهذه النفحات العظيمة والغزل الفائق

ولم يزل المترجم به على حالته ورقته ولطافته مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والولع بمعالى الامور والتكسب وكثرة الانفاق ، وسكنى الدور الواسعة ، وكان له صديق يسمى أحمد العطار بباب الفتوح توفى فتزوج شاعرنا امرأته وهى نصف ، واقام معها نحو ثلاثين سنة ولها ولد صغير من زوجها المتوفى فتبناه ورباه ورفهه بالملابس وأشفق عليه اشفاق والد بولده ، ولما ترعرع زوجه واقام له مهرجانا فخما ، وبعد سنة من زواجه مرض اشهرا انفق فيها كثيرا من المال عليه ، ثم قضى الغلام نحبه فجزع عليه جزعا شديدا وأقام له مأتما عظيما ، واختارت امه دفنه بجامع الكردى

بالحسينية ورتبت لدرواتب وقراء واتخذت مسكنا ملاصقا القبره اقامت به نحو الثلاثين سنة. وهي مداومة على عمل الشريك والكعك بالعجمية والسكر وطبخ الاطعمة للمقرئين والزائرين كل جمعة على الدوام، وشاعرنا طوع امرها فى كل ماطلبته. وكان كل ماوصل إليه من مال أو كتب ينفقه عليها وعلى اقاربها وخدمها لا لذة له فى ذلك حسية ولا معنوية. لانها فى ذاتها عجوز شوهاء وهو نحيف ضعيف الحركة جدا. ومرض بحصر البول مع الحرقة والألم وطال عليه حتى لزم الفراش اياما. ثم توفى فى يوم السبت ثانى الحجة سنة ١٢٣٠ بمنزله الذى استأجره بدرب قرمز، وصلى عليه فى الأزهر فى مشهد حافل ودفن عند ابنه المذكور بجامع الكردى

وقد اهتم الشيخ حسن العطار بجمع ديوان الخشاب فى حياته سنة ١٢٢٧ لاعجابه الشديد برقته وبلاغته وسمو خياله. اى قبل موته بثلاث سنين، ويؤيد ذلك التاريخ الذى وضعه ناسخ الديوان محمد صالح الفضالى الواقى المصرى إذا انتهى من نسخه فى يوم الاحد ١١ شوال سنة ١٢٢٧. وقد عاش المترجم بعد جمع ديوانه ثلاث سنين، ولا يبعد انه نظم فيها شيئا ليس بالقليل، ولانه لم يترك عقبا امتدت يد الشتات الى نظمه الأخير.

لانعرف بالضبط التاريخ الذى بدأ فيه معالجة القريض. وأقدم تاريخ فى ديوانه سنة ١٢٠١ يؤرخ به ميلاد ابن أبى الأنوار السادات، ومن ذلك يعلم انه مكث يقرض الشعر أكثر من ثلاثين سنة.

تطرق الشاعر عدة أنواع من الشعر وهى الغزل والخمريات والمديح والرثاء والتهانى والوصف والموشحات والادوار. وإن القينا نظرة عامة فى شعره وجدناه صادق الوصف منسجم السياق رشيق الاسلوب بحسن اختيار الالفاظ، موسيقى الاوزان، خفيف الروح فخم التراكيب، مسلسل المعانى متصلها، ولم نر فى جميع ديوانه شيئا من الهجو، وهذا مما يدل على سمو أخلاقه.

ولغزله المكانة الأولى ولاسيما ماقاله فى صديقه الفرنسي الذى سبق الكلام عنه. فانه يأجج بعنيف العواطف والصراحة فى القول ورقة التعبير ورشاقة الوصف. ومن أرق قوله فيه:

أدرها على زهر الكواكب والزهر
وإشراق ضوء البدر فى صفحة النهر
وهات على نغم المثانى فعاطنى
على خدك الحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكأس من ذهب الطلا
وخضب بنانى من سنا الراح بالتبر
وهاك عقوداً من لآلى حبابها
فم الكأس عنها قد تبسم بالبشر

الى أن قال فى آخر القصيدة.

وفوق سنا ذاك الجبين غياهب
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشيـــة
وأمنى بروحى حين جد السرى يسرى
تباكى لتوديعى فابدى شقائقا
مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر

وقال فيه أيضاً:

علقته لو لوى الثغر باسمـــه
فيه خلعت عذارى بل حلا نسكى
ملكته الروح طوعا ثم قلت له
متى ازد يارك لى أفديك من ملك
فقال لى وحيا الراح قد عقلت
لسانه وهو يثنى الجيد من ضحك:
اذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت
منه عساكر ذاك الأسود الحلك
فجاءنى وجبين الصبح مشرقة
عليه من شفق آثار معترك
فى حلة من أديم الليل رصعها
بمثل أنجمه فى قبة الفـــلك
فخلت بدرا به حفت نجوم دجى
فى حندس من ظلام الليل محتبك
وافى وولى بعقل غير مختبل
من الشراب وستر غير منهتك

ومن أروع ماقال فيه موشحه الذى عارض فيه موشح الشيخ حسن العطار الذى مطلعه:

أما فؤادى فعنك ما انتقلا
فلم تخيرت فى الهوى بدلا (فاعجب)

وهذا الموشح الذى يسيل رقة ورشاقة مخمس ومرفل قال رحمه الله.

يهتز كالغصن ماس معتدلا   اطلع بدراً عليه قد سدلا (غيهب)
ريم يصيد الاسود بالدعج
يسطو بسيف اللحاظ فى المهج
يزهو لعينى بمظهر بهج
فكيف أبغى بحبه بدلا   وليس لى عنه جار او عدلا (مهرب)

وضاح نور الجبين أبلجه
وردى خد زها توهجه
اليه شوقى يزيد لاعجه
فلست أصغى لعاذل عذلا   وعنه والله لا أتوب ولا (أرغب)
المى شهى الرضاب واللعس
يزرى غصون الرياض بالميس
يختطف اللب خطف مختلس
لو يجل الخصر تبتنى أسلا   من رام يوماً اليه أن يصلا (يحجب)
قطع قلبى بحبه ازبا
وصد عنى فلم أنل ازبا
أواه أواه منه واحربا !
أصلى فؤادى بخده وقلا   وذبت وجداً به ولى قتلا (فاعجب)
بجوهر الثغر يلفظ الدررا
يدمى فؤادى وخده نظرا
علم عينى البكاء والسهرا
فانهل دمعى كالوبل وانهملا   بالدم خدى عندما هطلا (خضب)
مولاى رفقا بصبك الدنف
قد كدت اقضى عليك من اسف
تلاف روحى فقد دنا تلفى
من ريقك العذب ايـ نى انهلا   وهات كأسى وطف بها ثملا (واشرب)
راحا سناها يضىء كاللهب
تبسم عن رطب لؤلؤ الحبب
عطر مازج ثغرك الشنب
بين رياض ومسمع غزلا   على المثانى اذا شدا رملا (اطرب)
والورق من حسن صوتها الغرد
تميل قضب الرياض بالميد
وتوج الدوح لؤلؤ البرد
تاجا من الدر نظمه كملا   فكن من اللهو سالكا سبلا (وادأب)

ومن درر نظمه خمريته:

ادر السلاف على صدى الالحان   ودع العذول بجهله يلحانى
واستجل بكر الراح فى ظل الربى   بين الرياض تزف والعيدان
شمس لها من فوق خد مديرها   شفق الصباح اذا بدا الفجران
نور ولكن من سنا لألائها   فى الخد نار فؤادها الولهان
نار لها فى وجنتيه وكفه   لهب به أعشو الى النيران
من كف معتدل القوام كأنه   قمر يلوح على غصين البان

نشوان من سكر الشباب يهزه   من خمر فيه وراحه سكران
ومهفهف ماء الحياء بوجهه   يزرى بهى شقائق النعمان

الى أن قال :

ليث العرين له تلفت جؤذر   يفتر عن در على مرجان
متلالئ تحت الشعور جبينه   كحسامه فى غيهب الميدان
عربى لفظ اعجمى المنتمى   هندى لحظ صائل بيمان
غصب النجوم فصاغهن أسنة   وبفيه نظمها عقود جمان

والقصيدة طويلة والجزء الغزلى فيها يرجع الى صديقه الفرنسى .

ومن الطف قوله قصيدته التى يمدح بها السادات

بوصلك واضحة الجبين المسفر   من بعد طول تمنع وتستر
قامت فخالست ازديارك قومها   وتربصت سحرا هجوع السمر
واتت ترنح كالغصين اماله   نفس الصبا وتجر فضل المئزر
هيفاء يخجل لحظها وقوامها   بيض الصفاح وكل لدن أسمر
ما أنس لا انسى ليالى وصلها   بين الرياض وحسن نغم المزهر

الى أن قال :

من سادة ورثوا النبى وجاهدوا   فى دينه حق الجهاد الاكبر
من خير بيت من ذؤابة هاشم   من معشر أكرم به من معشر

والقصيدة طويلة .

ومن أروع شعره قصيدة فقد مسودتها وراجعه فيها الشيخ حسن العطار فذكر له منها أحد عشر بيتا من وسطها ونسى الشاعر مطلعها وآخرها

ولرب ليل قد أبيت بجنحه   أطوى هضاب فدافد ووهاد
بأغر أجرد ضامر لكنه   جلد العزائم عند كل جلاد
متعودا وطء الاسنة فى الوغى   متجشما فى الروع هول طراد
ظن السيوف جداولا وعوامل المران أغصان النقا المياد

الى أن قال

متقلدا عوض السيوف عزائمى   متسربلا بدل الدروع فؤادى
حتى بلغت أخا السماحة والندى   وابن السراة السادة الاجواد

لقد فات الجبرتى أن يخبرنا عن ارتباط شاعرنا بعصر المماليك قبل دخول الفرنسيين وفترة الاربع سنين التى تولى الحكم فيها ولاة الاتراك، والعصر الذى عاشه فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا

وللترجم له من النثر بعض مراسلات وتقاريظ مسجعة كعادة أهل عصره رحمه الله رحمة واسعة وألهم المصريين تخليد ذكره وإعلاء شأنه ؟

مِنْ طرائفِ الشِّعر

غــــرام الشــــعراء

الغـــيرة

للشاعر الوجداني الاستاذ احمد رامي

من رواية ينظمها بهذا العنوان في هذا الموضوع

في دار الولادة بنت المستكفي بقرطبة . الشاعر أبو الوليد احمد بن زيدون يزور الدار أول مرة في صحبة صديقه أبي حفص بن برد . بعيد التعارف والتفاهم تحتفل الولادة بقدوم ابن زيدون فتدعو القيان . بعد الرقص والعزف يقبل الوزير ابن عبدوس في رفقة نديمه خليفة لزيارة الولادة جريا على عادته ،

ابن عبدوس : وقد سمع آخر الغناء مخاطبا خليفة

مطـــبل وزامر فمن يكون الزائر ؟

خليفـــــة : أحسبهـــا توقعت حضـــورنا تسامر

وهـــذه تحيـــة ترسلها المزاهر

أدخل فقد طاب الهوى بما يحب الخاطر

ابن عبدوس : (وقد اجتاز الباب ورأى ابن زيدون)

من أرى ؟

الولادة : (متقدمة اليه)

هذا ابن زيدون

ابن عبدوس : وما لي أرى اشارة اللب حزين !

قـــد عرفناه طروباً يثني

مرحاً عنـــد سماع العازفين

ابن زيدون : (في لهجة حازمة)

وأراني ربمـــا أحـــزنني

من صدى الاوتار شدو أو رنين

ابن عبدوس : (في شيء من السخرية)

هـــذه حال الذي أودى به

لاعج الأشواق أو مس الجنون

ابن زيدون : نعم أهوى ولا أخفي غرامي

ومن شرف الهوى أني صريح

وأما ان سئلت من اصطفتي

سكت فما استرحت وما أريح

ابن عبدوس : ومن لك أن تقول صفا هواها

وقلب الغانيات مدى فسيح

ابن زيدون : وغرك من عهد ولادة

سراب تراءى وبرق ومض

أراك تفوق سهم النضال

وترسلها لو أصبت الغرض !

ولادة : وما هذا التراشق بالأحاجي

وما هذا التوثب للهجوم ؟

أرى عينيكما رمتا شرارا

وأخشى النار ترعى في الهشيم !

(بعد صمت)

ألم يجمعكما سبب متـــين

على حفظ المودة والاخاء ؟

ابن زيدون : وألفنا على الاخلاص غرشاً

نفديه ونخلص في الفداء

ابن عبدوس : وهل أخلصت للعرش المفدى

وقمت على الرعاية والولاء ؟

وأنت العمر تقضيه هباء

صريع الكاس أو خلب النساء

ابن زيدون : خسئت فان لي القدح المعلى

اذا خف الرجال الى العلاء

تأسس ملك قرطبة وقامت

دعائمه وكانت من بنائي

وناولت ابن جهور صولجانا

على جنباته تجرى دمائي

ابن عبدوس : ومن بين الممالك لا يبالي

بهدم العرش أو هد اللواء

ولادة : كفى ما قلتماه فان داري

مراح الشعر أو مغدى الغناء

تباعد نازلوها عن حوار

يجر الى القطيعة والعداء

ومالي والسياسة وهي بحر
أتيّ الموج مسربد السماء
طغت أنواؤه فهوت بأهلي
وطاحت بالرفاق الأوفياء
(بعد صمت)
يا خليليّ أما كان لنا
نُدْحة عن ذلك القول الهراء!

ابن زيدون : قد تجنّيت إني
ولادة : وماذا قال لك ؟
ابن زيدون : قال اني أصرف العمر هباء
ابن عبدوس : بل تصدّى لي
ولادة : وماذا قال لك ؟
ابن عبدوس : قال يغويني سراب في سماء
ولادة : وهل الدنيا سوى أخيلة
من ظلام اليأس أو نور الرجاء
وهل الأيام الا ساعة
ينعم القلب بها حيث يشاء
خلّيانا م الذى فات ولا
تذكرا الماضي إذا الماضي أساء
وصلا حبل التصافي واعلنا
أن هذي الدار نادي الاصفياء

ابن زيدون : (في لهجة المعاتب)
درجنا مع الودّ منذ الصبى
وكانت رباه لنا ملعبا
وألفنا أمنيات الشباب
زهت كوكباً وسمت مطلباً
ومرت بنا عاديات الزمان
فكنا على غدره قُرّبا

ابن عبدوس : ومالك أنكرت مني الوفاء
وقد ذقته صافياً طيّباً ؟
ولادة : حنانيكما لا تطيلا الملام
ولا تسألا القلب من أذنبا
بدت جفوة بين نفسيكما
ومرّت كلمح شهاب خبا
وما أجمل الود بعد العتاب
وأبقى الصديق اذا اعتبا !
(تدخل عتبة وصيفة الولادة)

عتبة : سيدتي !
ولادة : ماذا جرى ؟
عتبة : رسول
ولادة : لمن ؟ ومن ذلك الرسول ؟
عتبة : من صاحب الأمر الى الوزير
ولادة : (في حيرة) أي الوزيرين عنى الأمير ؟
ومن يكون حامل الرسالة ؟
عتبة : المكري حاكم المدينة .

ابن عبدوس : (في لهجة المتشفي)
أحسبني أمنية ابن جهوَر
أتأذنين لي بلقيا المكري ؟
يا خليفة !
خليفة : أنا يا مولاي ما بين يديك
ابن عبدوس : عد الى الدار سريعاً ربما احتجت اليك
(ينصرف خليفة في شيء من اللؤم)
إغفري لي أني أسأت اليكم
بحضوري فجاءة وذهابي
نازعتني اليك نفسي فأقبلت
على خلوة من الأحباب
لم أكد اقرأ التحية حتى
نالني منكم رشاش السباب
(ينصرف ابن عبدوس غاضباً)

ابن زيدون : هل تبينت كيف نمت عليه
نظرة الحقد في العيون الغضاب
وسمعت الذي يعبر عنا
ينطوي في ضميره المرتاب
شهر الحرب عامداً وتصدى
يرسل اللوم في سياق العتاب
ثم ولى يقول نحن بدأنا
ه ولم نرع حرمة الآداب

يوم التـــل

للأديب فخرى أبو السعود

. . . . . . وبعد فانى مرسل اليكم قصيدة نظمتها لمناسبة ذكرى الاحتلال الانجليزى الذى يصدر عدد الرسالة القادم فى مثل يوم ابتدائه بالقاهرة — ١٥ سبتمبر — وقد اعتاد الكثير من المصريين الاستحياء لذكرى يوم التـــل الكبير لأن الهزيمة أصابتنا فيه، والأسف لذكرى الثورة العرابية لأن الاحتلال الانجليزى أعقبها، حتى قال شوقى بك فى بعض ما قال:

ولو ان يوم التل يوم صالح   لحماسة لجعلته إليادى

وقد نظمت قصيدتى قصد القضاء على توهم العار فى هذه الذكريات، وإبراز مواضع الفخر فى تلك الحوادث والوقائع.

وأقل ما فى تلك الذكريات من مواضع الفخار أن الثورة كانت أول مظهر صحيح للقومية المصرية التى تنبهت فى العصر الحديث، وأن موقعة التل كانت أول معركة قام فيها جيش مصرى صميم بالدفاع عن أرض مصر، وان المصريين فيها كانوا ينازلون أكبر قوة استعمارية عرفها التاريخ، وأن الانجليز لم يطمئنوا الى منازلة المصريين ولم يحرزوا عليهم النصر الا بعد أن استعانوا بكل حيلة

أعد ذكر ماضى النيل للجيل منشدا   فما أعذب المجد الأثيل مرددا
وكم مفخر للنيل باق مخـــلد   اذا ذكر الأقوام فخرا مخلدا
نتيه بماضينا القـديم تفاخرا   وأحرِ بأن يروى الحديث فيحمدا
ولم أر يوم التل عابا وسبة   ولم أره الا أغر ممجـــدا
أنخجل ان قمنا نذود عن الحمى   ونسحب أذيال الفخار من اعتدى؟
تدفق من عبر المحيط مهددا   فما حفلت آباؤنا من تهددا
أبوا أن يدينوا للمغالب عن يد   وتلقى مصر فى الحوادث مقودا
وقالوا شباة السيف دون عدونا   وإن يك عرض البر والبحر أيدا
إباء تليد المجد قر له رضى   وقر له عظم الفراعين ملحدا
وما شهدوا من قبلها بعد عهدهم   بنى مصر جمعا ينهدون الى العدى
فلما رأى العادى سنوح فريسة   أقام زمانا دونها مترصدا
ترامت على الثغر الأمين رجومه   تناصب عزلا فى المدينة قعدا
أثار عليهم مائج البحر مرغيا   وصب عليهم مارج النار مرعدا
تهاوى له الانقاض أيان يرتمى   وتذرو الأشلاء فى حيث سددا
تمازج لونا النار والدم عندما   وفار لهيب النار بالدم مزبدا
ولم يألها حتى كساها غلائلا   من النار حمرا فى السموات صعدا
ولم يثنه فى الشرق والغرب ضجة   لأمر أقام الأرض هولا وأقعدا
منى نالها! فلتندب الأرض حسرة   على العدل ولتبك السماء تلددا
رأت أمم فى الشرق والغرب أمة   يجار عليها جهرة وتعمدا
تعاقب أن قامت تحطم قيدها   وتبعث تاريخا قديما وسؤددا
وتوأد حرياتها وحقوقها   ليحكم الاستعمار فيها معربدا
ولما أحال الثغر جحرا مخربا   تقدم يبغى مستزادا ومهتـــدى
وأبصر من دون السبيل بواسلا   جثيا على هام المسالك رقدا
تحدى اليهم كرة بعد كرة   فأصلوه نيرانا فآب مبددا
فيا من رأى أبناء مصر اذ انبروا   الى غول الاستعمار صفا مجردا
على حين ماجت خيله وسفينه   ولم يبصروا فى الشرق والغرب مسعدا
يساقونه كأس الحمام وأهله   بمصر كرام فى مراح ومغتدى
فلما رأى وعر الطريق ولم يجد   كما ظن نهجا حيث سار معبدا
تسلل من شرق البلاد محاذرا   هزيمته فى الغرب أن تتجددا (١)
ومال الى الإعراب والختل طبعهم   يريد لدى القوم اللصوص مؤيدا
جرى تبره فيهم وسالت سفينه   تمزق عهدا للقناة مؤكـــدا
وساق على الأحرار بالتل سفلة   أتى بهم من كل فج وأعبدا
خميس يسير العار فى خطواته   وتتبعه الأوباء فى حيثما اهتدى (٢)
كفته خيانات اللئام عدوه   وما بث من جند الفساد وأرصدا
ولولا جنود الاثم تدفع دونه   لما مد رجلا للقتال ولا يدا
كذلك كانت فى السياسة حاله   وفى الحرب لم يبلغ به النبل مقصدا
وما نال إلا بالجريمة مغنما   ولا سل إلا فى الظلام مهندا
وأقبل يزهو بانتصار وإنه   لخزى له يبقى على الدهر سرمدا
خصيمك أبقى فى الهزيمة صفحة   وأكرم فى ظلم الحوادث محتدا!
وزاد عروس الشرق فى تاج ملكه   يتيه بها فخرا ويخطر سيدا
رويدك لا تحمد مقامك بيننا   ولا تحسبنه ما أقمت ممهدا!
كما جئت فى داج من النحس قاتم   سترجع فى داج يغشيك أسودا!
وأنحى على الأحرار يسكب مقته   وقد كاد يسقيهم بجهلته الردى
ومن أحرق العذراء يوما تشفيا   فليس بمستثن مسنا وأمردا (٣)
فأرهق بعض فى السجون مكبلا   وفرق بعض فى البلاد مشردا
سلام وريحان أبوتنا على   ثراكم سلاما لم يزل متجددا
سلام على من قد تصلوا بنارها   وخاضوا لظاها فائرا متوقدا
سلام على من مات فى حومة الوغى   ومن مات فى قاص من الأرض مبعدا
سلام على قيل تولى زمامها   أعف الورى قصدا وأنقاهم يدا
أصاب بها نجحا فلما كبا بها   وأدركه منها العثار تجلدا
وذيد عن الأوطان عشرين حجة   يبيت على شوق إليها مسهدا
جريرته أن رام مصر عزيزة   وشاء لها أن تستقل وتسعدا
ورام لها من طغمة الترك معتقا   وبعدا لعهد الترك أشأم أنكدا
لتحيا كما تحيا الشعوب طليقة   بعصر يعاف العبد فيه التقيدا
ستذكره مصر الفتية ما ابتغت   لدى الحق عهدا أو لدى المجد موعدا
عسى ذكرنا رغم الهزيمة أحمدا   سيبعث فينا للغنيمة أحمدا

(١) إشارة الى هزيمة الانجليز أمام المصريين قرب رشيد غربى الدلتا سنه ١٨٠٧
(٢) تفشت الأوباء فى مصر عقب دخول الجيش الانجليزى
(٣) اشارة الى احراق الانجليز جان دارك عذراء فرنسا من قديم.

فى الأدب الشرقى

من الأدب التركى الحديث

أحمد حكمت بك

كان الأدب التركى القديم يرسف فى اغلال الجمود ويقطع مراحل النهضة بتأخر وبطء. فظهر أحمد حكمت بك ورفاقه امثال توفيق فكرت، خالد ضيا، جناب شهاب الدين وغيرهم ممن أحيوا الأدب التركى القديم بوكسروا قيود التعصب، واغلال البطء، وأظهروا للناس نتائج أفكارهم وثمرات عقولهم التى اقتبسوها من المغرب، وألبسوا الأدب ثوباً جديداً بنشرهم المقالات الأدبية الطريفة ونظمهم القطع الشعرية الطريفة.. ولكن اضطر هؤلاء أن يقفوا حينا بنهضتهم، ويخفضوا قليلا من أصواتهم، أمام جور السلطان عبد الحميد وظلمه. وما ظهرت شمس الدستور على يد مدحت باشا حتى قام أصحابنا بنهضتهم وشرعوا يتمون مشروعهم.

يعتمد احمد حكمت بك فى كتابته على الحس أكثر من الخيال. أسلوبه رقيق، ومعانيه سهلة، وأفكاره متينة. أكثر كتبه حافلة بالقصص والحكايات. يسعى حين الكتابة لاظهار حقيقة ما يكتب، وهو على عكس رفيقه خالد ضيا، قليل التكلف والصنعة. ولقد صور الأدب الغربي بصورة توافق لغته وبيئته. وله مؤلفات عديدة ومن أهم آثاره كتاب « خارستان وكلستان ».

وهذه قطعة من منثوره المبثوث بين كتبه القيمة، فان فقدت جمال الاسلوب وروعة الصنعة فجمال المعنى محفوظ على ما أظن:

« ساعة خلق الكون »

كانت جلبة وقرقعة فى ديجور الظلام الخانق، وكان انقلاب وإنفجار وسط الغيوم السوداء المزبدة الحواشى تحيط بذلك الفضاء الواسع. وكانت الرياح تعصف، والاحجار تسيل. واللهب تنشر حرارتها وتذيب الصخر والجلمود. وكانت الجبال تنقلب والبحار تفرغ وتمتلىء، والغيوم تنفجر وتنشق فتولد المئآت والالوف من النجوم التى تسبح فى الفضاء كما تسبح اليراعات فى الظلمات الحالكة، تارة تذوب وأخرى تتصادم ثم تنزل فى ناحية من الفضاء اللانهائى. كانت الامواه تعلو وتنخفض، تغلي وتزبد حول تلك اللهب المتعالية والنيران المتأججة.

والكائنات تدور..... نعم كانت تدور.....

وكانت طوائف الملائكة المكلفة بتنظيم الارض تطير وتنتقل من طرف الى آخر، منها من تمسك المياه المتجمدة من حوافيها، وتدفع الجبال بأرجلها، وترتب النجوم بأيديها، وتعيد الأنهار إلى فراشها، ومنها من كانت تجر (الدب الاكبر) من ذنبه، وتقود (برج الحمل) من قرنه.

والكائنات تدور..... نعم كانت تدور.....

بين تلك الغيوم والنجوم والدخان واللهب كان ملك ضحى بنفسه يطير بسرعة البرق خلف كوكب جميل مضىء. خلف « الزهرة » الشاردة، وبينا يعيدها الى محورها الأول وقع فوق الصخور الملساء على اثر صدمة قوية كانت سبباً فى فقدة رشده. ولما استفاق من اغمائه سقطت دمعة من عينه انحدرت فوق الصخرة. لقد رأى الخالق الاعظم هذه التضحيات، ووافقته هذه الخدمات، فأراد الا تضيع ذكرى هذه الدمعة فخلق الرجل الأول « آدم ».

كانت دورة الارض تنتظم قليلا قليلا، فالانهار نامت فى فراشها والبحار هدأت فى احواضها، والنجوم انتظمت فى محاورها، والبراكين خمدت فى اماكنها.

وكانت الشمس فى كل يوم تبعث الحياة على اليابسة. وكانت الرياح بين آونة وأخرى تساعد الشمس فى بعث الجمال والحياة وتطرية هذه الكائنات. وكانت بذور الورود تنثر من الآفاق وباقات زهور الحب تتساقط من الغيوم. وذرات النجوم المتناثرة فى تلك القبة الزرقاء تشكل مروجا من زهور البابونج « پاپاتيه »، وحاشية من حواشى قوس قزح تبدو للناظر ذيل طاووس بهيج.

وقد وجدت هذه البدائع لتكون مكافأة للملائكة على جهودهم وخدماتهم. وكانت الحور يتمتعن من هذا الجمال والتجديد تارة يسرن واخرى يطرن، يسمعن أغاريد الطيور، ويبتهجن من أريج الزهور، ويتراكضن نحو ظلال الاشجار مرحات طربات، وكانت اجملهن واصغرهن، وأتعبهن جالسة وسط زهرة فتحت صدرها واوراقها لأشعة الشمس لتشعر بهذا الجمال أكثر من رفيقاتها، ولتتذوق هذه الحلاوة قبل صويحباتها. وهى كجميع

في الأدب الغربي

في ساحـــة عليين

لأناتول فرانس

رأيت نفسي فجأة في ديار خيم عليها ظلام رهيب صامت، برزت فيه صور وأشباح مبهمة ملأتني خوفا ورعبا، ولقد ألفت عيني بعد حين حلكة الظلام ورأيت بجانب نهر تنساب مياهه في هدوء شبح انسان رهيب المنظر على رأسه قلنسوة أسيوية، ويحمل على كتفه مجدافا عرفت فيه أوديسيوس الخادع، وكان حذاءه غائرين وقد غطت ذقنه لحية بيضاء شعثاء

سمعته يقول بصوت خافت ضعيف: اني جوعان، وأحس بعيني مظلمتين ونفسي كأنها دخان ثقيل يسبح في الظلام؛ ألا من يعطيني جرعة من الدم الأسود لأستعيد ذكرى سفني المنقوشة وزوجتي الطاهرة وأمي!!

فلما سمعت هذه الكلمات عرفت انني قد انتقلت الى بقاع الجحيم، فحاولت ان استرشد في خطوي بأوصاف الشعراء مااستطعت الى ذلك سبيلا، وذهبت الى مرج قد أضاءه نور ضئيل. وبعد مسير نصف ساعة انتهيت الى رهط من الأطياف قد اجتمعت في صعيد واحد وأخذت تتطارح الحديث وهي تضم نفوسا من كل عصر، فرأيت بينها الفلاسفة العظام بجانب الهمج الفقراء، ولقد اختبأت تحت ظلال شجرة من أشجار الريحان، وأنصت الى حديثهم، فكان أول من سمعت (بيرهون) وهو يسأل في رقة وتوسل وقد أمسك بيديه قدومه كأنه بستاني بحق:

ماهي النفس؟

فأجابته الأطياف التي حوله باهتمام وكلها يريد التكلم دفعة واحدة

قال أفلاطون وفي عينيه نظرة الرجاحة: ان النفس ثلاث، فلنا نفس نهمة في البطن، ونفس محبة في القلب، ونفس عاقلة في الرأس. والنفس خالدة، اما النساء فلهن نفسان وتعوزهن النفس العاقلة

فرد عليه شيخ من أعضاء مجلس ماكون قائلا: انك تتكلم ياافلاطون كمن يعبد الاوثان، ففي سنة ٥٨٥ قرر مجلس ماكون بكثرة الاصوات اعتبار المرأة ذات نفس خالدة، والمرأة هي الرجل لان المسيح الذي ولد من عذراء يدعى في الانجيل بابن الرجل

فهز أرسطو كتفيه، ورد على أستاذه بلهجة الحزم والوقار قائلا: من المرجح عندي ياأفلاطون ان لنفس الانسان والحيوان خمسة أنواع: النفس الغذائية، والنفس الحساسة، والنفس الدافعة، والنفس الشهوانية والنفس العاقلة: والنفس هي العنصر الذي يتكون منه الجسم، فاذا اهلكت هلك بهلاكها

وطرحت أراء أخرى كل واحد منها يعارض الآخر

أوريجن: ان النفس مادية وهي شيء رمزي

سنت أوجستين: كلا، ليست النفس مادية وهي خالدة

هيجل: إن النفس ظاهرة طبيعية

شوبنهور: ان النفس مظهر وقتي للارادة

رجل من بولينيزا: إن النفس هي نفس الريح، ولما رأيت ان نفسي صاعدة ضغطت على أنفي لاحفظها داخل جسدي، ولكنني لم استطع أن أضغط الضغط الكافي فمت

امرأة هندية من فلوريدا: لقد قضيت نحبي وأنا في مهد طفلي، فوضعوا ايده على شفتي ليمسك نفس أمه من الصعود، ولكن جاء هذا متأخرا فقد انسابت نفسي بين أصابع الطفل البريء

ديكارت: لقد أثبت أخيرا ان النفس كانت شيئا معنويا، أما عن مصيرها فارجعوا الى الاستاذ ديجي الذي كتب في هذا الموضوع

لامتري: اين ديجي هذا؟ أحضروه

مينوس: ايها السادة سأبحث عنه في كل بقاع الجحيم،

المخلوقات تنتظر ظهور المعجزة يرشفها اشعة الشمس المشرقة بشفتيها وعينيها.

بدا نور وجمال في شفتي تلك الحورية على اثر رؤيتها في كل عصفور ريشة منيرة، وفي كل زهرة لونا جديدا وفي كل شجرة ثمرة حلوة. كان هذا النور وهذا الجمال «الابتسامة الاولى».

وقد رأى الخالق الأعظم هذه التضحيات ووافقته هذه الخدمات فأحب أن تدوم ذكرى هذه الابتسامة فخلق منها المرأة الاولى «حواء»

وانتهى بذلك خلق الكون؟

البرنس ماجناس : ـ عندنا ثلاثون دليلا على فناء النفس ، وستة وثلاثون على خلودها ، فهناك أكثرية ستة اصوات بجانب الخلود

صانع أحذية : ـ إن روح السيد الشجاع لا تموت لا هي ولا غدارته ولا غليونه

رابي ميمونديس : ـ لقد كتب من قديم ان الرجل الشرير سيبيد ولن يبقى منه شيء

سنت أوجستين : ـ انك مخطيء يارابي ميمونديس ، فقد كتب ان المذنب سيذهب الى النار وسيخلد فيها أبدا

أوريجين : ـ نعم ان ميمونديس مخطيء ، فالرجل الشرير لن يبيد ولكن سيتقلص حتى يصبح ضئيلا جدا فلا يمكن تبينه ، ويجب أن تعلم هذا من حلت بهم لعنة الله ، اما عن نفوس القديسين فسيكون نصيبها الامتزاج بالله

دنس اسكوتس : ـ ان الموت يجعل الكائنات تمتزج بالله مرة اخرى كأنها صوت يغيب في الهواء

بوسويه : ـ ان أوريجن ودنس اسكوتس مخطئان هنا ، فأن ماروى في الكتب المقدسة عن عذاب الجحيم يجب أن يفهم بمعناه الدقيق الحرفي ، وهو ان الاشرار سيظلون أبدا تتنازعهم الحياة والموت ، وسيخلدون في العذاب لأنهم سيبقون اقوياء لا يموتون ، وضعفاء لا يحتملون ، ولن يرجوا ينتون على مقعد من النار مغمورين في محض من الآلام لا شفاء لهم منه

سنت اوجستين : ـ نعم يجب ان نفهم هذه الحقائق بمعناها الحرفي ، ونعلم ان أجسام الإشرار هي التي ستعذب في النار ، ولن ينجو من هذا العذاب الشديد الاطفال الذين يموتون عقب ولادتهم ، أو حتى في بطون أمهاتهم ، فهكذا قضت العدالة الالهية ، فاذا رأيت انه يتعذر عليك تصديق أن الأجسام التي تلقى في النار لن تهلك أبدا فهذا نتيجة الجهل المحض ، فانت لاتعلم أن هناك انواعا من اللحم تحفظ في النار كلحم الديك البرى ، وقد جربت هذا في هذا ، إذ هيأ لي طاه أحد هذه الطيور وخصص نصفه لغذائي ، وبعد اسبوعين طلبت النصف الآخر فكان لا يزال صالحا للأكل ، فظهر لي ان النار حفظته كما ستحفظ اجسام الاشرار

سمنجالا : ـ ان كل ما سمعته من أنواع الفلسفة الى الآن مظلم كظلام الغرب الدامس ، والحقيقة أن الارواح تحل في أجسام مختلفة قبل أن تمتزج بالنيرفانا المباركة التي تضع حدا لشرور الحياة ، فقد حل (جوتاما) في خمسمائة وخمسين شكلا قبل أن يصير (بودا) فكان ملكا ثم عبدا ثم قردا ثم فيلا ثم ضفدعة ثم شجرة من أشجار الدلب وهكذا

قسيس : ـ إن الناس يموتون كما تموت دواب الحقل ، ومصيرهم كمصيرها ، وكما يموت الناس تموت البهائم أيضا ، وكلاهما يتنفس هواء واحدا وليس للناس شيء لا تملكه البهائم

تاسيتوس : ـ ان هذا الكلام يكون مقبولا لا مفهوما لو نطق به يهودي خلقت نفسه للعبودية ، أما أنا فاني أتكلم كروماني فأقول : ان أرواح الوطنيين المشهورين لاتفنى ، ويجب أن نؤمن بذلك إيمانا صحيحا ، ولكننا نتهم عظمة الآلهة اذ نحسبها تهب الخلود لأرواح العبيد والعتقى

شيشرون : ـ واأسفاه يابني ! ان كل مايروون لنا عن بقاع الجحيم انما هو نسيج من الاباطيل ، وأنى لأسأل نفسي أهناك طريق آخر يكفل لي الخلود الا ذكر عهد قنصليتي الذي سيبقى الى الأبد ؟

سقراط : ـ أما أنا فاني أومن بخلود الروح ، فهو فرصة يحسن انتهازها ، وأمل يعلل به كل انسان نفسه

فكتور كوزان : ـ يا عزيزي سقراط ! إن خلود النفس الذي أوضحته بجلاء أمر لا بد منه للاخلاق والآداب ، لأن الفضيلة موضوع مناسب للخطباء ، ولو لم تكن النفس خالدة لما كان للفضيلة ثواب

سنيكا : ـ واعجبا يافيلسوف الغال ! أهذه مبادىء رجل حكيم ؟ ألا فاعلم أن جزاء الاعمال الصالحة هو في تأديتها والا فجزاء ثاب به الفضيلة يكون غريبا عن الفضيلة ذاتها

افلاطون : ـ ولكن هنالك ثوابا أو عقابا في الحياة فعند الموت تبعد روح الرجل الشرير لتحل في جسم حيوان حقير كحصان أو عجل بحر أو امرأة ، أما روح الحكيم فتمتزج بالآلهة

بابيتان : ـ أن ما يعني افلاطون هو أن العدل الالهي سيتولى في الحياة الأخرى اصلاح اخطاء العدالة الانسانية ، والأمر على النقيض من ذلك ، فخير للافراد الذين أصابهم في الدنيا عقاب لا يستحقونه ـ قضى عليهم به قضاة معرضون في الواقع للزلل برغم جدارتهم بمناصبهم وخبرتهم بالقضاء ـ أن يظلوا يقاسون الآلام والعذاب في عالم الأرواح ، وهذا ما نعني به العدالة الانسانية التي قد يضعف من شأنها أن تضعها الى جانب الحكمة الالهية

قزم : ـ ان الله يحنن الى الاغنياء ويسيء الى الفقراء ، لانه يحب الاولين ويبغض الاخرين ، ولحبه الاغنياء سيرحب بهم في جنانه ، ولبغضه الفقراء سيصليهم بناره

صيني بوذي : ـ اعلم ان لكل انسان نفسين : إحداهما خيرة وهي التي ستمتزج بالله ، والأخرى شريرة وهي التي سيحل بها العذاب

عجوز من تارنت : ـ انها الحكماء افتوا شيخا يحب البساتين ، هل للحيوانات نفس ؟

ديكارت دماليبرانش : كلا ، أنها آلات

« البقية على صفحة ٣٣ »

العُلوم

النسل

للدكتور احمد زكي

منذ شهرين قامت ضجة فى بلد من بلدان أوربا الوسطى وصل اضطرابها الى أطراف العالم الحى . ذلك أن حكومة ذلك البلد قاضت جماعة من الأطباء قاموا بطريقة منظمة على تعقيم كل ذكر لا يرغب فى الانسال ، أو أنسل ولم يعد له رغبة فى المزيد ، أوله رغبة فى المزيد تأباها عليه الضائقة الحاضرة ، بثت هذه الجماعة دعايتها بين الفقراء من العمال والفقراء من الزراع . ولم تكن غايتها التكسب ، فان أجرة العملية كلها على ما أذكر كانت جنيهين ونصفا فى ذلك أجرة الطريق أو أجر السفر ، وانما كانت غايتها منع النسل عن غير القادرين على رعايته ، وتجويد نوع المواليد بالاقلال منهم . على قاعدة أن المائة من الجنيهات قد تنفق على اثنين وقد تنفق على أربع ، ولكن إن هى أتيك فى الحالة الأولى برجلين فهى تأتيك فى الحالة الثانية بأربعة أنصاف من الرجال . وحيث أن الدنيا ضاقت بالعدد العديد الذى لا يجد عملا . فأولى بالناس أن ينصرفوا عن العدد الى الجودة ، وعن الكم الى الكيف . ولكن الحكومة التى رفعت الدعوى عليهم رأت أن فى العدد سلام الدولة . وأن للكم الغلبة بين الأمم . ومهما يكن من رأى هؤلاء أو اولئك فالذى نريد أن نسجله دعوى جديدة تدعيها هذه الرفقة ، وهى أنهم يقطعون بمشرطهم حبلا فيقطعون ما بين الرجل وذراريه ، ثم يصلون بملقط ما قطعوه ، فيعود الرجل الى انتاجه القديم . ونريد أن نسجل أن بهذا المشرط ولاسيما بالملقط ستحدث احداث غريبة فى العالم ستأتى على رغم الكراهات وبرغم القوانين ولو أبطأت بها الأيام

الانتاج من قديم فخر الرجل والعقم عاره ، ولكن كان هذا والأيام تسير الهوينى والأرزاق كأنها تنزل من السماء على أنفس قنوعة راضية ، أما المدنية الحاضرة مع بوائقها وضوائقها وانعدام العصبية الأسرية فيها الى حد كبير ، فلا تكاد تبقى للانسان فخارا بخلف أو عارا من عقم ، ولاسيما عقما لا يذهب بمشاعر الحيوانية من الانسان ، دليل ذلك أن الكثيرين يتعقمون اختيارا ، وفى مصر من هؤلاء عديد كر تعقموا فى وضح النهار على سمع الناس وأبصارهم . ولكنهم مهما كثروا قليلون الى جانب من يرغبون فى حبس النسل أو تقليله ، ولكن تأبى نفوسهم وتثور حفائظهم وتقشعر أبدانهم أن تنتزع الرجولة منهم وتقتل الذكورة فيهم ، أما الآن وقد وعد الطب بوصل ما يقطع ، فلم تعد الرجولة تنتزع ولا الذكورة تقتلع . وانما يقطعان الى وصل ، ويطويان الى نشر ، وفى هذا من الاغراء ما فيه . ومن الممتع اللذيذ للعالم الاجتماعى أن يتابع عن كثب هذا الأثر الجديد للمشارط والملاقط فى حياة الأسر ، وطاقات الطوائف والأمم ، فهما اداتان للخير والشر على السواء ، لا بد من ضبطهما بأيد مسئولة ، ولا سبيل الى تركهما لأهواء الافراد طيلة انتسابهم الى مجتمع منتظم هم من نتاجه

واجتمعت الجمعية الطبية البريطانية اجتماعها السنوى فى (دبلن) من أسابيع قليلة عقب الثائرة التى أثارتها تلك القضية ، فرأينا أصداءها تتردد حتى فى هذه القيعان ، فقد قام جماعة من الأطباء ذوى اسم ومكانة ينصحون بتدخل الجمعية فى تحديد عدد السكان فى الجزر البريطانية واباحة تلك العملية واتخاذها اداة لمنع الاضرار الاجتماعية التى تتسبب فى الأوساط الفقيرة عن ارسال حبل الانسان على غاربه ، ولاسيما فى مناطق التعدين حيث الفقر مدقع والبطالة لا أمل فى العثور على علاج لها لا فى الحاضر ولا فى مستقبل الأيام . وقامت معارضة هادئة الا أنها من

صنف المعارضات التى تنجح وتلقاها آذان السكسونيين دائما بالقبول. قام معارض فقال: إن للمسألة وجوها غير طبية، فلها وجه اجتماعي ووجه آخر خلقي. وليس الطبيب بأهل ان يبحث فى الاجتماع أو أن يرسم للناس كيف يتخلقون. وقام طبيب الملك فقال: ان من انجع الطرق فى وقف سير حركة جديدة أو تعطيل اعتناق الناس لمذهب طريف، أن تدخل فيه بالعنف الرسمى، سواء أكان ذلك بتحكيم القانون أم بتقرير جماعة مسئولة كجماعتنا هذه. كل حركة جديدة أو مذهب طريف، لابد أن يتأهل له الناس. وما التقنين الا صياغة لرغبة عامة وتتويج لأرادة شاملة. فلندع جمهور الامة يفكر فى صمت، فى المجالس الخاصة وبين فترات العمل، فى راحة مابعد الغداء، أو اضطجاعة مابعد العشاء، وفي اثناء التروض على الحشيش الأخضر أو على رمل الساحل. اعطوا الجمهور الزمن ليفكر. ولا تسبقوا أحداث الوجود، فعندئذ يأتيكم هذا الجمهور يطلب منكم النصيحة. وعندئذ تعطونه اياها نصيحة ناجعة سهلة، تصل بكم الى الغرض بسرعة كبيرة تعوضكم عن الابطاء الذى كان لابد منه لتفكير الناس واقناع الجماهير — وكان هذا فصل الخطاب

أما فى ألمانيا الهتلرية فقد جرى النقاش فى الموضوع وتقرر القرار وصيغ القانون فى ليلة وضحاها. والواقع اننا لم نكد نسمع الا بالقانون وقد صدر، وهو يقضى بالتعقيم الاجبارى لكل مريض بمرض يمكن توريثه. وعددوا تلك الأمراض فكان منها ضعف العقل وبعض صنوف الجنون والصرع والتشنج المفصلي والعمى والصمم المورثان. وكل عاهة يمكن توريثها، وكذلك ادمان المسكرات اذا بلغ حد المرض. وتنصب لجان للتقرير عن حالة المرضى. وللمريض ان يستأنف، فأن قضى الاستئناف بالتعقيم أنفذ بالقوة فى مصحات الحكومة. وتقع نفقة كل هذا من قضاء أو تعقيم على أولى الأمر، ويتعهد كل من يتصل بشيء من ذلك بالتكتم والتستر حتى لا يعرف من تعقم. ولم يسمح القانون باجراء العملية على الاصحاء لأسباب اجتماعية مهما كانت تلك الاسباب. ونسمع انهم سيخرجون في القريب العاجل قانونا خاصا بتعقيم المجرمين.

هذه البداية، ولسنا ندرى ما النهاية. حرموا النسل على المرضى لخير المجتمع. أولما يرون فيه خير المجتمع، وفرضوه على الأصحاء لخير المجتمع كذلك أو لما يرون فيه الخير للمجتمع. والروح السارية فى هذا كله تقضى بالتضحية بالحرية الفردية لصالح الجماعة. وهى روح تلتئم مع روح العصر المكنى فالجماعة مكنة والافراد قطعها، فهى إن دارت تدور بسرعات مختلفة وفى اتجاهات متباينة، ولكنها جميعا متناسقة متوافقة، تؤدى الى نتيجة محتمة واحدة. هى دوران المكنة على الدوام وبانتظام. فإن شذت قطعة من القطع عن ذلك كان مصيرها ركام القمائم.

لندن فى ١٧ أغسطس — أحمد زكى

الادب الغربى

بقية المنشور على صفحة «٣١»

ارسطو: ـ بل هى حيوانات ولها نفس مثل ما لنا. وهذه النفس تتصل بأعضائها [illegible]

ايقور: ـ اجل يا أرسطو لقد كان ما مهد لها سبيل سعادتها وهناءتها ما بين نفسها وقسما من شبه، فكلتاهما قابلة للفناء معرضة للموت. إما أنت ايتها الاطياف فانظرى فى هذه الحدائق الوقت الذى تفقدين فيه الحياة نفسها وبؤسها مع الرغبة فيها والولوع بها، ولتريحوا انفسكم بالتأمل والتفكير فى هدوء لا يكدر صفوه مكدر.

بيرهون: ـ ما الحياة؟

كلود برنارد: ـ الحياة هى الموت

فسأله بيرهون قائلا: ـ وما الموت؟ فلم يجبه أحد، واختفت الأطياف فى سكون كأنها سحاب يفر من الرياح

وحسبتنى تركت وحيدا على العشب حتى لمحت منيبوس وقد عرفته بابتسامته التهكمية

فقلت له: ـ كيف تحدث هذه الجماعة عن الموت يامنيبوس كأن لم يكن لها به عهد؟ وكيف يجهلون مصائر الانسان كأنهم مازالوا على الأرض!

قال لا ريب ان هذا يرجع الى أنهم مازالوا انسانيين وفانين الى حد ما، فاذا ماولجوا باب الخلود فلن يتكلموا ولن يفكروا، اذ سيصبحون كالآلهة.؟

حنفي غالى

« دائرة المعارف الأســـلامية »

ألفها كبار المستشرقين فى ثلاثين عاماً ، ونقلها إلى اللغة العربية لفيف من خريجى الجامعة المصرية ، وكتب الشروح والتعليقات والردود أعلام الفكر فى مصر والعالم العربى

دائرة المعــارف الاسلامية أوفى المراجع للباحثـين فى الاسلاميات ويعرف المطلعون على ماظهر من أجزائها أن الكثير من فصولها قد جمع الى سعة العلم ودقة البحث حسن الطريقة والارشاد الى المصادر المعتمدة قديمها وحديثها على وجه يستحق الاعجاب كله والثناء ، ولقد همت من قبلكم طائفة من أهـل العلم أن تعرب هذا الأثر العظيم فتخاذلت هممهم دونه على عرفانهم لجليل نفعه وتقديرهم لما يعود على النهضة العلمية عندنا من فائدة . أما أنتم فيسعدكم شباب فى عنفوانه وشوق الى الدرس والجد يحده الذكاء ويمده الأمل ويمده فوق ذلك كله الاخلاص فى العلم والاخلاص فى العمل

« مصطفى عبد الرازق »
أستاذ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

١٣٥٢

المجلد الاول

١٩٣٣

دائرة المعارف الاسلامية

نقلها الى اللغة العربية

محمد ثابت الفندى
ليسانس وماجستير فى الفلسفة

احمد الشنتناوى
ليسانس فى التاريخ وليسانس فى الفلسفة

ابراهيم زكى خورشيد
ليسانس فى التاريخ

عبد الحميد يونس

أما وقـد شرعتم بنقل « معلمة الاسلام » فالعمل عظيم والفائدة محققة . والواقع أن هذه المعلمة من أجمع ما كتب على بلاد الاسلام ورجاله فى هذا العصر . . وفى المعلمة من المقالات الجيدة مالم يكتب مثله بالعربية حتى اليوم مثل مقالات الكرد ، القبط ، مصر ، الهند ، بلاد العرب ، المقوقس ، مسجد ، منبر ، محراب الخ . ومن البلاد التى وصفت والرجال الذين ترجم لهم ما يتعذر ايجاد مصادر له فى الشرق العربى

« محمد كرد على »
رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق

أنه لعمل جدير بالتقدير والاعجاب عمل لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية المقدمة على إخراج هذا السفر الجليل الى اللغة العربية . وإنى أترقب باكورة هذا العمل المجيد كما يرقب الصائم هلال العيد ؟ « يوسف رزق الله غنيمه »
وزير مالية العراق سابقاً

فى رأيى أن هـذا عمل جليل تستحقون عليه الثناء لأنى أرى من الواجب الاطلاع على آراء المستشرقين وغـيرهم من الأجانب فى الدين الاسلامى والحضارة الاسلامية فما كان منها صحيحا تقبلناه بقبول حسن وما كان مخالفا للدين أو للحقائق التاريخية رددنا عليه وبينا خطأه ليكون القوم على بينة من أمرنا وليعرفوا ديننا وتاريخنا حق المعرفة وليعلموا أن بيننا رجالا قادرين على الرد عليهم إذا أخطأوا وعلى إرجاعهم إلى الحق إذا زاغوا

« عبد المجيد اللبان »
شيخ كلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية

إذا كانت أمم الشرق الأدنى قد نامت نوماً عميقا فى القرون المتأخرة فها هو ذا صبحها أخذ يتنفس وطفقتم أيها الأبناء البررة تبنون بالعلم ماهدم الجهل من مجد قديم وتعيدون سيرة آبائكم الأقدمين باشراق شمس المعارف الإسلامية بعد غروبها . وإن فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية لقياماً بثلاثة واجبات واجب دينى وواجب وطنى وواجب مدرسى لمعهدكم الشريف ؟ « طنطاوى جوهرى »

ستصدر الترجمة العربية فى أعداد دورية عدد كل شهرين
سيصدر العدد الأول فى أول أكتوبر عام ١٩٣٣

الاشتراك عن ستة أعداد داخل القطر المصرى ٤٠ قرشاً صاغا
خارج ٧٠

الاشتراكات ترسل إذن بوستة برسم أمين صندوق اللجنة ابراهيم زكى خورشيد بمركز اللجنة : شارع قصر النيل رقم ٣٣ بمصر

الى الواحات الخارجة

جنة الصحراء الغربية

(وجزيرة الناعمين) فى عرف قدماء المصريين

للأستاذ محمد ثابت

تتمة

ولا تكاد تفتح عين جديدة الا رأيت آثار الرومان فيها فيجددون حفرها . والعين ملك لمن جد فى البحث عنها وقام بتطهيرها ، ويساهم كل فيها بنسبة ما بذل من مجهود ومال ، وعلى هذه النسبة يستنبت جزءا مما جاورها من الارض ، والحكومة لاتتقاضى الضرائب على مساحة الارض المزروعة فالناس أحرار يزرعون ما أرادوا منها ، لكن الضريبة تجبى على طاقة العين بغض النظر عما يزرع حولها . فاذا ما ظهرت عين جديدة تشكل لجنة حكومية ثم يسوى مكان عند منفذ العين توضع فى نهايته عارضة خشبية بعرض القناة فتعترض الماء الذى يطغى عليها ويتدفق فوقها ثم يقاس عمق هذا الماء فوقها



العين الجارية يستقى منها الأهلون

وبحسب غزارته تقدر قوة العين قيراطا أو بعض قيراط والضريبة نصف جنيه عن كل قيراط ، ومن العيون ما هو أقل من قيراط ومنها ما يبلغ عشرات القراريط وفى ناحية باريز أكبر عيون الواحات وقوتها من ٥٨ الى ٦٠ قيراطا ، ويقال انها وحدها تستطيع رى مئات الفدادين ، لكن أصحابها لايستطيعون استغلالها كما يجب ، لذلك تجمع من مائها الفائض مستنقع يمتد عشرات الكيلومترات كثر به البط والطير المائى ، ولذلك يقصده الكثير وبخاصة الموظفين للهو والصيد

وتقسيم ماء العين بين الشركاء عجيب أيضا ، فان كان الملاك ثلاثة قسموا القناة الخارجة من منفذ العين ثلاثة أقسام ، يجب أن تكون متلاصقة خيفة تبدد الماء بالرشح فيجرى نصيب كل مالك الى أرضه التى يشترط أن تكون مجاورة لارض باقى الشركاء ، وألا تزيد مترا واحدا عنهم ، ويجب أن يزرع الجميع نوعا واحدا من الغلات ، واذا لم يسعف ذاك التقسيم كل حقل قسموا الرى بالساعات ، ففلان يروى عددا من الساعات مناسبا لنصيبه ، وبعد ذلك يجىء دور صاحبه ، وهكذا واذا اقبل المساء واوقف الرى خيف على الماء الدافق من التبديد لذلك يرسل الماء الى مستودع فسيح يدخر فيه الى الصباح حين يروى الشركاء منه على النظام السالف الى أرضهم المنخفضة عن مستوى ذاك المستودع ، والاراضى حول العيون مدرجة الانحدار كى يصبح الرى ممكنا ، وكثيرا ما كنت ارى المجارى المتقاطعه يسير فيها الماء بعضه فوق بعض مسافات طويلة كل يستمد من عين خاصة به

وكلما مضت السنون على العين ضعفت لكثرة مايتجمع حولها من رمال فيعاد تطهيرها . وكثيرا ما تقارب العين النضوب او ينفد ماؤها ، والعادة انه كلما خرج نبع جديد أغاض ماء غيره أو انضبه

واهم الزراعات : الأرز عماد غذاء الاهلين وهو صغير الحب اسمر اللون لكنه ألذ طعما من رزنا ، وهو فى الطبخ ينتفخ فيزيد حجمه كثيرا . ولعل اكبر ميزاته محصوله الوفير فتوسط غلة الفدان بين ٢٠ و ٣٠ أردبا ، وفى الارض الجيدة يغل أربعين ، على أنه يمكث فى الأرض سبعة شهور . ولعل جودة ذاك المحصول العجيب راجعة الى كثرة الجهد الذى يعانيه القوم فى خدمته ، فزراعته تتطلب عناء عظيما من ذلك : بل النذور بالماء الساخن وبذرها ونقل النبت وهو

صغير من بؤرة فى الارض الى غيرها وتلك العملية تتطلب المثابرة حتى يقارب النضج ، أضف الى ذلك استئصال الطفيليات ، وفى الشهر السابع يبدأ الحصاد وخلال كل أولئك ينشر الفلاح السماد على الارض أولا من روث البهائم ، وأخيرا من فضلات المراحيض . فتراهم جميعا يوالون رمى رماد (الفرن) فى مرحاض البيت كل يوم واذا ما انتهى العام جمع كل ذلك سمادا قويا يعاون على أنبات الارز . وكلما حسنت الخدمة زاد طول السنبلة فحوت بين ٩٠ و ١١٠ حبة وضوعف المحصول وقد يبلغ الخمسين أردبا ولذلك يجرى على السنتهم جميعا المثل القائل : (قل زرعك وأكرمه) . وبعد تمام رى الارز ينصرف الماء الى المنخفضات لاستخدامه فى رى القمح وهو الغلة التى تزرع بعد الارز فى الارض الجيدة وحولها فى الاراضى الرديئة يزرع الشعير ومحصولها دون محصول أرض الريف .

ولما كانت زراعة الارز أساسية ومدته طويلة وهو يتطلب ريا مستديما كثرت لذلك النقائع أغلب العام ، فعاون ذلك على نشر البعوض وبخاصة فى أغسطس وهدد بالملاريا التى كثيرا ما تنتشر هناك ، ولذلك حاولت الحكومة منع زراعته والاستعاضة عنه بالارز الشيتى لقصر مدته ، ولما جربه القوم أنكروه بتاتا وذلك لقلة محصوله .

وكم أعجبت بنزعة القوم الى التعاون فى جل أعمالهم ا ففى الزراعة مثلا لا يلجأون الى إستئجار العمال خصوصا فى موسم الحصاد ، بل ترى فريقا ينتقل بكامل عدده الى حقل الفريق الثانى وينجزون أعمال الحصاد متعاونين ، وهؤلاء يقومون بدورهم فى معاونة الفريق الأول إذا حل ميعاد العمل فى منطقتهم ، وتلك طريقة إقتصادية تبعث على العمل بنشاط وسرعة لا تتوافر فى المأجورين ، والناس هناك هادئو الطباع معروفون بالأمانة حتى أن صاحب النزل كان يترك الفندق مفتوحا بغير حراس رغم وحشة الليل وبعد المكان عن المدينة لأنه واثق أن ليس بين الناس من يحاول السرقة .

غذاؤهم ومشربهم : وعماد القوم فى الغذاء الارز يأكلونه مسلوقا ويضع الفقير عليه الزيت والغنى المسلى وأحيانا يدق الزيتون كله ثم ينخل ويخلط سائله الزيتى الاسمر بالأرز فيكسبه لونا أسود وطعما لذيذا ، وكثيرا ما يطبخ الارز باللبن والملح . والارز أساس وجبة الافطار فى الصباح والعشاء مساء - وهذه أهم الوجبات لديهم - يطهى فى أوان كبيرة من الفخار أو النحاس . أما الخبز فلطعام الغذاء وهى أقل الوجبات أهمية يتناولونها فى الحقول خارج بيوتهم .

ومن أشهر الاشياء لديهم الشاى والسكر والطباق ، فهم يبتاعونها بالغلال عند بدء حصدها ، والتجار يختزنون تلك الغلال ليبيعوها للقوم ثانية اذا نضب معينها عندهم

ولقد أسرفوا فى تلك العادة حتى قيل أن الشاى أتلف كثيرا من صحتهم ومالهم لانهم اذا شربوا عمدوا الى الماء المغلى فصبوه على الشاى الذى يشغل بين نصف القدر (الغلاية) وثلثيه لذلك يصبح منقوعه أسود غليظا ثقيلا ويتناوله حتى صغار الاطفال . وتتكرر تلك العملية فى مجلس الشاى ثلاث مرات ، والناس يتناولون الشاى أربع مرات فى كل يوم : عقب الا كلات الثلاث مباشرة ، والمرة الرابعة عند الاصيل ، ولا يروقهم الشاى الخفيف قط ، لذلك ترى الواحد منهم يضع قطرة منه على ظفره ثم ينكسه فان سقطت نفر منه ولم يشربه فهو لا يستملحه الا اذا حاكى العسل الأسود والعجيب أنهم يحلون ذلك بمقادير كبيرة من السكر . وأذكر انى أخذت صورة عجوز وناولتها قرشا فرجتنى أن اشترى لها به بعض الشاى والسكر



شارع : أعجب ما به الطنف من سعف النخل

بدل النقود وأرسلت خلفى صبيا ليحمل ذلك اليها

وأجمل مناظر الواحة تتجلى فى بساتينها اليانعة تحيط بها أسوار وطيئة من الطين تحفها من اعلاها قحوف النخيل وتتخللها ابواب من الجريد صغيرة وبين تلك البساتين تمتد الطرق وتنساب قنوات الماء الدافق من العيون المجاورة ، وأعظم غلات البساتين البلح والمشمش وكذلك البرتقال وهو من احسن الانواع حجما وطعما

ومن أخطر ما يعانيه القوم طغيان الرمال على البيوت والبساتين والينابيع ، لذلك تراهم يحتالون لمقاومتها ، فالعيون يقام حولها بناء اسطوانى ، أو فى زاوية مدببة حتى لا يتجمع الرمل خلفها ويطمرها . ويغلب أن يزرعوا خلفها صفا من الشجر وبرغم ذلك يغلبهم الرمل ، وكلما احاط بالشجر أو النخل استمر هذا فى نموه السريع وعلا حتى إذا ما بلغ نهاية نموه طمرته الرمال فاختفى وعندئذ يهاجر القوم الى ناحية أخرى ، وكثيراً ما حدث ذلك فى ناحية (جناح) من بلدانهم ، وقد يطغى الرمل على البيت فأن قارب نهاية علوه فتح صاحبه فى جداره بعض النوافذ فيتسرب الرمل الى داخل البيت ويسده ثم يبنى الرجل طابقا جديداً فوق الأول ليسكنه ، وقد يتكرر ذلك الى الطابق الخامس والسادس . وقص على القوم أنه حدث مرة أن سيدة فى المنكس من قرى باريز أنامت طفلتها داخل البيت ولما عادت وجدت الرمال قد تسربت من ثقب فوقها فطمرتها وماتت . وهناك بعض الكثبان الزاحفة على المدينة قاس الناس سرعة تقدمها فكانت متراً فى كل شهر

نبع ينساب ماؤه الى الحقول

ومن الحشرات المخيفة هناك العقارب ، فهى توجد بكثرة مروعة على أن ضررها قليل ويظهر أن سمها أخف من سم العقارب التى فى بلاد الصعيد ، وفى بعض القرى هناك كالمنكس لا تكاد ترفع قطعة من الطوب الا وترى أسفلها قد افترش بالعقارب ، لذلك ترى الاهلين جميعا اذا اقبل الليل خرجوا الى كثبان الرمل العالية وأمضوا ليلتهم فيها ولا يجرؤ احدهم أن يدخل الدار طيلة الليل خشية لدغاتها

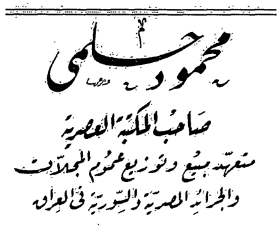
ومما هو جدير بالذكر وبالاغتباط ما شاهدته من عناية محافظ الواحات بصوالح الناس ، فهو دائما يفكر فى خدمتهم وزيادة مواردهم ، وقد أنشأ قسما مستحدثا فى المدينة طرقه نظيفة مرصوفة تحفها الاشجار ، وقد افتتح الطريق الى اسوان لاول مرة ، عاون على فتح الطريق الى اسيوط فقطعته السيارة فى سبع ساعات وهناك طريق معبد الى الواحات الداخلة تقطعه السيارات فى ست ساعات ، وآخر يسير شمالا الى مرسى مطروح . والمحافظ جاد فى بناء مسجد فاخر فسيح الرحاب أحاطه بالمتنزهات

والمستمد العام لماء الشرب نبع احاطته الحكومة بالبناء تتخلله الانابيب والصنابير وذلك محافظة على نظافة الماء ان تلوثه الاوساخ وتعبث به الايدى . يملأ منه السقاءون قربهم والفتيات جرارهم وهى مستطيلة الشكل كى تحملها الفتيات تحت اذرعهن لا فوق رؤوسهن . والاوانى من اخص صناعتها . وكذلك ضفر الأطباق والآنية من سعف النخيل يزينه نقش من الوبر والصوف الملون الجميل

ومجهود القسم الطبى هناك عظيم ، يقوم الطبيب بالعلاج ويصرف الدواء مجانا ويعالج المرضى فى مستشفى كبير زود بأحدث الوسائل وهو فى ناحية من المدينة يولع فى تجميلها وتنسيق حدائقها

ذلك بعض ما شاهدته فى الواحات الخارجة التى ستظل ماثلة أمامى اذكرها بالخير دائما . ولقد أسفت لانى لم أستطع زيارة الواحات الداخلة التى يقول عنها جيرانها بأنها أعم خيرا وأفسح مدى ، سكانها يناهزون ثمانية عشر الفا ، أعنى ضعف سكان الخارجة وانى لأرجو ان أوفق الى زيارتها فى يوم قريب .

محمد ثابت



بليـــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

مليزاند — بل يتحدث الي في بعض الأوقات. إنه لا يحبني وقد قرأت ذلك في عينيه. ولكنه يبادلني الحديث حين يقابلني في طريقه

جولو — لا تحقدي عليه يا مليزاند. إن في طبعه بعض الشذوذ والغرابة... سيغير الزمن هذا الطبع.. إنه في ميعة الصبا وزهرة العمر..

مليزاند — ليس هذا اياه...

جولو — إذن ماذا؟ أتعجزين عن رياضة نفسك على السكون الى الحياة التي تحياها في هذا القصر؟! حقا انه عتيق معتم يخيم عليه سكون رهيب، والطبيعة حوله حزينة صامتة، والغابات الكثيفة تحجب عنه نور السماء، ولكن الانسان يستطيع بالارادة الحسنة أن يألفه ويطمئن اليه... اهتبلي كل فرصة لادخال الانس على نفسك وابتهجي بالحياة كما هي... تكلمي وأفصحي عن رغبتك. سأسير على حكمك وأقف عند مشيئتك

مليزاند — اني لم أر قط السماء صافية... لقد رأيتها لأول مرة في هذا الصباح

جولو — أهذا هو الذي أبكاك يا زوجي العزيزة؟! أتستغرقين في البكاء لانك لا ترين السماء؟! كيف ذلك؟! لست في العمر الذي يبكي الانسان فيه على مثل هذه الأشياء التافهة... جاء الصيف أو كاد، وسترين السماء في كل يوم... وفي العام المقبل... هاتي يدك... أعطني يديك الصغيرتين (يمسك يديها) أوه! انهما صغيرتان أستطيع سحقهما كما أسحق الأزهار الرقيقة... آه! أين الخاتم الذي أعطيتك اياه؟

مليزاند — الخاتم؟

جولو — نعم. خاتم العرس أين هو؟

مليزاند — اعتقد... أعتقد أنه سقط

جولو — سقط؟! أين؟ هل فقد؟

مليزاند — كلا. لقد وقع.. ولكني أعرف أين هو

جولو — أين؟

مليزاند — أتعرف الكهف القائم على شاطىء البحر؟

جولو — نعم أعرفه حق المعرفة

مليزاند — الخاتم فيه... لابد أن يكون هناك... نعم أذكر أذكر الآن كل شيء.. ذهبت اليه في هذا الصباح لأجمع بعض القواقع لاينيولد الصغير... في الكهف منها أنواع ذات شكل وجمال.. وأثناء ذلك انزلق الخاتم على أصبعي ووقع في البحر.. وحان وقت رجوعي الى القصر فغادرت الكهف قبل أن أجد الخاتم

جولو — هل توقنين أنه حيث تقولين؟

مليزاند — نعم: نعم. شعرت به وهو ينزلق

جولو — يجب أن تذهبي الى الكهف للبحث عنه في الحال

مليزاند — آوه! الآن؟ وفي الحال؟! ألا ترى الظـــلام الحالك؟!

جولو — اذهبي في الحال وفي هذا الظلام الحالك. أحب الي أن أفقد كل ما عندي من أن أفقد هذا الخاتم! انك لا تعرفين قيمته ولا تدرين من أين جاء... سيعلوا البحر الليلة ويبلغ جدار الكهف ثم يستحوذ على الخاتم دونك... أسرعي

مليزاند — لا أجرؤ... لا أجرؤ على الذهاب وحدي

جولو — اذهبي... اصطحبي معك أي انسان.. أسرعي.. تقدمي الى بلياس أن يصحبك

مليزاند — بلياس؟! أأذهب الى الكهف مع بلياس؟! ولكنه لن يقبل...

جولو — سيعمل كل ما تسألين إياه. إني أعرف بلياس أحسن منك. اذهبي واسرعي. لن أنام حتى أسترد الخاتم

مليزاند — آوه! لست سعيدة! ما أعظم شقائي! (تخرج باكية)

المنظر الثالث:

(أمام كهف. يدخل بلياس ومليزاند)

بلياس — (يتكلم وهو مضطرب الأعصاب إلى حد كبير) نعم. إنه هنا. لقد بلغنا غاية السرى. الظلام حالك يحجب عن الابصار مدخل الكهف، وكأني به قطعة من الليل البهيم. والنجوم لا تطل على هذه الناحية المتلفعة بالظلمة الداجية. فلننتظر حتى يمزق القمر عن نفسه ستر هذا السحاب الكثيف، وينير الكهف بأشعته الباسمة، فنستطيع الدخول آمنين. ولا يغرب عن بالك أن من الأمكنة ما هو شديد الخطر، والمستدق ضيق وعمر يقع بين بحيرتين لم يسبر غورهما بشر... ولم يخطر ببالي أن أحمل معي مشعلا أو سراجا منيرا... ولكني أعتقد أننا سنجد على ضوء السماء هدى.. ألم تلجي هذا الكهف يوما؟

مليزاند — كلا

بلياس — فلندخل... يجب أن تمائي عينيك بالمكان الذي

فقدت فيه الخاتم كما قلت له ليتسنى لك وصفه إذا سألك عنه . . . ان الكهف كبير فسيح ، ورائع بهيج ، تموج فيه ظلمات تضرب الى الزرقة بعضها فوق بعض . واذا أشعل انسان فيه مصباحا صغيرا خيل اليه أن القبة مغطاة كالسماء بنجوم وكواكب . . . لا ترتعدى هكذا ! خلى عنك الخور فليس هنا من خطر ، وسنقف فى اللحظة التى يغيب فيها عنا الضوء المنبعث من النم . ما الذى يفزع جنانك ؟ أهو صوت الهواء الضارب فى بطن الكهف ؟ أتسمعين عجاج البحر خلفنا ؟ كأنى به غير سعيد الليلة ! . . . آه ! اها هو ذا النور ! . .

(فى هذه اللحظة ينير القمر مدخل الكهف وجزءا من داخله . ويرى فيه ثلاثة شيوخ بيض الشعور فى أسمال بالية ، ينامون على الأرض متلاصقين ورءوسهم متكئة على صخرة كبيرة) .

مليزاند — آه !

بلياس — ماذا جرى ؟

مليزاند — أرى . . . أرى . . . (ثم تشير بأصبعها الى الفقراء الثـــلاثة)

بلياس — نعم . لقد رأيتهم أنا أيضا

مليزاند — هلم نخرج . . . لنذهب من هنا ،

بلياس — انهم ثلاثة شيوخ نيام استبدت بهم الفاقة . . لماذا فزعوا الى الكهف يستعدون فيه النوم على الألم ؟ بالبلاد قحط أليم . . .

مليزاند — تعال معى نغادر هذا المكان !

بلياس — سكنى روعك وتكلمى بصوت خافت حتى لا يستيقظ هؤلاء المساكين . . . انهم ناعمون فى نوم عميق . . . تعالى

مليزاند — . . . دعنى أفضل المسير وحدى . . .

بلياس — سنعود فى يوم آخر . . . (يخرجان)

— الفصل الثالث —

المنظر الأول :

(أحد أبراج القصر تطل احدى نوافذه على طريق مستديرة)

مليزاند — (فى النافذة تغنى وهى تمشط شعرها المرسل)

شعرى الطويل يتدلى
حتى يصل الى أسفل البرج
شعرى ينتظر مقدمك
مسبلا على الحائط طول النهار
أقسم بالقديس دانيال وزميله ميشيل
بالقديس ميشيل ومثله القديس روفائيل
انى ولدت حقا يوم أحد
يوم أحد عند منتصف النهار

(يدخل بلياس من الطريق المستديرة)

بلياس — هيه ! هيه !

مليزاند — من المنادى ؟

بلياس — إنى بلياس . . . هأنذا . . . ماذا تفعلين فى النافذة . وأنت تغنين كطير ليس من هذه الناحية ؟

مليزاند — أرتب شعرى استعدادا لليل

بلياس — أهو هذا الذى أراه على الحائط ؟ . . . ظننت انه شعاع من نور . . .

مليزاند — فتحت النافذة لأن الحر شديد فى البرج . . . ما أجمل الجو الليلة !

بلياس — أرى فى السماء نجوما كثيرة . . . لم أر قط مثل هذا العدد الوفير الذى أراه فى هذا المساء ! ولكن مالى لا أرى البدر ؟ . . إنه ما يزال مطلا على البحر . . . ابتعدى عن الظل يا مليزاند وانحنى قليلا حتى أرى شعرك المحلول (تنحنى مليزاند على النافذة)

(يتبع)

الكتب

عودة الروح

بين العامية والعربية

— ١ —

أشهد أن الاستاذ توفيق الحكيم مؤلف متعب وكاتب ليس بالسهل ولا باليسير، وما عليك ان لم تلحق غباره أو تلم بجميع نواحيه، ويخيل الى أنه كقمة أفرست الشامخة ترسل اليها البعثات من آن لآن، ويرتادها الرواد من شتى جنباتها يحاولون الوصول الى ذلك السمو وارتقاء ذلك الارتفاع الشاهق، ويهيئون لذلك الوسيلة ويأخذون للامر أهبته وعدته. ثم يعودون ليكتبوا عنها المجلدات الضخمة ويضعون في وصفها الاسفار المسهبة؛ وما يزال أكثرها مجهولا فى طى الخفاء، بعيدا عن الثابت من اليقين الذى لايقبل الشك، وتضيع كل الجهود أمام ذروة هذه القمة هباء.

أثارت «أهل الكهف» للاستاذ المؤلف ما أثارت، وأوسع لها النقد الرحاب وهتف لها أكبر الكتاب وأئمة النقاد فى البلد، وارتفع توفيق الحكيم كالطود الشامخ فى مثل لمح من البرق خاطف، واصبح اسمه ملء الاسماع والابصار. ولما يقدم الا رواية واحدة أو قل كتابا واحدا من مجموعة ضخمة يخايل بها الناس ويضن عليهم بها.

ثم نشر قصته «عودة الروح» فدلت على ناحية جديدة من نواحي كفاية هذا الشاب المؤلف، وعلى معين جديد يغرف منه توفيق الحكيم فى حكمة ومهارة ودقة واستنباط، لست تدرى كيف تصفها ولا كيف تصورها صورتها الحق من الجمال والفن

و «أهل الكهف» و «عودة الروح» كتابان جد مختلفين، فالأول قصة قديمة، أو قل اقصوصة دينية صاغها المؤلف فى حذق ومهارة وأتى فيها بكل طريف مبتكر ما قدره النقد وجعله يرفع الكاتب لأول وهلة الى عليين، لانه لم يكن بد مما ليس منه بد. والثانى شدما يختلف عن الاول كل الاختلاف ويفترق عنه فى جوهره ولبابه، وان شابهه فى تفصيله وحبكه. فعودة الروح قصة مصرية، عريقة فى مصريتها، كتبها توفيق الحكيم عن الأشخاص الذين تراهم كل يوم أو تسمع بهم مطلع كل شمس، فقدمهم اليك فى صورتهم الحقة التى تعرفها، أو تحسها ولا تكاد تنكرها، بل ما تراها حتى تتعرف اليها وترى فيها الصورة الصادقة التى تخيلها. وهى ليست الا اشخاصا من صميم المجتمع المصرى أدار المؤلف قصته حولهم، وقدمهم اليك فى لباقة ومهارة ونفث فيهم من روحه القوى المواتى. كما نفث فى أهل الكهف من قبل، واذا بهم أحياء يسعون ويتحركون، يتعاطون من ألوان الحياة ويعانون من ضروبها ما يمر بالكائن الحى كل ساعة وكل يوم، فاذا هم ليسوا تصوير المخيلة ولا وهم القريحة. بل اناس من لحم ودم، محببين اليك، مقربين منك. لانك لاتجهلهم ولست بالغريب عنهم، بل لطالما رأيتهم وتحدثت اليهم وسمعت من أنبائهم واخبارهم الكثير، وكل ما هنالك أن المؤلف انتزعهم من اللحم والدم وضمنهم كتابا من اسطر وكلمات، ولكن ما نزع منهم الروح ولا حرمهم الحياة، فانهم ليحيون حياة موفورة ناضجة، بل كأنهم استمتعوا بدنياهم مرتين، مرة فى الحياة الحقة ومرة بين جلدتى كتاب. وما ندرى أى الحياتين كانت عليهم أجدى ولذكرهم أخلد وأبعد أثرا.

على أن «عودة الروح» أثارت لغطا واثارت نقيدا هجاها ونال أو حاول النيل منها. أو قل على الاصح أن لغة «عودة الروح» هى التى أثارت هذا اللغط واثارت هذا النقد، فما قرأنا حتى اليوم كلمة هجاء او قدح فى الرواية ذاتها، ولعلها فوق أن يتناولها الناقد بالذات، أو انها تسمو فى صميمها عن اللغط. فما كان بد لمن أراد ذلك ان يتناول المظهر ويترك الأصل والجوهر، فلا يطرق بابا يعلم انه لايستطيع ان يلجه فى سهولة ولا فى عسر، مهما جهد أو وسعت له الحيلة

على أن هذا اللغط الذى اثارته القصة كان خليقا أن يثير مناحى من التفكير ليست فى الحق جديدة، وليست مما لم يتناوله الكتاب بأقلامهم قبل اليوم، ولكنها تعاد اليوم فى صورة رحبة فسيحة الجنبات. وتنتهز لها فرصة هى ولا شك أفضل الفرص وأقربها الى خيبة المسعى، وأدناها الى قطع الرجاء. وعندى ان انصار العامية — وما أعرف موقفى منهم على وجه الدقة — ما كانوا يرحبون بفرصة عارضة كهذه الفرصة السعيدة، تثار فيها قضية العامية والعربية من جديد ويكون مثار النزاع ومركز الشجار حول «عودة الروح».

قرأت هذه القصة منذ شهرين لما طلعت شمس يوم الاوفى نيتى ان أكتب عنها ، وما دخل ليل الاوقد هيأت الورق والقلم ، ولكن تمر الايام والليالى وانا متهيب أو كالمتهيب أن آخذ فى حديث عن هذا الكنز فأغفل عن درة من درره ، او تفوتنى جوهرة من جواهره . أو كأنى وقد شغلنى حديث — أبطال القصة — محسن وسنية وسليم وعبده وحنفى وزنوبه ومبروك طوال هذا الزمن . استطبت الحياة مع هؤلاء الأصدقاء الجدد . واستعذبت حديثهم واسترحت الى مايعرضون على من قصتهم وحوادثهم ، والوان شخصياتهم الطريفة البديعة ، فنسيت معهم كل شىء . او حرصت على هذا النسيان ولم أشأ لنفسى ان أحرمها هذا الحلم الجميل . فطال وطال حتى لم يكن بد من يقظة ولو مؤخرة .

وكان لزاما على ان احدث القراء حديث هؤلاء الابطال وما وقع لهم بالتمام والكمال . . . ولكن هذا اللغط الذى ثار حول لغة الرواية لم يكن ليمر دون أن يثير — كما قلنا — كثيرا من التأمل وكثيراً من التفكير ، وكان أولى ان يتقدم فيه القول قبل ان ندلى برأى او كلمة فى القصة نفسها ، وانى لأسأل على دهش منى وعجب ليس بالقليل : أيهما احق بالالتفات والنقد . . . المظهر أم الجوهر ؟ ألثوب أم لابسه ؟ ألقصة أم لغتها ؟

أفهم ان يتناول كاتب قصة ، ينقدها ما شاء له النقد ، ويمدحها او يهجوها ما شاء له المدح او الهجاء ، وما شاء له ذوقه الشخصى وكفاياته واطلاعه ومقاييسه الأدبية ، أفهم هذا وأستسيغه ، واذا ما انتهى الناقد من القصة ذاتها ، وشاء ان ينقد لغتها واسلوبها من حيث اللغة نفسها فلا جناح عليه ، بل لعله المقصر إن لم يفعل إن كان من الخبيرين بهذه الناحية المشهود لهم بالاحسان فيها ، اما ان أدع القصة جانبا فلا أتناولها بخير ولا بشر ، ولا أقول فيها كلمة لينة أو عسيرة ، ثم أقفز قفزة — يالها من قفزة — فآخذ بتلابيب المؤلف لانه كتب بالعامية ولم يكتب بالعربية ، فهذا الذى لايفهم ولايستساغ ولايكاد الانسان يلوكه فى فمه ويجد له طعما أو مذاقا

أيهما الأصل ؟ ألقصة أم لغتها ؟ وأعنى اللغة التى كتبت بها القصة كائن حى خارج عن دائرة اللغة لانها أى — القصة — موجودة لها كيانها وذاتيتها كتبت ام لم تكتب ، وهذه الحياة التى احياها انا وأنت وغيرنا من خلق الله لايستطيع انسان — على ما اظن — أن ينكرها ، وليست هذه الحياة الاقصة من مئات الملايين من القصص . لاينقص وجودها ولا يقل من ذاتيتها كتابتها باللغة العامية أو العربية أو الفرنسية أو الانجليزية أو اية لغة من لغات العالم ولا استثنى الهيروغليفية ، فقصة « عودة الروح » ليست الاإحدى قصص هذه الحياة التى تزخر بالملايين من شبيهاتها فهل نمحوها من الوجود وننكر الاعتراف بوجودها لانها لم تلبس لنا ثوب اللغة الفصيحة

وما قيمة هذه الحياة — هذه الحياة التى تتمثل فى اقصوصة — اذا كنا لانتعرف اليها ولانعترف بها الا فى اسموكنج أو الفراك ؟! فاذا طالعتنا فى زيها الحق ، فى ذلك الجلباب الفضفاض والسروال العريض انكرناها ومررنا بها سراعا غير آبهين أو ملقين النظر ؟ ان فى حوانيت الحائكين آلافا من هذه البذلات الانيقة الموشاة بالحرير والدمقس ولكن يعيينا أن نلمس فى طياتها حياة أو فى أردانها قصة ؟ ! وما علينا بالله لو عنينا بالقصة فى ذاتها فهى ليست مما يستطيعه كل انسان وتركنا هذه البذلة جانبا وهى مما فى مقدور كل حائك ؟!

ما الأصل . . . . ألقصة أم لغتها ؟ وندور لنعود الى سؤالنا الأول . القصة هى الموهبة وهى الخلق ، أعنى انها نتاج الموهبة وهى الثمرة أى الخلق الذى ينتهى اليه الفنان الموهوب ، واللغة اكتساب وتحصيل وأنت واصل بالدرس والمران الى هذه اللغة ولو طالت الشقة ، ولكنك لن توجد من العدم موهبة ولن تخلق من العظام الرميم حياة ولن تهشم رأس انسان لترفع عقلا سقيما وتضع مكانه عقلا خالقا ولو جهدت ولو استعديت كل قوى البشر ، افما كان الاجدر بك والامر كما ترى أن تنظر الى الموهبة لتقدرها قدرها أولا ثم تنظر بعد ذلك فى الاكتساب والتحصيل ؟! وهل تحرم على هذا العامى الجاهل يأتيك من عرض الطريق بمحض الفطرة والعقل الخالق بما لا يستطيعه العالم الجهبذ بعد الجهد والاعياء ؟! نقول هل تحرم على الاول الخلق لمجرد انه جاءك فى ثوبه الطبيعى ولم يحاول ان ينمقه بيد الصناعة ؟! وهل تأخذ عليه انه ينبيك الخبر كما وقع ويحدثك بالامر على لسان أهله كما تحدثوا به ؟

لست ا[illegible]دث هنا عن مذاهب الفن المتعددة فيما نحن بصدده ، وقد أعلم ان الاستاذ توفيق الحكيم قد يحتج بانه ينقل الحياة كما هى ويرد عليه بان الفن ليس فى نقل الصور نقلا فوتغرافيا وان يكن لهذا جماله ووقعه ، وقد يحتج الاستاذ المؤلف بان أشخاص قصته لم يكن لهم ليتحدثوا غير هذه اللغة التى أدار الحوار عليها لانها لغتهم الطبيعية ، بل ولأن هذه هى اللغة التى تحدثوا بها بالفعل لاأكثر ولا أقل ، ويكون من العسير أن تناقش المؤلف فى هذا القول ، لندع كل هذا الآن ولنحصر الجدل فى قضية واحدة فاننا اذا تفرعنا بالقول هنا وهناك ذهب الاصل واشتبكنا فى فروع وفروع

للفروع لانهاية ولا آخر لها، وضعنا وضاع الحق بيننا. وهذه الدائرة التي نريد ان نحصر فيها القول يجمعها هذا السؤال ولنكرره للمرة الثالثة ولو أعدناه للمرة الثالثة بعد المليون ماضجرنا.

أيهما الاصل ... القصة؟ أم لغتها؟! ان كانت القصة هي الاصل وهي الجوهر وهي مدار الحديث وجب أن تكون عناية النقد موجهة اليها، وان كانت القصة القشور واللغة الجوهر فهذه مسألة أخرى.

ولنفرض ياسيدي ان لغة «عودة الروح» كانت هي الانجليزية أو الفرنسية أو الفارسية، فماذا؟ ماذا بالله ياأبا الاسود الدؤلي؟ هل أخذت «احتكارا» باللغة العربية فما يكتب انسان الا بها ولا يدور جوار ما بين القطبين الا على أوزانها وضروبها ونحوها وصرفها؟ ولنفرض ان العامية من العربية كالفرنسية أو الانجليزية منها أفلو أن توفيق الحكيم كتب «عودة الروح» بأية لغة من لغات العالم كنا نرفضها ونأبى ان نعترف لكاتبها بجهد أو فضل لمجرد انه كتب قصته بهذه اللغة أو بتلك؟ افلا نقرأ القصص في لغات العالم فنعجب بها وهي ليست باللغة العربية؟ لست أسأل هازلا أو متندرا بل انى لجاد كل الجد، فاذا كنا نفعل ذلك فما بالنا نقف من قصة بالعامية هذا الموقف؟ ولنفرض ياسيدي ان توفيق الحكيم لايعرف اللغة العربية أفنكسر هذا القلم الذهبي ونخرس هذا اللسان الحكيم ونقبر هذا العقل الخلاق لمثل هذا السبب؟ بل ولالف سبب مثل هذا السبب؟! واى أديب سلمت لغته من الشوائب وهاهو أحد أئمة النقد يصم اسلوب احد أئمة الكتاب بانه لايسلم من الابتذال وكاتب آخر ينال من كاتب معروف ويقول فيه مالم يقل عشر معشاره في توفيق الحكيم؟!

وأيهما اجدى على الدنيا وأجدي على الادب، كاتب ذخيرته الفاظ وكلمات، ام كاتب ملء اهابه الحياة وملء جعبته الدنيا يخرج لنا منها عقله الموهوب زادا دسما وطعاما لنا فيه شبع وري؟ لو اجتمع الكاتبان لكانا أمل الدنيا وأنشودة العالم فاذا لم تشأ حكمة ازلية الا أن تفرق بينهما فأيهما نأخذ وأيهما ندع؟

ان الادب غاية، واللغة وسيلة، وحرام ان نهدم الغاية من أجل الوسيلة، ونغالى من قدر هذه الوسيلة حتى ليتعذر علينا بلوغ هذه الغاية

محمد علي حماد

«الرسالة»: — كلام الاستاذ أشبه شيء بالدعابة، فان أكثره لا يجرى على قواعد الادب ولا أصول الفن، ولعمرى كيف تستطيع أن تفصل المعنى عن اللفظ أو القصة عن اللغة أو الموضوع عن الشكل وليس لأحد منهما وجود فني في ذاته؟ فالقصة قبل أن تلبس اللغة لا تسمى قصة، والالفاظ قبل أن تؤدى المعانى لاتسمى لغة؟

1re. Année, No. 18

Dimanche, 1-10-1933

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
....
الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك
ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....
تصدر مؤقتاً
فى أول كل شهر ونصفه

العـدد الثامن عشر «القاهرة فى يوم الأحد ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ — أول أكتوبر سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العـدد

فرعونيـــون وعرب !

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ! ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح ، ويبعثوا حرباً من غير جند ! !

حلا لبعضهم ذات يوم أن يكون بيزنطيا يجادل فى الدجاجة والبيضة أيتهما أصل الأخرى ! فقال على هذا القياس : أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية ؟ !

نعم قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة النفوس وأعنة الأهواء يقول لها كونى فرعونية فتكون ! أو كونى عربية فتكون ! ثم اشتهر بالرأى الفرعونى اثنان أو ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام فبسطوه فى المقالات ، وأيدوه بالمناظرات ، ورددوه فى المحادثات ، حتى خال بنو الأعمام فى العراق والشام أن الأمر جد ، وان الفكرة عقيدة ، وأن ثلاثة من الكتاب أمة . وأن مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات . والمساجد معابد ، والكنائس هياكل . والعلماء كهنة !

مهلا بنى قومنا لا تعتدوا بشهوة الجدل على الحق ، ورويداً بنى عمنا لا تسيئوا بقسوة الظن الى القرابة ! إن الأصول والأنساب عرضة للزمن والطبيعة : تواشج بينها القرون ، وتفعل فيها الأجواء حتى يصبح تحليلها وتمييزها وراء العلم وفوق الطاقة . فاذا قلنا فلان عربى أو فرنسى أو تركى فانما

نعني بهذه النسبة انطباعه بالخصائص الثقافية والاجتماعية لهذا الشعب كاللغة والأدب والأخلاق والهوى والدين. فبديع الزمان عربي وأصله فارسي، وروسو فرنسي وأصله سويسري، والأمير فلان تركي وأصله مصري، لأن كلا من هؤلاء الثلاثة أصبح جزءا من شعبه. ينطق بلسانه ويفكر بعقله ويشعر بقلبه

فبأي شيء من هذا يماري إخواننا الجدليون وهم لو كشفوا في أنفسهم عن مصادر الفكر ومنابع الشعور ومواقع الالهام لرأوا الروح العربية تشرق في قلوبهم دينا، وتسري في دمائهم أدبا، وتجري على ألسنتهم لغة، وتفيض في عواطفهم كرامة.

لا نريد أن نحاجهم بما قرره المحدثون من العلماء من أن المصرية الجاهلية تنزع بعرق الى العربية الجاهلية، فإن هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل. وكفى بالواقع المشهود دليلا وحجة. هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً وثلثا من التاريخ العربي، نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال. وذلك هو ماضي مصر الحي الذي يصيح في الدم، ويثور في الأعصاب، ويدفع بالحاضر إلى مستقبل ثابت الأس شامخ الذرى عزيز الدعائم

أزهقوا إن استطعتم هذه الروح، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضي، ثم انظروا ماذا يبقى في يد الزمان من مصر. هل يبقى غير اشلاء من بقايا السوط، وأنضاء من ضحايا الجور. وأشباح طائفة ترتل «كتاب الأموات»، وجباه ضارعة تسجد للصخور وتعنو للعجماوات، وقبور ذهبية الأحشاء ابتلعت الدور حتى زحمت بانتفاخها الأرض، وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة؟ وهل ذلك إلا الماضي الأبعد الذي تريدون أن يكون قاعدة لمصر الحديثة تصور بألوانه وتشدو بألحانه وتحيا أخيراً بروحه؟ ولكن أين تسون بالله هذه الروح؟ إن أرواح الشعوب لا تنتقل الى الأعقاب إلا في نتاج العقول والقرائح، فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة تحدثكم عن فلسفة كفلسفة اليونان، وتشريع كتشريع الرومان وشعر كشعر العرب؟

أم الحق أن مصر القديمة دفين فنيت روحه مع الآلهة، وصحائف موت ذهب سرها مع الكهنة، والخامد لا يبعث حياة والجامد لا يلد حركة؟!

لا تستطيع مصر الاسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربي، لأنها لا تجد مدداً لحيويتها، ولا سنداً لقوتها، ولا أساساً لثقافتها الا في رسالة العرب. أمّا أن يكون لأدبها طابعه، ولفنها لونه، فذلك قانون الطبيعة ولا شأن لمينا ولا ليعرب فيه: لأن الآداب والفنون ملاكها الخيال، والخيال غذاؤه الحس، والحس موضوعه البيئة، والبيئة عمل من أعمال الطبيعة يختلف باختلافها في كل قطر. فاذا لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة، ويؤلف بين روحه وروح البيئة، فاته (اللون المحلي) وهو شرط جوهري لصدق الأسلوب وسلامة الصورة. وقديما كان لون الأدب في الحجاز غيره في نجد، وفي العراق غيره في الشام. وفي مصر غيره في الأندلس، دون أن يسبق هذا التغاير دعوة ولا أن يلحق به أثر!

انشروا ما ضمنت القبور من رفات الفراعين، واستقطروا من الصخور الصلاب اخبار الهالكين، وغالبوا البلى على ما بقي في يديه من اكفان الماضي الرميم، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادي وجمال الشعب، ولكن اذكروا دائما أن الروح التي تنفخونها في مومياء فرعون هي روح عمرو، وأن اللسان الذي تنشرون به مجد مصر هو لسان مُضَر، وان القيثار الذي توقعون عليه ألحان النيل هو قيثار امرئ القيس. وأن آثار العرب المعنوية التي لا تزال تعمر الصدور وتملأ السطور وتغذي العالم، هي أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر، وأجدى على الناس، من صفائح الذهب وجنادل الحجارة.

انما تتفاضل الامم بما قدمت للخليقة من خير، وتتفاوت الاعمال بما أجدت على الانسان من نفع. أليس (الخزان) خيراً من الكرنك، والأزهر أفضل من الاهرام، ودار الكتب أنفس من دار الآثار؟

وبعد فإن ثقافتنا الحديثة انما تقوم في روحها على الاسلام والمسيحية، وفي أدبها على الآداب العربية والغربية، وفي علمها على القرائح الأوربية الخالصة. أما ثقافة (البردي) فليس يربطها بمصر العربية رباط، لا بالمسلمين ولا بالاقباط

احمد حسن الزيات

عــــدل السماء

للأستاذ حسن جلال
القاضي بالمحاكم الأهلية

الفرق بين عدل السماء وعدل الأرض هو بعينه فرق ما بين السماء والأرض . . !

فأما أهل الأرض فقد سلك كل منهم طريقاً لتحقيق العدل في بلاده . فهذه دولة محاكمها تطبق قوانينها على الناس كما هو الحال في فرنسا وفي مصر . وتلك دولة أخرى تجري محاكمها على سنن الأحكام التي أصدرتها المحاكم من قبلها كما هو الحال في انجلترا . وهؤلاء قوم لهم عادات مقررة وعرف موروث فتنعقد مجالسهم كلما دعا الحال لتحكيم تلك العادات وذلك العرف بين المتقاضين ، وهذا هو شأن العرب المقيمين في مناطق الحدود المصرية . وأولئك قوم غيرهم يلجأون الى السحرة والكهان للفصل في قضاياهم كما هو الحال عند بعض قبائل افريقيا الوسطى . . .

وكل هذه الهيئات انما تجري على النظام الذي اختارته ، لأنها تعتقد أنه أكفل الطرق للوصول الى العدل . وليس من شك في أن كلا من هذه النظم له نقائصه . ولكنه على كل حال آخر ما وصلت اليه الهيئة التي اختارته في سبيل تحقيق العدالة بين أفرادها .

والخلاصة أن الانسان لم يصل بعد إلى درجة الكمال في تشريعه، وأنه بحاجة الى موالاة الجهود في سبيل بلوغ هذا الكمال .

* * *

والسؤال الذي يجيش بالنفس بعد هذه المقدمة هو :

هل يستفاد مما سبق أن الظلم يملأ هذا العالم . وأن العدالة فيه مستحيلة التحقيق ؟

الواقع غير ذلك ! بل ان المشاهد في معظم الأحوال أن العدالة محققة في هذه الدنيا . وأن الناس راضون عن طريقة توزيعها بينهم . ومهما يكن من أمر الحالات التي يدل ظاهرها أحيانا على أنها لم تتوفر فيها عناصر العدالة فان (عدل السماء) غلاب . وهو الذي يتولى في هذه الحالات إقامة الميزان بين الناس . وما ربك بظلام للعبيد !

* * *

حدثني أحد الزملاء المحامين قال :

وقعت جناية قتل في البلدة التي أعمل فيها ، واتهم في تلك الجناية شاب من خيرة شبانها . ينتمي الى أسرة من كبار الأسر فيها . فجاءني عمه يوكلني بالدفاع عنه . وأقسم لي أغلظ الايمان أن ابن أخيه بريء . وأن أهل القتيل اتهموه لضغينة قديمة بينهم وبين أسرته ، وأن القاتل معروف في البلد . وأن أهل القتيل هم أول من يعرفه . ولكنهم إمعانا في الانتقام يريدون أن يأخذوا في قتيلهم رجلين . . واحداً يأخذه لهم القضاء بحكمه . وواحداً يقتصون منه بأنفسهم كما هي العادة عند معظم أهل الصعيد . ولما كان القاتل الحقيقي هينا عليهم فانهم استبقوه لأنفسهم وتركوا أمر هذا الشاب للقضاء .

قال صاحبي : فلما وقفت على هذه المعلومات حفزني الأمر الى مضاعفة العناية بالقضية . فاطلعت على أوراقها بكل دقة ويقظة ، فوجدت أدلة الاتهام فيها قوية ناطقة . ورأيت جملة من شهود الاثبات تطابقت أقوالهم في محاضر التحقيق ، وقد عجز المحقق عن أن يحدث ثغرة فيهم تدل على تلفيقهم . اذ قرروا جميعاً أنهم رأوا المتهم وهو يطلق النار على القتيل . وأنهم شاهدوه عقب ذلك وهو يفر . ووصفوا اتجاه سيره أدق وصف ، ونوقشوا في ألوان ملابسه وفي نوع سلاحه وفي غير ذلك من التفصيلات فكانت أقوالهم دائما واحدة لا تحريف فيها ولا تبديل !

أزاء ذلك استولى اليأس على صاحبنا المحامي ، ولم يبق له من القوة على الدفاع إلا قوة يقينه هو بأن المتهم بريء بناء على تأكيدات عمه . .

وحل موعد المحاكمة فتوجه إلى المحكمة . ونودي على القضية ، وسئل المتهم عن تهمته فأنكرها بكل شدة . وسمعت أقوال الشهود فإذا هي نفس أقوالهم في التحقيقات . وترافعت النيابة فقالت إن القضية لا تحتاج إلى نور جديد وأن أقوال الشهود قاطعة في الادانة . ونهض الدفاع وحاول أن يثير

ما استطاع من الشكوك حول موقف المتهم، ولكن الحكم صدر في النهاية بمعاقبة المتهم بالأشغال الشاقة المؤبدة . . .

***

عاد المحامى فى ذلك اليوم إلى مكتبه مكتئبا حزينا على ماحل بهذا الفتى التعس . ولقيه هناك عمه فألفاه على هذه الحال . فابتدره المحامى بالسؤال عن كيفية اتفاق الشهود على كل تلك التفصيلات التى شهدوا بها إن صح ما يدعيه هو من أنهم ملفقون .

فقال له الرجل : إن الشهود قد شاهدوا القاتل الحقيقى فعلا وهو يرتكب جريمته . واتفقوا فيما بينهم (لارتباطهم بأسرة القتيل) على أن يرووا كل ماشاهدوه ولكن منسوبا إلى المتهم الحالى بدل أن ينسبوه إلى فاعله الأصلى . ومن هنا جاءت أقوالهم كلها متطابقة ، لأنهم إنما يقررون من الوقائع ماوقع فعلا تحت سمعهم وبصرهم !

***

وهنا يقول صاحبي إن ثورة عنيفة أدركت نفسه ضد هؤلاء المزورين الذين تمكنوا من مخادعة القضاء الى هذا الحد ، والتوسل به إلى إنزال العقاب الذى يشاءون على من يشاءون . ولكنه آنس شيئاً من استسلام غير عادى يغلب على نفس عم المتهم ، بينما هو يعانى من ثورة النفس شدتها وغليانها . فلم يكتم صاحبه مايجول بخاطره . وهنا رفع عم الفتى رأسه وقال : الحق يا أستاذ ان الفتى يستحق العقاب الذى أنزله به القضاء . فسأله المحامى فى دهشة :

— وكيف يتفق ذلك مع ما قدرته الآن من أنه لايد له فى هذه الجريمة ؟ فقال الرجل :

إنه وإن كان لايد له حقيقة فى هذه الجريمة إلا أنه فى الواقع هو الذى قتل (فلانا) من أهل البلدة المجاورة لبلدتنا ، ولكنه ظل أمره مجهولا من رجال الحفظ حتى هذه الساعة ! فأن كان القضاء قد أدركه اليوم فأنما هو (عدل السماء) قد حققته قدرة الله الذى هو من وراء كل شىء محيط ، وبما تخفى كل نفس عليم !

فى الخريف

كل شىء فى الكون ران وقرا ... وسرى فى جوانح النفس سحرا
أسفر الجو وانجلت صفحة الأفـ ... ـق وفاحت مناكب الأرض نشرا
فى ربوع يطول عمر شتاها ... إذ يوافى ويقصر الزهر عمرا
نحمد الشمس يوم تطلع فيها ... بضياء ، ونحمد الله عشرا
رف فيها الخريف حسنا وطيباً ... فتسامى على الربيع وأزرى
نفضت نومها الحياة وقامت ... بعد طول الحجاب ترفع سترا
أبرزت من جمالها وحلاها ... كل سر فما تكتم سرا
ذهبت تنثر الجمال فلم تسـ ... ـتثن فى الماء أو على الأرض شبرا
نثرته بلا نظام فأرضى الـ ... ـفن فوضى وأعجب العين نثرا
أودعت سحرها هواء وحصبا ... ء وماء يسرى وعشباً وصخرا
يسرح الطرف حيث شاء فما يسـ ... ـرح إلا من فتنة صوب أخرى
مزج حسن ورقة وبهاء ... ألفته لونا وضوءا وعطرا
هو فى العين ما أرق وأندا ... ه وفى الصدر ما ألذ وأطرى
ترتوى الروح منه نهلا وعلا ... فهى نشوى أنى تنقل سكرى
كسيت الأرض خضرة وتغشت ... ربوة ربوة وغوراً فغورا
فزكا النبت فى تلاع وقيعا ... ن توالى فى الأفق طيبا ونشرا
راق منه ما تهادى على الأر ... ض نديا وما تشامخ كبرا
وذكاء وسط الفضاء توارى ... خلف غيم يمر فى الجو مرا
ثم تبدو فتغمر الكون إينا ... سا إذا الغيم عن سناها تفرى
فى سماء نقية تأخذ العيـ ... ـن اغتراقا وتفعم الكون بشرا
معرض النور سرت فيه الهوينى ... مطلقاً فى الخيال نفسى حيرى
تتملى بدائع الكون أو تنـ ... ـظم فى صفحة الخواطر شعرا
عند نهر عذب التسلسل ما تا ... بعته بالمسير إلا اسبطرا
حفه العشب كاسيا ضفتيه ... مطلعاً حوله قتاداً وزهرا
أرسل العين تجتلى الحسن صفوا ... أو تقصى من سالف العمر ذكرا
فهى فى مسرح الطبيعة جذلى ... آنة أو مع التذكر عبرى
ورفيقى فى السير سفر بكفى ... لم أطالع مما يحدث سطرا
من تهادى سفر الطبيعة مبسو ... طاً إليه فكيف يحفل سفرا ؟

اكستر — انجلترا

فخرى أبو السعود

ثروة تضيع

للأستاذ أحمد أمين

هي ما خلفها لنا الجيل الماضي القريب، وتسلمناها منه يداً بيد، ولست أعني ما خلفه من شعر ونثر وكتب في مختلف العلوم والآداب، فهذه قد حفظناها ونشرنا بعضها وعنينا بها الى حد ما، إنما أعني ما صدر عنهم من قول وعمل، وما كان يدور في مجالسهم من حديث ظريف أو نافع، وما وقع لهم من أحداث، وكيف تصرفوا فيها، وأنماط مجالسهم وأحاديثهم ومجتمعاتهم، ونحو ذلك مما يدلنا على حقيقة شخصيتهم، ويفيدنا في تعرف مجتمعهم، ويعين المؤرخ بعدُ على رسم صورة صحيحة صادقة لحال المجتمع في ذلك العصر وقدر نابغيه

كان لعلي باشا مبارك «صالون» كبير في بيته بشارع المظفر يغشاه عظماء الرجال والشبان وطلبة المدارس. وكان يدور فيه كل ليلة من ألوان الحديث وشتى المقترحات ما ينبغي أن يسجل، ومثل ذلك في منزل عبد الله باشا فكري ومحمد باشا قدري ورفاعه بك وأمثالهم، وكان نوع أحاديثهم ومباحثاتهم شيقاً ممتعاً يصور عصرهم خير تصوير، ثم كان صالون كصالون الأميرة نازلي هانم «بعابدين» يختلف اليه قادة الفكر وعظماء الرجال في العصر القريب، يتحدثون فيه عن الشرق والغرب، وتثار فيه أفكار لها قيمتها وخطرها، وكان نمطهم في أحاديثهم وتفكيرهم يخالف ما كان عليه رجال علي باشا مبارك وأمثاله — وكان غير هذه الصالونات مجتمعات وأحاديث ونوادر وفكاهات في البيئات المختلفة من بيئة فلسفية كبيئة السيد جمال الدين، أو دينية اجتماعية كبيئة الشيخ محمد عبده، أو فكاهية كبيئة الشيخ حسن الآلاتي، أو بيئة المغنين أمثال الحامولي ومحمد عثمان، وكان يجري في جميعها أقوال وأفعال هي أدل على الذوق المصري والتفكير المصري والخلق المصري من كل ما خلفوا من مؤلفات ومجلات وصحف.

هذه الثروة التي لا تقدر آخذة — مع الأسف الشديد — في الضياع، وليس يدون منها — فيما أعلم — شيء يذكر، وأكثر الذين عنوا بترجمة هؤلاء الرجال أساءوا اليهم وإلى التاريخ كل الاساءة، إذ كانت ترجمتهم ترجمة رسمية، اقتصروا فيها على اسم المترجم له والمولد وتاريخ الولادة، والمناصب التي تولاها، والأعمال التي تولاها، والكتب التي ألفها، وغير ذلك مما يعد من الأعراض، فأما الجوهر، وأما شخصية الرجل، وأما حياته الاجتماعية التي تدلنا على من هو من قومه، ومن هو في نفسه، فلا يعرضون لها بشيء. وقد كان السابقون الأولون على تقدم عصورهم — أصح نظراً، وأحسن أداء، وأوفى للتاريخ، فبين يدي الآن جزء من كتاب الأغاني فتحته حيثما اتفق فوقع نظري على ترجمة ابراهيم الموصلي، فذكر نسبه ونشأته، وذكر حكايات عدة حدثت له مع غلمانه وجواريه وأصحابه، وما وصل اليه من الأموال وما ورثه أهله، وأحاديث عن مروءته، وأحداثاً حدثت له مع الرشيد ويحيى بن خالد، وكيفية تعليمه الغناء للجواري، واتصاله بالخلفاء وسيرته معهم، وعدد الأدوار التي غناها، وعشقه ومن عشق، وأثر أصواته في الناس، الى آخره مما يستطيع الأديب أو المؤرخ أن يضع له صورة دقيقة تمثله، ويضع لمجتمعه رسماً واضحاً بينه — وبين يدي كذلك الجزء الأول من كتاب جامع التواريخ المسمى «نشوار المحاضرة» للتنوخي، يقول في سبب تأليفه: أنه قد أجتمع قديماً مع مشايخ فضلاء، علماء أدباء، قد عرفوا أحاديث الملل، وأخبار الملوك والدول، وأحاديث البخلاء والظرفاء والعلماء والفلاسفة، والأغنياء وقطاع الطريق والمتلصصين، (وعدّد كل أصناف الناس)، وكانوا يوردون كل فن من تلك الفنون على حسب ما تقتضيه الحادثة، وتبعثه المفاوضة، فلما تطاولت السنون، ومات المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن، ولم يبق من نظرائهم الا اليسير الذي إن مات ولم يحفظ عنه ما يحكيه، مات بموته ما يرويه، عمد من أجل ذلك الى تدوين هذه الأحاديث في كتابه. والتزم أن يذكر فيه فقط ما يدور في المجالس مما لم يذكر في كتاب — ويقرؤه القارىء فيجده يصور عصره أجمل تصوير، وكتب الجاحظ لم تترك صغيرة ولا كبيرة من أخبار عصره وأحداثه الاجتماعية من الخصيان والغلمان، والبخلاء والظرفاء، والنبات والحيوان، إلا أحصته وشرحته في دقة واسهاب.

وما لنا نذهب بعيداً والعصر الذي نسميه مظلماً أنتج مثل الجبرتي، الذي دوّن من الأحداث وتاريخ الرجال في عصره ما لم نفعله نحن لعصرنا

أما كتبنا نحن فقد عمدتُ الى خيرها وأخرجت منه ترجمة رفاعه بك، فوجدته يسرد ولادته وتاريخها والمدارس التي دخلها

ورحلته الى أوربا، والوظائف التى تولاها بعد عودته، واسماء الكتب التى ألفها أو ترجمها، وسنة وفاته - ولكنك تتساءل بعد قراءتها: من رفاعه بك؟، ما معيشته الاجتماعية؟، ماشخصيته؟، ماعلاقته بقومه؟، فلا تجد شيئاً من ذلك - هذا حال رفاعه بك الذى ملأ اسمه كل مكان، فما بالك بأمثال المغمورين ظلماً، أمثال الشيخ حسن الطويل والشيخ حسين المرصفي وأمثالهما

بل بالأمس القريب مات حافظ ابراهيم، وكانت حياته الاجتماعية أغنى ماتكون حياة، كل ليلة يغشى جمعا أو يغشى بيته جمع، فيملأ المجلس بأحاديثه العذبة، وفكاهاته الحلوة. وهى - فى كثير منها - تفوق مادونه الأقدمون من ملح ونوادر - ولعلها إن جمعت ودونت أفادت تاريخ الادب وتاريخ الاجتماع أكثر مما يفيده ديوانه، ومع هذا لم ينشط أحد لتدوينها، ولم يلتفت لقيمتها، وسيعفى عليها الزمن الذى عفى على ملح المويلحى والبابلى، وفى ذلك خسارة لا تقدر. ولقد حدثت بعض الادباء فى ذلك ورجوته فى هذا العمل، فاعتذر بأن أكثر النوادر انما يحسن اذا أديت باللغة العامية، وتفقد قيمتها اذا حكيت باللغة الفصحى، ولكن ماهذا الكبر على اللغة العامية، والسابقون من أعلام الأدب لم يكونوا يتحرجون من ذكر النادرة الحلوة باللغة العامية، اذا لم يحسن الاداء الا بها، كما فعل الجاحظ فى البيان والتبيين، وابن زولاق فى أخبار سيبويه، والابشيهى فى المستطرف.

ان فى ذمتنا للجيل القادم عهدا أن نسلم إليه تاريخه كاملا متصل الحلقات كما تسلمناه، فإذا نحن لم نفعل فقد أضعنا الأمانة وخنا العهد - وفينا بحمد الله رجال شهدوا الجيل الماضى، وكان لهم من المنزلة ما استطاعوا معها أن يخالطوا البيئات المختلفة، ويطلعوا على خفاياها ودخائلها، ولهم من الذكاء وحسن النظر وصدق الرواية وقوة الحافظة وبلاغة اللسان والقلم، ما يمكنهم من الأداء على أحسن وجه، أمثال الهلباوي ولطفى السيد فى نوع من الأوساط، والنجار والسكندرى فى نوع آخر، والسيد محمد الببلاوى وكبار علماء الازهر فى أوساطهم، وهكذا - فهل يشاركوننا فى الشعور بما لديهم من ثروة حافلة، وفى الشعور بما عليهم من تبعة، فيقدمون للجيل الحاضر والقادم أثمن عمل تاريخى؟ فأن لم يفعلوا فهل للشبان أن يدركوا قيمة ماعندهم فينشطوا للاتصال بهم، وتدوين ما يأخذون عنهم، قبل أن تضيع الثروة، وتفلت الفرصة - أطال الله فى أعمارهم؟

العام الدراسى الجديد

مما أملاه علينا أساتذتنا فى دروس التربية أنه كان الغرض من إنشاء المدارس فى مصر إعداد الموظفين الذين تحتاج اليهم الحكومة فى دواوينها

فلهذا أنشئت وعلى هذا كان نهجها. ولقد نجحت مدارسنا فى ذلك نجاحا مشكورا - - -

تخيلت لها الحكومة الموظف الذى ترجوه. فأعدت المدارس للحكومة التلميذ الذى يكون منه ذلك الموظف - تخيلت الأولى فى موظفها أن يكون فى عمله من غير بصر ولا سمع ولا إحساس - فجاءت الثانية إلى عين التلميذ ففقأتها. وإلى أذنه فأصمتها. والى إحساسه فأماتته. حتى أنه ليسير فى طريقه على أعين الناس وأفئدتهم، وبين أنينهم وعويلهم ثم تسأله: ماذا رأيت أو سمعت؟ فلا يكاد يذكر لك شيئا. ذلك لأن مدرسته أخذته بالانقطاع عن كل شىء مهما صادفه. وهو يرجو أن يكون عندها محمودا

تخيلت الأولى فى موظفها حينذاك أن يكون غمرا خاملا جبانا، يرى فى رئيسه مايراه الجهلاء فى آلهتها. فجاءت الثانية بحولها وطولها تفرغ فيه كل هذه إفراغا، مرة باسم الأخلاق! وأخرى بالقهر والعسف. حتى تم لها ماأرادت - وأمتعت تلك الحكومات بهذا النوع من الموظفين

والآن وقد غصت الدواوين بالموظفين وفاض المتخرجون فى المدارس. حتى اصبحوا عيالا على ذويهم. وكلا على أهليهم إلا القليل منهم ممن اشتغل بعمل ما كان يخطر له على بال

فهل آن لرجال التربية والتعليم أن يعلنوا انقضاء أجل ذلك الغرض. وينادوا بالغرض الصحيح الذى يقوم الاخلاق والعقول والأجسام ليأخذ الأبناء قسطهم من الحياة كاملا - ويؤدوا ماعليهم لبلادهم أحسن أداء؟؟ ذلك ما ننتظره

ارادات الدقهلية. ابراهيم مصطفى ناصف

الرسالة الثانية :

من الأستاذ توفيق الحكيم

الى الدكتور طه حسين

عزيزي الدكتور

قرأت الرد ، ومرة أخرى أتأمل ما بيمينك : هذه العصا عجيبة التركيب ، انك لاتلمس شيئاً حتى ينقلب إلى حق ، حق كبير يبتلع كل رأى ، ويلقف كل حجة . تلك عصا الأستاذية . ما كنت أجهل انك حاملها فى هذا العصر . نحن متفقان . ولا خلاف بيننا فى الغاية . وهو مطلبنا . هنالك تفاصيل أفترق فيها عن الدكتور ولن أعود إليها . فأنا أفزع من النظر إلى الوراء ، خشية أن أتحول إلى تمثال من الملح . أوحتى إلى تمثال من الذهب . نفسى تصدف أحياناً عن الفكرة الجامدة مهما تكن خالدة ، ويحلو لى احياناً أن أثير الأفكار عابثاً من نافذة قطار . ان رسائلنا فى حقيقتها لاتعدو اكثر من أثارة الغبار فى أرض نائمة مفروشة بالحصى . لسنا نصدر أحكاما بهذه الكتب السريعة . انما نحن نطرح مسائل ونلقى بفروض سوف يلتقطها ويجمعها الباحثون المتقطعون يوم تستيقظ الأجيال . اتفقنا اذن . أو ينبغى لنا أن نتفق على أى حال ، حتى نتصرف إلى شيء جديد . إن البحث عن الجديد هو الخليق عندى بالجهود . ولقد فتح لنا اليوم باب الجديد الأستاذ أحمد أمين . قال لى ذات مساء انه يضع كتاباً فى أصول النقد ، ويود أن يوليني شرف المشاركة فى البحث من بعض وجوهه . النقد ؟ لفظ رن فى أذنى . وذكرت للفور ان رسالتى الأولى للدكتور كان موضوعها « الخلق » . وقلت فى نفسى ما يمنع من اتمام الكلام فى رسالة ثانية يكون موضوعها « النقد » واذا الامر ينكشف لى عن قضية كبيرة : أنعد النقد كالخلق خاضعا لسلطان التيارات الفكرية الثلاثة التى ذكرها الدكتور : التيار المصرى القديم ، والتيار العربى ، والتيار الأوربى ؟ أم نعد النقد كالعلم لايخضع لمثل هذه المؤثرات ؟ أما أنا فلن أجيب من فورى عن هذا السؤال . فأنا أكتب ولا أدرى أين يحط بى القلم . دعنى أولا أنثنى على هذا النغم بعض « تقاسيم » دون أن أعنى الآن بالغاية . ان الغاية أحيانا رخيصة بجانب الوسيلة على الأقل فى نظر الفن . لأن الغاية فى الفن لا تبرر الوسيلة . الحياة كذلك . تلك القطعة الفنية التى أبدعها الخالق . أهى شيء غير وسيلة متينة التكوين ؟ ألها معنى فى غير ذلك الطريق المبين الذى أوله ضباب وآخره ضباب ؟ خط هندسى رسم على لوح الوجود . كيف ابتدأ ، كيف انتهى ؟ لايعنى ذلك علم الهندسة . إنه خط بين نقطتين وكفى . ليس لنا أن نسأل عن غاية الحياة ، ولا عن غاية الفن ، ولا عن غاية العلم . إن الغاية لا تهم . انما المعنى كله فى الوسيلة . الحياة هى الطريق . العلم هو الطريقة . الفن هو الأسلوب . أما الغاية فلا غاية . وهل يرتجى من العلم أو من الفن أو من الحياة غاية مطلقة يوماً من الأيام ؟ محال . ما نحن إلا أسلوب الخالق . ما الكون إلا أسلوب . الأسلوب كل شيء عند كل خالق وفى كل خلق . ان الخالق أعظم من أن يحبس إرادته الخالدة فى حدود . غاية ، لفظ يدل بذاته على معنى الانتهاء . فى اعتقادى أن كلمة « غاية » هى من صنع العقل البشرى الصغير . هذا العقل المحدود الذى يضع كل شيء دائماً داخل حدود ، ويأبى إلا أن يكون لكل شيء أول وآخر . إنما الخلود فى الأسلوب . لأن الأسلوب لا أول له ولا آخر ، فهو شيء كائن دائماً ، لا علاقة له بالزمن . إن رجل الفن ، وهو المقلد الأصغر للمبدع الأكبر ، يدرك أن الفن لا يعيش بالغاية . لأن الغاية فانية كاسمها . وإنما يعيش الفن بالأسلوب . لقد انقضت الغاية من تشييد الاهرام ، وفنيت الغاية من بناء البارتينون . دفن الموتى أو عبادة الآلهة الغابرين غاية قد ماتت وبقى أسلوب الفن وحده خالداً فى الأهرام والبارتينون . خدمة الانسانية غاية العلم فى نظر البسطاء . ولو سئل عالم فى ذلك لابتسم : « مالى وللانسانية ! إنما أنا أبحث عن سر أسلوب الصانع الأعظم . إنما هى لذة البحث وحدها . إنما هى طريقة البحث وأسلوبه . ولولا ذلك السرور الذى يملأ نفسى إذ ينكشف لعينى الباحثة عن جمال أسلوب الله لما تجشمت النصب فى سبيل العلم ، ولما كان للعلم هذا المعنى الرفيع . » المخترعات كذلك ليست غاية العلم . هى تطبيق للعلم . إنما العلم هو البحث الخالص المجرد عن كل غاية وعن كل استغلال . لقد كان الاغريق يبحثون ولا يطبقون . فيثاغورس مثل من أمثلة الأسلوب الخالد للعلم الخالص . الاسلوب اذن هو محور النقد كما هو عماد الخلق ، وكلمة الأسلوب رحبة عميقة كالبحر ، فى جوفها كل كنوز المعرفة التى يصبو إليها البشر . ولعل كل ما أوتيه الإنسان من سليقة سامية منذ أول الأزمان ليس الا انعكاس أسلوب الخالق فى نفس الانسان . هذا المنطق الذى نشأنا عليه ، ونرجع اليه فى كل حياتنا ، هذا الاحساس بالنتيجة والسبب ، هذا الشعور بالتناسق والتناسب ، هذا الادراك للصلة التى تربط الشيء بالشيء ، من أين جاءنا هذا نحن البشر ؟ أهناك مصدر آخر غير أسلوب الخالق ؟ فتحت البشرية عينيها فألفته حولها .

فهو موجود قبلها وقبل الخليقة كما يوجد الرسم والتصميم قبل البناء.

إن أسلوب المبدع فى صنع الخليقة هو وحده المنبع الأزلى لهذه الصفات كلها: المنطق، ارتباط السبب بالنتيجة، والشيء بالشيء، والجزء بالكل، والتناسق والتناسب. صفات هى بعينها صفات الأسلوب السليم لكل عمل فنى عظيم. أسلوب الله هو المعلم الأول والأخير. وما أول صورة رسمها الانسان على الأحجار وعظام الحيوان سوى اعلان شعوره الخفى بتلك الصفات. إن رجل الفن الأول هو أول انسان عرف «المنطق» صفة فنية بعد أن كان المنطق سليقة سامية تسبح فى أنحاء نفسه ولا يعرف ماهى. إن المنطق الذى شيد الأهرام صورة محكمة لهو المنطق الذى شيد الكون. ما المنطق؟ ما معنى المنطق؟ سره فى تلك المرآة العظيمة الصافية التى تحيط بنا كالجدران: الوجود. أجمل مثال للمنطق فى الأسلوب ينبغى لرجل الفن والأدب والعلم أن يطيل فيه النظر. كل شيء فى هذا الوجود مصنوع على طريقة واحدة وعلى قاعدة واحدة. ما القاعدة التى بنى عليها الوجود؟ هى القاعدة التى بنيت عليها الأهرام. هى قاعدة كل بناء: التماسك بين الأجزاء فى كل واحد متسق. هذا التماسك ما علته وكيف يكون؟ قانون أستطيع أن أفرغه كما يفعل الرياضيون فى صيغة بسيطة من لفظين: «الأخذ والعطاء». كل شيء فى هذا الوجود يحيا على نمط واحد. وكل حياة فى هذا الوجود لها مظهر واحد: أخذ وعطاء فى حركات متصلة متشابهة(١): زفير وشهيق عند الإنسان والأحياء، اكتساب واشعاع عند النجوم والأشياء: الأخذ والعطاء قانون التماسك والاتصال فى حياة الفرد والمجتمع والأمة والأمم. وفى حياة الاخلاق والسياسة والاقتصاد. وفى حياة المادة والروح. وفى حياة الأرض والأجرام والسدم. ليس فى الوجود شيء لا يأخذ ولا يعطى. وليس فى الوجود شيء يعطى ولا يأخذ. كل شيء يعتمد على كل شيء فى هذا الكون. بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا. وكل خلق بنيان. ولا بنيان بغير وحدة شاملة، ولا وحدة شاملة بغير تضامن بين الحجر والحجر، وبين الجزء والجزء. هذا التضامن وليد ذلك القانون: «الأخذ والعطاء». ليس هذا كل المنطق فى صنع الوجود، أنما المنطق فى تركيب ذلك القانون. ما قوام الأخذ والعطاء؟ هل يكون أخذ وعطاء إلا بين كائنات متشابهات؟ ما الحال لو أن الخالق أبدع وجودا آخر على أسلوب آخر، فصنع أناسا يعيشون بالزفير ولا يعرفون الشهيق. ومخلوقات تأكل ولا تصرف، وأجراما تكتسب الحرارة والضوء ولا تشع؟ أى اتصال يمكن أن يقوم بين كائنات خلقت على غير أسلوب واحد؟ لا اتصال. وحيث لا اتصال لا بناء. لا خلق ولا بناء اذن فى الكون أو فى الفن بغير وحدة الأسلوب. كذلك فى مادة الأجزاء. هل يقوم أخذ وعطاء بين أجسام لا تتحد فى مواد البناء؟ أى اتصال بينى وبين أخى وابنى لو ان الخالق صنعنى من عناصر غير عناصرهما، فجعلني من يابس ورطب وجعلهما من نور ونار وغاز وبخار؟ أى ارتباط لو أنه جعل كل مخلوق منفردا بمادته وهيئته وعناصره عن كل مخلوق. أى هرم يمكن أن يشيد بأحجار، أحدها من صخر، وآخر من عجين، والثالث من ورق، والرابع من طين؟ لا ارتباط بغير تشابه وتماثل. ولا تضامن بين أجزاء غير متجانسة فى التركيب. إن كل ما نحس وجوده يتحد معنا فى بعض العناصر. بغير هذا ما كنا نعترف له بوجود. إنا نعرف الأجرام لأن أجسامنا تعرف الحرارة والضوء والحديد. التشابه شرط الأخذ والعطاء. الاختلاف كذلك شرط آخر. وهل يقوم أخذ وعطاء إلا بين كائنات مختلفة؟ ما الحال لو أن الخالق صنع كل شيء ككل شيء، فجعل كل رجل ككل رجل، وكل جرم ككل جرم؟ طبع واحد، ومنظر واحد، وحجم واحد. أليس هذا التشابه المطلق ينفى الشخصية؟ وحيث لا شخصية فلا أخذ ولا عطاء؟ ولا تماسك ولا اتصال؟ وهل من صلة بينى وبين غيرى إلا لاختلاف شخصه عن شخصى وما عنده عما عندى؟ وهل رابطة الأجرام إلا اختلافها فى الأحجام؟ الجاذبية، الحب، هل علتهما إلا اختلاف النسب فى القوى والأشكال؟ ان مثل هذا الكون المتماثل لا يمكن كذلك أن يشيد أو يوجد. مثله مثل قصة تمثيلية أشخاصها لهم عين الاسم والجسم والطبع والحظ، يتكلمون عين الكلام، ويتحركون عين الحركات، ويتصرفون عين التصرفات! أى علاقة يمكن أن تنشأ بين هذه المخلوقات؟ وهل يشعر أحدهم بوجود الآخر؟ وهل يدرك أحد منهم معنى كلمة «أنا»؟ لا بد من بعض الاختلاف بين الكائنات حتى يتميز كل كائن من الآخر: ومتى تميزت الأشخاص والأشياء والأجزاء نشأ بينها الأخذ والعطاء، سر التماسك فى كل بناء.. ها هنا اذن قوام التناسق: «التشابه لا كل التشابه، والاختلاف لا كل الاختلاف!» (بيتهوفن الذى كشف لى منذ ست سنوات عن سر التأليف بين صوتين فى عين الوقت. لاحظت أنه يجمع بين صوتين متشابهين لا كل التشابه مختلفين لا كل الاختلاف. وأدركت أن لا تناسق بغير هذا. فلو أنه جعل الصوتين متشابهين كل التشابه لفنى أحدهما فى الآخر، وما ميزنا شيئاً غير صوت واحد. ولو أنه جعلهما مختلفين

(١) تعريف شخصى للحياة، أدنى الصحة بالقياس إلى تعريف: «كلود برنار» العلمى الصحيح.

كل الاختلاف لاستحال على الأذن أن تصل بينهما وهما متباعدان متنافران. فأساس « التناسق » في الموسيقى والفن كأساس التناسق في الحياة والكون : إئتلاف بين الأجزاء لا كل الائتلاف، واختلاف بينها لا كل الاختلاف. ملاحظة أخرى داخل القوسين: كلامي عن المصرية والعربية في رسالتي الأولى ليس الا رغبة مني في فرز خصائص أمم هذا العالم العربي الذي أخشى انحلال آدابه. انما الحب والتضامن في اختلاف ما عندنا عما عند اخواننا الجيران بعض الاختلاف. إن التشابه مضمون باللغة الواحدة والتراث الواحد. فليبحث كل منا عن شخصيته المميزة في ماضيه الطويل بأكمله. المصري في مصر القديمة وما بعدها من عصور. والسوري في فينيقيا وما بعدها. والعراقي في بابل وما بعدها وما قبلها من تواريخ الخ الخ... كل يستخرج من بطن الأرض التي يحيا عليها كل محاسن طبيعتها وكل كنوز ماضيها ان الفن ابن الأرض. الولد للفراش والفن للأرض. انى أقول بالمصرية والعراقية والسورية الخ الخ لا للانفصال بل للاتصال، ولا للتعصب بل للحب. ان اليوم الذي تزهو فيه لكل منا شخصية قوية هو اليوم الذي يكثر فيه التعامل بيننا والارتباط. أما فناؤنا جميعا في شخصية العرب الغابرين فأمر لا يمكن أن يكون، لأنه يخالف طبيعة الأشياء. ان لكل أرض صفحات من التاريخ سابقة على عهد العرب. ماذا نفعل بهذه الصفحات؟ أنمزقها كما يصنع البرابرة المتوحشون أم نطالعها ونستخرج منها ما يفيد الانسانية؟ لابد أن يكون لكل أرض لون. ولكل أرض اسم ورسم وجسم. ولقد كان الأمر كذلك حتى ايام دولة العرب. فكانت الشام غير العراق غير مصر غير الأندلس. والفن والشعر والأدب أظهر دليل على وجود الفروق الجلية، وعلى صدق ذلك القانون: تشابه بين تلك الأقطار لا كل التشابه. واختلاف بينها لا كل الاختلاف. فكيف يكون الأمر اليوم غير ذلك؟ وتغضب اذ تكون هناك مصر وهناك شام وهناك عراق؟ مثل ما كانت دولة العرب أمس. ينبغي للعالم العربي اليوم أن يكون. » وحدة شاملة وكتلة بنيان في شئون السياسة والذود والدفاع، وشخصيات متنوعة الألوان في شئون الفن والخلق والابداع. »

جملة القول عندى أن اسلوب الله في صنع الكون هو وحده منبع الفن، هو وحده مصدر ذلك الادراك الانساني للجمال منذ مبدأ الأجيال. أما نقاد القرن التاسع عشر فلا أحسبهم رفعوا أبصارهم الى هذا الأسلوب مستلهمين. انما هم قد خروا امام تمثال العلم ساجدين، أنظارهم خاشعة ترنو في رجاء إلى شعاعين من الكهرباء صادرين من عدسات عينيه الجامدتين. القرن التاسع عشر قرن تأليه العلم. فلقد بهر العلم العالم بانتصارات جاءت متواليات، فاذا الأدب والفن والفلسفة كلها تهرع اليه تقر له بالغلبة والسلطان. واذا كل شيء يطلب الى العلم تفسيرا. واذا العلم في نشوة الظافر وبسمة الواثق لا يأبى أن يقضي فيما يعنيه وفيما لا يعنيه. واذا العلم وهو علم المادة يريد أن يتحدث في شئون الروح. واذا سئل عن الروح قال دونكم هذا الطريق وأشار إلى عين الطرائق التي أدت إلى الفوز في شئون المادة: التحليل والتركيب والتجربة والقياس والاستنتاج والاستقراء الخ. بهت العالم لنظرية النشوء والارتقاء. وآمن الناس أن أصلنا من ماء وخلايا حية وحيوان ظل يسمو في المرتبة على مدى الأزمان حتى بلغ القرد جد الانسان! نظرية جميلة، خلب جمالها اللب على الرغم من بشاعة ذلك الجد الغول. أما صدقها فجائز من حيث المادة والأجسام. وهنا تبدو قضية: أتصدق هذه النظرية على الروح أيضا وشئون الروح؟ الاحساس بالجمال: أيخضع أيضا للنشوء والارتقاء؟ نعم، نعم، نعم. كذلك قالت المدرسة الإنجليزية (سبنسر، جرانت ألن، رسكن). وكان لابد لهذه العقول التي فتنتها نظرية التطور في المادة أن تبرز للناس نظرية التطور في الجمال (١).

وعجب الناس لنظريات علم طبقات الأرض وعلم الحيوان وعلم الحياة، وأبحاث (لا مارك) في تأثير البيئة والمناخ وظروف الحياة على طبيعة الأجسام، فقامت المدرسة الفرنسية (هيوليت تين) (٢) تخرج للفكر والأدب نظرية للجمال والفن: الوحي فيها والإلهام مقاييس الحرارة وموازين الأحجام!

بل أني لأرى أصبع العلم قبل ذلك بقرن يقود المدرسة الألمانية إلى نظريتها في الجمال (٣).

ولم يكف العلم هذا التوجيه والتأثير بل تناول بيديه في هذا العهد الحديث جسم الجمال: وأعمل فيه المشرط والمسبار (علم النفس الحديث) (٤): قضى الأمر، وخرج الجمال من حدائق الفلسفة إلى معامل العلم..!

لست أزري على طرائق العلم. فهي وسائل البشرية التي لا تملك غيرها. وأذكر يوم كنت أرصد وقتاً للتفكير في هذه المسائل اني بسطت أمام نفسي هذا السؤال الساذج: الحيوان ما علمه بالجمال؟ حصان بين مهرتين إحداهما جميلة مليئة شهباء

(١) Grant Allen : L'évolution esthétique

(٢) H. Taine : Philosophie de l'art

(٣) Kant : La Critique du Jugemnt

(٤) G. Thoma :Traité de Psycologie

والأخرى قبيحة هزيلة عرجاء ، إلى أيتهما يميل ؟ ماترددت يومئذ أن أقول فى ثقة واقتناع : « الى الجميلة يميل ، ماوجه الترجيح ؟ لست أدري ، وحبذا التجربة فهى الحكم الفصل ! » . لكنى يومئذ كنت أفكر تفكيراً صرفا فى قهوة صاخبة أعتدت أن آوى اليها للتفكير الهادىء . فأين لى بالخيول والأفراس أجرى عليها التجاريب ؟ فها أنذا أقر بأن التجربة وسيلة بشرية طبيعية للوصول إلى المعرفة . وأقر بأنى شعرت يوماً بالحاجة الى ممارستها فى شئون الجمال . غير أنى على الرغم من هذا لا أحب أن أعتقد ببساطة أن نظريات العلم فى شئون المادة تصدق دائماً فى شئون الروح . لا شىء يستطيع أن يقنعنى بأن احساس الجمال وليد تطور ونشوء . بى رغبة أن أصيح بغير دليل فى يدى أن إدراك الجمال ولد كاملا فى قلب الانسان منذ رفع بصره وبصيرته إلى اسلوب الله فوعاه . انى أخشى أن نقع فى الغلط إذ نطبق نظريات المادة فى مسائل الروح . وهل يستطيع الدكتور أن يجيز قول رسكن وجرانت ألن فى الالياذة : « ... ما كان يعنى الأقدمون بالطبيعة ولا بجمالها إلا حين تصلان بعيش الانسان . ففى الالياذة ما كان يوصف منظر طبيعى لذاته ، بل لمنفعته للانسان ، كأن يكون مكانا خصيبا يفيض بالحنطة أو تكثر فيه الجياد . ما كانت الطبيعة سوى إطار للحوادث والأشخاص ، لا إنها لذاتها محل للوصف . أن الطبيعة لم تحب لذاتها الا فى العصر الحديث ، حيث استيقظ الاحساس بها احساس صاف خالص لا تشوبه شائبة النفع أو المصلحة ... »

ماذا أقول فى هذا الكلام ؟ أهو جهل بمشاعر الأقدمين ؟ أم تورط فى تطبيق نظرية التطور والنشوء ؟ اتصدق حقا أن الشعور الرفيع بجمال الطبيعة لم يعرفه القدماء خالصاً لدنوهم من الحيوانية ؟ أتصدق أن « هومير » لم يحس جمال الطبيعة لذاتها ؟ أهذا رسكن يقول هذا الكلام ؟ أما أنا فقد مضى كلامى فى الطبيعة والقدماء . ورأيى الذى أبديته فى رسالتى الأولى أن الأقدمين كانوا أقرب منا !! الط. . . نهما . لقد كان الأقدمون يحسون أنهم جزء من الطبيعة رغم من اعانها . أما رسكن وألن أو الانسان الحديث فلا يحس الا ذاته الآدمية منفصلة عن الطبيعة وعن كل شىء . دليلى فن القدماء من مصريين وأغريق . أهذا فن قوم لا يحسون الطبيعة لذاتها ولا يدركون قوانينها وأساليبها ؟ ! الى هذا الحد يصل الانقياد الى النظريات ؟ من أجل هذا لا أريد التمكين للعلم حتى يجلس على عرش التقدير شريك . أحب طرائق العلم . لكنى أخشى نتائج العلم . فلنرتفع بالروح قليلا . لست اريد أن أضع الروح تحت مبضع العلم ، رهبة منى أن يشقها فيجدها غلافا أجوف . وإنى لا أنسى يوم شاهدت تشريح جثة آدمى للمرة الأولى . أى قلق يومئذ مزق إيمانى بقيمة الانسان ! كلا . انى كرجل من رجال الروح لا أريد أن أفجع فى خير ما أعيش به وله . يريح نفسى دائماً أن أقول أن عقل العلم لايكفى . ولا بد دون إدراك الجمال والروح من العودة إلى القلب . أريد ألا يخرجنى العلم من ذلك الايمان الذى كان يضىء فى قلوب المصريين القدماء . إيمان قربهم من الخالق ، فاذا هم ببصائرهم العميقة العجيبة أول آدميين استطاعوا فهم أسلوب الله والنفوذ الى قوانين إبداعه . إن أقصى العلم الإيمان . أحب ذلك العلم المؤمن الشاعر الذى عرفه أيضاً الفلكيون العظام فى القرنين السادس عشر والسابع عشر : كوبرنيك ، وجاليليه وكبلر ، آخر قطرة من ذلك العلم الممزوج بالايمان ، كانوا ينظرون الى الكواكب كما نظر اليها من قبل المصريون الأقدمون . لا بعين العقل بل بعين القلب أيضاً . كانت السماء والنجوم فى نظرهم مخلوقات حية . كانوا أيضا يحسون فى كتلة النجوم وفى هذا الكون بأكمله الروح الخالقة ويد المبدع الأعظم . ما أروع هذه العبارة من كبلر ، فيها تلخيص جميل لكل مايملأ نفسى : « ... كل الخليقة ليست الا سمفونية عجيبة فى مجال الروح والأفكار كما هى فى مجال الأجسام والأحياء . كل شىء متماسك مرتبط بعرى متبادلة لا تنفصم . كل شىء يكون كلا متناسقا . ان الله قد خلقنا على صورته ، وأعطانا الاحساس بالتناسق . كل ما يوجد حى متحرك ، لأن كل شىء متتابع متصل . كل كوكب وكل نجم إن هو إلا حيوان ذو نفس . أن روح النجوم هى سر حركتها ، وسبب ذلك الحب الذى يربط بعضها إلى بعض ، وتعليل ذلك النظام الذى تسير عليه الظواهر الطبيعية : ... »(١) أولئك رجال ساروا فى بيداء العقل دون أن ينسوا دليل القلب . أولئك هم العلماء العظام ! أرى الدكتور قد استشف رأيى بعد هذا التمهيد . نعم ولا أخشى أن أجيب الآن عن السؤال فأقول ان التيارات الثلاثة التى ذكرها الدكتور تصدق أيضا فى النقد كما تصدق فى الخلق . أما التيار الاوربى فى النقد فهو المرتكز على العلم . ولقد وصل الينا هذا التيار بالفعل وتأثرنا به . وان بعض كتب النقد التى ظهرت فى مصر الحديثة تنم عن هذا الاتجاه العلمى . وهو أمر لا بأس به ، بل هو واجب محتوم ، على شريطة أن نقرن به ونضيف إليه عناصر جديدة ووسائل أخرى مستخرجة من أرضنا وتراثنا إذا أردنا أن ننشىء لآدابنا طريقة شخصية كاملة فى النقد . فأما التيار المصرى القديم فهو النقد المعتمد على الذوق ، أى سليقة المنطق والتناسق . وهو عند المصريين القدماء

(١) Kepler : Harmonices Mundi «1619»

سليقة المنطق الداخلي للأشياء والتناسق الباطن أي القانون الذي يربط الشيء بالشيء. أى جمال للأهرام غير ذلك التناسق الهندسي الخفي وتلك القوانين المستترة التي قامت عليها تلك الكتلة من الأحجار ! جمال عقلي داخلي . كذلك اسلوب الخالق لا يعنى بالجمال الظاهر وحده في خلق الطبيعة . فأى جمال للثعبان والجمران ؟ ان الجمال الظاهر نسبي لا يقدره غير الانسان . انما المنطق الداخلي للأشياء هو كل جمالها الحقيقي . هذا المقياس المصرى القديم للجمال ما أحسبه قد أثر بعد في حياتنا الفكرية أو في أحكامنا الفنية . أما التيار العربي القديم فهو النقد الذي قوامه ذوق الحس . أى سليقة المنطق الظاهر والتناسق الخارجي . الجمال عند العرب هو الجمال الظاهر الذى يسر العين ويلذ الأذن . أنستطيع أن تتخيل العرب تبنى الأهرام أو تقدر فيها جمالا ؟ لقد جاء العرب مصر وتحدثوا بجمال نيلها وأرضها وسمائها ولم يروا في الأهرام الا شيئاً قد يحوى نقوداً مخبوءة ، أما بناؤه فشيء لا يحسب في الفن . انما الحسن عند العرب حسن الهيئة قبل كل شيء . المساجد كالعرائس تكاد تخطر حسنا بزخارفها ، زينة للناظرين . بغير هذا فلا عمارة ولا فن . الشعر رنين لذيذ ، وخيال جميل ، ومعان لطيفة ، وألفاظ مختارة ظريفة ، بغير هذا فلا شعر ولا فن . الجمال عند العرب جمال انسانى . والفن عندهم شيء صنعه الانسان لنفسه وللذته . الفن العربي القديم فن انسانى دنيوى . والفن المصرى القديم فن إلهي ديني . لهذا اختلفت المقاييس في الجمال بين الفنين . احدهما يعنى بالتناسق الذى يروق الانسان ، والثانى يعنى بالتناسق الخفى بغير التفات الى الأنسان . ولعل المقياس العربى القديم هو في مصر المنفرد حتى اليوم بالحكم في قضايا الشعر والأدب . ولعل أقرب مثل إلى الذاكرة ذلك الحكم الذى أصدره الدكتور على بيت للاستاذ العقاد :

هى كأس من كؤوس الخالدين   لم يشبها المزج من ماء وطين

ألم يكن مقياس الدكتور في التقدير ذلك الذوق الحسى وذلك المنطق الخارجي الذى يربط الألفاظ ، فوجد اتصالا غير متسق بين الكؤوس والطين سمع له شيئاً كالطنين يشوب صفاء الرنين ؟ هذا المقياس العربى ذو الابرة الدقيقة عجيب في تسجيل كل انحراف عن منطق الالفاظ . انما هنالك في اعتقادى منطق آخر مستتر أمره يعنى المقياس المصرى .. ترى لو ان الدكتور رجع اليه أما كان يحكم لبيت العقاد لا عليه ؟ أما كان يرى فيه تناسقا داخليا محكما هو كل ما عنى بأدائه الشاعر ؟

انى يوم قلت بمزج الروح بالمادة في آدابنا كان يجب على أيضاً أن أقول بوضع المقياس المصرى في النقد بجانب المقياس العربى .

وبعـــد ، فانى ولا ريب قد استأثرت منك ومن وقتك بمقدار لا حق لى فيه . غير أنى لولاك ما وضعت افكارى في رسائل . انما أنا أكتب لك . أى ضمان أنت في الشرق لحياة الفكر والبيان ! وهل أستطيع أن أنسى ما كنت لى وما تكون ؟

إنى أضع بين يديك كل اخلاص ؟

كوم حمادة في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٣   توفيق الحكيم

من فخرى بك البارودى

عضو مجلس النواب بدمشق

الى الاستاذ احمد أمين

(والضحى والليل) (يا أحمد أمين)

أنت في التاريخ ذخر الباحثين
أنت في الآداب ركن ثابت
أنت في (الأخلاق) نور المهتدين
أنت مهـــدت سبيلا واضحا
كان وعراً مرهقاً للسالكين
إن ما جئت به معجزة
ذكرتنا معجزات المرسلين
(فجرك) الباسم أحيى أملا
كان يذوى في صدور الناشئين
(وضحاك) الضاحك اليوم بدا
مثل بدر في ليـــالى التائهـــين
قل لعبّـــادى وطه تمما
نشر اجزائكما للقارئين
ان وعد الحر دين فألى الا
وعد واشفوا غلة المرتقبين
نحن والاخوان في الشام على
مثل حر الجر في المنتظرين

البطل في صورة ملك

للمهندس الشاعر علي محمود طه



تألق كالبرقة الخاطفه
وجلجل كالرعدة القاصفه
مبين من الحق في صوته
صدى البطش والرحمة الهاتفه
يخوض الغمار دماً أو لظى
ويركب للمأرب العاصفه
يطير على صهوات السحاب
ويمشي على اللجة الراجفه
ويقتحم الموت في مأزق
ترى الأرض من هوله واجفه
تمزق في جانبيه الرياح
وتنفطر السحب الواكفه
وتشتجر الرجم الهاويات
وتعتنق الظلم الزاحفه

عشية لا القلب طوع النهى
ولا العقل تأسره العاطفه
ولكنها وثبات الجرىء
على عثرات المنى الخائفه
شعوب تعالج أصفادها
وتأبى الحياة بها راسفه
صحت بعد إغفاءة الحالمين
على لجة الزمن الجارفه
وحسبك بالدهر من منذر
كرب يعاقب من خالفه

رأيت السفينة في بحره
تنازعها اللجج القاذفه
مددت يديك فأرسيتها
أماناً من الغمرة الخائفه
وخلفك من (يعرب) أمة
إلى النور فازعة شاعفه
نضت (فيصلاً) من صقال السيوف
يقبل فيه الضحى شارفه

أعدت لها مجدها المجتبى
وبوأتها الذروة الشائفه
بناء من السؤدد العربي
دعمت بتالده طارفه
جلت فيه (بغداد) عهد الرشيد
وأحييت لياليها السالفه
وأرسلتها بعد نسيانها
حديث النباهة والعارفه
فوا أسفا كيف روعتها
بفقدك في الليلة السادفه
صحت (برن) منك على نبأة
تسيل البروق بها راعفه
رمى الغرب بالشرق إيماضها
فرد الشموس به كاسفه

أناخَ على سَرَوات العراق
فقصَّفَ أفنانَها الوارفه
طوى فجرُها بَسَماتِ المنى
وأسكت أوتارَها العازفه
ومصطبحين هوت كأسُهم
حُطاماً على الشفة الراشفه
أفاقوا على حُلم رائع
كأنَّ بهم فَزَعَ الآزفه
يردُّون بالشك صوتَ اليقين
وتصدُقُه الأعينُ الذارفه
وإنى لأسمع ما يسمعون
صدى الويل فى صَخَبِ العاصفه
وكيف؟ وقد كنتَ نجمَ الرجاء
إذا قيلَ ليس لها كاشفه
وما عرفوا عنك نقصَ التمام
يبَغ الصحيحة بالزائفه
تَحفّك أُبّهةُ المالكين
ونفسُكُ عن زهوها صادفه
سَرَت[1] بالوداعة فى بأسها
سُرَى النسْم فى الليلة الصائفه
وتحملُ عنهم من العبء ما
تخِرُّ الجبالُ له خاسفه
وتهزأ من صَرَعات الردى
وتُمسى على أمرهم عاكفه
إلى أن طوتها وأودت بها
غوائلُ تطوى الدجى خاطفه
فراحت ترِفُّ على كفها
رفيفَ الندى فى اليد القاطفه
وما هىَ إلاَّ دُموعُ الأسى
هَمَتْ من جراحاتها النازفه
وما نسيتْ (دجلةُ) انها
بشَطّيْهِ حائمة طائفه
تباركهم من سماء الخلود
وتدعو (لغازيِّهم) هاتفه

(1) الضمير فى كل ما يأتى يعود الى النفس.

مناظر من موقعة صفين

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

(تتمة)

وكان معاوية معروفا بالمغالاة فى التوسل بهذه المكائد فى سبيل الانتصار. فاذا اردنا أن نعرف سبب نجاح مكيدة المصاحف فلابد لنا من أن نفرض أن صفوف على لم تكن خالية من عيون معاوية، وليس التدليل على ذلك ببعيد المنال. فقد ارتفع فى أثناء القتال صوت بعد صوت يحاول احداث الفشل فى صفوف المقاتلين. غير أن الظروف لم تكن قد تهيأت لذلك بعد. فقد قام شيخ من شيوخ الازد فى اثناء المعركة فجعل يرثى قبيلته وينعى من مات منها فى سبيل نصرة على وجعل يقول: «والله ما هى الا ايدينا نقطعها بأيدينا، وماهى الا اجنحتنا نجذها باسيافنا... الخ» غير أن صيحته اضمحلت فى حماسة اخوانه وماتت فى جلبة المعركة. وكان رئيس ربيعة متهما بالميل الى معاوية، وقد حدث فى اثناء القتال أن انهزم بعض الضعفاء من ربيعة مع ثبات أهل الرايات والشجعان. وقد انصرف ذلك الرئيس منهزما عندما شهد فرار أول المنهزمين، فلما رأى ثبات سائر اصحابه عاد واعتذر عن هربه قائلا إنه كان لا يريد الا إرجاع المنهزمين.

فلا بد لنا من أن نفرض وجود هذه التيارات الخفية التى كانت تعمل فى جيش على حتى تستقيم الصورة وتصبح ملائمة لطبيعة الامور. وكان على لا يحفل بالبحث عن مثل هذه الدسائس. بل لقد كان اذا عرفها ورأى عند صاحبها شبهة البراءة لم يمد اليه يدا بسوء. وكان على من الشجاعة والاستهانة بالموت فى المحل المعروف، وكانت شجاعته هذه تجعله يترفع عن ان يعبأ بكشف هذه المكائد أو مقابلتها بمثلها. فقد كان رجل كفاح صريح.

على أن هذه التيارات الخفية لم تكن بأدعى الى فشل على من اضطراب الاهواء بين أصحابه. اذ قد كانت الاهواء تعصف ببعض قلوب من معه، وكان مسلكه الحر لا يكبح هذه الأهواء بل كان يكتفى بان يشير الى المبدأ السامى الذى يسعى اليه، ويحض الناس على التمسك به، ويكلهم بعد ذلك الى نفوسهم ومقدار ما فيها من الايمان والحرص على الحق. فكان بعض قواده يتنافسون فيما بينهم فلا يعبأ بأن يلتفت الى تلك المنافسة، بل يحاول أن يصرف حماستهم الى مقصدهم الاسمى. وانا ضاربون هنا مثلا بصاحبين من اصحابه كان بينهم تنافس خفى أدى الى نتائج جليلة فى وقعة

صفين ، ونعنى بهذين : الأشعث بن قيس والاشتر النخعي وهو مالك بن الحرث.

كان الاشعث بن قيس كما تقدم حاكما على اذربيجان فى مدة خلافة عثمان، فلما قتل عثمان وتولى على لم يخرج عليه، بل بقى على عمله واخذ البيعة له. وأما الاشتر فقد كان من أهل العراق وكان رئيسا له شهامة وفيه صرامة ، وقد غضب على حكام العراق فى أيام عثمان وثار بهم حتى كان يمنعهم من الاستقرار والحكم. ثم سار الى المدينة مع جماعة من أصحابه فكان من رؤساء الثوار الذين حاصروا عثمان بالمدينة. ولما قتل عثمان كان هو متكلم القوم والساعى فى اختيار الخليفة الجديد حتى اختير على ، فكان من أكبر قواده ، وكان الاشتر من أصلب قواد على عودا وأحصفهم رأيا ولعله كان من أكبرهم اخلاصا فى رغبة الاصلاح العام والعدل فى حكومة الدولة العربية .

غير أنه كان صارما لا يقبل هوادة، ولا يدارى فى رأيه . وكان يأخذ على على أنه قدم الاشعث بن قيس وجعله من قواده. لانه كان من اكبر رءوس الثوار على عثمان فلا يثق فيمن سبقت لهم ولاية الحكم فى أيام عثمان .

فلما كانت موقعة صفين تقدم الاشعث فى يوم القتال على الماء فابلى أحسن البلاء حتى تصايح الجنود بأن الاشعث هو صاحب الفخر فى ذلك اليوم ، وكان المنتظر بعد ذلك ان نراه فى طليعة القوم فى كل المواطن . غير انا لا نكاد نسمع له بعد ذلك ذكرا فى مدة القتال العظيم بين الجيشين وقد دام اكثر من عشرة أيام ، فى حين أنا نجد بطل القتال هو الاشتر مالك بن الحرث ، نراه فى عين القتال وقلبه . وأنى سار نجد النصر والحماسة

أكان هذا عفوا غير مقصود ؟ اذن فاسمع ذلك الانفجار الذى حدث بين الاشتر والاشعث لتعلم مقدار ما كان فى أعماق نفسيهما من الحقد والكراهة. لما رفعت المصاحف وطلب معاوية التحكيم انقسم الرأى فى جيش على . ولسنا بسبيل عرض هذا المنظر وانما نقصد أن نقول ان الاشعث بن قيس كان من أول القواد الذين رضوا بالتحكيم وايقاف الحرب . وسعى فى ذلك سعيا كثيرا على حين كان الاشتر قد قرب بجنوده من قلب جيش معاوية حتى اصبح على وشك الوصول الى شخصه ، وحتى فكر معاوية فى الانهزام والهرب ، وقد اضطر على عندما رأى انقسام أصحابه وفشلهم الى ان يرسل الى الاشتر يأمره بايقاف القتال والانصراف عن العدو ، وقد أبى الاشتر وتردد ثم اضطر الى الطاعة وهو كاره ساخط ، فلما عاد الاشتر الى على ورأى ما رأى من سعى الاشعث فى تضييع النصر من يده ثارت حفيظته وكان بينه وبين الاشعث منظر عاصف . قال الاشتر « اولستم قد رأيتم الظفر لولم تجمعوا على الجور ؟ » فقال الاشعث حانقا « انك والله ما رأيت ظفرا ولا جورا » ثم تدارك الامر بعد ذلك وعلم أنه قد أنكر امرا عرفه الجميع . فخاطب الاشتر موادعا . قال « هلم الينا فانه لا رغبة بك عنا » فقال الاشتر غاضبا « بلى والله لرغبة بى عنك فى الدنيا للدنيا والآخرة للاخرة . ولقد سفك الله عز وجل بسيفى هذا دماء رجال ما انت عندى خير منهم ولا أحرم دما » فسكت الاشعث « وكانما قصع على انفه الحمم » غير انه استمر على سعيه فى ايقاف القتال حتى تم الامر واعلن للجند، وكان الاشعث هو الذى سار فى اعلانه. ثم أن الاشعث كانت له صولة اخرى عند كتابة الصحيفة التى كتب فيها التعهد، والتى ذكر فيها اسم الحكمين ، وموقفه ذلك يدل على ما كان فى قلبه من الحقد والحفيظة على على والاشتر . اراد على ان يختار عبد الله ابن عباس ليكون الحكم المختار من جانب على ، فثار الاشعث ومعه جماعة فقالوا لا نرضى بغير أبى موسى الاشعرى وهو رجل غير موال لعلى ، وليس من الذين نهضوا معه الى حرب معاوية . فراجعهم على فى ذلك وقال اذا لم ترضوا بابن عباس فانى اختار الاشتر . فثار الاشعث عند ذلك ثورة عظيمة وقال : « وهل سعر الارض غير الاشتر ؟ وهل نحن الا فى حكم الاشتر ؟ » قال على مراجعا : « وما حكمه ؟ » قال : « ان يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما اردت وما اراد » لم تكن هذه لغة الاشعث يوم القتال على الماء . فما اشد ما حقد على على والاشتر فى أثناء الاقامة عند صفين . أليست الحرب جهد المستميت ؟ وهل يستميت مثل الاشعث اذا كان قلبه مليئا بمثل ذلك الغيظ ؟

لا نستطيع ان نقول ان الاشعث قد باع نفسه لمعاوية على احداث ما كان ، ولكنا لا نستطيع الا أن نلمح ما تولد فى قلبه من الحقد والكراهة ، فأما حقده فعلى ذلك المنافس الناجح وهو الاشتر ، واما الكراهة فكانت للخليفة الذى لم يتح له فرصة التصدر والرياسة بعد أن طمع فى ذلك منذ يوم القتال على الماء .

لقد كانت صفين مسرحا لعوامل خفية واهواء قوية، ولم تذهب هذه العوامل وتلك الاهواء سدى ، بل قد عصفت بحزب على فى اشد المواقف وأحرجها

محمد فريد أبو حديد

تصحيح

جاء فى مقال : « مطالعات فى التصوف الاسلامى »

١ ـ فى الحديث الشريف : إنما مثلى ومثل . . . والصواب مثل بحذف انما

٢ ـ فى الحديث الشريف : مثل ما بعثنى الله به من الهدى . . .

وكانت منهم طائفة « اخاذات » والصواب « أجادب »

بديع عبد الرحمن

دراسة فى التصوف

الأصل فى دراستى لهذا الموضوع ، هو الإعجاب المطلق ، ولقد أدى بى هذا الاعجاب ـ ومبعثه شوق روحى غامض الى اجتلاء بعض الحقائق السامية ـــ إلى التفرغ لدراسة التصوف الاسلامى فى كتب عدة لبعض أئمة الصوفيين وأخص بالذكر منهم الامام ابا حامد الغزالى (١) والأطلاع على بعض الديانات الهندية وأهمها الديانة الوثنية التى يمثلها نبيهم كرشنا (٢) ، ولمذهب كرشنا وتعاليمه ـــ بنوع خاص ـــ أثر بارز فى دراستى لأصول التصوف . وينحصر مذهب كرشنا فى أن الانسان ، يعزف عن الخير لمجرد الوهم والخداع فى الدنيا وينصرف إلى الدنيا لأنه لايعنى كثيرا بحقيقة الآخرة ، وهو يدعو إلى محاسبة النفس ، والقيام بالواجب بدون هوى ذاتى ، ومجاهدة الروح ، والفناء فى محبة الله ، وهو يشبه الجسم للروح بالثوب للجسم ، ومعنى هـــذا أنه يؤيد فكرة التناسخ . ويقول بأن الروح تنزع نفسها من الجسم المتداعى إذ لايعود صالحا لها . لتنتقل إلى جسم جديد ، ومعنى هذا أن الروح خالدة . وهو يعزو اعمال الانسان الى الروح ، ويرى أن ثمة قوة عليا هى التى تحرك الانسان . . وتسيره ، أى أن كل ما يفعله الانسان مسوق إليه بقدرة الله ، وإرادته العالية ، ولذلك فأن الانسان يجب أن يؤدى واجبه دون أن يفكر فيما اذا كان هذا الواجب سيجلب اليه الخير أو الشر .

ولقد عمدت أيضا الى دراسة الديانه السيخية (٣) وأود أن أذكر أن إهتمامى هذا كان مبعثه الأول الى دراسة التصوف ، احساس روحى عميق ، فى داخل نفسى ، كان يذهب حينا ، ثم يعود قويا متجددا ، فلما تناولت بعض المسائل الروحية بالدرس والتجربة واطلعت على آفاق جديدة فى الثقافة الاسيوية ، وهى فى جملتها روحية أصيلة ألفيت نفسى مقودا الى استكمال وسائل البحث والدرس . . .

وقد يبدو مثل هذا الولع بدراسة المسائل المتعلقة بالروح ، شيئا يناهض معنى المدنية القائمة اليوم ، وهذا ظن خاطىء . فأن المدنية الحديثة التى ترتكز عظمتها على الآلات ليست كل شيء فى سبيل اسعاد الانسان كما يقول الفيلسوف الروسى ليون شستوف . وهذا الرجل يندد بمساوىء المدنية الحديثة لما فيها من الاندفاع المطلق نحو اجتناء اللذات المادية ، حتى صار الانسان فى بعض البيئات الصناعية اشبه بالآلة أو الحيوان تجرد من الصفات العليا . وشستوف يدعو الى تنمية العواطف الانسانية الكريمة ، وتذكية الروح فى سبيل الارتقاع بالانسان ، والحيلولة بينه وبين طغيان الشهوات الدنيا والمطامع الوضيعة حتى لا تفسد روحه وتخمد المشاعر السامية فى نفسه . والواقع ان هذه الدعوة ليست سوى ترديد لما يعتلج فى صدور الكثيرين ممن سئموا طغيان المادة على الحياة ، وعادوا يحنون حنينا قويا الى العناية بالروح ، كما يعنى بالجسم ؛ فأن الانسان ليكاد لفرط ما يحفه من مظاهر الترف والاغراء يعبد الجسد عبادة وثنية . .

وحدث منذ عامين تقريبا أن اهتممت بالطريقة الروحية التى اتبعها غاندى فى جهاده الوطنى ، وهى التى يسميها السياسيون بالطريقة السلبية ، أقول : إن اهتمامى بفلسفة غاندى جعلنى أتجرد لمعرفة قوة الروح والأطلاع على مايتصل بها وبالجسم : ومن هذه الأشياء التى سبقت ، مجتمعة ، تكونت عندى فكرة قوية لمعالجة هذا الموضوع ، راجيا أن أكون قد وفقت فيه بعض التوفيق بقدر ما يتسنى ذلك فى رسالة قصـــيرة ، ولست أستطيع أن أدعى أننى بلغت فيه كل ما ارجو ، فان هذا الادعاء لا قيمة له لنفسى ولا للقارىء ، فأننى متصل بهذه الحياة كالآخرين ، اتصالا ماديا ، هذا الأتصال الذى أشعر بثقله كلما رأيت الإنسان كم يكذب ويخدع ، ويحتال ، وينافق . . لكى يعيش . أو بمعنى آخر إن قوة المدنيـة وماديانها قد طغت على ارواحنا طغيانا جارفا ، فأفسدت أكثر النواحى الإنسانية فينا ، ونمت الروح الحيوانية فى سائر أعمالنا ، أو كما يقول برنارد شو فى كتابه الأخير : « مخاطرات الفتاة السوداء » أصبح الانسان الحديث عبد الخبز والبندقية .

ولست فى ذلك بالجاحد لقيمة المدنية ، فأن التطور الاجتماعى الذى نلمسه فى القرن العشرين كنتيجة لجهود العلماء المتصلة لخير

(١) هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى ، الفقيه الصوفى الشافعى الاشعرى ولد بطوس وهى بلدة من أعمال نيسابور عام ٤٥٠ هجرية الموافق ١٠٥٨ ميلادية ومات يوم الاثنين ١٤ جمادى الثانى عام ٥٠٥ هجريه الموافق شهر ديسمبر سنة ١١١١ ميلادية وكانت وفاته بطوس ، ودفن بظاهر الطابران ، وهى عاصمة طوس .

(٢) ظهر كرشنا قبل المسيح بألفى عام تقريبا ، وهو فى موضع القداسة لدى الوثنيين من الهنود إذ يعتقدون بأنه إله تجلت فيه روح الخالق (سبحانه وتعالى)

(٣) ناناك Nânak مؤسس الديانه السيخية (ولد بقرية تالفندة الموصوفة باسم انكانا على شاطئ نهر راڤى) وهو متأثر فى كافة تعاليمه بمذاهب الفقراء الهنود التى كانت منتشرة فى شمال الهند وقد ترجم الدكتور ترومب Dr. Trumpp كتاب السيخيين ويقول الدكتور ترومب أن الصوفيه داخلة على الاسلام من الهند (Hindu pantheism) وهو قول ضعيف الحجة ، لأن الفارسيين أعرق فى أثرهم كما يبدو ذلك فى أشعار الفردوسى والنظامى وحافظ ، وما تحمله اشعارهم من المعانى الصوفية القديمة قبلهم ، ومع ذلك فأنا لا انكر تأثير الديانة السيخية فى بعض أشعار الصوفيين من الفرس .

الأنسانية قد أفاد الانسان فى حياته فوائد جليلة، ولكن الانتفاع شيء والاستمتاع شيء آخر .. واطــلاق الشهوات هو طريق الانحدار والانحطاط، وأننا لنرى اكثر علماء هذا العصر قد شغلوا جميعا على الرغم من اختلاف اتجاههم فى البحث وتباين ثقافاتهم بتوحيد القوى الانسانية، والتغلب على الشهوات التى تثير فى النفس التطلع إلى القهر والاذلال والاستعمار والاستغلال والتمرد على الأمم الصغيرة الوادعة كما يتمرد الرأسمالى على العامل.

إن التصوف رياضة نفسية عنيفة، ليس من السهل أن يروض الانسان نفسه عليها، بل إن وضع المدنية لا يكاد يجعلنا نرى فى الصوفية المطلقة كل الخير، وخاصة لمن تقتضيه الحياة أن يعيش فيها كعضو عامل منتج، إنما يعنى أكثر المشتغلين بالتصوف فى هذا العصر بانقاذ الروح كجوهر.

وقد قسم العلامة توماس باتريك هيـــوز صاحب الموسوعة الإسلامية The Dictionary of Islam حدود الصوفية الى تسعة أقسام أهمها:

إن الله في كل شيء، وكل شيء مستمد منه سبحانه، وأن كل شيء مرئي أو غير مرئي خاضع لقـــدرة الله، وأن هناك مقاومة بين الروح والجسد ينهيها الموت .. فيذهب الجسم، أما الروح فتبقى. وأساس الاعتقاد عند الصوفيين أن الخلود للروح، ولهذا فانهـــم يسلكون طريق التعبد والرياضة النفسية تزكية للنفس والخلق، وتجنبا للشمائل وتبغيضا فى الدنيا، واستعداداً للرحيل إلى الدار الباقية. حتى تصفو العقيدة وتنقى السريرة وتصفى من أكدار التكلف والنفاق. ومثل هذه الرياضة تتطلب الخلوة والعزوف عن الاشياء البراقة ومجاهدة النفس وتصعيد الغرائز والارتفاع بالفكر الى اسمى مكانة، وقد قال الامام الغزالى فى ذلك:

«... ثم دخلت الشام وأقمت فيه قريباً من سنتين لا شغل لى إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى، كما كنت حصلته من علم الصوفية، وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة المسجد وأغلق بابها على نفسى، ثم تحرك بى داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلم، ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتنى الهمم ودعوات الأطفال الى الوطن، وعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن أن أرجع إليه»

وللتصوف مراحل لابد أن يجتازها الصوفى مرحلة وراء مرحلة، وليس من السهل اجتياز كل منها فأنها تحتاج الى جهد فائق، وجلد كبير، وقوة مدخرة، وأهم تلك المراحل:

العبودية والعشق والزهد والمعرفة والوجد والحقيقة والكشف والوصول والفناء. فأذا اشرقت روح الصوفى، ارتفعت به الى حيث تتكشف له السعادة المطلقة، فيبلغ مرتبة الفناء المطلق للفكرة، وتفهم سر الحياة والموت، والصوفى الذى يجتاز تلك المراحل هو الكامل فى إخلاصه وتعبده. وقلما يصل إليها متصوف، بل أننا لا نكاد نحصى إلا طائفة صغيرة ممن استطاعوا السمو الى هذه المنزلة أولئك الذين خلت نفوسهم من الشوائب وتخلصوا وتطهروا وأقاموا حاجزاً منيعاً بين رغباتهم المادية وغاياتهم الروحية العليا.

وهناك وسائل يتبعها المجتهدون فى التصوف أهمها ثلاث: الانجذاب والعبادة والعروج، ومن يقرأ الشعر الصوفى يذهل لفرط ما يرى. فأن الشعراء الصوفيين يصورون حالتهم النفسية تصويراً رائعاً. ففى شعرهم من الهيام والوجد والعشق ما يكاد يحسبه القارىء لأول وهلة لشاعر أغرم اغراما افلاطونيا بفتاة. والواقع أن انحدار تلك المعانى لا يكاد يختلف عنـــد الأثنين فى شيء ما. فبينما نرى الصوفى يتجه مخلصا نحو الله بالتوسل والدعاء والابتهال، نرى الآخر يقدس الجمال فى معناه الاسمى. لا شك أن الصوفى المنصرف عن الدنيا بكل ما فيها. المتجه الى الآخرة اتجاها تاما. إنما يبالغ فى فكرته الى حد الفناء فى اعتناق الفكرة. فاذا اردنا أن ندرس التصوف على أنه تزكية للروح وتنقية له من الشوائب فأن هذا حسن، ولكن من الخطأ أن يكون الأنسان سلبياً بحتا، فأن الحياة قوامها العمل، والكتب السماوية كلها تحث على العمل والمثابرة والأجتهاد فى سبيل العيش. بينا نرى التصوف بمعناه الدقيق يدعو الى الزهد المطلق والانكسار فى جهة ضيقة للتعبد والتقشف، وهذا فى رأينا الخلاص الى حد الجنون بالفكرة والتعصب لها، فاننا لنرى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وهو روح الحب والحنان والتسامح، قد حمل مصباح الهدي ومشعل الحق وجاهد في سبيل الله بلسانه ويده، حتى عمت دعوته، ولقد كان النبى الكريم يشتغل بالتجارة ولكن ذلك لم يصرفه عن استخلاص نفسه والتوجه نحو الخالق بالعبادة والصلاة، دون أن يعتكف فى مكان ضيق من الأرض

وأننا لنرى العلماء اليوم، وخاصة من تشربوا بالثقافة السلافية، يدعون الناس مخلصين الى تطهير نفوسهم وعدم الانغماس فى ملذات المدنية تنزيها لجوهر الروح عن الفساد وخوفا على البشرية من الانزلاق فى مهاوى الشهوات والترف كما ذهبت فى الماضى بعض المدنيات العريقة طعمة لجنون الشهوات والطمع والفساد الاجتماعى.

محمود عزت موسى

حول الإشعاع النفسى

قرأت بأعجاب هذا المقال الممتع الذى دبجه يراع أستاذنا الكبير أحمد أمين عن النفوس واشعاعاتها الغامضة المعقدة التى تشعر بها وقد لا نستطيع التعبير عنها، والتى تختلف باختلاف النفوس وتتعدد بتعدد نواحيها وطبائعها. فملك على هذا البحث مشاعرى ألقى بى فى ذلك العالم الروحى الذى يقوم وراء هذا الحجاب الكثيف من المادة، حتى خلت نفسى أسبح فى عالم من الارواح أو أن فى حجرتى كما يقول الأستاذ « ملايين وأكثر من الملايين من إشعاعات نفسية تشبع من السماء ومن الأرض ومن النفوس البشرية ومما لا يعلمه الا الله »

على أننى ما كدت أعود الى هذا العالم المادى وأقرأ المقال بعين الناقد المتدبر وأتحلل من هذا التأثر العميق بشخصية الأستاذ الكبير حتى أدركت السبب الحقيقى لهذا الأثر النفسانى الذى يعزوه الأستاذ الى أشعة تنبعث من النفوس والعقول « لا تقل جمالا عن « إشعاعات النجوم والكواكب »، وتختلف فى القوة أشد من اختلاف المصابيح الكهربائية ، يقول الأستاذ « إن هذا الأشعاع هو السر فى أنك تلقى عظيما فيملؤك أثرا ويملؤك قوة بهيئته، بنبرات صوته، بطريقة تعبيره، بنظراته، بأشاراته، بهزة رأسه، بحركة يديه، فكان فى كل عمل من هذه الاعمال يوصل بينك وبينه تيارا كهربائيا قويا يهزك هزا عنيفا، قد لا يحدثك طويلا وقد لا يكون لكلامه فى الواقع قيمة ذاتية، ولكنه يوقظ نفسك ويحيى روحك وتبقى رنات كلماته فى الأذن الأيام والليالى تعمل عملها فى هدوء حينا وعنف حينا » — كلام بديع يستهوى اللب ويخلب العقل ولكنك اذا أعملت فيه الروية والعقل وباعدت بين نفسك وبين أسلوب الأستاذ الأخاذ وشخصيته الجذابة أدركت غير ما يدرك، ووقفت على سبب آخر لهذا الأثر النفسى الذى يسميه الأستاذ أشعاعا ونسميه نحن: « شعورا بالعجز والضعة »، وذلك أن الانسان لا يتأثر بعظمة عظيم، ولا خطابة خطيب، ولا حديث محدث. الا لسبب واحد لا ثانى له، وهو شعوره بعجز نفسه وانحطاطها عن مستوى هذا العظيم، وهذا الخطيب وهذا المحدث. قد يكون عاجزا أو ضعيفا، وقد يكون قويا أو رفيعا، ولكن شعوره بعجزه وضعته هو على كل حال السبب الوحيد فى اكباره للعظيم وتقديسه للخطيب وأنصاته للمحدث وتأثره بغيرهم من الناس.

قد تكون درة عمر أهيب من سيف الحجاج لدى الناس، ولكن السبب فى ذلك لا يرجع الى أن اشعة قد انبعثت من نفس عمر فغمرت الناس بموجة من الجلال والعظمة. وأن أشعة من نفس الحجاج قد غمرت أجسام الناس بالخوف والرهبة، ولكن السبب هو أن الناس كانوا يشعرون بشىء من الاستكانة أمام بطش عمر وجبروته، فاذا ما ذهبوا يحاولون النيل منه وتلمس سيئاته لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا، لأنهم يجدون فيه الرجل المتمسك بالشريعة الذى لا تصدر أفعاله عن هوى، وازاء هذا الشعور بالعجز المضاعف أمام هذه الشخصية يحس الناس بشىء من الخشية المشوبة بكثير من التعظيم والأجلال. أما الحجاج فكان الناس يشعرون بكثير من الخوف والهلع أمام سيفه نتيجة لشعورهم بالعجز عن مجاراته فى أسباب بطشه للسلطة المخولة له عليهم، ولكنهم من جهة أخرى كانوا يستطيعون إحصاء ما كان يقترفه من السيآت والمنكرات، وما كان يقدم عليه من الأجرام والظلم، وهكذا كانوا يخافونه ويرهبوا جانبه لشعورهم بالعجز عن مقاومته، ولكنهم كانوا فى الوقت نفسه يكرهونه ويشتد مقتهم له لاعتقادهم بأنه متخلف عنهم فى الرحمة والعدل والأنسانية، وبالجملة فأن عمر والحجاج لم تنبعث من نفسيهما أشعة تؤثر فى الناس، ولكن الناس هم الذين خلقوا هذا التأثير بهذا الشعور السلبى الذى استولى على نفوسهم، ولو أن حياتهم الاجتماعية والسياسية كانت تصبغهم بغير هذه الصبغة، ولو أن شعورا بالقوة والعظمة والرفعة استولى على نفوسهم لما ملأت نفوسهم عظمة عمر وجلاله، ولما ضربت عليهم الذلة والمسكنة وانكمشت قلوبهم خوفا ورعبا من الحجاج وسيفه وصولته.

قال الاستاذ: « وحدثنى من أثق به أن الاستاذ جمال الدين الافغانى كان يرتطن بعجمة ولم يكن فصيح اللسان، ولا سلس القول، ولكن تجلس فيشعلك نارا دونها فصاحة الفصيح وبلاغة البليغ، لانها النفس مستودع كهربائى قوى يصعق أحيانا، ويضىء أحيانا، ويدفع للحركة أحيانا » - وهذا أيضا - ينضوى تحت لواء ما قلناه، فقد كان المصريون فى أيام الاستاذ جمال الدين بعيدين عن هذه الحرية الفكرية الغربية، وان كان بعضهم يطمح اليها ولا يجد فى هذا الجو المصرى الخانق الرجعى مسعفا له على بلوغ مأربه. فلما حط الاستاذ رحاله فى هذا البلد، هرع اليه بعض من هذه الفئة العطشى، ولشعورهم بالعجز فى مضمار الفلسفة وما اليها مما كان يلقيه عليهم الاستاذ جمال الدين، ولموقفهم منه موقف الطلبة من أستاذهم كانوا يشعرون برهبة ورغبة فى مجلسه، وتبدو لأعينهم وقلوبهم هذه التعاليم الجديدة التى يتلقونها نارا تلهب النفس وتشعلها.

ويتأجج في جوانبها حتى لتدفع بها الى الثورة . ولو كان فيهم رجل يأنس من نفسه قوة تدفعه الى الوقوف مع الاستاذ موقف الند للند ، لا الطالب أمام معلمه لتغيرت الحال وأحجم الأستاذ أحمد أمين عن أن يضرب هذا المثل للتدليل على وجود هذا الاشعاع النفسي موضوع مقاله

وإن اختلاف تأثير الخطيب باختلاف السامعين والممثلين باختلاف النظارة ، لينهض دليلا على ما نزعمه من أن تأثير الاشخاص في بعضهم ليس مرجعه الى قوة نفسية تشع من نفس الى أخرى فتؤثر فيها تأثيرا قويا أو ضعيفا، حسنا أو سيئا، ولكن هذا يرجع الى شعور النفس المؤثر فيها بتخلفها — بحكم طبيعتها أو العوامل المحيطة بها — عن النفس التي أثرت فيها في الخطابة أو الكتابة أو ما شاكل ذلك.

من هذا كله نستطيع أن نقول اننا لا نتأثر بعظيم فنرهبه ونرتعد من الخوف بين يديه ، أو خطيب فنصفق له ونحمله على الاعناق ، أو محدث فترهف آذاننا لما نعجب به، إلا لأننا قابلنا العظيم وفي قرارة نفوسنا من شعور بسموه عنا، وسمعنا الخطيب ونحن نشعر بأننا عاجزون عن الوقوف مثل موقفه والتعبير بمثل تعبيره، وأنصتنا الى المحدث وقد غمرنا شعور بالقصور عن لباقته، أو مجاراته في حججه، أو الاتيان بمثل حديثه الذي يحمل بين طياته من المذاهب الجديدة والعلوم الحديثة ما نجهل . وليس هذا الأثر ناتجا من صدور أشعة من نفس العظيم أو الخطيب أو المحدث الى نفوس الناس.

وخلاصة القول اننا لا نقول بحدوث تأثير المؤثر من قوة ايجابية تنبعث ، ولكنه يكون بشعور سلبي أو قوة سلبية يحس بها المؤثر فيه حتى ليتوهم أنها آتية اليه من خارج نفسه، والحقيقة أنها تصدر عن نفسه وتنبع منها

الاسكندرية عبد الحليم محمد حموده

(الرسالة) من أين يأتي شعور العجز والضعة ، وقد تلقى الرجل لأول مرة فيثير فيك شعور البطولة والاعجاب، بل قد تراه او تسمعه وقد سبقت الى أذنك أخبار وضعت من شأنه ، وحطت من قدره , فما هو إلا أن تراه وتسمع له حتى يتغير رأيك ويختلف تقديرك . هل سمعت قول القائل : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، أو هل علمت أن الناس لما رأوا الحجاج يصعد على المنبر أخذوا الحصى ليحصبوه ، فما استهل خطبته حتى تساقط الحصى من ايديهم وهم لا يشعرون ؟ ما ذلك إلا الاشعاع

لم لا تقول الشعر (١) ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

كتبت الي أيها الأخ الكريم تسألني (لماذا صمت بعد تغريد ، ونضبت بعد فيض ، وسكنت بعد المرح ، واكتأبت بعد الفرح ؟ وما هذا الوجوم والاطراق بعد التهلل والاشراق ؟ أين قلبك الهدار ، وقلمك المكثار ؟ وأين شعرك الشاعر ، ونظمك الساحر ؟ ليت شعري ، وقد أمكنك القول ، لم لا تقول الشعر ؟)

يا أخي بماذا أجيبك ؟ لقيت الحياة مبتسما ، ونشأت مترنما . أطالع تباشير الصباح مرحا كالأطيار ، مترنحا مع الاشجار ، تروقني ألوان الأفق ، وتشدهني طلعة ذكاء في مواكب الضياء ، أراقب الاضواء ، في الصباح والامساء ، وأساير الظلال ، بالغدو والآصال . وأخلو الى القمر أشرب ضياءه ، وأحس في نفسي صفاءه ، وأقول :

البر والبحر ذوب من سنا قمر ، تردد الطرف فيه فهو حيران

وأتأمل الأزهار في شعاعه ، وأقبل الورد في لألائه . وأساير النيل أجري مع مائه . وأضطرب مع أمواجه ، وأقف على البحر فرحا بآذيه المهتاج ، معجبا بسلاسل الامواج ، أرقب العراك المتواصل ، بين الماء والساحل

وكم طربت لزقزقة العصافير في نور الصباح ، وتنزيها على متون الرياح ، وضحكت لبكور الغراب ، سابحا في الضباب .

وكم فتنني الوجه الجميل والخلق النبيل فقلت :

في كل حسن أرى سرا يجاذبني نفسي ، ومالي بهذا السر عرفان

أرى الجمال فتطبعه زجاجة العين على صفحة القلب فاذا هو على لساني وقلمي . فانطلق قائلا معجبا . ومنشداً مطرباً ، وكل شيء يبعث الأمل ، ويحدو الى العمل وكأن القضاء طوع الخيال ، وليس في الدنيا محال . وكأن الانسان يستطيع أن ينحت الجبال بقلمه ، وينزف البحر بفمه . والمستقبل وضاء ، وكل ما في العالم ضياء .

---

(١) كتب الي بذلك أحد الاصدقاء فاجبته بهذه الكلمة .

ثم نفذ الفكر الى ماوراء الظاهر ، وتطلع الى مافى السرائر ، وجاوز القشر الى اللباب ، وخاض الضحضاح الى العباب . وكشف المجاز عن الحقيقة ، وطالع ضمائر الخليقة . فانبهم العالم واستعجم ، فاذا كل شيء مبهم ، فالفكر فيما وراء الحجب جائل ، وكل سر هنالك هائل . الضوء هنالك ضباب ، والبصر حجاب .

فامحت الأشكال وخفيت الالوان ، وعييت الريشة في يد الراسم ، وحار القلم فى بنان الشاعر ، وبهت المنطق دون البيان ، وجمد اللفظ على اللسان . ويبقى السر المحجب آبيا على كل مطلب ، أو ينص من الحقيقة حاجب يعظم عن ضيق الالفاظ ويكبر على سلاسل القوافى والاوزان .

ورحم الله الشاعر سنائى اذ يقول : « رجعت عماقلت اذ ليس وراء الالفاظ معان ، وليس لما ندرك من المعانى ألفاظ .

أهم بالامر الصغير فاذا هو حلقة فى سلسلة ، وطريق الى كل معضلة ، وجزء من كل حقيقة هائلة .

وأحاول الأمواج فتنفتح عن الاعماق ، فيضل الفكر وتزيغ الاحداق . وأعالج حمرة الشفق ، فاذا وراءها خبيئات الأفق ، واذا الأفق صلة الأرض والسماء . وكيف بما فيهما من حقائق ـ وكيف بما استتر من أسرار الخالق ؟

وأهم بالكلام عن الحيوان فاذا أنا فى لجة الحياة ، وهى النسر العجاب ، وسطها فوق الأرض وطرفاها فى التراب .

وأريد أن أصف الذرة فاذا هي والشمس سواء ـ باهرة الحقيقة رائعة الضياء . أنظر الى الصغير فيكبر ، وأعمد الى الواضح فيستعجم

والأمل تكسرت أمواجه على صخور الحقائق ، وضل سرابه فى صحارى الحياة

ياأخى : هاأنا على ساحل المحيط الأعظم حائر الطرف بين اللجة والشاطىء ، مقسم الفكر بين الظاهر والباطن . ولست أدرى أأبقى صامتا مبهوتا ، أو أهجم على الأهوال ، واغوص فى الأعماق ، ثم أبين عن عرفانى وجهلى ، وإدراكى وعجزى ، أو أرجع الى العهد القديم أصف الألوان والاشكال والضياء والظلال ...... ؟

الحمى داء ودواء

تحت هذا العنوان وفى العدد الرابع عشر من مجلة الرسالة الغراء عقد العالم البحاثة الدكتور النابغة أحمد زكى وكيل كلية العلوم بالجامعة المصرية فصلا قيما وبحثا ممتعا عن الحمى وفوائدها . قال فى ندائه « إن الحمى من قديم الزمان عرض مخوف وطارق مرهوب وكثيرا ما كانت رسول الموت وقائد الحمى تحدو ركبه إلى وادى الفناء . ولكن فى هذه الأيام القريبة الماضية . نشأت فكرة أخذت تحل محلا ذا بال فى رءوس البحاث من الأطباء . أو فى رءوس القليل منهم الذين لا تزعجهم غرابة الخاطر ، ولا يصرفهم عن الأمر خروجه عن المألوف . ومحصول هذه الفكرة أن الحمى ذلك العدو القديم للحياة ، قد تنقلب . أو يمكن تأليفها وقلبها الى صديق نصير ، فبدل أن تكون عونا على الداء ، تصبح عونا على الشفاء ، فى بعض الأمراض التى عجز عنها الطب وحار فيها الأطباء »

ونحن نقول للدكتور الفاضل بكل تواضع واحترام أن هذه الفكرة التى انتهى اليها الباحثون والاطباء الغربيون اليوم . وقف عليها أطباء العرب من عشرات القرون الماضية ، حينما كان آباء هؤلاء العلماء يسكنون المغاور ، ويلجأون الى الكهوف . فقد جاء فى الصفحة الأولى بعد السبعين من كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد للامام الحافظ أبى عبدالله بن نعيم الجوزى » ماياتى : « وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعا عظيما لايبلغه الدواء ، وكثيرا ماتكون الحمى سببا لانضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها وسببا لتفتح سدد لم تكن تصل اليها الأدوية المفتحة . وأما الرمد الحديث والمتقادم فانها تبرىء أكثر أنواعه برءا عجيبا سريعا ، وتنفع من الفالج واللقوة والتشنج الامتلائى وكثير من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة ، وقال لى بعض فضلاء الاطباء أن كثيرا من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية ، فتكون الحمى أنفع فيه من شرب الدواء بكثير ، فانها تنضج من الاخلاط والمواد الفاسدة مايضر بالبدن ، فاذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها فأخرجها فكانت سببا للشفاء »

وفيما تقدم دليل جديد يشهد بما بلغه العرب فى الطب من المنزلة العالية والمكانة التى لاتدانى ، كما يشهد لهم بفضل السبق الى كثير من نظرياته الحديثة التى ينسبها علماء اليوم الى أنفسهم زورا وبهتانا ، والفضل كل الفضل للمتقدمين ؟

محمد محمود الجندى

ن القوز ـ سودان — طالب بالتجارة العليا بالقاهرة

تـــين «TAINE»

منذ سنوات خلت ، نشرت الصحف خبر احتفال الفرنسيين في بهو السربون ، بذكرى الفيلسوف الفرنسى الكبير « تين » وقد كان الاحتفال فخما للغاية ، يناسب مكانة الفيلسوف العظيم ؛ وقد رأسه المسيو ادوار هريو وزير المعارف والفنون الجيلة ، وشرح بمحاضرته التى القاها منهج تين فى النقد الادبى ، وفى العرض التاريخى . ويرى بعضهم ان مؤلفات تين خير ما أخرج التفكير الفرنسى فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، ويرون أنه أبرع نقادة فى ذلك القرن او قد كان تين فوق ذلك فنانا بارعا يعشق فن الموسيقى ، وأما نظرياته الفلسفية فانها تميل على الاغلب الى الناحية المادية .

***

العبقرية الحق هي التى تعمل ولا تشبع ، وتجد فى الالم لذة ، وفى الموت من أجل العمل حياة ، ولا تحسب يوما أنها وجدت ما تنشد وتصبو اليه ! كان تين لا يكل ولا يتعب ، بل كان يقوم فى الليل ليستأنف عمله ، وكان « اسكوت » الكاتب الانجليزى الكبير مصنوعاً من العمل ، كما كان يقول ، وحسب « بتهوفن » أنه لم يبرز ما يصبو اليه ، ومات « فولتير » وهو معتقد أنه لم يعمل عملا واحدا يرضى ذوقه !

العبقرية الحق : هى التى تخلق وتنشىء وتنظر دائما الى الممكن والى المستقبل ؛ هى باذرة بذور الخير والحب والطيبة والجمال فى الوجود ، والطامحة دائما الى الاحسن ، والآخذة بالناس من الظلمات الى النور ، ومن العبودية الى الحرية ، ويخلد العبقرى بقدر ما تترك رسالته من أثر على وجه البسيطة ؛ فكلما كانت رسالة العبقرى انسانية كان الاعجاب بها شديداً والثناء عليها قويا .

ولد هيبوليت أدولف تين فى ٢١ ابريل سنة ١٨٢٨ بفوزيه بمقاطعة الوازون فى فرنسا ، وكان أبوه من أسرة قليلة المال قصيرة الباع . وكان لأبيه (جان باتيست تين) اتصال بالقضاء ، لذلك استطاع تين ان يتلقى علم النظم والقوانين الى جانب دراساته بمدرسة (مسيو بيرس) الصغيرة حتى بلغ الحادية عشرة من عمره ، وقد مرض أبوه فأرسله فى سنة ١٨٣٩ الى مدرسة دينية فى « رتل » أقام بها ثمانية عشر شهراً ، وبعد وفاة أبيه سافر الى باريس فالتحق بمعهد « ماتيه » وكان طلاب هذا المعهد يدرسون بكلية بوربون College Bourbon وفيه ظهرت بوادر كفايته النادرة .

لقد امتاز تين لأول دخوله المدرسة بمقدرة على العمل مدهشة ، وبجلد متين لا يقل اثارة للدهشة . وكان كثير التحصيل ، كثير التعليق على ما يحصل ، كثير التفكير فيه ، بما جعل له على أصدقائه جميعاً نفوذاً معترفاً به ، اعترافهم بفضله ومقدرته على الكتابة نظماً ونثراً فى اللغتين الفرنسية واللاتينية . وبعد انتهاء دراسته الثانوية انتقل الى مدرسة المعلمين L'ecole Normale وفيها قرأ أفلاطون ، وأرسطو : ودرس الانجليزية فبرع فيها وأتقن آدابها . وقد لاحظ عليه أساتذته مبالغته فى الحرص على السلوك بالمنطق مسلكا رياضياً والوصول به دائماً الى قاعدة ثابتة على نحو ما يصل الرياضيون فى مسائل الحساب والهندسة والجبر . وقد تنبأ له أساتذته بمستقبل باهر ، وقالوا سيكون تين أستاذاً ممتازاً ، بل سيكون أكثر من ذلك ، سيكون عالماً من الطراز الأول ، وسيكون شعاره شعار سبينوزا Spinoza « يعيش ليفكر » .

ومع ما عليه تين من رقة فى الخلق عظيمة . ومن طباع غاية فى الطيبة ، كان لذهنه قوة جبارة لا تلين لا يستطيع أن يكون لأحد على تفكيره أى تأثير . وجماع ما يقال عن « تين » أنه ذهنية جبارة منقطعة النظير !

كان تين أقوى أثراً فى نشر الفلسفة الواقعية Poxitivisme من صاحبها أغست كونت Auguste Comte نفسه ، وبرغم تثبيته قواعـــد هذه الفلسفة الوضعية فى ذهن أهل عصره والعصور التى خلفته ، قد فتح لها ميادين جديدة فى الفن وفى الأدب وفى الشعر ، وفى صور نشاط العقل الانسانى ، وفى النفس الانسانية ، مما جعل للعلم الوضعى وللفلسفة الوضعية من متانة الأركان ما لا يزال حتى اليوم وطيداً قوياً غاية القوة ، برغم موجات الروحية (والتيوزوفية) وغيرها مما سبق الحرب ، وشجعته الحرب ، ومما لا يستطيع أن يقاوم - حتى فى الميادين الفلسفية البحتة - تيار العلم الجارف ، الذى يدل الناس كل يوم على أن العلم إذا أخطأ فى تقرير نتائج معينة ، فهو وحده قمين باصلاح هـذا الخطأ من طريق الاستقراء والملاحظة والتجارب ، وما يترتب على هذه من تبويب ينتهى الى استنباط القوانين العلمية الصحيحة التى يمكن ان تكون أساساً لارتكاز الفلسفة الواقعية الصحيحة . فهذا الرجل الذى حاول ، ونجح فى محاولته ، هدم الفلسفة الكلامية التى كان الاستاذ فيكتور كوزون Victor Cousin عميدها فى عصره ، والذى حاول ونجح فى أن يقر الى جانب التفكير الواقعى Positive ، المذهب الجبرى dèterminisme ،

وأن يطلق هذا المذهب على الإنسان ويخضعه له ، بمقدار ما تخضع له الأفلاك والموجودات كلها — هذا الرجل كان صاحب أسلوب في الكتابة له من البهر ما يسحرك كما لو كنت تستمع الى الحان أركسترا بيتهوفن ! ولعل أبرع ما كتبه تين في الناحية الأدبية ، هو ما كتبه في الوصف والسياحة . ولقد بلغت براعة الوصف فيهما مبلغا قل أن يجاريه فيه كاتب .

وليس فضل تين مقصوراً على فلسفته وأدبه فحسب ! فهو الى جانب ذلك مؤرخ من أكبر المؤرخين لم يقتصر على كتابة تاريخ بلاده ، بل تناول عصر ما قبل الثورة ، وتناول عصر الثورة والعصور التي بعدها ، وتناول بحوثا أخرى في التاريخ القديم وفي التاريخ الحديث . تناولها بدقة في العبارة ودقة في البحث ، وقوة في الأسلوب ، جعلت له كل هذه المكانة التي تسنم ذروتها في عصره . وكل هذا المجد الذي يشهد له به اليوم حتى ألد خصوم نظرياته . ورسائله في التاريخ وفي النقد جعلت منه نقادة معترفاً بنبوغه وبفضله ، وقد أقامت له مذهباً في النقد يتسق ومذهبه في الأدب ، وفي التاريخ ، وفي الفلسفة ، وفي كل ما تناوله من مباحث : والذي يقرأ كتابه « الفلاسفة الانشائيون في القرن التاسع عشر » وكتبه « رسائل في النقد وفي التاريخ » يرى اتجاه جهوده العقلي في السنوات الخصبة من حياته ، ويرى المجهود الهائل الذي تناول به بحث اليونانيين القدماء ، وكتاب فرنسا وفلاسفتها وكتاب انجلترا ومفكريها ، تناول ذلك في دقة وإحاطة قل نظيرهما . يعرض أمامك فكرة كل كاتب وفلسفته واسلوبه ، ويحلل ذلك ويرده للبيئة وللجنس اللذين نشأ الكاتب فيهما ، ويدلك على ما يراه النقاد ويراه هو في الكاتب وفكرته من قوة ومن ضعف ، ومن كمال ومن نقص . ومن دقة في بلوغ الغاية التي قصد اليها الكاتب ، أو اضطراب في نهج السبيل الى تلك الغاية ، وهذه طريقته التي سار عليها في النقد ، وهي الطريقة العلمية الصريحة التي لا تعرف الميل ولا الموارية ، ولا تعرف مذاهب الشك والتردد ، والتي تقفك من كل كاتب ومن كل موضوع على خلاصة الموضوع وعلى صورة واضحة من الكاتب على نحو ما رآه تين : أول أستاذ (لتين) أثر في تفكيره اعمق الآثار وهو « كوندياك » . وتين لا يفهم كيف ينسى في فرنسا منهج كوندياك الذي هو « أحد المثل العليا للذهن البشري » ويستبدل بفتات الاقتباس والمزج ، ثم هو يأخذ على كوزين — Cousin وتلاميذه قبل كل شيء انحلال المنطق ، لأنهم يرون انهم فلاسفة ، ولكنه يرى أنهم خطباء يعنون بالأثر الذي يحدثونه أكثر مما يعنون بالحقائق التي يبحثونها ! ثم يقول انه تجب العودة الى كوندياك وهو ذهن لا نظير له في الاستنارة والدقة ، وقد وهب كل المسائل العظيمة أجوبة ثارت عليها التقاليد الكلامية المبعوثة ، ونظريات ماوراء الطبيعة الألمانية في فرنسا في بدء القرن التاسع عشر ! بيد انها سوف تعود بالرغم من كل هذا ، ويعود « تين » بدوره قدوة في استنارتها والتمسك بها .

وكما ان تين كان تلميذاً لكوندياك كان كذلك تلميذاً لاسبينوزا Spinoza وهيجل Hegel فقد شعر مثل « جيته » بسمو الفكرة الاسبينوزية ، ورأى أن مفكراً لا يستحق أن يسمى بالفيلسوف مالم تطبع نظريته الخاصة بطابعها ، واسبينوزا هو الذي أوحى إليه باعتبار الوجهين : الوجه الطبيعي ، والوجه الخلقي صورتين لحقيقة جوهرية واحدة ، وقال تين عن هيجل Hegel متحمساً : « ليس بين جميع الفلاسفة من سما الى ما سما إليه « هيجل » أو من تدنو عبقريته من ذلك الصرح الشامخ ! فهو مزيج من اسبينوزا وارسطو » . وقد اتسع مدى عمل « تين » الفلسفي والتاريخي بالاستناد إليه .

يقول « تين » عن الفلسفة الانجليزية انها قد انتهت الى اعتبار الطبيعة اجتماعاً للوقائع ، اما الفلسفة الالمانية فترى فيها مجموعة من القوانين ، فاذا كان ثمة مكان بين الامتين فهو مكاننا نحن معشر الفرنسيين ! لقد وسعنا الآراء الانجليزية في القرن الثامن عشر ، واستطعنا في القرن التاسع عشر ان نضبط الآراء الالمانية ، ومهمتنا الآن هي تهذيب الذهنين احدهما بالاخر ومزجهما في ذهن واحد ، وان نصوغهما في أسلوب يتذوقه العالم كله ، وان نخرج منهما بذلك الذهن العام .

ولقد عين تين مدرساً في وزارة المعارف بمدرسة « نفير » في أول سنة ١٨٥١ الدراسية ، لكنه لم يمكث في هذه المدرسة الا شهورا نقل بعدها الى مدرسة دونها في الدرجة ، وذلك لاغراض سياسية . ومن ثم نقل الى « ابوانيه » ، ومنها نقل مساعد مدرس الى بزانسون في سبتمبر ١٨٥٢ . وعلى رغم تنقلاته الكثيرة ، قد وضع رسالة عن الشاعر Les Sensations ورسالة لاتينية تقدم بها الى السوربون لنيل جائزة الفلسفة ، ولما كانت هذه الجائزة قد الغيت فقد اراد تين ان ينال اجازة الادب العليا Agregationes — lettres ولكن رسالته لم تقبل ، فوضع رسالة عن لافونتين La Fontaine فنال بها دكتوراه الآداب في ٣٠ مايو سنة ١٨٥٣ ، وعلى أثر حصوله على الدكتوراه اقترحت الاكاديمية الفرنسية موضوعاً لجائزة تمنح في سنة ١٨٥٥ على أحسن رسالة تكتب عن « تيت ليف » الكاتب والمؤرخ الروماني الكبير ، فعرض لها « تين » وكتبها ثم تقدم بها فكانت الأولى بين كل الرسائل التي قدمت !

وكان تين قد رشح نفسه سنة ١٨٦٢ لتدريس الادب في مدرسة الهندسة Polytechnicque ولكن مسيودى لموني انتخب بدلاً منه، على ان وزير الحربية عينه في مارس من السنة التالية ممتحنا في التاريخ وفي اللغة الإلمانية بمدرسة سان سير Saint-cyr الحربية . وفي سنة ١٨٦٤ عين مدرسا لتاريخ الفن والجمال في كلية الفنون الجميلة ؛ فكان تعاقبه في وظائف الدولة سببا لإثارة الخوف في نفس رجال الدين . مما دفع المونسينير دوبانلوا الى كتابة منشور وجهه الى الشبيبة والى الآباء يطعن فيه على تين Taine ورنان Renan ولتريه Leterrier ويندد فيه بنزعاتهم الالحادية مما كاد يزعزع مركز تين لو لا تدخل البرنسيس ما تيلدا وبسط حمايتها عليه . وفي سنة ١٨٦٤ قدم بعض كتبه الى الاكاديمية ليحصل على جائزة بوردان . فانبرى له مونسينير دوبانلوا من جديد ، واشترك معه آخرون ليحولوا بينه وبين الجائزة . على أن المسيو جيزو دافع عن تين بكل اخلاص واستمرت المناقشة أمام الاكاديمية فيمن يستحق الجائزة ثلاثة أيام متوالية ، استقر الرأي بعدها على أن الجائزة لا تمنح لأحد ما دامت لا تمنح لتين ! . . . على ان هذه الخصومات المتابعة وهذا التجني على ذلك الكاتب الفيلسوف لم يحل دون حصوله على وسام اللجيون دونور Légion d'honneur في سنة ١٨٦٦ وعلى شهادة D. C. L من جامعة اكسفورد بعد محاضرات القاها بها عن راسين Racine وكورني Corneille في سنة ١٨٧١ ؛ وتزوج تين في سنة ١٨٦٨ فلم يغير زواجه شيئاً من حياة الجد والعمل التي كان يحياها . على أنه منذ سنة ١٨٧٠ على أثر الحرب الفرنسية الألمانية قد حز في نفسه ألم هزيمة بلاده فأجهد نفسه في أن يقف على أسباب ضعفها . وكان هذا هو الدافع الذي دفعه الى وضع كتابه الاكبر (أصول فرنسا الحديثة) الذي عمل فيه منذ سنة ١٨٧٠ والذي اضطر من أجله أن يتخلى عن مهنة التدريس منذ سنة ١٨٨٤ لينقطع له انقطاعاً تاماً . وقد توفي في الخامس من شهر مارس سنة ١٨٩٣ وهو في الخامسة والستين من عمره

وقد القى الاستاذ ليفي بريل المحاضر بالسوربون خطابا في شرح نظريات تين الفلسفية بمناسبة الاحتفال المئوي لميلاد (تين) تترك الاستاذ نفسه يحدثنا عنه اذ يقول : « لنذكر اليوم القاب مجده ومناحي نبوغه اولئن كان علم النفس وعلم الاجتماع قد وصلا بفروعهما المختلفة في فرنسا الى ما وصلا اليه من التقدم فان تين هو أحد الذين يرجع اليهم الفضل في ذلك ، وقد كان من الممكن أن يترك عمله ، ولكن الروح الذي بعثه ما زال يضطرم الى اليوم . وكان الطريق الذي سنه هو طريق الرشاد ، وان فضله ليبدو اشد بهاء ، اذا ذكرنا الوسط الفلسفي الذي تخرج منه ، ولكن تين غلبت عليه روح الفلسفة الحق فاعتزل اولئك المبشرين بأفقر ضروب التحكم ، وبحث عن الحقيقة دون أن يعنى بادىء بدء بما اذا كانت ستتفق وهذه العقيدة أو تلك ، أو هذا الحزب أو ذاك . وبذا وصل تين بين التقاليد الفلسفية للقرن الثامن عشر ، وهي التقاليد التي اعتقد الجيل الذي قبله انها قطعت نهائيا . وهكذا كان مستحقاً لاعجاب كل مفكر حر في عصرنا ، فلنحمده لأنه جاهد من أجل مثل اعلى للعالم والفلسفة النزيهة . ولعل هذا خير مديح كانت تتأثر به عزته . ولقد أبى أعز أصدقائه « أميل بوتمي » الذي ساعده على تأسيس المدرسة الحرة للعلوم السياسية والذي كان اميناً لاعمق اسراره ، ان يكتب على قبره سوى هذه العبارة البسيطة : « أحب الحقيقة قبل كل شيء » .

حلب — صبحي العجيلي

٧ — بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

(تابع)

قال ابن عبد الحكم وهو من أقدم رواة الفتوح الاسلامية وأقرب من كتب عن فتوح الاندلس ما يأتي :

« وكان عبيدة (يريد والى افريقية) قد ولى عبد الرحمن بن عبد الله العكى على الاندلس وكان رجلا صالحا فغزا عبد الرحمن افرنجه وهم اقاصى عدو الاندلس فغنم غنائم كثيرة وظفر بهم .. ثم خرج اليهم غازيا فاستشهد وعامة اصحابه، وكان قتله فيما حدثنا يحيى عن الليث فى سنة خمسة عشر ومائة » (١) . ولم يذكر الواقدى والبلاذرى والطبرى وهم أيضا من أقدم رواة الفتوح شيئا عن الموقعة وقال ابن الأثير فى حوادث سنة ثلاثة عشر ومائة مرددا لرواية ابن عبد الحكم — « ثم إن عبيدة استعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله فغزا افرنجه وتوغل فى أرضهم وغنم غنائم كثيرة ثم خرج غازيا ببلاد الفرنج فى هذه السنة (اعنى ١١٣ هـ) وقيل سنة أربع عشرة ومائة وهو الصحيح ، فقتل هو ومن معه شهداء » (٢) ويثبت ابن خلدون الموقعة خطأ لابن الحبحاب والى مصر وافريقية فيقول : « وقدم بعده (اى بعد الهيثم) محمد بن عبد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها (أى الاندلس) سنة ثلاث عشرة وغزا افرنجه وكانت لهم فيهم وقائع واصيب عسكره فى رمضان سنة أربع عشرة ، فولى سنتين » (٣) ولدينا من الرواية الاندلسية ما قاله صاحب « أخبار مجموعة » عند ذكر ولاة الاندلس وهو — « ثم (أى وليها) عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى وعلى يده استشهد اهل البلاط الشهداء ، واستشهد معهم واليهم عبد الرحمن » (٤) . ونقل الضبى فى ترجمة عبد الرحمن ما ذكره ابن عبد الحكم عن الموقعة (٥) . وقال ابن عذارى المراكشي « ثم ولى الاندلس عبد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فغزا الروم واستشهد مع جماعة من عسكره سنة ١١٥ بموضع يعرف ببلاط الشهداء » (١) وقال فى موضع آخر « ثم ولى الاندلس عبد الرحمن هذا (أى الغافقى) ثانية وكان جلوسه لها فى صفر سنة ١١٢ . فاقام واليا سنتين وسبعة أشهر وقيل وثمانية أشهر ، واستشهد فى أرض العدو فى رمضان سنة ١١٤ (٢) . وقال المقرى فيما نقل - « ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها (أى الأندلس) سنة ثلاث عشرة وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره فى رمضان سنة أربع عشرة فى موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة (٣) » . ونقل فى موضع آخر » وذكر أنه قتل (والاشارة هنا خطأ الى السمح بن مالك) فى الواقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط، وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فاحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد . قال ابن حيان ، فيقال ان الآذان يسمع بذلك الموضع الى الآن « ونقل عن ابن حيان » قال دخل الاندلس (أي عبد الرحمن) حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب فى صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج، فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره فى شهر رمضان سنه ١١٤ فى موضع يعرف ببلاط الشهداء، قال ابن بشكوال « وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط » (٤) ...

هذه الفقرات والاشارات الموجزة التى تكاد تتفق جميعا فى اللفظ والمعنى هى ما ارتضت الرواية الاسلامية أن تقدمه الينا فى هذا المقام ، وإن كان فى تحفظها ذاته ما ينم كما قدمنا عن تقديرها لرهبة الحادث وخطورته، وبعد آثاره. وإذا كان صمت الرواية الإسلامية تمليه فداحة الخطب الذى أصاب الاسلام فى سهول تور فأن الرواية النصرانية تفيض بالعكس فى تفاصيل الموقعة افاضة واضحة ، وتشيد بظفر النصرانية ونجاتها من الخطر الاسلامى، وترفع بطولة كارل مارتل الى السماكين. وتذهب الرواية النصرانية، ومعظم كتابها من الأحبار المعاصرين فى تصوير نكبة المسلمين الى حد الإغراق فتزعم ان القتلى من المسلمين فى الموقعة بلغوا ثلاثمائة وخمسة وسبعين الفا فى حين أنه لم يقتل من الفرنج سوى الف وخمسمائة . ومنشأ هذه الرواية رسالة أرسلها الدوق أودو الى البابا جريجورى الثانى يصف فيها حوادث الوقعة وينسب النصر لنفسه. فنقلتها التواريخ النصرانية المعاصرة واللاحقة كأنها حقيقة يستطيع العقل أن يسيغها . بيد

(١) فتوح مصر واخبارها ص ٢١٦ و ٢١٧ . (٢) ابن الاثير — ج ٥ ص ٦٤

(٣) ابن خلدون — ٤ ص ١١٩ — وفى نسبته الموقعة لمحمد بن الحبحاب خطأ بين لان ابن الحبحاب كان عامل مصر ولم ينتدب لولاية افريقية سوى سنة ست عشرة ومائة . ولم يول هو او ولده، الاندلس قط (راجع ابن عبد الحكم ص ٢١٧)

(٤) أخبار مجموعة فى فتح الاندلس (مدريد سنة ١٨٦٧) — ص ٢٥

(٥) بغية الملتمس (مدريد سنة ٩٤) رقم ١٠٢١

(١) البيان المغرب — ١ ص ٣٧ (٢) البيان المغرب — ٢ ص ٢٨

(٣) نفح الطيب — ١ ص ١٠٩

(٤) نفح الطيب — ٢ ص ٥٦

أنها ليست سوى محض خرافة . فان الجيش الاسلامى كله لم يبلغ حين دخوله الى فرنسا على اقصى تقدير أكثر من مائة الف (١) والجيش الاسلامى لم يهزم فى تور ولم يسحق بالمعنى الذى تفهم به الهزيمة الساحقة . ولكنه ارتد من تلقاء نفسه بعد أن لبث طوال المعركة الفاصلة يقاتل حتى المساء محتفظا بمراكزه امام العدو ولم يرتد اثناء القتال ولم يهزم . ومن المستحيل ان يصل القتل الذريع فى جيش يحافظ على ثباته ومواقعه الى هذه النسبة الخيالية . ومن المعقول ان تكون خسائر المسلمين فادحة فى مثل هذه المعارك الهائلة ، وهذا ما تسلم به الرواية الاسلامية ولكن مثل هذه الخسائر لا يمكن ان تعدو بضع عشرات الالوف فى جيش لم يزد على مائة الف . وأسطع دليل على ذلك هو حذر الفرنج وأحجامهم عن مطاردة العرب عقب الموقعة وتوجسهم ان يكون انسحاب العرب خديعة حربية ، فلو ان الجيش الاسلامى انتهى الى أنقاض ممزقة لبادر الفرنج بمطاردته والاجهاز عليه ، ولكنه كان ما يزال من القوة والكثرة الى حد يخيف العدو ويرده (٢)

على ان خسارة المسلمين كانت بالاخص فادحة فى نوعها تمثل فى مقتل عبد الرحمن ونفر كبير من زعماء الجيش وقادته . بل كان مقتل عبد الرحمن افدح ما فى هذه الخسارة ، فقد كان خير ولاة الأندلس وكان أعظم قائد عرفه الاسلام فى الغرب ، وكان الرجل الوحيد الذى استطاع بهمته وقوة خلاله أن يجمع كلمة الاسلام فى أسبانيا فكان مقتله فى هذا المأزق العصيب ضربة شديدة لمثل الاسلام ومشاريع الخلافة فى افتتاح الغرب (٣)

ويعلق النقد الحديث على هذا اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية أهمية كبرى . وينوه بخطورة آثاره وبعد مداها فى تغيير مصاير النصرانية وأمم الغرب ، ومن ثم فى تغيير تاريخ العالم كله . واليك طائفة مما يقوله أكابر مؤرخى الغرب ومفكريه فى هذا المقام :

قال ادوار جيبون : « ان حوادث هذه الموقعة انقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن المدنى والدينى ، وحفظت جلال رومة ، وأخرت استعباد قسطنطينية ، وشدت بأزر النصرانية ، وأوقعت بأعدائها بذور التفرق والعطب » (١)

ويعتبر المؤرخ أرنولد الموقعة « احدى هاته المواقف الرهيبة لنجاة الانسانية وضمان سعادتها مدى قرون » (٢)

(١) Roman Empir Ch LII

(٢) History of the later Roman Common wealth

(١) وهذا التقدير تأخذ به بعض المؤرخين الغربيين أيضا مثال ذلك المؤرخ الفرنسى ميزرى Mezerai

(٢) قال ادوار جيبون تعليقا على مزاعم الرواية الفرنجية : « ولكن تلك القصة الخرافية يمكن ردها بحذر القائد الفرنسى (كارل مارتل) اذ توجس من شراك المطاردة ومفاجآتها ورد حلفاءه الألمان الى اوطانهم . ان سكون الفاتح ينم عن فقد النماء والقوة ، وان اشنع تمزيق العدو لا يقع حين التحام الصفوف وانما حين الانسحاب وتولية الادبار » .

(٣) راجع موسوعة Bagli التاريخية تحت كلمة Alderame ففيها أيضا انكار الرواية الفرنجية عن خسائر العرب . وفى الترجمة الانجليزية للموسوعة تعليقات وملاحظات مفيدة لطائفة من المؤرخين الفرنسيين تجمع كلها على التنديد بمبالغة الرواية الفرنجية



في الأدب العربي

من طرائف الشعر

آثار شوقية

— ١ —

كوميديتان لم تنشرا

بقى من المجموعة المسرحية لشاعر الخلود شوقى بك روايتان كوميديتان تهيئان الآن للطبع وهما: « الست هدى » و « البخيلة ». ومن قرأ الشعر الفكاهى للأمير يتصور الروح الخفيفة المرحة التى تشيع فى هاتين الروايتين . وفيما يلى منظر من رواية البخيلة يلهب النفوس شوقاً إليها :

« الست نظيفة وخادمها حسنى — حسنى تدخل وبيدها شيء »

الست نظيفة : تعالىْ يا ابنتى جيئى بماذا جئتنى حسنىَ ؟
حسنى : لقد جئتُ بفنجانٍ حذيه جربى البنّا
السيدة : وهذا شبُكى . هاتِ
حسنى : أجل بالعود قد جيتُ
وفى الكيس مع الدخا ن زندانى وكبريتُ
السيدة : سلمت حسنى يداك
حسنى : أنا مولاتى فِداكِ
والآن هل آخذُ خرْج النهار ؟
السيدة : امضى خذيه إنه فى الكرار
حسنى : هيأته سيدتى ؟
السيدة : أجل !
حسنى : وما أخرجت لى ؟
السيدة : رأسٌ من الثوم وخمسٌ من صغار البصل
حسنى : والسمن مولاتى ترى
السيدة : كأمسِ لم أقلل
أوقيةٌ —
حسنى : والأرز ؟
السيدة : لا . لا يدخلنّ منزلى
لقد غلا سعراً ولا يعجبنى السعرُ الغلى
حسنى : ليتكِ بالزيتِ افتكر تِ والدقيق والعسل
السيدة : ولِمَ يا حسنىَ ؟ أرا كِ اليوم عادكِ الخبلْ
نسيتِ أن ههنا وتحت هذى الكنبهْ
العشرات من قديـ ـم الكعك والغريبه
حسنى : لم أنس ياسيدتى
السيدة : أنتِ إذن مخربه
حسنى : قد اشتهيتُ لقمةَ القاضى
السيدة : اشتهتك عقربه !
السيدة : وما الذى اشتريتِ يا حسنىَ لنا من الخضَر ؟
حسنى : البامِيا ! كأنها الزُمردُ الخامُ الحجرْ
السيدة : البامِيا منذُ متى هذا الخضارُ قد ظهر
حسنى : جديدةٌ قلتُ عسَى سيدتى بها تُسَرّ
نادى المنادون عليـ ـها منذُ أسبوعٍ غبرْ
ترفلُ من شوكتِها وفى شبابها النضر
السيدة : أجل لقد أكلتُها فى منزل الشيخ عُمرْ
كالذهب الأبريز والثومُ عليها كالدُررْ
حسنى : واليوم تأكلينها
السيدة : أمرٌّ من طعم الصبِرْ
اشتُريتْ غاليةً مثل البواكير الأُخرْ

حسنى هدية تلك

السيده ومن ؟

حسنى من قريب لى حضر

السيده من أين جاء ومتى ؟

حسنى من الصعيد قد بكر

السيده وبم ترى جزيته ؟ بقبلة مستعجله !

حسنى سيدتى !

السيده امضى اطبخى دقية مكمله
كأنها خلية من عسل بحمله
والثوم فيها لؤلؤ وهى به مكلله
والعظم

حسنى واللحم

السيده اخترى يتعبنى أن آكله

حسنى اللحم ياسيدتى فى البامية ما أسهله

السيده : حسنى انظرى

حسنى : سيدتى

السيده : على البلاط وسخ

حسنى الآن أغسل البلاط ثم أمضى أطبخ

« وتخرج حسنى الخادم »

— ٢ —

جبل الدروز

مشروع قصيدة لم تتم كان ينظمها المرحوم شوقى بك وهو بعالية من لبنان فى أسود الجبل وقد أخرجوا من ديارهم ففروا بحريتهم وكرامتهم الى الصحراء

....

ألا بديارهم جن الكرام وشفهم بليلاها الغرام
بلادا أسفر الميلاد عنها وصرحت الرضاعة والفطام
وخالط تربها وارفض فيه رفات من حبيب أو عظام
بناء من أبوتنا الأوالى يتمم بالبنين ويستدام
توالى المحسنون فشيدوه وايدى المحسنين هى الدعام
وأبلج فى عنان الجو فرد كمنزلة السموءل لا يرام
يبيت النجم يقبس من ضياه ويلمسها فيرتجل الجهام
له فى الأعصر الاولى سمى اذا ذكر اسمه ابتسم الذمام
كلا الجبلين حر عبقرى لدى محرابه ملك همام
أزيلوا عن معاقلهم فامسى لهم فى معقل الصخر اعتصام

. . . .

الذكرى

مرت بى الذكرى فعا ود قلبى المضنى أساه
ولمحت عهدا خاليا ووجدت فى الذكرى شذاه
أيام روض اللهو غض والهوى دان جناه
والعيش مخضر الحوا شى والمنى تندى ذراه
والقلب يمرح هائما نشوان ما يدرى هداه
كم لذة تقبيل الخدو د وشاقه لثم الشفاه
واليوم صوحه القنو ط فشاخ منضورا صباه
فى هدأة الذكرى وأحـ ـلام الشباب بكى هواه
وطوى بساط اللهو فى شرخ الصبى والهفتاه !!!
أواه من عبث الزما ن وآه من كيد الحياه !

دمشق حلمى اللحام

قلب !

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

ياقلب ! ياهيكل قدس الهوى ويامطاف الذكريات العذاب
أضمم على الحب شراع المنى فهو طعام الروح وهو الشراب
تالله لولا حرمة للهوى لكنت أصليتك مر العذاب
أمضنى حملك طفلا وها لما تزل طفلا كثير الشغاب
تملك أطراف السماء التى لم يمتلكها الدهر ، طيف الشباب
تفتن فى الضحك وما تأتلى تلعب حتى يتعايا اللعاب
صبرت عنك الروح لكنما أضجرها منك مراد عجاب
أضعت من أجلك زهو الصبا فضاع ريحانى ، وضاع الشباب

لم يبق لى من مأمل يرتجى ... فى راحة الأحلام غير السراب
يرف والروح شديد الصدى ... يعله فى العمر ماء كذاب

* * *

فيشارتى يمعن فى نوحها ... ونوحها شطر فؤادى المذاب
أشعارها فى ذى الدنى نفحة ... تائهة فى عالم من ضباب
تضيع فى غيهب هذا الورى ... ضيعة طفل فى فسيح الرحاب

* * *

ياغيب أهذا الطفل جم الرؤى ... مقصص الأفياء نضر الشعاب
مختطف ، شاردة روحه ... وشارد الروح طويل الغياب
غلغل فى دنيا الهوى فارتمى ... حيران قد ضل سبيل المآب
خذه إلى ساحك تغنم به ... أغرودة حالية بالرغاب

أيها النيل

أيها النيل أنت روح البلاد ... ورسول المنى وكل المراد
لست ماء فى أرضنا بل دماء ... تتمشى بين الحشا والفؤاد
فاجر يانيل بالحياة إلينا ... وابعث الخير فى بطون الوادى
واملأ القطر من ترابك تبراً ... وابق يانيل رغم أنف الغوادى

° ° °

أيها النيل لن تذل مدى الدهـ ... ـر وفينا ذخيرة للجهاد !
مصر تفديك بالدماء وبالنفـ ... ـس إذا عز فى الخطوب الفادى
فهى لولاك لم تكن منشأ النو ... ر ومهد الحجى وكهف الرشاد
وهى لولاك لم تكن ذات مجد ... ثابت الأس مستقر العماد
وهى لولاك لم تخلد بذكر ... فى جميع العصور والآباد
وهى لولاك لم تكن منية الغر ... ب حديثاً وكعبة القصاد

* * *

أيها النيل بلغ الغرب أنا ... قد صحونا من الكرى والرقاد
وسعينا إلى النهوض لنحيي ... لك عهد الأبوة الأمجاد

محمد فريد عين شوكة

الوداع الأخير

أغداً ياهاجرى موعدنا ؟ ... ردت الموعد أيامى عليك !
ها أنا الساعة فى منعزلى ... أسلم الروح وأزجيها إليك
كم تمنيت إذا أسلمتها ... لو أتت خاتمتى بين يديك
ياضنيناً باللقا .... حتى اللقا
ساعة الموت من الحرمان ؟ ويك !
أيها القاتل . . . . إنى مشفق
لك إن تلق الردى من ملكيك !
بى أوجاع قد استعصت على
حكمة الآسى .. وما استعصت عليك
فى سرير الموت جسم دارس ... ذو فؤاد ذائب من ناظريك
أيها القلب .... سألقى خالق ... ما جوابى إن يسل عن قاتليك ؟

* * *

لست بالخائف فى أخراى من ... لهب ألقيته برداً لديك
كنت فى الدنيا مجوسياً صبا ... للهيب موقد فى وجنتيك
لكأنى كنت مثلوجاً .... وكم ... أدفأتنى قبلة من شفتيك !
ياشقيق الزهر والطير أما ... سألت نفسك عن أخويك ؟
أنا فى روضك أرويه بما
فاض من دمعى مدى العمر عليك
فى سرير الموت أغفى شاعر ... عبقرى ... وجنى من مقلتيك
ياضنيناً باللقا ... حتى اللقا
ساعة الموت من الحرمان ؟ ويك !

صالح جودت

فى حرم

الجامعة المصرية

فى الأدب الشرقى

من أحدث الشعر التركى

قصيدة لمحمد عاكف بك

للدكتور عبد الوهاب عزام

كنت عزمت على أن أنتقل من الشعر التركى الحديث الى موضوع آخر من الشعر الشرقى ، ولكننى حينما عدت الى حلوان فى آخر الشهر الماضى وجدت الصديق الفاضل محمد عاكف بك قد فرغ من نظم قصيدة طويلة من روائع شعره يتجلى فيها بعض ما يحسه عظماء الشرق ، من الآلام والأحزان فى أيامنا الحاضرة ، فاستحسنت أن أجعلها ختاماً للكلام عن الشعر التركى وكان من توفيق الله أن ظفرنا بمثل هذه الخاتمة .

الفنان

قصة سمعتها منذ ثلاث سنين فلعل لها سامعاً واعياً :

فصل القطار من بوستون بعد الزوال بخمس دقائق ، وتفرق المودعون ، وآوى الى المقاصير المسافرون . فها أنا مستبد بهذه المقصورة الثمانية (١) وقد أمكنتنى الراحة فما يمنعنى أن أستلقى فأريح فكرى وجسدى . لتنزّ السماء والأفق والأرض وجداً فلست أبالى ما استقرت بى هذه الزاوية

لله أى أشجار من الزمرد ! . . وأى لجج من المروج ! . . أزهور هذه أم قصور ؟ . . ما هذه القرى فى حلل المدن وأبهتها ؟ . . . ما أجمل الطريق وما أبهر مناظرها ! . . . وما أكثر هذه المصانع ! . . . .

أخذتنى سِنة فامحت هذه الخاطرات كلها . وبينا أطفو وأرسب فى آفاق النوم اذا أنا مشارَك فى مقصورتى : واذا كوكب فى مبعة الصبا قد طلع أمامى . كلما طمح البصر اليها أزاغه لألاؤها فخر ساجدا على قدميها . والى جانبها — ولا ريب أنه حبيبها — رجل نجيب ، محبب الى الرائى ، طويل القامة ، رزين ، مهيب ، تشهد كل أسارير وجهه أنه فنان .

أشفقت أن أروع هذين القمريين ، فعلّقت أنفاسى ولبثت قابعاً فى زاويتى . ثم شرعت أرقبها اذ لم أر حاجة الى هذا الاشفاق : أما الفتاة فكانت عيناها الذاهلتان مستغرقتين فى حبيبها حتى لتحسب ان لو أنقضّت أجرام السماء لم تفق ولم تشعر . وأما العاشق — وقد غشى الحزن أسارير جبهته الوقور — فقد غابت نظراته العميقة فى أجواز الفضاء البعيدة . كيف يحس ظل وجودك وهو يرمى الغيوب بعينيه ويجانبه ليلاه ، وأمامه صورة المستقبل الذى طمحت اليه عيناه ؟ فانس نفسك ثم انظر ماذا تقول الفتاة :

أيها الأمير ! أرأيت ثلاث القطع الأخيرة ؟ إنها لساحرة جدّ ساحرة . . ما أصاخ المسرح فى حياته الى مثل هذه البدائع ، أرأيت شمس الصيف حين تطعن بأشعتها فى السحب فتحرق السموات نيران البروق الخاطفة ؟ كذلك كانت أصابعك التى لم تضرب ، بل احرقت العود النائم تحت خطوات الضياء ! لو علمت كيف أنّت تلك الصدور التى كانت أمامك ! ربّ ! ماذا كانت هذه النوّحات الداخنة لحناً بعد لحن كما تدمى وتحترق مئات من قلوب البلابل وأنت تصب شآبيب اللهب على الاوتار كلها جملة واحدة ! إن هذا النفس المنبعث الينا من قلب الصحراء المحترق — هذا الخطاب الذى يحشر الاجيال كأنه نفخة الصور هو أوّل ما سمعه غربنا المدنىّ . علم الله لقد كنت ، وصواعق المضراب تتساقط ، أتمثل سراب الماضى ، ماضى مصر والعراق ، وايران والحجاز ، واليمن وغزنة وبخارى ، والسند والهند — كنت أتمثل هذا السراب صاعداً من كل خربة دخاناً بعد دخان !

— ولكن كيف يحتمل عجزى هذه الكلمات ؟ إنّى لأخجل أن أشكرك .

(١) يعنى أنها تسع ثمانية أشخاص

— ماذا تقول ؟ ان للتواضع حداً فاعرف قدرك .

— أنا لا أعرف الا قدري :

كلا كلا ! حتام تخفي نبوغك ؟ ألم تر الى الذين استمعوا لعزفك اليوم ؟ وهم شياطين الصناعة في هذا العصر بلا ريب . ألم ترهم جميعاً قد أحنوا رءوسهم اكباراً واعجاباً . ولا سيما مشاركة غودسكي (١) في عصفات التصفيق الثائرة بين الحين والحين ، وتهنئته اياك وقوله : « أيها الأمير ! لا أدري أين نظير هذا الاعجاز ، ما أبهر عزفك ! اني بك جد مفتون ، وأنك اليوم فوق كل ثناء » انها كلمات أخذت أنفاس الحاضرين

— لأنه يحب الفقير (٢)

— كلا . ان هذه الديار ، مالم تغير شعارها ، لا تحب الفقير أبداً ، وانما تحب الدولار . ولست أعرف ديارك . ولعلها على غير هذا .

— ان يكن بيننا فرق فمقدار رأس فرس في حلبة الرهان .

— نحن إذن شركاء في الفاقة . وانها لبلية .

— ولكن ما كان ينبغي أن يغض من قدر غودسكي ، فان كل قريب يعرف شرف نفسه ؛ دع عبقريته التي سيطرت على كل بعيد . فان لم يكن في صدره قلب حساس فانثري على الخليقة كلها كفناً من المعدات .

— حسن ! والآخرون ؟ أهم كذلك أصدقاؤك ؟

— لا !

— هل نسيت ما قالوا : « أيها الأمير ! ما سمعنا قط فيولنسل (٣) كهذه ، قد تسخر العبقريات الكبيرة . هذه الآلة الثائرة المستعصية التي تزلزل العبقريات الصغيرة ، ولكن المعجزة في عودك هذا . نعم ان فيولنسل عندنا آلة أبية مرهفة ولكنها كلت على مر الزمان . وماهكذا عودك ، انه آلة ساذجة تأبى كل كلال . ان هذه الأصوات الزاخرة كالشلال لا تفيض من مثل هذا الصدر . كنا نظن هذا فاذا بك قد أخرست الفضاء وظهر بين الحين والحين عودك اللانهائي . ... » أهذه مجاملة ؟

— أليست مجاملة ؟

— رحماك ! اني لأخشى أن يكون تواضعك أشبه بالرياء ! لقد آن أن نعترف بنبوغك .

(١) غودسكي أكبر ضارب على البيان في العالم (٢) يريد نفسه

(٣) آلة موسيقية اكبر من الكمنجة اربع مرات

— ان مقاربة الكمال بعيدة عن آمالي فدعي النبوغ الآن !

— ماهذه النغمة الباردة المعادة ؟ وهذا القرار المكرر ؟

— ذلك أن الفنان لا يعلو بذراعيه ، ولابد للنبوغ من جناح ، ولا جناح لي .

— أأنت لا جناح لك ! اجهر بصوتك فما فهمت ! انك منذ قليل جاوزت شواهق الصناعة ثم حلقت حتى تخطيت حدود الامكان . أنى اهتديت الى هذه السبل المختلفة للايغال في هذا الطيران ؟ لا ريب انك لم تطوف في عالم اللانهاية راجلا . وان لك في هاتين الآلتين الخافقتين في ذراعي جناحين آخرين . فليت شعري أفي العالم عبقرية كهذه تسمو بها أربعة اجنحة باحثاً خيالها في سماء الالهام ؟ ان الدم الذي في عروقك لمن دم الأنبياء ، وان غلياناً في هذا الدم لجدير ان يبعث في الشرق ازكى حماس : ان وراءك جدوداً قد تصرف بالدهر سلطانهم ، وان امامك ذكراً قد ضمن لك المستقبل منذ اليوم ، فهل جاء أحد الى هذه الديار في هذه السعادة ؟

— أهكذا السعادة ؟ كلا ! لا تخدعي نفسك بالسراب . اجل نشأت في طفولة سعيدة ابتجح في دار كأنها الفردوس . ولكن اكفهر الجو منذ تخطيت عتبة الدار : احاط اللهيب والدخان بالشرق الممزق ، وكيف نهض من تلقفت داره النار فانقضت في التراب كل مفاخره حتى لم تبق خربة من هذا الماضي المجيد ؟ وبينما تململ تحت هذه المصائب تقطعت الديار فذهبت واحدة بعد اخرى ، فلما نظرت ورائي لم أر داراً ولا دياراً : ذهبت بها جميعاً ايدي الاجانب ! فلم يبق في هذه القبة الا يأس امة خاسرة !

— أليس هو اليأس الذي كان يئن به عودك ؟

كلا ! لو أنت الكائنات كلها بله العود ماترجم النواح عن ألم متقد في الجوانح . يقول شاعر الهند الفيلسوف محمد إقبال : « احترقت من نغماتي المضطربة قلوب الأصدقاء ، وإنما يحترق قلبي من النغمة التي يعجز عنها الغناء . » وكذلك أنا . فما سمع بعد من لسان مضراب صوت الألم الذي يدوي في قلبي الخرب ! ذلك سموم ، فكيف تبين عنه بضع آهات ؟ نعم لم تبن عنه فما كنت الآن عازفة أمري إذ تغنيت بأغاني سعادتي ! فلا تغضبي إن عجبت لظنك بي . لا تغضبي واعلمي أني نضو مصائب ، أجالد هذه الأحداث التي تسمى القضاء . وقد غيّر رأسي وذراعي

بالجلاد المحتدم ليل نهار، لا أزال أتحامل وأنهض. ولكن الشباب قد انهدم! واحسرتاه! على أي حين قد انهدم: حين يئست من الظفر ونأى عني أمل النجاة وذهب الهلاك بكل خطوة خطوتها الى المستقبل. والا فأية بلية لم تنل مني؟ أصورة وطني الذي انقلب كثباناً من الرماد؟ أم تعاسة أمتي الهائمة بغير وطن؟ أم غشي اليتيم الذي عصفت به ريح الخريف؟ أم أسرتي المرزأة التي ذرتها الرياح في الأرجاء؟ أم معابدي ومقابري التي طمسها البلى؟ أم حرم كعبتي الذي أقفر إقفار البيداء؟ أم ديني الذي دمي قلبــه دهراً حتى وقع؟ أم نعيب البوم على هذه الخرائب خرائب الاحساس؟

وبعد فأية فاجعة لم أصل بنارها؟ لست أعلم ما طواه لي الغد فهو الآن سر محجب. ولكن إن تسأليني عن مصائب اليوم فاليك إجمالها:

ارتمت بي في اليم سفينة بالية.. فأكبر ظني ان لن أعاود الحياة، وكنت أعزي نفسي حين أرى أساطين عشيرتي بجانبي تتقلب بنا الخطوب معاً. فثارت العاصفة ومزقت أضلاع السفينة وتفرقت الأمواج بالألواح. فلتصارع القضاء هذه السفينة التي انقلبت خيالاً؛ بل لم يبق منها الخيال! لماذا أكافح أنا في هذا البحر؟ قد اعتصمت بلوحين تعسين. وما بقاؤهما في مصارعة جبال من الموج؟ والسماء تحجبها ظلمات من السحب متراكمة. ويجثم على القضاء أشد الليالي حلكا وهولا، فأكوام الظلام عن يميني وشمالي وأمامي وخلفي: لا أعرف المكان ولا الغاية ولا الجهة ولا الوجهة. أضطرب يائساً وأدور التمس الفروج فلا أظفر بها، فأراني مسكيناً يدفع الى القبر حياً! حيناً تقذفني الأمواج الثائرة! وحيناً تهبط بي هوة جهنمية يرعدها الفضاء! وحيناً تنشق السحب عن البرق الخاطف يمزق أحشاء الظلام، فاذا مرأى هائل لا يذر للحياة الرجاء! أقول مرة: «ان القضاء لا يصارع.. فان لم يكن من الاجل بد فما تمسكي بهذين اللوحين؟ حسبي جلاداً وكفاحاً!». وأقول أخرى: «كلا! لا أستسلم! لأصدم برأسي الصخرة ولا أصدم به الانتحار!». ثم أمضي طافياً راسباً.

— ألم أقل الآن أيها الأمير! ان الذي يتحكم في نفسك دم الأنبياء؟

أجل، أطفو وأرسب وإخالني لا أتقدم — بهذين اللوحين اللذين سميتهما جناحين! بهذين اللوحين وهما البقية من انقاض شبابي المهدم ان تكن له بقية!

— أما كنا نريد ان نشهد الغروب منذ حين؟ واأسفا قد ذهبت حتى حمرة الشفق! وجثم على الآفاق اليتيمة حزن المساء فانقلبت صدراً حزيناً.. ألا تراها؟

— هذه، الآفاق اليتيمة، تمسح عليها الآن يد الشفق: فاذا انطفأ الشفق مسحت عليها ايدي النجوم. واما الصدر الحزين، فأن غده مشمس. ولكن آفاق ليلي ليس لها من هذه القبة ضوء ولا صدى، وانما حظها هذا الظلام الصامت، هذا الظلام السرمدي! كلما هبطت الى ساحة قلبي أخذتني الرعدة والوجل: اذ أرى في كل خطوة أثر غروب. نعم أثر غروب، ولكنه عميق كالعدم! فانما موعد شموسي الغاربة يوم المحشر!

ولكن ما هذا الحزن وما هذه الدمعة على وجهك؟ لا تحتمي بتعذيب مسافرك أيتها الرفيقة الجميلة! يعلم الله لو أن قلباً قد من صخر ما إحتمل انهمار هذه الشآبيب الغائمة في عينيك! لا! لا! إنه ليحرقني أن تحسي آلامي. فدعيني أبكي وتنحي عني! قد قاسيت مصائب الدنيا جميعاً، ولكن دعيني أمضي دون أن أرى هذه الدموع!

عيد الكهارب

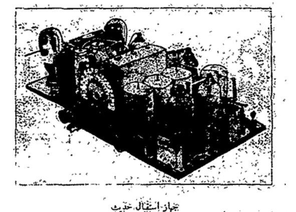
للدكتور احمد زكي

امتلأت الطرقات وسدت المسالك بالمشاة والراكبين وتكدست العربات الخاصة والعامة من فوق الأرض وتحتها بحمولاتها الأنسانية وكلها وجهتها اوليمبيا ، ذلك القصر الواسع في الحي الغربي من لندن حيث يقام كل عام مهرجان كبير ، يعرض فيه كل جديد في عالم اللاسلك . وما انتصف النهار حتى أخذ البهو الكبير من القصر السقيف يضيق بمن فيه ، وأخذت الخطوات تقصر في سبيلها بين المعروضات حتى كادت تنعدم الحركة ، ولما بلغ الداخلون خمسين ألفا صدر الأمر الى الأبواب أن تمنع الدخول . وكان على الأبواب الألوف من الناس في صفوف كالجند منتظمة . كل ينتظر دورة واقفا ، لا يزحم رجل امرأة ولا يافع شيخا . ونمت الصفوف ذيولا ، وتفرعت الذيول وطال الانتظار ، ونفد الصبر ، وكان اليوم مشمسا حارا . فأخذت تشيع في الجمهور الصامت بطبيعته أصوات القلق ، وأخذ يتبدل النظام السائد بالهرج ، وتبدل الهرج بزئاط صارخ واحتجاج منذر . دوت على اثره في داخل القصر الشاسع ثلاثمائة من نواعق اللاسلك ترجو ممن أتم طوافه بالمعروضات أن يغادر بسلام . وخرج من المعرض ممثلون وممثلات من المشهورين في عالم الراديو والمشهورات يعرضن على أرصفة الطريق من ألعابهن وأغانيهن ما يسلي الجمهور ويطيب خاطره . ولكن القدر كان قد غلى وأوشك أن يفور . وبدرت بوادر العنف . فلما تحطمت ألواح الزجاج من بعض المداخل تسلفن البوليس فجاء لساعته بركبه ورجله وملك ناصية الموقف في دقائق . وأحتبس رجل واحد . وعدّ من بخارج البناء عددا تقريبيا فكانوا خمسا وعشرين ألفا

دخلنا البناء حيث المعرض فوجدناه يتألف من الصالة الكبرى قد بعد طولها ، وامتد عرضها ، وسما ارتفاعها ، وعلى أرضها موائد متطاولة عليها أجهزة اللاسلكي الكاملة قد صفت في خطوط متوازية تستطيل تارة وتستعرض أخرى ، وبينها الناس يسيرون كالنمل في بطء وكثرة . وفي الوجه المقابل للداخل سلم عريض قد تغطى بالزائرين وهم في طريقهم الى الدهاليز العليا ، والشرفات الجانبية حيث أكثر المعروضات للقطع المفردة التي تتألف منها الأجهزة الكاملة . وقد راعى المنسقون والعارضون جميعا في تفريق الأماكن وتخصيص المناضد ، وكذلك في المعروضات وأنواعها وأحجامها وألوانها وزينتها ، أن تتألف من الجميع وحدة كاملة جميلة تسترعى عين الزائر وهو لا يزال على الاعتاب ، وكأنهم خشوا أن يكون جمال التنسيق ضعيفا فاترا فرسموا بأنابيب الكهرباء الحمراء في قبالة الداخل على الجدار العريض العالي الذي يهمين على الدار رسما كبيرا عظيما رائعا يجمع الى الجمال القوة والفتوة . وبلغ عدد العارضين نحوا من ثلاثمائة . وبلغت المبيعات نحوا من ثلاثة ملايين من الجنيهات ستجعل المصانع في شغل شاغل مدى أشهر الشتاء القادم

وامتنع العارضون عن ادارة الاجهزة والتقاط أمواج الأثير خشية أن يتصدع الجمهور بمئات الأبواق فلم يكن لغير الفني في المعروض مأرب ، إلا أن يستمتع ببريق الصمامات وجدة المكثفات وسواد الحويّات ودقة النجارة في صناعة الأبواق والخزانات . أما الفني فلم يكن هناك حد لنهمه فقد امتاز هذا العام بتقدم في كل قطعة من مستقبلات الراديو أفسد على الكثيرين اغتباطهم بالأجهزة القديمة التي لديهم . وحركهم ، وسيحركهم لا شك ، إما الى استبدال قديم بجديد ، وإما الى الاقتصار على الترقيع لتنال اجهزتهم حظا من الجدة . ولكن في كثير من الأحوال يتناول التجديد أساس الجهاز من حيث النظام

الذى بُنى عليه ونوع الاجزاء التى تستخدم فيه. فى هذه الحالة قد يتكلف الترقيع أكثر من شراء الجديد . ولعل هذا هو السبب فى أن كثيرا من مخازن لندن كانت تعرض قبيل ابتداء المعرض اجهزة كثيرة هى لاشك من الطرازات القديمة بأثمان بخسة بلغت النصف فما دونه .. وهذه حال لا تسر مقتنى الراديو . ومن المؤسف أنها ستتجدد كل عام ما فتىء العلماء يبحثون وما ظلت الشركات وهى عديدة وغنية تتنافس فى تجويد المحصول . الا أن صنفا من المستهلكين لا يفتأ يجد لذته فى هذا التغيير والتبديل بحلول كل عام جديد .. ذلك فريق الهواة الذين يركبون اجهزتهم بأنفسهم، ويفقهون كيف تعمل فهؤلاء يرحبون بكل جديد للمتعة التى يجدون فى الحل والربط وفى ترقب التحسن الناشىء فى استقبال للأثير أدق . والتقاط للكلام والنغم أصفى وأروق . ومن الغريب أن كثيرا من الهواة هواهم يقف عند هذا الحد . أو إن هو تعداه أصبح رغبة عادية لا يتحرق لها إرم ولا يغلى معها دم . هواهم فى الآلة المعدنية الزجاجية الخشبية التى تلعب فيها أصابعهم وفى النتاج التى تأتى به من حيث الأداء . أما ما يحمله الأثير من جملة بديعة أو نغمة مشجية فله عندهم المحل الثانى . وليكم يسر الزائر الغريب للمعرض أن يرى شبانا هواة لم يعدوا بعد العشرين يتسللون كالسحالى من خلال هذا الزحام يجمعون فى أكياس من الورق بأيديهم نشرات العارضين وكتيباتهم وقد حوت كل طريف حادث .



جهاز استقبال حديث

وتتناول التحسينات المعروضة الاستقبال وحده ، أى تحسين الآلة من حيث حسن أدائها ، وحمايتها من البيئة التى تعمل فيها . مثال ذلك أن حس الآلة زاد ، أى أنها تستطيع أن تلتقط أضعف الموجات فى الأثير وأن تكبرها دون أن تفقد منها شيئاً لا من النغم العالى ولا النغم الواطىء ، أو دون أن يضعف هذا أو ذاك . فان قيمة ذلك كبيرة فى إذاعة الموسيقى ، ولو أنه ليس له مثل هذا الخطر فى إذاعة الكلام . كذلك زادت فى الآلة القدرة على الاختيار ، فكثيراً ما أراد الإنسان مناغمة tuning محطة فهوشت عليه محطة أخرى موجتها قريبة من تلك ، فاصبح الآن يستطيع أن يحجب المحطة التى يريد حجبها . كذلك كان السامع يستمع الى المحطة التى يشاء فى اغتباط وهدوء فلا يلبث أن يرى الأصوات تضعف حتى تكاد تنعدم ثم تهجم على اذنه فى قوة ثم تتقهقر فلا تترك فى نفسه لذة من سماع ، فاصبح بالآلات الجديدة فى مأمن من هذا يستمع لنغم ذى قوة مضطردة واحدة . كذلك كانت الآلات تتأثر بما فى البيت أو الطريق من الكهرباء ، كأن يكون بالمسكن مصعد أو بالشارع ترام ، أما الآن فقد حاطوا الآلة — أو الأصوب بعض أجزاءها — بما يصد عنها كل هذا الأذى . حدثنى صديق أنه الآن لا يجد للمصعد هذا الأذى مع أن جهازه لا يفصله عنه غير سمك حائط . كذلك كنت تتطلب استماع محطة فتدير اللولب فيمر بك على محطات أخرى منها القريب القوى الذى يصرخ فى البوق ذلك الصراخ المؤلم المعروف ، أما الآن فتضبط الآلة كل هذا من نفسها . بل من الآلات ما لا تسمع له صوتاً وأنت تدور باللولب تطلب المحطة التى تريد . وأنما ترى مصباحاً ينير ويظلم كلما مر بمحطة ، فاذا أضاء عند موجة المحطة التى تريدها خفضت زرا فجاءك النغم والصوت على أشده ، هذا الى كثير من التغييرات التى لا يمكن ذكرها دون الدخول فى معقدات الفن ، ودون ذلك حوائل منها اللغة العربية . ولقد جازفت فى هذا المقال فقلت « المكثف » و « والحوية » و « المناغمة » و « المستقبل » وفى نفسى شك كبير فيم يفقه القارىء من ذلك

أما من حيث أحجام الأجهزة وشكلها فلم تبق الشركات رغبة لراغب الا قضتها ، فالجهاز الكبير الذى يملأ الحائط كأنه قطعة من الأثاث موجود ، والجهاز الصغير الذى تربطه الى قائم عجلة الادارة من سيارتك موجود ، والجهاز الذى تستقى له من كهرباء المنزل موجود ، والذى تستقى له من كهرباء البطاريات موجود ، ومهما شئت من أشكال أو ألوان

ابن فرعون يتعلم ..

للأديب حسين شوقي

كان الأمير الصغير (مري آمون) ولي عهد فرعون - ولم تكن سنه تربو على العاشرة - يتلقى دروسه الدينية في حجرته .. وكان معلمه الكاهن الكبير (موتيب) يشرح له الاسرار السماوية العميقة في اوراق البردى المنثورة أمامه .. وكانت لحية الكاهن الطويلة تروح وتغدو في الفضاء كلما تكلم، كأنها الآلة الكهربائية التي تمسح زجاج السيارة أمام السائق في أيام المطر حتى لا يحجب عن نظره الطريق .

كان الكاهن يقص على الأمير كيف تكون العالم وكيف خلق الأله رع هذا الفضاء، ثم الارض، ثم السماء، ثم النيل، ثم التربة الخصبة، ولكن مري آمون كان يستمع الى معلمه في سآمة وضجر. ويود لو شارك الإطفال الذين شاهدهم من النافذة يمرحون في الحقول طلقاء سعداء في مرحهم ولهوهم، بينما هو يقضي العمر سجينا بين جدران أربعة ! فاذا ذكر الكاهن جهنم وأخذ يصف الشياطين المكلفين فيها بعذاب من أذنب في الحياة الدنيا . أحس مري آمون برعدة تسري في جسمه الضئيل .. وكان الكاهن يرمقه بابتسامة صفراء كأنه مغتبط لخوف الامير .. كم ود مري آمون في تلك اللحظة لو دق عنق معلمه ! .

وفي أثناء ذلك ، ازداد ضجيج الاطفال في الخارج . فنظر الامير اليهم مرة أخرى من النافذة ، فاذا بهم يطاردون جحشاً فر من صاحبه .. عندئذ استولت الحماسة على قلب الامير ، واشتدت به الرغبة في الانضمام الى أولئك الصبيان ، فصاح بمعلمه قائلا : سيدي أرجو منك أن تدعني أذهب لمساعدة هؤلاء الاطفال في القبض على الجحش الهارب .. فكان جواب الكاهن أن غلق النافذة واستمر في القراءة كأن لم يقع شيء ..

تقلب الامير المسكين في سريره تلك الليلة ، ولم تذق عينه النوم لانه كان جد غضبان .. ولو نظر مري آمون وجهه في المرآة في ذلك الحين لشاهد تلك الحمرة الجميلة التي علت خدوده ذات الصفرة الذهبية من جراء انفعاله ! .. حقا ! لقد مل الامير الحياة ، وسئم استبداد معلمه ! صحيح ان بالقصر أطفالا كثيرين من أبناء الاشراف يستطيع الامير مشاركتهم في ألعابهم ، ولكن هؤلاء لا يعاملونه معاملة الند للند بل يهابونه ولا يخاطبونه الا في كلفة وحياء ! .

رب كيف يتخلص الامير من نير الكاهن حوتيب ؟ انه طالما شكاه الى فرعون والملكة في الأوقات القصيرة التي يسمح له فيها بمقابلتهما ولكن من غير جدوى .. فقد كانا يردانه دائما خائبا كأنه ارتكب جرما .. لم لا يرفع الامر الى الآلهة الفخام وهم من أقاربه كما يزعمون ؟ ولكن هؤلاء هل يعينونه ؟ انه يشك في ذلك ، أنظر الى صورهم المخيفة ! . ذاك (سوبك) اله الماء ، له صورة التمساح الذي يخطف الاطفال على ضفاف النهر ، وذلك (أنوبيس) في شكل الذئب وقد أكل في العام الماضي غزال الامير المحبوب .. وتلك (هاتور) على هيئة بقرة ، فهي لا شك بلهاء لا تستطيع نصرته .. اذن من يختص منهم لنجدته ؟ ايزيس ؟ أجل ! هي الام البرة .. كم مرة سكب الامير دموع الرحمة والحنان ازاء تمثالها وهي جالسة تضم الى صدرها ولدها المحبوب هوروس ! وفي تلك الليلة نفسها دعاها الامير لنصرته

لخزانة الجهاز تتوافق مع شكل الحجرة التي تضعه فيها ولونها فوجود كذلك، ما وجدت في كيسك الجنيهات . أما الذي خيبت آمالنا فيه بحق فالاجهزة التي تنقل لك صور الرجل المذيع وهو يتكلم أو يمثل أو يغني Televisor . فقد أقامت شركة ماركوني جهازا كبيرا من تلك الأجهزة عرفناه من بعيد لأنه كان حجر عثرة في سبيل سيل الزحام المتدفق لأنه كان يتجمد هناك . وصبرنا حتى بلغناه واذا بوسطه لوحة سوداء طولها قدمان في مثلها عرضا هي التي تركزت اليها الأنظار . اخذنا ننظر مع الناس فلم نر شيئا ، وكنا على ساحل الصخرة الآدمية في قبالة اللوحة ، وبعد لأي ضغطنا من حيث لا ندري الى مكان أحب وأقرب ، فعندئذ تبينا أشباح الممثلين وتبعنا حركاتهم وهي متصلة حقا كاتصالها على شاشة السينما ، الا أننا خلناهم من ظلمة المنظر يلعبون في ليلة مقمرة قد حجب بدرها سحاب قاتم. على أنها بادرة حسنة وأول الغيث قطر ثم ينهمر ؟

لندن في ٣٠ أغسطس ١٩٣٣ أحمد زكي

٤٦ ١

فاستجيب دعاؤه ! وربما تكون ايزيس بعيدة النظر فى استجابتها دعاء الامير: اليس مربى آمون ولى عهد المملكة ؟ لو آل اليه الملك بعد موت أبيه اذن سوف يتذكرها فيفضلها على سائر الآلهة ويبنى لها شاهق القصور ويقيم لها أعظم التماثيل ، ويغدق عليها الهدايا والقرابين. واليك كيف استجابت دعاء الأمير :

لاحظ الأمير أن من عادة الكاهن ملازمة حجرته فى كل احتفال دينى يقام بالقصر ، فكثيرا مابحث عنه الأمير بنظره فى مكان الاحتفال فلم يجده فيه .. بينما يحضر هذه الاحتفالات الملك والملكة والكهنة الآخرون .. وجميع رجال القصر .. فكان مربى آمون يتعجب من أمر معلمه ولا يفهم سبب احتجاب الرجل وتخلفه عن حضور مثل هذه الاحتفالات العظيمة ... وفى يوم عيد دفع الأمير حب الاستطلاع الى ان يختبىء فى حجرة الكاهن حتى يدرك السر . ففعل ذلك قبل وصول الكاهن الى حجرته بقليل ، وما كاد حوتيب يدخل ويغلق خلفه الباب حتى ضغط على زر فى الحائط فانفتح فيه ثقب دخله الكاهن على الفور .. وقد أراد الامير أن يتبع حوتيب فى الثقب ولكنه أحس الخوف يتملكه ، فعاد مهرولا الى حجرته الخاصة .. وفى المرة الثانية تغلبت الرغبة على الخوف فاستطاع الأمير اتباع الكاهن داخل الثقب فاذا به فى دهليز مظلم انتهى منه الى مكان ضيق يقع خلف الحائط المستند اليه تمثال آمون الكبير القائم فى قاعة الاحتفالات ، واذا بالكاهن يقف خلف التمثال المذكور ويتناول من الأرض بوقا ثم يتكلم منه بصوت متغير مقلدا صوت التمثال ، فيردد الألفاظ التى طالما سمعها الأمير فى تلك الاحتفالات بنصها .. وكان يظن هو وسائر الحاضرين بطبيعة الحال . انها صادرة عن الاله .. حقاً ! ان دهشة الأمير كانت عظيمة بمقدار خوفه ، لذلك هرول مسرعا الى الخارج .. ولكن قلبه كان يفيض سرورا لاكتشافه العظيم الذى سوف يشتريه منه الكاهن بثمن عال ... وفى اليوم التالى انتهز الأمير فرصة غياب الكاهن عن القصر فقصد حجرته ، وهناك ضغط الزر ثم دخل فى الثقب وعاد منه بالبوق .. بعد ذلك ، عند ما أزفت ساعة الدرس وأقبل المعلم يتهادى فى رزانته المعتادة ، دنا الأمير منه قائلا :

سيدى أظن أنك فقدت هذا البوق فى الثقب ! عندئذ احمر وجه الكاهن حتى عاد « كالطماطم » ثم مد يده ليأخذ البوق صائحا فى غضب : أعطنى هذا البوق !

ولكن الأمير رفع يده بالبوق خلف ظهره وقال فى ابتسامة الظافر : سوف أفعل ياسيدى اذا أذنت لى فى اللعب حيث أشاء ومع من أختار من الرفاق .. فتردد الكاهن مليا ثم قال فى يأس وهو يطأطىء رأسه : لك يا بنى ما تريد !؟

قصـــة مصرية

« الطـــامع . . . »

لقد واتاه الحظ . ومشى اليه السعد ، وحفلت حياته الجديدة بما تحفل به حياة رجل عظيم ! . لم يعـــد الشيخ « ياقوت » رجلا عادياً فى القرية . بل أضحى رجلا مرموقاً . فأنت ترى الجلوس فى آخر الطريق ينهضون على أقدامهم عند ما يبدو فى أوله فى جبة من الجوخ . وقفطان من الكروتة . وعمامة متقنة يبدو شاشها دائماً ناصعا مزهراً . وبين أنامله مسبحة من الكهرمان متألقة الحبات . وشفتاه لا تفتران عن تسبيح الخلاق القدير فتنيران وجهاً جميلا مشرباً بالحمرة .

وإن « منظرته » لتحفل بالأضياف فى الشتاء وتذكو فى موقدها جمرات الأثل ويشرق من سقفها على الجالسين نور جميل يرسله مصباح فى « فانوس » من الزجاج الملون . وفيها يشيع صوته الحلو الحنون يردد أى القرآن أو فقرات الحديث ، وأصوات الأضياف ترتفع بتلك الجملة الأبدية : صدق الله العظيم . . . صلى الله عليه وسلم !

فاذا ما حل الصيف إنتقل المجلس الى « المصطبة » المستندة الى واجهة الدار حيث يحلو السمر تحت ضوء القمر ، وحيث جرت العادة أن تعقد حفلات الذكر والختمات ، وحيث كان أصحاب الربابة والمزمار . ومنشدو أبى زيد . والقصاصون يجلسون فيطربون حلقة المستمعين من شيب وشبان . وسيدات جالسات ، خلف الأبواب ووراء النوافذ .

لم تكن للشيخ ياقوت هذه المكانة فى أول الأمر . كان فى المبدأ مأذوناً للقرية . فاذا ما كان يوم الجمعة واجتمع الناس فى المسجد وعظهم بلسان فصيح وكلمات زاجرات ، وأراهم الطريق الى الجنة ورغبهم فيها . والطريق الى النار وحذرهم منها . . . فاذا ما انتهت الصلاة تقدم اليه الجمع يستفتيه فى أمور الدين والدنيا ويستلهمه النصح والإرشاد .

ولقد أهم الشيخ ياقوت ضيق رزقه وقلة ما تجديه عليه وظيفته ففتق ذهنه عن فكرة صائبة . وسرعان ما ظهر فى القرية دكان مزين الجدران ترتفع فوق بابه لوحة كتب عليها « راجى عفو المنان ، الشيخ ياقوت عثمان » ! . .

ونفقت تجارته ، واقبل الناس عليه . فهم يجدون عنده مالا يجدون فى حانوت القرية الآخر . وسرعان ما أخذ الناس يتحدثون عن جودة بضائعه وطرافتها . ويطرون ما عنده من تمباك ودخان .

وسور مكتوبة ، وأوراد ، وتعاويذ تخاط فى الأحجبة فتقى الناس شر العين وكيد الحسود ! . . ولم ينس الشيخ أن يستحضر ألوانا مختلفة من المسهلات ، والبرشام فلم يعد يتكبد الممعود أو موجوع الرأس أو الأمعاء عناء الذهاب الى المدينة لالتماس هذه الأشياء .

كان صاحب الحانوت الآخر مستبداً بأهل القرية لا يؤجل لهم ثمن ما يشترون على رداءة بضائعه وشحه ، فلم يقو على منافسة الشيخ ياقوت فأدركه الافلاس . والحق أن الشيخ كان دمث الاخلاق من أرباب السياسة والكياسة . وكان يسخو فى البيع ويمهل فى الدفع ، وهو فضلا عن ذلك من حفظة القرآن فالشراء منه بركة ، والتمسح به وهو من أصحاب المراكز فيه نفع لا مضرة . وهو يعطي المشترى المواظب من حين الى حين شيئا من بخور السيدة الذى أحضره من القاهرة .

وعند الدكان مقعدان طويلان تجدهما أبدا مشغولين بالجلوس من المشترين الذين يرغبون البقاء لاستماع الشيخ وهو يقرأ الجريدة ويقص عليهم الأخبار وما يحدث فى بلاد الكفار .

وقد كان اليهودى ينزل القرية بين الحين والحين يحمل بضائعه على كتفه ويصيح « شيت يابنات . مناديل . روايح . حراير أمشاط . مرايات يابنات . . . » . لكن هذا الصوت قد إختفى ونفض اليهودى حذاءه من تراب القرية ، فقد كرههم الشيخ ياقوت فى معاملته ، واستحضر لزوجته تلك البضائع . فكانت تبيعها فى المنزل بالسعر المعتدل المقسط . وانتشر خبرها فى القرية فاصابت من الرزق أكثر مما يصيب الشيخ من حانوته ، وأخذ الشيخ يكثر من تسبيح الله وترديد اسمه والثناء عليه ، وابتدأت الحمرة تنتشر فى وجهه . .

ومضى الحول فاذا به يخرج على الناس بمشروع جديد ، فقد كبر عليه ان تظل القرية بلا كتاب ، فشمر عن ساعد الجد ، واشترى الخشب وكان فى صباه نجاراً فلم يلبث أن سواه مقاعد يجلس عليها صبية « الكتاب » الذى افتتحه .

وكان « الكتاب » بجوار الدكان فى الطابق الاول من الدار فأخذ يوزع نشاطه بين العملين ويراوح بينهما فى المجهود . وكانت بضائع الحانوت تنفق سريعا ، فأن أولاد النجوع المجاورة صاروا يعودون فى المساء بعد الدرس بما يحتاج إليه ذويهم من بضائع الشيخ . فاذا ما كان الصباح وابتدأ الدرس واخذت عصا الشيخ ترقص فى يده . ذهبوا الى الدكان يحاولون الاكثار من ابتياع الحلوى وما اليها ابتغاء مرضاته حتى تقصر عنهم عصاه .

وأثمرت جهود الشيخ الجديدة فصارت القرية تفاخر بعدد من الصبية حفظوا القرآن . وذاعت شهرة الكتاب فوفد اليه ابناء الكفور القرية يتلمذون على الشيخ ومضت الأيام فأذا بكتاب الشيخ ياقوت من كتاتيب الاعانة التى تتقاضى تسعة جنيهات فى السنة ! .

فتح الله عليه ابواب الرزق فصار يتاجر ، ويغامر ، ويكسب ، ويستأجر الأرض ويزرعها . وجعل يتغنى صباح مساء « وأما بنعمة ربك فحدث » . غير أن هاجسا كان يقلق الشيخ ويقض مضجعه ، فقد مضت خمس سنوات وزوجه لم تعقب له ولدا غير « حسان » . وهو رجل يطمع فى كثرة النسل ويريد أن يرى أنجاله يرتعون فى هذا الرزق الواسع والخير العميم .

أما أن يمنى بقلة الذرية فقد كان شيئا ثقيلا على نفسه . كان الناس يتهامسون رثاء له واشفاقا . والأعداء يشمتون ويودون لو يخطف الموت حسانا فلا يبقى للرجل من زينة الحياة غير المال ، والمال بلا بنين كالشجر بلا ثمر .

كلما مر بالشيخ ياقوت هذا الخاطر ارتاع وابتأس . وماذا يدعو الى الارتياع أكثر من شماتة الإعداء نار الحساد التى لا تجد لها وقوداً غير كارثة تلم به وبلاء يقع فيه ! . .

كان يفكر أن يتزوج بأخرى ، لكنه كان رجلا شهما ، تأبى رجولته أن يتزوج على أم حسان ، فيؤلم نفسها ، ويجزى إخلاصها وصبرها شر الجزاء . كان يحبها حبا خالصا ، ويجد فيها الزوجة الصالحة المطواع ، والمرأة الجميلة الصبوحة .

كانت أم السعد تشعر بهذا الخطر الذى يهددها وبأيدي السوء التى تدأب على إفساد حياتها الزوجية ووضع النار فى بيت هنائها ، فكانت تصبر على وشايات أم الشيخ وأخواته اللوانى امتلكتهن رغبة محرقة فى أن يتزوج الشيخ من بنت العمدة ، فقد وصل رجلهم الى الدرجة التى تؤهله الى نيل هذا الشرف . . .

كانت أم السعد تداريهن ، وتصبر على ما يصيبها منهن طمعا فى أن تظل وحدها حليلة زوجها . أما هن فقد غلون فى اضطهادها والأساءة اليها بعد أن عرفن موطن الضعف فيها ، ووقفن على تلك الغيرة المستترة خلف قلبها . وأضحت لهن أمة ضارعة ذليلة تفزع إذ يلوح لها شبح « الضرة » وتضع أصبعيها فى أذنيها حين تسمع كلمة الطلاق ، فقد كانت تعرف أنها سائرة الى آخذ الطريقين .

صارت تنذر النذور وتستصرخ الأولياء ، وتذهب الى قبور الصالحين تستمد منها البركة . يأتى عليها الليل وينام القوم فتصعد الى السطح وتكشف رأسها وتسخر كل قوى روحها فى التوسل الى الله أن يرزقها ولداً آخر . وقد تسترسل فى بكائها وهى تتذكر آلام النهار والتعيير والكيد . فلا تمسح دمعها حتى تظهر

نجمة الصبح فتعود لتنام عند قدمي زوجها .

فاذا كان شهر رمضان صامته من غير سحور وبذلت الاحسان من غير حساب .

وبلغ حسان العاشرة من عمره والأم لم تظفر بالأمنية . . ونفد صبر الزوج فخطب ابنة العمدة لنفسه . .

وابتدأ البيت يمتلىء بالضوضاء ويستعد لاستقبال الأفراح والليالى الملاح . فكانت « أم السعد » تنسل الى غرفتها كما ينسل الى وكره حيوان مضطهد مجروح . . . كانت تعيش من فكرها فى مأتم ، وكلما اقترب يوم العرس انقطع بين يديها خيط من خيوط الهناء ، حتى صارت تفتقد مسرات حياتها فلا تجد بين يديها إلا خرقة مهلهلة . .

وماذا بقى لها بعد أن صارت المرأة المنبوذة ؟ ! . كيف تطيق أن ترى المرأة التى تتوج بدلها بعد أن كان التاج لها ، تتخطر مزهوة مختالة يزري جمالها الفتى الجديد بجمالها الذى فقد الجدة والفتنة ! . .

لقد شادت هى كل شىء وتعبت فى كل شىء ، فاذا بامرأة غريبة تتسلم البضاعة وتأمر وتنهى ! ليتها لم تفعل شيئا . ليتها لم تدبر ولم تقتصد ! كانت تشقى فى حاضرها لتسعد بمستقبلها فاذا بالمستقبل يضيع وبالأمل يتحطم ! . .

وحسان العزيز ! إن امره ليدمى فؤادها . لقد اشترى له أبوه اثوابا جديدة بمناسبة قدوم العروس ، وأمرها أن تخيطها له ! إن ثياب الحداد أولى به فقد دالت دولته . ولن يدلل فيما بعد ! سيصبح ابن المرأة القديمة . . . وسيتحول قلب أبيه عنه الى أولئك الأطفال الصغار الذين طال اليهم اشتياقه . كيف تستطيع احتمال هذا ؟ انها لترسل بصرها فى المستقبل فترى ابنة العمدة جالسة فى رحبة الدار تخرج ثديها فخورة مباهية لترضع طفلها . كأنها تتعمد اغاظتها والحط من شأنها ! وستنكس هى بصرها خجلا وسيندى جبينها خزيا ! إن ثديها العاطل المحروم ليحن للارضاع ! بل انه ليهتز شوقا الى طفل . وهى تخرجه فى وحدتها وتتأمله بحسرة حرى وعين أسيفة . وتعصره لعله ينض له بقطرة تكون نذيرا بالحمل ! . . فلا تظفر بغير الخيبة ، ولا يلوح على وجهها غير ظل ابتسامة كسيرة مهزومة . . .

مضى شهر على الزواج الجديد . . وكانت أم السعد قد سئلت أن تخلى غرفتها للعروس ، ووعدها زوجها أن يرد الغرفة اليها بعد أيام ، لكنه حنث فى وعده ، وتركها تقيم مع أوعية اللبن والجبن فى هذه الغرفة القائمة فوق السطح . . . وهى الآن جالسة تخطط فى التراب وتحدق فيما تخط بعين ذاهلة . وقد مسح الحزن عن وجهها ضياءه واشراقه . ولم يبق من محياها الجميل غير معارف امرأة محطمة ، ناقمة ، متجددة السخط والغضب .

وكيف لا يتجدد سخطها وغضبها ! . . ها هى ضوضاء الدار تصعد الى أذنيها فتنبئها أن القوم لاهون بينا هى وحدها تتعذب . والدخان يرتفع من أسفل فيضايقها ويؤذى رئتيها ويحمل الى خاطرها صورة « الوليمة » ، ووجه زوجها وهو يضحك فى وجه العروس ويداعبها .

واذا هى تعض أناملها ، حانت منها التفاتة فرأت أثواب حسان البيضاء التى غسلتها فى الصباح تخفق تحت أشعة الشمس ، فقامت اليها متثاقلة وجمعتها . وأخذت تخيط ما بها من ثقوب وفتوق .

وظلت تنتظر عودته من الكتاب لكنه لم يعد . ثم عضها الجوع فقامت الى الطعام لكنها لم تصب منه غير قليل ثم عافته .

وصعد اليها حسان وفى حجره الوان من الحلوى ، وحدثها أنه تناول الطعام مع العروس . . . وثارت نفس الأم ، فلطمته ودفعته بعيدا ، فتبعثرت حلواه وطفق يبكى . لكن حنانها عاودها فذهبت اليه ، ومسحت دمعه وأجلسته فى حجرها ، وسألته أن يسمعها ما حفظ فى يومه . فأنشأ الصبى يرتل ، وأسارير الأم تنبسط كأن شعاعا من العزاء يتسلل الى قلبها ، ويبدد شيئا من ظلمته الحالكة وأخذه النوم فألقى رأسه الصغير الى كتفها ، وغلبها الحنان فتناولت كفه وأدنتها من شفتيها . لكنها عافت اليد الصغيرة عند ما رأت عليها لون « الحناء » الذى أباحت جدة الصبى لنفسها أن تخضب به يدى حفيدها . فحفل صدرها بالغيظ ، وملأ الحقد قلبها وملأ الدمع عينيها . . .

وتبكي الأم بحرقة . ويستيقظ الصبى مرتاعا ، ويملأ الدمع عينيه البريئتين وهو يسأل أمه أن تكف ، فتحاول لكن أساها يغلبها ، فتعتذر اليه بأن هناك نارا تسرى فى أحشائها ، وتعتلج فى صدرها . وتحدثه وهى تحدق فى وجهه بجزع وقد وقفت على شفتيها ابتسامة مشلولة : أنها لن تعيش طويلا . لأن تلك النار لم تبق شيئا . .

من هذا اليوم سقطت أم حسان مريضة وتضافرت عليها أوجاع الجسد والروح . فأخذت تتقهقر من ميدان الحياة على عجل .

أما الشيخ ياقوت فيأبى أن يدعو الطبيب ويزعم أنه خبير بدهاء النساء ، ويتهم زوجته بانها تتمارض ، ويهددها بأن عصاه كفيلة بمداواة الغيرة التى تأكل قلبها ، وينذرها بأنه لن يسمح لها أن تجعل بيته جحيما ، وأن كلمة « الطلاق » مخبئة خلف شفتيه يلفظها أن سولت

لما نفسها الأمارة بالسوء إعادة هذه اللعبة المفضوحة للتنصل من الخدمة!..

وتنسحق روح أم حسان تحت عبء هذه الكلمات كما تنسحق قطعة الفخار تحت ضربات المطرقة. وكأنها تؤثر الانضايق قرينها فتغادر الحياة بعد أيام قلائل!..

كانت هناك نفس واحدة حزينة لفراقها هي نفس حسان، لكن حزنه انجاب سريعاً كغمام الربيع ...

لم يطل عهد حسان بالحلوى والتدليل، وتقدمت به الأيام فاذا به يلطم ويزجر او تنكر له الجميع.. وقوى إحساسه باليتم.. والكآبة روحه الظمأى للحنان فذبل كما يذبل لحظ النرجس من كثرة العطش. وفقد النصير. ولم يعد يملك إلا أن يطوف بمقبرة القرية يرمق منزل أمه فيها ويود لو تناديه اليها ليتيم معها.

أما الشيخ ياقوت فقد اطمأن الى الثروة التى أجتمعت له فأغلق الدكان وأهمل الكتاب، وركن الى حياة مترفة، لاهية، موزعة بين أحضان الزوجة ودوار العمدة...

ومضت الأعوام والزوجة لاتنجب ولداً ولابنتاً. وثروة الشيخ تتبدد فى الانفاق على القابلات، والزلفى الى أصحاب الكرامات.

وكبر على ابنة العمدة ان تبقى عاقرا، وشعرت أن «ام السعد» وهى فى القبر قد غلبتها وهى فى الحياة وخالت ان روح المرأه الشامتة تطوف بها، وتسخر منها!..

وذهبت تنشد غاية تفنى فيها غيظها فلم تجد أمامها غير حسان، فانشأت تضطهده وتسخره، وتنكل به

ويستنصر حسان الأب فيخذله أبوه، وينصر المرأه الجيلة، وتضيق الدنيا فى عينى الفتى ويطلب النجاة لنفسه فيهجر القرية.

وتمضى الأعوام ولكن الأبن المفقود لا يعود... وتستيقظ روح الشيخ ياقوت فلا يجد بين يديه أطفالا يمرحون ويصخبون، ويبلغ به الاسى فيوشك أن ينادى «حسانا» ليعينه على الحياة لكن الكلمة تختنق فوق شفتيه ....

وضاعت الثروة كما ضاع الشباب وأضحى رجلا مقلا، فلم تعد هناك حلقات ذكر ولا حفلات سمر، وانما كانت أجنحة الخيبة ترفرف صامته حول البيت.

فقد الرجل مركزه، فلم يعد الوجه محمرا، ولا الشاش مزهرا، ولا الجبة زاهية... ولم يعد الناس يقفون عند ما يبدو فى أول الطريق، بل صاروا يغمغمون بما يشبه التهكم: «مسكين.. سى الشيخ»!..

وكان هذا ينال من نفس الشيخ، ويدمى فؤاده، فلا يكاد يقطع الطريق حتى يتهالك على عتبة الدار.

ويطول به الجلوس وهو يتذكر الماضى ويخطط فى التراب ويرسل بصره نحو «مقبرة القرية»...؟

يوسف جوهر

بليـــــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

مليزاند — إن شكلى بشع فى هذا الموقف

بلياس — أوه مليزاند!... ما أجملك!... ما أروع منظرك فى مكانك هذا!... أنحن... أنحن... دعينى أقترب منك أكثر من ذلك

مليزاند — لا أستطيع أن أقترب منك أكثر مما فعلت... هذا آخر ما أستطيع من الانحناء.

بلياس — ليس فى مقدورى أن أرفع نفسى إليك أكثر مما ترين... أعطنى على الأقل يدك فى هذا المساء... قبل ذهابى... إنى راحل غداً...

مليزاند — لا. لا. لا

بلياس — نعم. نعم. إنى راحل غداً... أعطنى يدك... يدك الصغيرة أضعها على شفتى

مليزاند — لا أجيب سؤلك اذا أصررت على الرحيل

بلياس — أعطنى... أعطنى...

مليزاند — أعدلت عن السفر؟

بلياس — سأنتظر... سأنتظر...

مليزاند — أرى وردة فى جوف الظلام

بلياس — أين هى؟... إنى لا أرى الا أغصان شجرة الصفصاف التى تفوق فى علوها البرج

بلياس — ليست بوردة... إنى أذهب لارى حقيقتها بعد هنيهة، ولكن أعطنى يدك... يدك أولا...

مليزاند — هاهى ذى. ألا تراها؟... لا أستطيع أن أنحنى أكثر من ذلك.

بلياس — شفتاى تعجزان عن بلوغ يدك

مليزاند — لا أستطيع أن أنحنى أكثر من ذلك... كدت أسقط... أوه! أوه! شعرى، أمتهدل على حائط البرج

(يسقط شعرها دفعة واحدة وهى منحنة ويقفز بلياس)

بلياس — أوه! ماهذا؟.. شعرك يسعى الى كل شعرك يامليزاند سقط من البرج!.. انى أقبض عليه بيدى... واطبق

«البقية على صفحة ٤٢»

الكتب

عودة الروح

— ٢ —

ما أظن أننا نغالى إذا اعتبرنا قصة «عودة الروح» للأستاذ توفيق الحكيم مؤلف «أهل الكهف» القصة المصرية الأولى فى أدبنا المصرى الصميم. بل هى الحقيقة لا نتعداها ولا نجد مفرا من الاعتراف بها. فعودة الروح مصرية بأبطالها، بموضوعها، بما فيها من عادات وطباع وخلق مصرية صميمة، بذلك الطابع المصرى الصميم الذى يطالعك فى كل صفحة منها بل فى كل سطر وكل كلمة تضمنتها. وانك لتحس إذ تقرأ هذه القصة وتمضى فى القراءة وتمضى فيها أنك تعيش فى جو تألفه، وبين قوم سرعان ما تشعر بالرابطة القوية التى تربطك بهم، رابطة المصرية المتينة التى تحببهم اليك وتجعلك تحسبهم أحياء يتحدثون ويتحركون. لا أبطال قصة من صنع الخيال من ورائهم المؤلف يفتعل لهم المواقف، ويفتعل لهم الحديث والحركة، وانك لتهم أحيانا أن تشترك معهم فى الحوار وتشاطرهم حياتهم ودنياهم الزاخرة بشتى الانفعالات المليئة بألوان من الشقاء واليأس حينا، والسعادة والأمل حينا آخر

وهذه المصرية الصحيحة، وهذه الحياة القوية الفياضة، هما سمة هذه القصة وطابعها البارز، وهما قد جعلاها فى الطليعة بين كل ما كتب من القصص المصرى منذ عرف أبنا القصة الى اليوم

يروعك من هذه القصة لأول وهلة دقة تصوير شخصياتها على اختلاف كبير بينهم فى النشأة والعلم والاستعداد الشخصى، وانك لواجد فى كل منهم شخصية تخالف الاخرى وتفترق عنها فى الكثير والقليل. تجمعهم أحيانا وحدة الحادثة. ولكن ما أشد تباينهم تجاهها فى الشعور والحس والادراك الصحيح. وما أشد هذا التباين فى الاندماج فى الحياة والانفعال بمختلف ما تأتى به من خير أو شر. من رجاء أو خيبة. وتكاد تحس فيهم جميعا طيبة القلب. وسذاجة الفطرة. والتبسط فى الحياة. وتقبل ما تأتى به صروفها من ألم أو أمل، فى رضى واستسلام. أو فى غضب هو بالرضى اشبه. ولكن كل وحده، وكل له بعد ذلك خلقه البارز وطبعه المغاير وشخصيته الفذة التى ترسمها ولا تكاد تخفى على ناظريك طوال القصة فى معالمها الكبرى وأسطرها الواضحة. بل فى تفاصيلها الدقيقة وما بين هذه الأسطر، وما بين تضاعيف القصة من حوادث وصروف.

كلهم يحب وكلهم يعمر بالأمل قلبه حتى «زنوبة» هذه العانس التى فاتها سن الزواج فما تجد حيلة الا الاستعانة بالسحر والسحرة فى خفاء وحذر، خشية أن يعلم أهلها عليها أمرا لا يناسب الوقار والاحتشام، وما يجب أن تتصف به من الرزانة والأدب، كلهم يحب حتى «مبروك» الخادم أو من هو كالخادم، وما أشبهه بزنوبة فى بساطة العقل أو قل فى تفاهته، وأنه ليسرع بشراء «نظارة» لتتم له الصورة التى تخيلتها له الفتاة التى أحبها الجميع، وساهم هو فى حبها ولو بقسط ضئيل وهذا «محسن» بطلنا الاول. الطالب فى مستهل دراسته الثانوية، الناشىء فى مستهل شبابه، وفى أول خطى العمر الغض، ما أجدره بالحب وأخلق بقلبه الفتى أن يفتح مصراعيه لاول طارق وأن يصيبه السهم الاول فيدميه ويجرحه جرح الابد. ذلك هو الجرح الاول الذى لا يفتأ على الايام يؤلم ويدمى. «محسن» يحب ولكن على استحياء وخجل. وفى صمت وكتمان. فاذا لمح بادرة أمل راح والدنيا لا تتسع لنشوته. واذا داخله اليأس أفعم نفسه وروحه وضاقت الدنيا فى عينيه، لا يعرف مداخل الرجل الى قلب المرأة، ولا يدرى كيف يغزو الغزاة هذا الحصن ويحسنون الطرق على أبوابه حتى تتفتح لهم عن جنات ورياض من الامل الباسم والسعادة الشاملة. وما أروع هذا الاستسلام يطغى على قلبه، وهذا الالم يحز فى قرارة نفسه، وتجده فى ضريح السيدة يمسك بقضبان الضريح النحاسية ولا تنفرج شفتاه الا عن هذه الصرخة المكتومة والضراعة اليائسة وملؤها الرجاء والايمان المطلق «ياسيدة زينب!» ثم يطفر الدمع من عينه ويبكى ماشاء الله له أن يبكى، وما شاء له الحب اليائس والنفس الحزينة، والأمل المقطوع. وما أدرى كيف كان يمكن ان يشعرك المؤلف بكل ما يختلج فى صدر محسن من ألم محض وأسى قتال بأكثر من أن ينطقه بهذا ولا شىء غيره. فتتضمن الجملة القصيرة أو هذه المفاجأة الرائعة إذا أردت. كل ما أبدعه المخيلة القوية الوثابة من اليأس والرجاء. والامل والفشل. ثم الايمان الذى يعمر القلب ويتغلغل الى أعمق نواحيه وأغواره.

ولو شئت أن أضرب لك الامثال على قوة تصوير المؤلف لمواقف أبطال قصته، وعلى دقته في الصور التي يعرضها عليك أشتى ضروب انفعالات النفس الانسانية، وعلى مهارته الحاذقة في استخلاص الصميم الرائع من حقائق الحياة الخالدة . وتعمقه في تحليل كل ذلك تحليلا صادقاً كل الصدق، دقيقاً بارعاً الى ابعد حدود الدقة والبراعة . لو شئت أن أضرب لك مثلا على هذا لما تخيرت الا هذا الموقف .. وأنك إذ تسمع «محسن» يقول هاتين الكلمتين في ذلك الوقت ، تبرز أمام عينيك فجأة صورة ذلك المنكوب الحزين، ذلك اليائس كل اليأس، المكروب كل الكرب، ذلك الذي تألبت عليه النوب واصطلحت عليه الأرزاء، فيرفع رأسه في هدوء وتلمح على وجهه ما يروعك من آيات القنوط وتحس ما يجيش به صدره من الانفعالات وتختلف عوامل النفس الثائرة كأنها الاتون يصهر الحديد أو البركان يقذف بالحمم. ثم لا تسمع منه الا كلمة « يا رب ... » وعليها مسحة الايمان الذي لاحد له ولا وصف يوصف به، وأنك لمأخوذ بسحر هذه الكلمة، مأخوذ بروعتها في بساطتها وقصرها، وكأنها تعويذة فيها من الروعة والجلال ما يأخذ على الفكر مسالك الفكر، ولو استمعت الى شكوى الناس طرا من عهد آدم الى اليوم لما كان لذلك في نفسك بعض هذا التأثير أو بعض هذا السحر المبين

وتلك ناحية من نواحي هذا الكاتب القدير توفيق الحكيم لا نخطئها في «أهل الكهف» كما أنك لا تخطئها في «عودة الروح»

وأحب لك أن تقرأ الفصل الثالث عشر من القصة عند وداع محسن لسنية فهو من أحسن فصول القصة . وهذا الموقف بين الاثنين من أروع المواقف وأصدقها وأدقها تصويرا ، على اني لا أحب أن تفهم أني أفضل مشهدا في القصة على مشهد ولا فصلا فيها على فصل . فهي كلها قوية رائعة ، وفيها كلها تلمس قوة الحبكة ودقة التصوير ومهارة الكاتب وخياله الخصب المؤاتي ، وذلك التلوين العجيب لشخصيات افراد القصة في مواقفهم العديدة المتباينة، ودونك الفصل الرابع والثلاثين عند ما يتجه نظر سنية لقهوة الحاج شحاته وتأمل طويلا في مصطفى وما يختلج في قلبها من الانفعالات المختلفة المتضاربة . فليس أبلغ من قوة التحليل في هـــذا الفصل لقلب العذراء الخلي عند ما يداخله الحب وينفعل بالجو الذي يحيطه في أول خطاه في هذه التجربة القاسية ، فهو راض حينا . ساخط حينا آخر تتجاذبه عوامل الأمل واليأس ، وتلمح كل هذا في الحركة المضطربة ، وفي المفاجاة التي لا تترجم عنها الالفاظ ، ولكن دقات القلب ونظرات العين ووجوم الوجه . وآية هذا الفصل اسطره الاخيرة التي تقدم لك لوحة من الفن بارعة كل البراعة صادقة كل الصدق . دقيقة أبلغ الدقة .

وبرغمي ان أترك حديث هذه الناحية من القصة لأتحدث اليك عن ناحية اخرى لا تقل عنها بروزا وقوة : وفيها الفكرة الكبرى التي أرادها المؤلف من كتابة قصته وعناها بتسمية القصة « عودة الروح » ودعك من ناحية تمجيده الفلاح ، أو بمعنى آخر للمصري الصميم ، وانها لصفحة ناصعة خالدة من صفحات هذه القصة وانك لتحس في تضاعيفها حرارة المصري الصميم يمجد مصر وطنه ويمجد المصري ابن وطنه ، ودعك من تلك الصور الصادقة واللوحات الفنية الرائعة عن الريف وأهل الريف وعن حياتهم وعاداتهم والاتحاد القوي المتين بين افرادهم ، وروح الجماعة التي تبرز في شخصياتهم واضحة منيرة : دعك من هذا ودونك فاسمع ما يقوله أوزني عن مصر وعن شعبها في الفصل الخامس والعشرين واقرأ هذه الفقرات وارجع الى الفصل المشار اليه اذا أردت أن تقرأها كاملة

« ان هذا الشعب الذي نحسبه جاهلا ليعلم أشياء كثيرة ، ولكنه يعلمها بقلبه لا بعقله ..... جيء بفلاح من هؤلاء واخرج قلبه تجد فيه رواسب عشرة آلاف سنة من تجاريب ومعرفة رسب بعضها فوق بعض وهو لا يدري ..... »

« قوة اوروبا الوحيدة هي في العقل تلك الآلة المحدودة التي يجب ان نملأها نحن بارادتنا ، أما قوة مصر ففي القلب الذي لا قاع له »

« ان هذا الشعب المصري الحالي مازال محتفظا بتلك الروح .. روح المعبد ... ان القوة كامنة في هذا الشعب ولا ينقصه الا شيء واحد ... المعبود .. نعم ينقصه ذلك الرجل منه ، الذي تتمثل فيه كل عواطفه وأمانيه ويكون له رمز الغاية .... عند ذاك لا تعجب لهذا الشعب المتماسك المتجانس المستعذب والمستعد للتضحية اذا أتى بمعجزة أخرى غير الاهرام »

فاذا انتقلنا الى الفصل الثالث والاربعين قرأنا « في شهر مارس .. مبدأ الربيع .. فصل الخلق والبعث والحياة .. أخضرت الأشجار بورق جديد وحبلت وحملت أغصانها الأثمار ..

كذلك مصر أيضاً .. حبلت . وحملت في بطنها مولوداً هائلا . وهاهي مصر التي نامت قرونا تنهض على أقدامها في يوم واحد . لانها كانت تنتظر ابنها المعبود ورمز آلامها وآمالها المدفونة يبعث من جديد .. وبعث هذا المعبود من صلب الفلاح »

وتبرز أمامك فجأة صورة رائعة لثورة مارس سنة ١٩١٩ ؛ وامض في القراءة

«ما غابت شمس ذلك النهار حتى أمست مصر كتلة من نار. وإذا أربعة عشر مليونا من الانفس لا تفكر الا فى شىء واحد. «الرجل الذى يعبر عن إحساسها .. والذى نهض يطالب بحقها فى الحرية والحياة ، قد أخذ وسجن ونفى فى جزيرة وسط البحار».

وتبرز أمامك صورة رائعة للمولود الماثل ... للمعبود رمز الآلام والآمال . للمعبود الذى بعث من صلب الفلاح .. لسعد.

«وكذلك أوزوريس الذى نزل يصلح أرض مصر ويعطيها الحياة والنور أخذ وسجن فى صندوق ونفى مقطعا أربا فى أعماق البحار...

هذه مصر، وهذه ثورتها أو معجزتها الثانية بعد الاهرام. وهذا سعد رمز المعبود والقدس ، بعض ما يبرزه لك توفيق الحكيم إبرازا قويا واضحا فتكاد يستخفك مجد تليد وتاريخ مجيد فتصيح وتهتف بحياة مصر ، الوطن العزيز المفدى ، وتكاد من فرط ما يشملك من الفخار والعزة أن تدمى هذه الصفحات المقدسة تقبيلا واجلالا ، وهاك فاسمع ما يقول المؤلف عن لسان ذلك الاورى، وان اربعة عشر مليونا ليرددون هذه الجملة وأنها لتصبح وتمسى نشيدهم المختار ومثلهم الأعلى

«بلد أتت فى فجر الانسانية بمعجزة الاهرام لن تعجز عن الاتيان بمعجزة أخرى ... او معجزات! بلد يزعمون أنها ميتة منذ قرون، ولا يرون قلبها العظيم بارزا نحو السماء من بين رمال الجيزة! لقد صنعت مصر قلبها بيدها ليعيش الأبد......

أجل ... لقد عاشت مصر الأبد ، وتخطت القرون والعالم يظنها هامدة ميتة والنار كامنة تحت الرماد ، وما هى الا نفخة أو شبهها حتى ظهرت النار متأججة ، تصهر الحديد وتكوى الجباه ، وحتى قام ذلك الفلاح المسكين واعلن غضبته للعالم أجمع والتفت العالم وأنصتت الدنيا

وهذا ابن لمصر بار ، هذا مصري صميم ، هذا توفيق الحكيم جاء فيسجل مجد تلك الثورة وأشاد بذكرها

وبعد ، فلنذكر للمؤلف الفاضل هذا الجهد البارز . وهذا العمل الخالد ولنعترف مخلصين بما بذل وما أوتى من مقدرة فائقة واستعداد هو مبعث التقدير والاجلال ؟

محمد علي حماد

«بقية المنشور على صفحة ٣٩»

فى ... وألف به ذراعى وعنقى ... لن أفتح يدى الليلة ...

مليزاند — خل سبيله ... أطلق سراحه ... كدت تسبب لى السقوط!

بلياس — كلا . كلا . لم أر قط شعرا مثل شعرك يا مليزاند انظرى! انظرى انه يأتينى من عل ويغمرنى الى القلب .. لقد بلغ ركبتى ... انه رائع عذب .. عذب كأنه هبط على من السماء لم أعد أرى السماء خلاله . أترين لم يعد فى مقدور يدى القبض عليه .. أمتدت شعرات منه حتى بلغت أغصان الصفصاف ... انه حى فى يدى كالأطيار .. انه يحبنى ... يحبنى أحسن منك الف مرة!

(يتبع)

Dimanche, 15-10-1933

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

....

الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

1re. Année, No. 19

بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....
تصدر مؤقتاً
في أول كل شهر ونصفه

العـــدد التاسع عشر « القاهرة في يوم الأحد ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

صفحة

القرية أمس واليوم . . .

كان أكتوبر في الزمن السعيد يقبل على القرية إقبال الربيع، يفتق لوز القطن في الحقول، ويشقق ورد الصبي في الخدود، ويفتح نوار المنى في القلوب، ثم يمر بيده الذهبية على نصب الفلاح فيزول، وعلى هم المدين فينفرج، وعلى غمرة المكروب فتنجلي، ويرسل الخصب مدراراً على المنازل الجدبة فيرتاش المقل، وينعم البائس، ويتزوج الأعزب!

كنت في أكتوبر، شهر الغنى والزواج، ترى مزارع القطن رفافة الوجوه، بسامة الصور، تنساب بين خطوطها البيض أسراب الغيد يجنين الثمرة الغالية، وهن يغنين الأغاني الجميلة، ويحلمن الأحلام اللذيذة. ويتخيلن هذا القطن الذي يجمعنه الآن بأناملهن، ويضعنه في أحضانهن، وقد أصبح الثوب الزاهي الذي اشتهينه، والقرط الذهبي الذي ابتغينه، والزوج الحبيب الذي طالما تمنينه! فاذا جئت القرية وجدتها زخارة بالحياة، موارة بالحركة، تمرح بحماس الشباب، وتموج بأطياف الحب، وتهزج بأناشيد الأعراس، وتتلقى جزاءها الأوفى على جهادها الصابر طول العام في فلاحة الأرض وخدمة المالك، وإعانة الحكومة

فالطرق الآتية اليها من الغيط تسيل بالعذارى الأوانس يصفقن بالأكف المخضوبة ويحدون بالأصوات الندية،

(والخواجات) يخرجون متعاقبين من بيت الى بيت يساومون على (المحصول) بالأثمان المغرية، والشباب المرحون يسمرون الى موهن الليل على الرباب والأرغول فى بيوت الأفراح القرية، وأشعة الخريف الفاترة تبعث فى قلوب هؤلاء الخليين طلاقة العيش وجمال الوجود، فلا يشغلون بالهم بالزروع التى تذبل، والأوراق التى تسقط، والطبيعة التى تموت!

***

ذلك حديث القرية المصرية بالامس، فهل أتاك حديثها اليوم؟ لم يعد واأسفاه للقطن تلك القوى السحرية التى كانت ترد البؤس نعيما وتجعل النار جنة! ولم تعد الطرق السالكة اليه شادية بالغناء، ولا الأنامل التى تجنيه مخضوبة بالحناء، ولا الدور التى تحويه ألاقة بالذهب! فقد القطن ولواحقه من سائر الغلات معنى الرخاء فأصبح علاجها عناء خالصا لا روح فيه، وسعيا باطلا لا رجع منه!! وكان الفلاح قد أقام بيته وأدار حياته على هذا الحاصل، فكان يأكل حبوب الارض ثم يرصده وحده لقضاء الدين وأداء الضريبة ووفاء القسط وسداد العوز وأكلاف السنة، فلما بخست قيمته الظروف القاسية تزعزع البيت، واضطربت الحياة، وانتشرت الحال، واستحكمت الازمة، فألحف الدائن فى الطلب، وأعنف الصراف فى التحصيل، وأسرف البنك فى الحجز، حتى انتقص لهم من قوته، واقتطع لهم من ثوبه، ونزل لهم عن جهده، ولم يغن كل ذلك شيئا عن بيع ملكه!

تبدلت القرية غير القرية، فلا ليلى تطمع فى زينة، ولا أخوها يطمح الى زواج، ولا أبوهما يفكر فى حج! وأصبحت الطريق الذاهبة الى المدينة تجىء بالمرابى والصراف والمحضر، بعد أن كانت تجىء بالشاعر والزامر والمغنى، وغاضت بشاشة العيش فى وجوه الشباب فعادت القرية جدبة كالفقر، كئيبة كالقبر، لا يعقد فيها اجتماع لأنس، ولا يقام بها احتفال لعرس! وما أبعد هاتين الكلمتين اليوم عن قوم ندر عندهم الكبريت (الأصفر) حتى اتخذوا الزناد، وغلا عليهم التبغ حتى اشترك ثلاثة فى سكارة!!

***

لاتزال القرية كما كانت فى القرون الخوالى أكواخا متلاصقة من الطين غرقى فى المناقع والدمن، لا تبصر الشمس، ولا تنشق الهواء، ولا تعرف النظافة، تكومت فى قاعها أرواث البهائم وزرق الدجاج، وتراكم على سطحها حطب الوقود وعلف الماشية، وتقاسم الانسان والحيوان المضاجع فى هذه الحظائر المشتركة! ثم راض الفلاح نفسه مرغما على الطعام الوخيم والشراب الكدر والملبس الرث والقناعة المزرية، حتى مات فى حسه ادراك الجمال، وتفه فى ذوقه طعم الوجود!

ذلك والعواصم المصرية تعيش فى القرن العشرين تأخذ بمدنيته، وتقبس من نوره، وتنعم برفاهه، كأن الصلة بين القرية والمدينة هى الصلة التى كانت بين العبد والسيد. يملك ولكن ملكه لمولاه، وينتج ولكن انتاجه لسواه!!

تغلغلت المدنية فى الأمم الأوربية حتى انتظمت قمم الجبال وبطون الأودية وأطراف السهوب، وسوت بين بنيها فى متع العيش وحقوق الانسان، ثم تشوفت الى الآفاق الغائمة فى الشرق تريد أن تهديها طريق الحضارة، ونحن لا نزال قاصرين عن انقاذ قرانا من الجهل والمرض والفاقة، وهى مصادر القوة وموارد الانتاج تعول الموظفين بالضرائب، وتغذى الجيش بالجنود، وتمد الحواضر بالأرزاق، وتعين الاحزاب بالمال، وتقيم (الحفلات) بالتبرع

***

ان الفلاح المسكين الساذج يسمع بالوزارات تسقط وتقوم، وبالأحزاب تختصم وتحتكم، وبالمجالس تنتثر وتنتظم، وبالدواوين تفتح وتغلق، وبالأموال تجى وتنفق، فيسائل نفسه سؤال الجاهل الذاهل. الى من هذه الأعمال والأموال اذا لم يكن لى من ثمارها نصيب؟؟

لقد اشترينا بأقوات الريف أبهة العاصمة، وبنينا بأنقاض القرية قصور المدينة، وغسلنا بعرق الفلاح أقدام المترفين، فكنا كمن حفر الجداول، وخطط الحقول، ونثر البذور، وشيد الأهراء، ثم طمر فى سبيل ذلك فوهة الينبوع!!

احمد حسن الزيات

حول قصيـــدة

للدكتور طه حسين

في مساء يوم من أيام سنة ١٩٢٠ دخل الأديب الفرنسي جاك ريفير على صديقه الشاعر العظيم بول فاليري، فرأى امامه صورا مختلفة لقصيدة أنشأها، أو قل لقصيدة كان ينشئها. فاختلس صورة من هذه الصور، ثم خرج فنشر هذه الصورة في مجلة من المجلات الفرنسية الكبرى.

وهذه القصيدة هي «المقبرة البحرية» ويجب أن تعلم أن بول فاليري لا يتم أثرا من آثاره الفنية وانما يتركه. وهو يفسر لنا هذا حين يتحدث الينا في بعض ما كتب من الفصول. بأن الشعراء وأصحاب الفن في العصور القديمة لم يكونوا يتمون أثراً من آثارهم، وانما كانوا يعملون فيه ينقحونه، ويهذبونه. ينقصون منه، ويضيفون اليه، ويلائمون بين أجزائه، يبتغون الكمال ما وجدوا الى ابتغائه سبيلا. حتى اذا أكرهوا على تركه اسلموه الى النار أو أسلموه إلى الجمهور. فالنار والجمهور عند بول فاليري وعند أصحاب الفن الأقدمين سواء. كلاهما يميت الأثر الفني بالقياس الى مبدعه لأنه يختص نفسه بهذا الأثر فيحرقه تحريقا ويقطع الصلة بينه وبين صاحبه، ويجعله ملكا لنفسه، يتمثله كما يشاء أو كما يستطيع ويذوقه، ويفهمه كما يريد، أو كما تمكنه ملكاته الخاصة من الفهم والذوق. وبول فاليري حريص على هذه السنة الفنية القديمة. فهو لا يتم كما قلت قصيـــدة من الشعر، ولا فصلا من النثر، وإنما يمضي فيه مصلحا مهذبا، ساعيا إلى هذه الغاية القريبة التي لا تدرك وهي الكمال. حتى تضطره الظروف الى أن يدع قصيدته أو فصله أو كتابه لصديق مختلس كجاك ريفير أو لناشر ملح، أو لأي ظرف من الظروف التي تذيع آثار الشعراء والكتاب، وتخرجها من أيديهم إلى أيدي القراء.

وكذلك فرضت هذه القصيدة في صورتها المعروفة على صاحبها فرضا، ولعله لو خير لاختار صورة أخرى من هذه الصور التي كانت بين يديه، لكنه نظر ذات يوم، فاذا المجلة الفرنسية الجديدة تنشر له قصيدة «المقبرة البحرية» فلم يكن له بد من التسليم والاذعان.

على أن من العسير جدا أن تظفر في التاريخ الأدبي الفرنسي، بقصيدة كثر حولها الحوار واشتد فيها الجدال. وتشعبت فيها الخصومة، كهذه القصيدة التي لا تزيد على أربعة وأربعين ومائة بيت. فقد انفق النقاد الفرنسيون أعواما يدرسونها، ويحللونها، ويلتمسون معانيها، وأغراضها، ومظاهر الحسن ودخائله فيها. ثم لا يتفقون على ذلك بل لا يتفقون على شيء من ذلك، بل يبلغ بهم الاختلاف أقصاه. فاذا بعضهم يرفع القصيدة الى أرقى منازل الآيات الشعرية الخالدة واذا بعضهم ينزل بها الى حضيض السخف الذي لا ينبغي الوقوف عنده ولا الالتفات اليه. واذا الأمر يتجاوز المجلات والصحف الأدبية إلى الصحف اليومية الكبرى، ثم يشتد الخلاف وتنظم الخصومة حتى يضطر ناقد من كبار النقاد إلى أن يبدأ بحثا دقيقا وتحقيقا بعيد الأمد، فيختار قطعتين من هذه القصيدة، ويعرضهما على الأدباء والنقاد المعروفين يسألهم عما يفهمونه منهما، وما يرونه فيهما من الرأي. ويدعوه ذلك إلى أن يسألهم عن أصل من أصول الفن الشعري، ظهر أنهم لم يكونوا يتفقون عليه بحال من الاحوال، وهو الوضوح أهو ضرورة من ضرورات الشعر الجيد. أم هو شيء يمكن أن يستغني عنه هذا الشعر؟ واذا شئت الدقة والجلاء فقل أيجب أن يكون الشعر الجيد واضحا جليا يفهمه من قريب من سمعه أو قرأه، أم يستطيع الشعر أن يكون جيدا وإن حال الغموض بينه وبين فهم القارئين والسامعين.

ولا يكاد يبدأ هذا التحقيق حتى يعود الخلاف حول القصيدة وصاحبها كما كان حادا عنيفا متشعبا. وكان بول فاليري في أثناء ذلك قد انتخب عضوا في المجمع اللغوي الفرنسي. فيثير انتخابه حقد الحاقدين وحنق المحنقين، ويزيد الخلاف حدة وعنفا. وتستطيع أن تقول غير مبالغ ولا مسرف ان المثقفين الفرنسيين جميعا قد شغلوا بهذه القصيدة وصاحبها أعوام ١٩٢٧ و ٢٨ و ٢٩

وانتهى أمر هذه القصيدة الى السوربون، وما أقل ما تعنى السوربون بشعر المعاصرين، واذا أستاذ من أساتذة الادب فيها هو مسيو جوستاف كوهين يتخذها موضوعا لدرسه في تفسير النصوص الادبية، واذا هو يتخذها موضوعا لكتاب سماه محاولة لتفسير المقبرة البحرية. كل هذه الحركة العنيفة والشاعر صامت لا يقول شيئا، ساكن لا يأتي شيئا، أو هو لا يقول ولا يأتي شيئا من هذا الخلاف العنيف حتى اضطر صاحب التحقيق الذي أشرت اليه آنفا أن يكتب اليه ينبئه بأن كثرة الذين أجابوا على ما ألقي اليهم من الاسئلة يعترفون بأن لقصيدته معنى ولكنهم لا يتفقون على هذا المعنى، وانما يختلفون اختلافا شديداً في تحصيله، ويسأله أن يبين ما أراد ليقطع الشك ويزيل الخلاف، فلا يجيب الشاعر ويضطر كاتب آخر الى أن يطالبه في صحيفة من الصحف الكبرى

بأن يبين للناس ما أراد أن يقول في هذه القصيدة، ليظهر من اخطأ من النقاد ومن أصاب، ويصفه بالكبرياء، وبالحرص على أن يغيظ النقاد، ولكنه على ذلك كله لا يجيب حتى اذا ظهر كتاب استاذ السوربون، نظر الناس. فاذا الشاعر قد قدم بين يدي هذا الكتاب بمقدمة بديعة ممتعة، يصفها بعضهم بأنها مثيرة للدوار، لكثرة ما تشتمل عليه من المعاني والآراء في وضوح لا يكشف الحجاب عنها كل الكشف، وفي غموض لا يريح القراء من التأمل واطالة البحث والتفكير. فاذا قرأت المقدمة البديعة الممتعة المثيرة للدوار، لم يتبين فيها القارىء جوابا لهذه الأسئلة الملحة التي ألقاها النقاد على الشاعر يتمنون عليه فيها أن يبين لهم ما اراد، وانما يجد القارىء في هذه المقدمة آراء مؤنسه من الوصول الى تحصيل المعاني التي اراد اليها الشاعر حين نظم قصيدته. فهو يقول مثلا: ان الناس يسألونني ماذا اردت ان تقول؟ فانا لم ارد أن أقول شيئا وانما اردت أن اعمل شيئا، ورغبتي في هذا العمل هي التي قالت ما يقرأون، وهو يقول مثلا ان الاثر الفني الذي يصدره الشاعر أو الكاتب أو غيرهما من أصحاب الفن لا يكاد يخرج من يد منشئه حتى يصبح اداة من الادوات العامة يصرفها الناس كما يريدون أو كما يستطيعون. ومعنى ذلك أن القصيدة اذا أذيعت بين الناس، فلكل واحد منهم أن يفهم منها ما أراد أو ما استطاع. فاما ما أراد الشاعر فأمر مقصور عليه حين نظم، ولعله قد نسيه أو انصرف عنه الى غيره من المعاني فلا ينبغي أن يسأل عنه ولا أن يطالب بتبيينه للناس.

وأظرف وأطرف أن الشاعر يثني على الكتاب الذي يفسر قصيدته فيقول: أنه قرب هذه القصيدة الى الشبان من تلاميذه، وأحاط بخصائصها التي تتصل بما فيها من الموسيقى والانسجام. ولكنه يقول: أوفق الأستاذ الشارح الى تحقيق المعاني التي قصد اليها الشاعر أم أخطأه هذا التوفيق

كل هذه الآراء وآراء أخرى للشاعر العظيم في هذه المقدمة الممتعة إن لم تبين المعاني التي أودعها قصيدته فهي تبين شيئاً آخر أظنه أقوم وأجل خطراً من هذه المعاني، وهو مذهب الشاعر في فن الشعر، وما ينبغي له من الارتفاع عن هذا الوضوح الذي يفسد الفن افسادا، ويقربه من الابتذال. فهو يرى مثلا أن جمال الشعر يأتي من انك تجدد اللذة الفنية في نفسك، كلما جددت قراءته. ومن انك تستكشف في القراءة الثانية من فنون الجمال ما لم تستكشفه في القراءة الاولى، بل تجدد كل قراءة فنونا جديدة من الجمال لم تجدها في القراءات التي سبقتها، وأنت لا تجد هذه اللذة المتصلة المتنوعة الا لانك خليق أن تستكشف في كل قراءة معنى جديدا يثير في نفسك شعورا جديدا بالجمال، وهو يرى مثلا أن للشعر صفات تعصمه من الموت أو تعصمه من الموت القريب، وهذه الصفات تتصل بوزنه وقوافيه وهذه الصور الخاصة التي لا تجدها في النثر. وموت الاثر الفني عنده يأتي من فهم الناس له، فانت اذا قرأت كتابا وفهمته فقد قتلته وقضيت عليه. فهناك اذن جهاد عنيف بين القارىء والمقروء، فاذا فهم القارىء فقد غلب. وانما الاثر الفني الخليق بهذا الاسم هو الذي يغلب قارئه ويعجزه، ولكن دون أن يضطره الى اليأس والقنوط. ومن هنا يرى شاعرنا العظيم أن النثر بطبيعة تكوينه أقرب الى الموت وأدنى الى الفناء، لأنه أقرب الى الفهم، وأدنى الى الهضم، لا تعصمه هذه البروج المتقنة التي نسميها الوزن والقافية، والموسيقى والصور.

فاذا اضفت الى هذه المقدمة ما كتبه شاعرنا العظيم في مواضع مختلفة، وظروف مختلفة حول الشعر والنثر والادب عامة استطعت أن تلخص مذهبه في الشعر الخالص أو في الشعر العالي كما يقولون. فالشعر عنده كلام، ولكنه كلام ممتاز، وامتيازه لا يجب أن يأتيه من معناه وحده بل يجب أن يأتيه من صيغته قبل كل شيء، فحقيقة الشعر انما تلتمس في صيغته وشكله، تلتمس في وزنه الذي يجب أن يبهر السمع ويؤثر فيه، تلتمس في انسجامه الذي يجب أن يثير في النفس لذة الموسيقى، أو لذة أرقى من لذة الموسيقى لأنها تمس العقل والشعور والسمع جميعا، ثم تلتمس في صوره التي تروع الخيال وتروع معه الحس أيضا ثم تلتمس قبل كل شيء وبعد كل شيء في هذه الصفة التي لا أدري كيف اسميها أو أحددها، والتي تضطرك الى البحث والتفكير والى جهاد ما تقرأ في غير ملل ولا يأس

وطبيعي بعد أن ثار هذا الخلاف العنيف الطويل حول هذه القصيدة أن تتجاوز حدود فرنسا، ويعني بها النقاد الاجانب كما عني بها الفرنسيون، كما يعنون بكل ما يصدر هذا الشاعر من الاثار. فقد ترجمت هذه القصيدة أربع مرات في اللغة الاسبانية، وثلاثا في اللغة الانجليزية، وثلاثا في اللغة الالمانية ولكن الغريب انها ترجمت في اللغة الفرنسية نفسها شعرا. ترجمها الكولونيل جودشو. وأرسلها الى الشاعر، فكتب اليه الشاعر يقول: اشكر لك خالص الشكر ما أرسلت الي من ترجمة المقبرة البحرية الى لغة أقرب الى الوضوح. وسأضيف هذه الترجمة الى التراجم الاسبانية الاربع، والى التراجم الانجليزية الثلاث، والى التراجم الالمانية الثلاث، والى تراجم أخرى لهذه القصيدة قد وقعت الي. وقد أعجبني جدا

« البقيـــة على صفحة ٤٢ »

الرأى والعقيــــدة

للأستاذ احمد أمين

فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده — اذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك ، واذا اعتقدته جرى فى دمك ، وسرى فى مخ عظامك ، وتغلغل الى أعماق قلبك

ذو الرأى فيلسوف ، يقول انى أرى الرأى صوابا وقد يكون فى الواقع باطلا ، وهذا ماقامت الأدلة عليه اليوم ، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا ، وقد أكون مخطئا فيه ، وقد أكون مصيبا . أما ذو العقيدة فجازم بات لا شك عنده ولا ظن ، عقيدته هى الحق لا محالة ، هى الحق اليوم وهى الحق غدا ، خرجت عن أن تكون مجالا للدليل ، وسمت عن معترك الشكوك والظنون

ذو الرأى فاتر أو بارد ، ان تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة رزينة ، وان لم يتحقق ما رأى فلا بأس ، فقد احترز من قبل بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، وذو العقيدة حار متحمس لا يهدأ الا اذا حقق عقيدته . هو حرج الصدر ، لهيف القلب ، تتناجى فى صدره الهموم ، أرّق جفنه وأطال ليله تفكيره فى عقيدة ، كيف يعمل لها ، ويدعو اليها ، وهو طلق المحيا مشرق الجبين ، اذا أدرك غايته ، أو قارب بغيته

ذو الرأى سهل أن يتحول ويتحوز ، هو عبد الدليل ، أو عبد المصلحة تظهر فى شكل دليل ، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله : « لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته » ، وكما يتجلى فى دعاء عمر : « اللهم ايمانا كايمان العجائز »

لقد رووا عن « سقراط » أنه قال « إن الفضيلة هى المعرفة » ، وناقشوه فى رأيه ، وأبانوا خطأه ، واستدلوا بأن العلم قد يكون فى ناحية ، والعمل فى ناحية ، وكثيرا ما رأينا أعرف الناس بمضار الخمر شاربها ، وبمضار القمار لاعبه . ولكن لو قال سقراط إن الفضيلة هى العقيدة ، لم أعرف وجها للرد عليه ، فالعقيدة تستتبع العمل على وفقها لا محالة — قد ترى أن الكرم فضيلة ثم تبخل ، والشجاعة خيرا ثم تجبن ، ولكن محال أن تؤمن بالشجاعة والكرم ثم تجبن أو تبخل

العقيدة حق مشاع بين الناس على السواء ، تجدها فى السذج ، وفى الأوساط ، وفى الفلاسفة - أما الرأى فليس الا للخاصة الذين يعرفون الدليل وأنواعه ، والقياس وأشكاله ، والناس يسيرون فى الحياة بعقيدتهم ، أكثر مما يسيرون بآرائهم ، والمؤمن بعقيدته يرى مالا يرى الباحث برأيه ، قد منح المؤمن من الحواس الباطنة والذوق ما قصر عن ادراكه القياس والدليل

الناس انما يخضعون لذى العقيدة ، وليس ذوو الرأى الا ثرثارين لا يعملون ، عنوا بظواهر الحجج أكثر مما عنوا بالواقع ، لايزالون يتجادلون فى آرائهم حتى يأتى ذو العقيدة فيكتسحهم

قد يجود الرأى وقد ينفع ، وقد ينير الظلام وقد يظهر الصواب ، ولكن لا قيمة لذلك كله ما لم تدعمه العقيدة ، وقلّ أن تؤتى أمة من نقص فى الرأى ، ولكن أكثر ما تؤتى من ضعف فى العقيدة ، بل قد تؤتى من قبل كثرة الآراء أكثر ما تؤتى من قلتها

الرأى جثة هامدة ، لا حياة لها مالم تنفخ فيها العقيدة من روحها ، والرأى كهف مظلم لا ينير حتى تلقى عليه العقيدة من أشعتها ، والرأى مستنقع راكد يبيض فوقه البعوض ، والعقيدة بحر زاخر لا يسمح للهوام الوضيعة أن تتولد على ظهره ، والرأى سديم يتكون ، والعقيدة نجم يتألق ،

ذو الرأى يخضع للظالم والقوى ، لأنه يرى أن للظالم والقوى رأيا كرأيه ، ولكن ذا العقيدة يأبى الضيم ويمقت الظلم ، لأنه يؤمن أن ما يعتقده من عدل وإباء هو الحق ولا حق غيره

من العقيدة ينبثق نور باطنى يضىء جوانب النفس ، ويبعث فيها القوة والحياة ، يستعذب صاحبها العذاب ، ويستصغر العظائم ، ويستخف بالأهوال ، وما المصلحون الصادقون فى كل أمة الا أصحاب العقائد فيها

الرأى يخلق المصاعب ، ويضع العقبات ، ويصغى لأمانى الجسد ، ويثير الشبهات ويبعث على التردد ، والعقيدة تقتحم الاخطار ، وتزلزل الجبال ، وتلفت وجه الدهر ، وتغير سير التاريخ ، وتنسف الشك والتردد ، وتبعث الحزم واليقين ، ولا تسمع الا لمراد الروح

ليس ينقص الشرق لنهوضه رأى ، ولكن تنقصه العقيدة ، فلو منح الشرق عظماء يعتقدون ما يقولون لتغير وجهه وحال حاله ، وأصبح شيئا آخر - وبعد ، فهل حُرم الايمان مهبط الايمان ؟؟

حيـــاة الإنسان

للأستاذ بول جانيت

الأستاذ بالسربون

حياة الإنسان منقسمة إلى أربعة أطوار : الطفولة والشباب ، والرجولة والشيخوخة . ولطالما اشتد الجدل وما يزال يشتد بين البشر لمعرفة أي هذه الأطوار يكون الإنسان فيه أسعد حالا وأهدأ بالا وأشد تفاؤلا ؟ ويلوح لنا أن الناس يجمعون أو يكادون يجمعون على تفضيل الرجولة على الشيخوخة ، والشباب على الرجولة ، والطفولة على الجميع . والحق الذي لامراء فيه أن لكل طور من أطوار الحياة لونا من السعادة يناسبه ويلائمه ، ولكل طور نظر إلى الحياة مغاير . . وهب أن ليس هناك ما هو أهنأ من الطفولة المرحة فمن منا يود أن يظل طيلة حياته طفلا ؟ فنحن الذين نغبط الأطفال هناءهم ونذكر في أسى تلك السعادة البريئة الماضية التي تفيأنا ظلالها واحتسينا راحها ونعمنا برغبها وآسها أيام كنا أطفالا نرتع ونلعب ، لنرمق في حزن عميق أولئك التعساء الذين تطول بهم الطفولة إلى غير نهاية ، ولئن عبروهم تقسة اليحرك فينا عاطفة الرحمة والاشفاق : نحن نرثي لهم لأنهم لا يلمسوا ما هم فيه من بؤس وشقاء ، فهذه السذاجة التي يطول عمرها ، وهذه الغرارة ، وهذه الغباوة ، وهذا الاستخفاف بآلام الغير ليبدو لنا أعظم الآلام : فليست السعادة منحصرة في قيام لذة أو في انعدام ألم ، ولكنها في استغلال القوى التي خص بها الإنسان استغلالا مشرفا معقولا . . !!

يجهل الطفل الحياة جميعها ولا تكاد تنصب رغائبه إلا على التافه من الأغراض ، ومع أننا نعجب بهذا الطور وما حواه من سذاجة ومرح وتدلل فنحن لا نأسف عليه أسفا حقيقيا ، ولا نرضى عن طواعية واختيار أن نستعيده ثانية . ويحب الشاب من الحياة ما يحبه الرجل ، ولكنه لا يتبع سبيله ، ولا يسلك منهاجه . ومعرفته وآراؤه قريبتان من معرفة الرجل وآرائه ، وليس الفرق بينهما عظيما كما نراه بين الطفولة والشباب . وميزة الشاب على الرجل أن رغائبه ما تزال في نضارتها وقشوبها . فالمستقبل مفتر له باسط ذراعيه ، والأمل لا بد مالئ جوانب قلبه ، وناشر على أحزانه النادرة طبقة من السرور على أهبة أن تسفر وتتلألأ ، وإذ لا عهد له بعقبات الحياة وتكاليفها ، فهو أبدا سخي وشجاع ؛ وما لم يكن قد خدع إلا نادرا كان ناصح الدخيلة ، سليم الطوية ، يصدق الرواة ويثق بالظروف ،

ولما كان عمله في المعهد أو المصنع لا يتجاوز بضع ساع من النهار كان لديه وقت من الحرية والفراغ طال أو قصر يتسنى له خلاله أن يتذوق لذة الاستقلال قبل أن ينوء به عبء التبعة . . . غير أن زمن اللذة قد ولى وأدبر وبدأت حياة الجد والكفاح ، وحتى في هذا الوقت لم تكن آراء الشباب إلا قضايا عقل وخلجات نفس ينبغي أن تستحيل إلى عقائد وقيود ! كان ميله هوى ، وصداقته رسلاة . وحبه تلهية من تلاهي الخيال قبل أن يكون حاجة من حاج القلب وضرورة من ضروراته . وكانت علاقاته بالعالم لذة لحظة أو ملال لحظة ، ثم استحالت إلى سلاسل وأغلال لا يستطيع المرء أن يتحرر منها دون خطر . ثم تتجمع حول الرجل الكامل المنافع والغايات والحاجات والمنافسات . وتحيط به وتنبسط أمامه فلاة بلقع ليس فيها سوى أحراش وعواسج ومهاو ، وقد كان الشاب لا يرى فيها إلا سهولا منبسطة تغطيها رياض بها أطيب الزهر وأشهى الثمر ! كل هذا حق ، وهل يمكن أن يقال أكثر من هذا في مدح الشباب وذم الرجولة ؟ ولكن لم خلق الإنسان ؟ خلق ليكون رجلا يكافح ويناضل ؛ أما السلام فليس من أطوار هذه الحياة ، إن تشدته وجدته أبعد من الفرقدين وأعسر من رد أمس الدابر . إن هذه الحياة جهاد ونضال ، وحري بالرجل أن يكون كالربان في بحر تجفه الأهوال ، وليس أدعى إلى السخرية من شاب في سن الرجولة أو في سن الشيخوخة مثل ذلك الشاب الأبدي يدعو إلى حزننا ورثائنا ، وليس الذي نرثي له من أجله هو ذلك التناقض المادي والمعنوي ، أو الجسدي والروحي في الشخص الواحد ، ولكن ذلك النقص المعيب والخمول المزري ، وتلك القوة المعتلة ، ثم ذلك الوقار الضائع والأهلية المفقودة . . كل هذا ليس إلا ضعفا هرميا قبل الأوان ، فالطبيعة تثأر لنفسها بشيخوخة مبكرة طافرة مع من لم يعرف كيف يتلقاها ويرحب بها ويتأهب لها وهي تدنو منه في رفق وتريث واتئاد . . .

يبذ الشاب الرجل ببهجته ونضارته وجماله ، أي يبذه بشيء ليس إلا عرضا زائلا ، وغثا باليا ، وزينة أحرى أن تفاخر بها المرأة . ويبذه الرجل بقوته واحتماله ، وعلمه وحزمه ووقاره . . يريد الرجل فيعمل وينتوي فينفذ ، ويعد فيصدق ، ويكافح فلا يثنى له عنان ولا تلين له قناة . ويقف الشاب من مسرح الحياة موقف المتفرج بينما يلعب الرجل فوقه دورا تافها أو عظيما . ولربما تطلب أتفه الأدوار جهدا فوق الذي يتطلبه أعظمها ، فعول أسرة أشق غالبا من تأسيس مملكة . .

يجهل الطفل شئون الحياة، ولا يكاد يعرف منها كثيرا ولا قليلا، ويعرف فيها الشاب أو يعرف منها الكثير فيتيهو به ويتسميله، غير أنه لا يساهم فيها. ولكن الرجل يمتزج بها ويحاول أن يغيرها تحنكه التجارب وتوقره الحوادث، ويروضه الزمان ويثقفه الجديدان، وتشحذ قوته العقبات. وتعلى مكانته التبعات، وتوقظ مشاعره الآلام النبيلة، والعبرات الصادقة...... هذا عصر الإنتاج المثمر، والكفاح المجدى، والعزائم التى تولد من عناصر الضعف قوة، ومن ظلام اليأس نور أمل. هذا عصر القيادة والزعامة والابتكار، هذا عصر المجد والنور بل هذا عصر الإنسانية الحقيقى!!

فى الطفولة عذوبة وسحر، وفى الشباب نضرة وجمال، ولكن كليهما ليس فيه غناء: لا لصاحبه ولا لوطنه ولا للإنسانية جمعاء. فالأطفال والشبان يعيشون فى هذه الحياة كلا على الرجل، فالرجولة وحدها هي التى يؤمل لها أن تبلغ الغاية القصوى، والمثل الأعلى، وهي التى يحق لها أن تطمح الى الخلود إن كان لشىء فى هذه الحياة خلود!!

* * *

أما الشيخوخة فتى كانت مدعمة بالرزانة والحزم، ومجردة من الهوى والإثم، وكان معها توبة من الذنوب وإقلاع عن المعاصى أضحت للذابل طلا وندى، وللفائت ترجيعا وصدى، وما أشبهها بأصيل يوم ربيعى رق وصفا!

ليتنس الشيخ المعمر لحظة ماوسع من أحزان وآلام، وما ابتلى به من أوصاب وأسقام، وما نزل به من خصاصة، وما حضره من إملاق، وما لقى من عنت وإرهاق، وما صادفه من تعثر وإخفاق، وليتنس مع هذا وقبل هذا أن قناته قد أعوجت، وأن عظمه قد وهن، وأن الدهر عاضه من نضارة عوده ذبولا. ومن سواد عذاره قتيرا، وإن استطاع فليتنس أيضا أنه متى حان حينه طوى بساط عيشه، ووافاه حمامه فكحله بمروده، ولفه فى مئزره، وانتزعه من بين إبنة له وابن، ووالدة وخدن، وصاحبة ونأى ودن، ليواريه فى حفرة قد ضاقت مساحتها واحلولكت جوانبها...... فان فعل، وحرى به أن يفعل، فثم قصيدة فيها سحر وجمال ومتاع سوف يخلقها له خياله.. قصيدة تبدأ بألاعيب الطفولة المرحة الطروب يتضوع منها شذا الوداعة والعذوبة والإيناس، ويفج منها نور السذاجة والبراءة والعفاف، ويغرد من فوقها البلبل والورقاء والحسون!! وتتصل بها آمال الشباب وأمانيه وأنا شيده وأغانيه وتأملاته (١) ونجواه ولياليه (٢) ولياليه...ثم تعقبها الرجولة بما أخذت من تبعة واحتمال، وما اضطلعت به من أعباء ثقال، وما بذلت من جهد ونضال، وما ذللت من عقبات، وما جابت من فياف وقفار، وما قضت من لبانات وأوطار، وما نالت من مجد وفخار، وما نعمت به من زوج وولد وصحاب، وما احتملت من وقدات الهجير ولفحات الزمهرير فى طلب رزق أو استجلاء سر، أو ذيادا عن وطن.. وتختمها الشيخوخة وقد توسدت الراحة وأخلدت الى الدعة واعتصمت بالحلم والأناة وارتسمت على وجهها آيات الرضا، وانبعثت من مقلتها أشعة الهدى. فراحت تتفيأ ظلال الذكرى، وكأنها فى سنى الطفولة والشباب والرجولة تحيا!!

ترجمة رسلان عبد الغنى البنى

(١) يشير الكاتب الى تأملات لامرتين

(٢) الليالى هنا لشاعر الفرنسى دى موسيه

الموسيقى فى مصر

للأستاذ محمد كامل حجاج

لاريب أن الموسيقى من أعظم الفنون الجميلة التى أصبحت من الضروريات عند كل الطبقات، وقد بلغت أوجها عند الامم الراقية، وتمشت مع التمدن حتى أصبحت معيار المدنية والرقى.

الموسيقى الراقية كالشعر بل هى متممة له، لأن كثيرا من الحالات النفسية العميقة لا يستطيع الكلام أن يعبر عنها، وإنى أضرب لك مثلا سهلا:

إذا قرأت أمام أمى جاهل مرثية من أروع الشعر الجاهلى فهل يظهر عليه أى تأثر؟

أعد الكرة أمام الرجل نفسه وأسمعه مرثية موسيقية راقية فلا ريب أنها تهزه وتحزنه حتى تقرأ علامات الحزن على وجهه ولربما لا يقوى على ضبط نفسه فيتأوه أو يخونه الدمع إن كان رقيق الشعور.

إن لم تكن الموسيقى واصفة ومصورة لكل ما تقع عليه العين من محاسن الطبيعة، ومعبرة كالشعر عن أسمى العواطف وأرق الشعور والوجدان، فأولى بها أن تسمى لغطا وجلبة تصدع الرءوس وتسئم النفوس.

لقد اهتمت مصر بالعلوم والآداب والفنون وأحرزت نصيبا يقارب الضروريات، ولكنها متقهقرة فى الموسيقى. ولم نر واحدا من أبناء الأغنياء أولع بهذا الفن وحاول أن يدرسه دراسة تامة تؤهله لخدمة الموسيقى والنهوض بها الى أوج الكمال. ولا يتأتى بلوغ هذه الغاية إلا بدراسة الموسيقى الإفرنجية، ثم العربية مع نصيب

كاف من الثقافة العامة ولاسيا الآداب وتاريخ الفنون الجيلة ، لانهما يثقفان الذوق ويشحذان الخيال ويرهفان العواطف

اننا بدراسة الموسيقى الافرنجية بفروعها من سولفيج وأرمونى وكونتربوان وتوزيع الموسيقى على الآلات تتمكن من إتقان الإملاء الموسيقى بأن نكتب موسيقى الدور أو القطعة بمجرد سماعها ، ونرقى فى التلحين إذا نبغنا فى الارمونى واستطعنا أن نسترشد بها لوضع أرمونى تتناسب مع موسيقانا العربية . أما الكونتربوان فأنها تتمشى مع موسيقانا ولا تتنافر معها ولا تحدث فيها أية شائبة

إن موسيقانا لاتتعدى على الجملة : الضروب والمقامات ، وهى لا تؤهل الانسان للتلحين ما لم يكن الموسيقار قد وهب استعدادا طبيعياً وموهبة فنية وذوقاً سليما كالشيخ سلامه حجازى وعبده الحولى و محمد عثمان ، وبهم استرشد ومنهم اقتبس جميع ملحنينا العصريين

المشتغلون بالموسيقى فى مصر هم المحترفون والهواة وصبية رياض الاطفال وصبيات السنتين الاولى والثانية من مدارس البنات الابتدائية والجيش والبوليس والملاجىء وسنتكلم عن كل طائفة منهم

إن المحترفين من عازفين ومغنين ومنشدين وملحنين يقنعون بالوصول إلى درجة متوسطة أو دونها ، وليس عند أغلبهم ميل الى الفن ، والغاية التى ينشدونها هى كسب العيش بدرجة يغبطون عليها من القناعة

والهواة من الشبان يكتفون بحفظ بعض البشارف والسماعيات وجانب من المارشات والأدوار دون أن يهتموا بقواعد الفن وأصوله .

وأما الفتيات فأغلبهن يتعلمن منهاج المرحومة ماتيلدة على البيانو ، ويقلقن به الجيران إلى ما بعد منتصف الليل ، ولا يعزفن نوتة واحدة

ويستثنى منهم أفراد قلائل من الشبان والفتيات بلغن غاية عظيمة ويقولون دائماً هل من مزيد؟ ولكن لا يتجاوز عددهم أصابع اليد

اغتبطنا حين رأينا مدة انعقاد المؤتمر الموسيقى أطفال رياض الأطفال ومدارس البنات الابتدائية يمثلون قطعا استعراضية تمثيلية غنائية فى غاية من الرواء والاتقان ، ويمثلون أدوارهم برشاقة واسترسال ويغنون ألحانها غناء صحيحاً شجياً ، وقد أعجب بهم أعضاء المؤتمر إيما إعجاب . ويسرنا أن نرى وزارة المعارف مهتمة بتنفيذ قرارات المؤتمر الذى أوصى بنشر التعليم الموسيقى فى المدارس الابتدائية والتجهيزية ، إذ قررت الوزارة فى هذا العام تعليم بنات السنة الثانية من المدارس الابتدائية

أما موسيقى الجيش والبوليس والملاجىء فقد ترقت كثيراً فى السنوات العشر الأخيرة ، ولاسيا موسيقى البوليس فأنها تعزف كثيراً من القطع الافرنجية ومنتخبات الاوبرات المشهورة فضلا عن القطع العربية الراقية ، كما أنهم أهتموا بتوحيد طراز آلاتهم حتى يكون فيها انسجام . وهم يعزفون عليها بلباقة وحسن تعبير ودقة لم تكن موجودة فيما مضى

وإنى أورد مثالين يظهران شدة الاهتمام بالموسيقى والتضحية العظيمة فى سبيلها

كلنا نعرف هكتور برليوز أعظم موسيقى أنجبته فرنسا ، وكان فى أول أمره طالباً فى مدرسة الطب ، وكان أبوه طبيباً فلم يجد الولد فى نفسه ميلا الى الطب ورجا والده أن يدخله فى معهد الموسيقى فرفض وهدده بقطع مرتبه ، ولم يستطع الابن أن يستمر فى الطب فدخل الكونسرفاتوار . فما كان من والده إلا أن قطع مرتبه ، فاضطر أن يعطى دروساً موسيقية بفرنك واحد للدرس ، واستمر فى دراسته وهو يغالب الزمن للحصول على قوته حتى نبغ ، وهو الذى ابتدع الرومانتيزم فى الموسيقى فى فرنسا

والمثال الثانى يبين لنا اهتمام الهمج بالموسيقى بدرجة لا تجدها فى المصريين

كنت فى صغرى أقضى عطلة المدارس فى قريتنا بين أهلى ، وكان منزلنا فى ربوة عالية تشرف على جميع القرية ، وكان فى الحى الذى يلينا بيت تسكنه فئة من العبيد يحيون الليل جميعه فى الغناء والعزف والرقص الى أن تطلع الشمس . ثم يذهبون الى عملهم وهو التجوال فى القرى لجمع (الجم) من أشجار الاثل بقصبة طويلة بطرفها شص كبير وهو يستعمل فى الصباغة

كنت فى الصغر طلعة أحب الوقوف على كل شىء ، وكنت أرقب هذا البيت الصادح الباغم من الأصيل بمنظار ، فكنت أرى النساء يكنسن فناء الدار ثم يرشونه ويفرشون الحصر ويصفون الآلات الموسيقية من دلوكات وطبول مختلفة الأنواع والكستلوفون الفطرى المصنوع من قطع الخشب الرنانة المختلفة الاحجام ، والكيزان الصفيح المحشوة بالحصى الصغير يحملونها فى أيديهم ويهزونها لتحدث (دوكة) مخصوصة وقت التوقيع . وحينما يقبل رجالهن بعد الغروب يهيئن لهم ثريد العدس . ثم نصف أقداح البوظة ، ثم يدخنون ويتسامرون ساعة الى أن يأتى وقت الموسيقى فينشطون لها ويأخذ كل منهم آلته الموسيقية ويتهيأ الباقون للرقص والغناء ، ويستمرون فى لهوهم الى مطلع الشمس دون أن يناموا . ثم يذهبون الى عملهم ويقنعون بأن يقيلوا ساعتين بعد الغداء فى ظل شجرة

إن الموسيقى الشرقية كنز زاخر بالجواهر واللآلئ واليواقيت ، ولكننا لا نعرف كيف نستخرجها ونبريها بذوق سليم حتى تليق لان نزين بها تيجان الملوك . إن للموسيقى العربية مائة نغمة (مقام)

أو كثر من مائةوزن (الضروب) ولكن ابن النابغة المثقف الذى يحسن التأليف والتلحين

إن بعض الملحنين ينزعون فى تلحينهم الى اختطاف الحانهم من الالحان القديمة ؟ ثم يخلطونها بشيء من الموسيقى الافرنجية المنحطة التى تسمعها فى افقر المقاهى الافرنجية ويظنون لسذاجتهم انهم جددوا الفن ونهضوا به ، وما دروا انهم شوهوه وفضحوه وهذا جرم كبير لايغتفر ، عيرنا به كثير من المستشرقين

كانت الموسيقى المسرحية قد خطت أول خطوة فى سبيل النجاح . ولكن القائمين بامرها لم يحسنوا ادارتها ، وكان ينقصهم الحزم والتدبير والذوق الفنى ، فلذلك فشل المشروع فى عامه الثانى واستمرت الموسيقى المسرحية فى التمثيل الهزلى ، والحمد لله قد نشطت هذه المسارح وسارت فى سبيل الرقى لولا مايصادفها من عقبة لم تذلل وهى ندرة المطربين والمطربات الحائزين للاصوات الجميلة القوية الرنانة والثقافة الموسيقية الصحيحة

اننا معشر المصريين مقصرون فى تجميل بيوتنا وانعاشها بالفنون الجميلة حتى نسكن اليها بعد عناء العمل ، ونجد فيها من وسائل السرور والانس ماينسينا آلامنا وينعشنا ويجدد قوانا

تجد الاسر الافرنجية تهتم بتعليم أبنائها الموسيقى ، وتعنى ربة الدار بنظام الحديقة وتنسيقها حتى تصبح جنة مصغرة ترتاح اليها النفوس المتعبة ، وفى المساء تجتمع الاسرة فتحيى حفلات موسيقية ترقص لها القلوب وتنسى فيها الهموم والآلام

أما بيوتنا التى تجردت من جميع مظاهر الجمال والانس حتى نفرت منها النفوس ولم يطق الابناء أن يطيلوا المكث فيها فينصرفون الى المفاسد من تجوالهم ومعاشرة ذوي الاخلاق الضعيفة فلا يلبثون أن تتسرب اليهم عدوى الرذائل ويضحون فى عداد الحشرات المؤذية

إن الموسيقى لغة القلوب ومهذبة الاخلاق ، ومرققة الطباع ومبددة الهموم والأشجان ، وخير لنا أن نهتم بها فى أوقات فراغنا ونسعى فى رقيها حتى نعيد عصر زرياب واسحق الموصلى

في حرم

الجامعـــة المصرية

تقع مكتبة الطالب لمنشئها ومديرها الأستاذ خطاب عطية B. A من الجامعة المصرية ، لمبيع الكتب الافرنجية والعربية ، علمية وأدبية وقانونية ، وبها قسم للمجلات والأدوات الكتابية

٤٧ - ١٠

مستقبل الانسانيـــة

للكاتب الاجتماعى هـ . ج . ويلز H. G. Wells

تحليل وتعليق شهدى عطيه الشافعي

كان عجبا حقا أن يتخرج ويلز فى كلية العلوم الملكية حيث الهندسة والجبر والميكانيكا ليصبح روائيا له مكانته العالمية .

وكان غريبا وهو رجل العلوم والرياضيات ان يتخطى السنين فيحلق على أجنحة الخيـــال ليكتب عن القمر وسكانه والمريخ وسبيل الوصول إليه . ثم يهبط الى الأرض فيوجه الى المجتمع الحديث بما فيه من نظم واوضاع قارص النقد شديد اللوم . تثقف ويلز ثقافة علمية صحيحة ، وامعن فى القراءة لداروِن وآمن بنظريته فى النشوء والارتقاء ايمانا لايتطرق اليه الشك . وتتبع محاضرات هكسلى تلميذ داروِن بشغف لامزيد عليه . والتهم معظم مؤلفات سبنسر . وكان اعجابه شديدا بوليام جيمس عالم النفس المعروف والفيلسوف التجريبي .

..... ولكنه مع كل هذا كان رجل الخيال الرائع والاحلام الذهبية قبل أن يكون رجل المعضلات الحسابية والنظريات الهندسية ، وكان لابد أن يتضارب الخيال مع الواقع . وإن تتناقض الدروس التى تلقاها فى علم الكائنات الحية وغرامه بالراويات والقصص .

ولكن ويلز كان عقلية خصبة من هذه العقليات التى تهضم كل شئ حتى لتستطيع ان تمزج الخيالات والحقائق ، وتخلط التشريح والعواطف ، وتوفق بين الروح العلمية والروح الشاعرة .

ولذا تجده فى كتاباته يحيطك بشباك من حقائق علمية لايمكنك انكارها . ثم يحرك فى رفق وهوادة الى أشد ضروب الخيال اغراقا فى الخيال . واكثرها بعداً عن العقل . ولكن لايسعك إلا أن تسلم بما يقول وتوقن بما يكتب .

إن الانسان بكل مافيه من جمال وكل ماوهب من عقل لم يكن يوما من الأيام إلا قردا ممسوخا لاجمال فيه ولا عقل له .

هكذا كانت الصيحة التى فوجيء بها البشر من فم رجل قبيح الوجه عرفه الناس باسم داروِن .

ولم يكن فى هذه الصيحة من جديد . فقد سبقه اليها العالم « لامارك » ولكن داروِن زعم ان هناك سنة للحياة لامحيد عنها . وقانونا صارما لاسبيل للهروب منه : هو قانون تنازع البقاء ..

فهذه الحياة تضطرب بملايين من المخلوقات تتباين فى نموها وتختلف فى تركيبها، ولكن لاتلبث الحياة ان تضيق ذرعابها فتقدر لها ان تشتبك فى قتال وحشى ، ثم لايبقى منها حيا إلا اقواها وأصلحها.

وإذا كانت القرود قدتمخض عراكها عن انسان يسود اليوم وجه الارض . فأى مخلوق جديد سيكشف لنا عنه الغد! تساؤل تملك ويلز تملكا قويا وكان محوره : والى اين هذه الانسانية ؟ وأى فئة من البشر مقدر لها البقاء ؟ وأيها محكوم عليه بالفناء ؟

ولقد زعم ويلز انه مستطيع ان يهتك اللثام عن وجه هذا الغد المجهول، فيصور لنا تصويرا دقيقا رجل المستقبل ، جسمه وعقله ونفسيته والمجتمع الذى يعيش فيه !

ولكنه كان فى كتابته حذرا. فهو يستند دائما الى الحقائق الثابتة، ويسترشد بماضى التطور الانسانى، ويعتمد على مجريات الحوادث . مما رفع به إلى مصاف كبار المفكرين . وجعل لرواياته الشيقة صبغة علمية محترمة.

فتراه يدرس الماضى ويحاول ان يستشف منه المستقبل، يستنتجه استنتاجا ومقدماته فى ذلك فروض علمية صحيحة .

واليك مثلا هذه المحاولة الكبرى من جانب الانسان فى سبيل التحرر من قيود الطبيعة : فها هو قدفك عن نفسه الثقل الذى يربطه الى سطح الارض فارتفع فى الهواء . وهاهو قدتغلب على مضطرب الامواج، فامتطى البحار، وعلى صعب الارض فشق فى جوفه المسالك والطرقات .

واذن فمن الطبيعى ان يستمر تطوره فى هذه الناحية قويا . فهو لابد يوما متخلص تخلصاً تاما من جاذبية الارض ليصعد إلى القمر وليسبح منه الى المريخ وليهبط منه إلى زحل !

وما دام الانسان قد استغل بعض عناصر الطبيعة من كهرباء وبخار فسخرها فى إدارة آلاته و تسيير قاطراته، فليس عجيباً الا يدع عنصراً الا استخدمه غير تارك فى ذلك موج بحر أو نور شمس أو حرارة فى جوف أرض.

وما دام البشر قد تغلبوا على بعد الشقة وطول المكان بما أوجدوه من سريع الطيارات، فليس بعيداً أن يخترعوا آلة يتحكمون بها فى الزمان .. ماضيه ومستقبله .

فلا يرتبط رجل الغد بزمان أو مكان .. قد يكون فى شرق الارض ، فاذا به فى غربها . قد يكون فى السنة الحاضرة فاذا به قد تركها ليعيش فى الماضى السحيق أو المستقبل البعيد .

ولن يرضيه وقد تخلص من قيود الطبيعة أن يستمر أسيراً لاغلال الجسد . فهو يركب غذاء يتمكن به أن يكون له من الجسم جبارة ومن العضلات مفتولها ، فلا يصيبه وهن ولا تعتوره شيخوخة .

وهو بتقدم الطب ، وبقليل أو كثير من الرياضة يستطيع أن يتحكم فى أعضاء جسمه . فلا يبقى منها على عضو لا فائدة فيه ، ولا يدع عضواً نافعاً إلا قواه . فمعدته التى تجر عليه أمراضا يحتاج لعلاجها الى ألف طبيب وطبيب . لابد متخلص منها إلى معدة صناعية تقوم بوظيفة الهضم أحسن قيام ! وأنفه هذا الذى كثيراً ما يصيبه بالزكام يجب أن يستبدل به أنفا حديديا لايتطرق اليه برد ولا تنزف منه دماء !

وهو قد يضايقه الخضوع للنظام الجنسى فتلهمه عبقريته طريقة للتناسل عن طريق غير طريق المرأة . فلا يحتاج اليها ولا تحتاج اليه.

وطبيعى بعد هذا أن تختفى لديه تلك العواطف الرقيقة من حب وشفقة وحنو . فهى كلها مظهر ضعف لا يليق به ، وهو لن يعترف إلا بالعقـــل يدين له وبالمادة يؤمن بها . وبالقوة يخضع لها أو يناجزها .

فيكون إنسانا جباراً بكل معنى الجبروت ، عظيم الخلقة ، شديد الذكاء ، قوى الارادة ، لا عواطف له ولا قلب . ثم لا مكان له ولا زمان . لايعرف النوم ، ولا يفهم الكلال ، ولا يصيبه المرض(١) !

ثم ينتقل بك ويلز الى رسم لا يقل غرابة لحالة المجتمع الذى يمكن أن يعيش فيه البشر غدا .

ولكنه يتأثر فى هذا بآراء ماركس . وماركس هو هذا الألمانى الذى زعم أن المال يتجمع فى أيدى أفراد قلائل يتمتعون بأطايب العيش ، بينما هناك ملايين من العمال محرومون لا يكادون يجدون ما يتبلغون به . ثم تنبأ بثورة هائلة تقوم بها الغالبية الساحقة من الطبقات الفقيرة يذبحون فيها الأقلية الضئيلة من أصحاب رؤوس الأموال .

وبذا يسدل الستار عن مأساة كبرى قد تكون خاتمة الحياة الانسانيه أو بدء حياة جديدة هانئة سعيدة .

(١) قد يلذ لك الاطلاع فى هذه الناحيه فعليك بالرجوع الى كتب ويلز الكثيرة نذكر منها :

حرب العوالم — The war of the worlds
آلة استكشاف الزمان — The time machine
الانسان الخفى — The invisible man
أول الرجال فى القمر — The first men in the moon
طعام الآلهـــة — The food of gods
الحرب فى الهواء — The war in thr air

وقد كان لهذه النظرية أثر عميق في كتابات ويلز عن مجتمع المستقبل إلا أنه ذهب شوطاً أبعد ، فزعم أن الفروق بين العمال وأصحاب رءوس الأموال ستتسع فلا تقتصر على نوع المعيشة بل ستتناول الجسم العقل . فينقسم البشر طائفتين متنابذتين متفاوتتين ، طائفة قوية جبارة تسمو إلى أكثر ما يمكن أن يسمو اليه إنسان . فتكون نوعاً بذاته له مميزاته . ثم طائفة أخرى تنحط إلى أقصى حدود الانسانية . مكانها تحت الأرض . وعملها آلة تديرها . ويكون من نتيجة المعيشة التي تعيشها أن يتكيف عقلها فيصبح قاصراً محدوداً ويشوه جسمها فلا يصير قادراً إلا على حركة واحدة يأتيها .

ويشتد هذا الاختلاف وضوحا . ويقوى هذا التباين ظهوراً ، حتى تختفي أوجه الشبه بين الفريقين فلا تمازج بينهما ولا تزاوج ولا عاطفة هناك ولا علاقة ، اللهم إلا تحكم قوى في ضعيف .

وهنا يتردد ويلز كثيراً . فهو لا يملك الا أن يتساءل . أهذا هو الفصل الأخير من رواية الانسانية ؟ أم ذلك بداءة لثورة يثورها سكان ماتحت الأرض يحاولون فيها تخلصاً من ربقة العبودية الثقيلة ؟

ويتحدث ويلز عن هذه الثورة ولكنه يتهرب من التكهن بنتيجتها الحاسمة ، فهو في شك وأنت تعجب لهذا الشك . فكيف يمكن لقوم قد هزلت أجسامهم وضعفت عقولهم أن يصمدوا لطائفة لها من العقل أرقاه ومن الجسم أقواه ؟

ولكن ويلز يعود فيعطيك صورة أخرى لهؤلاء الجبابرة من رجال الغد . فهم بعد أن استكشفوا ما في السموات والأرض وبعد أن تسنموا الرقي حتى قمته لا يجدون ثمة عملا يعملونه ، أو معضلة يفكرون فيها ، أو شاغلا يصرفون فيه ذكاءهم ، فيلجأون إلى الرفاهية والتهتك ينهلون منها الكأس حتى الثمالة . والى الترف والخلاعة ينسون بها ما قد يلحقهم من سأم قتال ، فتخبو ملكاتهم وتضعف قواهم وتنحل عظمتهم .

ولا شك أن حرباً تقوم بينهم وبين عمال الأرض السفلى هي حرب سجال !

***

لا يسعك وأنت تقرأ لويلز إلا أن تنسى نفسك فتتحمس اذا ما تحمس وتضحك معه اذا ما ضحك ، وتتشاءم لتشاؤمه . وينسيك اعجابك بالقصة وبغرابة أفكارها وروعة خيالها . ينسيك موطن الضعف من ويلز .

فهذه الصور التي صورها عن التطور البشري صور مغرية فيها بعض الحق وناحية من الصواب . ولكنه ليس كل الحق ولا معظم الصواب .

فهو قد تجاهل عاملا هاما له أثره الخطير . تجاهل هذا التوازن الدقيق الذى نشاهده في قوى الطبيعة . فلا يرتفع جزء من الارض إلا انخفض جزء ، ولا يهدم بناء الا وقام بناء ولا يتشقق صخر إلا التأم آخر .

وهكذا لا يمكن أن يقوى العقل الانساني إلا على حساب الجسم ولا تتاح للعضلات أن تضخم الا إذا فقد العقل بعض قوته . وهذه الصورة التى أعطاها ويلز عن إنسان الغد مبالغ فيها اذ يختل فيها التوازن اختلالا واضحا .

فهاهو الانسان انسان منذ العصور التاريخية وليس هناك من يزعم أن مقدرة العقل الإنساني أو قوة جسمه قد زادت زيادة تسمح لويلز أن ينسب لرجل الاجيال القادمة قوة عقل خارقة يصحبها قوة جسدية لا حد لها .

وهذا التوازن ينساه مرة أخرى فى الصور التى يبدعها عن مجتمع الغد . فنظرية ماركس القائلة بأن الثروة مصيرها الى التجمع في أيدى نفر قليل . والتي أخذ بها ويلز نظرية لا يتاح لها أن تتحقق . فالثروات اليوم تتجه إلى التوازن ، وعامل اليوم يساهم فى الشركات التي تقوم عليها الأمور . والمال يتبدد ويتوزع بين الأفراد ، والأزمات المتلاحقة تهد من كيان بيوت المال الضخمة ، ومن كبار الأغنياء أكثر مما تقلل ثروة الفقير أو العامل الأجير .

لذلك نأبى تصديق ويلز فيما ذهب اليـــه من أن الانسانية قد تنقسم طائفتين متباينتين . بل نرى عكس ذلك ، فالعامل في رقى عقلي يساعده ما يجد من ساعات فراغ كان لا يجدها بالأمس ، ويعاونه اتساع مجال الثقافة وانتشار التعليم انتشارا سريعا .

ثم ان الفروق الاجتماعية فى طريقها الى الزوال . فالكل قد تساووا اليوم في الحقوق والواجبات ، والكل قد يتساوون غداً فى العلم والثروة . ونظام الطبقات الذى كان يضع فواصل من حديد بين الشريف والحقير هو فى سبيله الى الانهيار ان لم يكن قد أنهار منذ زمان

ثم شيء آخر نوافق عليه ويلز ونخالفه فيه ، نوافقه على ما يكتبه من تطور الانسان الآلى وتقدمه فى اخضاع عناصر الطبيعة . ولكننا نخالفه فى أن هذا التطور قد يتجه بالانسان الى ناحية مادية لا يخضع فيها الى قانون ولا يؤمن بدين ولا يعترف بخالق . ان ناسا كهؤلاء لا يستطيعون مكثا فى الأرض ولا مضيا . فهم بماديتهم وجشعهم واسفافهم الخلقى لابد متقاتلون ، متناجزون ، فلا يبقى فرد منهم فرداً .

ولا تحسب أن هذه الملايين من السنين التى مضت على تاريخ البشرية ستنتهى الى مخلوقات ويلز البشعة . فنحن نؤمن أن الطبيعة التى طورت القرد الى إنسان حسن التكوين ، متناسق الصورة قوى

شخصـــية . . .

« لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلا عاقلا »
« أوليفر جولد سميث »

يتكلف الصدق فى ابريل ليصدقه الناس حين يكذبون العالم بأجمعه : ثم يطلق نفسه على سجيتها باقى شهور السنة ، فيكذبه الناس حين يصدقون العالم بأجمعه .

وهو يحاول قدر طاقته أن يصوغ حقائقه المكذوبة صياغة صادقة . ولكن مقدرته الفنية على ذلك ليست كبيرة وإن كانت فى نظره ، ومن غير تصريح ، عظيمة بالغة ! !

وأؤكد أنه لو شك يوماً فى مقدرته على سبك الأكاذيب ، لخجل ، وكف ، واتزن .

ولكنه لأمر ما ، غريزى ولا شك ، يكذب دون أن يشعر أنه يكذب حقا ، أو هو يتصور من فرط عنايته بالصياغة أنه يصدقك حين يتكلم اليك . أستطيع أن أفهم هذا من أنه يتألم إذا اتهمته بالكذب ، ويغضب لكرامته غضب من يروى لك خبراً صادقاً وأنت تشك فى روايته .

وهو يواجه الناس بمقدرة عظيمة على دفع اتهامهم اياه ، وينبرى لهم ليرد عن نفسه سيل الانتقاد الجارف . وهو بارع فى مواجهته لأكثر من شخص فى الوقت الواحد .

وهو إذ يروى لك رواية ، يهذبها قبل أن يلقيها اليك بقدر ما تسمح مقدرته على التهذيب : ثم هو يعود فيتدارك ما قد يكون فيها من تنافر وتضارب مع بعض الحقائق التى قد تسارع الى رأس سامعه ، فينتظر ريثما يفهم نوع استقبالك لحديثه واستساغتك له . فاذا لم يكن بد من الاستدراك ، سارع الى الاعتذار بقوله : « إننى لم أحسن التعبير » ثم يروح يفكر ، ويفكر ، ويزيد على الاعتذار السابق قوله : « إننى أقصد بالضبط أن أقول كذا وكذا » .

وأنت مضطر الى أن تقبل الاعتذار عن ضعف التعبير أولا ، ثم عن ترقيع الرواية ثانياً ، لأنه صديقك ، وللصداقة حقها . ثم لسبب آخر غير الصداقة إذا كنت ممن يرون الحياة ثقيـــلة إذا ظلت دائبة على الصدق ، وتحري الحقيقة ... فى الكذب متسع عظيم للخيال الشارد والخيال المتزن ، وفى الصدق تحقيق وتدقيق ، وأخذ بأسباب الحقيقة ، والحقيقة لا تتعدد ، وصاحبنا من أنصار التنويع والتعدد ؛ فهو بما يخترع من الروايات ، وما يلفق من الأحاديث ، ينتقل بك من الجد الثقيل على النفس إلى جد آخر ، من صنعته هو ! بلغ فيه عنده حد الابداع فى السبك وحسن الأداء ؛ فاذا ضيقت عليه المسالك ، وأخذته من كل ناحيـة ، وأعملت المنطق فى قضاياه ، وسلطت الحقيقة المرة على خياله الحلو ، انحسرت عن صاحبنا كل مسعفة من حسن الأداة وبراعة الحبك ، وتخلت عنه فجأة شياطين الأكاذيب التى اعتادت أن تواتيه بالهام كلما استلهمها ، وفزع اليها .

والحق أن تلك الشـياطين كانت أطوع له من بنانه ، فلم تكن تشعر أن هناك فترة تمضى بين ضراعته اليها فى أحرج مواقفه وبين استجابتها لضراعته ، حتى لتكاد تعتقد أنها كانت تلازمه أينما ارتحل ، متحفزة لكل نداء ، متأهبة لكل تلبية .

وإن أعجب من شيء ، فليس بالغ عجبي من هؤلاء العباقر ، ومن اجتماعها على خدمة هذا الرأس الصغير المستدير ، ومن

الشعور ، طبيعة فنانة ذكية عاقلة ! وليست هى مجموعة من المصادفات الهوجاء .

ونحن نظن أن الانسانية التى كانت تسير على غير هدى بالأمس قد أصبحت اليوم شاعرة عاقلة تحس نفسها وتتساءل عن مصيرها ، ولقد شارفت الأفول شمس هذا اليوم الذى كان يسير الناس فيه عميا لا يبصرون ، ويخضعون ويتألمون ولا يدرون ، لماذا يتألمون . وسيغرب هذا اليوم ليشرق غد عن انسانية أكثر استنارة ، وأقل حيوانية وانزع الى الكمال ، وأعرف بمواطن الضعف وبطرق العلاج .

هذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الناحية من كتابات ويلز الاجتماعي ليست بالناحية الخالدة وان كانت هذه الناحية هى التى برز فيها واشتهر باتقانها .

لقد طرق ويلز موضوعا آخر أبدع فى علاجه ابداعا لا شك أنه رافع اسمه الى الخلود .

وهذا ما قد يحدونا الى الكتابة عنه مرة أخرى ؟

شهدى عطيه الشافعى
بكالوريوس آداب

مقدرتها على تأليف الصور من الشتات المتنافر ، وتركيب الأخيلة من الحطام المتناكر ؛ ثم من عجزها وتخليها فجأة عن النهوض بأعباء المهمة التي أرسلت لها ، حين تهبط ملائكة الحق لتنقذ الموقف . . . فيتعذر إذن أن يجتمع ملاك وشيطان .

فاذا انجابت عن صاحبنا شياطين أكاذيبه ، دق موقفه ، وتحرج ، فمال على محدثه يلتمس عنده المعذرة عن هذا الموقف المتحرج — لا بالقول بعبارة الأسف المألوفة — بل بالانضمام الى محدثه دفعة واحدة ، ومشايعته في رأيه ، وفي منطقه ، وفي حملته على هذه الأكاذيب الصريحة ! حتى لكأنهما يحملان معاً على شخص ثالث ! !

فاذا التفت اليه التفاتة ذات معنى ، تقلص وقطب . ثم هش بغتة ، واحمر ، ثم غاض الدم من وجهه ، وتهدلت شفته السفلى وغمغم ، فاذا دققت ، فهمت أنه يريد أن يقول ما مؤداه : « وماذا علي ؟ إني ألفت الكذب ينجي في كثير من المآزق »

وهذه هي خلاصة فلسفته التي يصارحك بها في الوقت المناسب .

تردد يوماً ما في قضاء أجازة قصيرة بين بلدته وبين القاهرة .

اعتزم أن يزور بلدته لأن فترة طويلة مضت دون أن يرى أهله وذويه .

واعتزم أن يزور القاهرة لأنه مل حياة الريف الرتيبة المملة ، وتاق الى حياة القاهرة الصاخبة بما تستحدث كل يوم من صنوف المسليات ، وأراد أن « يشعر بالحياة » على حد تعبيره .

فلما اعتزم السفر الى بلدته ، كلف بأمر من الأمور التي تمت الى حياة القرى بصلة .

فلما اعتزم السفر الى القاهرة كلف من صديق له بأمر من الأمور التي لا يسهل قضاؤها من غير العاصمة . وحمل النقد الكافي لذلك .

ومضت الأجازة كأن لم تكن . وعاد صاحبنا إلى مقر عمله .

والتقى بمن كلفه مهمة البلدة فبادره بقوله : « أنا آسف جد الأسف ، لأني قد مضيت الاجازة كلها في القاهرة ! »

فلما التقى بالآخر كان لزاماً عليه أن يعتذر عن تقصيره ، فقال : « أرجو المعذرة إذ قد مضيت أجازتي كلها في البلدة ، اذ وردتني رسالة برقية في آخر لحظة تستدعيني اليها على عجل لأمر عائلي » .

وكان يلذ لي شخصياً اصطناعه لهذه الأحاديث أحياناً ، فأكون في نظره الصديق الذي ما بعده صديق ! وأكون أقرب شخص الى قلبه ، وأقرب فكر الى فكره ، ويكون منطقي طبق الأصل من منطقه ! (كذا) .

وأنا حين أكون هذا الشخص أجرى على حكمة أوليفر جولد سميث ، لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلا عاقلا ،

ولكني كنت أضيق بصاحبي ذرعاً ، حين كانت نزعة الحقيقة والعقل تغلب عندي على كل خيال حلو تنتجه قريحة صاحبي ، فأقف منه مجاة موقفاً يصفه هو بالعداء . وأصفه أنا بتحري الحقيقة والتزامها ليس غير .

فاذا بلغت الحال بنا هذا الحد من التحرج ، بحثت لصديقي عن هنة من هناته التي تمت الى الكذب الصريح بصلة قريبة .

وتحضرني في آخر موقف أن أعنفه على إهماله إرسال بطاقة (المعايدة) التي اعتاد الناس تبادلها في العيد ، فابتدرني بهذا السؤال :

— أليس عنوان بيتكم رقم ١٩ شارع . . . . ؟

— قلت نعم (متخابثاً)

— قال لقد أرسلت لك المعايدة على هذا العنوان .

— قلت وما رأيك اذا كان رقم منزلنا ١٦ لا ١٩ ؟

— فسكت صاحبي سكوتاً أشفقت عليه منه ، ومع ذلك لم يمنعني اشفاقي عليه من أن أذكره بفلسفته الخالدة : « إني ألفت الكذب ينجي من المآزق » ! ! !

— وسألته : إلى أي حد تنطبق فلسفتك على هـذا المأزق ؟ . . وكيف خلاصك منه ؟ . .

ابراهيم ابراهيم جمعه
« ليسانسيه »

مطالعات في التصوف

عوارف المعارف ــ ماهية التصوف ــ أصل كلمة صوفى

ــ ٣ ــ

لعل حظ كل من البابين الخامس والسادس من الاهمية والقيمة العلمية أكثر من حظ غيرهما . فهذان البابان يدلان دلالة واضحة مستقيمة لا لبس فيها ولا اعوجاج على ماهية التصوف وكنهه وعلاقته بالفقر والزهد ، والفرق بينه وبين الفقر والزهد . هذا هو ما يتناوله الباب الخامس من كتاب عوارف المعارف فيما قدم لنا فيه مؤلفه من تعريفات متنوعة للتصوف . أما الباب السادس فانه يظهرنا على مسألة ليست أقل من سابقتها خطرا . ولكنها على العكس أبعد ما تكون أثرا فى اعانتنا على فهم التصوف وما مر به من أطوار فيها مستقيما . وأعنى بها مسألة الاصل الذى صدرت عنه كلمة صوفى وتلك مسألة قد عرض لها مؤلف عوارف المعارف فى نهاية الباب الاول من كتابه فأشار اشارة موجزة الى أن هذه اللفظة لم تذكر فى القرآن وإنما تركت وذكر مكانها لفظ المقرب . وإذن فالمؤلف يفصل فى الباب السادس من كتابه ما أجمل فى الباب الأول . وهو يعرض علينا فى شىء من الاستطراد الآراء المختلفة التى رآها العلماء المختلفون فى الاصل الذى أشتقت منه هذه الكلمة . وهو ينتهى من هذه الآراء كلها الى الرأى الذى يلائم طبيعة الاشتقاق اللغوى من ناحية . ويدل دلالة صحيحة على طبيعة الصوفية وماهية التصوف من ناحية أخرى . وبالجملة يمكننا أن نقول أن هذين البابين من كتاب عوارف المعارف أقدر على اعطائنا فكرة عامة شاملة تستطيع أن تظهرنا على لب التصوف .

١ ــ ففى الباب الخامس يقدم الينا المؤلف طائفة من التعريفات اختلفت فى مبانيها واتفقت فى معانيها . وهو يظهرنا من خلال هذه التعريفات على ماهية التصوف والفقر والزهد . ثم هو ينتهى من هذا كله الى أن هناك فرقا بين التصوف من ناحية وبين كل من الفقر والزهد من ناحية أخرى . كما أنه ينتهى الى أن أساس التصوف وقوامه انما هو الفقر ولكى أكون لديك صورة صادقة لما اشتمل عليه هذا الباب لابد من أن أقف بك وقفة قصيرة تلم فيها بأهم التعريفات التى عرضها علينا المؤلف لتتبين منها ماهية التصوف :

(ا) قال رويم : « التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار . والتحقق بالبذل والايثار . وترك التعرض والاختيار ».

(ب) وسئل الجنيد عن التصوف ماهو . فأجاب بقوله : « ان تكون مع الله بلا علاقة . »

(ج) وقال معروف الكرخى : « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق . فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف » .

وبعد أن ذكر المؤلف هذه التعريفات . تراه قد قدم لنا تعريفات أخرى للفقر والفقير اليك أهمها :

(ا) سئل الشبلى عن الفقر فقال : « ألا يستغنى بشىء دون الحق »

(ب) وقال أبو الحسين النورى : « نعت الفقير السكون عند العدم . والبذل والايثار عند الوجود »

وانتهى مؤلفنا من هذه التعريفات التى قدمت . الى ان هناك اشتباها بين التصوف والفقر . فأنت ترى مثلا ان اشياء بعينها تذكر فى معنى التصوف يذكر مثلها فى معنى الفقر . وإن اشياء بعينها يرد ذكرها فى معنى الفقر يرد ذكر مثلها فى معنى التصوف . ومن هنالك كان الاشتباه . ومن هنا أيضا كان لابد من التحقيق الذى يكشف الفاصل بين كل من التصوف والفقر ، والفرق الذى يميز ويحدد ماهية كل من التصوف والفقر ، وفوق هذا فان الاشتباه ليس قاصرا على التصوف والفقر فحسب وانما هو قد تجاوزهما الى التصوف والزهد. واذن فلا بد من التمحيص الدقيق الذى يبين الفرق بين التصوف والفقر من ناحية والتصوف والزهد من ناحية اخرى . بحيث نلمس الاشتباه الذى يمكن أن يكون بين كل من هذه الاشياء الثلاثة . ونميز الفرق بينها تمييزا يحدد كلا منها تحديدا من شأنه أن يحول بين اندماج بعضها فى بعض أو تشابه بعضها مع بعض .

فانت اذا انعمت النظر ودققت الفكر فى هذه المسألة تبين لك ان التصوف غير الفقر ، وأن الزهد غير الفقر . وان التصوف غير الزهد . وليس التصوف غير اسم جامع لمعانى الفقر والزهد باضافة صفات ونعوت لابد منها لكى يكون الرجل صوفيا . فقد يكون الرجل زاهدا وقد يكون فقيرا ولكنه ليس صوفيا . ولكنه لكى يكون صوفيا لابد له بين أن يكون زاهدا وفقيرا .

وليس التصوف زهدا أو فقرا باضافة صفات ونعوت فحسب ، وانما هو شيء آخر ابلغ وأروع من هذا كله واقدر على تهذيب النفس ، وتنقية القلب ، وتصفية الضمير . هو كما قال أبو محمد الحريرى : « الدخول فى كل خلق سنى . والخروج عن كل خلق دنى .

وأهل الشام لا يميزون بين التصوف والفقر . فهم يذهبون الى

الله وصف الفقراء بالصوفية . وإلى أن الصوفية سموا كذلك لانهم فقراء . ولكن مؤلفنا قد تناول هذه المسألة بالدرس والتحقيق فأوضح غامضها وكشف عن وجه الحقيقة فيها بحيث أظهر لنا في وضوح وجلاء الفروق بين التصوف والفقر . وأول هذه الفروق هو أن الفقير في فقره متمسك به راض عنه مطمئن اليه . وهو في هذا كله قانع بما سيجد عند الله من العوض . وهو كلما أمعن في التطلع الى هذا العوض ازداد اعراضا عما في الدنيا من اعراض زائلة وزخارف باطلة . وأما الصوفي فلا يرغب عن زخرف الدنيا وعرضها ابتغاء هذه الاعراض الموعودة ولكنه يفعل هذا من أجل الاحوال الموجودة . وثاني هذه الفروق هو أن الفقير حين يتمسك بفقره ويمعن في ترك الدنيا واعراضها انما يفعل هذا بأرادته واختياره على حين انك ترى الصوفي قد تجرد من هذا الاختيار وهذه الارادة . فهو في جميع احواله قد محيت فيه ملكة الاختيار وفنيت أرادته في أرادة الله فناء تاما بحيث الا يصدر في شيء الا عن أرادة الله . ولا يرى فضيلة ما في فقر او غنى ، ولكن الفضيلة عنده كائنة فيما اقامه الله فيه من حال . وليس ادل على ان الصوفي قد فنيت ارادته في ارادة الله ، من قول الجنيد الذي عرف فيه التصوف بأنه : « هو ان يميتك الحق عنك ويحييك به » فمن هذا ترى الفرق واضحا بين التصوف والفقر . كما ترى ان التصوف قوامه ودعامته الفقر بمعنى أن الوصول الى مراتب التصوف انما يتوسل اليه بالفقر . على أن الفرق بين التصوف والفقر لا يقف عند هذا الحد ، وانما هناك فرق ثالث يمكن تلخيصه في أن الصوفي هو من اذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان كان مع الاحسن . على حين أن الفقير والزاهد لا يميزان بين الحالين الحسنين أو الخلقين الطيبين . بل هما يختاران من الاخلاق ماهو ادعى الى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حاكمين بعلمهما . وعلى العكس من هذا ترى أن الصوفي يحكم على الاشياء ويستبين الأحسن بما الهم من عند الله مستعينا في ذلك بصدق التجائه وحسن انابته وعلمه بربه . وبعبارة اخرى يمكنك أن تقول أن الصوفي لا يرى في الأشياء الا ما يظهره الله عليه ولا يحكم عليها الا بما أوحي اليه . فالتصوف على حد قول رويم ليس الا استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد . أو هو كما قال بعضهم أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى . والصوفي – كما قال سهل بن عبد الله – هو : « من صفا من الكدر . وامتلأ من الفكر وانقطع عن البشر . واستوى عنده الذهب والمدر »

وخلاصة هذا كله هي أن الفقر أساس التصوف وقوامه . وان التحقق بأحوال التصوف ومقاماته بني على الفقر والزهد فيما اشتملت عليه الدنيا من زخرف ومتاع . وقد قص علينا مؤلف عوارف المعارف قصة رويت عن ذي النون المصري . ولا بأس من ايرادها فهي تظهرنا على ما انطوت عليه نفوس الصوفية من تمسك بالفقر ، وامعان في الزهد ، واغراق في الاعراض عن ملذات الدنيا وشهوات النفس .

قال ذو النون : « رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت : من أين أقبلت ؟ قالت : من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فقلت : وأين تريدين ؟ قالت : الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . فقلت : صفيهم لي . فأنشأت :

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو الى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الصمد !
ما أن تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق ... ولا لروح سرور حل في بلد
الا مسارعة في إثر منزلة ... قد قارب الخطو فيها باعد الابد
فهم رهائن غدران وأودية ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

فهذا الشعر وان كان ركيكا مهلهلا ضعيفا الا انه يصور لنا في وضوح نفوس الصوفية وقلوبهم وما احتوت عليه هذه القلوب وهذه النفوس من فناء في الله ، وذكر له ، واتحاد معه ، بحيث أصبحت نفوسهم لا تفكر الا فيه وقلوبهم لا تنزع الا اليه . وبحيث انهم تجردوا عن كل شهوة ، وخلصوا من كل لذة ، وتحرروا من هذه القيود الجسمانية التي تفسد على الانسان حياته الباطنية وتكدر صفاء سريرته النفسية .

وآية ذلك هي أن الصوفي دائم التصفية والتنقية لنفسه مما يشوبها من الاكدار . وهو فوق هذا دائم الحركة والاضطراب بدوام التجائه وافتقاره الى ربه . والتجاؤه وافتقاره هما اللذان يهذبان قلبه وينقيان نفسه ويضيئان جوانب هذه النفس وهذا القلب بالمعرفة الصحيحة الصادقة التي تكشف له عن حقيقة الله وماهية الاشياء . وعلى هذا ترى انه لابد للصوفي من دوام الحركة والاضطراب بدوام الافتقار والالتجاء وحسن التفقد لمواطن اصابات النفس .

ولنترك الآن الباب الخامس بعد أن وقفنا عند أهم ما اشتمل عليه ولنعرض للباب السادس حيث يحدثنا السهروردي عن مسألة لها قيمتها العلمية وخطرها العظيم في تاريخ التصوف وفهم الاطوار التي مر بها فهما صادقا مستقيما . وأعني بهذه المسألة مسألة الاصل الذي صدرت عنه كلمة (صوفي) والمصدر الذي أشتقت منه ونسبت اليه . والمؤلف حين يحدثنا عن أصل كلمة صوفي يعرض

علينا أهم الآراء التي رآها القدماء واختلفوا فيها اختلافا تجاوزهم الى المحدثين من المستشرقين وغير المستشرقين من علماء الشرق .

ولعل مؤلف عوارف المعارف أميل ما يكون الى أن هذه الكلمة ليست إلا نسبة الى الصوف. وهو يستمد في رأيه هذا الى أن الصوف كان لباس الانبياء فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف . وحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى . فأنت ترى أن هذا الكلام إن صح كان طبيعيا أن يختار المتصوفة لباسهم من الصوف وكان بديهيا أن تكون نسبتهم الى ظاهر لباسهم الذي ينسج منه . وهذا الرأي ملائم لما أخذ به الصوفية أنفسهم من زهد في ملذات الدنيا بصفة عامة وميل الى اللباس الخشن وأعراض عن اللباس الرقيق الناعم بصفة خاصة ناهيك بأنه يلائم ملاءمة تامة طبيعة الاشتقاق اللغوي . فيقال تصوف الرجل إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص . وفوق هذا كله فانه نظراً لتقلب أحوالهم ومقاماتهم ودوام تنقلهم لم يكن هناك أمر يقيدهم ويجمع هذه الاحوال وهذه المقامات المتنوعة . ومن هنا كانت نسبتهم الى ظاهر اللباس الذي اتخذوه مميزا لهم مشيراً الى ما يأخذون به أنفسهم من زهد وتقشف وورع . فكان ذلك أبين في الاشارة اليهم وأدل على حصر وصفهم . إذ أن لبس الصوف كان غالبا عليهم لتشبههم في ذلك بالانبياء والمقربين . ومن هنا ترى أن نسبتهم الى الظاهر أوفق وأقرب الى الاقناع من نسبتهم الى الباطن . فلو نسبوا مثلا الى حال ما أو الى مقام ما، كان ذلك أقل دلالة وأدنى الى الغموض والابهام في الاشارة اليهم .

فمما تقدم ترى أن نسبة الصوفية الى الصوف أبين في تفهم حالهم وأدل على زهدهم وأقرب الى التواضع منها الى أي شيء آخر . وقد ذهب بعض أهل العلم الى أن تسمية الصوفية بهذا الاسم راجعة الى نسبتهم الى الصوفة . وخلاصة هذا المذهب هي أنه لما كان الصوفية يؤثرون الذبول والخمول والانكسار والتواضع مثلهم في ذلك كمثل الصوفة الملقاة ، كانت تسميتهم بهذا الاسم نسبة الى الصوفة . وهذا الرأي فضلا عن انه ملائم للدلالة على ما انطوت عليه نفوس الصوفية من الاذعان والذلة والخضوع فانه ملائم أيضا لطبيعة الاشتقاق اللغوي .

وهناك رأي آخر يتلخص في أن الصوفية سموا بهذا الاسم لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل لارتفاع هممهم واقبال قلوبهم على الله تعالى .

ورأي رابع ذهب فيه أصحابه الى أن تسمية الصوفية بهذا الاسم راجعة الى نسبتهم الى « الصفة » التي كانت لفقراء المهاجرين في عهد النبي . على أن هذا الرأي وان كان صحيحا من ناحية المعنى إلا انه لا يستقيم من ناحية الاشتقاق اللغوي . فالصوفية يشبهون « أهل الصفة » من حيث أنهم فقراء مؤتلفون في الله يجتمعون في الله . وأصحاب الصفة هؤلاء كانوا نحوا من أربعين رجلا لم تكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر . كانوا يصرفون بياض النهار محتطبين ويقضون سواد الليل متعبدين . آثرهم النبي بحبه لهم وعطفه عليهم وبره بهم حتى انه كان يأكل معهم ويحث الناس على مواساتهم . هم الذين نزلت فيهم الآية الكريمة . « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » والذين نزلت في أحدهم وهو ابن ام مكتوم هذه الآية الشريفة : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » فكان ذلك عتابا للنبي ويقال انه كانت توجد في بلاد خراسان طائفة من أهل الصفة لجأت الى المغاور والكهوف ولم تسكن المدن والقرى . كان يسميهم أهل خراسان « شكفتية » لأنهم يطلقون على الغار لفظة « شكفت » فنسبوهم اليها . أما أهل الشام فكانوا يسمونهم « جوعية »

تلك هي أهم الآراء التي ذكرها السهروردي في أصل كلمة صوفي وقد أخذ بعضها في إظهارنا على أن هذه الكلمة تجمع المتفرق في الاسماء التي ذكرها الله في القرآن وسمى بها طوائف الخير المختلفة فقد سميت طائفة بالأبرار وأخرى بالمقربين وثالثة بالصابرين ورابعة بالصادقين الخ . وانت إذا انعمت النظر فيما اشتملت عليه قلوب الصوفية من بر وصبر وصدق وذكر لرأيت ان لفظة الصوفي قد احتوت كل ما تدل عليه اسماء هذه الطوائف .

ويختم المؤلف هذا الباب بذكر موجز لتاريخ كلمة صوفي فيقول انها لم تعرف في زمن النبي وانما عرفت في زمن التابعين . واثبت هذا بذكر كلام روى عن الحسن البصري قال فيه: « رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال : « معي اربع دوانيق يكفيني ما معي » على هذا ذهب بعضهم الى أن هذا الاسم لم يعرف الى المائتين من الهجرة . فكان أصحاب رسول الله يسمون الرجل صحابيا حتى اذا انقضى عهد النبي سمي من أخذ العلم عنهم تابعيا . ولما ان تقادم عهد النبوة وانقطع الوحي وأقبل الناس على الدنيا وتهافتوا على زخرفها انفردت طائفة بالعبادة والتقوى واعرضت عن الدنيا فكانت هذه الطائفة هي الصوفية « الاسم سمتهم . والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم . والتقوى شعارهم . وحقائق الحقيقة اسرارهم » ؟

محمد مصطفى حلمي

ماجستير في الآداب

بلاط الشهـــداء

بعد ألف ومائتي عام

— ٨ —

تتمـــة

ويقول السير ادوارد كريزى : « إن النصر العظيم الذى ناله كارل مارتل على العرب سنة ٧٣٢ وضع حدا حاسما لفتوح العرب في غرب أوربا ، وأنقذ النصرانية من الإسلام ، وحفظ بقايا الحضارة القديمة وبذور الحضارة الحديثة ، ورد التفوق القديم للأمم الهندية الأوربية على الأمم السامية »(١) ويقول فون شليجل فى كلامه عن الاسلام والامبراطورية العربية : « ما كاد العرب يتمون فتح أسبانيا حتى تطلعوا الى فتح غاليا وبورجونيا . ولكن النصر الساحق الذى غنمه بطل الفرنج كارل مارتل بين تور وبواتيه وضع لتقدمهم حدا ، وسقط قائدهم عبد الرحمن فى الميدان مع زهرة جنده ، وبذا أنقذ كارل مارتل بسيفه أمم الغرب النصرانية من قبضة الاسلام الفتاكة الهدامة الى الذروة » (٢) ويقول رانكه : « إن فاتحة القرن الثامن من أهم عصور التاريخ ، ففيها كان دين محمد ينذر بامتلاك إيطاليا وغاليا ، وتقوثبت الوثنية كرة أخرى الى ما وراء الرين ، فنهض إزاء ذلك الخطر فتى من عشيرة جرمانية هو كارل مارتل ، وأيد هيئة النظم النصرانية المشرفة على الفناء بكل ماتقتضيه غريزة البقاء من عزم ، ودفعها الى بلاد حديثة » (٣) . ويقول زيلر « كان هذا الانتصار بالأخص انتصار الفرنج والنصرانية . وقد عاون هذا النصر زعيم الفرنج على توطيد سلطانه لا فى غاليا وحدها ولكن فى جرمانيا التى أشركها فى نصره » (٤) : « على أن هنالك فريقا من مؤرخى الغرب لا يذهب الى هذا الحد فى تقدير نتائج الموقعة وآثارها ومن هذا الفريق المؤرخان الكبيران سسموندى وميشليه : فهما لا يعلقان كبير أهمية على ظفر كارل مارتل . ويقول جورج فنلى : « ان اثرة الكتاب الغاليين قد عظمت من شأن تغلب كارل مارتل على حملة ناهبة من عرب أسبانيا ، وصورته كانتصار امر ونسبت خلاص أوربا من نير العرب الى شجاعة الفرنج فى حين أن حجابا ألقى على عبقرية ليون الثالث امبراطور (قسطنطينية) وعزمه مع أنه نشأ جنديا يبحث وراء طالعه ولم يكد يجلس على العرش حتى احبط خطط الفتح التى أنفق الوليد وسليمان طويلا فى تدبيرها » (٥)

ونحن مع الفريق الاول نكبر شأن بلاط الشهداء ايما اكبار ، ونرى انها كانت أعظم لقاء حاسم بين الاسلام والنصرانية ، وبين الشرق والغرب ، ففى سهول تور وبواتيه فقد العرب سيادة العالم بأسره وتغيرت مصائر العالم القديم كله وارتد تيار الفتح الاسلامى أمام الامم الشمالية كما ارتد قبل ذلك باعوام امام اسوار قسطنطينية واخفقت بذلك آخر محاولة بذلتها الخلافة لافتتاح أمم الغرب واخضاع النصرانية لصولة الاسلام ، ولم تتح للاسلام المتحد فرصة أخرى لينفذ الى قلب اوربا فى مثل كثرته وعزمه واعتزازه يوم مسيره الى بلاط الشهداء . ولكنه أصيب قبل وبعد بتفرق الكلمة ، وبينما شغلت اسبانيا المسلمة بمنازعاتها الداخلية ، اذ قامت فيما وراء البرنيه امبراطورية فرنجية عظيمة موحدة الكلمة تهدد الاسلام فى الغرب وتنازعه السيادة والنفوذ .؟

محمد عبد الله عنان

(١) Decisive Battles

(٢) Philosophie der Gesoleciiete

(٣) History of the Rebormation

(٤) Hist. de L,Aelmagne

(٥) Agyptine Empire

المستشرق برجستريسر

(Gotthelf Bergstraesser)

٥ ابريل سنة ١٨٨٦ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٣

للدكتور اسرائيل ولفنسون

مدرس اللغة العبرية بكلية الآداب

وقع نظرى أثناء مطالعتى فى الجرائد اليومية التى وصلتنى من المانيا على خبر لم يوضع فى مكان بارز كأنه ليس من الاهمية فى شيء . ورد فيه نعى جوتهلف برجستريسر أستاذ اللغات السامية بجامعة ميونيخ ، سقط أثناء رحلة رياضية فى جبال الالب من قمة جبل جلوكنر الى هاوية توفى فيها على الفور . لو وقع هذا الحادث منذ سنوات قليلة لكان قد وضع فى مكان أبرز ، وعلى حالة تلفت القراء أكثر مما هو فى جرائد هذه الايام . لأن المانيا الحالية ليس فيها من يعبأ كثيرا بمن توفى من العلماء المستشرقين ، ولكنى روعت لهذا الخبر الذى أدمى قلبى وملأه حزنا وأسى

كان علم الاستشراق قد قطع شوطا بعيدا فى أواخر القرن الماضى فى جامعات اوربا على العموم ، وفى المانيا خاصة حتى وصل ببحوث نولدكه وجولدسيهر وريت ويستنفلد وليتمن وغيرهم الى اوج مجده ثم أخذ بعد انتهاء الحرب العظمى ينحدر من قمة الجبال الى بطون الوهاد ويتضاءل شيئا فشيئا

ويجب أن يلاحظ أن الحرب العالمية قد أدت الى انحطاط العلم على العموم فى أوربا . لأن التفكير الجدى والقراءة الدقيقة انقطع عنهما الشباب الذى أخذ يميل الى البحوث السطحية والى اكتساب العلم عن طريق الراديو والسينما . كما انتشر فى الجامعات توغل جمهرة الطلبة فى الشؤون السياسية والحزبية اكثر من توغلهم فى البحوث العلمية

وقد توفى من خيرة الاساتذة المستشرقين (جولدسيهر ونولدكه شبيجلبرج وبجر وهورديتس) دون أن يأتى غيرهم فيملأ الفراغ الذى تركوه فى شتى العلوم التى كانوا يضحون حياتهم فى سبيلها . واما الآن فنجد عددا غير قليل من الاساتذة يملأون أروقة الجامعات فى المانيا وهم من الذين يناصرون الحزب الذى يقبض الآن على ناصية الحكم فى البلاد . . هذه الافكار أخذت تقلق بالى فى تلك اللحظات التى قرأت فى الجرائد الالمانية عن وفاة العالم برجستريسر

نشأ الأستاذ برجستريسر فى أسرة المانية مسيحية بروتستانتية وكان ابوه وجده قسيسين فى مدينة بلون Plauen من أعمال زكسن Sachsen بألمانية ، ومن هنا يسهل فهم سبب عناية والديه بتربيته الدينية فى المدرسة الابتدائية والثانوية . اذ أرادا أن يحقق أمنيتهما حتى يكبر تقيا ويصبح صالحا لرداء الكهنوت ويكون خير خلف لخير سلف ، ولكن جوتهلف برجستريسر مال عن هذه الرغبة الى البحث فى اللغات السامية والعلوم الاسلامية حين دخل فى جامعة ليبزيج Leipzig فى سنة ١٩٠٤ وقد درس آداب اللغة العربية عند العالم أوجست فيشر الذى يعتبر الى يومنا الحالى من قادة النقاد لدى جمهرة المستشرقين ، وقد أثرت روح النقد فى برجستريسر حتى أضحت على كر الزمن من مميزاته البارزة لا فى الكتابة والقاء المحاضرات فحسب ، بل اثناء محادثاته العادية مع محدثيه كانت لا تفوته كبيرة أو صغيرة دون أن يتعرض لها اذا وجد مجالا للمعارضة أو الانتقاد

ونذكر بهذه المناسبة ان فيشر — شيخ النقاد — كان على الدوام ينتقد بكل شدة مؤلفات المستشرقين حتى هابه عظماء العلماء فى العصر الحاضر ، على ان فيشر لم يؤلف المؤلفات الكبيرة كما فعل العلماء الذين انتقد مصنفاتهم بل كان يكتفى بوضع المقالات ، وأخذ بعض العلماء يهزأون به ويقولون ان فيشر لا يحب أن ينشر كتبا خوفا من شبح النقد وانتقام النقاد ، ومن اكبر عيوب أوجست فيشر انه بدأ يدون جملة كتب فى موضوعات شتى منذ سنين كثيرة ولم ينته منها ، إذ من المعلوم انه يعمل منذ ثلاثين سنة فى تأليف قاموس عربى على دقيق للشعر العربى القديم لم يطبع الى الآن ، وكذلك بدأ فى مراجعة جملة مخطوطات لكتاب المغازى للواقدى منذ امد بعيد والى الآن لم ينته منه أيضا . وكان كاتب هذه السطور قد التقى بالأستاذ فيشر فى مدينة فينا فى مؤتمر المستشرقين فى سنة ١٩٣٠ فعرض عليه أن يتم مراجعة بقية الاجزاء من كتاب المغازى للواقدى . فلما سمع فيشر اقتراحه بدا اضطراب على وجهه وسكت طويلا كانه لم يتمكن من أن يبوح بكلمة ، ثم أجاب بعد تفكير طويل : أمهلنى حتى أفكر مليا فى هل أكمل الكتاب أم أقدمه اليك مع جميع المخطوطات والصفحات التى بدأت بمراجعتها . . فلما قصصت حكاية المقابلة مع فيشر للأستاذ برجستريسر ابتسم ابتسامته الحلوة قال : فيشر لن يرسل اليك الصفحات التى راجعها أبدا كما لن يخبر أنه عزم على أن لا يتم الكتاب . .

على أن فيشر كان قد درب فى جامعة ليبزيج تحت أشرافه عددا لا يستهان به من العلماء حتى أصبحوا من فحول المستشرقين فيما بعد ، وكان بينهم الأستاذ جوتهلف برجستريسر .

وبعد أن أتم برجستريسر دراسته الجامعية وقدم رسالة عن حروف النفى وأسماء الاستفهام فى القرآن الكريم فى سنة ١٩١١ قام برحلة إلى الأقطار الشرقية فى سنة ١٩١٣ فزار الاناضول وسورية وفلسطين ومصر وما كاد يصل الى ألمانيا من هذه الرحلة المباركة حتى بدأت الحرب العظمى فدعى إلى ساحة القتال . وظل متنقلا مع الجيش الالمانى فى أرض بلجيكا وفرنسا الى أن دعته الحكومة التركية فى سنة ١٩١٥ لالقاء محاضرات فى جامعة الأستانه ، وكان أول عهده بلقب أستاذ ، وقد بلغ حينئذ العام الثلاثين من حياته ، ولما ذاع صيته دعى لالقاء محاضرات فى جامعات المانيا فى العلوم الاسلامية واللغات السامية كانت أولها جامعة كونسبرج فى سنة ١٩١٩ وفى عام ١٩٢٢ انتقل الى جامعة برسلو ومنها الى جامعة هيدلبرج فى سنة ١٩٢٤ ثم دعى الى مدينة ميونيخ سنة ١٩٢٦ التى ظل يدرس بها الى أن أدركته المنية .

***

تنقسم مؤلفات برجستريسر الى أربعة أنواع أصلية نوع يشتمل كتبه عن اللغة العربية وعلم اللغات السامية ، ونوع آخر يبحث فى الآرامية ولهجاتها ، ونوع ثالث يحتوى على مصنفاته ومطبوعاته فى الآداب العربية والعلوم الاسلامية ، وأما النوع الرابع فيشمل مقالاته عن علوم اللغة التركية .

على العموم تمتاز كتابة برجستريسر بدقة الجمل القليلة فى ألفاظها ، الكثيرة فى معناها ، يعبر عما يجول فى خاطره بعد تفكير

طويل، وبعد احاطة بالموضوع من جميع نواحيه ، والمام شاق بجميع المراجع الكبيرة والصغيرة مع استعمال الادلة العلمية الدقيقة ، مما يجعل القارىء يحتاج الى قراءة الكتاب بأناة حتى يقف على النظريات الغزيرة .

ومن أهم ما دون برجستريسر فى حياته : كتابه عن قواعد اللغة العبرية ، ومما لا شك عندنا أنه اخطر كتاب فى موضوعه منذ بدأ البحث فى علوم الامم الشرقية على الطريقة العلمية المألوفة عند الافرنج ، وقد أظهر المؤلف فى هذا المصنف أنه وقف على جميع النظريات التى الفت فى هذه المادة فى جميع العصور بين كتب ومقالات معروفة ومهجورة ، وهذا المام يندر ان يوجد بين علماء اليهود أنفسهم

ومع أن كتابه هذا وضع لجمهرة الطلبة فى الجامعات فانه لم يستعمل كثيراً بين هؤلاء لأنهم لم يتمكنوا من فهمه وادراكه حق الادراك لذلك اصبح كتاباً للاساتذة والمدرسين فى المعاهد العليا كما هو شأن جميع كتب برجستريسر التى انحصر تداولها بين أيدى الذين نضجت عقولهم وتمرنوا على مطالعة الموضوعات العويصة والكتب الفنية الدقيقة

وله كتاب آخر سمى المدخل الى اللغات السامية

[Einfuhrung in die semitischen Sprachen].

ويجب أن يلاحظ أنه بعد أن نشر مصنف نولدكه عن اللغات السامية ، وكتاب بروكلمان الكبير عن الموازنة بين قواعد اللغات السامية جاء برجستريسر واضاف كتاباً جديداً فى هذه المادة ، وكان الناس يتوقعون أنه لا يأتى بجديد ولكن ظهور الكتاب ازال كل اثر لتلك المخاوف ، اذ جاء جديداً فى اسلوبه ، فياضا فى نظرياته ، ثائراً على القديم ، يلقى أحكامه الجديدة ويهدم قضايا مألوفة ومعروفة

وله كذلك كتاب فى جغرافيـــة اللغة فى سورية وفلسطين

(Sprachatlas fuer Syrien und Palaestina)

وضعه لاغراض عملية لرجال الجيش الالمانى فى البلدان العربية أثناء الحرب العظمى

وقد ذكرنا رحلة الاستاذ برجستريسر الى البلدان الشرقية ، وكان قد أقام مدة من الزمن فى دمشق بحث فيها بحثا علميا دقيقا عن اللهجة العامية فى دمشق، كما وجه عناية شديدة الى البقية الباقية من الارهاط السريانية التى تقطن فى المعلولة وهى ضاحية من ضواحى دمشق. وصنف رسالتين احداهما عن اللهجة السريانية عند اهل معلولة والأخرى عن الروايات الخرافية الجديدة عند الآراميين

على أن الاستاذ برجستريسر وجه جل عنايته الى البحث فى العلوم الاسلامية والعربية ، وكانت باكورة مصنفاته فى هذه المواد رسالته عن حنين بن اسحق ومدرسته ، ومما لا شك فيه أن الذين يكتبون عن الفلسفة اليونانية وأثرها فى الفلسفة الاسلامية وعن حركة الترجمة والنقل من اليونانية الى العربية بواسطة السريان ، يجدون فى هذا السفر مادة غزيرة لا يمكنهم أن يستغنوا عنها مطلقا . . .

وله كتاب آخر وهو عظيم الخطر فى العلوم الاسلامية اعنى به ما كتبه عن مصاحف القرآن الكريم . كان الاستاذ نولدكه قد الف فى أواسط النصف الثانى من القرن التاسع عشر كتاباً عن تاريخ القرآن كان له الدوى العظيم والأثر البعيد فى أندية العلماء فى أوربا ، ولما احتاج الكتاب الى تنقيح وزيادات وكان الاستاذ نولدكه قد توغل فى بحوث اخرى تناوله الاستاذ شوللى Scwal ly واخرج الطبعة الثانيـة من كتاب تاريخ القرآن الكريم مع زيادات وملاحظات كثيرة ، ولم يكن الكتاب كمل بعد لذلك اتم برجستريسر ما بدأبه نولدكه وشوللى فدون الجزء الثالث من تاريخ القرآن الكريم وهو كتابه عن المصاحف ، وقد رأى الاستاذ برجستريسر أن يبحث فى قراءات القرآن وهى مادة لم يكن ليشتغل فيها غيره من كبار المستشرقين ، فقضى سنين طويلة يراجع بصبر واناة كل ما دون فى امهات المصنفات الاسلامية فى هذه المادة من كتب مطبوعة ومخطوطة . وكانت نتيجة هذه الأبحاث الطويلة أنه طبع (١) كتاب غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين ابى الخير محمد الجزرى المتوفى سنـــه ٨٣٢ هـ (٢) كتاب شواذ القراءات لابن خالويه (٣) رسالة باللغة الالمانية عن القراءات القرآنية الشاذة فى كتاب المحتسب لابن جنى

Nichtkanische Kran les arten im Muhtasab des Ibn Ginni

وهو آخر مصنف وضعه الأستاذ برجستريسر فى حياته ، ومما يلفت الأنظار أن هذا الكتاب مقدم الى الدكتور طه حسين

ويجب ألا يغيب عن البال ان الاستاذ برجستريسر قد أتقن ما عدا اللغات السامية الفارسية والتركية ايضا ، وقد وضع جملة مقالات عن آداب هاتين اللغتين نشرت فى مجلات المستشرقين فى مناسبات شتى

***

كان الاستاذ أنوليتمان (E. Littmann) المستشرق الشهير صاحب المدونات عن الكتابات العربية قبل الاسلام ، المعروفة بالخطوط الثمودية واللحيانية والصفوية (راجع كتاب تاريخ اللغات السامية لكاتب هذه السطور ص ١٧٥-١٨٨) بعد أن القى محاضرات

فى الجامعة المصرية فى السنة الدراسية ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ولم يستطع الرجوع الى الجامعة بعد ذلك الحين أشار على الهيئات الرسمية بالجامعة المصرية بان يدعو الأستاذ برجستريسر لالقاء محاضرات فى الجامعة المصرية

وقد قوبل الاقتراح ولبى الاستاذ برجستريسر دعوة الجامعة وحضر الى القطر المصرى وكان مجىء برجستريسر حادثاً خطيراً فى حياة الجامعة المصرية اذ كان الاساتذة والمدرسون يقبلون عليه ويحضرون مع الطلاب محاضراته النفيسة، وكان يلقى فى ذلك العام (١٩٣٠) محاضرات عن التطور النحوى للغة العربية. وكان فى محاضراته الأولى كثير العجمة والابهام فى لغته العربية، وكان يقرأ المحاضرة من الورقة المكتوبة التى كانت أمامه، ثم أخذ بعد جملة أسابيع يتحرر شيئاً فشيئاً من الكراس، وأخذ يرتجل الجمل ارتجالا ويفصح فى الكلام افصاحاً، ثم رجع فى سنة ١٩٣٢ الى مصر والقى محاضراته عن اللهجات العامية فى الموصل. كان يفيض كالبحر الزاخر بلغة عربية فصيحة كانت مفهومة واضحة لجمهرة الطلبة

ويجب ان يقال بكل صراحة إن عدد الحاضرين عند برجستريسر كان فى بادىء الأمر كبيرا، ثم أخذ ينقص على كر الزمان الى ان انحصر الحاضرون فى طلبة قسم اللغات السامية فقط، والسبب فى ذلك يرجع الى أن محاضرات برجستريسر كانت فنية قبل كل شىء أى إن الذين لم يدرسوا اللغات السامية لم يفهموا كثيرا مما كان يلقى الاستاذ، وفوق ذلك فان عقلية برجستريسر كانت دقيقة وعميقة. وكانت محاضراته موجهة الى أصحاب الثقافة الراقية قبل كل شىء

لم يكن برجستريسر أكبر الاساتذة سنا، ولكنه كان أعلاهم مقاما وأغزرهم علما وكانوا يوجهون اليه الاسئلة حتى يقفوا على آرائه فى كثير من الموضوعات ومن هنا ادخل برجستريسر فى هيئة التحرير فى المجلة العلمية الشهيرة فى ادبيات المستشرقين Orientalistische Literaturzeitung وكان مدة من الزمن رئيس التحرير فى المجلة الالمانية للعلوم السامية

Philolagie und Linguistik
Beitragezur sem.

كان الاستاذ برجستريسر يسرف فى اجهاد نفسه حتى أضناه العمل لانه كان فوق البحث والفحص لتنظيم محاضراته لطلبة الجامعة المصرية، يمضى ثلاثة أيام كاملة من الصباح الى الغروب فى المكتبة الملكية يجلس الى مائدة فى غرفة منفردة ويراجع مخطوطات فى قراءات القرآن، ثم اضطر الى ملازمة الفراش، فعنفه الاطباء على اجتهاده المفرط الذى ينذر بالخطر وأشاروا عليه بترك العمل فى المطالعة والتأليف ولكنه لم يحفل بهم

وكان برجستريسر يحب الجبال، والرياضة فى الجبال، ينزه أسابيع كاملة على خلوة بنفسه. وفى اليوم الثانى عشر من شهر اغسطس المنصرم صعد جبل جلوكز الشامخ فحدثت الفجيعة العظمى اذ زلت قدماه من ذروة الجبل الشاهق وسقط الى هاوية فتوفى على الاثر

وكان قد بلغ الثامنة والاربعين من عمره حين قضى نحبه؟

ابن خلدون ومكيافيللى (١)

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بعد وفاة ابن خلدون بأكثر من قرن، وضع نيكولو مكيافيللى المؤرخ والسياسى الايطالى (٢) كتابا يتبوأ فى التفكير الغربى مكانة كتلك التى تتبوأها مقدمة ابن خلدون فى التفكير الاسلامى. ذلك هو كتاب «الامير» Ilprincipe، وهو كأثر ابن خلدون قطعة بديعة من التفكير السياسى والاجتماعى. تمتاز بكثير من القوة والطرافة والابتكار الفائق، واذا لم يك بين الأثرين كثير من أوجه الشبه المادى، فان بينهما كثيرا من أوجه الشبه المعنوى، وبين الذهنين بالأخص مشابهة قوية من حيث الظروف والبيئة التى تكون كل فيها، ومن حيث فهمه للتاريخ والظواهر الاجتماعية، ومن حيث قوة العرض والاستدلال بشواهد التاريخ.

ونستطيع أن نرجع كثيرا من أسباب هذه المشابهة بين المفكرين العظيمين الى تماثل عجيب فى العصر والظروف السياسية والاجتماعية التى عاش كل منهما فيها. فقد كانت الامارات والجمهوريات الايطالية التى عاش مكيافيللى فى ظلها تعرض فى ايطاليا نفس الصور والاوضاع السياسية التى تعرضها الممالك المغربية أيام ابن خلدون، من حيث اضطرام المنافسات والخصومات فيما بينها، وطموح كل منها الى افتتاح الاخرى، وتقلب اماراتها ورياساتها بين عصبة من الزعماء والمتغلبين. وقد اتصل مكيافيللى بهذه الدول، وقضى عصرا فى خدمة احداها وهى وطنه فلورنسا (فيرنتزا)، وانتدب لمهام سياسية مختلفة؛ واستطاع أن يدرس عن كثب كثيرا من الحوادث والتطورات السياسية التى تعاقبت فى عصره، وأن يجعل من هذا الدرس مادة لتأملاته عن الدولة والأمير، كما جعل ابن خلدون من الحوادث التى عاصرها واشترك فيها مادة لدرسه وتأملاته

على أن المفكر المسلم أغزر مادة وأوسع آفاقا من المفكر الايطالى. ذلك أن ابن خلدون يتخذ من المجتمع كله ومايعرض فيه من الظواهر مادة لدرسه، ويحاول أن يفهم هذه الظواهر وأن يعللها على ضوء التاريخ، وأن يرتب على سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة. ولكن مكيافيللى يدرس الدولة فقط، أو يدرس أنواعا معينة من الدول، هى التى يعرضها التاريخ اليونانى والرومانى القديم، وتاريخ ايطاليا فى عصره، ويدرس شخصية الأمير أو المتغلب الذى يحكم الدولة، ومايلحق بها من الخلال الحسنة أو السيئة، ومايعرض لهامن وسائل الحكم. وهذه الدراسة المحدودة المدى تكون جزءا صغيرا فقط من دراسة ابن خلدون الشاسعة، هو الفصل الثالث من الكتاب الأول من المقدمة، وهو الذى يدرس فيه أحوال الدول العامة والملك والمراتب السلطانية. وحتى فى هذا المدى المحدود يتفوق ابن خلدون على مكيافيللى تفوقا عظيما. ويبتدع هنا نظرية العصبية، ونظرية أعمار الدول، ويتناول خواص الدولة من الناحية الاجتماعية وان كان مكيافللى من جهة أخرى يتفوق على ابن خلدون فى سلاسة المنطق، ودقة العرض والتدليل، ورواء الاسلوب.

كتب مكيافيللى كتابه «الأمير» سنة ١٥١٣ واهداه الى لورنزو دى مديتشى «الافخم» أمير فلورنسا، وهو يشير الى غرضه من وضع كتابه فى قوله للأمير فى خطاب الاهداء: «ومع أنى أعتبر هذا المؤلف غير خليق بمطالعة محياك، فانى اعتمد جل الاعتماد على عطفك ورقتك فى قبوله، فلست استطيع فى اهدائك خيرا من أن اقدم أليك فرصة لتفهم فى اقصر الأوقات كل ماعرفته خلال أعوام طويله، وفى غمار من المتاعب والاخطار» وفى قوله: «فتناول ياذا الفخامة هذه الهدية الصغيرة بنفس الروح الذى

(١) من كتابه ذكرى ابن خلدون وسيصدر قريبا

(٢) نيكولو مكيافيللى Nicolo Machiavelli كاتب ومؤرخ وسياسى ايطالى كبير. ولد سنة ١٤٦٩ بمدينة فلورنسا وتوفى بها سنة ١٥٢٧ واشتغل حينا سكرتيرا للسياسة الخارجية فى حكومة فلورنسا. وكلف بعدة مهام سياسية فى ايطاليا وفرنسا والمانيا، ولما عاد آل مديتشى لحكم فلورنسا سنة ١٥١٢، قبض عليه بتهمة التآمر، وعذب ثم افرج عنه بوساطة البابا ليون العاشر. وعندئذ اعتزل الحياة العامة وكتب عدة مؤلفات شهيرة منها كتابه «الامير» وتاريخ فلورنسا. ومقالات عن ليفى المؤرخ الرومانى؛ وعدة رسائل سياسية وقطع مسرحية

أرسلها به . وإنك إذا قرأته بإمعان وتأمل . فسوف تعرف خالص رغبتي في أن تظفر بهذه العظمة التي تمنى بها حسن الطالع وتمنى بها خلالك » (١) وإذن فقد اراد مكيافيلي أن يقدم بكتابه «الأمير» مرشداً لأمراء عصره يرشدهم الى امثل طرق الحكم ، وامثل الوسائل لسيادة الشعوب التي يحكمونها . ومكيافيلي يستمد آراءه ونظرياته من حوادث التاريخ القديم . وبالاخص من حوادث عصره التي شهدها وخبرها . ويرتب عليها احكاما وقواعد عامة ، كما رتب ابن خلدون مثل هذه الاحكام والقواعد على دراسته للمجتمع . ويبسط مكيافيلي دراسته في بحوث موجزة ويبدأ بالحديث عن أنواع الإمارات ، ووسائل اكتسابها . وعن الوسائل التي تحكم بها المدن او الإمارات التي كانت تعيش في ظل قوانينها قبل ان تغلب ، وعن الإمارات التي تقوم بالفتح وكفايات الأمير الشخصية ، وعن تلك التي تغنم على يد آخرين او بطريق الحظ ، او تلك التي تغنم بالغدر والخيانة . وعن الإمارات المدنية والدينية . وعن انواع الجيوش والجنود المرتزقة . وما يجب ان يعرفه الأمير عن فن الحرب . ثم يتناول بعد ذلك شخصية الأمير ، وما يحمد فيه من الخلال وما يذم . وعن الكرم والشح ، والرأفة والقسوة ، وعن الطريقة التي يجب ان يحفظ بها الامراء وعودهم ، وعما يجب عليهم لتجنب بغض الشعب واحتقاره ، وما يجب عليهم لاكتساب الشهرة . والمجد . وأخيراً يتحدث عن حجاب الأمير «سكرتاريه» وعن وجوب تجنب الملق ، وعن الاسباب التي فقد بها أمراء ايطاليا دولهم ، وعما يمكن أن يؤديه حسن الطالع في سير الشئون البشرية ، ثم يختتم بالحث على تحرير ايطاليا من نير الاجانب أو غزوات البرابرة كما يسميهم

تلك هي المباحث التي جعلها مكيافيلي قوام فلسفته عن الدولة والأمير . ويبدو بالاخص مما كتبه عن «الامير» انه يعالج موضوعا عالجه المفكرون المسلمون قبل ابن خلدون بعصور طويلة ، هو موضوع « السياسة الملكية » وهو موضوع يجرى منذ القرن الثالث الهجرى في التفكير الاسلامي مع بحث أو علم خاص هو علم السياسة على نحو ما بينا في فصل سابق . وقد رأينا مما تقدم أن « السياسة » كانت تفهم عند العرب في العصور الاولى بمعنى ضيق جداً هو شرح الخلال الحسنة التي يجب أن يتصف بها الأمير ، و ... التي يجب أن يبرأ منها لكي يصلح لرآسة الدولة وتبوىء المنصب ... وكي يستطيع الحكم باهلية وكفاية . ثم توسع المفكرون المسلمون في فهم معنى «السياسة» وقسموها الى عدة أنواع ، وتناولوا «السياسة الملكية» من الناحية الفقهية وكذا من الناحية الادارية وبحثوا مركز الأمير من الناحية الشرعية وتحدثوا عن الخطط السلطانية . وظاهر ما يتناوله المفكر الايطالي من خواص الأمير وخلاله وواجباته هو ضرب مما تناوله المفكرون المسلمون منذ أواخر القرن الثالث الهجرى . من ذلك ما كتبه ابن قتيبة في كتاب «عيون الاخبار» والماوردي في كتاب «الاحكام السلطانية» والطرطوشي في كتاب «سراج الملوك» والغزالي في كتاب «التبر المسبوك» ، ثم ابن الطقطقي في كتاب «الآداب السلطانية» . وهو موضوع تناوله ابن خلدون فيما تناوله من أحوال الدول العامة والملك ، اذ يتحدث هنا عن حقيقة الملك وأصنافه ، وعن معنى الخلافة والإمامة . وعن مختلف المذاهب والآراء في حكم الامامة ثم عن الخطط السلطانية (١) ، وحديثه في ذلك يمتاز عن حديث اسلافه بما يتخلل بحثه وتدليله من الملاحظات والتأملات الاجتماعية التي لم يوفق اليها باحث قبله

على أن مكيافيلي يمتاز في بحثه بروح عملية جافة . وبينما يتحدث المفكرون المسلمون عن الامير أو الحاكم كما يجب أن يكون . وعن خلاله المثلى كما يجب أن تكون ، اذا بالمفكر الايطالي ينظر الى الأمير الأمثل نظرة عملية محضة . فيصفه كما هو في الواقع . ويتصور خلاله المثلى فيما هو حادث بالفعل . ويرتب تدليله ونتائجه على ما احرز الامير وأحرزت خلاله من النجاح أو الفشل دون تأثر بما اذا كانت هذه الصور والخلال تتفق مع مبادىء الاخلاق المثلى كما فهمت خلال العصور . ومن هنا تستمد فلسفة مكيافيلي لونها القاتم ، وتوصم آراؤه ونظرياته السياسية بتلك الصرامة والقسوة والخبث التي جعلتها حتى عصرنا مضرب الامثال للسياسة الغادرة التي لا ضمير لها ولا وازع ، والتي جردت من كل نزاهة وعفة ، وتغاضت عن كل المثل الانسانية والاخلاقية . والى القارىء بعض نماذج من تلك الآراء التي طبعت فلسفة مكيافيلي ، وأميره الامثل بذلك الطابع الاسود :

يتبع

(١) كتاب الامير — ترجمة الانجليزية طبعة افريمان ص ٢ و ٣ The Prince

(١) راجع المقدمة ص ١٥٦ و ١٢٨ الى نهاية الباب

آثار شوقيــــة

—٣—

منظر من رواية الست هدى(١)

السيدة هدى وجارتها زينب تتحدثان فى احدى حجرات منزل السيدة هدى المطل على مسجد ابي الليف بحى السيدة زينب، وقد أخذت السيدة هدى تقص على صديقتها حياتها مع أزواجها التسعة الى أن قالت عن آخر زوج لازال معها :

...

الست هدى :

ثم اقترنتُ بمحامٍ عاطلٍ   شرّيب خمرٍ يحتسيها في الضحى
قلّت دعاويه وقــــل ماله   وأصبح المكتب منه قد خلا

« عبد المنعم المحامى زوج الست هدى وهو سكران يصعد السلم »

عبد المنعم « منادياً » :

هدى اضلالٌ ! أين أنت ياهدى؟   أين العجوز؟ أين جدتى هدى
وا نكدا زينبُ ! واداهيتا !   آتى ولا أعرف من أين آتى

يشتم فى السلم :

زينبُ ! خليــــه دعى   لا تفرضيه غير سكران هذَى
رأيته

الست : وكيف ؟

زينب : من تحت وقد   كان من السقف أطل وانحنى
وكانت الحارة منا امتلأت   فأرسل القىء علينا ورمى

الست : القىء ! ماذا قلت ؟

زينب : قلتُ ما رأت   عيني وما مرّ على رأسي وما . . .

عبد المنعم وهو بالسلم :

هدى ! عجوز النحس، أنت قردةٌ   خطوطك الوحل وكحلك العمى
سمعت يازينب؟

خليه دعى   لا تفرضيه غير سكران هذى

زينب :

ومرة جاء أبا الليف ضحى   أذّنَ فى الناس يصلون العشا
فضيحةٌ فى الخُطَ

الست : وافضيحتا !

ما شهدوا فى الحنفى مثلها

عبد المنعم ولا يزال بالسلم :

هدى تعالى ياعتيقةُ اظهرى   عندى لكِ النعلُ وهذه العصا

الست : سمعت يازينبُ

زينب : خليــــه دعى   لا تفرضيه غير سكران هذى

الست : دعيه يهذى ما يشا   غداً ترينَ زينبُ
فنى غد لى وله   شأنٌ، غدا يؤدّبُ

زينب : وما الذى عزمت يا   حبيبتى أن تصنعى

الست : أقذفُ فى القسم به   وأشتكى وادّعى
ان رجال القسم والنائب والقاضي معى

الست لزوجها : لتندمنّ يا لُكَعْ   يا من يقوم ويقع

عبد المنعم وقد سمع صوتها :

ماذا سمعتُ؟ صوتها !   أأنت بومتى هنا؟
الآن يا حيزبون الخطّ أريك من أنا

زينب : هدى حبيبتى اسمعى   تعالَى اهزلى معى

الست : أنا ؟

زينب : اسمعى دعيه

الست : لا

زينب : دعيه ياهدى دعى

زينب : لا تغضبيه إنه   ممتلىء ليس يعى

عبد المنعم :

هدى ! هدى ! أين هدى ؟   أين العجوز الباليــــة
خداك ضفدعان قد أسنّتا   وأذناك عقربان من قنا
وحاجباك والخطوط فيهما   كدودتين اكتظتا من الدما
وبين عينيك نفارٌ وجفا   عينٌ هناك خاصمت عينا هنا

الست :

دعني أقطع عليه الحذاء   وأجز الوقاح على ذنبه
دعنىَ أضربه حتى يفيق   فلا بد زينبُ من ضربه

(١) [illegible] العدد الثامن عشر ص ٢٧

زينب: قد جاء.. هيا نتقي جنونه وهوسه
ففي يمينه العصا وفي الشمال المكنسه

الست: سكران يضرب إذن لنهرب هلم زينب
هذه حجرة نومي اسرعي زينب فيها
نحن يا زينب لأنك ج سكران سفيها

«تدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب وعبد المنعم يدخل مترنحا»

— ٤ —

في الاندلس

أبيات مبعثرة نظمها أمير الشعراء في الاندلس

ويوم من صبا آذار حلو | قصدناه وما بلغ الشبابا
تصور من حلى النيروز وجها | وجمع من زخارفه إهابا

فراق صباحه صحواً وزهواً | ولذ ضحاه حاشية وطابا
تناثر في البطاح حلى وأوفى | على الآفاق فانتظم الهضابا
وسالت شمسه في البحر تبراً | على مثل الزمرد حين ذابا
كأن نسيمه نفس العذارى | طعمن الشهد أو ذقن الحبابا
تمناه ابن عباد صبوحاً | اذا حث المزاهر والشرابا

وما قدرت أن سيجن ظهراً | ولم تكن القيامة لي حسابا
تشعثت لمة واغبر وجهاً | وذلي مشفراً وافتر نابا
وبدل حسن ذاك السمت قبحاً | وأصناف النعيم به عذابا
وضج البحر حتى خيل موسى | أتى بعصاه أو فرعون آبا
وأبرق في العباب كأن سراً | بأسطول الجزيرة قد أهابا
كأن شعاعها في الثلج نار | لفارس حولها ضربوا القبابا
أو الحسناء يوم العرس جنت | فمزقت الغلائل والنقابا
فمن سحر السماء فأمطرتنا | فكان الدر والذهب الذهابا
تروق العين من بيضاء خال | كما تربت بالتبر الكتابا
مناديف عسجد طفرت بقطن | فما تألوه ندفاً وانتهابا
وقطعت الثلوج لكل روض | وكل خميلة منها ثيابا
فمن صور مجللة فراء | وولدان مسربلة جبابا

فتنة الحسن

للشاعر الوجداني احمد رامي

نازعتني الى اجتلاء الجمال | فتنة الحسن في بديع المثال
غرة كالصباح رفت عليها | طرة في سواد جنح الليالي
وعيون تشع بالأمل العذ | ب وتلقي بسحر الهوى والدلال
وفم تبسم الملاحة فيه | ببريق اللمى وظلم اللآلي
وقوام مهفهف القد يمشو | ق تهادى في رفق خطو الغزال
طالعتني وكنت أخلس منها | خطرة الطيف في سنوح الخيال

ثم مرت كما يمر نسيم الـ | روض عبر الغدير بين الظلال
وقضى الله أن أراها وأروى | ناظري من بهاء تلك المجالي
وسمت الحديث من فمها المفتر | عن بسمة الندى في الدوالي

فاذا خفة القطاة اذا اختا | لت على الماء ساعة الآصال
وأذا رقة النسيم أذا بث | شكاة المهجور عند الوصال

رامي

الاصـــل والمثال

عجبا أحق ما أحس وما أرى   أفهذه أنت انبعثت من الثرى ؟
هل يرجع الموتى الى الدنيا ولم   ينفخ لهم فى الصور أو يفن الورى ؟
أم صح زعم القوم أن زماننا   دور تسلسل فى العصور مكررا ؟
وحياتنا فيـــه مواسم ثبتـــة   لا تختفى حتى تعود فتظهرا
لكن ، أدار بك الزمان فريدة   وسها عن الماضين قبلك وازدرى ؟
أم قوة الايحاء بين قلوبنـــا   أحيتك أم هذا خيالك فى الكرى ؟

....

لا ، لا ، فليس يعود من قد ضمه   قبر ولست بحالم فيما أرى
ولو ان ايحاء يعيدك بيننا   لاسطاع دفع الموت عنك وأخرا
أفلم تكونى مهبط الايحاء من   ألبابنا والموضع المتخيرا ؟
ما هذه الا شبيهتك استوى   فيها كيانك يوم طاب وأزهرا
طرأت على كطائر متغـــرب   لم أدر من أى النواحى قد سرى
أفتنة أخرى ولما استــبعد   أمنى وقد مال الصبا وتحدرا ؟
إن كنت أنت اليوم أنت فأنتى   غيرى تداولنى الزمان فغيرا
واعتضت من مرح الصبا وهبوبه   حذرا وتمحيصاً اذا أمر عرا
من ذا الذى دفع الفتاة لموضعى   لأراك فيها عنوة وتجبرا ؟
وأرى عهودك حلوها ومريرها   بينا المرير بهن كان الأكثرا
هل ضاق وجه الأرض حتى لم تجد   من أشبهتك سوى طريقى معبرا ؟
كم من فراسخ بين قطبيها وكم   بيدا توارى المشبهات وأبحرا ؟
ولم انحنى بالرنو ولم أكن   أعلى الشهود صوى وأروع مظهرا ؟
أفليس فى هذا دليل تعمد   لولا انماتك كنت أنت المصدرا ؟
ومن الذى يدرى ؟ فرب ارادة   للميت فينا دون أن نستشعرا !!
ولعلنا يوماً سنسمع فى الثرى   صوتا ونفهم منه معنى آخرا !!

....

والآن يا وجها رأيت بضوئه   آفاق ماض بالظلام تسترا
كن بعض ذا الماضى البعيد وقى   ضـــوءا يضر بمقلتى فتقطرا

محمود عماد

الورقـــاء

ونائحة من بنات الهديل   تبث الى الروض أحزانها
عراها من الدهر غُلْبُ الخطوب   فهبت تودع بستـــانها
وفى الصدر من وجدها حسرة   تكاد تفتت جثمانها
وعز عليها فراقُ الغصون   وما يملك القلب هجرانها
فقيها مغارس عهد الصبا   سقتها الغمائم هتانها
وفيها سرير الهوى ما يزال   يحن فيرجع ألحانها
فأذرت مدامعها الغاليات   وقد خضب الدمع أجفانها
وأهوت على النهر تخفى الدموع   وتودع جنبيـــه تحنانها

*

مواجع تقرؤها فى الضلوع   وتلمح فى العين عنوانها

*

أطافت بها زُمَرُ القانصين   وأفقدها الدهر أعوانها
فضمت الى صدرها أفرخا   أثار التفرق إرنانها
وراحت تؤم فسيح الفياض   وتبكى مدى العمر أوطانها

دمشق   أنور العطار

دمـــر !...[1]

دُمَّرٌ ماؤها على الدر يهوى   كمرايا تكسرت من لجين
سكر الصحب بالمدام وأنى   ثلت بالماء والهوا سكرتين
فحفيف الغصون شاب خرير   الماء لحناً فألفا جوقتين
جلست حول نهر دمر غيد   صرن والدوح حوله جنتين
بردى ما رأيت قبلك نهراً   ينبت الغانيات فى الشاطئين
ليس عيناى لى بكافيتين   فوق عينى أبتغى الف عين
عن يمينى وعن شمالى وخلفى   كل حوراء بضة الساعدين
صرت من دهشتى أدير برأسى   أتوخى بنظرة نظرتين

دمشق   أحمد الصافى النجفى

(١) جنة من جنات الشام لدى مدخل دمشق



اكتشاف الكوكب السيار التاسع

(بلوتو)

للأستاذ عبد الحميد محمود سماحه

تدل كلمة (كوكب سيار) في العربية كما تدل في الأصل اليوناني Planet على صفة نوع خاص من الأجرام السماوية يتحرك في السماء وسط النجوم (الثابتة)

وقد عرف المتقدمون من الكواكب السيارة عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل وتوهموا طويلا أن الشمس والقمر كليهما من الكواكب السيارة لتشابه حركاتهما الظاهرية، فكان المجموع سبعة، وهو (العدد التام) الذي كان له شأن كبير في فلسفة فيثاغورس الرياضية

ويلاحظ أن اشتقاق أسماء أيام الأسبوع من أسماء الكواكب السيارة، فمثلا في الانجليزية Sundey معناه يوم الشمس و Monday يوم القمر، و Saturday يوم زحل، وما يشابه ذلك في اللغة الفرنسية

ولما توطدت دعائم نظرية (كبرنكس) عن مركزية الكون (وقد سبق أن تكلمنا عنها هنا في الرسالة) وتمكن السير اسحاق نيوتن من تفسير حركة الكواكب السيارة على أساس نظرية الجاذبية المشهورة، تغير وجه المسألة، إذ ثبت أن الشمس ما هي إلا مركز المجموعة الشمسية، وأن الأرض أحد الكواكب السيارة التي تدور جميعها حول الشمس في مدارات دائرية تقريبا

والى ما قبل سنة ١٧٨١ لم يكن معروفا من الكواكب السيارة سوى هذه الستة السالفة الذكر بما فيها الأرض. وفي مساء ١٣ مارس من هذه السنة رأى السير وليم هرشل أثناء رصده لبعض النجوم جسما يختلف في شكله عنها، وسرعان ما تحقق أنه ليس من النجوم ولكنه من الكواكب السيارة، فأتم الفلكيون ابحاثهم عنه وحسبوا مداره وحركته في السماء واسموه (أرانوس) غير أنهم بعد قليل من الزمن لاحظوا أن مواقع أرانوس في السماء تختلف اختلافا طفيفا مع ما توقعوه بالحساب على أساس نظرية الجاذبية

ومع أن هذا الاختلاف لم يزد في أية حالة على دقيقتين قوسيتين إلا أنهم لم يستطيعوا أن يغمضوا أعينهم عليه، وكان لابد لتبرير وجوده من أحد أمرين لا ثالث لهما ثم يؤتى بالبرهان العملي عليه

الأول — أن يكون قانون الجاذبية العام الذي اكتشفه نيوتن والذي حسبت بمقتضاه مواقع ارانوس المستقبلة في السماء قانونا غير طبيعي أو بعبارة أخرى غير صحيح

الثاني — أن يكون هناك جسم مادي غير معروف لنا يؤثر في حركة أرانوس بالجاذبية وهو ما لم يعمل حسابه عند حساب مواقع أرانوس المستقبلة

ومن غرائب المصادفات أن يفترض اثنان من نوابغ الرياضيين وهما جون أدمز الانجليزي، ولافرييه الفرنسي، مستقلا احدهما عن الآخر، الأمر الثاني وأن يحسبا بمقتضى هذا الفرض مواقع هذا الجرم الغير معروف، ثم يتقدما في وقت واحد تقريبا (أواخر ١٨٤٥) الأول الى الأستاذ (تشالز) مدير مرصد كمبردج والثاني الى الأكاديمية الفرنسية بنتيجة بحثهما النظري.

وفي رأيي أن العلوم الرياضية أو بالأحرى قانون الجاذبية العام لم يسجل في تاريخ البشرية فوزا مثل هذا الفوز عندما أيدت الارصاد الفلكية وجود هذا الجرم السماوي بالفعل، وفي نفس الموقع الذي أشار اليه كل من أدمز ولافرييه. فقد رآه جال (Galle) الفلكي المساعد بمرصد برلين في مساء ٢٣ سبتمبر ومن بعده بخمسة أيام الاستاذ تشالز بمرصد كمبردج

وسمى الكوكب السيار الجديد (نبتون)

كان من الطبيعى بعد معرفة مدار نبتون وحركته أن تراقب مواقعه فى السماء ليرى هل هى تحقق المستنتج نظريا فيكون هو آخر الكواكب السيارة، أو هى لا تحققه فيقتضى البحث عن السبب.

وإذا وجد أن هناك اختلافا مثل الذى وجد فى حالة أرانوس. اعتقد الأستاذ لويل بمرصد فلاجستاف أنه لا بد أن يكون هناك كوكب سيار تاسع يؤثر فى حركة نبتون

وفى سنة ١٩١٤ أتم الأستاذ لويل بحثه النظرى وحسب مواقع هذا الكوكب السيار الموهوم فى أزمنة مستقبلة عديدة غير أنه مات قبل اكتشاف هذا العالم الجديد، فأتم فلكيو فلاجستاف هذا البحث، وأخذوا صورا متعددة فى ليال متعاقبة لتلك المنطقة من السماء التى توهموا وجود الكوكب الجديد فيها، ثم اشتركت مراصد العالم المهمة فى هذا البحث حتى تحقق وجوده، وأعلن اكتشافه فى ١٢ مارس سنة ١٩٣٠ وسمى (بلوتو) لأن (بلوتو) فى القصة اليونانية هو أخ كل من المشترى ونبتون وابن زحل

أخذ هذه الصورة بمرصد حلوان فى ١٩ مارس سنة ١٩٣٠ الدكتور مدور

وهـــذا الاكتشاف هو آخر الاكتشافات الفلكية الحديثة. وربما كان أهم الاكتشافات العلمية فى القرن العشرين ولا يقلل من قيمة اكتشافه أن الطريقة التى اتبعت فيه من الوجهة الرياضية هى عينها التى اتبعت فى اكتشاف نبتون ولاسيما وأن معرفته من بين النجوم العديدة على الالواح الفتوغرافية كانت من أشق الأمور حقيقة نظراً لصغر حجمه. ويكفى للدلالة على ذلك أن نذكر أن أصغر النجوم التى ترى بالعين المجردة ألمع من بلوتو بمقدار الف وستمائة مرة

ويبعد بلوتو من الشمس بما يربو على ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون ميل، ويتم دورته حولها فى ٢٥٠ سنة تقريباً. وقد حسب بعض الفلكيين درجة الحرارة على سطحه فوجدت حوالى مائتين تحت الصفر المئوى. ولم يعرف الى الآن حجمه بالضبط. ولكن من المحقق أنه من أصغر الكواكب السيارة، وأن حجمه يقرب من حجم عطارد

ويرى بلوتو فى الصورة الى جانب النجمة الكبيرة دال التوأمين التى هى من القدر الرابع. وبمقارنة الصورتين نجد أن



أخذ هذه الصورة بمرصد حلوان فى ٢٤ مارس سنة ١٩٣٠ الدكتور مدور

بلوتو وهو المشار اليه بالسهم قد تحرك بين النجوم (الثابتة) فى ما بين ١٩ و ٢٤ مارس ١٩٣٠ وهكذا تمكنا من معرفته من بين النجوم العديدة الأخرى

ولا نستطيع أن نقطع من الآن برأى فيما إذا كان (بلوتو) هو آخر الكواكب السيارة أو أن هناك ما هو أبعد منه. غير أن الزمن كفيل بأن يقطع فى هذه المسألة مرة أخرى؟

مواطن الحيـــاة الاولى

للأستاذ السر آرثر طمسن

ترجمة بشير الياس اللوس

(١) المواطن الساحلية

في وسعنا أن ننظر الى عملية التطور السامية من ناحية جديدة ، فقد سهلت للحيوان أن يخضع لسيطرته جميع الأماكن الملائمة للحياة ، ويجعل المحيط خادما لمصلحته ومصلحة نوعه .

يظن أن العضويات الحية استوطنت السواحل البحرية أولا لما في تلك المناطق من ظروف ملائمة للحياة ، فهي قليلة الغور غنية بالنور والهواء والغذاء ولاسيما ان الاعشاب البحرية النامية في تلك الاماكن تجهز المواد الغذائية بمقياس واسع . ان هذه المناطق مأهولة في الوقت الحاضر بممثلي جميع أصناف الحيوانات تقريبا من النقاعيات (infusorians) الى الطيور الساحلية واللبائن .

(٢) المواطن البحرية

ان الموطن البحري يشمل جميع سطوح المياه الغنية بالنور عدا المناطق الساحلية القحلة . ويظن أن الحيوانات استوطنت هذه الاماكن لتجانسها ووفرة مافيها من خزيات مجهرية (Algae) تصلح طعاما لها . إن هذه النباتات المجهرية تستمكن في أجسام حيوانات دقيقة كالقشريات البحرية (Open - sea crustaceans) التي تعتاش عليها الاسماك ، وهذه بدورها تصبح طعاما للسلاحف المفترسة والحيتان ذوات الاسنان . وبهذا الاعتبار يظن أن البحر المكشوف كان الموطن الاصلي للحياة . وقد يكون الاستاذ (شيرش Church) على صواب في تصوره أن الحياة البحرية تقدمت على الحياة الساحلية .

(٣) أعماق البحار

يظن أن قعر البحار العميقة كان موطنا ثالثا للحياة ؛ ففي ذلك المحيط البارد وفي ذلك الشتاء الدائمي والظلام الدامس الذي لايضيء فيه غير بريق الحيوانات الفسفورية الضئيل ، وتحت ذلك الضغط الهائل — طنان ونصف طن على البوصة المربعة الواحدة في عمق ١٥٠٠٠ قدم — وبين ذلك السكون العميق وفي تلك الوحدة الرهيبة ؛ أجل في تلك الظروف كانت الحياة تقضي شطرا من أدوارها . وربما جرى استعمار هذه اللجج العظيمة النور في عصور حديثة العهد نسبة ؛ لان الحيوانات التي نعثر عليها في هذه الاماكن لاتشمل اصنافا قديمة جدا ؛ ويرجح أن الحيوانات الساحلية هي التي استعمرت هذه الاماكن بتتبعها لبقايا الطعام خلال أجيال عديدة .

(٤) المياه العذبة

تشمل المياه العذبة جميع الانهار والبحيرات والبرك والمستنقعات والغدران، وربما حصل استعمار هذه المياه بهجرة بعض الحيوانات بصورة تدريجية الى مصبات الانهار، أو بالزحف المباشر في ساحل البحر الى الغدير .

(٥) استيطان اليابسة

قامت بعض الحيوانات الساكنة في البحر اوفي المياه العذبة على مر العصور باستيطان اليابسة تدريجيا ، ويجب أن نميز ثلاث غزوات كبيرة قامت بها الحيوانات وهي :

ا — غزوة الديدان : ونتيجتها إخصاب الارض

ب — غزوة الحشرات : ونتيجتها تأسيس الرابطة بينها وبين الزهور .

حـ — غزوة البرمائيات (١) : ونتيجتها نشوء الحيوانات البرية الراقية ونمو الذكاء والحب العائلي .

وهناك غزوات أخرى أقل من تلك شأنا، ولكن جميعها تدلنا على أن الحيوانات المائية تميل الى احتلال اليابسة وتحاول استعمارها بشتى الطرق .

ان للنزوح الى اليابسة مزايا عظيمة ، ذلك لانه كان بمثابة التوصل الى محيط فيه مقدار من الاكسيجين أكثر مما هو مذاب في الماء . غير أن التسلط على أكسيجين الهواء أمر صعب نوعا ما ، ولما كانت حياة اليابسة تكيف جسم الحيوان فتجعله أكثر صلابة وأفضل وقاية كان لابد من تكون سطوح داخلية في جوف الحيوان تمكن الدم من أخذ الاوكسيجين وايصاله الى جميع أنحاء البدن وهكذا نشأت الرئتان . في أغلب الحيوانات يذهب الدم الى السطوح المعدة لاتصال الاكسيجين ، أما في الحشرات واتباعها فطريقة أخذ الاكسيجين الى الدم او الى الانسجة تختلف عن ذلك . ففي هذه الحشرات توجد أنابيب متشعبة تتوزع على جميع أنحاء البدن، ووظيفتها أخذ الهواء من المحيط . يفسر لنا هذا التنفس الكامل مغالبة هذه الحشرات التي يكون دمها نقيا على الدوام .

ان استيطان اليابسة أدى أيضا الى تكيف الحركة الانتقالية في الحيوان على النحو الذى نراه الآن . فصار الحيوان يدفع جسمه

(١) كلمة منحوتة من بر وماء للدلالة على الحيوان الذى يستطيع أن يعيش فيها

الى الأمام مستندا الى الارض ، وتكونت في جسمه سلسلة من العتلات (الروافع) وهكذا تصلبت أجسام معظم الحيوانات البرية واصبحت تستند الى الارض بمنتهيات صغيرة نسبيا — هي الانامل — حتى لاتدع مجالا لانبطاح الجسم أو تدليه الى الارض ، فحيوان كقنديل البحر (Jelly-fish) مثلا يعيش في المياه ويستطيع أن ينتقل فيها بسهولة ، ولكن يتعذر عليه أن يعيش في اليابسة لان تركيب جسمه لا يساعده على الحركة الانتقالية في البر . وربما تبادر الى الذهن أن بعض الحيوانات البرية تشذ عن التكيف الذى تستلزمه حياة اليابسة — كديدان الارض وام الاربع والاربعين (Centipedes) والافاعى . ان شرح الحركة الانتقالية في هذه الحيوانات ليس بالامر الصعب . فدودة الارض تحفر طريقها في التربة كما يفعل اللولب ، وجسم أم الاربع والأربعين يحمل على عدة أرجل قوية ، كما أن الحية تدفع نفسها الى الامام بواسطة حراشف بطنية واسعة متصلة بمنتهيات عظمية متشعبة في العمود الفقرى .

الضرورة وحب الاستطلاع

ويهمنا أن نبحث الآن في مجازفات الحياة على اليابسة ، لان ذلك يمكننا من فهم الدواعى التى حملت عددا عظيما من الحيوانات البرية على حفر أوكارها في التراب ، وعددا آخر منها على تسلق الاشجار ، ولماذا رجع بعضها الى الحياة المائية ولجأ البعض الآخر الى الهواء ، وربما تبادر الى أذهاننا أن نتساءل لماذا استعمرت اليابسة رغما عما في ذلك من مجازفات ومخاطر عظيمة ؟ الجواب على ذلك : « أن الضرورة وحب الاستطلاع هما أبوا الاختراع ! » فقد تكون الدواعى التى حملت بعض الحيوانات على ترك الحياة المائية هي من قبيل جفاف الغدران أو ازدحامها بعدد لا تستوعبه من الحيوانات ، أو الهرب من الاعداء الكامنة لها بالمرصاد ، ولكن يجب ألا نتغاضى أيضا عن غريزة حب الاستطلاع التى كانت ولم تزل عاملا مهما من عوامل التقدم .

(٦) غزو الهواء

وأخيراً لجأت الحيوانات الى الهواء فنجحت في غزوه الحشرات والعظايا المجنحة القديمة (Pterodactyls) والطيور والوطاويط وأخفقت غيرها في تلك المحاولة كما نرى ذلك جليا في الاسماك الطائرة التى تقفز في المياه الى علو بضع يردات ، تساعد على ذلك زعانف كبيرة تنشرها عند القفز ، وهذا ما نجده أيضاً في الضفادع الطائرة (Rhacophorus) التى تطير من غصن الى آخر . وهناك كثير من أمثال هذه الحيوانات التى يستدل منها على محاولة الحيوان في الماضى التغلب على الهواء . ذلك الأمر الذى أدركه الانسان عن بعد بطريقة أوجدها من عنده

لاشك أن المقدرة على الطيران لها مزايا وفوائد عديدة ، فالطير الذى يعتاش على ما في الأرض يستطيع أن يهرب من الكواسر الداهمة بارتفاعه السريع في الهواء ، وفي وسعه أن يتتبع الاماكن التى يكثر فيها الطعام والماء مهما كانت بعيدة . وفي امكانه أن يضع بيضه في مواقع أمينة لا تصل اليها أيدى الاعداء . وقد استطاعت الطيور بهجراتها أن تتغلب على الزمان والمكان فكثير منها لا يعرف شتاء طول حياته .

نظام الطبيعة المتطور

والتطور صفحة واضحة أخرى وهى ميله لربط الأحياء بعلاقات حيوية مهمة ، فالزهور مرتبطة بضيوفها من الحشرات ارتباطاً حيوياً وثيقا فيه منفعة مشتركة للفريقين . وهناك طيور تعتاش على ثمر العليق فتنشر البذور . وهكذا يحافظ على نسل النبتة ، ونعلم أيضا أن الحلزون المائى النحيف يكون مأوى لدودة الكبد (التى توجد في الاغنام) في أدوار حداثتها ، وأن البعوض يحمل جرثومة الملاريا وينقلها من شخص الى آخر بواسطة اللسع .

ونستطيع أن نجد علائم التعاون ظاهرة بين بعض الحيوانات المتشابهة فتكون مستعمرات أو طوائف أو مجتمعات كما هو بارز في النحل والنمل واللبائن ، وفي كل ذلك مصلحة مشتركة للأفراد المتعاونة .

على أن هناك علاقات تكون فيها المصلحة لجهة واحدة كما هي الحالة في الحشرات التى تفسد العمليات التناسلية لبعض النباتات التى تحط عليها ، وزيادة على ذلك أن الحلقات الغذائية تربط مجموعة من الحيوانات كما هي الحالة في سمك القد (Cod) الذى يعيش على القوقع (whelk) والقوقع على الدودة والدودة على البقايا العضوية في البحر .

نسيج الحياة

لقد أصبحت العلاقات المسيطرة على النظام الطبيعى متناهية في التعقيد ، وكان التطور العامل المشجع الاكبر لذلك التعقيد . فامست بيئة الانسان أعقد من جميع الكائنات الحية . ويتراءى لنا أن نظام التطور قضى على الوحدة والتشابه وكون تنوعات جديدة ذات صفات ومؤهلات تختلف في بعضها باختلاف المحيط الذى تعيش فيه . وهكذا سجلت خطوات الارتقاء على لوحة الطبيعة وأصبحت الكائنات الحية في مأمن من النكوص على الاعقاب في سلم التطور ؟

القصص

زنبـــــل (١)

بقلم الأديب حسين شوقى

إذا كان المسيو هريو الوزير الفرنسى الكبير قد أبدى لدى عودته من موسكو إعجاباً شديداً بروسيا الشيوعية فى أحاديثه الى مندوبى الصحف ، فانى أعرف كائنا ما كان ليشاركه فى إعجابه لوكان حيا ، وهذا الكائن هو قطتنا زنبل ، لأن زنبل كانت أرستقراطية بحقيقة معنى الكلمة ، ويحسبها نبلا أنها من مخدرات قصر يلدز . وإنى محدثك كيف آلت الينا : كنا فى الإستانة بعد خلع السلطان عبد الحميد . وكان أثاث القصر يباع يومئذ بالمزاد العلنى . فذهبنا نشاهد ماعرض من طرائف التحف ونفائس الكنوز لأن شهرة يلدز بهذه العجائب لاتقل عند الناس عن شهرة مغارة «على بابا» فى الف ليلة ذهبنا الى القصر على غير نية الشراء لأن والدى كان يعارض فى ابتياع شىء من يلدز احتراما لذكرى عاهلها المخلوع . وكان يجله ويرى فيه رمزاً لمجد الامبراطورية العثمانية التى بدأ ظلها يتقلص فعلا بعد سقوطه ، ولكن ما كادت أبصارنا تقع على زنبل القطة الانقرية الجميلة حتى وقفت لاتريم عنها انصرافا . وانقسمنا فريقين فريقا من الصغار (نحن) يتمسك بالشراء ، وفريقا من الكبار يعارض فيه . وانتهى الخلاف طبعاً بانتصارنا ، اذ كان لابد من انقاذ زنبل من الحالة المهينة التى كانت عليها فى تلك الساعة ، فقد وضعت فى قفص ضيق حقير ليشاهدها الرائحون والغادون . . فدفعنا الثمن خمسة جنيهات وحملناها معنا . . أما طرائف القصر الأخرى فكانت عادية لا تزيد على نظائرها فى سائر القصور الملكية . .

مازلت أذكر زنبل خلال ضباب الماضى البعيد . وهى جالسة على مقعد من القطيفة فى الصالون الصغير بمنزلنا القديم بالمطرية . ترتل أناشيدها فى هدوء وطمأنينة . . وكم كان شعر زنبل جميلا يحاكى بياضه الناصع الثلج الذى يجلل جبال الاناضول وطنها العظيم . وكانت نعومة شعرها أشبه شىء بنعومة الزئبق . .

أما عيناها فكانتا تعكسان ماتشاهده على ضفاف البوسفور من خضرة زمردية بديعة . .

وكان لحم كفيها ناعماً طريا الى حد اننا كنا نجد لذة فى القبض على تلك الأكف الظريفة . .

كان صيد الفيران والصراصير من الأمور الحقيرة التى لاتتعرض لها زنبل ، كما تفعل ذلك القطط الاخرى . .

لأن تسلية زنبل الوحيدة كانت أن تسحب أمامها خيطا فتجتهد هى أن تقفه بضربات يدها الصغيرة . . وطالما جررنا لها ذيلها لنوهمها انه خيط عادى فكانت المسكينة تصدق ذلك فتوسعه ضربا . . ...

وفى ذات يوم وقعت حادثة أدهشت من بالمنزل جميعا وهى أن زنبل حامل ! رباه ! كيف زلت زنبل الأرستقراطية ؟ كيف خالطت زنبل قطط الحى وهى كلها قطط عادية شعبية لاتمت لانقرة بنسب؟ ولكن زنبل وكأنها شعرت بالخطيئة الكبيرة التى ارتكبتها ما كادت تضع حملها حتى هجرت صغارها . فاضطررنا ان نغذى هؤلاء الصغار تغذية صناعية . كانت زنبل على حق فى هجر أطفالها لأن هؤلاء الصغار كن من الصعاليك لايليق أبداً ان ينسبن اليها . . !

بعد مرور عامين على هذا الحادث . وعودة زنبل الى حياتها الأولى الهادئة . عزمنا على قضاء بضعة أشهر فى الخارج . فعهدنا الى أحد الخدم برعاية زنبل ، والعناية بوجه خاص بغذائها . وهو دجاجة مسلوقة كل يوم ، وكانت زنبل لا تأكل منها الا اللحم . . ولكن لدى عودتنا من أوربا فوجئنا بخبر وفاة زنبل . على أثر مرض لم يمهلها طويلا . . كما قال الخادم المكلف بخدمتها . . أما الحقيقة التى عرفناها بعد . فهى أن ذلك الخادم الخبيث كان يأكل دجاجة زنبل ويعطيها عظمها فترفضه زنبل . . وهكذا فقدت حياتها ، ولكن فى كرامة وإباء ! كما يفعل الأرستقراطيون الاصلاء . .

كرمة ابن هانى. حسين شوقى

(١) لفظ تركى معناه البرد بفتح الراء.

الحـــارس

لجى دوموباسان

بعد أن فرغنا من تناول الغداء ، كان قد بدأ صديق لنا قديم وهو السيد (بونيفاس) يسرد علينا حوادث ومخاطرات جرت له أثناء الصيد ، وهو مشهور بالصيد وشرب الخمر ، جلد ، بشوش ، ذو تفكير ناضج ، وشعور حى . وله فلسفة تهكمية تظهر بها نفسيته عند المداعبة القارصـــة ، ولا تظهر أبدا إذا تكلم بحزن . قال لنا فجاءة :

إننى أعرف حادثة صيد . أو بالأحرى مأساة صيد فريدة فى بابها ، لا تشبه أبداً الحوادث التى نعرفها ، وإننى أعلم أنى لم أقصها عليكم من قبل ولا على غيركم . لأنها لا تسلى أحداً ، فهى ليست عاطفية ، أريد أن أقول أنه ليس لها هذا النوع من اللذة التى تشوق السامع أو التى تسحره . أو التى تذهله ، وها كم الحادثة :

كان عمرى آنئذ يناهز الخامسة والثلاثين ، وكنت اصطاد بقوة الشباب ، وكنت قد اقتنيت فى ذلك الوقت قطعة أرض منعزلة فى احدى الضواحى محاطة بالغابات وهى مأوى طيب للارانب . ذهبت اليها مرة وقضيت فيها وحدى أربعة أيام أو خمسة لأنى لم أتمكن من اصطحاب أحد الاصدقاء . مكثت هناك كالحارس أو كشرطى متقاعد شجاع شديد البأس على باب قلعته ، وكنت لا أخاف شيئاً . وكان بالقرب من أرضى . بيت صغير منعزل أو بالأحرى كوخ يتألف من غرفتين سفليتين ومطبخ . وغرفة للطعام ، وغرفتين علويتين ، احداهما صغيرة لا تتسع لا كثر من سرير ومرآة وكرسى وهى التى استأجرتها . وكان يشغل الثانية (كافالييه) الهرم ، وقد قال لى أنه وحيد فى مسكنه . فأقمت عنده باسم مستعار ثم أسكن معه حفيده . وهو من الأشقياء تبلغ سنه أربعة عشر عاماً كان يذهب من حين الى آخر الى القرية التى تبعد ثلاثة كيلومترات وكان يساعد الكهل فى أشغاله اليومية .

كان لهذا الشقى الطويل الهزيل المحدودب قليلا ، شعر أصفر اللون خفيف يشبه ريش الدجاجة المقصوص ، حتى ان من يراه يحسبـــه أصلع ، وله كذلك قدمان ضخمتان ويدان جبارتان كيدى المارد ، عينه حولاء قليلا ، وكان اذا مشى لا يرى أحداً فهو الى الحيوانات أقرب منه الى الانسان لأنه يشبه الثعلب.

كان ينام فى ثقب صغير فى أعلى الدرج وكان يدعى «ماريوس»

ولكنه تخلى عنه اثناء اقامتى هناك لامرأة مسنة تدعى «ميليست» كان الكهل قد أتى بها لصنع الطعام .

قد علمتم الآن الاشخاص والمكان فها كم الحادثة :

نحن فى ١٥ أكتوبر سنة ١٨٥٤ وهو التاريخ الذى لا أنساه أبداً . خرجت ذات صباح من روان ممتطيا صهوة جوادى يتبعنى كلبى « بوك » ذو الصدر الواسع واللسان الحاد والاسنان القوية . التى تخترق الاشواك .

وكنت مردفا حقيبة سفرى وبندقيتى ، وكان يوماً شديد البرد عاصـــف الهواء رطبه ، كثيف السحاب مسرعة ، وكنت أرى من الشاطىء وادى السين الواسع الذى يمتد ماؤه حتى الأفق مازاً بأوكار الثعابين على ضفتيه ، وكان النظر يمتد على الضفة اليمنى حتى يقف على الشواطىء البعيدة المستورة بالغابات ، ثم اجتزت غابة رومار ، مبطئا تارة ومهرولا أخرى حتى كنت فى الساعة الخامسة تقريبا أمام البيت حيث كان الكهل والعجوز ينتظرانى .

وبعد عشر سنوات من نفس التاريخ ذهبت بنفس الهيئة وسلمت على نفس الوجوه بنفس الكلمات .

ـ أهلا وسهلا أيها السيد ، كيف صحتك ؟ ألا تزال جيدة ؟

وكان الكهل لم يتغير منظره أبدا ، فقد كان يقاوم الزمن كالشجرة المسنة ، ولكن « سيليست» كانت قد تغيرت ملامحها منذ أربعة أعوام لا أكثر حتى أننى لم أعرفها لأول وهلة . غيرها الزمان ولكنها مازالت نشيطة ، وكانت تمشى بجسمها الطويل منحية الى الامام حتى أن رجليها كانتا تشكلان تقريبا زاوية قائمة .

وكانت هذه المرأة تبذل جهدها فى عملها ، وكانت تدهش عند ما ترانى وكانت تقول لى عند كل ذهاب :

ـ هل هذه هى المرة الأخيرة التى أراك فيها يا عزيزى ؟

حقا أن وداع هذه الخادمة محزن ، وأن قنوطها أمام الموت الذى لا مفر منه كان يظهر جليا فى وجهها وعينيها حتى أن وداعها كان يؤلمنى يشعرنى بحالة نفسية غريبة .

نزلت عن ظهر الجواد الى الارض وكان الكهل الذى صافحته يقود الجواد الى المأوى الصغير الذى يصلح أن يكون اصطبلا ، ثم تبعت سيليست الى المطبخ الذى يصلح أن يكون غرفة طعام . ثم تبعنا الحارس ، وقد لاحظت للوهلة الأولى أن وجهه ليس كالمعتاد فأن القلق والضيق يظهران عليه فقلت له :

ـ هل تريد أيها الشيخ أن يسير كل شىء فى العالم حسب رغبتك؟ فقال بصوت هادىء :

ـ إن ما حدث لى اليوم ، سبب لى هذا الضيق

فقلت : ماذا حدث لك أيها الكهل ؟ هل لك أن تقص على ذلك فأومأ برأسه سلبا ؟ وقال :

ـ لا ، لم يحن الوقت أيها السيد ، انى لا أريد أن يحصل مثل هذا بعد الآن ، فألحفت عليه ، ولكنه رفض أن يبدأ بها قبل الغداء فعلمت أنها قصة مؤثرة . ثم قلت له قطعا للصمت :

ـ وهذه الجعبة ؟ هل لنا فيها شيء ؟

ـ فقال : نعم ، ستجدون ما تشاءون ، الحمد لله ! لقد كان نصيبي اليوم وافراً .

قال هذه الكلمات بشجاعة ، ولكنها شجاعة حزينة تبعث على الضحك ، فان شاربيه الضخمين الرماديين كانا على وشك السقوط من فوق شفته .

ثم أخبرتهما فجاءة أنى لم أر الحفيد الى الآن فقلت :

ـ وماريوس ؟ أين هو ؟ لماذا لا يظهر الآن ؟

فاعترت الحارس رجفة خفيفة ثم التفت الى بسرعة وقال :

ـ أريد إذن أن أقص عليك الآن أيها السيد كل شيء ، أجل انى أفضل ذلك ، وأن الذى أطويه فى سرى يتعلق بماريوس .

فقلت أين هو الآن ؟ فأجاب :

ـ إنه بالاصطبل ياسيدى ، وأنا أنتظر الساعة التى يظهر بها

فقلت وماذا يصنع هناك ؟ قال :

ـ إسمع أيها السيد . . ثم تردد برهة وتغير صوته وارتجف وظهرت على وجهه تجاعيد الشيخوخة ثم قال :

ـ إسمع ، لاحظت فى هذا الشتاء أن هناك سارقا فى الغابة ولكنى لم أتمكن من القبض عليه . فقضيت هناك بضعة ليال ولكنى لم أجد شيئاً . وفى هذه الاثناء أخذ يتزايد المسروق من الغابة ؛ فانفجرت غيظاً وحنقاً وطفقت أبحث عن المجرم ، ولكن عبثاً .

وفى أحد الايام ؛ عند ما كنت أنظف سروال ماريوس وجدت فى جيبه أربعين قرشا ، فقلت فى نفسي من أين لهذا الغلام بها ؟

ولبثت ثمانية أيام أفكر ، ثم رأيته يخرج كل يوم عند ما أرجع الى البيت لاستريح ، فعندها أخذت أراقبه ، ولكن دون أن يرتاب بى .

وفى ذات صباح رأيته يستعد للذهاب فنهضت على خلاف عادتى وتبعته وليس أحد يجارينى أيها السيد فى التتبع . ثم قبضت عليه . قبضت على ماريوس الذى كان يسرق من أرضك أيها السيد ! نعم هو حفيد حارسك

فغلى الدم فى رأسى وفكرت فى ان أقتله فى مكانه بضربة من يدى ، آه . نعم ضربته وقلت له اذهب ، وأوعدته أنك عندما تكون هنا سأضربه مرة أخرى عقابا له لاردعه ، وقد أثر فى الحزن فهزلت كما ترى وأنك تعلم عقاب مخالفة كهذه المخالفة . ولكن ماذا كنت تعمل غير هذا ؟ أنه ليس له أب ولا أم وليس من أسرته إلا أنا : فكنت أراقبه ولا أقدر أن أطرده ، على انى أنذرته أنه إذا عاد الى هذا العمل فان خاتمته سوف تكون على يدى . وان أرحمه أبداً . فهل صنعت حسنا أيها السيد ؟

فقلت له ماداً اليه يدى .

ـ نعم ما فعلت أيها الشيخ ! إنك رجل شجاع

فقال : شكراً أيها السيد . وسأذهب الآن فأدعوه اليك : فيجب أن تؤدبه أنت أيضا ليرتدع .

وكنت أعلم أنه ليس من اللائق أن أرد هذا الشيخ عن قصده . فتركته يفعل ما يشاء ، فذهب يبحث عن الشقى ثم رجع به يجره من أذنه .

وكنت جالساً على كرسى من القش هيئة المستعد للحكم .

فظهر ماريوس أمامى كبر سناً وأكثر قبحاً من السنة الفائتة ، وظهرت يداه الكبيرتان ضخمتين . فدفعه عمه أمامى وقال بصوت المربي :

ـ اعتذر لصاحب الأرض !

فلم ينبس الغلام ببنت شفة

فقبض عليه عمه من ابطيه ورفعه عن الارض وأخذ يضربه بقسوة اضطرتنى الى أن أستشفع له فأخذ الولد يصيح

ـ شكراً ، شكراً أعدك أن . . .

ثم ألقاه الشيخ على الارض وأخذ يضربه على كتفيه وركبته قائلا له : ـ اعتذر

فقال الشقى أخيراً بصوت متهدج وطرف خاشع : أعتذر .

وعندئذ رفعه عمه وأطلقه بركلة جعلته دحرجه فوق الارض فنجا . ولم أعد أراه فى المساء

ولكن ظهر على الشيخ أنه تعب فقال : ـ إن أخلاقه سيئة . وقال ونحن على مائدة الغداء .

ـ انى أحزن له أيها السيد ، أنت لا تعلم كم يشجينى أمره . فحاولت أن أسليه ولكن عبثاً . . .

ونمت باكراً استعداداً للصيد ، وكان كلبى نائماً عند رجل سريرى حين أطفأت شمعتى .

استيقظت نصف الليل على صياح الكلب ، ولاحظت أن غرفتى ملأى بالدخان ، فقفزت من فراشى وأشعلت النور وهرولت نحو الباب ففتحته فدخل تيار من الدخان ، وكان البيت يلتهب !

وأقفلت الباب بسرعة ولبست سروالى وانزلت أولا كلبى من

النافذة بواسطة حبل مربوط فى سترتى ، ثم ألقيت ثياب وسكينى وبندقيتى ونزلت أخيراً بالواسطة نفسها .

وأخذت أصيح بكل قواى : – كافاليه ! أيها الشيخ ! كافاليه !

ولكن الشيخ لم يستيقظ ، بل كان نائماً نوم الضباط العميق ، وفى هذه الاثناء رأيت من أعلى النافذة أن الطابق الأسفل كالأتون المستعر ، ولاحظت أنه مملوء بالتبن الذى أشعل لتقوية الحريق . .

وعاودت الصياح بشدة قائلا : – كافاليه . .

ثم مر خاطر برأسى ، فصوبت بندقيتى الى النافذة وأطلقت رصاصتين فانكسرت الالواح الستة ، وفى هذه المرة سمع الكهل ولما رأى النار اعتراه ذهول ودهش فصحت به :

بيتك يحترق ، ألق نفسك من النافذة ، أسرع ، أسرع . . وكان الدخان يخرج من النوافذ السفلية ، موازيا الحائط ثم يزحف الى الشيخ ويحيط به ، فألقى بنفسه فسقط على رجليه كالهرة . ثم مضى وقت ، وصار السقف يفرقع وكان الدرج أشبه بمدخنة طويلة ، وكان لسان النار الطويل يتصاعد فى الجو ويتمدد ، وكانت الشرارات تتناثر حول البيت فقال الشيخ بذهول :

– كيف حصل هذا ؟ فأجبت : – وضعت النار فى المطبخ

فقال : – من تظن انه وضعها ؟ فقلت فجاءة : – ماريوس !

ففهم الشيخ وقال : – آه ولأجل هذا لم يرجع بعد

ولكن فكرة رهيبة خطرت لى فقلت : وسيليست ، سيليست ؟ !

فلم يجب ، ولكن المنزل كان ينهار امامنا كتلا من الاحجار لامعة دامية ، وكانت المرأة المسكينة قد صارت حجراً أحمر ، من اللحم البشرى .

اننا لم نسمع صياحاً ، ولكن عند ما انتقلت النار للسقف المجاور لسقفنا فكرت فى جوادى وركض الشيخ ليخلصه .

وتمكن بمشقة من فتح باب الاصطبل فشاهد جسما خفيفاً سريعاً مر بين رجليه ولطمه فى أنفه ، وكان هذا ماريوس هارباً بكل قواه ، فنهض الشيخ ليقبض على الشقى . ولكنه عرف انه لا يمكنه اللحاق به ، وأصابه جنون شديد ، ولما رأى انه لا يستطيع القبض عليه تناول بندقيتى الموضوعة على الارض قريباً منه فوضعها تحت ابطه قبل أن تبدو منى حركة واحدة ، وأطلقها وهو لا يعرف أن فيها رصاصات عديدة ، فأصيب الهارب فى ظهره وسقط على الارض مضرجاً بدمه ، فأخذ ينكث الارض بيديه ورجليه كأنه يريد أن يركض على أربع كالارانب الجريحة حين ترى الصياد قادما اليها .

فتألمت ، وأخذ الغلام ينازع ثم قضى قبل أن ينطفىء الحريق دون أن يقول كلمة .

وكان كافاليه واقفا بقميصه وساقيه العاريتين ، لا يتحرك وعند ما أتى رجال القرية حملوا حارسى وهو كالمجنون .

ذهبت الى المحكمة شاهداً وسردت الحادث بتفاصيله دون أن أبدل شيئاً ، فبرىء كافاليه ، ولكنه ترك البلدة فى اليوم نفسه ولم أعد أراه . .

هذه قصة صيدى أيها السادة . !

محمد ناجى الطنطاوى

بليـــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

مليزاند – خل سبيله . . . قد يباغتنا أحد . . .

بلياس – كلا ، كلا . لن أطلق سراحك الليلة ، أنت سجينتى ، وستظلين كذلك الليل كله . .

مليزاند – بلياس ! بلياس !

بلياس – لن تستطيعى الفكاك بعد ذلك . . إنى أربط شعرك حول الأغصان . . . لم أعد أتألم وسطه . . أتسمعين قبلاتى ترقص على امتداده ؟ إنها تتسلقه ، ويجب أن تحمل كل شعرة إليك قبلة . . . أنظرى . . . أستطيع الآن أن أفتح يدى . . . أترين ؟ هاتان يداى مفتوحتين طليقتين ، ومع ذلك تعجزين عن هجرى والابتعاد عنى !

(يخرج من البرج يمام ويطـــير حولها)

مليزاند – أوه ! آلمتنى . . . ما هذه الطـــير التى تحوم فى الفضاء حولى ؟

بلياس – اليمام خرج من البرج . . لقد أفزعته فطار

مليزاند – أنه يمامى يا بلياس ! إذهب من هنا ودعنى وحدى . لن يعود إلى يمامى !

بلياس – ولماذا ؟

مليزاند – سيضل فى الظلام . . . دعنى أرفع رأسى . . . إنى أسمع وقع أقدام . . . اتركنى بربك . . . إن (جولو) مقبل علينا ! أعتقد أنه هو ! لقد سمع حديثنا . .

بلياس ـ انتظرى ! انتظرى ! شعرك عالق بالأغصان .. وقد إشتبك فى سواد الليل .. انتظرى !

انتظرى ! ... التف الكون بالظلام ...

(يدخل جولو من الطريق المستديرة)

جولو ـ ماذا تصنع هنا ؟

بلياس ـ ماذا أصنع هنا ؟ ... إنى ...

جولو ـ أنتما طفلان ... مليزاند ، لا تنحنى هكذا على النافذة.. ستسقطين ... أنسيتما أن شطراً كبيراً من الليل قد تردى فى هوة الماضى ؟ ... كاد الليل أن ينتصف ... لا يجوز أن تلعبا فى الظلام كما تفعلان الآن ... أنتما طفلان ... (ثم يقول فى إنفعال شديد) أى طفلين ، أى طفلين !

(يخرج مع بلياس)

المنظر الثانى :

(كهوف تحت القصر . يدخل جولو وبلياس)

جولو ـ أحترس ... من هنا من هنا ... ألم تلج قط هذا المكان ؟

بلياس ـ بلى ، مرة واحدة ... وقد مضى على ذلك زمن طويل

جولو ـ إذن أنظر ... ها هو ذا الماء الراكد الذى حدثتك عنه .. أتشم رائحة الموت التى تنبعث منه ؟ هلم تقدم حتى تبلغ آخر الصخرة المطلة على الماء ، ثم إنحنى علينا قليلا ... ستهب عليك الرائحة وتصدم وجهك .. إنحنى ولا تخف .. سأشد أزرك .. أعطنى .. لا ، لا .. لا أريد يدك .. أخشى أن تفلت من يدى .. أعطنى ذراعك ... أترى الهاوية ؟ بلياس ؟ بلياس ؟

بلياس ـ نعم ، أعتقد أنى أرى قاع الهاوية ... أهو النور الذى يهتز هكذا ؟ ... أنت ...

جولو ـ نعم ، إنه المصباح فى يدى يهتز .. انظر ، إنى أحركه لأنير الجدر ...

بلياس ـ إنى أختنق فى هذا المكان .. هلم نخرج

جولو ـ لك حكمك .

(يخرجان فى صمت)

المنظر الثالث :

(شرف terrace عند مخرج الكهوف)

بلياس ـ آه ! الآن أتنفس بعد ضيق ... اعتقدت ، لحظة ، أن الدوار سيصرعنى فى هذه الكهوف الهائلة .. كنت على وشك السقوط .. فى ذلك المكان المخوف هواء رطب ثقيل كأنداء من الرصاص ، وظلمات كثيفة كعجين مزج بالسموم .. وها أنذا أملأ رئتى بهواء البحر كله ! .. إنى لأجد نسيما منعشا نضيرا ، كزهرة تفتحت فى هذه اللحظة وسط أوراق صغيرة خضراء .. آه ! لقد سقيت منذ قليل الأزهار المغروسة امام الشرف ، والنسيم يحمل إلينا رائحة العشب المبلل ويفوح بشذى الأزهار وعطرها .. حان وقت الظهر أو كاد ، وآية ذلك أن ظل البرج قد أدرك الأزهار . انتصف النهار ، لأنى أسمع دق النواقيس وأرى الأطفال يجرون نحو شاطىء البحر للاستحمام . آه أنظر ، أمنا و مليزاند فى إحدى نوافذ البرج

جولو ـ نعم ، إنهما لجأتا الى ناحية الظل يعصمهما من حرارة الشمس .. وبمناسبة مليزاند أقول لك إنى سمعت ماجرى وما قيل أمس مساء . إنه حديث أطفال يلعبون ، وأعرف ذلك حق المعرفة

ولكن يجب ألا تعودا إلى ما كنتما فيه من حديث ولعب . إنها رقيقة الحس ورقيقة الأعصاب ، وحالها تتطلب معاملة فيها حسن السياسة ولطف الكياسة ، لأنها فوق ما ذكرت تحمل فى أحشائها جنينا وستصبح أما فى القريب العاجل . وأقل إنفعال قد يصيبها بمكروه . وليست هذه بأول مرة أرى فيها ما يجعلنى أظن أن بينك وبينها أشياء .. إنك أكبر منها سنا ، ويكفى أن أقول لك ذلك .. تجنبها ما أستطعت ، ولكن فى غير تصنع .. أسمعت ؟ فى غير تصنع (يخرجان)

المنظر الرابع :

(أمام القصر . يدخل جولو وولده إينيولد الصغير)

جولو ـ تعال نجلس هنا يا إينيولد .. تعال .. على ركبتى .. سنرى من هذا المكان ما يجرى فى الغابة .. لم أعد أراك يا بنى منذ أيام كثيرة .. أنت أيضا تهجرنى وتزور عنى معرضا ! إنك فى كل حين عند أمك الصغيرة (يعنى مليزاند) .. آه ! ها نحن أولاء نجلس تحت نوافذها مصادفة .. لعلها فى هذه اللحظة تؤدى صلاة المساء .. ولكن دعنا من هذا وقل ، يا بنى : إنها تقضى أكثر وقتها مع عمك بلياس ، أليس كذلك ؟ (يتبع)



دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ احمد أمين

لعل أكبر عمل قام به المستشرقون هو تأليف دائرة المعارف الاسلامية، قصدوا بها أن يجمعوا بحوثهم ومعلوماتهم في كتاب جامع مرتب على حروف الهجاء. يتكلمون فيه عن البلدان والموضوعات التاريخية والفقهية والنحوية واللغوية الخ ويترجمون فيه للأعلام

وقد بدأوا عدتهم في ذلك بنشر الفكرة بين علماء الاستشراق سنة ١٨٩٩ على ما أذكر، وأخذوا يجمعون المواد ويرتبونها ويوزعونها على العلماء من هولنديين وألمان وانجليز وفرنسيين وايطاليين وغيرهم من الشرقيين، وظلوا في هذا الأعداد نحو عشر سنوات، ثم أصدروا الأعداد تباعاً باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والألمانية، كل عدد يقع في نحو ثمان وستين صفحة بالخط الدقيق

واعتزموا اخراج هذا المعجم في أربعة مجلدات ضخام كل مجلد يقع في أكثر من ألف صفحة، وقد أخرجوا الى الآن مجلدين وأعدادا من المجلدين الثالث والرابع، وقد عنوا بتوزيع الموضوعات على المختصين فيها فكثير من الموضوعات المتعلقة بالفقه والأصول كان يكتبها جولد زيهر والأدبية «هوار» وهكذا

ولم يستوفوا في كتابتهم كل ما يجب أن يكتب حول الموضوع وإنما اقتصروا على أهمه ووكلوا الافاضة في ذلك الى المراجع التي يذكرونها عقب كل مادة ثم يذيلونها باسم من كتبها. ولهم الى الآن نحو خمسة وعشرين عاما يوالون اخراج اعدادها وربما كان امامهم نحو عشر سنوات أخرى لاتمامها، فهم في كل عام يخرجون عددين أو ثلاثة، وكلما انقرضت طبقة من العلماء والناشرين حلت محلهم طبقة أخرى ينهجون منهجهم ويسيرون في طريقهم وان كان الرعيل الاول أمتن وأعمق من الرعيل الذي خلفه، والكتاب في جملته من أهم الكتب التي تفيد الباحث وترشده الى أهم ما قيل في الموضوع وتدله على خير الكتب العربية والافرنجية التي يصح أن يرجع الباحث اليها للاستزادة منها

وكثيراً ما فكرت لجنة التأليف والترجمة والنشر في تعريبها حتى ينتفع بها قراء العربية في الممالك الشرقية ولكن أكثر ما كان يعوقهم أمور:

(الأول) أن العمل لم يتم بعد، وقد سار المؤلفون في ترتيبها مراعين الكلمة العربية بحروفها الأفرنجية فوضعوا مثال كلمة «عبد» في حروف الألف - وكثير من المواد التي لم تؤلف بعد هي في حرف الألف بالعربية، وان كانوا هم قد أتموا حرف الألف بالافرنجية فكلمة «أسامة» و «أرجوان» يجب أن توضع في حرف الألف بالعربية وهي توضع في حرف a بالأفرنجية فلا تمام كل حرف يجب أن ينتظر الى اتمام الكتاب

(الثاني) أن كثيراً من الموضوعات نظر فيها العلماء المستشرقون نظرة خاصة غير النظرة التي ينظرها المسلمون وعالجوا نواحي قد يهم المسلمين غيرها، وبعضهم كان متعصبا فكان يمزج عصبيته ببحثه كما فعل الأب لامانس في بعض ما كتب، وهذا يوجب أن يكتب الموضوع من جديد ومن غير تحيز

(الثالث) أن بعض الموضوعات قد تغير فيها نظر العلم منذ كتبت، فالكتب التي عثر عليها في هذه الأعوام الثلاثين، والنقوش التي استكشفت، وجهود العلماء، جعلت المادة لو كتبت من جديد لكانت أدق وأوفى، وجعلت المراجع التي يجب أن يشار اليها أتم وأكمل

(الرابع) أن المواد لما وزعت على الأعضاء لم تخرج متناسبة فقد رزقت بعض المواد الحظوة التامة فلات الكتابة عليها كثيرا من الفراغ على حين أن مادة أهم منها قد لا تذكر بتاتا أو تذكر في قليل من الايجاز فخرج الكتاب غير متناسب الأجزاء

هذا كان تفكير الشيوخ، والشيوخ دائما حذرون يكثرون التفكير في العواقب ويحسبون لكل خطوة ألف حساب، فما هو إلا أن نهض الشباب ولا راد لنهضته فهزأ بكل العقبات وثابر على العمل وجد واقتنع بأن اخراج العمل مع ما قد يكون فيه من

نقص أجدى على العالم العربي من الانتظار، فليخرج ولينتفع به القراء والباحثون ولينتقد ثم ليصلح النقد، وليكن فيه تقصير ولكن هذا التقصير يستدرك، فنستدركه نحن أو يستدركه غيرنا، هذا خير ألف مرة من التسويف وانتظار الزمن وانتظار الكمال؛ اذن فلتنهض بحمل العبء، وليجد غيرنا في نقدنا واصلاح مافاتنا، فمن وراء هذا وذاك عمل مجيد أقل مافيه أنه عمل يطلع علماء الشرق على عمل الغرب في مادتهم وعلومهم، ويعلمهم كيف يبحثون ويرتبون معلوماتهم، ويضعونها تحت السبر والاختبار، ويبعث علماء الجيل القادم في الشرق أن يهبوا من رقدتهم فيضعوا بأنفسهم ولأنفسهم معاجم ودوائر معارف يعدونها اعدادا صحيحا وافيا ثم لا يكونوا عالة يتكففون الغرب

لعل هذا وأكثر منه هو مادار في نفوسهم وحفزهم للعمل فتحملوا العناء مبتسمين راضين

لقد أخرجوا لنا باكورة عملهم في هذا العدد الأول وهو في ورقاته القليلة يدل على ماوراءه من جهد كبير، فهم بلاشك قبل ذلك ترجموا كل كلمات الدائرة ورتبوها حتى تكون متسلسلة محكمة، وهم بلا شك راجعوا كثيرا من النصوص واستفتوا كثيرا من العلماء فيما غمض عليهم، واستعانوا بهم فيما نرى أثره من تعليقات

قد قرأت هذا العدد وراجعت بعض مواده على الاصل الانجليزى ووافقت الاستاذ اسماعيل مظهر على بعض وجوه النقد المنشورة في هذا العدد والتي ستنشر في العدد التالي، ولكن أهم مالاحظته وأود أن يتداركوه في الاعداد القادمة أن الترجمة ينقصها كثير من الصقل، فالقارىء يشعر دائما أن العبارة مترجمة عن أصل أجنبي مع أن مقياس جودة الترجمة فقدان هذا الشعور وأن يخيل للقارىء أنها كتبت بالعربية ابتداء

من أمثلة ذلك ماجاء في صفحة ١٤ : « ومن واجب كل مسلم أن يعمل المعروف وأن ينهى عن المنكر » مع أن المألوف في العربية : « أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » وماجاء في صفحة ١٣ : « وهم دون أن يجادلوا في شرعية حكم الخلفاء الاربعة الراشدين كما يفعل الشيعة يصرون على أن القدوة الحسنة بعد النبي كانت في أبي بكر وعمر » فمحال أن تصدر هذه الجملة من كاتب يضع كتابته بالعربية، الى أمثال من ذلك يكاد يجدها القارىء في كل صفحة. فلعل مرونة القلم والصبر على التجويد والرغبة في تحقيق الأكمل يذهب بهذا النقص في الاعداد القادمة

وأخيرا أحيي في الشباب هذا الجد والنشاط وأكبر هذه العزيمة وأتمنى للمشروع النجاح ؟

معجم الحيوان

تأليف الدكتور أمين باشا المعلوف

ليس هذا السفر الجليل مما يجوز معه القراءة السريعة والنظرة العجلى، لانه ليس لغواً من القول وحشوا من الكلام، بل لابد لك - إن أردت أن تحصل مما فيه شيئاً - من وقفة طويلة يحدوها الصبر الجميل. ذلك لانك بصدد بحث علمي دقيق فهو معجم لاسماء الحيوانات بقلم الفريق أمين المعلوف، ذكر فيه لكل حيوان اسمه العربي والفرنسي والانجليزى فضلا عن اصطلاحه العلمي. ووصف كل حيوان وصفا أوجز فيه حينا واسهب حينا آخر، إذا اقتضى الامر إيجازا أو اسهابا

وليس هذا المعجم وليد اليوم، إنما هو مقالات نشرت في مجلدات عديدة من المقتطف. بدىء في نشرها منذ أكثر من عشرين عاما، ولكن الدكتور المؤلف قد توج هذا المجهود العظيم، وأتم على قراء العربية فضله ونعمته، بأن جمعها وبوبها ورتبها في معجم واحد، فملأ بذلك مكانا شاغراً في المكتبة العربية

وأحب أن أسوق اليك مثلا لدقته في البحث، ماجاء عن ترجمة كلمتي tiger ، leopard ؛ فقد كان شائعاً بيننا أن الاولى تطلق على النمر، والثانية على الفهد، ولكنه أثبت خطأ هذا التعريب، وبين أن tiger معناها ببر، وأن leopard معناها نمر. أما الفهد فهو ما يقول عنه الانجليز Cheeta. ويحسن أن ننقل الى القارىء نص ما جاء بالمعجم في تعريب كلمة tiger، ليرى المراجع التي استند اليها المؤلف: ببر (فارسية معربة) tiger. Felis tigris

سبع هندى يعادل الأسد في عظم الجثة والقوة إلا أنه أشد منه بطشا. وهو أبيض البطن والجانبين مع صفرة، ومخطط بخطوط سود

ولابد لي من الاطالة في الكلام على الببر والنمر والفهد والوشق وعناق الأرض. وذلك لكثرة الخطأ في ترجمة هذه الالفاظ. فالعرب لم يكن عندهم لفظة يعبرون بها عن هذا الحيوان المسمى tiger عند الافرنج فاستعملوا اللفظة الفارسية ولم يسموه نمرا ولا النمر الهندى، ولا بأس بتسميته بالأسد الهندى كما جاء في محيط المحيط فانه أقرب الى الأسد منه الى النمر. وقد وردت لفظة الببر كثيراً في المؤلفات العربية وفي الشعر العربي والمقصود بها هذا الحيوان المخطط المسمى tiger عند الافرنج. فقد جاء في كتاب عجائب المخلوقات « الببر حيوان هندى أقوى من الاسد، بينه وبين الاسد معاداة، واذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر » وقال الدميرى في آخر كلامه عن الببر: « وذكر في ربيع الابرار ان الببر على

صورة الاسد الكبير وهو أبيض يلمع بصفرة وخطوط سود »
وقال الجاحظ : « الفيل والبر والطاووس والببغاء والدجاج السندى مما خص الله به الهند » وقال في محل آخر : « لأن هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة كالأسد والببور والنمور لاتعرض للناس الا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش » . وهو مايقوله الافرنج الآن عن هذه الحيوانات عند ماتضرى بأكل لحوم البشر . ثم قال في محل آخر : « والبر هندى مثل الفيل ايضا والكركدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة ، ولايطمع فيه ولا يروم ذلك منه » . وقد وردت هذه اللفظة في كتاب كليلة ودمنة ويفهم من سياق القصة انه من الحيوانات المفترسة ، فلو كان المقصود به أحد السباع المعروفة عند العرب كالنمر أو الاسد أو الفهد لما تعذر على ابن المقفع استعمال لفظة عربية حتى أتى بكلمة أعجمية . وقد ترجمت هذه اللفظة tiger في النسخة الانجليزية من كتاب كليلة ودمنة وورد ذكرها في مفردات ابن البيطار في آخر باب النمر حيث قال : « والبر سبع كبير » وترجمت Tigre الفرنسية . وهذه اللفظة مستعملة في بعض انحاء الهند في وقتنا الحاضر لهذا الحيوان بعينه ، وكذلك الفرس فانهم استعملوها بهذا المعنى ايضا كما ورد في شرح جامع التواريخ لكاترمير . فقد ذكر الشارح كلمة ببر وقال عنها :

Qui designe le veritable tigre royal

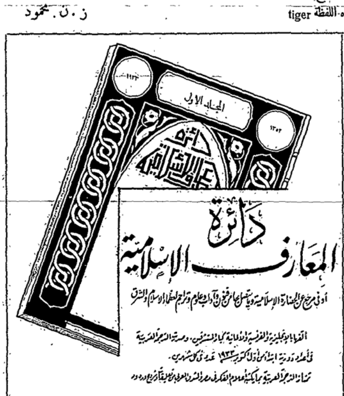
الخ . الخ .

ولشد ما أدهشنى هذا الخطأ الذائع الذى لم يجد قبل الفريق أمين المعلوف من يرده الى صوابه ، ولم يقتصر أمر هذا الخطأ على طلاب المدارس والمشتغلين بالترجمة جميعا ، بل تعداه الى أكبر دائرة فنية في مصر وهي حدائق الحيوانات ، فانا أعلم أن ادارة تلك الحدائق تضع الكلمة العربية « نمر » الى جانب اللفظة الانجليزية tiger تعريبا لها ، وقد أنبأني صديق منذ أيام أنها أدركت أخيرا هذا الخطأ فأصلحته منذ أمد قصير

وقد أتيحت للدكتور المعلوف فرصة قل أن تتوفر لغيره ، وهي هذا التجوال في انحاء السودان وبلاد العرب ، فجمع من الطبيعة نفسها ، ومما جمعه من أفواه الشعوب التي مر بها من المعلومات مالا يوجد بين دفات الكتب . مثال ذلك كلمة « أصله » التي ورد ذكرها في أساطير الاولين أنها حية وكفى دون أن يعلم لحقيقتها وجود ، فاستطاع أثناء وجوده بالسودان أن يطبق هذا الاسم على مسماه لأنه سمع الأهلين هناك يطلقونه على نوع خاص من الحيات

لست أريد أن أفصل هنا الخلاف الذى قام بين الفريق أمين المعلوف والدكتور محمد شرف ، الأنى أميل الى الاعتقاد بأن الدكتور شرف قد استقى مما نشره الدكتور المعلوف شيئا كثيرا دون أن يشير الى ذلك في معجمه . وكان خيرا أن ينسب الفضل لذويه .

ز . ن . محمود



دائرة المعارف الاسلامية

نقد وتقدير

للاستاذ اسماعيل مظهر

ترجمها محمد ثابت الفندى وأحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس . تصدر فى أجزاء دورية كل شهرين . صدر منها العدد الأول من المجلد الاول فى ٦٤ صفحة من القطع الكبير محلي بصورة جلالة ملك مصر وصدر بمقدمة فى ٦ صفحات من قلم « لجنة الترجمة » والورق ممتاز والطبع حسن .

* * *

بورك فى الشباب ! بورك فى الشباب عامة والطامحين منهم خاصة . فالشباب روح الامم وعمادها . والطامحون من الشباب هم بناة المجد وسدنة الحضارة وعمد القوة . والشباب اذا نام خيم على الامم النسيان وغشيها السكون وهوم عليها النعاس . نعاس القرون بل نعاس الحقب والدهور . والشباب اذا تيقظ ودارت رحاه قذف بالكرات الواقفة على عجلة الدائرة الى فضاء العدم ، واستخلص من لباب الامم كرات جديدة تساير رحاه فى حركتها وتضيف اليها قوى جديدة يستعان بها على بلوغ الغرض الاسمى والمثل الاعلى . أما الشباب القانع المستنيم للدهر وللاقدار ، فلا خير فيه الا بقدر ما فى البذرة الحية من الاحتفاظ بجنينها ، لتسلمه الى الطبيعة حيا عسى أن تكون منه جرثومة تخرج شباب الطموح والاستعلاء والتطلع الى اللانهاية .

شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

ونحن اليوم أمام عمل يقوم به الشباب المتوثب الى المجد ، المتعطش الى المعرفة ، الوثاب الى المثل والغايات . عمل أقل ما يوصف به أنه أثر جليل من آثار القوة والجرأة النادرة التى تنبئنا بأن عجلة الشباب قد أخذت تدور لتقذف بالكرات الواقفة ، وتجمع من حولها الكرات الدائرة . فان ترجمة موسوعة كاملة ، فى أي موضوع كانت ، و من أى مصدر استقيت ، لعمل عظيم . فكيف بموسوعة كدائرة معارف الإسلام وعت ألوانا من التاريخ والفقه والتصوف والفلسفة واللاهوت والترجمة والجغرافية وعلم الهيئة الى غير ذلك مما وعت حياة العرب قبل الاسلام وبعده . فان العلاقة بين الاسلام والجاهلية لعلاقة شديدة الآصرة تتعارض فى نسيجها خيوط من روح الامم العربية والامم التى دانت بالإسلام . وكل هذا يزيد من صعاب العمل على المؤلفين ، ولا يجعله هينا على المترجمين . فاننا لم نعن بعد بتبويب ما وصل الينا من فروع المدرسة التى تلقيناها عن العرب ، ولم تفكر حتى فى تصنيف اسماء الكتب التى تعتبر مراجع صحيحة نعود اليها فى معرفة أسماء البلدان أو الاشخاص أو الاماكن ، أصيلة كانت أو معربة عن اللغات الاخرى كاللغات السامية ، ومنها السريانية والآرامية ، واللغة الاغريقية على الأخص . ولقد كان هذا سببا فى أن يتورط مترجمو هذه الموسوعة فى أخطاء هم أبعد الناس عن أن يقعوا فى مثلها عن قصد ، أو عن حاجة الى الصبر على البحث ، أو عن زهد فى توخى الكمال المستطاع . ولو اننا أردنا أن نذهب فى نقد العدد الاول وهو باكورة هذا العمل الذى يرقبه اديب عراقى « كما يرقب الصائم هلال العيد » مذهب الاطناب لا الايجاز لاحتجنا الى الوقت والى الفراغ . لهذا نعمد الى بعض المواد ونتناولها بالمناقشة البريئة من كل غاية الا أن يتدارك شبابنا الطامح بعض الاخطاء التى نرجح اننا فى نقدها على حق . ونصيحتنا التى لا نرمى من ورائها الى أى غرض بعيد عن توخى الاصلاح ، ان يعيد مترجمو هذه الموسوعة النظر فيما طبع منها وما لم يطبع ، وأن يستعينوا بذوى التجربة والنظر ، وان يترفعوا فى عملهم هذا عن فكرة الاعتزال به عمن يستطيعون أن يعاونوا فيه صونا للسمعة أعمالنا الأدبية أن ينتابها النقص أو تنتقصها الانانية .

على أنى أريد أن ألفت نظر اللجنة المحترمة الى عبارة وردت فى المقدمة جاء فيها : « ومما يغتبط له قارىء هذه الدائرة أن أعلام مصر سواء أكانوا من علماء الأزهر الشريف أو من أساتذة دار العلوم أو الجامعة المصرية قد ساهموا بنصيب وافر فى مراجعة الترجمة والتعليق على بعض الفقرات ، وفى إبداء الملاحظات القيمة والآراء السديدة » هذه هى العبارة وانى لأعجب كيف أن أعلام مصر من علماء الأزهر الشريف وأساتذة دار العلوم والجامعة المصرية قد فاتتهم هنات هينة وأخطاء نحوية مثل قولهم « طبع مرتان » (راجع مادة أبشقة ص ٦٣) . وغير ذلك مما نمسك عنه ونكتفى بتوجيه نظر اللجنة اليه .

بيد أنا إن اكتفينا هنا بالاشارة البسيطة فاننا نود ان نعبر عن أسفنا الشديد لإيراد مثل العبارة التى نقلناها عن المقدمة فان فيها لتفريطا ، وان فيها لمغالاة ، وان فيها لاشراكا لأعلام مصر أجمعين فى أخطاء مثل التى سوف نسوق الكلام فيها .

والآن نبدأ بمادة « أبخاز » وقد وقع عليها النظر إتفاقا ، فآثرنا ألا ننتقل الى غيرها ومضينا فى مراجعتها فبانت لنا الملحوظات الآتية :

(١) جاء فى ص ٢٠ نهر ٢ — « وكان الابخازيون يعرفون قديما باسم أبسكوى (عند المؤرخ آريان) وباسم أبسجى (عند بلنياس Pliny) ويذكر بروكوبيوس (فى القرن الخامس الميلادى)

أن الأبخازيين كانوا تحت حكم اللازوي . وجاء فى ص ٢١ نهر ١ وكان سيدرنيوس البزنطى » الخ . والصحيح فى تعريب الأسماء أن نجرى فيها على القواعد التى جرى عليها العرب، فلا نقول بلنياس بل بلنيوس . ولا نقول بروكوبيوس بل فروقوفيوس ، ولا نقول سيدرنيوس بل قدرنيوس، أما قواعد التعريب فحديث طويل ليس هنا محله .

(٢) «ولكن الأسباب الجغرافية وحدها تجعل إحتلال هذا الإقليم احتلالا فعليا بعيد الاحتمال..» (ص ٢٠ نهر ٢) والأصل الأنجليزى كما يلى

Geographical reasons alone sufficed to put any idea of really subjugating the country ourt of question.

والمحصل من الترجمة والأصـــل أن المترجم وضع كلمة «الأسباب الجغرافية» مقابل - geographical reasons - والأصح أن يقال «العوامل أو المؤثرات أو الموانع الجغرافية» لأن كلمة الأسباب تتضمن معنى «الناموس» الثابت فى حين أن كثيراً من المؤثرات الجغرافية ينتابها التغير إن سريعا وان بطيئا على تالى الأجيال وخضوعا لسنن يعرفها الفلكيون والجيولوجيون على الأخص . ووضع المترجم كلمة «تجعل» لتقابل - sufficed - والكلمة الانجليزية معناها «كفت» ، ثم أنه ساق الجملة العربيـــة فى صيغة المضارع وهي فى الأصل بصيغة الماضى لأنها تتكلم عن ماض محدود بالزمان . ووضع كلمة احتلال لتقابل كلمة - subjugation - فى حين أن احتلال معناها فى الانجليزية - occupation - ولكن subjugation معناها اخضاع . والظاهر أن المترجم لم يهتف مرة واحدة بسقوط الاحتلال لا بالانجليزية ولا بالفرنســـية . ووضع العبارة الانجليزية out of question - لتقابل بعيد الإحتمال، والحقيقة انها وضعت لتدل على أن: «العوامل الجغرافية وحدها كفت لأن تصرف العرب عن التفكير فى اخضاع الاقليم اخضاعا تاماً . والواقع أن احتلال اقليم قد يجوز أن يكون تاما ولكن الاقليم لا يكون خاضعا بالفعل . فان ايطاليا احتلت طرابلس احتلالا عسكريا تاما بأن بدت كل قواه العسكرية ، ولكن اخضاع أهل الاقليم لم يتم الا بعد زمان طويل . والفرق بين الاحتلال والاخضاع لا ينبغى أن يغيب عن ذهن مترجم يكتب فى ابحاث تاريخية سياسية . لأن ملاحظة مثل هذه الفروق الدقيقة ضرورى لينطبق تصور القارى دائما على الحالات التى يريد المؤرخ أن ينقلها الى مخيلته .

(٣) «وقد اخضع جستنيان الامبراطور الرومانى الابخازيين فاعتنقوا المسيحية» . (ص ٢٠ نهر ٢) والخطا هنا فى تعريب اسم الامبراطور الرومانى «يوستنيانوس» Justinian لأن حرف - J - ينطق «ياء» فأثبته المترجم «جيا» على الضد من كل الاصول المرعية .

(٤) «ومنذ ذلك العهد أصبحت لغة جورجيا لغة الادب» . (ص ٢١ نهر ١) وماهى لغة جورجيا ، ؟ المؤلف يقصد هنا لغة أهل الكرج - Georgia - التى عربها المترجم باسم جورجيا حرفيا . فى حين أن العرب ومن أتى من بعدهم قالوا الكرج . ومن الاسف أن المترجم جرى على هذا الخطأ فى كل الجزء المطبوع . فقال ملك جورجيا وهو ملك الكرج تحقيقا .

(٥) «وعند البحث عن أصل موطن البجراتونيين يجب أن تتجه نحو الغرب (نحو جرخ وريون)» . وفى الأصل الانجليزى - On the Corokh & Rion - والمفهوم من العبارة الانجليزية أن المؤلف يقصد شواطى نهرين ولو لم أتحقق من ذلك بل أدركه بالسليقة فقال «نحو الغرب على الكرخ والريون . فجاءت الترجمة غامضة بعيدة عن الاصل . وكذلك يجب ان نلاحظ أن المترجم قد اكثر من ذكر الابخاز بصيغة جمع الجمع فقال الابخازيين والبجراتونيين وغيرهم . فى حين أن الابخاز جمع كالاعراب . ولا يصح أن تقول أعرابيين أصلا . أما فى البجراتونيين فقد اصطلح مثلا على أن ندعو القبيلة التى انحدر منها أهل أثينا القديمة «فلاسجة» واسمها الاصلى فى الانجليزية - Pelasgians - وهى صيغة عربية مقبولة تجرى على قواعد التعريب المتبعة . فكان الواجب على المترجم اذن ان يقول البجارطة بدل البجراتونيين . هذا اذا لم يكن العرب قد اصطلحوا على تعريب لاسم هذه القبيلة، ولا اتصور أن يكون بعيدا كثيراً عما اذهب اليه .

(٦) وورد فى خطاب الامبراطور طرابزون انه كان لأمراء الأبخاز جيش يبلغ عدده ... ٣٠ مقاتل (ص ٢١ نهر ٢) وفى الأصل الانجليزى :

according to a letter from theEmpror of Trebizond in the year 1459 etc.,

والفرق بين الاصل والترجمة شاسع . فالترجمة تقول «فى خطاب الإمبراطور» .. والاصل فى خطاب من امبراطور .... وهنالك فرق لا يخفى بين خطاب لامبراطور وخطاب من امبراطور ، فضلا عن أنه اسقط السنة المسكينة (١٤٥٩) من الترجمة كلية .

(٧) لم يستطع الابخازيون ان يتخلصوا من سلطان الترك ونفوذ الاسلام فى حين كانت المسيحية تتناقص فى بطء شديد. (ص ٢١ نهر ٢) والاصل الانجليزى ذكر كلمة Supplauted فترجمت خطأ تتناقص والحقيقة تستأصل. لان النقص يعبر عنه فى الانجليزية بكلمة decrease ويقابله الزيادة — increase — هذا فضلا عن ركاكة التعبير الذى نحسه فى استعمال تتناقص ببطء شديد.

(٨) ومنذ انفصال جورجيا صار يحكم بلاد الابخاز كاثوليكوها (الذين ذكروا فى القرن الثالث عشر للميلاد) فى بتزند (ص ٢١ نهر ٢) والاصل الانجليزى كما يلى:

since the separation from Georgia the Country had been under its own Catholicos (for the rest mentioned as early as the 13th Century) in Pitzand.

والخطأ هنا فاحش. فإن المؤلف لو كان قد أراد أن يقول أن البلاد كان يحكمها كاثوليكوها لقال - its own Catholics - وكأنه من الواجب أن يدرك المترجم أن كلمة - Catholicos - تدل على وظيفة كنسية كما يفهم بديها من سياق الجملة ومن سياق الحديث معا. أما كلمة - Catholicos - فقد عربت وأثبتت فى المعاجم العربية ونقلت عنها الى المعاجم الانجليزية العربية الكبرى. فجاء فى قاموس «بدجر» - Badger - الفقيه الانجليزى المعروف أمام هذه الكلمة «الجثالقة جمعا مفردها جاثليق». وجاء فى القاموس المحيط للفيروزابادى «هو الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى يكون فى بلاد الاسلام ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثم المطران تحت يده ثم الاسقف يكون فى كل بلد من تحت المطران ثم القسيس ثم الشماس». (ص ٢١٧ مجلد ٣).

وهذا يدل على أن المترجم قد أخطأ، وأنه أخطأ خطأ فاحشا من الوجهتين التاريخية والعلمية فالتاريخ لم يثبت أن الكثالكة كان لهم حكم مدنى فى بلد من بلاد الاسلام. والناحية العلمية، كما يدل سياق الكلام فى الأصل، تشير الى أن الجثالقة كان يناط بهم أن يرعوا أحوال النصارى الشخصية على قواعد الدين النصرانى تحت حكم الاسلام المدنى. وعلى هذا يجب أن تكون الترجمة على خلاف ما جاء فى «دائرة المعارف الاسلامية»، ويجب أن تكون كما يأتى «ومنذ الانفصال عن الكرج (لا منذ انفصال جورجيا لأن الأصل separation from Georgia) كان للبلاد جاثليقها المقيم فى بتزند. أما الجملة المعترضة التى جاء فيها for the rest mentioned as early as the 13 th Century والتى ترجمها المترجم بقوله: (الذين ذكروا فى القرن الثالث عشر الميلادى) ويقصد بهم الكاثوليك خطأ بعد أن خلقهم من وهمه والوهم خلاق، فيراد بها أن بقية الحكام الذين يمثلون نواحى الحكم الاخرى كانوا يذكرون منذ القرن الثالث عشر الميلادى. وإذن يكون تعيين جاثليق يرعى مصالح النصارى لم يأت الا بعد أن امتد نفوذ الإسلام، واحتاج الامر الى راع يرعى مصالح الاقلية المسيحية فى بلاد اسلامية.

(٩) «وفى عام ١٤٦٢ م (فى عهد الملك بجرات الثانى) ثبت أمراء أسرة شروشيد فى مراكزهم» والاصل الانجليزى كما يلى:

in 1462 (under king Bagrat II) the confirmation of the Sherwashidze as princes (Eristaw) of the country took place

وأنت تتساءل ماهى مراكزهم هذه؟ هى أنهم اعترف بهم أمراء. هكذا يريد الاصل أن يقول. ولكن المترجم يريد أن يقول أنهم ثبتوا فى مراكزهم لا غير. وعلى القارىء أن يضرب الرمل ويناجى الودع ليعرف فى أى المراكز ثبتوا. ولو تصور أنهم ثبتوا فى الارض بالاسمنت المسلح لكان له عذر. يتبع

«حول قصيدة — بقية المنشور على صفحة ٦»

ما بذلت من الجهد لما ظهر فيه من الحرص على أن تحتفظ ما استطعت بعض الاصل، وإذا كنت قد استطعت أن تترجم هذه القصيدة فليست هى إذن من الغموض بحيث يقال. فان قصيدة مظلمة حقا تحتاج الى تغيير أعمق من هذا التغيير الذى أحدثته لتصبح ترجمتها أمرا ميسورا. فأنا مدين لك بهذا الدليل الواضح على أن المقبرة البحرية شىء يمكن فهمه إذا عنى القارىء بعض العناية بقراءتها ورغب بعض الرغبة فى فهمها.

وأظن أن السخرية فى هذا الكتاب أوضح من أن تحتاج الى أن أدل عليها، ولعلك تسألنى أن أترجم لك هذه القصيدة كلها أو بعضها، ولكنى معتذر من ذلك لأمرين. الأول: أنى أجد فى قراءة القصيدة لذة راقية قوية حقا، ولكنى لا أستطيع أن أقول أنى أفهمها على وجهها، وليس على من ذلك بأس مادام النقاد والأدباء الفرنسيون وهم أعلم منى طبعا بلغتهم وأدبهم يختلفون فى فهمها الى هذا الحد. والثانى: أن بول فاليرى نفسه يرى أن ترجمة الشعر الى النثر قتل لهذا الشعر، وتمثيل به ومحو لآيات الجمال فيه، وأعوذ بالله أن أقترف هذه الجناية أو اتورط فى هذا الأثم. ولكن فى مصر شعراء أو أنا أرجو أن يكون فى مصر شعراء يحسنون الفرنسية فهل لهم أن يستبقوا فى ترجمة هذه القصيدة شعرا عربيا. وهل لأصدقائنا أصحاب الرسالة أن يجعلوا للفائز فى هذه المسابقة من الشعراء جزاء يلائم ما سيبذله من الجهد الذى سيكون عنيفا حقا. ولكنه سيضع أمام قراء اللغة العربية نموذجا من أرقى وأروع نماذج الشعر الحديث؟

1re. Année, No. 20

Mercredi, 1-11-1933

بدل الاشتراك

مص

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة فى الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

فى أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

....

الادارة

بشارع البباحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

العدد العشرون «القاهرة فى يوم الأربعاء ١٢ رجب سنة ١٣٥٢ — أول نوفمبر سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة

عـدلى . . .

يجب أن يكون الناس قد انتهوا من الحرج والضيق، ومن العسر وسوء الحال الى حيث أصبحوا ينكرون أنفسهم ويمرون سراعاً ببعض الأحداث الجسام التى كانوا يقفون عندها فيطيلون الوقوف، ويفتكرون فيها فيطيلون التفكير. ويتذوقون آلامها متمهلين متعمقين كأنهم يجدون فى تذوقها على مهل وفى أناة شيئا من اللذة يدعوهم الى استبقائها ومد أسبابها. فهم كانوا اذا ألم بهم الحدث من هذه الاحداث وجموا له وجوماً طويلا ثقيلا، ثم يذهب عنهم الوجوم شيئا فشيئاً فيحسون لذع هذه اليقظة المؤلمة، ثم يفيقون فيقدرون خطر الحدث الذى أصابهم، ويذكرون من أصابهم فيه ويطيلون ذكره، ويتمثلون مواقفه المختلفة، ثم ينظرون الى حاضرهم ومستقبلهم ويتصورون فقيدهم مواجها لظروف الحاضر والمستقبل، ويسألون أنفسهم عن مواقفه التى كان يمكن أن يقفها من هذه الظروف لو امتدت له أسباب الحياة. ويتخذون من هذا التفكير المتنوع الطويل سبلا الى الألم متنوعة، ووسائل الى الحزن متباينة، تأبى نفوسهم أن تقطع الصلة بينها وبين من فقدت، حتى اذا عملت الأيام عملها، وتكاثرت خطوب الحياة على ما يملأ النفوس من ذكرى، فحاولت أن تسدل عليه من النسيان ستارا. جاهدت هذه النفوس ما وسعها الجهاد، لتقاوم الظروف، وتمانع النسيان وتستبقى شخص الفقيد ماثلا أمامها تنظر اليه وتحزن عليه وتبكيه أو تبكى انفسها فيه

كذلك كان الناس حين كانت حياتهم حياة تستحق هذا الاسم،

وحين كانت أيامهم أياما . أما الآن فقد تغير الناس لأن حياتهم تغيرت ، وقد تبدل الناس لأن أيامهم تبدلت ، فقدت الحياة في نفوسهم قيمتها : فاصبحوا لا يذوقون لذتها وآلامها الا مسرعين . وفقدت الايام في نفوسهم قيمتها ، فاصبحوا لا يقفون عند احداثها وخطوبها الا لماما . كثرت عليهم الاحداث والخطوب ، وثقلت عليهم الارزاء والمحن ، وعجزت أعصابهم عن المقاومة ، فعجزت نفوسهم عن الحزن كما عجزت نفوسهم عن الفرح . أصبح كل واحد منهم وكأنه الكرة الخفيفة الوثابة تتدافعها الحوادث ، وتتقاذفها الكوارث ، فلا تكاد تقع على حادثة أو كارثة ، أو لا تكاد تقع عليها حادثة أو كارثة ، حتى تثب وتقفز مسرعة ، خفيفة ، عنيفة ، تبتغي حادثة أخرى وكارثة أخرى ، أو تبتغيها حادثة أخرى وكارثة أخرى

وهذا وحده هو الذى يفسر موقف الناس من هذا الخطب العظيم الذى ألم بهم حين نعت اليهم الانباء عدلى يكن رحمه الله ، فقد وقعت هذه الانباء عليهم وقع الصواعق ، فوجموا لها ، ولكنهم أفاقوا مسرعين من هذا الوجوم ، لأنهم تعودوا وقع الصواعق في هذه الايام . أفاقوا وجزعوا ، واشتد عليهم الجزع ، حتى كاد يشبه اليأس ، ولكن جزعهم كان قصيرا محدود الامد ، فلم يمض يوم وبعض يوم حتى شغلوا عن هذا الخطب ولم ينسوه ، وانما صرفوا عنه صرفا ، صرفتهم عنه هذه الضرورات القاسية والآلام الملحة التي لا يعرفون كيف يخلصون منها أو يثبتون لها . وما رأيك في قوم لا يستقبلون النهار اذا أشرقت شمسه الا بالخوف من ياضه ، ولا يستقبلون الليل اذا نشر ظلمته على الأرض الا بالإشفاق من سواده ، يصبحون وهم يجهلون الى أين يدفعهم النهار المضىء ، ويمسون وهم يجهلون الى أين يذهب بهم الليل المظلم .

كيف تريد من هؤلاء الناس أن يبتلوا مرارة الحزن ولذع الألم ، أو يستعذبوا حلاوة الفرح وموقع السرور من نفوسهم ؟ لقد فقدوا أو كادوا يفقدون هذه الملكات القوية الرقيقة الحساسة التي كانت تنقل الى نفوسهم صور الحياة كما هي . فهي تمكنهم من أن يتعظوا بما يبعث العظة منها ، ويبتهجوا بما يثير الابتهاج ، هاهم اولاء يفكرون في أزماتهم على اختلافها ، ويجدون في التخلص من هذه الأزمات أو الاذعان لها ، ليس منهم إلا طالب أو مطلوب ، ليس منهم الا غالب أو مغلوب ، ليس منهم الا بائس أو منتظر للبؤس ، وليس منهم الا محرج أو مدفوع الى الحرج ، فهم معذورون إذا صرفتهم الحوادث صرفا عن ذكر هذا الفقيد العظيم ، وعن إطالة ذكره والتحدث فيه ، وهو مع ذلك ما زال في دار الغربة حيث قبضه الله اليه ، لم يعبر جثمانه البحر بعد الى وطنه ليوارى في ترابه ، ويدفن في ثراه المقدس .

هم معذورون . وعدلى رحمه الله أشد الناس قبولا لعذرهم هذا ، لانه كان أحسن الناس تقديراً لحالهم هذه . ولأنه كان أشد الناس عطفا عليهم وبرا بهم ، ولأنه كان على امتيازه وأرستقراطيته الظاهرة يشاركهم فيما يجدون ، ويقاسمهم ما يشعرون به من الحزن والألم وسوء الحال . والمصريون أكرم على أنفسهم من أن يكون سكوتهم عن عدلى بعد موته بقليل نسيانا له ، أو تقصيراً في ذاته فليس عدلى من الأشخاص الذين يقدر عليهم النسيان ، وليس المصريون من الشعوب التي يهون عليها الجميل . ومهما يكن الأمر في ذلك فان ذاكرة التاريخ أقوى وأثبت وأعمق من ذاكرة الناس ؛ وسيذكر التاريخ دائما أن أربعة من المصريين كانوا أئمة النهضة الوطنية الاستقلالية ، أو قل كانوا أئمة الثورة المصرية التي شبت نارها بعد أن خمدت جذوة الحرب ، والتي هبت فيها الأمة المصرية تطالب بأن يعرف الناس لها أنها أمة حرة كريمة تريد أن تعيش في بلد حر كريم . كان هؤلاء الأئمة الأربعة عنوان الحياة السياسية الجديدة في مصر ثم في الشرق كله ، وسيظلون عنوانا لهذه الحياة على اختلاف طبائعهم وأمزجتهم ، وعلى تباين ميولهم وأهوائهم ، وعلى ما بين شخصياتهم العظيمة الفذة من الاختلاف ، ولن يستطيع مؤرخ أن يصور حرية مصر وحرية الشرق في هذه القطعة من الزمن التي تبتدىء بعد الحرب دون أن يعتمد في تصويره على هؤلاء الأئمة الاربعة في السياسة : سعد ورشدى وثروت وعدلى رحمهم الله !

كان سعد من هذه الثورة المصرية الشرقية بمكان الجذوة القوية المضطرمة التي لا يعرف الخمود اليها سبيلا ، والتي لا يمسها شيء إلا اضطرم ، ولا يدنو منها شيء إلا التهب . والتي تبعث أشعتها القوية المحرقة الى أبعد الاماكن منها فتذكى فيها نارا ، وتثير في جوها أوارا ، وتخرج أهلها عن أطوارهم ، وتدفعهم الى حب الحياة بعد الموت ، والعزة بعد الذل ، والاستقلال بعد الخضوع والاذعان .

وكان رشدى من هذه الثورة بمكان الفقيه الذى يعرف كيف يستخرج الحق من الشبه ، ويرد اليه حظه من الوضوح الذى لا يدع للشك فيه سبيلا ، ثم يدافع عنه بالحجة الساطعة والبرهان المستقيم والعاطفة الصادقة الحارة .

وكان ثروت من هذه الثورة بمكان المدبر الماهر ذى الحيلة الواسعة والمدخل الخفى والمخرج اللطيف كلما تحرجت المواقف وتعقدت الامور .

وكان عدلى من هذه الثورة بمكان العقل الهادىء الرزين الحكيم ، الذى لا يقوم الا على بصيرة ، ولا يقبل الا على ثقة ، وبعد تفكير طويل ، وروية متصلة . ولا يأتى من الامر شيئا الا فى أناة ووقار

وهدوء، قلما تظفر بمثلها عند الزعماء. ولو أن الثورة المصرية الشرقية فقدت واحدا من هؤلاء الاربعة لما كان لها شكلها الذى نعرفها به، ولا طبعت بهذا الطابع الذى يميزها من غيرها من الثورات.

كانت أمزجة هؤلاء الأئمة الأربعة عناصر تكونت منها هذه الثورة المصرية الشرقية. وقد اختلفوا واختصموا، وجاهد بعضهم بعضا جهادا عنيفا. ولكن مزاج الثورة المصرية كان فى حاجة قوية الى هذا الخصام والجهاد ليحيا ويقوى ويثبت للاحداث، ويبقى على رغم الخطوب. ثم أذن الله لهؤلاء المختلفين أن يعودوا الى ما كانوا عليه من ائتلاف، ويثوبوا الى ما كان بينهم من مودة وحب، ومن تعاون واتفاق، فصفا بعضهم لبعض، وسعى بعضهم الى بعض، ورضى بعضهم عن بعض. ورضيت الامة عنهم جميعا. ورضى الله عنهم فآثرهم برحمته واختارهم الى جواره، يسعى بعضهم فى إثر بعض الى دار الخلود وقد أدى واجبه، ونهض بما كان ينبغى أن ينهض به من الحق.

وكان سعد أسبقهم الى الخلود. وكان عدلى آخرهم انتقالا الى دار الخلود. ولقد تحدث الناس عن سعد ورشدى وثروت فأطالوا الحديث، وسيتحدثون. وستكون أحاديثهم أجل وأوضح، وأدل على عظمة هؤلاء النفر كلما بعد بيننا وبينهم العهد. ومضت على وفاتهم الايام. ولكن الناس لم يتحدثوا بعد عن عدلى لأنه عاش الى هذا العهد، فكانت حياته مانعة من الحديث فيه، ولأنه مات فى هذا العهد فكانت المحن المقيمة صارفة عن اطالة الحديث فيه.

وليس الحديث عن عدلى سهلا ولا يسيرا، فأنت لا تكاد تعرض لخصاله حتى تعجبك كلها، وحتى تدعوك كلها الى أن تحمده وتثنى عليه. واذا أنت حائر لا تدرى ماذا تأخذ منها وماذا تدع، ولكن نواحى ثلاثا من حياة هذا الرجل تفرض نفسها على الكتاب والمفكرين فرضا. فاما أولاها فهى امتيازه الشخصى فى حياته الخلقية، وفى ما كان بينه وبين الناس من صلة. فعدلى أقل الناس تعرضا للنقد من هذه الناحية: كان رضى الخلق، وكانت هذه الخصلة اظهر خصاله وأوضحها، ولكنها على ذلك لم تكن تسبق الى الناس ولا تظهر نفسها لهم، ولا تطمعهم فى صاحبها. وانما كانت تحيط نفسها بسياج من الانفة والترفع، يحسبه الناس ضربا من الغطرسة، ولونا من الكبرياء، فيهابونه وينأون عنه، فاذا اتيح لهم أن يدنوا من الرجل ويخلصوا الى نفسه، لم يجدوا غطرسة ولا كبرياء، وانما وجدوا أنفة وعزة وترفعا عن الابتذال. ووجدوا من وراء هذا كله نفسا صافية نقية، وقلبا طاهرا وفيا، وضميرا كريما حيا. وظهر لهم هذا كله فى معاشرة حلوة، وحديث عذب ولسان عفيف، وصلات ترفع الذين يدنون من عدلى الى حيث هو، ولا تهبط بعدلى الى حيث يكون المتصلون به والساعون اليه.

والناحية الثانية مذهبه السياسى. فقد كان عدلى كغيره من أصحابه مؤمنا بحق مصر فى الاستقلال، حريصا على أن تظفر مصر بهذا الحق، لم يكن يتهم فى ذلك من أحد. وكان عدلى كأصحابه يرى أن المفاوضة مع الانجليز قد تؤدى الى الظفر بهذا الحق. وتنتهى بمصر الى ما تريد. ولكن طريقه فى تنفيذ مذهبه هذا واخراجه الى الحياة العملية هي التى تميزه من غيره. وهى التى تظهر طبيعته ومزاجه كأوضح ما تكون الطبيعة والمزاج. فلم يكن عدلى صاحب قوة وعنف، ولم يكن عدلى قادرا على أن يوجد بينه وبين الشعب على اختلاف طبقاته هذه الصلة القوية التى تجعله مرآة للشعب من جهة، وملهما للشعب من جهة أخرى. انما كان عدلى رجلا يحب الشعب ويؤمن به. و يحرص على حقه دون أن يلهمه أو يستلهمه. كان يصدر عن عقله وتفكيره الهادىء الرزين. اكثر مما

يصدر عن عواطفه الحارة وشعوره العنيف . وكان لا يحسن الحديث الى الشعب ، لأنه لم يكن يجد هذه الكلمات والجمل الساحرة التي تنفذ الى قلوب الشعب . وكان كل ما يستطيع أن يرى ويسمع ويفكر ، ثم يعمل تاركا لغيره ما لا يقدر عليه من الهام الشعب واستلهامه . فلما ألف وزارته الاولى وأعلن برنامج هذه الوزارة متفقا عليه مع الوفد ، كان هذا البرنامج مظهرا واضحا قويا لطبيعة هذا الرجل المستقيمة ومذهبه الصحيح في فهم حقوق الشعب وتقديرها . فانظر اليه يحرص في هذا البرنامج حرصا شديدا على أمرين : الاول أن يستخلص لمصر حقوقها من الانجليز بالمفاوضة ، الثاني ان يعرض على الشعب المصري نتيجة المفاوضة لينظر فيها ويقرها ، وأن يكون هذا الشعب ممثلا في جمعية وطنية لا تقف مهمتها عند إقرار المعاهدة وتنظيم العلاقة بين مصر وبين الانجليز ، بل تتجاوز هذا الى شيء عظيم الخطر حقا وهو وضع الدستور ، وتنظيم سلطة الشعب ، وتنظيم العلاقة بين السلطة التشريعية وغيرها من السلطات التي يتكون منها سلطان الدولة ؛ ومعنى ذلك أن عدلى كان يؤمن بأن الأمة وحدها مصدر السلطات ، وبأنها ما دامت كذلك فهي التي يجب أن تضع الدستور وأن تعلنه لا أن تتلقاه . ومن يدري ؟ لو أن الظروف واتت عدلى ومكنته من تنفيذ برنامجه لعل مصر ان تكون قادرة على ان تجتنب كثيرا من الازمات الداخلية التي ألمت بها فجرت عليها شرا كثيرا .

ولست أدري لعل موضع الخطأ في برنامج عدلى رحمه الله أنه جعل دعوة الجمعية الوطنية نتيجة للمفاوضات لا مقدمة لها . فلما لم تنجح مفاوضته لم تدع الجمعية الوطنية ، وتلقت مصر الدستور ولم تصدره . ولكن أكان عدلى قادرا حقا على أن يدعو الجمعية الوطنية قبل المفاوضة ، وقبل أن يستخلص لمصر حريتها من الانجليز ؟ وماذا عسى أن تكون قيمة هذه الجمعية الوطنية التي تدعى وتعقد وتشرع الدستور وغير الدستور في ظل الحماية الأجنبية ؟ وماذا يكون موقف هذه الجمعية الوطنية من الانجليز ؟ وماذا يكون موقف الانجليز منها ان شجر بينها وبينهم خلاف : مهما يكن من شيء ، فقد كان فهم عــدلى لحقوق الشعب وتصويره لهذه الحقوق ملائمين أشد الملاءمة لأرقى المثل الدستورية العليا .

الناحية الثالثة : وفاء هذا الرجل العظيم لمذهبه في السياسة ، ورأيه في حق الشعب ، وثباته على هذا المذهب ، وامتناعه أن يتحول عنه مع الظروف ، فقد أخفق في مفاوضة الانجليز واستقال وعجز عن أن يدعو الجمعية الوطنية ، ولكنه قضى بقية حياته مؤمنا بأن المفاوضة هي أوضح السبل الى الاستقلال ، مؤمنا بأن سلطة الشعب هي القوام الشرعي الوحيد لكل حكومة ، وهي العماد الشرعي الوحيد الذي يجب أن تعتمد عليه الحكومات فيما تأتي من الأمر في السياسة الداخلية أو الخارجية : ولم يكد يصدر الدستور حتى عرف عدلى كيف يرضى نفسه وضميره في السياسة ، فتقدم الى أمته في الانتخابات : فلما قضت عليه اذعن لقضائها ورضى به ، لا يحمل لأمته غلا ، ولا يضمر لها حقدا ، ولا ينكر عليها أنها انصرفت عنه الى غيره ، ولم تمنحه ثقتها وهو على ذلك كله مؤمن أصدق الايمان بأن هذا الدستور الذي صدر لا يقيد الذين أقسموا على الاخلاص له وحدهم . وانما يقيد المصريين جميعا وهو من بينهم . ومن هنا تستطيع أن تفهم أن عدلى قد أبى كل الاباء بعد صدور الدستور أن يؤلف وزارة ، أو يؤيد وزارة ، أو يشترك في وزارة لا تعتمد في صراحة واخلاص على الدستور : ومن هنا تستطيع أن تفهم اسراعه الى الائتلاف مع سعد حين دعى اليه ، واخلاصه في تأييد هذا الائتلاف ، وقبوله رياسة الوزارة في هذا الائتلاف ، لأن هذا الائتلاف كان قوامه ارجاع الحياة الدستورية ، وكان اعتماده على الدستور ، وكان بقاؤه رهينا ببقاء الدستور ؛ ومن هنا تستطيع أن تفهم كيف اعتزل السياسة وانصرف عنها حين وقف الدستور ، وكيف أسرع الى قبول الوزارة حين عرضت عليه ليرد الدستور . ثم من هنا تفهم أيضا كيف أنكر ما كان من تغيير الدستور القديم ، وكيف أسرع الى الاحتجاج على هذا التغيير ، وكيف أسرع الى التعاون مع المؤتمر الوطني الذي أنكر ما حدث من تغيير ، وألح في أن ترد الأمور الى نصابها ، وكيف أنفق بقية حياته عزيزا كريما أبيا يرقب الحوادث وينتهز الفرص وينتظر أن يدعوه الواجب الوطني فيستجيب له . ولكن دعوة الموت سبقت دعوة الواجب الوطني ، فأسرع عدلى الى حيث أراد الله له من هذه الحياة الخالدة . حياة الكرامة والنعيم . وتريد الأقدار أن يموت عدلى حيث مات صديقه الحميم ثروت في باريس بعيدا عن الوطن . وتريد الاقدار أن يموت عدلى كما مات صديقه الحميم ثروت ومصر في أزمة سياسية عنيفة تعتمد عليه وتعقد به أوسع الآمال فاذا هي تمتحن فيه وتحرم معونته . ثم تريد الأقدار أن ينتقل عدلى الى وطنه في نفس السفينة التي نقل فيها ثروت ، وهي (البروفيدنس) ! أفترى الاقدار قد رعت حرمة هذه المودة الصادقة الخالصة التي كانت بين هذين الرجلين العظيمين ، فأرادت أن تلائم بينهما في الموت كما لاءمت بينهما في الحياة ؟

طه حسين

النقد والتقريظ

للاستاذ أحمد أمين

أصل كلمة النقد من نقد الدراهم وهو امتحانها ومعرفة الجيد والردىء منها ، فهى بهذا المعنى لا تقتصر على ذكر العيوب والتشهير بها ، بل تدل على استعراض الشىء والوقوف على محاسنه ومساويه

وقد تستعمل فى معنى الذم والعيب خاصة ، ومنه حديث ابى الدرداء : « ان نقدت الناس نقدوك ، وان تركتهم تركوك » فاستعمل الكلمة بمعنى العيب والذم

وهى بهذا المعنى ضد التقريظ ، فالتقريظ مدح الشىء والثناء عليه ، مأخوذ من قرظ الجلد دبغه بالقرظ ، وقرّظه بالغ فى دباغه . وسموا المدح تقريظا « لأن المقرّظ يحسّن ويزين صاحبه كما يحسن القارظ الاديم » وبهذا المعنى يستعملها الكتاب المحدّثون فيعنون بالنقد ذكر المساوى وبالتقريظ ذكر المحاسن

ولست أعرض فى مقالى هذا للكلمتين من الناحية الأدبية ، فلا أعرض لمذاهب النقد الأدبى ومقاييسه ، كما لا أعرض لأساليب التقريظ وألوانها ، وأنما أعرض لظاهرة نفسية تلفت النظر : هى أن الناس على اختلاف درجاتهم فى البداوة والحضارة ، والرقى والانحطاط ، مولعون بالنقد أكثر من ولوعهم بالتقريظ ، ومولعون بالبحث عن العيوب واظهارها والمبالغة فى تصويرها أكثر من ولوعهم بالبحث عن المحاسن واظهارها وتصويرها ، وهم فى ذلك بين اثنين : اما ممثل على المسرح يمثل دور الباحث عن العيوب المتجسس على السقطات ، يستبشر كلما عثر على خفايا الزلات ، ويقيس نجاحه بمقدار ما كشف من أخطاء ، واما مشاهد لهذا المنظر . أكثر ما يهتم له العيب الفاضح والسقطة الشنيعة ، يطيل التصفيق لكاشف الزلل ويمنح الأعجاب من أصاب من آخر مقتلا

ومظاهر ذلك فى الحياة كثيرة ، فلا تكاد تجد عظيما بأجماع ، ولكنك كثيرا ما تجد أصاغر بأجماع . لأن النفوس ترتاح لمنظر الحقير إذ خرج من ميدان المنافسة ، ونزل عن مستوى المقارنة . ويضنيها العظيم فتلمس وجوه النقص فيه ، وتخلقها إن لم تكن ، وتبالغ فيها ان كانت . لأن العظيم يكلفها العناء فى ادراك شأوه وبلوغ منزلته

ومن مظاهر ذلك أن مجلات عديدة فى العالم كله تعيش على النقد ، وليس - فيما أعلم - مجلات تعيش على التقريظ . وقد أدركت هذه المجلات إدراكا صحيحاً هذه الظاهرة النفسية ، ورأت أن رواجها يكون أتم كلما ارتفعت نغمة هجوها ، وكلما كان نقدها أقذع ، وسهامها أنفذ ، والجرائد فى العالم تبذل المدح بالحبة ، والنقد بالقنطار . ومن آية ذلك أن الناس فى كل أمة يقدرون - غالباً - جرائد المعارضة أكثر من قدرهم جرائد التأييد ، فاذا تغيرت الحكومات وأصبحت جرائد المعارضة بالأمس جرائد تأييد اليوم ، نزلت قيمتها من ناحية أنها لم تعد تروى رغبات الناس وشهواتهم .

ثم . ما النقد الأدبى ؟ أليس هو فى الغالب ارضاء لعاطفة البحث عن الغلط والتشهير به ؟ إذا مدح النقاد فبحذر وقدر ، أكثر مدحهم « طعم » يستدرجون به القراء لاقناعهم بأنهم عدول فى تقديرهم ، منزهون فى ذمهم ومدحهم ، حتى اذا اطمأن لهم القارىء بالغوا فى النقد وأسرفوا فى اللوم . وأكثر الناشئين من الأدباء يتطلبون الشهرة من طريق مهاجمة النابغين والتعرض لهم ، والتسميع بهم ، حتى إذا تصدوا للرد عليهم رفعوا من شأنهم إذ جعلوهم فى منزلتهم ، وقديماً حكى لنا « بشار بن برد » أنه - وهو ناشىء - هجا جريراً فأعرض عنه واستصغره ، ولو أجابه لكان كما يقول أشعر الناس . قد يكره الناس الناقد الجرىء . ولكنهم يهابونه ويلتفتون اليه ويشجعونه على أن يبنى نفسه من أنقاض ما هدم من غيره

ومن أكبر مظاهر هذه الظاهرة ارتياح الناس للهازئين الساخرين ، وما يصدر منهم من هزؤ وسخرية ، على شرط ألا يكونوا هم موضع الهزؤ والسخرية ، فأوسع أبواب الظرف والكياسة ، وأشد ما يستخرج الضحك والأمعان فيه ما لذع به الناس فى أعراضهم وأخلاقهم وملكاتهم ، والذى يعده الناس لطيف الروح خفيف الظل ، بارع الظرف ، هو من يومىء الايماءة الفاتكة ويرشح لسانه باللفظ يقتل به البرىء الغافل ، ويضحك به اللاهى الماجن

وقد تقام حفلات التكريم للاشادة بصفات عظيم، أو التنويه بما قام به من عمل جليل، ولكن أكثرها حفلات تأبين. تقام بعد أن اختفى المحتفل به عن المسرح وغاب عن الأنظار، أو بعد أن أعجزته السن وخرج من ميدان العمل والمنافسة، أو هي حفلات تجارية أقيمت لمنفعة المحتفلين لا المحتفل بهم.

الحق أن هذه العاطفة – عاطفة البحث عن الخطأ وإذاعته والولوع بالنقد أكثر من الولوع بالتقريظ – عاطفة تشارك الإنسان في جميع أدواره.

وتعليلها على ما يظهر يرجع الى غريزة الأثرة وحب النفس، كأن الانسان يرى أن القول بعيوب الناس يتضمن القول بتفوقه، والتشهير بأغلاطهم اقرار سلبي بنبوغه، والعمل على تحقيرهم قد ينتج مع الزمن انفراده بالعظمة، والسخرية منهم تستتبع الاعتراف بجلاله وحده.

ولكن المدنية والحضارة، والرقي العقلي والخلقي، تهذب من هذه العاطفة، كما تهذب من سائر العواطف، فالناقد المهذب يكتفي بالتلميح دون التصريح، وبالاشارة دون التجريح، يقول ما في نفسه. ولكن يتخير الألفاظ ويتخير المواقف، ويترفع عن ألفاظ الغوغاء وأساليبهم، والمقارنة بين الجرائد والمجلات وأساليب النقد في الأمم المختلفة تؤيد هذا كل التأييد.

لو سار الأمر على المعقول لخف كثير مما يصدر من لوم ونقد، لأن أساس اللوم إمكان المسئولية، فاذا لم تكن فلا لوم، فلسنا نلوم المرضى إن لم يأتوا بأعمال الأصحاء، ولا نلوم البدوي كما نلوم الحضري، ولا نلوم الجاهل بما نلوم به العالم، ولا نلوم الطفل في المدارس الابتدائية إذا لم يحل معادلة جبرية أو نظرية هندسية

انما نلوم الانسان عند ما يكون في الامكان أن يفعل خيرا مما كان، ولو قدر اللائمون تقديرا حقا ما يحيط بالملوم من حالة عقلية وجسمية وبيئة اجتماعية ومن عوامل خفية معقدة يصدر عنها العمل لخففوا من غلوائهم، ولطفوا من لومهم، ولعلموا أن استحقاق اللوم نسبي يرتبط بالسن وبدرجة الثقافة والمدنية، وحالة الفرد في أمته وموقف أمته في العالم

ولو سار الناقد على المعقول، لوقف موقف المصلح لا موقف الجاسوس، إن الجاسوس يهمه أن يرى الخطأ ليبرهن على كفايته، ويسره أن يرى العيب ليقبض على فاعله، وكلما أوغل في استكشاف العيب الدفين، وتعمق في اظهار جريمة مستورة، كان أدل على قدرته ونبوغه، ويأسف ان لم يكن عيب. كأنه يشعر شعورا باطنيا أنه ارهاص بأن لا حاجة اليه — والمصلح يستكشف العيب لا ليشهر به، ولكن ليعالجه، وأقصى أمانيه ألا يكون عيب، واذا كان فأن يداوى، ويعتقد أن مهمته تتم مع السرور يوم يزول المرض ويتلاشى النقص، وأنه بنقده ولومه إنما يصف دواء يستأصل الداء، ويأتي عليه

أسوأ ما ترى أن يكون الناقد كالفرس الجموح ينال من الناس بهوجه وخبطه، أو أن يقف في نقده موقف الغر يداعب بالنار، أو الطفل يلعب بالسكين. ——

المعـــالي ...

للدكتور محمد عوض محمد

الآن وقد بلغت ربوع الألب أيها الصديق!، فما أجدرك أن تلقي عصاك حينا، ثم تنعم النظر فيما حولك من خلق عجيب، ومن روعة آخذة بالألباب... في هذا الجزء الصغير الجليل من العالم أرادت الأرض أن تسمو وتعلو.. أتراها كانت تريد أن تبلغ السموات، ثم لم تلبث أن رأت هذا السمو قد أبلغها الزمهرير المهلك القارس، فجمد في صدرها الأمل والطموح، واكتفت من الارتقاء بشيء لعلها تراه قليلا، ونراه نحن جليلا؟. وأيا كان ذلك السر الغامض الذي جاش به صدر الأرض، وأيا كان مطمحها البعيد أو القريب، فحسبي الآن وحسبك ما تأمله فيها من حسن وما تنعم به من جمال.

في هذه البقعة المباركة رفعت الأرض مناكبها، وأمعنت في الارتفاع، وصعدت أعلامها في الهواء، وأسرفت في الصعود. واصطدمت السحب بهذه الأطواد الشامخة فسالت السحب غيثا مدرارا، وانحدر الغيث على جوانبها جداول وأنهارا. ثم اجتمع الماء من كل ناحية في هذه البطائح المطمئنة، ولم يزل يجتمع حتى استحال الى هذه البحيرات البديعة، وقد نزلت اليوم على ضفاف واحدة منها. فراعك حسنها الهائل، وفتنتك عيونها الساحرة، واستهواك قوامها الرشيق، وخدها الأسيل... ولقد بهرك منها

بنوع خاص هذا الجمال المتجدد فى كل لحظة ، إذ تبدو لك الصبح فى لون . والأصيل فى لون ، وتبدل فى كل آونة ثوبا . . . أرأيت يا صديقي ، كيف حرت فى أمرك وأمرها ، فما تدرى أى ألوانها أحب الى قلبك ، وأى أشكالها أشد امتلاكا لعقلك ؟

أمنظرها وقت الشروق . وهى هادئة وادعة ، وقد انطبعت فى صفحتها البلورية الملساء صورة مبهمة قاتمة للجبال الشاهقة التى تحيط بها ، وقد حالت الجبال دون وصول أشعة الشمس . فلم ينفذ الى البحيرة من نورها سوى ضياء هادىء رقيق ، يبدى لك من الكون ماجسن ، ويخفى منه ماليس بالحسن . ولولا أنى أخشاك ياصديقى لقلت لك إن البحيرة فى تلك اللحظة تشبه الحسناء حين تستيقظ من النعاس ، ولكنى أحسبك لا تعبأ بمثل هذا التشبيه . . .

أم منظرها وقت الظهيرة ، حين تظلها سماء صافية زرقاء . وتبدو الجبال من حولها . وقد زهت بثوبها السندسى الأخضر . . فبدت لك البحيرة فى رداء عجيب : فى مزيج من فيروز السماء ومن زمرد المروج الخضراء ؟

أم منظرها وقد مالت الشمس للمغيب ، وقد اشتمل الكون برداء مصفر حزين ، وامتدت الظلال وأمعنت فى الامتداد : وآوت الطير الى وكورها وخففت من غلوائها . ولاحت لك البحيرة وقد تمثل فيها كل هذا الهدوء الحزين ، وعلى محياها ذلك الشحوب الفاتن . فى هذه الساعة القصيرة تتبدل لك الألوان والشكول بسرعة هائلة ، فلا تكاد العين أن تقع على منظر حتى يحول ويتغير .

قل لى أيها الصديق ! أما استهواك منظر هذه الأطوار التى أحدقت بالبحيرة من كل جانب ، وقد اختفى تحت الماء منها شطر وحلق فى السماء شطر . فأما شطرها البادى للعيون فقد اكتسى بغطاء محكم من النجم والشجر : وأما شطرها الذى غمره ماء البحيرة فانه عار ، ومن عناية الأقدار أن غمرته المياه فسترته عن العيون .

ولكن حدثنى ياصاح أى هذين الشطرين قد شاقك أمره . فتاقت نفسك الى ادراك غامضه واجتلاء ما خفى منه ؟ هل خطر لك أن تغوص الى أعماق هذه البحيرة حتى تبلغ أقصى أصول تلك الجبال . فتطلع على ما خفى من سرها ، وما أبهم من أمرها ؟ أم شاقك منظر هذه القمم الصاعدة فى السماء فأردت أن تبلغ ذراها ؟ إنى لا أظنك تحاول الأولى ؛ فقليل من الناس من تستهويه الأعماق البعيدة ، فيحاول أن يغوص إليها . ونحن ذوو أحلام ضحلة ، لا نجد فى البحث العميق إلا عناء ونصبا . وسنبقى مدى الدهر قانعين بالظواهر تخدعنا وتقنعنا

أما هذه القمم العالية ، فانك تراها أمامك كل حين ، تبصرها عندما تستيقظ وتشرف عليك من سمائها النهار كله ، وتبدو لعينيك فى الليل البهيم مظلمة قاتمة ، غامضة رهيبة . لكنها على هذا كله جذابة أبدا . . وأحسبك قد استهواك أمرها ، وحدثتك نفسك بالصعود اليها . وفى كل نفس دافع ملح يدفعها أبدا إلى المعالى ، ويجشمها فى سبيلها الصعاب .

وكأنى بك ، أيها الصديق ، وقد جلست فوق صخرة مشرفة على البحيرة وجعلت تتأمل هذه القمم ، فتحس شوقا قد تملك قلبك ، وضراما متوقدا يستثير همتك إلى صعود هذه الجبال ، وبلوغ تلك المعالى . . انك تريد أن تسمو حيث يحلق العقاب ، ويسبح السحاب ، حيث تنشق ذلك الهواء النقى الزكى ، الذى تنشقه البزاة والنسور ؛ لا هذا الهواء الأسفل الذى امتلأ بالأدران والأكدار ؛ حيث تنظر من تلك القمم مطلا على هذه الأجساد التى تتحرك على أديم الثرى ، فتراها من ذلك الارتفاع الشاهق على حقيقتها ، فاذا هى فى عينيك دود يزحف ، أو حشرات تحبو .

إن بلوغ تلك القمم لخليق حقا بأن يكون مطمح العين ، ومنية النفس . ولا حرج عليك ان كنت قد شغفك حب تلك المعالى وأهمك التفكير فيها . فطوراً يحملك الأمل على جناحيه ويحلق بك فى جو السماء ، فتخال المرام قريبا ، وأنه منك قاب قوسين ؛ وطورا يثوب اليك الرشد ، فتفكر وتقدر ، وتقارن بين همتك وقدرتك . . فلا تزال بين ارتفاع وهبوط ، واقدام واحجام .

ثم كأنى أراك بعد ذلك وقد قطبت جبينك ، وعضضت على نواجذك ؟ فهل صح عزمك على أن تجشم النفس هذا العناء الثقيل وهذا الجهاد الطويل ؟ لئن كانت تلك عزمتك التى عزمت ، فهل تعلم أى الطرق تسلك كى تبلغ مأربك ؟

إن لهذه القمم التى تراها حديثا شيقاً طليا ، سأحاول الآن أن أسر اليك خبره . فلعلك واجد فيه عونا على النجاح أو سلوانا عن الاخفاق . . .

إن الناس أيها الصديق يبلغون تلك المعالى من طرق ثلاثة ، ليس لها رابع : فأما الطريق الأول فسبيل معبد ممهد ، تحف به الرياحين ، وتجرى حوله الانهار ، وقد نبت فيه العشب الندى ، وأحاط به الثمر الجنى ، وأعجب ما فى هذا الطريق أن سالكه لا يكاد أن يسير فيه خطوات قلائل ، حتى يبلغ مأربه ، كأنما الغاية تسعى اليه ولا يسعى اليها ، أو كأن الطريق يحمله حملا يبلغه مرامه . فما هو إلا أن يغمض طرفه ثم يفتحه : فاذا الامانى قد تحققت ، والمعالى قد دنت ودانت.

وأظنك تعلم ياصديقى أن ليس لأمثالك وأمثالى أن يسلكوا

هذا الطريق ؛ وأحسبك تعلم أنه مما اختص به أولئك المجدودون ، الذين ولدوا فى حجر النعيم ، ورعتهم نجوم السعد ، وحرستهم عين المشترى، وهزت أرجوحتهم يد الزهرة : وفى وسعهم إن شاءوا أن ينزلوا الى القمة نزولا ، حين يحاول الناس أن يصعدوا اليها صعوداً . مامن سبيل الى مجاراتهم أو اللحاق بهم ، فلندعهم فى طريقهم ولننظر هل لدينا من طريق سواه .

أما الطريق الثانى فلعله أعجب من الاول وأغرب ؛ فهو طريق خفى ، شديد الخفاء ، غامض كل الغموض ، لا ترى له بدءاً ولا تعلم له اتجاها . ملتو غاية الالتواء ، معوج شديد الأعوجاج . وسالكوه قوم قد رزقوا البراعة والمهارة . فهم تارة يثبون ويقفزون ، وتارة يزحفون أو يحبون ويركعون ويسجدون ، وطورا يسلكون طرقاً مظلمة حالكة ، وأحياناً يخوضون فى الرجس والدنس . لا تثنيهم رداءة الطريق ولا وعورته ، ولا اعوجاجه والتواؤه . وما أنت يا صاح من هذه الشرذمة التى تصل الى القمة من أقذر السبل . فما أجدرك ان تدع هذا الطريق وتبحث عن سواه .

لم يبق أمامك غير سبيل واحد لا مندوحة لك عنه : وذاك هو الطريق الذى يدعوه أهل تلك النواحى «طريق البغال» : اسم ستنبو عنه أذنك ، وتشمئز منه نفسك ، وسترفع رأسك إلى السماء كبرا وأنفة ان تنزل الى هذا الدرك ، أو تنحط الى هذا المستوى . . . لكن رويداً فليس فى الأمر نزول ولا انحطاط ، وانما هو صعود وارتفاع وارتقاء ، وقد ينتهى بك الى القمة التى تنشدها . فلتخفف إذن من غلوائك ، واذكر أنهم يدعون هذا الطريق بالفرنسية Sentier Muletier ويسميه الانجليز Mule-track والالمان Saumweg وأظنك بعد أن تردد هذا الاسم فى هذه اللغات جميعا ، سيصبح فى أذنيك عذبا لذيذا سائغا

ولئن كان فى الاسم ماينفر السمع ، فليس فى المسمى ما يبعث على النفور . ولعمرى — بل ولعمرك أنت أيضا — انه لاشرف السبل وأمثلها ، وأصفاها وأطهرها ، وإن كان طويلا مضنيا مجهدا . فاذا كنت تريد المضى فيما عزمت عليه ، وتحاول الصعود الى تلك المعالى ، فمحال على مثلك ، أن يسلك الطريق الأول ، وأنت أعف قلبا وأنبل نفسا من أن تسلك الطريق الثانى . إذن لا رأى إلا أن تسلك ثالث الطرق ، أو تنثنى عن مرامك ، وتقنع بالاقامة فى السفح ، مكتفيا من القمة بالتطلع اليها والتحديق فيها . . .

طريق البغال هذا سكة اختطوها على جوانب الجبال كى يستطيع الرعاة والزراع أن يسيروا فيها ببغالهم وماشيتهم ، وكثيرا ما تصعد فيها البغال منفردة ، وهى تحمل للناس أثقالهم من موضع إلى موضع . وقد علمها إلف هذا الطريق كيف تسلكه من غير مرشد يرشدها ، أو سائق يسوقها .

فى هذا الطريق اذن فليسر من ينشد القمة ، وأنا زعيم أنه اذا أوتى القوة والجلد ، ورزق الجد والدأب ، واستطاع أن يصبر على مايلقاه من عنت وجهد ، وأن يثبت للشدائد التى تنتابه ، وللعقبات التى تعترضه ، ولم يدع لليأس سبيلا إلى قلبه ، وأمدته العناية بشىء قليل من المساعدة ، فانه واصل إلى الغاية مهما طال به المسير .

إن هذا الطريق واضح بين المنهج ، من سار فيه فلن يضل السبيل . . لكنه على وضوحه وبيانه ، ليس سهلا هينا — ومتى كان الطريق إلى القمة سهلا يا صديقى ؟ فالسائر فى هذا الطريق سيجد فيه غلظة وخشونة . . . فان الأيدى لم تتناوله بالرصف والتمهيد . . وحصباؤه خشنة مدببة ، لا ترتاح لمسها الأقدام ، وقد يصادفك فيه الحين بعد الحين ، صخر ناتىء أو شجيرة مائلة تعترضك ، فلا بد لك أن تطأطىء الرأس قليلا ، أو تدور من حول تلك العقبات ، أو تحتمل الجرح الذى يصيبك حين يصدمك الصخر الناتىء ، أو الجذع المائل ، وكثيراً ما يحف بك الشوك ذات اليمين وذات الشمال ، فيخدش ساقيك خدشاً ، ربما أسال منهما الدم قليلا أو كثيراً . . ولا غرابة فى هذا كله ما دمت تسلك هذا الطريق : طريق البغال!

ولقد تقطع فى سيرك الأميال العديدة . فلا تصيب فيه قوتاً ولا شراباً ، فتجتزىء بالقليل من خشن الزاد الذى احتقبته ، وتصبر على الظمأ والجوع ، وفى قلبك من الجلد والايمان ما يعين على كل هذا الحرمان . . وقد يسعدك الجد بعد طول السير والعناء فتصادف وسط الصخور نبعاً ضئيلا هزيلا ، فتهش له وتبش وتراه كأنه دجلة أو الفرات ، أو الكوثر المقدس . فتبسط اليه كفيك ، تتخذ منهما قدحا مملوءة كى تبرد به لهاتك . ثم ترى أن هذه الوسيلة لا تغنى فتنحنى نحو الينبوع ، ثم لا تزال تنحنى حتى ترتمى على يديك ورجليك ، وتمد نحو الماء فما قد جهده طول الظمأ ، فلا تزال تعب الماء عبا ، وتصبه فى جوفك صبا ، وتشرب وأنت على أربع حتى تروى غلتك ، ولا تسل عن منظرك البديع فى تلك اللحظة ، ولكن أى غرابة فى هذا وأنت تمشى فى طريق البغال ؟

* * *

وقد تكون الطريق فى بعض نواحيها سهلة ممهدة يحف بها شجر عال فيه للطير وكور . وكأنى بك وقد أطلت عليك من فرع غصينها المياد قبرة صغيرة حديثة عهد بالعالم . ولم تشاهد قبلك انسانا يمشى على رجلين ، فتدهش لرؤية هذا الكائن الغريب فى طريق

ما رأت به من قبل إلا الدواب ، فتسرع إلى أمها وتهيب بها : « أماه ! إن بالطريق بغلا جديداً ما رأيت من قبل لمشيها ، يمشي على رجليه الخلفيتين ، رافعا رأسه الى أعلى ! . . » فعند ذلك تقول لها أمها العجوز : « وليس هذا يا ابنتي بغلا بل هو من أبناء آدم ، فان أبصرته فابتعدي عنه ، واختفي عن عينيه ، فانه ليس بالمأمون جانبه . »

هذا بعض ما يقال عنك أيها الصديق وأنت بذلك الطريق . ولو كشف عنك الغطاء فأفهمت ماتحدث به عنك الأرانب في جحورها والوزغ بين صخورها ، اذن لتبسمت ضاحكا من قولها كما فعل سليمان ، ولأدركت أن مسيرك هذا لا يخلو من عبث ولهو وتسلية .

ولكن حذار يا صديقي مما قد تلقاه من حشرات فتاكة . فان بالطريق أفاعي وعقارب ، قد فاضت صدورها حقداً وضغينة ، وهي تعشق الاذى حبا في الأذى . فان مسك منها ضر ذهبت جهودك كلها عبثا ، أو تخلفت بالطريق زمنا طويلا . فامش اذن في تؤدة واحتراس ، لعلك تسلم من حمها وسمومها .

* * *

والآن قد وصفت لك الطريق الى القمة فسر فيه على اليمن والبركة . . . بيد أني لا أريد أن أكتمك أن سالك هذا السبيل قد لا يبلغ من مرامه أو ينال من بغيته إلا قدرا زهيداً . فقد يدركه الاعياء حين يعجز الجسد عن مراد الروح ، وتخور القوى والآمل في عنفوانه . أو قد تعترضه عقبة كؤود أو هوة ليس الى اجتيازها سبيل . أو قد تناله تلك الحشرات الفتاكة بسوء ، فاذا أصابك هذا - بعضه أو كله - فلا تذهب نفسك حسرات على ما لم تبلغ ولم تنل ، وحسبك انك لم تزل برغم الاخفاق موفور الشرف عزيز الجانب ، لم ترتكب في سبيل تلك القمة إثما ولم يدنس لك ثوب . . .

والا فهل تؤثر البقاء في السفح ؟

الديمقراطيـــــة [١]

أكثريات وأقليات وتشريع

إن حكم الأكثريات ضرورة لازمة لحكم الجماعات . وأنت ترى الأحكام والشرائع ما دامت ترجع في إبرامها الى اجازة عدد من الناس يخضعون لقانون أساسي . فلا مناص إذن من أن تتقيد الحكومة برأي الأكثرية وتعنو له . ولقد أيدت المحاكم العليا هذا المبدأ حينا بعد حين . وخلال طور بعد طور ، على مدى الانقلابات السياسية ، وأيده المؤلفون في كثير مما أبرزوا من المؤلفات التي تناولت البحث في النظريات السياسية . كما وضع موضع التنفيذ الفعلي في نظام الحكومات في كثير من دول الأرض . ولا جرم أن حكم الأكثرية الذي يمثل رأي الجماعات له الغلبة حتى الآن في نظام الحكومات الحديثة .

أما في القرون الوسطى فان القول بمبدأ الأكثرية لم يكن أكثر من حيلة لجأ اليها الحكام ليتقوا بها الصراع بين فريقي الشعب كلما بدرت بوادره ، بأن يظهروا للناس من طريق الجلاد الفكري مقدار ما يترتب على الصراع البدني في النتائج . وعلى الضد من ذلك ذهب الديمقراطيون في الأعصر الحديثة . فأنهم بعدوا عن التحايل على الناس بالأفكار والنظريات . فأصبح حكم الأكثرية عند بعض المؤلفين عبارة عن « مبدء عام ثابت له من المسوغات الأدبية والخلقية ما يكسبه مناعة قصوى » - كما يقول هنبرج في كتابه : « نظريات حكم الأكثرية » ويؤيد الاستاذ « مكيفر » هذا الرأي ولكن بأسلوب آخر فيقول أنه : « يجب علينا أن نعتبر أن كل الحكومات التي لا تتجلى في كيانها إرادة الأكثرية صورا بتراء إذا قيست بأنظمة الحكومات الرشيدة » وهذا الرأي يتضمن ضرورة فكرة أن الارادة العامة هي لدى الواقع إرادة الأكثرية . لا إرادة المجموع كله . ويقول مؤلف ثالث هو الاستاذ « هرنشو » في كتابه - « الديمقراطية في مفترق الطرق » - « إن عقيدة الرجل الديمقراطي لا بد من أن تحمله على الاعتقاد بأن أكثرية الشعب لا محالة واقعة على الحق يوما مهما طال عليها عهد الخرق والضلال . وأنها لا بد من أن تعمل جاهدة يوما ما على أن تقيم العدل وتضع الحق في نصابه . » على أن الاستاذ « هرنشو » مسبوق بهذا الرأي فان البابا « إنوسان » الرابع في (القرن الثالث عشر الميلادي) قد سبقه الى القول - « بأن استكشاف الحق من طريق الكثرة يكون أهون وأقوم . »

(١) بحث ملخص عن مجلة المجمع العلمي الامريكي لسياسة والاجتماع

إن الحكم من طريق الأكثرية ليس أكثر من نتيجة منطقية، مقدمتها القول بوجوب المساواة الديمقراطية بين كل الناس. ذلك لأن حكم الأكثرية مضمونه أنه ما دام لكل الناس حقوق معلقة فى عنق الحكومة، فان «أصواتهم» يجب أن «تعد» لا أن «توزن». وهذه النظرية تختلف تمام الاختلاف عما كان يفهم من معنى الحكومة فى العصور الوسطى وفى الدول غير الديمقراطية. فان القاعدة فى القرون الوسطى كانت تعطى لمجموع الرعايا المتمتعين بكل الحقوق السياسية حق التصويت العام فى المسائل ذات الشأن التى تتعلق بسلامة الدولة. وهذا يتضمن حقيقة تختلف عن مفهوم حكم الأكثرية كل الاختلاف. فان (عدد الاصوات) كان يقترن دائماً بفكرة «الصفة» مقيسة بقيمة الشخص (صاحب الصوت) ومنزلته فى المجتمع. وكان «مرسيليو» البادوى (نسبة الى مدينة بادوا Padua) أقوى من دافع عن هذا الرأى حجة فى العصور الوسطى حتى قال الأستاذ «مكلوين» فى كتابه «تطور الفكرة السياسية فى الغرب» أن «مرسيليو» لم يفكر فى حقيقة الفردية - Individualism - الحديثة التى تنطوى على فكرة تغلب الأكثرية، بل وعى فى عقله دائماً فكرة «الشعبية» التى كانت تعطى «للصفة» من القيمة ما «للعدد».

أما النظرية الديمقراطية الحديثة فقائمة على فكرة «بنتام» فى أن كل انسان انما يعمل على الترويج لمصالحه الذاتية، وأنه عندما تتفق أكثرية ما على سياسة معينة، فمن الواجب أن تعتبر هذه السياسة ممثلة غاية ما تنتهى اليه مصلحة العدد الأعظم من الناس. والى هذه الغاية ينبغى أن يتجه التشريع. لأنه فى ظل هذا النظام تنكمش تلك الميول الشيطانية التى تحاول أن تغلب مصالح «العدد الأقل» من افراد الجمعية على مصالح «الكل الاجتماعى» وتضعف تأثيرها الى أدنى حد ممكن.

على أن هذه النظرية كثيرا ما هوجمت ونقدت. فان «إدموند بيرك» الخطيب السياسى المعروف، كثيرا ما تكلم ضد ما سماه «استبداد الاكثريات» فقال: «ان رجحان الاكثرية من حيث العدد لا يتضمن مطلقا رجحانها من حيث الكفاية أو الميل الى الخير، وحتى لا يتضمن رجحانها من حيث القوة والبطش. والحكمة من نصيب الأقليات اطلاقاً، كما أن من نصيبها الاخلاص والاستقامة تغليبا. فى حين أن اليأس والسلطان لا يعوزانها فى أكثر الحالات». وفى هذا تأييد لقول سير «هنرى مين» اذ قضى بحكم قاطع «فى أن عمل الاقليات، التى كانت فى بعض الاحيان اقليات ضئيلة، هو الذى كون لانجلترا صيتها القصى وسلطانها العريض»

ولاحظ الكاتب المعروف «جيمس ماديسون»: «أنه فى كل الحالات التى تربط فيها المصالح المشتركة أو الشهوات بين الأكثريات تكون حقوق الاقليات فى خطر محقق» وقضى بأن «الدواء الوحيد هو أن يوسع أفق الحكم وتقسم الجمعية الى عدد عظيم من الأحزاب والفرق التى تمثل كل منها ناحية من نواحى المصلحة، كى يتعذر بذلك نشوء ما يسمى (ارادة الأكثرية) بحال من الاحوال. ولقد حاول أحد حكام المديريات فى الولايات المتحدة أن يطبق هذه النظرية ليتقى بذلك شر تحكم الاكثريات، فاتخذ للتمثيل النيابى قاعدة «الملكية» وقاعدة العدد معا، ولقد نجحت هذه «الحيلة» السياسية بعض الشىء فى التوفيق بين رغبة البيض فى الحكم المطلق وتمثيل العبيد فى مجالس النيابة.

ولكن العقدة الحقيقية لم تحل بهذا وحده. فقد فكر حاكم آخر هو الحاكم «كانون» المعروف بمؤلفاته القيمة فى أن يحمى الجمعية لا من استبداد الأكثرية العددية لاغير، بل فى حمايتها من استبداد «الاقليات المنظمة» أيضاً. قال كلما كانت المملكة أوسع نطاقا وأوفر فى النسمات عدداً، وكلما اختلفت حالات الرعية وتنافرت الاغراض والأهواء، كانت الصعوبة التى تحسها الحكومة فى معاملة رعاياها على مقتضى ما تتطلب فكرة المساواة الديمقراطية أعظم وأعقد، وأصبح من الهين على فريق معين من الجمعية أن يستبد بفريق آخر ويعبث بمصالحه ويسلبه حقوقه. وعلى هذا ينبغى أن يقوم أساس التمثيل النيابى على مراعاة «العدد» ومراعاة المصالح. وسمى الأكثرية العددية «الأغلبية المطلقة» وسمى الاكثرية المصلحية «الاغلبية المشتركة» أو بالأحرى (أغلبية التشارك)

على أن لأغلبية التشارك ميزة على الأغلبية المطلقة، أو بالاحرى الاكثرية العددية، تنحصر فى أنها تقلل من متاعب الحكومات بالاقلال من عدد الذين يبرمون المشكلات العامة. ولكن لا يخفى مع هذا ان اختيار الوسيلة التى يجب أن تتبع فى تحديد نسبة معينة للتمثيل النيابى، وفى وقاية الحكومة من طغيان المصالح الخاصة، ثم وقاية الاقليات فى الوقت نفسه، لمشكلة من أعقد المشاكل التى تواجهها الجمعيات الديمقراطية فى العصر الحديث.

ففى ظل النظام الحاضر فى الولايات المتحدة مثلا، يقوم التمثيل النيابى على قاعدة الاكثرية العددية. وهذا على ما يظهر من طبيعة الاشياء ادنى صور الحكم النيابى الى السهولة، وأبعدها عن التعقيد، بل نقول انه يلوح فى الظاهر انه أقرب أشكال الحكم

الى تحقيق ما تتطلب الديمقراطية من المساواة . ولكن على الرغم من كل ما يلوح في هذه النظرية من البساطة والغرارة ، فانها غير مطبقة في الواقع . فان اختلاف الولايات التي تتمتع بالحكم التمثيلي من حيث السعة، كما ان النسبة التمثيلية التي تحتم الظروف ان يجري عليها انتخاب مجالس التشريع، كلاهما يجعل مناقضة هذه القاعدة والفكاك منها امرا محتوما . ففي احدى وثلاثين ولاية من الولايات المتحدة تقع على شرائط نيابية تجعل حكم الاكثرية العددية مستحيلا . خذ مثلا لذلك جزيرة رود Rhode فانك تجد ان كل مدينة لا يحق لها أن ترسل الا نائبا واحدا ليمثلها في مجلس سناتو الولاية.. وعلى هذا تجد ان مدينتين مثل « بروفدنس » وتعدادها ٢٥٠/٠٠٠ « وبوتكت » وتعدادها ٦٤/٠٠٠ نسمة تهزمها لدى التصويت البرلماني ثلاث قرى اذا اتحدت مثل « جرينتش » وتعدادها ٣٦٧ « وفوستر » وتعدادها ٩٠٥ « وشارلسترن » وتعدادها ٧٥٩ نسمة . اما في « كونتكوت » فلكل مدينة ممثلان . وبذلك تجد أن مدائن لا يزيد عددها على ٢٥٠ نسمة تمتع بنفس النسبة التمثيلية التي تمتع بها مدنا عظيمة يزيد تعدادها على ١٠٠٠٠٠ نسمة. وفي ولاية «أوهيو» خمسة اقاليم صغيرة تعدادها ٦٧٢٨٢ ولها في الوقت نفسه نفس النسبة التمثيلية التي لغيرها من الاقاليم العظمى مثل أقليم «فرنكلين» ولا يقل تعداد النسمات فيه عن ٣٥٩٤٥٩ نسمة. ثم تجد ان أربعة عشر أقليما تعداد نسماتها ٢٢٦٢١٢ يمثلها أربعة عشر نائبا . وأقليما واحداً هو أقليم « كوياهوجا » وتعداده ١٢٠١٨٤٢ وليس له أكثر من سبعة عشر نائبا ، فزيادة نسبة العدد في أقليم « كوياهوجا » تبلغ ستة اضعاف ما في الاربعة عشر أقليما الأولى . ولكن قيمة الإضعاف الستة لا تساوي في تشريع الولايات المتحدة اكثر من ثلاثة نواب

والمحصل من هذا كله ان جماعات الريف في الولايات المتحدة تمنح من السلطان في الحكم والتشريع أضعاف ما تستحق عدديا لينتقص المشرع بهذه الوسيلة سلطان الاكثرية في المدائن العظمى . ولا يمكن أن يقال مع مثل هذا النظام ان التشريع هنالك خاضع لارادة الاكثرية العددية . وعلى هذا تجد ان مجالس التشريع في الولايات المتحدة غير خاضعة لا لما سميناه الاغلبية المطلقة ، ولا لما سميناه «اغلبية التشارك» ، ولكنها على الرغم من ذلك « ناقصة » من ناحية انها لا تجعل رأى الاكثرية راجحا على الدوام ، وهذا النقص آت من ناحية عدم مجاراتها لمفهوم النظريات الديمقراطية القائمة على تغليب الاكثرية العددية اطلاقا وبلا حساب ، بل وبلا تقدير لأية نتيجة من النتائج التي تترتب على تغليب الاكثريات تغليبا يؤدي بها الى الاستبداد . على أن كثيرا من العوامل ذات الاثر في احكام النظام الداخلي في مجالس التشريع ، وفي نظام اللجان ، وفي الدور الذي تلعبه الاحزاب بحيلها المعروفة ، ووسائلها التمردية يقضي حتما الى حالة يخضع معها التشريع ، ولو خضوعاً نسبيا ، الى الاقليات الصغيرة .

فهل لنا ان نتساءل : هل تحكم الاقليات العالم متسترة بقناع التعبير عن ارادة الاكثريات ؟ وهل الديمقراطية على ما نفهمها من الكتب غيرها لدى التطبيق ؟ وهل لنا أن نتخيل ان « الوهم » هو الذي يسوق الناس الى حيث يريد بهم تفاعل قوى انسانية مسلطة عليهم ؟ وهل لنا مع هذا أن نعتقد ان الاختيار لدى الجماعات أضعف اثرا منه في الافراد ؟ بل نتساءل هل الفردية هي القوة الشاملة التي تحتكم في نظام الاشياء الانسانية ؟

أ . م

حول مقال (تين)

نشرنا في العدد الثامن عشر مقالا عن (تين) بعث به الينا من حلب السيد صبحي العجيلي . ولم يدر بخلدنا أن شهوة النشر تدفع بأحد شبابنا الى أن يطفئها من منهل غير مشروع ، حتى أرسل الينا الفاضل عبد الحليم محمد حمودة من ادباء الاسكندرية مقالا عنوانه (لصوص الأدب) يثبت فيه أن مقال العجيلي منقول برمته عن كتاب الدكتور هيكل (تراجم مصرية وغربية) وقد رجعنا الى هذا الكتاب فوجدنا النقل ظاهرا لا شبهة فيه

فهل يريد هؤلاء السادة أن نطالع كل كتاب ونطلع على كل صحيفة قبل أن ننشر شيئا في الرسالة ؟ ! ذلك ما لا يضطلع به الجهد ولا يتسع له الوقت ولا يزكو به الأدب !

قصة الحارس

كان الأديب السيد محمد المدني المعلم بمدرسة الصناعات الزخرفية موفقاً في ملاحظته على ترجمة السيد محمد ناجي الطنطاوي الدمشقي لهذه القصة فقد قال إن المترجم على دقته أخطأ فهم الأصل في كثير من المواضع فجاءت الترجمة شوهاء خاطئة . مثال ذلك أنه ترجم هذه الفقرة : J'avais placé là, comme garde un ancien gendarme en retraite, un brave homme, violent, sévère sur la consigne, terrible aux braconniers et ne craignant rien

بقوله .. « مكثت هناك كالحارس أو كشرطي متقاعد شجاع شديد البأس على باب قلعته، وكنت لا أخاف شيئا » والصواب : « وهناك أقمت للحراسة جندياً متقاعداً طيب القلب شديد البأس لا يهاب شيئاً، يحرص كل الحرص على فعل ما يؤمر به ، شديد البطش بمن يحاولون الصيد في أرض غيرهم. وترجم Je me suis mal exprimé بقوله (فأقمت عنده باسم مستعار) والصواب (أني أسأت التعبير عن قصدي)

من صور بغداد

حديقة ..!

كان ألذ ما أتذوقه من جمال بغداد وقفة في حديقة النادي العسكري كل صباح!! فكنت تراني أحرص عليها حرص العابد المتحنث على أداء صلاته، أو العاشق المتوجد على لقاء فتاته، كنت أغشى كل يوم هذا المجتلى الساجر في رونق الضحى أو في متوع النهار، فأجد الشمس قد لألأت ذوائب النخل وغوارب النهر، وأخذت ترشق بأشعتها الظلال الندية من خلال الشجر، وبنات الهديل يبحثن كعادتهن في عساليج التين وأغصان التوت بأرجلهن ومناقيرهن، وهن يرجعن على التعاقب ألحان الخريف؛ والحديقة مطلولة النبات منضورة الزهر تتنفس بالفاغية تنفس الطفل الحالم؛ والسكون مرهوب الجلال أنيس الوحشة يعمق ثم يعمق حتى تكاد تسمع النبات وهو ينبت!؛ والنادي خلواً من اهله فلا تجد إلا بستانياً يعمل في صمت، وغلاماً يكنس في هدوء، وطفلين جميلين يجيئان أحياناً فيجلسان في الشرفة أو يمشيان في الحديقة، فلولا نشوز خادمهما الكهل، ومنظر هندامه الزري الشكل، لحسبتهما زهرتين من زهورها، أو عصفورين بين طيورها، ! فأسير في الروضة متئد الخطى مرسل النفس مرهف الحس، تارة بين مماشيها، وتارة فوق حواشيها، فأقف عند كل شجرة، وأحيي كل زهرة، وأسأل النبتة الوليدة بالأمس ماحظها اليوم من سر الحياة ونعمة الوجود! ثم أصعد درجة الى الشرفة، وأنعم ساعة بتلك الوقفة، فأتنسم هواء النهر ملء رئتي، وآخذ جملة المنظر بمجامع عيني، ! وأي منظر يسحر اللب ويملك الطرف كهذا المنظر الفاتن؟! الحديقة من ورائي تضوع بالنسيم الأريج وتروق بالرواء البهيج وتروع بالسكون الملهم! ودجلة الخالد من أمامي تتجاوب أصداء الأمم خافقة في لجاجه. وتتهادى خفاف القوارب راقصة بين أمواجه. وأنا بين الشجر والماء كالطائر بين الأرض والسماء، يسبح خاطري في أجواء الماضي القريب والبعيد صاعداً الى فكرة، أو هابطاً على ذكرة، أو حائماً حول منظر كهذا المنظر تدفق به قلب في قلب وامتزجت فيه نفس بنفس، وتجمعت الأحلام والأماني كلها فوق رقعة صغيرة من أرضه. وتحت سرحة فينانة من روضه!

***

لا تظنن هذه الحديقة فيحاء قد تأنقت فيها يد الطبيعة وتألق بها فن الانسان! إنما هي مربع من الأرض على قدر ما يتسع له فناء كبير في منزل فخم، يشقها ممشيان معروشان قد تعارضا على شكل صليب فقسماها الى أربعة أقسام سواء، وفي هذه الأقسام وما ألحق بها قام دوح السدر، وبسق سرح الكافور، وانتظمت على جوانب مماشيها أشجار النارنج، وانتثرت على معظم أرضها الوان قليلة من النور الجميل والورد العطر. فسماؤها كما ترى للشجر وارضها للزهر وجوها للعطر وهي كلها لنوع من الجاذبية يجعلها على بساطتها فتنة الفنان وجنة المفكر!

ليت شعري ما مصدر هذا السحر الذي يشع في عيني ويشيع في نفسي كلما دخلت هذا المكان؟ أهو ذاك البناء المتأكل الذي يقوم في جنوبيه كأنه المعقل البالي أو الدير المهجور، أم هو ذلك النهر الجليل الذي يجري في غربيه كأنه الزمن الدافق أو الكتاب المنشور، أم هو ذلك المزيج العجيب من جلال القدم في المكان وجمال الطبيعة في البستان وعظمة الحياة الماثلة في النهر؟؟

***

ليس للروح العسكري في هذا المكان الشعري مظهر ولا أثر. فما تعهده من الخشونة في الثكنات، والعنف في الحركات والقسوة في النظرات والكلمات، يحول هنا الى ذوق فنان ورقة شاعر وهدوء فيلسوف!

. . . .

. . . .

كادت هذه الخواطر الجريئة الملحة تذهلني عن حديقتي واليوم عيد من أعياد الطبيعة برزت فيه عارية من الحلل غانية عن الحلي! والخريف في العراق هو الربيع احترقت

غلائله الوردية فى لظى يوليو !! فهو على تجرد أرضه من ۷۸۱ مافنيت فى خريرك ضحكات ، وامتزجت بنميرك دموع .

الانوار والأزهار ، وتحجبُ سمائه أحياناً بالغيم وأحيانا بالغبار ، جميل البسمات عليل النسمات رفاف الاديم . فها نحن أولاء بين أعقاب الخريف وطلائع الشتاء والشمس لا تزال فى ثغر السماء ابتسامة حلوة ! تضاحك النهر الحبيب فتزيده طلاقة . وتداعب الزهر الكئيب فتكسبه أناقة ، وتطالع الجو المقرور فتقبسه حرارة ، وتصارع برد الموت فى أوراق النارنج وأطراف التوت فتطيل بقاءها فترة اخرى من الزمن ! وهذه اليمامات السواجع ، مازلن يأوين الى أعالى الشجر يمرحن فى الضوء وينعمن بالدفء ويهتفن بالاهازيج كأنهن فى أمنة من حلول يناير وهومنهن على ليال قلائل !! وهذا دجلة السعيد يتنفس موجه بالنعيم ، ويطفح غرينه بالذهب ، ويقذف تياره بالغثاء والزبد ، بعد ماتخره القيظ فنش حتى انكشف ضميره ، وانقطع خريره ، وكاد يزحف الشبوط (١) والزورق فيه على القاع ! فالبواخر تصعد صافرات فى سرعة ، والاطواف (٢) تنحدر صامتات فى بطء ، والقُفف (٣) تعبر موقرات فى هوادة ، وقوارب الصيادين وزوارق الملاحين تتعارض وتتحاذى فى عباب النهر كأنها الخواطر الحائرة فى الفكر العميق ، والطيور الصائدة تحوم على وجوه الماء باجنحتها الشهب حومان الآمال على ستر الغيب الصفيق ، والبجعة (٤) الملكية تطعن فى صدور الموج بمنقارها الطويل العريض وهى تسبح آمنة فى حمى البيت العتيق ، وأنفاس دجلة اللاهث من عبء القرون تتصاعد الىّ حاملة انين الامواج وخفق المجاديف وغماغم الكرخ فتختلط بتجاوب اليمام على الشجر ، وتناوح الرياح بين الغصون ، وحشرجة الاوراق الذاوية على الارض ، فتتألف من هذه الاصوات الخافتة موسيقى روحية شجية تبعث رواقد الاحلام وتثير كوامن الآلام وتقطع بين النفس وبين وجودها الحاضر !!

***

ايه يا دجلة ياسجل الامم وراوية العصور ! لشدّ

وخفيت فى ضميرك اسرار !! لقد رأيتك بالامس ضارعا قد لصق خدك بالارض حتى هم بخوضك الخائض ، وهمدت حياتك حتى اوشك أن يسكن عرقها النابض ، ثم رأيتك اليوم وقد غاثك الغيث فجاشت ينابيعك الثرة بالنماء والثراء والقوة ، ثم أقبلت كدأبك منذ آلاف السنين داوى الدارات صخاب اللجج تعرضها ملحا على بنيك فيعرضون عنك اعراض البطر ، ويؤثرون على فيضك الميمون ودق المطر ، ثم يهينون كبرياءك يا أبا الحضارات فيجعلون مبلغ همك حمل الارماث ونقل القُفف ! فهل يعجبون اذا فار غضبك فجرفت السدود وجاوزت الحدود وأصبتهم بالغرق ؟ ....

أحمد حسن الزيات

نعى هين

ناعٍ سعَى بكتاب ودّ من حدبٍ   علىّ مما حواه لو يواريه !

فقلتُ - لا وَجِلَتْ نفسى ولا حفلت

أناعبٌ أم بشيرٌ من ألاقيه -

أدّ الرسالة لاتُحجمْ بها جزعاً   فليس يَكربُني من أنت ناعيه !

أثَمّ فى الناس مَن آسَى لفرقته   فأرهبَ الموتَ إذ تعدو عواديه؟

إنّ الزمانَ رَمَى كبرَى مصائبه   فما أبالى جديداً من غواشيه

وكيف يخشى الردى من ليس يَكربُهُ

لو أنّهُ اليوم مَن سارتْ مَناعيه

مَضَى الذى حطّمتْ قلبى مَنيّتُهُ   ومن وددتُ بروحى لو أفدّيه

من عشت أمرح فى شتّى مآثره   مدى الحياة وفى طولَى أياديه

ومن برَغمىَ أنى قد حييت وقد   حواه فى الأرض جافى الجنب نائيه

ومن أرَدّدُ عمرى ذكره وله   أحيا بقلبٍ ثخين الجرح داميه

كنزٌ من الود لم أقدُر نفاسته   حتى دهانىَ محتوم الردى فيه

أمسيت أبحث عن محض الوداد سدىً

وكان لى أمسِ أقصى ما أرجّيه

أقضى مع الناس عمراً خالياً صفراً   من الوداد كمن فى القفر يطويه

فخرى أبو السعود

---

(١) نوع من السمك

(٢) الاطواف كالارماث أعواد من الخشب توضع على قرب منفوخة يحمل عليها فى الماء

(٣) القفة نوع مستدير الشكل من السفن العراقية الاثرية يرجع تاريخه الى الكلدانيين

(٤) هذه البجعة تعيش فى القصر الملكى وهو واقع على النهر شمالى هذه الحديقة .

مطالعات فى التصــوف

عوارف المعارف . معرفة النفس

— ٤ —

ليس الباب السادس والخمسون من كتاب عوارف المعارف الذى أريد أن أحدثك عنه فى هذا الفصل بابا من أبواب التصوف فحسب. وإنما هو قد جمع الى المكاشفات الصوفية مذاهب فلسفية ونظريات سيكولوجية لها قيمتها من حيث إظهارنا على معرفة ماهية النفس والروح والقلب والعقل من ناحية. وفى الابانة عن علاقة هذه الأشياء بعضها ببعض واعتماد بعضها على بعض وتأثير بعضها فى بعض من ناحية أخرى..

ويرى مؤلف عوارف المعارف بادىء ذي بدء أن الكلام فى الروح صعب المنال. وأن الامساك عنه خير من التعرض له والاشارة اليه. فقد قال تعالى فى كتابه العزيز: « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » وهذه الآية الكريمة هى التى هبط بها جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود أن يخبرهم عن الروح وعن كيفية تعذيب الروح التى فى الجسد. ولم يكن قد نزل على النبي حتى ذلك الحين شىء فى الروح فنزلت هذه الآية. وهى تدلك دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض على أن معرفة ماهية الروح أمر مقصور على الله وحده. وإذن فكيف يتسنى لمخلوق أن يخوض فى هذا الموضوع أو يشير اليه وقد أمسك النبى عنه؟ أليس الأجدر بالانسان أن يتركه جانبا تشبها برسول الله واستمساكا بتأدبه؟ على أن الفلاسفة والعلماء لم يقفوا عند هذا الحد وإنما عرضوا للروح فتناولوها بالبحث والتحليل وحاولوا محاولات شتى، أرادوا أن يكشفوا بها عن ماهية الروح وكنهها ومصيرها بعد الموت. وهم فى محاولاتهم هذه اختلفوا فيما بينهم اختلافاً قويا تلمسه فى تضاعيف كتبهم التى أودعوها آراءهم ومذاهبهم. ومن هنا نرى مؤلفنا يقول أنه لم يوجد اختلاف بين أرباب النقل والعقل فى شىء كالاختلاف فى ماهية الروح. وأنك لتراه يقول أيضا إن من بين الذين تناولوا هذا الموضوع قوماً ركبوا متن الشطط فخرجوا على الشريعة وخالفوا أصول الدين. على حين أن من بين الذين استمسكوا بالشريعة وتكلموا فى ماهية الروح قوماً اعتمدوا فى تحليلهم للروح على الاستدلال والنظر. وقوماً آخرين كانت طريقهم طريق الذوق والوجد. ومن هنا خاض علماء الصوفية فى موضوع الروح وأرادوا تعرف ماهيتها، وكان الأولى بهم والأجدر أن يمسكوا عن ذلك تأدبا بأدب النبي

وبعد أن أظهرنا مؤلفنا على ما لمسألة الروح من خطر عظيم ودقة فائقة تعلو على إدراك الانسان. نراه يعمد الى تدعيم رأيه بذكر طائفة من أقوال المتصوفة رأوا رأيه وذهبوا مذهبه فى أن الروح أمر يتعذر إدراكه ويدق فهمه. ومن بين الأقوال التى ذكر قول الجنيد الذى جاء فيه: « الروح شىء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ». وقول ابى عبد الله النباجى الذى يظهر نافيه على أن الروح جسم يلطف عن الحس. ويكبر عن اللمس. ولا يعبر عنه بأكثر من موجود. »

وقد اختلف الناس فى الروح هل هو قديم أم محدث. واختلفوا أيضاً فى أمر الروح الذى سئل عنه رسول الله. فذهبوا فى ذلك مذاهب شتى وأدلوا بآراء تختلف فيما بينها اختلافا ظاهراً قويا. ولعل أهم ما يلاحظ على هذه الآراء انها تدور جميعا حول الروح الذى ليس فى الجسد. فانت ترى مثلا أن فريقا قد ذهب الى أن الروح الذى سئل عنه النبى انما هو جبريل. وان فريقا آخر قد انتهى الى أنه ملك. ومهما يكن من شىء فقد اتفقت هذه الآراء على أن الروح الذى هو من امر الله شىء آخر غير الروح الذى فى الجسد والذى يرى مؤلف عوارف المعارف أن الكلام فيه مباح غير محظور.

والروح التى فى البدن هي قوامه ودعامته استحق بها اسم الحياة. بها ثبت العقل وقامت الحجة. ولولاها لتعطل العقل ولما كانت له أو عليه حجته. هى جوهر مخلوق ولكنها الطف المخلوقات وأصفى الجواهر. بها تتراءى المغيبات ويكون الكشف لاهل الحقائق.

وتنقسم الارواح الى أقسام :ـ

(١) أرواح تجول فى البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة. وتسمع ما تتحدث به عن أحوال الآدميين.

(٢) أرواح تحت العرش

(٣) أرواح طيارة الى الجنان والى حيث شاءت من السعى الى الله أيام الحياة.

وإذا كانت الروح مخلوقة فقد قال بعضهم. انها خلقت من نور العزة وان ابليس خلق من نارها. وقال بعضهم :ـ قرن الله العلم بالروح فهى للطافتها تنمو به كما ينمو الجسم بالغذاء،

ويتناول مؤلفنا بعدما قدمت لك بسط آراء المتكلمين فى الروح، وهو يلاحظ أن أكثر متكلمى الاسلام يميل الى أن الانسانية والحيوانية عرضان خلقا فى الانسان يذهبهما الموت. وان الروح هي الحياة بعينها بها صار البدن حيا.. فاذا انفصلت عنه أصبح ميتا.

ولكنها اذا عادت اليه يوم القيامة عادت اليه الحياة

وذهب بعض المتكلمين الى أن الروح جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة، وهذا راى أبى المعالى الجوينى .

على أن السواد الأعظم من المتكلمين قد انتهى الى أنها عرض. ولكن هذا المذهب مردود عليه بالأخبار التى دلت على أن الروح جسم لما فيها من العروج والهبوط والتردد فى البرزخ . ومن ثم لا يمكن أن تكون الروح عرضا مادامت قد وصفت بأنها جسم . فليس الوصف الا معنى والمعنى لايقوم بالمعنى

وأما مصير الروح بعد خروجها من الجسد فقد حدثنا عنه مؤلفنا فيما أورد من كلام ابن عباس . سئل ابن عباس : أين تذهب الارواح عند مفارقة الابدان ؟ فقال : أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان ؟ قيل له : ـــ وأين تذهب الجسوم اذا بليت ؟ قال : فاين يذهب لحمها اذا مرضت ؟

وأكبر الظن أن آراء المتكلمين فى الروح ومذاهبهم التى اوجزها لنا مؤلف عوارف المعارف تكفى لاعطائنا صورة لابأس بها لهذا الخلاف الضعيف الذى كان بينهم حول مسألة هى من ادق المسائل واعوصها ان لم تكن ادق المسائل واعوصها جميعا . ولعل دقة المسألة وخطورتها آتيتان من حيث ان باحثها مضطر بحكم بحثه الى أن يعرض لما جاء به الكتاب والسنة . ثم هو مضطر فوق هذا الى ان يلائم بين رأيه وبين مادعا اليه الكتاب والسنة . ومهما يكن من شيء فقد رأى المتكلمون أنفسهم امام مايقـــال لهم من ان الموجودات محصورة . فكل موجود أما أن يكون قديما اوجسما أوجوهرا أو عرضا . ومن هنا كان لابدلهم من أن يتعرفوا ماهية الروح ويطبقوا عليها هذا الذى قيل لهم عن حصر الموجودات . فهل الروح قديمة ؟ هل هى جسم ؟ هل هى جوهر ؟ هل هى عرض ؟ تلك اسئلة رأوا انفسهم مضطرين الى الاجابة عنها . وقد أجابوا عنها بالفعل . فرأى فريق منهم ان الروح قديمة لانها امر والامر كلام والكلام قديم . ورأى فريق آخر انها جسم . وذهبت طائفة الى انها جوهر ، وطائفة اخرى الى انها عرض كما اشرت الى ذلك آنفا . ويرى أبو طالب المكى أن الارواح اعيان فى الجسد كما يرى ان النفوس كذلك . فهو يقول ان الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور فى القلب يراه الملك فيلهم الخير عندئذ . وإن الروح تتحرك للشر فتظهر فى القلب ظلمة يراها الشيطان فيقبل حينذاك بالإغواء.

يتبع

محمد مصطفى حلمى

ماجستير فى الآداب

قص الشـــعر فى الادب العربى

نشرت الأهرام كلمة تحت عنوان « مبتكر مودة قص الشعر » ذكر الكاتب فيها نقلا عن احدى المجلات الانجليزية أن مبتكر هذه الطريقة هو المسيو سير بليغوسكى البولندى المعروف وهو يقيم الآن بلندن ، والذى أعرفه أن هذا النوع نشأ من عصر بعيد . فقد يجد الباحث فى الأدب العربى كثيرا من الصور الشعرية يعرف منها كيف نشأت هذه الطريقة فى العصور العربية الزاهية أيام سلطان العباسيين بالمشرق وبنى أمية بالاندلس، ذلك العهد الذى مال فيه العرب الى كثير من ألوان الترف واطمأنوا فيه الى الدعة وخفض العيش . ولقد كان من آثار هذا الاغراق فى النعيم والافتنان فى أساليبه أن كانوا يعبثون بشكل الفتاة الطبيعى فيقصون شعرها ابتغاء منظر طريف يمتعون به عيونهم فى مجالس الشراب ، كما كان يجد الشعراء فى ذلك لذة فنية تعينهم على اتساع مدى خيالهم الشعرى . ويطلقون على هذه الفتاة الصغيرة (جارية غلامية) ولم يك هذا النوع من العبث بالشكل الطبيعى مقصورا على الفتيات، فقد كانوا يضعون الاقراط فى آذان سقاتهم من الغلمان ويطلقون على كل منهم (غلام مقرطق) وسيجد القارىء فى هذه الصورة تأييدا لما ذكرت

قال عامر بن شهيد أحد شعراء الأندلس يمدح أميرا ينتسب الى الاسرة العامرية ، وقد استهل قصيدته بوصف الخمر وأدواتها والجارية التى قامت على الشراب :

أذن الديك فتب أو ثوب   وانضح القلب بماء العنب
وتأمـــل آية معجزة   مـاقرأنا مثلها فى الكتب
ركع الابريق من طاعته   وبكى فابتل ثوب الاكوب
ولول المزهر ينفى طربى   وتطربت فأعيـــا طربى
وربيب قام فينا ساقيا   كالرشا أرضع بين الربرب
ظبية دون الظباء قصصت   فأتت غيداء فى شكل صبى
فتح الورد على وجنتها   وحمـاه صدغها بالعقرب

والذى ينظر إلى البيت السادس يعرف جيدا كيف كانت (مودة قص الشعر) معروفة بين الأندلسيين . ولعل أول من نقلها إليهم زرياب (المغنى المعروف) فقد وفد من المشرق فى عهد الرشيد بعد أن حقد عليه استاذه اسحاق الموصلى فأقام كثيرا من عادات البغداديين فى ربوع قرطبة وماجاورها وأحدث ترآخامسا للعود . فمن المؤكد اذن ان هذه الطريقة نشأت فى الدولة العربية ويرجح انتقالها من بغداد الى قرطبة لسبق الأولى فى الحضارة نتيجة اختلاط العرب بالفرس واليونان ولاسيما بعد الفتح العربى ؟

علي شرف الدين

دبلوم دار العلوم

فلســـفة ليبنتز

Gottfried Wilhelm Leibniz

١٦٤٦ — ١٧١٦

للأستاذ زكى نجيب محمود

١ — نظرية ذرات القوة   ٢ — التآلف الأزلى
٣ — نظرية المعرفة   ٤ — الله والعالم

لست أدرى كم ندنو من الحق حين نقرر أن لكل أمة طابعا فى التفكير يطبع انتاجها الفكرى بوجه عام ، ولولا أن ما تبادله الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين والاستاذ العقاد لم يجف مداده بعد ، لزعمت هذا التقسيم فى يقين لا يعرف الشك . ألا تتميز انجلترا بالنزعة الواقعية Realism والمانيا بالنزعة التفكيرية Idealism ؟ أليست انجلترا مهدا للأفكار العملية التى تقف عند الواقع المحس « لا تعدوه » بل تكاد ألا تعترف بما وراءه . أليست المانيا منبتا خصبا للمجهود العقلى العميق ، الذى يضرب فيما وراء الطبيعة ، ويوشك ألا يعترف لهذا العالم المادى بحقيقة أو وجود ، ثم أليست فرنسا موطنا للنزعة الرياضية ؟ ألا يتميز الرجل الانجليزى بالوضوح الذى أدى به الى التمسك بالحقائق الواقعة ، والفرنسى بالدقة التى طوحت به فى بيداء اللا أدرية والشك ، لأنه ينشد حقا يبلغ حد اليقين الرياضى فلا يجد . كما يتميز الألمانى بالعمق فى التفكير الذى انتهى به الى اعتبار الفكر أصلا للوجود ؟ عندى أن هذا كله حق يؤيده تاريخ الفلسفة .

ولم يكن ليبنتز فيلسوفا ألمانيا فحسب ، انما كان أب الفلسفة الألمانية الحديثة غير منازع ، أفتستطيع اذن أن تصور لنفسك عمق تفكيره وامعانه فى البحث عما وراء الطبيعة ؟ وقد شاء له ربك أن يكون مهبطا تجتمع عنده أطراف النقائض ، فيمثلها جميعا ، ثم يخرجها للناس فلسفة متحدة متجانسة ، فهاهو ذا قد تسلم ميراث ديكارت وسبينوزا من ناحية ، وباكون ولوك من ناحية أخرى . فالتقت لديه بذلك سلسلتان متضاربتان من التفكير ، احداهما (ديكارت وسبينوزا) تنكر الحقائق الفردية وتؤكد قانونها الخالد : أى أن هذا الانسان المعين أو تلك الشاة أو ذلك الطائر أو ما شئت من أفراد ، ليست حقائق مقصودة لذاتها ، انما هى مجرد تطبيق لقانون شامل ، فأما هذه الافراد فذاهبة مع الموت ، وأما ذلك القانون فخالد لا يعتريه الفناء . والأخرى (باكون ولوك) تسخر من كل هذا ، ولا تعرف الا هذه الحقائق الفردية التى نراها ونلمسها . التقى هذان المذهبان فى رأس ليبنتز فوقف منهما موقفا وسطا ، وأخذ من كل منهما بمقدار ، ففرض أن العالم يتكون من ذرات أولية لا تقبل التجزئة وليس لها امتداد . ثم زعم أن كل ذرة منها (يلاحظ أننا نستعمل كلمة ذرة هنا فى شىء من التجوز لأن الذرة المادية تختلف عن الذرة monad التى فرضها ليبنتز فى أن للاولى امتدادا وانها تقبل التجزئة ، وأما الثانية فروحية تتألف من القوة لا من المادة) حقيقة متميزة مستقلة الا أنها فى الوقت نفسه تشتمل صورة الكون بأسره فى جوفها وتمثله أدق تمثيل . وبقدر دقتها فى هذا التصوير والتمثيل يكون دنوها من الكمال ، فهى فردية من ناحية وكونية من ناحية أخرى . ولا بد لنا لكى نفهم ليبنتز على حقيقته أن نتناول بالشرح نظريته فى الذرات ثم فكرته فى ائتلافها ، كما نلم برأيه فى المعرفة وطريقة وصولها الى الذهن . وسنرى أنها محاولة أخرى للتوفيق بين ديكارت ولوك ، فقد مزج بين ما ارتآه الأول من وجود آراء فطرية تولد مع الطفل عند ولادته ولا تجىء عن طريق التحصيل ، وما ذهب اليه الثانى من أن العقل يخرج الى هذا العالم صحيفة بيضاء ثم تخط فيها التجارب ما تشاء .

١ — نظرية ذرات القوة monadology

مم تتكون أجزاء هذا الوجود ؟ مم يتكون هذا الرجل وذلك الماء وتلك القطعة من السكر ؟ يجيب ديمقريطس أن هذا الوجود على تباين ظواهره إنما يتكون من ذرات اجتمع بعضها الى بعض ، فكونت هذا الشىء أو ذاك . وينكر ديكارت وسبينوزا هذا القول ويؤكدان أن أجزاء العالم على اختلافها إنما تتكون من مادة كونية متحدة لا تنقسم الى أجزاء لأنها عنصر أولى واحد ، ولكن ليبنتز يرد الفكرتين جميعا ، فهذه المادة الكونية التى فرضها سبينوزا شاملة للوجود تبرز الكون حقيقة واحدة تتلاشى فيها كل الحقائق الفردية التى نصادفها فى الحياة العملية ، وتلك الجزئيات التى زعمها جماعة الذريين أصلا للاجسام ، لابد أن تكون — نظريا على الأقل — قابلة للتقسيم الى ما لا نهاية ، ما دامت قطعا من المادة ، لأن الذهن لا يستطيع أن يتصور جزءاً ماديا لا يقبل التجزئة ، وإذن فهى مركبة ونحن إنما نقصد الى إيجاد أبسط العناصر التى يمكن اعتبارها أصلا مطلقا للكون . فلا بد لنا من الإمعان فى البحث حتى ننتهى الى

عنصر لا يقبل التجزئة، ويكون له في الوقت نفسه وجود حقيقي ملموس. ولا تصلح النقطة الهندسية أن تكون هي العنصر المنشود. لأنها تحقق شرطاً واحداً وهو عدم قابلية التقسيم. ولكن لا يتوفر فيها الوجود الحقيقي، كذلك لا يجوز أن نفرض جسما ماديا كائنا ما كان حجمه، لأنه وإن توفر فيه الوجود الحقيقي، لا يحقق شرط البساطة، إذ لا يسعنا إلا أن نتصور إمكان تجزئته الى مالا نهاية له من الأجزاء. يقدم ليبنز هذا الاعتراض، ثم يزعم أن ذرات القوة هي العنصر المنشود. لأنها موجودة لا ريب في وجودها. وليست مادية حتى تتهم بامكان التقسيم، وهي فضلا عن ذلك منبثة في الكون بأسره. هذه القوى الأولية monads هي التي تتكون منها حقيقة كل شيء، فهي العنصر الذي ينبت منه المادة والروح على السواء. وهي تختلف عن المادة التي فرضها سبنوزا في انها ذرات فردية لانهائية في عددها وطبيعتها. اما مادة سبنوزا فهي كتلة متحدة متجانسة كما تباين ذرات ديمقريطس في أنها ليست مادة متينة بل مشحونة بالحياة والحركة. وهي ليست مجرد تكرار الصورة بعينها بل متباينة مختلفة الى أقصى حدود التباين والاختلاف في الكيف والفاعلية، حتى إنك لا تجد في الكون كله ذرتين متشابهتين، لأنه لو كان ذلك لكان خلق احداهما عبثا لا مبرر له. ولهذه الذرات القوية (نسبة الى القوة) خاصتان: فهي في آن واحد شاملة للكون ومنعزلة عنه. هي من ناحية وحدات بسيطة مستقلة وليس لها نوافذ تطل منها على العالم الخارجي أو ينفذ لها شيء منه، لا يمكن أن توجد من عدم كما يستحيل أن تعدم بعد وجود الا بارادة الله. كل واحدة منها عالم صغير يسير بمقتضى طائفة من القوانين كما لو لم يكن في الوجود غيرها سوى الله. وهي من ناحية أخرى شاملة للكون، لأنها وإن تكن منعزلة بنفسها مستقلة في سيرها إلا أن لها من القوة ما تستطيع به أن تمثل كل ما يحتوى الكون من ذرات قوية، أو بعبارة أخرى كل ذرة ينعكس فيها الكون كله، بحيث لو استطعنا أن نصل إلى فهم واحدة فقد فهمنا الكون بأسره. فكل واحدة تحمل في طياتها ماضي العالم ومستقبله. ويعزو ليبنتز إلى هذه الذرات نوعا من الادراك يختلف عن ادراك الكائنات المفكرة، أي أن هناك درجات للادراك لا نهاية لها، ومعنى ذلك أنه لا يعترف بوجود المادة الميتة، انما أجزاء المادة جميعا ضروب من الأحياء تختلف في كمية الحيوية والتفكير. وبعبارة أخرى يقول: أن هناك درجة من الإدراك الصحيح الكامل، ثم يأخذ هذا الادراك في النقص والغموض كلما نزلت في سلم الكائنات، وكلما كان ادراك الذرة واضحاً وتصويرها للكون دقيقاً. كانت أكثر حيوية وأحد نشاطاً. والله تعالى هو وحده القادر على أن يكون له ادراكات واضحة لا يشوبها شيء من غموض أو ما يشبه الغموض. واذن فهو وحده عبارة عن فاعلية خالصة ونشاط مطلق، وكل مخلوق سواه من الانسان فنازلا الى أحط الكائنات، يكون فعالا من ناحية ومنفعلا من ناحية أخرى، وهذا الجانب المنفعل من الذرة، أي الجانب السلبي، هو ما يسمى بالعنصر المادي. أي أن وجود المادة السلبية في الذرة القوية هو الذي يحول دون وضوح ادراكها. وبعبارة واضحة. كلما رجحت في الكائن كفة الجانب الروحي الفعال على العنصر المادي السلبي كان أكثر وضوحا في ادراكه

وانك لترى العالم مليئا بهذه الذرات المدركة، كل منها مستقل منعزل. ومع ذلك لن تجد بينها فواصل تباعد بينها، بل هي متداخلة بعضها في بعض، متصلة على أشد ما يكون الاتصال، وهذا ما يسميه ليبنتز بقانون الاستمرار. فليس ثمة تناقض أو اضطراب، أبدأ من المادة الجامدة الى العقل المفكر تجدة طريقا واحدة متصلة يتزايد فيها الادراك شيئاً فشيئا في تدرج غير محسوس وسر من النبات الى الإنسان فسترى أنك انما تسلك سبيلا ليس فيها حوائل أو عثرات. بل تعلو بك قليلا قليلا حتى تنتهى إلى قمة الجبل دون أن تشعر بالصعود!

ويشير ليبنتز الى مراحل ثلاث تجتازها في طريقك من الكائنات الدنيا الى طبقاتها العليا. فذرات الطبقة السفلى. أي ذرات الجماد والنبات تدرك وكفى. فهي أشبه ما تكون بالأحياء الغافية أو النائمة التي لا يرتفع ادراكها الى درجة الشعور. والمرتبة التالية لتلك هي ذرات الحيوان، ولها فوق الادراك ذاكرة. ولكنها لا تسمو الى درجة العقل، وادراكها شبيه بالاحلام الغامضة، ثم تجيء الكائنات البشرية فوق تلك المرتبة، وهي التي وهبت عقلا وشعورا بالذات. ويذكر ليبنتز ان الله تعالى هو اسمى هذه المراتب جميعا فبينما نراها تتفاوت في ادراكها غموضا ووضوحا، ترى ادراكاته سبحانه وتعالى واضحة كلها.

وليست هذه الذرات مطمئنة الى مراتبها راضية بمقامها، بل تسعى كل واحدة سعيا متواصلا الى السمو والارتفاع نحو الكمال لا ترضى به بديلا. فهي دائبة أبداً. لا تدخر وسعا لكي تحقق هذا الكمال الأسمى بانتقالها من مرتبة الى مرتبة حتى تصل الى هدفها المنشود، وليس من شك في أن ليبنتز كان بذلك القول بشيرا بمذهب دارون الذي لا يعدو جوهر هذا التطور نحو السمو والكمال.

(تتمة المقال في العدد الآتي)

في الأدب العربي

ابن خلدون ومكيافيللي (1)

للأستاذ محمد عبد الله عنان

(تتمة)

١ — « ليس على الامير ان يجزع لما يناله من لوم على تلك الرذائل التي لايمكن دونها انقاذ الدولة الابصعوبة . ذلك أنه اذا بحث كل شيء بعناية ، ألفينا ان شيئا يبدو كالفضيلة ، اذا أتبع فانه يؤدى الى خرابه (أي الأمير) ، وألفينا شيئا آخر يبدو كالرذيلة ، اذا اتبع فانه مع ذلك يؤدى الى سلامه ورخائه »

٢ — « ليس اكثر تبديدا للنائل من الجود والبذخ إذ سرعان ماتعجز عن مزاولتهما ، وتغدو اما فقيرا او محتقرا ، او تغدو اذا أردت ان تجتنب الفقر ، جشعا مكروها . ويجب على الأمير ان يحرص قبل كل شيء على أن لا يكون محتقرا او مكروها . وإذن فخير ان يشتهر الأمير بالوضاعة التي تثير اللوم دون بغض من ان يرغم الانسان من طريق البحث عن الشهرة بالجود ، ان يوصم بالجشع الذي يثير اللوم والبغض

٣ — « كان بورجيا يعتبر قاسيا ، ومع ذلك فان قسوته ارضت رومانيا (من الولايات البابوية) ووحدتها ، ووردت اليها السلام والولاء . ولو تأملت ذلك حق التأمل لرأيت انه كان اكثر رحمة من الشعب الفلورنسي ، الذي أراد أن يتجنب الشهرة بالقسوة فترك بستويا حتى خربت . وإذن فمادام الأمير قادرا على الاحتفاظ لشعبه بالوحدة والولاء ، فليس عليه ان يهتم بوصمة القسوة لانه بذلك يكون اكثر رحمة من أولئك الذين يفرطون في استعمال الرحمة ، فتثور القلاقل ، ويعقبها القتل والنهب »

٤ — « وهنا يبدو سؤال : أخير أن يحب الانسان من أن يرهب أو يرهب من أن يحب ؟ ويمكن أن نجيب بأنه من المرغوب ان يكون الانسان محبوبا مرهوبا ، ولكن مادام اجتماعهما في شخص واحد غير ممكن ، فانه خير واكثر سلامة ان يرهب الانسان من أن يحب اذا وجب ان يتصف بأحدى الصفتين »

٥ — « لا يستطيع الأمير العاقل ولا يجب عليه أن يحفظ العهد اذا كان مثل هذا الوفاء قد ينقلب ضده ، واذا لم يبق للاسباب التي حملته على قطعه وجود »

٦ — « وإذن فليس من الضروري أن يتصف الأمير بالخلال الحسنة التي ذكرتها ، ولكن من الضروري أن يبدو كأنه يتصف بها . . ولا يستطيع الأمير ، ولا سيما الأمير الجديد ، أن يراعى كل الأمور التي يقدر الناس من أجلها ، لأنه كثيرا ما يرغم ، لكى يحفظ الدولة ، على أن يتصرف بغير ما يقضى به الاخلاص ، والصداقة ، والانسانية ، والدين . وإذن فمن الضروري أن يكون عقله متأهبا ليعمل طبقا لتقلب الريح والحظ »

٧ — وقال مشيرا الى سياسة ملك أسبانيا فرديناند الكاثوليكي ضد المسلمين عقب سقوط غرناطة : « إنه ينتحل الدين دائما عذرا للقيام بأعمال عظيمة ، وقد ثابر بقسوة صالحة على اخراج المسلمين من مملكته وتطهيرها منهم ، وليس ثمة أبدع من هذا العمل وأندر منه » (1)

نستطيع من هذه النماذج الموجزة أن نفهم روح الفلسفة المكيافيللية في تصوير الدولة والأمير . وهي فلسفة تقوم على الحقائق العملية ، وتحل هذه الحقائق على رغم جفائها وروعتها المكان الأول في بناء الدولة ، وفي سياسة الأمير . فالنفاق والشح والوضاعة ، والقسوة والإرهاب ، والغدر والنكث بالعهد . واهدار الاخلاص والصداقة والأمانة والدين ، وما اليها مما ينافي المثل الفاضلة وتأباه الأخلاق والإنسانية ، ليس مما تنكره الفلسفة المكيافيللية ، ولا مما يشين السياسة التي تقوم عليها . ومن ثم كان الأمير أو السياسي الأمثل في نظر مكيافيللي طاغية لجأ في تأييد سلطانه الى أروع الوسائل وأشنعها مثل البابا اسكندر السادس ، وابنه شيزاري بورجيا (دوق فالنتينو) (2) . ويتناول مكيافيللي طرفا من حياة شيزاري

(1) من كتابه « ابن خلدون » الذي يظهر هذا الاسبوع

(1) راجع الترجمة الانجليزية لكتاب الامير The Prince ص ١٢٣ و ١٣٠ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٧٨ (الطبعة المشار اليها)

(2) البابا اسكندر السادس أو اسكندر بورجيا تولى البابوية من سنة ١٤٩٢ الى وفاته سنة ١٥٠٣ وابنه شيزاري طاغية رومانيا وبعض الولايات الايطالية الاخرى ولد سنة ١٤٧٦ وتوفى سنة ١٥٠٧ بعد خطوب وحوادث عظيمة ، واشتهر بالجرأة والغدر والقسوة الرائعة

بورجيا الذى عرفه واتصل به فى رسالة خاصة، ويبدى اعجابه بتلك الخطط والوسائل الدموية التى ابتدعها ودبرها شيزارى للبطش بخصومه من الامراء والقادة وقتلهم غدراً أو غيلة. ومن ثم كان ذلك الطابع الاسود الذى مايزال يدمغ « السياسة الميكيافيللية » الى عصرنا. بيد أنه من الحق أن يقال ان المفكر الايطالى يبدى فى صوغ فلسفته كثيرا من القوة والبراعة وبعد النظر، وان هذه النظريات والمبادىء التى قد يحكم عليها من الوجهة النظرية الخالصة، كانت وما زالت على كر العصور قوام السياسات الظافرة، وما تزال الى يومنا عنوان السياسة العملية القوية.

(٢)

يتناول ابن خلدون كما قدمنا موضوع الدولة والملك بإفاضة ويبحثه من نواح أوسع وابعد مدى، ويتفوق على مكيافيللى تفوقا عظيما فى معالجته من الناحية الاجتماعية. ويلتقى المفكران العظيمان فى مواطن كثيرة. مثال ذلك ما يقوله ابن خلدون فى فاتحة مقدمته عن قيمة التاريخ فى درس أحوال الامم، ثم أقواله عن آثار البطش والسياسة العاسفة فى نفوس الشعب، وعن خلال الأمير وتطرفه أو توسطه فيها، وعن حماية الدولة وأعطيات الجند، وعن منافسة الأمير للرعية فى التجارة والكسب؛ وعن تطلع الأمير إلى أموال الناس وأثر ذلك فى حقد الشعب عليه، وعن تطرق الخلل إلى الدولة وامتداد يد الجند الى أموال الرعية، وكذا ما يقوله عن كتبة (سكرتارية) السلطان (١) فهذه كلها نقط أو موضوعات يعالجها مكيافيللى أو يقترب منها سواء فى كتاب الأمير أو فى كتاب آخر له هو « تاريخ فلورنس » Istorie Fiorenitine تتخلله تأملات فلسفية واجتماعية كثيره (٢). وقد لا يتفق مكيافيللى مع ابن خلدون دائما فى الرأى، أو فى منحى التفكير، ولكن كثيرا مما يقوله المفكر العربى يتردد صداه فيما يقول المفكر الايطالى. فابن خلدون هو بحق استاذ هذه الدراسة السياسية الاجتماعية التى تناول مكيافيللى بعده بنحو قرن بعض نواحيها؛ وهو بالأخص صاحب الفضل الأول فى فهم الظواهر الاجتماعية وفى فهم التاريخ وحوادثه وتعليلها، وترتيب القوانين الاجتماعية عليها بهذا الأسلوب العلمى الفائق

قال العلامه الاجتماعى جمبلوفتش: « إن فضل السبق يرجع بحق الى العلامة الاجتماعى العربى (ابن خلدون) فيما يتعلق بهذه النصائح التى أسداها مكيافيللى بعد ذلك بقرن إلى الحكام فى كتابه « الأمير ». وحتى فى هذه الطريقة الجافة لبحث المسائل، وفى صبغتها الواقعية الخشنة، كان من المستطاع أن يكون ابن خلدون نموذجاً للايطالى البارع الذى لم يعرفه بلا ريب »(٣). وقال استفانو كلوزيو مقارناً ابن خلدون بمكيافيللى: « اذا كان الفلورنسى العظيم (مكيافيللى) يعلمنا وسائل حكم الناس، فانه يفعل ذلك كسياسى بعيد النظر، ولكن العلامة التونسى (ابن خلدون) استطاع أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية كاقتصادى وفيلسوف راسخ، مما يحمل بحق على أن نرى فى أثره من سمو النظر ومن النزعة النقدية ما لم يعرفه عصره (٤)».

وقد نتساءل أخيرا، هل وقف المفكر الايطالى على شىء من تراث ابن خلدون واسترشد به، أم وقف على شىء من آثار المفكرين المسلمين قبله فى موضوع السياسة الملكية وانتفع بها؟ نعتقد مع العلامة جمبلوفتش أن مكيا فيللى لم يعرف حين كتابة « الامير » شيئا عن ابن خلدون أو عن آثاره، ولم يعرف من جهة اخرى شيئا من آثار المفكرين المسلمين فى موضوعه. صحيح أن بعض نواحى التفكير الاسلامى كانت معروفة فى أيطاليا قبل مكيافيللى وفى عصره، وكانت ثمة علائق فكرية قديمة بين مسلمى الاندلس وشمال افريقية، وبين المجتمعات الفكرية فى أيطاليا، وكانت آثار اسلامية كثيرة قد ترجمت يومئذ الى اللاتينية. ولكنا لا نلمح فى أثر مكيا فيللى شيئا يدل على أنه عرف ابن خلدون أو أى مفكر مسلم فى موضوعه. واذا كانت ثمة وجوه شبه كثيرة بين المفكرين من حيث فهم التاريخ وتحليله، واستقراء الحوادث، وترتيب القوانين الاجتماعية، فذلك يرجع كما قدمنا الى تقارب عظيم بين الذهنين، والى تماثل فى العصر والظروف التى عاش فيها كل منهما، والى تماثل فى الخبرة السياسية التى اكتسبها كل منهما بخوض حوادث عصره والاتصال بأمرائه وساسته. وربما يكون مكيا فيللى قد عرف شيئا عن ابن خلدون ومقدمته فى أواخر حياته بعد أن وضع كتاب « الأمير » بنحو عشرة أعوام اعنى حوالى سنة ١٥٢٣ أو ١٥٢٤. ففى ذلك الحين كان الكاتب الأندلسى المتنصر الحسن بن محمد الوزان المعروف باسم ليون الافريقى Leo Africanus يقيم فى رومة ويتجول فى المدن الايطالية الشمالية وهو غرناطى ولد حوالى سنة ١٤٩٥م. ونشأ فى فاس وتولى لبلاطها بعض المهام السياسية، ثم حج الى مكة سنة ١٥١٦، وعاد بطريق قسطنطينية،

(١) راجع المقدمة ص ٧ و ١٥٧ و ١٥٨ و ٢٣٥ و ٢٣٩ و ٢٤٨ و ٢٠٥ و ١٤١

(٢) قارن ما كتبه مكيافيللى فى موضوعات مماثلة فى كتاب الامير The Prince ص ٩٨ و ١٠٨ و ١١٨ و ١٢٦ و ١٣٥ و ١٤٦ و ١٨٣ وغيرها

(٣) Gumplowicz : un Sociologiste Arabeau XIV ieme Siécle aperçus Sociologiques P.217

(٤) S. Closio : Introduction à l'étude d'Ibn Kaldoun [Rev-du-Monde musulman«1914. p. 319.]

وفي أثناء ركوبه البحر الى المغرب اسرته عصابة من لصوص البحر الصقليين . فأخذ الى رومه حيث نصره البابا باسم « يوهانس ليو » أو يوحنا الأسد . وفي رومه انقطع للبحث والتأليف ، والف قاموسا عربيا لاتينيا ، والف كتابه الشهير في وصف افريقية وترجمه بعد ذلك الى الايطالية . وكان في مدينة بولونيا بشمال ايطاليا على مقربة من فلورنس سنة ١٥٢٤ حسبما يقرر في خاتمة قاموسه اللاتيني ، الذي توجد منه نسخة في الاسكوريال (١) . ومن الممكن بل لعله من المرجح أن يكون ابن الوزان قد التقى بمكيافيللي ، وعرفه في رومه باعتباره علما من اعلام التفكير والكتابة يومئذ . وكان مكيافيللي بالفعل في رومه سنة ١٥٢٥ ، قصدها ليرفع كتابه « تاريخ فلورنس » الى صديقه وحاميه البابا كليمنضوس السابع (جوليانو دى مديتشى) ولو صح هذا اللقاء والتعارف ، لكان ثمة مجال للقول بان مكيافيللي قد وقف على شيء من آثار التفكير الاسلامي التي لابد أن يكون ابن الوزان قد أذاعها وتحدث عنها بين اصدقائه الايطاليين ، ومن المرجح أن يكون ابن خلدون في مقدمة المفكرين المسلمين الذين يشملهم مثل هذا الحديث ، لاسيما وقد كان صيته ما يزال قويا ذائعا في أفريقية والمغرب حيث نشأ ابن الوزان ودرس . على أنه مهما كان من شأن هذه الفروض ، فلسنا نستطيع أن نقول أن مكيافيللي قد انتفع في صوغ فلسفته السياسية والاجتماعية بشيء من آثار التفكير الاسلامي ، فلسنا نلمح في كتابه أثراً لهذا التفكير ، ومكيافيللي ذهن مبدع مبتكر بلا ريب ، كما كان ابن خلدون ذهنا مبتكراً مبدعا . وقد شق كلا المفكرين العظيمين طريقه لنفسه ، وألهم وحي نفسه ، وكان كتاب « الأمير » فتحاً عظيما في تفكير عصر الأحياء الاوربي ، كما كانت مقدمة ابن خلدون فتحا عظيما في التفكير الاسلامي

(١) راجع معجم المكتبة الملكية الاسلامية في الاسكوريال Casiri : Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialensir I. p. 172 ففيه تنقل هذه الخاتمة

من طرائف الشعر

مداعبة شوقية لم تنشر

براغيث الدكتور محجوب

براغيثُ محجوبَ لم أنسها ... ولم أنس ما طعِمتْ من دمي
تشقُّ خراطيمُها جوْربي ... وتنفذ فى اللحم والأعظُم
وكنتُ اذا الصيف راح احتجمتُ ... فجاء الخريف فلم أُحجم
ترحّب بالضيف فوق الطريق ... فباب العيادة فالسلم
قد انتشرتْ جوقةً جوقةً ... كما رُشّت الارض بالسمسم
وترقص رقص المواسى الحداد ... على الجلد والعَلَق الاسحم
بواكير تطلع قبل الشتاء ... وترفع ألوية الموسم
اذا ما ابن سينا رمى بلغَماً ... رأيت البراغيث فى البلغم
وتُبصرها حول بيبا الرئيس ... وفى شاربيه وحول الفم
وبين جفائر أسنانه ... مع السوس فى طلب المطعم

العـــود

وصف دقيق ممتع للشاعر العالم الاستاذ أحمد الزين

لامستْ فى النفس أوتارَ هواها ... غادة بالسحر تغزو من غزاها
كلما مست يداها وتراً ... حسد الآخر ما مست يداها
تمنح الأوتار كفا رخصة ... أشجت الأوتار من قبل شجاها
ويكاد العود يدمى كفها ... قُبَلا لو أن للعود شفاها
لحنها يبعث فى ميت المنى ... نضرة العهد ومعسول صباها
خفقات يخفق القلب لها ... هى أنات فؤادي أو صداها
وحنين كادَ من رقته ... أن يذيب اللحن فى العود مياها
وشجون طالما أخفيتها ... نفذ العود اليها فحكاها
واستشف النفس عن أسرارها ... لم يدع خافية إلا جلاها
صوّر اللوعة فى مكمنها ... كيف تخبو ثم يشتد لظاها
ودبيب الحب فى أوله ... والجوى ملتهبا حين تناهى

وفناء النفس فى بن هويت   وترى كل وجود فى فناها
وشقاء الحب فى نعمته   ونعيم النفس فيه بشقاها
ورضا العشاق من أحبابهم   بالتفات أو خيال فى كراها
كل هذا نطق العود به   وتناجى هو والنفس شفاها
لغـــة الأوتار فى عجمتها   تقصر الألسن عن درك مداها
تسعد المحزون فى خرقته   وتواسى داءه إن قال آها
ألهم العود بكاء المشتكى   ملهمُ الطير على الأيك بكاها
تحسب الأوتار فاضت أدمعا   وتباريح الجوى أوهت قواها
يالها من ناحلات أنحلت   من جسوم لاعج الشوق براها
وضعيفات وفيها قوة   تصرع الأسد فلا تحمى حماها
جل من يبغث فى الضعف قوى   أخضعت من بقواه يتباهى
كلما شدّت على أطرافها   أمعنت فى النفس بالسحر خطاها
لا تسل بسمعىَ عن ألحانها   سبق القلب اليها فوعاها

قبـــلة !

للشاعر المهندس على محمود طه

قبـــلةٌ من ثغرك البا   سم دنيا وحيـــاةٌ !!
تلتـــقى الروحانِ فيها   والمنى والصَّبـــواتُ
لغةٌ وُحِّـــدَتِ الألـ   سنُ فيهـــا واللغاتُ
وحيُهـا الحبُّ وما تلـ   ـهمُ تلك النظراتُ

لغةٌ دانِ الشتيت الشـ   ـمل فيها وتـــلاءم !
وبها الأرواحُ فى غيـ   ـر لَجاج تتفـــاهم
مَنْ تُرى علَّمها بالأمـ   ـس حوَّاء وآدم
لم تَزُلْ جـِـدَّتُها   وهى حديثٌ يتقادم !

قبـــلةٌ من ثغرك البا   سِم تَنَـدَّى شـــفتاهُ
من رحيقٍ لم يُحَرِّمـْ   ـهُ على النـــاس الالهُ
كلنا أترعَ منها الـ   ـقلبُ ضَجَّتْ رئتاهُ
مستزيداً وهى إن عُلَّ   بها زادَ صـــداهُ !

قبـــلة من ثغرك البا   سمِ تمحو كلَّ ما بى !
وتُواريني عن النا   سِ وعن دُنيا العذاب
وتُنَسّى القلبَ ما جُرِّ   عَ من سُمٍّ وصابِ
قبـــلةٌ تمزجُ أنفا   سَكَ بالقلب المذاب !

رُبَّ ليـــلٍ مَرَّ أفنيـ   ـناهُ ضمًّا وعنـــاقا
وأدرنا من حديثِ الـ   ـحبِّ خمراً نتســـاقى
فى طريق ضَرَبَ الزهـ   ـرُ حواليـــه نطاقا
وتجلَّى البـــدرُ فيه   وصـــفَا الجوُّ وراقا

ولزمنا الصمتَ إلاَّ   بعيونٍ تتكلمْ
وشفاهٍ عن جراح الـ   ـقلبِ راحتْ تتبسمْ
صِحْتَ بى رُعباً وما   راعك قلبٌ يتحطمْ
نَبَّـــأتنى النفسُ بالبيـ   ـن غداً ! والنفس تُلْهَمْ

ثم كانَ الغدُ ما نبَّـ   ـتَ هجـــراً وفراقا
ونسينا قبـــلةً سا   غَتْ من الأمس مذاقا
غير أنات صحا القلـ   ـبُ عليهـــا وأفاقا
فالتقينـــاً وافترقنا   وكأنْ لمْ تتلاقا !!

عـــزلة !

« .. والعزلة مملكة الافكار »
« شاتوبريان »

للشاعر الدمشقى أنور العطار

وعُزْلةٍ بَرَّةِ الأفياء ساجيةٍ   رفافةِ الحُلمِ تُنْنى كلَّ أتراحى
طويتُ فى صمتها قلباً شجيتُ به   واعتضتُ عنه بقلبٍ جذِّ مفراح
يلقى أخو الهم فى أظلال دارتها   كوناً بكونٍ وأرواحاً بأرواح
تَغيمُ روحىَ إما ثار هاجسُها   فى لامع مثل قرصِ الشمس مُنداح
غَيبوبةٌ مِلؤها الاحساس شاملة   غـــيلة يشذَّى كالعطر نفَّاح
أصوغُ فيها أناشيدى وأجمعُها   من عابقٍ دائم الأطياب مسماح
يافرحةَ الروح اتحدُوها غيابتها   إلى مطافٍ خصيب الوحى فياح
تنسى به حزَّةً فى القلب موجعةً   مشطورةً من أسى كالهمِّ ملحاح

كغصة ثرة التغذيب جاهدة   في صدر طفل منيغ الورد متاح
فأن يقتر عليها الحظ حصتها   تظفر بحب وإيناس وإسجاح
هناءة العمر ما انساغت مناهلها   إلا لقلب غني البشر ، مراح
مقضض الحلم مغمور الشعاب هوى
أنقى من النور في أعطاف إصباح
فاطرب ولذ وطر نشوان من فرح
في عالم خير الالهام منّاح
واغنم سوانح دهر ، غير وانية   من قبل يوم عصي الترب لواح
ومرقب في كفاف الأفق منفرد   كأنه كهف نسر جد طماح
أسرى إليه خيالي غير مكترث   لهيكل راجف الأركان طلاح
فعب منه نمى الوحي فانبجست   أمواهه من معين غير ضحضاح
كأنما ظل يهمي فوق صفحته
شؤبوب غيث هتون السكب سحاح
وروضة خليها العين وانبسطت   في ظل واد أنيق الوشي رحراح
أنشأت كوخا على غدرانها بهجا   موشحا بتغاشيب وأوضاح
من كل نوارة ضحاكة جذلا   وكل زهر نطوف النشر ، فواح
وافيتها والمساء الرحب تعمرني   ظلاله بخيالات وأشباح
سجا الأصيل وقد رفت لآلئه   على إطار بهي اللمح وضاح
وصفقت مائسات الدوح يؤنسها
ضحك الجداول من تلعات أرواح
كأن سربا من الأطيار يطربني   تنغيمه بنشيد جد مصداح
والشمس خائنة الأضواء ، تنشرها
تجلى وتجمعها في ركبها الواحي
غابت وأبقت على الآفاق أصبغة
من رسم أروع سامي الصوغ وشاح
هذا المساء تجلى في مخفقته   نهلان من صور كثر وألواح
يزينه شفق حال بأوشحة   من مائج غائم الأرجاء طفاح
ما بين خاب نؤوم ظله ، كمد   وبين ضاح لغوب النور لماح
ترى تطيف به في حلمه ذكر   ترف حينا ويمحو رفها ماح ؟
ليت الزمان مساء ملؤه صور   علوية الصنع موشيات أفراح !
أطوف فيه بروح كلها لهف   حوامة فوق جنات وأدواح
حتى أعيد أماني التي غبرت
والدهر عن مأملي سهوان أو صاح !

في الزورق

ليت بناس ليلة   قضيتها في زورق
البدر فيها ماسة   باهرة التألق
والنيل في مضجعه   كغادة في جوسق
ينصت في غفوته   الى حديث الشيق
وللحبيب شعر   يموج كالاستبرق
يلمسه النسيم لا   مس المستهام المشفق
دارت أحاديث الهوى   مثل الطلا المعتق
ثم افترقنا غلسا   وبعدها لم نلتق..

كرمة ابن هانى   حسين شوقى

إعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

في الأدب الشرقي

جحا في الادب الفارسي

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال في لسان العرب: «وجحا اسم رجل» وقال في القاموس: «وجحا لقب أبي الغصن دجين بن ثابت» وقال شمس الدين بك في قاموس الاعلام: «هو من قبيلة فزارة: يضرب به المثل في الحمق، وكان في الكوفة إبان ثورة أبي مسلم الخراساني. وجحا الرومي كناية عن خواجة نصر الدين».

وقد ذكر ابن النديم في الفهرست كتاب نوادر جحا.

وأما جحا الرومي أو خواجه نصر الدين فيروي أنه كان معاصر حاجي بكتاش، ويقال إنه عاش في عصر السلاجقة (١). وتحكي عنه نوادر كثيرة في التركية كنوادر جحا في العربية. وفي جوار آقشهر مكان غير مسور وله باب عليه قفل كبير يقال انه قبر نصر الدين.

وقد شاعت نوادر جحا في مصر وأفريقيا الشمالية كلها كما شاعت نوادر نصر الدين في تركيا. ونقلت نوادر الرجلين الى شرقي أوربا وجنوبيها. ففي صقلية وبلاد أخرى حرف اسم جحا إلى جوفا Guifa أو Giucca . وفي بلاد اليونان والصرب ورومانيا حرف اسم نصر الدين خواجه الى Nastratin Hagea

ولا حاجة الى الكلام عن نوادر جحا ونصر الدين خواجه في العربية والتركية فهي معروفة ومطبوعة في مصر.

بعض هذه النوادر مروى في الادب الفارسي في لطائف عبيد الزاكاني الشاعر المعروف، ولكنها لا تنسب إلى جحا، ولا يستطيع من يعرف الزاكاني ولطائفه أن يذكر اسمه دون أن يمتع القارئ ببعض حكاياته:

ذهب رجل من قزوين في جيش لغزو جماعة من الاسماعيلية وكان مع الرجل ترس كبير. فلما قارب قلاع العدو أصاب رأسه حجر فغضب وانصرف. فقال بعض أصحابه: ما خطبك؟ قال يا أخي أنا لا أحارب قوما عميا. كيف يرمون رأسي بالحجر وفي يدي هذا الترس الكبير؟!

وأخرى من لطائف الزاكاني: أن رجلا شاهد آخر يؤذن وهو يجري. قال: ما شأنك؟ قال: يا أخي إن الناس يزعمون أن صوتي حسن حين يسمع من بعيد. فأردت أن أخبر ذلك بنفسي.

وقد ذكر جحا في شعر الانوري باسم جحي (بكسر الجاء):

أز حسد فتح تو خصم تو بى كرداسب
همجو جحى كز خدوك جرخه ما در شكست

«ان خصمك عرقب فرسه غيظا من انتصارك مثل جحي الذي كسر مغزل أمه من الغضب» وذلك أن جحا قص على جلسائه نادرة فلم يضحكوا لها فذهب إلى داره مغضبا فكسر مغزل أمه.

وذكر جحا في مثنوي مولانا جلال الدين باسم جوحي وذلك في ثلاث نوادر

الاولى في الدفتر الثاني من الكتاب:

مشى صبي في جنازة والده يبكي ويضرب رأسه ويصيح: يا أبت إلى أين تحمل! أتوضع تحت الثرى! انك تحمل إلى دار ضيقة مقفرة ليس فيها سجادة ولا حصير، ولا سراج بالليل ولا خبز بالنهار، ولا فيها أثر من الطعام ولا رائحة، ولا سقف ولا باب ولا جار مؤنس. كيف بعينيك في دار مظلمة خربة، وقد كانتا مقبل الناس؟ دار مخوفة ومكان ضيق لا يبقى على وجه ولا نضرة.

وظل يعدد أوصاف الدار على هذا النسق ويذرف من عينه دمعا قانيا. فقال جوحي لابيه: أيها الأريب! والله إن هذا الميت ليحمل إلى دارنا. قال أبوه: لا تكن أبله. قال يا أبت استمع الى أوصاف الدار. انها لاريب صفات دارنا: لا حصير بها، ولا سراج، ولا طعام، ولا فناء، ولا سطح، ولا باب!

النادرة الثانية في الدفتر الخامس من المثنوي فيقرأها فيه من يعرف الفارسية فليس يجمل أن تذكر هنا.

وخلاصة الثالثة: أن جحا ألح عليه الفقر فأوعز الى امرأته أن

(١) ويروى كذلك انه عاش في عهد تيمورلنك وكان بينهما بعض النوادر

لتشكوه الى القاضي وكنتدرجه الي بيتها. فرفعت أمرها الى القاضي وأفاضت في بيان ظلامتها. ثم سألت القاضي أن يزورها في دارها لتحدثه في أمرها. وجاء القاضي الى الدار فجاء زوجها فأظهرت الخوف وهولت على القاضي الامر حتى أختبأ في صندوق. ويدخل جحا فيقول قد عزمت على إحراق هذا الصندوق فان الناس يحسبونه مملوءا ذهبا، سأخرجه غداً فأحرقه على أعين الناس. ولما أصبح دعا حمالا فحمله الصندوق وسار وراءه. فنادى القاضي الحمال؛ والحمال لايدرى من أين يسمع الصوت حتى عرف أنه صوت رجل في الصندوق، فسأله القاضي أن يرسل الى وكيله ليشترى الصندوق. وجاء الوكيل فسأل عن الثمن. قال جحا: الف دينار فلما تردد الوكيل عرض جحا أن يفتح له الصندوق ليعلم أنه جدير بهذا الثمن. واتفقا على الاتفاق على مائة دينار فنقدها الوكيل وأخذ الصندوق. وبعد سنة إحتاج جحا الى المال مرة أخرى فأوحى الى زوجه أن تعيد الحيلة مع القاضي فذهبت ترفع اليه ظلامتها من زوجها، ووكلت امرأة أخرى في الكلام حتى لا يعرف صوتها، فأمرها القاضي أن تحضر المدعى عليه، فلما جاءه جحا قال القاضي: لماذا لا تنفق على امرأتك مايكفيها. قال إني فقير لا أملك حتى ثمن الكفن إن حضرني الموت. وأن لعب النرد أوقعني في هذا الفقر. فقال القاضي، وقد عرفه: نعم قد لعبت معي عام أول فربحت، وهذه نوبتي في الربح فان شئت فالعب مع من تشاء ودع اللعب معي.

وقد أثبت جلال الدين هذه النوادر في شرح آرائه الصوفية والاخلاقية كدأبه في ضرب الامثال والذهاب بقارئه كل مذهب

في جامع الحكايات لحبيب الله الكاشاني، الحكايات الثلاث التي في المثنوى، وأربع أخرى من نوادر جحا. أترجم منها واحدة:

جاء جحا يوما الى شاطىء دجلة فرأي بعض العميان يريدون أن يعبروا النهر. فقال ماذا تجعلون لي إن ابلغتكم الشاطىء الآخر: قالوا: يعطيك كل منا عشر جوزات، قال: ليمسك كل منكم بحزام الآخر، وليمسك أولكم بيدي. فلما توسطوا النهر اشتد التيار فذهب بواحد منهم. فصاحوا: ذهب أحدنا ياجحا! قال الآن خسرت عشر جوزات! ثم ذهب التيار بآخر فصاحوا جزعين: وآخر ذهب به الماء! قال يا ويلنا ذهب من يدي عشرون جوزة! وذهب الماء بالثالث فصاحوا: سنغرق جميعا: قال جحا: وما يضيركم أيها الحمقى! إنما الخسارة على! انا الذى أخسر بكل غريق منكم عشر جوزات.

وأخرى من نوادر جوحي في الباب الثالث من كتاب بهارستان لعبد الرحمن الجامي:

كان لرجل على جوحى مائة درهم، فرفع الامر الى القاضي فسأله ألك شاهد؟ قال: لا. قال القاضي لجحا فاحلف له. قال المدعى أنه لا يبالى باليمين. فقال جوحى: ياقاضي المسلمين: ان لم يثق بيميني ففي مسجدنا إمام تقي صادق القول حسن السيرة فابعث اليه وحلفه مكاني ليطمئن هذا المدعى!

عبدالوهاب عزام

آراء وأنبـــاء

للدكتور احمد زكى

المزاج التجريبي :

جمعتني المصـــادفة في بلد ناء بخبير في اللاسلك أجنبي، وفي إبان المجلس عرض عليه موظف مصرى كبير مشروع نظام للاذاعة اللاسلكية يراد اتباعه في مصر حينما تتم المحطة المصرية الموعودة في يناير القادم .. وكان المشروع طويلا عريضا كثير التفاصيل دقيق الأجزاء كثير الفروض، كثير الردود، معجبا في انسجامه، مقنعا في تلاوته، ولاشك ان كاتبه استغرق في مكتبه ساعات عديدة لتدبيره، واستهلك كثيرا من الورق والحبر قبل الانتهاء على صيغته الأخيرة. ولما فرغ صاحبنا المصري من عرضه سأل الخبير رأيه فيه وعن القدر الذي يتاح له من النجاح، فسكت الخبير هنيهة ثم قال : ابدأوا بعشر هذا فستجدون أن معالجة هذا العشر الاول سترسم لكم الطريق الى معالجة التسعة الاعشار الباقية . لا ادرى ان كان خبيرنا المذكور تثقف بثقافة علمية خاصة ولكن الذى أدريه أن عقليته لاشك علميه ورأيه الذى ارتآه صدر عن نفسية مزاجها تجريبي، والمزاج التجريبي وليد المران العلمى ؟ فالعـــالم يتشكك في كل ماينتج عن الفكرة الخالصة وعن نشاط الفكر البحت الذي لا يتعدى حدود الجمجمة . والعالم الحديث كالسفسطائي القديم في فقدانه الثقة بالمنطق الصرف باعتباره اداة كافية لكشف الحقيقة . والعالم الحديث يبالى بالنتيجة العملية أولا فان فسرتها النظرية فقد حصل توافق محمود، وان كان خصام فالنظرية مخصومة مرفوضة . وكثيرا ماتجد هذا المزاج التجريبي في رجال ليس العلم صناعة لهم، فتجده في التجار وأرباب الصناعة وفي الساسة، وقد يكون طابعا خاصا في أمة، وقد وجدته في الأمة الانجليزية طابعا لها، لاسيما في رجال تثقفوا بثقافة خاصة كثقافة كيمبردج أو اكسفورد، والخبير الاجنبي المذكور من هؤلاء . ولو انك عرضت هذا المشروع اللاسلكي المنمق على مصري ذي ثقافة قاهرية لكان سريعا الى نقده ونقاشه بكل ماوهب من مزاج نظري ومقدرة فائقة في التخريج المنطقي، ولحسب بعد الفراغ انه أتى بنتاج صائب لا يأتيه الباطل من أي جوانبه، اذا هو طبق ونفذ فلن تجرؤ قوانين الطبيعة ولا سنن المجتمع أن تعترضه أو تخالفه . ولقد لبسنا معشر المصريين هذا المزاج النظرى ضيقا لصق أجسامنا حتى ليصعب علينا خلعه . حتى بعض اللذين تدربوا منا تدربا علميا خاصا يميل بهم هذا المزاج حيناً فينسون التجربة وخطرها في أمور العلم وأمور الحياة . قص لى صديق عالم مصري أختصه الله من بين العلماء بنعمة الثراء لسر لا يعلمه سواه، فكانت له أرض واسعة مرضت فأتعبه تسميدها فذهب الى خبير مصرى عالم في السماد فسأله رأيه، وبعد أخذ ورد وفحص وصف له الدواء، فذهب صديقنا الى أرضه بسن ضاحك ورجاء وافر، ولكنه بعد فترة التجربة عاد الى صاحبه السماد بوجه كاشر وأمل خائب . فسأله أعندك أرض. قال لا . قال نصيحتى للدولة أن تفصل من خدمتها كل سماد لا أرض له ثم تولى . فقلت لصاحبي لقد كان أقرب الى الانصاف وأدنى الى الاحسان أن تتمنى على الدولة أن تهب أرضا لكل سماد لا أرض له . فنبى صاحبي الأرض وابتسم راضيا عن هذا الحل الموفق

سفينة في معمل :

والحق أن هناك وجها قد يخفى حتى على من يقضون أصباحهم وأمساءهم في المعامل . فان تجربة المعمل محدودة وأوجه الشبه التي بينها وبين ظاهرة طبيعية تحدث في العراء

الواسع قد تكون قليلة مبتورة، فقد تكون فى تجربة المعمل صفات منجحة لا تكون فى الطبيعة، وقد تكون فيها صفات مخيبة ليست فى الطبيعة، وقد يكون فى الطبيعة ما ليس فى تجربة المعمل، وليس من الهين كل حين ادراك هذه الفروق فى الصفات ولا سيما فى شئون الحياة، ومناطق العرفان التى لا يزال العلم يمشى فيها بخطى محذورة ثقيلة، مستهديا فى حلكتها الكثيفة بفتيل ضئيل من زيت قنديل. وكثيرا ما أدرك العلماء هذه الحقيقة إدراكا قويا خرج بهم عن حدود المعمل المعروفة وعن طرائقه المألوفة. مثال ذلك ان التفاح من اكثر الفواكه عرضا للتخبطات، وأطولها سفرا وأكثرها اختلافا بين مناطق الأرض الباردة والحارة. فكان يتلف منه فى تلك الاسفار مقادير هائلة. ففحصوا أسباب هذا التلف فاهتدوا الى أن من أسبابه الحرارة التى تكون فى قاع السفينة ولا سيما فى الاقطار الاستوائية، فكان من ذلك ان أودعوه مخازن بالسفينة تبرد تبريدا صناعيا طول السفرة. ثم ارتأوا بعد ذلك ان الهواء المحبوس سبب قوى فى الفساد الحادث، وان التفاحة تحيا حياتها وتموت، فهى مثلى ومثلك فى حاجة الى الاكسيجين النقى لتبقى حية صالحة، وكذلك فى حاجة الى شىء من الضياء. فهدوا للتفاح المسافر وسائل الحياة والترف احتفاظا بحيويته، فنقص مقدار العادم الى نسبة قليلة هى خمسة فى المائة. ولكن التفاح تبلغ التصديرة الواحدة منه ثلاثة الملايين من الصناديق. فالخسارة فى هذه وحدها تبلغ مائة وخمسين ألف صندوق. من اجل هذا اعتزم معهد الأبحاث بـ«إيست مالنج» East Malling بمقاطعة «كنت» بانجلترا ان يقوم بدراسة حاسمة لا هوادة فيها لخلاص تلك البقية الباقية من العدم. و«ايست مالنج» محطة لبحث النبات عالمية لها معامل واسعة تبلغ المائة من الفدادين، ولها فى تربية النبات وانتقاء جذور الأشجار ولا سيما أشجار الفواكه سمعة واسعة، وهى فوق ذلك غنية قادرة. فارادت ان تلم بكل الظروف المحيطة بالتفاح أثناء سفره، فابتنت فى معاملها ما يشبه السفينة، وأقامت فيها كل ما يقوم فى السفينة، وجهزتها بجهاز يزيد فى حرارتها أو ينقصها حسب المراد، وأتت بحمولة التفاح فأودعتها عنبر «السفينة»، وأودعت بين صناديق «البضاعة المسافرة» مائتى وخمسين ترمومترا لرصد الحرارة، وبما أن العنبر سيظل مغلقا طيلة «السفرة» فقد وصلوا الترمومترات بأسلاك كهربائية ليستطيعوا رصد الحرارة من بعيد. وبخاصة اذا هاج «البحر». نعم اذا هاج البحر فانهم أحاطوا السفينة بأكياس منفوخة بالهواء تعوم فيها عومها فى الماء، وأقاموا على الأكياس آلات دافعات جاذبات تحرك السفينة مثل حركتها بين الأمواج المصطخبة والرياح العاصفة، أو من أثر التيارات الخبيئة تحت سطح البحر الهادى. وكل هذا الجهد وكل تلك النفقة حرصا على أن تمثل تجربة المعمل تجربة المحيط بحذافيرها وحتى لا يفلت حذفور غير منظور قد يكون له خطره فى النتيجة الحاصلة. ولا يزال القوامون على هذه التجربة قائمين فيها، صكوا أبواب العنبر على التفاح وتدرجوا فى رفع حرارته وبذلوا له الهواء الى غير ذلك من أمور، وأهاجوا عليه «البحر» حينا وهدأوه حينا، وستصل البضاعة فى يناير القادم إلى غايتها، وعندئذ يفتح العنبر وتمتحن البضاعة. ثم تشحن «السفينة» ببضاعة جديدة وترحل رحلة جديدة تحت ظروف جديدة. وهكذا حتى يصل التفاح الى مقره الأخير سليما كله من كل عطب، وعندئذ تتعين الشرائط التى لابد منها لسلامته، وعندئذ يهدم هذا الهيكل الكبير ويباع حطاما رخيصا وسلعة بائرة بعد أن يكون قد أكسب الانسان سرا من أسرار الطبيعة قد يكون فى ذاته هينا فى العلم، الا أنه فى الاقتصاد خطير، فهو يرد الى الانسانية على مر السنين ملايين الجنيهات، وهذه بدورها تمثل طاقة انسانية تنفق فى الزرع والجنى وتعهد النبات، وطاقة أخرى طبيعية ما بذلته الأرض من عناصرها والهواء من غازه والشمس من أشعتها، طاقات يعز على العلم والعلماء أن يروها تهدر هكذا كاللبن الصبيب والدم المسكوب

روعة فى البرتغال

فى ليلة اليوم التاسع من اكتوبر فى بلاد البرتغال تساقطت من السماء السوداء رجوم بيضاء بلغت الملايين فروعت الناس كأنهم حسبوا أن عقود السماء انفرطت فأخذت النجوم تهوى

بغير حساب . وهذه ظاهرة كانت منتظرة فى هذا العام الذى نحن فيه وقد تتكرر الى ختام العام .



منظر الشهب

أما سببها فالمذنَّب المعروف بمذنب «تمبل» Tempel وهو من مذنبات أسرة الكوكب السيار «أورانوس» Uranus . وهذا المذنب يطوف حول الشمس فى مسار بيضاوى متطاول يقطعه فى ثلث قرن، وبما أنه لا يطوف فى دائرة نجده فى ساعة ما من سنة ما فى موضع أقرب ما يكون من الشمس، ثم نجده بعد هذه الساعة بسدس قرن قد حل أبعد مواضعه منها . ثم ينصرم سدس قرن فاذا به فى موضعه الاول الأدنى من الشمس ، أعنى الأدنى من الأرض ، فهو باقترابه من الشمس يقترب منا ، وهو كالمذنبات يجر وراءه ذيلا من غاز وتراب وأجسام صلبة منها الكبير ومنها الصغير . والمذنب وذنبه يسيران فى الفضاء بسرعة هائلة . فاذا مس هذا الذنب بمادته هواء أرضنا بتلك السرعة المروعة احتك به فاحترق فتكونت من ذلك الشهب التى نراها . وقد أدرك هذا المذنب الأرض ورأى الرقباء شهبه فى أكتوبر أو نوفمبر من اعوام ٩٠٢ و٩٣٤و١٠٠٢ و ١١٠١ و ١٢٠٢ و ١٣٦٦ و ١٥٣٣ و ١٦٠٢ و ١٦٩٨ و ١٧٩٩ و ١٨٣٣ و ١٨٦٦ و ١٩٠١ . وتجد بامتحان تلك الارقام أن الفترات بلغت ثلث قرن أو ثلثين أو قرناً بتمامه ، وقد فات الرقباء لاشك ظهورُ هذا المذنب فى السنوات الساقطة من سلسلة السنوات المذكورة . أو لعل الأصح أن نقول أن الذى فاتهم انما هو رؤية الشهب التى تظهر عنه فتدل عليه . فالمذنب نفســـه صغير لا تراه العين اكتشفه مكتشفه بالتلسكوب عام ١٨٦٦ ، وعندئذ ، وعندئذ فقط . دُرس هذا المذنب ودرست دورته ودرس زمنها وانكشفت العلاقة بينه وبين شهب سجل التاريخ حدوثها فى الأزمان الخوالى . ومنذ حل عام ١٩٣٠ والعلماء فى ارتقاب الرسول الوافد ، رسول العلم ، رسول الايمان فى حسابات الرياضة وقواعد الفيزياء ، رسول الثقة فى العقل البشرى بنَّاء لقواعد الايمان النفسى ، وقد أتى الرسول وألقى برسالته ، فوقعت هذا العام فى البرتغال فارتاع لها الجهال . وقديما خاف الناس الشهب وراعتهم المذنبات . اليس أبو تمام يقول :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب
وصيروا الأبرُج العليا مرتبة ما كان منقلبا أو غير منقلب
تخرصا وأحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

ليت شعرى أى مذنب كان هذا ؟ وفى أى سنة ميلادية بالضبط كان ؟ وهل هو ما سجله علماء الفلك؟ وهل فى حسبان تاريخه التقريبى نفع ؟

جماد يبصر حيث تعمى العين

نزلت فى الصيف الماضى بضيعة من ضياع الريف بانجلترا فى دار رجل طيب الخلق سمح كريم الا أنه شديد على كل من مس ماله وثروته ، كان يذكر ذلك ويفخر به ويعلله بأنه كسب ما كسب من عرق جبينه ، لا عرق جبين والد أو عم . لذلك أغمه وأهمه ونحن نزول عنده أن لصا ماكرا لحوحا ألح على بيت للدجاج له يقع بعيدا عن الدار فكان يحمل منه كل ما وجد به من البيض ، وغاظ صاحبنا منه أمران ، أولهما أنه كان يختلف الى بيت الدجاج والشمس فى السماء ومع هذا يفلت ، وثانيهما أنه كان يلبس حذاء من قش حذر أن تنطبع قدمه فى الأرض فتدل عليه . وفى ذات يوم ونحن جلوس الى المائدة

يحدثنا صاحبنا الريفي للمرة العاشرة عن السارق ويشكو ، اذا بأساريره تبرق وعينه تلمع وأسنانه تتحرق تحرق المغيظ جاءه النصر على غير انتظار. فسألناه عن خطبه ، فقال فخ سأنصبه للوغد ، وعن قريب تسمعون عن رقم قياسي للبيض سيدفعه هذا الكلب النذل عن كل بيضة سرقها . وفي ذات مساء والشمس تغيب والمطر رذاذ كنت عند الباب الخلفي للدار أتفقد السماء ، فلمحت صاحبنا يهرول من بعيد ، قد انكشفت نواجذه بابتسامة عريضة ، وتأبط شيئا صغيرا ملفوفا في جريدة . فلما اقترب سألته عما جرى فقال صدت السارق ، فقلت فأين هو؟ قال هنا ، وأشار الى الصندوق الذي تحت أبطه ، ثم سألني أتعرف تحميض الصور؟ قلت نعم ، قال فهلم إلى معونتي فخبرتي بذلك قديمة منسية . وما كادت تظهر الصورة السالبة على لوح الزجاج الأسود حتى اختطفها يحملق فيها وكأنه تبين ملامح السارق . ولم يضح صباح اليوم التالي حتى كان اللص في دار الشرطة ولم يسعه وقد واجهوه بالصورة الا الاعتراف . وخلاصة الأمر أن صاحبنا الفلاح خبأ الكمرة داخل بيت الدجاج ووصلها بسلك بالباب . وكانت في مواجهة الداخل ، فلما دخل اللص فتح الباب فانكشفت العدسة فارتسم المنظر فكانت شهادة لجماد لا تعدلها شهادة الاحياء .

خطر لي بعد هذا الحادث أن مضيفنا كان لا شك رجلا فطنا ، وأن صاحبنا اللص كان على حيلته غبيا لأنه خالف عرف اللصوص فزار البيت نهارا ، وسألت نفسي وماذا كانت الحيلة لو أنه زار الدار ليلا ، وأخذت أداور حلولا في رأسي للتسلية . ثم انتقل فكري من هذا كله حتى كان هذا الاسبوع فوجدت سؤالي يجاب في بعض أنباء العالم ، ذلك أن رجلا استخدم لالتقاط الصورة في الظلام مصباحا كهربائيا يشع بالنور البنفسجي المعروف ، الا أنه استبدل بزجاجة المصباح الشفافة زجاجة خاصة سوداء تحجب من الضوء البنفسجي كل أشعاعات الطيف المرئي وهي الشعاعات التي تحسها عين الانسان وبها تبصر ، ولكنها لا تحبس ما فوق تلك من أشعاعات كيمائية تؤثر في الافلام الفوتغرافية . فانت اذا نظرت مثل هذا المصباح في حجرة مظلمة فأنت لا تراه ، ولكن اذا كان بيدك كمرة ففتحتها ارتسمت فيها صورته وارتسم كذلك المكان . فلو أن لصا زار بيت الدجاج ليلا



وكان به مصباح كالذي نحن بصدده لما أفادته الظلمة شيئا . والى جانب هذا صورة أخذت في الليل بهذه الطريقة ، بها السيدة تمثل اللص والى جانبها المصباح رأته الكمرة وضاء برغم سواده في العين ؟

أحمد زكي

القصص

الجـــورب الوردى

للقصصي الروسي تشـــيكوف

أخذ السحاب الجون يتكاثف حتى حجب السماء . وطبق الارض . وأرسل المطر هتانه ، حتى أصبح إقلاعه بعيداً أمده . فجاء اليوم عابس الوجه . لا ترى فى أ رضه غير البرد الساقط ، وطير الزاغ ويبلله القطر ، وفى داخل المنازل امتد غبش الليل واشتد قارس البرد حتى أمسيت تشعر بالحاجة الشديدة لحرارة المدفئة .

كان بافيل بتروفيتش سوموف يروح ويغدو فى مكتبه متأففا من الجو متبرما به ، فنسفغات المطر للنوافذ والظلام الشامل للغرفة جلاه على الاستياء الشديد والتذمر المر ، ولقد كان ضجره لا يحتمل وما كان فى يديه ما يشغله . . فالجريدة لم تصل اليه حتى الساعة والصيد متعذر حصوله ، صعب بلوغه ، وما كان الوقت وقت عشاء .

لم يكن سوموف وحيداً فى غرفة عمله ، فقد جلست الى مكتبه مدام سوموف وهى حسناء نحيلة فى غلالة بيضاء وجورب وردى ، وكانت منهمكة فى تحبير رسالة ، وكان أيفان بتروفيتش عندما يحاذيها فى جيئته وذهابه ينظر من وراء كتفيها ما تكتب فيرى حروفا كبيرة ودقيقة وضيقة منمقة غاية التنميق ! لها ذيول وبها كثير جدا من الطمس والمسح والتلويث وأثر الاصابع ، وكانت مدام سوموف لاتحب الورق المسطر ، وكل سطر تكتبه ينحدر بتعرجات قبيحة حتى ينتهى الى الهامش .

سأل سوموف زوجه حين رآها تبدأ الكتابة فى الصفحة السادسة « لمن تكتبين مثل هذه الرسالة الضافية ياليدوتشكا ؟ »

— الى الأخت فاريا

— أوه ! . . خطاب مسهب . . أننى ضجر . . دعينى اقرأه

— لك أن تقرأه . . بيد أنه لا يلذك

تناول سوموف الصفحات المكتوبة وهو يذرع أرض الغرفة وأخذ يقرأ . .

أرتفقت ليدوتشكا على ظهر كرسيها وجعلت ترقب ما على وجهه من تعابير . . استطال وجهه بعد الصفحة الأولى وظهرت عليه ملامح الرعب ! ! وفى الصفحة الثالثة قطب جبينه وحك مؤخر رأسه . وفى الصفحة الرابعة أمسك عن القراءة ونظر بوجه مرتاع الى زوجه . . وتظاهر بالتأمل . وبعد تفكير قليل تناول الرسالة ثانية وهو يتأوه وعلى وجهه أثر الارتباك والحيرة ثم الارجاف والفزع .

لما فرغ من قراءة الرسالة قال متمتما : « حسن ! . . هذا لا يجوز ! ورمى بالأوراق على المكتب ، هذا لا يصدق . مافى ذلك ريب . . . .

فسألته ليدوتشكا وقد امتقع لونها : ما الخبر ؟

— « ما الخبر ؟ تملأين صفحات ستا وتمضين ساعتين فى خرفشة لامعنى لها ولا طائل تحتها . . . ولاشىء فيها بالمرة . . . آه لو كان بها ولو فكرة ضئيلة ! يقرأ المرء ثم يقرأ وفكره مشوش ، وذهنه مضطرب كأنما يفك اغلاقا صينية عن صناديق شاى ! أوه !

قالت ليدوتشكا وقد ضرج وجهها الحياء : هذا صحيح ياڤانا . . كتبته دون عناية

— أجابها : اهمال زائد عن الحد . . ففى رسالة غير منمقة ولا محبرة . . . معان وأسلوب . . وأحساس . أما رسالتك فسامحينى . ان قلت لك بأنى لا أتذوق لها طعما . . جمل وكلمات لا احساس فيها ولا معنى لها . خطابك جميعه . . كمحادثة بين صينيين « عندنا بحة اليوم . . جاء جندى ليرانا . . » انك تكررين المعنى الغث البارد » لك أن تريه وتعيديه بنفسك . أما الفكرة السخيفة فترقص بين السطور كالشياطين ولا حد عندك للبدء من النهاية . كيف تكتبين هكذا ؟

قالت ليدوتشكا تدافع عن نفسها : اذا كنت أكتب بتجويد وعناية . . لايمكن أن تكون هناك غلطات

فأجابها زوجها : انى لا أتكلم عن الاخطاء . . . الأخطاء النحوية

المروعة . لا يوجد سطر لا يعد اهانة شخصية للنحو . لا وقف ولا علامات ولا هجاء ! إنه يأس مريع ! انى لا أمزح بالبدا فأنا مروع فزع من رسائلك ، لا تحزنى يا عزيزتى فما كنت أظن فى الواقع أنك تجهلين النحو هكذا . . . مع انك تنتمين الى بيئة مثقفة ودرجت فى بيت علم . فأنت زوجة رجل جامعى وابنة قائد . قولى لى أذهبت الى المدرسة ؟

— نعم لقد تعلمت فى مدرسة فون مبكى الداخلية

فهز سوموف كتفيه واستمر فى مشيته متأوها . . . أما ليدوتشكا العالمة بجهلها فتنهدت ثم نكست رأسها . مرت عليهما دقائق عشر ما نطقا فيها بحرف .

وقف سوموف تجاه أمامها ونظر الى وجهها برعب وقال : إنك تعرفين يا ليدوتشكا أن الأمر جد ! أنك أم ! . . . أتفهمين ؟ . . أم ! . . كيف تعلمين بنيك اذا كنت لا تفهمين شيئا ؟ أنك ذات عقلية خصبة وذهنية نيرة . . . ولكن ما جدوى ذلك اذا كنت تجهلين كل شيء . فلا تعرفين شيئا من الآداب ولا من العلوم على أننا سنغض النظر عن المعارف ، لان الأطفال سيتعلمون ذلك فى المدرسة . ولكنك تعرفين ضعفك فى الادب وبلادتك فيه . تستعملين فى بعض الأحيان لغة تجعل أذنى فى طنين !

ثم هز سوموف كتفيه مرة أخرى وجمع اليه ثوبه واستمر فى سيره . . . شاعرا بالغيظ والحنق . وفى الوقت نفسه آسفا على ليدوتشكا التى لم تحتج ولم تعترض ، ولكنها اكتفت بأن ترمقه من طرف خفى . وأحسا معا بالضيق الجاثم على قلبيهما . والهم المتمكن من نفسيهما ، حتى أذهلهما الحزن عن كل شيء . فلم يدريا كيف مر الزمن وكيف قربت ساعة العشاء .

ولما جلسا للطعام شرب سوموف المولع بالطعام الشهى الهنى قدحا كبيرا من الفودكا وشقق الحديث فاداره على وجوه أخر . وكانت ليدوتشكا تستمع لما يقول مسلمة راضية . بيد أنها وهى تشرب الحساء اخضلت عيونها بالدمع ثم خنقتها العبرات .

فنهنهت دمعها بمنديل وقالت : « إنها غلطة والدتى ! نصحها جميع الناس بارسالى الى مدرسة عالية ، ومن هناك كنت على يقين من ذهابى الى الجامعة »

فتمتم سوموف « الجامعة ! . . . مدرسة عالية ! . هذا كثير يا بنيتى ! ما الفائدة من أن تكونى احدى ذوات الجورب الأزرق ! الجورب الازرق هو الشيطان الرجيم فى نار الجحيم ! ! لا يسمى صاحبه رجلا ولا امرأة . وانما يكون شيئا بين بين ، أنى أبغض من كل قلبى الجوارب الزرقاء . . . ولن أتزوج امرأة متعلمة »

فاجابته ليدوتشكا ! لا أدرى كيف أفهمك ؟ تغضب لأنى لست متعلمة وفى الوقت نفسه تبكره النساء المتعلمات ! لقد تنكرت لى وسخرت بى لان رسالتى كانت خلوا من كل فكرة . فارغة من كل معنى ، ومع هذا فانت تعارض فى دراستى ولا تستحسن تعلمى »

— لقد أصبت شاكلة السداد يا عزيزتى قال هذا سوموف وهو يتثاءب ثم ملأ قدحا آخر من الفودكا .

* * *

تحت تأثير الفودكا والطعام الجيد أصبح سوموف أكثر رقة ودماثة . أخذ يرقب باهتمام زائد زوجه الحسناء وهى تعمل التوابل . تغمره فيض من الحنان المحض والحب الشديد ، ودفعته عاطفة ملحة الى النسيان والتسامح ، ثم أخذ يحدث نفسه ويلومها : « إنها غباوة منى أن أغضب هذه الفتاة المسكينة ! ما الذى حملنى على الجهر بكل هذه الأشياء الجارحة . إنها غبية . ذلك حق . . غير مثقفة . سطحية . بيد أن للمسألة وجهين . . . . . .

والوجه الآخر مفهوم . . . . . ربما يكون الناس على حق عند ما يقولون أن سطحية المرأة ترجع الى حرفتها . ومن المسلم به أن من عملها أن تحب زوجها وتربى أطفالها . ثم تصنع التوابل ! ! فما الذى نرجوه من التعليم ؟ لا شيء على التحقيق .

وهنا ذكر ان النساء المتعلمات غالبا مملات يبعثن الضجر والسأم فى النفس . ثم هن دقيقات صارمات عنيدات . ولكن ما أيسر توفيقك مع الغبية ليدوتشكا التى لا تشمخ بانفها . ولا تصعر خدها ولا تفهم كثيرا . . . أنه السلام والراحة مع ليدوتشكا ولا خطر منها على المرء أبدا : « لعنة الله على أولئك النسوة البارعات المتعلمات ! والخير للمرء وأحسن عقبى أن يعيش مع الساذجات منهن » . ثم دار بخلده وهو يتناول صحنا من لحم الفروج من ليدوتشكا أنه فى بعض الأحيان قد يشعر الرجل المثقف بالرغبة الشديدة فى الحديث ومبادلة الافكار مع امرأة حاذقة كاملة التعليم . ولكنه قال : « ما هذا » إذا رغبت فى التحدث عن موضوعات عقلية . . . فسأذهب لى (ناتالا أندريفنا) أو الى (ماريا فرانتسوفنا) ، هذا سهل جدا . . . ولكن لا . لن أذهب فالمرء يستطيع البحث فى الامور العقلية مع الرجال . ثم قطع بهذا أخيراً ! ! !

محمود البدوى

الشاعر روبنيول

كوميدية في فصل واحد

للكاتب الفرنسي پول پرولا

قالت للشاعر والشاعر ذو سهم يخيش
أست زن عشت تجوعا وأبت مت تعيش
جيل ميدى تربذوى

(المنظر : ساحة قرية سانجان ديفين الوحيدة . يرتفع الستار فترى حركة غـــير عادية فالأهلون يتأهبون للاحتفال برفع الستار عن تمثال نصفي من المرمر للشاعر فرنسوا روبنيول الذى اختفى في أوائل الحرب الكبرى واعتقد الناس أنه ميت . يرى التمثال وسط الساحة وقد قام على قاعدة حفر عليها اسم الشاعر وتاريخا ميلاده وموته . وعلى جدار أحد المنازل كتب بحروف بارزة التنبيه الآتي : «ممنوع وقوف السابلة» ثم يرى خفير القرية مشغولا بترتيب المقاعد حول النصب التذكاري استعدادا للحفلة . جموع من العمال والفلاحين والملاك والنساء والأطفال وبعض رجال المطافى وواحد الشرطة).

المشهد الأول

العمدة . وكيل العمدة

العمدة ـــ (مشرقا من الغبطة) أخيراً حل اليوم السعيد ! كاد يفرغ صبرنا ونحن نتعجل هذه الساعة المجيدة !

الوكيل ـــ كل هذا صنع يدك يا سيدى العمدة ! . لقد شاهدتك عن كثب ورأيت بعيني المتاعب الجمة التي تحملتها وحدك لتحتفل بهذا النصب التذكاري !

العمدة ـــ فعلا كدت أرزح من التعب يا وكيلي العزيز وشريكي الفاضل في تهيئة هذا المهرجان الأدبي العظيم ...

الوكيل ـــ (متواضعا) أوه ! شريكك ! إن طيبتك الفطرية يا سيدي العمدة لتغالى في تقدير ما قمت به ! ... إنى لم أجازف بأكثر من معاونتك و ...

العمدة ـــ (مقاطعا) حسن ! حسن ! ... آه يا صديقى . لقد أدرك الكل أخيراً أننا نحمل في أعناقنا هذه الدية المقدسة نحو ذكرى شاعرنا الكبير فرنسوا روبنيرل ، مجد قريتنا الخالدة سانجان ديفين ! ... بفضل أشعاره الرائعة لم نعد مجهولين بين مواطنينا في أنحاء فرنسا ! جميع صحف العاصمة تتحدث عنا وهى تمجد عبقرية فرنسوا روبنيول ! ...

الوكيل ـــ (ينظر في ساعته) الساعة الآن الثانية والنصف وقد تقرر ميعاد الحفلة في الثالثة ! . . . حضر وكيل المديرية ولم نعد ننتظر غير حضرة النائب المحترم الذى سيجىء خصيصا من باريس

العمدة ـــ آه ! نعم ! حدثني عن حضرة النائب المحترم ! تصور يا صديقى انه لم يكن قد سمع بفرنسوا روبنيول قبل الآن ! أما اليوم فهو يشيع في كل مكان أنه أول من اكتشفه ! ...

الوكيل (ضاحكا) لم يفطن أحد إليه ولم يكن بين سكان القرية من يؤمن برسالته ! .

العمدة ـــ تخطئ يا صاحبي تخطئ ! . . أنا ، لم أشك لحظة واحدة في نبوغه ! . . نعم ، أعرف أنهم كانوا يذيعون عنه ـ في حياته ـ أن به مسا من الجنون لقرضه الشعر . . وكان ذلك مدعاة للسخرية منه والهزء به ، ولكنى الوحيد الذى اكتشف عبقريته الوليدة !

الوكيل ـــ يا لروبينيول المسكين ! . . من كان يظن أنه سيصبح شهيراً . . بعد موته ! . . من كان يتصور أن يقام له تمثال في القرية وأن يطلق اسمه على أهم شوارعها ! ؟ . .

العمدة ـــ في لهجة (خطيرة) انا نتدارك اليوم خطأ فاحشاً !

الوكيل ـــ ونفخر جميعا بشهرته اللامعة !

العمدة ـــ (مقتربا من الوكيل يساره) ولو أن الانسان عندما يتوسم هذا الوجه يصعب عليه أن يميز في سماته كل هذه الكفاءة النادرة ! . .

الوكيل ـــ (كمن يلقي حكمة غالية) يا سيدى العمدة لا يعرف قدر عظماء الرجال إلا بعد موتهم ! . . (صمت قصير) يخيل إلى انى مازلت أراه سابحا أمامى في خياله . غائصا في لجة افكاره العميقة كان يتأهب ولا شك لتدوين روائعه الخالدة ! . .

العمده ـــ بينما الناس كانوا يتهمونه بالكسل ويتشككون في رجاحة عقله ! . . حتى امرأته التى كانت لا تخفى عنه احتقارها إياه ! . .

الوكيل ـــ أما اليوم فقـــد عادت فخورة بحمل هذا الاسم العظيم !

العمده ـــ نعم . أصبحت الارملة الشهيرة التى تشع حواليها هالة المجد !

الوكيل ـــ يقال انها اعتزمت الامتناع عن الزواج ! . . (ساخرا) إلا اذا أتيح لها أن تقترن بأحد الخالدين . إذ ما لا شك فيه أن روبنيول لو امتـــد به العمر الى يومنا لانتخب عضوا في المجمع الأدبي !

العمدة — يجب أن تعترف أن سلوكها الخلقى منذ ماتوفى زوجها لاغبار عليه ..

الوكيل — (متخابثا) نعم .. منذ أن توفى ! .. أما قبل ذلك .. على كل حال سوف تراها بعد حين فى ثياب الحداد .. وكأنها تمثال الأسى الذى لاتنفع فيه تعزية ! ..

(يستمران فى الحديث ثم يتجهان نحو التمثال حيث يستقبلان الوافدين مصافحات بالأيدى . تحيات الخ)

المشهد الثانى

العمدة الوكيل . شرطى . خفير القرية . المجهول

(يبدو المجهول فيتوسط الساحة وهو يتأمل الجمع من خلال نظاراته السوداء وقد أرسل لحيته الكثيفة وارتدى لباسا قرويا)

الشرطى — (لخفير القرية) ألم تلاحظ هذا المخلوق الغريب الذى يرود الناحية منذ هذا الصباح ! لا يعرفه من أهل القرية أحد ولا أدرى من اين جاء ....

خفير القرية — يبدو من ملابسه أنه فى فقر مدقع ! لابد أن يكون أحد المتشردين ! ...

الشرطى — لن تغفل عينى عن مراقبته !..

(يقف المجهول أمام بعض المارة يسألهم ولكنهم يدبرون فى غير اكتراث)

الشرطى — ألم يقرأ المعتوه الاعلان الحكومى : « ممنوع وقوف السابلة » ؟

خفير القرية — (ضاحكا) ربما كان لا يعرف القراءة !

الشرطى — لن تغفل عينى عن مراقبته ! (يبتعد الشرطى مع خفير القرية)

المشهد الثالث

المذكورون . بعض المارين . معلم القرية

(يقترب المجهول من بعض الملاك ويتكلف الحديث بلهجة قروية)

المجهول — عفواً أيها السادة . أرجو أن تتفضلوا على ببعض معلومات بسيطة ...

أحدهم — ماذا تطلب ؟

المجهول — قدمت إلى هنا بمناسبة المهرجان .. نعم مهرجان الأحتفال برفع الستار عن تمثال فرنسوا روبنيول ، واريد أن أعلم فى أية ساعة تحتفلون به ؟

أحدهم — فى الساعة الثالثة ... ولا ننتظر الا أولى الأمر ..

أثنان منهم — (للمجهول) وأنت من تكون ؟

المجهول — كنت أعمل أجيرا فى احدى الضياع البعيدة . أما الآن فقد أصبحت عاطلا ولذا ترونى أتنزه .

المالك الثالث — تنزه ياصاحبى تنزه ! .

المجهول — (فى شىء من التردد والخجل) هل لى أن اسألكم ...

المالك الاول — سر فى طريقك يارجل ! لا نملك وقتاً للرد عليك ! . لو أن الانسان أصغى لجميع الناس لما بقى لديه لحظة لنفسه !

(يبتعدون جميعاً عن المجهول)

المشهد الرابع

المذكورون . المثال

العمدة — (وقد وقف امام التمثال يقول موجهاً قوله للمثال) : فى غاية من الروعة والدقة تمثالك يا استاذ .

الوكيل — طرفة حقيقة ! باللجبين الناصع ! باللرأس الجميل ! والعجيب اننا جهلنا نبوغه المشرق !

العمدة — أعيد نفسى سعيداً ياسيدى بأن أحمل إليك بشرى سارة : لقد حصلنا لك من وزارة الفنون الجميلة على وسام جوقة الشرف .

المثال — هذه منك طيبة لااستحقها ياسيدى العمدة .. بل شرف عظيم يبهظ كفاءتى المتواضعة ! لكنى مع الاسف أحمله .

العمدة — تحمل ماذا ؟

المثال — (باسماً) وسام الشرف !

الوكيل — باللخطأ الفاضح !

المثال — لا . لاداعى للكدر . لن يمنعنى ذلك عن حمل وسامين

(يضحكون ثم يحتاطون بالمثال مصافحين الخ الخ . .

المثال — أشكركم ! أشكركم يا أصدقائى الأعزاء ! هذا اليوم أجمل أيام حياتى ! (يستمرون فى الحديث)

المشهد الخامس

المجهول . معلم القريه

(يجيل المجهول الذى ظل مدة من الزمن وحده فى جانب من الطريق نظرة فاحصة حواليه فيبصر بمعلم القرية فيبتسم بسمة خبيثة ويتقدم اليه)

المجهول — تنازل واغفرلى فضولى الملح ياسيدى ! هل تسمح

لى أن القى عليك بعض الاسئلة ؟ انها تختص بشاعركم الكبير فرنسوا روبنيول !

معلم القرية ـــ سل ماتشاء

المجهول ـــ هل كانت لسيدي معرفة شخصية بروبنيول ؟

معلم القرية ـــ (يشب بصدره مفاخراً) لقد كنت فى المقاطعة اخلص اصدقائه . بل صديقه الوحيد . كان الناس ينكرون عليه نبوغه . وانا وحدى فهمت تلك الروح الكبيرة الحائرة وعطفت عليها استمع الى نجواها السماوية . لذا اختصنى المرحوم بشكاواه المرددة ، ويهمس قلبه المعذب . انى معلم القرية !

المجهول ـــ وهل تيقنتم من موته ؟

معلم القرية ـــ لولم يمت لعلمنا بوجوده من خمس سنوات مضت على اليوم الذى اختفى فيه فجأة . . بالضبط فى أوائل شهور الحرب الكبرى

المجهول ـــ و . . شكله ؟

معلم القرية ـــ كان ذاوجه صبوح . حليق اللحية والشارب . جبين مشرق . عين حالمة . تأمل تمثاله النصفى . انه هو تماماً ! .

المجهول ـــ (متأملا التمثال) فى الواقع هذا رأس جميل ! . وكيف كان يعيش ؟

معلم القرية ـــ فى احلامه دائماً . كانت عاداته وطباعه تنم عن بساطة شديدة . وكان أحب شىء اليه أن يرود قمم الجبال وحيداً ، ويفكر ويتأمل . أن النفوس الكبيرة لاتجد قوتها إلا فى الوحدة !

المجهول ـــ هذا حق ! (صمت قصير) وكيف تكشفتم عبقريته الدفينة ؟

معلم القريه ـــ فى ذات يوم كتب أحد كبار نقاد العاصمة بحثاً مستفيضا عن أعمال الشاعر فرنسوار وبنيول الادبية بمناسبة موته فى ميدان القتال . وكان مما كتبه قوله : « لقد نكبت الاداب الفرنسية بخسارة اخرى فادحة » ثم قال بعد ذلك : « إلا أن روبنيول من أولئك النوابغ الذين واتاهم الحظ السعيد فتراهم يحيون بعد موتهم . . انهم يحيون فى أعمالهم الادبية الخالدة ، فى شعرهم الذى يجالد القرون المتعاقبة زاهيا وضاء كأول فجر اشرف على الانسانية . . » هذا البحث الأدبى البديع نقلته جرائد مقاطعتنا عن جرائد العاصمة وعقبت عليه بشتى التقريظات . . وهكذا انتشرت دواوينه الشعرية بيننا وأثارت الكثير من الحماس والاعجاب . . (صمت قصير) كيف امكننا أن ننكر نبوغ رجل مثل هذا ! .

المجهول ـــ (يطرق مفكراً ثم يقول) نعم ، انه لخير عظيم للشاعر أن يموت ! (بعد فترة وجيزة) وأرملته ؟

معلم القرية ـــ لاتجد الى التعزية سبيلا ! . لن تتوانى عن الحضور . سوف تراها بعد قليل .

المجهول ـــ هل لك أن تقدمنى إليها ؟

معلم القرية ـــ وهل لك حاجة اليها ؟

المجهول ـــ نعم . أود أن أقدم اليها قصيدة من الشعر ألفتها للمناسبة تمجيداً لروبنيول .

معلم القرية ـــ (دهشا) أأنت أيضا شاعر ؟

المجهول ـــ (متواضعا) نعم !

معلم القرية ـــ (ضاحكا) حسبتك أحد القرويين .

المجهول ـــ انى قروى أيضا (ضاحكا) الشاعر القروى !

معلم القرية ـــ عجيب وربى ! ومع ذلك ، لم لا ؟ . انظر ! هاهى الإرملة المجيدة !

المشهـــــد السادس

المذكورون . والأرملة

(تبدو الأرملة العظيمة وقد ارتدت كامل ثياب الحداد ، بطيئة الخطوة ، مرفوعة الرأس ، مهيبة الطلعة ، فيحتاط بها الناس ثم تجلس على مقعد كبير . عندئذ يتقدم اليها المجهول فينحنى أمامها انحناءة عميقة ثم يخرج من جيب ردائه ملفاً من الورق)

المجهول ـــ سيدتى ! اسمحى لى أن أرفع الى مقامك السامى احتراماتى . . وهذه الأبيات التى كتبتها إشادة بمجد الشاعر العظيم الذى تحملين اسمه الخالد !

الأرملة ـــ (فى عدم اكتراث ظاهر) أكانت لك به علاقة سابقـــة ؟

المجهول ـــ كلا ياسيدتى . . غير أنى أحفظ جميع قصائده عن ظهر قلب . . ولا أزال شديد الاعجاب بها

الأرملة ـــ (متقبلة الورقة التى يقدمها اليها فى خشوع) عفواً ماذا تسمى ؟

المجهول ـــ جوزيف . . جوزيف فيليو

صوت ـــ ما أسمج الرجل ! . . لقد أطال الحديث !

صوت آخر ـــ يغالى فى استغلال الفرص !

الأرملة ـــ (للمجهول) أتقيم فى البلدة ؟

المجهول ـــ لا ياسيدتى ! مضى زمن طويل على هجرتى منها . . هذا هو السبب الذى جعل الكل ينكرون معرفتى

(تكونت دائرة من الناس حول المجهول والارملة)

صوت ـــ ما الذي جاء يفعل هنا، هذا الغريب ؟

صوت آخر ـــ تأملوا حذاءه البالي .. تأملوا سترته الممزقة وسرواله المتسخ!.. لا شك أنه شحاذ!..

صوت آخر ـــ ربما كان لصاً ؟

صوت آخر ـــ من الصواب أن يطرد خارج القرية!

معلم القرية ـــ على كل حال لا أراه يزعج أحداً.. وله الحق في أن يعجب بروبنيول كغيره من الناس!

الأرملة ـــ (وقد انشغلت أثناء الحوار الأخير بتلاوة الأشعار) نعم... لا بأس بهذه الأبيات!... (تقرأ بصوت عال)

« لا تحزن فالموت الاكلمة جوفاء أعند ما توارى في التراب »

« وتحجب ظلمة القبر عن عينيك دنيا النور عندما تشعر »

« بحنان التلذو وقد فارقته حرارة الحياة وبدأت تحدبدان الارض تأكله »

« فلا تصدق أنك الى الفناء، لأن قلبك المرتعش مازال ينبض، »

« وما زالت في عمق أعماقه نطفة الحياة والخلود! »

(توجه الحديث الى من حولها تقول في شيء من التسامح:)

الارملة ـــ لا بأس بهذه الأشعار! خصوصا والشاعر مبتدئ.. (للمجهول) ربما واتاك النبوغ... يوماً ما!.. (تعيد اليه ملف الورق)

المجهول ـــ (في صوت خافت وهو يشير الى التمثال) نعم مثله.. بعد موتي!

صوت ـــ هذه أشعار تافهة!

صوت آخر ـــ باهتة!

صوت آخر ـــ بائخة!

صوت آخر ـــ ليرحل عنا هذا الشويعر! لقد اتعبنا مر آه!.

المشهد السابع

المذكورون، النائب المحترم، وكيل المقاطعة

(حركة عامة وضوضاء فجائية. يدخل النائب المحترم متبوعا بوكيل المقاطعة. يصافحان الحاضرين ثم يأخذ كل مكانه لبدء الحفلة يجلس النائب المحترم على كرسي الرئاسة والى يمينه الأرملة والى يساره وكيل المقاطعة والعمدة. يسود صمت عميق مدى لحظة ثم يقف النائب)

النائب ـــ الكلمة لحضرة العمدة!

(يقف العمدة وينحني يمينا ويسارا متكلفا الرزانة والوقار ثم يبدأ بقراءة الخطبة وقد وقف الى جانبه معلم القرية)

العمدة ـــ حضرة النائب المحترم! سيدي وكيل المقاطعة!.

سيدتي، مواطني الأعزاء!

ان هذا اليوم ليس يوم حداد.. اننا لا نبكي ميتا.. إذ أن هناك أمواتا كما قال الشاعر بو... بو...» يتوقف عن القراءة لرداءة الخط »

معلم القرية « يلقنه » يخطمون...

... يحطمون بجماجمهم صخر قبورهم!.. (حركة ارتياح وموافقة من الجميع. يرفع عقيرته)

فرنسوا روبنيول أيها السادة مازال حيا بيننا! نعم مازال حيا في ذكريات كل منا.. وسوف يحيا الى الأبد في ذاكرة البشر لأن العبقرية تهزم الزمن، والفناء لا سبيل له الى الخلود!.»

الجميع ـــ جميل جداً! جميل جداً! ليحيى الخطيب!

العمدة ـــ (مستمراً) وا أسفاه! أيها السادة وأنا استعرض أمامكم صورة هذا المواطن الذى أصبح فى الخالدين والذي تشرفت قريتنا المتواضعة بفتح عينيه للنور، تواردت الى خاطري الحزين كلمة باسكال المأثورة: ما الحياة إلا نوم عميق لا نصحومنه إلا.. الا...

معلم القرية ـــ (يلقنه) ساعة الموت!

العمدة ـــ (يعيد بقوة) ساعة الموت!... وفي واقع الأمر يخيل الى أن روح فرنسوا روبنيول كانت تنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي تفارق فيها جسده البالي كي تتجلى أمامنا. أيها السادة لقد عبر شاعرنا العظيم وادي الآلام هذا مجهولا من الجميع، مجحود الفضل، دون أن يتململ راضيا كفيلسوف قانع باسم بما إرتضاه له القدر من حظ عاثر ومكان وضيع فكان بعمله هذا حكيما اذ أن المجد أغلى نعيم الدنيا ثمناً! وجم القضاء ايها السادة فتلقفت أيد قنيسية أعماله الأدبية المتناثرة وضمتها الى بعضها في دواوين حفظتها للخلود! هكذا أتيح لصحافتنا ولجريدتين من أمهات جرائد العاصمة أن تدرس أشعاره العلوية وأن تزف الى فرنسا والى العالم المتحضر أبكار معانيه الساحرة وأوزان قوافيه الموسيقية. حينذاك اصغى الناس الى هذه الأنغام السماوية وشاع الحماس في كل الاوساط فكتب ناقد كبير يقول: «إن فرنسا الشاعرة تضم الى شعرائها الخالدين شاعراً غنائياً عظيماً، هو منهم في الصدر» أيها السادة إن هذا المجد المتلألئ يضيء اليوم قرية سانجان ديفين التي تذكر لأول مرة في تاريخ الادبيات الفرنسية. فقد تغنى شاعرنا الراحل بمناظرنا الطبيعية الرائعة في قصائده الخالدة... وهكذا أصبح لنا بفضله وجود وخرجت

قريتنا العزيزة من دياجير الظلمة والجهل الى نور الشهرة الباهرة .

(تصفيق حاد عنيف متواصل)

(يستمر) نعم ايها السادة ، كان فرنسوا روبنيول من ذلك النفر الممتاز الذى يحيا وقد مات ! لقد صاغ بنفسه هذا المعنى فى أبيات كتب لها الخلود ! :

« لا تحزن فما الموت إلا كلمة جوفاء ! عندما توارى فى التراب ،

« وتحجب ظلمة القبر عن عينيك دنيا النور ، عندما تشعر »

« بجثمانك البارد وقد فارقته حرارة الحياة وبدأت ديدان الأرض تأكله »

« فلا تصدق أنك الى الفناء . لأن قلبك المرتعش ما زال ينبض »

« وما زالت فى عمق أعماقه نطفة الحياة والخلود ! »

(تصفيق كهزيم الرعد)

أصوات مختلفة — ما أجمل هذه الأشعار ! بديع ! عظيم ! بالشاعر الفحل ! بالعبقرية !

(هنا تنفجر ضحكة هائلة فيلتفت الجميع . فاذا بالضاحك هو المجهول ! هرج ومرج ! يندفع الكل إليه حانقين)

صوت — (فى أشد حالات الغضب) من تكون يارجل ؟

صوت آخر — ماذا تعمل هنا ؟ لست من أهل الناحية !

سيد — (يأخذ بتلابيبه) اعترف بأنك مرتش من أعدائنا لتثير فضيحة !

اصوات عديدة — ليطرد ! ليطرد !

وكيل المقاطعة (للشرطى) أيها الشرطى ، فتش هذا المخلوق !

النائب المحترم — سله أن يبرز أوراق اثبات الشخصية !

(موافقة من الجميع)

الشرطى — (يدافع الجمع الحاشد) سأفعل ياحضرة الوكيل ! ويتقدم من المجهول ويمسك بذراعه) عجل بتقديم أوراقك !

المجهول — (يخرج من جيبه شهادة ميلاده وأوراقا اخرى)

الشرطى — (لايكاد يلقى نظرة على شهادة الميلاد حتى يقول مصعوقا) ما معنى هذا ؟ باللشيطان ! تسخر من السلطات الحكومية يارجل ؟

وكيل المقاطعة — (يتقدم هو أيضا ويلقى نظرة جائلة على الأوراق فيصرخ دهشا) : أيمكن هذا ؟ لا أفهم !

المجهول — لاتفهم ؟ . . لقد قرأت جيداً ! هذه شهادة ميلادى : « فرنسوا روبنيول ولد فى قرية سانجان ديفين يوم الأحد ١٧ يناير سنة ١٨٩٠ » وأنا هو فرنسوا روبنيول : آه ياسادة ! أنتم لا تعرفون سحنى والحق معكم : تغيرت كثيراً عما كنت عليه قبل هذه السنوات الخمس التى مضت . فقد أرسلت لحيتى وشاربى . . تأملونى مع ذلك جيداً . . (ينزع منظاره عن عينيه ويرى يميناً وشمالا) إلا تذكرنى ياجتران ؟ ولا أنت ياباتريل ؟ وأنت ياجيشيو ؟ ألا تتذكر أيام كنا نتطلق معا الى الجبل ؟ هذا هو مسكنى (مشيراً الى أحد المنازل) .

(دهشة عامة . يستمر فى حرارة متزايدة) لكم آلمتمونى ! لقد نغصتم على عيشى فلم اطق الحياة بينكم . . ولذلك اختفيت . أدعيت الموت فعاد على ذلك بالخير العميم والمجد العظيم . . . (ضاحكا) لأن الناس لايعدلون إلا مع الاموات ! اذن حسبتمونى ميتا ايها السادة ! واسفاه ، مازلت من سكان هذا العالم وها أنذا اقول لكم : انتهت المهزلة . . . . فتعالوا نضحك منها سويا . . .

العمدة — هذا الرجل مخلوق كاذب !

الجميع — كفى ! كفى ! انه يريد الهزء بنا ! أخرسوه اطردوه

النائب المحترم — (فى هياج شديد) من العار أن نسمح لهذا الدعى أن يسخر منا !

معلم القرية — انه مشعوذ سخيف !

المجهول — (فى صوت جهورى) هنا مع ذلك شخص لايمكنه أن ينكر معرفتى ! (يشير الى الارملة) هذه المرأة ! .

(غمغمة عامة : فضول !)

الارملة — (فى احتقار) لا أعرف هذا الانسان !

الجميع — أرأيت ؟ انت مجنون ! . . ألقوا به الى الخارج ! اقبضوا عليه ! . . الى السجن ! الى السجن ! (يقفز المجهول الى المنصة ويصيح بين الضحكات والاحتجاجات العاصفة)

المجهول — ايها الحمقى ! أنما اقمتم هذا التمثال لانفسكم . . لغروركم الوضيع . لم يكن فرنسوا روبنيول بالشاعر الكبير . بل كان فنه كاذبا وعبقريته مزيفة . فلو كان عظيما حقا لما فهمتموه ! انكم انما مجدتموه لانه مرآة نفوسكم الخاملة ، وصورة اذهانكم المحدودة . انه لم يمت ، وها هو ذا أمامكم ، لافى صورة تمثال من المرمر بل حيا يرزق ، وفى استطاعتى أن أبدى فيه رأيا صريحا خيراً من أى واحد منكم . لانى . أو بعبارة اخرى لانى كنت . . .

(لكنه لا يستطيع الاستمرار فصرخات الاحتجاج تغطى صوته (يصيح الكل : انتزعوه من على المنصة) القوا به الى النهر اصبح السخط عاما . يتقدم الشرطى وخفير القرية من المجهول ويستاقانه فى غلظة)

الشرطى — (يجذبه بعنف) كفاك سفسطة ! الى السجن ! . . . لاتعاند ! تقدم معى !

بلياس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

إينيولد ـ نعم . نعم . إنها تجالد كل الوقت الذى تغيب فيه عن البيت.

جولو ـ آه ! . . . أحد الناس يجتاز الحديقة وبيده مصباح ولكن قيل لى إنهما لا يتحابان . . . ويغلب على ظنى أنهما يقضيان أغلب الأوقات في جدل عنيف . . . كلا ؟ نعم ؟ حقا ؟

إينيولد ـ نعم . هذه حقيقة

جولو ـ نعم ؟ . . . آه ! آه ! . . . ولكن فيم يتجادلان ؟

إينيولد ـ فى شأن الباب

جولو ـ كيف ؟ فى شأن الباب ؟ ما هذا المراء الذى تقصه على ؟ ألق بالك إلى وأفصح . لماذا يتجادلان في شأن الباب ؟

إينيولد ـ لانهما لا يريدان أن يظل مفتوحا

جولو ـ أيهما لا يريد أن يظل الباب مفتوحا ؟ . . أوه ! تكلم . لماذا يتجادلان ؟

إينيولد ـ لا أدرى يا أبى . . . النور سبب الجدل

جولو ـ موضوع حديثنا الباب لا النور . . . ما هذا ؟ ! لا تضع يدك هكذا فى فمك . . .

إينيولد ـ أبى ! أبى ! لن أفعل أبداً ما نهيتنى عنه . . (يبكى)

جولو ـ تكلم . علام البكاء ؟ ماذا حدث ؟

إينيولد ـ أوه ! أوه ! لقد آلمتنى يا أبى

جولو ـ آلمتك ؟ فى أى موضع ؟ لم أشعر بما فعلت ولم أقصد اليه

إينيولد ـ هنا . فى ذراعى الصغيرة

جولو ـ لم أرد إيلامك يا بنى . . . كف عن البكاء . . . سأعطيك شيئا غداً . .

إينيولد ـ ماذا يا أبى ؟

جولو ـ سأهدى اليك قوساً وسهاما . . . ولكن قص على ما تعرفه من أمر الباب

إينيولد ـ أتهدى إلى سهاما كبيرة ؟

جولو ـ نعم غاية فى الكبر . . . لماذا لا يريدان أن يظل الباب مفتوحا ؟ . . . ما هذا الصمت الاليم ؟ ! تكلم . أجب . . . لا . لا . . . لا تفتح فمك لتبكى . . . ليس بى استياء ولا كدر . فيم يتحدثان وقت اجتماعهما ؟

إينيولد ـ بلياس وأمى الصغيرة ؟

جولو ـ نعم . فى أى شأن يتحدثان ؟

إينيولد ـ يتحدثان عنى . دائما فى شأنى

جولو ـ وماذا يقولان عنك ؟

إينيولد ـ يقولان إنى سأصير كبيراً طويل القامة

جولو ـ آه ! يا بؤس عيشى ! إنى هنا كضرير يبحث عن كنزه فى أعماق اليم ! . . . إنى هنا كطفل صغير ضل فى غابة كثيفة . . وأنت . . آه ! لا تكترث لما قلت ، فقد كنت لاهيا يا إينيولد . سنتكلم جادا يا بنى . ألا يتحدثان ، بلياس وأمك الصغيرة ، عنى فى غيبتى ؟

إينيولد ـ يذكران اسمك في الحديث .

جولو ـ آه ! وماذا يقولان عنى ؟

إينيولد ـ يقولان إنى سأصير كبيراً طويل القامة مثلك

جولو ـ وهل أنت دائماً معهما ؟

إينيولد ـ نعم . نعم أقضى معهما كل الوقت يا أبى

جولو ـ ألم يطلبا إليك قط أن تغادر الغرفة وتلعب فى مكان آخر ؟

إينيولد ـ كلا يا أبى . الخوف يستحوذ عليهما إذا بعدت عنهما

جولو ـ الخوف يستحوذ عليهما ؟ . . وكيف عرفت ذلك ؟

إينيولد ـ لأنهما يبكيان دائما فى الظلمة

جولو ـ آه ! آه !

(يتبع)

(يمضى الشرطى بالمجهول فتصدح الموسيقى بنشيد المرسلييز)

النائب ــ (يقف ويشير الى الجمع بالصمت) يا اصدقائى الاعزاء ! هذا الحادث السخيف الذى أثاره مجنون (اصوت نعم نعم) لا ينبغى ان تمنعنا عن أداء واجبنا المقدس نحو ذكرى شاعرنا الكبير فرنسوا روبنيول !

(اصوات : ليحى روبنيول !)

النائب ــ أيها السادة ، الحفلة مستمرة . ان مجد فرنسوا روبنيول هو مجد قريتنا العزيزة سانجان ديفين . . . وموته خسارة لا تعوض على العالم المتمدن ! . . . .

(يستمر فى الخطابة بينما يسدل الستار شيئا فشيئا)

فتوح نشاطي



دائرة المعارف الاسلامية

أغلاط الكراسة الاولى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لايمارى أحد فى أن شباننا الذين شرعوا يترجمون دائرة المعارف الاسلامية جديرون بالاعجاب لعظم مقصدهم . وصدق عزيمتهم ، واعتدادهم بأنفسهم فى الاضطلاع بعمل بعيد المدى ، عظيم الشقة . وانا لنرجو أن ينالوا من التأييد والاقبال مايفى بمثوبتهم على هذا العمل الجليل .

منعتنى أعمالى أن أبادر الى قراءة الكراسة الأولى من الترجمة العربية . فلما أتيحت الفرصة منذ أيام أقبلت على قراءتها أقبال المغتبط المتشوف ، فقرأت الكراسة كلها فى ساعات قليلة ولم أحس ضجرا ولا تعبا .

وقد ألفيت أثناء القراءة أغلاطا كثيرة أعرضها على القراء والمترجمين فى الفقر الآتية :

١ — فمن الغلط فى أسماء الناس والبلدان :

أرزن روم ص ١٠ . والصواب أرزن الروم . وفى الأصل أرضروم فلم يبق المترجم على الاسم التركى ، ولا اهتدى الى التسمية العربية . ومن ذلك القرم ص ١١ والصواب القريم — وكيجاك ص١٤ . والصواب قفجاق — وأحمد تكدر ص١٥ — والصواب تكودار — وكتاب قرقد . والصواب قورقود كما يكتبها الترك — ومن ذلك أتميدان ص ٤٢ والصواب آت ميدانى . وهو ميدان فى استانبول كان الرومان يسمونه هيبودروم فسماه الترك آت ميدانى أى ميدان الخيل . — ومن ذلك إزوان اسم مدينة ص ٤٩ والصواب أزيوان — ومحمد صقلى باشا ص ٥٦ والاتراك يكتبونه صوقوللى فيحسن أن يكتب بالعربية صوقولى — وججرات اسم مدينة فى الهند ص ٥٧ والصواب كجرات — وججتاى اسم لهجة تركية والصواب جغتاى بالغين .

٢ — ومن غلط الأسماء الناشىء من الاضافة الفارسية وظن المترجمين أن حرف « ی » فى الأصل يقابل الياء ، وهو كسرة لاغير :

آب — ى حياة ص ١ . والصواب آب حياة — وكتابى قرقد ص ٢١ والصواب كتاب قورقود بغير ياء — وجلزارى ابراهيم ص٣٥ والصواب جلزار ابراهيم — وسجلى عثمانى والصواب سجل عثمانى — ومدخلى حقوقى دول ص ٥٥ والصواب مدخل حقوق دول — وتاريخى حقوق بين الدول ص٥٦ والصواب تاريخ بغير ياء — ونوسالى ثروتى فنون ص٥٦ والصواب نوسال ثروت فنون — وسالنامى ثروتى فنون ص ٥٦ . والصواب سالنامه ثروت فنون — وطبقاتى أكبرى ص ٥٧ وفارسى نامى ص ٦٠ وواقعاتى درانى ص ٢٤ وتاريخى أحمد ص٢٤ وحياتى أفغانى ودرى درانى ص ٢٤ والصواب فى هذا كله طبقات أكبرى ، وفارس نامه ، وواقعات ، وتاريخ ، وحيات ودر بغير ياء فى الكلمات الأربع — وأفظع من هذا كله درى سعادت اسم استانبول . والصواب در سعادت

٣ — ومثل هذا الغلط فى نقل العبارات التركية :

فقد ترجموا « آبازه كوشكى » فكتبوا كيوشكى آبازه ص ١٠ والصواب كوشك آبازه فان الياء الأخيرة ياء الاضافة فى التركية . فاذا نقل التركيب الى العربية فلماذا تبقى الياء ؟ ثم الياء بعد الكاف فى كيوشكى غلط آخر . — وطوب عربجلرى ص ٥١ والصواب طوب عربجيلرى بالياء الثقيلة وزيادة ياء بعد الجيم . والناس فى مصر يقولون عربجى لاعربج . وأصوب من هذا طوب آرابه جيلرى — وايج شاهنجلر ص ٤٥ والصواب شاهينجيلر بزيادة ياء بعد الجيم .

٤ — ومن الغلط فى رسم الكلمات الفارسية والتركية والكلمات العربية المستعملة فى هاتين اللغتين :

سياسة نامه . والصواب سياستنامه أو سياست نامه — وجينليكيوشك ص٣١ والصواب جينلى كوشك . وان أريد الترجمة فالكوشك الصينى — وسياحات ص ٣١ والصواب سياحت — وأوليه . والصواب أوليا — وخاطيرات . ص ٥٦ والصواب خاطرات جمع خاطرة — وخندمير ومير خند ص ٦٠ والصواب خوندمير ومير خوند . — وكجوك وبيك ص ٥٠ والصواب كوجك وبيوك — وحياة خان

ص ٢٤ والصواب حيات — وآتش كده ص ٦٠ والصواب آتشكده — وقترجى أوغلو ص ١٠ . والصواب قطرجى — وبترمى سكز جلبى محمد ص ٥٨ والصواب يكرمى سكز كما تكتب فى التركية .

٥ — ومن الغلط فى تعريب الكلمات :

أرسلان بج . ولطف على بج ص ٦٠ وأتا بج فارس ص ٥٩ وسليم جراى ص ١١ . والصواب فى هذا كله بك وأتا بك وكراى بالكاف الفارسية أو بك وأتا بك وكراى بالكاف العربية أن أريد التعريب ، فقد عربت من قبل وكتبت بالكاف العربية لا بالجيم

٦ — ومن الغلط فى الترجمة : نهر جرجان رود ص ٦٣ . والصواب نهر جرجان فان كلمة رود بالفارسية معناها النهر — وترجمتهم هذه الجملة Les vllées des Eaux douces d'Eurorpe بهذه العبارة « ينابيع المياه العذبة » وهى لا تفى بالأصل . ومن الغلط فى ترجمة الاصطلاحات العروضية ترجمتهم pied بمقطع والصواب جزء . ولو رجعوا إلى تعريف الابتداء عند العروضيين لأصابوا التعريف الاصطلاحى الصحيح .

٧ — ومن الأغلاط الظريفة أن الكتاب الأوربيين ترجموا بعض الكلمات العربية ثم حرصوا على الكلمة المترجمة فوضعوها بين قوسين ليستعين عارف العربية بها على تحديد المعنى . فجاء المترجمون إلى العربية فترجموا العبارة الانكليزية أو الفرنسية بعبارة عربية وأبقوا الكلمة العربية بين قوسين . وظاهر أنه لا حاجة إلى حبس هذه الكلمة بين قوسين بعد أن ردت الى لغتها . ومعنى هذا أن الكلمة العربية ترجمت إلى الانجليزية فلما أريد ردها إلى لغتها وضعت كلمة أخرى مكانها لا تؤدى معناها . وبقيت هى زائدة بين القوسين .

ومن ذلك قولهم : وألف كذلك مصنفاً عن حكمة (حلم) الهندوس ص ١٦ يستنزلون المطر (استسقاء) ص ٢٣ — ادارة أوقاف (متولى) ص ٥٧ .

٨ — ومن الأغلاط المطبعية :

لم يتقدم إكثر جوتز ص ٤٦ وأظن هنا حرف « من » محذوفا بعد إكثر . ابراهيم باشا داماد وزير السلطان أحمد الثالث ص ٤٨ والصواب حذف « داماد » — وثير بالثاء فى حاشية الأستاذ محمد مسعود ص ١٦ والصواب تير بالتاء المثناة . — ودراويش جانفزا (جوف) ص ٤٦ . ولست أدرى من أين جاءت كلمة « جوف » والقوسان المحيطان بها .

٩ — ومما يؤخذ على العبارات العربية ، وأكتفى بسردها هنا اجرى لنفسه عملية الختان ص ٢٧ : — وكان ترتيبه السابع عشر بين سلاطين آل عثمان ص ٢٩ — يسمى أبو بكر ص ٣٥ — وكانت حياة هذا الرجل اقرب الى الأفقية والمجازفة ص ٣٩ — ثم أعدمه هناك ص ١٠ ثار بدوره ص ١٠ ، دخل مذهب الخوارج الى المغرب فى صورة الاباضية ص ١٣ « يضطر المسلمون الى اقامة خليفة » ص ١٤ فى مكان « يجب على المسلمين الخ » — قراءة خاطئة بدل مخطئة — وفى حاشية الأستاذ مسعود : « الايام المسترقة (بكسر الراء) ص ١٦ والصواب فتح الراء . ولو ترك الامر للقارىء ولم ينص على الكسر بين القوسين لكان احزم .

— ثمانى مائة كنيسة ومائة بيعة (بما فيها المعابد الصغيرة) ص ٢١ وما بين القوسين لا تسيغه اللغة

١٠ — ومما يؤخذ على رسم الكتاب كتابة أسماء المراجع بحروف كبيرة وتركهم شكل الأعلام والكلمات التى تحتاج الى الشكل ، وتركهم الرموز فى الاشارة الى المقالات فيقولون مثلا : « انظر مقال عمان » ولو كتبوا (انظر : عمان) أو (ظ . عمان) لكان أوجز الخ .

هذا ما ألفيته أثناء القراءة واستحسنت أن الفت المترجمين الكرام أن يتجنبوه فى الكراسات الآتية .

وينبغى أن يعلموا أن هذه الاغلاط وأمثالها لا تنقص من عملهم ، ولا تغض من أقدارهم . ولعل فى التنبيه الى هذه المآخذ ما يدعو الى طمأنينة القارىء حين يعلم أن هذه الدائرة العربية لا تقر على أغلاطها ، وان وراءها من ينقدها ، ويشفق على قرائها ، ويرجو لها كل سلامة .

وبعد فانى أختم بتكرار الثناء والشكر ، ودعوة قراء العربية الى التأييد والمعاونة ما استطاعوا .

والله يهدينا الى التى هى أقوم . ويسددنا الى كل عمل صالح

عبد الوهاب عزام

العـــدد القادم

سيكون العدد القادم صفحة من صفحات مصر الناهضة ، ونفحة من نفحات الشبيبة المخلصة ، ودعاية لعيد الوطن الاقتصادى

دائرة المعارف الاسلامية

نقد وتقدير

للأستاذ اسماعيل مظهر

(تتمة)

(١٠) ولكنه كان برغم عقيدته المسيحية محوطا (كذا) بالاتراك. (ص ٢٢ نهر ١) والاصل الانجليزى كما يلى.

... in spite of his christian faith, had surrounded himself with Turks.

والفرق بين الاصل والترجمة شاسع بعيد، لأنك عند ماتقول بأن فلانا كان محاطا باللصوص شيء يختلف كل الاختلاف عن قولك أن فلانا اتخذ لنفسه بطانة من اللصوص. والذى يرمى اليه الأصل هو أن فلانا هذا « على الرغم من عقيدته النصرانية اتخذ له بطانة من الأتراك » لأن مجرد أن يكون محاطا بالاتراك لايؤدى المعنى المدرك من الجملة الاصلية، ويدل فى جملة مايدل عليه أنه كان محاطا بهم ولو لم يكن له رغبة فى أن يكونوا من بطانته أو حاشيته: وأنه كان محاطاً بهم عنفا وأثرا على الرغم من ارادته. وقد جاء فى القرآن: « إلا أن يحاط بكم ». وليس شيء فى هذا بمحمول فى الأصل. ومثل هذا التفريط لا يصح أن يقع فيه شباب مثقفون تصدروا الى اخراج عمل أدبى عظيم كدائرة معارف الاسلام

***

(١١) وهنا ننتقل الى مادة أخرى هى مادة « أباضيون » - Abadites - وقد جاء فى هذه المادة (ص ١٣ نهر ١) ما يأتى: « وانتشر بسرعة بين البربر حتى أصبح المذهب القومى لهم، اتخذوه ذريعة لنضالهم مع أهل السنة من العرب » والنص الانجليزى كما يلى:-

it developed rapidly among the Berbers and became the national doctrine, which served as a pretext for the struggle between the African and the orthodox Arabs.

وهنا نلاحظ أولا أن كلمة - developed - الانجليزية لا تأتى مطلقا بمعنى انتشر. لأن انتشر تؤديها كلمة diffused. ولكن الاولى تؤدى دائما معنى التوسع فى الشىء أو نشوؤه وتطوره. وثانيا أن المترجم قال: « اتخذوه ذريعة لنضالهم مع أهل السنة من العرب » فجاءت الجملة غامضة لانه لم يفصح عمن اتخذوه ذريعة فى حين أنها بينة فى الاصل، والسبب فى هذا راجع الى أنه أهمل كلمة - African - ولو عنى قليلا بالترجمة لقال « اتخذه العرب الافريقيون ذريعة للنضال مع أهل السنة، واذن تستقيم الجملة وتنطبق على الاصل ويزول عنها الغموض

(١٢) وجاء فى هذه الصحيفة ما يأتى: « ولعب أباضيو طرابلس وأفريقية ....

.. الدور المهم فى ثورة القرن الثانى الهجرى التى كادت تجرد الخلافة من افريقية » والأصل الانجليزى كما يلى:

The Abdites played the principal part in the Berber rising of the second century which nearly deprived the Caliphate of Africa.

وبالمقارنة بين الأصل والترجمة تجد وضوحاً فى الاولى وغموضا فى الثانية. السبب فى هذا أن المترجم أهمل كلمة Berber وهى حجر الزاوية فى الجملة فقال: « ثورة القرن الثانى الهجرى ». وكان يجب أن يقول: « ثورة البربر فى القرن الثانى من الهجرة » لانك اذا اهملت كلمة البربر لم تعرف من الذى ثار، ومثل هذا التفريط مفسدة للتاريخ وتعقيد على المطالع لا سبب له الا التعجل فى ابراز الآثار الأدبية. ثم أن كلمة - rising - الانجليزية لا تؤدى معنى الثورة فعلا - بل تؤدى معنى فتنة، لان الثورة لابد من أن يعقبها انقلاب حقيقى فى نظم الحكم أو فى قوام الدولة كالثورة الفرنسية وكالفتنة المصرية. والفتنة لا تؤدى المعنى المقصود فى الثورة الفرنسية أو انقلاب روسيا الحديث. والانجليز شديدو الحرص على مراعاة مثل هذه الفروق. لان التخليط فيها تخليط فى التصور الذى ينتج عنها

(١٣) « تفرق شمل الاباضيين فى صحراء تونس والجزائر » الخ (ص ١٣ نهر ٢) والاصل الانجليزى كما يلى:

The Abdites lived sporadically in the Algerian and Tunisian Sahara, as well as at Djebra

وأنت تقول تفرق شمل الجيش أو الجماعة ولكنه يجوز أن يجتمع شملهم مرة أخرى، ولكن الأصل الانجليزى يريد أن يقول على الضد مما اراد المترجم أن الاباضيين عاشوا متفردين (آفاقيين) فى جماعات عيش مصادفة واتفاق. وشتان ما بين المعنيين لان كلمة Sporadic قد أثبتت فى المعاجم الكبرى، وكما تدل حقيقة، وأمامها « اتفاقا، واقع متفرقا » (راجع بدجر ص ١٠٠٩) وفى هذا تفريط لا يستهان به

(١٤) وجاء فى نفس الصفحة والنهر: « ولهم أدب دينى تاريخى هام، وجماعاتهم دائمة الاتصال بعضها ببعض تحرص حرصا شديدا على حماسها المتأجج » والعبارة هنا عبارة فرنسية فى كلمات عربية، ولا تمت للاسلوب العربى بأى سبب، ولكن على الرغم من هذا ترجع الى الأصل الانجليزى فتجده كما يلى:

They have an important historical and religious literature and communities in constant communication with each other, carefully keep up their fervor.

والفرق شاسع بين الاصل والفرع، فقد قال المترجم: « ولهم أدب دينى تاريخى هام » والواقع أن الأصل لا يحتمل هذا المعنى

مطلقاً ، فأن المؤلف يريد أن يقول برغم المترجم : « ولهم مؤلفات دينية تاريخية ذات وزن » والسبب في خطأ المترجم أنه ترجم كلمة literature بـ « بأدب » ولكنها في هذا الموضع تدل على المؤلفات والآثار الأدبية كما يقول Scientific literature فلا يصح أن نترجمها « الإدب العلمي » بل نقول المؤلفات العلمية ، وقول المترجم « أدب ديني تاريخي » يدل على أن هذا الأدب قاصر على الكلام في الدين من طريق اتصاله بتاريخ نشوء دينهم . والاصل يريد أن يقول « مؤلفات دينية وتاريخية » والفرق ظاهر جلي . ولأن – and – في الإنجليزية حرف عطف ياسيدي المترجم ، وعلى الرغم من أن المترجم فصَّل من الجملة الواحدة ثلاث جمل مفككة مما نغضي عنه تجاوزاً ، فانه قال في عرض الكلام عن جماعات الاباضية انها : « تحرص حرصاً شديداً على حماسها المتأجج » وعلى الرغم أيضاً من أن معنى « الحرص » لا أصل له في الجملة الانجليزية ، بل أن – keep up – تفيد معنى الاحتفاظ بالشيء في مستوى بعينه ، فانه أردف الحماس بالمتأجج وصفاً له . والمتأجج لا أصل لها في الأصل الانجليزي . فخرج بذلك عن وظيفة المترجم الأمين الى وظيفة محرر جريدة يحاول أن ينمق كلامه بالخطابيات . ولو انه أراد ان يترجم كلمة – fervor – ترجمة حسنة فيها احتفاظ بالاصل ، وفيها ما يريد من تأجج الحماسة لقال « حميتهم » لان الحمية فيها الحماسة وفيها تأجج الحماسة معاً

(١٥) « ولقد انقسم الاباضيون الافريقيون ثلاثة أقسام سياسية ودينية على التوالي » (ص ١٣ نهر ٢) والاصل كما يلي :

But three schisms, both political and religious, namely . . . . occured amongst the African Abdites.

وكان الواجب أن يلاحظ المترجم أن كلمة – Schism – لا تترجم بقسم لان قسم هو – division – ولذا يجب أن تترجم بفرقة أو شيعة ، وقال المترجم « أقسام سياسية دينية » . وهذا بعيد عن الاصل لأن التعبير الاصلي يريد أن يقول « ثلاث فرق أو (شيع) لكل منها لون سياسي وآخر ديني » والله أعلم .

(١٦) « ومن الطبيعي أن يعارض الاباضيون بشدة في اتهام أهل السنة لهم بالكفر » (ص ١٣ نهر ٢) والاصل كما يلي :

Naturally the Abdites object energetically to the name of heretics which the orthodox sects give them,

ونحن نترك للمترجم الفاضل قوله « يعارض الاباضيون بشدة » لتقابل – object energetically برغم أنها خطأ . ولكنا لا نستطيع أن نترك ترجمة كلمة heretics بالكفر ، لان كلمة herecy معناها الهرطقة . وبين الكفر والهرطقة فارق ما كان ليجل عن فهم المترجم لو أنه أراد وصبر على مكاره البحث .. ذلك لان الهرطقة درجة من درجات الكفر ، والكفر خروج من دين الى دين آخر ، ومن درجاته الهرطقة والزندقة والردة وغيرها فقد يكون الانسان هرطوقاً أو زنديقاً ، ولكنه يبقى مسلماً يحتاج فقط الى تصحيح دينه ، كما يحتاج المترجم الفاضل الى اصلاح ترجمته ، ويبقى مع ذلك مترجماً . ولكن الكفر خروج من الدين . وكلمة هرطوق وجمعها هراطقة ، أو أرطوق وأراطقة ، من المعربات التي دخلت اللغة العربية وأصبحت صحيحة (راجع محيط المحيط) . ولئن غضب الاباضيون على أهل السنة في رميهم إياهم بالهرطقة لاغير : فكم يكون غضبهم على المترجم الفاضل وهو يرميهم بالكفر ؟ نرجو الله ألا يسمع الاباضيون خبر ذلك .

(١٧) وجاء في « ص ١٤ نهر ٢ » ما يأتي : « وهذا النقاء سواء أكان عن اخلاص أو تظاهر يجعل منهم كتلة متجانسة متآلفة متمايزة تمام التمايز بسلوكها وأخلاقها وميولها بين أهل السنة من العرب والبربر » في شمال افريقية والأصل كما يلي :

This puritanism, be it sincere or pharsaicol, has formed them into a homogenous and compact group, which is very clearly distinguished by its behavior character and tendencies amidst the orthodox or Berbers of Northern Africa

وأريد الآن أن أختم هذا النقد حذر أن أطنب وان كانت ترجمة دائرة معارف الاسلام جديرة بأكثر من هذه العناية .

قال المترجم أن Puritanism هي النقاء ولا أعلم كيف جاز له أن يستعمل هذا الاصطلاح المبهم ، وحقيقتها (صوفية أو تصوف) . (أنظر بدجر ص ٨٢٠) ولكنها ليست الصوفية أو التصوف كما عرفه العرب : لأن صوفية العرب جاءتهم من ناحية الهند تغليبا أو من ناحية الاسكندرية ترجيحا ، بل هي الصوفية كما عرفت عند شيعة كنسية نصرانية . لأن الكلمة هنا قد وضعت لتدل على وجه من الشبه بين الفئة التي يتكلم فيها المؤلف وبين فئة ظهرت في ثنايا الكنيسة النصرانية — ونقاء ترجمة حرفيــة لكلمة pure ومنها purity ولكن الخطأ في أن تستعمل بنصها الاصيل لتدل على مذهب ، والاجاز لنا أن نترجم مثلا اصطلاح Obscurantism بالغموضية أو الابهامية في حين أنها وضعت لتدل على مذهب الجمود الفلسفي . ووضع المترجم الفاضل كلمة « تظاهر » لتقابل في الاصل كلمة – pharsaical وحقيقتها مراءاة أو نفاق . (انظر بدجر ص ٧٥٠)

وقال المترجم « متمايزة بسلوكها وأخلاقها وميولها بين أهل السنة من العرب والبربر في شمال افريقية » والحق أن المؤلف يريد أن يقول « مميزة بسلوكها وأخلاقها وميولها عن أهل السنة أو بربر شمال افريقية » . فان استعماله « بين » يدل على خطأ في الجملة يفسد مرماها وقوله « العرب والبربر » خطأ أفظع من الأول لان or تترجم (أو) في الانجليزية وقد استعمل بدلها حرف عطف هو (الواو) تقابلها في الانجليزية and فافسد بذلك المعنى .

على أني لا يسعني الا أن أهنيء لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية من كل قلبي على عملها المجيد راجيا أن تسير فيه موفقة مسددة الخطو باذن الله ؟

1re. Année, No. 21
Mercredi, 15-11-1933

بدل الاشتراك
ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....
تصدر مؤقتاً
في أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات
....
الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

العدد الحادي والعشرون «القاهرة في يوم الأربعاء ٢٦ رجب سنة ١٣٥٢ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العدد

نهضة الشباب . . .

نهضة الشباب اليوم احدى الظواهر المميزة لهذا الجيل . وهى أجلى ما تكون فى الأمم المظلومة أو المهددة بالظلم . كأنما أخفق فى سياستها (رأى) الشيوخ ، فصمد الى قيادتها (عزم) الشباب ! والواقع أن هذه النخوة القدسية التى تعصف برءوس الفتيان فى ايطاليا والمانيا وسورية ومصر ، انما هى القارعة التى تصم ، والظاهرة التى تخيف ، لأن الشباب اذا كان لهم الصف الأول فى الحرب ، فان لهم الصف الأخير فى السلم ، فاذا ألجأهم تقلب الصروف الى تقدم الصفوف ، دل ذلك على سياسة عاجزة ، أو سلم مريبة ، أو خطر محدق . وعجز السياسة اتهام لحنكة السن ، ووراء السلم ايذان بصراحة الحرب ، وتفارس الأهواء إعلان بنزول الغاشية .

فا (لفاشية) و (النازية) و (عصبة العمل القومى) و (عيد الوطن الاقتصادى) وغيرها من حركات الشباب وثبات دفاعية بعثتها الانسانية المهددة بالتفكك والفوضى والهوان والاستعباد والجشع . ولئن كان لكل دولة من هذه الدول ، علة أو أكثر من هذه العلل ، فان مصر البائسة تكابد هذه النكبات جميعاً ! فأخلاقها تفككها الحزبية الأثرة ، وآراؤها تشتتها المطامع الخسيسة ، وكرامتها تهينها الامتيازات الباغية ،

وقوميتها توهنها الأجنبية الموغلة ، وحريتها تقيدها القوة المحتلة ، وارزاقها تسلبها (الضيافة) الثقيلة ، وأبناؤها (الكرماء) القانعون الخانعون قد ألفوا مضاجع الهون فلا تؤذيهم الغضاضة ، ولا تؤلمهم الخصاصة ، ولا يبغون حولا عن هذه الحال !

ولكن الشباب ـ وان أعدّهم هذا الحاضر الذليل ـ قد أعانتهم خصائص الفتوة ، وغرائز الفطرة ، على أن يدركوا ما نحن فيه من ضراعة الجانب ، ووضاعة الشأن ، وضيق المضطرب ، فهبوا يعززون النفوس الذليلة ، ويمنعون الحوزة المباحة ، ويستردون الثروة المضاعة ، ويمهدون لهذا البلد العانى طريق الاستقلال الخالص السعيد !

ومن أحق بحماية الوطن واعزازه من الشباب ؟!

إنهم يعيشون للغد وآباؤهم يعيشون لليوم . فهم يحرصون على المستقبل ويجعلون الحاضر رأس مال ، وأولئك يحرصون على الحاضر ويعدون المستقبل تركة ! وشتان بين من يعمل لنفسه عن حاجة ، وبين من يعمل لغيره عن عاطفة .

....

لقد كان شبابنا وما زالوا أغرودة الأمل الباسم فى فم وادينا الجميل ، وسر النشاط الدافق فى روح نهضتنا المرجوة ، حملوا وما زالوا يحملون لواء الغضبة المقدسة فى وجه الدخيل العادى ، وغسلوا وما زالوا يغسلون أدران الماضى بالعرق الطهور والدم الغالى ؛ ثم رأوا ان مصر المنكودة إنما يقف فى طريق حياتها الطبيعية احتلالان لا احتلال واحد : احتلال سياسى يحتل الثكنات ، ويخادع الحكومة ، ويغل الحرية ، ويهين الحق ، ويؤذى الكرامة ؛ واحتلال اقتصادى يحتل المدائن ، ويغزو القرى ، ويأكل الأرض ، ويشرب النيل ، ويحتكر التجارة ، ويجلب الخمور ، ويهرب المخدرات ، ويتكسب بالمنكرات ، ويفتك بالجيوب ، ويلغ فى الاعراض ، ويعبث بالمدين ، ويحل على الجملة فى سبيل المغنم ما حرمته الشرائع والضمائر والعرف ، ثم يتبجح بعد ذلك كله بأنه القيم على المدنية والحرية والعدالة ، يبذرها فى طريقه ، وينشرها فى مجلسه ، ويمثلها فى نفسه ! فاذا قلت فى رقة المغازل لهذا الضيف المدلل ان ما تعمله يناقض ما تقوله ، تجهمت (امتيازات) الدول ، وتزغمت (تحفظات) الانجليز !!

رأى شبابنا أن جهاد هذين الاحتلالين أمر لا يتحقق خلاصنا بدونه ، وأن قصر الجهود على احد الميدانين يمكن الحليفين من حشد كل القوى فى ذلك الميدان ، فأرهفوا النشاط ، وأرصدوا الأهبة ، ولاقوا الوأغل فى كل طريق !

ليس بسبيلنا اليوم أن نعرض فيالق الشباب فى مختلف الميادين ، فقد اشرنا الى ذلك فى كلمة سابقة ، انما نريد أن نسجل فى ثبت المجاهدين فيلقا جديدا جاء يؤكد مرة أخرى ان هذه الأمة الكريمة قد قطعت عزمها على أن تعيش فى أرضها حرة وفى ملكها سيدة ، ذلك الفيلق هو جماعة عيد الوطن الاقتصادى ، وهم فريق من الطلاب العاملين المخلصين البررة ، حملوا نفوسهم الرقيقة فوق تكاليف الدرس أعباء الدعاية للتجارة المصرية والمنتجات الوطنية ، فهم يعرضون عن مطالب الصبى ، ويصدفون عن مباهج العيش ، ويعقلون جهودهم وميولهم فى مكاتب العمل من نادى اتحاد الجامعة : يعلنون بالوسائل المختلفة عن المشروع الذى يعدونه ، ويدعون اخوانهم الى التطوع فى الجيش الذى يحشدونه ، ويتصلون بالتجار ليقنعوهم بالاشتراك فى الدليل الذى يصدرونه ، ويجمعون الأهب للمهرجان الفخم الذى يهيئونه ، ويزورون المصانع والمتاجر ليحققوا الوجه الذى يقصدونه ، ويعانون فى سبيل ذلك رهقا شديدا فى النفس والمال والكرامة ، أجل ، أقول والكرامة ! لأن كثيراً من تجارنا لا يزالون يتعاطون التجارة على منهج دارس ، وطبع ألف ، فهم يتهمون الناصح ، ويستغشون المشير ، وينكرون التطور ، ويجهلون الأعلان ، ويعتمدون فى جلب الحرفاء ورواج السلع على التمائم والأدعية !!

....

سيكون عيد الوطن الاقتصادى يوم دعاية وإعلان وعرض ، وسيقدم للنمارين الأدلة التى تصك الاسماع وتطرف العيون على أن مصر الناهضة تسير فى طريق مأمونة الى غاية مضمونة !

فمساهمة الشباب فيه بالتطوع ، وانضواء التجار اليه بالاشتراك ، وعطف الجمهور عليه بالتأييد ، ضمان للنصر المبين فى إحدى المعارك الفاصلة ،

إن القبعات فى الطرقات ، اكثر وأخطر منها فى الثكنات ، واليوم الذى لا ترى فيه على الرءوس غير الطربوش ، ولا تقرأ على جباه الحوانيت إلا العربية ، ولا تسمع فى مختلف المعامل غير اللهجة المصرية ، هو اليوم الذى تقول فيه وأنت صادق : لقد صفا النيل ، وملك الأصيل ، واستقلت مصر !!

احمد حسن الزيات

بقيـــة من لغو الصيف

للدكتور طه حسين

ليتك لم تأمرى وليتنى لم أطع . فمن صواب الناس ما يكون خطأ ، ومن خطأ الناس ما يكون صوابا . والمرء بخير ما عرف لنفسه قدرها ولم يعد بها حقها ، ولم يكلفها الحياة فى النجوم ، وقد خلقت لتحيا فى الارض .

ولقد حاولت فى غير طائل أن أعرف ما ذا كنت تنكرين من صحبتنا فى بلاد الغربة ، فقد كنا نلتقى ونفترق لا يكون بيننا الا حديث نقى برىء فيه ذكر للأدب والأدباء ، وعبث بالانشاء والمنشئين . فمازلت تحبين ذلك وتظهرين كرهه ، ومازلت تسرين الرغبة فيه ؛ وتعلنين الضيق به حتى ملأت صـــدرى ضيقا بنفسى ، وحرجا بمكانى منـــك ، وخيلت الى أنى أثقل عليك ، وأكلفك من صحبتى ما لا تطيقين ؛ حتى اذا كان ذلك اليوم وليته لم يكن تقدمت الى فى الرحيل فامتنعت عليك وأسرفت فى الامتناع ، وألححت أنت وأغرقت فى الالحاح ، ولم أجد بدا من الطاعة وان كنت لها لكارها ، ولم تجدى بدا من المضى فى الإمر ، وان كانت نفسك لتحدثك فى العدول عنه .

ولم أكد استقر فى باريس ، ولم تكادى تستقرين فى مدينتك الجامعية الصغيرة حتى اتصلت بينك وبين هذه الكتب والرسائل التى لا أستطيع ان أصفها بأقل من انها برهان قوى ساطع . على اننا نخدع انفسنا عن انفسنا . ونتكلف فى ارضاء الناس واوضاعهم مالا يحفل به الناس ، ولا يلتفتون اليه ، وبما لا تحتمله نحن الا فى جهد جاهد ، وعيد لا حد له

والآن وقد أضعنا من حياتنا اياما طوالا كنت تترددين فيها على حجرات الدرس فى الجامعة ، وكنت اتردد فيها على الأندية وملاعب التمثيل ، أكتب اليك وقد أنى لى أن أعود الى القاهرة . لعلك تأذنين فى أن نلتقى مرة قبل أن أعبر البحر .

ولست أدرى أيقع هذا الكتاب منك موقع الرضى أو موقع السخط ؟ ولكنى أعلم أن الايام معدودة علينا فى هذه الحياة وان من الحمق أن يستطيع الاصدقاء التلاقى ثم لا يلتقون ، ينتظرون أن يتاح لهم ذلك فى يوم آخر قريب أو بعيد . فمن يدرى لعل هذا اليوم الآتى ، ولعل الاحداث والخطوب أن تحول بين الأصدقاء وبين ما كانوا يقدرون من اللقاء فيه . ولو عقل الناس لما تفرقوا الا حين لا يكون من الفراق بد ، ولكن الغرور يغرهم بأنفسهم ويطمعهم فى الايام ، فيخيل اليهم أنهم مخـــلدون وأنهم ليمرون بالحياة كما يمر الطيف بالنائم المغرق فى النوم وقد تعجبين حين تعلمين أنى لا أكتب اليك من باريس ، وانما أكتب اليك وقد دنوت منك حتى لم يبق بينك وبينى الا مسير دقائق على الأقدام . فقد وصلت الى مدينتك الجامعية مع المساء وأنا أكتب اليك وستقرئين كتابى مع الصباح فان أردت لقائى فهذا رقم التليفون ، وإن أبيت فان القطار يبرح مدينتك الى مرسيليا مع الظهر ، ولن اراك حتى اعلم بأن رؤيتى لا تؤذيك ولا تثقل عليك ، ولا تخيل اليك أنك تخرجين على ما ألف الناس من أوضاع واطوار .

عجبت للاذكياء وكبار العقول انهم ليأخذون انفسهم احيانا بما لا يلائم الذكاء ولا تسيغه العقول .

وكانت تختلف على وجهها الناصع وهى تقرأ هذا الكتاب مظاهر الوفاق والخلاف وآيات الرضى والسخط ، فكأن وجهها

يشرق حينا ، وتغشيه ظلمة رقيقة حينا آخر . حتى اذا فرغت من قراءة الكتاب وضعته فى رفق أمامها على المائدة ومدت بصرها كأنما تريد أن تبلغ به أقصى الآفاق ، لولا هذه الجدران التى تقوم غير بعيد وتقف عينها عند حد محدود . وأرسلت نفسها الحرة الى أبعد مما استطاعت أن ترسل اليه بصرها السجين ، وظلت على هذه الحال وقتا لم تعرف أطال أم قصر ، ثم عادت الى نفسها وثابت إلى غرفتها من الفندق ، وأخذت كتابها برفق ، وأعادت النظر فيه . وظلت كذلك تنظر فى الكتاب ثم تدعه ، ثم تعود اليه ، حتى أدارت رأسها عن غير عمد فرأت التليفون ، فقامت عن غير عمد . وسعت إلى التليفون ، ثم تحدثت فيه عن غير عمد ، وعادت الى مكانها ، فأخذت الكتاب ونظرت فيه ، ثم نظرت فيه ، ثم طوته ثم أخفته ، ثم ظهر عليها تردد شديد . كأنها تنبهت لانها أتت أمرا عظيما وكأنها تراجع نفسها فى استدراك ما فات ، والغاء ما قدمت من الامر ، وكأنها تفكر فى أن تتحدث الى التليفون بغير ما تحدثت به اليه منذ حين

ولكنها لم تبلغ من ذلك ما تريد لان طرقا خفيفاً على الباب قد ردها عنه ، واضطرها إلى أن تصلح من شأنها على عجل ، وترفع صوتها آذنة بالدخول . ولم يكد ينفرج البـــاب عن صاحبها الاديب حتى أقبلت عليه باسمة تحييه وتقول فى جرأة متكلفة ، واستحياء ظاهر ، ان كنت أقبلت للوم والعتاب فعد أدارجك وارجع من حيث أتيت ، وخذ قطار الظهر . فان فى كتابك من اللوم والعتب والفلسفة والتشاؤم ما يغنى عن إضاعة الوقت . قال فان ما أضيعه من الوقت فى اللوم والعتب لن يكون شيئا بالقياس الى هذه الاسابيع الطوال التى اضعتها انت حين أبيت الا ان تقيمى هنا ، وأذهب أنا الى باريس .

قالت فذلك شيء قد كان ، وقد مضى بأثقاله وأوزاره وليس الى استدراكه من سبيل فلست أرى خيرا فى ذكره ، ولا نفعا لاعادة الحديث فيه ، قال أما أنا فأرى فى ذلك الخير كل الخير والنفع كل النفع ، لانك لم تستفيدى بما مضى ولن تنتفعى بذلك الفراق الطويل الأليم ، قالت وما يدريك ؟ قال أرأيتك لو أنبأتك بأنى سأقيم معك فى هذه المدينة وسأختلف معك الى دروس الجامعة حتى ينقضى الصيف ونعود معا الى القاهرة ، ماذا تصنعين ؟ قالت أو قادر انت على ذلك وقد انتهت أجازتك ، ولم يبق لك بد من القفول . قال فان الاجازات تمد وإن الحيل أوسع من أن تضيق وإن رسالة برقية قد ذهبت الى القاهرة خليقة أن تمنحنى من الوقت ما يتيح لى أن أختلف الى حجرات العلم بعد أن اختلفت الى معاهد اللهو والفراغ . قالت كالواجة أوفعلت هذا؟ قال نعم قالت فعد الى باريس أو أذهب أنا اليها . قال محزونا لا بأس عليك فلن نلتقى فى هذه المدينة الا بياض هذا اليوم . ولكن كيف تريدين أن نقضيه ؟ وأين تريدين أن نقضيه ؟ فما أظن أن غرفتك هذه الضيقة تسع احاديثنا وخواطرنا التى لا حد لها والتى ينبغى أن تكون حرة كالطبيعة الحرة ، ومطلقة كالهواء الطلق . وانى لاعرف من هذه الارض أكثر مما تعرفين . قالت فانى لا أعرف منها إلا الجامعة والفندق والطريق بينهما . قال أما أنا فلا أعرف الجامعة وإنما اعرف الجبل والسهل واعرف الربى والوديان ، واعرف الغابات الملتفة والرياضة النضرة ، والغدران الجارية ، ذات الصفحات النقية ، والصوت الجميل ، واعرف بنوع خاص ربوة بديعة يجرى من تحتها جدول بديع لا تقع القدم فيها الا على عشب . ولا ترى العين فيها إلا جمال الشجر والزهر ، ولا تسمع الأذن فيها إلا هفيف النسيم وحفيف الورق وغناء الطير . وقد دارت حولها طائفة من الشجر الباسق الذى ارتفع فى الجو كأنه يريد أن يبلغ السماء ، والذى مد اغصانه فى كل وجه حتى التفت واشتبك بعضها ببعض ، وهيأت فوق هذه الربوة الجميلة الهادئة غرفات جميلة هادئة تصلح لتفكير المفكرين ، وحديث المتحدثين ، والرأي عندي أن نقصد الى هذه الربوة فننفق فيها بياض هذا اليوم فانى مشوق الى ان اراها بعد ان فارقتها منذ اعوام . وأن اراك فيها بعد ان فارقتك منذ ايام تعدل اعواما واعواما . قالت لا ارى بهذا بأسا ولكن على ان يسبق منك الوعد باثنتين . اما اولاهما فان تكف عن هذا العبث الذى اراك آخذا فيه . واما الثانية فان تكف عن اللوم والعتب وما يشبه اللوم والعتب من هذا التجنى الذى تحسنه ، اكثر مما تحسن أى شيء آخر ، قال زعموا أن قيمة كل امريء ما يحسن ، فاذا كنت ترين انى ممتاز فى التجنى لا أكاد أحسن شيئا غيره وتطلبين الى مع ذلك الا اقصد اليه ولا اخوض فيه فانت اذا تريدين ان تضعيني موضع الذى يقول فيما لا يحسن ، ويخوض فيما لا علم له به . قالت ذهبنا الى هذه الربوة الجميلة الهادئة رهين بهذا الوعد ، فلك ان تختار بين الجد الخالص الذى لا عبث فيه ولا دعابة ، ولا لوم فيه ولا عتب ، ومعه ربوتك الجميلة الهادئة وغرفتك البديعة التى تصلح للتفكير والحديث ، وبينما تجب من العبث والخلط تذهب فيهما كل مذهب ، وتندفع فيهما الى غير الطريق ، قال أوجرنا فى الاختيار ، فانى اذن أختار الثانية وأوثر ان نطوف بالعبث والخلط فى شوارع هذه المدينة الصغـ ـة الهادئة ، لا يضيق بنا مكان الا تركناه الى مكان آخر ، ولا نستنفد فنا من فنون السخف الا عدلنا عنه الى فن آخر . فانى اصبحت ارى السخف أقوم ما فى الحياة . قالت لقد افسدتك باريس .

« البقيـــة على صفحة ٣٩ »

شــــاعر

للأستاذ أحمد أمين

شاعرنا اليوم نشأ جاهليا، ونشأ في الطائف. والطائف مدينة في الجنوب الشرقي من مكة تبعد عنها خمسة وسبعين ميلا، اشتهرت بطيب هوائها وجودة مزارعها. وقد اعتاد المترفون من العرب أن يقضوا الربيع بجُدّة، والصيف بالطائف، والشتاء بمكة. قال النميري يصف أخت الحجاج بالنعمة:

تشتو بمكة نعمةً ومَصيفُها بالطائف

أخصبت أرضها، وجرى الماء في وديانها، فكثرت مزارعها، وجادت فواكهها، من نخيل وأعناب. بها جبل يقال له «غزوان» كثرت كرومه، وكان عنبه العذب وزبيبه الحلو مضرب المثل جودة وكثرة، حتى ليروون أن سليمان بن عبد الملك لما حج رأى بيادر الزبيب فظنها حِرارا (1) فقالوا ليست حرارا ولكنها بيادر الزبيب

وقد حسدهم العرب على ما هم فيه من نعمة، فسوّروا بلدتهم وحصنوها من أعدائهم، فصارت ملجأ الهارب وملاذ الخائف، وضرب المثل بمناعتها حتى قال القائل:

مَنَعْنا أرضَنا من كل حيٍّ كما امتنعت بطائفها ثقيف

كان يسكن الطائف قبيلة ثقيف، وقد أكسبتهم أرضهم وثروتهم وطبيعة بلادهم وجوّهم رقيًا في الحياة من الناحية الاجتماعية والعقلية، فاقوا فيهما من حولهم من السكان، وشعروا بعظمتهم فأكثروا من الفخر بأنفسهم؛ وقال قائلهم:

وقد علمت قبائل جذم قَيْسٍ وليس ذوو الجهالة كالعليم
بأنا نُصبح الأعداء قِدْماً سِجالًا الموت بالكأس الوخيم
وأنا نَبْتَني شرف المعالي ونُنْعِشُ عثرة المولى العديم
وأنا لم نزل لجأ وكهفا كذاك الكهل منا والفطيم

وقد أنجبت ثقيف شعراء مجيدين في الجاهلية والاسلام، كما أنجبت ساسة وقادة نبه ذكرهم، وعظم أمرهم، فاشتهر منها من شعراء الجاهلية الشاعر المتدين أمية بن أبي الصلت، وفي العصر الأموي الشاعر الشريف طُرَيح الثقفي، والشاعر الحكيم الأجرد الثقفي — واشتهر من أمرائها وساستها وقادتها الأمير القوي الحجاج بن يوسف الثقفي. والقائد الشاب محمد ابن القاسم الثقفي فاتح السند ولما يكتمل العشرين. والذي قال فيه القائل:

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

كما أن ثروتهم وحضارتهم استتبعت شهرتهم بالفجور والربا حتى أن رسول الله لما صالحهم كان من شروط الصلح أن يسلموا وألا يزنوا ولا يُرْبوا

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب في بلادهم سبباً في شيوع الخمر بينهم وولوع أهلها بشربها

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب في الجاهلية، ولكن بين خاصتهم لا بين عامتهم، إذ أن عامتهم قد عدموا القوت وحرموا ضروريات العيش. أما المترفون فشربوا كثيراً وقالوا في شربها كثيراً. وقلّ أن نجد شاعراً جاهليا لم يتمدح بشربها وإتلاف ماله في سبيلها.

وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف، وكان الأعشى الشاعر يتجر فيها، وكان له بقرية في اليمن يقال لها «أثافت» معصرة للخمر يعصر فيها ما يقدم له من أعناب

ونلاحظ من تاريخ العرب في الجاهلية وتراجم رجالها أن هناك طبقة من الشباب اعتادت أن تتلف مالها في الشراب، هم فئة من أولاد السراة، نشأوا في ثروة وجاه، وألّفت بينهم وحدة النزعة، يجتمعون في المواسم والأعياد والمناسبات فينحرون الجزور ويهيأ لهم، ويشربون عليه وتغنيهم القيان أو الموالي من الفرس والروم والأحباش، ولكن هذه الطبقة لم تفقد مع شربها ولهوها شرفها وإباءها، فهي مع ذلك كله نبيلة كل النبل شريفة كل الشرف — ثارت على كل شيء إلا قانون المروءة، وقانون المروءة يتلخص في الشجاعة والكرم. لا يعبأون بالحياة، يبذلونها - في سخاء - لأنجاد من استنجد بهم، ونصرة الضعيف يستصرخهم ويلجأ اليهم،

(1) الحرار جمع حرة: أرض بركانية سوداء، وبلاد العرب حرار كثيرة

لا قيمة لحياتهم اذا ميست كرامتهم أو كرامة قبيلتهم أو اعتدى أحد على جارهم أو حليفهم أو عبدهم ، ولا قيمة للمال يوم يسألهم سائل أو يدعوهم لبذله داع ، ولا بأس بالفقر يحل بهم وينزل بساحتهم ، ولا ضرر اذا خسروا المال وكسبوا الشرف ، وويل لزوجاتهم إذا لمنهم في الاستهتار بالحياة أو إتلاف المال ، إذ ذاك يصبون عليهن نقمتهم ويملؤن الدنيا شعرا في لومهن وتأنيبهن

شاعرنا اليوم كان من هذه الطبقة ، فتى ، غنى ، من ثقيف ، من الطائف ـ شجاع ، كريم ، يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحتفظ بالمروءة ويقول :

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته
وسائل الناس عن حزمي وعن خلقي
القوم أعلم أني من سراتهم
إذا تطيش يد الرعديدة الفرق
قد أركب الهول مسدولا عساكره
وأكتم السر فيه ضربة العنق
عف المطالب عما لست نائله
وإن ظلمت شديد الحقد والحنق
وقد أجود وما مالي بذي فنع (١)
وقد أكر وراء المحجر الفرق (٢)
سيكثر المال يوما بعد قلته
ويكتسي العود بعد اليبس بالورق

ظلت ثقيف على جاهليتها لا تذعن لدعوة الاسلام حتى أسلم من حولها ورأت نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الاسلام في السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا بالاسلام وتعاليمه فوقف حائرا ؛ إن الاسلام يدعو إلى المروءة وهو ذو مروءة ، إن الاسلام يدعو إلى الصدق ومكارم الأخلاق وكل هذا حسن ، فليسلم ، ولكنه يأمر المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم ، ولا يمدوا أعينهم إلى غير نسائهم ، كما ينهى عن الخمر ويعاقب على شربها ، فكيف يسلم وقد ألف الغزل ولا حياة له بغير الخمر ؟ وقف قليلا ولكنه أسلم مع قومه وفوض إلى الله أمره ـ ولم نسمع عنه في حياة رسول الله وأبي بكر شيئا ولكنا نراه اصطدم مع عمر وهو الشديد في الحق لا تأخذه فيه هوادة . فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب ـ يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشموس » فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل في حائط يبنى بجانب منزلها ويطل عليها من كوة البستان ويقول :

ولقد نظرت الى الشموس ودونها
حرج من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر في الخمر :

ان كانت الخمر قد عزت وقد منعت
وحال من دونها الاسلام والحرج
فقد أباكرها صرفا وأمزجها
ريا وأطرب أحيانا وأمتزج

فيحده عمر حد الشرب ، فيفكر شاعرنا ويطيل التفكير : هل يترك الغزل والخمر ؟ ـ لقد كان ذلك قبل الحد أما بعده فلا ـ إن من العار أن يتحدث الناس أني تركت الخمر خوفا من العقوبة وأنا الأبي الشجاع الذي لا يعبأ بالحياة ـ إذن فلأشرب وليحدني عمر ـ وفعلا شرب فحد ، وشرب فحد ، وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانيا ، وهو لا يزال على رأيه ، مصمم على تفكيره ، ماض في غزله وشربه ، حتى يئس عمر من علاجه وضاق به ذرعا ، فقرر أن ينفيه في جزيرة كانت تنفى فيها العرب في الجاهلية خلعاءها ، وبعث معه حرسيا يحافظ عليه حتى لا يهرب ، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيفا معه ، وقد عرف عمر كيف ينتقم ، فلم يألم شاعرنا من شيء ألمه من هذا الرأي ـ سيكون في جزيرة وحده لا غزل ولا شراب ، ولكن ليس هذا ما آلم نفسه وأدمى قلبه ، إنما آلمه أن يعيش عيشة الضعفاء المساكين والرجال في غزوات الحرب يقتلون ويقتلون ، وأن يعيش عيشة النساء في خدورهن وهو الفارس الكمي ، لا . لا . الموت أهون من هذا .

تظاهر شاعرنا بأنه يحمل غرارتين ملئتا دقيقا وعمد إلى سيفه فجعل نصله في غرارة ، وجفنه في غرارة ، ودفنهما في الدقيق

(١) الفنع زيادة المال ومال ذو فنع ، كثير . (٢) المحجر المارب الذي ألجئ إلى المحجر

حتى إذا جاوزهو والحرسي المدينة ولقيا من سفرهما هذا نصبا جلسا للغداء، فقام شاعرنا يوهم أنه يخرج دقيقاً فأخرج سيفه ووثب على الحرسي فخرج يعدو على بعيره راجعاً إلى المدينة وظل صاحبنا وحده . الآن ، لا أعود إلى المدينة وفيها عمر، ولا أطوف في البلاد ألهو فلست بعد اليوم لا هيا ، ولكن إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة النجدة والشهامة — الى مواقع الغزوات ، إلى أشدها هولا ، وأصعبها مراساً إلى القادسية ، حيث المواقع الفاصلة بين سيادة العرب وسيادة الفرس .

ولكن عمر الساهر على كل شيء في مملكته ، لم يخف عليه أمر شاعرنا ، فعرف أين توجه ، فما وصل الى القادسية حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبي وقاص بحبسه ، ففعل ذلك وحبسه في قصره وقيده ، فمشي يرسف في قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره ، فذهب الى سلمى زوج سعد وقال لها : هل لك إلى خير ؟ قالت : وماذاك ؟ قال : تخلين عني وتعيرينني البلقاء (فرس سعد) فلله علي إن سلمني الله أن أرجع اليك حتى تضعي رجلي في قيدي ، فأبت فقام ثائراً حزيناً ، يرى القتال على الباب وهو يرسف في القيد ، وانطلق لسانه بهذه الأبيات :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت
مغاليق من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة
فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
هلم سلاحي لا أبالك انني
أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
ولله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرثت له ورأت الصدق في قوله فأطلقته ، واقتاد فرس سعد وخرج إلى مواطن القتال واذا به أمام الناس يقف بين الصفين ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره . ورأوا الفرس فرس سعد والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم ، حتى إذا انتصف الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجليه في القيد !

فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعداً بما كان منه فأطلقه وعاهده ألا يحده أبداً إذا شرب

الآن ظهرت نفس شاعرنا في شرفها ونبلها وقال لسعد كنت آنف أن أتركها من أجل الحد ، فأما اذ بهرجتني فلا والله لا أشربها أبداً .

لقد كان مما أخذه عمر عليه قوله :

إذا مت فادفني الى أصل كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
أخاف اذا ما مت ألا أذوقها

ويشاء قاص من الظرفاء فيروى أنه رأى قبره بنواحي أذربيجان أو جرجان وقد نبتت عليه ثلاث كروم قد طالت وأثمرت واعترشت ، وعلى قبره مكتوب : — هذا قبر أبي محجن الثقفي

أفاض الله عليه سجال رحمته فقد كان رجلا وكان نبيلا .؟

أحمد أمين

الى أخينا في الوطن والشباب

إن الجهاد من أجل مصر فريضة على كل مصري . . وهي فريضة حملها الشباب في كل المواقف مخلصين لها ، أمناء عليها . وها هو ذا عيد الوطن الاقتصادي ميدان جديد لجهادك ، وحسن بلائك ... فماذا يقعد بك عن الانتظام في جيش المتطوعين لنصرته ؟! . .

. . . توزع الدليل ، وتبيع المنتجات ، وتشترك في الموكب والمهرجان ، وتدعو الى صناعة مصر وتجارتها .

اطلب الاستمارة الخاصة بذلك من سكرتير اللجنة التنفيذية بمقرها في نادي الجامعة المصرية ٢٢ شارع المناخ بمصر تليفون ٥٠٥١٨

(١) الحواني جمع حانية وهي الحانوت

عيد الوطن الاقتصادى

رأى ونصيحة

للدكتور منصور فهمى

وجه أحد شباب المشروع الى عميد كلية الآداب هذين السؤالين :

١ ــ مارأيكم فى عيد الوطن الاقتصادى كمظهر من مظاهر الشباب ؟

٢ ــ هل لكم من نصيحة توجهونها الى الشباب القائم بالمشروع ؟

فأجاب الاستاذ عنهما بما يأتى :

١ ــ لا شك أنى أقابل بالعطف والتشجيع كل جهد مخلص فى سبيل النهضات الاقتصادية والدعاية اللائقة لها ، لأننا نعتقد أن فى تلك الجهود ما يعين على خدمة الاخلاق ، وذلك أن كل مشروع يوسع مجال العمل قد يضيق حظائر البطالة وما يتسبب عنها من المفاسد والشرور ، وطالما بين لنا التاريخ أثر الحياة الاقتصادية فى نهضات الشعوب العقلية ، وفى نظامها الخلقى ؛ فالانسان لايطيب له التأمل والتفكير إلا إذا كان رزقه فى يسر وسعة ؛ ومن تضيق به موارد العيش قد يركب صعاب الامور ويهون عليه اذا لم يكن من الذين تحصنت نفوسهم بالشدة فى الخلق ، أن يفرط فى ماتدعو اليه الاخلاق الفاضلة ؛ وإنى إذن اعتمد على ما قدمت لابارك للشباب جهده فى الدعوة إلى خدمة الحياة الاقتصادية بشتى المظاهر الجديدة لشباب مثقف نشط فى قدرته أن يحسن الاختيار لأساليب الدعاية البريئة المهذبة .

٢ ــ أما أول نصيحة أوجهها للشبان القائمين بالمشروع فهى ألا تأخذهم نشوة الحماسة إلى دعوة محمودة فيعتمدون كل الاعتماد على رأيهم ولوامع خيالاتهم دون أن يرجعوا لآراء المجربين الخبيرين ممن اشتغلوا بالامور الاقتصادية ، لأن مسائل الحياة الاقتصادية فى الامم متشعبة كثيرة الاتصال بشتى المسائل العمرانية ، وقد لايصيبها النجاح المرجو اذا هى لم تعالج فى فطنة ودقة ، وخبرة وكياسة ؛ ومن أجل هذا أوصيهم بكل شدة أن يقتحموا هذه الابواب ومعهم زادهم من نصائح كبار الاقتصاديين من مواطنيهم ، وتوجيهاتهم لكى تغذى تلك الارشادات نشاطهم ، فيسير إلى حيث يثمر الثمرات الطيبة . وأما نصيحتى الثانية فهى أن تقوموا بعملكم المشروع بنفس زكية لا يداخلها عداء لأعمال غيركم ، انما يداخلها الايمان بمشروعية عملكم وقيمته وطهارة سبله ونزاهة الوسائل التى تحققه

ويجب ألا ينسيكم العمل المبرور أعمالكم الدراسية لأنها الواجب الأول المباشر فى المرحلة التى انتم فيها ، فاذا كان لديكم فضل من الوقت تروضون فيه أنفسكم على الأعمال الاجتماعية عن طيب خاطر وعن إخلاص وعلى نحو ما نصحت لكم فانى آمل أن يوفق الله مسعاكم ؟

بطالة المتعلمين

ورأينا فى علاجها

للدكتور محمد حسين هيكل بك

لاشىء يعنى به شباب مصر فى هذه السنين عنايته بالشئون الاقتصادية . وما يزال مشروع القرش ماثلا فى أذهان الناس . وما يزال شبان القرش مستعدين للهجوم اذا آن موعده فى أول كل عام جديد . وهانحن نكتب هذه الكلمة لعيد الوطن الاقتصادى وأنت حيثما ذهبت لم تكد تسمع شيئاً الا فى الاقتصاد والمشروعات الاقتصادية وما اليها . فما عسى يكون السبب فى هذا ؟

السبب فيما يخيل الينا هو هذا الذى يسمونه عطلة المتعلمين . فالمدارس فيما يزعمون تخرج عددا أكبر بكثير مما تحتاج إليه وظائف الدولة ، ومما تحتاج إليه الاعمال الحرة المعروفة الى اليوم ؛ فلابد من خلق أعمال حرة جديدة ليقتحم هذا الشباب المتعلم ميادينها ولتبرأ البلاد بذلك من مرض العطلة . وقد يكون هذا صحيحا ولكن هل ينجع مثل هذا العلاج فيوجد عملا لمن ترجهم المدارس العليا والكليات والمدارس الفنية والخصوصية فى كل عام ممن لايجدون عملا فى الحكومة أو فى الوظائف الحرة المعروفة ؟ وهل ينجع فى ايجاد عمل للألوف الذين يحصلون على شهادة الدراسة الثانوية ولا يستطيعون إتمام دراساتهم العالية والفنية ؟ نشك فى هذا كثيرا . وعلة الشك ان هؤلاء المتعلمين يريدون عملا من طراز معين . يريدون عملا على مكتب من المكاتب ويأنفون العمل اليدوى . وهذا العمل على مكتب لايتيسر للألوف وعشرات الألوف ممن يتخرجون ، فلا طاقة لمشروعات الشباب بمواجهة رغباتهم وبإيجاد أسباب الكسب لهم .

وعلاج هذه الحال فى رأينا إنما يكون بفتح أبواب التعليم على مصاريعها جميعاً ، للناس جميعاً ، وجعل التعليم فى متناول الكل ، ينهل منه من شاء فى حدود طاقته . يوم يصبح الكل متعلمين ، ولا تكون طائفة المتعلمين محصورة لا يأنف الانسان أن يباشر

عملا يدوياً أو غير يدوي، ويومئذ يصبح كل عمل شريفاً ، ويومئذ يمسك المتعلم بالفأس والمحراث ، ولا يرى في ذلك ما يحط من شأنه ، ويشتغل المتعلم في الصناعات المختلفة ، في صناعة الجلود والأحذية ، في التجارة والحدادة ، في فلاحة البساتين ، في التجارة بمختلف أنواعها ، ولا يكون واحد من هذه الأعمال أقل رفعة ومكانة وتشريفاً لصاحبه من العمل على مكتب ، ولا من منصب الوزارة أو أي منصب حكومي آخر

هذا في رأينا هو الحل العملي المنتج ، فعلة بطالة المتعلمين وعطلهم : أنهم يرون أنفسهم طائفة خاصة ممتازة ، يجب أن يكون لها عمل خاص ممتاز ، فاذا لم يجد أفرادها هذا العمل فضلوا البطالة ولو تكففوا الناس بعد ذلك ، فاذا زالت عنهم صفة الطائفة ، بأن أصبح الناس جميعاً متعلمين وجب على هؤلاء المتعلمين أن يزاولوا كل الأعمال فأصبح بذلك كل عمل شريفاً كما قدمنا ، وانفسح الميدان لكل من يريد أن يقتحمه

لا يقلل هذا من تقديرنا لجهود الشبان في الوقت الحاضر ، ولكننا نعتقده غير قادر على علاج المشكلة التي دفعت الى هذا النشاط إلا بمقدار ، وبهذا المقدار يستحق الشباب الحمد والشكر .؟

محمد حسين هيكل

نـــداء

لسكرتيرة المتطوعات

أخواتي :

أقسم الشباب أن يمضي جهاده بعزيمة قوية وهمة فتية يريد لمصر هناءً موفوراً ، ورخاءً سخياً ، ويسراً عريضاً ، فهلا ساهمت معهم بوطنيتك وايدتهم باخلاصك ووفائك ؟ إن الشروع لا يطلب اليك أكثر من أن تؤمني بعقيدة الجهاد في سبيل مصر : ترتدين الرداء المصري الصميم ، وتدعين للصانع والتاجر المصري في الوسط الذي تعيشين في أفقه ، وتوزعين الدليل الوطني أيام العيد ، وتحفين بالموكب في مهرجان مصر ، التي نعيش من أجلها ، ونجاهد في سبيلها

ولقد حرصت لجنة المتطوعات على أن تعمل بعيده عن الأفق الذي يجاهد في حدوده اخواننا الشبان ، رعاية لتقاليد البلاد ، وصوناً لسمعة المجاهدات وحرصاً على صفاء الجو الذي تناضل في أفقه . . فهيا إلى العمل ولكن شعارنا الذي نفاخر به :
« مصر للمصريين » سعاد حسن

. . . بل مصر مصرية !

بقلم الآنسة مي

« مصر للمصريين » . هذه الكلمة أقرؤها لكم كاتبين ، أيها الشبان ، وأسمعها منكم محدثين .

وإنها لكلمة جميلة خصيبة عادلة . لكن ما هو أجمل منها وأخصب وأعدل هو الغرض الذي ترمون اليه في حركتكم الوطنية الاقتصادية : جعل مصر مصرية !

المعلوم عن مصر أنها بحكم موقعها الجغرافي بلد دولي حتماً . فهي بمقتضى ذلك تفتح بابها لكل شعب ، وترحب بكل حضارة ، وتستسيغ كل صناعة ، وكل ثقافة تجد في مغناها ضيافة وانتشاراً .

ولما كان لكل مقام مقال ، فان مصر لم تعدم من ينعى عليها موقفها ذاك . والشعراء — الشعراء البررة القساة ، كم استوحوا هذا الموضوع فتمّقوا المراثي يعرضون فيها جيوش المصائب والمحن الضارية في هذا البلد الأمين ، ويشهدون العالمين — باللغة الفصحى ! — على ما معناه أن : « مصر بنت طية ، ولكنها مظلومة قضاء وقدراً » ! . . .

ولكم بكى الباكون من جراء وقع هـذه البلاغات الشعريات (... جمع بلاغة شعرية !) . وإن لم يبكوا بدموع تمسح بالمناديل فلا أقل من زفرات ملتهبة تتسرب من القلوب المحروبة حيث الشفاه تردد قول الشاعر : « مصر بنت طية ، ولكنها مظلومة قضاء وقدراً ! » . . .

***

فتيان مصر ، فتيان الحياة الجديدة في مصر !

بحركة واحدة قمتم أنتم قومة رجل واحد . قمتم لأنكم بحميتكم الأبية ، وبشبابكم الحار ، وبوفائكم البصير ، أدركتم أن سلاسل القضاء والقدر كثيراً ما يحبكها المرء لنفسه ، وأن البلاد كثيراً ما يهمل أبناؤها أمرها فيكونون لها ظالمين !

أمصر ميدان لشتى الصناعات والثقافات والحضارات ؟ إذن لتستفيدوا من كل أولئك . وما كان في نظر المتشائمين موضوع رثاء وحسرة ينقلب بين أيديكم موضوع جذل وأريحية

وميدان خير عميم ! تأخذون من كل قوم خير ما عندهم من ابتكار ونظام وتدبير، فتطبقونه على قوميكم بمقدار ما يتناسب وحاجاتكم . وما أنتم بذلك إلا عاشون سنن التاريخ . فما من صناعة أو ثقافة أو حضارة إلا اقتبست شيئاً مما سبقها أو استلهمت شيئاً مما يحيط بها .

ما هو الفرق بين مصر وبين غيرها من البلدان القوية ؟ أول فرق ظاهر أن البلدان القوية تستهلك ما تنتج ، وتدفق على غيرها من الأقطار ما يفيض عن حاجتها ، في حين أن مصر تنتج قليلا وتستهلك كثيراً مما يقدمه لها المنتجون . وهذا هو النقص الذي قمتم تعالجون !

أو تذكرون قول الاسكندر قبل أن يتقدم على فتح الأمصار القريبة والبعيدة؟ قال : « أريد أن أرث عن أبي فيليب بلداً صغيراً فقيراً مرتبكاً ليكون لى الفخر بأن أجعله بلداً فسيحاً غنياً تضرب الأمثال بقوانينه وأنظمته وعظمته » .

أنتم ورثتم عن آبائكم بلداً عظيماً غنياً ما زال فى حاجة إلى التنظيم فى بعض نواحيه . ولتكونوا فخورين بهذا الوطن وخصائصه ، ولتكونوا فخورين بحاجته إليكم ، وبما لا يروقكم فيه . ولتكونوا فخورين لأنكم وجدتم فى هذا العهد الذى تستطيعون أن تقوموا فيه بالخدم اللازمة ! كذلك تتبينون غور مقدرتكم ، ومبلغ تأثيركم ، وتعرفون مقدار قيمتكم الأدبية أفراداً وجماعة !

عيدكم عيد الوطن ، وعيد نشاط الوطن . صيحوا بأصواتكم الفتية بوجوب توزيع إنتاجه من كل نوع وكل صنف وكل فضيلة ، اهتفوا فى قومكم أن اجعلوا أثوابكم مصرية ، وأثاثات منازلكم مصرية ، وزينات حياتكم مصرية ، لتهيئوا وسائل العمل والرفاهة للايين الأيدى المصرية .

رددوا أن خذوا عن الآخرين ، واقتبسوا ، وحصلوا ، على أن تمصروا كل ما تحصلون وتقتبسون وتأخذون ، فينقلب كل منكم اسكندراً خلاقاً فى بابه !

***

فتيان مصر ، فتيان الوادى الأخضر !

عيدكم رأس سنة جديدة ، بل هو مطلع عهد جديد !

هو مطلع العهد الذى تسعون فيه إلى تمصير حاجاتكم . فلا يكفى أن تكون مصر للمصريين ، بل يجب أن تكون مصر مصرية !

ولكم الفضل ، بلفت البلاد إلى هذا الشأن الخطير . إن لتربة بلادكم هذه خاصة سحرية فى تحويل كل غريب عنها إلى جزء منها . فكم ذا تصبح هذه الخاصة فعالة إذا ما أنتم عالجتموها بما نراه منكم من ذكاء وإدراك وهمة وحماسة وحيوية !

عيشوا تحقيقاً للرجاء الذى يجعل واديكم دائم النضرة ، ويجعل علمكم دائم الخضرة !

ولتعش مصر مصرية !

« مى »

كيف نحافظ على وجودنا الاقتصادى؟

للاستاذ محمد فريد وجدى

الثروة للامم - والثروة الاجتماعية تطلق على النقود المتكونة وكل ما تثمره الأرض وتنتجه اليد العاملة - كالدم الذى يجرى فى الجسم الحى ويوزع على كل عضو بل وكل خلية فيه ما يقيم حياتها ويجعلها صالحة لأداء وظيفتها . والطرق التى تجرى فيها هذه الثروة لاعطاء كل فرد نصيبه منها تشبه بالشرايين والاوردة من الجسم الحى

واذا كان لا حياة لجسم بدون دم ، فكذلك لا حياة لأمة بدون ثروة . واذا كانت صحة ذلك الجسم تتطلب دما كافيا حاصلا على جميع مقوماته البيولوجية ، فكذلك الثروة الاجتماعية يجب أن تكون كافية لحاجات المجتمع وحاصلة على العناصر التى تتطلبها حياة الاجتماع .

واذا كانت تستتبع قلة مقدار الدم فى الجسم الحى وفساد تركيبه ادواء عضالة من الانيميا والخلوروز وما يجران إليه من العلل المترتبة عليهما ، فكذلك عدم كفاية الثروة الاجتماعية تولد لهيئة المجتمع أدواء من الضعف العام ومن الاضطراب فى وظائفه يصبح المجتمع معها عرضة لكل ضروب المتالف فيجمد حيث هو ، أو يختل توازنه ، او يختل وجوده ، ويصبح لا يغنى عن نفسه شيئا .

لهذا السبب قام ازاء اطباء الاجسام فى كل ادوار الامم اطباء للاجتماع تولوا تدبير الثروة العامة بضروب شتى من الوسائل ،

واطباء الاجتماع اليوم اكثر تبعات مما كانوا عليه فى سالف العصور بسبب تعقد المبادلات بين الأمم، ومزاحمة الاسواق بعضها لبعض، وتشابك الصلات المالية بعضها ببعض، اصبح علم الاقتصاد من أوسع العلوم إختصاصا واشدها تركيا. وها نحن أولاء نسمع جؤار الشعوب تحت كلاكل هذه الازمة العالمية، ونشهد جهاد الاقتصاديين فى علاجها بما لم يتفق مثله للبشر فى أي عهد من عهودهم: فاذا كنا لا نعتبر بكل هذا فنتوفر على درس هذه الحالة فيما يختص بنا توفرا يناسب احوالنا الحاضرة فانا نجنى على انفسنا جناية نحاسب عليها حسابا عسيرا، ونذوق وبال امرنا منها جزاء موفورا.

وأول ما يجب أن ندرسه من مسائلنا الخاصة هو أن نعرف هل ثروتنا العامة التى تثمرها أرضنا وأيدى عمالنا تكافينا الحاجة أم لا؟ وهل هذه الثروة توزع على جميع أفرادنا أم لا؟ وهل يتسرب منها شيء الى الخارج كان يجب أن يبقى لدينا أم لا؟

هذه المسائل الثلاث يجب ان تشغل كل فرد من أفراد مجتمعنا على السواء، ولا يجوز ان تقتصر على الذين يشعرون بالحاجة المعيشية فقط، لأن الضعف والاعتلال اللذين يحيقان بمجتمعنا لا ينحصران فى الطبقات المحرومة من الثروة ولكنهما يعمان الكافة، فيكون نصيب أصحاب الأموال أشد مما ينال صغار الناس منهما. أما ترى اليوم ماذا أصاب أصحاب رءوس الاموال الطائلة من البؤس والاقلال بسبب الأزمة الحاضرة. حتى ان صاحب مئات الفدادين أصبح لا يجد ما يقوت به نفسه، وتعرضت أملاكه للبيوع الجبرية؟ ومنهم من تجرد من جميع ما كان عنده فأصبح معوزا لا يملك شروى نقير ولا يصلح لأى عمل! وما ظنك لو اشتدت وطأة هذه الازمة أو امتد عهدها سنتين اخريين أو ثلاث سنين اخرى؟ دع مصر جانبا وانظر الى أعلى الامم كعبا فى الثروة والمدنية، ألم تجد الاحوال فيها شرا مما نحن عليه. ألم توصد عشرات من المصارف أبوابها. ألم تسد منافذ الارتزاق فى وجوه الملايين من أبنائها؟ ألم ينضب معين الثروة فى خزائن حكوماتها فاضطرت لضرب الضرائب الفادحة على مموليها؟ ألم يتناول الضغط على نفقاتها مرتبات موظفيها فاسقطت نحو الثلث من مرتباتهم ولا تزال تهددهم بتخفيضات جديدة؟

هذه كلها عبر يجب علينا أن نتأمل فيها، وان نعمل على تلافيها.

واذا كان الأمر من الخطورة عند هذا الحد أفلا يكون أوجب الواجبات أن نحاول ألا يتسرب قرش واحد الى خارج بلادنا الا اذا كان فى حاجة ماسة، ولضرورة قصوى؟ وهذا ما تفعله كل امة وتتشدد فيه اليوم شعورا منها بان دولاب الأعمال ما دام معطلا وحركة المبادلات بطيئة، وجب أن ينحصر مال الامة فى بلادها حتى لا ينضب معينه فيها فتصاب بأشد ضروب الاعسار ولا كرامة

وما دمنا قد شبهنا ثروة الامة فى مجموعها بدم الحياة للفرد الواحد، فقد ساغ لنا ان نشبه خروج تلك الثروة من بلادها دون أن تستعيض عنها من طريق المبادلات ما يعادلها، بداء النزف الدموى. فالأمة التى لا تبالى فى مثل هذه الاحوال بتسرب ثروتها الى خارج ديارها. يكون مثلها كمثل فرد أصيب بالنزف وحكم عليه فوق هذا ألا يستعيض عما يفقده من دمه بتناول المواد المعوضة.

ولست استطيع بعد هذا ان احدد تبعة من يتجارأ على تبديد ثروة البلاد خارجها بالتعويل على الواردات الاجنبية التى يجد فى بلاده ما يقوم بحاجته منها، قد يكون ما يجده منها فى بلاده اقل جودة، او لا يفى بمرامه من كل وجه. فهل يجوز أن يحمله ذلك على الانصراف عنه محولا جزءا من ثروة الأمة الى ثروة امة اخرى، فى وقت هى احوج ما تكون الى المعونة والمساعدة، وهل يرضى لنفسه أن يكون فتقا فى شرايينها ينزف منه مقدار من دمها هى احوج ما تكون اليه فى ضعفها وقلة حيويتها؟

يخيل الى أن وطنيا لا يرضى لنفسه أن يكون سببا فى هذا الشر المستطير لو وقف على جلية هذا الأمر وادرك خطورته على امته وعلى نفسه أيضا.

فليحرص كل منا على القيام بواجبه من التعويل على مصنوعات بلاده وترويجها بكل ما أوتيه من قوة.. لاننا لا نستطيع أن نحافظ على كيان بلادنا فى معمعان هذه الازمة العالمية الطاحنة الا بهذه الوسيلة، وهى طوع ارادتنا، ومن مقدورنا، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه، والسلام؟

محمد فريد وجدي

الصناعة عنوان الحضارة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

للأمم «معامل» تصنع فيها المصنوعات المعنوية من شرائع وسياسات وأخلاق وعادات كما تصنع فيها المصنوعات المادية من أنسجة وأحذية وألبسة وآلات. ولا تقل هذه دلالة عن تلك على مبلغ أصحاب «المعامل» من الارتقاء العقلي. بل ربما كانت المصنوعات المادية أدق فى التعبير عن ذهنية الأمم من المصنوعات المعنوية لأنها محسوسة ملموسة تقبل الموازين. وأما تلك فهي أوضاع ومقاييسها معنوية مثلها.

ولكل عصر من العصور طابع خاص بالصناعة التى راجت فيه. فعصر الفروسية مثلا — وهو من أقرب العصور التى عرفناها — امتاز بصنع اللجم والركب والسروج كما امتاز عصرنا بصنع المحركات للسيارات والطيارات وآلات الزراعة، وقد أحب الفرسان الخيل والعدو على ظهورها وعقدوا بناصيتها الخير. فتفننوا فى الأدوات التى تلازم ركوبها، وأما نحن فقد فتنا بالسرعة واستخراج أعظم محصول بأقل مجهود فبرعنا فى عمل «الموتورات»

نحن فى الشرق من أسبق الأمم الى عمل المصنوعات بالمغنيين

المتقدمين ، لكننا تراجعنا فيهما كليهما ، فحلقات الدروس وما يجرى فيها من بحث عن موضوعات عقيمة سخيفة بالية وهي لا تقاس بما كان عليه السلف في العصر العربي الذهبي، تدل على هذا التراجع كما تدل عليه المصنوعات المزولة الخالية من المتانة والذوق والمعروضة في الاسواق والحوانيت . وزيارة واحدة لمكتبة من المكاتب الكبرى في دمشق أو بغداد أو القاهرة وتقليب صفحات من بضعة كتب من الكتب المصفوفة على رفوفها هي مثل زيارة لمتحف من متاحفها والقاء نظرة على ما يعرض فيه من النفائس - فيها المقنع الكافي على صحة ما قلنا .

وقد دخلنا الآن في دور النهضة ويلوح لي اننا سبقنا الى مباشرة المصنوعات المعنوية ، ولكننا من حسن الحظ أخذنا أخيراً في مباشرة المصنوعات المادية أيضاً كما تشهد المعامل والمصانع الحديثة المنصوبة في هذا القطر السعيد وما جاوره من الاقطار العربية الشقيقة .

- ولا أعرف حافزاً دفع الامم الى الأخذ بالصنائع مثل الحرب العامة ، فقد كان من نتائج الحصار الذي عانته الشعوب في غضونها وانقطاع أسباب المواصلات بينها ان التجأ بعضها الى مصنوعات تكاد تكون من عمل القرون الخالية ، ولا أزال أذكر كيف أن انقطاع الثقاب والنفط (الكاز) عن سورية مثلاً في سني الحرب العالمية عاد بالاهلين الى استعمال القداحة وسراج زيت الزيتون . وكان هذا الحافز أشد ظهوراً في الحاجات والادوات يتوقف عليها تسيير دفة القتال كما هو ظاهر من اخفاق روسيا العزلاء في هجومها المتكرر على المانيا والنمسا وتركيا وخروجها من الحرب أخيراً على تلك الحالة المزرية منكسة الاعلام

لا جرم أن الامم التي شعرت يومئذ بنقص مصنوعاتها وتعلقها على غيرها من الامم وارتباطها بها اقتنعت بعد هذه الدروس الخطرة المملوءة بالكوارث ان لا بد لها من الاستقلال الصناعي وهو لا يقل شأناً عن الاستقلال السياسي ، بل لا يتم هذا بالمعنى الصحيح من غير ان يتحقق ذاك . لان الامة التي تنتظر غيرها أن يعمل لها البنادق والمدافع للدفاع عن حوزتها هي امة غير مستقلة في أهم شؤونها .

وزاد الشعور بهذه الحاجة تلك الوطنية الاقتصادية الحديثة التي تحاول أن تصدر كل شيء وألا تستورد شيئاً ، وما هذه الحواجز الجمركية القائمة بين الشعوب الا عنوان هذه الوطنية الصارمة ، ويكون جزاء الامة المتساهلة في هذا الباب اغراق أسواقها بمصنوعات غيرها واختناقها بمصنوعاتها ، وعرفت انكلترة من بين سائر الامم بالميل في تجارتها الى « الباب المفتوح » ولكن حوادث الزمن أرغمتها على اغلاقه كما علمت غيرها أن تكون متشددة ، وما لم يقم التفاهم مقام التنازع — وهذا مستبعد في الاحوال الحاضرة — فان هذه الحواجز ستشتد وتقوى .

ان نهضة مصر الصناعية هي مثل النهضة الصناعية في الاقطار العربية الشقيقة تدل على تغيير جوهري في الذهنية العامة وشعور بالحاجة الى الاستقلال والاعتماد على النفس ، وهذا الشعور هو ركن عظيم من أركان الانقلاب السياسي المنشود ، لان الحاجة تفتق الذهن وهي أم الاختراع .

عبد الرحمن شهبندر

البعث

للأستاذ توفيق الحكيم

«خوريس — انهض ، انهض يا أوزيريس !
أنا ولدك خوريس . . .
جئت أعيد اليك الحياة .
جئت أجمع عظامك .
وأربط عضلاتك ،
وأصل أعضاءك . . .
أنا حوريس الذي يكون أباه .
خوريس يعطيك عيونا لترى ،
وآذاناً لتسمع ، وأقداماً لتسير ،
وأيادي لتعمل . . .
ها هي أعضاؤك صحيحة ،
وجسدك ينمو ،
ودماؤك تدب في عروقك .
إن لك دائماً قلبك الحقيقي ،
قلبك الماضي !
الميت — إني حي ، إني حي ! . . »

« كتاب الموتى »

وحوريس ليس إلا الشباب ، يعيد الحياة إلى ماضيه الميت . نعم هو الشباب الذي يكون أباه الوطن . وقد أعطاه بالفعل عيوناً يرى بها غابره العظيم في حريته ، وحاضره الذليل في قيود الغرباء ، وآذاناً يسمع بها ضحكات السخرية من أفواه الجبناء الذين جاءوا يستغلون رقاده ويستلبون خيراته . كما أعطاه أقداماً يسير بها كي يثبت لهم أنه حي . وأيدياً يعمل بها على تشييد الصرح المهدوم . إن أعضاء الوطن صحيحة لم ينقص منها عضو . وها هو ذا جسده يتحرك وينمو ، والدم يجري في شرايينه . والشباب على رأسه يصيح : « ان لك دائما

حركات الشباب

للأستاذ سلامه موسى

ربما كانت أولى حركات الشباب فى هذا القرن حركة الفتيان الكشافة التى ذاعت بين جميع الامم . وقد تناولت الصبيان الى سن الشباب وملأت حياتهم صحة لاجسامهم وخدمة لبلادهم وثقافة فيما يتصل بحياة الخلاء والتجوال

ثم ظهرت حركة اخرى بين الشباب هى الحركة الفاشية وقد اتخذت منذ بدايتها لونا سياسيا وطنيا . واستطاعت هذه الحركة - على الرغم من عيوب فيها - ان تقوم بالمعجزات فى ايطاليا لرفعة الوطن

وظهرت منذ نحو ست سنوات حركة جديدة هى حركة الفتيان الجوالة ، وكان منشأها فى المانيا حيث يخرج الفتى ومعه القليل من الملابس فيجول فى انحاء المانيا ويقضى الليل فى مأوى ريفى صغير لا يكلفه نوما وفطورا أكثر من خمسة قروش . وما يزال فى هذا التجوال يزور المدن والقرى ، الجبال والسهول بضعة اشهر يرى فيها انحاء المانيا فيعرف بلاده معرفة الخبير الذى عاين احسن مافيها ويحبها لذلك اكثر ويزداد اماتة فى خدمتها .

وقد فشت عندنا نحن فى السنوات الثلاث الماضية حركة اخرى بين الشباب انطبعت بطابع الحاجات الاقتصادية . . فقد رأينا أننا مغبونون أمام الأجانب ، فى التجارة والصناعة ، وأننا من الفاقة بحيث أصبح مزارعونا مثقلين بالديون . وان البلاد كلهـا تعيش بالزراعة وتكاد تجهل الصناعة . وكان شعورنا بالوطنية الاقتصادية ضعيفا ، حتى اننا فى إحدى السنوات القريبة الماضية اشترينا من الأطعمة ما بلغ ثمنه سبعة ملايين من الجنيهات ، وهذا فى بلاد زراعية كان عليها على الأقل أن تكفى نفسها طعاما ان لم تصدر ما يفيض منه الى الخارج .

لذلك ما كادت الصيحة إلى إيثار المصرى على الأجنبى تعلن الى الشباب حتى أخذها هؤلاء وجعلوا منها شعلة لن تنطفىء . فرأينا جمعية المصرى للمصرى ثم مشروع القرش ثم جمعية الاستقلال الاقتصادى ثم مشروع القرش ثم يوم عيد الوطن الاقتصادى

وهذا التنبيه العام الى الصناعة والتجارة المصريتين يعزى الفضل فيه الى شبابنا . هؤلاء الشباب الذين يجب على كل منهم أن يكون رقيبا على ثروة البلاد ، يراقب نفسه أولا لا يأكل هو نفسه سوى الأطعمة المصرية ، ولا يلبس سوى الأقمشة المصرية ، ولا يؤثث بيته إلا بالأثاث المصرى . وقد نحتاج الى بعض البضائع الاجنبية ولكن يجب علينا عندئذ ألا نشتريها إلا من التاجر المصرى ، ثم بعد ذلك يراقب غيره حتى يكون داعية للصناعة المصرية فينصح لأصدقائه ويطلب من زعمائه أن يتخذوا الملابس المصرية

وعيد الوطن الاقتصادى هو يوم نخصه للدعاية . ولسنا نعتقد ان فى البلاد خصما واحداً لهذه الدعاية التى يقوم بها شبابنا لكى يكسبونا كرامة اقتصادية ما أعظم حاجتنا اليها فى هذه الأيام السود التى تباع ممتلكات الفلاح فيها بيع السماح بل بيع الجبر فى سوق الدلالة ؟

سلامه موسى

قلبك الحقيقى . . . قلبك الماضى ! . . » . ويخيل إلى أنى أسمع الوطن من كل جانب يلبى النداء ويجيب الشباب الأبناء : « إنى حى ، إنى حى ! » إنى دائما أومن بأن مصر لا يمكن أن تموت . لأن مصر منـــذ الأزل ظلت تعمل وتكد آلاف السنين لهدف واحد : مكافحة الموت . ولقد فازت مصر ببغيتها . وكلما ظن الموت أنه انتصر قام حوريس من أبنائها يصيح : « انهض ، انهض أيها الوطن ! إن لك قلبك الحقيقى دائما . . . قلبك الماضى ! » واذا الموت يتراجع أمام صوت داو من أعماق الوطن : « إنى حى ، إنى حى ! »

لست أعجب الآن لصيحات الشباب ومشروعات الشباب ، فهى صيحات حوريس يوقظ أباه . إنما عجبى لإدراك الشباب أن أقوى مظاهر اليقظة هى : النهضة الاقتصادية : هى الدماء السخية التى تجرى فى جسد مصر قانية قوية . مرحى للشباب ! هذا الابن الحق . لقد فهم سر الحياة ، كما فهمها حوريس . وبارك الله فى عيد الوطن الاقتصادى ، فهو اليوم الذى سيردد فيه الوطن ، وهو ناهض على قدميه . . وهو ملوح بيديه . صوته الخالد : « إنى حى ، إنى حى ! »

توفيق الحكيم

الى تجار مصر وصناعها

عيد الوطن الاقتصادى يسعى لخيركم ويجاهد فى سبيل انصافكم . يريد أن يجعلكم قبلة الجمهور وموضع تعضيده وايثاره ويبذل لتجارتكم وصناعتكم رعاية يغذيها أمل أمة وجهد شباب .

فهل ساهمتم بنصيبكم فى ساحة هذا الجهاد ؟ ـــ سارعوا واشتركوا فى الدليل الجامع . ـــ سارعوا وأشتركوا فى المهرجان والموكب .

ـــ سارعوا وانتهزوا فرصة هذا العيد ليتولى متطوعو المشروع ومتطوعاته تصريف بضائعكم . .

اطلبوا الاستمارات الخاصة بذلك من مقر اللجنة التنفيذية لعيد الوطن الاقتصادى بنادى الجامعة المصرية ٢٢ بشارع المناخ

تليفون ٥٠٥.١٨

بين الشرق والغرب

لسكرتير لجنة الدعاية

قرأت لزميل نقداً ممضاً مريض الحجة ينصب على الجامعة في غير روية ولا أناة . فما التقيت به حتى أخذت في لومه والعتب عليه مستكثراً منه أن يطعن في معهد يظله ويحتويه . فبرم بموقفي من نقده ، واستشاط حماسة وانطلق يقول : إن القلم الذي لا يستطيع أن ينجو بالحقيقة من ضيق العواطف ، ويكفل لها ساحة رحبة النطاق ، واسعة الأفق ، لهو قلم كليل قصير الأجل لا ينتظر له خلود . . واليوم الذي ترى فيه الجامعة طلابها وقد ملأتهم الجرأة في سبيل الحق . وسكن في قلوبهم استقلال الرأي ، لهو اليوم الذي يؤمن فيه الناس بأن الجامعة قد أدت رسالتها على أكمل وجه وأتم صورة . . .

وانطلق الزميل في بسط فكرته تحت تأثير عاطفة قوية وميل جامح . . !

فقلت له إن الجامعة موطن علمك ومعين ثقافتك . فمن حقها عليك أن تتولى الذود عنها إن حاق بها اعتداء أو أصابها ضر . فإن قعدت عن حمايتها فلا أقل من أن تحجم عن الاشتراك في هدمها . وتتورع عن المساهمة في طعنها والحط من شأنها . ولو صح استقصاؤك لما فيها من سوءات لما جاز لك أن تعلنه على هذه الصورة القبيحة المزرية التي تخفيها تحت ستار حرية الفكر ، واستقلال الرأي . . وما إلى ذلك من ألفاظ لها قداستها التي خفيت عنك حدودها وتوارت عن بصيرتك معالمها . وقداسة الحقيقة يا صاحبي لم تطلب إليك استقصاء السوءات والتغافل عن الحسنات . . .

ولكن الزميل كان في ثورة حماسة لا يملك إلا الإيمان بفكرته وتسفيه ما يذهب إليه خصومه . فطال بيننا الجدال بلا جدوى .

وفي الأسبوع نفسه قدر لي أن أستمع إلى مؤرخ انجليزي عالمي يحاضر في مواقف مرت بوطنه فيلتمس له الأعذار في « حرق جان دارك » ونفي نابليون . . . !!

هذه هي الهوة التي تفصل بين منطق الكثيرين من علماء الغرب الأفذاذ . وذهنية أكثر الناشئين من شباب الشرق المغبون — هوة تعيش فيها آمال عرجاء ، وتحيا في ظلامها مطامح جرباء . هناك قد « يخلقون المناسبات » ليملأوها دفاعاً عن وطنهم ، وذوداً عن حرمته . وإشادة بمفاخره . . بل ربما لا « يتورع » العالم عن أن يتخذ العلم أداة يسخرها لخدمة مآربه القومي وقضاء شهوته الوطنية . . !!

وهنا يخلق بعض « شباننا » المناسبات ليتناولوا فيها أنفسهم ووطنهم ومعاهد علمهم بالطعن والتجريح . . !!

وهذا الفرق — فيما أرى — من أعظم العناصر التي تميز بين عظمة الغرب الفتية . . وحالة الشرق المريضة

لهذا ينبغي أن يطرب المصريون لهذه الثورة القومية الوديعة التي يقوم بها شباب عيد الوطن الاقتصادي . لأنها تعالج النقص الذي تنطوي عليه نفوسنا ؟

« ت . الطويل »

كلية الآداب

نشـــيد

في عيد الوطن الاقتصادي

وطنٌ دعانا فاستجبنا ... وبكم بني مصر أهبنا
جد النزيل وقد لعبنا ... وبكل ميدانٍ غُلبنا
وطغى الدخيل على الأصيل !

آباؤكم سادوا وشادوا ... وعن الحمى دَرَءوا وذادوا
زرعوا وفاتكمُ الحصادُ ! ... ونمت عن الثمر البلاد ! !
وجنى المُغْلِّبُ والنزيل !

في الحق صيحاتُ الشباب : ... لا ننثني حتى تجاب ؛
ولسوف نكتسح الصعاب ... إن سُد باب دق باب ؛
ولدى سوانا المستحيل

جولوا بوادي النيل جولةْ ... وامضوا لمصر أو المحلةْ
فهناك للصناع دوله ... وهناك تُلتمس الأدله
وهناك مجدكم الأثيل ،

المال في يدكم أمانه ... من مصر كدستم جمانه
أنُسَرّ إذ تبكي الكنانه ... ونظل لا نولي إعانه
ونقرُّ بالبلد الذليل ؟ ؟

إنا دعاة الاقتصاد ، ... ودعاة مصر إلى الجهاد ،
ندعو إلى العمل البلاد ، ... ما دون غايتنا ارتداد
وإلى الأمام لنا السبيل !

الزقازيق ... ابراهيم مأمون

نداء اللجنة التنفيـــذية

للأستاذ عبد الله فكرى أباظه

رئيس اللجنة التنفيذية

بنى وطنى !

عزم ثابت لا ونية فيه . وحزم نافذ لا رجعة فيه لرأى بعد اقراره . ذلك حال الشباب الذى أخذ على نفسه أن يحى للوطن عيداً يقيم فيه مهرجاناً، يخرج منه موكب، يجمع صناعاتنا المصرية لتستلهموا من رؤيتها العبر . وتستوحوا شتيت الذكريات .. فبلادنا اليوم فى عسر شديد .. خرج بها اليأس عن أن يجد بنوها حتى من الدمع عزاء .. ولا من نضال الحياة جزاء .. الا أن الله القدير جعل لكل عسر يسراً . ولكل ضيق سهلا ، وخلق العزائم على قدر المصاعب ..

سينطلق فى أيام العيد الثلاثة حضرات المتطوعات والمتطوعين من ابناء مصر يحملون ماتيسر حمله من صناعة بلادهم . يدعون إليها ويفاخرون بها . فيدلونكم بذلك على تجارة تنجيكم من عذاب أليم .. وسيوزعون عليكم دليلا احصائيا يحوى أسماء المتاجر والمصانع الوطنية . يكون بين أيديكم هدى ومناراً، وقد أخذت صناعة مصر وتجارتها تحبو تبتغى النهوض بعد أن طال بها الرقاد لتستعيد سيرتها الأولى

ايها المصريون :

قد اجتمع لوطنكم من الخيرات ماتستحقون من أجله الغبطة والحسد . ولكن الازمة تحيط بكم والضيق يكتنفكم والفاقة تمشى فى بيوتكم . ولا يفوتكم أن الصناعة والتجارة فى دورها الاول يهددها البلاء ويرفها الفناء . إن لم تجد من العون والتعضيد ما يزيدها أملا على النهوض ويبعث الى روحها القوة والرجاء

إن يوم العيد بمثابة الناقوس يعلن المخلصين بدء الجهاد الاقتصادى ، ليقبلوا على صناعة البلاد ومنتجاتها ، مستعذبين مستمرئين كل جهد وعناء

أيها المواطنون

إن مضمار الوطنية يوم العيد . ومن بعده سباق ، فاصبروا فى ميدان المصرية صبرا جميلا . واعملوا عملا حثيثا . فان يوم العيد يراه القانطون بعيداً ، ويراه المؤمنون المثابرون قريبا ..

رســـالة المشروع

دين المصرية

لسكرتير المشروع

حق أن يدعو عيد الوطن الاقتصادى الى صناعة مصر وتجارتها . فليس أسمى من دعوة تحمل فى طياتها كل ألوان الخير لبلد تتعاون عليه كل أساليب الشر . وحق أن ينشد هذا الغرض ويسعى الى هذه الغايه بأن ينظم لنا عيدا كل عام . وأن يصدر فيه دليلا بأسماء متاجرنا ومصانعنا الوطنية لقمينة تشجيعنا . الجديرة بعطفنا وإيثارنا ، وأن يقيم مهرجانا صاخبا . تنصب فيه أسواق الصناعة المصرية . وتسعى فيه مواكب الدعاية للصناعة المصرية ، ويفسح فيه للقومية المصرية وحق أن يدعو الشاب المتطوع من جنود الفكرة الاتحاد الى أن يبدءوا بأنفسهم فى اعزاز صناعة بلدهم ؛ فيلبسوا من قطن مصر الخالص لباسا هو رداء الشرف بعينه : بدلة رمادية وأقمصة صافية الزرقة . لا تقتضى اللابس أكثر من قروش معدودات تعلن عن متانة الصناعة المصرية ورخصها ، وتفيض على صاحبها راحة فى الضمير . وتسكب فى قلبه هدوء الاطمئنان الى أداء الواجب . حق كل هذا ، ولكن أى أثر يكون من وراء هذا كله ؟ أيقف الأمر عنـــد تشجيع صناعتنا والدعوة اليها ؟

رسالة عيد الوطن الاقتصادى اعمق اثرا ، وأرحب افقا . وأوسع مجالا . وما هذا الا مظهر لما تسعى إليه ، انها تبغى ان تبشر فى الناس بدين المصرية الكريمة ، وتحملهم على الايمان بها والاعتقاد فيها . تبغى ان يعيش المصرى عزيزا فى مصره ، فخورا بها ، هاتفا لها فى كل لحظة وفى كل آن ، ولو تضافر عليه باطل هذا الوجود كله يريد أن يسد الفم ويقطع على الصيحة سبيل الانطلاق .. انها تبغى أن تمكن لمصر من عناصر السيادة والسلطان ، بعد أن طال بها القعود على المذلة والسكون الى الهوان . . .

يريد عيد الوطن الاقتصادى ، أيها الشبان ، أن يتعجل اليوم المشرق السعيد الذى يجب ان تعيش فيه مصر للمصريين ..

على عبد العظيم

كلية الحقوق

الدعوة إلى الصناعة المصرية

وسائلنا فى سبيل ترويجها

للأستاذ جلال حسين
وكيل اللجنة التنفيذية

ان أشد ما تشكو منه الصناعة المصرية فى الوقت الحاضر روح الانصراف عنها البادية من جانب أبناء الوطن نفسه ، وإذا كانت الصناعة المصرية تريد لنفسها حياة فانما تطلبها من أبناء مصر أنفسهم ، فانهم أهلها وعدتها . والواقع أن الجيل الحاضر ورث عن الجيل الماضى روح الاستخفاف بصناعة مصر ، فقد علق بالنفوس فى القرن الاخير أننا أمة لا تجيد الصناعة ، فتحولنا عن شرقيتنا ومصريتنا إلى تقليد الأوربيين ، وتعاقبت السنوات ونحن عن مصلحة مصر الاقتصادية ساهون ، وعن الايمان بنجاحها الصناعى غافلون .

وقد قامت فى مصر صناعات ونمت ، ونشأت مصانع وتقدمت ثم أقيمت المعارض . فثبت فعلا خطأ الفكرة القديمة وهى استحالة قيام الصناعة فى مصر . وقد أيد الواقع الملموس أن فى مصر صناعات ، وأنه يمكن أن تنشأ صناعات أخرى وتزهو وتزدهر ، ومع ذلك كله لا تزال الفكرة القديمة عالقة بالاذهان ، ولا يزال الكثيرون منصرفين عن تعضيد منتجات البلاد ، بل منهم من لا يزال يتشكك فى وجود صناعات بمصر

ولو أن كل مصرى ومصرية آمن بوجوب الاقبال على مصنوعات وطنه : ولو أنه أصر فى كل مكان على طلب منتجات بلاده ، لكان هذا الطلب المستمر مدعاة لاحياء صناعات ميتة ، وإقامة صناعات جديدة ، وتقوية مصانع لا تزال بسبب الاهمال ضعيفة

ونحن إذ ندعو للصناعة المصرية لا [illegible] بلغنا [illegible] كمال وانما نشعر بأننا لا نزال فى أول الطريق ، وان المسير ليس سهلا ، وإن المهمة شاقة ، ولكن هذا كله هو الذى يدعو الى مضاعفة الجهود . ولا سبيل للنجاح الصناعى إذا لم نقبل على الموجود بين أيدينا ونغضى عن عيوبه عاملين على إصلاحها حتى نصل الى المجد الذى ننشده

فاذا كان هذا هو أشد ما تشكو منه الصناعات المصرية فأول واجبنا وما نسعى اليه محاربة هذه الفكرة السيئة بكل ما أوتينا من وسائل ، وها نحن أولا ننشر الدعوة (١) عن طريق الصحافة التى نذكر لها الفضل الأكبر فى مؤازرتنا (٢) عن طريق نشرات خاصة نوزعها فى كل مكان (٣) بواسطة الاذاعة اللاسلكية وقد وجدنا فى محطات الاذاعة المصرية عضداً كبيراً .

وكل ما ننشده أن نصل إلى أكبر عدد من أبناء مصر المتطوعين يتألف منهم جيش الوطن الاقتصادى

فنحن نبث الدعوة للتطوع فى المشروع . ولا يكلف التطوع صاحبه شيئاً مادياً قط . ولكننا نطلب اليه أن يعتنق هذه الفكرة وأن يعطينا موثقا من الله أن يؤثر منتجات البلاد بالتفضيل ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهؤلاء المتطوعون هم الذين يدعون الى الفكرة فى كل مكان ، وكلما زاد عدد المتطوعين زدنا إيمانا برسوخ فكرتنا وثباتها . ومن اجل هذا نطالب كل من يفكر فى مصلحة مصر أن يمد يده الينا ، وأن يبادر بالتطوع فى المشروع ويد الله مع الجماعة

وقد سمعنا هنا وهناك سؤالا يتردد على شفاه الكثيرين : أين نجد تلك الصناعة المصرية ؟

فان المصانع المصرية لم تؤت إلى الآن من الوسائل ما يساعدها على الاعلان

لذلك استقر عزمنا على أن نصدر دليلا سنويا بأسماء المتاجر والمصانع القائمة فى أرض مصر يكون هاديا ومرشدا وسيوزعه المتطوعون بأقل ما يمكن من ثمن حتى يكون فى متناول كل يد

وقد سألنا أرباب الصناعات المصرية أن يسهلوا علينا مهمتنا فيتصلوا بنا حتى يأتى الدليل وافيا بالغرض الذى نرمى اليه

فاذا ما تجمعت تلك العناصر جميعاً كان يوم العيد .

وفى العيد يقام مهرجان عظيم يدعو للصناعة المصرية يشترك فيه من تساعده ظروفه من أصحاب المصانع ، ويقوم جيش المتطوعين مرتدين رداء الشرف من القماش المصرى بتوزيع الدليل فى كل مكان

* * *

هذه وسائلنا نعلنها للبلاد مؤملين أن نسير فيها على بركة الله لخدمة هذا القطر وصناعته ، راجين أن نشق السبيل لنمصير ثروة هذه البلاد حتى تصبح مصر للمصريين .

جلال حسين

مطالعات فى التصـــوف

عوارف المعـارف معرفة النفس

(تتمـــة)

وأنت اذا أردت أن تقف لمؤلف عوارف المعارف على رأى خاص فى مسألة الروح وجدت أنه لا يستطيع أن يقطع برأى فى ذلك إذ هو يرى نفسه ازاء أقوال متناقضة ومذاهب متضاربة لا يكاد الانسان يأخذ بأحدها حتى يأتى الآخر فينسخ الأول ويزعزع رأيه فيه. ومن هنا كان مؤلفنا أميل ما يكون الى الامساك عن القطع برأى فى هذه المعضلة. عرض المؤلف بعد ماقدمت لك لمسألة الروح الانسانى وغيره من أنواع الارواح. وموجز قوله فى هذا الصدد هو أن الروح الانسانى العلوى من عالم الأمر. والروح الحيوانى البشرى من عالم الخلق. وهذا الروح البشرى هو محل الروح العلوى ومورده. وهو جسمانى لطيف حامل لقوة الحس والحركة. وانه لينبعث من القلب الذى هو عبارة عن هذه المضغة اللحمية الموجودة فى الجانب الأيسر من الجسد وينتشر فى تجاويف العروق الضوارب، وهذا الروح موجود لدى سائر الحيوانات تفيض منه قوى الحواس، ولورود الروح الانسانى العلوى على هذا الروح الحيوانى تجنس الروح الانسانى وباين أرواح الحيوانات الأخرى واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والالهام. ومن هنا تلاحظ أن النفس الانسانية تكونت من سكون الروح الانسانى العلوى الى الروح الحيوانى، مثلها فى هذا السكون كمثل سكون آدم الى حواء بحيث نشأ بينهما التآلف والتعاشق.

ومسألة أخرى من تلك المسائل الفلسفية والنفسية حدثنا عنها المؤلف فى هذا الباب، واعنى بها مسألة العقل ومركزه وآراء الناس فى هذا المركز. والناس يختلفون فى مركز العقل كما يختلفون فى غير العقل من الملكات الباطنية. فمن قائل بأن مركز العقل الدماغ. ومن قائل آخر بأنه القلب. ولعل اختلافهم هذا راجع الى عدم استقرار العقل وبقائه على نسق واحد. فهو ينجذب الى البار تارة والى العاق تارة أخرى. ورد فى اخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان: أى موضع للعقل منك؟ قال: القلب لأنه قالب الروح. والروح قالب الحياة. وقال أبو سعيد القرشى: الروح روحان: روح الحياة، وروح الممات. فاذا اجتمعا عقل الجسم. وروح الممات هى التى اذا خرجت من الجسد صار الحى ميتا. وروح الحياة هى مابه مجارى الانفاس وقوة الاكل والشرب وغيرها. وقال بعضهم: «الروح نسيم طيب يكون به الحياة. والنفس ريح حارة تكون منها الحركات المذمومة والشهوات».

ويعمد المؤلف بعد هذا كله إلى الموازنة بين الروح والنفس بحيث يبين لنا من خلال بعض الاقوال، الاخلاق والصفات التى تصدر عن كل من الروح والنفس. فقد قيل أن النفس لطيفة مودعة فى القلب، منها الاخلاق والصفات المذمومة. على حين أن الروح لطيفة مودعة فى القلب منها الاخلاق والصفات المحمودة. ومثل النفس والروح فيما يصدر عن الأولى من أخلاق وصفات مذمومة وما يصدر عن الثانية من اخلاق وصفات محمودة كمثل الحواس فى أن العين مثلا للبصر والاذن للسمع ... الخ. وترجع اخلاق النفس وصفاتها جميعا الى أصلين. أحدهما الطيش والآخر الشره. وقد نشأ طيش النفس من جهلها ونشأ شرهها من حرصها. ومثل النفس فى طيشها كمثل كرة مستديرة على مكان أملس لا تكاد تستقر أو تثبت ولكنها على العكس دائمة الاضطراب والحركة. ومثلها فى شرهها كمثل الفراش الذى يساور المصباح فلا يقنع منه بالضوء اليسير ولكنه يلقى بنفسه عليه ليغمره ضوء هذا المصباح حيث يلقى حتفه. ومن الطيش نشأت العجلة وقلة الصبر. ومن الشره نشأ الحرص والطمع وهما هذان الخلقان اللذان ظهرا فى آدم حين طمع فى الخلود فحرص على أكل الشجرة. وأنت اذا انعمت النظر فيما يذكر مؤلف عوارف المعارف عن الشره واتخاذه أصلا من الأصلين اللذين تصدر عنهما أخلاق النفس رأيت أن فى كلامه تناقضا. وبعبارة اخرى دورا كما يقول المناطقة. فهو يقول أن شره النفس ناشىء من حرصها ثم يعود بعد هذا فيقول أن الحرص والطمع خلقان ينشآن عن الشره. واذن فالشره فى بادىء الأمر نتيجة للحرص، ثم هو فى آخره مبدأ له. وعلى هذا يكون الدور ظاهر. ومهما يكن من شىء فان النفس على كل حال مصدر للاخلاق المذمومة. فمن عرف أصولها وطبيعتها، وتبين أخلاقها وجبلتها، عرف أن لا قدرة له على كبح جماحها ومغالبة اهوائها وشهواتها الا بالاستعانة فى ذلك كله بباريها وفاطرها

ولا يتحقق العبد بالانسانية، الا اذا دبر فى نفسه دواعى الحيوانية وذلك بالعلم والعدل وبمراعاة طرفى الافراط والتفريط، فبهذا تقوى انسانيته وتنقى نفسيته ويدرك من نفسه صفات الاخلاق المذمومة بحيث ينتهى الى كمال انسانيته.

تعال ولنمض الآن الى أوصاف النفس. فقد ذكر مؤلفنا ان الله وصف النفس فى كتابه العزيز بأوصاف ثلاثة: فوصفها بأنها مطمئنة فقال: «يا أيتها النفس المطمئنة» وبأنها لوامة فقال: «لا أقسم بيوم

القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » . وأخيرا بأنها أمارة بالسوء فقال : « إن النفس لأمارة بالسوء » . وهذه النفس التي وصفت بأوصاف متباينة واحدة . فاذا امتلأ القلب سكينة ألبس النفس ثوب الطمأنينة لأن السكينة تزيد في الايمان . وفي هذه الطمأنينة يرقى القلب الى محل الروح لما منح من حظ اليقين . وحين يتجه القلب الى محل الروح تتجه النفس الى محل القلب . وهي في هذا تصيب من الطمأنينة حظاً .. وإذن فانت ترى أن النفس والروح يتطاردان بحيث يملك القلب دواعي النفس تارة ، ودواعي الروح تارة أخرى ، كما ترى أيضا ان الملكات الباطنية عند الصوفية هي الروح والقلب والنفس . وانهم ليضيفون اليها ملكة رابعة اختلفوا في شأنها كما اختلفوا في غيرها . هذه الملكة هي « السر » . ويذكر مؤلف عوارف المعارف شيئا عن هذا الاختلاف في أمر السر فيقول ان من الصوفية من جعله بعد القلب وقبل الروح . ومنهم من جعله بعد الروح وأعلى منها والطف . ولقد قالوا ان السر محل المشاهدة ، والروح محل المحبة ، والقلب محل المعرفة . ولا بد من أن نلاحظ أن السر لم يرد ذكره في القرآن ، وإنما ورد ذكر الروح والنفس والقلب والفؤاد والعقل . ويرى مؤلف عوارف المعارف انه لما لم يذكر هذا السر في القرآن ، ولما اختلف الصوفية فيه هذا الاختلاف فهو لا وجود له وجودا مستقلا في ذاته بحيث يكون ملكة خاصة كالروح أو النفس . وإنما هو وصف زائد تكتسبه الروح حينا ، والقلب حينا آخر عندما يتطلع كل منهما الى مواطن القرب . وإذن فليس السر شيئا آخر غير الروح ، مكتسبة وصفا زائدا على أوصافها ، أو غير قلب مكتسب وصفا زائدا على أوصافه .

ولا بد من أن نذكر شيئا عن العقل . فهو كما يقول مؤلفنا — لسان الروح وترجمان البصيرة ، والبصيرة للروح بمثابة القلب ، والعقل بمثابة اللسان . ولقد شرف الله تعالى العقل في حديث قدسي خاطبه فيه بقوله : « ... وعزتي وجلالي ، وعظمتي وكبريائي ، وسلطاني وجبروتي . ما خلقت خلقا أحب الي منك ولا أكرم علي منك . بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك أعطي وبك آخذ وإياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب . وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر . »

واختلف الناس في ماهية العقل . ففريق يرى أنه من العلوم . فمن خلا من جميع العلوم لا يوصف بالعقل . وليس العقل كل العلوم إذ أن الخالي من أغلبها متصف بالعقل ، وليس العقل من العلوم النظرية . فمن شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل . واذن فهو من العلوم الضرورية وليس جميعها . فصاحب الحواس المختلطة عاقل على الرغم من أنه فقد بعض مدارك العلوم الضرورية . وفريق آخر يذهب الى أن العقل صفة يتهيأ بها درك العلوم كما قال المحاسبي انه غريزة يتهيأ بها درك هذه العلوم . ويقول بعضهم ان العقل عقلان : عقل للهداية مسكنه القلب وهو للمؤمنين الموقنين . وعقل مركزه الدماغ : يدير الأول أمر الآخرة ويدير الثاني أمر الدنيا ، ولكنه على كل حال عقل واحد .

تلك خلاصة هذا الباب الخصب من كتاب عوارف المعارف ولست أشك في أنك توافقني على ما امتاز به من البحث الدقيق والفكر العميق والجمع بين التصوف وما وراء الطبيعة وعلم النفس جمعا يظهرك على ما بين هذه العلوم من صلة وثيقة تكفي لأن تبين لك ما للتصوف من مكانة فلسفية وقيمة نفسية بين العلوم التي أنتجها الفكر الاسلامي ؟

محمد مصطفى حلمي
ماجستير في الآداب

نداء الى أدباء العرب

الاحتفال بمرور ألف عام

على وفاة شاعر العربية الأكبر

أبي الطيب احمد المتنبي

قتل أبو الطيب المتنبي في رمضان سنة ٣٥٤ للهجرة وفي رمضان سنة ١٣٥٤ اى بعد سنتين وشهرين يمر ألف عام على وفاة شاعرنا العظيم .

إن مرور عشرة قرون على وفاة أديب كبير الحادث ذو شأن في تاريخ الأدب . واني أناشد الأدباء في البلدان العربية أن يفكروا في اقامة مهرجان عظيم تشترك فيه وفود تمثل الاقطار العربية الشقيقة احتفالا بذكرى شاعرنا الخالد .

واني أرجو أن يترك أمر تأليف لجنة الاحتفال للمجمع العلمي العربي في دمشق أو للمجمع العربي الذي أنشأه جلالة فؤاد الأول ملك مصر أو لهيئة جديدة تمثل فيها جميع الاقطار العربية ..

بيروت

فلسفة ليبنتز

Gottfried Wilhelm Leibniz

١٦٤٦ — ١٧١٦

للأستاذ زكي نجيب محمود

١ — نظرية ذرات القوة   ٢ — التآلف الازلي
٣ — نظرية المعرفة   ٤ — الله والعالم

(تتمة)

٢ - التآلف الازلي Pre-established Harmony

ولكن إذا كانت هذه الذرات القوية التي يتألف منها الكون بأسره عبارة عن عوالم صغيرة مستقلة، لا يؤثر بعضها في بعض، فماذا عسى أن تكون الرابطة بينها؟ وبماذا نعلل هذا النظام الدقيق الذي يشتمل الوجود؟ يجيب ليبنتز على ذلك بأنه قانون التآلف الأزلي. فقد ركبت تلك الذرات بادىء ذي بدء بحيث تسير الواحدة موازية للاخرى، وعلى الرغم من تفرقها وانفصالها، فهي تعمل جميعاً في توافق دقيق، حتى لتبدو كأن بعضها يعتمد على بعض. أليست تسير طوع ارادة إلهية عليا؟ إذن فهي تسير في نظام واتساق لا تناقض فيهما ولا اضطراب. يقول ليبنتز: « إن هذا التوفيق بين استقلال الذرات واتساقها في نظام واحد أشبه شيء بجوقة من رجال الموسيقى، كل يقوم بدوره مستقلا، وقد أجلسوا بحيث لا يرى بعضهم بعضا بل ولا يسمعه، ومع ذلك فهم يسيرون في تناغم مستقيم، ما دام كل منهم يعزف وفق المذكرة الموسيقية، فاذا ما سمعهم مستمع في وقت واحد، لحظ في عزفهم تآلفا عجيبا »

وبهذه النظرية نفسها قد عالج ليبنتز العلاقة بين العقل والمادة، أي بين الروح والجسد، فالروح يتبع قوانينه الخاصة والجسد كذلك يتبع ماله من قوانين دون أن يؤثر واحد في سير الآخر، فهما يتلاقيان في تناسق بلغ من الدقة حدا بعيدا يستحيل معه الخطأ. فكل خلجة عقلية يجاوبها وضع من الجسد كما لو كانت العلاقة بينهما علاقة العلة بالمعلول. ولا يمكن تعليل هذا الاتفاق المستمر بين العقل والجسم الا باحدى ثلاث، يسوقها ليبنتز تشبيهه المشهور: فهما كساعتين تسيران معا في دقة تامة، ولا يكون ذلك إلا: (١) أن يكون للساعتين آلة واحدة تديرهما معا في آن واحد (٢) أو يكون ثمة شخص يعادل بينهما من آن الى آن بحيث يوفق بين زمنيهما. (٣) أو قد تكون الساعتان صنعتا في دقة تامة يستحيل معها الخطأ.

فأما الغرض الأول فمردود لأن العقل والجسم لا يؤثر فيهما مؤثر بعينه في وقت واحد. وأما الغرض الثاني فمردود كذلك لأنه يفرض تدخلا مستمرا في علاقة العقل والجسم، وأما ثالث الفروض فهو ما يراه ليبنتز جديرا بعظمة الخالق وكامل قدرته، أي أن كل شطر يسير في طريقه الخاصة. فلا يكون بين الشطرين اختلال أو اضطراب، وهذا التآلف موجود منذ الأزل، وهو ما يسميه بنظرية التآلف الأزلي

ولكن إذا كانت كل ذرة مغلقة في حدودها الخاصة، لا تستطيع أن تطل على العالم الخارجي كما يستحيل أن ينفذ إلى داخلها شيء من العالم الخارجي، فكيف نعلل ادراكنا لله، بل ادراكنا لكل ما يحيط بنا من أشياء؟ أليس الادراك ضربا من ضروب الاتصال أو هو كل الاتصال؟ كيف يستطيع كائن أن يصل إلى معرفة الله والعالم اذا لم يكن في مقدوره أن يحطم حدود فرديته؟ هذا تناقض ولا ريب، وأغلب الظن أن ليبنتز قد لحظه عند حديثه عن علاقة الانسان بالله جل وعلا، فأنقذ الموقف بأن زعم أن الروح الانساني لا يقف عند حد تصوير الكون وتمثيله في شخصه، كما هي الحال مع سائر الكائنات، ولكن له فوق ذلك مقدرة على إدراك الله وتقليده، ثم معرفه أجزاء العالم عن طريقه، لانه يعتقد أن الله جل شأنه هو الذرة السامية الكاملة وهي أساس الذرات جميعاً، منها تنبثق، كما ترسل الشمس ضوءها، فاذا ما أرادت ذرة أن تتصل بأخرى، كان لزاما عليها أن تتصل أولا بذلك الاساس أو قل (السنترال) لأنه بمثابة المركز الذي تتفرع عنه الطرق جميعا

٣ -نظرية المعرفة

من أين جاءت الى الانسان هذه المعلومات التي تملأ شعاب ذهنه؟ أما (لوك) فرأيه في ذلك معروف. وهو أن كل معلوماتنا انما جاءت عن طريق الحواس فأثرت في صفحة الذهن التي برزت الى هذا العالم نقية بيضاء لا تشوبها شائبة. وأما (ديكارت) فيزعم أن الطفل يولد مزودا ببعض الآراء الفطرية التي لا يمكن أن يحصلها بالتجربة، طرفان متناقضان من الرأى، كتب لهما أن ينتهيا الى ليبنتز الذي لا يعجز عن جمع المتناقضات في وحدة متسعة! ألم يوفق بين مذهبي الفردية والكونية، وأخرج منهما فلسفة الذرات القوية؟ وها هو ذا كما عهدناه يوفق بين لوك وديكارت في نظرية تحصيل المعرفة! فهو من ناحية ينكر على لوك رأيه في انعدام الآراء

الفطرية . ويرى هو أن للعقل أساسا من المعلومات يستحيل أن يحصل بدونه شيئا ، فيولد وهو يحمل بين طياته معرفة كامنة بالقوة ولا تصل إلى درجة الشعور الا اذا ايقظتها التجارب التى تنفذ إليها عن طريق الحواس . فليس من شك فى أن الطفل يولد مزود ا بميل الى استطلاع الحقيقة قبل أن يصادف من حياته تجربة ما ، ويكفى أن يكون لديه تلك القوة العقلية وحدها ليجوز لنا القول بأن له معرفة فطرية ، واذن فيجب أن نكمل نظرية لوك التى يلخصها فى هذه العبارة « ليس ثمة فى العقل من أثر الا ماتبعثه الحواس » بأن نضيف اليها هذا التعديل : « اللهم الا العقل نفسه » !!

كذلك ينقض ليبنتز رأى ديكارت فى الآراء الفطرية ، فلا يذهب معه فى أن المعرفة التى تولد مع الطفل تكون عند الولادة محددة واضحة ، إنما يعتقد ليبنتز ان تلك المعرفة تكون بادىء الامر سابحة فى اللاشعور ؛ وتظل غامضة مهوشة حتى تدركها التجربة فتوقظها من مكامنها وتزيل مايغشاها من غموض بما تنشره على معالمها من ضوء ، فحياة العقل عبارة عن تقدم مطرد مستمر من أدراك مهوش مضطرب الى أدراك دقيق محدود . شأنه فى ذلك شأن كل ذرة فى الكون ، حياتها انتقال من الغموض الى الوضوح فى الادراك

من ذلك نرى أنه وافق ديكارت على وجود الآراء الفطريه ، بل لم يرضه أن يقف عند الحد الذى وقف عنده ديكارت . من أن بعض الآراء فقط تولد مع الطفل وبعضها الآخر تحصله الحواس فادعى هو أنها جميعا تولد فطرية ولا يستحدث منها فى الحياة شىء . كما وافق لوك على أن التجارب التى تنفذ الى العقل عن طرق الحواس لها كل الأثر فى تكوين المعرفة ، والفرق بينهما إن ليبنتز لا يرى أن هذه المعرفة قد استحدثت بل انتقلت من وجود بالقوة الى وجود بالفعل ، أو قل انتقلت من حالة الخمود الى اليقظة والنشاط ، وهكذا استطاع ليبنتز أن يقرب وجهتى النظر الى حد الاندماج

٤ ـ الله والعالم

كان ليبنتز مؤمنا شديد الايمان ، يصدر عن عقيدة سليمة ودين قويم ، فهو يرى لزاما عليه أن يرد بالحجة ماتنطلق به بعض الألسنة من اتهام العالم بالشر والنقص ، وأن يثبت للناس أن هذه الدنيا التى نعيش فيها هى أكمل مايستطاع خلقه من الدنى . أليس الله جل شأنه علة وجود الأشياء جميعا ؟ اذن فلابد أن يكون قويا الى أبعد حدود القوة ، كاملا الى أقصى مراتب الكمال ، حكيما الى أعمق أغوار الحكمة ، خيرا الى أوسع آماد الخير . صور لنفسك هذه الحكمة المطلقة قد تآزرت مع ذلك الخير الأسمى فى خلق العالم ، ثم حدثنى كيف يكون ؟ أليس من الطبيعى المحقق أن يجىء على أحسن ماتجىء العوالم ؟ هذا حق لاريب فيه . لأن الله تعالى يصدر عن منطق مستقيم يتفق مع ماله من كمال . ولا يسمح ذلك المنطق الكامل الا أن ينتج عالما أقرب مايكون الى الكمال « لأنه اذا أخرج عالما دون مايستطاع اخراجه ، كان فى عمله مايمكن تهذيبه واصلاحه »

هذا الايمان العميق لم يصادف من فولتير الا سخرية مرة ! فيرد على ليبنتز بقوله إن تجربته فى الحياة علمته أن هذا العالم ـ على نقيض ماوصف ـ أسوأ مايمكن خلقه من العوالم . ولو كان فيه ذرة من كمال لامحى من وجهه هذا البؤس الذى يزهق ألوف الألوف من النفوس الكسيرة . وقد هاج هذا القول من فولتير شابا مؤمنا الى درجة الحماسة فتصدى له وهاجمه فى الصحف هجوما عنيفا . فلم يكن من الساخر العظيم الا أن رد عليه فى رفق هادىء بقوله : « يسرنى أن أعلم أنك أصدرت رسالة تهاجمنى فيها . فقد أوليتنى بذلك شرفا عظيما . ولكن ألا تستطيع ياسيدى أن تحدثنى عما يدفع آلاف البشر لجز حلوقهم فى هذا العالم الذى تصفونه بأنه خير مايستطاع خلقه . وانى لك من الشاكرين »

كذلك تصدى هجل لنقد ليبنتز فى رأيه هذا عن العالم ، واحتج بأنه قد تركه قضية بغير تدليل . فلنسلم معه جدلا بأن هذه الدنيا خير مايمكن خلقه . أفيكون هذا دليلا على خيرها وصلاحها ؟ اذا أنت أرسلت خادمك الى السوق ليبتاع لك شيئا ! فجاءك به الخادم سيئا كريها ثم أقنعك أنه خير مايباع فى السوق . أفتحكم على هذا الشىء بالجودة لأنه كذلك ؟ كلا ولاريب ـ فلا يمنع سوءه وشره ألا يكون هناك أحسن منه ، كذلك قل فى العالم . قل ماشئت من أنه خير مايمكن وجوده ، ولكن هذا لايبرئه من النقص والشر

وكأنما ليبنتز قد لحظ هذا الضعف فيما يقول فاعترف أن فى العالم شرا كثيرا ، ولكنه لا يرى ذلك مناقضا لنظريته ، بل يتخذ هذا الشر نفسه دليلا على صحتها . فلولا ماتحوى الحياة من بؤس وألم . لما كانت الدنيا خير مايستطاع خلقه ، لأنهما كثيرا ما يكونان سبيلا الى الخير وسببا فى جودتها « المرارة القليلة كثيرا ماتكون ألذ مذاقا من السكر الحلو ! » . ثم يسير ليبنتز بعد ذلك فى البحث عن أصل الشر فى العالم ، فيقرر أن علة وجوده هى هذا الجانب المادى . فقد ذكرنا فيما سبق أن لكل ذرة فى الوجود جانبا فعالا ، والى جواره جانب

درس الجيولوجيا

بقلم حسين شوقي

هى أيضا ذكرى من ذكريات الصبى والدراسة . وقعت حوادثها ببرشلونة . عندما دخلت المدرسة الأسبانية ، وحضرت درس الجيولوجيا للمرة الاولى ، رأيت المدرس قبل البدء فى الدرس ، يقترح رحلة جبلية فى يوم الأحد المقبل ، ولكنى لحظت فى استغراب ودهشة ان الطلبة يتهربون منها ، لذلك أخذ المدرس يختار لهذه الرحلة من يختار دون رضا ولا موافقة ، فقلت للطالب الذى يجلس عن يمينى ، وهو فتى إسبانى من الجنوب (الأندلس) ، تدل سمرة جلده على أصله العربى : لماذا يرفضون وانما يذهبون الى النزهة وتسلق الجبال الشاهقة ؟ . فأجابنى فى ابتسامة خبيثة : أتريد أن تذهب أنت ؟ فأجبته على الفور : أجل ! ولم لا ؟ فرفع زميلى أصبعه مستأذناً فى الكلام ، فلما سمح له المدرس به أطلعه على رغبتى ، فنظر الى المدرس نظرة الرضا والارتياح وقال : حسن ! حسن جداً ! ثم سألنى فى لطف عن اسمى لأنى كنت طالبا جديدا فأثبته فى القائمة ، ثم استفهم عن جنسيتى التى استغربها لأننى الشرقى الوحيد فى المدرسة . .

وعند ماعرف الطلبة انى اريد المشاركة فى رحلة يوم الأحد عن رضا وطواعية ، أخذوا يتغامزون وينظر بعضهم الى بعض ، فاضطربت لذلك ولم أعرف سبب هذا التغامز وا أسفاه الا أخيرا .

وفى يوم الأحد كنت فى المكان المعين للمقابلة ، قبل الموعد بزمان طويل ، لأنى كنت مشتاقا الى هذه الرحلة الجبلية مع رفاقى الطلبة على رغم ما كان يحيط بها من الأسرار . ثم حضر المدرس وتبعه الطلبة واحدا بعد آخر . . وكنا جميعا عشرة ، فركبنا الترام فخرج بنا فى أقل من ساعة الى ظاهر المدينة . . وكنا أثناء سير الترام وفى غفلة من الاستاذ ، نخرج ألسنتنا للمارين ، فيمطروننا وابلا من اللعنات والشتائم .

ثم أخذنا نتسلق الجبال وبعد جهد جاهد بلغنا أعلى القمة فى تلك المنطقة المعروفة بسانتا كروث (الصليب المقدس) ، وقد قام فيها صليب كبير من الخشب ، بركة لعابرى السبيل .

عند ذلك شاهدنا منظرا للمدينة يملك الطرف ويصبى المشاعر ، والبحر الابيض يموج فى جلبابه الأزرق الفضفاض ، والجو يعبق برائحة عطرية كأنها تسربت من الفردوس . أما السحاب فكان قريبا منا الى حد أننى كنت أخشى أن جنّيا يبدو منه فجأة فيختطف أحدنا على سبيل المزاح ! واذا كان سرورى عظيما بجمال الطبيعة فى تلك الساعة ، فان فرحى كان أعظم بالفراش الأصفر الكبير الذى شاهدته يتنقل فى الخضرة والحشائش من غصن الى غصن ، وكأنه فى جسنه زهور (البانسيه) ، لأنى كنت كرفاقى مولعا باقتناء الفراش وحفظه بالمنزل فى علب خاصة غطاؤها من الزجاج . . ولكن ظهر انى كنت واهما حين ظننتنى سأصطاد ما اشاء من هذا الفراش ، لأنى حضرت الى درس جيولوجيا فى هذا المكان لا الى اللهو والتسلية ! وكان ذلك سبب ضحك الطلبة فى الفصل حينما تقدمت من ذات نفسى للاشتراك فى تلك الرحلة ! اذ أمرنا المدرس بالتقاط ما يصادفنا

سلبى منفعل - هو الجانب المادى منها - وبقدر ما ترجح كفة الجانب الفعال كانت الذرة أدنى الى الكمال ، ولذلك ترى كل ذرة لا تفتأ تسعى جهدها لكى تتغلب على جانبها المادى السلبى الذى يقعد بها عن السمو فى سبيل الكمال . والانسان - ككل شيء آخر - لا يدخر وسعا فى هذا الجهاد العنيف الشاق . وهذا الجهاد نفسه الذى لا مناص منه بحكم طبيعة التكوين الذرى - هو أصل الشر وسبب البلاء . فالشر إذن نقص نشأ عن محاولة التخلص من قيود المادة ، فكأنه لم يوجد إلا ليكون سلما للصعود نحو الكمال الاسمى . وعلى هذا الاعتبار يكون الشر وسيلة للخير !! أضف إلى ذلك أن وجود الشر إلى جانب الخير ، مما يعمل على جمال الحياة ، التى كانت تقل عما هى الآن كمالا وجمالا لو أنها لا تحوى إلا خيرا محضاً . ومن ذا الذى يتمنى حياة لا ألم فيها ، تجىء على صورة واحدة لا اختلاف فيها!؟ ثم يذكر ليبنتز أن الخير هو الجانب الايجابى من الحياة ، والشر هو الجانب السلبى منها ، ولما كان الله تعالى لم يخلق - بداهة - الا الجانب الإيجابى ، فلا يمكن أن يعد سببا فى وجود الناحية السلبية . ولا يمكن أن يكون الله خالقا لما نرى فى الحياة من شرور وآلام .

زكى نجيب محمود

مِنْ طرائفِ الشعر

طاقـــة الزهر

طريقة أخرى في الوصف

للعالم الشاعر الأستاذ أحمد الزين

أهدت إلى النفس ريّا نشرها العبق
والطيبُ في الزهر يوحي طيبَ الخُلُق
رقّت رسائلها للكون فانجذبت
من النسيم بريداً شاع في الأفق
وما رأيت بريداً خف محمله
مثل النسيم حكى المغنى بلا ورق
أنباؤه بحديث الحب عاطرةٌ
أو ذكريات شبابٍ ناعم أنِق
ظلّت تنسقها كفٌّ منعمة
تكاد تحسبها من ذلك النسق
تداعب الزهرَ في رفقٍ أناملُها
كالنوم داعب جفنَ الساهر الأرق
كلاهما بالهوى يرنو لصاحبه
فاعجب لمختلفٍ بالحب متفق
تحنو عليه فتنسيه منابتَهُ
في الروض يندى بمنهل الحيا الغدِق
كلاهما زهرٌ في كف صاحبه
فانعم بزهرين ملثوم ومنتشق
هـذا يعيد بريّا نفحه رمقاً
وذاك بالوجد لا يُبـقي على رمق
هذا على الصدر يسبي العينَ منظرُهُ
وذاك في القلب يذكي لاعج الحُرَق
كم صوّر الزهرُ من معنىً يجيش به
قلب الشجيّ ويعيي فطنة اللبق
وكم له في الهوى نُعمى تقلّدَها
صَرْعى الغرام مكانَ الطوق في العنق
وكم يحمّـله العشاق لوعتهم
صوناً لمكنونها عن طائش نزق
كم حمّـلوه إلى أحبابهم قُبُلاً
يا طيبَ مصطبحٍ منها ومغتبَق
واستودعوه حديثاً من صبابتهم
فصان سر الهوى عن سمع مسترِق
وكم روى دمعةً عن عينِ والهةٍ
وكم حوى زفرةً عن قلب محترِق
وكم على صفحاتِ الزهر من كُتُبٍ
في الشوق يعيا بها ذو المنطق الذلِق
كم زهرة وصلت في الحب منقطعاً
وجدّدت في حبال الود من خلَق
وللأزاهير لطف في سفارتها
كم ألّفتْ في هواها كلَّ مفترق

....

في الطريق من الحجارة الغريبة وعرضه عليه.. وكان اذا راقه حجر أخرج منظاره ففحصه في شغف كأنه الحجر القيم (٢).. ثم أمرنا بحفظه معنا. لهذا أحضر رفاقي أكياسا من الجلد.. أما انا فكنت أضع الحجر في جيبي لأني لم أحضر كيسا، ولما بلغت المدينة كانت جيوبي ممزقة شر تمزيق! وكان استاذنا اذا أطلعناه على حجر أخذ يشرح لنا أصله شرحا طويلا ويذكر ما كان بالحجر من معادن كالحديد والفحم والخشب المحجر..

أما نحن فكنا نوافق على كلامه من غير سؤال ولا مناقشة لعله ينتهي بسرعة من شرحه الممل! ولما رجعنا في المساء الى رشيلونه، كنا نمشي متطرحين من الاعياء، وفي درس الجيولوجيا التالي حينما أخذ المدرس بجميع أعضاء الرحلة المقبلة كعادته قبل السير في الدرس، خاطبني قائلا: شوقي بطبيعة الحال يصاحبنا في هذه الرحلة؟ فقمت على الفور من مقعدي وأجبته في انفعال: شوقي مريض لا يذهب! فامتعض وتأثر ولكنه أراد أن يصرف النظر عن هذا الرد الجاف ليستر على الأقل خجله، ولكن الطلبة ضحكوا ضحكا عاليا من اجابتي، فاشتد حينئذ غضبه علي وعاقبني بالحبس ساعة!

(٢) Regent جوهرة ثمينة تقدر بملايين من الفرنكات، من جواهر تاج فرنسا.

ذكرى العام

الحَول يا أماه بعدك حالا والقلب في تحنانه ما زالا
والنفس في أسف عليك وحسرة تطوى بها الأيام والأحوالا
والفكر نهب للتذكر كلما بعث الشجون وأطلق البلبالا
والود لم أر فيه بعد فراقنا صفواً كودك سائغاً سلسالا
وتجد عليك مساور لم يمحه نظمى المدامع فيك والأقوالا
لا كان يوم قد طوى لك طية صرف الحمام عن الحياة زيالا
لله أية نعمة ولى بها عنى وأى كريم ذخر غالا
ما كان غير صميم ودك من هوى أخشى عليه الموت إن هو صالا
فرحلت عن دار الفناء حثيثة وامتد عمر من اجتويت وطالا
ونفضت كفك من ضئيل حطامها
وطرحت ذاك الهم والأشغالا
تجرى مقادير وأحوال وما تعنيك فى ترادها مثقالا
عبرت مواقيت الصلاة فلم تجد سعياً لها صبحاً ولا آصالا
ولكم نهضت لها الدجى قوامة تبغين رضوان الاله تعالى
ومضى الصيام فلم تحيى وجهه سمحاً ولم تستقبليه هلالا
ولكم سعيت له وكنت حفية بأبى الشهور مهابة وجلالا
وغفوت عن حالى فلم يكرثك أن
أمسيت أبدل بعد حال حالا
أوعل ألا رواح بعد فراقها قربى وإن شط المدى ووصالا
فتعيش الروح الطهور وتنثنى تضفى على حنانها هطالا
وتظل ترعانى كسالف عهدها أشقيت بالا أم حسنت مآلا
منى إليها ما حييت تحية تترى إلى يوم اللقا وتوالى

فخرى أبو السعود

إعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسيستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

(جاردن سِتى[١]) والريف

لمن مقاصير خلف الجسر ضاحكة
يشرقن فى العين اشراق الضحى الحالى
تلهو الهناءة نشوى فى مسارحها
ويمرح الأنس فيها هادىء البال
القى النعيم العصا فى ظل سرحتها
وراح يرسل فيها ذيل مختال
ملاعب لبنى الدينار ناضرة
خضراء تنضح آمالا لآمال
فلو رآهن كسرى الفرس لاقتحمت
عيناه إيوانه فى عصره الخالى
تحنو لدات الدرارى فوق عاتقها
وتطلع الشمس من عرنينها العالى
زهراء رفت رياحين الحياة بها
بيضاء دون سناها ومضة الآل
ترنو عيون الأمانى فى مشارفها
ويبسم العيش فى بشر وإقبال
إن كانت الخلد تحكيها فوا لهفى
قد قصرت عن منال الخلد أعمالى

***

ياأخضر العيش ما للريف تهجره
كأن قلبك عن انصافه سال؟!
تركتــه تستبد الحادثات به
ويستطيل الأسى فى عوده الحالى
كم بالقرى من قلوب سلن من شجن
قد أوغل اليأس فيها أى ايغال
كم بالقرى من جفون غاض مدمعها
من طول مانزفت من دمعها الغالى
مشى نذير الضنى فى سندس خضل
وشوهت صفحتها أزمة المال

(١) جاردن سِتى: حى من أحياء الاغنياء بالقاهرة على ضفة النيل الشرقية

فما الصباح إذا يبدو بمتسق
ولا الغـــدير إذا تلقى بسيال
ولا الهزار صــــدوح فى خمائلها
يشدو لدى الماء فى خفض وارسال
ضاف من البؤس رواها فأترعها
فغير القوم من حال إلى حال
لا تشهـــد العين من أبنائها أحداً
إلا خدين همـوم ثوبـه بال
يمضى النهار وحر الشمس يلفحه
رطب الجبين دءوباً غير مكسال
وحوله مثـــل أفراخ القطا زغباً
باتوا إلى الفجر فى سهد وإعوال
الله يعـــلم لم أكفر بحكمته
لكنها خطرات هجن بلبالى
هذا يهاب الصـــبا تدمى أنامله
وذاك يعسف فى فقر وإذلال

علي شرف الدين

الصـــدى الساحر

للأستاذ محمود الخفيف

فى سكون العشاء سرت وحيداً أملأ الصدر من نسيم المساء
أرقب البدر فى السماء فريداً ضاحك الوجه مستفيض الرواء
زار سمعى مع النسيم غنــاء يصرف السمع عن أرق الأغانى
عاصف تارة وطوراً رخاء يتلاشى رنينه فى ثوان
كروان سمعتــه يتغنى رائق الصوت ساحر النغمات
نائح صــادح طروب مغنى أين من سحره دقيق الصفات ؟
نازع هائم بعيـــد قريب مطلق النفس فى جمال الوجود
عبقرى كأنه مستجيب لصدى السحر من جلال الخلود
ليت شعرى أنازح أم طروب فسر القول يا خفى المعـــانى
آدمى ؟ فمثل خطوب وتعانى من الضنى ما أعانى ؟

أترى أنت ســاحر متيهين بحياة يسود فيهـا الفساد ؟
يملأ الأرض من بنيها أنين وخصام وفتنة وعنــاد
يا رقيق الغناء صوتك عذب جل فى الحسن عن غناء الطيور
بارع اللحن رائق منتحب يبعث السحر فى قرار الشعور
أيها الســاحر المحلق رفقاً بفؤادى فقد ملكت فؤادى
لست أدرى أطائر أنت حقاً أم وسيط من السماء ينادى
نازعتنى بشاشة وقطوب مذ ترنمت يا بديع الخيال
من رآنى يظن أنى طروب وفؤادى من الجوى غير خال
مذ ترنمت عاودتنى شجونى وذكرت القديم من أحلامى
قد تفردت بالمنـاة دونى وبرى الشوق والهيام عظامى
أنت لا تعرف الجفاء وقلبى شفه الهجر والجفا والعناء
أنت لا تعرف الشقاء وحسبى من شقاء الحياة هذا الجفاء
أنت يا ابن السماء حر طليق لم تجرع لدى الحياة هوانا
أنت بالبشر والهناء خليق كيف تبكى أأنت تخشى الزمانا ؟
أيها الصادح المغرد زدنى من أغانيك واتخذنى خليلا
ليتنى كنت طائراً فأغنى وأصوغ القريض لحناً جميلا !

وخز الضـــمير

هى ذكرى كلما مرت على
خاطرى أنشق عن دمع غزير
إيه يا ذكرى ابعدى عنى ، اعزبى
اخمدى بين ضـلوعى ، لا تثورى
حال عيش كان قبـلا سكرا
بك يا ذكرى إلى عيش مرير
آه كم أزفر كيما أشـتفى
منك ، لكن ليس يشفينى زفيرى
أترى تمحو إلهى عـــثرة
تركتنى فى عذاب وسـعير ؟
يا خليــلى دعانى والبكا
لا أرى آلم من وخز الضمير

محمد برهام



تطور العقل

« للاستاذ السير آرثر طمسن »

ترجمة بشـــير الياس اللوس

تبدأ حياة الكائن البشري كحجيرة مجهرية تعرف بالبويضة الملقحة، وهي بالرغم من صغرها المتناهي تضم تراث العصور السحيقة التي مر عليها أسلاف الجنس البشري من قبل. إن طيلة الاشهر التسعة التي يقضيها الجنين في رحم أمه متصلا بها اتصالا بيولوجيا وثيقاً، ماهي الأدور سبات عميق، وليس هناك من يستطيع ان يبسط رأيا مثبتا فيما يختص بعقل الجنين غير المولود، وحتى بعد الولادة مباشرة، وكل ما يمكن قوله ان نمو العقل يسير ببطء كبير.

ليس في البويضة الملقحة، أو الجنين الاولي، جهاز عصبي قط، ولكنه ينمو تدريجيا من أوائل بسيطة، ولما كانت القلية لا يمكن أن تستمد من الخارج، ترتب علينا ان نستنتج ان قوتها الكامنة متقمصة في الفرد منذ القدم، وكذلك الفعاليات الخاصة التي نستخدمها في حياتنا المعنوية كالشعور والتفكير والارادة لابد انها كانت في تضاعيف الجرثومة بصورة كامنة. وما قال عن الفرد يصدق على الجنس ايضا - أي ان هناك تطورا تدريجيا في تلك الناحية من فعالية المخلوقات الحية التي نسميها «العقل». فلا نستطيع اذن ان نضع أصبعنا في نقطة معينة ونقول: «لم يكن ثمة عقل قبل هذا الدور» لان جميع الحقائق الماثلة أمامنا تحملنا على الإستنتاج بانه حيثما تكون الحياة لابد من وجود درجة خاصة من العقل. وهذا يصدق حتى في النباتات التي يظن أن لا عقل لها. ويكون استنتاجنا اكثر دقة اذا عبرنا عنه باسلوب آخر، كأن نقول ان الفعالية التي نسميها «حياة» يلازمها دائما، والى درجة ما، وجهة باطنية أو عقلية.

الافعال الانعكاسية :

نعثر في الحيوانات المتعددة الحجرات كشقائق البحر (Sea-anemones) على بداية الافعال الانعكاسية Reflex Actions التي تؤلف القسم الاعظم في تصرف الحيوانات الواطئة أي قد تكون للحيوان أثناء نموه اجهزة معينة من حجيرات عصبية وحجيرات عضلية تسهل اصدار اجوبة ملائمة وصحيحة على المؤثرات الخارجية. فدودة الارض التي قد اخرجت نصف جسمها من الوكر تكون حذرة ومتيقظة لأخف وطأة قدم فتقلص نفسها وتنسل الى وكرها قبل أن يقول احدنا «هذا عمل انعكاسي».

ان الطريقة التطورية - اذا جاز لنا اطلاق هذا التعبير - اهلت الحيوانات للاجابة على المؤثرات بسرعة كلية، وكلما صعدنا في سلم المملكة الحيوانية وجدنا الاعمال الانعكاسية اكثر تعقيدا واحكم ارتباطا مع بعضها، حتى ان حدوث عمل ما قد يستدعي حدوث اعمال أخرى. وهكذا نجد سلسلة مستحكمة الحلقات بين الافعال الانعكاسية. ان تصرف النبات آكل الحشرات المعروف ب (Venus'fly-trap) عند ما ينطبق على حشرة لافتراسها يشبه الفعل الانعكاسي في الحيوانات، على انه ليس للنباتات جهاز عصبي خاص.

الافعال الاتجاهية (Tropisms)

وهناك افعال انعكاسية أخرى ارقى من تلك تسمى «الافعال الإتجاهية» وهي حركات أو اعمال يقوم بها الحيوان حرصا على تنظيم بدنه الكلي واحداث التوازن الفيسيولوجي بالنسبة الى الجذب والضغط، والتيارات والرطوبة، والحرارة والضوء والكهربائية. فعندما تمر الفراشة بالقرب من مصباح تستضيء العين القريبة من مصدر النور أكثر من الاخرى فينتج عن ذلك أختلال فيسيولوجي يؤثر في الحجيرات العصبية والعضلية، وبالنتيجة تنظم الفراشة طيرانها بصورة تلقائية كيما تكون كلتا العينين متأثرتين بنفس الشدة من النور، وبعملها هذا تحوم حول المصباح، وربما أدى ذلك الى القضاء على حياتها. إن هذه الافعال الاتجاهية تلعب دورا هاما في السلوك

السلوك الغريزي (Instinctive)

وارتقت الحيوانات خطوة أخرى فكان لها سلوك غريزي وصل الى درجة مدهشة في الكمال في النمل والنحل والزنابير. ويعرف عن هذا السلوك انه يتوقف على مؤهلات فطرية، فلا يحتاج الى تعلم، وهو مستقل عن التمرين والاختبار ولو انهما يهذبانه. يشترك في هذا

١٠٥٣

السلوك جميع افراد النوع (speeies) من الجنس الواحد على السواء. (لان الغرائز المختصة بالذكور قد تختلف عن الغرائز المختصة بالاناث). وهذه الافعال تستهدف حياة الفرد وتضمن استمرار النسل، ولو ان بعضا منها يحدث مرة واحدة طيلة حياة الفرد. فالفراشة الانثى لنبات ابرة آدم (Yucca moth) تبرز من الشرنقة عند ما تتفتح زهرة اليوكا الصغيرة فتطير الى زهرة تجمع شيئا من الطلع (folen) المحمول على الأسدية (estamens) وتجبله بشكل حبة كروية صغيرة تخزنها تحت ذقنها. ثم تطير الى زهرة يوكا اقدم عهدا من الاولى، وتلقي بيضها في بعض البويضات التي في مبيض الزهرة، ولكن قبل ان تصنع ذلك عليها ان تضع كرة الطلع على جسم المدقة (stigma) ومن ثم تتفتح كرة الطلع وترسل منها أنابيب تتجه نحو المبيض فتنزل نواة الطلع بواسطة أحد الانابيب الى البويضات وتلقحها؛ وبهذه الطريقة تتكون بذور نبات اليوكا لا تختلف عن اترابها في شيء، الا أن بعض هذه البذور يكون مأوى لبيوض فراشة اليوكا التي حالما تفقس تسير في حياتها على نفس الخط الذي سارت عليه اسلافها تماما من غير تلقين أو تعلم، وفي ذلك دليل على أن هذه الحيوانات تضمن استمرار نسلها بسلسلة من الافعال المنظمة. هي جزء من تراثها الغريزي.

أما من وجهة النظر الفيسيولوجية، فالسلوك الغريزي هو كسلسلة من أفعال انعكاسية مركبة، ولكن في بعض الاحوال على الاقل علينا أن نعتقد أن السلوك يخالطه شيء من الحذر والاجتهاد، ويجب أن يلاحظ أنه كما أن النمل والنحل والزنابير تظهر في أغلب الحالات سلوكا غريزيا بحتا، وتسير أحيانا على خطة التجربة والخطأ أو الابتكار التجريبي. كذلك بين الطيور والثدييات قد يحل السلوك الغريزي أحيانا محل السلوك المدرك (Intelligent).. ولعله لا يوجد سلوك غريزي بدون شيء من الذكاء، ولا سلوك مدرك بدون عنصر غريزي. إن الفكرة القديمة القائلة أن السلوك الغريزي كان في الاصل سلوكا مدركا وأن الغريزة نشأت عن الادراك: لهي فكرة مخطئة لانها تقوم على فرض غير مثبت، وهي تشير الى القول بأن اكتسابات الفرد تنتقل الى النسل. واغلب الظن أن الغريزة والذكاء سارا على طريقين مختلفين في حلبة التطور.

الذكاء الحيواني

وتقدم الحيوان في سلم التطور خطوة أخرى فكان له سلوك ينم عن الذكاء والادراك، ولم يعد في استطاعته أن يستفيد من الاختبار فحسب، بل من التعلم بالتلقين أيضا. إن هذه الافعال المنطوية على ذكاء تتنوع بتنوع الافراد، وهي قابلة للتحوير والتعديل بطرق قلما يصح تطبيقها على الغرائز التي لا يمكن لأي كائن حي أن يستغني عنها بدون أن ترتبك عليه الحياة وتتعقد عليه مشاكلها. فضلا عن ذلك فان السلوك الغريزي المدرك غير مقيد بظروف خاصة كما هو شأن السلوك الغريزي، وهناك أدلة قاطعة على أن السلوك المدرك ناتج عن علم بقيمة العلاقات الكائنة بين الاشياء.

بيد أننا لم نعثر على دليل واضح يؤكد لنا أن الفعالية الذهنية التي نسميها «محاكمة عقلية» كائنة في الحيوانات التي هي تحت مستوى الانسان. والواقع أننا لا نستطيع دائما، أن نعتبر سلوك الانسان عقليا، بل يجب أن نقول أن في وسعه اظهار تلك القابلية متى شاء وحينما يتسنى له ذلك.

لاشك أن تطور الحيوانات كان يلازمه دائما تعقيد في الاعمال وبراعة في السلوك، حتى أصبحت تلك المخلوقات أكثر حرية وأعظم سطوة في مجال الطبيعة، وأمست مؤهلاتها النفسية — كالتفكير والتعلم والشعور والارادة — أكثر فاكثر أهمية؟

(الموصل) بشير الياس اللوس

الزمن

أتينا في كلمة سابقة على تطور رأي العلماء بشأن الفضاء وكيف أن الجزء المعين منه لا يمكن أن يكون له قدر ثابت. ذلك لاننا نقيس الفضاء بحجوم الاجسام المادية التي تشغله، وحجوم تلك الأجسام تتغير بتغير حركتها. فالصندوق الذي حجمه متر مكعب وهو على سطح الأرض لو انطلق في الفضاء بسرعة أكبر من سرعة الأرض نقص حجمه عن متر. ولو تخلف عن الأرض وسار بسرعة أقل من سرعتها زاد حجمه عن متر. ويمكن أن يكون له أي حجم نشاء اذا نحن جعلناه يتحرك بالسرعة اللازمة. فالقول بأن حجم هذا الصندوق متر مكعب هو قول ناقص، ويجب أن نتممه بعبارة «وهو على سطح الأرض»

والآن نلخص تطورا آخر بشأن الزمن يشبه من وجوه كثيرة هذا التطور بشأن الفضاء.. ذلك لأن الزمن أيضا لم يعد له قياس مطلق ثابت ولا سياق معين اللهم إلا في المكان الواحد. فعبارة «ساعة من الزمان» لا معنى لها الا اذا قلنا «بالنسبة لكوكب كذا» كما أن عبارة ماض وحاضر ومستقبل لا يمكن اطلاقها الا في نفس المكان. وقد انبنى هذا التطور على الحقيقة الآتية:

من المعلوم أن الضوء يستغرق زمنا في انتقاله من مكان الى مكان. فالشعاع الذي ينطلق من الشمس يصل الينا على الأرض بعد ثماني دقائق من انطلاقه. ومن الأجرام السماوية ما يستغرق ضوءه في الوصول الينا ساعة أو ساعات، أو يوما أو أياما، أو سنة أو سنين

أو آلاف السنين أو ملايين السنين بحسب البعد بيننا وبينه .

ومن المعلوم أن الإنسان لا يرى الشيء إلا إذا استقبل بعدسة عينه أشعة ضوئية منبعثة من ذلك الشيء تتركز على شبكية العين بهيئة صورة لذلك المرئي تحس بها أعصاب الإبصار ، وعلى ذلك فالحادثة التي تقع على الشمس الآن لا نراها نحن إلا بعد ثماني دقائق ، وكلما بعد الكوكب أبطأت أخباره في الوصول إلينا . هذه الحقيقة تبدو بسيطة ولكنها تولد مشكلات خطيرة نلخص بعضها فيما يلي :

(أولا) تصور أنك انتقلت فجأة إلى كوكب يبعد عن الأرض مسافة يقطعها الضوء في ١٤ سنة ، وأنك تستطيع هناك أن ترى ما يجرى في القطر المصرى بالتفصيل ، فما الذى تراه ؟ . إنك ترى من جديد حوادث الحركة الوطنية واضطرابات سنة ١٩١٩ . ثم تمر عليك الحوادث سنة بعد سنة ولا تستطيع رؤية ما هو جار الآن إلا في سنة ١٩٤٧ . فأنت استطعت إذن أن تعيش الآن فيما هو بالنسبة لنا ماض ، وذلك لمجرد انتقالك إلى مكان آخر من الكون . كما أننا نعيش الآن فيما هو بالنسبة لك مستقبل لأنه لن يمر بك إلا بعد ١٤ سنة .

(ثانيا) تصور أنك بعد انتقالك إلى ذلك الكوكب وأشرافك من هناك على الحركة الوطنية المصرية ؛ فضلت العودة إلى الأرض على جناح السرعة . وقطعت المسافة من هناك إلى هنا في ساعة واحدة (على فرض إمكان ذلك) فما الذى يبدو لك ؟ أنك ترى حوادث هذه الـ ١٤ سنة تمر عليك بسرعة وتنقضى كلها في ساعة . معنى ذلك أن الـ ١٤ سنة في حسابنا قد صارت في حسابك ساعة ، وذلك لمجرد تغير حدث في اتجاه حركتك وفي مقدار سرعتك .

(ثالثا) تصور أنك وأنت على هذا الكوكب فضلت زيادة الابتعاد عن الأرض ومن عليها وركبت شعاعا ضوئيا يطير بك إلى الناحية الأخرى من الكون ، فماذا ترى أثناء رحلتك ؟ إنك ترى على الأرض شيئاً عجيبا : ترى كل شيء عليها قد وقف عن الحركة فجأة وثبت على حالة واحدة ، كأنما قد أصاب كل ما عليها ومن عليها شلل تام . ذلك لأنه لم يعد يصل إليك منها ضوء جديد ، وصرت تستقبل دائما موجة واحدة من ضوئنا تمثل لك لحظة واحدة فقط من لحظاتنا . فأنت والحالة هذه تعيش باستمرار فيما نسميه نحن لحظة واحدة .

(رابعا) تصور أن ابتعادك هذا كان بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، فما الذى تشاهده ؟ إنك ترى في هذه المرة أعجب العجب . ترى الحوادث الارضية وقد بدأت يتلو بعضها بعضاً ولكن على غير النظام الذى مرت به علينا ، وعلى عكس ذلك النظام . ترى أولا حوادث سنة ١٩١٩ ثم حوادث سنة ١٩١٨ ثم حوادث سنة ١٩١٧ وهكذا . ذلك لأنك لا تستقبل الضوء منا بالنظام الذى انبعث به بل تلحق بالتدريج بما مضى منه موجة بعد موجة . وبذلك يستطيع أن تقلب نظام الزمن رأسا على عقب فترى حاضره قبل ماضيه وماضيه قبل غابره .

(خامسا) تصور أننا هنا على سطح الارض نرقب كوكبا يبتعد عنا بسرعة كبيرة بحيث تبدأ الحادثة هناك ، وفي أثناء وقوعها يكون الكوكب قد ابتعد عنا مسافة أخرى علاوة على بعده الاصلى . وتصور أن حادثة مما يستغرق ساعة من الزمان قد ابتدأت هناك ورأينا بدايتها . ففي الوقت الذى تتم فيه تلك الحادثة يكون الكوكب قد قطع مسافة جديدة يضطر الضوء لقطعها ثانية في زمن معين . وعلى ذلك فإن الضوء الذى يدلنا على هذه الحادثة لا يتم توارده علينا في ساعة بل في أكثر من ساعة من هذه الحادثة من حسابنا يزيد على ساعة . معنى ذلك أن حوادث ذلك الكوكب تبدو لنا كشريط سينمائى بطيء . كما أن الحوادث على الارض تبدو لسكان ذلك الكوكب كشريط سينمائى بطيء .

عبد المغنى على حسين

مدرس بمدرسة المنصورة الثانوية

القصص

آلة الزمان

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

سأقص حديثاً عجيباً — من شاء أن يصدقه فانى أشكره مع تقديرى أنه إنما يصدقنى لاعتقاده أنى لا أكذب ، وأما إذا شاء أحد أن يكذبنى فله أن يفعل وهو معذور . فان الناس لايصدقون مايرونه بأعينهم ، ولاسبيل إلى أن أريهم مارأيت ، وقد آثرت أن أذكر فى حديثى هذا كل الأسماء على حقيقتها حتى اذا عرف أحد بعض هذه الاسماء ساعده ذلك على تصديقى ، إذ ليس من الممكن أن تبلغ بى الجرأة على الحق أن أذكر أسماء الناس علنا فى صحيفة سيارة وأنا كاذب فى قولى : أصبت فى وقت من الاوقات بضعف فى الأعصاب من الجهد المتواصل والهم المضنى ، فوصف لى بعض الأطباء أنواعا من الرياضة . ولكن أبى الله أن يمكننى من ذلك العلاج . فقد زهدت فى رياضة الصيد إذ رأيت فيها قسوة ومثلة ووحشية ، ثم زهدت فى السباحة لأنى لم أجد مكاناً منعزلا ملائماً أنزل إلى البحر فيه فى أثناء الصيف ، لأن جسمي ليس بالجميل ، وثياب الشواطىء كما لايخفى على أحد مهلهلة تصف الأجسام على حقيقتها ، ثم مارست ماسوى ذلك من أنواع الرياضة حينا فأصبت بضعف فى رجلى فلم أستطع متابعة هذا السعى ، لأن الرياضى لايليق به أن يظلع . ولكنى جعلت أبحث عن تسلية ملائمة فوفقت إلى اختراع اخترعه انجليزى بارع وهو المؤلف المشهور (هـ . ج . ولز) . وكان لاختراعه هذا رجة كبرى فى الأوساط العلمية ، ولكن هذا المخترع يحترف الأدب فأصابته محنة الأدباء فلم يقبل أحد على شراء اختراعه . فغضب حتى حطم النموذج الذى اخترعه وأبى أن يعلنه الى الناس . غير أنه لما بلغه ما أنا فيه من الحيرة بعث الى بوصف اختراعه ، وطلب الى أن أستفيد به ما شئت ، ولكنه حرم على أن أطلع أحداً عليه إلا باذنه . فلا يطمع أحد فى أن يسألنى عن سر ذلك الاختراع . ومن شاء فليرسل الى ذلك العالم وليسأله أن يبيح له الاطلاع على النموذج الذى صنعته أنا لنفسى ، فاذا فعل لم أتردد فى إطلاعه عليه . وذلك الاختراع بالاختصار هو آلة دقيقة الصنع تحتاج إلى مهارة فائقة فى الادارة والاستعمال ، كما تحتاج الى مواهب خاصة فيمن يريد أن يستعملها . وأحمد الله اذ كنت ممن منح هذه المواهب الخاصة ، وهى مصنوعة من معدن لا يزال عجيب الخواص مجهول الكنه ، ومن خواصه التى عرفت الى اليوم أنه شفاف ولا تبصره الاعين فى ضوء النهار الا إذا وضع منظار من نفس المعدن على الأعين . ولهذا يسهل على الانسان أن يترك الآلة المصنوعة منه فى أى مكان بغير حارس ولا يخاف عليها اللصوص أو من عبث المارة .

ولا حاجة بى الى الاطالة فى وصف هذه الآلة ، ويكفينى أن أذكر اسمها . وقد يكون بعض القراء قد سمع به من قبل . وهى (آلة الزمان) ، واسم هذه الآلة يدل عليها وعلى الغرض منها . ومن أراد التوسع فى فهم أغراضها ونظرياتها وطرق إدارتها فعليه أن يستأذن صاحب اختراعها كما أسلفت فى أول هذا الحديث .

هذه الآلة بالاختصار عبارة عن حجرة صغيرة لها جدران شفافة من المعدن الذى وصفته ، وفيها مقعد واحد لايسع الا رجلا واحداً . وفى داخلها أمام المقعد مفاتيح كثيرة يتحرك بعضها الى أعلى وبعضها الى أسفل وبعضها الى اليمين والبعض الى اليسار وهكذا فى جميع الانحاء التى يتصورها الذهن ، وفى وسطها عجلة كبيرة تدور إذا قبض عليها الانسان بيده وضغط عليها قليلا . فاذا أمال يده نحو اليمين دارت يمينا ، واذا أمالها نحو اليسار دارت يساراً . وهذه العجلة هى أم الآلات فى تلك الحجرة . فاذا ما لمسها الانسان وضغط عليها دارت دورانا شديداً ، فاذا بالحجرة كلها تدور دوراناً شديداً ، ثم اذا بالجالس على الكرسى يعتريه دوار شديد ويفقد الحس حينا من الزمن ثم يصحو فينظر الى ما حوله فيرى مناظر غير المناظر التى كانت حوله قبل أن يدير العجلة . لا بل انه يرى مناظر ما كان يحلم بوجودها قبل أن يضع يده على تلك العجلة .

والذى يحدث باختصار عند ضغط العجلة أن الانسان اذا مال يده نحو اليمين دارت الآلة ، وتحرك لسان على لوحة أمام الجالس

فهبط الى اسفل ، وعلى تلك اللوحة أرقام كثيرة . وعند ذلك ينتقل هذا الشخص الجالس فى الآلة بطريقة عجيبة يطول شرحها — ولا أسمح لنفسى أن أذكرها بغير اذن — فاذا ذلك الجالس ينتقل على السنين نحو الماضى فيذهب الى العصور الماضية ويرى نفسه يمر على السنوات الغابرة عاما فعاما . وكلما انتقل من عام الى عام قبله تحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنة . وأما اذا كان ميل الضغط نحو اليسار فان اللسان يتحرك على اللوحة الى أعلى ، فاذا بالجالس فى تلك الآلة ينتقل على السنين نحو المستقبل فيذهب الى العصور المقبلة ويرى نفسه فى غمار الحياة فى الأجيال الآتية . ويتحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنوات المقبلة . حسبى الآن ما ذكرت من وصف الآلة فانى أخشى من بعض أساتذة الجامعة فى كلية العلوم أن يفطن اذا أطلت الوصف فيعرف سر هذه الآلة من ثنايا قولى بوساطة بعض طرقهم العلمية الماكرة من الارثماطيقى والماتيماطيقى والفيزيقى والميقانيقى . أو غير ذلك من العلوم التى لا علم لى بها . فانهم لو فعلوا ذلك لأوقعونى فى ورطة ، اذ أكون قد خدعت عن سر لا أملكه ولا يجمل بى التصرف فيه . وقد كنت اذا شعرت بالسأم يدب الى نفسى أنهض الى هذه الآلة فأجلس فيها وأدير العجلة الوسطى نحو اليمين فاذهب فى العصور الماضية الى حيث شئت . وقد كنت اختار دائما تلك العصور الماضية لانى شديد الحنين اليها لانى لست ممن يرتاحون الى الوقت الحاضر، ولا يرون فى الحال الماثلة حولنا شيئا ترتاح اليه النفس أو يطمئن اليه القلب . فالناس فيه : شيوخهم فيهم وهن ، وكهولهم فيهم حرص ، وشبانهم فيهم طراوة ورخاوة .

ولا فائدة فى أن أعيد الى القارىء مناظر تلك العصور الماضية ، فهى ماثلة مصورة فى كتب التاريخ اذا كانت غير ماثلة مع الاهواء . وكنت أجد ما أحببت من السرور بالتجول فى تلك العصور ، اذ كنت أشبع كبريائى بما أراه من مجد الآباء والاجداد ، وكنت اذا رأيت منظرا يؤلمنى فى عصر من العصور أسرعت بادارة العجلة التى أمامى فأنتقل مسرعا حتى أبصر مناظر مجيدة فى عصر آخر فأوقف العجلة وانزل من الآلة وأتجول فى أنحاء ذلك العصر حتى امتلىء سرورا ، ثم أرجع وأدير العجلة فأعود الى عصرى ومنزلى خوف أن يقلق أهلى اذا أطلت عنهم غيبتى . وقد وقعت عينى مرة فى أثناء عودتى الى عصرى على منظر استرعى انتباهى فأوقفت العجلة مسرعا ثم نزلت من الآلة لأشاهده . فقد رأيت رجلا من عامة أهل الريف واقفا فى وسط ساحة قريبة من (ميدان الاوبرا) وقد أخذ بتلابيبه رجل على رأسه قبعة قذرة . وهو ضخم الجسم ولكن وجهه بشع المنظر ، وله عينان كأنهما عينا ذئب مفترس ، وله أظافر طويلة ليست كأظافر بنى الانسان بل هى قريبة الى أظافر النسور مقصوصة طويلة مدببة ، وقد وقف حول الرجلين جماعة من أمم مختلفة ، ولكن أكثرهم من أولاد مصر القاهرة ممن يسهل اجتماعهم حول أية ضجة تثور فى طريق من الطرق ، وهم لا يقصدون بذلك الا اشباع رغبة الاستطلاع وإفساح المجال الى دعاباتهم المحببة اليهم ، وثرثرتهم الصادرة عن طيبة بالغة فى قلوبهم ، فوقفت بينهم وأنا ممتلىء مثلهم رغبة فى الاستطلاع ، ولا فرق بينى وبينهم إلا أنى لم أكن عند ذلك مستعدا للدعابة ولا للثرثرة . وبعد هنيهة علمت أن ذلك المبرنط دائن لذلك الريفى وأنه قد استولى على كل ماله فى الريف حتى الجأه الى أن يهرب الى القاهرة لاجئا الى أزقتها وجدران مبانيها متخذا الأولى مغدى ومراحا والثانية مأوى . وقد استجدى ذلك الفلاح يوما رغيفا فأكل ربعه ودس الباقى فى جيب ثوبه المهلهل جاعلا اياه ذخرا يلجأ اليه اذا عضه الجوع فى ليلة لم يجد فيها من يطعمه لقمة . فكان جيبه بارزا الى أمام يخيل الى من يراه أنه قد خبأ فيه شيئا ذا قيمة ، وقد أراد سوء حظه أن يلقاه دائنه المبرنط وهو على تلك الحال ، فاسرع اليه الشك فى أنه يخفى فى جيبه دجاجة لها بيض ذهبى ، وزاد الشك فى قلبه وغلى دمه عند ماتذكر أنه لا يزال له على ذلك الريفى مقدار من المال . فقال فى نفسه « يا للعدالة ! أأكون دائنا لذلك الريفى ولا أستطيع أن أحصل على دينى منه ؟ وها هو ذا يسير طليقا وفى جيبه دجاجة تبيض الذهب ؟ » وماهو إلا أن قال ذلك فى نفسه حتى اندفع اليه وأمسك بتلابيبه . وماهو الا أن فعل ذلك حتى اجتمع من رأيت حولهما من الناس ينظرون ويتكلمون ويمزحون . وقد أراد ذلك المبرنط أن ينزع عنه ثوبه المهلهل ليرى ماتحته فابى الرجل الريفى خجلا من أن يرى الناس جسمه المشعر عاريا ، فتشبث بالثوب وعلا النزاع بين الرجلين حتى بدأ النظارة يتدخلون بينهما . ووقفت أنظر مايؤول اليه أمر هذا النزاع ، فما هى الا برهة حتى رأيت الجميع يتألبون على الريفى حتى نزعوا عنه ثوبه ، يبحثون عن الدجاجة ذات البيض الذهبى . فلما تم لهم ذلك المسعى لم يجدوا الا رغيفا مقطوع الربع مهشم الباقى . فلما رأى الرجل المبرنط ذلك لم يرض أن يرجع من هجومه ذلك خائبا ، فأصر على أن يأخذ الثوب المهلهل ويترك الرجل عاريا ، ثم فكر فى اخذ الرغيف ولكن نفسه عافته ، وظن أنه لن يجد له شاريا فتركه وقال : « عليك ان تشكرنى أيها المماطل لانى تركت لك ذلك الرغيف تأكله وتملأ به بطنك وتنام فى حين أنى لا اتقاضى منك دينى . يا للعدالة ! »

قال هذا فهز كثير من الحضور رءوسهم علامة الإعجاب والموافقة ولم يتكلم واحد منهم كلمة . ولكنى كنت حديث العهد برحلة فى عصر ماض من عصور مجد بلادى وكان قلبى ممتلئا كبرا واعتدادا بنفسى ، فانفت أن اترك مواطنى فى هذا البلاء . فتقدمت نحوه وقد غلبنى الغضب على الصمت وقلت للريفى بصوت عال : « هل لك أيها المسكين أن تشترك معى فى استرداد ثوبك بالقوة ؟ » فنظر الرجل الى نظرة ذات مغزى ثم نظر الى من حولنا وسكت ، فنظرت حيث رأيته ينظر فاذا بالنظارة يمزحون ويضحكون ويقلبون الثوب وهو مع الرجل المرنطو يهنئونه بحصوله على شىء من دينه . وكان أعلاهم صوتا رجال مبرنطون مثله يبلغون العشرة عدا . فعلمت من نظرة الرجل أنه يرى نفسه عاجزا ولو مع مساعدتى على استرداد ثوبه . ورأيت دمعة تسقط من عينه . وجثا على ركبتيه حياء من تعريض جسمه الضخم المشعر للانظار ، وكان فوق ثيابى معطف قديم كنت أحتاط بلبسه فى رحلاتى فخلعته صامتا وطرحته فوق منكبيه فكساه إلى ما تحت ركبتيه . فنظر إلى صامتا نظرة كدت أبكى من وقعها عندما لاقت نظرى ، وتركته مسرعا وعدت الى الآلة فأسرعت بها عائدا إلى العصور الماضية أطلب التسلية فى مناظرها . حتى إذا ما سرى عنى ما بى من الشجن أدرت العجلة وعدت مسرعا الى عصرى ودخلت منزلى ، وكان أهلى قد قلقوا لطول غيبتى . ومنذ ذلك اليوم عاودتنى كآبة كانت تظهر فى حديثى وتدل عليها ملامح وجهى حتى لقد لحظها بعض أصدقائى ، وكان فيهم جماعة من الشبان أولى الهمة فجعلوا يسألوننى عن علة ما بى فذكرت لهم قصتى فى ذلك اليوم الذى رأيت فيه ما رأيت من المبرنط والريفى . وذكرت لهم فى قصتى حديث الآلة التى أتجول بها فى العصور الماضية طالبا التسلية من هموم الوقت الحاضر . فقال لى أحدهم واسمه توفيق : « ولكن العجيب أنك لم تفكر يوما فى أن تدير تلك العجلة نحو اليسار » ولم أتنبه قبل الساعة الى أن عجلة الآلة يمكن أن تدار الى اليسار فيكون التجول فى عصور المستقبل بدل أن يكون فى عصور الماضى . فقلت له وبى شىء من الارتباك « انى لم أفطن الى ذلك الا الآن » فأجابنى ذلك الصديق الشاب « انى أعتقد أن السلوة لا تكون أبدا فى العودة الى الماضى فان الغنى اذا افتقر لا يسليه عن فقره أنه كان يوما ما واسع ... فلا فى الغنى بل ان ذلك أدعى الى أسفه وأسخن لعينه ، ولكن الذى يسلى الفقير أن يتطلع إلى المستقبل ليرى أنه سيكون بعد ألمه فى راحة وبعد املاقه فى غنى . وكذلك الحال فى السجين ، فانه لا يهدأ قلبه من ذكرى ماضى حريته ، بل ان قلبه يهدأ وألمه يضمحل اذا فكر فى قرب يوم الانطلاق » . والحق أنى لم أتعلم من أحد مثل هذه الحكمة الصادرة من شاب غير مجرب . وقد شعرت بالخجل اذ رأيت أحد أبنائى فى السن يعلمنى حكمة غربت عن فكرى ، ولكنى أحمد الله على أنى فى هذه الأمور أنزل عند الحق ولا تأخذنى العزة بالاثم . فقلت له « انى شاكر لك تنبيهى الى هذا يا صديقى وسوف أقص عليك نبأ ما أرى » وما هى الا ساعة حتى كنت جالسا على المقعد فى تلك الآلة المحبوبة ووضعت يدى على عجلتها وادرتها ضاغطا نحو اليسار . فرأيت اللسان يتحرك هذه المرة الى أعلى وقد أشار الى أرقام أعلى من رقم ١٩٣٣ . وقد عرانى عند دوران الآلة دوار شديد لم أشعر بمثله عند تجوالى فى العصور الماضية فلم أفق من الدوار حتى كان اللسان قد بلغ رقم (٢٠٠٠) عندذلك أوقفت حركة العجلة ونزلت من الآلة وتركتها على جانب الطريق الذى وجدت نفسى فيه ، ولم أخش أن أتركها حيث هى وأسير إذ أنى كنت على يقين من أنها فى مأمن من السرقة لأنى كنت واثقا كل الثقة من أنه ليس فى الناس جميعا من يملك منظاراً من معدن الآلة فيستطيع أن يراها الا أنا والمخترع الأصلى للالة وقد سبق لى ذكر اسمه .

سرت بعد ذلك فى طرق عجيبة لم تقع عينى على مثلها . فهى فسيحة لا يقل عرض أضيقها عن مائة متر .

ويحف بها من جانبيها أبنية شاهقة هى أشبه بما نسمع عنه فى عصرنا الحالى فى أمريكا وهو ما يسمونه (ناطحات السحاب) وكانت حركة الانتقال فى تلك الطرق الفسيحة سريعة عنيفة حتى كنت أخطو الخطوة وأنا خائف أترقب ، وكانت السيارات من كل نوع ومن صنوف لم أر مثلها من قبل فى عصرى الذى أعيش فيه وما كان أشد عجبى عند ما رفعت رأسى الى قمة هذه الأبنية فوجدت فوقها حركة عظيمة من طيور عظيمة تعدو وأخرى تهبط ، ولكنى عجبت أن تكون الطيور فى مثل هذا الحجم وهى على البعد العظيم الذى بينى وبين قمم هذه الأبنية ، وهممت أن أسأل بعض المارين عن ذلك ، ثم رأيت منطاداً طائراً يشبه ذلك المنطاد الذى أتى به (اكنر) الى مصر فى العام المنصرم فى عصرنا هذا ، ففكرت فى نفسى قائلا : ألا تكون تلك الطيور طائرات ميكانيكية . ولم يطل بى أمد الحدس والتخمين فقد رأيت طائراً من تلك الطيور يهوى من العلو الشاهق الى أسفل فاذا به يستوى على جانب الطريق واذا به آدمى قد وضع على ظهره آلة ذات جناحين قد ربطها ربطا محكما فى كتفيه وأعلى صدره . فما هبط على الأرض حتى حل الأربطة وعالج الآلة حتى استوت على عجلتين كانتا خفيتين ثم أدار لولبا فى جانب الآلة فاذا

بنا تعدو علي نمط (الموتوسيكل) فى عصرنا الحالى. وعند ذلك فقط عرفت كنه هذه الأسراب الطائرة فوق أعلى الأبنية. ومضيت فى سيرى وأنا أكثر علما بأننى فى عصر جديد وعهد غير ما عرفت فى بلادي. وجعلت وأنا سائر أتلفت حولى تلفت المذهول الدهش كأننى بعض أهل الريف نزل عاصمة كبرى لأول مرة فى حياته. فقلت فى نفسى إننى أخشى إن أنا بعدت عن موضعى ألا أستطيع العودة اليه فليست هذه مدينة القاهرة التى ولدت فيها وعشت فيها طوال السنين. بل لقد غيرها مر الدهر أى تغيير حتى صارت غير ملائمة لحواسى وأعصابى. وعولت على أن أعود الى الآلة التى حملتنى إلى ذلك العصر المجهول فأحرك عجلتها وأعود من حيث أتيت. وبينا أنا افكر فى ذلك غير ناظر إلى ما حولى أذ أسرع الى شاب فاختطفنى اختطافا ودفعنى إلى جانب. وما هي الا ثانية بعد ذلك حتى رأيت طائرا من تلك الطيور الآدمية قد نزل فى الموضع الذى كنت واقفا فيه ولولم يدفعنى ذلك الشاب لكان الطائر قد هوى على وحطم رأسي. فلما أفقت من ذعرى خاطبنى الشاب بلهجة اللوم قائلا: «أما ترى علامة انفتاح الطريق أمامك؟» فنظرت الى حيث أشار بيده فوجدت أشارة حمراء وسهما مشيرا إلى أعلى فعلمت أن ذلك المكان موضع لرسو من أراد النزول من الطائرين إلى الأرض وأن الناس قد اعتادوا إطاعة تلك الاشارات الحمراء وتحاشى تلك المواضع. فاعتذرت الى الشاب وشكرته ثم دنوت منه فسألته قائلا:

« أرجو أن تدلنى على مكان محطة المترو هنا. فنظر إلى الشاب وتبسم ضاحكا ثم قال: « لقد عرفت منذ رأيتك انك لست من أهل القاهرة » فغضبت لهذا لأنى لا اعتز بشىء اعتزازى بأنى من أبناء القاهرة الصميمين، وقلت له: « إننى منهم ومنزلى فى مصر الجديدة فى شارع .. » وما كدت أكمل هذا القول حتى ضحك وقال « مصر الجديدة! حقا إنك رجل ظريف. تعال معى الى هذا المجلس فانى متعب وقد سرتنى دعابتك. فمن أى الارياف جئت؟ »

قال هذا وسار بى نحو مقعد عام على جانب الحديقة التى فى وسط الطريق. وقد أعجبنى من الشاب شهامته وخفة روحه فكظمت غضبي من إصراره على أننى ريفى، وذهبت معه وأنا مسرور لأننى وجدت رجلا من أهل العصر الذي دخلت فيه أكلمه وأعرف منه أسرار حياة الناس فى أيامه. فلما استقر بنا الجلوس قال باسما: «أنت إذن من مصر الجديده؟» فقلت له متحديا:

« نعم! أنا من هناك »

قال: « إننى سمعت بهذا الاسم فى التاريخ فى أثناء دراستى فى الجامعة، ولكن مصر الجديدة اليوم اسمها حى الشركة القديمة.»

فقلت — « حى الشركة القديمة؟ ولكن ما معنى هذا؟ »

فقال اننى كنت أدرس التاريخ الاقتصادي في جامعة حوش عيسى وهناك ..... »

فلم أتمالك نفسى أن ضحكت هذه المرة متهكما اذ رأيت فرصة للانتقام. وقلت: «جامعة حوش عيسى؟ يالك من مداعب ماهر! ألا تعرف أنى عشت فى إقليم البحيرة ورأيت حوش عيسى؟ جامعة حوش عيسى!» ثم اندفعت أضحك

فقال الشاب متعجبا من ضحكى: «لست أدرى لماذا تضحك؟ نعم جامعة حوش عيسى. ألا تعجبك مدينة تعدادها اليوم فوق نصف المليون من الأنفس؟ وهل تسخر من مدينة هى مركز شركات صناعة القطن والحرير والصابون وعجلات السيارات وأجنحة الطيارات؟ »

فقلت له ضاحكا: «ما أمهرك فى الفكاهة يا أخى! لعلهم قد كشفوا هناك منجما للفحم. »

فقال الشاب: «منجما للفحم؟ ولماذا؟ إن هناك أكبر مؤسسات استخدام أشعة الشمس. فهل من حاجة مع هذه المؤسسات الى منجم للفحم؟ » فأرجعت شفتى الى نصابهما من الجد وعلمت أن قول الشاب لا ينم عن هزل أو فكاهة. فقلت له معتذرا: «أرجو المعذرة اذ كنت أجهل ذلك، ولكنى أرجو أن تخبرنى أى شعب له فضل إنشاء هذه المصانع؟»

فنظر الى متعجبا وقال: «الست مصريا؟» فقلت له مرتبكا: «نعم أنا مصري. وكدت أخون نفسى فأفصح له عن سر حالى وحقيقة أمرى ثم تدرعت بالحزم وقلت له: «ولكن أرجو العفو فقد غبت عن مصر مدة طويلة. فالحقيقة أننى انتقلت منها طفلا ولم أعد اليها إلا اليوم. وكنت أحب أن اعرف الموضع الذى كنت أعيش فيه وأنا طفل فسألتك عن محطة المترو لاذهب به الى مصر الحديدة لذلك الغرض

فقال الشاب: « اعلم ان مصر اليوم لا يسمح فيها لشركة أجنبية أن تقوم بعمل. فهذا محرم فى قانونها، ومنذ عشرات من السنين قد أفلست شركة مصر الجديدة لأنها ضاربت فى بعض المشروعات الاجنبية، ومنذ أفلست استولت الدولة على مكانها وأطلقت عليه اسم حى الشركة القديمة، وهو حى متوسط بين حى (الملكة نازلى الذى نحن فيه الآن وحى ميدان الطيران الأصغر الذى فى الطريق المؤدى الى مدينة السويس. ويمكنك الوصول اليه عن طريق تحت الارض رقم ١٠٥ عن طريق السيارات رقم ٥٠ شمال، وكنت أسمع

قول الشاب وانا في دهشة عظيمة من التغير الذى اعترى البلاد وأردت أن أعلم علم تلك الشركات التى ذكرها الشاب فى عرض حديثه عن مدينة حوش عيسى فقلت له : « ولكنك لم تقل لى لمن تلك الشركات التى تملك مصانع حوش عيسى »

فقال الشاب : « هى مثل الشركات التى تملك مصانع بلبيس والاسماعيلية وبور فؤاد : ومثل شركات مصانع السيارات والطيارات فى أسوان .. وشركات استخراج الراديوم والالومنيوم وسائر المعادن من سواحل البحر الاحمر، وشركات مصانع الفواكه والمربيات فى وادى عربة الواقع فى الصحراء فى شرق مديريتى بنى سويف والمنيا . فكلها شركات مصرية »

فلم أتمالك أن اهتززت هزة قوية عند ماذكر الفتى ذلك ورفعت رأسى مباهيا كأنما هذه الشركات قائمة فى عصرى الحالى وكدت أفخر قائلا أنا من بنى مصر هؤلاء . ولكنى ذكرت أن فخر ذلك ليس لى فانى من أهل جيل لم يحن لهم أن يفاخروا بمثل هذا . ورأيت الفتى يستعد للقيام فسألته وأنا آسف لفراقه : « الى أين ؟ » ولقد وددت أن أبقى معه حتى أعرف كل مافى حياة مصر فى عصره من التجديد البديع ، ولكنه أجاب اجابة حاسمة : « أعذرنى لانى ذاهب لسماع خطاب رئيس شركة قناة السويس فى البرلمان فى موضوع هام خاص برسوم البحارة فى تلك القناة »

فسألته : « وكيف يكون رئيس تلك الشركة عضواً فى البرلمان ؟ » فنظر الى متأففا من غبائى وقال : « ولكن لم تعجب لذلك ؟ أليس مصريا ؟ » فخجلت اذ عرفت أنى دائما أنسى وأخلط بين عصرى وذلك العصر الجديد الذى نزلت به . ومد الفتى يده الى مسلما وقال : « لعلنا نلتقى بعد ا » فسلمت عليه باسما وشكرته ولكننى لم أملك نفسى أن سألته سؤالا كان يجول بنفسى طول المدة التى جلست فيها معه فقلت : « ولكن ماذا فعل الانجليز . ألا يزالون على عهدهم » فرفع الشاب رأسه عاليا وشمخ بأنفه وقال لى غاضبا : « حسبك أيها الرجل . ماظننت أنك تبلغ بى الى مثل هذه الاهانة »

فقلت معتذراً : « أية اهانة ؟ إنى لم قصد شيئا من ذلك »

فقال وهو يسير : « إنك تذكرنى بعصر مضى منذ بعيد . قضى على بلادى أن تخضع له حينا من الدهر أيام كان أهلها فيهم رخاوة وضعف ، ولكن ماذا يدخل الانجليز اليوم فى أمورنا ولهم من أمورهم فى بلادهم مايملأ دائرة اهتمامهم ؟ » قال هذا وسار مسرعا وتركني وحدى لاأملك رأسى مما بها من الدوار . فوضعت منظارى على عينى وجلت بنظرى حتى رأيت الآلة حيث تركتها وأسرعت اليها فأدرتها وعدت الى عصرى ورأيت المناظر التى اعتدتها منذ عشت ، وعدت إلى منزلى فقضيت ليلة مسهدة بين آمال وهموم . وقد زارنى أصدقائى فى اليوم التالى فقال لى توفيق :

« لعلك رأيت فى العصور الآتية مايذهب عنك ألم الحاضر »

فقلت : « لن ترانى بعد اليوم مقطب الجبين . سوف أسعى بقدر طاقتى لعلى أكون موفور النصيب من بناء ذلك المجد المقدور . ثم حكيت له قصة ما رأيت وقلت له : « ليحمل كل منا أمانته إلى ابناء الجيل الذى بعده . فهذا مجد محتوم . هذا أمل محقق إن شاء الله »

محمد فريد أبو حديد

هاكم قبعة أخرى

تأليف لويجي براندللوا Luigi Pirandeils

وترجمة الدكتور محمد عوض محمد

(ولد لويجي بيراندللو في ٢٨ يونيو سنة ١٨٦٧، في إحدى القرى بجزيرة صقلية. ودرس في روما وفي ألمانيا، ثم عاد الى روما واحترف أولا مهنة التدريس. وانصرف في جهوده الأدبية أولا إلى الشعر. ثم إلى التأليف القصصي: ثم المسرحي وقد سلك في بادئ الأمر مسلك جيوفاني فرجا (G.Verga) الروائي الصقلي الشهير. فكان يتخذ من قصصه وسيلة لوصف أهل صقلية ومعيشتهم وطباعهم؛ لكنه ما لبث أن ظهر أسلوبه الخاص. في رواية الشيوخ والشباب وفي قصة المرحوم ماتيا باسكال. وأكبر ما يعاب على بيراندللو تغلب العقل على العاطفة في مؤلفاته وتصويره الى الأشياء على غير حقيقتها. وإغراقه في التحليل وتشاؤمه. ولكن براعته ومقدرته كانت موضع اعجاب شديد في جميع أوربا. وقد ترجمت قصصه وتآليفه المسرحية الى ١٥ لغة. ومثلت قطعته المسرحية باللغة الايطالية في انكلترة وفرنسا وسويسرة وفي ألمانيا فقوبلت بحماس شديد. وكان المؤلف نفسه يشرف على اخراجها.)

بعد أن قضى ديبجو بروتر ساعات طوالا يتمشى، بلا قصد ولا مأرب، على ضفاف نهر التيبر، في ذلك الحي الهادئ، المسمى براتي دي كاتلى Prati dei Catselli ملتزما في مسيره جدران الثكنات، ومبتعداً قدر جهده عن ضوء المصابيح، أحس فجأة ان التعب قد نال منه فتوقف هنيهة تحت ظل شجرة، ثم صعد البرابي المطلة على النهر، وهناك جلس مولياً وجهه تلقاء النهر، ومدلياً رجليه من فوق السور.

ومن تحته الماء يتدافع في جريانه بصوت مبهم غامض. وقد انعكست على صفحته القاتمة اضواء مرتعدة مضطربة أرسلتها مصابيح الضفة المقابلة وشمل السكون المكان، فلم يكن ينبعث من المنازل المقابلة صوت؛ ومن وراء تلك المنازل، على بعد شاسع، كان يبدو شبح مدينة روما. وفي السماء قطار يتدافع من السحب الصغيرة، ذات اللون الرمادي الشاحب، وكأنما كانت تهرول مسرعة؛ لكي تلبي دعوه داع قد أهاب بها من المشرق الى اجتماع غامض عجيب، وقد أشرف القمر من فوقها كأنه يستعرضها وهي تمر سراعا بين يديه.

جلس الفتى من غير حراك، وقد ولى وجهه شطر السماء، محدقاً في تلك السحب التي استطاعت بجريانها السريع أن تكسب الليلة المقمرة نشاطاً وحركة.

وطرق سمعه فجأة وقع خطوات. فالتفت ليرى القادم ولكن الصوت انقطع.

لا شك أن هذا أحد الناس قد وقف ليرقب مثله منظر الليل

ولكي يتأمل في تلك السحائب وهي تمضي سراعا، والى القمر في السماء إذ يستعرضها، والى تلك المياه المظلمة القاتمة، وما انعكس عليها من شعاع مرتعد مضطرب.

ثم تنهد تنهد الحزين. فان احساسه وجود رجل آخر ضايقه، وأفسد عليه تلك اللذة الحزينة التي يبعثها شعوره بالوحدة. ومن حسن الطالع أنه كان يجلس في الظلام، فعسى القادم ألا يراه، والتفت لكي يستوثق من الأمر.

وجعل يحدق في هذا الغريب. باعجبا! ماخطب هذا الرجل وقد وقف جامدا فريدا وحيدا؟ ثم ما هذا الشيء الذي بيده كأنه حقيبة صغيرة؟ لا ليست هذه حقيبة. بل قبعة... وبعد فماذا عساه أن يفعل؟ رباه! إنه يصعد السور.. أتراه يريد أن يرتكب... ويلاه.. ماهذا..

وتراجع ديبجو بغريزته الى الوراء، مغمضا عينيه، حابسا نفسه، ومادا يده الى الأمام كأنما يدفع شرا، وهو يتوقع سماع صوت ذلك السقوط المروع في الماء الذي تحته.

حادث انتحار... ياعجبا.. كيف يجوز مثل هذا؟

ثم فتح عينيه، وجعل يحدق في الماء تحديقا شديدا وهو يحاول أن يخترق ببصره أعماقه السوداء. فلم تقع عيناه على شيء... الصمت شامل والهدوء باسط جناحيه.. لا صياح ولا نداء ولا صوت. فياعجبا! ألم يره أحد، ولم يسمع صوته انسان؟ هنالك تحت لجج النهر رجل يغرق، ولعله الآن يكافح في يأس وفي جهد... كل هذا يجري وهو جالس في مكانه مرتعدا عاجزا خائرا!...

أما يجمل به أن يبادر فيطلب النجدة! أو يصيح بأعلى صوته. ولكن هيهات.. لم يعد يجدي الصياح والاستنجاد! لقد رضي أن يبقى مختبئا في مكانه المظلم، تاركا ذلك المسكين يغرق!.. جمد في مكانه كالصخرة الصماء، حابسا نفسه، سائلا نفسه من آن الى آن: أحقا قضي الأمر.. قضي الأمر؟

وبعد حين جعل ينظر فيما حوله.. لعل الأمر كله حلم رآه! أن كل شيء باق كما هو لم يتغير: المدينة راقدة تحرسها المصابيح، وسط سكون عميق كما كانت من قبل، والاضواء ترتعد على صفحة الماء القاتمة بأشعة ثعبانية ملتوية.. لم يتغير في هذا المنظر كله سوى شيء واحد: فلقد كان على عمود مصباح من المصابيح قبعة الرجل بقيت هناك حيث تركها، وكان المصباح يرسل عليها شعاعا شاحبا مشئوما.. وكان يخيل اليه أن تلك القبعة تؤنبه وتتهمه.. وأخذ يرتعد فرقا، ثم نزل مسرعا من فوق البرابي، وجعل يعدو و منزله مستترا بظلام الليل.

« ديجو ! ديجو ! ماخطبك ؟ »

« لا شيء يا أم ! وما عساه أن يكون خطبي ؟ »

« لست أدرى أيها العزيز . . . غير أنى . . . حسبتك . . . لقد جئت متأخرا الليلة فهل أهيىء لك حجرتك الآن ؟ »

فالتفت الفتى الى أمه مغضبا ، وقال : « ياعجبا لك ! انك ! تسألينى هذا السؤال كل ليلة من ليالى عمرى ! »

وكان هذا الرد كأنه سوط يستحثها ، فاندفعت العجوز الصغيرة الجسم نحو الحجرة وهى تجر احدى رجليها.

اتبعها الفتى نظرات قد امتزج فيها الغيظ والكدورآها وهى تختفى آخر الدهليز ، فتنفس الصعداء اشفاقا عليها ، ثم لم يلبث أن عاوده الضجر والكمد . وقد بقى ينتظرها — دون أن يعرف للانتظار سببا ، ولاماذا عساه ان ينتظره — فى هذه الحجرة المظلمة ، ذات السقف القذر والجدران الممزقة الورق ، التى اتخذتها الام لصناعة الثياب حجرة صغيرة كئيبة قد غصت برخيص الاثاث ، وبعدد الحياكة المختلفة : آلة للخياطة ، مقص مستطيل . تماثيل سخيفة ذات صدور ضخمة . شريط مقاس . قطعة من الطباشير . اكداس من صور الأزياء ذات الابتسامة الكالحة . . . وكلها اشياء قد الف ديجو رؤيتها فلم تعد تستلفت نظره

لقد عاد الى منزله ، يحمل فى رأسه صورة كأنها منظر شاهده فى مسرح ، صورة تلك السماء العجيبة ، تغشاها السحائب الصغيرة الخفيفة : ومنظر النهر القاتم ، قد انعكست فى صفحته أضواء المصابيح والمنازل العالية على الضفة المقابلة ؛ وذلك الشبح البعيد لمدينة روما ؛ وذلك الجسر الممدود . . ثم تلك القنعة ! كانت أمامه صور كل تلك الأشياء الجامدة ، حاضرة لكنها غائبة . وكذلك هو . لقد كان حاضرا غائبا . . جلس فى مكانه المظلم يرقب الرجل وهو يغرق . . فكأنه لم يكن هناك ، وكأنه كان غائبا . فلم يحرك ساكنا ، ولم يفتح فمه ، ولم يستنجد . والآن قد رجع إلى داره وقد ملكته الحيرة ، واستولى عليه الذهول . كأنما كل ما سمعه ورآه لم يكن سوى حلم نائم . .

لم يلبث أن رأى قطة كبيرة ، ذات فروة رمادية ناعمة . وثبت فوق المائدة ، وجعلت تنظر اليه بعينين خضراوين خاليتين من كل معنى. هذه قطة الدار ، اتخذوها لصيد الجرذان . غير أنها منذ أيام انتزعت من الجدار قفصا به عصفور جميل . . ثم لم تزل تحتال دائبة ، تدفعها القسوة والنهم ، حتى استطاعت أن تخرج العصفور من بين القضبان . ثم التهمته . وقد حزنت أمه لهذا حزنا شديدا . . بل أنه هو أيضا قد آلمه أن يفترس ذلك العصفور المسكين على هذه الصورة.

أما القطة ، فهل تأثرت أو أحست ندما على ما ارتكبت ؟ كلا ! بل ها هى ذى جالسة فى سكون وطمأنينة ، كأن لم تقترف ذنبا . ولئن رفعها بعنف عن المائدة فانها لن تعرف لهذا الاضطهاد سببا .

عجبا ألا يستطيع هو أن يكون مثلها ؟ ألا يمكنه أن يقترف الاثم كما فعلت هذه الهرة ، ثم ينسى كل شىء بعد ارتكاب الجريمة بلحظة ؟ أن الآفة الكبرى التى تسحقه وتعنيه هى أنه يتذكر . . يتذكر أبدا ويعلم أن الناس سيذكرون أبدا .

لكنه يخيل اليه أنه فى هذه الليلة يرى الأمور فى ضوء جديد . . مثلا : نظرته إلى أمه . . . أنه لم ينظر اليها الليلة كأنها أم . . . بل امرأة عجوز كأمثالها من النساء . . . ذات جسم ضخم وأنف غليظ قد اعوج قايلا أحد جانبيه . ولها شـــامة كبيرة فى قاعدة منخرها الأيسر ؛ وخداها الشاحبان تغشاهما خطوط زرقاء من الأوردة الدقيقة . وقد تدلى كل خد فى ترهل وضعف . .

وقد جعلت تنظر إليه بعينين متعبتين خائرتين . وحين حدق فى وجهها أطرقت بعينيها ، وقد ملأها الخجل والعار . . ولكن مم تخجل الأم ؟ لقد كان يعرف جد المعرفة سر هذا الخجل ، وهذا الشعور بالعار .

وأخيرا ضحك ضحكة الساخر . وقال « عمى مساء اماه ! » وانطلق إلى حجرته ، وأغلق بابها .

***

جلست الأم إلى مائدة الحياكة ، لكى تتم خياطة ثوب ، ستحضر صاحبته فى طلبه فى الصباح . لكنها لم تجلس لتتم عملها فحسب ، بل لكى تفكر قليلا . . ماذا عساه قد جرى لفتاها الليلة ؟ طالت غيبته ولم يرجع إلا متأخرا . وكانت تغشاه رعدة . ووجهه شاحب كأنه خرقة بيضاء . وليس الشراب سبب هذا الاضطراب . انها لم تنشق من فمه رائحة الخمر وليس ديجو من الشاربين

ومع ذلك ، فليس من شك فى أنه قد ألم به اليوم حادث . أتراه قد التقى من جديد بأولئك الرفقاء الأشرار . الذين كانت صحبتهم وبالا عليه ودمارا .

ذلك ما كانت تخشاه : :

نهضت من كرسيها ، ومشت على أطراف قدميها حتى وصلت الى باب حجرته . وأنصتت ، فلم تسمع صوتا لعله إذن قد آوى إلى فراشه وقد غشيه النعاس . .

عادت الى حجرتها . وأخذت تجد فى إتمام عملها . كانت من آن لآن تنزع المنظار عن عينيها وتمسحه . لقد كانت من قبل

وليس لها مورد رزق سوى ما كانت تمنحه من معاش كاحدى الأرامل . وكانت تجد في هذا كفايتها ، أما الآن وقد فقد دييجو منصبه وأضحى بلا عمل . فقد اضطرت الى السعي والاكتساب . وفوق هذا قد خطرت لها فكرة : وهي أنها تستطيع بفضل جدها واقتصادها أن تجمع من المال ما يكفي لارسال دييجو الى أمريكا . إذ لابد للفتى من فرصة كي ينشد حظه من جديد . أما هاهنا في إيطاليا فقد سدت في وجهه السبل ، وهذه البطالة التي أكره عليها إكراها توشك أن تأكل روحه وتقضي عليها .

أمريكا إذن . إن أمريكا هي وحدها المكان الصالح له : فلابد من إرساله الى أمريكا ولو كان في هذا موتها وفناؤها . لابد أن يفتح لولدها باب الحظ . ولدها هي . ذلك الفتى الكريم . لله ما أطيبه ! وما أجمله ، بل وما أقدره وما اذكاه ! ألم يكن من قبل قادراً على الكتابة والتحرير . حتى لقد نشرت له الصحف بعض ما كتب ؟ ثم ما جرمه الذي اجترم ، وما ذنبه الذي إقترف ؟ لم يكن الأمر سوى ضرب من عبث الشباب : والذنب فيه راجع لأولئك الرفقاء الأشرار ، والى ذلك الروسي أو البولندي . أيا كان وأيا كانت جنسيته . . ذلك الأجنبي القذر . ذلك السكير المهين ، الذي جاء الى روما لكي يسوق أبناء الأسر الشريفة المبجلة الى الدمار والعار . فوا أسفاه على أولئك الفتيان البله . كيف ضاع رشادهم ، وضلوا عن طريق الصواب ، إذ دعاهم ذلك الأجنبي الكثير المال الى نزله فطاشت أحلامهم ما بين كؤوس الخمر والنساء وضروب اللهو . ويصل ذلك الروسي المقامر على أن يأتي بالورق ويلح عليهم أن يلاعبوه ، أجل كان يلح عليهم الحاحا . ولئن كان قد خسر نقوده ، فذلك جزاؤه على اصراره وعناده . لكنه بعد هذا يذهب - وياللعار - فيتهم أصدقاءه بالغش والتزوير ، ثم يسعى في مقاضاتهم لكي يجلب اليهم الدمار مدى الدهر . . .

سمعت الأم صوتاً كأنه صوت بكاء مكتوم ينبعث من حجرة ابنها ، فنادته : « دييجو ! » فلم يرد جوابا .

أنصتت مرة أخرى ، وألصقت أذنها بالباب . إنه مستيقظ . فما عساه يصنع الآن .

إنحنت ونظرت من ثقب المفتاح . رحماك اللهم ! إنه يقرأ . . عاد الى مطالعة تلك الصحف الكريهة التي اشتملت على تفاصيل المحاكمة . فلماذا . لماذا يريد أن يعود الى قراءتها . وفي هذه الساعة من الليل ؟

ونادته بصوت عال : « دييجو ! » ثم فتحت الباب . فالتفت اليها . وهو يثب فزعا . وقال : « ما الخطب يا أم ؟ ما بالك لم تأوي إلى فراشك ؟ »

قالت : « وأنت ، ما بالك لم ترقد في فراشك بعد ؟ »

فتكلف الابتسام وجعل يمد ذراعيه . « أنا ؟ إني أتسلى قليلا »

فقالت العجوز وهي تعصر يديها عصرا : « دييجو ! دييجو ! احرق هذه الأوراق ! أستحلفك أن تحرقها . . لماذا تريد أن تؤذي نفسك ؟ ماذا يجديك مذاكله ؟ انس ذلك الحادث تماما ! »

فنظر اليها وهو يضحك .

« شيء بديع ! . . كأني اذا نسيت ذلك الحادث فقد ينساه الناس جميعا ! ما أبدع هذا ! وما أسهلها وسيلة ! ننسى الحادث كلنا في لمحة الطرف ! ثم نتساءل هل حدث شيء ؟ لا . . . لا . . . لاشيء . . . لاشيء مطلقا . . . السجن ! كلا لم يكن هنالك سجن . بل كل ما في الأمر أني سافرت . . . في اجازة خارج القطر . . . اجازة بديعة دامت ثلاث سنين » ثم قال مغيرا لهجته : « يا أماه ! هذا عبث لاطائل تحته . فلنتكلم في موضوع آخر . ألا ترين أني قد قضي على القضاء المبرم ؟ ألا ترين كيف تنظرين - حتى أنت - إلي ؟ »

« لا يا دييجو . . . لا . . انك على خطأ وكل ما هنالك أنها العزيز أني كنت أنظر . . . أجل كنت أنظر . . إلى ثيابك . . فقد باتت رثة . ولابد لك الآن من بذلة جديدة . . »

فنظر إلى ثيابه نظرة فحص وتحقيق . ثم ضحك وقال : « اذن أنت تظنين أن هذا هو السر في تحديق الناس في كلما رأوني ! لست أنكر أن ثيابي قد امتدت اليها يد البلى قليلا ؛ ولكن هذا القدر القليل ليس بشيء ذي خطر وأنا شديد الحرص عليها . ألبسها في عناية ، وأمسحها وأكويها . والحقيقة أن مظهري حين ألبسها لابأس به مطلقا . فهو مظهر الرجل الفاضل ، الذي يستطيع أن يتخذ مكانه في العالم على غير استحياء ولاخجل . . . فدعي هذا الكلام ! فليس وراءه من طائل ! . . أماه ! ألا ترين أنه قد قضي على القضاء الأخير » ثم أشار الى الأوراق التي بين يديه : « ان البلاء كل البلاء ، ها ، في هذه الأوراق وحقيقة الأمر أننا أطلعنا الجماهير على لعبة ورواية مدهشة . فهل تحسبين أنهم ينسونها بكل هذه السرعة ؟ لا أظنهم جاحدين بهذا القدر . . . ويالها من رواية تلك التي أريناهم . . رواية تتمثل فيها الأرواح عارية دنيئة ملوثة ، وهي تحاول أن تختفي عن الأنظار ؛ يوم كان كل منا يجذب رداء المحامي الذي يدافع عنه لكي يستتر به عاره . أجل كانت رواية مدهشة رائعة . أتذكرين كيف أرعد الناس ضاحكين في ساحة القضاء حينما سمعوا ما فعلناه بذلك الروسي يوم أن ألبسناه الزي

الروماني القديم والبنساء الطوجا وأنعلناه الحفين، على ماله من أنف أفطس ووجه منقط، ورأس مستدير، ومنظار ذهبي، ثم جعلنا ندفع ذلك الخنزير السمين دفعاً، ونضرب رأسه بخفيه، وكلما أوسعناه ضربا ازداد طربا . لانه قد أخذ منه السكر».

«ديجو! أستحلفك!»

«أجل كان سكرانا، ونحن الذين أسكرناه.»

«لا . لا . لم تكن أنت الذى فعل هذا، بل الآخرون . .»

«وأنا أيضا . . . أتعلمين يا أماه أن هذا كله كان من سبيل المزاح . لقد كنا نعبث به ونمزح . ثم تناولنا الورق للعب، وكان من السهل أن نربح . والرجل قد ذهبت بعقله الخمر .»

«ديجو! أستحلفك!»

«قلت لك إننا كنا نمزح، هذا وحقك يا أماه، هو الصدق الذى لامرية فيه، ولكنى حين ذكرت هذا فى دار القضاء ضج الناس بالضحك، أجل حتى القاضى . . بل لقد كان هو أشدهم ضحكا . . ضحك الجميع من قولى هذا . . الجميع . . حتى رجال الشرطة . ومع ذلك فقد كان هذا هو الحق . فلقد كنا نرتكب الغش، ونحن لا ندرى . أو اذا كنا ندرى فما كنا نرى أنفسنا إلا مازحين وهل كانت سوى أموال رجل قذر معتوه، وكانت تنصب من جيبه انصبابا، كما انصبت من جيوبنا فيما بعد . حيث كنا نبذرها تبذيرا فى بلاهة وجنون، حتى لم يبق لدينا منها درهم واحد . .

ثم التفت الى خزانة الكتب وأخرج منها كتابا .

«هذا كل ما بقى لى من تلك الأموال . فقد مررت يوما ببائع كتب واشتريت منه هذا الكتاب .» ثم ألقى بالكتاب على المائدة فاذا هو ترجمة فرنسية لكتاب جون رسكن المعروف (تاج من أغصان الزيتون) .

وجعل يحدق فى السفر مقطبا حاجبيه . عجبا كيف خطر له فى تلك الأيام أن يشترى هذا الكتاب ؟ لقد اعتزم ألا يعود الى المطالعة، وألا يخط حرفا أبدا . وما دعاه الى الذهاب لذلك الرومى سوى عزمه على أن يخمد جذوته، وأن يقتل فى نفسه حلما كان يملؤها : حلما بأنه سيغدو يوما كاتبا ومؤلفا . ذلك كان حلم شبابه . ولكن الفقر الأليم الذى نزل بأسرته جعل تحقيق هذا الحلم أمرا محالا . ولهذا صح عزمه على أن يقتله قتلا .

وقفت العجوز تتأمل هى أيضا ذلك الكتاب الغريب، وبعد لحظة قالت فى شىء من التردد : «أترى ياديجو . . . لو أنك عاودت الكتابة»

فنظر اليها نظرة كريهة كئيبة، انقلبت لها سحنته وشاهت صورته .

لكنها عادت الى الكلام وقالت : «ماذا يضرك أن تحاول؟ ماذا يدعوك الى اليأس، وأنت بعد فتى لم تتجاوز السادسة والعشرين ومن يدرى لعل لك فى الحياة حظا جديدا تنسى به ما قد مضى . !»

فقاطعها، وهو يخاطبها فى سخرية وتهكم : «نعم! حظ جديد ما أكثر الحظوظ الجديدة! أجل ولعمرك لقد أصبت الليلة حظا جديدا . فلقد شاهدت بعينى رأسى رجلا يلقى بنفسه فى النهر . وجلست فى مكانى أراقبه دون أن أحرك ساكنا . . .»

«ماذا تقول ياديجو ؟ أأنت شهدت حادث انتحار الليلة ؟»

«أجل أنا شاهدت رجلا ألقى بقبعته على البرانى . ثم صعد وألقى بنفسه فى النهر فى هدوء وسكون . وجلست أنا فى موضعى، منصتا لصوت سقوطه فى الماء، وكنت على بضع خطوات منه، جالسا فى ظل شجرة، وكان كل ما فعلته أن جلست فى مكانى وتركته يغرق . أجل ذلك كل ما فعلت ! ثم استولى على الذعر فجأه، حين أبصرت قبعته التى تركها خلفه . فلذت بالفرار .»

«أنت تعلم يا عزيزى أنك لا تعرف السباحة . فانى لك أن تقوم بمساعدته وانقاذه ؟»

«كان فى وسعى أن أصيح وأستنجد . أو على الأقل أحاول انقاذه . فقد كان الى جانبى درجات من الحجر نازلة الى النهر . لم يكن بينى وبينها غير مترين . أتعلمين أنى رأيت هذه الدرجات . أجل رأيتها فى وضوح وجلاء . ولكنى تجاهلت رؤيتها . ثم لم تك الا لحظة حتى قضى الأمر وغاب عن الأبصار .»

«ألم يكن بالمكان أحد سواك ؟»

«كلا لم يكن بالمكان غيرى»

«لا بأس عليك يا ديجو ! وماذا عساك أن تصنع وحدك . فلا تبتئس ! انك متعب منهوك القوى، ولقد هذا كل ما هنا لك ! ولقد أخذت ترتعد لهول ما رأيته الليلة . والآن فلتذهب الى فراشك ونم لكى تنسى كل شىء»

وتناولت يده فى شىء من التردد وجعلت تمسحها بكفها . وأجابها على كلامها بهزة رأسه . وقال لها وهو يبتسم «عمى مساء يا أماه!»

«نم هانئا يا بنى !»

لقد أثر فى نفسها أنه سمح لها بأن تمسك يده وتمر عليها بكفها مرارا . وجعلت تمسح عينيها من خلف مناظرها . ثم أطفأت المصابيح وذهبت الى فراشها وهى تفكر فى تلك اللحظة التى سمح لها فيها أن تلاطفه تلك الملاطفة .

***

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

بقية من لغو الصيف

قال بل أفسدتني أنت حين أكرهتني على الذهاب الى باريس ، قالت فانى لا أدع لك حرية الاختيار ، وإنما أفرض عليك الربوة الجميلة الهادئة وحديثها البرىء من العبث والتجنى فرضا ، قال لقد اطعتك حين نفيتني الى باريس فأحرى ان اطيعك حين تذهبين بى الى هذه الجنة الخضراء ، واكبر الظن ان طبيعة هذه الربوة الجميلة الهادئة ستكون اقوى منك ومنى وستوجه عقلينا وقلبينا الى حيث تريد هى لا الى حيث تريدين ، ولا الى حيث أريد . قالت مادمت واثقا بالطبيعة الى هذا الحد ؛ مؤمنا لها الى هذا الحد ؛ فلنذهب الى ربوتك ولنتحكم جمالها وهدوؤها فيما ستفيض به قلوبنا من شعور ، وفيما ستضطرب به عقولنا من تفكير ، وفيما ستجرى به السنتنا من حديث .

وانتصف النهار وإذاهما فى هذا المكان الجميل الذى خلت فيه الطبيعة الى نفسها فاتخذت زينتها حرة طلقة لا متكلفة ولا خاضعة لعبث الناس . وإذا هما ينظران ويسمعان ويتنسمان هذا النسيم الهادىء القوى وقد أزيلت الحجب بين نفسيهما وبين ما فى هذه الربوة من جمال هادىء قوى خصب مختلف الالوان . ولو قد خلى بينهما وبين ما كان يغرقان فيه من هذا الصمت الحلو الذى كان يمزجهما بهذه الطبيعة الحلوة لظلا صامتين هادئين حتى تزعجهما ظلمة الليل ، فتخرجهما عما كانا فيه من صمت وهدوء . ولكن هذه الطبيعة نفسها أبت عليهما ما كانا فيه كأنها أحبت ان تسمعهما وكأنها أحبت ان تمزج اصواتهما بأصواتها ، فأهى الا ان يحسا نبأة تخرجهما من نعيم الصمت والذهول الى شقاء الحديث والتفكير . احسا نبأة قريبا لها ، وهما ان يتعرفا مصدرها فلم يصلا مما اراد الى شىء ولكنهما تنبا لا : وسمع كل منهما صوت صاحبه فأغرى به واشتدت رغبته فيه : وعادا الى ما كانا فيه من حوار ؛ قبل ان يبلغا هذا المكان الجميل .

قال ، واذا فانت تجدين من المشقة فى قراءة القصص التمثيلى ما يرغبك عن هذه القراءة ؛ وينفرك منها ؛ ويحبب اليك قراءة هذا القصص اليسير الذى لا اخذ فيه ولا رد ، ولا جدال فيه ولا حوار . قالت نعم وان كرهت ذلك ورأيته آية من آيات الضعف ومظهرا من مظاهر القصور . قال وكيف يكون ضعفا ما تحبين ، وكيف يكون قصورا ما تتكلفين به من الامر ؟ قالت تنبه فانى أراك مقدما على اخلاف الوعد الذى سبق ، قال فانى لم اعد بشىء على انى لا أدرى أين يكون هذا الاخلاف لست عابثا ، ولا متجنيا ، إنما أقول ما اعتقد ، وأصور ما أرى . وإنى لأشعر بالنفور من قراءة التمثيل ، وبالرغبة فى الاكتفاء بهذا القصص اليسير . قالت فانك تكبر التمثيل اكبارا أراك تسرف فيه ، فلست أجحد قدره ولا مكانه بين مظاهر التعبير الأدبى ، ولكن التمثيل خلق للملاعب لا للكاتب ، وخلق لينفذ الى النفس من طريق الاذن والعين ، لا من طريق العين وحدها . وخلق لينفذ الى النفس ممتزجا بأصوات المتحاورين وحركات اللاعبين ، لا لينفذ اليها كلاما غير منطوق ، وعملا لا يأتى به أحد من الناس . قال حجة قوية هذه لا اريد ولا أستطيع أن أنقضها وليس من شك فى أنى اوثر ان ارى التمثيل فى الملاعب على ان اخلو اليه فى مكتبى ، واوثر ان ارى اشخاص القصة يذهبون ويجيئون ، واسمعهم يجادلون ويحاورون ، ولكن ماذا أصنع اذا حيل بينى وبين الاختلاف الى الملاعب ، لان ظروف الحياة لا تريد ذلك او لأنى اعيش فى بلد لا يزهر فيه التمثيل ، ولا يكاد يزوره الا لماما ولأن آيات من القصص التمثيلى قد قطعت الطريق بينها وبين الملاعب . أأجهل هذا الفن من فنون الأدب جهلا ، وأهمله اهمالا ، وأنسى انه موجود وان فيه للنفوس الراقية متاعا ، وللعقول الراقية غذاء ، وللقلوب الراقية

لم تمض ساعة حتى كان ديجو برنر فى مجلسه الأول على البرانى ، فى ظل تلك الشجرة . وقد جلس كما كان يجلس من قبل ناظرا الى النهر ، ومدليا رجليه .

وكانت السحائب لم تزل تغشى السماء فى لونها الرمادى الشاحب وكأن لم يتغير شىء مطلقا . . بل لقد تغير شىء واحد : فان القبعة قد اختفت . وأكبر الظن أن أحد رجال الشرطة قد رآها فى تجواله فأخذها .

نزل ديجو فجأة عن البرانى ومشى نحو الجسر ، ثم انتزع قبعته عن رأسه . ووضعها فى نفس المكان حيث كانت قبعة ذلك الرجل الغريب .

ثم تبسم وقال : « وها كم قبعة أخرى ! » وكأنه ما فعل هذا لا ليمزح ؛ كأنما أراد أن يمازح رجال الشرطة

وعاد الى مكانه فى ظل الشجرة . وجلس برهة يتأمل القبعة ، معجبا بمنظرها وكأنه هو لم يكن له وجود . ثم اندفع فجأة يضحك ضحكا عاليا وحشيا . لقد بدت له القبعة كأنها فأر ، وكأنما هو قطة ترقبها . .

وجعل يتدلى من البرانى شيئا ، فشيئا ، ملقيا بنفسه الى النهر على مهل ، وقد أمسك الحاجز الحجرى بقبضتيه . فأحس بقلبه يثب وشعر رأسه يقف ؛ ثم أحس بقبضتيه . . وقد أخذتا فى الارتخاء . وانفرجت أصابعه : فهوى الى النهر . . الى الفناء . . ؟

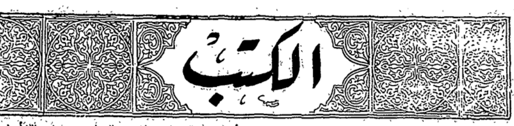
محمد عوض محمد

لذة. قالت وقد أخذها شيء من الدهش كأنما رفع عنها حجاب فرأت نورا باهرا لم تكن تنتظر أن تراه. ماذا تقول؟ واين ذهب بى الجدال؟ وإلى اى حد انتهى بى حب الخصومة. قال الى حيث تأتين ما لم يستطع الدهر ان يأتى. وتصدرين احكاماً عجز النسيان وعجزت الأيام وعجزت المحن والخطوب، وعجز الجهل والجمود عن أن تصدرها، الى حيث تمحين من سجل التاريخ الادبى اعلام الادب القديم والحديث، الى حيث تعتبرين أيشيل، وسوفوكل، واوروبيد، وارستوفان، وشكسبير. قالت فى شيء من الجزع لاتقل هذا، وكيف السبيل الى قبر هؤلاء الاعلام ومحو هذه الاسماء، واهمال هذه الآيات، وان اصحابها لأبقى من الدهر كله واقوى من الناس كلهم، واحق بالعناية ممن شئت ومن لم تشأ من ابطال الادب والعلم والفلسفة جميعا. ثم انحدرت من عينيها دمعتان وقالت بصوت رقيق تقطعه العبرة، كيف يمكن ان ينسى قول سوفوكل على لسان انتيجون فى حوار الملك: ولدت للحب لا للبغض.

قال مهلا، فانا لم نأت الى هذه الربوة الجميلة الهادئة. ولم ننزل ضيفا على هذه الطبيعة النضرة الباسمة لنسفح الدموع، ونثير فى نفوسنا عواطف الحزن، وقد وعدتك او قد وعدت نفسك بالا نعبث هنا ولا نلهو، ولكنى لم اعدك، ولم تعدى نفسك بأن نبكى ونرسل الزفرات ونسفح العبرات. قالت والهدوء يثوب اليها واشراق الابتسامة الهادئ الخفيف يذود عن وجهها ما غشيها من ظلمة الحزن والبكاء. لولا شغفك بالجدال وكلفك بالحوار واحتيالك فى خلق الخصومات التى لاتنتهى، لما اضطررت الى ان اتورط فى هذا الكلام الذى لايمكن ان يوصف الا بأنه فن من فنون السخف او لون من الوان الجحود. قال لست جاحدة، ومعاذ الله ان تكونى جاحدة، ولكنى قلت لك انى اصبحت أرى ان السخف اقوم ما فى الحياة. قالت فكن سخيفا ما شئت فانى لا احب السخف، لا احب ان اسمعه ولا احب ان اخوض فيه، ولولا اننا هنا بعيدان عما احب من الكتب لفرضت عليك عقوبة... قال وهى ان اقرأ لك فصلا من فصول التمثيل، لأقيم لك الدليل على ان التمثيل يمكن ان يقرأ فيثير اللذة والاعجاب بعيدا عن الملعب، قالت ولمن تريد ان تقيم الدليل وقد عرفت انى اشاركك فى الراى، وانى لم اقل ما قلت ولم أذهب الى ماذهبت اليه، الا حين اضطررتنى انت الى هذا الحوار الذى لاينقطع، والذى لا خير فيه. قال ما كرا، ومن يدرى لعلك إن حاورتك فى الشعر ان تقولى انه لايقرأ، وانما يستمع من المنشدين. ولعلى إن حاورتك فى الموسيقى ان تقولى انها لا تقرأ، وانما تسمع من الموقعين. قالت ومن يدرى لعلك ان حاورتنى فى اى شيء ان تسيء رابى فى كل شيء، وان تردنى الى حيث كان اسلافنا فى العصور الاولى، لا يعرفون الترف العقلى ولا يبتغون لذة العقل والشعور الا من اقرب الطرق وايسر الوسائل. فقد كانوا يسمعون الشعر ويسمعون الموسيقى ويسمعون التمثيل، لأنهم لم يكونوا يقرأون فأما الآن فقد نستطيع نحن ان نسمع فان فاتنا الاستماع فقد نستطيع ان نقرأ. وانى لأفكر فى هذا فاعجز عن احصاء نعمة الله على الناس حين الهمهم الكتابة وعلمهم القراءة.

فهذه النعمة هى التى حفظت لنا ما بقى فى ايدينا من آيات البيان فى العصور القديمة وأتاحت لنا ان نعجب بما كان يعجب به الناس من سحر الشعر والنثر، منذ القرون الطوال. وهذه النعمة هى التى تتيح لنا دائما ان نستبقى آيات التمثيل التى لم يبق بينها وبين الملعب من سبيل. لأن الاذواق قد اصابها من التغير والتبدل ماجعل تمثيل هذه الآيات أمرا لامطمع فيه. فلو لا انها قد حفظت لنا بالكتابة ولولا اننا نستطيع ان نحييها فى نفوسنا بالقراءة، لماتت موتا لانشور بعده. وكيف ترى تمثيل ارستوفان، وأي قصصه يمكن ان يظهر فى الملاعب الآن وان الآذان التى تستطيع ان تسمع لحواره وما فيه من تجاوز لذوق الاجتماعى ومخالفة الادب المألوف. ومع ذلك فكيف يستطيع مثقف ان يجهل تمثيل ارستوفان. إنى لأكره كل مايشذ عن الادب الذى تواضع الناس عليه وانى لأرفض كل الرفض ان اقرأ على أحد، أو اسمع من احد كثيرا من قصص ارستوفان. بل انى لأكره ان اقرأ هذا القصص كما كان القدماء يقرأون بصوت عال تسمعه الاذن، ولكنى على ذلك اعترف بأنى اطيل النظر فى هذا القصص واقرأه المرة بعد المرة واقرأه كلما ضقت بالحياة أو ضاقت بى الحياة اقرأه بالعين لا بالشفتين واللسان. قال ومالك تقفين عند ارستوفان وإن فى آيات سوفوكل وصاحبيه لما يعجز الملعب عن اخراجه للناس الآن، لأن فن التمثيل نفسه قد تغير وتبدل ولكن أي حرمان يصيب المثقفين لو قضى عليهم ان لايقرأوا غناء الجوقة فى شعر هؤلاء الاعلام. وشكسبير ايجب ان يحرم المصريون مثلا لذة الاستمتاع آياته لأنها لاتمثل فى بلادهم، بل ايحرم الانجليز انفسهم لذة الاستمتاع آياته لانها لاتمثل عندهم الا بمقدار. قالت بل نستطيع ان نذهب الى ابعد من هذا فقد نستطيع ان نؤمن بأن القصص التمثيلى فن من فنون التعبير الادبى يمكن ان يقصد اليه من حيث هو، وان يكتب الكاتب قصة تمثيلية لتقرأ لا لتمثل، قال فانك لاتذهبين الى شيء مستحدث وهل كانت كتب افلاطون كلها

« البقية على صفحة ٤٢ »



جان دارك

في سبيل الوطن

تأليف الأستاذ غانم محمد

هذا كتاب ألفه الأستاذ غانم محمد فأخرج به للناس درة من أثمن ما تحوى لجة التاريخ من درر، ونشر صفحة من أسطع ماطوى الدهر من صفحات. وهو بهذا الكتاب قد أذاع فى الناس مثلا أعلى للتضحية والفداء، ونموذجا ساميا للوطنية المشتعلة الصادقة ممثلة فى جان دارك، التى ارتفعت الى مستوى القديسين وأولياء الله الصالحين. وما قولك فى فتاة ريفية ساذجة لم تتجاوز من عمرها ثمانى عشرة سنة قضتها فى العمل المنزلى ورعى الغنم، تتصدى لانقاذ الوطن من الاستعمار الانجليزى الذى أنشب أظافره فى الأعناق ولم تكن لتزحزحه جحافل الجيوش

وكأنما أرادت عناية الله أن تبعث بها لتخليص وطنها، فبينما هى جالسة فى يوم من أيام الصيف فى ظل دوحة ترعى غنمها. إذا بأوراق الشجر تهتز والأطيار تطلق أغاريدها عالية فى الفضاء، فانتبهت جان من اطراقها ورفعت رأسها نحو الشجرة وأغصانها التى اهتزت فجأة. فشعرت برعدة تمشى فى جسمها طولا وعرضا، ورأت السماء تنشق عن نور ساطع ينبعث من بينه هاتف يناديها ويردد اسمها ويقول لها فى وضوح: «جان! جان! لاتخافى، كونى ابنة طيبة، فسوف تذهبين لنجدة ملك فرنسا» فتقدمت جان فى ذهول نحو الصوت، فرأت أن التى تخاطبها هى القديسة كاترين ترافقها قديسة أخرى، وقد وقفتا فى وسط هالة من النور بين غصون الشجرة،، فتفرست فيها جان. وأيقنت أن التى تخاطبها هى القديسة كاترين وأن التى بجوارها هى القديسة مرغريت، فانتفضت جان وتولدفيها شعور غامض من طرب وذعر، واعتزمت من فورها انجاز ماتطلبه السماء، فالتمست حاكم المنطقة تطلب اليه أن يرسلها الى مليكها لكى تعينه باذن الله فسخر منها هذا الحاكم ما وسعته السخرية، ولكنها أخذت تطلب وتلح فى الطلب لأن أصواتها السماوية أمرتها بذلك وليس لها عن طاعتها محيد؛ وما هى الا أن ارسلها الحاكم فى حرس عسكرى الى حيث ولى العهد - وقد مكر به الانجليز وأقصوه عن العرش بحجة عدم شرعيته لضم فرنسا الى انجلترا - فلم تكد تظفر جان بالمثول بين يدى الدوفين (ولى العهد) حتى أعلنت رسالتها التى تلقتها من القديسين الأطهار، والتى لم تزل الأصوات المقدسة تأمرها بها كل يوم وتلح عليها فى النهوض بأعبائها، وهى أن ترفع حصار الانجليز وتتوج ولى العهد ملكا على فرنسا. فتشكك الملك فى أمرها بادىء الأمر. وأرسلها الى جماعة من العلماء، أخذت تناقشها وتحاورها ثلاثة أسابيع كاملة. ثم أصدرت الحكم الآتى «لقد تحققنا وبهذا نعلن، ان جان دارك المعروفة باسم العذراء مؤمنة صادقة الايمان وكاثوليكية سليمة العقيدة، ولا شىء فى شخصها أو لفظها يخالف الدين، وواجب الملك أن يتقبل ماتعرضه عليه من المساعده، لأنه اذا رفض معونتها حرم نفسه معونة الله». فلم يسع الملك بعدئذ الا أن يعين جان دارك قائداً عاماً للجيش الفرنسى!!

جمعت جان فلول الجيش المهزوم، ونفخت فيه روحا جديدا يشتعل جرأة وحماسة، وأخذت - وهى الفتاة الصغيرة الساذجة - تقود الجند من نصر الى نصر، حتى أجلت الانجليز، وردتهم أذلاء بعد عزة، ومهدت الطريق لتتوج ولى العهد شارل السابع ملكا على فرنسا. وقد بذلت فى هذه السبيل مجهودا الجبابرة، وتعرضت لأخطر المواقف، حتى أنها فى أثناء الهجوم على حصن «لى توريل» جرحت جرحا بليغا بين كتفها ورقبتها، وسال منها دم غزير، فوقعت على الأرض تبكى بكاء مرا، وانتهز الانجليز فرصة اصابتها وتجمعوا حولها قاصدين تمزيقها اربا اربا، ولكن الفرنسيين قاوموهم وصمدوا لهم، ويقول مارك توين: «دار القتال حولها على أيهم يستولى عليها - وفى الواقع على فرنسا - لأن جان فى أثناء تلك الدقائق القليلة، كانت هى فرنسا للطرفين، فمن استولى عليها فقد استولى على فرنسا الى الأبد، وكانت تلك الدقائق العشر هى أهم الدقائق التى دقتها الساعة فى تاريخ فرنسا كله فى الماضى وفى المستقبل ....»

أنجزت جان دارك رسالتها التى أمرتها بها أصواتها المقدسة، وهى تتويج الملك، وكان لها أن تعود الى قريتها، ولكن نفسها

الكبيرة لم تهدأ ، وأصرت على أن تجاهد حتى تطهر أرض الوطن من كل انجليزى ! وبينما هى فى جهادها على رأس شرذمة من أنصارها ، تمكن منها أحد الأعداء ، وكان فرنسيا مواليا للانجليز . فجذبها من فوق جوادها وألقى بها على الأرض ، وبذلك وقع ذلك الملاك الطاهر فى الأسر ، فسيقت جان الى السجن ، وما هى الا أن اشتراها الانجلز من آسرها بالمال ، اشتروها بعشرة آلاف من الجنيهات ، لينتقموا منها شر انتقام . وبعد أن قضت فى سجنها مدة تجلجل فى أصفاده ، حيث شدت بسلسلة غليظة من الحديد الى كتلة خشبية ، يحرسها خمسة من الجند الأشداء ، لا ينون عن توجيه الالفاظ القاسية والعبارات المخجلة ، وهى أمامهم مطروحة ترسف فى أغلالها ، قدمت بعد ذلك الى المحاكمة بتهمة السحر والشعوذة والكفر ، واستوت المحكمة على مقاعدها ـ وكانت مؤلفة من ستين عضوا وتيفا ، كلهم من فطاحل العلماء ـ فأخذ هؤلاء الدهاة يقدحون أذهانهم فى نصب الشباك لتلك الفتاة الطاهرة ، وهى تصمد لهم ، وتفحمهم ، ولكن عبثا حاولت ، فلا بد من اتهامها . وبعد مؤامرات وتدبير حكم عليها بالاعدام حرقا لأنها ضالة كافرة !!

صعدت جان منصة الاعدام بخطى ثابتة ، وشد الجلاد وثاقها ثم أشعل النار فى الوقود المدخولها ، وأخذ الدخان يتصاعد ، ولما لفحتها ألسنة السعير صرخت من أعماقها قائلة : « لست ضالة ولا كافرة ! وان ما تلقيته من الوحى كان من عند الله » ولما بدأت النار ترعى جسدها أخذت تصيح : « عيسى ! عيسى ! مريم ! مريم ! » وصارت تردد هذه الالفاظ حتى تدلى رأسها وفاض روحها .

هذه قصة جان دارك منثورة مشوهة ، وقد وفق الاستاذ غانم محمد فى إبرازها وتصويرها توفيقا بلغ حد الكمال . فليس هذا الكتاب واحدا من الكتب ، يتلى ثم يطوى وكأنه لم يكن ، كلا ! انما هو فيض من الشعور القوى النبيل سيغمرك ويحتويك حين قراءته ، وسيطبعك بطابع هيهات أن يزول أثره ما بقيت على الدهر انسانا .

أشهد أنى قضيت فى هذا الكتاب ساعات كانت من أمتع ما جادت به الايام ، فأقل ما نتوجه به الى الاستاذ المؤلف هو تهنئة تنبعث من الصميم .

ز . ن . م

« بقية المنشور على صحيفة ٤٠ »

بقيـــة من لغو الصيف

الا فنا من فنون التمثيل كتبت لتقرأ لا ليلعبها الممثلون امام النظارة ، قالت بل انا اجد لقراءة التمثيل فضلا على شهوده فى الملعب ، لأن القراءة تمنحنى قوة لا اجدها حين اختلف الى الملاعب ، فانا اخلق الممثلين واصورهم لنفسى وهم يذهبون ويجيئون ويحاورون ويجادلون ، وأخلع عليهم من الصور الفنية ما يعجبنى ويلائم طبيعتى ، ومزاجى ، وفهمى كما اقرأ . قال ولست اخفى عليك انى اكره ان أرى قصة تمثيلية قبل ان اقرأها ، ولعلى اقرأ القصة التمثيلية فاعجب بها اعجابا ، وافتن بها فتونا . ثم اشهدها فى الملعب فيدركنى شىء كثير من خيبة الأمل لأن الممثلين لم يؤدوها كما كنت اريد ان تؤدى ، أو كما كنت انتظر ان تؤدى . قالت وكذلك آيات الجمال الفنى كلها ترتفع فى النفوس حتى تبلغ المثل الاعلى أو تدنو منه فاذا اشتملتها الحياة الواقعة واخرجها الانسان إلى الوجود الفعلى نزلت عن مرتبتها لأن طبيعة الجمال الفنى فيما يظهر لا تحب الحدود التى يفرضها الزمان والمكان . قال فى رفق مهلا فقد يخيل الى انا نصعد فى السماء . ولو مضينا فى هذا الحوار لبلغنا هذا السحاب الذى يوشك ان يفسد جمال هذه الطبيعة النضرة الباسمة . قالت ليس الى ارضائك اليوم من سبيل ، لقد كنت ترانى منذ حين مقصرة مسرفة فى التقصير ، وانت ترانى الآن محلقة مسرفة فى التحليق . قال انا معجب بك على كل حال ، ولكن ارفقى بى فقد اعجز عن ان ارتقى معك فى الجو الى حيث تريدين ، عيشى مع اصدقائك من سكان النجوم اذا خلوت الى نفسك فاذا لقيتنى ، فاذكرى قول بسكال واعلمى انى مهما اقوى فلن استطيع الان اكون انسان يمشى على الارض وينظر الى السماء . قالت ما ابرعك فى افساد الحديث ها انت ذا تعود بنا الى عبثك الذى لا ينقضى ، الست ترى ان خيرا مه ان ننظر فيما حولنا وان تتحدث نفوسنا الى نفس هذه الربوة التى لقيتنا فاحسنت لقاءنا . وهيأت لنا ضيافة لم نكن نقدر ان نلقاها . قال لا ارى بذلك بأسا ولا سيما فى يوم وداع فمن يدرى لعلنا لا نلقاها بعد اليوم . قالت وما يمنعنا ان نعود اليها غدا وبعد غد فان الاجازات تمد ، ورسالة برقية تستطيع ان تذهب الى القاهرة مساء اليوم فتكفل لك الاذن بالبقاء هنا الى آخر الصيف قال وقد استأثرت بنفسه غبطة لا حد لها أو تأذنين ؟

طه حسين

معرفة الاخلاق والحظ

من الاسماء

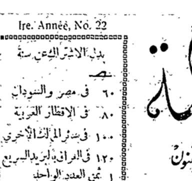
تأليف عبد الحميد قناوى

مؤسس معهد العلوم المغنطيسيه والتنويم

وهو كتاب لطيف الحجم سهل الأسلوب حسن الطبع فى دراسة أخلاق الانسان واستكناه حظه من اسمه . وهو (يحتوى معلومات صادقة بنيت على أسس علمية) وثمنه ١٠ قروش صاغا

Ire. Année, No. 22

Lundi 4-12-1933



بدل الاشتراك عن سنة

مص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الاقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢

العدد الثانى والعشرون — القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٥٢ — ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العـــدد

حجـــاج ودوس . . . .

حلقا فى السماء الغائمة البعيدة ! والأمل الطلق يبسم لهما خلال السحاب ، والمستقبل الوضاء يشرق عليهما بين الضباب ، والاستقبال المنتظر ينثر الأحلام على جناحى الطائرة ! فالنسر الحديدى يزف فى الهواء الندى زفيف الكوكب . والطيار الشاب وصاحبه يسبقانه بالخيال العجيب الى ارض الوطن ، فيريان البشر الفخور يفيض على جنبات الوادى . والمجد الأثيل ينبعث لهفان من غيابات الماضى . والشعب النبيل يتقاطر مزهوا الى المطار الحاشد ، والاعلام الخضر تخفق بالتحيات خفوق القلوب بالاكبار والحب . والطوائر العشر يهبطن على الثرى الحبيب هبوط المخيلة والعجب . واللقاء الحماسى الهاتف يغمر السرب الأول بالترحاب والاعجاب والشكر ، وأكاليل القبل والغار تتوج الجباه المجلية فى ميدان البطولة والنصر . . . !

كل أولئك كان يتمثله فؤاد ، ويتخيله شهدى . حين غفا الحظ تلك الغفوة المشئومة فاذا بالقدر الراصد يثب من بين اطباق الضباب فيصرع الأمل الناهض ، ويرد النسر الطائر حطام حريق ، والمستقبل الزاهر ساعة هول وضيق . والاستقبال الباهر مناحة أمة ، وأكاليل الغار اكاليل نعش !!

***

اللهم لاراد لقضائك ، ولامعقب لحكمك ! جعلت الشهادة روح الجهاد ، والتضحية طريق المجد ، والفداء عبادة المثل الأعلى ! ومصر ذات التاريخ الأزلي والتراث الخالد ، قد كتبت هذا التاريخ بدماء شهدائها ، وأثلت هذا التراث بجهاد ابنائها ، وعرفت السماء قبل ان يعرف غيرها الأرض ، فلا يشتد جزعها لهذا الحكم ، ولا يرفض صبرها لهذا البلاء ؛ وما حجاج ودوس الاشيدان كتبت لهما السعادة ان يكونا فى اول سجل من نوع جديد

ان شهداءنا الابرار الذين قضوا فى سبيل الوطن والحرية والعلم والطيران هم القوة الملهمة للشباب العامل ، والحجة المفحمة على النشء الخامل ، والدلالة البينة على ان مصر لاتزال تعرف كيف تموت لتحيا ، وكيف تشقى لتسعد ! وان الذين شهدوا ابناءنا يوم جنازة الشهيدين يتسعرون بالحماسة ، ويتفجرون بالوطنية ، ويهتفون بالتضحية ، ليوقنون ان هذه النفوس الحرة التى تظاهرت على كبتها واذلالها شتى العوامل تأبى ان تتكشف للخطوب الا عن جوهر خالص وفطرة نقية

***

ان الوادي يوم ضم الى احشائه بقايا ولديه الصريعين قد قوى فى صدره نبض الحياة ، ودب فى جسمه دبيب الفتوة ، لان الوطن تميته الدموع وتحييه الدماء ! فكلما كثرت القرابين على مذبحه ، وفاضت النفوس على ثراه ، ازداد قداسة واتقد حماسة واشتد قوة ، فتقريب الفداء المختار نكبة لاسرته ، وحياة لأمته ، ومجد لوطنه !

***

التضحية بالنفس او بالمال هى الوطنية الصادقة والزعامة الحق ، لانها أثر الايمان الصحيح ، ودليل الجهاد المخلص . ومتى بلغت النفوس حد الايثار أغيت على الظلم ، ونبت على المذلة ؛ فلا تجد حاكما يجور ، ولا عالما يداجى ، ولا سائسا يخاتل ، ولا قائدا يهن ، ولا غنيا يشح ، ولا وطنا يشقى

فهل لسادتنا وكبرائنا أن يكفكفوا شرة الحرص فى نفوسهم بالتضحية ؟ ومعاذ الله أن أقصد التضحية بالدم فليست من طبع الكهولة ، انما أقصد التضحية بالتهالك على الرآسة ، والتهافت على المنصب ، والتكالب على المال ، ليصح الخلق المريض ، ويأتلف الأمر الشتيت ، ويعود الجائر الى سواء السبيل

***

برد الله بالرضوان ثراكما ياشهيدى الواجب ! لقد هززتما للمعالى هما توشك أن تهمد ، وذكرتما بالمجد نفوسا تكاد أن تنسى ، وأضفتم اسم مصر الى أسماء الامم التى روت بدمائها أصول الخير المشترك ! ولئن كان مصرعكما عثرة أليمة فى أول الطريق الجديد ، فانه حرى ان يسدد خطانا فيه ، ويظهر قوانا عليه ، بحسن الاقتداء بالبطولة ، وصدق الاعتبار بالخطأ ؛ ومامات من رجالك من احياك ، ولا ذهب من مالك ما علمك .

***

طأطئوا الرءوس ياقوم اجلالا لمصرع البطولة !!

ان شهيدينا قتلا فى السماء ، وغسلا بالنار لا بالماء ، ودرجا فى علم لا فى كفن ، وحملا على مدفع لا على نعش ، وكتبا فى سجل الخلد لا فى دفتر (الصحة)

فهل هذه الموتة العظمى تفت فى الاعضاد وتفل من غرب العزيمة ؟

ان الامة التى لم تكد تأخذ بأسباب الطيران حتى يبادر الى خوض اهواله فتاة من فتياتها ، ويسبق الى الشهادة فى سبيله فتيان من فتيانها ، لا يستطيع أن يكسر من ذرعها حادث ، ولا يتكاءدها فى طريقها اليه عقبة .

سلام الله على أشبالنا فى الجهاد ، وعلى أبطالنا فى الاستشهاد ، وعلى شهدائنا فى قدس الخلود !

احمد حسن الزيات

الاســـاليب

للاستاذ امين الخولى

المدرس بكلية الاداب

فى مصر اليوم أساليب تمتاز بامتياز البيئات ، وتختلف باختلاف الثقافات ، ويذهب كل أناس باسلوبهم لايعدلون به اسلوبا ، ولا يرضون ، منه بديلا ، بل لايرون له مثيلا ؛ ونحن بين ذلك كله فى حيرة مما نأخذ وندع

وما أعني الاساليب الادبية ولا الأنماط الفنية ، فلعل الامر فى ذلك هين يسير ، انما أعنى أساليب التفكير ، وطرائق التعقل ومذاهب الناس فى تقرير الحقائق ، وتقبل مايقبلون منها ورفض ما يرفضون . تمثل فى مصر اليوم بيئات فكرية متعددة ، وطرائق تهذيب مختلفة الاصول متباعدة الأسس ، حتى لترى المسلمات المقررة عند فريق ، تنكر فى عنف بل فى سخرية أحيانا عند آخرين ، ونحن على هذا فى مفترق طرق متشابكة ؛ وشبابنا الآخذون سبل الحياة فى حيرة ، لايجدون معالم واضحة ، ولايدرون أين يذهبون ، وحين يلتمس أولئك الشبان الحقيقة من هداة أدلاء يحملون الإقلام فى هذا البلد لايجدون الامن يداوى الاختلاف بالفرقة و لاتستقر الحياة الفكرية لامة هذا شأنها . وإذا كانت مصر قد خلصت من تعدد العناصر ، وتكاثر اللغات ، واختلاف الاديان والنحل فانها لما تظفر بوحدة المزاج النفسى ، وتجانس الأسلوب الفكرى ؛ وليس ذلك على أمة ناهضة بايسر خطرا وأهون شأنا من النواحى الاخرى فى الاختلاف

وماجردت اليوم قلمى لأكتب سدا لفراغ أو تلبية لطلب كأكثر مايكتب الآن ، بل تأثرا بحالة أشهدها كل يوم حين أغدو واروح بين الجامعتين الازهرية والمصرية ، وأعانيها كل يوم مع هؤلاء الشبان الذين لايكاد يهون معهم التفاهم المنظم ، بل يشق ويعسر إن لم أقل يستحيل . أرى فى الجامعتين محافظين مسرفين ، ومجددين مسرفين ؛ وقد أرى هؤلاء حيث لايتوقع ان أراهم ، وأجد أولئك حيث لايدور بخلدى ان تقع عينى عليهم ، كما أرى فى الناحيتين من لم يتجددوا ولم يحافظوا ، ولكل اسلوب فكرى مضطرب فاسد ينتهى به الى نتائج تزيد مسافة الخلف بينه وبين الآخرين . وما إخال القارىء فى حاجة الى شىء من المثال على ذلك ، فهو واجده حيث يرسل بصره ، ويصيخ بأذنه ، جليا واضحا فى صحافتنا اليومية والاسبوعية والشهرية ؛ وفى أنديتنا ومجامعنا ، وفى المناقشة تجرى بين متعلمين فى أى مكان ؛ وهى حال لاينخدع عنها أحد مهما تجاهلها ؛ يشعر بها كل ذى أسلوب من تلك الاساليب فتجد صداها فى أسف صاحب القديم أسفا عميقا على مايكون من طيش أولئك الذين لايبرءون عن الهوى والنزق ، ولايعفون من الإتهام فى دينهم ووطنيتهم . كما تجد صورة ذلك الافتراق فى ضجر المشتطين وتبرمهم بتلك التقهقرات التى تصيب التدرج العقلى ، وتعوق الحرية الفكرية ؛ وفى سخطهم على هاتيك الرجعات التى تنتكس بها النهضة ؛ وكما تجد هذا الافتراق فى الاساليب عند المترددين بين الطريقين المحاولين التوسط ، حين يقصون من الجديد ويمطون فى القديم ، يرجون ان يتقابل هذا وذاك ويتوافقا ؛ فى كل هؤلاء تجد أساليب من التفكير مختلفة ، فتشعر فى ألم باضطراب كياننا الفكرى ، وتجد هذا الاضطراب يزداد شدة وخطورة ، حين تتحكم فى التفكير نزوة سياسية ، أو يصل أصحاب الرأى حبلهم باعتبارات دينية ، عندئذ يشتد اضطراب اسلوب الفكر حتى يصير قلقا مزعجا وانتكاسا عجيبا ، والويل كل الويل للحقيقة ؛ بل الويل كله لشبابنا خاصة حين يضيع منه جيل وجيل ضحية هذا الاضطراب ، وحين يقبع الخائفون من هوى السياسة ، ومجازفة أهل الدين ، فيسكتون طمعا فى السلامة ؛ أو يروجون لما هو فى سريرتهم خطأ بل ضلال . فتضيع الحقيقة ويضيع الشبان قربانا لهذا الحذر وحب السلامة .

لقد أخشى ان يتلكأ قلمى أو يتوقف حين ثارت ذكرى هذه التهديدات ، فيؤثر الاخلاد الوديع الى الهدوء ؛ لكنى حامله على ألا يفعل ، وماض فى نقد تلك الاساليب مهما غضب أصحابها ومصطنعوها مبتغيا وجه الحقيقة وحدها . غير ملوث ماأقول بشىء من هذه المهاترة التى تسود جو المناقشات عندنا فتكون شرا على شر .

١

فى مصر نفر أسلوبهم الفكرى ان يضعوا العقل فى مكان الانسان من يد الموت كما يشبهه طرفة بن العبد فى قوله :

لعمرك إن الموت ماأخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

يجول العقل فى مسارح الكون على ان يظل حبله فى يدهم ، أو يد الدين كما يفهمونه هم لا كما هو فى طبيعته وحقيقته ، فحيث خلوه يسرح ، وحيث كفوه انكف ، وحيثما هز واحبله فهو خاطىء . وتقول لهم ان عنيتم بهذا التحكم فى العقل أنه عاجز عن استكناه كل شىء

والنفاذ الى صميم الحقائق كلها فنحن معكم . لكن دعوا العقل يشعر من نفسه بهذا العجز ، ولا تفرضوا عليه العجز فرضا وسيطرة : بل دعوه يعرفه بالتجربة ، فيأبون إلا أخذه بالحبل . وتنبئهم ان مسالك العقل فى الوصول الى الحقائق مختلفة ، ومنها مالاسبيل الى رد نتائجه ، ولاحيلة فى نقضها ، فهو حين يعتمد التجربة ويحدث عن واقع لاخير لكم فى مناقشته ، ولاسبيل لكم الى كفه ، وان تفعلوا فهو متمرد تخشى عليكم خطره ، فيأبون ألا الحبل . تحدث اليهم مثلا عن تدرج المعارف البشرية وترقيها ومايشاهد من مظاهر ذلك البارزة فى طبقات الناس ، فيجيبونك بأن آدم أبو البشر قد علمه الله الاسماء - وعلمه الله المسميات أيضا - وهو رسول ، فليس يصح بعد ذلك ماتقولون من هذا التدرج . وليس الامر عندهم ألا ان رأس الدنيا فى قدمها وعقلها فى عقبها ؛ ولايجديك ان تفرق بين الخبرة الخلقية النفسية ، والمعرفة العلمية ؛ ومهما تساهلت أو تنازلت لاتصل منهم الى رضا واطمئنان . يسمعون ان الكائن المادى والمعنوى يتأثر بيئته ، ويتبادل التأثير مع جميع ماحوله ؛ فلا يرضون ان يكون الفقه الاسلامى مثلا قد يجرى عليه ذلك واصابته هذه الفضيحة ! ويضربون الارض برؤوسهم مغلنين أنهم ان يستجوا بان يقال ذلك .

مثل هذا الاسلوب خاطىء . يضيع مايريد الدين ان يحقق به غلواء العقل وترقه . ويزج أصحابه بالدين فيما ليس من شأنه ؛ ويضيعون معالم الأشياء ، وحدود الحقائق ليوجدوا محكافى العقول البشرية ، ويبنوا لها محابس ويضعوا عليها أغلالا ؛ وقد طبعها الله وثابة نفاذة متغلغلة محلقة .

٢

وفى مصر قوم أسلوبهم أن يرسلوا العقل ، أوقل يرسلون أنفسهم إرسالا ، فيقولون بالظنة ، ويحكمون بالشبهة ، ويقطعون بالبداء ، ويجزمون باللمحة ؛ هذا إذا كان الحكم لهم ، فان كان من غيرهم طلبوا من الدليل مالايطلب . وحملوا العقل التجريبى فى موضع الظنى ، فتارة يقلبون الحقيقة ؛ فكما يسمون نتيجة تجريبية علما ؛ يسمون النتيجة النظرية علما ؛ ويسمون الفرض الاضطرارى علما ، ويسمون الحل المؤقت الذى يبعثه العجز عن الحقيقة الصحيحة علما ، فيزعمون ان ذلك كله من مملكة العقل التى هو فيها حر مسيطر ليس لأحد ان يحد من سلطته . يريدون ان تكون الحقيقة الطبيعية ، والنتيجة الرياضية ، والرواية التاريخية والخاطرة الفنية ، كل أولئك عقليات علميات لافارق بينها ؛ ولها جميعا ان تضرب وجه الدين ، وتصفع قفاه ساخرة فى غير حياء . ولاتقدير حتى لآداب اللياقة : وطورا على اساس هذه التسوية الغريبة يرون ان العلم أذا لم يلمس وجود شىء فليس موجودا ؛ ولايصح لعاقل ان يتحدث عنه ؛ ومادام الاله لم يختبر فى المعمل فلا معبود ولادين : يشكون والشك حق فطرى لاينكر عليهم : لكنهم لايلتمسون الادلة كما هى الخطوة الأولى بعد الشك ؛ بل يطرحون ماشكوا فيه ويهملونه . وكذلك يفعلون حين يشتبهون ويقوى فى تقديرهم الاشتباه ، فيغدون اشتباههم آية عجز كل محاولة للاثبات ، وفشل كل دليل ، فيطمئنون الى بطلان ما اشتبهوا فيه .

وتقول لهم ان الاسلوب التجريبى لايقبل مادون التجربة مادامت مستطاعة ، فاحتكموا إليه متى أمكن ؛ وهاتوه اذا ماادعيتم : أولا فاحسنوا تقدير مادونه من الادلة ، فأساليب البحث مختلفة ، ولكل فرع اسلوبه : ونحن فى أساس التجمع ، ونظامه : والتشريع له . وفى حقبة الحق ، وخبرية الخير ، وغير ذلك لاتملك التجربة ولا المعادلة الرياضية فتثبت بماعداها ونسلم : فلاهم مثبتون بالتجربة إذا ادعوا ، ولاهم قابلون من غيرهم مثل دليلهم إذا ادعى : وتحدثهم عن ان بطلان الدليل لايستلزم بطلان المدلول ، وان مانجهل أكثر مما نعلم فيسخرون بهذه العبارات القديمة ؛ ويناقضون انفسهم فى تقرير مايرفضون مثله ، ورفض مثل الذى يقررون .

ذلك اسلوب خاطىء ؛ لايحدد قيم المعلومات ، ولايطلب لكل دعوى دليل مثلها ، ويضيع معالم الحقائق فى النفس ، فيخضع الانسان للفرض والظن اخضاعه اياه للتجرب المطرد فيفسد التقدير ، ويسلح اعداء الحرية الفكرية باغلاط أولئك المتحررين خطأ ، ويضيع هيبة العلم . ويعكر مابينه وبين الدين ، بل مابين العلم والاخلاق مما له اثره العنيف الخطر فى حياة الجماعة

٣

فى مصر من اسلوبهم ان يهجموا على مخالفهم فى الفكرة قبل تأييد فكرتهم ؛ ولو كان هذا المخالف يتناول الموضوع من غير الناحية التى يتناولونه هم منها ، وبطريق غير طريقهم : فتراهم يوازنون بين الفكرتين ويفاضلون بين الرأيين : ولما يبحثوا اولا يدلهم بان يبحثوا إلا واحدا منهما ؛ بل هم لم يفرغوا بعد من بحثهم وتأييد رأيهم ، ويزيدون ذلك بألا يجعلوا الموازنة علمية ، بل يقلبونها موازنة خلقية أو فنية ، فلا يبينون الخطأ ولكن يقولون هذا تغرير أو هذا سخيف وما الى ذلك مما يغضب ويؤلم ، دون أن

(البقية على صفحة ٤٢)

الذوق العام

للأستاذ احمد أمين

يظهر لى أن للأمة ذوقا عاما كما أن لها رأيا عاما وعرفا عاما لكلٍ دائرة اختصاص لا يتعداها

فالرأى العام مداره الآراء والأفكار والمعقولات، والعرف العام مداره العادات أما الذوق العام فمداره الفن والجمال

وكما أن هناك قدرا مشتركا بين المصريين مثلا فى لونهم وتقاطيع وجوههم وملامحهم، فنستطيع فى سهولة ويسر أن نميز المصرى من الاجنبى حتى فى البلاد الاجنبية — وكما أن هناك قدرا مشتركا فى الرأى العام المصرى فى النواحى السياسية والاجتماعية يميزه من غيره من الرأى العام الاوربى — فكذلك الشأن فى الذوق العام

يتجلى هذا فى كل أنواع الفنون كالطعوم، فلكل أمة أنواع من الطعوم تستلذها وتغرم بها، هى نتيجة ذوقها، ومن أجل هذا كان طهى كل أمة يخالف طهى الأمة الأخرى — ولا يقتصر هذا على نوع المأكول بل يتعداه الى كيفية اعداده، وبذا نستطيع أن نحكم على الأمة بأنها تستجيد كذا من ألوان الطعام وأنواعه، على حين أن الأمة الاخرى لا تستسيغه ولا تتذوقه

ومثل الطعوم غيرها من الفنون، فالذوق العام المصرى يقدر الموسيقى المصرية أكثر مما يقدر الموسيقى الغربية، بل لا يستلذها ولا يرى فيها جمالا، كما أن أكثر الغربيين لا يجد فى الموسيقى الشرقية طعما، ولا يقيم لها وزنا

وكذلك أشكال البناء وما يستجاد منها وما لا يستجاد وأنواع الملابس وألوانها وما يستجمل منها وما يستهجن: كلها خاضعة للذوق العام فى الأمة. ولكل أمة فى هذه الشؤون ذوقها يميزها من غيرها ويضعها فى درجة خاصة من سلم الرقى

وهذا الذوق العام فى كل امة هو الذى يقوّم الادب ويتذوقه، وهو الذى يجعل لكل أمة أدبا خاصا، فالادب المصرى مثله مثل الطعوم المصرية، والغناء المصرى والبناء المصرى انما يتذوقه المصريون بذوقهم العام ولا يتذوقه الغربيون بذوقهم العام، كما لا يتذوقون طعومنا وغناءنا. فالنوادر المصرية التى تعجب المصرى حتى تبعثه على أشد الضحك وأعمقه قد لا تحمل الاجنبى على التبسم. والقصص والحواديت المصرية التى تسترق لب المصرى وتستهويه، قد لا يأبه لها الاوربى ولا يعيرها التفاتا اذا ترجمت له — نعم قد يعجب المصرى بآيات من الآداب الغربية ولكنه لا يتم له ذلك الا بعد ان يحور ذوقه ويمرنه تمرينا طويلا على تذوق هذا الادب، كما يمرن المصرى ذوقه على استجادة الموسيقى الغربية فيستجيدها بعد طول المران، ولكن هذا ليس من الذوق العام فى شىء

كما لا نستطيع ان ننكر ان هناك نوعا من الادب عالميا اذا ترجم الى أية لغة استجيد كنوع من القصص، ونوع من الامثال، ولكن سبب ذلك ان هناك قدرا مشتركا بين الاذواق، كما ان هناك قدرا مشتركا بين العقول، فاستجادة المصريين لبعض الأدب الغربى أو الغربيين لبعض الادب العربى، شأنها شأن اشتراك الناس جميعا فى استجادة بعض الطعوم أو بعض قطع الموسيقى، وهذا لا يغير فيما ادعينا شيئا من ان لكل أمة ذوقا عاما خاصا بها

وهذا الذوق العام للامة يستبد بالأفراد استبدادا لا حد له، فالناس جميعا خاضعون لأنواع شتى من الاستبداد كاستبداد النظم السياسية، واستبداد العقول، واستبداد الرؤساء. ولكن هذه كلها محدودة الدائرة. أما استبداد الذوق العام فلا حد له، ولا سلطان يشبه سلطانه، ذلك أنه بجانب الذوق العام للأمة ذوق خاص بالفرد، فكل فرد له ذوقه الخاص يستجيد به بعض الاشياء، ولا يستجيد بعضا، ويستحسن به ويستهجن، ويستجمل ويستقبح، ولكنه فى كل ذلك مسلوب الحرية خاضع خضوعا تاما للذوق العام. قد يشتد الحر فلا يطيق الانسان نفسه، وقد يكون فى نوع من اللبس ما يخفف وطأته ويكسر من حدته، ولكن لا بد أن تخضع للذوق العام، فتلبس الخناق ورباط الرقبة وما الى ذلك خضوعا للذوق العام

وخشية من استهجانه، فليس انسان يلبس ما يحب ولا يأكل ما يحب على النمط الذى يحب، ولا يتكلم كما يحب على النمط الذى يحب، انما هو فى كل ذلك عبد أسير ذليل مقيد مغلول، فى كل خطوة يخطوها، وفى كل نفس يتنفسه — لقد قيدتنا القوانين بأعمال يجب أن نعملها، وأعمال يجب أن نتجنبها، ولكنها ليست بشىء بجانب أوامر الذوق العام ونواهيـــه — وعقوبات الذوق العام سريعة فاتكة متنوعة، فهو يعاقب بالاحتقار والازدراء، ويعاقب بالنظر الشزر، والكلمة الجارحة القاسية، ويعاقب بالنقد والتجريح، وهو فى كل ذلك لا يسمع دفاعا ولا يقبل عذرا، ولا يؤجل عقوبة، ولا يقبل حكمه نقضا وإبراما، ولا يعرف حكما مع ايقاف التنفيذ — لا شىء من ذلك كله ولكن حكمه حكم صارم، قاس ظالم

وكذلك الشأن فى كل نوع من أنواع الفنون، فاذا اشتهر مغن وأعجب ذوق الجمهور فلاحق لك ان تعيبه، واذا عبته فعبه سرا، وحذار أن تجهر بذلك فيكون دليلا على فساد ذوقك وضعف حسك

ومثل ذلك فى الأدب — إذا قال الناس ان سحبان وائل خطيب يضرب به المثل فى البيان، فيقال أفصح من سحبان فقل مثلهم وان كنت لم تقف على شىء يثبت فصاحته ويبرهن على بلاغته، وان فتشت عن كل أقواله فلم تجد الا اسطرا ثلاثة قال فيها ان الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، الخ ولم تستجد هذا فاتهم ذوقك وكرر قولهم: «أبلغ من سحبان»

واذا قالوا ان من أبلغ خطب العرب خطبة قس بن ساعدة: ايها الناس اسمعوا وعوا، واذا وعيتم فانتفعوا، الخ فقل كما قالوا وان لم تتذوق

واذا قالوا إن النابغة الذبيانى فضل الشعراء بقوله:

هذا غلام حسن وجهه — مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الاكبر والحارث الـ — أصغر والاعرج خير الانام
ثم لهند ولهند وقد — أسرع فى الخيرات منه أمام
خمسة آباء هم ما هم — هم خير من يشرب صوب الغمام

ثم قرأتها ولم تشعر لها بطعم، ولم تر عك ألفاظها ومعانيها فقل ان النابغة فضل الشعراء بها، والا اتهمت فى ذوقك ورميت بضعف أدبك.

وكذلك فاخضع دائما لحكمهم وذوقهم، فمن قالوا فيه انه امام الأدب أو سيد الشعراء غير مدافع، أو قالوا انه شاعر متكلف، أو أديب متخلف، فأياك ان تحدثك نفسك بان تقلب اوضاعهم أو تخالف إجماعهم

هكذا استبداد الذوق العام، ولست تستطيع الخروج عليه واعلان استقلال ذوقك عنه الا بثورة عنيفة على الذوق وتعرض لكل أنواع العقوبات الذوقية

ooo

ثم ان كل ما ترى فى الامة من مظاهر القبح والقرارة فعلته ضعف الذوق العام — فاذا رأيت الامة تصدف عما فى بلادها من أزهار، ولا يخفق قلبها لرؤية جمالها وجمال طبيعتها، ولا تتغزل فى محاسنها، فاعلم إن سبب ذلك ضعف الذوق العام، واذا رأيت الامة لا تقدس النظافة ولا تشمئز من القذارة اشمئزازها من أبغض شىء وأقبحه، فعلل ذلك بضعف الذوق العام، واذا رأيتنا فى المجتمعات لا نرعى نظاما ولا ننصت لفن أو ممثل ولا نتقيد بآداب اللياقة فقل انه ضعف الذوق العام وهكذا...

ومن الغريب أن هذا الذوق العام الذى يستبد بى فى مأكلى وملبسى ومسمعى وأدبى — كما رأيت — لا يستبد فى هذه الاشياء، ولا يبدى أى سلطان على هذا النوع من الضعف، فهو لا يحتقر المرء لا يقوم الزهر، ولا يزدرى من يسىء فى المجتمعات العامة، ولكن يزدريني اذا خرجت من غير طربوش أو رباط رقبة فى يوم حار، وسبب ذلك أن الذوق العام لا يعاقب الا على ما يتذوق، وفى دائرة ما يفهم، فهو اذا قوم مناظر الطبيعة عاقب من لم يتذوقها، واذا أدرك جمال النظام وآداب المجتمعات عاقب من مسها بسوء، ولما يصل الى هذه الدرجة

ooo

وبعد فشأن الذوق العام شأن الرأى العام كلاهما قابل للاصلاح والرقى، فالرأى العام ضعيف وسخيف اذا صدر عن أمة جاهلة، ويرقى الرأى العام بانتشار الثقافة وتعميم التربية، ويدل تاريخ كل أمة على أنها فى أول أمرها لا يكون لها رأى عام، ثم تمنح أفرادا قليلين أقوياء، زعماء مثقفين يوفقون فى دعوتهم فيخلقون رأيا عاما، وإن هؤلاء القادة يجب ان

يستفيقوا بنوع من الثقافة العامة في الامة حتى تستطيع ان تفهم قادتها وآراءهم فيأتي هؤلاء القادة فيكونون ارادة عامة للامة ، ويؤلفون بين اتجاهاتها ويكونون منها وحدة

ومما نأسف له أن مجهودات كبيرة بذلت في ترقية الثقافة العقلية ، وبرامج كثيرة وضعت في تعميم التربية العقلية وفي تكوين الرأي العام ، ولكن لم توضع برامج لتربية الذوق العام ، ولا بذل مجهود في ترقيته ورفع مستواه ، فكان لنا زعماء سياسيون وزعماء عقليون ولكن لم يكن لنا زعماء ذوقيون

وفي ظني أن الذين يبحثون في ترقية الفنون عامة من موسيقى ونقش وتصوير وأدب مخطئون كل الخطأ ، لأنهم يحاولون أن يصلحوا النتائج من غير أن يصلحوا المقدمات ، فليس الفنان في الامة الا صدى لذوقها العام ، فاذا صح الذوق صح الفن والا فلا ليس الفن والادب من جنس النباتات التي تنبت من تلقاء نفسها . ولا هو مما يظهر مصادفة واتفاقا وانما هو نتيجة لازمة لعوامل طبيعية سأحاول ان أبينها في مقال تال .

احمد امين

صور من التاريخ الاسلامي

— ٤ —

محمد بن القاسم الثقفي

٧٣ — ٩٦ هـ

للاستاذ عبد الحميد العبادي

لو أن من يدرس تاريخ الأمة العربية فتش في ثنايا هذا التاريخ عن شخصية تتمثل فيها سجايا تلك الأمة الكبيرة وعناصر قوتها لما وجد أجمع لتلك السجايا وهذه العناصر من شخصية الفتى الشهيد والفاتح العظيم ، والشاعر الحساس ، محمد بن القاسم الثقفي الذي شرع في غزو السند في السابعة عشرة من عمره وأتمه ولما يتجاوز الثالثة والعشرين فادخل بذلك في الهند الثقافة الاسلامية التي يدين بها في الوقت الحاضر زهاء ثمانين مليوناً من أهلها . انها شخصية تجمع الى فتاء السن حنكة الكهولة ، والى خشونة الجندي رقة الشاعر والى الحرص على الدنيا زهد الفيلسوف وطمأنينة الحكيم . . وكل هذه صفات اتصف بها العرب في نهضتهم التاريخية الكبرى التي رجت العالم القديم فنبهته من سباته ورسمت للتاريخ مجرى جديداً !

وهو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، فهو من ثقيف المشهورة في الجاهلية والاسلام بقوة الدهاء وسعة الحيلة ومضاء العزيمة ، ثم هو ابن عم الحجاج أمير العراق ورجل الدولة الاسلامية في الربع الأخير من القرن الأول الهجري . يلتقي نسبهما في الحكم بن أبي عقيل . ولد حوالى سنة ٧٣ هـ ، ونقع الحوادث مثار وريح الفتن نكباء ، والسيوف يتجاوب صليلها في فارس والعراق والحجاز وأفريقية ، فجعل غلامنا يتنفس في جو مكفهر عابس ولقف صناعة الحرب سماعا وعيانا ، ثم شاء ربك رحمة منه بالناس أن يكون الى جانب هذه الحياة القلقة المضطربة الخائفة حياة أخرى آمنة هادئة هي حياة الأدب الذي يتمثل في الشعر الغنائي الرقيق المأثور عن ابن أبي ربيعة وجميل وكثير والنميري وغيرهم من شعراء ذلك الزمان . فعشا نظر الفتى الثقفي الحائر الى ذلك النور المشرق . فجاءه واهتدى به ، وهفت نفسه العطشى الى ذلك المورد العذب فورده وارتوى منه ، وبذلك اعتدل مزاجه ، ورقت حواشي نفسه وأصبح

وهو فى السابعة عشرة من عمره أشرف ثقفى فى زمانه كما يقول صاحب الأغانى ، وأقبل الحجاج وهو هو فى نقد الرجال وتمييز الكفايات يعقد به آمالا كبارا ، ويرشحه على حداثة سنه للأمر الجليل بعد الأمر الجليل .

لم يكد ينتصف العقد التاسع من القرن الأول الهجرى حتى كانت الفتن التى صدعت وحدة الدولة الأسلامية من بعد معاوية قد ركدت ريحها ، فانتهت ثورة ابن الزبير بالحجاز ، وكسرت شوكة الخوارج بفارس ، وسكنت العاصفة الهوجاء التى أثارها ابن الاشعث بالعراق . هنالك عاود العرب حبهم القديم للفتح والتغلب ، وكان الحجاج واضع سياسة ذلك الاتجاه الجديد ومنفذها ، فغزا قتيبة بن مسلم ما وراء النهر وأوغل فيها ، وتوطد سلطان الدولة ببلاد عمان ، وغزا موسى بن نصير المغرب وقرع أبواب الأندلس نفسها . وقد أراد الحجاج أن تأخذ ثقيف بنصيبها من شرف هذه الفتوح الجسام ، فأغزى ابن عمه محمد بن القاسم السند التى هى مدخل ذلك العالم الزاخر بالناس والحافل بالخيرات ، والذى يسمى بلاد الهند

الحق ان الحجاج لم يبتكر سياسة غزو الهند فقد عرف هذه البلاد عرب شرقى الجزيرة منذ الجاهلية ، وطالما ركبوا البحر الى شواطئها مستبضعين وتجارا ، فلما قامت الدولة الاسلامية طمعوا فى غزوها وتملكها ، يروى صاحب فتوح البلدان ، ان عمر بن الخطاب ولى عثمان بن ابى العاص الثقفى البحرين وعمان سنة ١٥ ھ فوجه أخاه الحكم الى البحرين ومضى الى عمان ، فأقطع جيشا الى تانه (قريب من موقع بومباى الحاضرة) فلما رجع الجيش كتب الى عمر يعلمه ، فكتب اليه عمر : يا أخا ثقيف حملت دودا على عود ، وانى أحلف بالله ان لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم ، وتتابعت غارات عرب البحرين من عبد القيس وغيرها على شواطىء الهند وجزائرها وخاصة جزيرة سيلان التى كان يقال لها اذ ذاك جزيرة الياقوت لحسن وجوه نسائها فمن هؤلاء العرب من أفلح فى المقام بها ومنهم من عاد الى بلاده وملء يديه السبى الرائع والمغنم الوافر. هذا من ناحية العرب ، اما من ناحية الهند انفسهم فقد هاجرت منهم فى الجاهليـــة طوائف الى رأس الخليج الفارسى وخضعت للدولة الفارسية القديمة ، فلما مصرت البصرة نزلوها وحالفوا من بها من العرب .

فلما كان زمن الحجاج أغزى عماله على مكران ثغر السند فكلهم كان ينكب او يقتل ، وأرض السند عبارة عن حوض نهر السند العظيم تنزلها قبائل عديدة قوية نذكر منها الزط والسيابجة والميد والبرهة .

وكان بالسند بلدان كثيرة منتشرة فى اهضام الأودية ورؤوس الجبال . منها الديبل ، وكانت ثغر السند قبـــل كراتشى الحاضرة ويرهمنا باذ وراور والملتان ، وكانت هذه البلدان قوية غنية بمعابدها البوذية القديمة وخاصة معبد الملتان . قال البلاذرى : وكان بد الملتان تهدى اليه الأموال ، وتنذر له النذور ، ويحج اليه السند ، ويطوفون به ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده ، ويزعمون ان صنما فيه هو ايوب النبى صلعم . اما من الناحية السياسية فقد كان يتوزع بلدان السند وقبائلهم عدة ملوك متقاطعى الكلمة مختلفى الأهواء ، وكان اقواهم سلطانا إبان غزو العرب للسند ملك يقال له داهر ، فهو الذى أشجى قواد الحجاج وأذاقهم مرارة الهزيمة المرة بعد المرة . والطريف ان مصرع هؤلاء القواد لم يحمل الحجاج على الجد فى قتال داهر بمقدار ما حمله عليه استغاثة امرأة عربية اعتدى عليها وعلى نسوة عربيات كن معها بعض قراصين البحر من أهل السند التابعين لداهر .

وذلك ان ملك جزيرة الياقوت فيما يروى البلاذرى ، أراد التقرب من الحجاج فأهدى اليه نسوة ولدن فى بلاده مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجارا ، فعرض للسفينة التى كن فيها قراصين من ميد الديبل فأخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن من بنى يربوع : ياحجاج ! وبلغ الحجاج ذلك ، فقال يا لبيك ! وأرسل من فوره الى داهر يسأله تخلية النسوة . فأجاب بانه إنما اخذهن لصوص لا يقدر له عليهم . فأغزى الحجاج اثنين من عماله ثغر السند فكلاهما قتل ، فاهتاج الحجاج وتجرد لقتال داهر ، وكان قد أعد محمد بن القاسم لغزو الرى فلما حدث ما حدث على حدود السند رأى فى هذا الشاب من يرأب الصدع ويدرك الثأر ، فرده عن غزو الرى وعقد له على مكران وثغر السند ، وأمره أن يقيم بشيراز حتى توافيه القوة التى أخذ يعدها لقتال داهر .

كانت هذه القوة مؤلفة من جيش واسطول ، اما الجيش فكانت عدته زهاء عشرين الف مقاتل منهم ستة آلاف فارس من جند الشام الذين كانوا عدة الدولة الاموية ومعولها والذين وطأوا للامويين اكناف ملكهم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . واما الاسطول فكان يحمل المشاة والمؤن وعدد الحرب الثقيلة . ومن هذه خمس مجانيق ضخام ، يقال لأكبرها (العروس) ويروى البلاذرى انه كان يمد فيها خمسمائة رجل . وبالغ الحجاج على عادته فى اعداد الجيش حتى أنه . . . . جهزه بكل ما احتاج اليه من الخيوط والمسال وعمد الى القطن المحلوج فنقع فى الخل الخمر الحاذق ثم جفف فى الظل ، فقال اذا صرتم الى السند فان الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن

ثم اطبخوا به واصطبغوا ، ثم تقدم الى محمد الا يقطع عنه اخباره بحيث تختلف البريد بينهما مرة كل ثلاثة أيام .

خرج محمد بن القاسم بجيشه من شيراز عام سنة ٩٠ هـ فسار مشرقا متبعاً ساحل البحر يطوى الحزون والسهول ، ويجوب المهامه والقفار ، ويحدوه ما يحدو الشباب الحى من حب للمجد وتعلق باسباب المعالى ، فتغلب على صحارى كرمان ومكران ، وبلغ الديبل سالما . ولم يكد يحط رحاله حتى كان الاسطول قد وافاه بها . فشرع من فورة فى مهاجمة المدينة . قال صاحب فتوح البلدان « فقدم الديبل يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وركزت الرماح على الخندق ونشرت الاعلام وأنزل الناس على راياتهم ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس كان يمد فيها خمسمائة رجل . وكان بالديبل (بد) عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل (سهم السفينة) راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور . . . . . . وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيما يعمل به فى كل ثلاثة ايام . فورد على محمد من الحجاج كتاب ان انصب العروس واقصر منها قائمة ، ولتكن مما يلى المشرق ، ثم ادع صاحبها فمره ان يقصد برميته الدقل الذى وصفت لى . فرمى الدقل فكسر ، فاشتد طرة (جزع) الكفر من ذلك . ثم ان محمداً ناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم وامر بالسلاليم فوضعت وصعد عليها الرجال . . . فتحت عنوة . . . . وهرب عامل داهر عنها . . . . واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً وانزلها اربعة آلاف » . ثم سار محمد مصعداً مع النهر يريد داهر ، وعظم جيشه فاستولى على مدينة الرور صلحاً . وانضم اليه على اثر ذلك اربعة آلاف من الزط ، وصار كثير من قبائل السند عونا له فى حربه مع داهر . ثم عبر نهر مهران والتقى بداهر وجيشه . وكان على فيل عظيم ومن حوله الجند على فيلة تنذر محمداً وجيشه بفتك ذريع ، ولكن محمدا اتقى شر الفيلة بقذائف النفط الملتهب يرميها بها فهاجت واحترقت هوادجها بمن فيها من الجند ، ونشب بين الفريقين قتال هائل انجلى عن قتل داهر وتمزق جيشه . وتراجع فلوله الى مدينة برهمنا باذ ، واقتفى محمد اثر تلك الفلول فاستولى على مدينة راور فبرهمنا باذ نفسها ؛ ومن ثم زحف فى مدينة الرور فحاصرها اشهرا ، ثم دانت له على ان يحقن دماء أهلها وألا يعرض لبدهم ، وان يؤدوا اليه الخراج . وقد وفى لهم بشرطهم . وبنى بالمدينة مسجدا . ثم قطع نهر بياس الى الملتان اعظم بلدان السند العليا فامتنعت عليه أول الأمر ثم استولى عليها بدلالة رجل من اهلها له . ووضع يده على اموال جسيمة كانت بمعبدها البوذى .

كانت الملتان اقصى ما وصل اليه ابن القاسم من ناحية الشمال ، قال البلاذرى : « ونظر الحجاج فاذا هو قد انفق على محمد بن القاسم ستين الف الف درهم ، ووجد ما حمل اليه عشرين ومائة الف الف ، فقال : شفينا غيظنا وادركنا ثأرنا وازددنا ستين الف الف درهم ورأس داهر »

اخذت الملتان سنة ٩٥ هـ وعلى اثر ذلك اتت محمداً وفاة الحجاج فقفل راجعا نحو الجنوب مستولياً فى طريقه على مدن لملوك آخرين غير داهر ، وكان آخر ما فتح مدينة يقال لها (الكيرج) استولى عليها عنوة سنة ٩٦ هـ ثم اتاه نعى الخليفة الوليد بن عبد الملك وولاية اخيه سليمان ، فلم يبرح تلك المدينة ، وقلب له الدهر من ذلك الوقت ظهر المجن ، واخذ نجمه فى الأفول

لاشك أن الحجاج كان موفقا عندما عهد الى ذلك الشاب قيادة تلك الحملة الخطيرة . فان محمدا بحداثة سنه وصدق فروسيته قد ملك زمام اصحابه . فلا نسمع ان احدا منهم حدثته نفسه بخلاف عليه او عصيان له . ثم انه بهذه الخلال نفسها وبرجاحة عقله وسعة حلمه اجتذب قلوب السند انفسهم ، فقد قارنوا بينه وبين ملوكهم المترفين المتجبرين المتخاذلين فلم يتمالك كثير من قبائلهم أن اعطاه الطاعة وأخذ جانبه فى الحرب كما سبق القول . ويروى انه عندما شرط عليه اهل مدينة الرور الا يقرب بدهم وفى لهم بذلك وقال : « ما البد الا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس » . وكانت حكومته ايامه عادلة ، رفيقة اذا قيست بحكومة ملوكهم وامرائهم ؛ فقد تقدم الى عماله بهذه النصيحة : « أنصفوا الناس من انفسكم . واذا كانت قسمة فاقسموا بالسوية ، وراعوا فى فرض الخراج مقدرة الناس على ادائه ولا تختلفوا ولا تنازعوا فتشقى بكم البلاد » . ثم انه كان مدركا كل الادراك ان عليه واجبين عظيمين : عليه ان ينشر فى البلدان التى فتحها الثقافة الاسلامية ، وان يصل بين الشرق والعرب الاسلاميين . من اجل ذلك كان اذا فتح مدينة أنزلها بعض اصحابه ، وبنى بها مسجدا . ومن اجل ذلك نقل طوائف من الزط والسيابجة الى العراق . فانزل الحجاج بعضهم كورة كسكر بفارس . ووجه بقيتهم الى الخليفة ، فانزلهم انطاكية وسواحل الشام لينتفع بخبرتهم البحرية فى قتال الروم . كذلك ارسل الى الحجاج فيلة سميت بعضها مشرعة الفيل التى كانت بواسط .

كما بعث اليه بآلاف من الجواميس السندية ،فاطلق الحجاج بعضها في آجام كسكر و كور دجلة ،وبعث كثيرا منها الى الخليفة فاطلقها فى الآجام التى بين انطاكية والمصيصة ، واتقى بها سباع تلك الآجام وكانت قد كثرت وأخافت السابلة . وقد نمت هذه الماشية بالعراق على مر الزمن حتى اصبحت من اسباب ثروته الاقتصادية فى الوقت الحاضر .

تلك غزوة محمد بن القاسم للسند . انها لاشك تذكرنا بغزو الاسكندر المقدونى لتلك البلاد نفسها فى أخريات القرن الرابع قبل الميلاد . فالغزوتان تتشابهان من عدة وجوه ، تتشابهان من حيث ان كلتيهما برية بحرية الى حد بعيد ، ومن حيث حداثة كلا الفاتحين وكفايته ، ومن حيث ان كليهما نهج فى نشر ثقافته بالسند نفس المنهج الذى نهجه الآخر ، ومن حيث ان كليهما كان يهدى الى استاذه طرفا من طرف فتوحه ويراسله مستطلعا رأيه ؛ فالفاتح المقدونى كان يهدى الى ارسطو ويراسله ، والفاتح العربى كان يهدى الى الحجاج ويراسله مصدرا فى بعض المواقف عن رأيه . ولو ان أهل السند الذين غزاهم ابن القاسم ، والذين قد يكون منهم من يدين بشرعة التناسخ ذكروا تاريخ بلادهم القديم فربما رأوا فى الفاتح العربى الحديث انبعاث روح الفاتح المقدونى القديم .

* * * *

وبعد فماذا كان مصير ذلك الفاتح العظيم ؟ لقد جوزى جزاء سنمار وصار الى شر مصير . فقد نكبه الخليفة سليمان بن عبد الملك نكبة كان فيها تلف مهجته وبوار نفسه . والمصادر القديمة مختلفة فى تعليل تلك النكبة : فالمصادر الفارسية ، وهى حديثة نسبيا وغير موثوق بها تزعم ان بنات داهر أفضين الى الخليفة بان ابن القاسم عبث بهن ، فاضطرم الخليفة غيظا وأمر بمحمد فوضع فى أديم بقرة ثم خيط عليه الأديم وحمل الى دمشق ففاضت روحه بالطريق ، فلما بلغ بنات داهر مصرع الفتى استشعرن الندم وقلن انهن تجنين على ابن القاسم انتقاما ممن قتل اباهن وثل عرشه ، فاشتد غضب الخليفة عند ذلك وأمر بهن فقتلن شر قتلة . اما المصادر العربية وهى أقدم من المصادر الفارسية وأوثق فلا تذكر شيئا من أمر النسوة ، ويؤخذ منها ان الخليفة سليمان بن عبد الملك كان مضطغنا على الحجاج لانه كان قد زين للخليفة الوليد ابن عبد الملك خلع سليمان من ولاية العهد : اما وقد فارق الحجاج هذه الدنيا فقد رأى سليمان ان يشفى غيظه من أقربائه متأثرا فى ذلك بنظام الثأر عند العرب . وقد اذكى نار الحقد والموجدة فى فى صدره رجلان كلاهما قد وتره الحجاج و كلاهما كان متأثرا بالعصبية القبلية بين قيس واليمن : احدهما يزيد ابن المهلب وكان أثيرا مكينا لدى الخليفة ، والآخر صالح بن عبد الرحمن وقد ولاه سليمان خراج العراق .

عزل محمد عن السند وولى مكانه يزيد بن ابى كبشة السكسكى فأخذ محمدا وقيده وسيره الى العراق مع رجل من بنى المهلب على حال حركت قلوب أهل السند فبكوا عليه وصوروه اهل الكيرج بمدينتهم التى كان منها شخوصه ، وقد تلقى محمد المحنة صابرا محتسبا ولم يكن فى محنته اقل شجاعة وصبرا وأنفة منه وقت الحرب وحين الباس والغريب انه على اخلاص اصحابه له وعطف السند عليه لم تحدثه نفسه بالخلاف والانتقاض . والظاهر انه ايقن ان قد ادى واجبه وان الحياة اصبحت بعد ذلك لغوا وفضولا لا طائل فيه . وقد جعل يسرى عن نفسه بمقطوعات من الشعر ضمنها آلامه وخواطر نفسه . فمن ذلك قوله مشيرا الى انه لو اراد الثورة لشق على اعدائه نهضه .

ولو كنت اجمعت القرار لوطئت
اناث اعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك ارضنا
ولا كان من عك على امير
ولا كنت للعبد المزونى تابعا
فيالك دهر بالكرام عثور !

ولما صار الى واسط حبسه صالح بن عبد الرحمن فقال :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها
رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرب فتية فارس قد رعتها
ولرب قرن قد تركت قتيلا

وعذبه صالح فى رجال من اقرباء الحجاج حتى قتلهم ، فطفق الشعراء يرثون محمدا ويذكرون فضائله ، فمن ذلك قول بعضهم :

ان المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

وقال آخر

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
ولداته عن ذاك فى اشغال

تلك خاتمة فتى فتيان العرب وسيد فرسانهم غير مدافع . فمن مبلغ مسلمى الارض عامة والهند خاصة ان الدوحة الإسلامية العالية التى أظلت بلاد الهند طوال العصور الوسطى ، انما كانت غرس ذلك الفتى العربى النبيل ؟ فليذكر ذلك الذاكرون فقد تبل الذكرى رفات ذلك الشهيد فى قبره ، بعد ان عدم حيا من يحمد بلاءه او يرحم شبابه ؟

... ثم ارادت ان تجعل منه رجلا!

للدكتور محمد عوض محمد

لقد قضى الأمر ، وزوجت منه !...

فيا للعجب ! كيف ألم بالدهر هذا الحادث الخطير ، والشمس مابرحت في السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض مازالت تدور حول محورها المائل المنحرف ، وتطوف من حول الشمس وتمعن في الطواف ؟ . والقمر ؟ أجل والقمر لم يزل يتنقل بين منازله المقدرة له من الأزل ... فكيف اذن نزل ذلك الخطب ؟

أ كبر الظن أن القمر المذكور هو سبب تلك النكبة . أجل هو وحده المسئول عن تلك الكارثة . فان ليلى قد التقت بأحمد من قبل مرارا ، في وضح النهار ، فلم تر فيه الا في حسن الصورة ، ولم تحس نحوه ميلا ولا حبا .. لكنها التقت به بعد ذلك على شاطىء النيل ، في ليلة يلمع فيها بدر التم : فاذا القمر يوسوس في صدرها ، ويثير في فكرها الأوهام ، ويريها صورة ذلك الفتى ، وكأنها تمثال لكل ما يتوق اليه قلب المرأة التواق من سحر وجمال وشعر وأحلام أما صوته المتكسر الواهي ، فكان يرن في أذنيها كالموسيقى العذبة لكنها كانت من طراز موسيقى شوبرت الرقيقة ، لاموسيقى واغنر العنيفة القوية . ولقد ساورها الشك لحظة ، وأرادت أن تسأل نفسها : «أنى لرجل كامل الرجولة أن يكون في صوته كل هذه الرقة وهذا التكسر ؟ » لكن القمر لم يدعها طويلا تتلاعب بها الشكوك ، بل أوحى اليها بسرعة أن ذلك من أثر العشق الذى استحوذ على أحمد ، فرقق من صوته وأكسبه كل هذا اللين والعذوبة والخور !. وكان القمر في هذا كاذبا ؛ والحقيقة أن أحمد كان من ذلك الجنس الناعم الخائر الذى يبرأ منه الرجال والنساء على السواء .

فلم تنقض تلك الليلة المقمرة الساحرة حتى كان الحب مالئا قلب ليلى ؛ وقد جعل على عينها غشاوة لن يزيلها ألا تعاقب الليل والنهار .

وهكذا تم النصر للقمر الماكر ! ويا ليت الزهرة كانت في السماء تلك الليلة ، اذن لمحضت ليلى النصح ، وفتحت عينها لما هو محدق بها من الخطر ؛ لكن الزهرة لم تكن — يا للاسف ! — في السماء . وهل في الدهر سواها نصير للفتيات يردعهن عن الغوائل ، ويهديهن سواء السبيل ، ويأخذ بأيديهن كي لايترددين في كل هوة سخيفة ؟ أما القمر فنصير الفتيان ، وعلى الخصوص أولئك الفتيان الخائرون المتكسرون ، الذين يشبهونه بوجوههم المليحة الباعثة الشاحبة الخالية من كل قوة ونخوة .. ولم تك إلا أسابيع قلائل ، حتى زوجت منه وقضى الأمر ! والشمس مابرحت في السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض ما انفكت تدور حول محورها المائل المنحرف

* * *

ثم كان شهر العسل !

فأما الشهر فلم يكن كشهري وشهرك أيها القارىء ، مؤلفا من ثلاثين يوما ، أو واحد وثلاثين يوما على أكبر تقدير . بل لقد استطاع الحب — وهو ذلك الساحر البارع — أن يمسه بعصاه ، فاذا هو يمتد من أول مايو الى آخر اكتوبر ؛ وإن يوما عند الحب كألف يوم مما تعدون !

هذا ما كان من أمر الشهر ! وأما ما كان من أمر العسل فقد كان أريا شهيا ، وشهدا جنيا ، وحلاوة وعذوبة ليس وراءهما حلاوة ولا عذوبة ، وخمرة سائغة ، لم تتناولها بالتحريم شرائع السماء ، ولا قوانين الولايات المتحدة .

وظلا غارقين في ذلك البحر الخضم ، فلم تنتبه ليلى ، ولم تشأ أن تنتبه . وان كان في الغرق كل هذه السعادة والنعيم ، فالويل لمن يفكر في انقاذ الغرقى !

وسيقول الناس : ان الحب يعمى ويصم ، وأنا أربأ بالقارىء أن يكون ممن يرون هذا الرأى ، فان العمى والصمم هما — فيما يقال — عاهتان ، وما أبعد الحب — وأبعد به ! — أن يكون مسببا للآفات والعاهات ! وانما الصواب أن نقول ان الحب يضع على العينين عصابة من ذلك الطراز الجميل الذى يعصبون به عيني الثور حين يدور بالساقية ، فلا يزال يدور ثم يدور ، وهو يحسب نفسه قد طاف حول الكرة الأرضية .

وكذلك قد صور الحب لليلى أنها قد طافت العالم وأحرزت الدنيا بأسرها .

كل هذا ، والشمس مابرحت في السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض مازالت تدور حول محورها المائل المنحرف

***

ثم لم يكن بد من أن يجىء اليوم الهائل المحتوم ؛ بعد أن ولى الربيع ، وذهب في اثره الصيف ، وأتى بعدهما الخريف الذى لايدارى ولا يمارى ، بل يظهر الحقيقة عارية مجردة جافة .

وفي يوم من أيام الخريف بسط الدهر يديه القويتين فجأة . وكشف الغطاء عن عيني ليلى !.

نظرت ؛ فلم تصدق الرؤيا التي رأتها .. أجل وقد حسبتها رؤيا مما يراه النائم ، الغارق في نومه . وكبر مقتاً عندها أن يكون هذا مما تراه هي .. حتى في الحلم .. فجعلت تغمض عينها ، ثم تفتحهما . مرارا .. لا ! انها ليست نائمة ، وهذا الذي تراه ليس حلما !.. هو الحقيقة اذن ؟ . أجل وليس بمجديها أن تحاول انكارها .. صحيح اذن أنها رضيت أحمد هذا زوجا ، وأنه — ياللهول !— قد شغفها حبا فلم تكترث للناصحين والعذال .. رضيت بذلك الكائن الممسوخ زوجا ، ليكون لها في الحياة رفيقا وعدة وذخرا . ذلك المخلوق اللين المتكبر الخائر ، الذي ليس في قلبه همة ، ولا في رأسه نخوة ، ولا مطمح له في الحياة ولا مأرب ، ولا عزمة له ولا إرادة ! ان الناس تصفه ظلما بأنه يشبه النساء ، وهذا كذب ، بل كفر بل شر من الكفر ! ان النساء أجل وأكرم من أن ينتسب اليهن هذا المخلوق ، هذا اللين المتخنث ، هذا الناعم الخائر ، هذا التافه ذو الوجه (الكارت بوستال) .. ذو الصورة السينمائية الفاترة ، الخالية من كل روح ومعنى .

أبمثل هذا الشيء تجن هي ؟ .. ليلى ؟ ليلى التي طالما جشم أبوها نفسه وجشمها كل عناء وبلاء في سبيل تأديبها وتثقيفها ، لا يألو في ذلك جهدا ولا مالا ولا وسيلة ! ألم يهيىء لها الأسباب لتلقى العلم في مصر على خير أساتذة مصر ، وفي انجلترة في خير معاهد انجلترة وأعظمها جميعا ؟ . أجل وما أشد سرورها يوم ألفت نفسها ، وهي بنت النيل ، في نيونهام كولدج تتلقى العلم هي وبنات النبلاء جنبا لجنب ؛ وكان نجمها الساطع محلقا في السماء لا يعلو عليه نجم ، ولها بين صواحبها منزلة ومكانة وشهرة قد جاوزت نيونهام الى جميع دور العلم بكامبردج ؛ وملأ الاعجاب بليلى المصرية صدور الشباب من الطلبة ، والشيب من الاساتذة المحنكين .. ولقد طالما حاول الكثير من كرام الفتيان ان يتقرب اليها ، فكانت ترده في حزم ولطف وتواضع لم يزدها الا سموا وتقديرا ..

ثم تلك الرسالة البديعة التي كتبتها عن الفلسفة العربية : فكانت نصرا باهرا ، وتاجا براقا لتلك السنين الخمس ، التي قضتها في جد ودأب لا تعرف الدعة ولا الهوادة .

وهبطت مصر ، تزدحم في صدرها الآمال ، وتريد أن تتبوأ مكانها بين قومها لكي تعمل على نصرهم وسؤددهم ، بكل ما أوتيت من قوة وهمة ؛ ولم تجد بأسا في أن يكون لها في جهادها العنيف رفيق يشد أزرها ويقوي ساعدها . ولم تكن ليلى من النساء اللواتي أغلقت قلوبهن دون الحب برتاج غليظ ... ولكن شاءت المقادير العجيبة أن يكون رفيقها الذي تختاره وترتضيه هو ذلك المخلوق الناعم الخائر ذلك اللين المتخنث ، ذا الوجه الكارت بوستال

والشمس مازالت في السماء تجري لمستقر لها . والأرض مابرحت تدور حول محورها المائل المنحرف .

وجلست ليلى وهي تطل من نافذتها ، تنظر الى النيل اذ يندفع تياره من الجنوب الى الشمال ، والى أشجار الصفصاف ، وقد تدلت غصونها الى الماء كأنها عبرات تسيل ؛ والى السحب الحمراء قد خلفها الغروب . ومن دونها الأهرام قائمة على الأفق ، والى الزهرة في السماء تتألق وترقص بين السحاب .

أدركت ليلى أنها أخطأت .. أجل أخطأت برغم كل ما وعاه صدرها من علم وأدب وحكمة وفلسفة . وارتكاب الخطأ حق طبيعي لكل رجل ، بل ولكل امرأة أيضا ... الحيوانات لا تخطىء ، لأنها تصدر في أعمالها عن الغريزة ، والغريزة معصومة عن الزلل . أما أبناء آدم وبناته فيصدرون عن العقل ، وهو كثير العثرات .

اذن ليس ببدع أن تكون ليلى قد ارتكبت خطأ . وليس بعد الخطأ الا محاولة الاصلاح .. لكن كيف السبيل الى اصلاح هذا الخطأ ؟ ليست الأمراض سواء في قبولها للعلاج ، وليست الأخطاء سواء في قبولها للاصلاح ..

حاولت ليلى أن تلتمس الالهام مما تعلمه من حكمة وفلسفة . ولكنها لم تلبث أن تبينت أن ليس هذا بمجديها نفعا . ان للفلاسفة في هذا الموضوع الخطير آراء قلما تسمن أو تغني ...

ان (نيتشه) الذي تحبه لم يتزوج ، و (كانت) العظيم عاش عمره الطويل لم يتزوج ، وأبو العلاء لم يجن على أحد ، و (شوبنهاور) كثيرا ما كان يؤثر صحبة الكلاب على الخلان والاصدقاء : وسقراط وافلاطون ؟ ... أولى بها ألا تفكر الآن في سقراط وافلاطون ... لا .. ليس بنافعها أن ترجع الى القدماء ، كي يحلوا لها مشكلتها الحديثة .. لابد لها ان تركن الى نفسها وأن تعتمد على فلسفتها هي ..

أجل وان لها في هذا الامر لفلسفة خاصة ، ورأيا ستحاول انفاذه : انها سوف تصلح أمر أحمد . وسوف تقوم معوجه . وسوف تجعل منه رجلا ... هذا المرام البعيد ، الذي يراه الناس محالا ، كانت تحس في أعماق صدرها أنه ليس بمحال . أتراها

وفقت الى العثور على ذلك الحجر العزيز : حجر الفلاسفة فأمست قادرة على أن تحيل الخسيس نفيسا ، والدنئ رفيعا ؟

كلا ! ان ليلى لن تحاول أن تنال بغيتها عن طريق المعجزات . بل لقد رأت فى أمر زوجها رأيا ، حسبته رأيا سديدا ، وكان وليد تدبير طويل ، وتفكير عميق .. رأت أن أحمد تعوزه الرجولة ، فى مظهره ومخبره ، فى جسده وفى روحه ، فى حركاته وتفكيره. وقد علمت أن ليس اصلاح الروح بالشئ اليسر : لكنها تستطيع — على الأقل — أن تكسبه مظهر الرجال . فلتأمره اذن — وهو لها طيع ذلول — أن يلبس الخشن من الثياب : وأن ينعل الخشن من الأحذية : وأن ينطلق الى ضيعة ابيها فيقيم هنالك شهرين أو ثلاثة أشهر : يعمل فى حقولها كل يوم ، حارثا وزارعا وحاصدا ، وعليه أن يرسل لحيته وشاربه حتى يغطى الشعر وجهه ... ثم يعود اليها بعد ذلك ، وقد لبس حلة الرجولة سابغة شاملة : فمن يد خشنة الملمس ، الى ذراع قوية متينة : الى وجه قد لوحته الشمس يكسوه شارب طويل ولحية مرسلة . أما صوته الناعم الفاتر ، فلا بد أن يكتسب شيئاً من الخشونة من كثرة ندائه للثيرة ، وصياحه خلف المحاريث

وكانت ليلى تعلم أن هذه كلها ظواهر ، ليس فيها نفع ولا غناء ، ولكنها كانت مؤمنة بان اصلاح العرض سيفضى الى اصلاح الجوهر ، واصلاح الاناء وسيلة لاصلاح الشراب ؛ وأن أحمد لايلبث ان يكتسب مظهر الرجولة ، حتى تتسرب بعد ذلك الى لحمه ودمه بفضل مابين الروح والجسد من رباط متين .

وأحسبها قد اقتبست هذا الرأى من بعض مادرسته من فلسفة وحكمة ؛ لكنها كانت أشد ايمانا به من الحكماء الذين قالوا به . وما هى الا أيام قلائل حتى مضت فى تنفيذه . فانطلق احمد الى الريف وبقيت ليلى وحدها الليالى والأيام ترقب دورة الفلك ؛

. والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقرلها ، والأرض مافتئت تدور حول محورها المائل المنحرف ...

* * *

وفى مساء يوم عبوس متجهم من أيام أمشير ؛ تلبدت السماء بسحاب أسود قاتم ، وكان يعدو من المغرب الى المشرق ؛ طبقات بعضها فوق بعض ؛ تحمله فى السماء ريح عاصف .. وعلى الأرض زعزع نكباء تثير الموج على صفحات النيل ، وتهز جذوع الصفصاف هزا عنيفا ، وقد ثارت الزوابع تحمل العثير المطار الى كل عين وكل أنف .. ومشت ليلى نحو النافذة فأغلقتها فى بطء شديد وحزن شديد ، مطأطئة رأسها فى كآبة وكمد . ثم سقطت على سرير ممدود وجعلت تسفك العبرات وتعول بالبكاء .. بصوت لولا دوى الريح لأسمع من بالدار . وما أشد حاجتها فى ذلك المساء الى الوحدة والى البعد عن الناس والى البكاء تطفئ به ذلك الجحيم المستعر فى صدرها وفى أحشائها !

مسكينة ليلى ! ان فلسفتها قد خابت ؛ وتجربتها قد فشلت ! وكل هذا التقدير والتدبير والسعى والاحتيال لم يصادف الا حبوطا أليما ، وخيبة قاتلة . ان الداء كان عضالا : والسم قد سرى الى الرأس والأوصال ، والعرق والعصب ؛ فاستفحل واستمكن ، ولات حين علاج ، ولات حين شفاء ...

واختلط الحزن فى قلبها ، وألح عليها من كل جانب ، فليس يدرى أى خطبيها أشد وأقتل : فشل تلك التجربة وذلك الرأى السديد الذى حسبته زبدة الحكمة وخلاصة الفلسفة ، أم كارثتها فى هذا المخلوق الذى بات حتما عليها أن ترضاه ، وهو دون الرضى ؛ وأن تعتمد عليه فى الحياة : وهو ذلك الرطب العاجز المائع

لقد فشل تدبيرها فشلا ذريعا ؛ فان المسكين لم يطق الريف ، ولم يلبث أن اسأمه وأضناه ؛ فقضى أيامه هناك بين سقم ، وبين الافاقة من سقم ، حتى أشفقت عليه ليلى وأذنت له أن يعود .. أما ذلك الشعر القليل الذى نبت على خديه وشفتيه ، فلم يك الا غشاء رقيقا تافها ؛ لم يقربه من الرجولة قيد شعرة .

مسكينة ليلى ! ان الرزء الذى رزئته لشديد . ولم يبق لها من وسيلة تتوسل بها سوى الصبر . والصبر أوهى الوسائل ... وما أشد حاجتها لأن يكون لديها من هذه الوسيلة الواهية ذخيرة لاتنفد ، ذخيرة تكفيها العمر كله ... لابد أن يكون فى العالم شهداء يحملون الارزاء ، فلا رأى اليوم الا أن تكون كاحدهم . ولئن كان رزؤها هـــذا من صنع يديها ؛ فما أحقها بحمله والاضطلاع به .. مدى الحياة !

لقد سخرت منها المقادير ؛ حين أرتها الحياة حلما زاهيا ، وزهرا نضيرا ، واليوم وقد آن للزهر أن يحول ثمرا و للدوحة أن تؤتى أكلها ، إذا الاقدار تسلط عليها هذا السقم العضال يذويها و يفنيها لم يبق لها بد اذن من ان تودع هذه الأحلام جوف الثرى ؛ فى غير رحمة ولا هوادة ، وتستقبل هذا العهد الجديد ؛ عهد الشهداء الصابرين فى قوة وجلد :

لاجرم ان الانتقال الى تلك الحال ليس بالشئ اليسير ، ولكن

العرب والفرس قبل الاسلام

للدكتور عبد الوهاب عزام

سأجمل في هذا المقال ، مايعرفه التاريخ وترويه الأساطير من الصلات بين العرب والفرس قبل الاسلام ، وعسى أن يكشف التاريخ عن صلات أخرى بين الأمتين ، أو يبين عن حقائق تفسر بعض هذه الأساطير

ويمكن تقسيم الروايات الى قسمين : ماقبل العهد الساساني وهي أساطير ، وما بعده وهي تاريخ أو قريب من التاريخ

قبل عهد الساسانيين

الأساطير تتفق عليها الكتب العربية والفارسية ، وأعظم مصادرها كتاب الشاهنامة للفردوسي ، ومنها :

١ — أسطورة الضحاك

وإجمالها أن الضحاك هذا كان ابن أمير عربي من أمراء اليمن اسمه مرداس تمثل له الشيطان في صورة شاب صبيح وزين له قتل أبيه فقتله ؛ ثم تمثل له في صورة طباخ وأعلمه أنه حاذق في تجويد الأطعمة ، خبير بأصنافها ، فاتخذه الضحاك طباخا له فطبخ له اللحم ، وكان الناس من قبل لايأكلونه ، فاستطاب الضحاك ألوان اللحم التي قدمها له طباخه فقربه وركن اليه .

ثم سأل الطباخ سيده أن يأذن له في تقبيل كتفيه ، فقبلهما ثم ساخ في الأرض فلم يعرف أثره ، ونبت على منكبي الضحاك سلعتان كأنهما حيتان ، فذعر لذلك واستدعى الأطباء فلم يهتدوا في أمرهما الى دواء . وكان الضحاك يحس لهما وجعا . فتمثل الشيطان في صورة طبيب وأشار على الامير أن يطلي السلعتين بأدمغة البشر ، ففعل وسكن الألم ، فدأب على ذلك لايستريح الا أن يقتل بعض الناس فيدهن بدماغهم حيتيه .

وكان جمشيد ملك الفرس قد عتا وتجبر وادعى الألوهية ، ففزع الفرس الى الضحاك يستغيثونه ، فسار اليهم في جند كثيف وتعقب جمشيد حتى قتله . ثم تسلط على بلاد الفرس وسام الناس ألوان العذاب حتى ثار به جاوه الحداد ودعا الناس الى تمليك أفريدون . وحارب أفريدون الضحاك فهزمه ، ثم أخذه فقيده وسجنه على جبال دماوند . ويقال ان جاوه الحداد حينما أزمع الثورة أخذ الجلدة التي كان يضعها على حجره حين طرق الحديد فعلقها في عصا وجعلها علم الثورة ، واتخذها الفرس من بعد لواء مقدسا سموه « العلم الجاوى » (درفش كاوياني)

واذا نظرنا الى تواريخ الشهنامة وجدنا الضحاك يتملك على ايران قبل الميلاد بألفين وثمانمائة سنة : وذلك يوافق عهد الدولة البابلية . فان كان وراء هذه الأسطورة حقيقة فهي تسلط الساميين على ايران . ويؤيد هذا أن كتاب الأبستاق يجعل مقر الضحاك مدينة بورى وهي بابل ، وكذلك نجد في نزهة القلوب للقزويني أن بابل كانت مستقر الضحاك ونمروذ

وقد أشار الى قصة الضحاك ابو تمام اذ قال :

ما نال ما قد نال فرعون ولا   هامان في الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك في سطواته   بالعالمين وأنت أفريدون

وافتخر أبو نواس بالضحاك في قصيدته التي يفخر فيها بقومه القحطانيين :

وكان منا الضحاك يعبده الـ   خابل والجن في مساربها(١)

٢ — وفي الشاهنامة وغيرها من الكتب العربية والفارسية أن أفريدون زوج أبناءه الثلاثة (تورا) و(سلما) و(ايرج) من ثلاث بنات لملك من ملوك اليمن ، وافريدون عند الآريين يشبه نوحا عند الساميين : نسل من ابنائه الثلاثة خلق كثير ، فتور ابو ملوك توران وايرج أبو ملوك ايران وسلم أبو ملوك الروم ، فالمصاهرة بين أفريدون وملك اليمن تجعل العرب أخوال كل من نسل من بني أفريدون

٣ — وكذلك نجد في الاساطير الفارسية أن مهراب ملك

(١) انظر فصل الضحاك في الشاهنامه وتعليقاتها

لعل اسابيع تقضيها — هي — في الريف ، في عزلة وتفكير ، ان تعدها لهذا العهد الجديد ، هذا العهد القاسي الشديد .

ونهضت متماسكة من سريرها ، وسارت الى النافذة ففتحتها ، وجلست على كرسي صغير بجانبها . . . وجعلت تنظر إلى الغيث وقد أخذ ينهمر مدرارا ، والى الرياح وهي تميله يمينا وشمالا . .

ثم أخذ ينهمر على خديها مطر غزير ، لم يكن مما أسقطه السحاب ، أو دفعته الرياح . . .

والشمس من خلف الأفق تجري لمستقر لها ، والارض ما برحت تدور حول محورها المائل المنحرف .

فيا عجبا لهذا الكوكب السخيف ! كيف آثر الانحراف على الاعتدال ، والميل على الاستقامة ؟

محمد عوض محمد

كابل في عهد الملك منوجهر عربي من نسل الضحاك: وأن (زال) بن سام تزوج بنت مهراب فولدت له رستم بطل أبطال الفرس. فرستم اذن له خؤولة في العرب

٤ — ومن الروايات التي هي أقرب الى التاريخ مما تقدم حرب كيكاوس وملك هاماوران (حمير) وأسر كيكاوس في بلاد اليمن، وتنازع أفراسياب ملك التورانيين والعرب على ملك ايران، ثم ذهاب رستم الى اليمن وتخليص كيكاوس. ويقول أبو نواس في القصيدة التي ذكرتها آنفا.

وقاظ (١) قابوس في سلاسلنا سنين سبعا وفت لحاسبها

وكان كيكاوس، في القرن العاشر قبل الميلاد في حساب الشاهنامه.

وفي بعض الكتب العربية أن ملك اليمن اذ ذاك كان ذا الأزعار ابن أبرهة ذي المنار بن الرائش

٥ — ومما تقصه الروايات في هذا العهد عهد الكيانيين الحرب بين داراب وبين رجل عربي اسمه شعيب بن قتيب. وداراب هذا هو، في غالب الظن، داريوس أخوس (٤٢٤ — ٤٠٤ ق.م)

وأعظم الحوادث في عهد الساسانيين وهو أقرب الى التاريخ وكثير من حوادثه واقعات تاريخية:

ب — بعد عهد الساسانيين

١ — قصة سابور الأول (٢٤١ — ٢٧٢ م). وملك الحضر، وهو الضيزن بن معاوية القضاعي، أو الساطرون كما في بعض الكتب. وذلك أن الضيزن أغار على فارس وأسر أخت سابور أو عمته، فسار سابور اليه وحاصر الحضر حتى استولى عليه بخيانة بنت الضيزن.

والحضر كان مدينة بالجزيرة الفراتية على أربعين ميلا من دجلة نحو الغرب ازاء تكريت، وعلى مائتي ميل الى الشمال من بغداد. ولا تزال أطلالها شاهدة بما كان من عظمها ومنعتها. ويقول الهمذاني في كتاب البلدان:

«كانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها. وكان فيها ستون برجا كبارا. وبين البرج والآخر تسعة صغار».
ويقول ياقوت:

«فاما في هذا الزمان فلم يبق من الحضر الا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله». وقد حاصره الامبراطور تراجان وسفريوس فلم يقدرا عليه.

(١) قاظ المكان أقام به

وقد روى ياقوت في قصة الحضر شعر العدي بن زيد والأعشى وروى الطبري شعراً لأبي دؤاد الايادي (١)

والشاهنامة تجعل الواقعة في زمن سابور ذي الأكتاف وتخلط بعض الحادثات ببعض.

٢ — ومن ذلك ماوقع بين أذينة ملك تدمر وسابور الأول أيضا: فقد أغار أذينة على جيش سابور وهو راجع مظفراً من حرب فلريان أمبراطور الروم، فانهزم الجيش الفارسي وتعقبه أذينة الى أسوار . . . وقد اغتبط الروم بما فعل أذينة فأثابوه ولقبوه «اغسطس».

٣ — ومنه قصة سابور ذي الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٩) والعرب.

يروى أن بعض العرب أغار على بلاده فحاربهم في خوزستان ثم عبر الخليج الى البحرين وهجر واليمامة: ثم سار الى الشمال فحارب بني بكر وغيرهم، وأنزل بعض القبائل غير منازلهم:

أنزل بني تغلب بدارين والخط
وبعض بكر بصحارى كرمان
وبعض عبد القيس وتميم في هجر واليمامة
وبني حنظلة بالصحارى التي بين الاهواز والبصرة

ويقال انه سمي ذا الاكتاف لأنه خرق أكتاف الأسارى من العرب ونظمهم في الحبال

— وكذلك كانت أحداث بين العرب ولا سيما اياد وبين سابور بن سابور ذي الأكتاف. ذكر بعضها المسعودي في الجزء الاول من المروج. وفيها يقول بعض الشعراء:

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب اياد حولها الخيل والنعم

ويقول الحارث بن جنده (الهرمزان):

هم ملكوا جميع الناس طراً وهم ربقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أبا قابوس عصبا وهم أخذوا البسيطة من اياد

وتكثر الأحداث بين الفرس وقبائل الشمال عامة ولا سيما ربيعة التي كانت تسمى ربيعة الأسد لجرأتها على الأكاسرة

٤ — والصلات بين أمراء الحيرة والفرس منذ نشأت الدولة الساسانية في القرن الثالث الميلادي ليست في حاجة الى البيان، حسبي أن أذكر من الحوادث مايبين عن مكانة المناذرة في دولة الفرس وقوتهم:

عهد يزدجرد (٣٩٩ — ٤٠٢) الى المنذر الاول بتربية

(١) انظر ياقوت. الحضر، والطبري: سابور:

ابنه بهرام فنشأ في الحيرة حتى بلغ الثامنة عشرة ، وتعلم الفروسية والرماية حتى صار مضرب المثل في الرمي بالنشاب ، ثم رجع الى ابيه فغلبه الشوق الى الحيرة ، حتى توسل برسول ملك الروم الى ابيه ليأذن له في العودة الى الحيرة فبقى بها حتى توفي يزدجرد . وازمع اعيان الفرس الا يولوا من بني يزدجرد احداً . فأيد المنذر وابنه النعمان بهرام وأمداه بالجند حتى ارغما الكارهين على تمليكه .

وفي روايات الأدب الفارسي أن بهرام هـذا أول من شعر بالفارسية ، أخذ الشعر عن العرب . وفي كتب الأدب شعر فارسي مروى عن بهرام ، وكذلك تروى الكتب العربية شعراً عربياً كما روى المسعودي في المروج :

أقول له لما فضضت جموعه   كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فاني حامي ملك فارس كلها   وما خير ملك لا يكون له حامي

ويروى المسعودي أبياتاً أخرى ويقول : « وله أشعار كثيرة بالفارسية والعربية أعرضنا عن ذكرها في هذا الموضع طلباً للايجاز .

وقد حارب المنـذر الرومان انتصاراً للفرس وهزم جيوشهم سنة ٤٢١ م ، وكذلك حاربهم المنذر الثالث ابن ماء السماء وتعقبهم الى أنطاكية حتى استنجد جستنيان الحارث الأعرج الغساني ، فكانت وقائع بين الأميرين العربيين أسر فيها المنذر ابناً للحارث فقربه للعزى (صنم) وانتهت بقتل المنذر في موقعة عين أباغ أو يوم حليمة .

٥ ـ وفي عهـد قباذ حينما اضطرب أمر الفرس بفتنة مزدك أغار الحارث بن عمرو الكندي على الحيرة وأخرج منها المنذر ابن ماء السماء ، وصادف ذلك هوى في نفس قباذ فأيد الحارث . ويروى انه أرسله لحرب أحد تبابعة اليمن ، فلما ولي كسرى أنوشروان رد امرة الحيرة الى المنذر .

٦ ـ وفي عهد كسرى برويز حوالي ٦١٠ م كانت موقعة ذي قار ، وذلك أن كسرى برويز قتل النعمان أبا قابوس ، وطلب ودائعه عند هانيء بن مسعود الشيباني فأبى اسلامها ، وكان كسرى قد ولي اياس ابن قبيصة الطائي على الحيرة . فسار اياس في جموع من الفرس والعرب : طيء وبهراء واياد وتغلب والنمر ، فلقيهم بنو شيبان في جموع من بكر ، ووقعت الحرب وتمادت ثلاثة أيام آخرها يوم ذي قار ، ودارت الدائرة على الفرس وأنصارهم .

وفي يوم ذي قار يقول ابو تمام يمدح ابا دلف الشيباني :

اذا افتخرت يوما تميم بقوسـها
وزادت على ما وطـدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيـوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

ويقول مادحا يزيد بن مزيد الشيباني :

أولاك بنو الافضال لولا فعالهـم
درجـن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهـم يوم ذي قار مضى وهو مفرد
وحيـد من الاشباه ليس له صحب
به علمـت صهـب الاعاجم أنه
به أعربت عن ذات أنفسـها العرب
هو المشهد الفرد الذي ما نجـا به
لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صلب

هذه صلات الفرس وعرب الشمال . وكان للفرس مع هـذا سلطان على ساحل الجزيرة الشرقي واليمن :

حاول الحبش الاستيلاء على اليمن في القرن الثاني الميلادي واتيح لهم أن يستولوا على بعض مدنه في القرن الثالث ، ثم أخرجهم الحميريون ، فلما تنصر الحبش في القرن الرابع أيدهم الرومان على الحميريين ففتحوا اليمن سنة ٣٧٤ . ويظهر أن الفرس طمحوا الى اليمن منذ ذلك الحين ، فقد كان النزاع الذي شجر بينهم وبين الروم منذ قامت الدولة الساسانية حريا أن يلفت الفرس الى اليمن بعد أن تألب عليه أعداؤهم الألداء والحبش . ولسنا ندرى من أخبار الفرس في اليمن شيئا قبل القرن السادس الميلادي اذ تهود تبع ذو نواس وأكره النصارى على التهود وعذبهم ، فغضب لهم الروم والحبش وأمد الامبراطور جستنيان الحبش وسلطهم على اليمن ، حتى استغاث سيف بن ذي يزن كسرى انو شروان فأمده بجيش حملته السفن في الخليج الفارسي الى عمان ، ثم سار في البر وانحاز اليه أهل اليمن فهزموا الجيش ، وتولى الفرس البلاد وجعلوا عليها أميرا عربيا فقتله حرسه الحبشي فاستقل بأمر البلاد ولاة من الفرس توالوا عليها حتى جاء الاسلام والوالي يومئذ باذان . وقد أسلم الفرس في اليمن وأخلصوا للاسلام وكانوا عونا على الثائرين في حروب الردة وهم قتلوا الأسود العنسي ، وعرف من رؤسائهم النعمان بن بزرك وفيروز الديلمي ومركبود ، وهو أول من حفظ القرآن في صنعاء فيما يقال .

وكذلك كان للفرس سلطان على البحرين وجاء الاسلام وفي اليمن فرس مستوطنون ومرزبان اسمه سيبخت ، ويروى أن الرسول

سـؤال . .

الى الاستاذ الزيات والى ادباء الرسالة

سيدي الاستاذ

انى – وان لم أتشرف بمعرفتك – أمت اليك بصلة الرحم . فانا من صغار أسرة أنت من كبارها . ولى عليك حق الصغير على الكبير . يسأله ويفيد منه . ويلح فى هذا السؤال ويناقش من أجل هذه الفائدة . ويكون فى سؤاله ومناقشته واقفاً عند حد الأدب . متنكباً سبيل التكلف و(الرسميات) .

أفتأذن لى فى ذلك :

اذن فأخبرنى ياسيدى . هل تنشر الآثار الأدبية ، أو تنشرها فى رسالتك ؛ لانها وافقت خطة معروفة اختطتها لنفسها الرسالة فى الأدب ؛ وطريقة معينة اتخذتها ، أم أنت تنشر كل جيد يبعث به اليك ، لاتبالى منه الا بشرف القول ، وحسن الأداء ، والبلاغة فى التعبير عن الغرض – وهل تفعل هذا الى أمد قريب ثم تطلع على الناس بخطتك الادبية ، وتحمل كتابك عليها ، أم أنت تفعله أبداً ؟ – ثم – ألا ترى ياسيدى أن الأدب العربى قد شب ولم يعد طفلا يدلل ويرقص . ويكون له عند أهله بكل خطوة حظوة وان الإيمان به قد خالط قلوب الادباء . فلم يعودوا من المؤلفة قلوبهم الذين يسترضون ويعطون لئلا يجنحوا الى الردة بعد الايمان ؟ وأن من مصلحة هذا الإدب . بل من الواجب فيه أن يتفق طائفة من شيوخه وقادته على مذهب واحد فيه . ثم يعلنوا هذا المذهب للناس . ليتبعوه ويؤثروه ؟

ومذاهب الادب كثيرة . ولكنا منها بين اثنين : مذهب (الأدب للفن) ومذهب (الأدب للحياة) :

انعمل وغايتنا (الجمال الفني) وحده . وسواء لدينا أكان هذا الجمال فى قطعة ماجنة ، أم فى قصيدة شعوبية ، أم فى مقالة ملحدة ؟ وسواء لدينا أكانت القطعة الجميلة تصور آلام النفس وآمالها . وصور الحياة واشكالها ، فتصدق فى هذا التصوير . ام (تخلق) من نفس صاحبها دنيا غير هذه الدنيا . وعالما غير هذا العالم ؟

ام نعمل وغايتنا تسخير الادب للقضية الكبرى ، واتخاذه عدة على تحقيقها ، ووسيلة من وسائل الاصلاح الاخلاقى والسياسى والاجتماعى . وبالعبارة الثانية وسيلة الى الحياة ؟

الله عليه وسلامه كتب اليه فاسلم ، وكان لفيروز المعروف بالمكعبر زغامة فى حروب الردة هنالك .

وكانت التجارة تتردد بين بلاد الفرس واليمن فى خفارة قبائل لها جعل من ملوك الفرس : قال صاحب الأغانى فى الحرب التى كانت بين بنى تميم والفرس وأحلافهم : . واما ما وجد عن ابن الكلبى فى كتاب حماد الراوية ، فان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير . وكان باذان على الجيش الذى بعثه كسرى على اليمن . وكانت العير تحمل نبعا فكانت تبذرق (١) من المدائن حتى تدفع الى النعمان ويبذرقها النعمان بخفراء من ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن على الحنفى فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بنى حنيفة ثم تدفع الى سعد (من تميم) ويجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها الى عمال باذان باليمن ، (٢)

هذا خلاصة ما يرويه التاريخ والأساطير ؛ ولعله يكون مقدمة لبحث واسع مفصل فى صلات الأمتين العظيمتين قبل الاسلام ؟

(١) البذرقة : الخفارة (٢) ١٦ ص ٧٥

ثم . . . الا ترى ياسيدى ان هناك حقيقة أسمى من الحقيقة الفنية . وواجبا اعلى من واجب الفن هو الواجب الوطنى . واجب (السعى للحياة وخوض معركة التنازع على البقاء) وانه لايجوز لنا ان نقول بمقالة بعض الفرنجة (الفن للفن) لان هذا هو القياس مع الفارق .

فان لأولئك مدافع وأساطيل . وان لهم كياناً واستقلالا ، ونحن قوم يبنون لأنفسهم كياناً واستقلالا . فيجب ان نجمع قوانا كلها على هذا البناء . وان نجعل الادب فى مقدمة هذه القوى ، ونجعل الحوادث القومية موضوعا لآثارنا ، او لطائفة من آثارنا الادبية

وكيف لعمرى يهيج الشاعر العربى ويضيق الدنيا عليه حبيب يعرض عنه ، وليلة وصل يخسرها ، وابتسامة يحتجب عنه نورها ، ولا يهيجه ويؤلمه مجد كان ينطح السماء انهار فى الاندلس ، وامل كان يملأ الدنيا ضاع فى بواتيه . وأمة بقضها وقضيضها تفنى اليوم فى فلسطين . ! ؟

اجوز للشاعر وهو قلب الامة الخافق ان يعيش فى نفسه ،

ويقنع بأحلامه وعواطفه؟ ايعقل ان يعيش قلب منفردا مبتوراً لا تربطه بالجسد رابطة؟

الشاعر قائد في أمته، فهل يجوز للقائد ان يدع جنده، ويترك حربه ويغفل عن النار والحديد. ثم يجلس ليحلم بطيف حبيبه أو يبكي على أنه لم يمنحه جبينه ساعة من زمان. أو يجلس ليصف (الجمال الفني) في ساحة المعركة؟..

الأمة العربية جمعاء في نضال على الحياة. فكيف يفر الأديب من المعركة فيصب وهو الجندي الاول فيها مواهبه وقوته على قدمي امرأة؟

او لست تعلم ياسيدي أن زعماء الفن الرومانطيقي في اوربا كهوجو ولامارتين، كانوا في رأس الوطنيين العاملين، والخطباء المفوهين، وكانوا اذا جد الجد شمروا عن ساعد العمل، واذا أمن الناس ووضعت الحرب اوزارها ناموا لحلموا، فكان هذا الادب مجموعة أحلامهم في منامهم؟ إن لامارتين نفسه يقول:

(ما قيمة الرجل ينفق عمره، في التنقل بين احلامه الشعرية في حين أن اخوانه يجاهدون بكل ما اوتوا من قوة وايد في سبيل الوطن والعمران؟ أليس اليق بمثل هذا ان يكون ضحكة ومهرجاً، وان يبعث به مع العدد الموسيقية الى الفرق العسكرية)؟

وان الشعر القومي ابعد الشعر اثراً في نفس قارئه، لان الشعور به مشترك بين افراد الامة جميعا، واننا لهذا نقرأ القصيدة الاندلسية النونية فتبلغ منا على ضعف تأليفها ما لا تبلغه منا أي قصيدة؟

فلماذا اذن لا ينحو بعض ادبائنا هذا المنحى. ويكون لنا ديوان في الادب القومي، كما للفرنسيس ديوان، وللانجليز ديوان، وللاتراك ديوان، ولماذا لا تنبذ هــذا الأدب الرخو المخدر الذي ينزع الرجولة من نفوس شبابنا ويجعل المثل الأعلى للحياة في آرائهم، ان ينفقوا الحياة في عبادة امرأة يعشقونها، او يتخيلون انهم يعشقونها. ويقطع بأساليبه الاعجمية العجيبة الصلة بيننا وبين ادبنا القديم، ويضيع علينا هذا التراث القيم الذي تظاهرت على ايجاده ثلاثة عشر قرنا؟ ولماذا لا يجهر الشيوخ والمصلحون في الادب العربي، بالدعوة الى (الأدب القومي) وينقذونا من هذا الادب المخدر السام؟ ولماذا لا تكون انت في الرسالة. صاحب هذه الرسالة؟

* * *

ثم... الا ترى ياسيدي ان هذا الضعف والخور في غزلنا سخف ماله مبرر، وان المرأة والرجل انسان واحد. كلاهما فيه عنصر القوة وعنصر الانوثة، والحب جامع العنصرين. فالرجل يحب ليكمل قوته بانوثة المرأة. اى انه يحب انوثتها وهي تحب قوته، فاذا اضاع هذه القوة، ولم يحظ بانوثة المرأة، لم يكن رجلا ولا امرأة، ولكن مخلوقا شيطانيا بغيضا، وكان كالغراب والقبرة، او (كضاحبة الماء) لا هي ابقت ماءها.. ولا هي اصابت ظهرها!

وما بالرجل يحب من بأس، ولكن على ان يظل رجلا يقوم على قدميه، ويدل بعضلات من حديد وارادة من فولاذ، وأمل في الحياة يملأ الحياة، ثم يقول لمن يحب: انا قوي وانا احبك فتعالى الآن بحبيها ضعيفا مسهدا.

والمرأة لو خيرت لما اختارت على الرجل القوي الحي بأمله ولمستقبله الرجل الاصفر النحيل الباكي اليائس الميت من قبل الممات. هذا خليق به القبر وذاك الذي يستحق الحياة

فلام اذن يثابر شعراؤنا على هذا الغزل السخيف، ويغنى مغنونا به ويكون لجيل المستقبل بيما زعافاً؟..

هذه هي القضية التي جئت استفتيك فيها. واستفتي ادباء الرسالة، واني لاعتقد انها من الخطر بالمكان الأسمى. وبين لا ونعم فيها فرق ما بين الحياة والموت: لان الادب كالسيف القاطع، شتان بين ان تضرب به لترى وميضه في الجو (الجمال الفني) في هذا الوميض ثم لا تبالي اذراعك اصاب فقطع أم هو قد اصاب الجدار، وبين ان تجلل به خصما لك فاتكا او وحشاً كاسراً. على ان هذا ضرب وذاك ضرب وهذا أدب وذاك ادب...

فاذا تفضلتم ياسيدي بنشر هذه الرسالة في الرسالة وتفضلتم بالجواب كان لكم الفضل والشكر.

دمشق　　　　　علي الطنطاوي

ليسانسيه في الحقوق ومن (المجمع الادبي)

(الرسالة) يسأل الاستاذ الفاضل أتنشر الرسالة ماتنشر من الأدب لأنه يسير في طريقها المرسومة الى غايتها المعلومة، أم تنشره لأنه امتاز بشرف القول وبلاغة العرض وحسن الأداء، ثم يصوغ هذا السؤال نفسه صيغة فنية فيقول: نعمل وغايتنا (الأدب للادب) أم نعمل وغايتنا (الأدب للحياة)؟ ثم حصر حياتنا اليوم في النضال

المقدس عن القضية العربية الكبرى · وانحي باللائمة على شعرائنا الغزليين الذين غاست على طباعهم الميوعة فداموا على اقدام الغيد . وتركوا جيش الجهاد يسير من غير موسيقى! ثم شرح الأستاذ اسئلته بطائفة من الآراء الحماسية يدعو بعضها الى جدال طويل

أما خطة الرسالة وغايتها فلعل الأستاذ يذكر أننا رسمناها فى استهلال العدد الأول منها · وما نشرنا ولن ننشر الا ما يساير هذه الخطة ويقابل هذه الغاية بوجه من الوجوه . نقول بوجه من الوجوه لأن القول بأن : (يتفق طائفة من شيوخ الأدب وقادته على مذهب واحد فيه ، ثم يعلنوا هـــذا المذهب للناس ليتبعوه ويؤثروه) قول تأباه الطبيعة وتنكره أصول الفطرة مادام الأدب بمعناه الأخص هو التعبير الجميل عن العواطف والأخيلة والأفكار . وذلك التعبير يختلف بالضرورة فى كل كاتب باختلاف تربيته وبيئته وطبيعته وذوقه . وفى ظننا ان تحديد الغاية من الأدب وتوحيد الطريق الى هذه الغاية لا يدخلان فى حدود الامكان الا اذا استطعت ان توجه أهواء النفوس فى متجه لا تتنكبه ، وتحصر خواطر الذهن فى مضطرب لا تعدوه

وأما (ان الأدب العربى الحديث قد شب ولم يعد طفلا يدلل ويرقص) فرأى يخامرنى فيه كثير من الشك ، لان أدبنا لا يزال يطلب من النقد ان يهدهده كالأم ، ويربت على ظهره كالأب ، فاذا حذره مزالق الهوى والطيش ، بشىء من الجد صاح وأعول ودبدبت رجلاه فى الارض ، وراح يرسل السباب ويعلن الشكوى فى غير سداد ولا فطنة

هذه جملة قصيرة من الجواب نعجلها اليك مساسها بخطة الرسالة. أما سائر الجواب فستقرأه مفصلا فى العدد المقبل ؟

الصهيونيـــة

نشأتها وتطورها

١ — قبل عهد بلفور

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لفتت حوادث فلسطين الأخيرة أنظار العالم مرة أخرى الى ذلك النظام السياسي الاجتماعي الغريب الذي فرض على فلسطين تحقيقا لمشاريع السياسة الاستعمارية . ففى فلسطين أمة عربية تعيش فى ذلك الوطن منذ آماد بعيدة ؛ ولكنها تجد اليوم نفسها أمام خطر داهم على كيانها القومى ؛ وترى اليهودية تمكن من غزو هذا الوطن بطريقة منظمة مستمرة ؛ تنفيذا لعهد قطعته بريطانيا العظمى على نفسها ابان الحرب الكبرى ، بأن تعاون على انشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين

وفكرة الوطن القومى اليهودى قديمة ترجع الى العصور الوسطى . ولكنها لم تكن فى تلك العصور التى كانت بالنسبة لليهودية ، عصرها الحديدى ، أو عهد الاضطهاد الشنيع أكثر من مثل أعلى أو أمنية مقدسة غامضة . ولكنها منذ القرن الثامن عشر تغدو نظرية سياسية اجتماعية ترمى الى غايات عملية . وكان أقطاب اليهودية فى ذلك العصر وعلى رأسهم رجال ممتازون مثل مندلزون ولسنج(١) يرون أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية، فيغدو اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى . ولكن هذه القومية المعتدلة التى املى بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد ، ولم يطل أمدها ؛ واستمرت الفكرة القديمة على قوتها وتألقها . ومنذ اوائل القرن التاسع عشر نجد يهود انكلترا يعملون على تقويتها وتلمس السبل لتنفيذها بالدعوة الى احياء التراث اليهودي وانشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين . ومن ذلك الحين تتجه اليهودية ببصرها الى فلسطين ؛ وتتكرر جهودها لاقناع السياسة البريطانية بامكان قيام وطن قومى يهودى فى فلسطين تحت الحماية البريطانية، وان قيامه يغدو ضمانا قويا لتأمين طريق الهند البرى

---

١ — موسى مندلزون ١٧٢٩ — ٨٦ فيلسوف وكاتب يهودي المانى كبير ولسنج ١٧٢٩ — ٨١ كاتب مسرحى ونقادة يهودى المانى .

وهنا تتخذ فكرة القومية اليهودية صبغة سياسية واضحة ؛ وتبدو الفكرة الصهيونية في شكلها الحديث . والصهيونية هى القومية اليهودية . اشتقت من « سيون » العبرية او صهيون وهي الاكمة او المعقل . وقد أطلقت اولا على موقع التل الذى بنى عليه الهيكل ثم أطلقت على بيت المقدس ؛ ثم على الامة اليهودية كلها ، وتراثها الروحى ؛ واصبح معناها الحديث عود القومية اليهودية واستردادها لتراثها الغابر . وبهذا تفهم الصهيونية فى عصرنا ولهذا تعمل

وإذا فالصهيونية الحديثة ترجع الى اواسط القرن التاسع عشر . وفى هذا الحين نفسه تلقى الصهيونية مادتها وقوتها : ذلك ان خصومة السامية أو نزعة التعصب ضد اليهود قد اضطرمت يومئذ بفورة جديدة فى معظم الدول الاوربية ، واسفرت عن مذابح مروعة فى روسيا والمجر . وعصفت باليهود فى المانيا ثم عصفت بهم فى فرنسا حيث بلغت الحركة ذروتها فى قضية دريفوس الشهيرة (سنة ١٨٩٦) . ورأت اليهودية انها رغم حصولها على الحقوق المدنية والسياسية فى معظم الدول الغربية ، مازالت عرضة للبغض القديم الذى اصبح تقليدا راسخا فى المجتمعات الغربية . عندئذ بدت فكرة الوطن القومي اليهودي ضرورة يجب تحقيقها لخير اليهودية وسلامها . وأخذ اقطاب اليهودية يعملون على اذاعة الفكرة واتخاذ الخطوات العملية الأولى فى سبيل تحقيقها . فالفت جمعية لانشاء المستعمرات اليهودية وزودت بالمال . وبدأت مساعى الماليين اليهود لدى الباب العالى لانشاء هذه المستعمرات فى فلسطين . ثم لقيت الفكرة روحها المضطرم فى كاتب يهودى نمسوى فتى هو تيودور هرتسل . وقد ولد هرتسل ببودابست سنة ١٨٦٠ ، وظهر فى الصحافة والتأليف المسرحى ، وظهر بالاخص بكتاباته القوية الملتهبة فى سبيل القضية اليهودية . وكان هرتسل يرى ان الوطن القومى ضرورة لليهودية لأمنية فقط ، وفى سنة ١٨٩٦ اخرج رسالته الشهيرة Die Judenstaat: « الدولة اليهودية » يعرض فيها فكرة الوطن القومى عرضا قويا ، ويرى ان يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالى وتؤدى له الجزية وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص ، فكان لدعوته وقع عظيم فى اليهودية باسرها ، وايده اقطاب المفكرين اليهود مثل مكس نورداو واسرائيل زنجويل (١) وغيرهما . وكانت

اليهودية على أثر ماعانته من اضطهاد الخصومة السامية فى معظم البلاد تتحفز يومئذ للذود عن نفسها ، وتستجمع جهودها للقيام بحركة ايجابية منتجة . وسرعان ما انتظمت هذه الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته . وفى اغسطس سنة ١٨٩٧ عقد مؤتمر يهودى عام فى بازل (سويسرا) برآسة هرتسل وفيه وضع برنامج الصهيونية الرسمى وعرفت غايتها ووسائلها على النحو الآتى :

« تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودى انشاء وطن فى فلسطين ، يتمتع بالضمانات التى يقررها القانون العام ، ولكى يمكن تحقيق هذه الغاية ، يرى المؤتمر الوسائل الآتية :

(١) أن يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع التشجيع الواجب

(٢) ان ينظم العالم اليهودى باسره وان يحشد فى الجماعات المحلية او العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) ان تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعى التمهيدية اللازمة للحصول على التصريحات الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية » .

ثم توالت المؤتمرات الصهيونية فى كل عام وبدأت مساعى اليهودية العملية واتصل هرتسل بالباب العالى ؛ فاظهر نحو الفكرة ميلا فى البداية باعتقاد أن تأييدها يكسبه نفوذا جديدا . حاول أن يجعل من ذلك وسيلة لحل المسألة الارمنية بشروط عرضها على اليهود الانكليز . ولكنه اخفق فى هذه المحاولة . وزار هرتسل السلطان عبد الحميد فى سنتى ١٩٠١ و ١٩٠٢ فآنس منه اعراضا واخفق فى سعيه . فاتجه هرتسل الى انجلترا وعرض أن ينشأ الوطن القومى اليهودى فى أية منطقة من البلاد الواقعة تحت النفوذ البريطانى ؛ واقترحت خلال ذلك منطقة سيناء المصرية ثم منطقة فى الشرق افريقيا البريطانى . ولكن أغلبية المؤتمر الصهيونى (سنة ١٩٠٣) رفضت فكرة التحول عن فلسطين الى غيرها ، وعدتها تراجعا وهزيمة للفكرة القومية الاهلية ، ثم توفى هرتسل سنة ١٩٠٤ فى عنفوان قوته وجهوده فكانت وفاته ضربة قوية للحركة الصهيونية . ولم تجد الحركة من بعده مدى اعوام من يقودها بمثل قوته ونفوذه . وتزعمها مدى حين فولفزون المالى الالمانى ، واسرائيل زنجويل الكاتب الانكليزى ؛ وجددت المساعى لدى الباب العالى ، ولكن اضطراب الاحوال السياسية فى تركيا حال دون كل مسعى .

(١) ماكس نورداو طبيب وفيلسوف ونقادة يهودى كبير ولد ببودابست سنة ١٨٤٩ وتوفى سنة ١٩٢٦ ؛ واسرائيل زنجويل كاتب وقصصى انجليزى يهودى (١٨٦٤ - ١٩٢٦) .

وجدت المساعي لدى انكلترا . واقترحت اثناء ذلك برقة أو الجزيرة في العراق لتكون مركزاً للوطن القومي . ولكن هذه المساعي اخفقت ايضا فبث هذا الفشل المتكرر في عضد الصهيونية . وخبت حماستها ، فترت جهودها حتى نشوب الحرب الكبرى

وفي أثناء الحرب سعت اليهودية الى غايتها بجد ومثابرة ؛ وقدمت الى الحلفاء كل معونة ممكنة فامدتهم بالقروض المالية . والفت فرق يهودية عسكرية تحارب الى جانبهم . وتولى الزعماء اليهود : لورد روتشيلد والدكتور ويزمان . ومسيو سوكولوف تنظيم هذه الحركة والسعي لدى دول الحلفاء وبخاصة انجلترا في تحقيق مشروع الوطن القومي ، واسدى الدكتور ويزمان ؛ وهو علامة كيمائي ومخترع بارع الى انجلترا اثناء الحرب خدمات جلية : بتولي المباحث الكيمائية في المعامل الحربية الانجليزية : واختراع مادة جديدة للمفرقعات القوية . واسندت اليه منذ سنة ١٩١٧ رآسة الهيئة الصهيونية العالمية . وكانت انجلترا تعد يومئذ هجومها على فلسطين وامل اليهودية يدنو على وشك التحقيق . وكانت فرنسا أول من تقدم من الحلفاء لتأييد مشروع الوطن القومي اليهودي بصفة رسمية : ففي ٤ يونيه سنة ١٩١٧ وجه مسيو كامبون وزير الخارجية الفرنسية الى مسيو سوكولوف رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية خطابا يؤكد فيه عطف الحكومة الفرنسية على القضية اليهودية والوطن القومي ، وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدرت الحكومة البريطانية عهدها الشهير بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وعرف هذا العهد باسم اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية يومئذ : وتلي في مجلس العموم البريطاني في النصف الثاني من نوفمبر وادمج في خطاب رسمي وجه الى اللورد روتشيلد كبير اليهودية الانجليزية وهذا نصه :

عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني لعظم السرور ان اوجه اليك باسم الحكومة البريطانية التصريح الآتي بالعطف على الاماني الصهيونية اليهودية وهو تصريح عرض على الحكومة البريطانية واقرته وهو :

« ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين : وسوف تبذل ما في وسعها لتحقيق هذه الغاية . ومن المفهوم انه لن يعمل شيء مما قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ولا بالحقوق او المركز السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر »

للبحث بقية عنان

المقـــبرة البحرية

للشاعر الفرنسي بول فاليري

تلوت المقال المنشور بعنوان « حول قصيدة » للدكتور طه حسين فأعجبت به اعجابي بكل ماتسطره يراعة استاذنا المفكر ؛ فثارت رغبة نفسي في الاطلاع على هذه القصيدة المحاطة بالاسرار والتي اختلف النقاد والادباء في تفهمها . فرجعت الى كتبي التي اعتدت ان ازود بها في سفري ؛ فلم أعثر على القصيدة جميعها ولكنني وقعت على قسم منها لعله يكون « خيرها » لانه أدنى الى الافهام ولعله « أسوأها » ، ان كانت روعة هذه القصيدة تتجلى في الغازها وطلاسمها ، ولكنني حتى في هذا القسم الواضح لم أقع الا على ما تتنازع في تفهمه الخواطر ، فقلت : امر هذه القصيدة غريب عند اصحابها ؛ فكيف عند من يريدون ان يقرأوها مترجمة وكل مترجم قد انتحى ناحية تدل لاتجمعه بالآخر الا رموز ! ولكن الروعة الغالبة في القصيدة لاترجع الى الوانها القاتمة وصورها الغامضة ، وانما تعود الى فنها . وطريقتها التي جاءت بها .

في القصيدة غموض شامل ! وهل كان الغموض سراً من اسرار البيان ؟ وهل في استطاعتنا ان نجعل من الغموض مرادفاً للبيان ؟ ولكن هل كان البيان كله مستوعباً للفن كله ؟ اليس من الفن الشيء الغامض والشيء المعجب والشيء المثير ؟ وهو بعد ذلك كله غامض جد الغموض لايتفتح على النفوس الا بقدر استقرائها او استجلائها للخطوط والالوان .. وهل كان اختلاف الناس في تفهم القصيدة الواحدة عيبا من عيوبها البيانية ام قيمة رائعة للقصيدة التي يتشعب من فنها فنون ومن سبيلها الواحدة سبل متعددة .

أنا أحب الكتاب الذي يصرع قارئه طوراً وطوراً يصرعه قارئه كما يحبه استاذنا الجليل — واحب القصيدة التي لاتتركنا الا بعد ان تموج انفسنا بشتى اهوائها وميولها ، ولكنني لا أحب — ولن أحب — ان يرجى الغموض في الفن لمجرد الغموض .. لأن الأمر لايؤول الا الى فوضى تعمل على تقويض الفن من حيث نحسب اننا عاملون على رفعه .

هنالك آثار فنية واضحة كل الوضوح ، ولكن المطلع عليها لايلبث ان يرتد عنها ضيق الصدر مظلم القلب ، وهنالك آثار غامضة كل الغموض لاينظر اليها الانسان حتى تمتلئ نفسه روعة وجلالاً .

وتفتح أمامه من لانهايتها لانهاية الوجود . ماسر ذلك ؟ ألعل فى الفن شيئاً غامضاً غموض النفس ؟ اما تحديدى لهذا الغموض وهذا البيان فهو أمر لا أقدر على ابداء رأيى فيه بعد ان أثبتت الحياة اننا كلما زدنا قيودها اتسعت آماد حريتها . وكلما قبضنا عليها من مكان أفلتت من أماكن . . . وما دام هذا شأن الحياة فليس غريباً ان يكون للفن ايضاً مثل هذا الشأن ، والفن أسمى ما فى الحياة . وانما روعة الفن فى انطلاقه لا فى قيوده .

وأخيراً أخذت هذا الجزء اليسير من القصيدة وآثرت ترجمته برغم غموض معانيه ، مرتقباً من أحد شعرائنا الأفذاذ ان يؤدى نجوى استاذنا الدكتور حق تاديتها ، لانها ـ فى الحقيقة ـ كما فكر الدكتور ـ ستخلق نوعاً جديداً فى الشعر يأتى على هذه الالوان البالية الباهتة . وتخلق فى الأدب العربى هذه المدارس الجديدة الشعرية التى تحمل طياتها البيان الرمزى وغير الرمزى .

وهذه القصيدة نظمها « بول فاليرى » فى مقبرة مشرفة على البحر ، فكانت خطرة فلسفية تأملية ، يصف بها حالة الكون وذاتية العالم المادى الذى يرجع اليه تراب الموتى ، وراحة العالم الراقد فى (اللاشعور) وحالة القلق النفسى الذى يعكر علينا صفاء هذا العالم ، مريداً من وراء ذلك أن تأخذ النفس نصيبها من هذه اللحظات المثالية الحينية .

ولا أدرى أأحسنت العمل أم كنت مسيئاً ؟ ولكنها جرأة أريد بها أن أستثير جرأة غيرى ممن هم أمت منى صلة بالقصيدة وصاحب القصيدة ؟

القصــــــيدة

. . . انها قدسية ، مغلقةٌ نارها توقد من غير غذاء
خيم الصمت على أرجائها وعلى صفحتها رف الضياء

سطعت أضواؤها وهاجة وأثارت فى أسباب الطرب
فظلال ـ كالدجى ـ ممدودة وقبور رصعوها بالذهب

أرأيت الظل فى أكنافها حيث يرتج على الظل الرخام
وهناك البحر فى غفوته قد ترامى قرب أجداثى ونام

* * *

ها هنا أمواتنا قد جثموا مدفئاً أجسادهم هذا التراب
طاوياً أسرارهم فى جوفه ألنشر يتطوى هذا الكتاب ؟

الوجود ائتلفت أعيانه وتآخت فيه ألوان الصور
واستقرت لكمال ، وأنا قيد تبديل خفى مستمر

* * *

وحياة قد طواها ماطوى وزعوها فى غيابات القبور
جسد يأكله هذا الثرى ودماء هى قوتٌ للزهور

أين ذاك الفن فى روعته عند ناس غالهم صرف الزمان ؟
أين أرواح لهم سامية أين ما أوتوه من سحر البيان ؟

هل علا ـ حيث علت أصواتهم ومشت روعتهم ـ الا سكون ؟
نثرت كف البلى أبدانهم وسطا الدود على تلك العيون

* * *

هل لنفسى أمل فى حلم ضاحك . صادقة ألوانه ؟
لم يمثله لعينى خادع (١) طال فى تمثيله بهتانه

وغداً ان ذهبت هائمة (٢) أتراها تملأ الجو غناء ؟
فكذلك الأكوان يطويها البلى ووجودى مسرع نحو الفناء

* * *

أيها الخلد المعزى للورى أنت جهمٌ (٣) او جميل كالربيع
توجوه لعيون عشيت عن هداها ، غرها التاج الشنيع

حيلة لله ما أجملها وأكاذيب ارتدت ثوب التقى
كان فى الخلد عزائى فقضى وطوى اليأس رجائى فى البقا .

من درى الأمر ولا يمقته ؟ يتجلى كله فى جمجمه !
كيفما قلبت أبصرت بها ضحكة دائمة مرتسمه (٤)

* * *

(١) الاصل : لم يمثله لعينى اللحميتين ماء ولا ذهب .

(٢) كناية عن تلاشى الروح بعد الموت

(٣) لان الخلود المطلق الذى يمنح الشىء لا يمثل الا شيئاً فارغاً داعياً للسأم كاللحن الواحد . وهذا الخلود نفسه هو صورة من صورة الموت .

(٤) هذه هى الضحكة التى تمثلها احناك الجماجم بعد الموت . وقد مثلها المعرى بقوله :

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد

مِنْ طرائفُ الشِّعرُ

آثار شوقيـــة

فرديات من المنظر الثانى فى الفصل الثالث

من رواية البخيلة

تظهر حسنى الخادم فى ثوب اسود على باب حجرة

من حجر منزل المرحومة الست نظيفة (البخيلة)

حسنى لنفسها تذكرما وهبته لها الست نظيفة قبل وفاتها

عينى أحقٌ أنى فى منزلى؟ لا. كان لى فوهبته لجمال (١)
غاليت فى شغب الفؤاد بحبه حتى وهبت له الثمينَ الغالى
أعطيته ماكان أصبح فى يدى من مال جدّته فليس بمالى
لم يرض قلبي أن أعيش سعيدةً ويعيش فى بؤس ورقة حال
أتُراه يقدرُ خدمتى وبحبى أوَلا يمرُّ له الصنيع ببال

***

رحمة الله على سيـــدتى وسقىَ الله ثراها وجزاها
حرمتنى الشاش حتى ذهبت فكستنى الخزّ فى الموت يداها
وحمتنى الماء حتى احتجبت فسقيتُ الشهدَ من فيض نداها
صار لى من بعدها منزلها والدكاكين وآلت ضيعتاها
ثروةٌ قد نهض الجوعُ بها ومشى الحرمانُ فيها فبناها
وهبتْ لى كلَّ ما قد ملكت لم تدع من ذاك شيئاً لفتاها

(١) حفيد الست نظيفة وقد أحبته حسنى الخادم

ثم بعد لحظة:

لا. ذاك مالُ جمـــال تركتـــه لجمــــال
وعدتُ ماكنت من قبـــ لُ فـــوطتى هى مالى
أجل أنا الخــادم والطاهيه وما أنا السارقةُ الباغيه
ولا على النـــاس طفيلية أجعل أموالهُمُ ماليه

***

سمعت حديث البخل حتى صحبته زماناً أراه كل حين واسمع
يروح ويغدو بين عينىّ صورة ويأتى خيالى بالحياة ويرجع

***

ســـيدتى ونجلهـــا فى الحظ سارا كالمثل
وانتقلت وذكرها بالبخــــل فيــــه ما انتقل
يرحمهـــا الله فمـــا أنسى لهـــا تلك الجمل
فى غضب عنـــد الحوا روا ضطراب (وزعل)
وما أختلفنا مـــرة فى حَمَل ولا جمل
لكن لأجل الثوم كا ن الخلف أو حول البصل
ولم نكن من الدقيـ ق ننتهى ولا العسل

***

يرحمهـــا الله وان لم تأت يوماً بحسن
عاشت بثوب واحد كالميْت عاش بكفن
أما أنا فالشـــاش أو مادون ذاك فى الثمن
وبذلتى وفـــوطتى طال عليهـــا الزمن
واجرتى عشرون قر شامع كـثرة المهن
البئر لا أبرحهـــا خارجـــة وداخـــله
صاعدة كالدلو كـ ل ساعـــة ونازله
طباخة أصنع من لا شىء شيئاً نأكلـــه
وأنحنى على البلا ط كل حـــين أغسله
وكل دكان علىّ أجرهـــا أُحصّله

اعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة. أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

وبقايا يقايا بُدّلت رب لحد فوق لحد يجثمُ
خجلت اقدامنا من وطئها ما أديم الارض الا أنتم!

▫▫▫▫▫

ليس للدود اتصـــال بكمُ
ياجسوماً أُدرجتْ فى الكفن (٢)
هو بالاحياء يحيا ابداً هو يحيا فىّ، لا يبرحنى!

دير الزور خليل هنداوى

(٢) هذا دود التطور يجعله رمزاً للقبر وهو فى الحقيقة يحيا بحياتنا. وهو شعورنا أو ضميرنا المتغير دائماً.

ساعة الرضى

للشاعر الوجداني أحمد رامي

انظري!

هذي دموع البشر جالت في عيوني

اسمعي!

هذا نشيد الروح فياض الحنين

يا لعينيك إذا أرسلتا في فؤادي بارقات الأمل!

ما لخديك أضاءا وهجا؟ ألرضى! أم بادرات الخجل؟

صارحيني

لم يعد يخفي الهوى ما بيننا بعد أن ذقناه هجراً ووصال

نادميني!

كم سهرت الليل في نجوى المنى وسألت النوم عن طيف الخيال

بادليني بالرضى رضى

أسعديني فالقضا قضى

أنا في دنيا المنى هيمان

أنا ولهان أنا فرحان

جمعتنا ساعة هفافة بجناحين - وداد وسلام

هذه روح الهوى رقراقة فاسمعي منها أناشيد الغرام

من الأدب الإنجليزي

الموقت هو الكل

لتوماس هاردي

هدتني صروف الجد إذ أنا يافع

وأحداث دهر دائمات التقلب

إلى صاحب في الناس لم أبغ وده

ولم أتخيره ولم أتطلب

وقربن أسباب التواصل بيننا

أظل أراه كل صبح ومغرب

ووثقن عهد الود بيني وبينه

برغم اختلاف في مرام ومشرب

فقلت: «أساقيه المودة آنة

وأوليه آيات الولا والتحبب

إلى يوم يأتي الصاحب المفرد الذي

أرى فيه قصدي في الصحاب ومذهبي

فإن صروف الدهر شتى كثيرة

وما زلت ذا عمر مديد مرحب»

وألقى إلي الدهر إذ أنا رائع

أتيه وألهو في الشباب وأصطبي

بحسناء رود يعجب الطرف حسنها

وإن لم يكن يزري على كل معجب

فقلت: «بلاغ لي إلى حين ألتقي

بمن أصطفيها في الحسان وأجتبي»

وكنت أرجي منزلاً طيباً به

أعيش وحيداً عيشة المترهب

فأول دار صادفتني سكنتها

وإن لم تكن في الدور غاية مرغبي

وقلت: «أداري العيش فيها هنيهة

إلى يوم يهديني الزمان لأطيب»

وإذ ذاك أدلي للورى برسالتي

وأكشف عن نور الهدى كل غيهب

وحسبي - إلى أن يسنح الزمن الذي

أميط به عن كل حق محجب -

فضول من الأشغال شتى طوارق

أجيل بها حيناً بنان المجرب،

فهاتيك آرابي التي عشت طالبا

فأين حياتي من طلابي ومأربي؟

(مقرظ لا مقرطق)

نشرت الرسالة الغراء في عددها الصادر في أول نوفمبر سنة ١٩٣٣ كلمة تحت عنوان «قص الشعر في الأدب العربي» بقلم الاستاذ علي شرف الدين جاء فيها (... فقد كانوا يضعون الأقراط في أذان سقاتهم من الغلمان ويطلقون على كل منهم (غلام مقرطق) الخ

فالاستاذ يريد بهذا ان يقول: ان الغلام الذي يوضع القرط في اذنه يسمي مقرطقاً وهو خطأ منشؤه عدم التفرقة بين القرط والقرطق، وبين المتحلي بالقرط ولابس القرطق. فالمتحلي بالقرط يسمى مقرطاً ولابس القرطق مقرطقاً، والقرطق ملبوس من ملابس العجم يشبه القباء. قال الفيروزابادي في القاموس: القرطق كجندب لبس معروف معرب كرته، وقرطقته فتقرطق البسته إياه فلبسه اه. وفي المصباح القرطق مثال جعفر ملبوس يشبه القباء وهو من ملابس العجم اه

فانت ترى أنهم لم يختلفوا في معنى القرطق فهم متفقون على انه ملبوس يشبه القباء وانما الخلاف في ضبطه فجعله صاحب القاموس كجندب وجعله الفيومي في المصباح كجعفر. (وقد حرفه المولدون) في إشعارهم كقول ابن المعتز:

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة في درة بيضاء

واخطأ عمر الوداعي فظن مقرطق بمعنى ذي قرط في قوله:

قلت لهم لما بدا مقرطق يحكي القمر

هذا ابو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر

وانما هو مقرط كما في شرح الفصيح(١) اه ولعل الخطأ تطرق إلى الأستاذ من الوداعي صاحب هذين البيتين فظن المقرطق ذا القرط كما ظن هو نفسه وغلبت عدم صحته؟

برهان الدين الداغستاني

(١) من التعليقات على ادب الكتاب.

فلا أنا أدنى اجتهادي لبُغيتي
ولا الدهرُ مما عشتُ أبغي مقرّبي
وما فزتُ من خدنٍ بخيرٍ من الذي
لديَّ ومن خودٍ ودارٍ ومطلبِ
ولم أرها إلا طيوفاً تباعدت
مدى العمرِ ما تدنو إلى مترقّبِ!

فخري أبو السعود

رواية الابناء والمحبين

للكاتب الانجليزي د. ه. لورنس

نقد وتحليل

أراد د. ه. لورنس في روايته أن يصور لنا في خيالي النزعة دقيق المشاعر في دور الانتقال الاول من حياة الصبى الى حياة الرجال

وليس الفتى «بول» في هذه الرواية الا الفتى د. ه. لورنس نفسه، فابوه عامل خشن من عمال المناجم يعول أسرته بعمل ذراعيه ولا يعرف من لذات الحياة غير المأكل والمشرب ولاسيما الاخير منهما. وأما مسز موريل أمه فامرأة مهذبة من أسرة من الطبقات المتوسطة، كان ابوها مهندسا وكان رجلا كبير الجثة جميلا بادي العظمة فخوراً بلون بشرته الابيض وزرقة عينيه وفخورا أكثر باستقامته، وقد شابهت جرترود (أي مسز موريل) أمها في ضآلة البنية ولكنها ورثت خلقها بما فيه من تكبر وشدة حساسية من أسرة أبيها.

ومع ذلك تزوجت هذه المرأة المهذبة من ذلك العامل الخشن، فقد قابلت وهي في الثالثة والعشرين من عمرها فتى من وادي أرواش في حفلة من حفلات عيد الميلاد. وكان موريل عندئذ في السابعة والعشرين من عمره، وكان جميل الجسم معتدل القامة ظاهر النشاط ذا شعر اسود متموج لامع ولحية سوداء قوية لم تحلق قط، وتلوح على خديه علائم الصحة، ويلفت النظر فمه الاحمر الرطب لانه كان يضحك كثيرا ويضحك من أعماق قلبه، وقد وهب تلك الموهبة النادرة أعني الضحكة القوية الرنانة، ولاحظته جرترود فسحرت به وكان مليئا بالألوان والحياة ويتنقل صوته بسهولة الى المضحك الغريب، وكان سريع الخاطر ظريفا مع الجميع، وكان أبوها يميل الى الفكاهة النازعة الى السخرية، ولكن هذا الرجل يختلف عنه: ففكاهته ناعمة بعيدة عن التعمق الذهني وحارة فيها نوع من اللعب

أما هي فكانت على الضد من ذلك ذات عقل دائم التساؤل قابل للمعلومات يجد لذة كبيرة في الاصغاء الى الآخرين وكانت ذكية في جر الناس الى الكلام، تحب الآراء وتعتبر مثقفة

تثقيفا كبيرا ، وتحب بنوع خاص المناقشة فى الدين والفلسفة والسياسة مع رجل مهذب ، ولكنها لم تكن تمتع بهذه الفرصة كثيرا : لذلك تحمل الناس على أن يتكلموا معها عن انفسهم وتجدفى ذلك لذة كبرى ؛ وكانت فى شخصها ضئيلة ورقيقة ذات جبهة عريضة تتساقط عليها عناقيد من الحرير الأسمر المجعد ، وعيناها الزرقاوان مستقيمتان أمينتان باحثتان ، يداها جميلتان كسائر أهلها ، وملابسها دائما ذات لون قاتم فتلبس رداء من الحرير الازرق الغامق ، وتضع سلسلة فضية ذات شكل خاص ودبوس كبير من الذهب المجدول ، هذا كل ما تتزين به ، وكانت بعيدة عن الاهواء شديدة التمسك بالدين ، مليئة بالصراحة الجميلة .

فتن والتر موريل عند ما التقى ناظراه بناظريها فكانت عنده هذا موضوع غرابة وسحر إذ كانت سيدة فهى اذا كلمته نطقت فى لفظ جنوبى وفى انجليزية صافية يرتعش لسماعها .

***

ليس موضوع الرواية حب ولتر موريل عامل المناجم وتزوجه من جرترود كوبارد ، وانما موضوعها أجل من ذلك ؛ ولكننا أردنا أن نسوق شيئا من وصف الرواية لهما كى نتعرف اليهما قبل أن نتعرف الى ابنهما الصبى بول موريل

وليس بول بكر أولادهما ، فوليم موريل كان أكبر الأولاد واليه تحول حب الام حين حل الجفاء بينها وبين زوجها محل الحب الأول ، اذ لم تلبث السيدة موريل وهى المهذبة المثقفة أن اكتشفت حقيقة زوجها ورأت وراء ذلك الجسد الذى سحرها بفتوته روحا خشنة غير مهذبة ، وأخذ زوجها كزملائه يقبل على الكأس فلا يذهب الى البيت الا ثملا واذا كان ثملا ، كان جافا تبدو خشونة طباعه .

الى الابناء ولاسيما الابن الاكبر وليم تحول حب الام وصممت بعزيمتها الفولاذية على أن يكون أبناؤها متفقين بارزين فى مضمار الحياة ، وكان وليم فتى طموحا يميل الى التعلم وقد تمكن من أن يجد عمل كاتب فى أحد المحال القريبة من قريتهم ثم انتقل الى عمل فى لندن وصارت زيارته للاسرة عيدا من الاعياد .

وأحب وليم فتاة من الكاتبات فى لندن وعزم على الزواج منها فقدمها الى عائلته وكانت فتاة كثيرة الاهواء محبة للتظاهر ورأت الام بعين الحنو انها لا تصلح لابنها ولكنها بعين الحنو أيضا سكتت على مضض .

على أن الفتى كان يكتشف حبيبته شيئا فشيئا ، ويرفع الستر عن عينيه كما يدل على ذلك حديثه فى زيارته الاخيرة لأسرته . وكان ذلك فى مساء يوم السبت

وقد خاطب امه مرة واحدة فى ذلك المساء وكان يتكلم عن حبيبته فى لهجة الحزن والألم :

« ولكنك تعلمين يا أماه انى لو مت لتألمت شهرين ثم تأخذ فى النسيان ، وسترين انها لن تأتى الى هذا المكان لتنظر الى قبرى — لن تأتى مرة واحدة »

فقالت امه : ولكنك لا تموت ياوليم ، فلماذا تتكلم عن الموت ؟

على ان القدر رسم له ان يموت ، فقد عاد الى لندن فى منتصف ليل الاحد وفى يوم الثلاثاء تسلمت مسز موريل برقية بان ابنها مريض ، فاسرعت الى القطار ولا ريب فى ان الام كانت تشعر ذلك الشعور الخفى بالكارثة ، ولا ريب فى انها كانت تقاوم ذلك الشعور وتغالبه فلا تستطيع ، ووصلت الى لندن لتراه يموت بين احضانها دون ان يتعرف الى امه

***

ان الصفحات التى وصف فيها د . ه . لورنس دخول الموت الى هذه الاسرة لهى من اروع ما كتبه

تحطمت آمال الأم فى وليم فتحولت الى ابنها بول ونشأ بول كما نشأ جميع افراد العائلة على حب الام وعلى ان يعتبر اباه خارجا عن الأسرة ، ونجد صورة من ذلك فى مرض حدث له وهو لايزال صبيا :

« اصيب الغلام بنزلة صدرية ولكن لم يهتم لها كثيرا ، فان ماحدث قد حدث ، وليس ثمة فائدة من مقاومة الاشواك ، وكان يحب المساء بعد الساعة الثامنة عندما تطفأ الانوار ويستطيع ان يرقب لهيب نيران الموقد يبدد ظلام الحائط والسقف ، ويرى ظلالا عظيمة تموج وتضطرب ، وكأن الغرفة امتلأت برجال يتقاتلون فى سكون

كان الاب يدخل غرفة المريض قبل أن يأوى الى فراشه ومن عادته ان يكون فى نهاية الرقة اذا مرض احد فى البيت ، ولكنه كان يعكر جو الغرفة لدى الغلام

سأل موريل فى رفق : « هل أنت نائم يابنى ؟ »

فأجاب الغلام : « لا هل امى آتية ؟ »

انها انتهت الآن من طى الملابس ، أتريد شيئا ؟ وكان موريل يخاطب اولاده بلهجة الاحترام

— لا أريد شيئا ولكن هل تغيب طويلا ؟

— لاتغيب طويلا يابنى

ووقف الأب برهة فى تردد فوق الطنفسة المبسوطة امام الموقد وقد شعر ان ابنه لايريده، ثم ذهب الى اعلى السلم وقال لزوجته.

— ان الطفل يريدك ! هل يستغرق عملك وقتا طويلا ؟

— لن اتركه حتى انتهى منه، قل له ينام

فقال الوالد لابنه فى لطف : « انها تقول لك نم ».

فألح الغلام : « انى اريد ان تأتى »

فنادى موريل من السلم، لن ينام حتى يراك

— كفى ! فلن آتى حتى انتهى من عملى، ثم كفاك صياح من اعلى السلم، فان الاطفال الاخرين ...... »

فقال الاب : « لن تغيب طويلا »

وظل الاب يجول فى الغرفة، وبدأ على الغلام، القلق وكأن وجود ابيه زاد من نفاذ صبره، واخيرا وقف موريل امام ابنه لحظة ثم قال فى صوت رقيق : « ليلة سعيدة ايها العزيز »

فأجاب بول : « ليلة سعيدة » ودار بجسمه الى جانبه الآخر وقد شعر بالارتياح لانه صار وحيدا.

وكان بول يحب ان تنام امه معه، وما زال النوم فى اكمل حالاته على الرغم من اقوال الاطباء عندما يشترك فيه المحبوب فان حرارة الزوج وطمأنينتها وأمنها والراحة الكبرى فى تلامس الجسدين تربط النائم بالنوم بحيث يكون الجسد والروح فى عنايته وقد رقد بول الى جانبها ونام وتحسنت حالته، اما هى والنوم لايزورها سريعاً فقد نامت بعد ذلك نوماً عميقاً اعاد الى نفسها قوة الايمان.

*

ولكن الامهات لايلبثن ان يجدن منافسات لهن فى ابنائهن، ورواية الابناء والمحبين. انها الاقصة ذلك النضال الخفى الذى يقوم بين الام وبين تلك التى تريد ان تحول قلب ابنها اليها.

ففى مزرعة ويلى وجد بول حبه الاول : فتاة هى اخت لاصدقائه اولاد اصحاب المزرعة.

كانت مريم ذات نزعة خيالية وكانت كبيرة التعلق بامها « وكان كل منهما ذات عينين عسليتى اللون، وذات نزعة صوفية؛ « فكانت من اولئك النساء اللاتى يكتنزن الدين ويتنفسنه من انوفهن، وكانت مريم تظن الله والمسيح شخصا واحدا تحبه حبا شديدا وتخشاه »....

« وكانت هذه المخلوقة لاتهتم لجمالها الخجل المتوحش المتوقد حساسية، بل لاتكفيها تلك الروح ذات النزعة الشعرية فكانت، تبحث عن شىء آخر يقوى ماطبعت عليه من كبرياء، لانها شعرت بانها تخالف غيرها من الناس، ولكنها نظرت لبول نظرة اخرى فهى بوجه عام تكره الرجال. على انها رأته من نوع آخر سريعا خفيفا رقيق قد يكون احيانا آية فى اللطف ويتغلب عليه الحزن احيانا، وهو ذكى يعرف الشىء الكثير وقد طاف الموت مرة بعائلته، ورفعه فى عينيها الى السماء ماحصل عليه من المعلومات الضئيلة .. »

أحبته الفتاة واخذ الفتى يفتح قلبه للحب، ولكنه كان حبا غريبا خفيا ممزوجا بكل مافيها من مشاعر الدين والتقوى، واما حب الفتى فكان فطريا ممزوجا بتلك العاطفة التى يمتزج بها الحب كثيراً فى نفس فتى تحول قريبا من دور الصبى الى دور الرجل، وقد رأت فيه الفتاة مثلا أعلى للرجل المتصف باكمل الصفات، أما الشاب ذو الشفة المرتعشة بحرارة الشهوة فكان ينظر الى الحب من ناحية أخرى

لم يلبث الفتى ان مل هذا الحب، واراد حبا أكثر انسانية واقل تطلعا الى الملائكة، ووجده عند كلارا التى كان يعمل معها فى محل واحد

تعلق الفتى بها وتعلقت به، وتجاذب النفسان تلك العاطفة تجاذبا. نقرأه بدقائقه فى هذه الرواية، ولكن شيئا كان يحول بين توافق هذين القلبين كما كان يحول بين توافق قلب بول ومريم

الواقع ان هنالك حبا آخر عنيفا محطما كان يعمل دائما على التفريق، وهذا الحب المحطم هو حب الام لولدها : فبول كان شديد التعلق بامه وامه شديدة التعلق به والحنو عليه : فلما ان طمحت نفسه الى حب آخر لم يجد الى التخلص سبيلا، انه لم يشعر بذلك لان هذا الحب كان يجذبه بخيوط خفية دقيقة لايراها ولايستطيع الا ان يظل فريسة، فعندما تحول حب بول عن مريم كانت الام تجذبه، وعندما تحول حبه عن كلارا كانت الام تجذبه

ولم تكن الام تعمل على ابعاده ولا هى تسعى لذلك سعيا ظاهرا. بل هى تود سعادته وخيره، وتود ان يصل الى كل مايرضيه، وانما نفوذها القوى عليه وحمايتها الشديدة له وعنايتها به منذ صغره الى ان مرضت مرضها الاخير والى ان لفظت آخر انفاسها امامه — هذا النفوذ هو الذى حطمه فى صباه وقد يحطمه فى رجولته

فموضوع الرواية الحقيقى قد لايكون حياة بول وانتقاله الى الرجولة وتفتح عينيه الى سر الحياة، وانما هو : نفوذ الام وعطفها الذى قد يكون اشد خطرا على حياة الشاب من جميع الاخطار

وتعتبر هذه الرواية من اوائل روايات (د.ه. لورنس) ويضعها البعض فى مقدمة رواياته لكن اسلوبها المصقول الحذر ينم على يد لم تكن من المران بحيث تطلق عنانه وان كان ينم فى التحليل النفسانى نبوغا لايقل عن نبوغه فى خير رواياته ؟

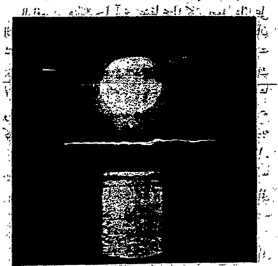
حسن محمود

العلوم

نور الشمس فى منتصف الليل

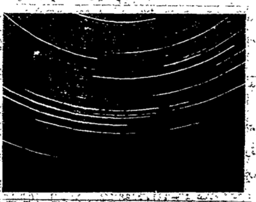
للدكتور علي مصطفى مشرفة

فى الاقطار القطبية الشمالية لا تغرب الشمس وقت الانقلاب الصيفى (أى حوالى ٢١ يونية) بل تبقى فوق الافق طول الاربع والعشرين ساعة. ويذهب حينئذ كثير من عشاق الطبيعة إلى الجزء الشمالى من شبه جزيرة اسكاندناوه أو إلى اسبتزبرجن لرؤية «الشمس فى منتصف الليل» كما يسمونها (انظر شكل ١) ولكي نفهم امكان [illegible]



شكل ١ — منظر الشمس فوق الافق الشمالى عند منتصف الليل فى الاقطار القطبية

حدوث هذه الظاهرة يكفى أن نتذكر أن القطب الشمالى للكرة السماوية (موضع النجم القطبى تقريباً) يرتفع عن الافق كلما تحركنا شمالا على سطح الارض. حتى اذا دخلنا الدائرة القطبية صار ارتفاعه عن الافق أكثر من ٦٦،٣٣ اى اكثر من بعد الشمس عن القطب الشمالى عند الانقلاب الصيفى. وبذلك يصير شأن الشمس حينئذ شأن النجوم المحيطة بالقطب والتى تدور فى حركتها اليومية فى دوائر محيطة بالقطب دون ان تشرق او تغرب (انظر شكل ٢)



شكل ٢ — تتحرك النجوم المحيطة بالقطب فى دوائر حول القطب بحيث لا تشرق ولا تغرب. وقد اخذت الصورة بتوجيه الآلة الفوتوغرافية نحو الافق الشمالى وترك اللوح معرضا نحو ساعتين.

ومع ان امر هذه الظاهرة معلوم لدى الخاص والعام الا ان القليل منا من يعرف انه من الممكن رؤية نور الشمس (لا الشمس ذاتها) فى منتصف الليل دون ان نتطرف شمالا الى ابعد من خط عرض باريس او جنوب انجلترا. فالشمس بعد ان يختفى قرصها المنير تحت الافق تبقى اشعتها مضيئة للطبقات العليا من الهواء الجوي وينشأ عن ذلك نور منتشر هو الذي يعرف بالشفق. ويظهر الشفق كقطعة من دائرة تنخفض مع الشمس فى انخفاضها تحت الافق نحو ١٨ درجة اى بمقدار القطر الظاهرى لقرص الشمس نحو ٣٦ مرة. ويجب ان نميز بين هذا النوع من الشفق وبين نوع آخر ناشىء عن وقوع ظل الأرض على الهواء الجوي، يظهر فى الناحية الشرقية للسماء

(١) ارتفاع القطب الشمالى للكرة السماوية من الافق يساوى دائما خط عرض المكان والالمان يسمون خط العرض Polhöhe ومعناها ارتفاع القطب.

كقطعة من دائرة منيرة ذات لون ازرق قاتم يحيط بها قوس ضارب الى الحمرة ثم يرتفع تدريجياً ويتلاشى سريعاً حتى ينعدم قبل ان يصل الى سمت الرأس. كما يجب ايضاً أن يميز بين شفق الغروب وشفق الشروق الذى يظهر عند الفجر وفيه تبدو جميع مظاهر الشفق بترتيب عكسى لما ذكرناه آنفاً.

وفى مصر كما فى سائر البلدان القريبة من خط الاستواء تهبط الشمس عند الغروب هبوطاً سريعاً ولذا فان الشفق لا يبقى طويلا ، ففى مصر يصل انخفاض الشمس عن الأفق وقت الانقلاب الصيفى الى ١٨° بعد الغروب بنحو الساعة والنصف وعندها يحل الليل ويزول الشفق تماماً .

أما فى البلاد البعيدة عن خط الاستواء فان الشمس تنحدر فى غروبها صيفاً انحدارا بطيئا فيمتد أمد الشفق ، وإذا راعينا أن غروب الشمس ذاته يجيء متأخرا صيفاً فى البلاد الشمالية أدركنا نتيجة هذين الظرفين مجتمعين فى إطالة النهار. واذكر أننى اثناء اقامتى فى انجلترا كنت استطيع أن اطالع كتبى وقت الصيف فى حديقة المنزل على ضوء النهار إلى ما بعد الساعة العاشرة مساء.

ومن الممكن إذا علم خط عرض المكان حساب مدة بقاء الشفق . فعند خط عرض باريس مثلا يمكن بحسبة بسيطة معرفة أن انخفاض الشمس وقت الانقلاب الصيفى يصل إلى ١٨° عند منتصف الليل ، ولذا فان شفق الغروب يبقى إلى منتصف الليل ، وعندها يبدأ شفق الشروق وبعبارة أخرى لا يكون هناك ليل حقيقى فى ذلك اليوم . وفى شمال انجلترا تبدأ هذه الظاهرة بشكل أوضح إذ يمتزج الشفقان ويبقى نور الشمس (المنعكس عند طبقات الهواء العليا) واضحاً طول الليل . وإذا قلنا إن نور الشمس يمكن رؤيته عند منتصف الليل عند خطوط العرض التى تقع شمالى باريس فيجب أن نذكر أن هذا النور يكون ضئيلا ، ومن السهل أن تكشفه أنوار المدينة أو نور القمر ، ولذا يحسن إذا أريدت رؤيته أن يخرج المرء الى الريف البعيد عن الاضواء الصناعية بشرط ان يكون الشهر القمرى فى أوائله أو أواخره. ومما يساعد على حسن رؤيته وجود اجسام معتمة كالاشجار مثلا على الافق . ويرى فى الشكل ٣ صورة فوتوغرافية اخذت الساعة ١١ مساء بواسطة فانوس اسقاط (فانوس سحرى) ذى عدسة مكثفة عرّض اللوح فيها ١٩٠ ثانية وفى الآخرين ٣٩٠ ثانية ويظهر فيها بوضوح نور الشفق من الناحية الشمالية فى السماء .

علي مصطفى مشرفه



شكل ٣ــ الشفق فوق الافق الشمالى الغربى اخذت الساعه ١١ مساء قرب باريس

نوبل

للدكتور أحمد زكى

فى اليوم الحادى والعشرين من اكتوبر الماضى احتفل القوم بمرور مائة عام على ميلاد الفريد برناد نوبيل . وما كان العالم فى حاجة الى التذكير بميلاد نوبيل أو بموته فذكراه تتجدد كل عام ، تجددها تلك الجوائز السنوية الخمس التى تحمل اسمه والتى أنشأها عند وفاته عام ١٨٩٦ ووقف عليها ريع ثروته الهائلة ، وقد يبلغ الخمسين ألفا من الجنيهات فى السنة الواحدة . قال نوبيل فى وصيته .... ويقسم هذا الريع هكذا : نصيب للفرد الذى يأتى بأخطر استكشاف فى الفيزياء (١) ، ونصيب للفرد الذى يأتى بأخطر ابتداع فى

(١) هى لفظة العراق لكلمة Physics أما الطبيعة فتقابلها Nature والحق أن Pyhsics ليست دراسة الطبيعة وانما دراسة قواها . وبهذا نتفادى اللبس عند ترجمة Physical و Natural وما اليهما من المشتقات

الكيمياء أو بتجديد خطير لابتداع قديم . ونصيب للفرد الذي يأتي بأكبر جديد في الطب أو في الفسلجة (٢) ، ونصيب للفرد الذي ينتج في عالم الادب أجل نتاج على ان ينحو فيه صاحبه منحى الاديالين Idealists ، والنصيب الخامس والأخير للشخص الذي زاد أكثر من غيره في أخاء الامم ، وجاهد أكثر من سواه في الغاء الجيوش أو في انقاصها وفي جمع المؤتمرات وزيادتها تحقيقا للسلام ... وا ، اعلن رغبتي الصريحة في الا تكون لجنسية المترشحين اى اعتبار مهما قل عند القرار بمنح هذه الجوائز »

هذا نوبل كما يتراءى في وصاته : رجل حباه الله الثروة الواسعة ، ومنحه العقل الذي يدرك به خطر العلوم الطبيعية في تقدم الانسان واسعاده ، ووهبه قلب الشاعر الذي يزهد في صور الكون الواقعة ، وحقائقه الراهنة ، لقبحها ولنقصها ، ويستلذ صورا من خلق الخيال لا حقيقة لها ، لأنها تمثل الكون على ما يجب ان يكون ، والانسان على اتم حال من جمال ونبل ، والاشياء على أكمل اتساق وانتظام ، فالنتاج الادبي الذي يجيز عليه يجب ان يكون اديالياً كمالياً لا حقيقياً واقعياً ، واتسع هذا القلب حتى وسع الأمم جمعاء فخشي عليها مهالك القتال وأشفق عليها من متالف الحروب

أما نوبل قبل الوصاة ، نوبل القرن التاسع عشر فرجل عالم مهندس كيمائي ، صرف مواهبه في استكشاف بوائق الحروب والتفنن في اساليب الموت وتشجيع القتال بأبحاثه حتى كفل للحكومات الحجة التي لا تدفع في فض الخصومات

ولد نوبل في استكهلم عاصمة السويد عام ١٨٣٣ وذهب أبوه به صغيرا الى عاصمة روسيا حيث أنشأ معملا لصناعة الطوربيد ، ثم عاد به الى السويد وخلف أخاه الاكبر قواما على ذلك المعمل فوسعه ومدده . وفي السويد بدأ نوبل بدراسة الناسفات . وكان الوقت ملائما لهذه الدراسة ، فان النزاع بين الدول كان يشتد واسباب الخصام تتكاثر ، وزادت الريبة وأشكل المستقبل ورأت كل أمة خلاصها من الحرب في العدة للحرب . ومن الغريب ان العالم لم يكن يعرف ويألف من الناسفات الى ذلك العصر غير البارود ، وكانت الكيمياء الحديثة قد بدأت تشب . والتفاعلات الكيماوية تدرس فتعرف ، فكان من الطبيعي ان تتجه الأمم في تنافسها الى الكيمياء علها تجد عندها سلاحا جديدا أمضى من الحديد ، أو مرادفا أقوى وافتك من البارود . فدرس الدارسون واجتهد المستنبطون ، تارة يستحثهم المجد ، وتارة يغريهم المال ، وتارة أخرى تلهبهم القومية وما يتضمنها من ضرورة في دفاع ، أو إشباع لأطماع ، فكشفوا في النصف الاخير من القرن الماضي عن طائفة من الناسفات طالعنا آثارها في الحروب التي تتابعت من ذلك العهد ، رأينا فعلها وسمعنا دويها في الحرب الكبرى الاخيرة التي ذهبت ببضعة ملايين من بني الانسان .

بدأ نوبل دراسته فوقع على مادة اسمها « النترو - جلسرين » Nitroglycerine وذلك عام ١٨٦٤ . وهذه المادة كان قد وقع عليها من قبله كيماوي آخر يدعى سبريرو عام ١٨٤٦ وحضرها باسترة الجلسرين وحامض الأزوتيك إلا أنه لم يحقق ماهيتها ولم يدرك خطرها في النسف وشدتها عند الالهاب والطرق . فاتجه نوبل الى دراستها رجاء احلالها محل البارود ، والى تحضيرها جملة ، والى تعرف اسباب الحيطة لتجنب أخطارها أثناء التجهيز . ونجح في كل هذا بعد ان أصابه من مخاطرها ما لا بد منه ، فحضرها مادة مائعة ثقيلة تشبه الزيت ، فبدأ يشيع استخدامها في المرافق الحربية والمدنية . وهي اذا تفرقعت استحالت فجأة الى احجام كبيرة من غازات أهمها غاز الكربونيك والأزوت والاكسجين وبخار الماء تزيدها حرارة التحلل تمددا . حسب نوبل مقدار ما ينبعث من غاز فوجد ان الحجم الواحد من الزيت يخرج ١٢٠٠ حجم من الغاز ، هذا باحتسابه في حرارة الجو العادية وتحت الضغط العادي ، أما وهو في حرارة التفاعل

(٢) هي علم وظائف الاعضاء

فيبلغ ثمانية أضعاف ذلك. وعلى ذلك فهذا الزيت أقوى من البارود ثلاث عشرة مرة. الا انه لم يكن كالبارود لينطلق بسهولة، ومع هذا كان احساسه عند الاصطدام كبير. ففكر نوبل ثم فكر، فخال ان يدس فيه شيئا قليلا من البارود يصله بفتيل قابل للالتهاب يطيله كيف شاء، ثم يشعله فتسرى فيه النار، حتى اذا وصلت الى البارود فى خزانته الصغيرة انطلق فانطلق بانطلاقه «النتروجلسرين». وهذه أول مرة عُرفت أُطلق فيها ناسف بناسف، وهو احتيال لعب دوره الكبير فى الناسفات، ولايزال يلعبه كبيرا الى وقتنا هذا، وبه أفلت «النتروجلسرين» من خيبة محققة. الا انه ما كاد يذيع حتى ذاعت بذيوعه فواجع ونكبات لوصول أيد غير خبيرة اليه. وزاد فى خطره قوامه المائع ومظهره الرطب الهادىء: فطمأن اليه بلهاء نالوا منه حتوفهم ـ كان ينقل على عربات تجر، فذات مرة صات العجل وصرّ فما كان من صاحبنا الحوذى الطيب القلب الا أن شحمها بالزيت الذى يحمل. وكان الحطّابون يزيتون به أحذيتهم، ويدهنون به أعنة خيولهم، وبعد ذلك يحكونها ويلمعونها. وتكررت الحوادث وتتابعت انفجارات ذهبت احداها بأخى نوبل، فسنت الحكومات القوانين بتحريم صناعته، وثار حنق الجماهير على نوبل اذ تمثلوه رجلا لاقلب له يسعى لصالح نفسه، ويطلب المال مما فيه دمار الناس. عندئذ ضاعف نوبل جهده وحشد قواه ليؤمن الناس من شر تلك النكبات. فبحث عن جسم صلب مسامى يمتص النتروجلسرين. وبعد تجارب عدة فى هذا السبيل وجد أن «الكيزلجور» Kieselguhr يمتص أكثر من سواه. والكيزلجور طفل ذو مسام كثيرة، أصله نباتات من الطحالب العائمة التى تعيش فى البحار والانهار على السواء ذات خلية واحدة متسلس جدارها، ماتت فرسبت هيا كلها فتكونت منها طبقات كثيرة تستعدن الآن. وهى تستخدم فى الجلاء وفى أغراض أخرى: فخلط نوبل سحيق هذا الطفل بثلاثة أمثاله من النتروجلسرين فتشربه وتكون منها خليط ناسف أسماه «الديناميت»، كان أضعف من النتروجلسرين قوة، ولكنه كان أكثر اتزانا منه وأقل حسا بالصدمات وآمن فى النقل، فاطمأن الناس اليه وذاع أمره فى البلاد شرقا وغربا

الا أن هذه الرخاوة فى مزاج الديناميت والهدوء فى طبعه لم تعجبا نوبل، وساءه أن يحصل الأمن بأضاعة شدة الناسف، ويشترى الطمأنينة ببيع شىء من قوة الانفجار، فقام لساعته ينقب عن مفجر جديد يجمع الى شدة النتروجلسرين أمن الديناميت. يشفع قوة الاول بطمأنينة الثانى، فخرج بعد الكد والصبر والتعرض للاخطار الى مخلوق جديد أسماه «الجيلاتين الناسف»، وهو مزيج من مادتين كلتاهما ناسفة. أولاهما النتروجلسرين، وأخراهما النتروسليولوز، وهو القطن بعد معالجته بحامض الأزوتيك، ويتألف من خلطهما جسم كالفالوذج مظهرا، وهو الموت والدمار مخبرا

وعالج نوبل هذا الفالوذج الجديد «بالسليولويد» أو «الطبخ»، فوقع على مفجر جديد أسماه «باليستيت»، من خواصه انه اذا انفجر لايملأ الجو بالدخان، وهو من نوع الناسفات الشائعة فى الجيوش اليوم. وكان قد اتصل بالحكومة الانجليزية يعمل معها، فسجلت هذه الحكومة ناسفا جديدا أسمته «كورديت» كان يشبه «الباليستيت» شبها قريبا، فخاصمها نوبل عليه وادعاه لنفسه واتفقا معا على رفع الامر للقضاء والرضاء بما يقسم دون أن يعكر ذلك ما بينهما من صفاء، وكانت قضية فيها تعقد وفيها ابهام، وكان فيها للقضاة لا شك حيرة كبيرة، وأخيرا فازت الحكومة، فغرم نوبل ثلاثين الفا من الجنيهات، فغاظه ذلك وترك فى نفسه أعقابا

ان الناسفات اداة للدمار السريع الشامل تنزل على البلد ذى الأهل الكثير والسكن المشيد فلا تترك فيه لا أهلا ولا سكنا، وتذهب فى ساعات أو أيام بآثار للمدنية ظل المجهود الانسانى يعمل فيه القرون، آثار لاتقتصر على ابنية ضخمة، ومكاتب مشيدة، ودور للتحف مليئة، ومنشآت للصناعات وسيعة، بل تشمل أكبر أثر وأثمن خلف، ذلك الانسان نفسه، تلك الجماجم البشرية التى تطيح وبها تراث الأمم وثقافات الأجيال وودائع الدهور. والناسفات كذلك

العالم النسائي

رســـالة المرأة

للآنسة أسماء فهمى

درجة شرف فى الآداب

اختص الرجال بالنبوة دون النساء ، وعد الرجل ذلك الاختصاص بطبيعة الحال بابا للتفاوت بينه وبين المرأة ومبررا للتعالى عليها ، ولكن المرأة وإن لم تنل هذا الشرف فى الاديان السماوية فانها فى الامم الوثنية القديمة كمصر واليونان قد بلغت من تقدير الانسان حد التأليه فعبدها السنين الطوال . . . وأقام لها أبدع الهيا كل واجمل التماثيل والنصب ، فكانت مثلا المعبودة ايزيس التى عدها قدماء المصريين رمزا للفضائل النسوية من حنان وشجاعة وصبر ووفاء ، تنافس الآلهة الآخرين بوفرة قرابينها وكثرة قاصديها . وكذلك عبد افروديت وفينوس ملايين البشر من اغريق ورومان ، إذ كانتا رمزا لصفة مرغوبة فى المرأة وهى الجمال ... منبع الوحى والألهام . والعرب الذين لم يقيموا التماثيل للمرأة لا فى جاهليتهم ولا فى اسلامهم جعلوها حلية فى صدر قصائدهم التى لها ماللتماثيل المصرية من جلال وفخامة ، وما للتماثيل الاغريقية من خلود وجمال ، فجرت العادة ان يترنم الشاعر باسم المرأة فى مطلع قصيدته وإن لم يكن الموضوع موضوع غزل وهيام ، وذلك اعتراف بليغ بما للمرأة من أثر فى عبقريتهم وفنهم .

والعالم الحديث يقدر مافى المرأة من قوة الوحى والألهام بطريقة لاتختلف كثيرا عن طرق الاقدمين . ففى عالم الفن مثلا تستخدم المرأة للتعبير عن العواطف السامية والمعانى الرقيقة فترى « وات (Watt) » الفنان القدير يمثل الأمل فى غادة فتانة تجلس على سطح الكرة الارضية تحت سماء لايبزغ فيها غير نجمة واحدة ترسل قبسا ضئيلا من الضوء ، تحاول ان تعزف نغما على قيثارة ليس بها غير وتر واحد .. كذلك تشانى يمثل الربيع بما فيه من حيوية متدفقة ، وأمل باسم ، وجمال فاتن فى (فلورا) الشهيرة ذات الحسن الرائع . والمثال المصرى « مختار » فى تمثال نهضة مصر ، يمثل مصر الحديثة التى أخذت تلقى جانبا أغلال الخمول بفتاة قروية ممتلئة جمالا ونشاطا . ولم نذهب بعيداً فى ضرب الامثلة وبين أيدينا غلاف مجلة « الرسالة » ترى فيه المرأة حاملة شعلة الوحى والثقافة؟

على ان وحى المرأة ورسالتها لايقتصران على عالم الفن وانما يلعبان كذلك دورا خطيرا فى الحياة العملية وخصوصا فى أشد ظروف الحياة صعوبة وخطرا ، فترى المرأة تصحب الجيوش إلى ميادين القتال لا لتضميد الجراح فحسب ، بل لتقوية العزائم وبث روح الاستبسال والتضحية فى النفوس أيضا

ذلك هو المكان الرفيع الذى تشغله المرأة فى الحياة فضلا عن وظيفة الامومة التى تستدعى الايحاء باستمرار الى الابناء ، والمرأة المصرية بصرف النظر عن وظيفتها الخاصة تحمل رسالة مزدوجة لبنات جنسها ولأبناء وطنها وهم فى فترة التطور الحرجة .

وماذا عسى ان تكون هذه الرسالة التى تضطلع باعبائها المرأة؟ إن الشهد لايصنع الامن رحيق الزهر ، ونموذج الفن لايوحى الى النفس بالكمال الا اذا بلغ نهاية الاجادة .. فمن الطبيعى اذن ان تكون رسالة المرأة للمرأة هى حثها على اتباع مايجعلها اهلا للوحى والألهام بان تعمل على تجميل النفس قبل تجميل الوجه والثوب ، فاذا لم تسم روح الفتاة وتعل همتها لا تصلح للقيام بمهمتها . فالفتاة العابثة المستهترة التى تكتفى بالقشور من الف صنف للتمويه والتغرير ، والفتاة التى لا تعيش لمثل أعلى بل لاتخرج عن عالمها المادى المحسوس وضروريات الحياة الاولية ، لايمكن ان ترتفع الى سماء الوحى لأن المادة المتغلغلة فيها تقعد بها عن النهوض والسمو .

ورسالة المرأة للرجل تنسجم مع رسالتها السالفة وتتفق مع أغراضها ونحيها ، فتيار المادة فى نفس الرجل ونفس المرأة قد طغى وأقام حجابا بينهما وبين المثل العليا . واصبحنا فى عصر قلما يصغى فيه لوحى غير وحى المنفعة الذاتية ، ونتج عن ذلك ضعف روح الاستبسال من أجل الوطن والمبدأ والعقيدة ، وصرنا نفر من المقاومة اذا ابصرنا الخصم أكثر منا عددا واعظم عدة ، فكأن الغرض مجرد الانتصار لا تادية الواجب واراحة الضمير بصرف النظر عن النتائج . فرسالة المرأة فى هذه الحال هى الحث على العودة الى تعاليم الفروسية ، لان أهم مايفتقر اليه الرجل حقا هو تلك

ليـــلى الاخيلية

آخر منظر من حياتها

للآنسةسهير القلماوى

ليسانسيه في الآداب

الصحراء هادئة نائمة لايحرك رمالها الا ريح خفيفة ناعمة تهب بين آونة وأخرى . والليل ساكن صاف ، والسماء سوداء قاتمة لولا نجوم تضيء هنا وهناك : واقبل المسافران يتهاديان على جمليهما ، وعلى مسافة منهما سار قومهما . وكأنما كان هذان المسافران رسولى حركة وحياة لهذا السكون المهيب ، فقد هبت بقدومهما رياح عنيفة شيئا ما ، فأزعجت رمال الصحراء المستكينة الهادئة .

المسافران امرأة وزوجها ، والتفت الرجل الى المرأة وكأنما وجد فى هذه الرياح الجديدة سببا يقطع به هذا الصمت الذى لازمهما منذ بدء رحلتهما . ولكن المرأة كانت ساهمة ذاهلة فلم يقو على الكلام ـ لقد كانت تشع منها قوة عجيبة تضطره بل تضطر كل شيء حولها الى السكون والهدوء احتراما لتفكيرها وحزنها

ورفعت المرأة رأسها فى هدوء ، واتسعت عيناها متجهتين نحو نقطة صغيرة لاحت لها فى الافق القاتم من بعيد . وظلت عيناها عالقتين بهذه النقطة وكأنما ربطتا اليها ربطا . ثم اتضحت هذه النقطة شيئا فشيئا فاذا بها أكمة صغيرة . هذه هى الأكمة التى كانت تفكر فيها ، هذه هى الأكمة التى كانت تتحرق شوقا للوصول اليها

ورنت الابيات للمرة المائة فى اذنيها بصوت عذب عميق هادىء .

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة او زقى اليها صدى من جانب القبر صائح

ترى ايجيب حقا ؟ لقد كان صادقا لم تعرف له كذبة قط . ولكن من سمع بميت يجيب حيا ..؟ توبة ..! لقد مات ..! نعم مات فبكيته ورثيته .. أأكون حالمة ؟ وهل أفيق من حلمى فوق هذه الأكمة ؟ نعم سأفيق ، سيجيبنى ، ساخلص من هذا العذاب الذى يحرق اعصابى حرقا .. ولوان ليلى الاخيلية سلمت .. لسلمت تسليم البشاشة ..

ظلت ليلى تردد الابيات مفكرة وعيناها عالقتان بالأكمة التى لاحت الآن واضحة ظاهرة ، ورأى الزوج الأكمة فعبس وقال لنفسه : لن تمر ليلى بهذه الأكمة حتى تصعد الى قبر توبة . وثارت فى نفسه ثورة الغيرة واخذ يتساءل ساخطا حانقا . ايمكن ان يكون حب كهذا ؟ لقد احبته فتاة ، ولكنه تزوج غيرها وتزوجت غيره فلم يضعف هـــذا الحب ، وهاهو ذا الآن قد مات ودفن وبلى جسمه ولكنها مازالت تحبه . لم أقو انا على محو ذكره ، لم أقو انا على ملء فراغ تركه بموته ، نعم لم استطع ازاء هذا الحب شيئا..

ظل يغلى فى ثورته ، وظلت هى فى تفكيرها الحزين المؤلم ، حتى وصلا الى الأكمة ، فاتجهت اليها صاعدة ، ولكن زوجها صاح بها حانقا ثائرا ..

— ليلى ! ارجعى لن تصعدى

ولكنها اجابته بصوت حزين وكأنها لم تلاحظ ثورته

— تمر ليلى بقبر توبة فلا تحييه ؟ وصاح بها ثانية !

— ليلى ! ربك لاتصعدى . لقد مات . توبة ولن تجديه تحييك شيئا .

وصدمتها كلماته صدمة عنيفة ، لقد مات توبة ولن تجديه تحيتى . كلا كلا توبة لم يمت ! ان روحه حية ، ان صوته مازال يرن فى اذنيها ، فوان ليلى الاخيلية سلمت لسلمت .. نعم سيسلم على ، سيجيب

الروح السامية التى اكسبت العصور الوسطى حلى مالها من جلال ووقار . فقد كان الفارس يخوض المخاطر ويركب الأهوال فى سبيل عقيدته ووطنه ، وكان يضع الشرف والكرامة فوق الحياة نفسها ، ويرتبط ، بالعهد ارتباطه بدينه . وليس معنى الرجوع الى ذلك العصر هو احياء تلك الفضائل فى عصرنا ، فالواقع ان تلك الصفات تسود اليوم أكثر بلاد الغرب ، وهى مصدر مايعتز به من إباء وكبرياء واستقلال وحرية

وهناك غرض آخر لاختيار ذلك العصر ، فقد كان على رغم خشونته وقسوته مدينا بالكثير من فضائله الى وحى المرأة . اذ قضت التقاليد ان يتطلع كل فارس الى سيدة شريفة يتوسم فيها العظمة والنبل ، فيعمل على كسب اعجابها بان يخوض الغمار باحثا عن المجد مدفوعا بروحها مترنما بذكرها

فاذا كانت المرأة قد قامت بمثل هذا الدور برغم انحطاط مركزها وفى عصور امتازت بقسوتها وبأن الكلمة العليا فيها كانت للسيف ، فهل تعجز المرأة الراقية فى عهد الاستقرار والأمن عن ان تلهم أشبال السلم وهى التى على ضعفها قـــد الهمت أسود الحرب ؟

اسماء فهمى

٥٦ ١

لم تجبه واستمرت فى طريقها صاعدة . ونادها فلم تجب . وتوسل اليه فلم تسمع . وهددها فلم تحفل به . إن توبة يدعوها من فوق الأكمة ولن يصدها عن دعوة توبة احد

ووقفت جانب القبر خاشعة حزينة مضطربة تنصت لدقات قلبها وقد خيل اليها أن صداها يملأ السهل . لم تكن تحس الا ان توبة هنا . فهذا قبره حيث رقد من زمن . ان روحه تملأ المكان وصورته تملأ عينيها . وصوته يرن فى أذنيها . ستناديه وسيجيب . ولكن لم تقو على فتح فمها . . . تجلدت قليلا قليلا ثم استطاعت ان تفتح فاها . واخيراً استطاعت أن تقول همسا:

— السلام عليك ياتوبة .!

وانصتت الأذن وظلت هكذا مرهفة ، كل مافيها يترقب ، لقد احست انها معلقة من علو شاهق ستهبط منه بعد حين . ولكن الصمت طال وبدأت تعود الى نفسها رويداً : بدأت تحس دبيبا موجعا هو دبيب اليأس . توبة لم يجب . واخذت شفتاها تلفظان دون أى صوت : توبة لم يجب .. ثم التفتت الى القوم وقالت فى صوت يائس محزون وكانها تحدث نفسها :

— والله ماعرفت عنه له كذبة قط قبل هذه ! ألم يقل:

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقى اليها صدى من جانب القبر صائح

فما باله لم يسلم على كما قال؟

وأحس الجمل بوجوم ليلى ووجوم القوم معهما فاضطرب واضطرب الهودج معه . ولكن ليلى لم تحس شيئا ، لقد كانت تنتظر فى ايمان صادق قوى جوابا من القبر ، ولم تستطع الحقيقة ان تقتلع هذا الايمان بعد . فهى مازالت منتظرة ... توبة لم يسلم عليها ولكنه لن يتركها هكذا ..

وكانت الى جانب القبر بومة كامنة ، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت فى وجه الجمل فنفر فرمى ليلى على رأسها فماتت من وقتها فدفنت الى جنبه ،

ان توبة لم يكذب فى حياته ، فكيف يكذب فى مماته ؟

سهير القلماوى

أبولو

نوبل

(بقيه المنشور على صفحة ٣٣)

اداة للخير فقد أفادت الانسان ونفعت العمارة والمدنية بتكسير الصخر وتفكيك الحجر وخرق الأنفاق وثقب الجبال وفى حفر القنوات حيث الأرض صلدة لاينفع فيها عضل السواعد . والمقدار الذى يستنفد منها فى ذلك أضعاف مايستهلك فى الحروب . والمنشآت الهندسية الكبرى كقناة بنما والسكة الحديدية الكبرى فى امريكا الشمالية التى تصل المحيط الأطلسى بالهادى .. وبناؤها برغم الجبال العاتية التى اعترضت بناءها . وغير ذلك من المستحدثات العالمية الخطيرة شواهد لاتنازع على ما أدت الناسفات من خدمات جليلة يرد نصيب كبير من الفضل فيها الى نوبل

استخدم نوبل فى شبابه وكهولته رأس الشاب وحيلة الكهل فى فك قيود عن قوى للطبيعة عاتية ، ولعله رجا ان تكون وسيلة لمغالبة الطبيعة لا مغالبة الانسان ، ثم رأى حقيقة ماصنع شيخا ، وأحس خيبة ما أمل ، فصرف اواخر أيامه فى بث الدعوة الى السلام . وتخيل فعلا للأمم نظاما أشبه شىء بجامعة الأمم الحاضرة وقد ولدت بعد وفاته بربع قرن . وكأنما أراد ان يكفر عن الخراب الذى جاء الأمم على يديه فى حياته ، والخراب الذى خال ان يجيئها بما اقترف بعد مماته ، فوقف كل ماجمع من صناعة الدمار لدرء الدمار ، فلنستقبل ذكراه معجبين منه برأس العالم المحتال ، وقلب الانسان النبيل

احمد زكى

النجم أقرب

قال الصغير وقد رأى فى الليل نجما قد تلهب
أبتى ، بربك هاته كيما أسر به وألعب
فأجبته هذا بعيد ، ليس كل مناك يطلب
فمشى ولاحت دوننا سيارة للأرض تنهب
روغاء تجتذب العيو ن كأنها فى الارض كوكب
فدنا وقال : إذن فمر كبة كهذى حيث أركب
فوجمت ، ثم أجبته : النجم يا ابنى كان أقرب!!!

محمود عمار

قصة مصرية

تقاليد . . .

للأستاذ محمد سعيد العريان

لم يكن حامد قد أتم دراسته العالية حين بدأت تقوى صلته بصديقه حسين افندى ، ولم يكن الحديث بينهما كلما تقابلا يتجاوز السؤال عن الصحة والانجال ، والذكريات القريبة عن جهادهما فى صفوف الشباب الوطنيين ، ولا يذكر حامد انه زار صديقه حسينا فى منزله غير بضع مرات كان فى معظمها مريضا ، وما أكثر مايشكو المرض ! ومرة دعاه حسين افندى الى زيارة منزله فلبى . وكانت هذه أولى زيارات متتابعة قوت بينهما رابطة الاخاء والود ، وزادت إخلاصهما تمكينا وقوة.

كانت منيرة بنت حسين افندى فتاة فارعة الجسم ، معتدلة القامة ، خمرية اللون ، فاتنة النظرة ، عذبة نغم الحديث ، تبدو فى أنوثة فاتنة نضجت فى شعاع ثمانية عشر ربيعا . ورآها حامد فاعجبه أن يتحدث اليها ، وأن تتحدث اليه ، وأن يشعر فى أثناء ذلك أنه موضع اهتمامها حين تسأله عن حياته فى القاهرة وحيدا أيام الدراسة ، وابتدأ أهل البيت يرتاحون لزيارته فى ثقة واطمئنان ، وابتدأ هو يحس الشوق كلما أخلف موعد هذه الزيارة . وصار من المألوف أن يزورهم كل يوم ، وأن يسألوا عنه كلما غاب . وانتهى الصيف وعاد حامد الى القاهرة يستقبل العام الثانى من دراسته فى كلية العلوم ، ولكنه لم يشعر بالاستقرار وهدوء البال اللذين كان يشعر بهما فى العام الماضى ، وانما كان كثير الحنين الى البلد حيث قضى أيام الصيف . أهو شعور السأم من الوحدة فى بلد تذوق كل ما حل من لذاته ، أو ملل الدارس طال به انتظار الثمرة ، والحنين الى أهله والصفوة من أصحابه فى البلد الذى نشأ فيه ؟

لم يستطع حامد أن يجيب على هذا السؤال الا بعد أيام حين وصلته رسالة من صديقه حسين ، أودعها شوقه وتحيته ، يخبره أن منيرة مريضة منذ أيام . ماكان أسرع صاحبنا حينئذ الى كتابة جواب هذه الرسالة ، على كسله وتوانيه فى كتابة الرسائل ! لم يذكر شيئا من رسالة صديقه الطويلة ذات الصفحات الاربع غير مرض منيرة ، ولم يكتب شيئا فى جوابه غير السؤال عن منيرة والاهتمام بها ، والدعاء لها ! وفى صندوق البريد ألقى الجواب ، ثم خرج منفردا فى نزهة وراح يفكر . . . وبدا له أنه كان متسرعا كل التسرع ، عجلا كل العجلة ، فيما ضمن جوابه من عبارات . أي صلة بينه وبين حسين افندى تسمح له أن يهتم كل الاهتمام بابنته ، وأن يصرح بالشوق اليها ، والالم الموجع لمرضها فى كتاب لابيها وليس من التقاليد أن يتكلم الشبان عن بنات أصدقائهم بهذه اللهجة الناعمة المفتونة ؟ ولكن حامداً نفسه لم يكن يعرف لماذا كتب ذلك ، ولا كيف اندفع اليه ونسى التقاليد والادب اللائق ، أكان يحبها وهذا وحى عاطفته ودافع وجدانه ؟ ربما !

بلغته رسالة أخرى من صديقه حسين افندى ، فلم يكن بها ذكر لمنيرة أو نبأ عنها . أكان تجاهلا مقصودا ؟ وهل كان ذلك من أثر رسالته ؟ ترى ماذا كتب فيها ؟ لقد نسى كل ماجرى به قلمه ، ولم يذكر الا انها كانت رسالة تجاوز بها التقاليد التى يدين بها حسين افندى أكثر مما يحرص حامد على نبذها . . .

وكأنما انقطعت عنه أخبار صاحبته منذ أمد طويل لا منذ أيام ، وابتدأت تغزو فكره مرات فى اليوم الواحد ، وأخذ يذكر حديثها ويستعيد الكثير مما ينكره ويردده بلسانه فى لحن عذب الايقاع ، وطارت حولها أمانيه ، وعقد بها مستقبله . لقد كانت وهى بعيدة أقرب منها بين عينيه ! ولم يشغله فيما تلا ذلك من أيام الا أن يحصى كم بقى من الزمن ليعود الى هناك . . .

وكثرت زياراته للبلد : زارها مرتين فى الشهر الاول ، وثلاثاً فى الشهر الثانى وكان فى كل زيارة من هذه الزيارات يجد نفسه مسوقا إلى ناحية بيت حسين افندى ، فيقضى هناك بعض الوقت قبل أن يزور أمه واخوته . ورأى فى ترحيب صاحبته به ، وسرورها بمقدمه معنى لم تنكره عيناها ، واعترفت به ضغطة يدها عند اللقاء وعند الوداع . لم تعد به حاجة لأن يسأل نفسه عن سر ذلك ، فقد أيقن أنه وأنها . . .

وأضمر أمراً وأسره إلى صديق ؛ فقد كان يفكر فى أن يختارها لنفسه زوجة . ولكن أتراه يستطيع أن يقدم على ذلك وهو ما يزال طالباً بينه وبين رجولة الأزواج أعوام ثلاثة ؟ وماذا عليه لو خطبها إلى أبيها وطلب إليه أن ينتظر حتى يتخرج ، أتراه يقبل ذلك ويرضاه لها ؟ وكيف يبدؤه الحديث ؛ بل كيف يتحدث الناس فى هذا الشأن ؟ لقد مات أبوه منذ سنوات ، والأب هو الذى يستطيع أن يتحدث باسم ولده فى مثل هذه الشئون . . . ولم يطل به التفكير فى ذلك ؛ فقد ذاع ما جنبه سراً بينه وبين صديقه حتى وصل إلى مسمع الوالد !

(٢)

وزار البلد بعد ذلك ولكنه لم يسعد بلقاء حبيبته ؛ فقد حجبوها عنه ، وأقاموا بينه وبينها التقاليد ، أى أغلقوا دونها الأبواب وأرخوا الستور . قد يكون أسعد منه الآن : فهي تستطيع أن تزيح السجف لتراه كلما زارهم ؛ ولكنه لا يراها وليس إلى لقائها من سبيل ! وابتدأ الدور الثانى من أعراض الحب ، وعصف الشوق بقلبه ، وعبث بلبه ، وسيطر على ذات نفسه . وانصرم العام لا يذكر أنه رآها فى خلاله أو استمتع بها غير نظرات كحسو الطير ، ما كان أقرحه بإجازة الصيف ! لقد كان يظن أنه يستطيع فى إبانه أن يصل ما انقطع من لذاته باللقاء — عهده الأول — ولكن ما كان أبعد أمانيه . . . ! وضاقت نفسه مما يجد ، وأحس الشوق يفرى كبده ، والحسرة تشوى قلبه . وانقضى الصيف ، وعاد إلى القاهرة لم يتزود بتسليمة مشتاق أو نظرة وداع ، وحسب أنه هناك يستطيع أن ينشد السلوة ويلتمس العزاء فى جوها الصاخب ، فقضى أيامه الأولى بها على شر ما يقضيها العاشق . ولكن شأناً خاصاً دعا صاحبته أن تزور القاهرة وقتئذ ، وتنزل فى ضيافة بعض ذوى قرباها هناك ، فتجدد الأمل عنده ، وأحس كأنما نسيم القاهرة أصبح ندياً عبقاً بعد إذ كان ناراً حامية يصلاها بعيداً عن الأهل والأحباب . . . وكان من حظه أن لم تجىء معها التقاليد فتلاقيا غير مرة ، وخرجا للنزهة مرات ، فلم يتركا بين منازه القاهرة موضعاً لم يشهداه على حبهما ، ثم عادت إلى البلد وخلفت له الشوق و[illegible] ، وكلما لج به هواه وألح عليه الشوق أنس فى وحدته بذكرى تلك الأيام القليلة ، أو خرج يلتمس العزاء هناك . . . حيث كانا يجلسان ، لعله يسمع فى همس النسيم صدى ما كانا يتناجيان ، أو يستوحى عيون الزهر سر ما استودعاه لديها من عهود الماضى ، ويتسمع فى خرير الماء رسالة ضلت الطريق إليه ، أو يتفيأ فى ظلال الخائل مجلساً طالما بسط لهما ذراعيه وضم . هيهات ! لقد صمت النسيم إلا حنين المهجور ، وجف الزهر إلا عبرة الآسى ، وخرس الماء إلا بكاء الواجد ، وسكن الشجر إلا هزة الشيخ حطمته السنون . ليته لم يلقها بعد إذ أيأسه منها ذلك البعد الطويل ، لقد كان من يأسه فى راحة ! . . . كيف تمر الايام على الغريب أوحشت نفسه وانقطع ما بينه وبين الناس ؟ إنه ليخيل إليه أن الزمن عبء ثقيل على كتفيه يجاهد للخلاص منه ولو بالخلاص من الحياة ، وكلما عاد بنظره إلى الخلف عجب كيف استطاع أن يقطع كل ذلك الماضى وكيف انصرمت أيامه والجبل لم يخف عن كتفيه ، ولم يزل بينه وبين الخلاص أمد لا يمتد النظر الى نهايته ؟

الآن لم يبق بينه وبين الحصول على اجازة كلية العلوم غير عام واحد يستطيع بعده ان يتقدم فى ثقة بنفسه واطمئنان إلى مستقبله ليخطبها إلى أبيها ؛ ولكنه حسب إن هو تعجل الحديث فى هذا الشأن تفتحت أمامه الأبواب ، وانزاحت الحجب ، وانكشفت الستور ، واستطاع أن يظفر بلقاء (خطيبته) على عين أهلها وأن يتحدث اليها بينهم ؛ واغتنم فرصة سانحة ، وما هى إلا أن استجمع شجاعته ؛ فانطلق يحدث أباها ، وأبوها ينصت اليه فى هدوء . لاشك أنه كان ينتظر أن يسمع هذا الحديث منذ زمن طويل ؛ وأنه هيأ فى خياله صورة هذا المجلس من قبل . فلم يلبثا أن تصافحا فى حرارة وعزم ، وقلباهما مفعمان بالسرور ، وعلى أساريرهما بشر ناطق .

منذ ذلك اليوم أصبح حامد خطيب منيرة . وإن لم تتناقل الأفواه هذا الخبر لأنهما حاولا أن يبقياه سرا بينهما حتى يحين يوم إعلانه . وأحس حامد بعض إحساس الملكية لشىء فى هذا البيت الذى كان الناس يرونه كثير التردد عليه ، ويدفعهم الفضول الى البحث عن دواعيه . ولكن لم يتغير شىء مما ألفه حامد ونقم عليه وحاول الخلاص منه من قبل . فلا هو استطاع أن يرى خطيبته أو يتحدث اليها . أو يسأل عنها سؤال الشخص عمن يهمه . لقد زاد الحجاب بينهما . وزاد التكلف ؛ وبدأ حديث حسين افندى عن بعض شؤونه الخاصة فيه بعض الحذر وبعض التأنق . وهو ما لم يكن معهودا [illegible] من قبل ؛ وأصبح صاحبنا حامد يخجل أن يبدو منه بعض الاهتمام بشأن منيرة ؛ حتى ليتحاشى أن ينطق باسمها ؛ كأنه يحس فى اختلاج شفتيه عندئذ لهفة مشتاق ؛ وفى نبرات صوته رنين قبلة مكتومة ؛ واذا نطق به مرة فنى مثل مناجاة الحالم أو اقرار الخاطئ . ولم يكن حامد ليسره ذلك أو ترتاح اليه نفسه ؛ لقد كان يريد

بتعجيل الخطبة أن يكون أقرب اتصالا بصاحبته فاذا هو أبعد مما كان ؛ ولقد صرح عن رغبته مرة أو مرتين فكان اعتذار حسين افندى مضحكا حين نسب الى ابنته الخجل والتأبى على ذلك فكأنما تأبى شيئا ترضاه . لقد كان حامد يريد أن يستوثق من حب صاحبته وثباتها على العهد قبل أن يسافر الى القاهرة ؛ ولعله كان يريد أن يتزود من حبها بما يقوى عزمه على المضى فى جهاده المدرسى مرحلته الاخيرة . عجيب ! لقد كان الى قريب يستطيع أن يراها وان يبادلها الحديث ولو بابتسامة أو إيماءة على بعد ، ولم يكن غير ذلك الشخص الذى يزورهم كثيرا لأنه صديق ابيها ، حتى إذا ارتبطا بعهد وثيق على أن تكون زوجته ، وان يكون أقرب الناس اليها — حيل بينها وضوعفت الحجب والستور ! تقاليد ؟ لو أنه لم يكن قد رآها من قبل ولم يجلس اليها يتحدثان الساعات ، ويمتد تعارفها السنين — لكان من حق التقاليد أن تسيطر على عواطفهما وتملى إرادتها ! تقاليد ؟ إن الجهل بعض تقاليد الماضى . . . إن الموتى لايملكون ان يتصرفوا فى شؤون الأحياء !

ولم تنقطع زياراته ؛ ولكنها كانت زيارات جافة مملولة ؛ لقد كان يذهب الى هناك كل يوم ، لايكاد يرى فى الطريق من يحييه ، لانه لايرى غير صورة واحدة يبتكرها خياله لتصحبه الى هناك ، وحين يعود ، ما كان أتعسه ! هو آدم ، ولكنه هبط من الجنة قبل أن يذوق الثمرة ؛ على وجهه علائم الخيبة واليأس والسخط والتبرم بكل شىء ، ولكنه كان يذهب كل يوم . . . !

(٣)

وأحس حامد وخزا أليما بين جنبيه حين علم ان التقاليد المعكوسة لاتجعلها تحتجب عن غيره من شبان الاسرة ، وحين سمع صوتها تتحدث الى واحد منهم فى الغرفة المجاورة ، لم يحرم عليه مايحل لغيره ؟ ألأنها خطيبته ؟ لقد كان ذلك أجدر ان يرفع بينهما الحجاب ؟ وابتدأت الغيرة تدب فى صدره . أليست تخرج من المنزل قليلا أو كثيرا لمثل مايخرج له الفتيات من لداتها زائرة أو متفرجة ؟ أليست تسير فى الطريق ينتهب من حسنها كل ذى عينين ؛ ويستمتع برآها كل من أسعده الحظ ان تلتقى بها عيناه ؟ بحسبه مثل متاع هؤلاء : نظرة عابرة ، أو نهلة عارضة ، ولكنهم يسعدون بما يتمناه وهو به أحق ومنه محروم ! !

أى معنى لهذه التقاليد إلا ان يكون من مثل تصرف الأم مع صغارها إذ تمنع عنهم الطعام حرصا على صحتهم ، أو حرصا على الطعام . . ! ولكن الأم لاتمنع أولادها الطعام إلى ان يشفى بهم الجوع على الهلاك ، ولاهى تمنعه لتطعمه قطط الحى وكلابه ؛ ليس قريبها الذى فتحت له الباب ورفعت الحجاب ووقفت تحدثه جديرا بهذه الوقفة على مرمى نظراتها الفاتنة ؛ ومن دون خطيبها الذى يتلهف شوقا أليه أبواب موصدة وحجب مضاعفة ، لماذا لم تمتنع عليه قبل ان يهمس القدر فى أذنه بأمنية الزواج منها ؟ ليته رضى ان يبقى صديق الأسرة زمنا آخر فلم يخطبها ولم يجر حديث الزواج على لسانه ، إذن لبقى كما كان — مأمون الجانب — لاتدق أجراس الحذر لمقدمه ، ولا تغلق دونه الابواب ! ولا يعرف التقاليد ولاتعرفه . . .

ولم يطل بحامد مجلسه فى غرفة الاستقبال بعد ، فخرج مغضبا وفى عزمه ألا يعود ! ولكنه عاد بعد أيام . . ومادام بين جنبيه قلبه الواهى فلن يستطيع ان يدبر أمرا أو يحكم خطة .

ومرت أيام ، ومحا جديد الشوق ماضى الغضب ، وجلس مع أبيها يتحدثان فى غرفة على الردهة لايحتجب من يمر قبالتها ، ودق باب البيت ، وفتحت الخادم ، وقام أبوها فأوصد باب الغرفة ؛ لقد كانت آتية من زيارة إحدى قريباتها ، فأبت التقاليد إلا أن يقوم أبوها فيغلق الباب دونهما حتى تمر ؛ وماذا يكون لو رآها كما يراها آلاف الناس فى الطريق ؟ بل كما يراها ذلك الشاب الذى جاء يشيعها إلى دارها ؟ وماذا لو كان هو الذى يصحبها ذاهبة لبعض شأنها أو عائدة ؟ تقاليد ؟ لتسحق هذه التقاليد قبل ان تسحقه ؛ إن كان لابد ان يكون أحدهما ضحية . لقد كانت تذهب إلى السينما فاى حرج فى ان يكون بجوارها هناك ، وهى حين تجلس فى مقعدها وترفع النقاب عن وجهها لاتبالى من يجلسون بجوارها ، وفيهم الفتيان وفيهم الكهول . وعادت الغيرة تأكل قلبه ، وتوقد النار فى صدره ؛ وجاهر بغضبه ، وعادت تتمة الاعتذار . وأبوا عليها ان تسافر فى موعد خاص حددوه لها من قبل ؛ لأن صاحبنا كان قد حدد هو أيضا ذلك الموعد نفسه لسفره ، وماذا لو عدوه رجلا ككل الرجال الذين تقدر كل مسافرة ان تراهم يرافقونها فى القطار ؟ وأخلفت بموعدها وسافرت وحدها ، وسافر وحده ، حذر ان يراها أو يجلس إليها ، كما يراها ويجلس إليها كل الناس !

وقدر حامد أنه لايستطيع أن يصبر طويلا على ذلك البعد العيور ، ورأى أن يتعجل أمره حتى إذا ظفر بزوجه استطاع

أن يقف من هذه التقاليد موقفا آخر . ولكن التقاليد أشارت بسبابتها مرة أخرى ووقفت تعترض الطريق : لقد كان هناك بعض أمور لها في رأي رجال الماضي شأن واعتبار تأبى هذا التعجيل ، وخضع صاحبنا للامر مرة أخرى ووقف ينتظر والنار تأكله ، والتقاليد تذيبه .

ترى كيف حالها في إسارها بين هؤلاء الذين يحضون عليها النظرة والإبتسامة ، وهي المشبوبة العاطفة الدقيقة الحس ؛ التي يعلم أنها لاتصبر عن لقائه أكثر مما يصبر ؟ لقد استطاعا مرة أو مرتين أن يتلاقيا على غير رقبة ، وعلى غير موعد أيضا . فلما نمت عيناها بمكنون قلبها وافتضح السر لديهم ؛ كان سؤال فيه إعنات ، وجواب فيه حرج ، فلم يشفع لها غير الدموع !

لقد مر بعد ذلك سنتان أو يزيد ، وموقف صاحبنا لم يتغير ، وتأبى التقاليد أن تتزحزح من موقفها لتفسح الطريق لزوجين يريدان أن يتمتعا بسعادة العيش قبل فوات الشباب ، وشعر أن فؤاده يهرم . وان ذلك الحب الذي كان يعمر قلبه ابتدأ يتحول إلى ذكرى حزينة يائسة ، وصور الماضي الجميل التي كانت ترف ناضرة أمام عينيه ـ تذوى وتتعرى من فتنة الحياة ، والمستقبل الباسم الذي صوره لنفسه من أطياف الأمل ـ تطمس رواءه آلام الحاضر العابس ، ويئس ، وقنع من غرامه الأول والأخير بالذكرى يستعيدها ليعيش فيها لحظات . لقد كان يكره التقاليد لأنها صورة الماضي البالية ، ولكنه عاد لا يؤمن إلا بالماضي ، ولا يرضى أن يعيش إلا فيه . . . !

(٤)

أراد أن يروض نفسه على السلوان ، وأن يدفن ذلك الماضي في أعماق النسيان ، ولكن نارا بين ضلوعه كانت تشعل هذه الذكرى كلما هم أن يطفئها ، وقلبا بين جنبيه لا يفتر ينبض . . و . . في الخيال تمحو صورا وتبعث صورا .

أيقن أن سلطان التقاليد أقوى من سلطانه ، فكيف يحتال على هذه التقاليد حتى تسلس له قيادها ، ويملى فيها إرادته ؟ لوكان يدرى متى تأذن له أن يحتضن خطيبته إليه لاستطاع أن يحمل نفسه على الصبر ، ولكنها تؤجل دائما إلى الغد ، والغد لا يتحقق . .

لقد رأى أختها أمس ؛ نهض صدرها ، وتحير في خديها ماء الشباب ؛ لقد أصبحت هي أيضا عروسا ، أصبحت تنظر نظرتها . . . ولو فتش فيها وراء هاتين العينين لظهر من خلفهما في مرآة الأمل ـ الزوج الذي أبدعت تخيله وأجادت رسمه . . .

وخطر له خاطر : لو أن شابا تقدم غدا الى حسين افندى يطلب يد (سعاد) ورأى فيه مايحمله على قبوله ، فماذا يكون من أمره ؟ ستأبى التقاليد ولا شك أن يزوجها قبل زفاف أختها ، وأبوه لحريص على التقاليد ، وسيأبى عليه أيضا بر الوالد أن يفلت منه هذا الخاطب . وجه التدبير إذن أن يعمل على تعجيل أمر حامد ومنيرة ليخلى الطريق لسعاد ، فينتهى من تقاليد ليبدأ تقاليد غيرها . . .

ياله من أمل ! إذن لاستطاع حامد أن يتغلب على التقاليد بالتقاليد نفسها ، بل ان يملى عليها إرادته ويهزأ بها كما أماتت عليه إرادتها من قبل هازئة جبارة . . !

. . . . . .

ومرت أيام ، وتلتها أيام . . . وفجأة وقعت المعجزة وكان وقعها سعيدا ، لقد تقدم الخاطب الوجيه يطلب يد سعاد .

كيف تقدم . . ؟ من أين تقدم . . ؟ من يدرى . . ؟

وابتدأت التقاليد دورتها في فلك جديد ، ترمى إلى هدف آخر ، أما حامد افندى فقد هدأت نفسه ، وتفيأ ظل الطمأنينة . لقد ظفر بأمنية الحياة . . . !

ولكن . . هل تزوجت سعاد بهذا الخاطب . . ؟

محمد سعيد العريان

العلوم

مجلة علمية ، أدبية ، اقتصادية تصدر مؤقتا مرة في الشهر

يسرنا أن نرحب بصحيفة راقية جديدة . يحررها نخبة من رجال العلم الأفاضل ويحاولون فيها أن يقربوا المسائل العلمية الدقيقة الى اذهان القراء غير الاخصائيين .

ذلك هو الغرض الذى ترمى اليه (العلوم) التى صدر منها العدد الأول في الشهر الماضى ، ولا يتسع المقام هنا للاشارة الى ماتضمنه من بحوث سهلة قيمة ، ولكن اذا كان لنا أن نسترشد بهذا العدد للحكم على ماسيأتى بعده ، فاننا لانشك في أن حضرات المحررين الأفاضل قد وفقوا الى تحقيق غرضهم والى خدمة القارىء المتعطش للثقافة العلمية دون أن يكون لديه الوقت ولا الوسائل التى تمكنه من دراستها دراسة عميقة .

ونحن نرجو أن تلقى هذه الصحيفة النافعة من القراء ماتستحقه من التشجيع



الاعاصير

نظم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال عمي الكريم عبد الرحمن عزام: قد أهدى الى من وراء البحار ديوان اسمه الأعاصير فاحسست فى كل حرف منه ناراً، وفى كل بيت أعصاراً، وذكرت قصائد المتنبي الذى يقول فيها

مدحت قوماً وإن عشنا نظمت لهم   قصائداً من إناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة   اذا تنوشدن لم يدخلن فى أذن

قلت: فأعرنيه لأقرأه. قال: على شرط أن تكتب عنه فى الرسالة، قلت: إن وجدته جديراً بالكتابة.

قرأت الديوان كله فاذا قلب ثائر، ونفس طامحة، ملكت عليها العربية فكرها واحساسها فليس بها الا الفخر بماضى العرب، والأنفة من حاضر العرب، والرجاء فى مستقبل العرب، واذا الكتاب كاسمه أعاصير ثارت فى البرازيل، وانطلقت كقصائد المتنبى

اذا سرن عن مقولى مرة   وثبن الجبال وخضن البحارا

حتى وافت بلاد العرب تذكى فى خمودها ناراً، وتنفث فى كل نفس أعصاراً،

تتبع الشاعر احداث حوران ودمشق وفلسطين، فاشاد بذكر أبطالها، ونعى على من خذلوهم، وخص أهل لبنان قومه، بأوفى نصيب من لومه، وهو فى شعره كله عربى لايفرق بين دين ودين وقوم وآخرين، بل هو على مسيحيته يعتز بالعرب المسلمين ويعجب بمفاخرهم. ويعذل المسيحيين على أن لم يساهموا اخوانهم فى الثورة على الباطل، والاستجابة لدعوة الوطن

والشعر جملته معمود بالمعانى الجيدة. حال بالاسلوب السهل المتين

ولا أطيل على القارىء بوصفى، ولكن أدع الشاعر يعرب عن آلامه وآماله. وضع على غلاف الديوان سبعة أبيات منها:

الهى رد مالك من أياد   على وطنى ورد لها الأيادا
خلعت على رباه الحسن فذا   والبست القطين به الحداد
شبول الأرز بات الحلم عجزاً   وبعض الصبر موت إن تمادى
فكونوا النار تحرق أو قذى فى   عيون البطل ان كنتم رمادا

وأهدى الكتاب الى شهداء الوطنيين فى بيتين

يارفاتا تحت الرمال دفينا   مبعدا عاطل الرموس نسيا
لك أهدى هذا الكتاب لأنى   لم أجد فى البلاد غيرك حيا

ويقول فى قصيدته (بطل الصحراء) التى لقاها فى حفلة لاغاثة أبطال المجاهدين، والخطاب لسلطان باشا الأطرش

ياشريدا عن البلاد طريدا   انت فى كل معبد من بلادك
كل مافى أقلامنا من مضاء   مستمد من مرهفات حدادك
كل مافى صدورنا من لهيب   هو أضرام ورية من زنادك
كل ما فى هتافنا من دوى   هو ترجيع نبضة من فؤادك
كل مافى آثارنا من خلود   هو تاريخ ساعة من جهادك
أيها المنجد المحاويج عار   أن تصم الأسماع عن امدادك
لو فرشنا لك الجفون مهادا   وجعلنا الأهداب حشو وسادك
ماجزيناك ساعة من ليال   بت عنا على حراب سهادك
كل حر فداك يافادى الشا   م وأولاده فدى أولادك

وفى قصيدته التى يصف فيها هجوم سلطان باشا على الدبابة الفرنسية وقتل من فيها:

وثبت الى سنام التك وثبا   عجيبا علم النسر الوقوعا
وكهربت البطاح بحد عضب   بهرت به العدا فهووا ركوعا
كأن به إلى الافرنج جوعا   وسيفك مثل ضيفك لن يجوعا
تكفل للسرى بالخصب لما   هفا برقا فأمطره نجيعا
وفجر للدماء بهم عيونا   تجارى من عيونهم الدموعا
فخر الجند فوق التك صرعى   وخر التك تحتهم صريعا

ومن قصيدته التى عنوانها (الاستقلال حق لا هبة) يصف فيها مجاهدى حوارن:

ولئن نسيت فلست أنسى بينهم   رجل الرجال وفارس الفرسان
فكأنهم منه مكان قناته   وكأنه منهم مكان سنان
يرمى بهم قلب الوطيس كأنهم   حمم الحمام قذفن من بركان
يفنى الرجال باحدب ومقوم   ضدين فى اللبات يلتقيان
ويكاد يفترس العدو جواده   فكأنه أسد على سرحان

وفى عيد استقلال لبنان:

تروى بدجلة مدمعى وفراته   ياموطنا لم يبق غير رفاته
خلت المحافل من بلابله فلا   تقع العيون على سوى حشراته
حسب الحزين عليك أنك مائت   قد عيدت أحيابه لمماته

شقوا له الأعلام من أ نغانه   وتبادلوا الأنخاب من عبراته
أعلام إذلال كأن خفوقها   في جوه لطم على وجناته
ملفوحة بتجمرات سراته   خفاقة بتنهدات هداته

ومن قوله في لوم قومه:

رضينا للتعصب أن نهونا   فأغمضنا على الضيم العيونا
نقول المسلمون المسلمونا   فنرميهم ونحن الخائنونا
تبيع بدرهم مجد البلاد

فتى حوران لا لاقيت ضرا   لأنت أحق أهل الشام فخرا
لئن لم يؤتك الرحمن نصرا   فحسبك أن غضبت ومت حرا
ولم تسلس لقيد أو قياد

بربك قل متى لبنان ثارا؟   ليدرك من علوج الغرب ثارا
متى نفرت إلى السيف النصارى   لتغسل بالدم المسفوك عارا
وتحرز مرة شرف الجهاد

ويقول بعنوان « صيحة الجهاد »

ولو لم تكوني فرنجية   لكنت سعادي قبل سعاد
ولكنني عربي المنى   عربي الهوى عربي الفؤاد
لعمرك يا موذ (١) لولا ذووك   لما ميز الحب بين العباد
ولا أكرهوا شاعرا أن يقو   ل لهذي البلاد وتلك البلاد
فهم أوغروا بالعداء الصدور   وهم أضرموا النار تحت الرماد
فلا تعذلي شاعرا زاهدا   وكم هام بالحب في كل واد
فإني حرام على هواك   وفي وطني صيحة للجهاد

ويقول في حفلة عيد الفطر التي أقامتها الجمعية الخيرية الإسلامية بالبرازيل:

اكرم هذا العيد تكريم شاعر   يتيه بآيات النبي المعظم
ولكنني أصبو إلى عيد أمة   محررة الأعناق من رق أعجمي
إلى علم من نسج عيسى وأحمد   و « آمنة » في ظله أخت « مريم »
هبوني عيدا يجعل العرب أمة   وسيروا بجثماني على دين برهم!
فقد مزقت هذي المذاهب شملنا   وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحد بيننا   وأهلا وسهلا بعده بجهنم!

وفي قصيدة الأطرش والدبابة:

اذا حاولت رفع الضيم فاضرب   بسيف محمد واهجر يسوعا
« أحبوا بعضكم » بعضا وعظنا   بها ذئبا فما نجت قطيعا

وبعد فللشاعر القروي « رشيد سليم الخوري » الثناء والاعجاب من العرب والعربية، والتحية من كل نفس حرة، وقلب بالمعالي خفاق ؟

عبد الوهاب عزام

(١) فتاة انجليزية تحببت إلى الشاعر

الاسـاليب

(بقية المنشور على صفحة ٦)

يقدم نحو الصواب أو يؤخر. تكون مسألة بحثهم تاريخية أو ادبية أو هيئا علية بحتة قد تولوا درسها على اساس لهم في ذلك فانتهوا الى نتيجة ما ؛ فهم لا يشتغلون بتقريرها وتأييدها ، وتقوية مواضع الضعف فيها ؛ على ما تتطلبه امانة البحث ؛ ويقضى به نظام الأخصاء والتفرد ؛ بل يدعون ذلك الى الأشتغال بأن ما تقره ناحية اخرى أو باحث آخر ليس إلا تضليلا مثلا ؛ أوهو خداع أو ما أشبه ؛ وهذه الناحية وذاك الباحث قد عرض للموضوع بغير طريقتهم وعلى غير اساسهم ، ويزيد النار تأججا ان يكون الموضوع مما للعقيدة مثلا به صلة : فنحن نعرف ان الوشائج متصلة بين الدين والفن ، وبين الدين والعلم في اشياء كثيرة : فالأنبياء والرسل مثلا من حق التاريخ ، والقرآن من متناول الأدب والتاريخ ، فلا جدوى على الحقيقة مطلقا في ان ينتهي باحث في مثل هذه الاشياء الى رأى استقرائي أو حكم تاريخي فيكون همه تأكيد ان غيره من كلام الدينيين خداع أو اتجار أو نحو ذلك مما يعزز حكما ولا يدعم رأيا ؛ بل لا ينفي عنه مظاهر ضعفه على حين يثير المعتقدين في غير طائل ؛ ويفقد الحقيقة فرص الظهور والاتضاح. ولو قرر ما يقرر من ذلك في أسلوب سليم وبحث مستقيم ثم لوح ملوح بمخالفة ذلك للدين ؛ لوجب عندى أن يترك لأهل الدين أمر التوفيق أو التأويل ؛ أو ما لهم مخلص لحمل كل عبثه

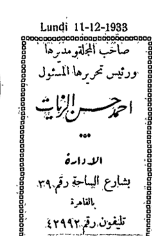
ولو روى وصل الناحيتين لا بد مع التزام حدود التخصص ؛ والاحترام الحقيقي للحرية العقلية للزم السعي اولا الى رجال الدين بهذه الشبهة يسألون كشفها ويكلفون دفعها ؛ فعليهم في ذلك واجبهم يحسنونه او يحرجون بعجزهم ، ويمضي العالم او المؤرخ أو الاديب وقد سلم له أنصاره ووقته وبحثه لا يخسر في ذلك شيئا على غير جدوى ، ولا يثير الا مخالفة عاقلة قد تكشف له عن نقص في رأيه أو تثبت صحته حين تتهاوى النسبة عنه

تلك اساليب بحث وضروب تفكير لها خطرها في تمزيق وحدة الشبان وأفساد الجيل ، وقطع أواصر التآلف النفسي والتمازج الروحي قطعاً يعوق التعاون الاجتماعي الذي يتطلبه الوطن ملحا من هذا الجيل ، فليست الخسارة من وراء اختلاف تلك الاساليب عقلية فحسب ، ولا فنية فحسب ، ولا خلقية فحسب ، ولا اجتماعية فحسب ؛ بل هي كل أولئك مجتمعة ، وما أهولها!!

وفي مصر أساليب أخرى فكرية أفردها بمقال آخر؟

أمين الخولي

Lundi 11-12-1933


صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الباساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Ire. Année, No. 23

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الاقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العدد الثالث والعشرون — القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٥٢ — ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العـــدد

فلســـطين . . . .

بين حديد الانتداب الذى يأكل الأجسام ، وذهب الصهيونية الذى يأكل الأرض ، يعيش العربى فى فلسطين عيش المحكوم عليه بالقتل أو النفى ، إذا سلم له بدنه ، لا يسلم له وطنه ؛ وما هذه الصرخة التى صرخها فصكت المسامع الصم ، وبلغت الضمائر الغلف ، الا العارض المنذر فى الحى بالضر يلوعه ، أو الخطر يروعه ، أو الظلم يحيق به !

وان الصرخة للحياة تسلب ، أو للديار تغصب ، لهى الصرخة التى يدوى فيها صوت الحق ، ويمتزج بها أنين العدل ، ويضطرب فيها احتجاج الانسانية على قوم اتخذوها حبالة لاستعمار الاوطان ، ووسيلة لاستعباد الامم

***

كانت البربرية فى العهود الخوالى تغزو سافرة الوجه ، وتنهب ظاهرة اليد ، وتقول صريحة العبارة ، وتعمل واضحة الغاية ؛ فجاءت مدنية اليوم فوضعت اليد الجراء فى القفاز الأبيض ، وسترت الوجه الكاشر بالنقاب الخادع ، ووفقت بين الناب والفريسة بمعاهدات الصداقة ومؤتمرات السلم ، وصاغت معانى القوة والغصب فى الفاظ القانون ومصطلحات العلم ، وأشفقت على شعور الانسانية فسمت

الاسترقاق تمدينا ، والاغتصاب انتدابا ، والحماية وصاية : وعمقت اغوار القلوب السياسية فلا تعرف لماذا حرمت بيع انسان لانسان ، وحللت بيع شعب لشعب !

هذه أمة من أسبق الامم قدما فى المدنية ، وأعرق الشعوب نسبا فى الحرية ، تسير على دستور رفيع الدعائم أثيل المنبر ، ولم يمنعها عرفها الموروث ولا شرعها القائم أن تبيع فلسطين العربية جهرا لنفايات اليهود ، وليس العرب من مماليكها ، ولا فلسطين من أملاكها ! ثم تسخر لضمان هذا البيع الباطل قوة الحكومة وسلطان الدستور ، وتمثل تحت العلم البريطانى وعلى موطن المسيح أروع مآسى النذالة !!

***

سلطوا على البلاد الجوع وأرسلوا من ورائه الذهب ! فكأنهم قالوا للعربى البائس : إما الوطن ولا حياة ، وإما الحياة ولا وطن ! فأما الذين قهرهم الفقر وبهرهم المال فقد باعوا أنفسهم وأهليهم بيع الغبن للدخيل ، وأما بقايا السيوف وأحفاد الفاتحين فآثروا أن يدفنوا أعزة فى ثراها العزيز ، على أن يتركوها أذلة لليهود والانجليز ، فدافعوا الازمة بالصبر ، والانتداب بالعزم ، والصهيونية بالمقاطعة ، وأروا هذه القوى الثلاث التى حالف بينها الباطل أن العربى الذى غزا العالم ولا يمسك رمقه الا قبضة من سويق وشفافة من ماء ، لا يخذل من قلة ، ولا يفشل من جوع !

***

لك الله يا فلسطين ! لشد ما تكابدين من عسف القوى وكيد الغنى وقسوة الظالم !!

ان دموعك منذ الفاجعة لم ترقأ ، وجروحك منذ الواقعة لم تندمل ، وصوتك الجازع المكروب لا يزال يجلجل فى اعماق الشرق وآفاق العروبة مستغيثا من الخطب الذى نام بألمانيا وأنقض ظهر الدول ! ولكن بنيك البواسل يا فلسطين يتنافسون فى مجد الموت وشرف التضحية ! فهل تخشين ان يعيث فى أديمك المقدس عائث ، وأنت ترين شبابك الميامين يخوضون غمرة الهول وراء زعيمهم الشيخ ، وصدره الواهن مشبوب بعزم آبائه ، وشعره الابيض مخضوب بدم أبنائه ؟

الوطن العربى اليوم فى البلاء سواء . لأنه فقد الروح الفتية التى كانت تعمره ، والحيوية القوية التى كانت تغمره ، وأصبح هيكلا متهدم الجرف لا يملك بعضه بعضا .

على ان فزعته الاجماعية لمظلمة فلسطين تبعث الأمل فى عودة تلك الروح ورجعة هذه الحيوية . ولعلها فزعة المغيث المسعف لا فزعة النادب الآسف ! فان مصاب فلسطين لا ينفع فيه البكاء ولا يدفع منه الحزن

***

ان فاجعة وادى الحوارث صورة صغيرة لمصير فلسطين اذا استنام اهلها للوعود ، وبيعت ارضها لليهود ، وقبض العرب ايديهم عن معونة اخوانهم على دفع هذا الخطب .

وان دول الارض جمعاء لتعجز عن ايفاء وعد بلفور مادامت الارض فى يد العرب ، فاذا ما استنزلوا عنها باغلاء الثمن وإغواء الذهب شتتهم القانون وحده تحت كل كوكب .

فان اليهودى انما جاء فلسطين ليشترى وطنا يستعمره ، لا حقلا يستثمره ، فكل شبر من الأرض يخرج من يد العربى يدخل الى الأبد فى الوطن اليهودى ، ويومئذ لا يرده الى اهله احتجاج ولا تظاهر .

وما الاحتجاج والتظاهر الا إعلان للحق لا دفاع عنه . والدفاع المنتج عن فلسطين اقواه وسيلتان :

(١) أن يأخذ الزعماء والعلماء موثقا من الشعب الا يبيع المضطر أرضه لغير العربى مهما خدعته المطامع ودلاه الطامع بغرور

(٢) أن يقوموا بدعاية منظمة قوية فى الاقطار العربية ، وعلى الأخص فى مصر ، الى تأليف الشركات العقارية لاستعمار فلسطين .

والعرب الذين فطروا على نصرة الأخ ، ونجدة الصريخ ، ومعونة الضعيف ، لا يعرضون عن يد فلسطين التى تمتد ، وصوتها الذى يهيب :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل
وإلا فأدركنى ولما أمزق

احمد حسن الزيات

بيـــير فيلليه

فى اليوم الرابع والعشرين من شهر اكتوبر الماضى كان قطار من القطر آتيا الى باريس من مدينة «كان» فانحرف عن طريقه وسقطت القاطرة ومعها عربات اربع فى هوة عميقة، وكثر الجرحى والقتلى؛ وكان بين الذين حملتهم عربات الاسعاف الى مستشفى قريب فمات فيه آخر النهار عالم أديب من علماء الفرنسيين وأدبائهم هو الاستاذ بيرفيلليه؛ ولم تكد الصحف تذيع نعيه حتى وقع من قلوب الادباء المثقفين الفرنسيين موقعا أليما.

وقد طلبت مجلة العالمين الى الاستاذ جوزيف بديه مدير الكوليج دى فرانس واستاذ الفقيد ان ينعاه فى كلمات قصيرة الى قرائها فى العالمين فقبل رغم ما بقلبه من الحزن. وكتب صفحات مؤثرة نترجمها فيما يلى:

كان بير فيلليه صاحب الآثار الادبية القيمة ضريراً كما يعلم كثير من الناس. اصابته هذه الآفة بعد مولده بقليل، ولكنه لم يرض قط ان يشير فى اثر من آثاره التاريخية الى هذه الآفة؛ وكان يكره ان يشير اليها فى مقدمة من مقدماته على انها تعلة من التعلات او معذرة من المعاذير. وكان يصدر فى ذلك عن رأى له فضله فى كتابه «عالم المكفوفين». كان يرى فى هذا الكتاب عزاء لامثاله انهم ليسوا بحال من الاحوال مغلقين كما يقول الناس وان ليس هناك ميدان من ميادين العمل الاجتماعى او العقلى يؤخذ عليهم ويغلق من دونهم. وان آفتهم يمكن ان تضايقهم ولكنها لا تستطيع ان تعجزهم عن العمل والانتاج؛ لا يحتاجون فى ذلك الا الى أن تكون قلوبهم قوية صلبة. وان أشد آلامهم، او قل ألمهم الوحيد: لانهم لا يرون، انما يأتيهم من هذا الاشفاق الظالم الذى يختصهم به المبصرون. وقد اراد دائما ان يعامل فى مهنته التى كان يحترفها كغيره من الاساتذة. وفى كتبه التى كان يمليها كغيره من المؤلفين كما يعامل غيره من الناس؛ فينقد ويحكم على آثاره فى غير رعاية ما بأنه ضرير.

أيجب على الآن أن أطيع أمره وأحترم كبرياءه هذه؟ لا. فان الموت قد ألغى هذا الامر. وإذا كان من الحق ان آفته هذه هى التى بعثت فى نفسه أقوى الفضائل وأحقها أن تكون قدوة ومثلا، فنى أستطيع أن أقول ان هذه الآفة نفسها هى التى منحت حياته وآثاره نصيبها الموفور من الجمال. وكل من قرأ هذه الكلمات سيشعر بأنى لا أقول هذا إشفاقا وعطفا: بل حنانا وإكبارا

ولاجل أن أجد فى نفسى أصول هذا الحنان والاكبار يجب أن أرجع بالذاكرة الى عهد بعيد. دخل بير فيلليه مدرسة المعلمين العليا فى سنة ١٩٠٠، وكنت حينئذ معلما فيها. كان قبل ذلك تلميذا ينشأ فى معهد العميان الأهلى، ثم اختلف الى غير مدرسة من المدارس الثانوية فى باريس. ثم اقتحم المسابقة لدخول مدرستنا على نفس القواعد والشروط، وفى نفس المواد التى يستبق فيها غيره من المبصرين، لا يميزه منهم الا أنه كان يستعين بغلام أقل منه ثقافة وعلما، فكان هذا الغلام يبحث له فى المعاجم، ويكتب ما يملى عليه. فنجح نجاحا حسناً. ونستطيع أن نتصور ما أدركنا نحن الاساتذة من القلق، وما أدرك رئيسنا الطيب القلب جورج بيرو. كنا نتساءل ماذا نصنع بهذا الغلام الحدث الذى كان يحسن فنون البيان فى اكبر الظن، ولكنه كان ضئيلا نحيلا ضريرا. الى أى نحو من أنحاء العلم نوجهه؟ والى أى غاية نسيره؟ ولاسيما وقد كان يقول إنه لا يحب الا التاريخ وتاريخ الآداب خاصة؛ ولكن كيف كان يعرف هذا النوع من العلم؟ كنا ننظر الى كتبه المكتوبة بالخط البارز والتى اصطحبها حين اقبل الينا فكنا لا نجد الا ديوان فرجيل وبعض الآثار الفرنسية الكلاسيكية، وبعض كتب النحو. ومع ان هذه الكتب كانت تزحم غرفته فانها لم تكن فى حقيقة الأمر الا شيئا يسيرا جدا مما يستعين به التلاميذ. ماذا كان يتصور من أمور البحث التاريخى ومصاعبه؟ الم يكن حقا علينا أن نوجهه الى نحو من انحاء هذا البحث العقلى الذى يمكن ان يعتمد فيه الباحث على تفكيره الخاص، فان صاحب ما بعد الطبيعة أو الاخلاق أو المنطق أو فقه اللغة، يستطيع الى حد ما أن يعتمد على نفسه. فكان علينا اذن أن نبين له الى أى حد يعرض نفسه لخيبة الأمل إن مضى فى طلب التاريخ، وأن نمحو هذه الآمال التى كان يعلل نفسه بها. ولكنى رأيت الحاحه وحزنه، فاعتزمت سراً أن أخضعه لامتحان لا يعلم به أحد.

فكلفته أن يهيء بحثا عن أسطورة من أساطير لافونتين، وهى أسطورة الطحان وابنه والحمار، ليلقيه فى محاضرة قريبة. فقبل محزونا لأنى كنت قد كلفت رفاقه بابحاث اخرى أوسع من بحثه وأعظم خطراً، وكان يحس انى كنت أريد أن أحصره دائما فى التمرينات المدرسية التى كان قد شبع منها حتى أدركته التخمة قبل ان يدخل مدرسة المعلمين؛ ولم يكن يطمئن الى هذا الموضوع الا حين انبأته بأن استاذى جاستون بارى قد خصص

له صفحات عشرا فى بحثه المعروف عن القصص الشرقى واثره فى الأدب الفرنسى . وكنت أكلفه ان يدرس هذه الإسطورة . لا فى صورتها بين اساطير لافونتين ، بل فى صورها الكثيرة التى اختلفت عليها . ولم أدله الا على هذا المرجع ثم انتظرت :

وبعد ستة اسابيع او بعد شهرين ألقى الدرس الذى طلب اليه . فياله من دهش عم رفاقه فى قاعة المحاضرات ! وياله من فرح ملأ قلبى ! فانه لم يكتف كما كان غيره يكتفى بالتفكير فى هذه النصوص الخمسة أو الستة التى رواها جاستون بارى : فقد اهتدى لا أدرى من أى طريق الى مجلة «بنوى» (الشرق والغرب) حيث كان (جودوك) قد أخذ منذ سنة ١٨٦٠ يسجل مجموعات من الإساطير الشعبية ، وما هى الا ان أراه قد استطاع ان يستكشف نصوصا عشرة أهملها جاستون بارى عمدا أو خطأ : هنالك اعلنت مكيدتى وهى ان اعرض على هذا الطالب الجديد ايسر بحث فى ظاهر الامر ، هذا البحث المنهد المطروق لاتبين من أمره ما أريد ، ولأعلم أيكتفى باعادة ما قرأ ، أم يحاول أن يأتى بشىء جديد ، وبينت لرفاقه مصاعب هذا البحث عن الاساطير . وقد كان الناس كلفين به فى ذلك الوقت ، وبينت لهم ما يحتاج اليه الباحث المجد من الجهد والاستقصاء لاستكشاف الصور المختلفة لهذه الاساطير فى كتب غامضة مهجورة ، ثم أنبأتهم بأن جهدا خصبا منتجا للاستقصاء العلمى قد ظهر فى هذا اليوم .

ومالى أطيل الوقوف عند هذه القصة كأنى أريد أن أتحدث عن نفسى ، ذلك لابين اولا كيف كانت الحياة قديما فى مدرسة المعلمين : كيف كانت صورة من صور التعاون بين الاصدقاء ، يعطى الاساتذة فيها من انفسهم اكثر ما يستطيعون إعطاءه : ولكنهم يأخذون من طلابهم مثل ما يعطون ، ثم لأن بير فيلليه كثيرا ما كان يذكرنى بهذه القصة فيما بعد : فى ذلك اليوم اعلن بعض الطلبة المتقدمين الذين لم يسبقهم كثيرون انه مؤمن بهذا الشاب الضرير واثق بفوزه فى هذا النوع من البحث الذى يميل اليه .

ولكن هذا الشاب — بير فيلليه — وجد فى الوقت نفسه بين اساتذته ورفاقه من اعانه على قطع هذه الطريق . وكان منهم الظريف (بير موريس ماسون) والجاد (جبريل ليرو) وكلاهما سقط فى ميدان الشرف اثناء الحرب الكبرى ، ومنهم بول ازار ، وأوجين البرتينى ، وتراشيه ، وموريت ، وبير كومين ، ولويس ريو ، وألكسندر جوانو ، وأميه برتو ، وجاك شيفالييه ... وكم أحب أن أسميهم جميعا هؤلاء الأصدقاء الذين كانوا مثله فى سن العشرين : والذين أعطوه واخذوا منه احسن المثل وأقومها . بهذه التجربة وبتجارب أخرى أمثالها أثبت بير فيلليه أثناء الاعوام الثلاثة التى قضاها فى المدرسة أنه كان قادرا على النهوض باعباء الاستقصاء العلمى وبأثقلها وأشدها تعقيدا .

ومن هنا دهشت الهيئات العلمية . ولم ندهش نحن حين أظهر فى سنة ١٩٠٨ ، بعد أن ظفر بأجازة الأجر يجاسيون — وبعد أن أتم دراسته فى معهد تيير فى ظل اميل بوترو الذى لقيه أحسن لقاء — كتابه الأول الذى عرض فيه مصادر كتاب مونتينى — Essais de Montaigne — وتطور فصوله .

وكان قد فكر فى هذا الكتاب اثناء إقامته فى مدرسة المعلمين ؛ وشجعه على ذلك الأستاذ جوستاف لنسون ، ولأجل أن يبلغ من هذا البحث ما يريد ، بدأ فنسخ كتاب مونتينى بيده خطا بارزا فكانت نسخته تبلغ عشرين مجلداً . ثم وضع حكم مونتينى وتجاربه فى قصاصات من الورق ، وكانت هذه القصاصات التى رتبها على حروف المعجم تملأ صندوقا ضخما لم يفارقه أعواما طوالا . وكذلك تسلح بهذه الادوات وحفظ كتاب مونتينى عن ظهر قلب على اختلاف نسخه ، ثم أخذ يبحث عن مصادره . فمن أراد أن يقدر هذه المحاولة فليلاحظ ما أحاط بها من الظروف . فقد كان يجب أن يقرأ عليه كل المؤلفين الذين نقل عنهم مونتينى ، وكل المؤلفين الذين كان يرجح أن مونتينى قد عرفهم فى التراجم اللاتينية التى كانت معروفة فى وقته : مثل سكستوس أمبيريكوس ، كزينوفون ، ديوجين ، لارتس ، أفلاطون ، وفى التراجم الفرنسية المعروفة فى ذلك الوقت تيودور الصقلى ، هيرودوت ، اريانوس ، وفى النصوص الأولى من لوكريس الى فاليريوس مكسيموس : أى كل ما كتبته روما القديمة تقريبا . ثم ما كتبه علماء النهضة من إرسم الى جوست ليس . واذن فقد بذل بير فيلليه جهده هذا فى قراءة ألف من الكتاب ، ويمكن أن نقدر غنيمته المادية من هذا الجهد اذا نظرنا فى الجزء الرابع من طبعته لكتاب مونتينى التى ظهرت سنة ١٩٢٠ ورأينا المراجع وقد رتبها على حروف المعجم بثمانية آلاف مرجع تتصل بأربعمائة من المؤلفين كتبوا باليونانية واللاتينية والايطالية والفرنسية .

وبنحو هذه الطريقة وبمعونة طائفة من القراء كانوا يعيرونه أبصارهم اعارة آلية استطاع أن يتتبع تأثر المؤلفين والكتاب بمونتينى ، فاظهر كتاب مونتينى ولوك وروسو ، ثم مونتينى وبيكون ، ثم مونتينى والالاهيين الانجليز . هذه عنوانات لطائفة من أبحاثه ظهرت كتباً أو رسائل . وهذا النحو من اظهار استعارة المؤلفين

(البقيــة على صفحة ٤٢)

جواب عن «سؤال»

للاستاذ احمد امين

وجه الاستاذ علي الطنطاوي في العدد الماضي الينا والى ادباء الرسالة سؤالا ملخصه: أنعمل وغايتنا الأدب للأدب؛ ام نعمل وغايتنا الادب للحياة؟ ثم سأل لماذا ينصرف أدباؤنا عن الادب القومي الذي يعالج القضية الكبرى، الى ذلك الأدب الغزلي الضعيف؟ وقد اجبنا اجمالا في ذلك العدد عن بعض هذا السؤال، وتفضل صديقنا الاستاذ احمد امين فأجاب تفصيلا عن البعض الآخر (المحرر)

لك الحق – كل الحق – يا أخي أن تصرخ ونصرخ معك في وجه زعماء الادب العربي طالبين ان يلتفتوا الى الادب القومي، ويكثروا القول فيه، فالعالم العربي كله يجيش صدره بآلام وآمال، والأدب يجب ان يعبر عن هذه الآلام والآمال، بأسلوبه الرشيق، وعواطفه القوية، وخياله الرائع؛ واذ ذاك يجد الناس غذاءهم فيما يقرءون، ولذتهم ومتعتهم فيما يسمعون وينشدون، والناس في كل عصر يتطلبون من الأديب أن يكون موسيقاهم التي تناسب عاطفتهم، فان كانوا فرحين مرحين كانت الموسيقى فرحة مرحة، وان كانوا باكين محزونين كانت الموسيقى حزينة باكية، ومن السماجة أن توقع الموسيقى نغمة فرحة في مأتم، أو نغمة باكية في عرس، وقد كان الناس يقصدون الى الشعراء يشرحون اليهم عواطفهم ويطلبون منهم شعرا يناسبها ويرويها.

كان بيت بشار في البصرة مقصدا لهذا النوع من الناس. يذهب اليه الغزل الذي تجيش في صدره عاطفة الحب ولا يستطيع ان يعبر عنها ليجد بشار من فنه ما يعبر عما في نفسه، وتذهب اليه النائحات لينشدهن شعرا يستنزف الدمع ويبعث الشجا والشجن

وكل عصر له مطالبه، وكل أمة لها مواقفها وعواطفها، ولا خير في الأدب اذا لم يصف الحياة، ويغذّ العواطف، ويجد الناس في كل موقف يقفونه قولا أدبياً قويا يشرحه، وشعرا جميلا يعبر عنه

والعالم العربي الآن له عواطف قومية جديدة لم تكن لديه قبل سنين، هي نتاج التيار الحديث الذي غمر اوربا وسار منها الى الشرق، فملأ مشاعرها ألما لما هي فيه، كما ملأها أملا في حياة خير من الحياة التافهة التي يحيونها، ثم التفتوا الى الأدب القديم فلم يجدوا فيه غذاءهم كافيا، ليس فيه شعر يتغنى بالحرية كما نود، ولا بالقومية كما نحب، وانما هي أبيات مبعثرة مجملة، قيلت لوصف مشاعر غير مشاعرنا وفي مواقف غير مواقفنا – وتلفتنا الى الادب العربي الحديث فوجدناه ناقصا كأخيه، لم يسد الفراغ، ولم يكمل النقص، قد أفرط القدماء في الغزل فأفرط المحدثون فيه، وقصر القدماء في وصف المناحي الاجتماعية والنزعات القومية فقصر المحدثون فيه، وأصبح ناشئنا لا يجد الغذاء الكافي في القديم ولا في الجديد، فلك الحق أن تطلب من الزعماء وأن تطلب من الرسالة أن تدعو الكتاب والشعراء أن يلتفتوا الى وجوه النقص فيكملوها، حتى اذا احتاج الشباب الى نشيد أو أناشيد وجدها. واذا وقف موقفا يتطلب قصيدة في معنى من معاني القومية أو الحرية انطلق بها لسانه، واذا طرب لمنظر طبيعي في بلاده وجد القصائد قد قيلت فيه واستوفت محاسنه، وهكذا. ولك أن تطلب من كتّاب الروايات أن يبحثوا عن نواحي الضعف في الحياة الاجتماعية الشرقية، فيجلّوها ويعالجوها، وأن يكون لهم نظر صادق في تعرف نفسيات الافراد والجماعات فيحللوها، وأن يتجه الكتاب الاجتماعيون فيدرسوا أمراض قومهم، ويستخدموا الادب في الخطب والمقالات تثير مشاعر الناس وتهيجهم، ليتخلوا عن رذيلة، ويستكملوا فضيلة، ويعالجوا نقصا، وينشدوا كمالا

لك الحق أن تنعى على الادباء أن أكثرهم في الشرق لم يتجه هذا الاتجاه الا قليلا، وأنهم بين أن ينظموا في الاغراض القديمة ولا يحسنوها احسان القدماء، وبين أن ينقلوا من الادب الغربي ما فقد روحه، أو لم يتناسب وروحنا. والا فأين هو أدبنا القومي؟ وأين التغني بمناظر طبيعتنا؟ وأين الروايات الاجتماعية تصفنا؟ لا شيء من ذلك الا القليل الذي لا يتناسب ونهضتنا الحديثة

انا معك فى هذا كله ـ ولكن لست معك فى انكارك: أن يكون الفن للفن ، والأدب للأدب ، ولست معك فى أن تطلب أن يكون الأدب للحياة ـ فليس من شك فى ان القطعة متى استوفت عناصرها الأدبية كانت ادبا ، مهما كان موضوعها الاخلاقى ، وليس احد ينكر أن قصائد ابى نواس الفاجرة الداعرة أدب ، كما لا ينكر أحد ان الصورة العارية اذا أجيد تصويرها فن جميل ، وان لم ترض عنها الاخلاق . فالأدب للأدب والفن للفن ، ولكن هذا لا يمنع ان تكون سلطة المصلحين فوق سلطة الأدباء ؛ فاذا رأى المصلحون أن ضربا من الأدب يحل الاخلاق ويفك عرى المجتمع ، حاربوه بكل ما استطاعوا من قوة ، واذا رأوا أن ضربا من الأدب فى الأمة ضعيف ويجب أن يقوى ، طلبوا الاكثار منه بشتى الوسائل ، وشجعوا عليه ومهدوا له السبل ، وهذا هو موقفنا بالضبط . فقد كثر فينا ما نسميه بالأدب المائع كثرة تحل الاخلاق وتضعف الرجولة . وهذا الأدب المائع من غير شك أدب ، وقد يكون أدبا راقيا ، ولكن يصح أن نخضعه لنظر المصلح . فاذا كان المصلح الاجتماعى قويا ضرب على هذا النمط من الادب ولو الى زمن محدود ، حتى تستكمل الامة قوتها ورجولتها . ومثل الادب فى ذلك مثل العلم ، فالادب للادب كالعلم للعلم : فالعلم يبحث كما يشاء ، فاذا أردت أن تستخدم العلم فى أشياء عملية كصنع أسلحة وغازات وما الى ذلك خضعت للمصلحة والانسانية وسن لها قوانين . وهذا لم يطعن فى أن يكون العلم للعلم ـ فان أردت بقولك ان الادب لا يكون ادبا الا اذا خدم الحياة فانا مخالفك ، وان اردت ان المصلحين والدعاة يجب ان يخضعوا الادب لأغراض الحياة الصحيحة فانى موافقك

وبعد ـ فقد غلوت يا أخى فى رأيك ، فلم ترد أن يكون فى الادب حب الا من نوع خاص ، وأردت من الادب أن يكون قويا وقويا فقط ، وبعبارة أخرى تريد أن تكون حياة الادباء حياة حربية ليس فيها الا القوة وما يبعث على القوة ، ليس فيها زهرة جميلة ولا غزل ظريف ، وأنا أخشى أن الادب باقتصاره على القوة يفقد القوة ، فان للنفوس سآمة ، ويحسن أن يكون بجانب صوت المدفع والقنابل صوت العود والقانون

ولقد كنت أكتب فى هذا الموضوع حتى اذا وصلت الى هذا الموضع شعرت بملل ، فما هو الا أن سمعت نغمة رقيقة من بيانو فاصغيت اليها حتى استكملتها فعادت نفسى الى نشاطها ـ ألا يكون فى هذا مثل صالح للحياة الادبية ؟ جد وهزل ، وتغن بالحرية ، ونعى على الاستبداد ، وتغزل فى زهرة ، وفكاهة حلوة . هذا ـ يا أخى ـ أصلح حتى من الناحية الجدية ، فمن لم يله أبدا قصرت حياة جده وتقبضت نفسه ، ولم يتحمل طويلا مرارة العمل ، وإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . أحب ان تكون الحياة الادبية كفرقة الموسيقى : لا طبلا فقط ، ولا نايا فقط ، بل هما وغيرهما ، وعيب حياتنا الادبية الحاضرة انها رخوة فقط ، فيجب ان يضاف اليها نغمات القوة ، لا ان تحل النغمات القوية وحدها محل النغمات الرقيقة ، فانا ان فعلنا ذلك كان الادب أبعث على الحياة ، واحفظ للقوة ، فطمئن نفسك ولا تأس على شاعر طال ليله وارق جفنه حبيب أعرض عنه وابتسامة احتجب عنه نورها ، فمن يدرينا لعل الحب كله من واد واحد ، فمن احب فتاته كان أسرع استعدادا الآن يحب امته ، ويحب ربه ، ومن تحجر قلبه لم يبك على شىء .

وبعد فموقف « الرسالة » كما أفهم من مبادئها يجب أن يكون الدعوة الى تكميل النقص فى الادب العربى ، وحث قادته على أن يطرقوا من الابواب ما نحن فى أمس الحاجة اليه حتى يكون أدبنا صورة تامة لنا ، وحتى يكون غذاء كافيا لمختلف عواطفنا ، يجب أن يكون موقفها ـ فوق الموقف الادبى ، موقف المصلح ، فترفض أن تنشر الادب الساقط المرذول ، المضعف للخلق ، المفسد للرجولة ، ولكن يجب كذلك أن تفسح صدرها لنوع من الادب لا هو بالقوى الذى تتطلب الاقتصار عليه ، ولا هو بالضعيف المائع ، هو أدب الحب العف ، والفكاهة الحلوة البريئة ، والهزل يشف عن

حول « الوضوح والغموض »

للاستاذ عباس فضلي خماس

روى لنا الدكتور طه حسين في مقاله (حول قصيدة) حادثة طريفة عن قصيد المقبرة البحرية للشاعر الفرنسي بول فاليري ؛ وكان غرضه من استعراض ما دار بين ادباء فرنسة وشعرائها بعد ذيوع هذه القصيدة ان يطرق باب بحث طالما اشتاق الادباء الى طرقه وهو « مقياس فهم الشعر والادب » . وكان بحث الدكتور خاتما حول هدف اساسي وهو « هل يحسن بالشعر ان يكون واضحا لا خلاف فيه ؛ او ان بعض الغموض فيه مغتفر بل مطلوب ؟ » وهذا المطلب في نظري جدير بالبحث والتمحيص الى حد بعيد ؛ ولعل المضي في استقصائه يؤدي الى اظهار حقائق جديدة في عالم الأدب ، تقلب أوضاعنا الراهنة رأسا على عقب ، ويلوح لي ان التوسع في بحث هذا الموضوع بحثا مستفيضا دقيقا ربما انزل بعض امراء الشعر وملوك البيان الذين اعتلوا في اذهان الناس العروش الى الحضيض ، وربما رفع بعض خاملي الذكر من الشعراء والادباء الى تلك العروش وقدم اليهم معتذرا صولجان الشعر والادب الذي شاءت الاقدار ان يغتصب منهم اغتصابا .

لقد كتب علينا نحن ابناء هذا الجيل ان ندرس الادب درسا آليا كدرس المعادلات الرياضية والرموز الكيماوية ، وقد ترتب على طرز دراستنا هذه ان نكون آليين في نظرنا الى الشعر ؛ آليين حتى في فهمنا اياه ، بل وفي طريقة تفهمنا . وهذه النتيجة خلقت فينا نزعة التقليد لا في مزاولة الشعر والادب فحسب بل في طريقة تفكيرنا وفي اساليب محاولتنا فهم اغراضه ومراميه . مبتعدين في ذلك عن السنن الطبيعية الابتعاد كله . فليسمح لي الاستاذ الكبير بشيء من الحرية فيما أعرض له .

الغموض في الشعر والادب

للغموض في الشعر والادب اسباب معينة واضحة ؛ اولها ضعف الاسلوب في التعبير عن الشعور ، وثانيها غرابة التعبير وعدم انطباقه على الطريقة المألوفة عند جمهور القراء . وثالثها نقص جزء مهم في الصورة التي يتخيلها الشاعر ويريد ابلاغها الى النفوس . ورابعها ازدحام جملة من الصور الفكرية وتداخلها في رقعة واحدة ضيقة بحيث يتعب العين تبينها دفعة واحدة ويجهد الذهن تصور علاقة اجزائها بعضها ببعض . وخامسا اظهار القطعة الفنية قبل نضوجها في الفكر ؛ وقبل اختمارها في النفس . وسادسا ابتعاد الصورة التي يرسمها الشاعر عن تصور الجمهور ومداركهم مما هو مألوف عندهم ومعهود لديهم في معارفهم ومشاعرهم الماضية والحاضرة ، حتى في معارفهم ومشاعرهم التخيلية ؛ واجزاء الصورة الخيالية التي ترتسم في ذهن الانسان تكون في الحقيقة في المواد التي تتألف منها معارفه ومشاعره الماضية والحاضرة عنها .

هذه هي العوامل الاساسية لغموض لغة الشعر والبيان اذا كنا نستند في بحثنا الى الحقائق الصريحة . اما اذا اردنا ان نموه على القراء فنستطيع ان نقول ما يخرج عن نطاق هذه العوامل ونستطيع ان نرغم الناس على ان يتصوروا في القطعة المعقدة بسبب من الاسباب الآنف ذكرها غموضا ينطوي على إبداع فني ؛ ونقول لهؤلاء الناس ان اذواقكم الفنية أحط من ان تصل الى رؤية هذا الأبداع ، وان مستوى شعوركم وتفكيركم أوطأ من أن يدرك هذا الفن البديع المتلفع بهذا الغموض .

لقد جاز الشعر والأدب ادوارا غريبة ، ووجد الشعر والادب في ظروف عجيبة ؛ وكان العامل في هذه الغرابة وهذا العجب النقدة من الكتاب والادباء ؛ فقد لعب بعضهم ادوارا طمس فيها الحقائق وابرز الى الناس الغث سمينا وارغمهم على اعتبار السمين غثا .

ولولا شعوذة هؤلاء النقدة ومهارتهم في تصريف الكلام ومقدرتهم في البيان لكان جمهور الناس يرون في ترتيب طبقات الشعراء والادباء غير ما يرونه الآن . نعم لو ترك هؤلاء الكتاب الناس وشأنهم يقرأون الشعر بصورة طبيعية ويفهمونه كما هو

جد ، والمزح ببطنا بعظة ، ونحو ذلك ، في التزام الجد خروج الى الجفاء ، وانحدار الى الجمود

هذا الى أن الرسالة يجب أن تكون بجانب دعوتها الى الاصلاح سجلا للنزعات الادبية على اختلاف أنواعها ما لم تكن النزعة مستهترة ، تميط قناع الحياء ، وتخرق حجاب الحشمة

وأخيرا لك الشكر — يا أخي — على ما حوى كتابك من غيرة صادقة ، وعاطفة نبيلة ، وما أثرت من موضوع يستحق العناية ، ويدعو الى طول التفكير ؟

أحمد أمين

المقصود منه ، لما كنا الآن مرغمين على ان نؤمن بالاحكام الثابتة في المفاضلة والموازنة بين شاعر وشاعر او بين اديب واديب .

ولكن اعتدادهم بانفسهم ساقهم الى ان يقولوا مثلا ان الشاعر الفلاني اراد بقوله كذا... كيت وكيت ــ ولم يقصد كيت وكيت

ولعل أقوى حجة يتذرع بها من يرون تحت الشعر الغامض ابداعا فنيا ، هي ان الانسان اذا جابه منظرا رائعا في ثوب جمال من مناظر الكون يرى في المرة الثانية فيه ما لم يره في المرة الأولى ويلتذ بما يراه في المرة الثالثة اشد من التذاذه بما رآه في المرتين الاولى والثانية . اما انا فاعتقد ان هذه الظاهرة لايصح على الاطلاق اتخاذها دليلا على اعتبار الغامض من الشعر ذا قيمة فنية .

فكل بديع في هذا الكون من منظر الى صوت الى شعر يلازمه الوضوح كيفما تكيف وتطور وتصور . والوضوح جوهر الجمال الحقيقي ، اما الغموض ، بمعناه الذي يعرفه الناس فلا يجتمع مع الابداع أو الجمال في صعيد واحد . وقد يجهد الانسان نفسه ويكد ذهنه اذا سمع قطعة شعرية فيها شيء من الغموض ، وقد يجد في هذا الاجهاد والكد لذة التوصل الى الصورة الذهنية المقصودة . فليس من الضروري ان تعتبر هذه اللذة ناشئة من تلمس الابداع ، وانما هي ناشئة من التوصل الى نتيجة بعد اجهاد وكد .

لقد ذكر الاستاذ العقاد جملة عبارات يؤيد بها ان وراء الغموض في الشعر والادب ابداعا فنيا ، وكان من جملة ماذكر إن الانسان قد يقرأ كتابا غير مرة فيجد فيه كل مرة من المعاني مالم يره في القراءات السابقة . وعندي ان تفسير هذه الحقيقة الراهنة هين ، وعلتها واضحة لاغامضة . هذا اذا لاحظنا ان معارف الانسان التي تنمي فيه شعوره وذوقه ومداركه تتبدل على الدوام وتتكيف حسب الظروف المختلفة التي يكون فيها . فالاثر الذي يتركه مطالعة كتاب في نفس الانسان في وقت ما ذو علاقات متنوعة بشعوره وذوقه ومزاجه في ذلك الحين ، وان الانطباعات التي تتولد في نفسه من معاني ذلك الكتاب تتناسب مع ماذكرناه في ذلك الحين فقط . اقول في ذلك الحين فقط . لأن الشعور والذوق والمزاج ظواهر نفسية تتبدل وتتطور بالنظر الى الظروف المحيطة بالانسان ، فليس ثمة غرابة اذا وجد الانسان في مطالعاته المتوالية لكتاب ما معاني جديدة لم يكتشفها في مطالعاته السابقة . ولاينبغي ان تعتبر هذه الصفة في الكتاب غموضا ، لأن تبين جميع المعاني والمرامي المقصودة في الكتاب دفعة واحدة امر مستحيل ، ولايتمكن الذهن من استيعاب جملة معان دفعة واحدة . والذهن مثل العين او سائر الحواس . فكما أن عينك اذا وقعت على رقعة تحتوي على عدة اشكال لاتحيط بها جميعا دفعة واحدة ولكنها تتمكن من ذلك بتوجيه البصر الى كل شكل بصورة خاصة ، وكما ان الأذن اذا سمعت الحانا مختلفة لايمكنها ان تؤلف بين هذه الالحان الا اذا أنصتت لكل لحن على حدة ، كذلك الذهن لايتمكن من الوجهة البسيكولوجية ــ ان يدرك كل مااودع في كتاب من معان دفعة واحدة ، وهذا مايجعل الانسان يكتشف في قراءاته المتوالية لكتاب واحد معاني جديدة .

ولكن الخاصة من الأدباء يأبون الا ان يخترعوا لهــذه الظاهرة الطبيعية النفسية اصطلاحا ادبيا وهو مارمى اليه الاديبان طه والعقاد فاسموه : « بالغموض » فسرد لنا الاول قصة « المقبرة البحرية » للشـــاعر الفرنسي بول فاليري وتبسط في وصف مادار حولها من مناقشات ، وآراء في غموضها وعدم اشتمالها على معان واضحة . فقال من جملة ماقال ان : « كل هذه الآراء وآراء أخرى للشاعر العظيم في هذه المقدمة الممتعة ان لم تبين المعاني التي اودعها قصيدته فهي تبين شيئا آخر اظنه اقوم واجل خطرا من هــذه المعاني ، وهو مذهب الشاعر في فن الشعر وماينبغي له من الارتفاع عن هذا الوضوح الذي يفسد الفن افسادا ويقربه من الابتذال » .

ولكن ! اذا لم تتمكن القصيدة من بيان المعاني التي يودعها الشاعر فيها فهي اذن ليست قصيدة ، ولك ان تسميها ماشئت .

ان لم تستطع ان تودع المعاني التي تريدها الالفاظ التي تقولها فانت والصامت او الهاذر سواء .

وماهو هذا ــ الشيء الآخر ــ الذي يظنه الدكتور اقوم واجل خطرا من هذه المعاني ؟ :

« هو مذهب الشاعر في فن الشعر »

لاريب في ان مذهب الشاعر في فن الشعر أجل خطرا من المعاني باعتبار أن العناية بالمذهب هي التي تقوي المعاني وتصقلها فتظهرها ناضجة واضحة براقة ، ماضية في نفوذها الى النفس . ولا أدري كيف نوفق بين هذين النقيضين : الا يتمكن الشاعر من أيداع المعاني التي يريدها في قصيدته ، وهو بعد ذلك يستطيع ان يظهر مذهبه في فن الشعر .

ويظهر ان الدكتور بعد ان يصل به القلم الى عبارة « ويقربه

من الابتذال ، يدرك ان ماأورده « غامض » للتناقض الظاهر فيه فيستدرك الأمر بان يقول : « فهو يرى مثلا ان جمال الشعر يأتى من انك تجدد اللذة الفنية فى نفسك كلما جددت قراءته ، ومن انك تستكشف فى القراءة الثانية من فنون الجمال مالم تستكشفه فى القراءة الاولى ، بل تجد فى كل قراءة فنونا جديدة من الجمال لم تجدها فى القراءات التى سبقتها » .

هذا صحيح اذا تمكن الشاعر من ايداع قصيدته الصور الذهنية التى تخلق للقارىء هذا الجمال ، والصور الذهنية فى الواقع سداها الالفاظ ولحمتها المعانى التى تبرز تراكيب هذه الالفاظ فى عبارات وجمل .

فجمال الشعر اذن يأتى من طريق مذهب الشاعر فى فن الشعر اذا كان هذا المذهب خليقا بان يظهر المعانى المقصودة بحلل قشيبة جذابة ؛ ومذهب الشاعر فى فن الشعر ليس اجل خطرا من المعانى الا اذا تمكن الشاعر من ان يودع قصيدته المعانى اولا . وبتعبير آخر لايمكننا ان نعترف للشاعر بمذهب — خاص كان او عام — ان لم يودع القصيدة التى ينشئها المعانى التى يقصدها .

فاذا انشأ الشاعر قصيدة وجاء الناس يتساءلون منه ماذا اراد ان يقول بهذه القصيدة ، فهذه القصيدة اما ان تكون خالية من المعنى وأما ان يكون صاحبها عند نظمها مرتبك الافكار والخواطر مزعزع الحس والشعور الى حد انه لم يستطع ان يودع قصيدته معنى معينا . فاذا كنا نسمى هذا شاعرا ويعتبر مايودع فى منظوماته من افكار مشوشة غير معينة ولا مفهومة « غموضا » ثم نتحرى تحت طيات هذا الغموض ابداعا فنيا يزينه الينا خيالنا المحض ، فيجب ان نعتبر عوام الناس طرا شعراء مبدعين بكل ماتمر بين شفاههم من عبارات مرتبكة يسوقونها عندما تتأثر نفوسهم ببعض الظواهر والمشاعر . ويجب اكثر من ذلك ان نعتبر الجمل المرتبكة المتقطعة المبهمة التى يتمتم بها الطفل عندما يجابه منظرا غريبا او حادثة جديدة غموضا ينطوى على ابداع فنى .

وبهذا نكون قد اسرفنا فى الاساءة الى الفن والى الابداع والى الشعر والبيان اساءة عظيمة

بغداد عباس فضلى خماس

اعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد ، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

رسائل حزينة

هل كان حبهما خطيئة . . ؟

أصحيح انى القيت بهذا اللون من الرسائل الحزينة ظلالا شاحبة كئيبة على حياتك الباسمة بين احضان الريف . وتحت سمائه الصاحية الجميلة . فأن يكن ذلك حقا ؟ وانك قد اصبحت تضيق ذرعا حتى بهذا القدر التافه من العزاء الذى اجده فى الكتابة اليك ، ترويحا لقلب عان ونفس ثائرة مضطرمة ، فقد ينبغى لك ان تعلم ان الشجرة التى انتصبت فى الفضاء ، تهزأ بالأعاصير والأنواء . ساخرة متحدية . حتى عريت من اوراقها وتحطم الكثير من اغصانها ، مازالت فى جذعها الضخم العنيد ، واعراقها الراسخة القوية ؛ مايعينها على الصبر الى نهاية المعركة ، حتى ينجلى ليل محنتها قليلا قليلا . ثم يطالعها فى اعقابه فجر باسم حالم ، ينبت فيها اوراقا باوراق ، وينشىء لها اغصانا باغصان . ويومئذ تفيىء الطيور الى ظلها الوارف الظليل . : لتملأ هذه الاجواء الحزينة شدوا شجى النغم حلو الرنين . يعيد الى هذا القلب الذى هانت عليك آلامه فيضا دافقا من حلاوة المنى ولذة الامل ، واذن فسأحتجن هذه الآلام من دونك بعد اليوم فى صدرى : فما يزال فيه قدرة على احتمال المزيد منها . وسأدير الحديث اليك فى هذه الرسالة حول شخص لاتعرفه ؛ قد آخت بيننا سهمة من الالم المشترك ، وسأنفض اليك جملة حاله وجماع قصته على اقف منك على رأى تراه له ، لانى — وانت تعرف رأيى فى المرأة — تحرجت من ابداء رأى قد يفسده ما احسه اليوم فى قلبى بسببها من جراح وندوب . والحق انها قصة تعتبر تصويرا صحيحا لمشكلة من مشاكلنا الاجتماعية . أو قل إنها ثورة عنيفة على بعض تقاليد الاسرة المصرية وتحطيم لها . أو قل انها استجابة جارة لهتاف الروح ودعوة القلب ، وهى لهذا الذى اسلفت لك جديرة بشىء من العناية غير قليل .

***

انحدر الى هذه الدنيا وحيدا لأبوين رزقاه على وجد للبنين بعد ماكادت الايام تشرف بهما على ربوة العمر . فتهيأت له من هذه الناحية طفولة ناعمة مدللة اسلمته الى دار من دور التعليم جعل يتخطى سنى دراستها غير وان ولا متخلف ، حتى وصل الى السنة الثانية من دراسته فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية . وعندئذ بدأ الجدول العذب الذى كان يتسلسل فى طريقه سهلا رفيقا . يتحول الى طريق ملتوية مليئة بالجنادل والاحجار . فقد توشجت بينه وبين

زميلين من رفاقه بالجامعة اواصر الصداقة والمودة . واتفقا معه فى نظرهما الى الحياة من ناحيتها العابثة الماجنة . فكانت لهم فى ظلال الليل متع سعيدة بنامة . ينهلون من خمرين : ريق ورحيق ، ويتسابقون من كأسين : آونة من فم الابريق ، واخرى من خلال شفاه وردية فى حمرة العقيق ، ويجعل فى هذه الغمرة المجنونة لا يدع واجبا مدرسيا الا اهمله حتى فوجىء بالفصل من الجامعة بعد رسوبه فى أختبار النقل عامين متواليين . وكانت الصدمة عنيفة قوية . والحسرة على ضياع مستقبله الجامعى لذاعة اليمة . واخذت آماله التى كانت تضيق بها الدنيا تتضاءل وتنكمش حتى وسعتها مدرسة البوليس على كره منه ومضض ... وتخرج فى هذه المدرسة ضابطا يختال بنجمته اللامعة ويلقى من التحية الوانا كلما مر فى طريقه بواحد من اولئك الجند المساكين .... وعاوده الحنين الى المرأة علابا قويا . وأخذت جوارحه تهتف بنداء الجنس فيستجيب لها فى جنون وشغف الى ان وضعت الاقدار فى طريقه تلك المرأة التى انا بسبيل من الحديث عنها الآن .

كان الفصل شتاء ، والسماء عابسة يدوى فى جوانبها الرعد ، مظلمة يلتمع فى حواشيها البرق ، والليلة باردة الانفاس ، مقرورة النسمات ، وكان الفتى على موعد مع رهط من اصدقائه فى حفلة غنائية ذهب يشهدها ، فاتفق له ان يجتاز فى طريقه ميدانا صغيرا من ميادين القاهرة ، فلمح على هامش الطريق فتاة تعبث الرياح الغاضبة بثيابها الفضفاضة عبثا منكرا قبيحا ، تتململ فى وقفتها الضارعة الذليلة . وترعش اوصالها تحت أصواء هزيلة يرسلها على الطريق مصباح باهت شاحب . فعرف أنها طريدة من طرائد الليل قد اتاحتها له الفرص السعيدة فى هذه الليلة العصيبة . فمشى اليها جريئا يختال بنجمته اللامعة وسمته الرائع الجميل . وبدد اليها تلك النظرة التى تعرف المرأة وحدها سر ما تنطوى عليه . فاغضت حياء وقد اصطبغ وجهها بلون الورد فى زمن الربيع . . واستقل معها عربة الى مسكنه الخالى الا من خادم ريفى يتوفر على خدمته والعناية بشأنه . وهناك فى تلك الخلوة التى تهيج فى المرأة اشجانها المستورة . وتثير عواطفها المكمودة . ترقرق الدمع فى مآقيها وجعلت تفضى اليه بودائع قلبها الدامى الجريح فى لهجة محزونة تنتزع من أصلب القلوب الوانا من العطف والاشفاق والرثاء . . . عرف أنها واحدة من تلك الضحايا البريئة التى غلبت على امرها فى خلوة محزونة عابثة . مأخوذة بمعسول الامانى وبواسم الاحلام . زين لها لص من لصوص الاعراض سحر الخطيئة . فأكلت من الشجرة الملعونة ثم تنكر لها . وعلم اهلها بعارها فنبذوها ، وعضها الجوع وأذلتها الحاجة . فخرجت الى الطرقات دامعة العين مصدوعة القلب غير مستعصية على طالب متعة لقاء ثوب تلبسه . وفضلة من طعام تأكلها . . ولقد هتفت بكل ما فيه من رجولة ورحمة . ان يستبقيها فى بيته خادما ترعاه وتعبده . وان يمسك عليها تلك البقية الباقية من شباب ذبلت ذهرته . وحياء كادت تأتى عليه عوادى الليل واحداث النهار . . . . . . فتجمعت الدموع فى عينى الشاب عطفا عليها ورثاء لها . وبدأت تخامر قلبه من نحوها عاطفة مجهولة غامضة . عاطفة ان لم تكن حبا فهى قريبة من الحب . وأجمع أمره على ان يعصمها من السير فى هذه الطريق الشائكة الملتوية . وسيشعرها فى جواره هناء الحياة ولين العيش . وحسبها تكفيرا عن زلتها مالاقته من أهوال وخطوب .

ولبثت فى بيته عاما كاملا لا تكشف الايام منها فى خلاله الا عن كل ما يملك القلب ويأسره : خلق رضى كالماء رقة وعذوبة ووفاء يسمو الى حد التضحية . وعرفان للجميل أحبته من أجله حبا هو اشبه بالعبادة والتقديس منه بأى عاطفة اخرى . واحس الشاب احساسا عميقا بهذا كله فبادلها حبا بحب ، ووفاء بوفاء . واقدم على الزواج منها زواجا رسميا ترامت اخباره فى الريف الى ابويه وهو وحيدهما . فجن جنونهما وثارا به ثورة عنيفة لم يجد فى تهدئتها توسل ولا رجاء . وآذناه بالقطيعة والحرمان من ثرائهما العريض إن هو لم يفصم تلك الروابط التى تربطه بهذه المرأة الآثمة كما نقل اليهما خادمه الريفى الذى هجره من عهد قريب ......

وبعد ... فهل يهدم الشاب هذا العش الجميل الذى يتذوق فيه السعادة خالصة والنعيم محضا ليجدد على انقاضه مودة ابوية . وليرضى تقاليد الإسرة العريقة التى ينتمى اليها . ويرسل تلك المرأة التى تعبده الآن وتسعده . لتحيا من جديد حياة كلها عار ورجس ودنس . أم تراه يمسك عليه زوجه ويدع للايام ان تبلى غضب ابويه كما يبلى فى هذه الحياة كل شي . . . . هذا هو الموضوع . ويسعدنى أن أشرك معك ايها الصديق فى ابداء الرأى كرام الكاتبين من قراء « الرسالة » العظيمة .

عبد الوهاب حسن

قلم النشر ـــ وزارة المالية

مذهب النشوء واخوان الصفا

نشوء الكائنات — الأحياء الدنيا نشأت أولا — التخصص فى الأعضاء دليل الرقى — الوظيفة توجد العضو — تنازع البقاء ووسائله — الغريزة الجنسية وحفظ النوع — الحواس وحفظ الذات — الجمال مسخر لحفظ النوع — البقاء للأصلح — تنازع البقاء وسيلة الرقى — التعاون وسيلة الرقى

لم يكن داروين أول من اهتدى إلى مذهب النشوء وتوابعه، ولم ينفرد وحده بالتنبه اليه. فاليونان وغيرهم من الأمم القديمة قد لجؤا اليه وبحثوه بقدر ما كانت تساعدهم معارفهم ووسائلهم العلمية. وتنبه اليه العرب، فطبقه ابن خلدون فى مقدمته على نشوء العمران وانحلاله. وشعر المعرى بما يدعونه تنازع البقاء فحفل بالأشارة اليه شعره. واخيرا اخوان الصفا جاؤونا بما يجعل هذا الفصل خليقا بهذا العنوان

جاءنا اخوان الصفا بان هذه الكائنات المختلفة من معادن ونبات وحيوان هى سلسلة متماسكة الحلقات شديدة الاندغام بعضها فى بعض. وانه ليس ثمة حدود فاصلة أو مراحل متقطعة بين الحلقة وتاليتها. «المعادن متصل أولها بالتراب وآخرها بالنبات. والنبات أيضا متصل آخره بالحيوان. والحيوان متصل آخره بالأنسان، والأنسان متصل آخره بالملائكة» (١) وهم فى هذا على أشد ما يكون من الاقتناع. ورسائلهم حافلة بهذه الفكرة يبدئون فيها ويعيدون كأن الأشارة المفردة عندهم لا تنيلهم ما يصبون اليه من اقناع

كذلك يقول اخوان الصفا — وقولهم حق —: «ان الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان فى بدء الخليقة، وذلك انها تتكون فى زمان قصير. والتى هى التامة الخلقة تتكون فى زمان طويل لأسباب وعلل يطول شرحها» (٢) هنا لا يختلف اخوان الصفا عن نشوئيي هذا العصر القائلين بان الحياة قد بدأت بأحط أنواع الأحياء وابسطها تركيبا. والقائلين ايضا بان الطبيعة تصرف على الحيوانات الراقية جهداً فوق ما تصرفه على الحيوانات الدنيا؛ ولذا فأنسال هذه كثيرة وأنسال تلك قليلة.

ويشير اخوان الصفا الى ان التخصص فى الأعضاء دليل على الرقى فى سلم النشوء، ويطبقون ذلك على النبات والحيوان فيقولون: «واما النخل فهو آخر مرتبته النباتية مما يلى الحيوانية، لأن بعض احواله مباين لأحوال النبات. ذلك ان القوة الفاعلة فيه منفصلة عن القوة المنفعلة. والدليل على ذلك ان اشخاص الفحولة منه مباينة لأشخاص الأناث. ولأشخاص فحولته لقاح فى اناثها كما يكون ذلك للحيوان»

ثم يقولون: «اعلم أن أدون الحيوان وانقصه هو الذى ليس له الا حاسة واحدة وهو الحلزون ... وهكذا اكثر الديدان التى تتكون فى الطين فى قعر البحر وعمق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم»

واذ يقر اخوان الصفا هذه الحقائق يتقدمون خطوة اخرى جريئة ويساهمون داروين فى ان الانتخاب الطبيعي يفني كل عضو لا فائدة للجسم منه؛ ويوجد الأعضاء التى تفيد الجسم فى تنازع البقاء: «لأن الحكمة الألهية لم تعط الحيوان عضواً لا يحتاج اليه فى جر المنفعة او دفع المضرة؛ لانه لو أعطاها مالا تحتاج اليه لكان وبالا عليها فى حفظها وبقائها» (١)

ويزيدون هذه الفكرة جلاء فيأتونها من ناحية ان الوظيفة توجد العضو فيقولون: «واما السباع الآكلة اللحمان فان خلقتها وطباعها وتركيب بعض أعضائها الظاهرة والباطنة وأمزجتها وشهواتها مخالفة لما عليها الحيوانات الآكلة العشب. وذلك ان البارى لما خلقها وجعل غذاءها من اللحمان جعل لها انيابا صلابا ومخالب مقوسة، قوية وازنادا أيدة متينة، ووثبات خفيفة تستعين بها على قبض الحيوانات»

بعد هذا يتقدم اخوان الصفا بجرأة ويقررون: «ان شهوة البقاء وكراهية الفناء هما أصل وقانون لجميع شهوات النفوس المركوزة فى جبلتها، وان تلك الشهوات هى اصول وقوانين لجميع اخلاقها وسجاياها». وهكذا يبين اخوان الصفا فى هذه الجملة الفذة ان جميع الغرائز الحيوانية هى اداة التنازع على البقاء الذى يظهر فى شطريه: التنازع على حفظ الذات، والتنازع على حفظ النوع: ليس هذا فقط بل هم يرجعون بالاخلاق والسجايا الانسانية الى هذين الحافزين الأكبرين. وهى فى الحقيقة نظرة فى الغاية من النفوذ والأصابة، فالأخلاق والمزايا الأنسانية ما كانت لتنشأ وتشتد لو لم يكن التنازع على البقاء وحفظ النوع اقوى الحوافز الانسانية. واليك جميع الفضائل والأخلاق الانسانية، افحصها فحصا مدققا وجردها من النظرة الثيولوجية فتجد انها جميعها تمت الى حفظ النوع وحفظ الذات بسبب شديد

واذا ما انتهى اخوان الصفا من تقرير هذا القانون على ذلك

---

(١) رسائل اخوان الصفا (٢) الرسائل

(١) الرسائل

النحو من الشمول والاجمال عادوا الى التفصيل فقالوا : « اما علة شهوة الجماع المركوزة في الجبلات فهي من أجل التناسل ، والتناسل من اجل بقاء الصورة في الاشخاص المتواترة».

وهم — كعلماء النشوء — لايبالون ان ينزلوا باحساس الجمال من منزله الرفيع ويحسبوه اداة تسخرها القدرة لحفظ النوع : فيقولون على لسان الحيوان معارضاً ومناظراً الانسان : « واما الذي ذكرت ايها الانس من حسن الصورة وافتخرت به علينا فليس فيه شيء من الدلالة على مازعمت بانكم ارباب ونحن عبيد ، اذ كان حسن الصورة شيئا مرغوبا فيه عند ابناء الجنس الواحد من الذكور والاناث ليدعوهم ذلك الى الجماع والتناسل لبقاء النسل؛ وذكر أننا لا نرغب في محاسن أناثكم ولا أناثنا في محاسن ذكرانكم ، كما لايرغب السودان في محاسن البيضان ». ولايفوتنك في آخر هذه القطعة الطريفة اشارة الاخوان الى أن الجمال أمر نسبي يقدره الناس تقديراً متباينا . ونظرية نسبية الجمال نظرية مشهورة يقول بها كثيرون من الباحثين في فلسفة الجمال

وكما يحسب الاخوان ان الغريزة الجنسية مسخرة لحفظ النوع كذلك هم يقررون أن الحواس مسخرة لحفظ الذات فيقولون : « قصد الله وغرضه في الحيوانات ليس عقوبة لها وعذابا بل حثاً لنفوسها على حفظ أجسادها وصيانة لها ، ولو لم يكن ذلك كذلك لتهاونت النفوس بالاجساد وخذلتها وأسلمتها الى الهلاك . . فلهذه العلة جعلت الآلام والأوجاع للحيوان لتمكنه من البقاء اما بالحرب أو بالهرب ».

وبعد ان يفرغ اخوان الصفاء من هذا القانون — قانون تنازع البقاء — وذكر وسائله وأدواته يعودون فيقولون : « ان هذا التنازع لايكون الفوز فيه الا للأصلح ، أما الضعيف فيجب ان يفنى امام القوى : « لأنه لما كان بعض الحيوانات أتم خلقة وأكمل صورة جعلت النفس الناقصة خادمة ومسخرة للتامة ، وجعلت أجسادها غذاء ومادة لأجساد الناطقة منها وسبباً لبقائها لتبلغ أتم غاياتها » . أما الغرض من ذلك كله « فهو النفع الكلي والصلاح العام ، وان كان يحصل في ذلك اضرار جزئية . مثال ذلك ان الشمس تشرق وتغيب للمنفعة العامة ، ولكن قد يكون في ذلك ضرر يقع على اناس مخصوصين ».

الا ان اخوان الصفا لايقفون عند هذا الحد ولا يكتفون بالقول بان قانون التنازع وحده اداة الرقي والنشوء أيضاً — بل هم كعلماء النشوء يحسبون ان التعاون لايقل شأناً في مضمار التقدم والنشوء عن التنازع . فهم يقولون : « ان ماجعل في طباع بعض الحيوانات من الالفة والانس والمودة هو ليدعوها الى الاجتماع والمعونة لما فيه من صلاحها وكثرة منافعها ».

هذه لمحة موجزة في آراء اخوان الصفا النشوئية . وهي على كل حال لاتمثل الا ناحية ضيقة من هذه الآراء التي يبثها اخوان الصفا في رسائلهم المعروفة . والذي لايزال حرياً بالدرس من آرائهم هو شيء كثير . واني لعلى رجاء بان تغري هذه الصفحات قارئها بالنظر في رسائل الاخوان . فانه — وأنا الكفيل — سيأخذ أجوره نقداً صحيحاً لازيف فيه . لست أنكر ان قسما كبيراً من هذه الرسائل صحراوات لاخضرة لاظل فيها ولا ماء . ولكنني ، من جهة أخرى ، أستطيع ان أقول : ان الواحات تنتشر في هذه الصحارى انتشاراً كبيراً ، فلايعدم القارىء في سيره وادياً هنا أو واحة هناك يستظل أفياءها ويتبرد بنسيمها وينهل من مائها فيستجمع قواه ويعاود السير كاقوى مايكون . وبذا يفيد فائدتين : فائدة انه يأخذ نفسه برياضة تعوده السير الطويل المتعب ، وأخرى انه يشهد آفاقا لاعهد له بها ولم تطأها قدماه من قبل فيما نعتقد . .

ولعلنا ، اذا أفسحت لنا « الرسالة » الغراء صدرها ، عائدون الى اخوان الصفا ومفصلون لك آراءهم في كثير من المسائل كعلم النفس والتربية والاخلاق ، فان لاخوان الصفا في هذه النواحي آراء هي في الغاية من الطرافة والاصابة .

شرق الأردن — أديب عباسي

قلوب تتقلب !

نشأت فى كنانة حول الطائف ومكة ، وقد باكرها النعيم فشبت صحيحة جميلة ، ورضعت أفاويق البلاغة من قومها ، فنشأت فصيحة بليغة ، خطبها سيد قرشى ، من أشراف مكة وعصبة النبى ، وبنى بها فطاب حالهما ، وصفا عيشهما . وقرا فى المدينة زمنا أسعدهما الله فيه بغلامين كانا بهجة النظر وأمنية الفؤاد .

اختار « الامام على » زوجها ليكون عاملا له على « اليمن » يجبى خراجها ، ويقوم بشعائر الدين فيها ، فابتهجا بالمنصب الرفيع والحظ المقبل ، وانتقلت الاسرة إلى مقرها الجديد . إلى اليمن ، واليمن جنة العرب وروضة الجزيرة . هواءها رخى وتربها ندى ، وفاكهتها كثيرة ، وجـــدا فيها مجالا للمتعة ، ومراحا لطفليهما العزيزين يطلقانهما فى الصباح لينعما بشمس الشتاء الضاحية ، ويتمتعا بمناظر الوديان ، ومظاهر الجنان ، وقد حل فيهما من بهجة الازهار ، ونغمة الاطيار ، وانعطاف الاغصان ، وانسجام الظل ، مشابه ؛ فاستحار جمالهما ، وتمت آدابهما ، واستوليا على كل قلب ، واختطفا النظر من كل عين !

غاب أبوهما عن مدينته لبعض شئونه ، وخرجا كعادتهما يتنزهان وإذا رجل يقبل عليهما مسترق الخطى ، ويتطلف بهما ويغريهما بالسعى معه ، وإذا به يقبض عليهما ويكم أفواههما ، وإذا به قد انتضى سكينا مرهفة وقضى عليهما ، ثم أطلقها ضحكة عالية قائلا :

« الآن تمتع بالحياة يا عبيد الله ! »

انتظرت « جويرية الكنانية » ولديها يؤوبان اليها مع الغداة ، ولكنهما تأخرا على غير عادتهما ، فتربصت طويلا ، منصتة إلى بابها لعل طارقا يطرقه ، وكلما لعب به الريح هرولت اليه وفتحته باسطة ذراعيها ، ولكنها فى كل مرة تعانق الهواء . ولما فرغ فؤادها دفعت خادمتها لتقصهما ، وما كادت الخادم تسير خطوات حتى اندفعت وراءها سافرة حائرة ، وطافت بمعاهد البلد وملاعبه ، وكل فتى تتوسمه فتاها ، وكل ندى تظنه قد حواهما . ولبس الأصيل ثوبه المعصفر ، وزحف الليل بسواده وما رجعت بطائل غير هم ملأ قلبها وأسى قلقل كيانها ، ومضى يوم ويومان وثلاثة وهى تطوف وتقول :

ألا من بين الأخويـــن أمهما هى الثكلى
تسائل من رأى ابنيها وتستبقى فمـــا تبقى
فلمـــا استيأست رجعت بعـــبرة واله حرّى
تتـــابع بين ولولة وبين مـــدامع تترى

وفى كل يوم تزيد شدتها ويزكو سكرتها ويضيق افقها . وفى سنة اقتحمت عليها السبيل فتاة ، واخبرتها بما سمعت عن فعل « بسر ابن أرطاة » بولديها . فإن معاوية أخرجه لينكل بشيعة على ، فمضى فى سبيله حتى انتهى الى اليمن ، ولما لم يجد عاملها يتلقى عقرب كفه اقتص من ولديه وذهب بشفرته .

وكان هذا كافيا لفقدان وعيها ، وطيران عقلها ، وابكها أبت ان تصدق ، وإلا فكيف يموت عزيزان فى لحظة . ثم هامت على وجهها ، تناشد المواسم والمجامع بقولها :

يامن أحس بنيّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحس بنيّ اللذين هما سمعى وطرفى فطرفى اليوم مختطف
يامن أحس بنيّ اللذين هما مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بسرا وماصدقت مازعموا من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا
انحى على ودجى طفلىّ مرهفة مشحوذة وعظيم الافك يقترف
من دلّ والهة حرّى مفجعة على حبيبين غابا اذمضى السلف

أما عبيد الله بن العباس فقد انتزع منه حشاه ، عزف عن الدنيا وأحس زخرفها شوكا فقارقته الهناءة كما تنبأ بسر بذلك .

آه لوملك القاتل ! أذن لنبش عن قلبه وان لم يكن من قبل فظا . آه من معاوية ورهطه ! قوم عزب الايمان من قلوبهم واشتروا دنياهم بدينهم . آه ! وآه على نجمين قد أفلا فى ساعة من نهار . هذا ماشور بفؤاده .

تبدل برجل آخر سقيم الجسم دقيق العظم مشتعل الرأس . وشاطره همه ابن عمه على ولعن القاتل ودعا عليه بالجنون والمروق وأجاب الله دعوة وليه ، فاذا بسر مخبول يهذى ممسكا بسيف من خشب وزق من جلد منفوخ مايفتأ يضربه بسيفه حتى تهن قواه ، وكان خبله يقوى تارة ويضعف أخرى .

مضت سنوات ودخل بعدها عبيدالله على معاوية ابان ملكه ، وكان عنده بسر ، فقال له عبيدالله : « أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ » قال بسر : « نعم أنا قاتلهما » فقال عبيد الله : « أما والله لوددت ان الارض أنبتتنى عندك » قال بسر : « فقد انبتتك الآن عندى » قال عبيدالله : « ألا سيف ؟ فقال بسر : « هاك سيفى » . فلما أهوى عبيدالله الى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر : « أخزاك الله شيخا ، قد كبرت وذهب عقلك ، » ذاك رجل من بنى هاشم وقد وترته وقتلت ابنيه ، تدفع اليه سيفك ؟ انك لغافل عن قلوب بنى هاشم . والله لو تمكن منه لبدأنى قبلك . » فقال عبيدالله : « أجل والله وكنت أثنى به . » ؟

احمد احمد التاجي

الصهيونية

نشأتها وتطورها

٢ - بعد عهد بلفور

للاستاذ محمد عبد الله عنان

اصدرت الحكومة البريطانية عهدها بانشاء الوطن القومي اليهودي (« عهد بلفور ») في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ كما قدمنا ، بينما كانت القوات البريطانية بقيادة لورد اللنبي في طريقها الى بيت المقدس . وفي التاسع من ديسمبر استولى الانكليز على بيت المقدس ؛ وبدأت سيادة انكلترا على فلسطين من ذلك التاريخ ، وبدأ تنفيذ مشروع الوطن القومي اليهودي بصورة عملية . وتلا عهد بلفور صدور تصريحات ووقائع رسمية من مختلف دول الحلفاء بتأييد أماني الصهيونية ، ومشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين (١)

وفي مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ وزع « الانتداب » على بلاد الشرق الادنى التي سلخت عن تركيا . فكانت فلسطين وشرق الاردن والعراق من نصيب بريطانيا العظمى . وفي سبتمبر سنة ١٩٢٢ صادق مجلس عصبة الامم على صك الانتداب على فلسطين متضمنا في ديباجته المصادقة على عهد بلفور بانشاء الوطن القومي اليهودي ؛ ونص فيه على انشاء هيئة يهودية ذات صفة رسمية يحق لها أن تبدي الرأي لحكومة فلسطين وتتعاون معها في جميع الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما يتعلق بانشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح اليهود في فلسطين ، وتتخذ بالاتفاق مع الحكومة البريطانية جميع الاجراءات اللازمة لتحقيق التعاون مع جميع اليهود الذين يريدون الاشتراك في انشاء الوطن القومي اليهودي (المادة الرابعة) . ونص على تسهيل الهجرة اليهودية واستعمار اليهود للاراضي (المادة الخامسة) كما نص على جعل اللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين الى جانب العربية والانكليزية (المادة الثانية والعشرون) واستثنيت منطقة شرق الاردن وجعلت منطقة خاصة لا يطبق عليها شيء من النصوص المتعلقة بالوطن القومي اليهودي .

وفي سنة ١٩٢٣ تنازلت تركيا في معاهدة لوزان عن كل حق على فلسطين وغيرها من الاراضي التي وضعت تحت الانتداب ، واعترفت بالانتداب البريطاني على فلسطين ؛ وتمت بذلك سلسلة الوثائق الدولية التي تؤيد السيادة البريطانية على فلسطين ، وتؤيد انشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

* * *

ولنر الآن كيف عملت الصهيونية في فلسطين بعد ان مكنت من غزوها ، وكيف نفذ مشروع الوطن القومي اليهودي ، والى اين وصل والام ينتهي اليوم ؟

كان برنامج مؤتمر بازل الذي اتينا على ذكره دستور الصهيونية عملت على تنفيذه في فلسطين عن طريقين : الاول الاستعمار الزراعي والاقتصادي ، والثاني احياء تراث اليهودية الروحي والفكري . والاول سلاح اليهودية المادي لغزو فلسطين والاستقرار بها . وقد بدأت باعداده واستعماله منذ بعيد . فمنذ اواخر القرن الماضي انشئت في فلسطين بعض المحلات والمستعمرات الزراعية اليهودية بسعي بعض الماليين اليهود ... ومنذ سنة ١٩٠١ انشيء « الاعتماد القومي اليهودي » في لندن ليجمع الاموال من اليهود في جميع انحاء العالم .

ومنذ عهد بلفور يسير الاستعمار اليهودي لفلسطين بخطوات سريعة . وتعتمد الصهيونية في ذلك على هيئتين ماليتين قوميتين الاولى « الاعتماد القومي اليهودي » المذكورة ، ومهمتها شراء الاراضي الزراعية في فلسطين . والثانية « الكرن هيسود » ، ومهمتها أن تقدم الاموال اللازمة للمهاجرين لتسهيل الاستعمار والاستقرار والتربية وما يتعلق بها . وتطبيقا لعهد بلفور وصك الانتداب فتح الانكليز ابواب فلسطين على مصاريعها للهجرة اليهودية ، فوفد عليها اليهود آلافا مؤلفة من جميع انحاء العالم ، واشترى اليهود مساحات شاسعة من الاراضي في جميع انحاء فلسطين ، واقيمت عليها المستعمرات اليهودية الزراعية والصناعية . وقامت « اللجنة التنفيذية الصهيونية » في بيت المقدس لتنظم الاستعمار اليهودي بمعاونة حكومة فلسطين تطبيقا للمادة الرابعة من صك الانتداب ، واستأثرت لدى الحكومة بكل نفوذ ، واستولى اليهود على معظم المناصب الهامة ؛ وعلى الجملة استطاع اليهود في اعوام قليلة ان يستأثروا بأعظم قسط من مرافق فلسطين الجوهرية اقتصادية وغيرها

(١) صدرت هذه التصريحات الرسمية في صور خطابات وجهت الى مسيو سوكولوف مندوب الهيئات الصهيونية من الحكومة الفرنسية في ١٤ فبراير سنة ١٩١٨ ، ومن الحكومة الايطالية في ٩ مايو ، ومن الحكومة السويسرية في ١٩ اكتوبر . واصدرت اليابان بلاغا رسميا بنفس هذا المعنى على يد سفيرها في لندن . واعلنت امريكا تأييدها لعهد بلفور في يونيه سنة ١٩٢٢ ورومانيا في يناير سنة ١٩٢٥ وبولونيا في يوليه سنة ١٩٢٥ . ولم نورد نصوص هذه الوثائق لاتحادها جميعا تقريبا في الصيغة والمعنى

هذا ، وقد بذلت الصهيونية جهودا عظيمة لاحياء تراث اليهودية الفكري والروحي . فأنشئت في ظاهر بيت المقدس منذ سنة ١٩٢٥ جامعة عبرية كبيرة تعمل على احياء هذا التراث ؛ وانشئت مكتبة يهودية عظيمة ، كما انشئت طائفة كبيرة من المدارس اليهودية في جميع انحاء فلسطين ، جعل التعليم بها باللغة العبرية ؛ واتخذت العبرية الى جانب العربية والانكليزية لغة رسمية للتخاطب والمعاملات ، وانشئت عدة صحف يهودية عبرية ، وبذلت على العموم مجهودات عظيمة لاحياء الثقافة والتقاليد اليهودية

وهكذا سارت الصهيونية في انشاء الوطن القومي اليهودي بفلسطين بخطوات سريعة تسدد كل خطوة منها الملايين الطائلة ، والسياسة الانكليزية من ورائها تؤيد جهودها وتحمي مرافقها ومشروعاتها .

وقد بلغ الاحتشاد اليهودي في فلسطين مبلغا عظيما ؛ فقبل عهد بلفور لم يكن عدد اليهود بفلسطين يزيد على بضعة آلاف معظمهم من اليهود المحليين ، ولكن عددهم حسب احصاء سنة ١٩٢٢ بلغ ٨٧,٧٩٤ من مجموع قدره ٧٥٧ الفا ؛ وبلغ حسب احصاء سنة ١٩٢٩ — ١٤٩,٥٥٤ من مجموع قدره ٧٩٤,٩٠٦ آلاف — ويبلغ اليوم حوالي مائتي الف من مجموع قدره مليون نفس . واعظم احتشاد يهودي في (مدينة) تل أفيف وهي مدينة يهودية محضة أنشئت على الطراز الاوربي ، ويبلغ سكانها اليوم زهاء ستين الفا . والهجرة اليهودية مازالت تتدفق على فلسطين بنسبة مزعجة ولا سيما عقب حوادث ألمانيا الأخيرة ، حيث اضطرمت خصومة السامية من جديد ولقي اليهود نوبة اضطهاد جديدة شاملة .

وقد يلوح مما تقدم أن الصهيونية قد أحرزت نجاحا لا شك فيه ، وأن الوطن القومي اليهودي يقوم اليوم في فلسطين على أسس ثابتة ، وأن حلم هرتزل في قيام دولة يهودية موجـــدة يسير نحو التحقيق . ذلك أن الصهيونية قد استطاعت من الوجهة الدولية أن تحصل على العهود والمواثيق اللازمة للاعتراف بالوطن القومي اليهودي كوحدة سياسية ذات وجود ، وعلى الضمانات الكفيلة بتأييده وحمايته ، واستطاعت من الوجهة المادية أن تقوم في فلسطين بطائفة كبيرة من الجهود المادية والانشائية لاقامة هذا الوطن القومي طبق ما فصلنا . ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها هي أن الحركة الصهيونية تقوم من الوجهة التاريخية والدولية على أسس وبواعث فاسدة مضطربة ، وجهودها في سبيل انشاء الوطن القومي اليهودي تسيرها في الواقع عوامل مصطنعة . ثم هي بعد هذه الجهود كلها لا تستطيع أن تطمئن لمصيرها في فلسطين ، ولا تستطيع أن تغفل ارادة العرب بعد أن تجلت هذه الارادة أكثر من مرة قوية متقدمة بتحطيم هذا الصرح اليهودي المصطنع . ذلك أن الصهيونية الحديثة لم تكن مستقلة النشأة ، وانما كانت بالاخص نتيجة لخصومة السامية أو حركات الاضطهاد ضد اليهود في أوربا ، وكانت وما زالت تتبع هذه الخصومة قوة وضعفا ، فاذا اضطرمت خصومة السامية ، اضطرمت الصهيونية بفورة مؤقتة من الحماسة ، واذا خبت فتر روح الصهيونية المعنوي . وفكرة الوطن القومي اليهودي تقوم من الوجهة التاريخية على أن أرض فلسطين كانت قبل ألفي عام وطن الشعب اليهودي ومهاد مجده ، وانها مازالت برغم كر الاحقاب مثوى تراثه الروحي وذكرياته المقدسة . وهي فكرة ظاهرة الخطل والاغراق ؛ ففلسطين عربية إسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، ولم تعرف خلال هذه الآماد الطويلة من أثر اليهودية سوى ذكرى التاريخ : ولو كانت ذكرى التاريخ تصح سندا لاستعادة الأوطان الغابرة لما كان لشعب أن يبقى اليوم في الأرض التي يحتلها . واليهودية لا وطن لها منذ الفي عام ؛ وقد استقرت منذ الحقب اشتاتا في سائر أنحاء الأرض ، وفقدت لغتها وكثيرا من خواصها ومميزاتها القومية ؛ ولم تبق اليهودية جنسا موحدا ، وانما هي دين فقط . وقد كان مزجها بين فكرة الدين والجنس من أهم عوامل اضطهادها ، لانها برغم نزولها في مختلف الأوطان وتأثرها بمؤثرات الأقليم والوسط ، تأبى الا أن تعيش دائما في معزل ، وتنكر دائما جنسيتها المكتسبة بتعاقب القرون ، وتتخذ دائما من الدين جنسية مستقلة . وقد كان هذا الفهم الخاطئ لنظرية الجنسية موضع الانكار والنقد من بعض مفكري اليهودية الممتازين مثل مندلزون ولسيغ ؛ فقد رأوا أن تتخذ اليهودية أوطانها القومية حيثما حلت مع احتفاظها بتراثها الروحي .

هذا ، ومن جهة أخرى فان الصهيونية لم تحسب حساب العرب ؛ وقد رأت بالأدلة المادية أن التأييد المسلح الذي أخذته بريطانيا على نفسها لا يكفي لسلامة الوطن القومي اليهودي ، وان ارادة العرب أصحاب البلاد يجب أن يحسب لها أكبر حساب . وقد ظهرت هذه الارادة قوية مضطرمة في حوادث اغسطس سنة ١٩٢٩ ؛ ثم ظهرت في حوادث فلسطين الأخيرة التي جاءت أقطع حجة على أن فلسطين العربية مازالت تجيش بقوى معنوية لا تقدر . وهذه الانفجارات القومية القوية التي تضطرم بها فلسطين من وقت لآخر هي وثبات شعب يريد الذود عن حياته وكيانه . فقد رأينا كيف نزعت أراضي

الغرب من أيديهم، وكيف سلبوا كل مرافقهم ومصالحهم الجوهرية، وكيف فتحت بلادهم لتلقى سيل الهجرة اليهودية تنفيذاً لعهد بلفور وصك الانتداب. وقد اقرت لجنة التحقيق البريطانية التى انتدبت على اثر حوادث سنة ١٩٢٩ عدالة كثير من المظالم التى نزلت بالعرب، ولا سيما مسألة الأراضى ومسألة الهجرة اليهودية. ولكن السياسة البريطانية لم تغير شيئاً من مسلكها، وما زالت تؤيد غزو الصهيونية لفلسطين بكل قواها. وقد وصل اقتناء اليهود لاراضى العرب فى العهد الأخير، ووصلت الهجرة اليهودية الى حدود خطرة، وشعر العرب بالضغط عليهم وعلى مرافقهم يشتد الى الغاية، فكان الانفجار الأخير؛ وكان ان اثبتت فلسطين مرة أخرى أنها ستقاوم هذا الغزو البربرى المنظم بكل ما وسعت من قوة؛ وشعرت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومى اليهودى انما هو لعبة خطرة لا تزال تنقضها كل عناصر السلامة والطمأنينة؛ وكان لحوادث فلسطين الأخيرة وقع عميق فى العالم العربى والاسلامى كله؛ فعرفت اليهودية مرة أخرى أن فلسطين لا تقف وحيدة فى ميدان النضال؛ وأن من ورائها الأمم العربية والاسلامية كلها تشد أزرها بجميع قواها المعنوية؛ وعرفت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومى اليهودى لا يقوم فى قلب فلسطين فقط؛ وانما يقوم فى قلب العالم العربى والاسلامى كله على بركان من الخصومة المشتركة. وان عليها اذا أرادت البقاء فى فلسطين أن تتأهب لمنازلة العالم العربى والاسلامى كله.

البكروان

ألا أيها الكروان صحت لك الرؤى
وطابت مجانيها فقيم تصيح
أراك كأن الوجد أشجاك والأسى
رماك فتغدو والها وتروح
كأنك والأشجار أعواد منبر
خطيب لأرباب الهوى ونصيح
ألا غنني وانشد فؤاداً أضله
عيون المها عل الفؤاد يلوح
وآنس بما توحيه قلبي فربما
تفرح قلب المرء وهو صحيح

محمد محمود الزافعي

الشافعي واضع علم اصول الفقه

للاستاذ مصطفى عبد الرازق (١)

استاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

الشافعي هو أحد الأئمة الأربعة الفقهاء: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى المتوفى سنة «١٥٠ هـ - ٧٦٧ م» وأبي عبد الله مالك ابن انس الأصبحى المدنى المتوفى سنة «١٧٩ هـ - ٧٩٥ م» وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المكى المتوفى سنة «٢٠٤ هـ - ٨٢٠ م» وأبي عبد الله أحمد بن حنبل البغدادي المتوفى سنة «٢٤١ - ٨٥٥ م»

وهؤلاء الأئمة هم الذين استقرت مذاهبهم فى الفقه الاسلامى بين جمهور المسلمين منذ نحو ألف عام.

وتلاشى ماعداها من المذاهب كمذهب «الحسن البصرى» المتوفى سنة «١٦١ هـ - ٧٧٧ م» ومذهب «سفيان الثورى» المتوفى سنة «١٦١ هـ - ٧٧٧ م» ومذهب عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى، المتوفى سنة «٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م» ومذهب «محمد بن جرير الطبرى» المتوفى سنة «٣١٠ هـ - ٩٢٢ م»

وطالت مدة المذهب الظاهرى الذى أسسه «داود بن على الأصفهانى» المتوفى سنة «٢٧٠ هـ - ٨٨٣ م» وزاحم المذاهب الأربعة ودرس بعد القرن الثامن.

والتنافس بين المذاهب الاربعة على الغلبة والانتشار والسلطان قديم يرجع الى عهودها الأولى، ولعل بعض آثاره لا تزال باقية الى اليوم

ولئن كان هذا التنافس قد أدى فى بعض الأحايين الى اثارة أحقاد وفتن بين العامة فانه فى أكثر أمره كان سبب حياة عقلية ونشاط فكرى وتسابق الى الاتقان والكمال فى البحث العلمى

فان أهل كل مذهب كانوا لا يفتأون يتفننون فى جعل مذهبهم ميسراً لافهام الناس وأذواقهم، متسعاً لما يتجدد من حاجاتهم، متميزاً بلطف الاستنباط وحسن التخريج، وكثرة الجمع للمسائل، وجودة التأليف حتى أصبحت علوم الأحكام الشرعية أكمل مظهر للنجهو العقلى العظيم فى الاسلام بوفرة أبحاثها ومؤلفاتها التى لا يحصى

(١) نص محاضرة القاها فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية

عديدها وبما في كثير من هذه المؤلفات والأبحاث من ابتكار وأبداع

لا جرم كان التراث الفقهي الاسلامي من أنفس ما أدخر البشر من مباحث المتفقهين .

ولا نزاع في أن لأشخاص واضعي المذاهب أثرا في رواج مذاهبهم وإقبال الناس عليها وتغلبها على ما عداها .

وقلما تمتاز عند الجمهور مقالات المفكرين عن صورهم وأشخاصهم .(١)

ومن أجل هذا كان من وسائل أهل المذاهب الأربعة لنشر مذاهبهم والدعوة لها : وضع المصنفات في مناقب الأئمة أصحاب هذه المذاهب ، وفي الترجمة لحياتهم على وجه يبرز فضائلهم ويبين مزايا مذاهبهم .

وقد تفرد الائمة الاربعة بكثرة ما دون من المؤلفات في تراجمهم حتى ليقول « أبو زكريا النووى ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م في شرحه للمهذب المسمى بالمجموع : « وقد أكثر العلماء من المصنفات في مناقب الشافعي رحمه الله وأحواله من المتقدمين كداود الظاهري وآخرين . » ومن المتأخرين كالبيهقي وخلائق لايحصون » .

ويقول أبو حفص عمر بن أبي الحسن الشافعي المعروف بابن الملقن في كتابه « العقد المذهب في تاريخ المذهب » المؤلف في القرن الثامن الهجري : « وترجمة الشافعي حذفناها في هذا المؤلف لأنها أفردت تآليفا فبلغت نحو أربعين مؤلفا » .

على أن كثرة هذه المؤلفات وإن وفرت للمؤرخ مراجع البحث فأنها تقوم في الغالب على العصبية لامام على أمام ، فلا تخلو من سرف في المدح وسرف في الذم ، وجدل فيما ينتسب لهذا من المناقب وما ينتسب لهذا من المثالب ، ولا تخلو من اعتماد على روايات ظاهرة البطلان وعلى الأحلام والرؤى .

ومن أمثلة ذلك : ما ورد في كتاب مناقب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان لمحمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الكردي صاحب فتاوى البزازية المتوفى سنة ٨٢٧ هـ ١٤٢٣ م ، من عقد فصل لصفة الامام في التوراة .

وقلما تجد كتابا في مناقب الأئمة ألا وفيه باب لما رأى الأمام المترجم له في المنام وما روى له .

نعم لكل ذلك وزنه ودلالته في نظر الباحث . لكن التقصى لهذه المقالات في مصادرها والمقارنة بين رواياتها المختلفة واعتبار حجج المثبتين لها والمزيفين مما لا يدخل في غرضنا ولا يتسع له المقام .

غرضنا من هذا البحث أن ندرس ما يتعلق بأثر الشافعي في تكوين العلم الاسلامي .

ولما كان وصف الأثر العلمي للامام يستدعي تصوير شخصيته التي صدر عنها هذا الأثر : فأني اجعل هذا البحث قسمين .

ا - ما يتعلق بالشافعي في خاصة نفسه من نشأته وسيرته

ب - ما يتعلق بأثر الشافعي في وضع علم أصول الفقه .

وأتناولهما على هذا الترتيب

ا - نشأة الشافعي وسيرته

يقول أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري المالكي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في كتابه « الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء : مالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة رضي الله عنهم » لاخلاف علمته بين أهل العلم والمعرفة بأيام الناس من أهل السير والعلم بالخبر والمعرفة بأنساب قريش وغيرها من العرب ، وأهل الحديث والفقه أن الفقيه الشافعي رضي الله عنه هو محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ويجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف بن قصي ، والنبي صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

والشافعي محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، وإلى شافع ينسب ، وقد تقدم أنه شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ،

فالنبي صلى الله عليه وسلم هاشمي ، والشافعي مطلبي ، وهاشم والمطلب أخوان أبنا عبد مناف ، ولعبد مناف أربعة بنون : هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس - (ص ٦٦) وهذا الذي لم يكن

(١) نقل ابن حجر عن زكريا الساجي أنه سمع هارون بن سعيد الأيلي يقول : مارأيت مثل الشافعي . قدم علينا مصر فقيل قدم رجل من قريش فجئناه وهو يصلي فما رأينا أحسن صلاة منه ولا أحسن وجها . فلما تكلم ما رأينا أحسن كلاما منه . فافتتنا به . ص ٥٩

وأخرج الآبري من طريق الربيع قال . لما قدم الشافعي مصر وقعد في حلقه كان يجالسه رؤساء أصحاب الخلق عبد الله بن عبد الحكم ونظراؤه . وكان الشافعي حسن الوجه والخلق . حبيب الى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والأعيان ص ٦٢

يعرف فيه ابن عبد البر خلافا من نسب الشافعي قد حدث فيه الخلاف.

قال فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م في كتابه في مناقب الامام الشافعي:

(وطعن الجرجاني وهو واحد من فقهاء الحنفية في هذا النسب وقال: إن أصحاب مالك لا يسلمون أن نسب الشافعي رضي الله تعالى عنه من قريش، بل يزعمون أن شافعا كان مولى لأبي لهب فطلب من عمر أن يجعله من موالي قريش فامتنع، فطلب من عثمان ذلك ففعل، فعلى هذا التقدير يكون الشافعي رضي الله تعالى عنه من الموالي لا من قريش) ص ٥

وعرض الرازي للرد على هذه الدعوى بما لا نرى حاجة للإطالة به ما دام صاحب الطعن يعزوه إلى أصحاب مالك، وقد نقلنا عن أمام من أئمة المالكية ما ينقض هذه الدعوى التي يقول في أمرها الرازي: «واعلم أن الجرجاني إنما أقدم على هذا البهتان لأن الناس اتفقوا على أن أبا حنيفة كان من الموالي، إلا أنهم اختلفوا في أنه كان من موالي العتاقة أو من موالي الحلف والنصرة، وطال كلامهم في هذا الباب وأراد أن يقابل ذلك بمثل هذا البهت، وما مثله فيه إلا كما قال الله تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» ص ٧ و ٨

وقد يكون أصل هذه الحكاية ما ذكره الخطيب البغدادي في ترجمته للشافعي من أن أم شافع أم ولد.

فالشافعي من جهة أبيه قرشي مطلبي ليس في ذلك نزاع يقام له وزن، وأن كانت أم جده ليست من العرب

وقد ذكر الكثيرون ممن ترجم للشافعي: ان جده السائب أسلم يوم بدر، وكان صاحب راية بني هاشم مع المشركين فأسر ففدى نفسه وأسلم وروى: أنه اشتكى فقال عمر: اذهبوا بنا نعود السائب ابن عبيد فإنه من قريش، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: حين أتى به وبعمه العباس: هذا أخي

أما ابنه شافع فلقي النبي وهو مترعرع، فالسائب بن عبيد صحابي، وابنه شافع صحابي، وأخوه عبدالله بن السائب والي مكة صحابي

وروى ابن حجر العسقلاني الشافعي المتوفى سنة «٨٥٢هـ - ١٤٤٨م في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» عند الكلام على عبد يزيد بن هاشم بن المطلب روايات قال على أثرها:

(وعلى هذا فيكون في النسب أربعة أنفس في نسق من الصحابة: عبد يزيد وولده عبيد، وولده السائب بن عبيد، وولده شافع بن السائب) ج ٨ ص ١٩٣

ويظهر ان بيت الشافعي كان بيت حكم وعلم في مكة. فقد رأينا أن عبد الله بن السائب أخا شافع بن السائب كان واليا لمكة.

وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه «توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس»: (وأما عثمان بن شافع فعاش الى خلافة أبي العباس السفاح، وله ذكر في قصة بني المطلب لما أراد السفاح اخراجهم من الخمس وأفراده لبني هاشم، فقام عثمان في ذلك حتى رده على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم) ص ٤٥

وذكر ابن عبد البر فيمن أخذ عن الشافعي علمه من أهل مكة ابا اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع قال: (وهو ابن عمه، وروى أيضاً عن ابن عيينة وغيره وكان، ثقة حافظاً للحديث ولم ينتشر عنه كبير شيء في الفقه، وكان منشؤه بمكة وتوفي بها سنة سبع وثلاثين ومائتين، وحدث عن جماعة) ص ١٠٤

ولسنا نعرف من أمر إدريس والد الشافعي إلا أنه كان رجلاً حجازيا قليل ذات اليد، وأنه خرج مهاجرا من المدينة حين ظهر فيها بعض ما يكرهه، أو خرج من مكة الى الشام لحاجة في رواية أخرى، وأقام بغزة أو بعسقلان من بلاد فلسطين ثم مات بعد مولد الشافعي بقليل.

أما أم الشافعي فهي أزدية في أرجح الروايات، وهي الرواية المشهورة المعزوة الى الامام نفسه، وذكر بعض المؤرخين أن كنيتها «أم حبيبة الازدية».

ونقل بعض أصحاب التراجم أن أم الشافعي هي فاطمة بنت عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وقيل: فاطمة بنت عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي

وقالوا: انهم لا يعلمون هاشميا ولدته هاشمية إلا علي بن أبي طالب والشافعي.

ورجح هذا القول ابن السبكي في كتاب «طبقات الشافعية الكبرى»، لكن الفخر الرازي يرى: ان هذا القول شاذ، ويقول ابن حجر العسقلاني: انه لم يثبت ويرده كلام الشافعي نفسه. قال ابن السبكي: «ولله درها من أي قبيلة كانت!»

قال ابن حجر: (ومن ظريف ما يحكى عن أم الشافعي من

الحذق : انها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى مع رجل . فأراد القاضي أن يفرق بين المرأتين ، فقالت له أم الشافعي : ليس لك ذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : « أن تضل احداهما فتذكر إحداهما الاخرى » ، فرجع القاضي لها في ذلك . وهذا فرع غريب واستنباط قوى)

ولو أن أم الشافعي كانت بهذه المثابة من دقة التفريع وقوة الأستنباط لعرف التاريخ على الاقل اسمها وعرف اين وافاها حمامها وفي أي زمن(١)
هذه السيدة التي يختلفون في نسبها ويختلفون في اسمها هي التي كفلت طفلها يتيما غريبا فقيراً ، ولم تزل ترعاه بعنايتها وتتولاه بهديها حتى أصبح بين المسلمين إماماً

خرج ادريس بن العباس والد الشافعي من مكة مهاجراً يفر من الظلم أو يفر من الفقر أو يفر من كليهما ، وقد يكون في طريقه الى فلسطين أقام في المدينة زمنا ، فقال بعض الرواة : ان هجرته كانت من المدينة ثم نزل في غزة أو في عسقلان ، وهما ثغران من ثغور فلسطين متجاوران ، وعسقلان هي المدينة ، وأقام هناك مع زوجه التي وضعت له طفلا ذكرا لم يكد يتنسم الحياة حتى أدرك الموت باه .

هذا مولد الشافعي ، ولا خلاف بين الرواة في ان الشافعي ولد « سنة ١٥٠ هـ - وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة على الصحيح كما ذكر ابن حجر وغيره (٢) (يتبع)

(١) في كتاب الكواكب السيارة « في ترتيب الزيارة » تأليف شمس الدين محمد ابن الزيات : « ويقولون (عن قبر من القبور) أم الامام الشافعي وليس بصحيح فأنها بمكة . قال المؤلف عفا الله عنه : دفنت فاطمة أم الامام الشافعي بمكة وهو الاصح »

(٢) وفي كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان لابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي ابن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني المكي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ

« وقلت ويننا وبين الحنفية مقاولة على سبيل المزاح ، فهم يقولون امامكم كان مختفيا حتى ذهب إمامنا ، ونحن نقول لما ظهر إمامنا هرب إمامكم » ج ٢ ص ٢٥ وهكذا يمزح المتفقهون .

جنون الشباب

أفدي بروحي الغانيا ... ت المائسات قدودهنه
الخالعات على الحيا ... ء رداءها بجمالهنه
الناعمات الغيد يرشـ ... ـشفن كالمدامة ريقهنه
الباعثات بكل قلـ ... ـب وجده ألحاظهنه
يمزحن في ظل الشبا ... ب فترقص الدنيا لهنه
خطواتهن على الفؤا ... د كأنها وقع الأسنه
الشعر والسحر الحلا ... ل وفتنة الألباب هنه
وإذا أردن جعلن من ... صحراء هذا العيش جنه
لله يوم كنت فيـ ... ـه صريع نبل جفونهنه
ما أعذب الألم الذي ... يصلاه قلبي عندهنه!
آمنت بالحسن المبيـ ... ـن وهمت منه بكل فتنه
لولا الجمال لكانت الد ... نيا كأسداف الدجنه
ياطيب أحلام الصبى ... من بلسم ياطيبهنه!
إن الحياة هي الشبا ... ب فإن تولى فهي محنة
رق النسيم ورجع الـ ... ـغريد في الاغصان لحنه
فاغنم ربيع العمر غضـ ... ـضاء فالشباب هوى وجنة

دمشق — حلمي اللحام

* * *

راعي الغنم

ياليتني راعياً غنما ... في البر اقضي الحياة منفردا
لي أمة اينما ذهبت معي ... تذهب لما ارتضت هداي هدى
امة ضأن قد ارتضيت بها ... اهلا كما اخترت وليها ولدا
فكل صبح نمضي الى وطن ... وكل يوم نبني لنا بلدا
موطننا حيثما يطيب لنا ... وكل رض عشنا بها رغدا
آنس فيها إما وجدت اسى ... أو تلتجي لي إمارات احدا
حينا تراني كالفيلسوف بها ... يضرب في الكون ناظري صعدا
وتارة شادياً أردد في ... لحني وأصغي اذ تستجمل صدي
تهيج ناي النعاج ثاغية ... مثال جوقين بالغنا اتحدا
وتارة أغتدي لها ملكاً ... تطيع امري مهما رفعت يدا
وكيف ارضي بذبح واحدة ... منها وقد اغدقت علي ندى
تأكل عشب الثرى وترضعني ... دراً وتكسو بالصوف لي جسدا
عمري عيشي في الضان لاعمر ... يذهب بين الورى على سدى

احمد الصافي النجفي

الطبيعة فى شعر ابن خفاجة

١

فى سنة ٤٥٠ للهجرة ولد الشاعر ابو اسحق ابراهيم بن خفاجة فى الاندلس فى جزيرة شقر ونشأ فيها كما ينشأ غيره حسب نظام الحياة فى تلك العصور على اخذ اللغة العربية عن الرواة والنحويين ، وعلى تلقى احكام الفقه عن الفقهاء والمعلمين ، حتى كانت له فى الفقه مكانة لم ينكرها معاصروه فلقبوه بالفقيه .

ربما خطر ببالك اننا سنأخذ بعد هذه المقدمة فى وصف حياة الشاعر بعد زمن التعلم ، وربما لاح لك ان حياته بعد ان صارت له فى الفقه تلك المكانة ستكون مملوءة بالاحاديث العلمية والمجادلات الدينية وانه سوف لايخرج من مجلس علماء الا ويدخل فى مجلس فقهاء ، وربما لاح لك ان حياته ستكون بعد ان لقب بالفقيه حياة مدرس جاد او قاض عادل ، او انه سيسلك سبيل المناصب فى الدولة من امارة أو وزارة ، وربما لاح لك ذلك على وجه الظن ان لم يكن على وجه التحقيق ، لانه نتيجة محتومة لحياة التلمذة التى قضاها بين الجلوس للدرس ، وبين مسائل الفقه وأحكام الدين ، وبين كتب الكوفيين وكتب البصريين ، فنحن نجيبك عما خطر ببالك بالايجاب ، وعما لاح لك بالسلب ، ونقول فيه انه كان فى طبيعة ابى نواس وفى حاله فقيهان غلب عليهما الشعر ، وعالمان غلب عليهما الظرف والدعابة .

عاش ابن خفاجة فى الاندلس وهى يومئذ جنة الله فى ارضه ، اكسبها موقعها اعتدال المناخ ورقة الهواء ، وسقاها الغمام من دموعه ، فى أكثر ايام السنة ، وتفجرت ارضها بالينابيع والجداول فى كثير من وديانها ، ونبتت الاعشاب والازهار حول هذه المياه ، وقامت فيها الاشجار فلا ترى اذا سرت فيها الا مياها قوية دافقة ، وظلالا وارفة واسعة ، فى ايام استتب الامن فيها على يد العرب الفاتحين ، وعملت يدهم فيها فأقاموا الجسور وشيدوا القصور وبنوا المدن ، ثم خططوا الرياض والبساتين وغرسوا بها الاشجار والازهار والرياحين ، واحالوا اليها مياه الانهار والجداول ، واقاموا فيها البرك الجميلة ، والبحيرات الواسعة ، والمجارى الكثيرة ، فدنت قطوفها وكثرت خيراتها ، وتحولت من حقول خربة واسعة واحراج كثيفة الى بلاد عامرة ، ورياض زاهرة ، وقصور مشيدة ، وتحولت من ملك مضطرب قبل الفتح الى ملك ثابت وطيد بعده ، وتحولت حياتها من حياة ريفية مقلة ، الى حياة مترفة ساحرة

وكان من الطبيعى ان يكون لسكان تلك الأرض عواطف رقيقة ونفوس جميلة لما للطبيعة الماثلة فى كل وقت وفى كل مكان امام اعينهم من أثر ، ولما فى حياتهم من ترف ونعيم

وابن خفاجة فى حياته يمثل لنا الرجل الاندلسى الذى عاش فى تلك العصور احسن تمثيل ، وفوق ذلك كان لايميل الى مناصب الدولة ولم يكن له عمل من الاعمال العامة ، وانما عاش كما وصفه الاستاذ الزيات فى كتابه تاريخ الادب العربى (عيشة الفنانين خليع العذار طليق الاسار) وكان له من طبيعته خير مساعد على الهرب بنفسه من بين كتب الفقه والنحو ، ومن بين جدران قاعات الدروس والمجالس العلمية ، فاقتصر فى حياته على مشاهدة طبيعة بلاده الساحرة ومناظرها الزاهية ، فى اجتماعاته على مجالس الادباء والشعراء فى رياض بوبه ، وحضور ليالى اللهو والخمر تحت اشجار الأراك بين الاباريق والاقداح وبين الورد والريحان ، حتى يمسح الصبح كحل الظلام (فامتلات عينه ونفسه من جمالها ، وراح يبرز هذا الجمال المعنوى فى حلل شعرية)

المنا فى المقدمة السابقة الماما قصيرة بوصف طبيعة الاندلس ، وطبيعة ابن خفاجة ، كالاولى كانت جميلة المناظر ، زاهية الالوان ، والثانية كانت كوجه البحيرة صفاء وركودا ينعكس فيها كل مشهد من مشاهد الكون جميلا جذابا ، وقلنا ان طبيعة ابن خفاجة احبت طبيعة بلاده حبا بلغ به حد الغرام حتى هجر حياة الدرس وحياة العمل ومجالس العلم واقتصر على حياة كحياة الفنانين الذين ينقطعون الى مشاهدة مناظر الحياة التى تعلق بقلوبهم ، ولعلك ترانا محتاجين الى مثل هذه المقدمة ، فان الموضوع الذى كلفنا انفسنا بحثه يحتاج الى مثل هذه المقدمة ، اذ كل ما نقصد من هذا الموضوع أن نقدم بين يديك الصور التى اجتلاها بن خفاجة عن الطبيعة .

ترى الطبيعة فى شعر ابن خفاجة ماثلة واضحة ، تقرأ له القطعة فترى وتسمع وتشم . ترى المناظر واضحة جلية ، وترى خضرة الاشجار ، وحمرة الاثمار ، وبياض الحباب ، وصفرة الشمس ، وترى ذهب الاصيل ولجين الماء وزرقة السماء ، ثم تسمع نشيد المغنى ووقع الرباب

وغناء الحمام، ورنين المكاء وخرير الماء، ونسم عرف الروضة الغناء، وأريج الأزهار البيضاء، ورائحة الورد الحمراء، ثم تقرأ له من التشبيه الساحر والطباق الدقيق، والكتابة اللطيفة ما لا يخرج عن الربا الخضراء والوهاد الشجراء والادواح اللفاء، وما لا يخرج عن العنبر والعرار والسوسن والاقحوان. ان بلاداً يصفها الشاعر فيما يصف فيقول :

يا أهل اندلس لله دركموا ماء وظل وانهار وأشجار
ما جنة الخلد الا فى دياركمو ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تحسبوا بعد ذا ان تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار

وان حياة يحياها الشاعر كما وصفها فيقول:

انما العيش مدام احمر قام يسقيه غـــلام احور
وعلى الاقداح والاداوح من حبب نور وتبر اصـــفر
فكأن الدوح كأس أزبدت وكأن الكأس دوح مزهر

ان تلك الارض وهذه الحياة لدليل واضح على صفاء نفسه ودقة حسه، وعلى تأثيره بمشاهد ارضه الى حد يشبه جنون الفنانين فقد كان يذكر الطبيعة فى مواقفه التى وقفها رائيا باكيا وفى مواقفه التى وقفها زاهدا متبتلا، وفى مواقفه التى وقفها معاتباً مغضبا، وفى مواقفه التى وقفها مادحا يمدح الاخوان والقضاة، وفى مواقفه مداعبا اخوان الود ورفاق اللهو والسمر

لقد كان للطبيعة فى لطف نفس الشاعر ورقة حسه أثر، وكان للطبيعة فى شعره ظل، وكان للطبيعة فى كل أغراضه التى قال بها الشعر ذكر، فهو (شاعر الطبيعة ومصورها) كما قال الاستاذ الزيات

٢

نفسى الشاعر : لابن خفاجة فى شعره صورة صادقة من طبيعة نفسه فى قوله :

انما العيش مدام احمر قام يسقيه غلام احور

الى آخر الابيات صورة لتلك النفس التى لا ترتاح الا الى خمرة حمراء من يد جميل احور فى ظل الدوح المزهر

فهو لا يرى فى الحياة شيئا غير هذا، او كأنه لا يريد ان يرى فى الحياة شيئا غير ما ذكر، او قل انه يضع بذلك نموذجا للحياة اللذيذة كيف تكون ؛ ألا ترى انه كيف عكف على رشف الكئوس الحمراء ومراقصة الاغصان الخضراء:

عاطر اخـــلاءك المداما واستبق للأيكة الغماما
وراقص الغصن وهو رطب يقطر او طارح الحـــماما

فهو لا يرى للحياة ان تنهك الاذهان بالتفكير فيها، ولا يرى لها ان تهلك المرء بالعمل لها. وليس للحياة ان تجعل من الانسان عبداً ذليلا للجد والعمل. ولكنه يرى ان تكون الحياة ألهية جميلة يتلهى بها الانسان عن مشاقها. ويتسلى بها عن احزانها ؛ ويرتاح لها، ولا يرى فى الحياة الذ من رشف الكأس الوردية، ولا أروح للنفس من مراقصة الاغصان الرطبة، ولا الذ فى السمع من مطارحة الحمام ولا اجمل فى العين من الوان النور فى الصباح والمساء فى الروضة الغناء.

فابن خفاجة لا تطيب له الحياة الا عند شواطئ الجداول والينابيع وتحت ظلال الادواح، وبين الاباريق والاقداح انظر اليه كيف يقول :

اما لديك حـــــلاوه اما عليـــك طـــلاوه
طايب وداعب ولاعب واترك ســجايا البداوه

فكأن حياة الجد وطبيعة الانقباض والوحشة لا توافق مذهبه او قل لا تتشابه ولا تتجانس مع طبيعته التى تعشق السرور. ونفسه التى تحب اللهو والعبث.

لم يبق بعد هذا من شك فى ان طبيعة الرجل كانت طبيعة سرور وطرب، بل كانت فوق ذلك طبيعة متفائل يهزأ بمصاعب الحياة وليس من شك فى ان نفسه كانت تميل الى الهزل وتميل الى العبث، بل ليس من شك فى ان حياته كانت حياة مستهتر يهرب من وجه الحياة العابس الى وجهها الضاحك، فلم يتول عملا من الاعمال العامة. ولم يتصد لمدح الامراء والوزراء والملوك على كثرة تهافت العلماء عليهم ؛ وعلى حاجة الملوك الى امثاله.

هنالك ملاحظة اخرى : هى ان ابن خفاجة كان على علمه وفقهه لا يشتغل بالعلم ولا بالفقه ؛ ولعله كان يعتقد ان للعلم فضيلة فى ذاته وان على الانسان ان يتعلم العلم لا ليجعله آلة تدر عليه المال، بل كان يعتقد ان العلم جمال لاهله وزينة لهم. ومثل هذا الاعتقاد نجده فى قوله :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة فى اخذ مال مساجد وكنائس

فهو ينعى على اولئك الذين يجعلون العلم وسيلة لتصدر المجالس، ولنهب المساجد والكنائس ؛ ويعيب عليهم ذلك. ولعل هذا هو السبب الذى دعا ابن خفاجة الى ان يعرض عن مجالسة علماء عصره وان يصدف عن مجالس العلم ومسائل الفقه، وان يقتصر فى مجالسه على مجالس الادباء والشعراء ؛ وان يقتصر فى احاديثه على ذكر المتنزهات، وان يقتصر فى شعره على وصف الطبيعة :

هذه هي الصورة الواضحة التي نراها للرجل في شعره . نفس تميل الى السرور والبهجة وطبيعة تهرب من الجد الى الهزل . ومن الانقباض إلى الانشراح ، ومن اللذة الآجلة الى اللذة العاجلة ، ومن التحجب والحياء والتكلف الي اللهو والعبث والمجون . فليس بغريب أن تميل هـــذه النفس وتلك الطبيعة الى مجالس السرور والطرب والى معاطاة المدام ، وليس بغريب بعد هذا أن يصف ابن خفاجة في شعره مجالس انسه ، وأن يصورلنا بمقطوعات رائعة الأنهر الفياضة والضفاف الخضراء والرياض الفيح .

وصف الطبيعة : — وفي وصفه مناظر الطبيعة وفي تشبيه إياها بمناظر وأشياء تشابهها لا يخرج في كل هذا عن الطبيعة في شيء . فيشبه النهر المتعطف والأزهار النابتة حوله بمجرة السماء .

متعطف مثـــل السوار كأنه والزهر يكنفـــه مجر سماء .

ويشبه أيضاً وقد حفت به الغصون بأهداب العين الزرقاء .

وغدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء

ويصف موقد قد اشتعلت فيه النار فيقول .

منقسم بين رماد أزرق وبين جمر خلفـــه يلتهب
كأنما خرت سماء فوقه وانكدرت ليلا عليه شهب

فهو في وصفه الطبيعة لا يخرج عن الأوصاف والتشبيهات التي تحتويها الطبيعة : فالنهر المتعطف والازهار النابتة حوله ، وزرقة النهر وأغصان الاشجار القائمة على شاطئيه ، والموقد المشتعل ، والرماد الازرق والجمر الاحمر ، كلها مناظر طبيعية : كذلك مجرة السماء والمقلة الزرقاء والسماء المتساقطة ، والشهب المنكدرة كلها مناظر طبيعية ، ومن هذا يمكنك ان تلاحظ الى أى حد بلغ غرام ابن خفاجة بالطبيعة وحبه لها . وانظر اليه كيف يصف ما فعل بهم الطرب وكيف يشبه الهلال بالطوق المذهب :

واهتز عطف الغصن من طرب بنا وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به طوق على برد الغمامة مذهب

فهو يشبه اهتزازهم من شدة الطرب وقت المساء الساحر بالغصن يهتز وينعطف ، ثم شبه الهلال الذي ابتسم عند المغرب بطوق ذهبي على برد الغمامة . وقال يصف الصباح الرائع .

والصبح قد صدع الظلام كأنه وجه وضيء شف عنه قناع

فقد شبه نور الصبح حين ينتشر فيمحو ظلمة الليل بوجه وضاء شف عنه قناع رقيق . ويصف الصباح في غير موضع فيقول :

وقد مسح الصبح كحل الظلام وأطلع فـــود الدجى اشيبا

فكما ان الصبح المضيء والدجى المظلم من مناظر الطبيعة فكذلك كحل الظلام وفود الدجى الاشيب صورتان عن الليل المظلم والصباح المنير ، ويقول في تشبيه الظلام بالكحل والقطر بالعبرات

يجـــول للغيم كحـل فيـــه وللقطر عبـــرة

فلم يخرج في تشبيه الغمامة الدكناء والامطار الهاطلة عن كحل الكاحل وعن العين المستعبرة ، ويشبه خيوط الشمس الذهبية في المساء ، ولون الماء الصافي فيقول :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

والذهب الاصفر واللجين الفضي كلها الوان طبيعية : فكأن ابن خفاجة يحتقر الصناعة ويحتقر الوانها ، فلا يشبه مناظر بلاده التي يراها الا بمناظر والوان طبيعية ، ولا يصور الطبيعة الا بالوان وأدوات طبيعية ، أو قل انه رأى ان الصناعة والحياة الاجتماعية اقل مناظر واقل الوانا من الطبيعة ، فمال عنها اليها يمتع الطرف ويقول الشعر ويصف الشيب والشباب فيقول :

فاحسن من حمام الشيب عندي غراب شبية ألف النعيـــا

فهو يشبه الشيب المخضب بالحناء بالحمام ، ويشبه شعر رأسه الاسود في زمن الشباب بالغراب ، ثم يقول : ان نعيب الغراب المشؤوم احسن عندي من هديل الحمام المحبوب .

ونختم كلامنا الآن بهذه المقطوعة وهي تصف عشية من عشيات الانس ، ولاحظ اذا شئت فيها انه لا يخرج في تشبيه مناظر الطبية عن الطبيعة .

وعشي انس اضجعتني نشوة فيه تمهـــد مضجعي وتدمث
خلعت علي به الأراكة ظلها والغصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة والرعد يرقى والغمامـــة تنفث

(يتبع) ادلب : عبد الرحمن جبير

من كتاب الحب

للكاتب النرويجي بيتر نانزن

نقلاً عن الترجمة الألمانية

حبيبتي اشهى النساء الى النفوس ؛ لقد وهبني غيرها من النساء حبهن فكن يذهبن ويجئن ، بعضهن مرة وبعضهن مراراً ؛ إنني اشكر لهن جميعاً ، ولكني كنت انساهن حين يجاوزن عتبة الدار .

على أنني كنت دائماً مشغول الفكر بواحدة أخرى ؛ أفكر فيها حتى وأنا مع غيرها ؛ لأنها كانت المثال الذى أقيس عليه الأخريات فلا تستطيع إحداهن أن تكونه .

هى واحدة ليس غير ! كنت دائماً أرجو أن أظفر بمرآها داخلة من الباب ؛ فان جمالها كان يتجدد فى كل مرة اراها .

هي واحدة لا أكثر ! كنت أرغب أن أحيا فى ظلها ، لأن العيش معها يفرغ على الحياة الجمال كله ، ويبعث فى أفقها اشعة شمس جديدة .

هي واحدة لا أكثر ! كنت اشتهى معها الموت ، لأنى وأنا بجانبها لا أعرف الخوف .

اسم حبيبتي مارية ؛ وهي اجمل النساء .

* * *

لست أبالى الثناء الذى يضفي الشاعر حلته على حبيبته الوحيدة ؛ لأن حكمه كحكم الفلاح الجاهل . وغالباً ينطق كل شيء بأنها لا تستحق كل تلك الكلمات الجميلة التي اغتصبنا من اللغة لأجلها .

إن الرجل الذي لا يعرف الالوان أو احداً ثم يزعم أن هذا اللون – وليكن الاحمر او الازرق أو الاصفر – هو اجمل الألوان ؛ فان حكمه وإن اختلف عن حكم الاعمى ، لا يعدو حكم الأعشى .

ولو أن لى عشيقة تطمئن الي وأنا أقول لها إنك أول من أحببت ، وأنت أنت الوحيدة التي أحببتها ، وإنك اجمل إنسانة . لو انها اطمأنت الى هدا القول لحنت على وسللت ثوبي من ثوبها ، اذ لو كانت على ثقة من قدرها ، أو يعيبها أن يزداد حبي لها ؛ لقالت : اتخذ لنفسك عشر عشيقات أو عشرين ، واختر منهن من يقتتل عليها الرجال ؛ فاذا ما ملكتهن جميعاً ثم رجعت الى تصفني باننى اجمل امرأة فى الدنيا فعندئذ أفخر بذلك وأكون سعيدة .

فانا ان قلت لمارية إنها اجمل من أظلهن الافق فليخفق قلبها خفقات السرور . فانى ما كنت الأمين فى حبها الا ساعة أيقنت أنى أقول الحقيقة .

ما عرفت أنى جهرت بالحقيقة الا حين شعرت بأنى سأفقدها الى الأبد .

إنها تجربة الحب التى أرجو أن تقع لكل انسان ، إنها تجربة تبعث الألم لأنها من نار .

الألم يفصح ويثمر . فالحب الذى يذوى بالنزق ، ينمو بالألم ويترعرع . فبوركت أيها الألم لانك ثبت فى قلبي حب مارية .

* * *

عرفتها وهى كالطفلة الغريرة الساذجة . وإنى لأراها فى ذلك اليوم وهى على ثقة من نفسها ، فكانت تحاول أن تظهر كالمجربة ، فكانت تتحدث عن الحياة كأنما سبرتها الى الغور ، ولاقت من التجاريب ما كشف لها عن الحياة وزورها ، ووقفها على فتنتها وغرورها ، فملت كل شيء وكانت تؤكد – وهى تنظر بعينيها الصافيتين كعيون الاطفال – أنها تفكر حقا فى الالتحاق بالدير ، لأنها تعلم أن حياة التجرد الهادئة تعينها على احتمال البقية الباقية من الحياة التى فرضها عليها القضاء ، فانها كما كانت تؤكد ، ترى أن السعادة فى الحب ، وقد فرغت من هذا الامر منذ زمن وقالت : « لقد أحببت خطيبي ، وكان طالباً ، ولكنى الآن أحتقره وأمقت عبارات الحب التي كان يقولها ، انني لا أصلح للحب » .

كانت تقول هذا بصوت خافت وقد احمرت وجنتاها وبرقت عيناها ، وفى حياء المرأة التى لا تصلح الا لشيء واحـــد ... هو الحب .

عندما وقفت تلك الفتاة الرشيقة امامى تقص على تجاريبها المحزنة شعرت بأننى أصبحت عاشقا .

ما كان أجملها وعلى وجهها سمات الألم البريئة ، وما كان أحلاها فى ثوبها الجميل !

* * *

لن أنسى ثوب مارية الجميل ساعة عرفتها لأول مرة . لقد جاء وقت كان فيه لمارية كثير من الثياب . ولكنها كانت أجمل ما تكون فى ذلك الثوب الذى كان وحيدها يومئذ . إنه ثوب بسيط نصفه الأعلى صدار أبيض موشى له لمعة الحرير وإن لم يكن حريراً وتزر طوقه حول عنقها بمشبك دقيق مموه بالذهب .

كانت ككل فتيات المدن الصغرى يخرجن يوم الأحد للنزهة فتسفر وجوههن عن الجمال وتنم ثيابهن عن معرفة أمهاتهن بقواعد الاقتصاد

كان هذا الصدار بسيطا ومقبولا لدى الذوق ، ولشد ما كانت

تحرص على ألا يعلق به قذى . ولما أن القدر القاسي الا أن تقع عليه بعض قطرات من النبيذ نشطت في حماسة تغسل تلك البقع الرذلة، متظاهرة بعدم المبالاة كأن لديها الكثير من الثياب الجميلة الغالية .

يالك من فتاة صغيرة جميلة لاتحسنين الكذب ، فما كان أيسر على المرء أن يستشف قرارة نفسك وأنت منهمكة في التنظيف تؤكدين أنه لم يحدث ضرر لأن الثوب عتيق !

هذا الثوب العتيق هو ثوبك الوحيد ..... تكاد الدموع تبتدر من عيني كلما خطر ببالي ذلك الخاطر . فمن خلال هذا الصدار الرقيق تروحت لأول مرة شذى جسمك الطيب وشعرت بدقات قلبك المضطربة .

***

في ذلك الوقت كنت أشعر بعطف على تلك الفتاة الصغيرة ذات الصدار الموشى التي كانت تتكلم كذوات السن من النساء، وأعتقد أن لهذا الصدار أثراً كبيراً في ليني ورقتي لمارية : هذا الصدار الذي كان يملكتها الوحيدة والذي كانت تحرص ألا يلي يقف الرجال غالباً من النساء مواقف الاغبياء لأنهم يكثرون من الحرص والحذر ، فالمرأة لاتريد أن تخدع بالكلام ولكنها تحب أن تؤخذ بالقوة فانهن بلا استثناء يشعرن غريزة بأنهن الجنس الضعيف المغلوب ويودن أن يشعرن بإرادة الرجل وقوته مسيطرة عليهن ، وتراهن لسبب لايستطعن ايضاحه يحتقرن الرجل الذي يتذلل للحصول على رضاهن ، وهن يعتبرن الرجل الذي يرتد أمام فضائلهن غبياً ، لأن هذه الفضائل في رأيهن ، ماعزت الا لتخضع لليد القوية .

لم أذهب مع مارية ذلك المذهب الحاد لاني كنت واثقا من أنه سيأتي اليوم الذي ترتمي فيه من تلقاء نفسها بين ذراعي لأن هناك مكانها الطبيعي وقد عرفت ذلك من انكسارها امام نظرتي وضغطها يدي ، عرفت ذلك من أول يوم ، إذ وقفت وراءها وهي لاتراني ولا تسمعني واذا بجسمها يضطرب وتسرى فيه الرعدة من فرع الى قدم .

لم تكن طريقة الهجوم هي الطريقة التي تتبع مع مارية ، وقد يرقق الصدار الموشى قلبي حتى أنني لم أرغب في أن أمتلكها على غرة .

وكما أن البستاني يفرح بزهرة نادرة ويظل يرقبها يوماً بعد يوم وهي تنمو وتتفتح ، فلا يلمسها بيده ، ولكنه يزيل من حولها العشب والأوراق التي تكتنفها وتضيق عليها ، ويعرضها للضوء ٩١٣ والحرارة ويتعهدها بالماء والعناية ، هكذا ظللت أرقب مارية وهي تنمو وتكون امرأة ويشتد غرامها .

كان طبيعياً أن يأتي اليوم الذي تسقط فيه الزهرة بين يدى البستاني الذي ظل ينتظرها بصبر وأناة .

***

طال صبر البستاني . وفي بعض الأوقات كانت مارية تجتذبني من ذراعي وقد ضرجت وجنتيها الحمرة وتقول لي وقد ملأتها سخرية بنات حواء — « هل أنت غبي ؟ » .

تظن المرأة أنها تمتع باحترام الرجل لها وإعجابه بها اذا هي ظلت الى اللحظة الأخيرة تمثل دور المستغواة ، ويجمل بالمرأة الا تتورط في استعمال هذه الألاعيب مع المجربين من الرجال .

ربما كان لهذه الألاعيب تأثير في الذين يرون أنفسهم لصوصا حين يستحوذون على امرأة ؛ ولكن هذه الخدع ، التي لاتتنوع ولا تتغير ، قد تهيج نفوسنا وتضطرنا الى الغلظة في الكلام او المعاملة ، وهذا ينتقص الجمال الكامل ويشوه منظره ويفقد المرأة كثيراً من الذكريات الجميلة في حياتها .

مارية ! يا أرق إنسانة شعوراً ! أشكرك لأنك اعفيتني من هذه الخدع والمهازل : من الحياء المتكلف ، من الخوف المموه ، من الدموع الكاذبة ....

***

مارية كانت لي او لكنني لم اكن لها ، أو على الأقل كنت اعتقد ذلك وكانت هي تعرف هذا حتى أنها لاتطمئن الى خروجي من الباب .

إنني أعرف رأيها فقد صارحتني به مراراً ولم أحاول تفنيده لأنها كانت تعجبني كثيراً وهي تبدى رأيها .

كانت شديدة الغيرة ، ولكن بذكاء وروية وتسامح .

كانت تعتقد أن لي في اليوم عشر عشيقات .

أيتها الفتيات الصغيرات ! إنكن تبالغن في مقدرة الرجل الى حد بعيد وتندفعن دائما وراء خيالكن .

في هذه النقطة لم تكن مارية في شيمة غير شيمة بنات جنسها .

كانت تزورني لا أقل من ست مرات في كل اسبوع وكانت تجدني كل مرة في انتظارها باشتياق ، وبالرغم من هذا كانت تؤكد ، وكذلك يقول كل الناس ، أن لي عشرات العشيقات .

لست انكر أنني كنت أخون مارية في الحين بعد الحين ولكن كنت لها اكثر مما تظن .

أما ما يقوله الناس فلست أباليه .

***

كل الناس !

عبارة اشمئز منها ، ديدان تنساب الى حياتنا المنزلية من ثقب الباب أو من فرجته وتجري معها شيئا من قاذوراتها .

أحكموا اقفال النوافذ والابواب ، حصنوا حياتكم الخاصة بالحديد والفولاذ ، فانكم بالرغم من ذلك ستجدون «كل الناس» واقفين ينظرون من الخارج ويظنون ظنون السوء ويعلق الوضر بابوابكم او نوافذكم .

كل يوم أرى على زجاج نافذتى ذبابة تنفس بها العمر تبدو ضعيفة كأنها لا تستطيع الحراك ، ولكنى لا أكاد اقترب منها حتى تكون قد طارت بسرعة .

أنى اسمع طنينها واصطدامها بالزجاج فافتح النوافذ جميعها وأطاردها بالمنشفة ، فاذا بها تختفى فجأة تحت السرير او وراء المرآة أو على اطار صورة حيث تقف لا تبدى صوتاً .

إنها لا تتركنى وتلحق القذى بفراشى واسمع طنينها المقلق فوق سريرى كل يوم .

وذات مساء بينما كانت مارية تنضو عنها ثيابها أمام المرآة واذا بتلك الذبابة القبيحة تقع على جسمها الابيض .

احمد شكرى

من الشعر الانجليزى :

الى الحرب

للشاعر الاسترالى هيلز يدعو الانجليز الى اشراك قومه فى حرب جنوب افريقية

مَاذَا غدَوْنَا ؟ أسُوقاً لا تَرَوْنَ لهَا
لَوْلاَ تِجَارَتُكُمْ قَدْرًا ولا شَانَا؟

أمْ نَحْنُ بعضُ بَنِى ذَا المُلْكِ ما بَرِحُوا
مُنَظَّمِينَ بِهِ خَيْلاً ومُرَّانَا ؟

فَانْ نَكُنْ سنعيشُ الدَّهرَ فى رَحِمٍ
كالابْنِ والأمِّ إخلاصاً وإيمـانا

فلْنَحْتَمِلْ مَعَكُمْ عبءَ الجهاد يداً
ولْنَشْهـدِ الرَّوْعَ أنجاداً وأعوانا

فما أرى الشعبَ شعباً يوم مَفْخَرِهِ
وَلاَ أُحِسُّ له عِزًّا وسلـطانا

حتى تَزُفَّ بنيهـا كلُّ والدةٍ
إلى الرَّدَى مُسفِراً فى الرَّوْعِ عُرْيانا

ها قد دعتْ أُستُرالْيا فَلْتُلبِّ لها
إنجلترا ولتُجيبُوا اليومَ نَجوانا

مِنّا ابْتِسامٌ إلى مَن آبَ فى غَدِهِ
لَنَا ودمعٌ على مَن فى الوَغى حانا

سنَمْتَطِى الخيلَ مَعْ أفذاذِ مَنْ نَجَبَتْ
انكلترا وَنَخُوضُ الهَوْلَ أقرَانا

لا نَبْتغى غيرَ مَيدانٍ لِعَسْكَرِنَا
رَحبٍ ومَدْفَنِ أجْنادٍ لقتلانا

فخرى أبو السعود

شهيدا الطيران

للاستاذ عبد المغنى المنشاوى

هاضت الأقدار للنسر جناحاً — فتردَّى من علاه فى الحُفَرْ
وبكاه مَلَكُ الموت فصاحا — كل شىء بقضاء وقـدر

ooo

كنتَ يا بدرُ سميرَ الملَكِ — مَن سميرُ القبرِ هنا يا ترى ؟
طرتَ يا حجاجُ فوق الفلكِ — هل تطير اليوم فى جوف الثرى؟

ooo

هتفَ النـاعى فقلنا كذبا — كيف يَهوى من سماه كوكبُ
أطاعته مصرُ يروى نسبا — فى علاها فحواهُ المغربُ

ooo

طار يبغى وكره مقتحما — كلَّ لُجٍّ لا يبـالى الغرقا
واحتواه شوقه مضطرما — فتلظَّى قلبُه فاحـترقا

ooo

شيَّعوه يا له من كوكب — كان ملءَ العين والقلب ضياء
سارت الدنيا له فى موكب — زلزل الأرض وكم أبكى السماء

ooo

إن غدا جثمانُه فى العَلَمِ — فهو نجم فى هلال ونجوم
أو بدا فى الموت كالمبتسمِ — فسجينٌ فرَّ من دار الهموم

ooo

١٥

العلوم

نذير وبشير

للدكتور احمد زكى

كل انسان يحمل داءه ، وكل حى يتضمن فناءه ، ان فاته المرض ، أدركه الكبر وحسبك بالكبر داء ، والخلية الصغيرة من نبات أو حيوان ، فيها البروتوبلازم ، وهى معدن الحياة ، ولكنها كذلك معدن الموت ، تظل تنشط مادبت الروح فى الجسم ، فاذا فارقته نشطت فى التلف ، فى التفكك والتحلل ، بمثل نشاطها فى الحياة

وجماعات الأحياء على هذه الارض كالاجسام تصحو حينا وتمرض حينا ، وهى مثلها فيها اسباب الفناء ، فهى لكى تفنى ليست بحاجة الى ان ينقض عليها نجم أو تهوى من سمائها شمس ، بل ان فى الارض كفايتها من اسباب العدم . والحياة على هذه الكرة رهينة بموازنات شتى بين أجناس الحيوانات والنباتات من إنسانها ودوابها وطيرها وحشرها وجراثيمها وطحالبها وفطرها وحزازياتها وسرخسيها وبذريها ، موازنات عمادها التقاتل المستمر بين هذه الاجناس جميعا ، والتآكل الذى لاينتهى ، فما من قبيل الا يأكل قبيلا ، وما من قبيل الا يأكله قبيل ، وقد يزيد حظ هذا القبيل من الحياة وقد ينقص حظ ذلك منها ، ولكن الحياة المطلقة فى مجموعها ثابتة فى هذا النضال . وهو نضال سجال ، لا يغلب فيه غالب كل الغلبة ، ولا ينغلب مغلوب كل الانغلاب ، اذ لو كان هذا ، لاختل التوازن بين جماعات الاحياء ، وهو سر استمرار الحياة على النحو الذى نعرفه على سطح هذه البسيطة والجمعية الانسانية لا تشذ فى ذلك عن جمعيات سائر الخلائق الحية ، والتوازن الذى بين الانسان وبينها لابد أن يستمر ليعيش هو وليعشن هن ، فنحن نأكل الحيوان والنبات لنعيش ، ونموت ليأكلنا الحيوان والنبات بالمباشر أو بالواسطة ، فيعوضا بذلك ما فقدا ، ولو أننا أكلنا منهما ثم أكلنا واستمررنا مع ذلك فى حياة صريحة لا يخالطها عدم لفنى ، المأكول ففنى الآكل

الا أن هذا التوازن قد يختل اختلالا يذهب بجماعة من جماعات الاحياء أو يكاد ، وقد حدث فى التاريخ أن انقرضت أجناس لا نجد الآن منها غير آثارها . وسؤالنا اليوم هل يجوز على الجمعية الانسانية ما جاز على تلك الاجناس المنقرضة ؟ هل يفسد هذا الاتزان فى ناحية من نواحيه فيهوى بالانسان الى فناء محتم ، أو على الأقل ينزل به فى نظام الأرض الى منزلة وطيئة وضيعة ، تنقصه عدده ، وتقل عدته ، وتفقده هذه السيطرة المطلقة الحاضرة على سكان هذه اليابسة ؟

لا تشقى مصر جيباً بعده ... يفزع الابطال من شق الجيوب
بل فشقى كل قلب عنده ... ثم قومى فادفنيه فى القلوب

***

انثرى الأزهار من بين يديه ... فهو يهوى فى ثرى مصر المنايا
وارتدى صبرك لا تبكى عليه ... إن مجد الشعب تبنيه الضحايا

***

حبس القبر لديه جثة ... ثم رفت روحها كيما تطيرا
فانشقوها بيننا ريحانة ... والمحوها فوقنا بدرا منيرا

***

صوروا طائرة فوق الضريح ... واشهدوا الانسر تهوى للفرار
قدمت أرواحها وهو طريح ... فدية لو صح فى الموت الفرار

***

يا نسور النيل طيروا فى علاه ... وردوا الكوثر إن عز الورود
منحتكم مصركم سر الحياة ... فامنحوها كل شىء فى الوجود

***

هل رأيتم ؟ هذه كف العلاء ... تكتب التاريخ يا جند الشباب
سطرت سفر الضحايا بالدماء ... فادرسوا العلياء فى هذا الكتاب

هذا ما ينذر به «سير ماكولم وتسن» رئيس معهد رُس الصحي بلندن. وهو رجل اذا قال استُمِع له، فهو يقول في مقال قريب انه لا يبالغ اذا ارتأى أن المدنية قد تنتهي باطراد الزيادة في طرق المواصلات اضطرادا سريعا يسبق العلم في مكافحته النتائج السيئة التي تنجم عن صلات قريبة بين مناطق الأرض التي لم تصلها الى الآن روابط وثيقة. واتخذ مضربا لمثله الحمى الصفراء، وهي حمى فتاكة، تبلغ الوفيات منها ٦٠ في المائه، وقد بلغت في بعض الوافدات ٩٤٪، وهي تنتقل من فرد الى فرد بواسطة جنس خاص من البعوض اسمه Aedes aegypti والفرد السليم بعد عضة البعوضة المعدية له لا يظهر عليه المرض في الستة الأيام الأولى ولا يكون عندئذ مصدراً للعدوى، فاذا ظهر عليه المرض كان مصـــدرا لها في الثلاثة الأيام الأولى فقط من ظهور المرض، فلا بد للبعوض السليم أن يعضه لكي يعدي المريض في خلال هذه الأيام الثلاثة فحسب. وهذه البعوضة ذاتها بعد دخول المرض فيها لا تعدي بالعض إلا بعد عشرة أيام من ذلك، ولكنها خلافا للانسان تحمل العدوى طول عمرها.

البعوضة ناقلة العدوى مكبرة

والحمى الصفراء تستوطن الآن غرب أفريقيا من السنجال الى انجولا، وبين هذه المنطقة الوبيئة وما جاورها من سائر افريقيا حواجز طبيعية منيعة، فبينها وبين شمالها الصحراء الكبرى، وبينها وبين غربها جبال منيعة، وفي كلتا الحالين يستغرق الانسان للخروج من هذه المنطقة الى بقية الدنيا اسابيع طويلة مشيا على القدم أو ركوبا على الدواب، فاذا أصاب المسافر عدوى وسافر عقبها فالموت يدركه أو الشفاء قبل أن يصل الى غايته شمالا أو غربا. كذلك البعوض المصاب لا يصمد لهذه السفرة الطويلة. وأما وقد امكن الآن ان يصل الانسان الى تلك المنطقة أو يخرج منها بالسيارة أو القطار أو الطائرات في تسعة أيام فما دونها فقد أصبح من المحتمل ان يعض المسافر في السنجال ويبلغه المرض في مراكش أو تونس أو في مصر. وجنس هذا البعوض موجود في تلك البلاد، فما هي الا أن يحل بها المريض فيعضه البعوض فتعم البلوى على ان البعوض السنجالي نفسه في استطاعته ان يسافر على الطائرات، وقد ثبت ذلك فعلا فقد امتحنت مائة طيارة بعد سفر ١٢٥٠ ميل فوجدان منها اثنى عشرة تحمل بعوضا.

واذا دخل المرض افريقيا الشمالية والشرقية فلن يقف عند هذا الحد، فهو لابد سائر الى جزيرة العرب فالهند فالشرق الأقصى، إما أرضا وإما على السفن بحرا وإما في الطيارات جوا، واذا هو ادرك آسيا انتشر انتشار النار في الهشيم لزحمة السكان، ولوجود هذا البعوض بكثرة لا سيما في المناطق الاستوائية منها، ففي كولومبو بحثوا المنازل بحثا منظما فوجدوا البعوض في ٩٨٪ منها. وكذلك الحال في الملايا

واذا طغى المرض على أفريقيا وآسيا هذا الطغيان فقد طغى على أكثر من نصف المعمورة فانقض صرح التجارة وامتنع التبادل بكل أنواعه بين الشرق والغرب ووقفت السفن واعتلت الحياة واهتزت أسس المدنية اهتزازاً ينذر بالتداعي.

هذا حلم لاشك مريع يقصه علينا السير «وتسن»، لا نريد بروايته الا التمثيل بما يمكن أن يحدث للمجتمع الانساني من جراء قبيل دنيء من الاحياء اذا أعطيت له الفرصة للسيطرة على قبيل الانسان — جراثيم صغيرة فتاكة صغرت حتى مرت في

المرشحات البكتريولوجية، ودقت حتى لا تراها الميكروسكوب الغادية. ولكن الانسان بطبعته يقظ لكل اختلال فى اتزان يقع بينه وبين أى قبيل من قبائل الإحياء، ولا أدل على هذه اليقظة من انذار السير «وتسن» نفسه. ومن انذارات مثلها سبقته حدثت برجال العلم، وهم جنود البشر فى هذا النوع من الكفاح، من زمن بعيد الى دراسه هذه الحمى، أصلها، وموطنها، وناقلاتها، وطرق الوقاية منها، ووسيلة علاجها، وقد خطوا فى هذه السبيل خطوات واسعة تدلنا على أن النصر ترائى ولو من بعيد. ففى الشهر الذى ينذرنا فيه عالم بالدمار، يبشرنا علماء آخرون أن الأمل كبير فى وقاية السليم بالتطعيم. ذلك أنهم بادئ بدء استكشفوا أن ميكروب الحمى الصفراء اذا عرض للهواء أو لفعل مواد كيماوية كالفرمالين والفينول والجلسرين يفقد بالتدريج شيئاً من حدته، فاذا حقن به السليم عندئذ لا تظهر عليه أعراض المرض الاكلينيكية ولكنه يكتسب بذلك حصانة ضد العدوى. وقد استخدم هذا اللقاح بنجاح فى مكافحة وافدة هذه الحمى فى عاصمة البرازيل عام ١٩٢٨. لكنهم وجدوا أن تحضير هذا اللقاح لا يخلو من خطر، فانهم اذا أطالوا تعريض الميكروب للمواد الكيماوية المذكورة بلغ به الضعف أنه لا يكسب حصانة، واذا قصروا تعريضه كان من القوة بحيث لا يؤمن شره، وفوق هذا فاللقاح بعد تحضيره سريع العطب حتى اذا اختزن فى الثلاجات العادية. عندذلك اتجهوا فى التفكير وجهة جديدة فذكروا أن المريض اذا نجا اكتسب بمرضه حصانة فلا تأتيه العدوى مرة أخرى ولو تعرض لها، فطلبوا الوقاية فى دم هذا المريض الناقه فاستخلصوا منه مصلا حقنوا به الأصحاء فأكسبهم حصانة ضد الداء، ولكنها لم تدم سوى أسابيع قليلة. بعدئذ جمعوا الاثنين معاً، اللقاح والمصل، فوجدوا مدة الحصانة تطول، ولكن لم يزل بذلك الخطر من استخدام لقاح قد يحتوى الميكروب فى تمام حدته. فكان لابد من كشف طريقة جديدة لإضعاف المكروب إضعافاً يذهب بسورته دون الذهاب بحيويته فبلغوا الغاية من ذلك بأمرار الميكروب بمخ الفئران بضع مرات متعاقبة، وحصلوا على ميكروب لا بالضعيف ولا بالقوى، يحقن به الانسان فيتحصن ضد الداء بمقدار ما يتحصن من عاناه. الا ان ملاحظات جديدة أظهرت ان الخطر لم يزل تماما، واهم من ذلك ان دم المحقون بهذا اللقاح الجديد يحتوى الميكروب الحى فهو مصدر خطير لعدوى البعوض. عندئذ فكروا فى الجمع مرة أخرى بين هذا اللقاح الجديد وبين مصل الناقهين، لان هذا المصل يزيد حصانة المحقون عقب الحقن فيقاوم فعل اللقاح اذا زاد على الحد، وظن فيه كذلك انه قد يمنع وجود الميكروب الحى فى الدم. وقد دلت النتائج على ان الجمع بين هذين يزيد فى حصانة المرء زيادة كبيرة دون ان تظهر عليه عقب الحقن أعراض المرض، أو يظهر الميكروب الحى فى دمه فيكون سببا فى عدوى البعوض فالناس.

والعقبة الوحيدة التى باتت رهينة التذليل هى صعوبة الحصول على المصل من دماء الناقهين من بنى الإنسان. وحتى هذه يظهر أنها ذللت بما أعلن فى نشرة علمية فى مايو الماضى من أن الخيل اذا حقنت مرارا متتالية بمكروب الحمى اكتسب دمها القدرة على مقاومة الميكروب، واذن فى الاستطاعة ابدال دم الخيل بدم الانسان

هذا ما يختص بالبحث فى زيادة حصانة الناس حتى لا تفجأهم العدوى وهم غافلون، ولكن لعل أهم من هذا أن يستأصل البعوض الذى ينقل العدوى. وقد جرت أبحاث فى ذلك، ولكن عادات هذا البعوض وطريقة معيشته واسلوب إفراخه أعجزت البحاث، فالبعوض يفرخ فى الماء ككل بعوض، الا أنه يفرخ فى كل ماء، حتى فى الجفن الصغيرة منه والاسآر القليلة، فى شقوق الشجر أو فلقات الحجر، وفى الكوب والزير وسائر ما يحمل الماء فى البيوت. وقد استخدموا الزيت يضعون منه على الماء المكشوف فيمتد فلما رقيقا على سطحه فيمنع الافراخ، ونجح هذا بالطبع، ولكن كم من أرباب المنازل فى المدن الصغيرة والكبيرة يركن اليه فى القيام بهذا، وكيف تصل يد الانسان بالزيت الى كل فجوة وكل نقرة فى الاصقاع عامرها واليباب. وجربوا كذلك السمك الصغير يضعونه فى مستودعات مياه الشرب فى المناطق الحارة، فيأكل العلق قبل ان يستحيل بعوضا. وقد قدر لهذه الوسيلة بعض النجاح

الدكتور اميل رو

(١٨٥٣ — ١٩٣٣)

Dr. Pierre - P. - Emile Roux.

للدكتور محمد عوض محمد

في اليوم التاسع من الشهر الماضي شهدت باريس حشدا هائلا يعلوه الحزن ، وتخيم عليه الكآبة : فان فرنسا في ذلك اليوم كانت تشيع جثمان عالم جليل من أكبر علمائها وهو الدكتور إميل رو ، خليفة باستور ومدير المعهد الشهير باسمه زهاء الثلاثين عاما . وقد سار الموكب الخطير ، يتقدمه رئيس الجمهورية والوزراء والسفراء والعلماء حتى وصل الى كنيسة نوتردام ، حيث أقيمت مراسم الحزن على الفقيد العظيم ، ثم نقل النعش بعد ذلك الى معهد باستور حيث أودع مؤقتا ذلك السرداب الذي يحوي قبر باستور نفسه ، وذلك ريثما يقام له ضريح خاص في حديقة المعهد

ولد إميل رو في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٥٣ في مقاطعة شارنت (Charente) ، وبعد أن أتم دراسته الأولى ونال البكالوريا في العلوم ، ذهب يدرس الطب في مدينة كلرمان فران (Clermont Ferrand) أولا ثم في باريس . وقد اجتذبه الى هنالك وجود استاذه الذي تلقى عليه علم الكيمياء ، وهو الأستاذ دلكاو (Dulcaux) وجعل يشتغل محضرا في معامل استاذه

هذا ، وفي عام ١٨٧٨ كان الاستاذ باستور يلتمس [illegible] ممن درسوا الطب . فبدر الاستاذ دلكاو بترشيح رو لهذا المنصب ومن تلك السنة بدأت صلته بالأستاذ الأكبر : تلك الصلة التي لم تزدد على الأيام الا توثيقا ، والتي لم يقطع حبلها سوى الوفاة



الدكتور إميل رو

لم يمض زمن حتى اصبح رو ألصق الناس بباستور ، وجعل هذا يشركه معه في تجاربه عن النبيذ ، وفي ابحاثه في هيضة الدجاج ، والجمرة الخبيثة التي تصيب الماشية ، وفي سنة ١٨٨٣ أرسله مع بعض مساعديه الى القطر المصري لدراسة الهيضة (الكوليرا) الأسيوية التي انتشرت في بعض أقاليم مصر . وبعد عودته اشترك مع استاذه في الابحاث التي كان باستور يقوم بها عن مرض الكلب

وفي السنوات التالية أخذ رو ينشر أبحاثا هامة عن مرض الجمرة الخبيثة وبعض الامراض التي تصيب الخنازير . وفي عام ١٨٨٧ وفق الى اكتشاف خطير وهو اكتشاف التوكسين (أي المادة التي يفرزها المكروب) ، فانه استطاع ان يبين للعالم ان المكروب لا يؤثر تأثيره بنفسه بل بواسطة مادة يفرزها ، وانه في كثير من الاحيان يمكن عزل هذه المادة . وهذا الاكتشاف أوصله الى

أما المرض وقد أصاب المريض فليس له دواء . امامك المريض يتضور من الالم الشديد ، ويقيء الدم الاسود الصديد ، قد اصطبغ جلده صفرة ، وعلت وجهه وعيناه وخياشيمه حمرة ، ولا حيلة لك فيه غير التمريض بتخفيف الاعراض بالثلج وأشباهه ثم الصبر حتى يقضي قضاء الله ، كل هذا وأنت نفسك معلق بين الموت والحياة

ولكن مع كل هذا ، وبعد كل هذا ، أليس يحق للانسان أن يظل يتساءل : أفي الامكان اختلال الاتزان بين قبيل الانسان ، وقبيل من سائر الاحياء ، ولو دنيا كالذي نحن بصدده ، اختلالا يذهب بسيد الحيوان ويمسح آثاره من رقعة الوجود ؟

احمد زكي

اختراعات خطيرة تتعلق بمعالجة بعض الامراض بواسطة المصل ؛ ولهذا يعتبر رومبتكر العلاج بالمصل Séro therapie ولم يلبث أن وصل الى ايجاد الأمصال ضد مرض الكزاز (tétanos) وضد الطاعون وضد سموم مكروب الالتهاب الرئوي . ولعل أكبر اكتشافاته جميعاً هو اكتشافه لتوكسين الدفتريا ؛ فقد كان هذا هو الخطوة الأولى فى سبيل ايجاد المصل الشافى والواقى من هذا المرض .

فى عام ١٨٩٥ توفى باستور ودفن فى المعهد العظيم المسمى باسمه بالقرب من سان كلو . خلفه فى ادارة المعهد الأستاذ دلكلو ؛ وكان الدكتور رو نائبا للمدير الجديد ، الى ان توفى هذا عام ١٩٠٤ فتولى رو ادارة معهد باستور . وقبل هذا بسنوات انتخب رو عضوا لأكاديمية الطب ، ثم عضواً لأكاديمية العلوم ؛ وقلد جميع وسامات اللجيون دونير بجميع طبقاتها .

وقد بقى لمعهد باستور رونقه ونشاطه تحت ادارة إميل رو ، بل لقد تقدم واتسعت أعماله وانتشرت فروعه . غير أن أعمال رو الادارية كانت كثيرة ومجهدة ، فاستغرقت منه كل وقته ، ولم يكن فى وسعه فى السنين الأخيرة من حياته أن يتفرغ لأبحاثه كما كان يفعل من قبل . لكنه كان أكبر مرشد للباحثين ، وكان كثير التشجيع للعلماء ، ومن غير شك كان له فضل فى كثير من الاكتشافات التى صدرت عن المعهد أثناء إدارته دون أن تنسب إليه .

وقد قضى رو حياته كلها فى خدمة العلم والانسانية . وعدا جهوده العلمية لم يكن فى حياته حادث يستحق الذكر ؛ فانه لم يتزوج ولو أنه كان كثير العطف على أخواته وأقربائه . وكان شديد التواضع الى درجة إنكار الذات . ومما يؤثر عنه فى هذا الصدد أنه عندما أريد تقليده وسام اللجيون دونير من درجة أوفسيه أبدى امتناعا شديدا وصاح بالحاضرين : « إن شرف الاكتشاف يرجع الى الاستاذ بهرنج » . ولكن الرئيس أمسكه من ردائه بعنف وقلده الوسام بالرغم منه .

*
* *

ان أجل شيء قام به رو هو من غير شك اختراعه العلاج بالأمصال ، وبنوع خاص اكتشافه لتوكسين الدفتريا عام ١٨٨٧ . وهذا الاكتشاف انتفع به الاستاذ الألمانى بهرنج فى ايجاد مصل ضد الدفتريا ، ولهذا أراد رو أن يعزو شرف الاختراع كله لبهرنج ؛ على أن رو نفسه قد استطاع فى سنة ١٨٩٤ أن يستخرج المصل المضاد للدفتريا بطريقة فى غاية الاتقان ، وذلك بحقن الخيل بتوكسين الدفتريا واستخراج المصل من دمها . وقد عرض طريقته هذه على المؤتمر الصحى العالمى فى بوادبست سنة ١٨٩٤ فأثر فى سامعيه أبلغ التأثير . وقد منح بعد قليل هو وبهرنج جائزة نوبل . وقد تهافتت عليه الطلبات من مختلف الممالك من أجل ذلك المصل ؛ ولم يكن بوسعه ان يجيب كل هذه الرغبات . لكنه لم يلبث أن استعان ببعض أصدقائه على نشر الدعوة فى فرنسا لمساعدة المعهد وتوسيع نطاقه . وقد نجح فى هذا كل النجاح . وفى اصطبلات المعهد اليوم مالا يقل عن ٤٠٠ رأس من الخيل من أجل استخراج مصل الدفتريا ، الذى بلغ ما انتجته منه فى السنين الاربع الأخيرة زهاء ١٢ طنا أو ما يكفى لعمل خمسة ملايين حقنة .

ومنذ زمن طويل تنبه رو الى أهمية المصل كوسيلة للوقاية من المرض لا لمجرد العلاج منه . فقد كتب فى سنة ١٨٨٩ الى بعض زملائه يقول :

« لعل من الممكن قريبا الانتفاع بالتوكسين باستخدامه فى الوقاية من المرض . . »

حقا لقد فقدت فرنسا فى رو عالما كبيرا ، وفقد العالم خادما مخلصا . ولم يكن بعجيب ان قررت حكومة فرنسا أن تحتفل بجنازته احتفالا وطنيا ؟

(ملخصاً عن مجلة البتراسيون)

المجلة الجديدة

لصاحبها الاستاذ سلامه موسى

بعد عطلة ادارية قاهرة استغرقت ستة وعشرين شهرا من حياة هذه المجلة المصرية القيمة استأنفت صدورها ابتداء من أول هذا الشهر وهى على ما يعهده قراؤها واصدقاؤها من طرافة الموضوع وحرية البحث ونزاهة الاسلوب ونبل الغاية . فنرجو للزميلة الفاضلة السداد والتوفيق فيما توخته من خدمة الثقافة عامة والمصرية خاصة

العالم المسرحي والسينمائي

الى القــراء

من ناقد «الرسالة» الفني

وفجأة ... يتضخم بريد «الرسالة» الغراء ويتلقى الاستاذ محررها في مطلع كل يوم عشرات الرسائل ، بعضها من مصر ، واكثرها من الاقطار العربية الشقيقة، يجزع فيها كاتبوها من قراء «الرسالة» وصفوة المفكرين ممن يغارون على هذه المجلة ويطمعون ان تبقى دائماً تحمل اليهم رسالة الثقافة والادب العالي ، جزعوا عندما أعلنت «الرسالة» انها ستدخل على أبوابها أبواباً جديدة ، ومن هذه الابواب ما يختص بالمسرح والسينما ...

وتسألني فيم اشفاق الادباء وعلام جزعهم الواضح في رسائلهم؟ يشفقون ويجزعون ان تنهج «الرسالة» في هذين البابين ، المسرح والسينما ، نهج ما يقرأون في بعض الصحف والمجلات الاخرى ، مما لا يتناسب مع مستوى «الرسالة» ولا يتلاءم مع ما تنشره في الابواب الاخرى من ألوان الثقافات العالية والآداب الرفيعة . ؟ وأسأل : أهل الفن الذي سطرت صفحاته امثال سوفوكليس وأوريبدس وشاكسبير وموليير وكورني وراسين ، وإبسن وجوته ، وكين وتلما وساره برنار ، وهنري ارفنج ، وجمعت مكتبته اعمالاً خالدات يكاد بعضها ينزل مكان القداسة من النفوس ، هذا الفن الذي شب في احضان الآلهة عند اليونان وكان وسيلة الزلفى اليها والتقرب منها ، هذا الفن الذي يقبس من السماء ليؤدي رسالته على الأرض ، ماخوفنا منه وما اشفاقنا من الحديث عنه ؟ أجل ، ان لم نهب هذه القداسة فماذا نهاب ؟ وان لم نخش ان تنتهك هذه الحرمة الغالية فماذا نخشى ؟

كذلك فن السينما ، اصبح ولا ريب ركناً قوياً من أركان الثقافة العامة ، وهو والمسرح من أقوى العوامل اليوم في تهذيب الجمهور وتثقيف الناشئة فلا يزكو بمجلة راقية أن تغفل هذين العاملين وتهمل أثرهما الصالح في خدمة الانسانية

للقراء الكرام العذر ان اشفقوا على الرسالة ان تعالجهما من النواحي التي يعالجهما منها بعض الصحف ولكننا نؤكد لهم ان الأمر لا يمكن ان يسير على ذلك المنهج

سنكتب ونرجو ان نوفق الى ارضاء قرائنا بقدر ما تحيط به جهودنا ، وان نبدل هذا الجزع اطمئناناً ، وهذا الاشفاق ثقة ، واني لسعيد فخور اذ أتحدث الى قوم المس فيهم هذا الاهتمام ، وأجد في نفوسهم هذه المكانة لهذا الفن الرفيع .

محمد علي حماد

فلم «الوردة البيضاء»

محمد عبد الوهاب ... ... محمد جلال
سميرة خلوصي ... ... رجاء
دولت أبيض ... ... فاطمة هانم
محمد عبد القدوس ... ... خليل افندي
سليمان نجيب ... ... اسماعيل بك
زكي رستم ... ... شفيق بك
توفيق المردنلي ... ... الشيخ متولي

اخراج : محمد كريم

عرض في الاسبوع الماضي في سينما رويال فلم «الوردة البيضاء» ، وهو بلا شك أول فلم غنائي ناطق من نوعه ، ويعد خير الأفلام المصرية التي ظهرت الى اليوم ، ومن المظنون أنه سيحتفظ بمرتبته هذه طويلاً ، وتدلق من النجاح والاقبال ما لم يلقه فلم من قبله ، وهذه العاطفة الجياشة المتدفقة التي قابل بها الجمهور بطل الفلم الاستاذ الموسيقار محمد عبد الوهاب أثناء العرض ، وهذه الهتافات الحارة ومظاهر التقدير والاعجاب بفنانا الشاب ، هي بعض ما يستحقه ، وعبد الوهاب يتمتع بمكانة في نفوس الشعب يغبط عليها ، وقد نالها عن جدارة وكفاية وموهبة سامية رفعته درجات في سماء المجد والشهرة ، ولم يزل الموسيقار العبقري في مقتبل العمر ونضرة الشباب

يمتاز هذا الفلم بأشياء كثيرة أولها : أن به قطعة للمغفور له أحمد شوقي بك أمير الشعراء ، وهي قطعة «النيل» آخر ما وضع شوقي من

الاغانى لعبد الوهاب ، وكأن القدر شاء أن تبقى هذه الطرفة الغالية فى مخبئها الامين حتى تظهر فى أول أفلام عبد الوهاب فتضفى عليه من جلالها جلالا ومن سحرها سحراً . وكأنى بأمير الشعر يأبى الا أن يلازم امير الغناء حيا وميتا ، ويأبى عبد الوهاب الا أن يظهر الى جانب إحدى صور الفقيد العظيم فى مشاهد هذا الفلم . ويحمد له الناس هذا الصنيع الكريم الذى يتضمن من معانى الاعتراف بالجميل أسماها وأبقاها على الزمن .

كذلك ينفرد هذا الفلم بما أبداه عبد الوهاب من التقدير لمن سبقه من رجال الفن باظهار صورهم ، وتسجيل اصواتهم فى فلمه الأول ، فرأينا على الشاشة عبده الحمولى والشيخ سلامة حجازى والشيخ سيد درويش ، وقد أدرك الجمهور بحاسته الصادقة ما فى هذا الصنيع النبيل من تقدير عبد الوهاب للسابقين الخالدين من رجال الفن ، فقدره قدره وأولاه من أجله ما يستحق من الثناء والحمد الجميل . وعبد الوهاب خليق بالشكر لهذا الشعور الذى لا يصدر الا عن فنان حق .

ومن ميزات هذا الفلم انه يعطى الجمهور — فى ثنايا القصة — صورة رائعة عن خلق الفنان وشهامته ونبله ، وكيف تتسع روحه الكبيرة للتضحية العظيمة عن رضى وكرم ، فى سبيل فكرة أو فى سبيل عاطفة صادقة من الاقرار بالجميل والاعتراف به . وما أروع هذا الموقف الذى نرى فيه « جلالا » وهو يعد . وعد فنان ..... ان يقطع صلاته بحبيبته « رجاء » ثم يكون عند وعده

وهذه الصورة النبيلة التى أرادها عبد الوهاب « لجلال » الفنان .. قد تبرر ما يؤخذ على القصة فى هذه النقطة ، والشخصيات التى تتخيل فيها مثلنا العليا لا تحدها الاعتبارات المألوفة والغايات القصار المدى . ولا شك ان « جلالا » كان مثلا أعلى فى التضحية السمحة الكريمة فرفع شأن رجل الفن وأعلى من مكانته ، وجعله فى مركز اسمى من كل هذه الشخصيات التى ظهرت الى جانبه فى القصة ، وكلها مترفة تنعم بالجاه والمال ، وتلقى اينما حلت الاحترام والاجلال ، اما هو فليس اكثر من جلال افندى ... ولكنه فنان ، وحسبه ذلك فخرا وكفى .

أما ميزة الفلم الكبرى بظهور عبد الوهاب فيه فهذا ما أرجىء الحديث عنه الآن

ooo

قصة الفلم بسيطة ، سلسة ، لا تعقيد فيها ولا تشعب ، يتتبعها المشاهد فى سهولة ويسر ، واعتقد انها توافق تماما الغرض الأول الذى رمى اليه من وضع هذا الفلم ومن أسناد دور البطل فيه الى عبد الوهاب الموسيقار ، فشخصية « جلال » هى الشخصية البارزة وتجرى حوادث القصة حولها متخذة من الشخصيات الأخرى بطانة وحاشية لها . على أن القصة تسير فى بطء . وكان يمكن تفادى ذلك فى وضع السيناريو أو فى التقطيع « ديكوباج » وهذا ما سنفصل الحديث عنه فى الكلام عن الاخراج .

قام الأستاذ محمد عبد الوهاب بتمثيل دور « جلال » الشاب الوديع ، الهادىء ، الوقور ... وفى عبد الوهاب نفسه كثير من شخصية جلال من هذه النواحى ، ولذلك كان فيه طبيعيا جهد استطاعته . على أن شخصية عبد الوهاب كموسيقار قد طغت على هذه الناحية وخلفتها وراءها وكانت موضع اهتمام الجمهور ، فلا عجب اذا أولاها الناقد القسط الاوفى من عنايته .

والآن ... هل أنا فى حاجة الى الحديث عن عبد الوهاب الموسيقار ، الملحن ، والمغنى ؟ لا يستطيع أحد أن ينكر على عبد الوهاب الملحن ما أدخله وابتكره فى الموسيقى من الألوان الجديدة الطريفة ، وهذه ألحانه وأغانيه تشهد له بالنضوج الفنى الكامل ، والذوق السليم ، وأن له ملكة الفنان الحق الفياضة ، المتدفقة ، التى يغترف من معينها الذى لا ينضب ، ويستقى من نبعها الصافى السلسبيل ، أنغاماً تشجى القلب والفؤاد ، وتبث فى النفس ألوانا شتى من العاطفة الحية القوية ، فأنت معه : إن بكى أبكاك ، وان طرب أطربك ، وإن وصف خلت انك ترى بالعين ما تسمع بالأذن ، وإن شدا خلق بك فى سماء من النشوة أنت فيها هانىء سعيد ، وملأت موسيقاه روحك بخيالات الأمل وأحلام الشباب ، وتنقل بك ما شاء أن يتنقل بين عواطف القلب وميول الفؤاد ، وأنت تنهل من موسيقاه فى مثل نبع سائغ عذب . جلال .

ولقد جدد عبد الوهاب فى موسيقى التخت الجامدة ، فأدخل عليها بعض الآلات ، كما وضع لالحانه توزيعها الموسيقى (اوركنتراسيون) فأضفى عليها ثوبا قشيبا من التجديد له خطره وله جلاله :

وعبد الوهاب المغنى حبته الطبيعة بصوت مرن ، يعلو حتى يكد العازف فى تتبعه ، وينخفض حتى لا يكون اكثر من همس الخاطر ، أو مناجاة العاشق ، على خوف من الرقباء والعاذلين ، وقد أحسن عبد الوهاب استخدام هذه المرونة كالصانع الحاذق يشكل ما فى يديه كما يشاء ، ويلون فى تموجات صوته معانى ما ينشد من الالحان ، فيكسب اللفظ جدة وروحا ، ويبرز لك المعنى بروزا قويا صريحا ؛ وقد تقرأ اللحن فلا تجد فيه شيئاً ، فتسمعه من عبد الوهاب فكأنما

صاغه من جديد صياغة الماهر اللبق ؛ وما أذكر انى سمعت عبد الوهاب مرة الا واخضلت عيناى بالدموع

يلقى عبد الوهاب فى الفلم ثمانى قطع غنائية ، منها قطعة « الرومبا » التى وضعها على نسق هذا النوع الطريف من الموسيقى الافرنجية ، فأتى فيها بمعجزة ، ولست اقتصد فى القول ولا اهيب ان أقدم لعبد الوهاب ابلغ آيات الاعجاب على توفيقه فى تلحين هذه الانشودة . كذلك كانت القطعة الختامية التى ينشدها على مقربة من منزل حبيبته ليلة عرسها ، والاسى يقطع قلبه ؛ والألم يحز فى نفسه . وتراه من خلف القضبان الحديدية متشبثا بها كغريق يتعلق بأمل أخير ، فلا تسمعه ينشد . وانما يبكى وينفك الدمع فى اللحن والاغنية حتى لتكون اشبه بنواح بلبل جريح .

وهذا المشهد من الفلم أروع مشاهده ؛ وما تستطيع ان تملك دمعك فيه ولو كان عصيا ؛ وقد رفعه عبد الوهاب بأنشودته الى اسمى ذروة من الفن الغنائى والسينمائى معا ؛ ولو لم يكن لعبد الوهاب من اثر فى الفلم كله الا هذه القطعة ، وهذا المشهد ؛ لكفى لنعترف له مخلصين بالكفاية النادرة والموهبة المؤاتية الجبارة التى يتفرد بها ملحنا ومطربا . وباقى القطع ليست أقل من هـــذه فكلها من صنع عبد الوهاب وكفى .

طال بنا القول ولما ننته ، ومن الخير ان نكتفى بهذا القدر اليوم على ان نعود الحديث عن الفلم من ناحيته الفنية المحضة فى مقال آخر . ولكن لنهنىء ممثلى الفلم قبلا على ما أبدوه من كفاية فى مواقفهم جميعا ؛ وما لاقوه من نجاح فى أداء أدوارهم : أما المخرج فلينتظرنا قليلا ، على اننا نكتفى اليوم بان نشد أذنيه فى غير عنف ولا قسوة ، ترقبا للمعركة القادمة فليأخذ أهبته وليعد السيف والترس فسنجول معه جولة لعله لا يصاب فيها بكثير من الجراح والخدوش ؟

الحركة المسرحية والسينمائية فى الخارج

بوخارست

وضع طبيب رومانى يدعى ميهاى نايليمينو رواية مسرحية فى أربعة فصول سماها « أمواج العقل » بطلاها غليوم الثانى قيصر المانيا السابق وبرناردشو الكاتب الانجليزى المعروف . ويقع أحد مشاهدها فى قصر من قصور بروسيا وفى غرفة للتدخين نسقت على أحدث طراز عصرى . وهذه هى الرواية الاولى لهذا الطبيب الا اذا صدقت تلك الاشاعة التى تقول ان الرواية لكاتب مسرحى معروف اختار ان تظهر روايته تحت اسم مستعار لاسباب خاصه .

بونس ايرس

زار فى شهر اكتوبر الماضى بيراندللو الكاتب الايطالى الشهير مدينة بونس ايرس فى امريكا الجنوبية للاشراف على اخراج احدى مسرحياته المعروفة هناك . وقد نجحت الرواية نجاحا كبيرا . وقد القى بيراندللو فى الليلة الاولى لتمثيل الرواية محاضرة عن « المسارح قديما وحديثا » .

نيويورك

كاد ينتهى أوجين أونويل الكاتب الامريكى الشهير من وضع رواية جديدة ، وقد اتبع فى كتابتها طريقة مبتكرة ، فبدلا من تقسيمها الى فصول ، قسمها الى اربع روايات مختلفة تحتوى كل منها على عدة مشاهد ومناظر : وتمثل على اربع حفلات متتابعة فى اربعة أيام متعاقبة . وتجمع الاربع روايات وحدة الموضوع والفكرة والشخصيات وتكاد تشابه بذلك طريقة الحلقات المعروفة فى عالم السينما

ـ ألقى مستر ويل هايز من أكبر مديرى الشركات السينمائية فى امريكا محاضرة فى الشهر الماضى فى وشنجطن ذكر فيها بعض الارقام التى تتعلق بصناعة الافلام السينمائية . ونظرة بسيطة على هذه الارقام تستطيع ان تكون منها فكرة عن ضخامة هذه الصناعة التى تعد من أهم الصناعات فى امريكا اليوم . وقد جاء فى اقواله ان ثمانى شركات من التى يشرف عليها تستخدم ٤٩ر٠٠٠ شخص تبلغ مرتباتهم السنوية ٢٧ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه ورأس المال المستخدم فى هذه الشركات يبلغ ١٣٥ر٠٠٠ر٠٠٠ من الجنيهات وتدفع شركات السينما الامريكية مبلغ ٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه فى السنة كضرائب للحكومة

باريس

مثلت فى منتصف اكتوبر الماضى فى (تياتر دى بارى) بباريس الرواية الجديدة « الرفيق » التى وضعهـــا المؤلف المسرحى المعروف جاك ديفال وتقع فى ثلاثة فصول واربعة مناظر وقد نجحت نجاحا كبيرا . وموضوع الرواية روسيا البولشفية ونظام الحياة فيها اليوم . وقامت بالدور الاول الممثلة الفير بوبسكو وساعدتها لهجتها السلافية على أعطاء نبرة اصلية تماثل لهجة الشخصية التى تمثلها . ومن الممثلين الذين اشتركوا فى الرواية اندريه ليفور الذى اشتهر فى رواية « توبار » المعروفة

القصص

سنشيتا الاسبانية

بقلم حسين شوقى

(سنشيتا) الأسبانية بطلة القصة حسناء تبيع برتقالا على عربة، يعاونها فى عملها (بدرو)، وليس هو البطل الآخر للقصة وانما هو شقيقها، وهو صبي لم يعد العاشرة، اما البطل الحقيقى فهو الشاب (خوان) خاطب (سنشيتا)؛ وهو صياد بارع يضارع فى قوته (نبتون) اله البحر، ولكنه جميل الوجه.. اما أقارب (سنشيتا) فلم يعش منهم غير (بدرو) وغير الأم التى تقوم على إدارة المنزل. وكانت (سنشيتا) فى آخر النهار اذا ما فرغت من البيع تدفع العربة أمامها فى طريق الدار، يعاونها فى ذلك (بدرو) و(خوان)؛ وكانت هذه المهمة تستغرق وقتا طويلا على قرب البيت؛ لأن ذلك الطريق القصير كان يقطع فى مغازلة مستمرة بين الخطيبين؛ فتارة يقارن (خوان) مابين البرتقال وخد الفتاة فى الحمرة والنضرة، وطوراً تكون ابتسامة رقيقة ذات معاني تبعثها (سنشيتا) الى (خوان).. ومرة ثالثة، ملاحظة وقحة من (بدرو) الصبى على أعمال العشيقين؛ تثير غضب الفتاة؛ ولو فى الظاهر..

وقد خطب (خوان) الفتاة منذ ثلاث سنين، والخطوبات الطويلة المدى من العادات المألوفة عند الاسبانيين..

اتفق المحبان على الزواج لدى عودة (خوان) من رحلة يزمعها بعد أيام قلائل الى بعض الجزر النائية حيث يكثر السمك، وكانت نية الفتى ان ينقطع عن عمله مدة بعد عودته من تلك الرحلة التى سوف تعود عليه بالربح الوفير، يقضيها الى جانب زوجه المحبوبة فى هناء وسعادة..

أزف الرحيل وكان يوما قاتما، كأن الطبيعة تشارك الخطيبين الحزن، وبكرت الفتاة فى الذهاب برفقة شقيقها الى المركب الشراعي الذي يبحر عليه خطيبها، وهو مركب قديم يندر وجوده الآن الا فى اشرطة السينما عن القرصان، وكانت الفتاة تحمل سفطا ممتلئا بالبرتقال أخذت توزعه على (خوان) ورفاقه، أقلع الشراع ولم تكن الا هنيهة حتى غاب عن نظر (سنشيتا) الجاد..

صارت الفتاة تتردد فى غيبة خطيبها الى غابة منعزلة كانا يقصدانها أحيانا أيام العطلة؛ فتبث شكواها الى أشجار الصنوبر الرءومة؛ وتعيد على سمعها فى صوت عال وسط هذه العزلة التامة، تلك الكلمات الرقيقة التى كانت تسمعها من (خوان)، وأحياناً ولا سيما فى الليل كانت تخرج الى الشاطىء لتشاهد الأنوار العديدة الخافتة المنبعثة على صفحة الماء من زوارق الصيد التى تروح وتغدو على مقربة. وفيما هى تعود الى المنزل بعد جولة من تلك الجولات الليلية وجدت شقيقها (بدرو) جالساً الى المائدة يطالع فى شغف كتابا مصورا، فلما رآها التفت اليها قائلا: «(سنشيتا) يحسن ألا تتركى خطيبك يتنقل فى البحار لأنهم يقولون إن حور البحر يخطفن البحارين الحسان!» فابتسمت الفتاة لهذا القول وقبلت أخاها قبلة طويلة فى جبهته. وفى ذات يوم دقت الأجراس فى القرية على غير عادة؛ فعجبت لذلك (سنشيتا) وكانت إذ ذاك فى حجرتها منهمكة فى ارتداء ثيابها لتخرج الى السوق.. رباه! لماذا تقرع الأجراس؛ وليس اليوم من أيام الأعياد؟ وإذا (بدرو) يدخل عليها الحجرة بغتة هاشا مسروراً فينبئها بالخبر العظيم.. بعودة (خوان)؛ وبأن هذه الأجراس انما تقرع تحية له ولرفاقه الصيادين الذين عادوا من رحلتهم الطويلة.. خرجت الفتاة الى الشاطىء وأراد (بدرو) أن يرافقها اليه، ولكن الأم احتجزته معها فى المنزل ليساعدها فى تنسيق مائدة الطعام إكراماً للخطيب المحبوب..

بلغت الفتاة الشاطىء فوجدت السفن راسية والصيادين يعانقون أهليهم وذويهم، ولكن.. (خوان)!.. أين (خوان)؟ أين (خوان) الجميل؟ خوان لم يؤب فقد ابتلعته الأمواج فى ليل عاصف؛ وهو فى طريق العودة الى الوطن.. ثم دنا أحد الصيادين من (سنشيتا) قائلا: «انتظرى (سنشيتا) سأعطيك نقود خطيبك التعس».. ولكن (سنشيتا) لم تنتظر بل قفلت راجعة الى المنزل.. وعندما بلغت عتبة الدار وجدت شقيقها (بدرو) ينتظر متطلعاً، ثم سألها فى لهفة: «.. ولكن أين خطيبك؟» فاجابته فى هدوء: «لقد احتفظت حور الماء بحارنا الجميل يا بدرو»!

كرمة بن هانىء — حسين شوقى

مثلت فأتقنت التمثيل

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

لقد ألفت البكاء بعد فقد وحيدها واستبدلت بالرقص التنهدات وبالغناء النحيب. كانت تعمل فى أحد المسارح راقصة ومغنية، فأصبحت تعمل فى مسرح الحياة نائحة وباكية.

فى سنة ١٧٧٦ قامت أمريكا تطالب باستقلالها وأعوزتها الجيوش فأرسلت تستنجد فرنسا. أرسلت فرنسا المدد اليها بقيادة القائد لافاييت ذلك العظيم الذى أصبح فيما بعد من زعماء الثورة الفرنسية. نالت أمريكا استقلالها وظلت مساعدة فرنسا لها دينا فى عنقها تترقب الفرص للوفاء به. ولكن الاعوام توالت وما زال هذا الدين غلا فى عنق أمريكا.

وفى سنة ١٩١٤ انفجرت الحرب العظمى فى انحاء أوربا وقامت لها الدول وقعدت. وأخيراً أرسلت فرنسا تطالب بدينها وتلح فى طلب المدد. تذكرت أمريكا لافاييت وجيشه فارسلت جيشها وفاء دين، وتحية اجلال، لروح ذلك البطل الخالد.

وشاعت الانشودة المشهورة «جئنا اليك يالافاييت» فى أمريكا بين صفوف الجند وفى المسارح والمقاهى. أنشدها القوم لحث الشباب على التطوع فى الجيش المرسل مدداً لروح لافاييت ممثلة فى فرنسا، ولكم ألهبت تلك الانشودة من قلوب، ولكم أثارت من حمية الشباب ودفعت بهم زرافات الى صفوف الجيش الراحل الى وطن لافاييت وفاء دين ورد جميل.

شهرت تلك الام بانشاد هذه الانشودة واشتهر وحيدها بأنه أول من تطوع فى هذا الجيش. كانت الام تغنى تلك الأنشودة وهى ترقص رقصة الجندى المقتول — رقصة تمثل وقوع الجندى الباسل فى ميدان القتال فداء الوطن وضحية النصر — فكانت تلهب قلوب المتفرجين حماساً واقداما. وأنشدتها لآخر مرة ليلة رحيل الجيش فى المعسكر، وكان ابنها من اكبر المعجبين بها، والمتحمسين لها. هذه آخر مرة رأت وحيدها وفى الصباح رحل الجيش.

رجع الجيش ولكن وحيدها لم يرجع فقد قتل فى ميدان الحرب شهيدا كما املت عليه تلك الروح التى الهبتها الام بانشودتها. لم يمت فى ساحة الوطن، وانما قتل فى ساحة الوفاء!

وانشد الجند «جئنا اليك يالافاييت» احتفاء برجوعهم الى وطنهم فتقطعت نياط قلب الام حسرة وكمدا. وتمثلت لها الحرب باشع مظاهرها. فهزأت من الجند الساذج الذى يسير الى الموت فرحا مستبسلا مضللا بكلمات جوفاء كالوطن والحرية والوفاء والشهامة. وإزدرت اناشيد الحرب واعلام الحرب، وكل ما يمس الحرب: لانها كلها ليست الا وسائل اغراء الشباب ليقدم على الموت فتنال الامة مطامعها. وهكذا لا بد من ضحايا فى كل فوز: ولا بد من ثمن لكل نصر.

بزغت شمس هذا الصباح فتململت الام فى فراشها وانحدر الدمع على صدرها سخينا ملتهبا فتنهدت قائلة «رباه، أما فى دنياك من جديد؟» ليس هناك جديد لك ايتها الثكلى، فقد حرمت ثمار غرس تعهدته وسهرت عليه فجنى الموت ما كنت اليه تتطلعين، وتمتع الفناء بزهر تعهدته وسقيته دم القلب. ليس لك سوى انشودة تعيدينها ليل نهار هى كل مالك من ذكرى. نعم ليس هنالك سوى انشودة الذكرى فردديها كلما غنت الطيور، ورددبها طلوع شمس ومغربها. ردديها ما بقى فيك صوت ينشد، ردديها: ولتكن آخر ما يسمع من صوتك العذب الرقيق.

صحت الام فى ذلك اليوم يملؤها شعور خفى: انها ستلاقى وحيدها ولكن اين؟ وكيف؟ لا تدرى. لقد دعاها الجند اليوم وتوسلوا اليها لتحضر احتفالهم بمرور عام على وفاة وحيدها. ذهبت ولكنها كانت ذاهلة عن كل ما حولها. يكلمها هذا ويعزيها ذاك فلا تشعر بشىء الا انها ستلاقى وحيدها اليوم.

وعزفت الموسيقى بأنشودة «جئنا اليك يالافاييت» فاندفعت الأم نحو المنبر بشعور غريب وبدأت تغنى وترقص رقصة الجندى المقتول، كما كانت ترقصها ليلة ترحيل الجيش. تسمع الجند اليها بقلوب باكية، وعيون ينهمر الدمع منها انهماراً. لقد رأى كل منهم الموت بعينه فما بكى، ورأى أصدقاءه يترنحون قتلى فى ساحة الحرب فما ذرفت عينه نصف ما ذرفت لمنظر تلك الأم الثكلى ترقص رقصة تمثل وحيدها يقع قتيلا فى الحرب. سمعوا المدافع والطبول وسمعوا الانين وحشرجة الموت فما هلعت قلوبهم ولا وجلت مثلما وجلت لسماع صوت الأم وهى تنشد أنشودة دفعت ثمنها غاليا.

وترنحت الأم فى رقصتها استعدادا لسقطة الموت الأخيرة — سقطة تمثل سقطة الجندى الباسل مقتولا فى ساحة الحرب. وهنا

رأت وحيدها ! نعم رأته يسير اليها بطيئا مهيأ ! يسير اليها هى بعد ان قام من بين صفوف الجند ماداً ذراعيه نحوها . فصرخت صرخة مروعة : « ولدى . . . . ولدى . . . الى يا ولدى »

وسقطت كما يسقط الجندى المقتول فى ساحة الحرب ؟

سهير القلماوى

صـــــــــه !

للقصصى الروسى تشـــيكوف

يعود ايفان كرازنوكين ، وهو محرر متوسط فى صحيفة يومية ، دائما لمنزله فى ساعة متأخرة من الليل مكتئبا حزينا ، على سحنته الوقار وفى مشيته الجلال . واحيانا تراه جامعا أشتات فكره مستغرقا بكليته فى تصوره . كانما يترقب ان يفتش أو يفكر فى الانتحار .

ذرع أرض غرفته ، ثم توقف ونفش شعره وقال فى لهجة « لايرتس » منتقما لاخته : « انى حائر تعب ملتاع الى ابعد قرارات النفس . ان الحزن يجثم على قلبى ، ويهيمن على جسمى ، ومع هذا فلزاما على ان اجلس لأكتب . . وهذا ما يسميه الناس « العيش »

« ليت شعرى لم لم يصف كاتب حتى اليوم هذا الخبل الذهنى المؤلم ، وهذا الإضطراب الفكرى الشديد الذى يعذب روح المؤلف ويؤلم نفسه . فعندما يكون حزينا حزنا يذيب لفائف القلب ، يجب عليه ان يبعث الجمهور على الطرب المستخف والسرور العظيم . وعندما يكون فرحاً فرحاً يثلج الصدر ويبهج القلب يجب عليه ان يرسل الدمع الهتان وينفث الحزن الدفين .

اجل ! يجب على ان اكون مرحاً مستهترا لا اكترث لشىء ولا احفل به . مليح النكتة بارع الدعابة عند ما ننوء فى الهم ويقتلنى الحزن . حتى اذا كنت — دعنى اقول — مريضاً . . . اذا كان طفلى فى نزعه الاخير . . . وكانت زوجى تنهشها الاحزان وتفترسها الآلام

لما فرغ من قوله هز جمع يده وادار حماليقه . ثم دلف الى المخدع وايقظ زوجه . وقال :

« ناديا ! . . سآخذ فى الكتابة . أرجو ان تحرصى على الا يقاطعنى احد او يمنعنى من العمل انسان . فما استطيع الكتابة والجدى ينب والطاهى يغط ! ثم قدمى ايضا بعض الشاى وشريحة من اللحم — اذا امكن — فانت تعرفين انى لا اوفق الى الكتابة الا اذا شربت شاى ، فالشاى وحده هو الذى يبعث فى القوة على العمل .

اخذ سمته الى غرفته وخلع معطفه وصدريته وحذاءه . نضا عنه ثيابه بتأن تام . ثم كون ملامح وجهه حتى اصبحت تعبر عن الانسان البرىء المعذب » وجلس الى مكتبه .

على هذا المكتب لا تقع عين الانسان على حقائر الاشياء اليومية وصغائرها . فكل الاشياء وأتفهها تنقلب ذات معنى ، ويظهر عليها برنامج عابس ! هنا تماثيل نصفية وصور شمسية لمؤلفين عظيمى الشهرة ذائعى الصيت . وهناك كوم من المخطوطات ومجلد بمؤلفات بلينيسكى ومنه صفحة مقلوبة . ثم عظام رأس تستعمل محبرة وصفحة من جريدة طويت كما يتفق ، بيد انها تعرض عمودا معلما عليه بالقلم الازرق بالخط العريض « جبان » ، وهناك جمهرة من الاقلام المبرية حديثا وريش باسنان جديدة . حتى لا يمكن لاى سبب خارجى او حادث عارض ان يمنع التحليق السامى لهذه المخيلة المبدعة !!!!

القى كرازنوكين نفسه على كرسيه المريح وراح يفكر فى موضوع فسمع زوجه تضرب الارض بخفها وهى تشقق قطع الخشب (للسماور) وخيل اليه انها مازالت وسنانة لان غطاء السماور او رجله كان يسقط من يدها بين آونة واخرى . ووصل الى سمعه نشيش الغلاية وازيز اللحم المقلى ، وزوجه مازالت تشق الخشب مفرقعة قرب الموقد . مغلقة بشدة باب الفرن مرة . وأخرى باب النافذة الهوائية ، وآونة أخرى باب المدفئة . فارتجف كرازنوكين وفتح عينين يملؤهما الرعب ويتطاير منهما الشرر ، واخذ ينشق الهواء ويلهث « رحمتك اللهم ! . . . دخان الفحم ؟ . . . هذه المرأة التى لا تطاق عزمت على خنقى . . قل لى بالله كيف اوفق للكتابة فى حالات كهذه ؟ »

جرى الى المطبخ يولول وينوح ، وبعد برهة عادت زوجه تمشى على اطراف اصابعها مقدمة له قدحاً من الشاى فوجدته جالسا على كرسيه الطويل كما كان من قبل ! لا يبدى حراكا ولا يحرك جارحة غارقاً فى موضوعه ، فلم يتحرك ، واخذ ينقر بخفة على جبهته باطراف اصابعه متظاهرا بانه لا يلاحظ وجودها ووجهه يعبر مرة ثانية عن : « البرىء المعذب »

قبل ان يكتب العنوان اخذ يتملقه ويدلله مدة طويلة ! كانه عذراء اهداها بعض الناس مروحة جميلة ! آونة يمر بيديه على

صدغيه وأخرى يرتجف ويهتز جميعه ساحبا قدمه من تحت كرسيه كالمتألم . مغلقا نصف عينيه بفتور كقطة على فراش .

وأخيراً بعد تردد دنا من الدواة وسطر العنوان وكانه يوقع صك الموت . . . .

سمع صياح ابنه : « ماما ! . . قليل من الماء »

فاجابته امه « صه ! . . بابا يكتب . . . صه ! »

كان الاب يكتب بسرعة مدهشة دون توقف ، دون ان يمحو حرفا اويشطب كلمةوليس عنده من الوقت مايتسع لقلب الصفحات اما التماثيل النصفية والصور الشمسية لمشهورى المؤلفين فكانت ترقب يراعه الجوال وقلبه البيال وكانها تفكر (اها . . . اخوان استمر . . . .)

خدش القلم « صـــه »

فجلجل المؤلفون وقد اهتزوا بدفعة من ركبة الكاتب « صه » عاد كرازنوكين الى نفسه ووضع قلبه وتسمع . فسمع همسات متزنة لا تنقطع . وكان ذلك صوت فوما نيكوليتش الساكن معهم وهو يصلى فى الغرفة المجاورة .

فناداه كرازنوكين « أعرنى سمعك ! . أما تستطيع الصلاة . . باسرع من هذا ؟ . . انك تحول بينى وبين الكتابة »

فاجابه فوما نيكوليتش بحياء ووداعة « استميحك العفو ياسيدى » « صه ! »

بعد أن كتب صفحات خمسا تمدد ونظر الى الساعة وتأوه . « ياللسماء ! . . الساعة الثالثة ! . . الناس جميعا مستريحون نيام . . . وأنا وحدى . . أنا . . يجب على أن اعمل »

بعد أن استفرغ العمل جهده وأفنى قوته أخذ طريقه الى المخدع ضارع الجسم ، واهن القوى ورأسه ساقط على عاتقه . ايقظ زوجه صائحا بها مكدود الصوت « ناديا . . . قدحاً آخر من الشاى . . . انى . . . انى اشعر بضعف »

كتب الى الساعة الرابعة وود لو استمر فى كتابته الى الساعة السادسة بيد أنه أنجز عمله وفرغ من موضوعه

زهوه العجيب وفرحه الغريب بهذه الاعمال الجامدة ولا بصيرة عنده ولا فراسة له ! استبداده وجوره ، عسفه وظلمه ، فى مسكن النحس الصغير الذى خولت له الاقدار السلطان عليه واعطته مقاليد الامر فيه . هذه عنده أطايب الحياة وزبدة ما فيها .

كم يشبه هـــذا الاستبداد الذى تراه فى المنزل هذه الاجناس الذليلة الصامتة التى يخالط كلامها التورية والتى اعتدنا رؤيتها فى مكاتب الصحف .

* *

قال لنفسه وهو ذاهب لفراشه « انى تعب جدا حتى يخيل الى انني لن استطيع النوم . . . فعملنا الجهنمى الذى لا نلاقى منه جزاء ولا شـــكورا لا يجهد الجسم كما يجهد القريحة ، على أننى سأتناول مقويا . . والله يعلم لو لم يكن هذا لخير الأسرة لنفضت منـــه يدى . . . . . . آه . . انه مرعب ان يكتب الانسان ويجبر على العمل هكذا ! ! »

استغرق فى سبات عميق . . . فنام حتى الساعة الواحدة أو الاثنتين بعد الظهر ، وما الذى كان ينامه أطول أو يحله اللذ . . اذا كان مؤلفا مشهورا أو محررا بارعا . أو حتى ناشرا ؟

همست زوجه بوجه مرتاع « كتب سحابة الليل ! . . صه ! »

ما جرؤ أحد على الكلام أو السير أو التصويت فنومه مقدس ومن يذنب فيقطع هذا السكون ويشوش هذا الهدوء . فعليه أن يدفع عن هذا غاليا .

« صه ! . . . صه ! »

ورن هذا الصوت فى جميع الحجرات ؟

محمود البدوى

الكتب

على هامش السيرة

للدكتور طه حسين

مقدمة

هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين، لأنى لم ارد بها الى العلم، ولم اقصد بها الى التاريخ، وانما هى صور عرضت لى اثناء قراءتى للسيرة فاثبتها مسرعا. ثم لم ار بنشرها بأسا، ولعلى رأيت فى نشرها شيئا من الخير. فهى ترد على الناس اطرافا من الادب القديم، قد أفلتت منهم وامتنعت عليهم. فليس يقرؤها منهم الا اولئك الذين اتيحت لهم ثقافة واسعة عميقة فى الأدب العربى القديم. وانك لتلتمس الذين يقرأون ما كتب القدماء فى السيرة وحديث العرب قبل الاسلام فلا تكاد تظفر بهم. انما يقرأ الناس اليوم مايكتب لهم المعاصرون فى الأدب الحديث بلغتهم او بلغة اجنبية من هذه اللغات المنتشرة فى الشرق. يجدون فى قراءة هذا الادب من اليسر والسهولة ومن اللذة والمتاع مايغريهم به ويرغبهم فيه، فاما الادب القديم فقراءته عسيرة وفهمه أعسر، وتذوقه اشد عسراً. واين هذا القارىء الذى يطمئن الى قراءة الاسانيد المطولة والاخبار التى يلتوى بها الاستطراد وتجور بها لغتها القديمة الغريبة عن سبيل الفهم السهل، والذوق الهين الذى لا يكلف مشقة ولا عناء.

ذلك الى ان الادب القديم لم ينشأ ليبقى كما هو ثابتا مستقرا لايتغير ولايتبدل، ولا يلتمس الناس لذته الا فى نصوصه يقرأونها ويعيدون قراءتها، ويستظهرونها، ويمعنون فى استظهارها، انما الأدب الخصب حقا هو الذى يلذك حين تقرأه لانه يقدم اليك مايرضى عقلك وشعورك، ولأنه يوحى اليك بما ليس فيه، ويلهمك مالم تشتمل عليه النصوص. ويغير لك من خصبه خصبا، ومن ثروته ثروة، ومن قوته قوة، وينطقك كما أنطق القدماء، أو لا يكاد يستقر فى قلبك حتى يتصور فى صورة قلبك، او يصور قلبك فى صورته. واذا انت تعيده على الناس، فتلقيه اليهم فى شكل جديد يلائم حياتهم التى يحيونها، وعواطفهم التى تثور فى قلوبهم، وخواطرهم التى تضطرب فى عقولهم.

هذا هو الادب الحى، هذا هو الادب القادر على البقاء. ومناهضة الايام. فاما ذلك الادب الذى ينتهى اثره عند قراءته فقد تكون له قيمته، وقد يكون له غناؤه: ولكنه ادب موقوت يموت حين ينتهى العصر الذى نشأ فيه. ولو انك نظرت فى اداب القدماء والمحدثين، لرأيت منها طائفة لايمكن ان توصف بأنها اداب عصر من العصور او بيئة من البيئات، او جيل من الاجيال، وانما هى اداب العصور كلها والبيئات كلها والاجيال كلها. لا لأنها تعجب الناس على اختلاف العصور والبيئات والاجيال فحسب، بل لأنها مع ذلك تلهم الناس وتوحى اليهم، وتجعل منهم الشعراء والكتاب والمتصرفين فى الوان الفن على اختلافها.

وليس خلود الالياذة يأتيها من انها تقرأ فتحدث اللذة، وتثير الاعجاب فى كل وقت، وفى كل قطر، بل هو يأتيها من هذا ومن انها قد الهمت، ومازالت تلهم الكتاب والشعراء، وتوحى اليهم باروع ما أنشأ الناس من آيات البيان. ولقد كان ايسكيلوس ابو التراجيديا اليونانية يقول: انه انما يلتقط ما يسقط من مائدة هوميروس، ومازال القصاص وشعراء التمثيل والغناء فى الغرب خليقين ان يقولوا الآن ما كان يقوله ايسكولوس منذ خمسة وعشرين قرنا، ولم تكن قصص ايسكولوس وغيره من شعراء التمثيل اليونانى اقل خصبا من الالياذة، بل هى قد ألهمت من ألهمت من الكتاب والشعراء قديما وحديثا، ومازالت قادرة على أن تلهمهم الى اليوم والى غد. وانى لأذكر انى قرأت منذ أعوام قصة تمثيلية هى الثامنة والثلاثون من نوعها وقد سماها صاحبها «جيرود» وبهذا الرقم. فوضع لها هذا العنوان «انفيتمريون رقم ٣٨». كانت اسطورة تتصل بمولد هيرقل، فصورها سوفوكل قصة تمثيلية فى القرن الخامس قبل المسيح. وما زال الشعراء والكتاب من اليونان والرومان والاوربيين المدنيين يتأثرونه ويذهبون مذهبه اوغير مذهبه فى تصوير هذا الموضوع حتى انتهت القصص التى كتبت فيه شعرا ونثرا الى هذا العدد الضخم، ولم يحجم فحول التمثيل عن طرق هذا الموضوع لأنهم سبقوا اليه، بل زادهم ذلك حرصا عليه، ورغبة فيه، وكان بين الذين طرقوه الشاعر اللاتينى بلوت، والشاعر الفرنسى موليير. ثم لم يشفق جيرودو من ان يطرق موضوعا سبقه اليه الفحول من شعراء التمثيل

فى العصور القديمة والحديثة فصور قصته هذه الثامنة والثلاثين وعرضها على النظارة فى باريس سنة ١٩٢٩ ، فكان فوزها عظيما واعجاب النظارة والقراء بها لا حد له .

وفى أدبنا العربى على قوته الخاصة ، وما يكفل للناس من لذة ومتاع ، قدرة على الوحى ، وقدرة على الإيهام . فاحاديث العرب الجاهليين واخبارهم لم تكتب مرة واحدة ، ولم تحفظ فى صورة بعينها ، وإنما قصها الرواة فى ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون فى صنوف من التأليف ، وقل مثل ذلك فى السيرة نفسها ، فقد ألهمت الكتاب والشعراء فى أكثر العصور الاسلامية وفى أكثر البلاد الإسلامية أيضا . فصوروها صوراً مختلفة تتفاوت حظوظها من القوة والضعف والجمال الفنى ، وقل مثل هذا فى الغزوات والفتوح ، وقل مثل هذا فى الفتن والمحن التى أصابت العرب فى عصورهم المختلفة . ولم يقف إلهام هذا التراث الادبى العظيم عند الكتاب والشعراء الذين ينمقون النثر ويقرضون الشعر فى اللغة العربية الفصحى ، بل تجاوزهم الى جماعة من القصاص الشعبيين الذين تحدثوا الى الناس فى صور مختلفة واشكال متباينة بما كان لآبائهم من مجد مؤثل ، وبما أصاب أبناءهم من محن مظلمة ، وفتن مدلهمة ، عرفوا كيف يثبتون لها ويصبرون عليها ، ويخرجون منها كراما ظافرين ، ولا خير فى حياة القدماء اذا لم تلهم المحدثين ولم توح اليهم بروائع البيان شعرا أو نثرا ، وليس القدماء خالدين حقا اذا لم يكن التماسهم الا عند انفسهم ، ولا تعرف ابناؤهم الا فيما تركوا من الدواوين والاسفار ، انما يحيا القدماء حقا ، ويخلدون حقا ، اذا امتلأت بصورهم وأعمالهم قلوب الأجيال مهما يبعد بها الزمن . وكانوا احديثا للناس اذا لقى بعضهم بعضا ، وكنوزا يستثمرها الكتاب والشعراء لأحياء مايعالجون من ألوان الشعر وفنون الكلام .

الى هذا النحو من احياء الادب القديم ، ومن احياء ذكر العرب الاولين قصدت حين أمليت فصول هذا الكتاب . ولست اريد ان اخدع القراء عن نفسى ولا عن هذا الكتاب ، فانى لم افكر فيه تفكيرا ، ولا قدرته تقديرا ، ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون ، انما دفعت الى ذلك دفعا ، وا كرهت عليه اكراها ، ورأيتنى اقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسى ، ويفيض بها قلبى ، وينطلق بها لسانى ، وإذا أنا أملى هذه الفصول وفصولا أخرى ارجو ان تنشر بعد حين

فليس فى هذا الكتاب اذن تكلف ولا تصنع ولا محاولة للاجادة ولا اجتناب للتقصير ، وانما هو صورة يسيرة طبيعية صادقة لبعض ما اجد من الشعور حين اقرأ هذه الكتب التى لا اعدل بها كتب اخرى مهما تكن ، والتى لا أمل قراءتها ، وآنس اليها ، والتى لا ينقضى حبى لها واعجابى ، وحرصى على ان يقرأها الناس . ولكن الناس مع الاسف لا يقرأونها لأنهم لا يريدون ، او لأنهم لا يستطيعون . فاذا استطاع هذا الكتاب ان يحبب الى الشباب قراءة كتب السيرة خاصة وكتب الادب العربى القديم عامة ، والتماس المتاع الفنى فى صحفها الخصبة ، فانا سعيد حقا موفق حقا الى احب الأشياء الى وآثرها عندى .

واذا استطاع هذا الكتاب ان يلقى فى نفوس الشباب حب الحياة العربية الاولى ، ويلفتهم الى ان فى سذاجتها ويسرها جمالا ليس اقل روعة ولا نفاذا الى القلوب من هذا الجمال الذى يجدونه فى الحياة الحديثة المعقدة ، فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد .

واذا استطاع هذا الكتاب ان يدفع الشباب الى استغلال الحياة العربية الاولى واتخاذها موضوعا قيما خصبا ، لا للانتاج العلمى فى التاريخ والادب الوصفى وحدهما بل للانتاج فى الادب الانشائى الخالص . فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد .

ثم اذا استطاع هذا الكتاب أن يلقى فى نفوس الشباب أن القديم لا ينبغى أن يهجر لانه قديم ، وأن الجديد لا ينبغى أن يطلب لانه جديد ، وانما يهجر القديم اذا برىء من النفع وخلا من الفائدة ، فان كان نافعا ومفيداً فليس الناس أقل حاجة اليه منهم الى الجديد ، فانا سعيد موفق الى بعض ما أريد .

وانا أعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ، ولا يثقون الا به ، ولا يطمئنون الا اليه ، وهم لذلك يضيقون بكثير من الاخبار والاحاديث التى لا يسيغها العقل ولا يرضاها ، وهم يشكون ويلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الاخبار ، وجده فى طلبها وحرصه على قراءتها والاستماع لها ، وهم يجاهدون فى صرف الشعب عن هذه الاخبار والاحاديث واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشىء لانهم سيقرأون فيه طائفة من هذه الاخبار والاحاديث التى نصبوا أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس ، وأحب أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شىء ، وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة الى الغذاء والرضى من العقل ، وأن هذه الاخبار والاحاديث اذا لم يطمئن اليها العقل ولم يرضها المنطق ولم تسغها أساليب التفكير العلمى ، فان فى قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم

وخيالهم وميلهم الى السذاجة واستراحتهم اليها من جهد الحياة وعنائها ما يحبب اليهم هذه الأخبار، ويرغبهم فيها ويدفعهم الى أن يلتمسوا عندها الترفيه على النفس حين تشق عليهم الحياة. وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الاخبار الى العقل على أنها حقائق يقرها العلم وتستقيم لها مناهج البحث، ومن يقدمها الى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير، صارفة عن بواعث الشر، معينة على انفاق الوقت واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش.

وأحب أن يعلم الناس أيضا انى وسعت على نفسي فى القصص ومنحتها من الحرية فى رواية الاخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأسا الا حين تتصل الاحاديث والاخبار بشخص النبى أو بنحو من انحاء الدين، فانى لم أبح لنفسى فى ذلك حرية ولا سعة، وانما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين.

ولن يتعب الذين يريدون أن يردوا فصول هذا الكتاب القديم فى جوهره وأصله، الجديد فى صورته وشكله، الى مصادره القديمة التى أخذ منها، فهذه المصادر قليلة جداً لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبرى. وليس فى هذا الكتاب فصل أو نبأ أو حديث الا وهو يدور حول خبر من الاخبار، ورد فى كتاب من هذه الكتب، فاذا اتصل الخبر بشخص النبى فانى أرده الى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع اليه، لا أحتمل فى ذلك تبعة خاصة لانى لا أذهب فيه مذهبا خاصا الا أن يكون تبسطا فى الشرح والتفسير، واستنباط العبرة، والوصول بها الى قلوب الناس. فليسر الله سبيل هذا الكتاب الى النفوس، وليحسن الله موقعه فى القلوب.

طه حسين

تصدر الرسالة

فى يوم الاثنين

من كل أسبوع

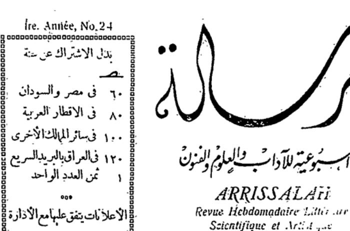
بيير فيلليه

(بقيــة المنشور على صفحة ٦)

بعضهم من بعض أو تقليد المؤلفين بعضهم لبعض لا يعنى أصحاب الاستقصاء من العلماء وحدهم، وانما يمكن أن يقال فى كتبه كلها ما قاله اميل بوترو حين قرأ كتابه الأول: « إنه يظهر فى هذا الكتاب مفكراً مرويا، ماهرا، نفاذا: فيلسوفا، يمس بدقة غريبة أخفى الفروق، وما بين الافكار والآراء من صلات ».

ولكن أتراه انفق جهده الضعيف الخصب كله فى درس مونتينى؟ ألم ينته الا الى طبعة كتاب مونتينى التى ظهرت سنة ١٩٢٢ والتى وصفها اخصائى ماهر هو المسيو هنرى شمار فقال انها توشك أن تبلغ الكمال. كلا. فلنذكر كتابه الذى سماه مصادر الآراء فى القرن السادس عشر، أو كتابه عن المصادر الايطالية لمقالة الدفاع عن اللغة الفرنسية الذى يظهر فيه بين ما أظهر من الغرائب أن القسم الذى يثبت فيه ديلليه مساواة اللغة الفرنسية للاتينية واليونانية ليس الا ترجمة من كتاب سبرون سبيرونى ألفه فى مدح اللغة التسكانية. ولنذكر ابحاثه عن دوبينيه وأبحاثه عن مونلوك، وأحدث كتبه الكبرى (مارو ورابليه). فهو قد عنى بروضته وهى هذه الروضة النضرة روضة النهضة الفرنسية، فلم يهمل منها شيئا. ثم هو لم يكتف بخدمة الآداب، وانما انفق اعظم جهده المادى والعقلى والشعورى فى الاحسان الى اصدقائه المكفوفين. فعاش كما عاش فالنتان هاوى، وبراى، وموريس دى لاسيزران. وقد استحق من المكفوفين تقديس ذكراه بكتابه « عالم المكفوفين » وكتابه « تربية المكفوفين » وباحسانه اليهم فى غير انقطاع.

اما حياته الخاصة، اما المعونة التى وجدها عند زوجه بنت أميل بوترو التى تأثرت بوفاة امها لابيها، فلم تفارق زوجها يوما واحداً والتى كادت تموت معه يوم ٢٤ أكتوبر، فلا استطيع ان اشير اليها الا فى خفة وسرعة، وحرص شديد على ماينبغى من التحفظ. ولكن جميع الذين عرفوا بيير فيلليه وأحبوه يرون من الخير والعدل أن أقول فيه ما قاله مونتينى حين تحدث عن صديقه ايتين دى لابويسى: « انى أعرف كثيراً من الناس يمتازون بانحاء من الخير والجمال، هذا يمتاز بالعقل، وهذا يمتاز بالقلب، وهذا يمتاز بالمهارة، وهذا يمتاز بالضمير، وهذا يمتاز بالحديث، وهذا يمتاز بعلم، وهذا يمتاز بعلم آخر، اما هذا فقد كان حقا ذا نفس مليئة وكان يستقبل الاشياء كلها احسن استقبال: نفسا من تلك النفوس التى وسمها القدم بسمة العتق والرق الصحيح »؟



1re. Année, No. 24

بدل الاشتراك عن سنة

صـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

Lundi 18-12-1933

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٢

العدد الرابع والعشرون — القاهرة فى يوم الاثنين أول رمضان سنة ١٣٥٢ — ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العـــدد

من لغو الصيف الى جد الشتاء

للدكتور طه حسين

كنا نلغو أثناء الصيف ، فلنجد أثناء الشتاء ، وماذا كان يمنعنا من اللغو أثناء الصيف ، وفى الصيف تهدأ الحياة ويأخذها الكسل من جميع أطرافها فتوشك أن تنام ولا تسير الا على مهل يشبه الوقوف ، وفى أناة تضيق بها النفوس . كل أسباب النشاط مؤجلة الى حين . غرف الاستقبال مقفلة ، وملاعب التمثيل مغلقة أو كالمغلقة ، ولا تذكر الموسيقى والغناء ، فمن للموسيقيين أو المغنين بهذا الجو القوى الحى الذى يبعث النشاط والخفة والمرح فى النفوس والقلوب ، وفى الألسنة والأيدى ، جو ثقيل يستتبع فتوراً ثقيلا ، يضطر الناس الى أن يغدوا على أعمالهم فاترين ، ويروحوا الى بيوتهم مثقلين ، لا يكادون ينظرون الى المائدة حتى ينصرفوا عنها ، تنازعهم نفوسهم الى النوم ، وتنازعهم أجسامهم الى أمهم الارض ، فلا يكادون ينظرون الى سرير أو شىء يشبه السرير حتى يسرعوا اليه ، ويلقوا بانفسهم عليه ، واذاهم يتصلون به ويتصل بهم ، واذا هم يمتزجون به ويمتزج بهم ، واذا هم يصبحون مثله شيئاً جامداً خامداً

لا حركة فيه ولا حياة، الا هذه اليقظة الفاترة البطيئة الثقيلة السمجة التي تلم بهم من حين الى حين، حين يثقل عليهم الحر، ويشتد عليهم القيظ، فيفيقون أو يهمون بالافاقة، ثم يغرقون في النوم ليفيقوا، ثم ليعودوا الى الغرق فيه. ثم ينحسر النهار عن الارض بشمسه المحرقة الملتهبة، ويقبـــل الليل متثاقلا متباطئاً، يبعث في الجو أنفاساً حارة، كأنها أنفاس العاشق الولهان المحروم قد أوقد الحبيب الجانب في قلبه ناراً مضطرمة قوية اللظى فلا تكاد أطراف هذا الليل الكسلان تمس الأرض حتى تبعث في الناس نشاطاً كسلا يدفعهم الى حركات متخاذلة، فيخرجون من بيوتهم متثاقلين قد ضاقوا بالدنيا وضاقت بهم، فهم يهمون إن حملتهم أقدامهم يلتمسون مكاناً حضراً نضراً لعلهم يجدون فيه فضلا من نسيم قد صافح الماء، وأطال عشرته بعض الوقت، فحمل الى وجوههم والى قلوبهم شيئاً من هذا البرد الخفيف اللطيف الذي يردهم الى شيء من الدعة والهدوء. ثم هنالك يريدون أن يخرجوا من أنفسهم وأن ينسوا أشخاصهم، فيعمدون الى اللغو يقبلون عليه كما يقبلون على الطعام، لا يكادون يذوقونه الا على كره وفي مضض، ولعل الجو أن يعتدل، ولعل النسيم أن يرق، ولعل هذه الاشربة الباردة المثلوجة أن تخفف بعض هذا اللظى الذي يجدونه في نفوسهم وفي اجسامهم فتنطلق الالسنة من عقلها بعض الشيء، وتستطيع النفوس أن تحرك اجنحتها قليلا وأن تصعد في الجو بعض التصعيد وتستطيع المرح الهادىء ان يبعث في القلوب شيئاً من الراحة والابتهاج. ثم يتقدم الليل ويذكر الناس ان الصبح سيشرق بعد حين ومعه الاعمال والاثقال والتكاليف والحر والضيق، واذا هم مضطرون الى ان يعودوا الى بيوتهم ويسعوا الى مضاجعهم كارهين كذلك نقضي الصيف في بلادنا ان لم نكن من المترفين الذين لا يكادون يحسون الصيف حتى يعبروا البحر الى حيث يحيون حياة اخرى، او لا يكادون يحسبون الصيف حتى يسرعوا الى ساحل البحر، فيحيون حياة خير منها ما نحن فيه من كسل وفتور، ومن تقصير وتهور، فلغو الصيف شيء طبيعي ملائم أشد الملاءمة لحياة الصيف. اما الشتاء فشيء آخر كله فرح ومرح، وكله حركة ونشاط، وكله حياة خصبة عذبة منتجة، تجد فيه النفوس اقصى لذاتها، وتجد فيه الاجسام اقصى قدرتها على الاستمتاع. أكل كثير، وشرب كثير، واضطراب في الارض كثير، وأقبال على العمل، ونسيان للكسل، وحياة عاومة الى حافتها، تفيض او تكاد تفيض بما يفعمها من الآمال والأعمال. ثم ضيق بالحياة، لأن الحياة تضيق بما نريد، وتعجز عن أن تسع كل ما تسعه آمالنا ورغباتنا وشهواتنا، وقد كدت أنسى واجباتنا.

وهل للواجبات مكان في حياة الشتاء هذه التي يفعمها الجنون؟ مسكينة هذه الواجبات! يطاردها فتور الصيف ويطاردها نشاط الشتاء، فحظها من عنايتنا قليل دائما. ولعمري إنا لمعذورون، اما عذرنا في الصيف، فلا يقبل جدالا ولا مراء، ومن ذا الذي يستطيع ان يكلف الناس ان يعملوا وهم عاجزون عن العمل، او يتكدوا وهم مصروفون عن الكد. والله عز وجل لا يكلف النفوس الا وسعها، ولا يحمل الناس ما لا طاقة لهم به، واما في الشتاء فعذرنا ابلغ منه في الصيف. و كيف تريدنا على ان نفرغ للعمل، ونخلص للانتاج، ونؤدي واجباتنا مشغوفين بها، مقبلين عليها، وحولنا من المغريات ما لا تقاومه إلا نفس سقراط أو اشباه سقراط. ومن يدري لعل سقراط لو عاش في أيامنا، واضطرب في بيئتنا، لكان رجلا مثلنا تصرفه المغريات عن ان يعرف نفسه بنفسه، وعن أن يولد نفوس محاوريه ويخرج منها كل ما احتوت من حقائق العلم والحكمة، وفنون المعرفة وألوان الخير.

وقد زعموا أن امرأة سقراط كانت مسلطة عليه، وانه كان يخافها خوفا شديدا، ويشفق منها اشفاقا لا حد له، فلو عاشت امرأة سقراط في مدينة القاهرة وفي القرن العشرين لاتخـــذت لها يوماً في كل اسبوع، تستقبل فيه الزائرين والزائرات، فلا تكاد تطلع الشمس حتى تهيء وتضطر زوجها الى ان يهيء معها غرف البيت لاستقبال الزائرين والزائرات.

وحتى تسعى وتضطر زوجها الى أن يسعى معها الى حيث تشترى الوان الحلوى وفنون الزهر وصنوف الفاكهة. حتى اذا تقدم النهار ودنت الساعة الرابعة قامت واضطر زوجها الى أن يقوم معها لأستقبال الاصدقاء وغير الاصدقاء من هؤلاء الذين يغشون غرف الاستقبال لأنهم يكلفون بغشيانها، أو لانهم يكرهون غشيانها. تكرههم عليه امرأة سقراط وأمثالها، لأن امرأة سقراط لا تغفر لفلان وفلان من العلماء والادباء واصحاب الفن ان يهملوها، او ينصرفوا عن غرفة استقبالها، وهى تصر اشد الاصرار على أن يظهروا فى بيتها مرة فى كل اسبوع، حتى لا يقول صديقاتها ان غرفتها ليست حافلة باعلام الفن وافذاذ الادب، ورجال المال والاعمال. فاذا فرغت امرأة سقراط وفرغ معها زوجها من الاستقبال وما فيه من حديث مختلف مؤتلف، معوج مستقيم، واضح غامض، خصب جدب، خطر برىء، فلم تنته امرأة سقراط ولم ينته سقراط من كل شىء، وانما ابتدآ شيئاً لا سبيل الى ان ينتهى، فهؤلاء الزائرون والزائرات لا بد ان ترد لهم الزيارات، لانهم كسقراط وامرأة سقراط مضطرون الى ان يستقبلوا كما كانوا مضطرين الى ان يزوروا، وكذلك تقضى امرأة سقراط ويقضى معها سقراط مساء كل يوم متنقلين من دار الى دار، ومن غرفة استقبال الى غرفة استقبال، يقولان كلاما، ويسمعان كلاما يصدقان ويكذبان، ويصدقان ويكذبان، وويل لسقراط ان ادركه الكسل أو أصابه الملل أو شغلته الفلسفة أو صرفه عن زيارة من هذه الزيارات حوار مهما تكن قيمته، ومهما يكن المحاورون، فافلاطون وكسنوفون، وفيدون، وفيدر، كل هؤلاء يستطيعون ان يلقوه فى داره يوم استقباله. أو فى دار من هذه الدور التى تستقبل من الساعة الرابعة والثامنة من كل يوم. واذا لم يكن بد من الحوار فى الطبيعة أو فى القوانين، أو فى أى شىء من هذه الاشياء التى تنجم من الارض، أو تهبط من السماء، فليدبر لهم سقراط وقتا من هذه الاوقات التى يمكن فيها اللقاء دون أن تصرفه عن واجباته الاجتماعية وتعرضه للغضب، وأى غضب؟ غضب السيدات! فاذا فرغت امرأة سقراط وفرغ معها سقراط من الاستقبال والزيارة واقبل الليل، فالويل كل الويل للفيلسوف العظيم ان دعته نفسه الى ان يعرفها، او يحقق ما كان مكتوبا على معبد دلف «إعرف نفسك بنفسك»، وأين يجد سقراط الوقت الذى يخلو فيه الى نفسه اذا جنه الليل؟ فالليل لا يلقى على الارض استاره المظلمة ليأوى الناس الى بيوتهم بل ليخرجوا منها، وكيف تريد أن يأوى سقراط الى بيته أو يخلو سقراط الى نفسه، وهذه الاوبرا قد فتحت ابوابها، ومدت اسبابها. وأقبل عليها الممثلون والمغنون يعرضون بدائع التمثيل وآيات الغناء

وهذه دور السينما تعرض فى كل يوم جديدا، وهذه قاعة (يورت) يوقع فيها فلان، وقاعة (الليسيه) يوقع فيها فلان، وقد يجمع سقراط شجاعته كلها ويقول بقلب متردد ولسان متلعثم إنه لا يحب ما يمثل الليلة، أو ما يوقع، او ما يغنى، وانه يؤثر الراحة أو الانقطاع لبعض العمل، ولكن ويل لسقراط من هذه المقالة! فمن زعم له انه سيشهد التمثيل أو يسمع الغناء لانه يحب أو لا يحب، ولأنه متعب أو مستريح، انما يشهد التمثيل ويسمع الغناء ويختلف الى دور السينما لأن الناس يجب أن يروه فى هذه المشاهد كلها، والا فليس هو من أهل القاهرة، ولا من ذوى المكانة فيها، وقد تظن ان سقراط حين يذهب الى الملعب أو الى دار من دور السينما أو الى قاعة من قاعات الغناء يستطيع ان يفرغ للفن أو يستمتع به، فاطرد عن نفسك هذا الظن، واذكر أن هناك (الانتراكت) ومقابلات الانتراكت، واحاديث النظارة والمستمعين عما رأوا وما سمعوا ويالها من احاديث تبغض الفن الى أحب الناس للفن، يجب أن يكون لكل واحد من هؤلاء النظارة والمستمعين رأى يراه، وكلمة يقولها فيما رأى وما سمع، وقد يكون هذا الرأى سخفا، وقد تكون هذه الكلمة جهلا، وهما كذلك فى أكثر الاوقات. ولكن سقراط مضطر الى ان يسمعهما ويقرهما، أو يجادل فيهما مجادلة المقر الذى لا ينكر. وهناك ما هو أثقل من ذلك، فيجب أن يكون لسقراط رأى يراه وكلمة يقولها وان لم ير شيئا، وان لم يرد أن يقول شيئا ذلك أنه اذا لم يقل كلمته اتهم بالجهل، أو وصف بالكبرياء،

وكلاهما لا يليق بالحيوان الاجتماعي الذى ذكره ارستطاليس في كتاب السياسة، والذى يتألف منه ومن أمثاله سكان مدينة القاهرة، كما يتألف منه ومن أمثاله سكان باريس.

حتى اذا تقدم الليل عاد سقراط الى بيته متعبا مكدودا فآوى الى مضجعه ولم يلبث أن يأسره النوم. ولعلك تظن أن تكاليف سقراط تقف عند هذا الحد، فما أشد اغراقك فى الوهم! واين أنت من المحاضرات؟ وما أدراك ما المحاضرات؟ محاضرات فى الجمعية الجغرافية، وأخرى فى الجمعية الاقتصادية، وأخرى فى قاعة يورت التذكارية، وأخرى عند جروبى، وأخرى فى الكونتنتال، ولابد لأسرة سقراط من أن تشهد هذه المحاضرات لتكون ظريفة متلطفة، مجاملة للمحاضرين والمحاضرات، ثم لتظهر أيضا، او لتظهر قبل كل شىء. والمحاضرون قوم قساة لا يحفلون بالناس ولا يحفلون بانفسهم، وانما يحفلون بالمحاضرات، فهم يحاضرون فى غير رفق، وهم يحاضرون فى غير حساب، وهم يتنافسون فى المحاضرات لا فى كيفية المحاضرات وقيمتها وحظها من الجودة، بل فى عدد المحاضرات وعدد المستمعين. والاعلان فى الصحف؛ وقد تسوء الحال فيلقى محاضران محاضرتيهما فى وقت واحد وفى مكانين مختلفين طبعاً، ويومئذ يضطر سقراط الى أن يشهد إحداهما، وتضطر امرأته الى أن تشهد الاخرى، فلا بد من ظهور أسرة سقراط فى المحاضرتين جميعاً فاذا انتهى كل من المحاضرين تقدم اليه نصف الاسرة فهنأه وحياه واعتذر له عن النصف الآخر لانه مشغول بمحاضرة فلان.. يا لهذا الفصل: فصل الشتاء! انه يشغل الوقت، ويصرف الناس حتى عن الحياة، وقد تعطف الظروف على سقراط وتؤثره الايام بخير ما عندها من اللذات والمتاع. واذا هو مضطر الى أن يستمتع رغم أنفه بتناول الشاى عند فلان، ثم عند فلانة، ثم بالاستماع لمحاضرة يلقيها فلان فى الساعة السادسة، وأخرى يلقيها فلان فى الساعة السابعة، ثم يخطف عشاءه خطفاً؛ ويلقى ملابس النهار ويتخذ ملابس الليل ليسرع الى الاوبرا،

ويل لسقراط ان لم يكن من أصحاب السيارات! وويل للسيارة وسائقها ان كانت لسقراط سيارة، من هذه الايام العذاب الكذاب أيام الشتاء، ثم حدثنى بعد ذلك كيف يستطيع سقراط أن يفرغ لفلسفته ومعرفة نفسه وحوار تلاميذه اذا كان الصباح، وأين له القوة التى تمكنه من أن يفلسف أو يفتش عن نفسه أو يحاور أصدقاءه بعد هذا الجهد العنيف الذى أنفقه أو الذى احتمله منذ أقبل المساء الى أن انقضى الليل أو كاد ينقضى، ومع ذلك فلا بد لسقراط من أن يعنى بفلسفته، ويبحث عن نفسه، ويحاور أصدقاءه، لأنه بذلك يعيش، ولذلك يعيش، ومن ذلك يعيش؛ أرأيت أن سقراط لم تظلمه الايام حين جعلت حياته فى القرن الخامس قبل المسيح فى ذلك الوقت الذى لم تنشأ فيه الصالونات، ولم تكثر فيه المحاضرات، ولم تتعدد فيه ملاعب التمثيل وقاعات الغناء، ولم تظهر فيه دور السينما، لقد كان سقراط سعيداً حقاً، كان يشهد التمثيل أياماً فى العام، مرة فى الربيع حين يكون فصل التراجيديا، ومرة فى الخريف حين يكون فصل الكوميديا. وكان يختلف الى بعض الدور: الى دار بيركليس مثلا، ليسمع بعض السفسطائية، وليحاور أو ليستمتع بحوار هذه المرأة الجميلة زوج بيركليس. وكان ينفق ما بقى من وقته، وهو أكثره من غير شك، متنقلا بفلسفته فى شوارع أثينا، أو باحثاً عن نفسه فى حمام أثينا وملاعب الرياضة فيها. وانا واثق بان سقراط لو خير بين حياتنا الحلوة العذبة، وبين سجنه الثقيل وما تناول فيه من السم لآثر السجن والسم على هذه اللذات الطوال الثقال التى نحتملها نحن فى فصل الشتاء.

أرأيت ان الصيف هو الفصل الذى يحسن فيه اللغو. وان الشتاء هو الفصل الذى لا يحسن فيه الا الجد، ولا يمكن فيه الا الجد، ولعلك تظن ان ما حدثتك به هو كل ما فى الشتاء من جد، فذد عن نفسك هذا الوهم، ففى الشتاء جد آخر مر كله، لا حلاوة فيه، فانت توافقنى على ان الزيارة والاستقبال، والاختلاف الى المحاضرات، وشهود التمثيل والاستماع للمغنين والموقعين، كل ذلك يحتاج الى نفقات، فثياب الشاى غير ثياب التمثيل، ولكن ماذا اريد ان اقول؟ ومالى ادخل بك فى هذا الحديث الذى لا فكاهة فيه ولا متاع؟ أهذا كل ما يحمل الينا الشتاء من الجد؟ كلا

(البقية على صفحة ٣٩)

كيف يرقى الادب

للاستاذ احمد أمين

أشرت فى مقال سابق الى العلاقة بين الذوق العام ورقى الأدب ، ووعدت القراء أن أعود الى هذه العلاقة ، أزيدها بسطاً وايضاحاً ، وذلك ما أحاوله فى هذا المقال

يذهب بعض المفكرين الى أن الفنون ـ ومنها الادب ـ ترتقى وتنحط ، وتعلو وتسفل ، وتتقدم وتتأخر ، فى الامم اعتباطاً من غير أن يكون لذلك أسباب . أو على الاقل أسباب ظاهرة . فالناظر لتاريخ الفنون فى العالم يرى أن أمة فى عصر من العصور قد ترقى فى فن من الفنون كالموسيقى أو الحفر أو التصوير أو الشعر ، على حين أن أمة أخرى ترقى فى فن آخر من هذه الفنون ، ثم بعد رقى عظيم تنحط الامة فى هذا الفن ويحل محل الفن فن آخر . أولا يحل محله شيء ، وتتبادل الامم ذلك من غير أن يكون لهذا التقدم وهذا التأخر علة مفهومة ، وشأن الفنون شأن النابغين ، فقد ينبغ النابغ فى أمة ولا نعرف لم نبغ وكيف نبغ . وتحاول الامة أن تخلق نابغين فلا ينخلقوا . — بل ترى الامر عجبا ، فقد يوجد النابغة والامة على أسوأ ما يكون من ضعف فى الخلق ، وضعف فى العقل ، ثم ترقى الامة عقلا وترقى خلقا . وكان مقتضى هذا أن يكثر عدد النابغين فيها ويزدادوا نبوغا بازدياد الامة رقيا فينعكس الامر حتى لتجد الامة وأعضاؤها قوية ولا رأس . بينما كان لها فى حال ضعفها رأس قوى ولا أعضاء — ماذاك الا لان النابغة يوهب ولا يخلق . وقد قال هؤلاء إن الفنون فى ذلك ليست كالعلوم ، فالرقى فى العلوم سبيله ميسور ممهد ، وتستطيع الامة أن تضع لها خطة تسير عليها لترقى فى الطبيعة أو الكيمياء أو الرياضة . فاذا هى جدّت فى ذلك وصلت الى درجة من الرقى تناسب جدّها واستعدادها ، ولكنها لا تستطيع أن تضع خطة تسير عليها للرقى فى الشعر والموسيقى والتصوير ، لان ذلك نوع من الالهام ، والالهام بيد الله يمنحه من يشاء كيف شاء متى شاء — ولعل الكاتب يشعر بهذا تمام الشعور فى نوع ما يكتب ، فهو اذا أراد ان يكتب بحثا علميا او يحقق لفظا لغويا او يحرر حادثا تاريخيا ، فهو فى أكثر اوقاته مستعد لذلك ، مالم يكن مريضا أو مهموما — ولكنه اذا شاء ان يكتب قطعة فنية أدبية انشائية لا يستطيع ذلك الا فى حالة نفسية صافية ، ومزاج يتناسب والقطعة الفنية التى ينشئها ، من حزن أو سرور ، وحلم أو غضب ، ويصادفه وقت هو كما يسميه الصوفيه — وقت تجلّ ، يجيد فيه ويغزر ويسمو فيه ويصفو . ويعجب كيف أجاد وكيف غزر . ثم هو يحاول بعد مرارا أن يخلق مثل هذا التجلى ، فيفشل ثم يفشل ، ويحار فى تعليل ذلك ، وتعليلها هو ماقاله علماء الكلام «ولم تكن نبوة مكتسبة» — هو فى العلم مالك وقته يصرفه كما يشاء وهو فى الأدب ينتظر الالهام

وقالوا إن رقى الامة فى الادب لا يرتبط بدرجة ثقافتها ، ولا برقيها العقلى ، ولا بأى سبب من الاسباب ، فالامة المصرية — قديما — رقيت فى فنون النحت والنقش والبناء رقيا بديعا جعلها من اساتذة العالم فى هذا الباب ، وخلفت على مر الأزمان ثروة لا تقوّم ، ولا تزال قبلة الفنانين تستخرج اعجابهم وتلهم أذواقهم ، والمصريون الآن ليسوا أساتذة فى الفن ، حتى ولا تلامذة ، مع ان أحدا لا يستطيع ان يقول ان المصريين القدماء كانوا أرقى منا عقلا وأعلى ثقافة ـ وكذلك يشكو كثير من الاروبيين من ان الفن ـ ماعدا الموسيقى ـ أخذ يتدهور من القرن السادس عشر مع ان أنواع العلوم فى رقى مستمر ، وعقليات الأمم فى تقدم دائم . ـ ولو كان الامر بالعلل والاسباب المنطقية لوجب ان يكون المصريون اليوم أعلى فنا وأكثر نبوغا ، ولكان الفن الأوربى الآن أسمى وأتم منه فى القرون الوسطى ـ فأما وقد عجز المنطق عن تقديم مقدمات ونتائج صحيحة فليس الا الالهام ، وليس للامة الا ان تنتظر ما يأتى به القدر

هكذا قالوا ، أو حاولوا ان يقولوا ، وبهذا احتجوا ، او حاولوا ان يحتجوا ولكن هل هذا صحيح ؟ ـ ان فى هذا الرأى غلوا مفرطا ، انه يخرج الأدب عن دائرة الارادة ويجعله مجرد انتظار للوحى والالهام ، ومن الحق ان للأدب خطة تنتهج كمنهج العلم ، وأن من نعده للأدب يجب ان تثقفه ثقافة

خاصة كالذى نعده للعلم ، ولكن من الحق أيضا اننا لانخلق الاديب برنامجنا ، بل لابد ان تكون قد هيأته الطبيعة ومنحته استعدادات خاصة وكفايات ممتازة ، وتهيؤا لقبول الالهام . ولكنه فى كل ذلك كالعالم ، فبرنامج العلم لايخلق نابغة فى العلم انما يُعده ، والعالم لابد ان يكون مهيأ للالهام كالاديب ، واكثر المخترعات والمستكشفات فى العالم كانت نتيجة الهام اكثر منها نتيجة لمقدمات منطقية وتجارب عملية ، وانما التجارب تهيىء للالهام وتحقق ما يأتى به ، وتبين صحيحه من فاسده وتسمى هذه الالهامات فروضاً .

ويظهر ان اتجاه هؤلاء الباحثين هذا الاتجاه سببه عقيدة سادت بين علماء الفن وعلماء الجمال عهداً طويلا وهى « ان الذوق لا يعلل » فالناظر ينظر الى الصورة فيستجملها أو يستقبحها ، فان أنت سألته لم استجملها أو لم استقبحها لم يحر جوابا ، واذا أجاب أجاب بكلمات منمقة ولكنها جوفاء لاتحوى علة ولا توضح سببا ، وانما هى نفس الدعوى بألفاظ رشيقة جميلة ، واذا رأيت طاقة من الزهر قلت ما اجملها ولكن ان سئلت لم كانت جميلة قلت انها منسقة ، انها بديعة الألوان ، ان نفسى لترتاح الى رؤيتها ، انها لتسر النظر ، وتبهر العقل ، وأنت غنى بعد عن أن أقول لك ان هذه الفاظ وجمل قد ترضى البلاغة ولكن لا ترضى المنطق وقد تعرض صورة أو يظهر انسان امام جمع من النظارة فهذا يستحسنه وذاك يستقبحه ، وثالث لا يستحسنه ولا يستقبحه ، فاذا سألت من استحسن لم استحسن ومن استهجن لم استهجن ، ومن حايد لم حايد ، كانت الاجابات مثاراً للعجب وموضعاً للضحك — وقد ترى انسانا كل عضو من أعضائه على انفراده جميل ، ولكنه ليس جميلا ككل ، فما الذى كوّنه هذا التكوين ؟ وما الذى وضعه هذا الوضع ؟ ولِمَ استحسنته مفرقا ولمْ تستحسنه جملة ؟ لاشىء فى الحقيقة الا الذوق الذى لا يعلل ، وهذا هو الشأن فى الأدب ، وأظهر مثل لذلك ما فعله عبد القاهر الجرجانى فى اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، فماذا صنع — انه يأتى بالبيت الجميل ثم يقف ويتساءل فيم كان جماله ، فما هو الا أن يصوغ لك جملا رشيقة فيقول : ان هذا اللفظ يروقك ويؤنسك ، وغيره يثقل عليك ويوحشك ، وهذا الوضع يبهرك جماله ، وهذا النظم يأخذ بلبك بما فيه من نسج وصياغة ، ووشى وتحبير ، ويعلل سبب ذلك أحيانا بالتقديم والتأخير ، وأحيانا بالفصل والوصل — وكلها علل لا تصلح ، فأنا كفيل بأن آتيك بتقديم يحسن ، وتقديم مثله يقبح ، وفصل يروعك وفصل مثله يسوءك وقد تحاول أن تفرق بينهما فلا تستطيع ، ثم تسلم سلاحك وتكتفى بأن تقول هذا جميل ، وهذا قبيح ، وهذا يحسن فى ذوقى وهذا لا يحسن ، وبذلك تكون قد قطعت شوطاً بعيداً ، ثم فى آخر الأمر عدت الى النقطة التى بدأت منها سيرك ، وما علوم البلاغة كلها الا محاولة لتعليل الذوق الأدبى ، ولكن هل افلحت فى التعليل ؟ انا لنخشى أن تكون قد دارت حول نفسها ، ولم تأت بشىء « لأن الذوق لا يعلل » .

واذا كان الذوق لا يعلل فكل ما ترتب عليه لا يعلل . واذا كان الفن وليد الذوق فالفن لا يعلل . ولا يعلل كيف ظهر وكيف قوى وكيف ضعف .

هكذا أيضاً قالوا أو يصح أن يقولوا — وهذه الآراء — وان كان فيها شىء من الحق — ليست حقا كلها ، وليست حقا فى أساسها ، وقد بذل بعض العلماء المحدثين مجهودا حميدا فى بيان ما فيها من حق وباطل وحاولوا أن يفلسفوا الذوق ، ويفلسفوا الجمال ووضعوا للذوق والجمال علما Aesthetics وعدوه فرعا من فروع الفلسفة . وحاربوا فيه الفكرة السائدة : « إن الذوق لا يعلل » ، ووضعوا قواعد لتعليله نجحوا فيها أحياناً وفشلوا أحياناً ، ولا يزال مجال البحث أمامهم فسيحاً ، وكان لهذا الاتجاه الجديد فى علم الجمال أثر كبير فى خلق نظريات فى الأدب ، ووضع أسس جديدة للبلاغة والنقد الأدبى مما ليس هذا موضعه

والذى أميل اليه أن الفن نتيجة الذوق لا محالة ، وأن الذوق يمكن تربيته وترقيته ، فالطفل اذا لفت نظره الى الازهار وجمالها تكون فيه الميل الى حبها والاستمتاع بها ، فاذا كان بعدُ أديبا اتصلت حياته الادبية بها ، وظهر فى نتاجه الفنى هذا

الحب وهذا التقدير

والذوق العام للأمة فى قوته وضعفه ورقيه وانحطاطه، ليس يظهر فجأة ولا هو نتيجة المصادفة البحتة، انما هو نتيجة لكل ما يحيط بالأمة من ظروف وأحداث، هو نتيجة النظم السياسية، والحياة الاقتصادية والاجتماعية، والثقافة العقلية وغير ذلك، وان شئت فقل ان ذوق الامة هو تعبيرها عما تقوم، فالامة اذا قومت المناظر الطبيعية تذوقتها، واذا قومت جمال الازهار تذوقته، واذا لم تقوم نظام المجتمعات لم تتذوقه ولم يجرح ذوقها تهويش على محاضر أو مغن أو ممثل — والفنان ليس الا معبرا عن ذوق الامة، والاديب ليس الا الموقع للأصوات التى تستلذها الامة.

ومن أهم اسباب ضعف الأدب العربى مسألتان تتصلان بهذه الحقيقة: الاولى ان الادب العربى لا يتصل بالذوق العام للامة اتصالا وثيقا، لانه يصاغ بلغة غير لغة الشعوب، ولا يتصل إلا بذوق خاص وهو ذوق محترفى الادب، ومن تكون ذوقهم تكونا — كلاسيكيا — ولا أمل فى نجاحه الآن نعمل بأى شكل كان على ان نصل الادب او أكثره بالذوق العام، والثانية تتصل بالاولى. وهى ان الآداب فى أكثر الامم كانت أرستقراطية النزعة يوم كانت القوة فى يد الارستقراطيين، فلما انتشرت الديمقراطية تبعها الأدب، فأصبح ديمقراطى الموضوع، ديمقراطى النزعة، اما الادب العربى فقد أصبح ارستقراطيا منذ العهد الاموى، وأصبح أهم أنواع الأدب إنما ينشأ حول قصور الامراء والاغنياء، وفى الموضوعات التى تناسبهم من مديح لهم وهجاء لاعدائهم، فلما عمت النزعة الديمقراطية العالم لم تؤثر فى الادب العربى أثرها فى غيره من الآداب، بل ظل محتفظا الى حد ما بأرستقراطيته، وهذا قلل من غير شك اتصاله بالذوق العام للامة — وقد نعود الى توضيح ديمقراطية الأدب فى مقال تال

على كل حال لا وسيلة لترقية الفن ومنه الادب الا بترقية الذوق، وربط الفن به، ولذلك وسائل:

من أهمها التأذين فى الناس بصوت عال يهزهم هزا عنيفا حتى يشعروا بان أذواقهم مريضة، لا يشعرون بالجمال كما ينبغى ولا يهيمون بالحسن كما يجب، ولست أعنى جمال الوجوه وحدها، ولكن جمال الازهار، وجمال الطبيعة، وجمال الموسيقى، وجمال الحركة، وجمال النظام، وجمال النظافة، وجمال المعانى، ويجب ألا يقتصر دعاة الفن على الدعوة لجمال الكرنك وأنس الوجود والمساجد الاثرية بل يجمعون الى الدعوة لجمال الماضى جمال الحاضر — وهذا أكثر وضوحا فى الادب فدعوة الادباء دائما وقول الادباء دائما انما هو الى الماضى وفى الماضى، وهذا حسن لدرجة ما، ولكن يجب أن يقرن به الدعوة القوية أيضا الى النظر الى أنفسنا والقول فى أنفسنا

يجب أن نغير تسعيرة الاشياء، ونضع تسعيرة جديدة لما يدور حولنا، ونضع امام ناشئتنا قيما جديدة لما يقع عليه نظرهم، فاذا كانت بيوتنا تعنى بكمية الاكل وتعطيها أكبر قيمة، وجب أن نرفع قيمة الكيفية فنضع قيمة كبرى للازهار على المائدة ولجمال الترتيب والنظام ولجمال الحديث

يجب ان نوجه ارادتنا فى ترقية الذوق كما نوجه ارادتنا لترقية العلم ولترقية النظام السياسى، ونضع للذوق برامج كالتى نضع لبرامج التعليم.

إنا إن فعلنا ذلك تمخض المجتمع عن فنان ماهر، وأديب قادر.

احمد امين

حب العرب
في مناجم الذهب

للعلامة الشيخ عبد القادر المغربي
عضو مجمع اللغة العربية الملكي

(دَرَى) الصيد يدريه إذا توارى عنه وما زال به حتى أمسكه: فدَرَى هذه بمعنى ختَل. ولها أخت مشهورة بيننا: وهي (دَرَى المسألة) بمعنى علمها وأدركها. وبعضهم جعل (درى) هذه من بابة (دَرَى) الصيدَ، فاشترط في دراية المسألة الوصول إليها بضرب من الحيلة.

ولم لا أقول في (أدرك) كما قالوه في (درى)؟ فيكون إدراك المسألة وتعقلها بعد سعي وجهد. كما أن إدراك الصيد واعتقاله بعد جري وجهد.

ولا تقل أيها القارئ أرى (دَرَى) بمعنى (ختَل) لا عهد لنا بها. بلى! فإننا نستعمل حتى في لغة تخاطبنا أختاً لها: وهي كلمة (دارَى) من (المفاعلة) ونريد بها أن يلين الشخص القول لآخر، ويسارع الى هواه، ويتجنب سخطه، فنستعملها بمعنى المجاملة، وإن كان اشتقاقها في الأصل يدل على معنى الخديعة والختل.

أما شاهد (دَرَى) الصيدَ بمعنى ختَله فهو قول الشاعر:

فإن كنتُ لا أدري الظباء فإنني
أدسُّ لها تحت التراب الدواهيا

فالشاعر يريد بقوله (أدري الظباء) أنه يختلها ختلاً إذا أراد اصطيادها، حتى إذا عجز عن ختلها وإمساكها باليد، فإنه يصيدها بالفخاخ والحبائل يدسها لها تحت التراب. فالدواهي إنما أراد بها هذه الفخاخ؛ كما أن المراد بالظباء ظباء الوحش. ويبعد أن يكون أراد بها ظباء الانس: أعني الحسان من النساء بدليل الرواية الأخرى وهي (أدسُّ لها تحت العضاه المكاويا) و(العضاه) شجر عظام في البادية، تأوي اليها الظباء عند اشتداد الهجير فتقيل تحتها. وتعطو إلى أوراقها و(المكاويا) جمع مكواة: آلة الكي المعروفة. وأراد بها هنا الفخاخ نفسها.

ولكلمتي (دَرَى) و(دارى) أختان هما (ادَّرى) الصيدَ من (الافتعال). و(تَدَرَّى) الصيدَ من (التفعّل) وكلتاهما بمعنى (ختَل) أيضاً.

أما شاهد (ادَّرى) بتشديد الدال. فبيتٌ من الشعر كنا ننشده هكذا:

وماذا يبتغي الشعراء مني   وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين

وهو لسُحيم بن وثيل الرياحي. وصواب الرواية:

وماذا يدَّري الشعراء مني الخ

(يدَّري) بتشديد الدال من (ادَّرى) الصيد ختله حتى اصطاده. أي لا يظن الشعراء أنهم قادرون على ختلي وخديعتي بعد أن بلغت سن الكمال والاستحصاف.

هذا شاهد (ادَّرى). أما فعل (تَدَرَّى) بتشديد الراء (من التفعّل) فله شاهد عجب، من أنباء حب العرب، في معادن الذهب، وهو قول شاعرهم:

(كيف تراني أذَّري وأدَّري
غِرّاتِ جُمْل، وتَدَرَّى غِرَري)

على أن هذا البيت شاهد لكل من الفعلين: (ادَّرى) (من الافتعال) و(تَدَرَّى) (من التفعّل).

أما (اذَّرى) بالذال المعجمة فليست من معنى الختل في شيء. وإنما هي من تذرية الحَبّ ونحوه في الهواء، فيذهب القشر والتراب، ويبقى الحَبُّ واللباب.

وأصل (اذَّرى) (اذترى) من الافتعال، كما أن أصل (اذَّكر) أي تذكر (إذتكر)، وثلاثيه ناقص واوي: يقال ذرَا فلان حبَّ بيدره. و(ذرّاه) من التفعيل. فاذَّرى في بيت الشعر المذكور هو بهذا المعنى.

والفعلان الآخران (ادَّرى) و(تَدَرَّى) بالدالين المهملتين هما بمعنى ختَل الصيد.

وقائل البيت لم يرد أنه ادَّرى وختل ظبية من ظباء الوحش

وإنما كان غرضه أن يختل ظبية من ظباء الانس وهي (جُمْل) الحسناء. فهو يقول: قد كنتُ أنا و (جُمل) نعمل في تحصيل الذهب وتنقيته من التراب، وكنتُ أعمل أنا في تذريته وتعريضه لهبوب الريح فيتطاير التراب والشوائب هنا وهناك، وتقع ذرات الذهب وقطعه الصغيرة على الأرض.

أمّا (جُمل) فلها وظيفة غير وظيفتي: وظيفتها (التحصيل). فأنا (المذرّي) وهي (المحصّلة).

قال ابن فارس: أصل معنى التحصيل استخراج الذهب من حجر المعدن.

وقال علماء اللغة: (المحصّلة) كمحدّثة المرأة التي تحصّل تراب الذهب أو تراب المعدن. ومعنى تحصيله تخليص الذهب منه. والتحصيل في الذهب كالتصويل في الحنطة ونحوها.

وقال ابن برّي: المحصّلة هي التي تميّز الذهب من الفضة.

وجميع أرباب المعاجم لم يذكروا (اسم فاعل) التحصيل إلا بصيغة المؤنث (المحصّلة) ولا يكادون يقولون (المحصّل) بالتذكير، إلّا على سبيل بيان الاشتقاق القياسي. أما (المحصّلة) الأنثى فقد أصبح وصفاً غالباً على امرأة ذات عمل خاص بها هو تحصيل الذهب وتنقيته.

ومما يحسن التنبيه إليه أن فعل (إذرِي) التي هي بمعنى التذرية في قول الشاعر المذكور لم يقل أحد من علماء اللغة أن المراد بها تذرية حبّ الحنطة مثلا، بل أجمعوا على أن مراد الشاعر تذرية الذهب وتنقيته من التراب فيظهر أنّ البيت من قصيدة حكى فيها الشاعر حادثة جرت له مع الحسناء (جُمْل) وهما يعملان في معدن (حِلْيت) على وزان (سِكّيت) في بلاد نجد أو غيره من مناجم جزيرة العرب التي كثر التحدث عنها في الآونة الأخيرة.

وكما استفدنا من علماء اللغة أنّ (المحصّلات) هن المشتغلات في المعادن، وأن (التحصيل) من أعمال النساء الخاصة بهن أو الغالبة عليهن — استفدنا ذلك أيضاً من شعراء العرب. فقد قال أحدهم:

ألا رجل جزاه الله خيراً يدلُّ على محصّلة تبيت؟

وهذه الدلالة في مغزاها تشبه الدلالة في قول الآخر:

يا من يدلُّ عَزَباً على عَزَب

وإذا كانت وظيفة المرأة العربية في معادن الذهب ما ذكرنا، فتكون الحسناء (جُمل) بيناهي منهمكة في تحصيل الذهب وتخليص شذراته، كان الشاعر الذي قال: (كيف تراني أذري واذّري الخ) كان يذرّي تراب الذهب ويلاعب المذراة أو المنسف بيديه، أما عيناه فكانتا تلاعبان عيني (جُمل): فكان يختل (غرّاتها) جمع (غرّة) أي غفلتها، فاذا غفلت رنا اليها. فيكون بذلك قد ختلها، أي خدعها مذ أوهمها أنه لا ينظر اليها مع أنه ينظر. ولم تكن (جُمل) بأقلّ كلفاً وحرصاً على مسارقة النظر، فكانت هي في نوبتها أو في دورها (كما يقولون) (تدرّاه) أي تختله وتخدعه فتوهمه أنها لا تنظر اليه، ثم تتحيّن (غرّره) جمع (غرّة) أيضاً أي غفلته حتى إذا سنحت لها غرة من غرره نظرت اليه معجبة أو متفرسة إن كان يصلح لها بعلاً أو لا.

ومحصّل القول أنه كان للعرب معادن ذهب يجتمعون فيها نساء ورجالا، أحرارا في عملهم، أو مأجورين لصاحب رأس مال، رومي أو فارسي يشغلهم على حسابه. وان النساء كان عملهن التحصيل، أي تنقية ذرات الذهب وشذراته، بينما الرجال الأشداء كانوا يقومون بأعمال أخرى أشق من أعمالهن كالتذرية وتفتيت الصخور بالمعاول ونحو ذلك.

ويظهر من لهج شعرائهم بذكر (المحصّلات) أنه كان لهن — من تجمعهن في ذهابهن إلى المعدن وإيابهن، أو من زيهن وشكل لبوسهن، أو من حديثهن ونوع تظرفهن — كان لهن من ذلك حالة خاصة لفتت عيون الشبان إليهن، وحملتهن على ذكرهن وتمنى معاشرتهن.

وهذا كما هو الحال في نساء المعامل وفتيات المخازن في أوربا اليوم.

دمشق المغربي

الحركة القومية الارلندية

منذ نشأتها الى اليوم

للأستاذ محمد عبد الله عنان.

المسألة الارلندية من أخطر وأعقد مشاكل الامبراطورية البريطانية. وخطورتها اليوم تبدو بنوع خاص، حيث تتأهب ارلنده لتحقيق الغاية التي تعمل لها منذ أحقاب. وهي التحرر من كل فروض التبعية البريطانية واعلان نفسها جمهورية حرة موحدة، وارلنده اليوم من الوجهة الدولية دولة مستقلة ذات سيادة، ونعتها الدولي هو: «دولة ارلنده الحرة» Irish Free State ولكنها ما زالت طبق نصوص المعاهدة التي أنشأتها دولة حرة، تدين ببعض فروض الولاء والتبعية لبريطانيا العظمى.

واذا كانت ارلنده تعتبر من الوجهة الجغرافية إحدى الجزر البريطانية، وتجاور انكلترا واسكتلنده مجاورة قوية، فهي مع ذلك وحدة جنسية وتاريخية مستقلة. فالشعب الارلندي لا يمت بنسب أو صلة للشعب الانكليزي، بل يرجع الى أصول جنسية أخرى، وله خواصه ومميزاته وتقاليده الخاصة. وله أيضاً لغته الخاصة الجايلقية أو الارلندية القديمة التي غدت لغة رسمية لدولة ارلندة الحرة، وعاطفة الاستقلال قديمة راسخة في الشعب الارلندي.

فمنذ القرن الحادي عشر كانت ارلنده مملكة مستقلة قوية تهدد جيرانها بالغزو والسيادة. ولكن انكلترا أدركت منذ البداية خطر استقلال ارلنده وقوتها على استقلالها وكيانها، وعملت الملكية الانكليزية منذ أواخر القرن الثاني عشر على فتح هذه الجزيرة القوية واستعمارها، فغزاها هنري الثاني وافتتحها (١١٧٢ م) وبدأ الانكليز باستعمارها؛ وتوالت حملات ملوك انكلترا على الجزيرة الثائرة لاستقلالها. ولكن ارلنده لم تهدأ لها من ذلك الحين ثائرة. وتاريخ ارلنده حافل منذ القرن السادس عشر بأخبار هذه الثورات القومية العديدة التي كان الشعب الارلندي يضرم لظاها من آن لآخر طلباً لحريته واستقلاله، والتي كانت انكلترا تسحقها دائماً بمنتهى الشدة والقسوة. وكانت انكلترا تحكم ارلنده طوال هذه القرون بيد من حديد، ولكن لم تفلح قط في كسب محبة الشعب الارلندي أو التأثير في عواطفه الوطنية وصرفه عن طلب استقلاله.

ولما رأت السياسة الانكليزية بعد عدة قرون أن وسائل الشدة فشلت نهائيا في حكم هذا الشعب العريق في وطنيته واستقلاله جنحت الى نوع من اللين والمودة. وفي سنة ١٨٠٠، أصدرت الحكومة البريطانية قانون الاتحاد الارلندي، وبمقتضاه اعتبرت ارلنده جزءاً من «المملكة المتحدة» (بريطانيا العظمى) تمثل في البرلمان البريطاني بثمانية وعشرين عينا وأربعة أساقفة، ومائة عضو في مجلس العموم. وتدفع ارلنده للخزينة البريطانية مبلغاً معيناً. ولها حرية التجارة، وحرية الاحتفاظ بنظمها القضائية والتنفيذية الخاصة. وكان لهذه الخطوة أثرها في تهدئة الشعب الارلندي. ولكن الحركة الاستقلالية لبثت قوية تتحين فرص العمل. ولم يصف قط كدر العلائق بين بريطانيا وارلنده. على أن حركة قومية جديدة معتدلة ظهرت: قوامها المطالبة بالحكم الذاتي أو الحكم الداخلي لارلنده (Home Rule) وقويت هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر بقيادة الزعيم الوطني بارنل، وغلب هذا الاتجاه في الحركة الوطنية الارلندية حيناً. وحاول حزب الاحرار أن ينتهز هذه الفرصة المعتدلة لتحقيق الاماني الارلندية وكسب صداقة الشعب الارلندي، فقدم غلادستون رئيس الحكومة يومئذ الى البرلمان مشروع الحكم الذاتي الارلندي، ولكنه رفض مرتين (سنة ١٨٨٦ و ٩٣)، وعاد الاحرار لاستئناف السعي قبيل الحرب، فقدم مستر اسكويث رئيس الوزارة مشروع الحكم الذاتي الارلندي وصودق عليه سنة ١٩١٤. ولكن نشوب الحرب الكبرى حال دون تنفيذه. وهنا تبدأ مرحلة جديدة في حركة الاستقلال الارلندية

٢

وفي بداية الحرب بذل الزعماء الارلنديون وعلى رأسهم (جون ردموند) كل جهد لمعاونة بريطانيا العظمى، وتطوع كثير من الارلنديين في الجيش البريطاني. ولكن الاحقاد القومية القديمة مالبثت ان اضطرمت، ووثبت الحركة الاستقلالية مرة أخرى، وقامت ثورة ارلندية جديدة في سنة ١٩١٦ — كان مدبرها حزب «السين فين» الجمهوري الذي أسس قبل ذلك بقليل ليعمل على استقلال ارلنده، فاخمدها الانكليز بشدة، وفي نهاية الحرب توفي جون ردموند، فزادت علائق البلدين سوءاً واضطراباً، وقامت

الجمعيات السرية الاستقلالية فى جميع انحاء ارلنده ، وبرز حزب السين فين فى الطليعة

وهنا نقف قليلا للتعريف بحزب السين فين هذا الذى غدا روح الحركة القومية الارلندية ، وكتب لنفسه فى سير الجهاد الوطنى صحفا خالدة . ففى سنة ١٩١٥ أسس فريق من الزعماء الارلنديين حزبا أو هيئة وطنية جمهورية باسم « السين فين » (Sin Fein) ومعناها « نحن فقط » : وغايتها تحرير ارلنده تحريرا مطلقا ، وفصلها عن بريطانيا العظمى فصلا تاما . وكان شعار هذه الحركة منذ البداية الجرأة ، والتضحية . فأعلن « السين فين » انهم « الحكومة المؤقتة للجمهورية الارلندية » وانشأوا قوة وطنية اطلق عليها « المتطوعة الأرلنديون » ونظموا ثورة سنة ١٩١٦ . ولبث « السين فين » اثناء الحرب يناصبون بريطانيا العداء . ولكن انكلترا استمرت اثناء الحرب تحكم ارلنده بمنتهى الشدة ، وتطارد الحركة القومية بمنتهى العنف . ولكن دعوة « السين فين » مازالت تزداد قوة وانتشارا حتى عمت سواد الشعب الارلندى . وظهرت قوة الحركة فى انتخابات سنة ١٩١٨ إذ سقط معظم الزعماء القدماء انصار فكرة التوفيق والحكم الذاتى ؛ وفاز السين فين فوزا باهرا . ورأت السياسة البريطانية نفسها فى مأزق حرج لأن السين فين رفضوا مشروع الحكم الذاتى بقوة وتمسكوا بالاستقلال التام ، وانشأوا « حكومة الجمهورية الارلندية » و« البرلمان الارلندى الوطنى » .

وهنا تدخل المسألة الارلندية فى طور جديد ، وتضطر السياسة الانكليزية مرة أخرى للبحث عن سبيل لارضاء ارلندة ، أو بعبارة أخرى لتخدير حركتها القومية . وكان الحكم يومئذ مايزال فى يد الاحرار ، وهم الذين سعوا الى حل المسألة الارلندية بمنح الحكم الذاتى لارلنده . ففى سنة ١٩٢٠ اتخذت الحكومة البريطانية برآسة لويد جورج فى المسألة الارلندية خطوتها الجديدة فاصدرت « قانون الحكومة الارلندية » بمنح الاستقلال الذاتى لارلنده الجنوبية واستثنيت ألستر أو ارلنده الشمالية لاختيارها البقاء مع بريطانيا العظمى .

ولكن السين فين رفضوا هـذا القانون ورفضه البرلمان الارلندى الوطنى (الديل ايران) (Dail Eireann) بقوة واضطرمت ارلنده بثورة جديدة ، وشهر السين فين على انكلترا حربا عنيفة ، ونظموا العصابات المسلحة فى انحاء ارلندة ، وتوالت حوادث الفتك والاغتيال على كبار الانكليز والموالين لهم فى ارلندة ، وابدى رجال السين فين بسالة وتضحية نادرتين . وقابل الانكليز الاعتداء بمثله وارتكبت حوادث قسوة عديدة ، وهلك من الفريقين فى تلك الحوادث عدد من الزعماء والرجال البارزين . ولم تبد الحركة الارلندية قط بمثل هذا العنف ، ورأت الحكومة البريطانية رجالها وجندها يسقطون تباعا فى ارلنده . ورأى فريق من الزعماء الارلنديين ان العنف صائر بالبلاد الى الخراب والدمار ، فاتفق الفريقان بعد نحو عام من تلك الحرب المضطرمة على عقد هدنة يحاولان خلالها التفاهم والمفاوضة ، فهدأت البلاد حينا ، وعقدت عدة مؤتمرات للمفاوضة بين ممثلى السين فين وممثلى انكلترا ؛ وانتهت فى ديسمبر سنة ١٩٢١ بعقد معاهدة عرفت بمعاهدة لندن : وبمقتضاها اعترفت انكلترا باستقلال ارلنده الجنوبية ومنحها نظام الدومنيون (الاملاك المستقلة) مع احتفاظ بريطانيا ببعض رسوم السيادة على ارلنده : كفرض يمين الطاعة للعرش ، وجعل استئناف الاحكام النهائى امام مجلس الملك الخاص ، وتعيين حاكم يمثل التاج . ووافق البرلمان الارلندى (الديل) على المعاهدة فى يناير سنة ١٩٢٢ ، ولكنها لم تصادف قبولا من الجناح الجمهورى المتطرف الذى يقوده الزعيم « دى فاليرا » ، فرفض المعاهدة واستقال دى فاليرا من رآسة البرلمان احتجاجا عليها ، فخلفه أرثر جريفيث فى رآسة البرلمان وأتم مع زميله ميخائيل كولنس المفاوضات مع انكلترا . وعلى أثر عقد المعاهدة أنسحبت القوات البريطانية من ارلندة الجنوبية ، واقيمت حكومة مؤقتة برآسة ميخائيل كولنس ، وقامت دولة ارلنده الحرة طبقا لنصوص المعاهدة . واجريت فى يونيه انتخابات جاءت باغلبية فى صف المعاهدة ، ولكن الجناح الجمهورى المتطرف لبث على موقفه يعارض المعاهدة بكل شدة ، ودب الخلاف فى صفوف « السـين فين » ، وأخذ كل فريق يرمى الآخر بالمروق والخيانة ، واستعملت الحكومة الجديدة العنف فى قمع خصومها ، فرد هؤلاء بالعنف والعدوان ، واغتيل كولنس فى اغسطس وتوفى جريفيث قبله بايام ؛ فتولى الزعيم كوزجريف رآسة الحكومة ؛ وشدد على الجمهوريين ووضع الدستور الارلندى الجديد فى دائرة معاهدة لندن ؛ ونص على ان الشعب الارلندى هو مصدر جميع السلطات ، وعلى ان البرلمان قوامه الملك ومجلسان هما « الديل » ومجلس الشيوخ ، وعلى ان اللغة الارلندية (الجايلقية) هى لغة الدولة . وانشىء جيش ارلندى وطنى . وعين الزعيم الارلندى هيلى حاكما عاما (ثم خلفه الزعيم ماكنيل) ليمثل حقوق التاج

— ٣ —

استطاعت السياسة البريطانية ان تجعل من المعاهدة الارلندية اداة لتمزيق الحركة القومية الارلندية ، وشطر السين فين الى

فريقين خصيمين وفق ماقدمنا ، ولبث فريق الاغلبية وهو الجناح الذى قبل المعاهدة وعمل لتنفيذها قابضا على ناصية الحكم بزعامة مستر كوزجريف رئيس الحكومة الارلندية مدى اعوام ؛ ولبث فريق الأقلية بزعامة مستر دى فاليرا موضع الاضطهاد والمطاردة ، وسارت دولة ارلنده الحرة فى الطريق الذى رسمته معاهدة لندن ، والتحقت بعصبة الامم منذ سنة ١٩٢٣ . ولكن حزب السين فين الجمهورى لم يفتر عزمه ولم يتحول عن سياسته ، وكان الاضطهاد الذى يلاقيه من عوامل تقويته وازدياد انصاره ، وجاءت انتخابات سنة ١٩٢٧ مؤيدة لقوته ونفوذه ، فنالت الحكومة فيها أقلية ، ونال الجمهوريون اغلبية ، ولكن الرئيس كوزجريف استطاع ببعض التدابير السياسية والبرلمانية أن يحتفظ بالحكم اعواما أخر . وفى فبراير سنة ١٩٣٢ حصل الجمهوريون على اغلبية جديدة ؛ فانسحب كوزجريف ، واستولى الجمهوريون بزعامة دى فاليرا على الحكم ؛ وبدأ عهد جديد من النضال الرسمى بين انكلترا وارلنده هو الذى نشهده اليوم .

ويجب ان نذكر كلمة عن دى فاليرا زعيم ارلنده الحالى . فقد ولد ايمون دى فاليرا سنة ١٨٨٢ فى نيويورك من اب اسبانى وأم ارلندية ، ودرس فى معاهد ارلنده ، وتخصص فى العلوم الرياضية ونال عدة اجازات جامعية ، وتولى التدريس حينا ، ثم انتظم فى الحركة الوطنية وخاض غمار السياسة ، وانضم الى حزب السين فين ، وظهر فى زعامته بسرعة ، وكان من زعماء ثورة سنة ١٩١٦ ؛ فأسر وقضى عليه بالاعدام وخفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة . ثم أفرج عنه عند صدور العفو العام فى سنة ١٩١٧ وعاد فتزعم حركة السين فين واصبح قائدها ورأسها المدبر ، وانتخب رئيسا « لجمهورية ارلنده » فاعتقل ثانية ، ثم فر فى سنة ١٩١٩ الى امريكا وعاد بعد عامين الى ارلنده ، واشترك فى مفاوضات معاهدة لندن ، ولكنه لم يقبل النتائج التى انتهت اليها ؛ وشهر الخصومة على المعاهدة منذ عقدها ؛ واعلن الثورة على دولة ارلنده ؛ فقبض عليه فى اغسطس سنة ١٩٢٣ ؛ وافرج عنه بعد عام ؛ فعاد الى النضال السياسى ، ودخل برلمان سنة ٩٢٧ على رأس كتلة جمهورية قوية ، وتولى رياسة الحكومة الارلندية منذ اوائل سنة ١٩٣٢

وابدى دى فاليرا منذ قبض على ناصية الحكم عزمه على تنفيذ البرنامج القومى الجمهورى ، وخلاصته العمل على تحقيق الاستقلال التام لارلنده الموحدة فى ظل النظام الجمهورى ؛ والغاء كل مافرض عليها من رسوم التبعية البريطانية . ذلك لأن معاهدة لندن شطرت ارلنده الى شطرين : ارلنده الشمالية أو ألستر واعمالها ، وقد بقيت فى حوزة بريطانيا العظمى ؛ ويبلغ سكانها مليون وربع نسمة : وتشمل اغنى بقاع ارلنده وبها أهم المراكز الصناعية وهى بروتستانتية المذهب . وارلنده الجنوبية وهى التى تناولتها المعاهدة وجعلتها دولة حرة ؛ ويبلغ سكانها ثلاثة ملايين ؛ وهى بلد زراعى ؛ وتسودها الكثلكة . فمعاهدة لندن تمزق الوحدة الارلندية فى الواقع . ولكن يرد على ذلك ان ارلندة الشمالية قد استعمرها الانكليز منذ بعيد وهى تود البقاء بجزء من المملكة المتحدة ، وهذا مالا يسلم به الشعب الارلندى

واما فروض التبعية البريطانية التى يراد الغاؤهـا فهى : (١) يميـن الولاء والطاعة للتاج البريطانى (وقد الغى ، بالفعل بقانون اصدرته حكومة دى فاليرا) و (٢) استئناف احكام المحكمة الارلندية العليا الى مجلس الملك الخاص و (٣) حق الحاكم العام فى تحديد الابواب التى تنفق فيها الاموال العامة ، وحق التصديق على القوانين . واخيرا يراد الغاء الديون الزراعية التى تلزم ارلنده بادائها لانكلترا ، وتراها ارلنده ظالمة مرهقة ولا يحق اداؤها لان الاراضى التى تؤدى عنها ملك للشعب الارلندى

وقد شهدنا الفصل الاول من هذا النضال الذى تشهره اليوم ارلنده على بريطانيا العظمى حينما قدم دى فاليرا قانون الغاء يمين الطاعة الى البرلمان الارلندى ، وامتنع عن اداء الاقساط الزراعية وقام بين البلدين من جراء ذلك جدل سياسى عنيف ؛ واتخذت بريطانيا اجراءات اقتصادية شديدة ضد ارلنده ؛ وعمد دى فاليرا الى المثل بالمثل . واليوم نشهد فصـلا آخر ؛ فان دى فاليرا يريد اعلان الجمهورية فى ارلنده ؛ وقد وجه بالفعل مذكرة رسمية بذلك الى الحكومة البريطانية يطلب فيها ايضاح موقفها فيما لو تم هذا الاجراء ، فردت عليه الحكومة البريطانية بانها لا ترى ابداء الرأى فى احتمالات لم تقع وتستبعد وقوعها لأنها تكون خرقا للمعاهدة المعقودة

ولكن دى فاليرا ماض فى طريقه ، مصر على سياسته ، وان كان يجد معارضة لهذه السياسة من فريق كوزجريف ، وفريق الجنرال « أو دوفى » (القمصان الزرقاء) اذ يخشيان عواقب هذا العنف على مصاير ارلنده ومصالحها الاقتصادية ، وهذه المصالح أشد ما تكون ارتباطا ببريطانيا العظمى وتوقفا عليها .

فهل ينجح دى فاليرا فى تحقيق برنامجه القومى المتطرف ، وانشاء ارلنده الجديدة مطلقة الاستقلال والحرية فى ظل النظام الجمهورى ؟

هذا ما سيكشف المستقبل القريب عنه .

ذات القميص الأزرق

أو

فتاة الريف

عيني على رمانتيْ صدر ! أو مهجتي يا عين لا أدري

يا للبروز أدقّ ماوجبــا ! يا للحجاب أرق ماحجبا !
أفذاك غصن أثمر العجبا ؟

أم أنتِ يا قروية تسرى مثل النسيم على قرى مصر

هـــذا جمالكِ صنعة الله آه لفتنـــة سحره آه !
ياسمرةً في وجهكِ الباهي !

سحرت عيون البيض والسمر وهفا الجميع للونك (الخمرى)

هذا قوامكِ يا ابنة الريف أخزى قدود الخُرّد الهيف
في اسكندريةَ أو بني سويف

أو في (الزمالك) أو على الجسر والنيل تحت عيوننا يجرى

هـــذا قميصك ساذج حال لون السماء بلونه العـــالى
عند الضحى أو في الدجى الخالي

بنت الطبيعة أنت والدهر والشمس والجنات والنهر

أغرى قميصك فنّ (مختار) فبرزت فيه بثوبك العارى
يمناكِ توقظ ذلك الضارى

بو الهول كان كمغْرَق البحر فاذا بكفك طلسم السحر

ما عبقرية حسنك البادي ! شبه المهـــاة وأنت في واد
تصحين قبل الطائر الشادى

وعلى ضفاف الترعة الخُضْر تردين بين عرائس الفجر

لو تعلمين لكدت تلقينا شغفاً بنفسكِ بين أيدينـــا
كالورد يختنق الرياحينا

والاختُ عند مغيب القبر ألقت بروعة ذلك الصدر

لكننا نهفو اليك هوى لا الطرف زاغ ولا الفؤاد غوى
يا للجوى ان كان ذاك جوى !

أو بالصّون الطرف عن عهر ! حاشا لنا وحيائك العذرى

يابنت (قاسم) حيثما كنتِ أنت الوحيدة بنته أنتِ
ماعز قط سواكِ من بنتِ

لم تسفرين وانت كالبدر ؟ ! علّمت حتى ربة الخِـــدر

ماذا أصابك حين أسفرت ؟ جارت عليك الارض أم جرت
أم من سفورك قد تأخرت ؟

أم أخرتكِ طبيعة الخير ؟ وغريزة في العيش كالطير

ياأختُ أين شعاعكِ الماضى ؟ وحمية خلقت لانهاض ؟
لم يبق منها غير أنقاض

من أطفأ اللهب الذى يسرى في الليل مثل محلّق النسر ؟

أيزيس أنتِ وأنتِ نفرتيتى لكِ في ذرا التاريخ ماشيتِ
ياجنوةً من غير كبريتِ

دفنوكِ تحت ركائم الغمر حتى نسينا حرةَ الجمر

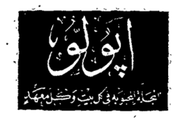
ياأختَ هبّى فانفضى عنكِ رجماً أحالكِ حالة الضنكِ
سيبث في أرواحنا منكِ

فاذا أعيدت شعلة الصدر فهناك حقّت ليلة القدر

كونى فتاة الغاب والاسدِ يابنت مصر الروح والجسدِ
وتضرّمي فينا الى الابد

شعلاً تفك سلاسل الاسر وتنير فوق الكوخ والقصر

قليوب ابراهيم ابراهيم على الحمامى



أمريكا بين الحظر والاباحة

فى اليوم الخامس من هذا الشهر ختمت فى أمريكا تلك المحاولة الخطيرة التى أطلقوا عليها بحق اسم « التجربة النبيلة » : أى محاولة تحريم الخمور فى جميع الولايات المتحدة بأمريكا ، والآن ونحن نشهد ختام هذه التجربة يجمل بنا ان نقف لحظة لنفكر فى أمرها ، كيف بدأت وكيف انتهت ، فاننا ونحن نعيش فى اقطار اسلامية يحرم دينها شرب الخمر ويحظر بيعها وشراءها ، لا يجوز لنا ان نمر بهذا النبأ الخطير كأنه أحد الانباء العادية . بل يجمل بنا ان ننعم النظر فيه قليلا .

ليست الولايات المتحدة دولة كسائر الدول ، بل يميزها أمور عديدة : منها حجمها الهائل ، فانها تكاد تعدل أوربا فى المساحة . وهى وحدها عالم قائم بذاته . ثم سكانها ، وهم يربون على مائة وعشرين مليونا من الناس ، أكثرهم يمت الى أصل سكسونى ، ولكن بينهم جماعات كبيرة من الاسكندناويين واللاتين والسلاف وخليط من شعوب الارض جميعا ، هذا عدا الزنوج الذين يزيدون على عشرة الملايين ، وقد جىء بهم فيما مضى عبيدا لكى يعملوا فى الحقول ، ثم أصبحوا اليوم أحرارا ، لهم من الوجهة النظرية ، ما لغيرهم من الحقوق .

ثم هنالك أمر آخر يميز نظام الحكم فى الولايات المتحدة ، وهو أن لكل من الثمانى والاربعين ولاية التى تتألف منها الدولة نصيبا كبيرا من الاستقلال الداخلى ، ولهذا كان فى الولايات المتحدة دائما سلطتان : السلطة المحلية ومركزها عاصمة كل ولاية ، والسلطة الاتحادية ومركزها واشنطون . وهى التى تدير الامور التى تهم الدولة كلها . ونظرا لحرص كل ولاية من الولايات على حقوقها واستقلالها ، فان دستور امريكا يوضح تماما ما هو داخل فى اختصاص الحكومات المحلية ، (State govt.) وما هو داخل فى اختصاص الحكومة الاتحادية (Federal govt.)

كل هذا لا بد لنا من تذكره كى نستطيع ان ندرك الصعوبة التى كابدتها حكومة أمريكا من أجل تنفيذ قانون التحريم . فان هذا القانون بقى حبرا على ورق ، لان معاقبة المجرمين من أجل جرائم التهريب والاتجار فى الاشياء المحرمة كان من اختصاص كل ولاية وليس من اختصاص الدولة . وهذا يفسر لنا ان مجرما خطيرا مثل آل كابونى لم تستطع الدولة أن تحاكمه من أجل الجرائم العديدة التى ارتكبها فى سبيل تجارة الخمور المحرمة ، بل حاكمته من أجل تقصيره فى دفع ضريبة الدخل . اذ كان من اختصاص الدولة ان تحاكمه من أجل هذا الجرم الخفيف نسبيا ، لا من أجل الجرائم الكبرى التى هى من اختصاص الولاية .

ولا بد لنا أن نتساءل عن المؤثرات والقوى التى دفعت بالولايات المتحدة نحو التحريم ، اذ ليس من السهل أن نفهم هذا الانقلاب الهائل فى الرأى العام ، فان الامة التى نادت بالحظر الشديد فى سنة ١٩١٩ هى بعينها التى تنادى اليوم بالاباحة . ان هذا القانون لم يفرضه الحكام على الناس فرضا ، بل لقد فرضته الامة على نفسها بعد انعام النظر وطول التجربة . وقد كانت فى الولايات المتحدة قوى كثيرة تعمل بنشاط لتحريك الرأى العام وتحويله نحو التحريم . وهذه القوى كانت موجودة دائما تنتظر الفرصة الملائمة ، وكان لها تأثيرها قبل سنة ١٩١٩ . ونرى هذا واضحا فى أن أكثر من الثلاثين ولاية قد حرمت الخمر من تلقاء نفسها قبل سنة ١٩١٩ . ولكن هنالك فرق كبير بين أن يحرم الشىء فى كل ولاية على حدة ، وبين أن يحرم بقانون من الدولة ؛ ففى الحالة الاولى تراعى كل ولاية مصلحتها الخاصة ويسهل عليها تعديل والغاء الاحكام ، ويمكن لمن لا يرضيه قانون الولاية أن ينزح الى ولاية مجاورة (وهذا هو الحال مثلا فيما يتعلق بقانون الطلاق) . أما قانون الدولة فيفرض على جميع الولايات بمجرد موافقة ثلثيها . فيفرض على الراغبين والكارهين على حد سواء ، ويصبح كل فرد ولا مفر له من الاذعان أو العصيان ، ثم تجرد جميع قوى الدولة لتنفيذ هذا القانون بكل ما تقدر عليه الدولة من الشدة والصرامة .

ولهذا كله فان تحريم ثلاثين ولاية للخمور لم يكن له تأثير ذو شأن ، ولكن التحريم فى الدولة كلها كان حادثا ذا شأن خطير .

كان أهم الراغبين فى التحريم رجال الصناعة فى الشمال ، ورجال الزراعة فى الجنوب . فالاولون — ويمثلهم المستر هنرى فورد — قد رأوا أن الخمر تذهب بقوى العمال وتضعف صحتهم وتقلل من جهودهم ، فلا يستطيع صاحب المعمل ان يحصل من عماله على الجهود التى يرجوها فى مقابل الاجور التى يدفعها . أما أصحاب الزراعة فى الجنوب فيعتمدون فى زراعتهم على الزنوج ، وهؤلاء كانت تذهب الخمر بألبابهم وتقعدهم عن العمل ، وتتركهم فى حالة زرية . والزنجى أقل قدرة على ضبط نفسه والوقوف فى الشراب عند حد . وكان هنالك غير هؤلاء جماعات من محبى الخير الذين يكرهون الخمر لذاتها ، ويريدون أن يخلصوا الناس من شرورها ، مؤمنين بأن

فى هذا رفعا لشأن بلادهم ، وإعلاء لكلمتها : ويمثل هذه الجماعة المستر جون ركفلر الصغير وزمرته . وقد انتشر فى الولايات المتحدة قبل التحريم نوع من الحانات أطلقوا عليه اسم الصالون (Saloon) قد أصبح على مضى الزمن بؤرة فساد وموبقات . وقد كبر بغض الناس لهذه الصالونات حتى دفعهم الى المطالبة بالتحريم . مع أن ابطال هذه الاماكن قد لا يستدعى هذا العلاج الصارم .

بذلت هذه الجماعات كلها جهودا جبارة ومالا كثيرا من أجل استمالة الرأى العام . وساعدتهم الحرب العامة التى استدعت تحريم الخمر فى بعض الولايات ، والتقليل من شربها فى البعض . وتم لهم النصر فى يناير سنة ١٩١٩ حين حرمت الخمر فى جميع الولايات باجماع ٤٦ ولاية من الثمانى والأربعين التى تتألف منها الدولة ، وحرم بيعها وصنعها والاتجار بها واستحضارها من الخارج . وجهزت الدولة جيشا هائلا وأسطولا قويا لتنفيذ هذا القانون : الذى أعطى شكل تعديل فى الدستور وأطلق عليه اسم التعديل الثامن عشر ، ومن الغريب أن دستور الولايات المتحدة لم يعدل يوما بمثل هذا الاجماع وهذا الاقتناع وتلك الأكثريات الساحقة .

لقد وصفت الولايات المتحدة بأنها معمل هائل للتجارب الاجتماعية ، ولكن لا يعرف فى تاريخ العالم كله تجربة اجتماعية ضخمة كهذه التى أقدمت عليها أمريكا فى تلك السنة . فان المعمل الذى أجريت فيه هذه التجربة ليس بلدا صغيرا كفنلنده ، بل دولة مساحتها تزيد على ثلاثة الملايين من الأميال ، وسكانها يربون على المائة والعشرين مليونا مختلفى الجنس والثقافة والميول . وان البلاد الاسلامية نفسها وهى أولى من أية بلد فى العالم باجراء مثل هذه التجربة لم يعرف عنها يوما أنها حاولت بذل مثل هذا الجهد فى أى عصر من العصور من أجل تنفيذ أحكام الشريعة .

ولهذا دهش العلم كله يوم أقدمت الولايات المتحدة حرة مختارة ، على هذه التجربة الخطيرة . واننا اليوم – وقد أصبحنا عقلاء بعد ان وقعت الواقعة – نستطيع أن نقول إنه كان الافضل ان تترك مسألة الاباحة والتحريم الى كل ولاية تتصرف فيها بما تشاء بدلا من أن تصبح مسألة الدولة باجمعها ، ولكن فى سنة ١٩١٩ لم يكن من شك فى ان أكثرية الامة فى جانب التحريم . وقد أقدم نحو ثلاث وثلاثين ولاية على تحريم الخمر

على كل حال سارت التجربة فى طريقها اول الامر . وانظار العالم كله تتطلع الى أكبر دولة فى العالم ، وهى تحاول أكبر تجربة اجتماعية فى التاريخ . وكان الكثير من الناس يبدى عطفه على أمريكا وكأنما الكل واثق من نجاح التجربة فى النهاية برغم ماقد تلاقيه من الصعوبات ، وجعل بعض المصلحين يحلمون بأن سنة التحريم ستنتشر من الولايات المتحدة الى سائر الاقطار

ولكن كانت هنالك قوى تعمل للشر ، وان لم يتوقع أحد أن سيكون لها كل هذا الخطر ، فنهضت هذه القوى الشريرة لتنظيم الاتجار بالخمور بكافة أنواعها : بما قد يصنع خلسة فى داخل البلاد أو يستورد من الخارج . وسرعان ما أنشئت أساطيل لاعمل لها غير هذه التجارة المحرمة ؛ واتسع نفوذ هذه الجماعات حتى أصبح لها نفوذ كبير – بل أحيانا النفوذ الأكبر – فى كل ولاية ، حتى لقد كانت لها الكلمة النافذة فى تنصيب رجال الحكم . وانتشر الاجرام بين هذه العصابات ومن يعترضها فى أعمالها ، وكذلك فيما بين العصابات المتنافسة نفسها ؛ وأصبح أمرها حديث النوادى والصحف وموضوعا للصور السينمائية ؛ وبطريق العدوى تجاوز الاجرام دائرة تجارة الخمور ، الى الاجرام فى نواح أخرى كالاختطاف والسلب والنهب وما الى ذلك .

بات من الواضح للعالم كله أن تلك التجربة الهائلة قد فشلت فشلا تاما . فان الحصول على الخمر برغم التحريم كان أمرا فى غاية السهولة ، ولئن كانت الحانات القديمة (الصالونات) قد أغلقت ، فقد نشأ مكانها حانات خفية أشد خطرا وأكثر وزرا . وهذه أطلقوا عليها اسما غريبا وهو (Speakeasy) . ويؤكد أكثر الكتاب أن شرب الخمر فى زمن التحريم كان أوسع انتشارا مما كان عليه قبل التحريم .

ولكن برغم فشل التجربة الذى كان واضحا لكل ذى عينين ، بقى فى الولايات المتحدة جماعات كثيرة تنادى باستمرار التحريم ، وبتشديد المراقبة والضرب على أيدى المجرمين . غير أن هذه الجماعات أخذت تضعف على مضى الزمن . حينما انتشرت فى طول البلاد وعرضها جرائم منكرة من نوع اختطاف طفل لندبرج ، فأيقن الناس أن التحريم قد أوقع البلاد فى حال من الفوضى والاختلال هى شر من الخمر التى أريد تحريمها .

ومن أكبر مظاهر التحول فى الرأى العام ، ذلك الخطاب الشهير الذى كتبه المستر جون ركفلر الصغير فى صيف سنة ١٩٣٢ يبدى فيه أسفه الشديد لانه – وهو من أكبر دعاة التحريم – مضطر الى الاعتراف بأن التجربة النبيلة قد فشلت فشلا محزنا .

وهكذا أخذ الرأى العام يتحول حتى استطاع المستر فرانكلين روزفلت أن يستميل الأمة الى صفه ، حينما أعلن فى شجاعة وصراحة أن من مبادئه الغاء التحريم . ومنذ انتخب للرآسة فى أوائل هذا العام وهو يسير بالبلاد نحو الألغاء حتى تم له فى أوائل هذا الشهر ما أراد ، بأن حصل على موافقة ست وثلاثين ولاية على الغاء التعديل الثامن عشر .

* * *

والآن وقد انتهى التحريم ، فما عسى أن يكون المستقبل ؟

ان الذين نادوا بالغاء التحريم ، لم يفعلوا ذلك لرغبتهم فى شرب الخمر وحبهم لها ؛ بل ان أكثرهم قد فعل ذلك أملا فى أن الاباحة تقضى على تلك الشرور التى ولدها التحريم . فتنتهى بانتهائه . ولكن من الصعب أن يتنبأ المرء بشيء . فان بضع عشرة سنة تقضيها عصابات الاجرام فى نشر الاجرام والفساد فى جميع انحاء البلاد ، لا يتصور أن تنتهى آثارها فى عشية أو ضحاها . ومما لاشك فيه أن البلاد اليوم فى حال انتقال شديد الخطورة ، فقد تفيق بسرعة من تأثير هذه السنين العصيبة ، وقد تبقى تحت ظلها القاتم زمنا طويلا ، خصوصا اذا ذكرنا أن عدد الذين يشربون الخمر قد ازداد ولم ينقص اثناء التحريم . وأن الاباحة الجديدة لابد أن تودى زمنا ما الى الاسراف فى أمر محبوب كان ممنوعا فأصبح مباحا . ومن غير شك ان الحكومة تعزى نفسها بأنها ستجنى من الاباحة ضرائب تقدر بنحو خمسمائة مليون دولار (أى نحو مائة مليون جنيه) .

على كل حال لا يستطيع المرء أن يملك نفسه من الأسف الشديد على فشل هذه التجربة الشريفة التى لم تكن ترمى إلا الى أشرف المقاصد وأسماها وهو إعلاء شأن الانسان وإسعاده .

م . ع . م

تصحيح

جاء فى قصيدة (شهيدا الطيران) المنشورة فى العدد الماضى قوله : (واشهدوا الانسر تهوى للقرار) والصواب للغزاء) وقوله : (فدية لو صح فى الموت الفرار) . والصواب : الفداء

وحدة الوجود ...

كثير من المناحى الفكرية ، والمذاهب العقليـــة ، والطرائق الرياضية ، ترمى إلى « وحدة الوجود » وكلها تتباين فى طرق التفكير ، ونهج الفلسفة ، ولكنها متفقة مجمعة على حقيقة واحدة ؛ تلك الحقيقة هى أنه بين غير المتناهى والمتناهى علاقة يتأدى بها الى اتحاد الطرفين

وكما اتفقت تلك الفرق فى اختلافها على هذه الحقيقة . اتفقت فى وجهة النظر التى سارت بهم على ضوء المقدمات حتى انتهت بهم الى هذه النتيجة ، فهم متحدون فى المصدر والمورد مختلفون فى الطريق الذى بينهما

فالكثرة الغالبة من فلاسفة الصوفيين فى الاسلام يعتبرون أن الحق موجود قبل كل موجود « وهذا صحيح » ثم يقولون وقد وجدت الكائنات بعد ان لم تكن ، ولما كان غير معقول أن يوجد شيء من لا شيء لزم بالبداهة أن يكون الوجود هو عين الموجود ، وأن ليس وجود الا وجود الحق يصور أحوال ما هى عليه الكائنات ، فالله ظاهر فى المظاهر ، والمظاهر هو على ما هى عليه

وهذا بعينه هو ما انتهى اليه « هيراكلت » الفيلسوف اليونانى اذ استنتج أن الكائن الألهى يتخلل صور الاشياء المتناهيـــة ، والمتناهى نفسه لا يوجد الا فى الله

وتكاد تكون عين ما وصل اليه « تولاند » أول من أطلق اسم الاتحاد فى أوربا . حيث زعم ان العالم ليس منفصلا عن الله إلا فى وهمنا فقط

وقديما تساءل الناس من اين جاءت الروح ، ومم نشأ الجسم ؟ ثم قالوا اذا كان واجب الوجود غير متناه وجب الا يوجد شيء خارجا عنه ، لان غير المتناهى يستغرق كل موجود

وإذا تقرر أن الأرض وما تتبع ليست إلا مجموعة صغيرة حقيرة من مجاميع لا عدد لها تسير بقانون فى فضاء لا يتناهى

اذا تقرر هذا جاء العقل فقال إن شيئين غير متناهيين لا يوجدان معا ، فاذا كانت الكائنات غير متناهية ، والخالق غير متناه ، وجب أن أحدهما هو الآخر

وعلى ضوء هذا الفكر مشى العقل طفلا يحبو إلى الاتحاد ، فلما أن شب واستطاع أن يمشى على ساق الاعتقاد بافتراض الشك جرى الى المذهب ما استطاع الى ذلك سبيلا

سرى هذا المذهب إلى الاسلام فى القرن الثالث ، ومشت به الفلسفة ممثلة فى اساطين الفكر ، وكبار الصوفيين ، واذ كانت الفكرة جديدة ، وكل جديد — فى الغالب الأعم — منظور إليه بنظرات الخوف والحذر — اذ كانت الفكرة كذلك لقى أصحابها الشيء الكثير من الايذاء فقتل البعض ، ومثل به ، وربما حرقت جثث البعض وهرب البعض إما من زوجوه اولئك المتفقهين، وإما من النظرية ذاتها، وعمد البعض الى الرمز فى الكتابة يعبر به عما يريد فى عبارة مشكلة مطاطة تلين مع التأويل والتخريج، فخرجت فى تآليفهم كثير من المعميات ، يقول بعضهم : جلست عن ابن سبعين من وجه النهار الى آخره ، فجعل يتكلم بكلام تعقل مفرداته ، ولا تعقل مركباته . . .

وغلبت هذه الدندنة فى كتبهم الكبيرة ، فأنت اذا قرأت الفتوحات لابن عربى أو الفصوص مشيت فى سهل وحزن ، ومرت بك مآمن ومجاهل ، ومثل هذين فيما قلنا كثير من كتب رجالات التصوف القدامى

وتبدو هذه الظاهرة قوية فى اشعارهم ، لأن التثريب على البسط والايضاح الذى لا يقبله كله الشعر ، ولهذا عمدوا الى النظم فألقوا فيه بآرائهم ملفوفة رمزية لتقبل التأويل كلما حزبهم من المتفقهة حازب.

لم نستطع ان نتعرف بالضبط متى نشأت ، وحدة الوجود ، إطلاقا ، ولا أين ، أما الكيفية فمنطق الصوفيين فيها أبلج . وقديما كان لوحدة الوجود أثر كبير فى الأديان القديمة - غالبا - فست خرافات الهند القديمة اطرافها مسا رفيقا وشديدا على اختلاف الاساطير بعدا عنها وقربا منها ، وذهب بعض اليونانيين القدماء إلى ان أصل العالم يجب ان يكون مادة لا وصف لها ، ولا تقبل الفناء ، وأشرنا الى قولهم ان غير المتناهى يستغرق كل موجود

وتلك هى بعينها فكرة ابن سبعين ومنطقه القائل : ان واجب الوجود كلى وممكنه جزئى ، ولا وجود للجزئى الا فى كلى ، كما لا يتحقق وجود الكلى الا بجزئياته

ولابن عربى فى الباب تسع وعشرين ومائة «فى ترك المراقبة لا تراقب فليس فى الكون الا واحد العين ، فهو عين الوجود ويسمى فى حالة بالله ويكنى فى حالة بالبعيد

وشعر الصوفية طافح بالوحدة الوجودية منغمس فيها فى تلميح أو تصريح ، ومازال القوم يرددون قول الغزالى - أو ما قيل انه قاله « ليس فى الامكان أبدع مما كان » وقالوا - بعيدا عن التأويل - نعم . لأن المخلوق صورة الخالق وليس أكمل منه تعالى

ووقف لهم جماعة بالمرصاد توفروا على تفنيد أقوالهم ، ومناقشة آرائهم ، ثم التشهير بهم ، والنيل منهم ، وهذا ابن تيمية يعلن عليهم فى الفتاوى حربا شعواء ، وقديما قال «ما أظن الله يغفل عن المأمون لأباحته الفلسفة » ! ! »

عرج قوم بالفلسفة فى أيام العباسيين على الدين وحاولوا أن يوفقوا بينهما ، فرجعوا يحملون عبء الهزيمة ثقيلا ، ومشت وراءهم الحكمة القائلة (سلم وانت أعمى) تلوح لهم ظافرة بهم ، ظاهرة عليهم

وجاء صاحب جلاء العين فكان كابن تيمية فيما أراد وقال ، ثم جاء صالح المقبلى فى كتابه العلم الشامخ فسخر بهم، وفسق كلامهم ، وعراه عن الحقيقة ، وامتدت كلماته اليهم فاصابت منهم مقاتل

أعيا المتصوفون أمرهم فقام الجيلى يقول: « صح لنا هذا كشفا فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر »

وبدهى ان دعوة الجيلى هذه كاذبة ، وإلا فما هذا المنطق يقدمونه بين يدى كل قضية ؟ وماهذه المقدمات التى تتكىء عليها النتائج ؟

على أنهم لم يعدموا نصراء يدافعون عنهم ويدفعون ، وهذا القزوينى يعقد فى كتابه « درر الفرائد » بابا فى ذكر مصطلحات القوم . قال : أتطمعون فى فهم كلامهم وهو انما يعرف بالذوق لا بالمنطق ؟ « من ذاق طعم شراب القوم يعرفه . . » ثم أخذ يفسر رموزهم ، ويستدل عليها فناقض نفسه .

ويقول غلاة المتصرين : إذا ظهر كلام الصوفية خارجا عن ظاهر الشريعة فهو مقول فى حال سكرهم ، والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ؛ فان لم يكن كذلك فلا بد أن يكون له تأويل ظاهر ، فان لم يكن فله تأويل باطن لا يعلمه إلا الله والراسخون .

فأنت ترى أنهم يريدون أن يبرئوهم — إذا كان هناك جرما — على أى حال ، ومهما كانوا ، ولنا عليهم أن نقول لو كان كلام الصوفيين موافقا للشريعة الظاهرة ففيم الرمز وفيم الابهام ؟

وبعد ، فهذا مذهب وحدة الوجود فى أظهر مناحيه ، ولعلى مستطيع أن أعود اليه فيما بعد ؟

طاهر محمد أبو فاشا

١٠٦٠

الشافعي واضع علم أصول الفقه

للاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٢ —

والمروى عن الشافعي : انه قال : انه حمل الى مكة وهو ابن سنتين من غزة أو عسقلان

وفي كتاب « معجم الادباء » لياقوت : « وفي رواية ان الشافعي قال : ولدت باليمن فخافت امي على الضيعة فحملتني الى مكة وانا يومئذ ابن عشر أو شبيه ذلك . » وتأول بعضهم قوله « باليمن » بارض اهلها وسكانها قبائل اليمن ، وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها

قلت : وهذا عندى تأويل حسن ان صحت الرواية والا فلا شك انه ولد بغزة وانتقل الى عسقلان الى ان ترعرع » ج ٦ ص ٣١٨

ويقول ابن حجر في توالي التأسيس ص ٤٩ « والذي يجمع الاقوال أنه ولد بغزة عسقلان ، ولما بلغ سنتين حولته أمه الى الحجاز ودخلت به الى قومها وهم من أهل اليمن ، لانها كانت أزدية ، فنزلت عندهم ، فلما بلغ عشراً خافت على نسبه الشريف أن ينسى ويضيع فحولته الى مكة »

وليس من رأيي التوفيق بين الروايات المتضاربة قويها وضعيفها على هذا الوجه ، فتلك طريقة ليست من التمحيص التاريخي في شيء ، بل يجب تخير الروايات الصحيحة السند التي يرجحها ما يحف بها من القرائن والذي تدل عليه الروايات الراجحة أن الشافعي ولد بغزة ومات فيها ابوه كما مات بها من قبل هاشم جد النبي عليه السلام . ثم حملته امه الى عسقلان وهي من غزة على فرسخين أو أقل . وكان يرابط بها المسلمون لحراسة الثغر منها . وكان يقال لها « عروس الشام » وفي كتاب « أحسن التقاسيم » للمقدسي المعروف بالبشارى : « ان خيرها دافق ، والعيش بها رافق »

وكل هذه الاعتبارات جديرة بأن تجعل الأيم الفقيرة تختارها سكنا لها ولطفلها اليتيم الغريب

فلما بلغ الطفل سنتين وترعرع وأصبح يحتمل السفر حملته أمه الى مكة لينشأ بين قومه من قريش ، ولعلها كانت تريد أن تستعين على تكاليف العيش بما ينال الطفل من سهم ذوى القربى باعتباره مطلبيا (١)

على ان حظ الطفل من خمس الغنائم لم يكن ليرفه من عيشه فنشأ في قلة من العيش وضيق حال . قال الرازى :

« وذكروا ان الشافعي رضي الله عنه كان في اول الزمان فقيراً ، ولما سلموه الى المكتب ما كانوا يجدون أجرة المعلم ، وكان المعلم يقصر في التعليم الا أن المعلم كلما علم صبيا شيئا كان الشافعي رضي الله عنه يتلقف ذلك الكلام ، ثم اذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعي رضي الله عنه يعلم الصبيان تلك الاشياء ، فنظر المعلم فرأى الشافعي رضي الله عنه يكفيه من أمر الصبيان

---

(١) ويظهر : أن أم الشافعي كانت ترى أن تنشئه على الاعتزاز بنسبه والشعور بقوميته ، وقد نشأ الشافعي غير خلو من هذه النزعة حتى لقد اتهم « بالتشيع » ويقول صاحب الفهرست : وكان الشافعي شديدا في التشيع ، وذكر له رجل مسألة فأجاب فيها ، فقال له : خالفت علي بن أبي طالب (ض) فقال له : اثبت لي هذا عن علي بن أبي طالب حتي أضع خدى على التراب وأقول قد أخطأت وأرجع عن قولي الى قوله . وحضر ذات يوم مجلسا فيه بعض الطالبيين فقال : لا أتكلم في مجلس يحضره أحدهم وهم أحق بالكلام ولهم الرياسة والفضل ص ٢٧٩

وذكر ابن حجر في رواية أن الشافعي كان يقول : علي بن أبي طالب ابن عمي وابن خالتي ، وأشار الشافعي بذلك الي أن أم جده الاعلى السائب بن عبيد « الشفاء » بنت الارقم بن هاشم بن عبد مناف وأمها « خلدة » بنت أسد بن هاشم اخت « فاطمة » بنت أسد والدة علي ، ففاطمة أم علي بن أبي طالب خالة لجدتي جدات الشافعي ، فأطلق عليها خالته مجازا (ص ٤٦)

وفي كتاب الانتقاء لابن عبد البر : « قيل للشافعي ان فيك بعض التشيع قال وكيف ؟ قالوا ذلك لأنك تظهر حب آل محمد ، فقال يا قوم ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين) وقال : (ان أوليائي من عترتي المتقون) فاذا كان واجبا على أن أحب قرابتي وذوي رحمي اذا كانوا من المتقين أليس من الدين أن أحب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانوا من المتقين ، لأنه كان يحب قرابته رابه » وله أبيات منها :

(ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي) ص ٩١

ونقل الرازى : أن رجلا قال لابن حنبل : يا أبا عبد الله أن يحيي بن معين وأبا عبيدة ينسبان الشافعي الي التشيع فقال احمد : لا أدرى ما يقولان والله ما رأينا منه الا خيراً ثم قال لمن حوله : اعلموا : أن الرجل من أهل العلم اذا منحه الله تعالى شيئا وحرم قرناءه وأشكاله حسدوه فرموه بما ليس فيه وبئست هذه الخصلة في أهل العلم . ص ٣٤

واذا صح أن الشافعي كان لا يخلو من تشيع فهو لم يكن مسرفا ولا متعصبا وليس أدل على ذلك من أن زوجته كانت عثمانية

أكثر من الاجرة التي يطمع بها منه ، فترك طلب الاجرة واستمرت هذه الاحوال حتى تعلم القرآن كله لسبع سنين . ص ١٥ و١٦ (١)

ويروى عن الشافعي : أنه كان يحدث عن طفولته فيقول : « وكانت نهمتي في شيئين : في الرمي ، وطلب العلم . فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة . وفي رواية من عشرة تسعة ، وسكت عن العلم ، فقال له بعض من كان يستمع اليه : أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي .

ويروى عنه أيضاً : أنه قال : كنت ألزم الرمي حتى كان الطبيب يقول لي : « أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر » تاريخ بغداد ج ٦ ص ٥٩ ، ٦٠

ويظهر : أن حب الرماية لم ينزعه من بين جوانب الشافعي جلال السن وجلال الامامة

« عن المزني قال : كنت عند الشافعي في بهدف ، فاذا رجل يرمي بقوس عربية ، فوقف عليه الشافعي وكان حسن الرمي فأصاب سهاما ، فقال له الشافعي : أحسنت ، وبرك عليه ، قال لي : ما معك ؟ فقلت : ثلاثة دنانير ، فقال : « أعطه إياها واعذرني إذ لم يحضرني غيرها » . توالي التأسيس — ص ٦٧ (٢)

(١) قد كان الشافعي يجيد حفظ القرآن ويكثر من تلاوته وتدبره ، وروي عن الربيع أن الشافعي كان يختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة ، وفي شهر رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل وختمة بالنهار . الرازي ص ١٢٤

ويروى أنه كان يقرىء الناس في المسجد الحرام وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان حسن الصوت في القراءة ، وأخرج ابن عدي من طريق احمد بن صالح قال : كان الشافعي اذا تكلم كان صوته صنج أو جرس من حسن صوته ، وأخرج الحاكم من طريق بحر بن نصير قال : كنا إذا أردنا أن نبكي قال لنا أذهبوا قوموا الى هذا الفتى المطلبي الذي يقرأ القرآن ، فاذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته ، فاذا رأى ذلك أمسك .

وكان واسع العلم بالتفسير حتى قال يونس بن عبد الاعلى : كان الشافعي إذا أخذ في التفسير كأنه شاهد التنزيل ، وكان الشافعي يقول : نظرت بين دفتي المصحف فعرفت مراد الله تعالى من جميع ما فيه إلا حرفين أشكلا علي . قال الراوي : الاول نسيته ، والثاني قوله تعالى : « وقد خاب من دساها » . قال فاني لم أجده في كلام العرب ، ثم قرأت لمقاتل ابن سليمان قال : أنه لغة السودان فان « دساها » أغواها . الرازي ص ١٢٤ ، ١٢٥ وابن حجر ص ٦٠ .

(٢) ويظهر ان الشافعي كان يعرف جياد الخيل ، ولعله كان من فرسانها . وفي كتاب « مفتاح السعادة » لطاش كبرى زادة المتوفي سنة ٩٦٢ هـ « روى عن الشافعي انه قال : رأيت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه ، فقلت له : ما أحسنه ! فقال : هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله قلت : دع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال : انا استحي من الله تعالى ان أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة ، ولم ير مالك راكبا بالمدينة قط » ج ٢ ص ٨٧

قال الشافعي : « لما ختمت القرآن دخلت المسجد اجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة ، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف ، وكنت فقيرا بحيث ما أملك ما اشتري به القراطيس ، فكنت آخذ العظم أكتب فيه وأستوهب الظهور من أهل الديوان وأكتب فيها » — الرازي ص ١٦ (يتبع)

وكان الشافعي متأثراً في خلقه وفي خلقه بالرياضة البدنية التي شغف بها منذ الصغر ، فكان جسمه جسم الرياضيين وكان خلقه خلق الرياضيين : ذكر زين الدين عمر بن الوردي ان ابن الصلاح نعت الشافعي لبعض ملوك الشام فقال : كان رضي الله عنه وجزاه الخير طويلا سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حمراء قانية حسن الصوت حسن السمت عظيم العقل حسن الوجه حسن الخلق مهيبا فصيحا من أذرب الناس لسانا اذا أخرج لسانه بلغ أنفه ج ٢ ص ٣٦٥

ويظهر ان الشافعي كان لا يحب السمن ولا يحسن ظنه في أهله ويروى : انه كان يقول : ما أفلح سمين الا محمد بن الحسن . وتلك مقالة رجل رياضي .

ومن اخلاق الرياضيين العزة والاحتمال والقصد والبر والصيانة وقد كان الشافعي عزيزا صبورا مقتصدا خيرا

وروى عن الربيع أنه قال ، قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي اذا اردت أن تسكن البلد يعني مصر ، فليكن لك قوت سنة ومجلس من السلطان تتعزز به ، فقال له الشافعي يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له . واقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز وما عندنا قوت ليلة وما بتنا جياعا قط

ومما يتصل بذلك ما روي أن الربيع سئل كيف كان لباس الشافعي ؟ قال : كان مقتصدا فيه : يلبس الثياب الرقيقة من الكتان والقطن البغدادي ، وكان ربما لبس قلنسوة ليست مشرفة جدا ويلبس كثيرا العمامة والخف ، وكان لا يأتي عليه يوم لا يتصدق ، ويتصدق بالليل ولا سيما في رمضان ، ويتفقد الفقراء والضعفاء . ابن حجر ص ٦٧ ، ٦٨

وكان شيوخ مكة يصفون الشافعي من اول صغره بالذكاء والعقل والصيانة ، ويقولون لم نعرف له صغيرة . كتاب مرآة الجنان ج ٢ ص ٢١ .

ابيات للمنفلوطي

كان المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي يجلس في جمع من اصدقائه منهم : المرحوم حافظ ابراهيم وامام العبد والشيخ الكاظمي والشيخ منصور ، وكان هذا الشيخ من أشهر لاعبي الشطرنج لا يكاد يبزه أحد وكان مجلسهم في مقهى (كتكوت) (بحي الحسين)

فحدث يوما أن تغلب غلام في الرابعة عشرة من عمره على الشيخ منصور فكانت هـذه الحادثة موضوع تنادر الجماعة مدة طويلة وقد قال كل منهم فيها شعراً فما قاله المنفلوطي هذه الأبيات :

وظبي سقيم الطرف حلو مهفهف * تميت وتحيي كيفما شاء عيناه
يداعب في الشطرنج كل ملاعب * فلا ينثني إلا وقد قتل الشاه
فوالله ما يدري الحروب وإنما * رماه بسهمي مقلتيه فأرداه

في الأدب العربي

الطبيعة في شعر ابن خفاجة

— ٣ —

وصف الآلات والادوات :— كان علينا أن ننتقل بك في هذا الفصل الى وصف الخمر ووصف مجالسها في شعر ابن خفاجة، وأن نريك الطبيعة الماثلة في ذلك النوع من الشعر؛ ولكنا رأينا أن نذكر شيئا عن تشبيهه الآلات والأدوات، ووصـــفه للخيل والذئاب، قبل أن نذكر لك شيئا من أقواله في الخمر، ومن تشبيهه إياها، خوفا عليك من أن تنتشى وتطرب فلا تعود تصغى الينا .

وهو في وصفه السيف والرمح والقوس والكأس والزورق، وفي وصفه للفرس الأشقر، والكلب والأرنب، لا يخرج في كل هذا عن الطبيعة في شيء، ولا يشبه تلك الأدوات إلا بما يماثلها في الطبيعة. فيقول في السيف:

ومرهف كلسان النار متصلت   يشقى من النار أو ينقى من العار

فهو يشبهه بلسان النار الملتمع. ثم يقول:

تخال شـــعلة نار منه طائرة   فى عارض من عجاج الخيل موار

يمضى فيهوى وراء النقع ملتهباً   كما تصوّب يجرى كوكب سار

وهو يشبه قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويقول أيضاً في وصف كأس أهديت اليه :

ومثلك مد يمين النـــدى   [illegible] النظر

بازرق سـالت به صـفرة   كما طرز البرق ثوب السحر

يقول إنه كأس ازرق قد سالت به صفرة فبدا كسماء ابرقت في ليل مظلم

ويقول كذلك في الرمح :

وأسمر يلحظ عن ازرق   كأنه كوكب رجم وقد

يعتمد العين إعتماد الكرى   وينتحى القلب انتحاء الكمد

فان السمرة والزرقة وكواكب الرجم المتوقدة والكرى والكمد كلها صور لأشياء طبيعية، شبه بها عود الرمح الأسمر، وسنانه الأزرق، ولمعانه وقت الطعن

وأجمل ماقاله في وصف الآلة وصفه القوس فهو يقول :

عوجاء تعطف ثم ترسل تارة   فكأنما هي حيـــة تنساب

واذا انحنت والهم منها خارج   فهى الهلال انقض منه شهاب

فلم يخرج في تشبيهها ووصفها عن حيوان الطبيعة وعن افلاكها .

ويقول في صفة كلب وارنب :

واطلس ملء جانحتيه خوف   لأشوس ملء شدقيه سلاح

فهو يشبه الارنب الهاربة امام الكلب بالذئب للتشابه الموجود بين لونيهما، وللتشابه الموجود بين حاليهما، لأن الذئب يهرب من وجه الكلب، ويعبر عن الكلب بالأشوس، وهي حال ضم الجفنين للتحديق والنظر، ويشبه انيابه التي كشر عنها بالاسلحة التي يحملها الصياد .

ويقول في صفة فرس اشقر عليه حلى لألاءة:

بسام ثغر الحلى تحسب انه   كأس اثار بها المزاج حبابا

فهو يشبهه بكأس من الخمر قد مزجت بالماء فبدت صفراء اللون وطفا عليها حباب ابيض

واقرأ هذه المقطوعة في وصف نزهة ركب اليها زورقا :

وانساب بى نهر يعب وزورق   فتحملنى عقرب وحباب

تجلو من الدنيا عروسا بيننا   حسناء ترشف والمدام رضاب

ثم ارتحلت وللسماء ذؤابة   شهباء تخضب والظلام خضاب

تلوى معاطف الصبابة والصبا   والليل دون الكاشحين حجاب

حيث استقل الجسر فوق زوارق   نسقت كما تتراكب الاحباب

لم تستـــبق وكأنها مصطفة   دهم تنازعك السباق عراب

فقد شبه اولا الزورق الادهم بالعقرب لانحناء مقدمه الى الاعلى، وانحناء متوسطه الى الاسفل، وشبه ماء النهر الثائر المائج المزبد بالحباب . ثم شبه ثانية اصطفاف الزوارق باصطفاف الخيل العراب للسباق :

الى هنا انتهى كلامنا عن وصف ابن خفاجة للآلات والأدوات، وقد اريناك تشبيهاته واوصافه التي اتى بها ولم يخرج فيها عن حبيبته الطبيعة التي يرى بها كل ما في الوجود، وكأنه لا يرى في الحياة الا الطبيعة، فلا يتكلم الا عنها ولايشبه الا بها .

فان كان البحترى قد اثر فيه حب علوة الحلبية فقال الشعر الغنائي الرقيق، ورسم الصور الشعرية الجميلة، واخذ في كل هذا على نفسه ألا يبوح باسمها

وسميتها من خشية الناس زينباً   وكم سترت حباً عن الناس زينب

فان ابن خفاجة اثرت فيه الطبيعة فهام بها وأحبها حتى كان يذكرها في شعره واصفاً او متغزلا، صاحياً او نشوان .

وكأنه وهو نشوان اقدر على وصف الطبيعة والتشبيه بها، او كأن حبه لها يهيج فيه قريحته الشعرية حين يجلس الى الشراب

ثم لايرى بدأً من ذكرها لأنه مفتون بجمالها مسحور بمناظرها

أقوال فى الخمر : — يصف ابن خفاجة الخمر ويصف كؤوسها ويشبهها فيتفنن فى التشبيه والوصف، فإذا أردنا أن نقايس بينه وبين ابى نواس فى وصفها، فهو بلا شك دون منزلة ابى نواس. لان ابا نواس يقصد الى الخمر قصداً فينشىء القصيدة على ذكرها ويجعلها موضوعا من الموضوعات الشعرية ؛ ولكن ابن خفاجة فى مقطوعاته التى يذكر فيها الخمر يجعلها احد المواضيع التى ينشىء فيها المقطوعة . فأكثر مقطوعاته الخمرية ينشئها على ذكر نزهة جميلة مع اخوان صدق فى ظلال الادواح يشربون ويسمرون ؛ او على ذكر مجلس اخوان واصدقاء يقرضون الشعر ويصفون فيه مجلسهم واعتكافهم على الخمر ؛ أو يصف الخمر أثناء تغزله. وفى كل مقطوعة من مقطوعاته التى فيها للخمر ذكر لانرى الا البيت والبيتين . قال من وصف يوم أنس وفكاهة :

وجاء بها حمراء اما زجاجها فماء ؛ وأما ملؤه فلهيب

فهو يقول : انها خمرة حمراء كأنها لهيب النار المتوقدة فى كأس كأنه الماء صفاء وشفافية :

ويصف الخمر بيد حبيب له فيقول :

مشمولة بينا ترى فى كفه ماء ، ترى فى خده الحوبا

فهو يقول : انها باردة الطعم لهبوب الشمال عليها كأنها الماء صفاء ، وانه محمر الخدين كأنهما لهيب نار مستعرة ، وقال أيضاً :

فجاءت بحمراء وقادة تلهب فى كأسها كوكبا

فقد شبهها بالكوكب المتوقد وهو يشبه قول ابى نواس :

اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

ويشبهها بالفرس الأشقر فيقول :

وقد جال من كاس السلافة أشقر يسابقه من جدول الماء أشهب

ويقول فى وصفها أيضاً وهو يتغزل :

حيا بها ونسيمها كنسيمه فشربتها من كفه فى دره
منساغة ، فكأنها من ريقه محمرة ، فكأنها من خده

الى هنا لا نري فى وصف ابن خفاجة الخمر وفى تشبيه أياها شيئاً يخرج عن الطبيعة : فقد شبهها بلهيب النار المشتعلة وشبه كأسها بالماء الصافى الرائق ، ثم شبهها بالكوكب المتوقد ؛ ثم شبهها بالفرس الأشقر للونها الأشقر ؛ ثم شبهها وقال انها منساغة فكأنها من ريق الحبيب الخصر العذب ، وأنها حمراء كأنما قد عصرت من خده الوردى.

وأقرأ هذه المقطوعة يداعب بها الساقى الاسود ؛ وانظر كيف يصف الخمر الحمراء والكؤوس البيضاء ، ثم ينبرى فيصف لنا المكان الذى حلسوا به . والوقت الذى شربوا فيه ، ولاحظ اذا شئت تشبيهاته واوصافه التى لا يخرج بها عن مناظر الطبيعة وعن أوصافها :

رب ابن ليل سقانا والشمس تطلع غره
فظل يسود لونا والكأس تسطع حمره
كأنه كيس فحم قد أوقدت فيه جمره

الى أن يقول :

فظلت آخذ ياقو ته واصرف دره
حتى تثنيت غصنا وأصفرت الشمس نقره
وارتد للشمس طرف به من اليقم حسره
يجول للغيم كحل فيه وللقطر عبره

فهو يقول : إن عبداً اسود قام يسقينا منذ طلوع الشمس ، وكأنه وهو يدير علينا الخمر فى كؤوسها الحمراء كيس من فحم قد أوقدت فيه جمرة ملتهبة ، وظللت على هذه الحال أتناول الكأس مملوءة حمراء كالياقوتة وأعيدها فارغة بيضاء كالدرة ؛ حتى تثنيت من شدة السكر كالغصن تثنيه الرياح ، وحتى اصفر لون الشمس وارتد طرفها الى الغروب كما يرتد طرف الناعس من النعاس ، وكانت الغمامة دكناء كأن بها كحل كاحل ؛ وكانت ممطرة كأنها عين باك مستعبر .

وقال ايضا يصف متفرجا . ويصف فى اثناء ذلك الخمر :

وبجر ذيل غمامة قد نمقت وشى الربيع به يد الانواء
ألقيت أرحلنا هناك بقبة مضروبة من سرحة غناء
وقسمت طرف العين بين رباوة مخضرة وقرارة زرقاء
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتى عذراء
حمراء صافية تطيب بنفسها وغنائها وخلائق الندماء

يتبع أدلب عبد الرحمن جبير

من طرائف الشعر

وداع

للشاعر الوجداني الرقيق أحمد رامي

أيها الفلك على وشك الرحيل   إن لي في ركبك الساري خليل
رقرقت عيناي لما   قال لي حان الوداع
وبكى قلبي مما   ذاع في الكون وشاع
غابت الشمس وراء الأفق   ثم ذابت في مسيل الشفق
لهف نفسي! كاد يخبو رمقي
حين حياني حبيبي   وتبادلنا الوداع
وانطوى منه نصيبي   عند تصفيق الشراع

. . .

أيها الفلك على وشك المغيب   قف، تمهل! إن لي فيك حبيب
لا أذوق النوم حتى نلتقي   والضحى يغمر وجه المشرق
فأحييه بقلب شيق
شارحاً وجدي   شاكياً سهدي   في الدجى وحدي
وأناجيه بحبي   بين ضم واعتناق
ناسياً آلام قلبي   طول أيام الفراق

الشعر والشاعر

للدكتور عبد الوهاب عزام

سيدي صاحب الرسالة:

خطرت لي خطرة من الشعر في احدى الليالي منذ سبع سنين فأخذت القلم وكتبت الأبيات الآتية ؛ ثم ألقيتها بين أوراقي. وكنت أقلب أوراقا منسية منذ أيام فعثرت عليها، وتذكرت اذ ذاك قوله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ». فأردت أن أحمل صاحب الرسالة تبعتها، فأرسلتها اليه، وله الخيار أن يئدها كما كانت، أو ينشرها:

هو وحيٌ في شعاع القمر   يملأ القلب ضياء وسلاما
أو حديثٌ في حفيف الشجر   أفشت الريح له سراً فهاما
أو بكاء في حنين الوتر   ملأ الأنفس وجداً أو غراما
هو ظل الفجر فوق الزهر   يملأ الروض دموعا وابتساما
ثم يبدو مثل قدح الشرر   بين خفق القلب والهم صداما
أو تراه كالوصايا العشر   بين ومض البرق والرعد كلاما

ooo

ذلك الشعر اذا ما ترجما   عن خفايا وحيه اللفظ المبين
رب شعر وحيه قد كتما   أبلغ الاشعار ما لا يستبين

ooo

يخلق الشاعر خلقاً آخراً   من خيال جائر فيه المدى
يجعل الليل غراباً طائراً   خاف نسر الصبح لما أن غدا
ويرى النجم شريداً حائراً   هام يبغي في الدياجي موردا
ويفيق الناس عنه ثائراً   فيرى القصة خلقاً مسعداً
يبرأ الأبطال فيها ساخراً   فتراهم في البرايا خلدا
مثلاً في البر يبقى سائراً   أو حليف اللعن يبقى أبدا

ooo

كم هدى الشاعر قبلا أمما   وحدا فيها الى العز المكين
وبنى للمجد فيهم سلما   فاستقاموا للمعالي صاعدين

ooo

وبوجه من نهواه وروض ناضر   ألفت فيه من السحر معاني
ومن الطرة ليل كافر   ضللت فيه دموع وأماني
دولة الحسن، عليها ساهر   نابل من طرفه والحاجبان
ومن النحر جحيم ساجر   ومن الوصل فراديس الجنان
غضبة الشاعر ليل زافر   جلل الأرض بنار ودخان
ورضا الشاعر صبح سافر   ملأ الأرض بنور وأمان

ooo

يصبغ العالم ما شاء كما   لعبت باللون أيدي الراسمين
فاذا شاء أراه مأتما   واذا شاء فعرس الفرحين

ooo

ويلف السحب من نيرانها   في إهاب الغيظ والحقد المكين
ويسل البرق من اجفانها   سيف ثأر مصلتا للظالمين
ويقود المزن من أرسانها   بيد الريح شمالا أو يمين
ويعد الرعد من تحنانها   حين يروي الارض بالغيث الهتون
أو يرى فيه صدى طغيانها   ردّدته رهبة للسامعين

ويهيم الطير في افنانها   شاديات باكيات كل حين

***

ويرى النهر دموعا ودما   من عراك الدهر والقلب الحزين
أو يري الصفحة سترا محكما   نسجته الريح بين الناسجين

***

ويرى الورد ضحوكا طربا   اذ تحليه من الطل درر
فاذا (١) الورد ذوي واكتأبا   واذا الطل هو الدمع انتثر
ويرى البانة قدا معجبا   ماس في الروض دلالا وخطر
ويرى الجدول صلا هاربا   في ظلال الأيك اعياه الوزر
ويظن الريح دارت لعبا   في ذرى الأشجار تلهو بالطرر
ويخال الطير غنى مطربا   يقرأ الحسن بصفحات الزهر

***

ضاق هذا العيش الا حلما   راق في الاهوال نوم الكادحين
تضحك الآمال فيه كلما   ابكت الآلام عيش البائسين

***

صاح والشاعر في نظراته   يخرق الستر الى سر الضمير
فيرى الآمال في طياته   ودبيب الحزن فيه والسرور
يكشف المحزون في أناته   إذ يراه الناس في ثوب الحبور
ويجلي الحب عن سوءاته   وجميع الناس منه في غرور
ويرى الحسن في هيئاته   حين يخفي فضله كل كفور
فشعاع الشعر في وهجاته   كاشف للناس عن ذات الصدور

***

يقرأ الشاعر ما قد ابهما   في ضمير الدهر آلاف السنين
ويرى الغائب مشهودا كما   يبصر الهدهد بالماء المعين

***

أو تراه مثل باز مذعر   ملأ الدوح صياحا وصيالا
يجهد الشاعر طول العمر   فيرى الآمال يأسا ومحالا
فتراه مثل ليث هيصر   عض في الاسر قيودا وحبالا
او تراه كحمام هـدر   رتل الحزن نشيدا فأطالا
ثم يلهو بجمال الزهر   فكأن في الصدر غما ووبالا
فتراه عندليب الشجر   واصفا في الروض حسنا وجمالا

***

صاح ما الشعر سبيلا، أنما   هو صهر القلب في نار الشجون
صاح ما الشعر كلاما انما   هو ذوب النفس أو ماء العيون

(١) اذا للمفاجأة

في سينما الحياة

للاستاذ الشيخ ابراهيم الدباغ

ليس المعين على بغي بمشكور   ولا القوي على ظلم بمنصور
قل للألى ضربوا من حكمة مثلا   للقوم والقوم عند الافك والزور
تغاير الناس في سعي لمهلكة   وما لهم من حذار عند تحذير
انى اراهم وقد انذرتهم طمسوا   نهج الهدى أين انذاري وتبشيري ؟
انا الرشيد ولي في كل مملكة   أمر أجرد فيه سيف مسرور
يبقى على الخير من قول ومن عمل   حر ويمحق فيها كل شرير
وأنشر العدل أعلاما اذا خفقت   أمنت من كل مطوي ومنشور
واجعل الدين والاخلاق لي هدفا   الدين ديني والدستور دستوري
ياسائلي عن هوى نفسي وبغيتها   من الحياة وقد غصت بتكدير
هواي تحرير اهل الارض من ملأ   من الهداة واقطاب الدساتير
فكل نفس لها من سعيها أمل   ولن تنال مناها دون تحرير
هل تمنع النفس من آمالها جدة   لغيرها وهي منه دون تقدير

***

ياثاني الغصن دع للغصن نضرته   وخل قامته من ذام تكبير
وخل للروض والاغصان زينتها   وغادها بين مشموم ومنظور
كم وردة جرحت جانيها بشوكتها   وزهرة مزقت احشاء هيصور (١)
روض الحياة وروض الموت أجدره   بالحر ما كان بيتا غير مهجور
ورد الحياة ابتدر من صفوها خلسا   البؤس في السوق والآلام في الدور

***

والارض شر مقيل للنسور اذا   طغت واشقى مراحا للزرازير
تضرى الذئاب وتبدو في مصاولة   في مسك شاة توارت خلف تحضير
ينام حارسها عنها فينذره   موت، ودنياه منها اجر ناطور
وللحياة نوال من سلامتها   لو انها لم تشب صفوا بتكدير
تحلو وتبنى بها اللذات ماهدمت   منها وتدرك تدميرا بتدمير
في سينماها خيال من حقيقتها   فردية حولها شتى التصاوير
طلاسم تحت ارقام يفسرها   عبث الخرافة في لوح الفوازير
فيا حقول (ابيقور) وشيعته   لاضقت ذرعا بقطعان الخنازير

ابراهيم الدباغ

(١) هيصور — (الاسد)

مارسلين

أو

« مدام ديبور دفالمور »

١٧٨٦ — ١٨٥٩

للاستاذ خليل هنداوى

فى الحياة أزاهير تقضى أعمارها منثورة هنا وهنالك ، لايكاد يشعر انسان لها بوجود.. متواضعة فى أرضها ، منعزلة عن الاعشاب الطويلة والازهار المنتصبة .تعطر الفضاء بانفاسها ، فهو أنم عليها من الصبح !

وهنالك شعراء يعيشون فى أجواء عواطفهم فى عزلة نائية عن الناس ، اذا ترنموا فانما يترنمون ليطربوا أنفسهم ، وان بكوا فانما يكون لتصيب أدمعهم زهرات أمانيهم ، كما تصيب الروضة قطرات الطل ؛ هؤلاء لايعرفهم الناس لانهم ما شاؤا ان يعرفوهم ، فهم — وانفسهم تسكب الالحان — كالازاهير المنسية ، وقد ملأت الفضاء أريجا .

ومن هؤلاء الشعراء صاحبة هذه الترجمة وهذا الشعر الوجدانى ، من شاءت ان تقضى حياتها هامسة بأنغام نفسها ، ليس بين قلبها وبين الوجود الا ترجمان الحس والعاطفة :

هذة هى مارسلين . . .

ولدت فى (دواى) فى بيت تسود جوه روح الفاقة ، ويغلب على قلوب اصحابه شيء من الايمان الذى يضحى بكل شيء الا بنفسه ، فيبعث هذا الايمان فى صدورهم من الراحة والطمأنينة والرضا مالا تبعثه مظاهر الثروة الضخمة ، على ان « أمها » جربت ان تنقذ الأسرة من مرارة الفقر ، فركبت وابنتها الى « بوردو » حيث تنتظرها ثروة قريبة . فاتخذت مارسلين الصعود على المسرح مهنة ، ترضى بأجرها اليسير ، ولكن الحظ أبى الا أن يسود الصفحة الأخيرة ، لأن هذه الثروة الموهومة قد تدهور امرها قبل أن يدركا قريبتها ، فأصابت أمها حمى صفراء ، أودت بحياتها ، فآبت الابنة على الاثر ، وعوامل اليأس والخيبة تطغى عليها .

الحياة ! ! كيف تعمل على تأمين أسبابها ؟ فتذرعت « بالخياطة » مهنتها الأولى ، وامتزجت مع الممثلين والممثلات ، تقف عليهم صناعتها ، فجدد هذا الاختلاط رغبتها الباطنية فى العودة الى المسرح ، فعادت اليه ونالت كثيرا من مظاهر الاستحسان والتصفيق على مسرح الفنون فى « روان » ، ولكن ماهى تجدبها هذه المظاهر ؟ وهى التى كتبت فى مذكراتها « ما أكثر ما تنهمر على باقات المعجبين بى ؟ وأنا أكاد أموت جوعا دون ان أصارح أحدا بأمرى : » .

ثم كفلها أحد أصحابها . فألحقها بمسرح جديد ، لا يتجاوز أجرها فيه الثمانين (فرنكا) طيلة الشهر . وفى عام « ١٨١٧ » شاهدها عارفوها فى « بروكسل » متأبطة ذراع الممثل « فرانسوا بروسير » مرتبطين برابطة الزواج ، وماحل عام « ١٨٢٣ » حتى كفت مرسلين عن الحياة المسرحية ، وسعت وراء نفسها مستلهمة ماتوحيه اليها ، بعد ان تلمست شيئاً غير قليل من الظفر الشعرى فى ديوانها الاول « اغانى ومراثى » ، ولكن حياتها ظلت — برغم عوامل المدح الطافية عليها — طافحة بالكآبة ، وقد اصابها الدهر بابنتيها خلال حياتها ، ثم غزاها سرطان داخلى لم يمهلها كثيرا . ومارسلين على رغم هذه البواعث على اليأس والقنوط لبثت صامتة راضية باحكام القضاء ، لاتلوث ديوانها بشيء من الهجو لمعاصريها وأصدقائها ، وذلك مادعا « اناتول فرانس » الى القول عنها أنها حقاً امرأة قديسة ،

اما مارسلين فقد كان وجهها المشرب بشيء من الصفرة جميلا جذابا ، ونفسها مشبوبة العواطف ، متعددة اللواعج ، وحيثما قلبت فى ديوانها تبدلك آثار هذه النفس المشتعلة التى تذوقت الحب ، ورضيت به مرهقا للروح ، ومنهكا للقوى . لأن الحب عندها هو ربيع الحياة .. وقد حار النقاد فى العاشق الذى ظلت مارسلين تلهج باسمه وبصفاته فى قصائدها حتى أدركها الموت ، وطبيعى ان يجر خلاف النقاد الى اعتبارنا هذا الاسم المتردد اسما شعرياً ترمز به صاحبته الى اسم حقيقى

اما موقف معاصريها من نقاد وأدباء فقد اعترف اكثرهم بما يثور فى صدر مارسلين من عاطفة متقدة يؤول اليها سر براعتها الشعرية . « ولسانت بوف » فصول درس بها فن الشاعرة . رفعت كثيراً من قدرها وبراعتها ، اضف اليها فصولا ومقاطيع متعددة لكبار الأدباء يرفعون بها شهرتها : وهذا « شيرر » يقول « ان مجد مارسلين شيء لاجدال فيه لانه مجد كثير الاحساس » وهذا « اميل مونتيكو » يكتب فى « معرض العالمين » ان مكان الشعر العاطفى يقاس بمقياس العاطفة الشخصية ، فان مارسلين هى اكبر شعراء العاطفة على الاطلاق .

والشاعر « ملارمى » كانت تستخفه اسباب الطرب عند مايتلو على اصدقائه قصيدة مارسلين الخالدة « حياة اليمام وموته » ، وأى قلب — أوتى الحاسة الفنية — يسعه الا يحس هذه اللهجة العاطفية التى يتغلغل

العلوم

حقيقة التطور

للاستاذ السر أرثر طمسن

ترجمة بشير الياس اللوس

يرى علماء التطور ان الاصناف المختلفة للنباتات والحيوانات الوحشية انحدرت فى اسلاف ابسط تركيبا واعم صفات ، وقد جرت عملية التطور هذه فى وقت طويل جدا وبتأثير عوامل مشابهة للعوامل المؤثرة فى الوقت الحاضر ، ونشأت خلال تلك العملية تنوعات Varieties جديدة تدرجت فى سلم الارتقاء ، فعاش منها من استطاع ان يكيف نفسه للمحيط ، وانقرض الآخر الذى لم يستطع ذلك . . . . . .

نظرية التطور فى الوجهة المنطقية

وهنا ينشأ هذا السؤال : ماهو نصيب نظرية التطور العامة من الاثبات المنطقى اذا لم نبحث الآن فى العوامل التى لعبت دورا مهما فى هذه العملية ؟ وقبل الاجابة على هذا السؤال يجب ان نعترف ان هذه النظرية لايمكن اثباتها تجريبياً كنظرية الجذب ، ولا نستطيع البرهنة عليها كى نبرهن على صحة نظرية حفظ الطاقة Conservation of Energy فهى تتناول الماضى السحيق ، ويمكن وضعها من الوجهة المنطقية فى صعيد واحد مع الفرضية السديمية (Nebular Hypothesis) التى تخبرنا عن تكوين الشمس وسياراتها . لايستطيع احد ان يعكس الشريط الكونى ليرينا عن كثب الحوادث التى جرت فى سالف العصور ، ومع ذلك يجب ان نتذكر ان فى السماء سدما تسلك نفس السبيل الذى يظن الفلكيون ان السديم العظيم سلكه فى العصور القديمة فولد نظامنا الشمسى الحاضر . وهكذا نعثر فى التطور العضوى على عمليات جارية تمثل ماحدث فى القديم كنشوء الطيور فى ارومة الزحافات ، او نشوء البرمائيات فى الاسماك

كيف نشأ عالم الحياة

ان الجواب العلمى الوحيد لهذا السؤال يستمد عناصره من التطور الذى يقرر اساليب التغير والتحوير . نشأت جميع افراد المملكة الحيوانية بطريقة مماثلة لنشوء انسال الحمام الداجن المعروفة من حمام الصخور (Rock-dove) الذى لايزال يعشش على الجروف حول بريطانيا العظمى ، وكذلك نشأت افراد المملكة النباتية بطريقة مشابهة لنشوء كرنب الحدائق والقرنبيط والخضراوات من الكرنب الوحشى النابت فى السواحل البحرية . وهكذا تتضمن فكرة التطور العضوى العامة نوعا من البرهان يستند على المقابلة والمشابهة . إذن فتلك الحالات القليلة التى يعلمها الانسان عن نشوء حيواناته ونباتاته الداجنة تنير له طريق العلم بحدوث النشوءات العظيمة خلال العصور السحيقة فى القدم .

لذلك لانرى مسوغا لما يطلب من الادلة على التطور مادام يمكن اتخاذ كل حقيقة من حقائق علوم التشريح والفسلجة والمتحجرات والاجنة دليلا قويا على التطور اذا المنا بشىء كاف منها . وكل ما فى الامر انه يجب ان نفتش عن حجة تمهد لنا سبيل الاهتداء الى كيفية استعمال حقيقة التطور لفهم جميع المغلقات والالغاز التى نجابهها فى درس البيولوجيا .

أثر الانسان فى التطور

كان لداروين ولع شديد بدرس مساعى الانسان لتدجين الحيوانات والنباتات وتربيتها على السواء ، وغير خاف علينا ما وصلت اليه

فيها معنى الشعر الحقيقى ، ورحم الله (أناتول فرانس) فقد كان يستظهر قصيدتها الاكليل المنثور ويقول عنها انها من قصائد العبقرية النادرة

وديوان مارسلين يطفح بروح المرأة المحبة التى يخرجها الحب عن نفسها ، وهو اثر واضح لدرس نفس المرأة وترددها وضعفها حين تطغى عليها عاطفة الحب ، لان مارسلين لم تتقيد بالتقاليد التى لو لم تعمل على قتل عاطفتها لخففت من عوامل بؤسها وحدتها ، وجدير بادبنا ان يطلع على مثل هذا الشعر ، وعلى مثل هذا الحب ، وعلى مثل هذه العاطفة ؟

(سننشر فى العدد القادم مختارات من شعر هذه الشاعرة)

جهود الانسان في الحصول على ضروب متعددة من الحمام الداجن وذلك تمهيد لدارون أن يضع فكرته على النمط الآتي : « اذا كان في وسع الانسان أن ينشىء في زمن قصير انسالا عديدة قوامها التهذيب فلماذا لا يعقل أن الطبيعة قامت بذلك العمل نفسه في زمن طويل جداً ؟ وكيف يقوم الانسان بتلك العملية ؟ لا شك أنه ينتقى الأنواع التى تروقه أو تلائم حاجاته ويدعها تتزاوج مع بعضها على قدر الامكان ويستأصل من النسل الجديد الافراد التى لا يرغب فيها ومن ثم يقوم بتهذيب وتربية الافراد التى يريد الاحتفاظ بها ، فعمليته تقوم على أمرين مهمين : الاستئصال والتوليد . فيستأصل الردئ ويولد الجيد . وبسعيه المتواصل في عملية الانتخاب الصناعى هذه وصل الانسان الى نتائج مدهشة ، فكان له ضروب عديدة من الخيول والمواشى والكلاب والحمام والدجاج الخ ، وضروب كثيرة من النباتات كالحنطة واللفت والبطاطا والورد والبانسيه الخ . . . ومن السهل أن تذهب الى المعارض الزراعية لتحصل على أمثلة واضحة من التطور لا تزال تعمل بقوة .

لاشك أن هناك امثلة عديدة أكثر تعقيداً من نشوء الحمام لانه يصعب علينا عندئذ تحديد الاسلاف الوحشية كمعرفة أصل الكلاب مثلاً . ولكن ذلك لا يقلل شيئا من قوة الحجة القائلة اذا تمكن الانسان من ايجاد ضروب عديدة من الحيوان والنبات في وقت قصير فكيف لا تستطيع الطبيعة ذلك في وقت طويل جداً ؟ . . . والآن يجب ألا نغفل عن أمرين مهمين : أولهما أن الانسان لا يبتدع الضروب الجديدة بل ينتظر ظهورها ، وثانيهما أن القوى المؤثرة في الطبيعة التى تماثل عمل الانسان في الاستئصال والتهذيب هي التناحر على البقاء ونزوع المخلوق الى الحياة .

مصدر القوة

عندما يمضى العالم الطبيعى في تمحيص انواع مختلفة من الحيوانات القريبة من بعضها حسب الظاهر يجد تغايرات مدهشة جدا ، وسرعان ما يلاحظ ان بعض العضويات وحتى بعض الاعضاء هي أكثر عرضة للتغاير من البعض الاخر . وتدلنا جميع الحقائق المستقراة بالمشاهدة على ان قابلية التغير هي من اميز صفات الكائنات الحية . والواقع اننا لا نستطيع ان نجد طائرين يتشابهان تشابها تاما بحيث يعسر علينا تفريق أحدهما عن الآخر . فالاخوان يختلفان عن بعضهما بالرغم من تولدهما من ارومة واحدة . ويذكر لنا البروفسور لوتسى (Prof. Lotsy) أنه رأى في متحف بليدن « (Leiden) » نحو من ٢٠٠ ضرب من طيور الباز لا يوجد بين اثنين منها تشابه تام . وكذلك نعرف عن بعض المرجان المركب أن بنية الافراد فيه تختلف باختلاف الاغصان في المستعمرة الواحدة . على أن مصدر التغير كائن في الماكينة العضوية دفين بين تضاعيفها . ويجب على الباحث أن يميز الفروق الخارجية التى يمكن ارجاعها الى خصائص المحيط أو الغذاء عن الفروق الداخلية أو الموروثة التى يظهر أنها تتقدم من الباطن ، ويطلق على الأخيرة فقط تعبير « التغايرات » (Variations) أو « التغيرات الفجائية » (Mutations) اذا نشأت بصورة فجائية .

ارتقاء الحياة

من المحتمل أن كائنات حية كانت تعيش على اليابسة وفى المياه الى مدة تزيد على المائة مليون سنة ، ولكنها لم ترتق في ذلك الوقت كثيرا لاسباب ترجع اولا الى المحيط . إن تقدم الحياة مشهد بليغ وصفه الفيلسوف لوتز (Lotze) — وهو أحد علماء الحياة أيضا — بقوله « أنه كالنغمة المطربة التى يعلو صوتها كلما تقدمت واقتربت من السامع » .

لم توجد خلال عصور عديدة حيوانات عظمية أو فقرية بل أن جميع الحيوانات التى كانت عائشة آنئذ كانت رخوة لا عظمية أو لا فقرية . ولكن الاسماك كانت موجودة في البحار السيلورية (Silurian) ومرت عصور عديدة ظهرت خلال أحدها وهو العصر الرملى الاحمر القديم (Sandstone Period Old Red) البرمائيات بعد ان اجتازت خطوات من التطور عظيمة كاكتساب الاصابع والرئتين الحقيقيتين والأوتار الصوتية واللسان المتحرك والقلب الثلاثى المخادع الخ . . كان هذا التقدم واضحاً ولو ان هذه الحيوانات ظلت ضفدعية الخواص حتى عندما وصلت عصرها الذهبى في العصر الفحمى Carboniferous Period .

وبعد مضى عصور اخذت الزواحف الملونة تظهر في العصر البرمى (Permian Period) والتى نرى فيها التغاير والتنوع والتقدم بمقاييس كبيرة . فبعضها كانت بحرية وبعضها برية وبعضها هوائية والبعض الآخر كان يعيش بين الاشجار . وكان بعضها عظيما هائلا والبعض الآخر صغيرا دقيقا . وهكذا حصلت تنوعات كثيرة بين الزحافات القديمة . على انها جميعا لم تكن قد وصلت الى درجة تامة في النمو العقلى بل كان فيها استعداد عظيم لذلك . ويظهر ان كثيرا منها

(البقية على صفحة ٣٩)

هل للعلم قيود تفرضها الأخلاق؟

للدكتور هنسن أسقف درهام بانجلترا

ترجمها بتصرف الدكتور أحمد زكى

« بدا شيء من القلق فى منطوقات رجالات العلم ارتاع له الناس . وكيف لا يرتاع الرجل العادى وقد أنذر رؤساء ثلاثة لرابطة العلوم البريطانية British Association فى سنوات ثلاث متعاقبة بالخطر الذى يحيق بالمجتمع المتدين من جراء التقدم السريع الجارى . ان رجل العلم فى العصر الحاضر كساحر القرون الخوالى يبعث الشياطين فلا يلبث أن تفلت من قبضته ، وتتحرر من سلطته ، فتعيث فى الكون افساداً وتخريبا »

من خطبة قريبة

العقل العلمى

كلنا متفق على أن العقل العلمى يجب أن يكون خلوا من كل غرض ، بعيدا عن كل شهوة ، ان هوى صاحبه فلن يتأثر بهواه ، وان ابغض فلن يتأثر ببغضه ، فهو عقل يطلب الحقيقة للحقيقة وحدها ، وهو يطلبها فى هدوء وثقة واتزان ورجاحة ، لا يزعجه اصطخاب تثيره التقاليد حوله ، ولا يهزه اضطراب يبعثه العرف السائد من جراء ما تكشفه له ، وهو يطلبها فى قناعة وعفة ونبل ، فلا تحدثه نفسه بما قد تؤدى له الحقيقة المكشوفة من نفع ، وما قد تدر عليه من مال ، وهو يطلبها لحاجة شديدة فى نفسه تدفعه دفعا الى علم ما لم يعلم ، كما يندفع الهالك الظمآن الى الرى والماء ، وهو لا يفرق بين الحقيقة الصغيرة الحقيرة ، والحقيقة الكبيرة الهامة ، ولا بين الحقيقة تأتيه هوناً ، وبين الحقيقة يأتى بها الجهد الجهيد ، فلكلٍ مكانه من الخريطة العامة ، وهى لا تتم إلا بتمام أجزائها ، وهو لا يجد لنفسه عوضا كافيا من هذه الجهود ، ولا جزاء وفاقا على متاعب البحث ومصابرة التنقيب ، كالعلم الذى تحصله تلك الجهود والابحاث .

وبعد فليس بمستغرب أن من يطلب العلم لذاته دون مراعاة شيء غيره ولا مجاملة أحد سواه يصطدم بكل سلطان قوى الدعائم قديمها . ومن ذلك سلطان الدين

العلم والدين

وقد اشتبك الدين والعلم فى معارك بدأت فى أواخر العصور الوسطى وامتدت إلى وقتنا هذا (١) . ولا شك أن من أكثر اسباب هذا العراك سوء فهم للدين ، وعدم التمييز بينه وبين علم اللاهوت التقليدى الموروث . وقد خلف لنا هذا العراك سجلات عديدة من مساجلات ومناظرات امتلأت بها رفوف عديدة بدور الكتب ، ولكنها لا تجد الآن قارئاً الا دارسا متشوفاً يأتى اليها الفينة بعد الفينة ، مناظرات لم تولد غير كراهات غاشمة أفسدت الأذهان وأساءت إلى التفكير الخالص فى كلا المعسكرين على السواء ، نظر فيها رجال الدين بأعينهم الى الوراء ، الى السنوات الزاهرة الذاهبة حين المجد للدين وحده ، والجبروت للعقيدة وحدها ، والسلطان الذى لا يدافع لرجال الكنيسة وحدهم بلا منازع ولا متحدٍ . فعز عليهم أن يسلموا كل هذا وان يعترفوا للعلم بكثير أو قليل

على ان الخصام الذى بين العلم والدين قل فى العصور الحديثة ، او على الاقل هدأت حدته ، وذلك ان اهل اللاهوت تعلموا ولو فى كثير من التباطؤ ، واذعنوا ولو فى كثير من التلكؤ ، واهتدوا اخيرا الى التوفيق بين تعاليمهم وتعاليم العلوم الطبيعية من فلك وجيولوجيا حتى علم الحياة وكان اصعبها توفيقاً .

العلم والاخلاق

ومادام العلم يشتغل بملاحظة حقائق الوجود عن كثب ، وبتدوين احداث العالم المادى فى أمانة ودقة ، ومادام يخرج النتائج من الفروض تخريجاً صحيحاً ، فقد جاز ان يصطدم بعقائد المسيحية التقليدية ، وقد اصطدم فعلا . وليس من الضرورى — ما حبس نفسه فى هذه الحدود — أن يصطدم بالاخلاق ما توجبه وما ترتضيه . ولكن عند ما يبدأ العلم يطبق طرائقه التطبيقية على جسم الانسان وبدنه فانه بذلك

(١) يقصد تاريخ الصراع بين الدين والعلم فى اوربا .

يخرج عن حدوده الاولى ، ويبدأ يمس رأى الناس فى أنفسهم وأعمالهم ، وبدل أن يكون الخصام بين العلم والدين ، يصبح خصاماً بين العلم وقانون الاخلاق العام Moral Law وهو قانون يشد أجزاء المجتمع بعضها الى بعض ، كما يشد الملاط آجر البناء ، وعندذلك يصبح قانونا مزعزع الأساس مشكوكا فى سلطانه ، ويصبح قضاؤه غير مبرم . ثم يتقاصر ظله ويتقاصر حتى يصبح عبداً للعلم خاضعا لنتائجه ، مأموراً بعد أن كان آمراً ؛ وعندئذ ينظر الانسان بعين جديدة الى الطبيعة البشرية ، ويصبح الواجب البشري ذا سيطرة ، ولكنها محدودة مشروطة

وهنا يتساءل : هل يكون للمعمل فتاوى أخلاقية خاصة يتحلل بها أصحابه من القانون الاخلاقى العام الذى يتبعون أوامره ونواهيه عن طيب خاطر حيثما ساروا فى الدنيا الوسيعة حتى إذا هم دخلوا المعمل أغفلوها جميعا ؟ أيجوز استخدام التجربة ، ذلك السلاح الرهيب دون مراعاة صالح غير صالح المعرفة للمعرفة ذاتها ؟ ألا ينقلب رفض العلم لمراعاة اعتبارات الحياة الأخرى سبباً الى اقتراف كثير من الآثام ؟ وجملة الامر هل تتقيد الطريقة العلمية بقيود خلقية أم تترك طليقة ؟ واذا هى تقيدت فما هى تلك القيود ؟

قال هكسلى : « إن كل الفلسفات وكل الاديان تقريبا متفقة على أن الحقيقة والجمال والخير غايات ثلاث يطلبها الانسان لذاتها دون ماعداها ؛ أو على الأقل تتفق الفلسفة والاديان على ذلك نظريا • أما عند التنفيذ فتظهر اختلافات وتلوح مصاعب ،

ومع ذلك فهكسلى لايتنازل عن شيء للتنفيذ ، ولا يجود بشيء مما يتطلبه العمل من الضرورات ، فهو يقول : « كثيراً ما يقال إن من الأشياء مايعلو على الفحص والتمحيص لقداسته ، ولكن الرغبة الشديدة فى المعرفة الخالصة اذا ملأت رأس الانسان لم تجز له تمحيص كل شيء فحسب ، بل تحتم عليه ان يتبع مباحثه غير آبه لأى المواضيع قادته ، غافلا عن كل صفات الأجسام المبحوثة مادامت قابلة للبحث والفهم ، فان العقل الممحص لايرى أن بحث الشيء يمنع منه قدسيته ، وفضلا عن هذا فان التجربة دلت على أن المعرفة التى تُنال من أجل نفسها عن هذا الطريق ، تقع من النفس منزلة لاتنزلها هى نفسها لو أنها أصيبت عن طريق غير هذا

قال هكسلى ذلك وهو يعرض للدين أكثر من عرضه للخلق ، ولكن كلامه يمكن تمديده حتى يسع الاخلاق . وهكذا يصبح السؤال : هل يصح لنا أن نفترض أن « الغايات الثلاث التى يطلبها الانسان لذاتها دون ماعداها » متوافقة فى جوهرها كل التوافق حتى أن من يطلب الواحدة يحصل فى النهاية على الجميع . يقول عميد كاتدرائية سانت بول : « يجب علينا ألا نفارق بين القيم الثلاث أو نخاصم بينها ، فكلنا نتسلق الجبل فى طريقنا الى الله . ولكن من طرق ثلاث تؤدى كلها الى قمة الجبل . ومن المحتمل أن نجد من هذه الطرق واحدة هى أيسرها فى الصعود »

انا لا أعى الآن بالنهاية التى تؤدى اليها القيم الثلاث ، ولكن عنايتى الحاضرة بالنتائج العملية التى تنشأ عنها . ان استعارة العميد نفسها تتضمن انفصال الثلاث فى سبيلها من الجبل ، وهذا الانفصال هو بيت القصيد . فلنسلم جدلا بأن النزاع القديم بين الفن الجميل والاخلاق أكثره سوء فى فهم هذا ، أو فهم ذلك ، أو فهمهما كليهما ، ولكن السؤال : هل للفنان أن يغمض بحق عينه عن الاعتبارات الخلقية وهو يعمل فى دار فنه ؟ هل دراسة الفن للفن قضية رصينة مقنعة ؟ ..

شرائط العلم ثلاث

أنا أقول إن الطريقة العلمية مشروطة بشرائط ثلاث ، أولها الواجب الذى تفرضه الأخلاق على دارس العلم بحكم رجولته ، ذلك الواجب الذى لايستطيع أن ينسخه أى مأرب من مآرب العلم مهما كان . وثانيها قيود لابد من تقيد الطريقة العلمية بها ، تحتمها حقوق أولئك الذين تؤثر فيهم تلك الطريقة ، وثالثها قيود يفرضها نوع النتائج المقصود من التجربة ؟

(يتبع)

القصص

من غير عنوان

للقصصى الروسى تشيكوف

كانت الشمس فى القرن الخامس عشر تشرق كل صباح وتغرب كل مساء كما هى اليوم . وحينما تقبل أشعتها الاولى ندى الارض تفض هذه عنها غبار الكرى ، وتشيع فى الدنيا البهجة وتحلو الامانى ! وتعود الارض فى المساء الى سكونها ثم تغوص فى غياهب الليل . وقد ترى احيانا سحابة راعدة تلوح ، ويقصف الرعد وهو يزمجر ، أو تهوى نجمة من شاهق وهى وسنانة ، أو يقبل راهب حثيث الخطى شاحب اللون ليخبر رفاقه بانه رأى نمرا قريبا من الدير . كان هذا كل شىء ، ثم تعود ثانية الايام تشابه الايام ، والليالى تحاكى الليالى .

كان الرهبان يصلون ويعملون ؛ أما رئيس الدير فيعزف على الارغن ، ويقرض الشعر اللاتينى ، ويؤلف النغم الموسيقى . وكان للكهل الحلو الوديع ذكاء نادر وسجايا حميدة . فهو يعزف على الأرغن ببراعة ، حتى أن معظم الرهبان القدماء الذين يضعف سمعهم كلما قربت نهاية حياتهم ما كانوا يستطيعون أن يحبسوا دموعهم كلما هف صوت ارغنه من صومعته . وعند ما يتكلم ولو عن الشئون العامة كالشجر والوحوش الضارية والبحر الخضم ، لا يسمعه انسان دون ان ترى دمعة تترقرق فى عينيه ، أو بسمة ترتسم على شفتيه . فيخيل اليك ان الانغام التى تتجاوب فى الأرغن هى بعينها التى تعتلج فى نفسه . وحينما يهيجه غيظ متمكن ، او يأسره فرح شديد ، او يتحدث عن اشياء مروعة تأخذه نشوة قوية ، ويتسائل الدمع من عينه اللامعة ، وتضرج وجهه الحمرة ، ويدوى صوته كالرعد . هنا يحس الرهبان المستمعون ان ارواحهم تذيبها عظمته وانها تفنى فيه . لقد كانت قوته فى هذه الدقائق العظيمة العجيبة لا تحد ، فلو امر شيوخ الدير ان يقذفوا بانفسهم فى البحر لاستبقوا اليه مسرعين .

كان موسيقاه وصوته وشعره الذى يمدح به الله منبعاً لسرور الرهبان لا ينضب . ففى مدة حياتهم الرتيبة تنقلب الاشجار والازهار والربيع والخريف الى اشياء مملة ، ثم يقلقهم هدير اليم الزاخر ، ويصبح شدو الطير مملول النغم مرذول الجرس . ولكن سجايا رئيسهم كانت لهم بمثابة القوت المحيي والقوة المجددة .

كرت السنون وما زالت الايام تشابه الايام ، والليالى تحاكى الليالى وما دنا من الدير أحد اللهم الا ضوارى الوحش وجوارح الطير . وكانت أقرب المساكن الانسانية بعيدة جداً . ولا تصل اليها من الدير أو تصل الى الدير منها حتى تعبر صحراء ذرعها مائة ميل .

والذين يجرأون على القيام بهذا هم أولئك الذين لا يجعلون للحياة قيمة ولا يقيمون لها وزنا ، والذين نبذوها وراءهم ظهريا ونفضوا أيديهم منها جملة . يولون وجوههم شطر الدير وكأنهم يسيرون الى القبر .

ولشد ما كانت دهشة الرهبان عند ما قرع بابهم فى ليلة من الليالى رجل برهن لهم على أنه من سكان المدينة : وكان هذا الرجل أكثر الناس ارتكابا للاثم وحبا للحياة . وقبل ان يصلى او يرجو رئيس الدير ان يباركه طلب طعاما ونبيذا .

فلما سألوه عن سبب قدومه من المدينة الى الصحراء قص عليهم قصة صيد طويلة : خرج يطلب الصيد ومعه شراب كثير فضل الطريق . وعند ما اشاروا اليه أن من الواجب عليه ان يمسى راهبا اجابهم فى ابتسام :

« لست لكم بصاحب ! »

شرب واكل ملء بطنه ، ثم رفع بصره الى الرهبان الذين يقومون بخدمته وهز رأسه لائما وقال :

« انكم معشر الرهبان لا تعملون شيئا ، كل ما تعنون به هو طعامكم وشرابكم ، هل هذه هى الطريقة لخلاص أرواحكم ؟ فكروا الآن ! بينما أنتم تعيشون فى هدوء هنا ، تأكلون وتشربون وتحلمون

بالخيرات والبركات. اذا باخوانكم هناك قد كتب عليهم عذاب الجحيم، انظروا ما الذي يحدث فى المدينة! بينما بعض الناس يموتون جوعا، اذا بالآخرين لا يعرفون أين يبذرون الذهب، ينغمسون فى الدعارة ويهلكون فيها كما يهلك الذباب فى العسل، ثم لا صديق ولا اخلاص بين الناس. من الذى يجب عليه انتشالهم مما هم فيه؟ أأنا الذى أروح صريع الكآبة من الصباح الى المساء؟ هل أنعم الله عليكم بالاخلاص، ومن عليكم بالحب، وحباكم بالقلوب الرحيمة، لتجلسوا هنا بين هذه الجدران الاربعة ولا تعملون شيئا؟!»

ومع أن كلام الرجل الكبير كان ينطوى على الجرأة والقحة فقد أثر تأثيراً غريبا فى رئيس الدير. فنظر هو والرهبان بعضهم الى بعض ثم قال رئيسهم بوجه شاحب: «اخوانى انه محق. فصحيح أن الحماقة والضعف البشرى جرفا الانسانية التعيسة فى تيار الجحود والاثم فأهلكاها وقضيا عليها. وها نحن اولاء لا نريم من هذا المكان كأن لا عمل لنا ولا واجب علينا. لماذا لا أذهب اليهم فاذكرهم بالمسيح الذى نسوه؟».

نالت كلمات رجل المدينة من نفس رئيس الدير، ففى اليوم التالى أمسك بعكازه وودع اخوانه، وركب الطريق الى المدينة، فامسى الرهبان لا ينعمون بموسيقاه ولا بحلو حديثه ولا برائع قريضه.

رقبوه شهرا ثم شهرين فما عاد، وأخيرا فى نهاية الشهر الثالث سمعوا نقر عصاه المألوف فخف الرهبان للاقائه وأمطروه بالاسئلة، ولكنه بدلا من مشاركتهم فى حبورهم بكى بكاء مرا وما نبس ببنت شفة. رأى الرهبان أنه اصبح نحيلا وان اعراض الكبر قد بدت على ملامح وجهه

فما تمالك الرهبان وقد رأوا منه ذلك ان اجهشوا بالبكاء وسألوه عما يبكيه، فما اجابهم بكلمة وغادرهم موصدا عليه بابه ومكث فى صومعته. لبث فيها خمسة ايام ماشرب فيها شرابا ولا طعم طعاما ولا عزف على الارغن. ولما طرق الرهبان عليه بابه والحوا عليه فى الخروج ليشاركوه فى اساه كان جوابه الصمت العميق.

خرج من معتكفه أخيرا وجمع حوله الرهبان وأخذ يقص عليهم ماحدث له خلال الشهور الثلاثة التى خلت، والدمع ينضح وجهه والالم يأكل قلبه، ثم هدأت نفسه وتهللت أساريره حينما أخذ يصف لهم رحلته من الدير الى المدينة. غنى الطير وخر الجدول على جوانب الطريق، وجاش صدره بالأمانى الحلوة والآمال المعسولة. شعر بأنه جندى يتهيأ لاقتحام الموقعة والوصول الى النصر المحقق. سار حالما يقرض القصيد ويصوغ النشيد، وسرعان ما وجد نفسه فى نهاية الرحلة. على ان عيونه أومضت باللهب، ونفسه جاشت بالغضب، وصوته ارتعش عندما بدأ يحدثهم عن المدينة والانسانية. ما كان رأى ولا تخيل قبل اليوم كل الذى رآه وأحصاه وهو فى قلب المدينة. رأى وفهم لاول مرة فى حياته سلطان ابليس وسيادة الجور وضعف القلب الانسانى الخاوى. هنا خمسون أو ستون رجلا جيوبهم مترعة بالمال يقصفون ويشربون النبيذ دون حد. أخذوا وقد تملكتهم نشوة الراح يرفعون عقائرهم بالغناء الساقط، وينوهون فى شجاعة باشياء جارحة لا يجرؤ انسان يخاف الله جل سلطانه ان يشير اليها. فهم أحرار سعداء شجعان لا يخافون الله ولا يخشون الجحيم ولا يهابون الموت. يقولون ويفعلون مايشاءون، ويذهبون الى حيث تسوقهم رغباتهم الجامحة.

أما النبيذ فصاف صفاء الكهرمان! وهو ايضا ذكى الرائحة لذيذ الطعم، لأن كل من يعب منه يطفح وجهه بالبشر ويرغب فى الشراب ثانية. وهو يجزى على ابتسام بأبتسام، ويتهلل غبطة كأنه يعرف أى ضلال جهنمى يختبىء تحت حلاوته.

غلى مرجل غضبه وبكى أحر البكاء واشجاه. ثم استطرد يقص عليهم مارأى: «وقفت أمرأة نصف عارية على منضدة وسط القاصفين، ويصعب عليكم ان تتصوروا شيئا اكثر فتنة وسحرا منها، صبى ناضر زاهر، وشعر طويل جثل، وعيون سوداء لامعة، وشفاه مكتنزة محمرة، ثم سفاهة وجرأة وقحة. هذه البهيمة تبتسم فتفترعن أسنان بيضاء كالبرد كأنها تقول: «انظروا انى جميلة! ومستهترة...» وتدلى من عاتقها الملابس الحريرية البديعة المشجرة. على ان جمالها لا تحجبه ملابس، لأنه بشره يفسح لنفسه الطريق بين طيات ثوبها..... كأنه الأعشاب الصغيرة وهى تشق لنفسها الطريق فى الارض زمن الربيع. وتشرب المرأة التى لا تستحى النبيذ، وتغنى الأغانى، ثم تستسلم بعد ذلك للمعربدين....»

لوح الرجل الكهل بذراعيه حانقا ثم استمر يصف لهم سباق الخيل، وصراع الثيران، والملاعب، وحوانيت الفنانين حيث يعرض هيكل المرأة العارية مرسوما بالزيت أو منحوتا من الصلصال

*
* *

كان الرجل فى حديثه لسنا ملهما جهورى الصوت حلو الجرس كأنه يعزف على آلة موسيقية لا تقع عليها العين. والرهبان

ذاهلون عن انفسهم غائبون عن رشدهم وقد اسرتهم كلماته وسحرهم بيانه ، فهم يلهثون من فرط السرور . ولما فرغ من وصف اغواء ابليس وفتنة الفسوق وسحر المرأة لعن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء بابه .

فلما خرج من صومعته فى صباح اليوم التالى لم يجد راهبا واحدا فى الدير . فقد انطلقوا جميعاً مسرعين الى المدينة ! !

محمود البدوى

صــــديقها عشيقها

روآية مصرية عصرية فى فصــــل واحد

للكاتب الروائى الأستاذ محمد خورشيد

أشخاص الرواية

فايد بك عمره ٢٨ سنة — فتى راق وارث بيت مجيد وثروة واسعة
احسان بك « ٢٥ سنة — صديق فايد ذكى منهكم ماكر
مختار بك « ٦٠ سنة — اعزب . صديق حكمت الصدوق
حكمت هانم « ٢٧ سنة — ارملة رجب باشا . فتاة راقية غنية
سميرة هانم « ٢٥ سنة — صديقة حكمت من عهد الدراسة
خادم فايد بك . . . .

غرفة المكتب بمنزل فايد بك يصلها باب فى الصدر بهو المنزل ، والى اليسار باب آخر يفضى الى باقى الغرف . الى اليمين مكتب فاخر ومكتبة زاخرة بالكتب المجلدة تجليدا ثمينا — وأمامها كنبة ثلاثة — وأمام هــــذه الكنبة منضدة عليها صندوق سجاير ومنفضة من الفضة — وحولها كراسى — جميع القطع من خشب «الموجنة» مكسوة بالقطيفة الحمراء . وفى وسط الغرفة سجادة ، والطابع العام الأناقة واجتناب الكظة وحسن الجمع بين الألوان .

الوقت عصر .

المنظر الاول

« يرفع الستار عن مختار واحسان واقفين جهة اليمين بين الكراسى وفايد واقفا جهة اليسار قريبا من باب مفتوح قد وقف بعتبته خادم »

فايد — « يخاطب الخادم » ضع الملابس التى ذكرتها لك فى الصندوق ، ولما تصل الى الاشياء الصغيرة : اربطة الرقبة والمناديل وما يشابهها ، اخبرنى لآجيء وأختار منها ما أريد .

الخادم — سمعا وطاعة سيدى . « يخرج ويغلق الباب خلفه »

فايد — « وقد ذهب الى حيث احسان ومختار » اهلا مختار بك ! مساء الخير ! مساء الخير يا احسان ! تفضلا

« يردان تحيته ثم يجلس ثلاثتهم . يقدم فايد صندوق السجاير فيأخذ كل منهما سيجارة ويشعلها ، ويأخذ هو سيجارة لنفسه ويشعلها . »

« يبدأ مختار الحديث فيقول : »

مختار — أخبرنى احسان بك انك ستسافر هذا المساء الى استامبول ، فاستغربت ، أولا لأنك كنت قد قررت ألا تسافر هذه السنة ، وثانيا لأن فصل الصيف أوشك ان ينتهى . نحن الآن فى أواخر شهر يوليه ، خير ان شاء الله ! ما الداعى للسفر بغتة ؟

فايد — شعورى بضعف ، وحاجتى الى تبديل الهواء .

أحسان — لاضعف هناك ولا خلافه . لابد من سبب تخفيه واظننى أدركته

فايد — « ينظر الى احسان نظرة عتاب ويقول : »

قد يعتقد مختار بك الآن ان لسفرى سببا اخفيه ، مع ان الحقيقة هى ماذكرت . نعم كنت قررت الا اسافر هذا العام ، ولكن حر الصيف جاء فوق المألوف فأضعفنى وشعرت بضرورة الفرار منه ، لذلك عزمت على السفر الى استامبول لأمكث بها شهرى أغسطس وسبتمبر ، ثم أعود فى اوائل اكتوبر حين يصبح جو القاهرة محتملا . وقد حجزت لى محلا بالباخرة التركية التى ستبرح الاسكندرية غدا . . .

مختار — ومنعك استعدادك للسفر عن الحضور ليلة امس لقضاء السهرة بمنزل حكمت هانم ، فسألتنى عنك فأجبتها انك لابد حاضر ، ولكنك كذبتنى ولم تحضر

فايد — ارجو المعذرة ، كنت عازما على الحضور ولكن خاننى الوقت . فلم أكد أفرغ من ترتيب أمورى مع الكاتب والخدم اثناء غيابى عنكم حتى كان الليل قد انتصف

مختار — كنت اظنك مغتبطا بصداقة حكمت هانم التى رحبت بك وخصتك بكثير من عطفها ، وكانت دائما تدعوك الى سهراتها البديعة البهجة . كنت اظنك مثلى قد بلغ بك الاخلاص فى الود الى درجة لاتستطيع معها فراقها ، ولكن يظهر ان قلبك لم يقدر صداقتها كما يقدرها قلبى ، لذلك سمح لك ان تسافر وتحرم رؤيتها شهورا عدة ، بينما لا يمكن لقلبى ان يسمح لى ان احرم

منها يوما واحدا. ولكن لا بأس في ذلك، فلكل منا ميله وشعوره، وكل ما ألومك عليه أنك لم تحضر عندها ليلة أمس ولم تستأذن منها في السفر. لاتؤاخذني يافايد بك. أنا الذي عرفتك بها وقدمتك اليها كولدي العزيز وأنت تعلم مكانتها عندي.

فايد — اني آسف اشد الاسف لأني لم أتمكن من الذهاب اليها ليلة أمس وتوديعها وشكرها على ماغمرتني به من عطف، وسأمر مساء اليوم في طريقي الى المحيطة وأترك لها بطاقة اذكر فيها اسفي وشكري ووداعي.

مختار — هذا حسن، ولكن الأحسن منه أن تذهب اليها بعد نصف ساعة. لأنها ستنتظرني للشاي في الساعة الخامسة والنصف والساعة الآن الخامسة: فتعال بعد نصف ساعة نشرب الشاي معها ثم تستأذنها في السفر وتنصرف. لديك من الوقت متسع فان القطار الذي سيقلك الى الاسكندرية يتحرك في تمام الساعة السابعة

فايد — أسفي لايقدر الآن في انتظار من لابد لي من مقابلتهم قبل سفري. أرجو أن تشرح لها عذري، وان تحتفظ لي بصداقتها التي لها عندي ارفع منزلة: وان وجدت بعد عودتي ان مكانتي عندها لم تتغير، أعدك اني حينئذ ابذل قصارى جهدي لاكسب عطفها ورضاها.

مختار — لكني سأجتهد في فعل ماتريد

احسان — تصرحك يامختار بك بأن لابد لك أن تراها كل يوم يبرهن على ان لصداقتها مكانة رفيعة عندك

مختار — صداقتها هي غاية حياتي، هي قوتي، هي هنائي. تقابل كل يوم اما للغداء أو للشاي. هذا اذا لم اقض سهرتي في مجلسها السعيد.

احسان — اقديمة معرفتك بها؟

مختار — عرفتها منذ خمسة اعوام عندما تزوج منها صديقي المرحوم رجب باشا، فاستولت على قلبي بصراحتها وسامي عواطفها. فلما توفي الباشا زوجها شاركتها في احزانها، وبذلت جهدي في التخفيف من آلامها. ودأبت على خدمتها في خضوع واخلاص حتى اتخذتني صديقا لها وكشفت لي عن قلبها فرأيت العفة والكمال والطيبة وحسن الخصال والعطف والحنان. والآن مضى على عامان وانا سعيد بصداقتها واثق من أخلاصها ووفائها.

احسان — الا ترغب هي في الزواج ؟

مختار — كلا، وقد صرحت لي انها ستبقى وفية لذكرى من احبته وأحبها ولن يكون لها زوج غيره

احسان — إذن لا بد لها من عشيق تهواه

مختار — ماهذا الكلام ؟! أحكمت هانم يكون لها عشيق ؟! هي مثال العفة والفضيلة ؟! . . .

احسان — لكنها يابك في عنفوان الشباب وكمال الصحة. وللحب على الشباب نفوذ، كما ان للطبيعة على الصحة سلطانا

مختار — الصداقة عندها قهرت الحب، والعفة تغلبت على الطبيعة.

فايد — احسان يجهل قوة الصداقة وسلطانها على القلوب. أنه فتى مادي، فلاتتعب نفسك معه.

احسان — على كل حال لا يستطيع مختار بك أن ينكر انها ذات دلال. واني وإن لم أكن من اخصائي لي بها معرفة، وقد سبق ان زرتها ورأيت بعيني دلالها

مختار — لاانكر انها ذات دلال، ولكن دلالها حلو: دلال كله طيبة، دلال خلا من المكر والخداع. هلال النساء قوامه الابهام عادة، دلال يخفي اغراضا مقصودة، دلال اثيم، دلال مصطنع: أما دلال حكمت هانم فقوامه الصراحة، لاغرض له سوى ملاطفة الاخصاء. دلال برئ، دلال طبيعي. خلقت ذات دلال فلا يجوز لانسان أن يلومها على دلالها، كما لايجوز له ان يلوم وردة على عطرها

احسان — ان اعجابك بها لاحد له، لكن اصغ لي. كل فتاة في مثل جمالها ودلالها لابد ان يكون لها عشاق كثيرون، فكيف تعتقد أنها بغير عاشق ؟

مختار — قد يكون لها عشاق، لكني واثق من انها لم تعشق احدا منهم. الا تعلم يااحسان بك ان ذوات الدلال لا يفرطن في عفتهن مطلقا. وان كل واحدة منهن تسعى بدلالها وراء غرض واحد، هو ان تحوز الاعجاب وتستثير الرغبة. لذلك لا تجود حتى بقبلة واحدة، لتبقى دائما موضع الإعجاب ومثار الرغبة

احسان — نظريتك غريبة! اتحرم نفسها الحب لتبقي مرغوبا فيها ؟

مختار — شاءت المقادير ان تكلم ذوات الدلال على عتبة الحب والباب مغلق !

احسان — وان فتح الباب؟

مختار — لايفتح لهن ابدا!

احسان — لنفرض انه فتح

مختار — تكون معجزة

احسان — فلتكن. الا تعلم يامختار بك ان الحب قادر على هذه المعجزة ؟ الحب هو الذي يشفيها من الدلال

مختار — سبحان الله يا احسان بك ! قلت لك إنها لا تحب ولن تحب؛ وستبقى وفية لذكرى زوجها الذى أحبته ، انى أكثر علما بها وبعواطفها منك ومن كل الناس . لقد إستعاضت عن الحب بالصداقة ، ووجدت فى خلا وفيا وصديقا صدوقا.. يا للساعات السعيدة التى نقضيها معا !! ساعات تتجلى فيها الصداقة بأعلى واجمل معانيها . ذكاؤها وسرعة خاطرها يعادلان جمالها ودلالها، حديثها ينم عن طيبة قلبها ووفائها ، ولصوتها رنات عذبة هى أشبه بنغمات روحانية تبعث الأمل فى الفؤاد . أذا تحاورنا تم فكرنى بنفس الالفاظ التى تحوم حول شفتى، أو تجيبنى بما يولد فى نفسى طائفة من الافكار الطريفة . تصف كلمة منها تنبئنى أكثر من جملة من غيرها ، لأننا تعودنا أن نفكر معا . تعلم كل ما يجيش بصدرى من شعور . وادرك كل ما يتخلل نفسها من ارادة . نحن مخلوقان يتمم كل منا الآخر .

أحسان — لانزاع فى ذلك . صداقتكما لاينكرها الا مكابر

فايد — ولانزاع فى ان الصداقة عاطفة اثبت من الحب، لأنها ترتكز على انقى مافى النفس — على الجزء الروحانى منه

« مختار — « وقد نظر الى ساعته » : ازف الوقت . اسمح لى يافايد بك . اريد ان اذهب الى مكتبة بيكر لاشترى كتابا طلبته منى حكمت هانم ثم آخذه معى اليها . سأحضر الى المحطة هذا المساء لوداعك

فايد — « وهو يشيعه الى الباب » . لاتكلف نفسك . ارجوك

مختار — لا ..... هذا واجب .

احسان — « وقد لحق بمختار ومد له يده » . الى الملتقى

مختار — « وقد اخذ بيده » الى الملتقى

« ثم يحيى احسان قائلا الى هذا المساء . . . « يخرج »

المنظر الثانى

فايد — احسان

احسان — يله من غبى! غبى تماما سابح فى خياله، غارق فى احلامه

فايد — مالك وله ؟ . دعه فى اعتقاده . صداقة حكمت هى نبراس حياته . فى سنه تلعب الصداقة دورا هاما

احسان — دورا يعمى ! النهاية ، دعنا منه . . بلغنى انك غاضبتها . اصحيح ؟

فايد — غاضبت من

احسان — غاضبت الحبيبة المحبوبة ، غاضبت حكمت هانم .

فايد — كيف علمت ذلك ؟

احسان — كل القاهرة تعلم ذلك . كل القاهرة الا واحدا . . . سعادته . « ويشير الى الباب الذى خرج منه مختار . »

فايد — كل القاهرة ؟ اشكرها على اهتمامها بشأنى . آه ! فهمت الآن لماذا اتيت . جئت تدرس نفسى لترى وقع الألم عليها . لكن ياعزيزى ، صدقنى أنى لااتألم . لااتألم الآن . ربما تألمت غدا . وربما بعد ساعة . لكن الآن لا اشعر بأقل ألم . بلغ ذلك من فضلك كل القاهرة .

احسان — يصل ! . . . .

فايد — بل انى أشعر بسعادة . نعم انى لسعيد الآن . حريتى ردت الى . أصبحت طليقا اذهب حيث اشاء متى اشاء ومع من اشاء . اصبحت غير مضطر الى تقديم بيان عن جميع حركاتى وسكناتى يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة — غير مقيد بموعد لايمكنى ان أخلفه ولا ان أتأخر عنه ، لا . . . لا . . . كنت مستعبدا ! . . .

احسان — ضعفك امامها هو الذى مهد لها سبيل التسلط عليك؛ أين ذهبت قوة ارادتك ؟

فايد — ألمن يحب قوة ارادة ؟ لابد انك احببت يا احسان وتعلم . . .

احسان — احببت مرة واحدة . كنت فى الخامسة عشرة من عمرى . والتى احببتها كانت خادمة فى بيتنا تدعى خضرة . عيناها الناعستان سحرتا فؤادى . خصرها النحيل أطار لبى ، فاصبحت طوع امرها ، تسلطت على ففقدت ارادتى . صدقت يا فايد ! يستحيل على من أحب ان يعصى لحبيبته امرا . لكنى كنت فى دور المراهقة ، ومنذ أصبحت رجلا لم أحب مطلقا .

فايد — ذلك من حسن حظك

احسان — ربما ! لكنى على كل حال لست فارغا للحب . . . مثلك . انى اهتم كثيرا بالعلوم والفنون الجميلة .

فايد — الحب علم وفن وله فائدته وجماله .

احسان — ابدا لا فائدة فى الحب ولا جمال ، اللهم الا اذا اعتبرت الألم فائدة والمنكر جمالا .

فايد — وماذا يدرى عن الحب من تنحصر معرفته به فى حبه لخادمة ؟ مسكين يا احسان ! لم تحب فتاة راقية . لم تحب على الأخص فتاة تبادلك الحب . والا لعرفت أن الحب هو هبة النفس كلها ... بلا ترو ولا تبصر . هو اندماج تام لنفسين . هو ائتلاف كامل لقلبين هو صلة بديعة عذبة تمزج بين روحين وتشرق عليهما لا يفصلهما شئ مطلقا .

(البقيه على صفحة ٣٩)

العالم المسرحى والسينمائى

فلم « الوردة البيضاء »

لناقد « الرسالة » الفنى

— ٢ —

أفضنا فى الاسبوع الماضى فى الحديث عن موسيقى عبدالوهاب فى قلبه الاول « الوردة البيضاء » لانها العماد القوى الذى رفع هذا الصرح الشامخ عاليا وأناله هذه المكانة الرفيعة من النجاح والتقدير. وهذه الالوف التى تزاحمت لمشاهدة الفلم انما جذبتها موسيقى عبد الوهاب وألحانه القوية الفياضة التى يصوغها من روحه فتخرج ملؤها الحياة ، تعمر جوانبها ، وتفيض فى نواحيها ، وكأن عبدالوهاب يضع فيها من نفسه ومن حماسته ، ويفرض عليك بعد سماعها ألوانا شتى من العواطف والأحساسات لاقبل لك بدفعها أو الفرار منها ، وانك لتسمع ألحان هذا الشاب بقلبك وجوانحك قبل أن تسمعها بأذنك .

شغلتنا موسيقى عبد الوهاب اذن عن الحديث فى النواحى الاخرى من الفلم ، وما ينبغى ان نغمط الممثلين الأكفاء الذين اشتركوا فى تمثيل هذا الفلم ماأبدوه من الكفاية فى أدوارهم جميعا . ونبدأ بالاستاذ محمد عبد القدوس « خليل افندى » وكيل الدائرة ، فقد كان الممثل الكامل ، وليس للناقد عليه من سبيل ، إذ أدى دوره على أحسن مايكون ، فى بساطة وسهولة ويسر ، وفى كثير من الدقة والأمانة للشخصية التى يمثلها ، وهو مااشتهر به عبد القدوس فى تمثيله السهل الممتنع . وعبد القدوس لا يمثل ، ولكنه يعيش الدور الذى يقوم به . وهذا هو المثل الاعلى لفن التمثيل .

والاستاذ سليمان نجيب فى دور « اسماعيل بك » والد رجاء كان كثير التوفيق فى مشاهده المختلفة ، غير ان نزعته المسرحية كانت تبدو واضحة فى حركاته واشاراته وحديثه . ولو حاول قليلا ان يتخلص منها لما كان لنا مانأخذه عليه . ويبدأ سليمان جملته قوية ، فى صوت مرتفع واضح ، وما يزال يخافت بها حتى يتلاشى صوته فى النهاية فلانسمع الكلمات الأخيرة التى تخرج اشبه ماتكون بالهمس أو المناجاة . وهذا العيب لايغتفر فى المسرح فمن باب أولى فى السينما . على ان مظهر سليمان نجيب بقامته المديدة ، وطلعته الوضاحة ، واناقته المعروفة ، مما يكسبه دائما طابعا خاصا يجعله بارزا ، ويكسب الشخصية التى يمثلها أهمية خاصة ، ويحيطها بجو ملائم لها مما من الترف والنعيم . وسليمان يعد بحق فى مرتبة الممثلين المجيدين بين الهواة والمحترفين على السواء . وكم كنت أود ان أراه فى موقفه من جلال عندما يطلب منه قطع علاقاته بابنته رجاء ، خيرا مما رأيته . وقد كان ذلك فى وسعه .

وشخصية « شفيق بك » التى مثلها الاستاذ زكى رستم مضطربة بعض الشىء ، وأنت لاتستطيع ان تفهمها من سياق القصة تمام الفهم ، ويبدو التناقض فى تصرفات هذا الشخص وفى اعماله طول الرواية ، وتستطيع ان تقول عن شفيق بك انه رجل لاطعم له ولالون ، وهذه الشخصيات التى لاتجد لها معالم اساسية واضحة من الصعب ان تحاسب الممثل على أدائها حسابا دقيقا . على ان زكى رستم استطاع بجهده انه ينقذ بعض المشاهد . وليس الذنب ذنب الممثل اذا كان المؤلف لم يخرج الشخصية واضحة محدودة المعالم والمظاهر .

وقد أدى الاستاذ توفيق المردنلى دوره « ناظر العزبة » بتوفيق يغبط عليه ، وكان فيه طبيعيا لا تلمح فى مشاهده أثراً للتكلف ، بل كان صورة صادقة للفلاح المصرى الطيب القلب السليم الفطرة الصادق فى خدمة مولاه ، وبرغم قلة مشاهده استطاع أن يبرز شخصيته ويجعل لها مكانة واضحة .

مثلت الآنسة سميرة خلوصى دور « رجاء » وهى المرة الاولى للآنسة التى تظهر فيها على الشاشة ، كما أنه لم يسبق لها مران على مهنة التمثيل ، وانها ولا شك خطوة جريئة أن تمثل دوراً له هذه الاهمية فى الفلم ، ولا يكاد يخلو منه مشهد من مشاهده . ولذلك كان التقصير الذى يبدو من الآنسة انما يلام عليه المخرج ، وهو فى هذه الحالة المسئول الاول عن « رجاء » لانه هنا يعمل فى عجينة لدنة يشكلها كيف شاء ، ويدربها جهد ما تستطيعه مقدرته ،

وما تحمله موهبتها واستعدادها . وقد استطاعت الآنســة سميرة أن تجتاز بعض مشاهد الفلم موفقة . كما بدت فى مشاهد أخرى كالطفل الخائف الذى ينفذ أوامر مربيه بنصها خوفا من العلقة، التى تنتظره اذا حاد عن هذه الأوامر قيد شعرة . ولذلك كانت تبدو حركاتها أحيانا وفيها بعض التكلف ، وتحس باضطرابها تحت نظرات المخرج الواقف لها بالمرصاد فى إحدى الزوايا . وبرغم كل هذا نستطيع ان نقول انها نجحت فى دورها ووفقت فى اداء بعض مشاهده توفيقا كبيرا . وفى صوت الآنسة رنة مستحبة ، عذبة الوقع فى الاذن ، ساعدتها كثيرا على ان تجد لها مكانا رفيعا فى قلوب النظارة ، فكسبت بذلك عطفهم واعجابهم ، وبين الاثنين خطوة قصيرة المدى ، واريد ان أهنئها على ذوقها السليم فى اختيار ملابسها التى ظهرت بها فى الفلم : كلها أنيقة بديعة التنسيق تناسب جسمها وتلائمه .

قامت السيدة دولت بدور زوجة إسماعيل بك والد رجاء . وكان من سوء الحظ ان بدت علة الجسم الى درجة كبيرة أضاعت عليها كثيرا من رشاقتها المعروفة ، ولم يبذل المخرج جهدا فى ملافاة هذا العيب . والسيدة دولت ممثلة معروفة ، فلست بحاجة الى الإفاضة فى هذه الناحية ، غير انى آخذ عليها انها أسفت بشخصيتها كثيرا فى المشهد الذى تشتم فيه « رجاء » فقد أتت فيه من الحركات ما لا يتفق والاحترام الذى تحمله لشخصية النور ، وما لا ترتجله سيدات الطبقة الراقية مهما كانت الظروف .

ولا أنسى الاستاذ آدمون توما فى مشهده القصير الذى قام فيه بتمثيل دور المستأجر الأصم ، فقد كان من مشاهد الفلم الموفقة .

* * *

أخطاء الاخراج كثيرة فى الفلم ، وعلى الاستاذ محمد كريم ان يتقبل نصيبه من اللوم فى شجاعة وسعة صدر ، فلا يزال الى اليوم فى خطاه الاولى ، ونرجو له إذا تفرغ لدراسة هذا الفن ، فن الاخراج السينمائى بنواحيه المختلفة وأبوابه المتعددة ، ان يكون فى المستقبل أكثر توفيقا وإلماما بعمله .

أول ما آخذه على المخرج ان مشاهد « جلال » وخصوصا الغنائية منها لم تظهر فى المستوى الفنى الذى كان يجب أن تظهر فيه ، وقد حد بذلك من حرية عبد الوهاب ولم يهيء لبعض أغانيه الجو الذى يلائمها فيزيدها جلالا وسحرا ، ويضاعف تأثيرها فى النفوس ، وشتان بين المشهد الختامى والمشهد الذى يغنى فيه عبد الوهاب « جفنه علم الغزل » وبين مشاهد « ياوردة الحب » و « سبع سواقى » ومشهدى التخت .

وقطعة النيل كان فى مقدور المخرج النابه ان يستفيد مما فيها من حركة وحوار ووصف ، وكان يمكنه ان يخرج منها مشهداً رائعا . فالنيل فى ضوء القمر على مقربة من الاهرام ، وبعض المراكب الشراعية تسير على مهل ، ورجاء وجلال فى قارب منها ، وفى خلوة رقيقة بين أحضان الطبيعة ، هذا وأنغام اللحن الشجى تنساب فى مثل رقة النسيم وخرير الماء ؛ فأية روعة كانت تكون لهذه القطعة ؟ ولكن المخرج حبس جلالا بين أربعة جدران وهو يغنى أنشودته الجميلة ، ولم يحاول حتى أن يستفيد من وجود « رجاء » فى الغرفة المجاورة ، فقد كان فى وسعه أن يتنقل بين الغرفتين ، فنرى جلالا يغنى ، ثم نرى « رجاء » مأخوذة بسحر صوته ، وتبين على وجهها ملامح الانفعال والنشوة والطرب ، مما يكسب القطعة حياة . وأى فارق بين هذا المشهد كما أخرجه كريم وبين ان نسمع هذا اللحن من الحاكى ؟!

وفى مشهد « يا وردة الحب » اضطر عبد الوهاب أن يقف ويدور ، ويجلس تارة على الكرسى ، وتارة على المنضدة ، وأن يتكلف فى الجملة كثيراً من الاشارات والحركات حتى ينتهى من اللحن ، كما ان انشاده لقطعة (سبع سواقى) فى مكتب العمل لم يكن طبيعيا مطلقا ، وكان يمكن ان تهيأ الجو المناسب للقطعتين .

وانى لأعنى أكبر عناية بمشاهد الغناء فى الفلم لانها الاساس فيه . ولذلك اطلت الحديث عنها عامداً . وكنت اود ان تكون عناية الاستاذ كريم بها أكبر ، وتوفيقه فى ابرازها أقوى وأظهر . وقد كانت ميدانا صالحاً لابراز الكفاية والموهبة والذوق الفنى للمخرج .

ومما يعاب على الفلم القفزات التى فيه من ناحية الحوادث ، والتى لم يمهد لها المخرج تمهيداً كافيا ، ثم بساطة الاخراج فى مجموعها يجعله اقرب الى تسجيل الحوادث على طريقة محررى الجرائد اليومية منه الى الابراز الفنى الصحيح الذى يطبع الرواية بطابعه ، ويجعل لها قيمة فنية تكسبها ذاتية خاصة . وكان فى الوسع الاستغناء عن بعض مشاهد الفلم واختزال البعض الآخر . وكان يفيد ذلك فى إضافة مشاهد جديدة تستقيم بها الحادثة ، أو إطالة بعض المشاهد الموجودة التى تبدو كأنها مبتورة .

ومن المشاهد التى ضاعت تماما وكان يمكن ان تكون من المشاهد الفنية القوية التى لا ينساها المتفرج أبداً ، مشهد اسماعيل بك عند زيارته لجلال يطلب منه كوالد قطع صلاته برجاء .

ولست أدرى كيف غابت اهمية هذا المشهد عن المخرج ، مع انه يكاد يكون أهم مشاهد الرواية ، وهو نقطة التحول فيها . كان

(البقيــة على صفحة ٣٩)

الحركة المسرحية والسينمائية في الخارج

فينا

يعد ماكس رينهاردت من أشهر رجال المسرح في العالم اليوم ، وقد عرف بنظرياته الحديثة في الفن والاخراج المسرحي ، ووضع أحد كبار النقاد كتابا عن فنه ومسرحه يقع في عدة أجزاء ، ويعتبر من أهم المراجع في الفن المسرحي الحديث . وكان لرينهاردت مسرحه الخاص في المانيا والى جانبه مدرسته ليتلقى أصول الفنون الجليلة ، وشهرتها معروفة في العالم أجمع ، وقد اضطر الى هجر عمله في المانيا عقب قيام الحركة الهتلرية الاخيرة التي ناصبت اليهود العداء .

ورينهاردت يهودي ، وهو يقيم الآن في فينا وسيبرحها قريبا الى باريس للاشراف على اخراج احدى المسرحيات المعروفة . ثم يقصد استكهلم فكوبنهاجن ، ويخرج في كل من المدينتين بعض الروايات المسرحية ، وفي مارس القادم سيرجع الى فينا للعمل في احد مسارحها الكبرى ثم يبرحها الى أمريكا في رحلة يطوف فيها أشهر مدنها ، وقد أرسل اليه السنيور موسوليني ليتفق معه على أن يتولى اخراج رواية « المائة يوم » في أمريكا . وهي الرواية التي كتبها السنيور موسوليني عن نابليون وظهرت في جميع عواصم أوربا في الشتاء الماضي .

وتدور المفاوضات مع رينهاردت على أن يتولى اخراج رواية « المحراث والنجوم » للكاتب المعروف « شون أوكيزي » في كوبنهاجن في موسم الشتاء الحالي .

ميلانو

وضع رينالتو ليللي من الكتاب المعروفين في ايطاليا دراما غنائية تدور حوادثها حول حياة ريشارد وجنر الموسيقار الشهير . وقد اقتبس لها كثيراً من الحان وجنر في أوبراته المعروفة

دون كيشوت

تعد قصة « دون كيشوت » لسرفانتس الكاتب الاسباني الشهير من أحسن القطع الادبية المعروفة ، ولها شهرتها ومكانتها في العالم أجمع ، وقد ترجمت الى جميع اللغات وأخرجت في العام الماضي على الستار الفضي ، ومثل فيها شاليابين المغني الروسي الشهير دور « دون كيشوت » ، وعمل من الفلم عدة نسخ بلغات مختلفة . ولقي نجاحا كبيراً عند عرضه في عواصم أوربا ، غير أن النقاد في لندن اختلفوا في الحكم عليه ، فالناقد السينمائي « كسبرتس » يرى أن الفلم ليست له قيمة فنية . ويقول سيدني كارول من النقاد المعروفين في سنداي تيمس انه عمل ، وان المخرج فشل في اخراجه ، بينما يعده ناقد « نيوز كرونكل » من أحسن الافلام العظيمة التي أخرجت على الشاشة . وقال بعض النقاد ان هذه القصة لا تصلح للعرض على الشاشة ، لان قوتها وبلاغتها في اسلوب الكاتب وفي دقة وصفه ، وهو ما لا تستطيع السينما ان تنجح في اخراجه

لندن

تعمل الان على مسرح « دوق أوف يورك » فرقة من الممثلين الالمان اليهود من الذين طردوا من المانيا عقب قيام حركة هتلر الاخيرة ، وتعرض الفرقة أشهر روايات شيلر وزدرمان المؤلفين الالمانيين الشهيرين ، وقد اهتم النقاد الانجليز بالكتابة عن هذه الفرقة وعن رواياتها . ونالت حفلاتها كثيرا من النجاح

هوليود

يخرج الآن في هوليود فلم بطله الهر هتلر رئيس الحكومة الالمانية وزعيم حزب النازي . وقد أطلق على الفلم اسم « كلب أوربا المجنون » ويمثل دور البطل فيه شخص لم يسبق ظهوره على الشاشة الفضية ويشبه الهر هتلر تمام الشبه



شاليابين في أحد مشاهد فلم « دون كيشوت » ، والى جانبه دوفيل الذي مثل دور سانكو بانزا في النسخة الفرنسية من هذا الفلم

من لغو الصيف الى جد الشتاء

(بقيـــة المنشور على صفحة ٦)

فى الشتاء جد آخر ، جد خصب حقا، جد نافع حقا، جد نعيش منه ، ونلهو به ، ولا يجنى منه اصحابه الا حياة كلها خشونة وشظف وحرمان، هو جد هؤلاء الفلاحين الذين يعملون فى الارض، لا يحفلون بالبرد ولا يحفل بهم البرد، وفى الشتاء جد آخر ، جد يمزق القلوب، ويعذب النفوس ، ويبعث اللوعة والاسى فى افئدة الذين يعرفون الرحمة واللين ، ويذكرون حين يلهون ان فى الارض قوما آخرين يعنيهم الجوع ، ويلح عليهم البرد، فيقضون ليالى خير منها ظلمة القبور ، فى الشتاء هذا الجو المظلم القاتم ، المرهق المحرق الذى تصوره اجمل تصوير وابلغه تلك الاغنية المشهورة اغنية الاحسان التى مااستطعت ان استقبل الشتاء منذ عرفتها دون ان اسمعها مرة ومرة: .

هذا الشتاء يقبل ومعه حاشيته الحزينة ، ان الاشقياء ليألمون كثيرا فى الشتاء . ان من الحق علينا أن نحميهم من هذا الشقاء، ان البرد لشديد فى دورهم المقفرة!

حقيقة التطور

(بقيـــة المنشور على صفحة ٢٨)

أصبح فى منتهى الاختصاص (over - specialised) كالتنين الطائر او البتيروذكتل (Flying dragon on Pterodactyl) لأنها انقرضت بدون ان ترتقى اكثر من ذلك .

ان بعض الزحافات القديمة لا تزال متمثلة بالتماسيح والضباب وفصائل اخرى موجودة فى الوقت الحاضر ، ولكن البعض الآخر اصبحت انسالا منقرضة وافضت غيرها الى نشوء الطيور واللبائن وهما الصنفان اللذان نستطيع ارجاعهما الى الاجداد الداينوسورية (Dinosaurian) . ولكن الحقيقة التى نعتقـــدها هى انه فى خلال العصور ظهرت صنوف تدرجت فى سلم الارتقاء حتى وصلت الى الانسان وهو ارقى الحيوانات فى الوقت الحاضر . يضاف الى هذه الحقيقة العظيمة جميع السلالات النسبية (Pedigrus) المحفوظة بين الصخور ــ كسلالات الخيول والفيلة والجمال والتماسيح . ومن ينقب يقرأ سجلات التطور بين ثنايا الصخور .

النفس والرقص

L'AME ET LA DANCE

لبول فالـــيرى

ابتداء من العدد القادم ستنشر ترجمة هذه الطرفة للدكتور طه حسين

صديقها عشيقها

(بقية المنشور على صفة ٣٥)

احسان ــ كيف ؟ والشرائع والعادات ؟

فايد ــ الحب يشــوز على كل شىء . ينسف كل شىء كما يغفر كل شىء .

احسان ــ والضمير والواجب ؟

فايد ــ من أحب لا يعقل .

احسان ــ هذه فوضى .

فايد ــ هـذا هو الحب . « يدخل الخادم من البـاب الذى الى اليسار قائلا :»

الخادم ــ وضعت الملابس جميعها . ليتفضل سيدي فيختار من اربطة الرقبة والمناديل ماشاء

فايد ــ انتظرنى من فضلك يااحسان . سأعود اليك بعد قليل

احسان ــ وهو كذلك

« يخرج فايد من الباب الذى الى اليسار ويتبعه الخادم »

تتمة الرواية فى العدد القادم

فلم الوردة البيضاء

(بقيـــة المنشور على صفحة ٣٧)

مشهدا فاترا عليه مسحة التكلف ، وقد يكتفى مخرج نابه قدير بخلق موقف كهذا فى سياق القصة ليبنى عليه مجده وشهرته ؛ وليضفى عليه من فنه حياة وقوة ، لما فيه من أهمية الحادث وصراع العوامل المختلفة . مما يجد فيه المخرج مجالا لابراز كفايته

وكان يستطيع المخرج بفنه وبما يظهره فى ثنايا المشهد من العراك القوى العنيف بين اسماعيل بك وجلال وما ينتاب كلا منهما من مختلف عوامل النفس ، وشتى الانفعالات ؛ واضطراب جلال وألمه الدفين ، وقسوة اسماعيل بك والحاحه الى غير ذلك من المواقف التمثيلية التى يخلقها المخرج ، كان يستطيع بذلك ان يقوى نقطة الضعف فى الرواية من قبول جلال التضحية دون مسوغ او مبرر ، بل كان يمحوها محوا ؛ ويخلق الرواية خلقا جديدا

ولم يلاحظ المخرج التلاؤم بين الأضواء والاشخاص فى بعض مناظر الفلم ؛ كما فاته ان يلائم بين ملابس الممثلين وألوان المنظر والأثاث ، كما ان ساعات الليل والنهار امتزجت امتزاجا كبيرا بحيث كان يصعب علينا أحيانا ان نحددها : فترى مثلا ضوء النهار . ثم مصباحا كهربائيا منارا فى نفس الوقت .

وقس على ذلك كثيرا من الأخطاء المنثورة هنا وهناك . على ان هذا الفلم يعد خيرا من فلمى « زينب » و « أولاد الذوات » ، اللذين اخرجهما كريم من قبل فلنهنئه إذن ؟



على هامش السيرة

تأليف الدكتور طه حسين

للدكتور محمد عوض محمد

اذا ذكرت كلمة (السيرة) في هذه الاقطار الفسيحة التي يظلها الاسلام، فانها لن تنصرف إلا الى معنى واحد، الى سيرة واحدة: هي سيرة محمد بن عبد الله.. وهيهات ان يكون في الدهر كله سيرة أطيب نشرا وأعذب ذكرا من سيرة هذا النبي الأمي، الذي نشأ وسط الصحراء المقفرة المظلمة فلم يلبث ان ملأ العالم خصبا ونورا

وإني إذ أجلس الساعة لأقول كلمتي الضعيفة في هذا الكتاب الذي بين يدي - تعود الى خاطري ذكرى عهد بعيد، حين كنت اطلب العلم في مدرسة المعلمين، وكنت أكثر من الاختلاف الى دار الكتب المصرية؛ حيث أعكف على مطالعة الأسفار التي لها صلة بسيرة هذا النبي الكريم. وكنت أكثر على الخصوص، من مطالعة ما كتبه المستشرقون عن الاسلام، وعن الرسول عليه السلام. فكنت أحيانا أجد ما يطفئ الغلة، وتبرق له الاسارير، وينشرح له الصدر. فأنطلق الى داري راضيا، ممتلئ القلب بالغبطة والسرور. وأحيانا كنت - ويا للأسف! - أقرأ ما يبعث في القلب حنقا وكمدا، فأنصرف الى منزلي حزينا كئيبا مكلوم الفؤاد

ولست أدري تماما ما الذي كان يجذبني الى كتب المستشرقين في تلك السنين، مع أنها كتبت في لغة غير لغتي، وكنت أجد في مطالعتها عسرا ومشقة... لعلي كنت أقبل عليها إذ يشوقني الانصات الى شهادة غير المسلمين بفضل الإسلام، لكني أرجح الآن ان هنالك سببا آخر أحق وأخفى، وهو أني كنت ألتمس سيرة محمد بن عبد الله في تلك الكتب غير العربية لأن ما كتب فيها - على علاته - سهل التناول، منسق الوضع، ولهذا لم تنته أيام دراستي في ذلك العهد حتى طالعت، مثلا، مؤلفات السيد أمير علي الإنكليزية ولم استطع ان أقرأ جزءا واحدا من سيرة ابن هشام. وكان أكبر ما ينفرني من هذه الكتب القديمة ذلك الاكثار من الإسانيد، وادخال الحديث في الحديث، بحيث يختلط الكلام على غير من تعود مطالعة هذه الاسفار

ولقد شكوت الى الاستاذ طه حسين أني بت مضطرا - قبل ان أبدي رأيا في كتابه الجديد - الى مطالعة هذه الاسفار القديمة وأني ساعيا بكل هذه الاسانيد الطويلة العريضة، وهذه الأخبار المتداخل بعضها في بعض. وما أظن دراستي القاصرة ستساعدني على تذوقها والاستمتاع بها..

فقال الاستاذ: إن ألذ شيء عندي في كل ما أطالع وأقرأ هو هذه الاسانيد الطويلة التي تنفر منها. وليس شيء أحب إلي من ان أنصت الى الخبر أو الحديث وأتتبعه من اول الرواية الى آخرها.

فعجبت أولا كيف يتسنى لانسان ذي ذوق سليم ان تحلو له قراءة هذه العنعنات التي لا تكاد تنتهي. لكني لم ألبث أن أفهمت ان المرء متى عرف الرواة جميعا وعلم من أمر كل منهم شيئا، فان هذه الأسماء لا تصبح مجرد أسماء، بل أشخاصا تعرفهم يتحدثون اليك، وتعلم أيهم تستطيع ان تركن الى كلامه وروايته

وبعد ان شرح لي الاستاذ هذا الأمر الذي أشكل علي، تبينت - أو على الأقل ثبت لدي ما كنت أتوهمه من أمره وما أكاد أثبته - أن ثقافة الدكتور طه حسين الحقيقية هي ثقافة أزهرية متينة قوية الأسس، ضخمة الدعائم، وطيدة الأركان. وأن ليست ثقافته الغربية، التي نسمع عنها الشيء الكثير، الا رواء وطلاء ان بهر العين منظره فانه لا يذهب الى غور بعيد. وقديما قال نابليون في الروس: إنك اذا حككت الروسي بدا لك التتري، وفي وسعنا أيضا أن نقول اذا حككت طه حسين، برفق، بدا لك الازهري القح الصميم بكل ما تحمله هذه الكلمة من فضل وعلم.

وقد استطاع طه حسين - على غير عمد - أن يصرف الناس عن حقيقة أمره بحديثه عن اليونان والرومان والسكسون واللاتين، واثارته هذه الزوابع التي برع في إثارتها اثناء كلامه عن أشخاص مثل ديكارت وليبنتز وبودلير، وعن التجديد، وما أدراك ما التجديد.. فلعل أصدقاء طه حسين أن يحمدوا للشخص الضعيف كاتب هذه السطور أن كشف لهم من أمر صديقهم ما خفي عليهم طوال هذه السنين.

وبعد، فان بين يدي كتابا ليس موضوعه جديدا على قراء هذه الصحيفة. فان الفصول الثلاثة الأولى قد ولدت مع الرسالة، وظهرت في أعدادها الأولى، وأعرف أن الكثير من قرائها قد راقهم من الموضوع جدته وطرافته، ولست أشك في ان بهم شوقا للاستزادة من تلك الفصول. فها هو قد أتمها أربعة عشر فصلا، وما أظن - وما أرجو - أن سيقف بها عند هذا الحد.

ان كتب الدكتور طه من صنفين: الأول كتب أدبية بحتة

والثانى كتب فى نقد الأدب وفى تاريخه. وهو نفسه ينعت هذين النوعين بالأدب الانشائى والأدب الوصفى: يمثل الأول كاتب مثل شكسبير، ويمثل الثانى كاتب مثل سنت بوف. وأولى بنا أن ندعو النوع الأول بالأدب؛ والثانى بالنقد والضرب الأول هو الأسمى والأشرف، وكثير من الناس يستطيع أن يستحسن أو يستهجن وأن يبحث ويقرر. أما الابتداع فلم يتح إلا للقليل من الناس. ولقد حاول سنت بوف أن يكون شاعراً فلم يأت بعظيم؛ فانقلب الى النقد ولسان حاله يقول: من استطاع فليكتب، ومن لم يستطع فلينقد!

فى هذه العبارات شىء من التحامل على الناقدين، وقد أوردناها على هذه الصورة عمدا لأننا نريد أن نتحامل على طه حسين الكاتب الناقد، وأن ننتصف منه لطه حسين المؤلف الأديب. فقد رأينا الأستاذ أحيانا ولعا بالانصراف الى النقد والى المؤلفات النقدية مثل حديث الأربعاء وحافظ وشوقى والأدب الجاهلى. ولقد تعجبه هذه الضجة التى تبعثها كتاباته؛ ويغتبط بهذا العثير الذى يثيره فى الفضاء ويملأ به الجو حينا من الزمان. والحقيقة التى نرجو أن يدركها الأستاذ قبل فوات الأوان هى أن الصفحة الواحدة من كتاب (الأيام) أبقى على الزمن من كتاب الأدب الجاهلى كله.

ليس لطه حسين اذن فى الأدب البحت سوى كتب ثلاثة: (الأيام) و(فى الصيف) و(على هامش السيرة) الذى بين أيدينا

ويمتاز هذا الكتاب الجديد من سابقيه بأن المؤلف لم يلجأ هنا الى حوادث حياته الخاصة، بل انصرف الى الأخبار القديمة؛ فالتمس وحيه بين صفحاتها.. والذى يدهش له القارئ أن يرجع الى تلك الكتب القديمة ثم يعود الى (هامش السيرة) فيرى أمامه شيئا مبتدعا مخترعا، وجدة جذابة، وطرافة معجبة. ومع هذا كله لا يرى خروجا عن الأصول التى استوحاها المؤلف واستلهمها

اعتمد طه حسين على الكتب القديمة كما اعتمد شكسبير على قصص فلوطرخوس وأمثاله، وشتان بين السبيل التى سلكها شكسبير وبين الاصل الذى استرشد به.. وكذلك كان طه حسين يتناول الحادث الذى يمر به قارئ السيرة عجلا، دون أن يلفت نظره منه شىء، يتناوله ثم يأخذ فى تصويره وتحليله وابرازه واظهاره وتقليبه على نواحيه، حتى يثب أمام العين وثوبا، ويبدو ما فى الحادث البسيط من حكمة وشعر، ومن قوة وسحر. وأكبر شىء ساعد طه على تأليف كتابه هذا مقدرته على تبين الموقف الذى ينطوى على شىء كثير من الحكمة ومن الشعر؛ فيختار هذا الموقف ثم لا يزال به يصقله ويجلوه حتى يبديه للعين رائعا مجسما ملموسا. وقد خدمه التوفيق فى الكتاب كله؛ فان الفصول – وان تفاوتت أحيانا – فانها جميعا تشهد بحسن الاختيار، والابداع فى التصوير.

وقد أصبحت أشخاص هذا الحديث، وليست أسماء مجردة وألفاظا مسطورة؛ بل كائنات حية بارزة نكاد أن نحسها ونراها تتحرك بين أيدينا: وقد أبدع طه أيما ابداع فى وصف شخصية عبد المطلب ووصف حياته منذ أن أخذ فى حفر زمزم، الى القائه بأبرهة الاشرم، الى رقاده رقدة الموت بين الأبناء والأحفاد. يصف طه هذا كله فيرى الصور أمام أعيننا حية قوية لا لبس فيها ولا ابهام.

فى الكتاب الشىء الكثير الذى يستثير الاعجاب؛ ولكن أكبر ما يعجبنا فيه هذا الابداع فى تصوير الأشخاص عامة وشخص عبد المطلب خاصة، ثم هذه الحياة التى تنتظم المناظر والمواقف، بحيث يرى القارئ نفسه وقد نقل نقلا الى ذلك الزمن وتلك الأمكنة.

وقف المؤلف فى هذا الكتاب على (هامش) السيرة. لم يقف فى وسطها ولا بعيدا عنها بل على هامشها. وقد كان من حسن التوفيق أن اختار هذا الموقف الذى مكنه من أن يبتعد عن السيرة أحيانا اذا دعا لذلك داع: ثم يعود اليها بعد أن يطوف بالآفاق؛ معرجا على بلاد الروم والأحباش واليمن. وقد اضطر الى أن يبتعد عن السيرة قليلا لكى يشرح لنا ماذا دعا أبرهة الأشرم الى الاغارة على البيت الحرام فى العام الذى قدر للعالم فيه أن يستقبل أكرم أبنائه وأشرفهم. فلقد جاء أبرهة من الحبشة الى اليمن لكى يؤدب يهود اليمن على اضطهادهم للمسيحيين الذين استوطنوا بعض جهاتها...

وهذا كله اضطر المؤلف الى ان يرينا كيف حلت اليهودية محل الوثنية، وكيف انتقلت اليهودية الى بعض نواحى جزيرة العرب وكيف حملها «تبع» ملك اليمن والى صنعاء الى اليمن. ثم كيف أخذت النصرانية تنتشر وسط الاضطهاد والتذابح فى مختلف الانحاء: فى مصر وبلاد الحبشة وفى نجران من بلاد اليمن. وكيف قام يهود اليمن فذبحوا نصارى نجران. وجاء الاحباش الى اليمن ليثأروا من اليهود. وكيف بقى أبرهة الحبشى حاكما على اليمن، ثم حاول أن ينشر النصرانية فيها وفيما جاورها من الأقطار. وهكذا أقبل على الحجاز بجيشه وفيلته. وأراد أن يدمر الكعبة فرده الله ودمره هو وجنوده. وفى تلك السنة ولد الصبى اليتيم محمد بن عبد الله..

كان لا بد للمؤلف أن يبتعد عن السيرة قليلا؛ لكى يشرح لنا كل هذه الحوادث، واضطر لأن يقوم بهذا الشرح فى خمسة فصول (من السادس الى العاشر)؛ نحس أثناء قراءتها أن المؤلف يكتب فى شىء من السرعة والايجاز، كأنما يخشى أن يطول غيابه عن مكة وأهلها، وعن السيرة وما يحيط بها. فهو يريد أن يسرع بالعودة اليها. وهو لهذا الى أن مضطر يلخص الحوادث: على خطورتها، تلخيصا، ويكتفى فى بعض المواضع بان يلم بها إلماما. ولقد هممت بأن أؤاخذه على هذا لولا انى ذكرت أن المقام لا يحتمل الاطناب؛ وان الاسراف فى نقش الاطار يحجب جمال الصورة ويضعف أثرها.

برغم ذلك كله فن فى هذا الوصف العجل لحالة الروحية فى الشرق قطعا هى آية فى دقة الخيال والتصوير. وان كان لابد من الاستشهاد فلنذكر للقارئ على سبيل التمثيل تلك القطعة التى يعرض

علينا فيها آلهة اليونان فيرينا أبولو والمريخ وأرتيمس وأثينا ، وقد اجتمعوا لينظروا فيما عساهم يفعلون؛ فلم يلبثوا أن أجمعوا أمرهم على أن يرحلوا عن الديار التى سادوا فيها زمنا طويلا ، وتحكموا فى أهلها قرونا ، وقد آن لهم أن يتراجعوا أمام هذه الآيات السماوية الجديدة التى تحتهم ونسخت دينهم .

بمثل هذا الحوار الشعرى الجميل يصف لنا المؤلف كيف زالت الوثنية اليونانية وحلت محلها اليهودية والنصرانية . وهذه القطعة وحدها تشهد بان المؤلف قد رزق النصيب الأوفر من خصوبة الخيال ، والمقدرة على الباس الحادث العادى ثوبا شعريا رائعا .

وهنالك فائدة أخرى استفادها المؤلف فى موقفه (على الهامش) ذلك أنه استطاع ألا يتقيد بالترتيب الزمنى للحوادث ؛ فاذا بدا له أن يسهب فى وصف شخصية راقته وأعجبته اندفع فى وصفها الى النهاية ، لا يلفته عن ذلك حادث أو خطب . فقد أعجب ـ مثلا ـ وحق له أن يعجب ، بشخصية أم أوفى حاضنة النبى ، فلم يزل يصف حياتها منذ ولادة محمد بن عبد الله الى أن شهدت عهد أبى بكر وعمر وعثمان ، ثم يعود بعد ذلك الى حديث الرضاعة ووفاة عبد المطلب .

وهذه الخطة التى ألزم بها المؤلف نفسه قد تبدو غريبة وربما اعترض عليها بانها تدفع بالقارىء من أول السيرة الى عصر الخلفاء الراشدين ثم تعود به مرة أخرى الى بدء السيرة ، ولا تزال بالقارىء هكذا ذهابا وايابا ، ومع أن لهذا النقد وجاهته التى لا شك فيها ، فان للمؤلف عذره بان الذى يريد أن يكتبه ليس حديث السيرة بالذات بل دراسات مستقل بعضها عن بعض ، وفى وسع القارىء أحيانا أن يطالع الفصل مقتطعا من الكتاب فلا يكاد يفتقر الى ما سبقه .

بقيت كلمة لابد منها عن أسلوب الكاتب ، أى عن طريق الأداء عن المعانى والابانة عما فى صدر المؤلف .

ان لطه حسين من السيطرة على اللغة العربية التى لا تضارعها لغة فى قوتها وفصاحتها ، كما لا تضارعها لغة فى شدتها ومنعتها ، أن لطه حسين من السيطرة على هذه اللغة وعباراتها المتينة الرصينة ما لا يعرفه الا الذين عنوا من كتبه ونبوه وهو يعمل فى قوة ونشاط . ومتى وفق الى اختيار الموضوع الذى يرضاه ؛ وهداه خياله الواسع الى طريقة معالجته ، فقد هان الامر وسهل كل شىء ومضى فى الاملاء كما يتدفق النهر الجارى .

غير أننا اذا كنا نشكو شيئا فاننا نشكو هذه القوة بعينها . وهذه السيطرة التى قد تطغى أحيانا فتدفع بالكاتب الى التعسف ، والى الابتعاد عن الطريق التى يسلكها الناس جميعا ، انظر اليه مثلا إذ يحدثك عن الدمع الذى يتساقط غزيراً من العينين فيقول لك انها دموع غلاظ . ويكفى أن يعلم طه أن الناس جميعا يقولون دموع غزار ، لكى يقول هو دموع غلاظ .

هذا الشىء ، والقليل مثله مما قد يصادفنا فى الكتاب ، سنة من سنن القوة والسلطان رأيناها من قبل فى مثل أبى تمام وأبى الطيب المتنبى الذى كان يتعمد قول الشىء الغريب النافر لأنه قوى ولأنه مدل بقوته ، ولأنه لا يبالى بالأرض ومن عليها .

وما أحسن المثل العامى الشهير (العافيه هبله !)

على ان المؤلف فى هذا الكتاب قد أدى معانيه بلغة فيها بلاغة وابداع يفوقان حتى الذى ألفناه منه وتعودناه . والسبب فى هذه الاجادة سهل إيضاحه : فان الموضوع الذى يعالجه هنا موضوع عربى صميم ، والبيئة عربية خالصة . والمتكلمون من قريش وغير قريش من الناطقين بالضاد . وهذا كله قد أتاح للمؤلف فرصة لأن يتدفق نهره العربى الفصيح الذى لا تشوبه عجمة اللاتين ولا التواء السكسون . فانطلقت سليقته العربية حرة طليقة وأكبر الظن أنه هو ليس مدركا لهذا الامر . ومع ذلك فان فى الكتاب قطعا قد بلغت فى الاسلوب الشعرى منزلة يصعب أن نجد لها ضريبا . حقيقة أن أمثال تلك القطع ليس فى كل مكان من الكتاب ، ولكنها فى كثير من المواضع ، بحيث يصبح من العبث أن نستشهد هنا بقطعة أو قطعتين . ولا بد للقارىء من الرجوع الى الكتاب كله . ولابد له من قراءته فى تأمل وتمهل وتذوق لهذه الفصول الرائقة التى يسموفيها النثر حتى يضاهى الشعر ، ويؤثر فى النفس تأثيرا شعريا خالصا .

وللمؤلف شغف بالوضوح والبيان ، فهو لا يحاول أن يستر معنى ولا فكرة بستار أو غشاء . وما حاجة الوجه الجميل الى الستر ؟ فهو ليس من عشاق الغموض ، بل إنه ليسرف فى حبه للوضوح والجلاء اسرافا ، ولهذا نراه يكثر من هذا التكرار الذى يعرفه قراؤه دون أن يدركوا له سرا . بل ربما لم يدرك هو نفسه سر هذا التكرار . وقد يعده الناس من ضرورات النثر المنسجم ولهم فى هذا بعض الحق ؛ ولكن أكبر الحق فى هذا ان الذى يدفعه الى تكرار لفظ من آن لآن هو رغبته فى ان يفهم عنه ما يقول من غير لبس ولا إبهام .

والآن ، وقد أوشك هذا النقد أن يختم . يتردد فى النفس سؤال : سؤال من ذلك الطراز الذى يدفعنا اليه الفضول الأدبى . وهو من أى أنواع الأدب هذا الكتاب الذى بين أيدينا ؟ أهو رواية قصصية تاريخية ؟ أهو من نوع المقامات أم مجرد مقالات ؟

ولست أدرى ما ولع النقد بتصنيف كل شىء وتسمية كل أثر ؟ ولئن كانت الفاكهة لذيذة شهية ، فهل يضيرنا أن نجهل اسمها ؟ ان الفكر البشرى ما برح مولعا بأن ينسج على غير منوال . لكن اذا اجتهدنا أن نجد لهذا المؤلف شبيها بين المؤلفات ، فلعل أقرب شىء يشبهه هو تلك الملاحم التى تصف العصور الغابرة ، وتجمع بين القوة والاعجاز

Ire. Année, No. 25

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الاقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

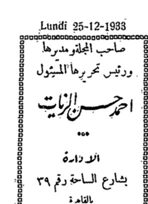
الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 25-12-1933


صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٣

العدد الخامس والعشرون — القاهرة في يوم الاثنين ٨ رمضان سنة ١٣٥٢ — ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة

رمضان . . . .

نعم رمضان ! ولا بد من رمضان بعد أحد عشر شهراً قضاها المرء في جهاد العيش ، مستكلب النفس ، مستأسد الهوى ، متنمر الشهوة ، ليوقظ رواقد الخير في قلبه ، ويرهف أحاسيس البر في شعوره . ويُرجع روحه الى منبعها الأزلي الأقدس فتبرأ من أوزار الحياة ، وتطهر من أوضار المادة ، وتتزود من قوى الجمال والحق ما يُمسكها العام كله على فتنة الدنيا ومحنة الناس .

فرمضان رياضة للنفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتأمل ، وتوثيق لما وَهي بين القلب والدين ، وتقريب لما بعد بين الراقه والمسكين ، وتأليف لما نفر من الشمل الجميع ، وتندية لما يبس من الرحم القريبة ، ونفحة من نفحات السماء تفعم دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة !

ورمضان كله عيد وطني شامل ، تفيض بالسرور انهاره ، وتغرق في النور لياليه ، وتفترّ بالانس مجالسه . فالرجال يحيون اماسيه في محافل القرآن او منازل اللهو النزيهة ، والنساء يوزعن الوداد والأنس على الأبهاء الكثيرة ، والاطفال المازجون يزينون الطرقات بفوانيسهم الملونة الصغيرة ، والبيوت الباقية على العهد تتقرب الى الله بالذكر والصدقات ، والمساجد المقفرة طول العام تعج بالوعظ والصلوات ، والمآذن الحالية بالمصابيح ، الشادية بالتسابيح ، ترسل في اعماق الأبد نور الله وكلمته !

وكل شيء في رمضان جذلان مغتبط، ماعدا الرومي في الحان، والشيطان في كل مكان!

ورمضان مظهر قومي رائع، يعيد الى القاهرة عز القرون المواضي، فيصبغ لونها الأوربي الحائل بصبغة الشرق الجميلة، ويرفع صوتها الخافت بشعائر الصوم الجليلة، ويبرز شخصيتها الضائعة في زحمة الاجانب بالمظاهر الرسمية للحكومة، والتقاليد العرفية للشعب. وما أروع القاهرة في سكتتها عند الافطار، وجلبتها عند السحور، وهزتها ساعة انطلاق المدفع!

ورمضان بعد ذلك كله رباط اجتماعي وثيق، يؤكد اسباب المودة بين اعضاء الاسرة بالتواصل والتعاطف، وبين افراد الأمة بالتزاور والتآلف، وبين اهل الملة بذلك الشعور السامي الذي يغمرهم في جميع بقاع الأرض بأنهم يسيرون الى غاية الوجود قافلة واحدة، ممتزجة الروح، متحدة العقيدة، متفقة الفكرة، متشابهة النظام، متماثلة المعيشة

ولكن رمضاننا الأول وا أسفاه لم يخف على طبع المدنية الحديثة! فرمته بقلة الانتاج وكثرة الاهلاك وشل الحركة وقتل الصحة، ونفته الى أحياء العمال وقرى الفلاحين، واتخذت لنفسها من بقاياه رمضان آخر رقيق الدين، خفيف الظل، باريسي الشمائل، يبيح النظرة المريبة والكلمة العارية والأكلة الدسمة والسيجار الغليظ، ولا يسألهم من ظرفه الا ان يجعلوا العشاء عند الغروب وبعد طلقة المدفع! واذا كان في بيوت المحافظين قارىء يقرأ القرآن، وذاكر يذكر الله، فليكن في بيوت المتجددين (راديو) يرجع أصوات الغناء، وحاك يردد اهازيج الرقص!

وهكذا تجد الليالي ونحن نلعب! كأنما كتب علينا أن نأخذ الحياة من جانبها الفضولي العابث فنتأثر بها ولا نؤثر فيها، وكأنما همنا ان نعيش صعاليك على تقاليد الأمم دون ان تميزنا خصيصة من قومية، ولا شعيرة من عقيدة! وكأنما الشعائر التلمودية القاسية عاقت اليهود عن المغامرة والنبوغ والتقدم!

أما رمضان القرية فلا يزال يحل من أهلها محل النور من العين والمهجة من القلب! تجسمت في خواطرهم صورته حتى جعلوه رجلا له حياته وعمره وأجله.. يذكرونه على شهرين من مقدمه، فيحسبون حسابه، ويهيئون أسبابه، حتى اذا دب اليهم من غيوب الآباد دبيب الهرم سلسلت الشياطين. وأرسلت الأملاك، وهبطت الأرواح، ودرت أخلاف الخير، واغدودقت أصول النعم! هنالك يملك القرية شعور تقي هادىء خاشع، فلا تعود تسمع لغواً في حديث، ولا عنفاً في جدل، ولا بغياً في خصومة؛ فاذا أذهل أحدهم الغضب فرفع صوته ندم عجلان واستغفر ثم قال: اللهم اني صائم! ذلك لأن رمضان يرجع الفلاح نقيا كقطرة المزن، طاهراً كفطرة الوليد، فلا يقتل ولا يسرق ولا يشهد الزور ولا يقول الهجر ولا يأتي المنكر. وما أجمل أن ترى فاتك الأمس ناسك اليوم! يمشي من البيت الى المسجد في ثوبه النظيف وئيد الخطو، غضيض الطرف؛ لا تترك المسبحة يده، ولا يفتر عن التسبيح لسانه، فاذا قابل القروية الجميلة وعلى رأسها الجرة، اتحد جمالها في نظره، بجمال الخير في نفسه، فأمعن في التسبيح واستغرق في الله. لأن ابليس في رمضان سجين، وباب الغواية مغلق!

يقضون صدر النهار في تصريف أمور العيش، ثم يجلسون على المصاطب في أشعة الأصيل الفاترة يستمعون القصص أو الوعظ. حتى اذا تضيفت الشمس جلسوا في الطريق أمام بيوتهم فمدوا الموائد على الأرض، ودعوا اليها عابري السبيل وطالبي الصدقة، ثم لا يلبث الاخاء المحض أن يجعل الموائد المتعددة مائدة واحدة، يصيب منها من يشاء ما يشاء!

أما ليلهم فاستماع للقرآن، واستقبال للاخوان، ومسامرة مشتركة ساذجة تجمع افانين شتى من شهي الحديث.

وكلما انقضى نهار من رمضان تغضن سرار من وجوه القوم، حتى اذا لم يبق الا ربعه الأخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت، فندبوه في البيوت والمساجد، ورثوه على السطوح والمآذن، وبكوه يوم (الجمعة اليتيمة) أحر بكاء.

فاذا كان المغرب الاخير ولم يبق من رمضان الا بقية روح، خامرهم الخوف من انطلاق الشياطين السجينة، فجلس الصبيان على ابواب الغرف يكررون البسملة ويضربون حديداً بحديد، ليحفظوا البيت من دخول شيطان مريد!

ذلك رمضان كما تدركه الفطر السليمة والقلوب المؤمنة، وهو وحده الباقي لفلاحنا من غفلات العيش ولحظات السعادة! ولكن وا أسفاه! لقد أفسدت الأزمة رمضان القرية، كما افسدت المدنية رمضان المدينة!

احمد حسن الزيات

وقفة على جسر اسمعيل

للاستاذ عبد الحميد العبادى

اذا حق لبغداد ان تباهى فى غابر أيامها بلدان العالم بجسرها الاكبر الذى كان معقوداً فوق دجلة ، والذى يقول فيه على بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

واذا كانت «فروق» عاصمة الترك من آل عثمان تذوب حياء وخجلا كلما أنشد قول شوقى فى جسرها المتهدم المتساقط:

أمير المؤمنين رأيت جسرا   أمر على الصراط ولا عليه

فمن حق القاهرة أن تسحب الذيل تيها وافتخارا بجسر اسمعيل فهو من غير شك أعظم من جسر بغداد وأروع ، وهو لم يظفر بمثله بلد عظيم ظل متبوع مصر أحقابا طوالا .

*
* *

نشدتك الله أيها القارىء الا ما وقفت مرة بذلك الجسر فى أى وقت شئت ، وعلى أى حال كنت . قف بكرة ، أو ضحى ، أو أصيلا . قف فى الهزيع الأول أو الثانى من الليل . قف صيفا ، أو خريفا ، أو شتاء ، أو ربيعا . قف فى مقتبل السن ، أو كهلا قد توسط الحياة ، أو شيخا نالت منه السنون ؛ فانا زعيم لك بانك واجد جمالا يملأ الجوانح ، وحسنا يستغرق العقل . هنا الجمال ! هنا الروعة ! هنا الفتنة ! هنا قطعة من رياض الجنة ، أهبطها الله الأرض ثم أباحها الناس جميعا ، يستمتع بها الغوى والمهتدى ، والمقتصد فى أمره ، ومن كان على نفسه مسرفا .

*
* *

جسر رشيق التكوين ، موزون الأبعاد ، يساير الشمس من مشرقها الى مغربها ، والقمر من لدن بزوغه الى أفوله . فأن غابت الشمس وأبطأ القمر فالمدلج السارى عوض عنهما فى البرج الوهاجة القائمة على جانبيه ترسل نورا هادئا لينا لا يفرق البصر ولا يحسره . حتى كأن الكواكب قد دنت فتدلت ، فاختار منها مهندس ذلك الجسر ماشاء ، ثم نظمه سمطين على حافتيه .

ثم هو لا تهدأ عنه الرجل ساعة من ليل أو نهار . ففى النهار ترى امواج الساعين فى الأرض تتدافع فوقه بالمناكب والمراكب . فاذا تصرم النهار ، وطفلت الشمس لغروب ، رأيت المتروحين المتنزهين يغشونه زرافات ووحدانا . يلتمسون طيب الهواء ، وجمال المنظر ، وبهجة الخاطر . فاذا اختلط الظلام وأرخى الليل سدوله بات الجسر مستراداً ومذهبا لقصاد الجزيرة من العائبين اللاهين ، والعشاق المدلهين . سيان حديث مغمغم ، ورءوس متساندة وأصابع مشتبكة ، وخطى مضطربة ، قد لفهم الليل من نور القمر أو المصباح فى مثل الكلة المخرمة تبين ما اشتملت عليه وتستره ، وتخفيه وتظهره ، على ان كلا آمن مطمئن كأن تلك الاسود المقعية عند طرفى الجسر أرصاد موكلة بحراسة الجسر ورواده .

ثم ارم ببصرك ذات اليمين وذات الشمال . فهذا النيل اكثر انهار الارض بركة ، وأحفلها بالذكرى ، ينساب متدفقا مترفقا ، يصافح متنه نسيم الاصيل فيحيله وشيا منمنما ، وتصب عليه الشمس اشعتها الفضية والذهبية فتحيله تارة لجينا سائلا وأخرى ذهبا مذابا . حتى اذا غربت الشمس وتألق الافق وانعكست فيه صور النجوم والمصابيح التى تكتنفه من كل نواحيه ، رأيت المجرة بين يديك ، ان شئت خضتها خوضا ، وان شئت لججت فيها تلجيجا .

وهذه الجزيرة تعترض الافق الغربى بنخلها الذاهبة فى السماء ، واشجارها الجاثمة على الأرض ، وبنورها الضاحك وطيرها الصادح كأنما هى حجة بليغة على ما بقبالتها من معاهد وديار يهيب بها كل ماحولها ان ليس هذا بعشك فادرجى ، ومع ذلك فقد أعدت هذه الدار والمعاهد عدوى الحسن المجسم أمامها فأكسبتها رقة مدنية ، وخلعت عليها مسحة من جمال تعرفها فى الدار والديار .

*
* *

كل جزء من أجزاء هذا المنظر الفخم يسر اليك نجوى ، ويتلو عليك نبأ . فهذا الجسر يصور لك الحياة معرفة بين نكرتين ، ومعلوما بين مجهولين . وهذه الخلائق التى تتصرف فوقه آناء الليل واطراف النهار ، عملا ، واستراحة ، ولهوا ، كأنى بها تحدثك بان لا بأس علينا من أعمالنا متى صدرت مطاوعة لحاجات نفوسنا . وهذه الجزيرة التى يبدو لك بالنهار نخلها وشجرها عرائس تونق العين وتفتن القلب ، فاذا أظلم الليل تراءت فوق الأفق شخوصا واشباحا توحشك وتروعك ، كأنى بها تفضى اليك بان للظواهر دون الحقائق الأثر الأقوى فى توجيه حكمنا على الاشياء . وهذه الثكنات الغصة بالجند واللأمى بالسلاح . ماعبرتها وما بيانها؟ استمع اليها تخبرك لمن كانت امس ، ولمن هى اليوم ؟ وتنشدك قول شجرة عدى بن زيد :

رب ركب قد أناخوا عندنا   يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا   وكذاك الدهر حالا بعد حال

أما النهر الدافق ، والجو الرائق ، والنجوم اللامعة ، والشمس الساطعة ، فتلك كلها السنة تهتف بأن العزة والدوام لله وحده ؟

الأحنف بن قيس

للاستاذ احمد أمين

ضئيل الجسم ، صغير الرأس ، متراكب الأسنان ، مائل الذقن ، ناتئ الوجنة ، غائر العينين ، خفيف العارضين . أحنف الرجل ، ليست خصلة تدل على قبح المنظر إلا وهو آخذ منها بحظ ، تنبو عن مرآه الإحداق ، وتتفادى من شخصه الأبصار ، وهو مع هذا سيد قومه ، سيد تميم . وهي ماهي في العظمة — إن غضب غضب لغضبته مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب . خطير النفس ، بعيد المرمى ، ما زال يسود حتى بلغ مرتبة لا يسمو اليها أمل ، ومنزلة لا يتعلق بها درك . اذا أوفد وال وفداً الى خليفة فالاحنف أحد الوفد أو رئيسه وخطيبه ، واذا اختلف الأمراء على الخلافة فالاحنف من أول من يفكرون في اصطناعه ، واذا حزب الامر ، وعظم الخطب ، فالاحنف من يفزع اليه في المشورة — دوي اسمه بين المسلمين في الأحداث الأولى للاسلام ، وخرج منها على كثرتها وتعقدها واضطراب الاهواء فيها — نقي السيرة ، يقر بعظمته من كان له ومن كان عليه ، وظل اسمه علماً رفيعاً في نواح مختلفة على مر الازمان ، إن أرخت الحروب الاسلامية فأحد قادتها وغزاتها ، وإن ذكرت الأخلاق فأحد أشرافها ونبلائها ، وان أرخ الادب والخطب والحكم والامثال فهو ابن بجدتها .

ولد قبل الاسلام ولكن لم ينل شرف الصحبة لرسول الله ، ووقف من أول أمره وهو فتى موقفاً يدل على قوة عقله وصدق نظره ، فان رسول الله (ص) أرسل رجلا الى بني سعد رهط الاحنف فجعل يعرض عليهم الاسلام ، فقال الاحنف لقومه : إنه يدعو الى خير ، ويأمر بخير ، فلم لا نجيب دعوته ، وسرعان ما ساد تميماً وهي قبيلة من أعز القبائل وأقواها وأشرفها . كانت تسكن مساحة كبيرة من جزيرة العرب تشمل نجداً وجزءاً من البحرين وجزءاً من اليمامة ، وانقسمت تميم لكثرتها الى فروع كثيرة كانت تعادى أحياناً وتتحالف أحياناً ، ولذلك لم يكن عجيباً أن يتهاجى الفرزدق وجرير شر هجاء ، وكلاهما من تميم ، ولكنهما من فرعين مختلفين — حاربت تميم نفسها ومن حولها في الجاهلية . وشغلت حروبها أياماً كثيرة من أيام العرب . وكان لتميم راية في الحروب خاصة على صورة العقاب ، كما كانت راية بني أسد على صورة الاسد — ثم أسلمت وحسن اسلامها . ولكنها ارتدت أيام الردة الى أن ردها خالد بن الوليد الى الطاعة ، وكفرت عن ردتها بما بذلت من جهود في الفتوح ، حتى اذا تم الفتح سكن بعضها الكوفة وبعضها البصرة . وكان الاحنف بن قيس سيد تميم البصرة — وقد ظلت تميم في الإسلام وفيها ألوان كثيرة من ألوان البداوة . ومن هذا النوع من البداوة ما بدا من نزعتهم الخارجية . فقد كثر الخوارج من تميم ، وكان قطري بن الفجاءة وكثير ممن تبعه من الازارقة من قبيلة تميم .

وأنجبت تميم كثيراً من نوابغ الشعراء لا يعنوننا الآن ، كما أنجبت كثيراً من السادة والإشراف والعظماء ، وكانوا سلسلة كسلسلة الذهب متصلة الحلقات يتعلم بعضهم من بعض خلق السادة كما يتعلم العلم على الاساتذة ، وكان أستاذ الاحنف ابن قيس في السيادة ، قيس بن عاصم ، المنقري التميمي الذي قال فيه رسول الله (ص) لما رآه « هذا سيد أهل الوبر » وقد قيل لقيس هذا : صف نفسك . فقال أما في الجاهلية فما هممت بملأمة . ولا حمت على تهمة ، ولم أر إلا في خيل مغيرة أو نادي عشيرة . أو حامي جريرة . وأما في الاسلام فقد قال الله تعالى : « ولا تزكوا أنفسكم » . وقد نزل في البصرة كتلميذه الأحنف ، وتعلم الأحنف منه الحلم . ولما مات قال فيه القائل :

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحما

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

خلف الاحنف قيساً في السيادة . وكان أبو موسى الاشعري واليا على البصرة فبعث بوفد منها الى عمر بن الخطاب فكان

الاحنف أحدهم وخطب بين يدى عمر يسترعيه النظر لأهل البصرة . فاعجب به عمر وقال « هذا والله السيد ! » فدوت هذه الكلمة فى الانحاء .

أ كثر الواصفون فى ذكر الاحنف ومزاياه وسيادته ، والسيادة أنواع ، وقد ترى لكل سيد طعماً لا تجده فى سيد آخر ، ولكل سيد نقطة تتركز فيها عظمته قد لا يشركه فيها سيد آخر ، فسيدٌ عظمته فى شجاعته ، وسيد عظمته فى سخائه وسيد عظمته فى قول الحق يجهر به والسيف على رأسه ، فان نحن بحثنا عن مركز العظمة فى الاحنف ، فعظمته كانت تتركز فى خصلتين تتصل إحداهما بالاخرى اتصالا وثيقاً : أنه منح نظراً صائبا يتعرف به المحاسن والمساوى ، ومعالى الامور وسفسافها ، وقلّ أن يخطىء فى ذلك ؛ ثم منح الى ذلك ارادة قوية يحمل بها نفسه على ما أدرك من معالٍ ومحاسن مهما كلفه من مشقة وحمّله من جهد ، فلو علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه ؛ وهى ـ كما ترى ـ نقطة ارتكاز يحمل فوقها كثير من الفضائل ، على حين أن نقطة الارتكاز عند كثير من السادة لا تحمل الا فضيلة واحدة

وهذا يفسر كل ماروى عن الأحنف ، كان لا يعبأ بالمال ، وكان لا يعبأ بالحياة ، وكان يفر من الشرف والشرف يتبعه ، وكان يخضع للحق اذا لزمه خضوع الذليل المستخذى ، واذا كان الحق بجانبه دافع عنه دفاع المستأسد الضارى ، يقف أمام على وأمام معاوية وأمام زياد بن أبيه فيجهر بالحق الصريح من غير مجمجة ولا موارية ولا يبالى ما بعده

تولى فى زمن عمر بن الخطاب فتح خراسان فدوخ الفرس وملكهم يزدجرد ولقى من الحروب ما تشيب من هوله الولدان ، ولكنه صبر وظفر ، وأنجد ملكَ الفرس التركُ وأهل فرغانة والصغد فلم يكن فيهم أمام الاحنف وجنده غناء

ووقف الاحنف العربى البدوى وليد الصحراء فى شملته يطارد يزدجرد المتوّج ربيب النعمة ، وعصارة المدنية ، وسليل الاكاسرة ، ونتاج الحروب المنظمة بين فارس والروم ، فى العدد والعديد ، والجنود والبنود ، فظفر التميمى بسيد فارس وطارده حيثما حل حتى جاوز حدود بلاده وخرج منها لا الى رجعة . وأقبل أهل فارس ـ كما يقول ابن الاثير ـ على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم ، على أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة ، واغتبطوا بملك المسلمين .

فلما نشبت الحرب بين علىّ ومعاوية رأى الحق فى جانب علىّ فانضم اليه بقومه ، وأعان علياً بسيفه ورأيه ، فاشترك معه فى حرب صفين ونصحه ألا يكون أبو موسى الاشعرى حكما ، وظل مخلصاً له العمل والقول حتى قتل علىّ . ودانت البلاد لمعاوية فاطاع معاوية فى شمم وإباء ، فقد دخل عليه يوماً فقال له معاوية : أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين ؛ فقال له يامعاوية لا تذكر ما مضى منا ، ولا ترد الامور على أدبارها ، فان السيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا ، والقلوب التى أبغضناك بها بين جوانحنا ، والله لا تمد الينا شبراً من غدر الا مددنا اليك ذراعاً من ختر ، وان شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو من عفوك . فقال له معاوية فانى أفعل ، ثم استرضاه ومن معه

ولما أراد معاوية ان يبايع لابنه يزيد أخذ الناس يتكلمون فى مدح يزيد والثناء عليه ، ويمدحون معاوية على عمله والاحنف ساكت ، فقال له معاوية مالك لا تتكلم يا أبا بحر وكانت كنيته فقال قولته المشهورة : « أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت » فكانت كنايته أبلغ من التصريح

ويظهر انه بعد ان قتل علىّ رأى من المصلحة للمسلمين ان يشايع الامويين ، فان هذا أقرب الى الوحدة وأدعى الى الالفة حتى مع ما هم فيه من ظلم أحيانا وطغيان احيانا ، يدل على ذلك تاريخه وقوله فقد استنصر به الحسن بن على على معاوية فلم يجبه وقال « قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهم ايالة الملك ولا مكيدة الحرب » ـ وكان بينه وبين عبد الله بن الزبير جفاء ، فلم يشايعه فى الخروج . ورأيناه ينصح قوما من تميم أرادوا ان ينضموا الى ابن الزبير الا يفعلوا

ولكنه كان يطيع الامويين وولاتهم طاعة الحازم العاقل ، يتقدم فيما يرى ويمحضهم النصح فى صدق واخلاص ،

ولهموقف مع زياد من خير المواقف أثرا فى تاريخ الاسلام، فقدهم زياد ان يقتل الموالى لكثرتهم ومزاحمتهم العرب فاستشار الاحنف فقال ؛ان ذلك ليس لك . ان رسول الله لم يقتل من الناس من قال لا اله الا الله وشهد أن محمدا رسول الله وانهم غلة الناس ، وهم الذين يقيمون أسواق المسلمين ، أفتجعل العرب يقيمون أسواقهم قصابين وقصارين و حجامين ؟ فأذعن زياد لرأيه ونزل على اشارته ، ويقول الاحنف انه ما بات ليلة أطول منها خشية ان ينفذ زياد فكرته

ووقف فى البصرة موقفا بديعا يصلح بين القبائل المختلفة المتعادية من الازد وبكر وعبد القيس ، ويبذل من ماله ديات لما يقع من القتال حتى يلتئم صدعهم ويجتمع شملهم ويعيشوا فى البصرة عيشة هادئة مطمئنة

لقد عابوا عليه أنه ذكر أمامه الزبير بن العوام عندما ترك القتال يوم الجمل ومر ببنى تميم نغابة الاحنف وقال جمع الزبير بين الناس يقتل بعضهم بعضا ويريد ان ينجو الى اهله ، فتبعه رجل سمع هذا القول فقتله ، فقال الناس ان الاحنف قتل الزبير بكلامه

كما عابوه بأنه كان شيخا مطيعا لجاريته « زبراء » حتى كان الناس يكنون عن وقوع الحرب بقولهم « غضبت زبراء » لانها اذا غضبت غضب الاحنف ، واذا غضب الاحنف شرعت الاسنة وانتضيت السيوف »

ولكن أى عظيم لا يعاب ؟ وكفى الاحنف نبلا أن كانت عيوبه من هذا القبيل لا تخدش شرفا ولا تجرح عرضا

وللاحنف ناحية أخرى بديعة هى ناحية أدبية غزيرة أمدت كتب الادب العربى بغذاء صالح قوى ، هو ما روى عنه من جمل حكيمة جمعت الى حسن اللفظ وقوته ، جودة المعنى وصحته ، وتضحت عليها صفات الاحنف النبيلة الشريفة وكانت خلاصة لحياة حافلة بالتجارب . كانت هذه التجارب والمعانى فى دماغ ارسطو اليونانى الفيلسوف فصاغها صياغة علم وفلسفة ، وكانت فى دماغ الاحنف بن قيس العربى البدوى فصاغها فى شكل حكم وأمثال وجمل موجزة ، تحمل معانى غزيرة ، فكان لكل مزايا منهجه فى النظر ومنهجه فى القول

لقد وصل الاحنف فى الاسلام ما بدأ به أكثم بن صيفى من الحكم فى الجاهلية ، وزاده الاسلام غزارة وفيضا . وكانت حياته العملية من حروب واتصال بالسلطان والولاة وخبرة بالناس ونزاعهم وأنظارهم . وسيادته وكثرة سؤال الناس له عما سوده ـ مددا صالحا يستقى منها حكمه وأقواله ، من مثل قوله : « أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك ، ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة ، شريف من دنى ، وبر من فاجر ، وحليم من أحمق . لا خير فى قول إلا بعقل . ولا فى منظر إلا بمخبر ، ولا فى مال إلا بجود ، ولا فى صديق إلا بوفاء ، ولا فى حياة إلا بصحة وأمن ـ ومن حق الصديق أن تحتمل له ثلاثا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة » الخ إلخ وله أقوال فى الولاة وفى الصداقة وفى السؤدد وفى مكارم الاخلاق مثبتة بها كتب الادب ، تدل على صدق نظر ، وصحة تجربة ، وقدرة على صياغة ذلك فى جمل رصينة

من أجل هذا كله نال عند الناس منزلة قل أن يطمع فيها طامع : يعجب الناس بعقله حتى يقول سفيان : ما وزن عقل الاحنف بعقل أحد إلا وزنه ، ويعجبون بسيادته وهيبته حتى يقول القائل :

إذا الإبصار أبصرت ابن قيس ظللن مهابة منه خشوعا

فلله الاحنف قائدا فى الحروب لا يبارى ، ولله الاحنف سيدا فى قومه مطاعا ، ولله الاحنف حكيما مجربا ، ولله الاحنف بليغا مفوها ـ ولله السعدية إذ رثته فقالت : « نسأل الله الذى ابتلانا بموتك ، وفجعنا بفقدك أن يوسع لك فى قبرك ، وأن يغفر لك يوم حشرك ، فلقد عشت مودودا حميدا ، ومت سعيدا فقيدا ، ولقد كنت رفيع العماد ، وارى الزناد ، ولقد كنت فى المحافل شريفا ، وعلى الارامل عطوفا ، ومن الناس قريبا ، وفيهم غريبا ، وإن كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين . رحمنا الله وإياك »

لقد عمر طويلا ومات سنة ٦٩ هـ ودفن بالكوفة فرحمة الله عليه ؟

فلسطين

بقلم كنيث وليامس

نشرت مجلة « الفورتنيتلي » الانجليزية فى عددها الاخير للمستر كنيث وليامس الكاتب السياسى الخبير بشؤون الشرق الادنى مقالا عن المسألة الفلسطينية استعرض فيه بعض وجوهها العامة ، وأدلى فى حلها برأى جديد ، ورأينا أن ننقل الى القراء أهم ما فيه لارتباطه بموضوع الصهيونية الذى عالجناه من قبل .

سياسة الانتداب فى فلسطين سياسة غير عملية ، وقد فشلت . وسوف تعانى بريطانيا العظمى من المتاعب ما بقيت تسير عليها .

هذا رأى وضعى ، واقعى ، تنبؤى معا ، والحقائق أسهل الاشياء إثباتا . وقليل من الانكليز العارفين بالمسألة الفلسطينية يجادلون فى هذه النبوءة . وقد جاءت حوادث اكتوبر الماضى مؤيدة لها . بيد أنه لم تقم قرينة حقيقية على ان سياسة الانتداب منذ بدئها سنة ١٩٢٠ قد قبلتها أغلبية السكان الفقراء ، بل لقد غص العرب دائما بذلك العهد الذى احتواه الانتداب بالعمل على تسهيل إنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين ، وليست هناك وسيلة أو ظاهرة من الفوائد المادية التى تزعم الصهيونية أنها تغدقها على فلسطين يمكن ان تحمل العرب على قبوله ، فالعرب لا يريدون الانتداب بكل بساطة .

ولكن الساسة الانكليز لا يؤمنون بهذا ، أو على الاقل يتظاهرون بعدم الايمان به ، ويقولون ان عرب فلسطين أقلية ضعيفة ممزقة ، وليس لها مميزات عقلية من الوجهة السياسية ومن هم حتى يجرؤوا على مقاومة الانتداب الذى أخذته بريطانيا العظمى على نفسها ، والذى حصلت من أجله على مصادقة عصبة الامم ثم يقولون ان العرب شعب مشاغب ، يشغفون بالتظاهر وإرسال الوفود السخيفة الى لندن ، ويقولون أخيراً : نحن نعرفهم جيداً ، فاحكموهم بحزم ، ودعوهم يستفيدون من الذهب اليهودى . والزمن كفيل بانضوائهم الى رأينا .

ولكن ساستنا يخففون من غلوائهم أحياناً . فقد صرح وزير المستعمرات فى ٣١ اكتوبر الماضى بقوله : « أريد أن أتحدث الى الشعب الفلسطينى بجلاء . ان الانتداب يحمل واجباً للعرب واليهود . وسوف نؤدى هذا الواجب تاماً عادلا دون خوف أو تحيز . . . وسوف تضع السياسة البريطانية نصب عينها دائما أن تعمل على خير فلسطين كلها » . ولا يستطيع وزير المستعمرات أن يزعم أن فى كلماته طرافة ، فهى على صحتها ودقتها خالية من التعمق وبعد النظر . وقد قال مثلها كل وزير للمستعمرات ، ولم تثمر كلها شيئا . ولماذا ؟ لأنك لا تستطيع اليوم أن تخدع العرب بالوعود والشروح ، فهم يعرفون كل تدليل يمكن أن تقدمه الدولة المنتدبة أو الصهيونية لتأييد التعاون بين العرب واليهود فى فلسطين ، أو القول بان قيام الوطن القومى اليهودى فى أرضهم فيه خير لهم

وقد نفهم وان كنا لا نسيغ ما نفهم ، أن يلقى كل وزير للمستعمرات كلما وقع اضطراب فى فلسطين ، نفس الكلمات القديمة ، أقول لسنا نسيغ هذا ، لأن الحقيقة الواضحة هى أن السياسة البريطانية فى فلسطين قد أظهرت انها تتأثر بعوامل الخوف والتحيز ، فكل إنسان يذكر كيف أن الاضطرابات التى وقعت فى أرلنده بعد الحرب قد انتهت بعقد المعاهدة الانكليزية الارلندية ، وكيف أن ثورة العرب فى الجزيرة (العراق) قد احدثت تغييرا جوهريا فى السياسة البريطانية فى العراق ، وكيف أن الاضطرابات التى وقعت بمصر بعد الحرب قد انتهت باعلان استقلالها سنة ١٩٢٢ (تصريح فبراير) وهكذا . الواقع ان السياسة البريطانية تقلبت فى فلسطين تقلبا ظاهرا ومن الصعب أن نقول أن الادارة العسكرية التى قامت فى فلسطين منذ الهدنة الى سنة ١٩٢٠ . رحبت بالصهيونيين الذين سمح لهم بدخول فلسطين تطبيقا لعهد بلفور ، فقد كان عطفها على العرب ظاهرا ، ولكن حكومة لندن لم تكن تعنى كثيرا بشأن العرب ، وكانت بالعكس تعنى ليل نهار بأمانى الصهيونيين ومقاصدهم . وكان مستر لويد جورج وقت رآسته للوزارة قبل الحرب ، قد عقد الصداقة مع الدكتور ويزمان الزعيم الصهيونى ، فادى ويزمان للحلفاء خدمة جليلة باختراع المفرقعات القوية ، وكانت هذه الصداقة نواة تصريح بلفور وأصله ، حسبما يصرح مستر لويد جورج فى مذكراته

ويمضى الكاتب بعد ذلك فى الحديث عن الادارة الانكليزية فى فلسطين ، فيقول ان عهد السير هربرت صمويل أول مندوب سام كان حسنا ، وانه ترك فلسطين سنة ١٩٢٥ فى حالة يسر وان لم ينجح فى إقناع العرب بقبول الانتداب . ولم يعن خلفه اللورد بلومر بالمشكلة السياسية ، ولكنه عنى بالعمل على توطيد أركان الأمن والسلامة . وسادت السكينة فى عهده حتى انه نصح بتخفيض عدد القوات المحتلة . بيد أن هذه السكينة ترجع الى اغتباط العرب بما آلت اليه الصهيونية يومئذ من الاضطراب ،

وما عانته من أزمات جعلت اليهود يغادرون فلسطين بكثرة . وفي عهد خلفه السير جون تشانسلور وقعت اضطرابات سنة ١٩٢٩ ، فاقتضت تعزيز القوات المحتلة وارسال لجنة برلمانية للتحقيق (لجنة شو) ، ولجنة لبحث مسألة الأراضي والهجرة . وألقت تقارير اللجنتين ضوءاً جديداً على قضية العرب ؛ ونوهت بوجوب إعادة النظر في طبيعة الانتداب وتوجيه السياسة البريطانية في فلسطين توجيها واضحا . ولما صدر الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٠ ، شعر العرب أن قضيتهم تسير في سبيل الفوز .

ثم يقول : ولكن اغتباط العرب بالكتاب الأبيض لم يطل أمده ؛ فقد بذلت الصهيونية جهوداً عظيمة مقرونة بالوعيد لنقض الكتاب الأبيض ، فعاد مستر مكدونالد يفسر الكتاب الأبيض في خطابه الشهير الى الدكتور ويزمان في فبراير سنة ١٩٣١ ؛ فكان الخطاب مثلا محزنا جديداً على ضعف الحكومة في المسألة الفلسطينية ؛ وليس مثل هذا الضعف مما يرضي ، بل ليس عادلا ولا متفقا مع الكرامة ؛ ولن يستتب السلام في فلسطين إلا إذا أعيد النظر في مسألة الانتداب ؛ ومن الواجب أن توضع سياسة جديدة على أسس التصريحات الرسمية السابقة في الموضوع ، وتجري عليها كل الوزارات البريطانية ، ويجب أن يستشار زعماء الأحزاب البريطانية الثلاثة ، وأن يقتنعوا بضرورة إخراج المسألة الفلسطينية من معترك السياسة الحزبية ، والسير فيها على خطة لا يحيد أحد عنها . ولا يستطيع سياسي بريطاني أن يزعم أنه قد وضعت بعد قاعدة لسياسة مرضية في فلسطين ؛ والأمر يقتضي شجاعة أكثر لمواجهة الحقائق ، فزمن المعجزات في فلسطين قد مضى .

واستمرار السياسة الحاضرة ليس في صالح اليهود ولا العرب ولا الامبراطورية البريطانية . فانظر اليها من الوجهة اليهودية مثلا : هل يبقى الانتداب الى الأبد ؟ وهل تتصور أن يقنع الصهيونيون الى الأبد بالاعتماد على الحراب البريطانية ؟ لا ريب أن الدولة المنتدبة لم تكسب عرفان الشعب اليهودي بسياستها في فلسطين

أما معارضة العرب للانتداب فلا حاجة الى ذكرها ، ويزعم البعض أن هذه المعارضة من تدبير أقلية مغرضة من « الأفندية » الذين يفقدون نفوذهم السابق بين الفلاحين بسبب ازدياد الرخاء الذي يحدثه الصهيونيون . وهي قصة سخيفة ، لا يؤمن بها غير أولئك الذين لا يعتقدون بقيام أية ثورة شعبية في أي بلد . وسواء أ كان الحكم الذاتي نعمة أم لا ، فلا ريب أن عرب فلسطين قد تطلعوا اليه ؛ ولكن على غير طائل . ثم إنا نجد الدليل على أن العرب انما يعارضون سياسة الانتداب في مظاهرات اكتوبر الماضي التي لم توجه الى اليهود كما كان يحدث من قبل ، ولكنها وجهت الى الدولة المنتدبة ذاتها .

واذا لم تتفق الاحزاب البريطانية على اتباع سياسة جديدة في فلسطين ، فان خير سبيل تسلكه الحكومة البريطانية هو ان تتقدم الى عصبة الامم ، وتقترح عليها ان ترد اليها الانتداب الذي منحته . وهو رأى سيعترض عليه بمنتهى الشدة ، وينعت بالخيانة ، وضياع الهيبة . ولكن العصبة تعرف أن الانتداب (قسم ٢) يراد به السير بالشعوب ذات الشأن الى الاستقلال . واذا لم يكن ثمة ريب في ان على بريطانيا واجبا ادبيا في حماية اليهود الذين دخلوا فلسطين ، فان أولئك اليهود لا يقيمون اى دليل على انهم يستميلون أهل البلاد ، فهل تحمل بريطانيا في مثل هذه الحالة واجبا الى الابد ؟

واذا ألقى مثل هذا الاقتراح الى العصبة فهي اما ان ترد بان تطلب الى بريطانيا استئناف الانتداب ، وهنا تستطيع الدولة المنتدبة ان تضع بنفسها شروطها ، واما ان تقبل العصبة نزول بريطانيا عن الانتداب . ولو قبلت العصبة هذا النزول فماذا يكون ؟ هل في ذلك ما يضير الامبراطورية البريطانية ؟ ان الصهيونيين يتحدثون كثيرا عن اهمية فلسطين للدفاع عن قناة السويس ، ولكن الدفاع عن القناة انما يكون على يد القوى المعسكرة على ضفافها ؛ ثم يقولون ان ميناء حيفا الذي افتتح منذ اسابيع سيغدو قاعدة عظيمة للاسطول البريطاني . ولكن اين هي القوات البحرية التي يمكن ان تهاجم الاسطول البريطاني في مياه الليفانت ؟

والخلاصة ان الحاجة أشد ما تدعو الى انتهاج سياسة عملية حقيقية في الشرق الأدنى . فقد خرجت العراق من الدائرة الامبراطورية ، وما اتخذ هنالك من الاجراءات لضمان المواصلات الجوية يمكن اتخاذه في أي مكان آخر ، وسوف تحذو سورية عاجلا أو آجلا حذو العراق . والبلاد العربية في تقدم ، وهذا التقدم يزيد المسألة الفلسطينية تعقدا ، فاذا لم يمكن الاحتفاظ بالانتداب طبق شروطنا المعدلة ، فليس من الحكمة ان نحتفظ به . فلسنا بسياستنا الحاضرة نكسب عرفان اليهود ولكنا نكسب غضب العالم الاسلامي ، والعالم العربي بوجه خاص ؟

التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

على الرغم من انتشار الحضارة فى مدن الغرب والشرق وتأصل المدنية والمعرفة فيهما منذ عشرات السنين فلا يزال الكثيرون فى بعض مناحى تفكيرهم واعتقاداتهم مقيدين باغلال خرافية يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم على نفس النمط الذى كان يعتقد به من عاشوا فى عصور ما قبل التاريخ وبعده.

ما أعجب هذا الإنسان .. ! خضعت له عناصر الطبيعة وطأطأت من كبريائها امام جبروته، ودفع بسفينته الى المحيطات الثائرة تشق عبابها آمنة لا تهاب غدرها، وبعقله الجبار دانت له العلوم وتفتحت الاسرار؛ ومع ذلك ما زال هذا الانسان على ما بلغ من سيادة ومدنية وحضارة وثقافة يستمسك ببعض الاوهام الخرافية التى استمسك بها اسلافه وقد كانوا اقل منه حضارة وتعلما واستنارة، وسيظل عبداً لها مهما قرأ وتثقف.

إن الحضارة لن تقضى على الخرافات مطلقا، وكل ما هنالك ان الناس يستبدلون خرافة بخرافة تحت ضغط المدنية، ولكن الاساس واحد والاصل لا يتغير.

من العجب ان الغربيين يعتقدون ان الشرق « مهد الخرافة » وان اهله هم اكثر الشعوب تعلقا بالخرافات وايمانا بها، ويعزون هذا التعلق وذاك الايمان الى ان هؤلاء لا يزالون فى ضلالات الجهل ومعنى ذلك ان الغرب بما وصل اليه من الحضارة ورقى العلم والادب قد تجرد عن مثل هذه الاوهام. ولكن الواقع غير ذلك فما زال قوم منهم من ارقى الطبقات يعتقدون احط الخرافات التى لا تقوم على أساس علمى.

ولئن صدق هؤلاء المتقولون وانتحلوا للشرقيين عذرا من الجهل فماذا يقولون عن انفسهم وهم الذين يدعون سيادة الشرق استنارة وحضارة ...؟!

قد سألت ادارة احدى كليات المعلمين بمقاطعة « ونكونسن » الامريكية ٤٨٨ طالبا ان يذكروا الخرافات التى يعرفونها والتى سمعوا بها، فأجمعت ردود الطلبة على خرافات بلغت زهاء ١٢٢٥ خرافة.

وهناك فى الغرب طائفة من الكتب بمختلف اللغات مقصورة على البحث فى الخرافات والمعتقدات المختلفة.

يقول الدكتور كلارك ويسلر وهو من العلماء العاملين فى متحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك: « يظهر أن المدنية وقد درجت وتطورت من مهد الجهالة لا زالت ذات صلة بطريقة التفكير التى تسيطر على العقول البدوية فى الجاهلية الأولى، فالسحر والخرافات يلعبان الى الآن دورا كبيرا فى الحياة العصرية ».

ويقول أحد علماء النفس من الفرنسيين: « ان الخرافات لم تنج منها أمة فى الزمن الغابر ولا فى العصر الحاضر، وإن تأصل عادة التفاؤل والتشاؤم أو قلة ظهورها لا علاقة لها بحالة الشعوب ومبلغ رقيها وتقدمها فى الحضارة ».

ووجه الدكتور ا. باودن مدير كلية المعلمين بولاية « مكسيكو » الجديدة بالولايات المتحدة وأحد كبار علماء النفس الامريكيين سؤالا الى جمهرة من الناس ولفيف من المعلمين هذا نصه:

« إذا كنت ذا تعلم جيد وصحة طيبة تشتغل بجد وضميرك مرتاح ؟ .. أتظن أن هناك قوة تحيد بك عن سوى الصراط وتميل بك قسرا الى تغيير سبيلك المرسوم ؟ ».

فكانت اجابة ٦٦ فى المائة من تلك الجمهرة من الناس « نعم » و ٦٢ فى المائة من المعلمين.

فزهاء ثلثى الامريكيين تقريبا من المعلمين يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم.

ان للبيئة والاقليم والدين شيئا من التأثير فى الطباع وفى الاجسام، ولكن التأثير الاعظم للوراثة.

للخرافات الشائعة أصول تتفق وعقلية الانسان الاول، وسبيلنا الى فهمها ان نعرف احوال المتوحشين الآن وعقائدهم وكيفية تعليلهم للأشياء والحوادث، لان المشابهة تكاد تكون تامة بين المتوحش الذى يعيش الآن فى اواسط افريقيا واستراليا، وبين الانسان الاول، بل يمكننا ان نقول ان المتوحشين هم اسلافنا المعاصرون الآن.

ان معظم الخرافات التى يرجع الى التفاؤل والتشاؤم ليست كلها ناشئة عن اسباب تاريخية وحوادث وقعت فى الازمنة الماضية؛ فكم من خرافات عاشت دهورا بلا سبب، ويرجع هذا الى ما جبل عليه الانسان من سرعة تصديقه كل ما يسمعه.

لا تجد أمة تخلو من اعتقادات خرافية راسخة فى عقول اهلها ولكن بعض الخرافات تكاد تكون شائعة بين معظم الشعوب؛

وقد جمعنا فى هذا المقال من اوثق المصادر طائفة من الخرافات الكثيرة الشيوع مع تعليل اصلها وفقا لآراء الباحثين .

البوم

اول ما يلفت النظر من الخرافات هو البوم ، فمعظم الناس يتشاءمون منه ، ويقولون ان رؤيته تجلب المصائب وتجر النوائب ، فهو طائر الشؤم وناعي الخراب ، وان الاوروبيين يتشاءمون من صوت البوم ويتطيرون منه ايضا . فالمشهور عنه أنه يتخذ الاماكن الخربة المهجورة والمخال المظلمة مأوى له ، ولذلك قرنت فى ذهن الانسان صورة الخراب مع البوم ، ومن هنا نشأ التشاؤم ، وهو يقيم فى الاماكن الخربة ليأكل ما يجده من الفيران والجرذان والحشرات والبعوض وغيرها .

ان البوم غالبا يعشش فى أجواف الاشجار ، ولكن بعضها يعشش بين الصخور وعلى الرمال وفى البيوت الخربة ومن ذلك قول بعضهم :

يا قصر جمع فيك الشؤم واللوم متى يعشش فى اركانك البوم

ومن انواع البوم الهامة Barn or white owl وهى مشهورة فى قصص العرب ؛ والصدى Little owl وهو الوارد فى قول توبة :

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وقد جاء فى كتاب سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه ، فكان فيما حدثه به ان قال يا امير المؤمنين « كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة ، فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها ، فقالت بومة البصرة : لا افعل حتى تجعلي صداقها مائة ضيعة خراب ، فقالت بومة الموصل : لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك » .

الغراب

ومن الخرافات الشائعة التشاؤم من الغراب ، ويعرف فى الشام بالزاغ والقاق ، وفى العراق بالزاغ والغراب .

وكان الرومانيون يقولون : اذا طار الغراب عن يسار انسان انبأ بالشر وجلبه عليه . وانه يسبق المقاتلين الى ساحة الوغى ينتظر وقوع القتلى . واذا طار فوق بيت فلا بد من ان يموت واحد فيه . واذا وقع به اذى انتقم ممن آذاه ولو بعد موته . وكثيرون من الانجليز يعتقدون ان نجاحهم فى الدنيا نتج عن حمايتهم للغراب عشش فى بستانهم ، وانه اذا قتل قصداً فلابد من ان يموت واحد من الاسرة على أثر ذلك . ويقول اهالى اسوج ان الغربان التى تنعق فى المستنقعات ليلا هى أرواح القتلى الذين قتلوا غيلة ، ولذلك حمى الغراب من الاذى فى كثير من البلدان الشمالية .

وكان العرب يتشاءمون من الغراب ، قال ابو الفرج المعافى ابن زكريا فى كتاب الجليس والانيس : « كنا نجلس فى حضرة القاضى ابى الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابه واذا أعرابى جالس كانت له حاجة فوقع غراب على نخلة فى الدار فنعب ثم طار ، فقال الاعرابى : ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام ، قال فزجرناه فقام وانصرف ثم خرج الاذن من القاضى الينا ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتما ، فقلنا له ما الخبر ؟ قال رأيت البارحة فى النوم شخصا يقول

منازل آل عباد بن زيد على اهليك والنعم السلام

وقد ضاق صدرى لذلك . فدعونا له وانصرفنا ، فلما كان فى اليوم السابع من ذلك اليوم دفن » .

قال القاضى أبو الطيب الطبرى : سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا ابى الفرج المذكور .

وقال يعقوب بن السكيت : « كان أمية بن ابى الصلت وهو شاعر مسيحى مشهور من فحول شعراء الجاهلية ، فى بعض الايام يشرب ، فجاء غراب فنعب نعبة ، فقال له أمية : بفيك التراب ! ثم نعب أخرى فقال له أمية : بفيك التراب ! ثم أقبل على أصحابه وقال : اتدرون ما يقول هذا الغراب ؟ زعم انى اشرب هذه الكأس فأموت ، وأمارة ذلك انه يذهب الى هذا الكوم فيبتلع عظما فيموت . قال فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظما فمات ، ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه » ، وهذه الحكاية من اقاصيص العرب .

والتشاؤم من الغراب ربما يرجع الى سواده ، والسواد رمز للحزن حتى ان العرب يسمون السود منهم « أغربة العرب » مثل عنترة وغيره ، ويقول محيط المحيط : « ان الحاتم أى الغراب الاسود سمى كذلك لانه يحتم بالفراق فى اعتقاد العيافة » وزاد على ذلك قوله : ان الغراب سمى غراب البين ، لانه اذا بان أهل الدار للنجعة وقع فى موضع بيوتهم فتشاءموا به وتطيروا منه ، فقالوا فى المثل اشأم من الغراب اذ كان لا ينزل منازلهم الا اذا بانوا (أى بعدوا) عنها . وربما يرجع ايضا الى علاقة لفظية بين اسمه وبين

القوة والمادة ، أعني الله والطبيعة ، لكي تنتهي الى الانسان . أما الآن فهي تبدأ جهادها بدراسة النفس الانسانية ثم تنتقل منها الى العالم الخارجي .

بذلك الشك حطمت الفلسفة الحديثة كل ما نزل عند القدماء منزلة اليقين ، وعلى هذا الاساس الجديد من توحيد المادة والروح في الانسان ، واختصاصه بالبدء أولا ، ثم الانتقال منه الى العالم الخارجي ، قام البناء الجديد .

وكان أول من وطد ذلك الأساس وشيد عليه البناء فيلسوفنا رنيه ديكارت

فلسفته

١ ـ العقل يثبت وجود نفسه

ان هذا الرأس الصغير الذى تحمله فوق منكبيك ليغيض بالآراء ويزدحم بالعقائد ، وتعمره شتى المعلومات ، التي تقاطرت الى ذهنك من هنا وهناك . فهذه الطائفة من المعارف قد رأيتها بعينيك وتلك سمعتها بأذنيك ، وثالثة لم تسلك الى ذهنك طريق الحواس ، ولا أوحى اليك بها انسان آخر ، انما نبعت من نفسك الباطنية ، فأنت توقن ولا ريب أن النار محرقة لانك لمستها بيديك ، ولا يخامرك شك في أن رجلا اسمه نابليون كان يعيش في أوائل القرن التاسع عشر ، لأن اجماع الرواة يؤكد ذلك ، ولا تتردد في أن تحكم بأنك مادمت موجوداً في حجرتك ، يستحيل أن تكون أنت في نفس الوقت جالساً في المقهى ، لان عقلك يعلم ذلك بالضرورة . . . وهكذا تستطيع أن تستعرض معلوماتك جميعاً ، فتراها قد سلكت اليك هذا الطريق أو ذاك ، فهي إما نفذت اليك من الخارج بواسطة الحواس ، أو لدنية نبعت من ضرورة عقلية ، ومع ذلك فكثرتها الغالبة تقع عندك موقع اليقين الذى لا يحتمل الشك والجدل .

ولكن ألا يجدر بك أن تثوب الى نفسك فتعسر معها الحساب على هذا الاطمئنان السريع والتصديق العاجل بصحة هذه الحقائق مع أنها قد تكون خطأ كلها ؟ أليست هذه الحواس التي تركن الى اماناتها ، خادعة في كثير من الاحيان ، فتوهمك مثلا أن القمر لا تعدو مساحته القرص الصغير ، وهو ليس كذلك ؟ وهذا العقل الذى تعتمد على أحكامه ، ألا يقدم لك صوراً وأفكاراً بعضها وهم خاطىء ؟ هذا صحيح لاريب فيه . فارفض منذ الآن أن تطمئن الى ما يقدمانه اليك من الحقائق ، تقبلها بالشك ولا تجزم بصحتها ، وإذن فهذه معلوماتك جميعاً قد هدمت من أساسها . . . فما يدريك ان هذه الاجسام المادية موجودة حقيقة ؟ وما يدريك ان الله موجود ؟ ثم ما يدريك إنك انت نفسك موجود ؟ ستقول العقل او الحواس ! كلا ، لا تفعل ، فقد تبين لك انهما كثيراً ما يكونان مبعث الخطأ والزلل ، ولا يحتمان الحق واليقين . . إذن فلا تتردد في ان تنزع من نفسك جميع العقائد والآراء والافكار ، وافرض ان كل ما يصادفك باطل ليس له وجود ، ولا تصدق ما تمدك به الذاكرة الكاذبة والحواس الخادعة ، وادع ان الجسم والصورة والامتداد والحركة والمكان كلها من خلق الخيال . فما الذى يبقى من الحق بعد ذلك ؟ لاشيء ! اللهم الا حقيقة واحدة ، ستصمد لهذا الشك الجارف ، وتظل ثابتة لاتميل أمام عاصفة الافكار والجحود ، لا بل تزداد يقيناً كلما أمعنت في الشك والانكار ، تلك هي أن هناك شخصاً يشك !! . . . أرفض الحقائق ، وشك في صحتها ما وسعك الرفض والشك ، ولكنك لن تستطيع أن تشك في أنك تشك .

نعم مهما شككت فلست أنكر أني أشك ، ولما كان الشك ضرباً من ضروب التفكير ، اذن فلا شك أني أفكر . وبديهي أني لو لم أكن موجوداً لما فكرت ، واذن فانا موجود وليس في وجودي شك

« أنا أفكر فأنا إذن كائن » تلك هي القاعدة الاساسية التي اتخذها ديكارت أساساً قديماً أقام عليه فلسفته بأسرها . ويلاحظ ان أثبات الوجود هنا لاينصب الا على العنصر المفكر من الانسان ولايتعداه الى الجسم ، ذلك ، لأنه أثبت وجوده بناء على وجود تفكيره ، أي عقله ، ولم يقم الدليل بعد على وجود الجسم . ولكن مالنا وللجسم الآن ؟ هانحن اولاء قد حصلنا على العقل وايقنا بوجوده ، وهو أساس المعلومات جميعا ، وحسبنا ذلك لنبتدى عن طريقه الى معرفة الحقائق التي ننشد ، وهكذا بدأ ديكارت بالشك الى حيث انتهى الى اليقين . وقد قال قائل : « كلما فكرت ازددت شكاً » فعارضه ديكارت بقوله : « بل كلما شككت ازددت تفكيراً ، وازددت بالتالي يقينا بوجودي »

حقا لقد انتزع ديكارت من غمار الانقاض التي ركمها الإنكار والشك ، يقينا لايأتيه الباطل ، ذلك انه هو موجود لاريب في وجوده . ثم يقرر ان كل حقيقة يستطاع اثباتها بمثل هذا اليقين القاطع ، لايجوز له ان يتردد في اعتبارها حقا لايقبل الشك

ثم يستطرد قائلا ان الانسان يخرج الى هذا العالم وفي فطرته طائفة من هذه الحقائق اليقينية الثابتة التي لاتحتمل الانكار او الشك ،

وهي لا تأتي عن طريق التحصيل ، كالحقائق الرياضية مثل ٢ و ٢ تساوي ٤ ، فهذه حقيقة مؤكدة ، وليست تجيئك عن طريق الحواس ، انما هي مفطورة فيك منذ الولادة ، وقل مثل ذلك في كل البديهيات العقلية كأن تقول ان الجزء أصغر من الكل وما الى ذلك مما هو معروف معلوم .

٢ — اثبات وجود الله

يتضح مما سبق ان ديكارت بعد ان انكر كل شيء ، عاد فأثبت وجود نفسه ، ثم أتبع ذلك بالاعتراف بوجود بعض الحقائق الفطرية الثابتة ، كالتي قدمنا لها مثلا . . . . فنحن اذا زعمنا ان شيئا لا يستخرج من لاشيء ، فانما نقرر حقيقة لا تقل يقينا عن حقيقة وجود العقل المفكر ، لانها واحدة من تلك البداءه التي لا تحتمل الرفض والانكار ، اذ لابد أن يكون الفرع مستغرقا في أصله ، والنتيجة في مقدمتها . ومن ذا الذي يستطيع أن يصدق أن الجبل الشامخ قد خرج من ذرة حقيرة ، وان البحر الخضم قد اشتق من قطرة صغيرة ؟ أيستحيل أن يكون ذلك لان الذرة لا تلد الا ذرة أصغر منها ، بناء على البديهية التي اسلفنا ذكرها وهي ان شيئا لا ينشأ من لاشيء .

اذكر هذه البديهية جيدا ، ثم استعرض ما يحويه رأسك من صنوف المعارف ، وقلب النظر فيما يدور بخلدك من افكار ، فاذا ترى ؟ ترى ان لكل فكرة اصلا أعم منها وأشمل ، وهذا طبيعي لان الصورة لا يمكن أن توضح أكثر من اصلها ، أو قل تجيء على مثاله على أكثر تقدير ، كذلك ترى افكارا فطرية نشأت معك منذ ولدت ولم تستمدها من العالم الخارجي . ولكنك في هذا البحث الذي تستعرض به افكارك وتردها الى أصولها ، ستصادف بينها فكرة ممتازة ، هي فكرة الكائن اللانهائي ، أي انك تتصور كائنا لانهاية له ولا حدود ، فمن أين جاءتك هذه الصورة ؟ يستحيل أن تكون قد سبقت من فطرتك ، لانها أوسع منك ، فأنت على نقيضها كائن محدود ؛ وبديهي — كما أسلفنا لك القول — ألا تجيء الصورة أشمل من أصلها ، ومحال أن يتفرع شيء من لاشيء ، وبالتالي محال أن يتفرع الكائن اللانهائي المطلق من كائن نهائي محدود

تستطيع أن تعترض على هذا القول بأن تزعم أنك قد تستخرج من الواحد الصحيح عدداً لانهائيا بالطرح المستمر . فتنقص في العد سلبيا ، ناقص واحد ، ناقص اثنان ، ناقص ثلاثه . . . . . ناقص لانهاية . وبذلك تكون قد حصلت على عدد غير محدود من رقم محدود .

ولكنك نسيت حين تقدمت بهذا الاعتراض ، انها عندئذ تكون سلبية ؛ في حين أني أتصور فيما أتصور لانهاية ايجابية ، كالمكان اللانهائي والزمان اللانهائي وما اليهما .

أتستطيع اذن أن تحدثني من أين جاءتك هذه الفكرة ، بعد أن وثقت معي انها لم تتفرع عن فطرتك ؟ لا أحسبك مترددا في أن توافق ديكارت فيما ذهب اليه من أن هذه الفكرة اللانهائية الكاملة لا يمكن أن تنبعث عن الطبيعة البشرية الناقصة ، بل لابد لها من أصل يوازيها كمالا وعظمة ، لضرورة التكافؤ بين العلة والمعلول ، ومن هنا أصبح حتما علينا أن نسلم بوجود اله جامع لكل صفات الكمال ، وهو الذي خلق في الانسان هذه الفكرة والهمه اياها ، واذن فالله موجود وليس في وجوده شك

٣ — اثبات وجود العالم الخارجي

لقد رأيت فيما سبق كيف حمل ديكارت معول الشك وقوض به كل فكرة ورأي ، وأنكر الوجود بأسره ، بل وأنكر نفسه ، خشية أن يكون مخدوعا متورطا في خطأ أوحي به اليه فقابله بالتسليم ، ثم سار في طريق المنطق السليم حيث انتهى به الى اثبات وجوده ، ثم رتب على وجود نفسه وجود الله ، وها هو ذا يستنتج من وجود الله وجود العالم الخارجي . . . أليس الله هو ذلك الكائن اللانهائي ، المطلق القوة ، الذي لا تحده الحدود ؟ أليس هو علة وجود نفسه وهو خالق الكون ؛ اذن فلا ريب في أنه كائن كامل لا تشوبه شائبة من نقص ، لأنه مادام قادرا ، مطلقا في قدرته ، فمن الطبيعي أن يكون عمله مثلا أعلى للكمال ، لان ذلك في حدود استطاعته ، وما دام حائزا ضروب الكمالات المختلفة ، فهو اذن متصف بالصدق الذي لا يخالطه ذرة من خداع ، ومعنى ذلك أنه يستحيل على الله أن يكون سببا في تضليل الانسان وخداعه . فقد منحنا عقلا مفكرا ، وضمن لنا أن نصل به الى معرفة الحق اذا أحسن استعماله ، فلا نعتبر حقا الا ما يحكم العقل بصحته حكما يقينيا قاطعا لا يقبل الشك .

واذن فقد اصبح من اليسير أن نقيم الدليل على وجود العالم الخارجي ، فقد كنا شككنا في وجوده ، لجواز أن تكون عقولنا خادعة تصور لنا الباطل حقا ، فأما وقد أقمنا الدليل على وجود الله ، وأثبتنا له جميع صفات الكمال ، ومن بينها الصدق ، فيجب ألا يعبث بنا الشك في وجود الكائنات الخارجية ، اذ لو كانت وهمية ، لترتب

على ذلك أن يكون الله خادعا ، لأنه هو الذى أمدنا بتلك العقول الخادعة ، وهو الذى يصدر لنا جميع ما ندرك ؛ واذن فالعالم الخارجي موجود وليس فى وجوده شك .

ولنوجز ما أسلفنا فى خلقات منطقية متتابعة ، نقول : أنا أفكر ، فأنا موجود ، وليس فى وجودى شك . ومادمت أشتمل على فكرة الكائن اللانهائى ؛ وهذه لايمكن أن تشتق من طبيعتى المحدودة ، فلا بد أن تكون ناشئة عن سبب خارجي يتكافأ معها ، وهو الله . وما دام الله حائزا لجميع ضروب الكمال ، فيستحيل عليه أن يضللنا ، ولابد أن يكون ما وهبنا من عقل أداة صالحة ، وان ماندركه حق واقع ؛ واذن فهذا العالم الخارجي الذى تصوره لنا عقولنا موجود لاريب في وجوده ؛ وبعبارة أوجز ، نقول ان ديكارت بدأ باثبات أنيته ، ثم رتب عليها وجود الله ؛ ثم استنتج من وجود الله وجود العالم الخارجي

٤ — ولكن ما هو ذلك العالم الخارجي ؟ ومم يتكونه ؟

يحدثنا ديكارت أننا نستطيع أن نرد مظاهره الى اصلين ؛ أو فكرتين وهما الامتداد والفكر ، أو بعبارة ثانية القوة والمادة . فهما شطران منفصلان لايعتمد الواحد منهما على الآخر بأية حال من الاحوال ، وهذا هو مبدأ ثنائية الوجود ، أى شطر الكون الى عنصرين متميزين ؛ أما أحدهما وهو المادة وصفته المميزة هى الامتداد طولا وعرضا وعمقا ، اذ لانستطيع أن نتصور مادة بغير امتداد . وأما الثاني وهو العقل ، فخاصيته المميزة هى الفكر ، فهو يفكر تفكيرا متصلا لاينقطع لحظة ، كما ينبعث الضوء عن الشمس والدفء عن الحرارة . أى أنه فى وعى مستمر دائم ؛ حتى ان ديكارت لم يستطع أن يتصور الجنين وهو فى أحشاء أمه بغير تفكير ! ويظهر من هذا أن خلافا جوهريا يفصل بين شطري الوجود : المادة والروح ، وبالتالى بين جسم الانسان وعقله ؛ فهما نقيضان مختلفان فى الجوهر والعرض على السواء ، وان كان ذلك كذلك ، فكيف أمكن اتصالهما ، وكيف يؤثر أحدهما فى الآخر ؟ هنا لايتردد ديكارت فى أن ينكر العلاقة بين عنصرين هما على أشد مايكون التباين بينهما ، ويعتقد أنها ارادة الله وحدها التى تشرف عليهما ، وتدبر حركاتهما : فأما الجسم فخاضع لما تخضع له كل الاجرام المادية الأخرى من قوانين ؛ وليس للعقل من القوة مايستطيع بها أن يدفع الجسم الى الحركة ؛ اللهم الا اذا وافقت ارادة الشخص ارادة الكائن الأعلى .

اذن فالوجود عند ديكارت ينحل الى عنصرين أساسيين ، أو مادتين أوليتين ، فكل أجزاء المادة ، كائنة ما كانت صورها ، مركبة من مادة متجانسة . وكل ما يحتوي عليه الوجود من قوة ، أو بعبارة أخرى من روح ، أو بعبارة ثالثة من عقل ، فهو مركب من مادة متجانسة كذلك . ويشرف على العنصرين أو المادتين القادر حكيم .

ومما يجدر ذكره أن سبينوزا ، وقد جاء على أثر ديكارت ، لم يطمئن الى هذا التقسيم الذى لامبرر له ، وصهر الجميع فى وحدة متجانسة لاانفصال فيها ولا اختلاف . وقد عجب من ديكارت ، وتساءل : لماذا تقصر القوانين الآلية على الجسم وحده دون الروح ؟ أما هو فلا يحجم عن أن يمد من نطاقها حتى تشمل العناصر الثلاثة : الله والعقل والمادة ، استغفر الله ، بل ليس ثمت عند سبينوزا من تثليث للعناصر ، انما الجميع عنصر واحد متجانس ، يسير وفق قانون شامل لايتبدل ولا يفنى .

زكى نجيب محمود

جواب رسالة حزينة (١)

للاستاذ مصطفى كامل

أترى فى الناس أحداً ينفر من انسان كان مريضاً بداء خبيث ثم برئ منه ؟ وإن نفراً يقره الناس على هذا الخوف السخيف أم يستحمقونه ؟ ثم ما الفرق بين المرض الجسمانى وبين السقطة الخلقية وكلاهما مرض قد يبرأ منه المريض ؟

ثم ما ذنبه ؟ أيمكن أن انساناً يطلب المرض بمحض اختياره أم ترى أن المريض ضحية يائسة لا تمنى على الله شيئاً فى الدنيا إلا البرء منه ؟ ولو أن إنساناً ترك لمناه وهواه لما طلب إلا أن يكون صحيح الجسم سليم النفس

ثم ما فضل السليم على المريض أو الذكى على الغبى ؟ وما فضل الكريم على اللئيم ؟

هل يمكن أن يكون أحد من الناس من عمل نفسه ، أم هو من عمل الأسلاف والبيئة والأجواء والتعليم والثروة وظروف الحياة ؟ أليس الفرد نتاج ملايين من العوامل المتفاعلة التى تكوننا وتجعلنا فى الصورة التى نحن عليها ؟

أترى أحداً استطاع أن يكون ملكا ولم يرض ، أو نبيا ولم يفعل ؟ أو ثريا ولم يقبل ؟ فوالله لو أن أمور الدنيا فى مكنة الناس لكانوا ملائكة جميعاً

طبعت على ما فىّ ، غير مخير
هواى ، ولو خيرت كنت المهذبا

كلما عرضت لى فى أمور الحياة مثل حال هذه الفتاة ، خطرت ببالى جملة رائعة ما أزال أذكرها « لبول بورجيه » فى كتابه « التلميذ » قال : « أيمكن أن نحترم لاعب الروليت الذى يلعب عشر مرات متوالية على الأحمر أو الأسود ، ألا إنما الفضيلة والرذيلة هما الأحمر والأسود ، والفتاة الشريفة ، واللاعب المحظوظ سواء فى المواهب »

ألا إنما الفاضل من الناس فاضل بسبب الظروف التى عصمته ، والمجرم من الناس مجرم بسبب الظروف التى أضعفته .

ولو أن المجرم وضع مكان العالم الورع الشريف وله نفس العوامل فى الماضى ، ونفس الحوادث فى البيئة وأوضاع الحياة لما كان إلا الرجل الفاضل الورع الشريف ؛ ولو أن امرأة شريفة عرضت لها نفس عوامل المرأة التى سقطت لما ظلت امرأة شريفة . وإذن فما فضل إنسان على انسان ؟ ألا أننا كلنا من عمل ما لا نملك فى نفوسنا بما قد يرجع الى ما قبل وجودنا .

لقد كنت فى إحدى القهوات مرة ، فلمحت مربياً معروفاً خالس الناس وأخفى بيبة منسية فى جيبه ، وهو مع ذلك رجل كان يجب أن يكون له من تربيته حصانة فلا يتدنى . ومن رزقه خائل فلا يسفل ؛ ولو لم يكن من ظروف هذا الرجل ما يحميه من الاسفاف لما كان إلا من طريدى القانون .

وإذن فما ذنب مريض قد مرض برغم أنفه ، ثم بعد ذلك قد برئ ، ومع ذلك فما معنى أن نجعل الماضى جزءا من الحاضر ؛ وان نجعل من لوثة هذا الماضى رجسا للحاضر ودنسا للمستقبل ؛

لقد مات هذا الماضى ولم تعد له من علامات الحياة والأسفاه إلا ذكريات من عمل الروية وخيالات النفوس .

[illegible] ليعصر هذا الصديق فى تحية فليس فى الدنيا كافة ما يعدل القلب المفعم بالحب بهجة ولذة وسعادة ؛ ولينبض قلبه بهذا الحب قبل أن تسكن نأمته ، وليملأ بيته وعشه الجميل قبل أن يوحش قبره ، ولينعم حياته بالأمل والحب والجمال قبل أن تجف الحياة ؟

(١) انظر العدد الثالث والعشرين ص ١١

الشافعي واضع علم اصول الفقه

للاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٣ —

وكان الشافعي في اول أمره يطلب الشعر وايام الناس والأدب. قال الشافعي : « وخرجت من مكة ، يعني بعد ان بلغ قال : فلزمت هذيلا بالبادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة وكانت أفصح العرب(١) » ابن حجر ص ٥٠

ثم توجه الشافعي الى الفقه يدرسه وقد اختلفت الروايات في سبب توجهه الى الفقه وتكاد ترجع كلها . الى نصح الناصحين له ان يصرف جهده وذكاءه في علم تكمل به سيادته من غير خطر على دينه ولم يكن يومئذ الا الفقه سبيلاً الى ذلك

ويعبر عن روح الوقت من تلك الناحية :

ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي يوسف قال : قال ابو حنيفة : لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها فقيل لي : تعلم القرآن . فقلت : اذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخره ؟ قالوا : تجلس في المسجد ويقرأ عليك الصبيان والاحداث ثم لا تلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو يساويك في الحفظ فتذهب رياستك . قلت : فان سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا احفظ مني ؛ قالوا : اذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك الأحداث والصبيان ثم لم تأمن ان تغلط فيرموك بالكذب فيصير عارا عليك في عقبك . فقلت : لا حاجة لي في هذا ، ثم قلت : أتعلم النحو . فقلت : اذا تعلمت النحو والعربية ما يكون آخر أمري ؟ قالوا تقعد معلما فأكثر رزقك ديناران الى الثلاثة ، قلت وهذا لا عاقبة له ؛ قلت : فان نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني ، ما يكون من أمري ؟ قالوا : تمدح هذا فيهب لك ويحملك على دابة أو يخلع عليك خلعة ، وان حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات ، فقلت : لا حاجة لي في هذا . قلت : فان نظرت في الكلام فما يكون آخره ؟ قالوا : لا يسلم من نظر في الكلام من مشنعات الكلام فيرمى بالزندقة . فأما أن يؤخذ فيقتل ، وأما أن يسلم فيكون مذموما ؛ قلت : فان تعلمت الفقه ؟ قالوا : تسأل وتفتي الناس وتطلب للقضاء وإن كنت شابا ؛ قلت : ليس في العلوم شيء انفع من هذا ؛ فلزمت الفقه وتعلمته » — تبييض الصحيفة — ص ١١ و ١٢

وتفقه الشافعي أول أمره على ؛ مسلم بن خالد الزنجي ، مفتي مكة سنة ١٨٠ ﻫ ٧٩٦ م مولى بني مخزوم ؛ وقد اختلف النقاد في

---

(١) ويقول الرازي : اعلم ان المتقدمين من أئمة اللغة والمتأخرين منهم اعترفوا للشافعي بالتقدم في علم اللغة وأقروا له بكمال الفصاحة . نقل عن الاصمعي أنه قال : قرأت ديوان الهذليين على شاب من شباب قريش يقال له : (محمد ابن ادريس الشافعي :)

وحكى ابن دريد عن ابي حاتم السجستاني عن الاصمعي انه قال : قرأت شعر الشنفرى على محمد بن ادريس ثم نقل الرازي شهادة المازني والجاحظ وثعلب وابي منصور الازهري وابي سليمان الخطابي ونفطويه الزمخشري الشافعي وقال بعد ان نقل كلام الزمخشري في الكشاف الذي يرجح به رأي الشافعي في تفسير بعض الآيات ما نصه :

هذا كلام صاحب الكشاف نقله بلفظه وهو صريح بان نظر الشافعي (ض) في هذه الآية أتم ووقوفه على العربية أكمل مع ان صاحب الكشاف كان على مذهب ابي حنيفة ، فكانت شهادته للشافعي بالتقدم في هذا العلم دليلا على ان الامر كذلك . الرازي ص ١٥٣ الى ١٥٦

وفي معجم الادباء لياقوت نقلا عن الآبري ؛ قال : وسمعت ابن هشام يقول : الشافعي كلامه لغة يحتج به . وحدثت عن محمد بن الحسن الزعفراني قال : كان قوم من أهل العربية يختلفون الى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية ، فقال فقلت لرجل من رؤسائهم : انكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعي . . . .

وحدث ابن خزيمة قال : سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول : كان الشافعي اذا أخذ في العربية قلت هو بهذا أعلم ، واذا تكلم في الشعر وأنشده قلت : هو بهذا أعلم ، واذا تكلم في الفقه قلت هو بهذا أعلم . ج ٦ ص ٣٧٩ و ٣٨٠

وذكر البغدادي في تاريخ بغداد عن أبي الوليد بن أبي الجارود أنه كان يقول : ما رأيت أحداً الا وكتبه أكثر من مشاهدته الا الشافعي ، فان لسانه كان أكثر من كتابه . ج ٢ ص ٦٧

وقد رووا للشافعي أشعاراً يكفي في الحكم عليها أن نذكر ما ذكره الرازي من أن الشافعي كان يقول :

لا يكاد يجود شعر القرشيين لان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ولا يكاد يجود شعر القرشي لان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يكتب بدليل قوله تعالى : « ولا تخطه بيمينك » ص ١٩٥

على أنه يقع للشافعي فيما يروى له من الشعر ما يكون جيداً كقوله :

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وقوله :

ما طار طير وارتفع الا كما طار وقع

وقوله :

لا تأس في الدنيا على فائت وعندك الاسلام والعافية

وقوله :

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى بعيش ضيق

وقوله :

أكل العقاب بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

أمر مسلم فقيل : ثقة وقيل ضعيف وقيل : ليس بشيء، وقال البخاري : منكر الحديث

ونقل : إنه كان يرى القدر ولعل هذا هو سر تضعيفه

ويقولون: أن مسلم بن خالد الزنجي قال للشافعي: أفت يا أبا عبدالله فقد آن لك أن تفتي ، وكان الشافعي حينئذ دون عشرين سنة

وأخذ الشافعي في مكة عن : « سفيان بن عيينة الهلالي » المتوفى سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ م أحد الثقاة الأعلام ، روى عن بعضهم : أنه اختلط سنة ١٩٧ هـ ٨١٢ م

ثم رحل الشافعي الى المدينة ليطلب العلم عن « مالك بن انس » فقرأ الموطأ على مالك بعد أن حفظه عن ظهر قلب في مدة يسيرة وأقام بالمدينة الى أن توفي « مالك » سنة ١٧٩ هـ ٧٩٥ م

وخبر رحلته الى مالك مروي على وجوه مختلفة تتفق كلها في أن الشافعي كان فقيرا لا يملك نفقة السفر على فرط شوقه الى الأخذ عن أمام دار الهجرة

ثم يسر الله له أسباب الرحلة ، وأحسن مالك لقاءه لما تفرس من نجابته وفضله

وتلقى الشافعي في المدينة عن غير مالك كابراهيم بن أبي يحي الذي يقول الرازي : اتفقوا على انه كان معتزليا

وخرج الشافعي الى اليمن بعد موت مالك

« قال الشافعي : لما مات « مالك » كنت فقيرا : فاتفق ان والي اليمن قدم المدينة فكلمه بعض القرشيين في أن أصحبه فذهبت معه واستعملني في أعمال كثيرة وحمدت فيها والناس أثنوا علي » الرازي ص ١٨

وكادت الولاية تشغل الشافعي عن العلم حتى نبهه بعض شيوخه فانتبه

قال الشافعي : كنت على عمل باليمن واجتهدت في الخير والبعد عن الشر ، ثم قدمت الى المدينة فلقيت ابن ابي يحي وكنت أجالسه ، فقال لي : تجالسوننا وتسمعون منا ، فاذا ظهر لأحدكم شيء دخل فيه

ثم لقيت ابن عيينة فقال : قد بلغنا ولايتك فما أحسن ما انتشر عنك ، وأديت كل الذي لله عليك ولا تعد

قال الشافعي رضى الله عنه : موعظة ابن عيينة أبلغ مما صنع ابن ابي يحي ـ الرازي ص ٢٠

وقد أخذ الشافعي عن جماعة من أهل اليمن منهم مطرف بن مازن الصنعاني المتوفى سنة ١٩١ هـ ـ ٨٠٦ م

وقد كذبه يحي بن معين ، وقال النسائي ليس بثقة ، وقال غيره كان قاضي صنعاء وكان رجلا صالحا وعمرو بن أبي سلمة المتوفى سنة ٢١٤ هـ ـ ٨٢٩ م وهو صاحب الأوزاعي

ويقولون ان الشافعي جمع كتب الفراسة من اليمن واشتغل بها حتى مهر فيها

ارتفع شأن الشافعي في اليمن ، (ثم أن الحساد سعوا الى هارون الرشيد ، وكان باليمن واحد من قواده فكتب أليه يخوفه من العلويين وذكر في كتابه : ان معهم رجلا يقال له : « محمد بن ادريس الشافعي يعمل بلسانه ما لا يقدر المقاتل عليه بسيف : فأن أردت أن تبقى الحجاز عليك فاحملهم اليك

فبعث الرشيد الى اليمن وحملوا الشافعي مع العلوية الى العراق) الرازي ص ١٨

وتلك هي المحنة التي اقتضت دخول الشافعي العراق ، وفي حديث هذه المحنة أختلاف كبير وقد يكون اسلم هذه الروايات من الحشو وأدناها الى الأعتدال والقصد : ما رواه ابن عبد البر في كتاب « الأنتقاء » قال :

حمل الشافعي من الحجاز مع قوم من العلوية تسعة وهو العاشر الى بغداد وكان الرشيد بالرقة ، فحملوا من بغداد اليه وأدخلوا عليه ومعه قاضيه « محمد بن الحسن الشيباني » وكان صديقا للشافعي وأحد الذين جالسوه في العلم وأخذوا عنه (١) فلما بلغه أن الشافعي في القوم الذين أخذوا من قريش بالحجاز واتهموا بالطعن على الرشيد والسعي عليه ، اغتم لذلك غما شديدا : وراعى وقت دخولهم على الرشيد قال : فلما أدخلوا على الرشيد سألهم وأمر بضرب أعناقهم ، فضربت أعناقهم الى أن بقى حدث علوي من أهل المدينة . وأنا ، فقال للعلوي : أأنت الخارج علينا والزاعم أني لا أصلح للخلافة ؟ فقال العلوي : أن أدعي ذلك أو أقوله قال : فأمر بضرب عنقه ، فقال العلوي : أن كان لابد من قتلي فأنظرني أكتب الى أمي بالمدينة فهي عجوز لم تعلم بخبري ، فأمر بقتله فقتل

ثم قدمت و « محمد بن الحسن » جالس معه فقال لي مثل ما قال للفتى فقلت : يا أمير المؤمنين لست بطالبي ولا علوي وأنما أدخلت في القوم بغيا علي : وأنما أنا رجل من بني المطلب بن عبد مناف بن قصي ولي مع ذلك حظ من العلم والفقه والقاضي يعرف ذلك . وأنا محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن

(١) لعل في العبارة تحريفا فان المعروف ان الشافعي هو الذي اخذ عن محمد

المطلب بن عبد مناف . فقال لى أنت محمد بن ادريس ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين قال : ما ذكرك لى محمد بن الحسن ثم عطف على محمد بن الحسن فقال : يا محمد ما يقول هذا هو كما يقوله ؟ قال : بلى وله من العلم محل كبير وليس الذى رفع عليه من شأنه ، قال : فخذه اليك حتى أنظر فى أمره ، فاخذنى محمد وكان سبب خلاصى لما اراد الله عز وجل منه ص — ٩٧ ، ٩٨

ويقول ابن حجر فى كتاب « توالى التأسيس » ص — ٧١ —

(وأما الرحلة المنسوبة الى الشافعى المروية من طريق عبد الله بن محمد البلوى فقد أخرجها « الآبرى » و « البيهقى » ، وغيرهما مطولة ومختصرة وساقها « الفخر الرازى » فى مناقب الشافعى بغير اسناد معتمداً عليها وهى مكذوبة وغالب ما فيها موضوع ، وبعضها ملفق من روايات ملفقة ، وأوضح مافيها من الكذب ؛ قوله فيها : أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعى : وهذا باطل من وجهين : أحدهما — أن أبا يوسف لما دخل الشافعى بغداد كان مات ولم يجتمع به الشافعى

والثانى — أنهما كانا أتقى لله من أن يسعيا فى قتل رجل مسلم لاسيما وقد اشتهر بالعلم ، وليس له اليهما ذنب الا الحسد على ما آتاه الله من العلم ، هذا ما لا يظن بهما وان منصبهما وجلالتهما وما اشتهر من دينهما ليصد عن ذلك

والذى تحرر لنا بالطرق الصحيحة : أن قدوم الشافعى بغداد أول ما قدم كان سنة ١٨٤ هـ — ٨٠٠ م . وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين ، وأنه لقى محمد بن الحسن فى تلك القدمة ، وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه

وممن أخذ عنهم الشافعى فى العراق « وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى أبو سفيان الكوفى الحافظ ، المتوفى سنة ١٩٠ هـ ٨٠٥—٨٠٦ م و « حماد بن أسامة الهاشمى الكوفى ، المتوفى سنة ٢١٠ هـ — ٨٢٥ م ، و « عبد الوهاب بن عبد المجيد البصرى » المتوفى سنة ١٩٤ هـ ٨٠٩ — ٨١٠ م . وقد قرأ الشافعى كتب « محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ ٨٠٤—٨٠٥ م ولازمه وأخذ عنه .

ولم نر فيما بين أيدينا من تراجم الشافعى ذكر مدة مقامه فى بغداد فى هذه القدمة :

وقدم الشافعى بعد ذلك الى بغداد سنه ١٩٥ هـ ٨١٠ — ٨١١ م فأقام سنتين واشتهرت جلالة الشافعى رحمه الله فى العراق وسار ذكره فى الآفاق وأذعن بفضله الموافقون والمخالفون ....

وعكف عليه للاستفادة منه الصغار والكبار من الأئمة والاحبار من أهل الحديث والفقه وغيرهما ، ورجع كثيرون منهم عن مذاهب كانوا عليها الى مذهبه وتمسكوا بطريقته كأبى ثور وخلائق لايحصون .... وصنف فى العراق كتابه القديم ويسمى « كتاب الحجة » ويرويه عنه أربعة من جلة أصحابه وهم : أحمد بن حنبل ، وأبو ثور ، والزعفرانى ، والكرابيسى)

« شرح المهذب للنووى » ج ١ ص ٩

ثم خرج الشافعى الى مكة وعاد الى بغداد فى سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ — ٨١٤ م وأقام بها أشهرا ، ثم انه خرج الى مصر فى هذه السنة كما فى معجم الادباء ، ويقول ياقوت فى موضع آخر : « ويقال : ان الشافعى رضى الله عنه قدم الى مصر سنة ١٩٩ هـ - ٨١٤ - ٨١٥ م فى اول خلافة المأمون وكان سبب قدومه الى مصر ان العباس ابن عبدالله بن العباس بن موسى بن عبدالله بن العباس استصحبه فصحبه وكان العباس هذا خليفة لأبيه على مصر » ج ٦ ص ٣٩٤ (١)

وفى شرح المهذب : « وقال الربيع قدم الشافعى (مصر) سنة

---

(١) وليس معنى ذلك أن الشافعي انما خرج الى مصر بمجرد الرغبة في مصاحبة الوالي فقد كان يتشوق الى مصر من قبل ورووا له في ذلك شعراً

أرى النفس قد أضحت تتوق الى مصر
ومن دونها حوب الحزونة والوعر
ووالله ما أدري أللخفض والغنى
أساق اليها أم أساق الى قبري ؟

وروى هذا الشعر أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه في كتاب البلدان المؤلف نحو سنة ٢٩٠ هـ منسوباً الى أبي نواس فيكون الشافعي قد تمثل بيتا

وقد يفهم سبب خروج الشافعي الى مصر مما ذكره بن البزاز الكردرى في مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة على ما فيه من التحامل البين : عن الجارود بن معاوية قال : كان الشافعي حين بالعراق يصنف الكتب وأصحاب محمد يكسرون عليه أقاويله بالحجج ويضعفون أقواله وصيقوا عليه وأصحاب الحديث أيضاً لا يلتفتون الى قوله ويرمونه بالاعتزال فلما لم يتم له بالعراق وسوق خرج الى مصر ولم يكن بها فقيه معلوم فقام بها سوقه ج ٢ ص ١٥٣

واذا كان الشافعي قد خرج الي مصر يلتمس نشر مذهبه فهو انما أراد أن يلتمس لآرائه ميداناً جديداً بعد أن أدرك النصر في الحجاز والعراق

وقال الربيع سألني الشافعي عن أهل مصر فقلت هم فرقتان فرقة مالت الى قول مالك وناضلت عليه وفرقة مالت الى قول أبي حنيفة وناضلت عليه ، فقال أرجو أن أقدم مصر ان شاء الله فآتيهم بشيء أشغلهم عن القولين جميعاً ، قال الربيع ففعل ذلك والله حين دخل مصر ، ابن حجر ص ٧٧

مائتين ولعله قدم فى آخر سنة تسع جمعا بين الروايتين

وصنف كتبه الجديدة كلها بمصر وسار ذكره فى البلدان وقصده الناس من الشام والعراق واليمن وسائر النواحى للأخذ عنه وسماع كتبه الجديدة ، ص ٩

وفى ابن خلكان : « ثم عاد الى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فاقام بها شهراً ثم خرج الى مصر وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة وقيل إحدى ومائتين »

وأقام الشافعى بمصر الى أن مات سنة ٢٠٤ هـ و ٨١٩ - ٨٢٠ م (١) كان فى آخر عمره عليلا شديد العلة من البواسير حتى قالوا : أن صدره أصبح ضيقا ، وأنه كان يقول أنى لأرى الخطأ وأنا أعرفه يعنى ترك الحية

وفى كتاب « توالى التأسيس » لابن حجر : (قلت : قد اشتهر أن سبب موت الشافعى : أن فتيان بن أبى السمح المالكى المصرى وقعت بينه وبين الشافعى مناظرة فبدرت من فتيان بادرة فرفعت الى أمير مصر فطلبه وعزره فحقد ذلك فلقى الشافعى ليلا فضربه بمفتاح حديد فشجه فتمرض الشافعى منها الى ان مات ولم أر ذلك من وجه يعتمد) ص ٨٦

لم تقتل الشافعى شجة « فتيان » المزعومة أنما قتل الشافعى ما بذله من جهد عنيف فى السنين الأربع التى أقامها بمصر ما بين تأليف وتدريس ومناظرة وسعى فى بث مذهبه ومدافعة كيد خصومه ، هذا الى مرضه المنهك ، وقد كان فى ذلك العهد مصابا بنزيف من الباسور

قال الربيع تلميذه : أقام الشافعى ههنا أربع سنين فأملى الفا وخمسمائة ورقة ، وخرج كتاب « الام » ألفى ورقة وكتاب « السنن » وأشياء كثيرة كلها فى مدة أربع سنين ؛ وكان عليلا شديد العلة . . . » ابن حجر ص ٨٣ ، وكان يلازم الاشتغال بالتدريس والافادة فى جامع عمرو . .

وكان يجلس فى حلقته اذا صلى الصبح فيجيئه اهل القرآن فيسألونه ، فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن معانيه وتفسيره ، فاذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة : فاذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء اهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب انتصاف النهار ثم ينصرف

(١) فى كتاب التوفيقات الالهامية لمحمد مختار باشا
فى ٤ من يناير سنة ٨٢٠ كانت وفاة الامام محمد بن ادريس الملقب بالشافعى - ض - وهو صاحب المذهب الشافعى ولم يبلغ من العمر أكثر من ٥٤ سنة ودفن بالقرافة الصغرى ص ١٠٢.

الى منزله ، بن حجر ص ٦٢

واخرج أبو نعيم من طريق ابن حسين البصرى سمعت طبيبا مصريا يقول : ورد الشافعى مصر فذاكرنى بالطب حتى ظننت أنه لا يحسن غيره ، فقلت له اقرأ عليك شيئا من كتاب أبقراط فأشار الى الجامع فقال ان هؤلاء لا يتركوننى . ابن حجر ص ٦٦

وقد يكون الشافعى درس الطب فيما درسه من العلوم فى العراق حينما جاءها أول مرة

وقد يكون درس علوم التنجيم ايضا هناك ، وانهم ذكروا ان الشافعى اشتغل بعلوم التنجيم : وكل ذلك يدل على ما كان من شغف للامام بالعلم كله

وقد يكون هذا الجلوس المتوالى فى الجامع من أسباب ما أصيب به الامام من المرض .

وذكر الاستاذ مصطفى منير إدهم فى رسالته ورحلة الإمام الشافعى الى مصر ، ان أهل الامام ذهبوا إلى الوالى فى صباح الليلة التى توفى فيها ، وكان الوالى هو محمد بن السرى بن الحكم ، وطلبوا اليه الحضور لتغسيل الامام كما أوصى ، فقال لهم الوالى : هل ترك الامام دينا ؟ قالوا نعم ، فأمر الوالى بسداد ذلك الدين كله ، ثم نظر اليهم وقال لهم هذا معنى تغسيلى له ص ٤١

وان صحت هذه القصة التى لم يذكر راويها (١) لها استناداً فهى تدل على أن الشافعى خرج من الدنيا فقيراً كما دخلها فقيراً

ولسنا نشك فى أن الشافعى مات فقيراً ، لكنا نشك فى امر استدانته ، فقد روى ابن حجر فى « توالى التأسيس » عن ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن سواد السرحبى قال : قال لى الشافعى أفلست ثلاث مرات فكنت أبيع قليلى وكثيرى حتى حلى ابنتى وزوجتى ولم أستدن قط ص ٦٧

وتزوج الشافعي (حميدة) بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان ابن عفان فولدت له (أبا عثمان محمدا) وكان قاضيا لمدينة حلب (وفاطمة) (وزينب)

(١) وقد عثرت على هذه الرواية فى كتاب (تاريخ مصر) المشهور (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) ولفظه : قيل : لما مرض الامام الشافعى أوصى بأن لا يغسله الا أمير البلد فلما مات حضر محمد بن السرى أمير البلد فقيل له : ان الامام أوصى بأن لا يغسله الا أنت ، فقال : هل توفى الامام وعليه دين ؟ فقيل : نعم فحسبوا ما عليه من الدين فاذا هو سبعون الف درهم فقضاها عنه محمد بن السرى وقال : هذا غسلى اياه وانما كنى عن الدين الذى عليه لاقضيه عنه جـ ٣ - ص - ٢٣

الطبيعة فى شعر ابن خفاجة

— ٤ —

ثم لاحظ فى هذه المقطوعات أنه يتعرض للمكان الذى شرب عنده الخمر بالذكر ، فيصفه ويصف الغمامة الدكناء والشمس المريضة : فاذا لاحظت ذلك فانك لابد واجد الاختلاف البين بين خمريات أبى نواس المطولة وبين خمريات ابن خفاجة القصيرة . فلعلك ترى أن ابن خفاجة لا يجعل الخمر ولا غيرها موضوعا يقول فيه الشعر ، ولكنه يجعل مناظر الطبيعة ومتفرجاتها موضوعا يتكلم عنه ويصفه ، ثم يتعرض فى أثناء وصفه إياه الى الخمر الحمراء والى كؤوسها البيضاء بالوصف ، ويتعرض الى الساقى والشاربين بالذكر ، فيكون من ذلك صورة قوم عاكفين على الشراب فى آخريات النهار أو فى رائعة الصباح على ضفاف الجداول فى ظل الأدواح وبين العرار والأقاح .

هذا هو الفرق ، تدركه حين تعلم ان ابا نواس كان مغرما بالخمر وإن ابن خفاجة كان مغرماً بالطبيعة ، وان ابا نواس كان يقصد الى الخمر قصدا فينشىء القصيدة فيها ، وان ابن خفاجة كان يقصد الى الطبيعة قصداً فينشىء المقطوعة فيها ، وحين تعلم ان ابا نواس فى خمرياته يقصد الى خمارة البلد فيدخلها ويشرب ويصف مجلسه فيها والخمر التى يتناولها والكؤوس التى يرشف منها ، وان ابن خفاجة كان يقصد إلى المتفرجات والمناظر فيصفها ويصف مجلسه فيها ؛ وحين تعلم ان ابا نواس كان يشرب ويكثر من الشرب فى الحانات او فى المنازل فى كل وقت حتى يسكر وتميل به الكأس ، وان ابن خفاجة لايشرب الا حين يدعوه جمال المنظر ورقة النسيم واعتدال الاقليم

فابو نواس حين يصف الخمر كابن خفاجة حين يصف الطبيعة ، وابن خفاجة كأبى نواس فى الاقلاع عن الخمر وفى التوبة عنها يحسنان وصفها ويجيدانه : فيقول ابو نواس :

وقلت لساقيها اجزها فلم اكن ... ليأبى امير المؤمنين واشربا
فجوزها عنى سلافا ترى لها ... الى الافق الاعلى شعاعا مطنبا
اذا عب فيها شارب القوم خلته ... يقبل فى داج من الليل كوكبا

ويقول ابن خفاجة :

يا حبذا نادى المدام ومجتلى ... سر السرور به ومسلى الانفس
ولئن كففت عن المدام فان لى ... نفساً تهش بصدر ذاك المجلس
لولا الحياء من المشيب لقبلت ... ثغر الحباب به وعين النرجس

فهو يتأوه ويقول : ياحبذا نادى المدام حيث السرور وحيث الطرب ، ولئن كنت قد كففت عن الشراب واقلعت عنه فأن لى نفساً تهش اليه مع الصدور ، وتحن اليه على البعد ، ولولا حيائى من المشيب لقبلت ثغر الحباب ، وحضرت مجالس الاحباب .

ويقول كذلك :

صحا عن اللهو صاح عافه خلقا ... فقام يخلع سربالاً له خلقا
وعطل الكأس من شقراء سابحة ... ألا كفاها بريعان الصبا طلقا
ورب ليلة وصل قد لهوت بها ... مغازلا فلقا أو شاربا شفقا

فهو يقول : لقد صحوت عن اللهو وعفته . وقمت أخلع سرباله الخلق الرث ، وقد عطلت الكأس من الخمر الشقراء بعد أن كانت فى ريعان الصبا طليقة غير معطلة ، ومقربة غير مبعدة ، وموصولة غير مقطوعة : الى هنا يمسك نفسه عن تذكر الماضى ولكنه بعد ذلك لا يرى بداً من ذكره فيقول ، ورب ليلة قد اجتمع لى فيها خمر حمراء ووجه جميل ، فكنت أقضيها بين مغازلة صباح وضاء ، وبين رشف شفق أحمر

وهو فى القطعة الاولى جعل للحباب ثغراً وأنه لولا المشيب لقبله ، وفى القطعة الثانية شبه الخمر بالشفق الاحمر : والثغر والشفق منظران من مناظر الطبيعة .

هذا ماوعدناك به فى هذا الفصل ، فهل ارتحت اليه وهل أعجبت بشعر ابن خفاجة حين يذكر الخمر ويذكر معها جمال الوقت واعتدال الزمان فيسكرك بوصفه الخمر ويطربك بوصفه الطبيعة :

(له رشفها دونى ولى دونه السكر)

وكأنى بك تمايل من شدة الطرب وتترنح من شعر ابن خفاجة كما ترنح العباس بن الاحنف حين سمع قول ابن الدمينة يتشوق الى نجد :

الا ياصبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

اذا كان ذلك فاسمع اذن هذه المقطوعة فى الخمر :

ندى النسيم فما ارق واعطرا ... وهفا القضيب فما أغض وأنضرا
فرفعتها بكراً اذا قبلتها ... القت على وجهى قناعا احمرا
ورفلت بين قميص غيم هلهل ... ورداء شمس قد تمزق اصفرا
والريح تنخل من رذاذ لؤلؤاً ... رطبا وتفتق من غمام عنبرا

الطبيعة في الغزل : — قرأت قولنا في خمريات ابن خفاجة ورأيت أقواله في الخمر ، ولابد لنا حتى تزول عنك تلك النشوة التي اصابتك من جمال وصفه ومن جودة تشبيه من ان نورد على مسامعك هذه الابيات :

وابتع بكيس كأس مشمولة ... واسحب ذيول اللهو واخلع وهب
واستضحك المجلس عن قهوة ... قد نبهت للصبح هدءا فهب
نارية اللـذعة نورية ... في صفرة فاقعة أو صهب
وهز من عطفيك عن نشوة ... غضا اذا مانفس الصبح هب
بأبيض كالماء مستودع ... ماشئته من احمر كاللهب
او ذائب هذا لجرى فضة ... او جمدت تلك لكانت ذهب

فاذا صحوت من نشوتك فاصغ اذا شئت الى قولنا في غزله والى وصفه الطبيعة في ذلك الغزل .

وانك بعد ان نورد على مسامعك غزله الرقيق ووصفه الاعضاء وتناسقها ، والليالي وجمالها ، والطيف وزيارته ، ستجد في كل هذا وصفا للطبيعة لم يبلغه الكثير من اساطين الشعر . قال يتغزل :

فتق الشباب بوجنتيها وردة ... في فرع اسحلة تميد شبابا
وضحت سوالف جيدها سوسانة ... وتوردت اطرافها عنابا
بيضاء فاض الحسن ماء فوقها ... وطفا به الدر النفيس حبابا

فهو يقول : انها شابة فتق الشباب بوجنتيها وردة حمراء ، كأن قامتها الهيفاء شجرة الأسحل تميد نضارة وشبابا ، وكأن سوالف جيدها البلوري سوسانة ، وكأن أطراف أصابعها عناب ، وهي الى ذلك بيضاء كأنما الحسن ماء فاض فوق جسمها فطفق عليه حباب أبيض : يشير بذلك الى أنها مطوقة بقلادة من الدر . ثم يختم تغزله بهذه الابيات :

بين الشجون قلادة تحت الظلا ... م غمامة دون السحاب نقابا
نادمتها ليلا وقد طلعت به ... شمسا وقد رق الشراب سرابا
وترنمت حتى سمعت حمامة ... حتى اذا حسرت زجرت غرابا

ثم اقرأ قوله :

ومهفهف طاوي الحشا ... خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة ... تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى ... واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما ... مة والحمامة والقمر

ولاحظ بعد ذلك ما يمكنك أن تلاحظه : فلعلك ترى ان غزل ابن خفاجة لايشابه غزل غيره من الشعراء : فهو غزل اشبه شيء بوصف مناظر الطبيعة : فهو حين يقف امام محبوبته فيتغزل بها يكون كأنه واقف امام منظر من مناظر الطبيعة ، وكأن غرامه بالطبيعة وبمناظرها يغلب على شعره حتى في أوقات الغزل ، فيشبه حمرة وجنتيها بالوردة الحمراء ، وقامتها بشجرة الاسحل ، ثم يرى من سوالفها السوداء فوق جيدها البلوري ، ومن اطراف اصابعها التي خضبتها الحناء ما يذكره بالسوسن والعناب ، ويشبه حسنها بالماء الصافي ، وقلادتها اللؤلؤية بالحباب ، وفي القطعة الثانية يشبه محبوبه بحيوانات الطبيعة : يشبه رنوه بالغزالة ، ومشيه بالغمامة ، وشدوه بالحمامة ، ووجهه السافر بصفحة القمر المنير .

ولعلك تلاحظ أيضا أن غيره من الشعراء يقف في غزله موقف الولهان فيمعن في وصف محبوبه ، وفي وصف حاله ، ثم ينبري فيذكر شكواه ويتألم ويتوجع ويصف عاطفته المهتاجة ونفسه الملتاعة .

الا ترى الى ابن الدمينة كيف يبث في مقطوعته لواعج نفسه وكيف يبوح بوجده الذي يسره لمحبوبه حين يهب عليه ريح الصبا فيذكره بديار الحبيب :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجدا على وجد
أان هتفت ورقاء في رونق الضحى ... على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد صبابة ... وشجوا وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا ان المحب اذا دنا ... يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع ... اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وانظر الى البحتري كيف يبكي على فراق علوة الحلبية بما يثير العواطف والشجون :

قضت عقب الايام فينا بفرقة ... متى ما تغالب بالتجلد تغلب
فان ابك لا اشف الغليل وان ادع ... ادع لوعة في الصدر ذات تلهب
الا لا تذكرني الحمى ان ذكره ... جوى باطن للمستهام المعذب
اتت دون ذاك العهد ايام جرهم ... وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب
ويالائمي في عبرة قد سفحتها ... لبين واخرى مثلها للتجنب
تحاول مني شيمة غير شيمتي ... وتطلب مني مذهبا غير مذهبي
وما كبدي بالمستطيعة للاذى ... فاسلو ، ولا قلبي كثير التقلب
ولما تزايلنا من الجزع وانتأى ... مشرق ركب مصعد عن مغرب
تبينت أن لا دار من بعد عالج ... تسر ، وأن لا خلة بعد زينب

ولكن ابن خفاجة لم يكن له من ذلك حظ قليل ولا كثير لأنه لم يكن له حبيب يبكي على فراقه ويطلب الشفاء مما قد ساءه بحبه ولم يكن له من لائم يلومه ويكلفه مالا طاقة له به

(البقية على صفحة — ٣٦ —)

مِنْ طرائفُ الشِّعرُ

بعد ٢٥ سنة

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

تذكر الشاعر الكبير أخاه المرحوم عبد الغنى الزهاوى فهاجته الذكرى ودفعته الى زيارة قبره فبكى عليه ما شاء له الحزن أن يبكى، ثم نظم قصيدته هذه متأثراً كأن أخاه قد مات بالامس

أخى الى الموت سلك — أخى قضى، أخى هلك
دار عليه برحا — ه طاحناً له الفلك
أخى عن النور تولى — راحلا الى الحلك
ليس طريقا للرجو — ع ماله اخى سلك
مادلتنيك شمس النها — ر انما أخى دلك

اخى اخى انى أنا — ديك ولاجواب لك
اخى اخى ماذا من الا — سباب عنى شغلك
ليت إله الطب وا — فاك فداوى شللك (١)
قد زرت قبرك للذى — ترابه قد شملك
من ذا بهذا الجدث الض — نك اخى قد جعلك ؟
من ذا عن الحراك فى — هذا الحفير كبلك
درست ياقبر وقد — زرتك ابكى طللك
لم يبق غير الحزن لى — أما دموعى فهى لك
كيف وجدت ياأخى — فى جوف قبر منزلك !
وعندما دخلت منه — الباب من ذا استقبلك؟
من ذا نضا عنك الثيا — ب البيض من ذا دللك ؟
من ذا من الاموات حيا — ك ومن ذا قبلك ؟
والخبر أن تجهل فى — ملحودة مستقبلك
لاتخشين من أبد — سوف يلاقى أزلك

مالى أراك ذا صمو — ت غير مبد جذلك
آخبرك المشير لا — حزن ينافى أولك
ابكى عليك كلما — لى الخيال مثلك
ابكى لذكراك كما — بكيت يوم مت لك
ابكى خلالك التى — سمت وابكى جملك
يا يوم فى صبحك اظ — هرت لعينى طفلك!
ياموت أشرعت علىّ — صدر شقيقى أسلك
ياليل اخزانى من — بعد اخى ما اطولك !
ويانهار كنت بساماً فمن ذا بدلك ؟
ياطرف أغرق من دمو — عك البواقى وشلك
ياهم إن ماجرى — من ادمعى ماغسلك
ياقلب لا يرجع من — احببت فاقطع أملك
ياشعر قل مؤرخا — «عبد الغنى قد هلك»
« ١٣٢٦ »

غربة النبوغ

للعالم الشاعر الاستاذ احمد الزين

من لثاو فى الأهل يشكو اغترابه
سئم العيش عذبه وعذابه

ود لو تطفىء المنون وميضاً — من حياة بروقها خلابه
راح فى الليل يعقد الآمل الضخم فلما بدا الضياء أذابه
كل يوم له أمانى تفنى — ورجاء تذوى الليالى شبابه
تتهاوى الآمال منه فتهوي — فلذات من نفسه الوثابه
جحدوا عنده المواهب حتى — لم يبالوا أن يجحدوا وهابه
يرسل النور فى عيون الخفافيش فتأبى العيون الا احتجابه
ويسوق اللحن الشجى الى الصم فتأبى الأسماع الا نعابه
ويفيض العذب الشهى على أفواه مرضى لا تستسيغ شرابه

(١) يبات بداء الشلل

ولكم نفحة من الروض صدوا
عن شـــذاها واستروحوا أخطابه

أكثر الانس لا تحس لديه — من صفات الإنسان إلا إهابه
حامل في أديمه نفس عجما — ء وفي الشكل مشبه أضرابه
يا الجهد قد كان يذكو التهاباً — أخمد الغبن والعقوق التهابه
وفؤاد قد كان مهد الاماني — صار لحداً تسقى الدموع ترابه
وذكاء يجزى عليه جحوداً — حين يجزى الغبى منهم ثوابه
ونبوغ يضيع بين جهول — وحسود بالضغن ضل صوابه
تملأ الشمس عينه فيراها — وعليها من الحقود ضبابه
كم دعى قلدتموه خطير الام — ر فيكم وذدتمو أربابه
وغبى يحيا سعيداً ويعزو — ن اليه من كل فن لبابه
حين يشقى أخو الذكاء ويطوى — فيكم العمر حاملا أوصابه
لم ينافق فيستحق لديكم — رغد العيش محكماً أسبابه
علموه الرياء مما علمتم — وخداع النهى فيقرع بابه
بل دعوه وشأنه لن تروه — بائعــاً نفسه ولا آدابه
إن سفك الدماء أوهى حساباً — من دم الفضل تحملون حسابه
انما العبقرى روح من الله — أمين يوحى اليكم كتابه
إن قتل النبوغ قتل لشعب — وعناد لله فيمن أنابه

ساجعة

وساجعة في السدر والليل ساكن
[illegible] شوى نسمة في الروض تستقبل الفجرا
ترجع أنات الحنين بغصنها
فتحسب رجع الصوت من شجوها جرا
وتدعو جناحا لايلبي نداءها
أبى البين إلا في مفاصله كسرا
يرف الخميل الطلق غصناً وزهرة
فما نظرت غصنا ولارمقت زهرا
إذا ذرفت من لاعج الشوق دمعة
اجابت هواها في محاجرى الأخرى
وماخضبت كفا ولكن أدمعاً
تكفكفها ردت أناملها حمرا
هو البين ياورقاء كدر صافياً
من العيش فاستبدلت من حلوه المرا
تعالى خذى حر الأسى عن مجرب
جوى اللحظ أسيافاً وعالية سمرا
له كبد كالربع ضاعت سطوره
سوى أثر فيهن لم يبلغ السطرا
تظل عيون الشوق تنشد رسمها
إذا ما دعتها في جو انحى الذكرى
وعين هتون الدمع غشى جفونها
قروح على أيامها أبداً عبرى
جفاها الكرى إلا غراراً فنومها
كحسو القطا تلوى مناقيرها ذعرا
تزيد نحولا خشــدها كلما همت
وما ان عهدت الجدب لايحمد القطرا
سقا الريف من (دمياط) هتان ديمة
[illegible] تحيا الصبا فيه ملاعبنا الخضرا
تباركت بنيانا في رباها مخضبا
كأن على أطرافها الورق النضرا
عجبت لنفسي يوم ودعت كيف لم
أمت شجنا او تحترق كبدى الحسرى

علي شرف الدين
دبلوم دار العلوم

الطبيعة في شعر ابن خفاجة

(بقيــة المنشور على صفحة ٢٤)

يكلفنى عنك العذول تصبراً — واعــوز شيء مايكلفنيه

وانما كانت حبيبته الطبيعة ، والطبيعة ماثلة في كل مكان وزمان قريبة الوصال هينة اللقاء ، ولانه كان يرى ان كل مافى الحياة مجلس اخوان ود في بستان أو على ضفة جدول يقرضون الشعر ، ويرشفون الخمر ، ويمتعون أنظارهم بجمال الطبيعة الساحر ، فلم يك في غزله الا وصافاً للطبيعة ، ولم يك في غزله ولهان ، ولم يك في غزله مفحشا

هذه ملاحظات قليلة خلاصتها انه لم يتفنن في غزله تفنن المحبين المغرمين أمثال ابن الدمينة والبحترى وغيرهما ، ولم يفحش في غزله فحش ابى نواس

(يتبع) — ادلب — عبد الرحمن جبير

مختـــارات

من شعر الشاعرة الفرنسية مارسلين

ترجمة الاستاذ خليل هنـــداوى (١)

— ١ —

حياة اليمام وموته

يابنات الهديل !

ايه ! قه دركن فاتن * الوانى تحسن حفظ الوداد

المعرى

هذا هو الورشان الامين بين اسراب اليمام !
يطير فى الغابة ، لا يستهويه القعود ، ليظل هافياً حول محبوبته
ولا يقدر على أن يأوى الا الى الوكنة التى سكن فيها هواه ،
حيث جناح محبوبته الملتهب يدفىء جسده دائما

دعوا القلبين المؤتلفين يخفقا ويضطربا ؛
فما حياتهما الا خيط ذهبي تربطه عقدة سرية ،

بربكم ! لا تفصـــلوا بينهما ! فانهما يموتان
هما لا يبغيان الا قليلا من سارى الهواء ، وقليلا من وارف
الظل ، ومتكأ على ساقية ندية تروح عن قلبيهما !

ولا يريدان — من كل السماء والأرض — الا عشا جميلا مظللا
يتقاسمان فيه أسباب الحياة ، ويوارى سعادتهما :
اذا لم تعد عيناك تلمحان — يمامة الغابة — يلمع نصفها الابيض فى الفضاء
وهى تجوز عبر الشاطىء ، فلا تقل : هجر أحدهما رفيقه
فانهما — وهما يحبان دائما — لم يعرفا الحب الا مرة واحدة

دع شكوك نفسك واتبع آثارهما الضائعة
فانك واجد فى الوكنة — فى الضريح القاتم —
أربعة أجنحة مبسوطة تغمر قلبين هامدين
سيضطرمان حبا فى السماء !

— ٢ —

اليقظـــة

هل فى استطاعتى أن أتذوق النوم الشهى ، على هذا السرير القصى ؟
أنا أشعر بالهواء يطيب شذاه حين يهفو من حولك
لأن تغرك زهرة طافحة بالعبير !
فتعال يا كنزى ! ولا تضرم سواى !
وتيقظ ! ألا تتيقظ !

لكن هذه النفحة الغرامية ...
هذه القبلة التى أتمناها ، لا أجرؤ على طبعها على شفتيك ،
وهى تضاعف لى أيام حياتى اذا سمح بها قلبك ،
ولكن نعاسك يطول ! وانت تميتنى
وأنا لا أجرؤ على طبعها !
تعال ! اننا سنجد ظلا وارفا تحت شجرات الموز
والعصافير ستستأنف تغريدها اذا لمحتنا غارقين فى الحب

والشمس غلبت عليها غيرتها ، فتوارت وراء الغيوم
وأنا لا أبحث عن نور الضحى الا فى عينيك !
الا تعال ! وابسط على الحب نوراً

لا لا ! أنت لن تنام ، أنت تقاسمنى نوابحى
وقبلاتك هى الأرى الذى تمنحه لنا الازهار ،
لماذا يتنهد قلبك ؟ هل تفتش عن نفسى ؟
ان نفسى تطفو على ثغرى ، وتهم بان تجفف دموعك ،
ألا وارنى تحت الازهار !

(١) أنظر العدد الماضى ص ٢٦

الشعر

محاضرة للشاعر الكبير «بول فاليرى»

عضو المجمع الفرنسي

مترجمة بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

منذ أسابيع عرض الدكتور طه حسين على صفحات هذه المجلة لرأى «فاليرى» فى الشعر. ومنذ أسبوع حاضر فيه جمهرة حاشدة من سامعيه، ونحن نتنهز هذه المناسبة لترجمة محاضرة الشاعر نفسه عن الموضوع نفسه إتماماً للفائدة. ولما كان موضوع البحث دقيقاً فقد حرصنا على دقة الاصل، ولم نستحل لأنفسنا — بحجة التوضيح والتبيين — تحريف الكلام أو الاضافة اليه أو الاقتضاب منه، ونعترف للقراء اذا نحن أوصيناهم أيضاً بالتدقيق فى مطالعته واكتناه مراميه.

«المترجم»

جئنا اليوم نحدثكم عن الشعر فهو موضوع العصر. وعجيب أن عصراً يجمع بين العمل واللهو المسرف معاً — وقد يعد بعيداً عن سبحات التفكير والتأمل النظرى عامة — يهتم هذا الاهتمام كله بالشعر، ولا يقف عند الشعر ذاته، بل يتعدى اهتمامه أيضاً الى نظرية الشعر.

اذن: أستبيح لنفسى اليوم أن أسبح قليلاً فى النظر التجريدى، وعذرى أنى بهذه السبيل أستطيع الايجاز فى القول.

وانا مقترح عليكم فكرة عن الشعر، ونيتى مجمعة على ألا أذكر غير ما كان من قبيل المقررات البحتة، وما كان فى امكان الناس أجمعين أن يلحظوه فى أنفسهم أو بأنفسهم أو على الاقل يجدونه باستدلال هين ميسور.

وسأبدأ من البداية. والبداية — فى هذا المعرض من الآراء فى الشعر — هى بالضرورة تناول هذا الاسم نفسه بالنظر، كما يجرى على الالسنة فى الكلام المعتاد

كلمة الشعر

تعرف لهذه الكلمة مدلولين، أعنى وظيفتين بينهما فرق بعيد. فهي تعني أولا نمطاً من الخوالج النفسية، أو حالة عاطفية خاصة تثيرها أشياء شتى أو ظروف جد مختلفات.

فنحن نقول عن منظر من المناظر الطبيعية أنه شعرى. ونحن نقولها عن طور من أطوار الحياة، وأحيانا نقولها عن شخص

ولكن هناك محملا آخر لهذا اللفظ. ومدلولا ثانيا هو أخص من الاول. والشعر على هذا الوجه الثانى يذهب باذهاننا الى احد الفنون، الى صناعة عجيبة غرضها أن تعيد كرة اخرى إنشاء هذه العاطفه التى يدل عليها الوجه الاول للفظ

فاستعادة العاطفة الشعرية عند القصد وبواسطة افانين اللغة دون الظروف الطبيعية التى تولدت فيها عفوا، هو هو مطلب الشاعر، وهو هو الفكرة المقترنة بكلمة «الشعر» فى مفهومها الثانى، وفيما بين هذا التصور وذاك يوجد من العلائق والفروق مثل ما بين أرج الزهرة وبين عملية الكيميائى العاكف على تأليف العطر من كافة الاجزاء.

على ان الناس يخلطون فى كل لحظة بين هاتين الفكرتين؛ فتجيء من ذلك طائفة من الاحكام والنظريات فضلا عن المصنفات. فاسدة فى أساسها لاطلاقها كلمة واحدة على شيئين هما على ارتباطهما جد مختلفين

العاطفة الشعرية

ولنجعل أول كلامنا عن العاطفة الشعرية! أى عن الحالة العاطفية الاصليـــة

تعرفون ما يخالج معظم الناس من شعور يتفاوت قوة وصفاء بين يدى مشهد طبيعي رائع، فمناظر الغروب؛ والليالى القمراء؛ والاحراج الشجراء، والبحر، تطربنا وتحرك عواطفنا. وعظائم الاحداث وأزمات الحياة النفسانية، وأشجان الحب، وتذكر الموت كلها مناسبات أو أسباب مباشرة لما يقع فى الوجدان من تجاوب واصداء داوية، بالغة فى الشدة أو غير بالغة، قوية التنبه أو ضعيفته

وهذا اللون من خوالج الانسان يتميز من سائر خوالجه الاخرى فيم يتميز؟ ذلكم ما يعنينا بحثه فى مطلب اليوم، فيهمنا أن نقابل بكل ما يستطاع من الوضوح بين العاطفة الشعرية والعاطفة العادية؛ والتفريق بين هذين عمل جد دقيق. إذ هما لم ينفصلا قط فى الحياة الواقعـــة، فنجد الانفعال الشعرى الاصلى مشوباً على الدوام بالحنو أو الاسى، بالغيظ أو الوجل أو الامل، ولا تبرح مصالح الشخص وعلائقه الخاصة متحدة بهذا «الإحساس بالكون» الذي يتميز به الشعر

الاحساس بالكون

قلت « الاحساس بالكون » وأعني أن الحالة أو العاطفة الشعرية قوامها — فيما أرى — احساس ناشيء متولد ، أو بعبارة أخرى ، ميل الى الاحساس « بعالم » أو نظام مستكمل من النسب ، ذواته وكائناته ، وحوادثه وفعاله ، وان شابهت واحدة واحدة ما يعمر به عالم الحس ويتألف منه وهو العالم المباشر الذى هي مستعارة منه إلا أنها ذات صلة محكمة لا يحددها الوصف باساليب حساسيتنا العامة ونواميسها . ومن ثم فهذه الذوات وهذه الكائنات المعهودة تتغير قيمها ومعانيها بوجه من الوجوه . فهى تتداعى وتتوارد ويلابس بعضها البعض على وجه يخالف كل المخالفة ما يجرى فى الاحوال العادية . فاذا هى « مدوزنة » ان جاز لى هذا التعبير ، واذا هى قد أصبحت متناسبة القياس متجاوبة .

وعالم الشعر بهذا الوصف فيه مشابه كبيرة بعالم الحلم

صورة الشعر والمباف الحلم

وإذ تطرقت كلمة « الحلم » الى مقالى ، فانى أذكر لكم فى كلمة عابرة انه فى العصور المتأخرة من عهد مذهب المجازيين فى الكتابة (Romantisme) حدث خلط جل خطبه وان هان تفسيره بين تصور الناس للشعر وتصورهم للحلم ! فليست الاحلام ولا حالة النفس الحالمة شعرية بالضرورة . وهى قد تكون كذلك . ولكن صوراً تكونت بالمصادفة لا يمكن أن تكون صوراً ذات سياق وانسجام الا بالمصادفة .

بيد أن « الحلم » لشيوع معالجتنا له وتكرارها يساعد على تفهيمنا كيف أن الوجدان يمكن أن تطغى عليه وتفعمه وتجيله مجموعة من شتى ما تحدثه الانفعالات والمدركات العادية . فهو يضرب لنا مثلا متعارفاً عن « عالم محصور » تتراءى فيه سائر الاشياء الواقعة وتشكل بتشكل حساسيتنا العميقة ، وعلى هذا النحو تقريباً تستقر الحالة الشعرية فى أنفسنا وتنمو وتنحل ، أى أنها لا تجرى بالضبط على قياس ، وانها متقلبة وغير اختيارية وسريعة العطب . وإننا نفقدها كما نحصل عليها عرضا . وفى حياتنا فترات لا ينجلى فيها هذا الاحساس الشعري ، ولا تتبدى فيها هذه التوليدات المحببة ، بل لا يخطر لنا امكانها فى بال ، فالصدفة تهبنا إياها والصدفة تستردها منا

الخلود رسالة الفن

ولما كان الانسان آنسانا بماله من عزيمة وقدرة على استنقاذ ما يهمه من حكم العفاء الجارى على الاشياء ، واحتفاظه بما ينقذ واصلاح حاله واقامة صرحه ، فقد صنع الانسان لهذه العاطفة الرفيعة ما صنعه أو عالج صنعه لسائر الاشياء التى يترك نها الزوال مأسوفاً عليها . فبحث واهتدى الى الوسائل التى يثبت بها ويبتعث بسرها كيف شاء أجمل اطواره النفسية وأصفاها ، والتى يستطيع بواسطتها ان يعرض وينقل ويصون على تطاول الحقب أنماط أريحيته وهيامه وجيشان وجدانه . ثم كان من حسن العقبى أن اختراع وسائل البقاء هذه أتاح للانسان الفكرة والقدرة معاً على تعهد ما تمن به سليقته عليه أحياناً من قطع الحياة الشعرية بما ينميها اصطناعيا ويزيد فى زينها وغناها . فتعلم ان ينتشل من مجرى الزمن وان يستخلص من الظروف هذه التواليف وهذه المدركات العجيبة العارضة التى قد كانت ذاهبة بلا رجعى لو لم يبادر فينا الكائن المتفنن الأريب الى معونة الكائن الوقتى ويسعف بمخترعاته النفس المحسة .

ولقد نشأت الفنون طراً لكيما تخلد أو تبدل ـ كل فن بحسب جوهره ـ لحظة من لحظات النعيم الزائل الى حقيقة راسخة من لحظات ممتعة لا انتهاء لها . فالعمل الفنى ليس الا أداة مادية لهذا الاكثار أو التوليد المستطاع .

اللغة

والموسيقى والتصوير والعمارة أساليب شتى تتناسب مع اختلاف المعانى . وهى كلها وسائل لانشاء عالم شعري أو لاعادة إنشائه ، وهى تهيؤه بحسن التنظيم للبقاء ، وتفسح بالعمل المدبر نطاقه وتوسع رحابه . إلا ان أقدم هذه الوسائل وأقربها مساساً وإن تك أشدها تعقدا هى اللغة . ولكن اللغة ، بسبب طبيعتها المجردة وتأثيرها على الأخص فى الفكر ـ تأثيرا غير مباشر ، وبسبب نشأتها الاولى ووظائفها فى الشئون العملية ، تورد الفنان الذى يمارس تنسيقها وصرفها الى الشعر مورداً معقداً عجيب التعقيد

وما كان يكون فى الدنيا شعراء لو أن الانسان تمثل فى وعيه المشكلات المطلوب حلها . (وما كان انسان يستطيع تعلم المشى لو استلزم المشى منه أن يتمثل ويستحضر فى خاطره صوراً واضحة لجميع العناصر فى أقل خطوة من خطاه)

ولسنا هنا — بحمد الله — فى مقام قرض الشعر ، بل نحن انما نعالج النظر فى الاشعار كأنها شىء مستحيل صنعه ، وذلك لكى نكبر جهود الشعراء اكبارا صافيا مبينا ، ولكى ندرك مبلغ اقدامهم وكدهم وركوبهم الصعاب ، ونتصور فضائلهم ، ونعجب فلا نقضى العجب من قوة فطرتهم

(البقية على صفحة ٣٤)

العلوم

هل للعلم قيود تفرضها الاخلاق؟

للدكتور هنسن أسقف درهام بانجلترا

ترجمها بتصرف الدكتور احمد زكى

(تتمـــة)

« قيد الكاتب البحث العلمى فى المقال السابق بقيود ثلاثة ، أولها الواجب التى تفرضه الأخلاق على دارس العلم بحكم رجولته ، وثانيها شروط تحتمها حقوق أولئك الذين تقع عليهم التجربة العلمية ذاتها ، وثالثها أمور يفرضها نوع النتاج المقصود من التجربة »

القيد الاول

أما فيما يختص بالقيد الاول فلا حاجة بنا الى الافاضة الكثيرة . ان البحث العلمى يتطلب المزاج العلمى ، وان يباشره الباحث باخلاص للحقيقة ، وولاء مطلق لها ، واغفال تام لصالح الباحث ونفعه الشخصى ، واستسلام صريح للعمل المضنى ، واحتمال غير شاك للآلام فى سبيل الطلب .

ورجل العلم لا يدعى حظا من العلم أكبر مما بين يديه ، ولا يحاول أن يفيد من جهل الجمهور بعلمه ومن ثقة اعتاد أن يوليها العلماء ضرورة أو اختيارا ، وهو لا يستخدم سلطان العلم فيما يحط ويزرى ، ويعمل كل هذا لأنه واجبه الواضح البين باعتباره انسانا ، ولأنه فى علميته لا يستطيع أن يتنصل من انسانيته ، فمُثُل الانسان العالية هى مُثُل العالم العالية ، والغايات النبيلة لهذا هى عينها غايات تلك ، وموقف الاثنين جميعا من الواجب العام هو الذى حدث عنه غلادستون حين قال : « أنا لا أبالى ان أسأل كم فى الناس من سقط ، وكم فيهم من حثالة هربت من الاخلاق فحاق بها ما حاق . . . وانما انا اعتقد ان الواجب قوة حية ، تصحو معنا فى الصباح ، وترقد معنا فى الليل ، وتصحب كل عمل يصدر فى يقظتنا عن ذكائنا الانسانى . الواجب ظل يتبعنا اينما سرنا فى مدارج الحياة . ولا يتركنا الا عندما تُغمض الجفن الى الابد عن نور هذه الشمس » .

ان اخضاع العلم للأخلاق بهذا المعنى مبدأ اعترفت به الدنيا قديما وأمنت عليه القرون . وضع أبقراط (١) حلفه المشهور وحدد به مسلك الطبيب ، واحترمته الاجيال على السواء ، فاحترمه العرب المسلمون ، واحترمه اليهود ، واحترمه المسيحيون ، ولا يزال الى يومنا هذا أول عمل يأتيه الطبيب قبل ممارسة طبه . وهو عهد لا يختص به علم الطب وحده ، فكل شعبة من شعب العلم لا شك تقبل المبدأ الذى عبر عنه أبقراط بهذا النبل ، وتقبل ما يتضمنه من هيمنة الخُلُق على جميع مناشط الانسان .

القيد الثانى

الى هذا الحد ليس هناك خلاف ، فليس من ينكر ان العلم لا يستطيع تحرير رجاله باعتبارهم أناسى من الشروط الاخلاقية التى تضبط سائر الرجال والتى بدونها تضيع ثقة الناس بالناس . ولكن عندما ننتقل من رجل العلم الى طريقته ندخل ارض الفتاوى والمحللات ، وهى دائرة يكثر فيها الجدل ويطول الحجاج ، وهنا قد يسرف العلم ويغلو كما أسرف الدين من قبله وغلا . فالعلم الحديث يشغل من الدنيا الحديثة مكانا أشبه بالمكان الذى كان يشغله الدين فى العصور الوسطى من الدنيا القديمة ، ففى تلك العصور كان التفكير الانسانى ينبت

(١) ابقراط طبيب أغريقى اسموه ابا الطب عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد وحلفه المشار اليه عهد يؤخذ به خريج الطب فى بعض الجامعات الى الآن بألا يفشى الطبيب للمريض سرا مهما كلفه ذلك

فى ارض طيبة دينية ، وهى اليوم طينة علمية . كان هوى الناس فى الدين وكان تقديسهم لقساوسته، فصار اليوم هواهم للعلم وتقديسهم لاساتذته . ومن طالب الدليل على ذلك وجده فى الذوق العام . فعظات الاحبار لاتقرأ الا قليلا . وكتب رجال العلم المبرزين تشترى بكثرة وتطلب بلهفة

وهنا يتساءل المرء ، وقد نزل الدين عن عرشه للعلم . أيخضع هذا المتوج الجديد للغواية كما خضع المتوج القديم . وهل يستدرج استدراجه ليؤول الى مثل مآله . ليس فى التاريخ ماهو آلم من تاريخ « الآفتاء » فى النصرانية ، ولا أزرى منه ولا أكثر تحييرا وإربا كا . وهو مع ذلك موضوع للمتأمل خصيب

إنه ملىء بمناقضات من الجسامة بحيث لا يتصورها العقل . انحى القديس بول على الفتوى التى تقول « دعونا نفعل الشر ليكون منه الخير » ومع هذا لم يؤثر هذا الانحاء شيئا فى أفعال القسيسين ولا فى نظريات الاخلاقيين ، وكان كل سؤالهم « فى اى الظروف والى اى حد يجوز لنا فعل الشر ليحصل منه الخير ؟ »

هل يكون من العلماء يسوعيون كما كان من أهل الدين يسوعيون ؟ وهل يكون لهؤلاء ناقد ساخر فى القرن العشرين كما كان لأولئك فى شخص بلايز باسكال Blaise Pascal فى القرن السابع عشر ؟ كان من مبادئهم ان لا عهد لهرطيق ، ولا ذمام لزنديق ، وان الكذب والتزييف مباحان فى سبيل حماية العقيدة وانتشارها ، وان التعذيب والقتل مشروعان فى صالح الكنيسة ـ هذه ومبادىء أخرى قبلها رجال مسيحيون استحلوا بها اشنع الجرائم التى سجلها مداد واحتواها قرطاس

فهل يتطور العلم فى هذه الناحية مثل ما تطور الدين ؟ هل يسيطر الاعتبار الخلقى على الطريقة العلمية ، أم هل يتغلب صالح العلم المزعوم على هذه الاعتبارات جميعا ؟ هذا هو المحور الذى يدور عليه كثير من النقاش الذى يمس التجارب العلمية الحديثة ، ومنها تشريح الحيوان الحى الذي كثر اللغط فيه وتطاول الحجاج فى السنوات الاخيرة . قال قوم انه عمل حلال أمن عليه القانون واطمأن فيه الى ان العلماء انما يأتونه خدمة المعرفة . وقال آخرون انه عمل محرّم ، تحرمه الانسانية لانه يتضمن ألما للحى ، وقال غير هؤلاء : ان تحليله وتحريمه موطن بمقدار الألم الذى يعانيه الحيوان . والحق ان المسألة ذات طرفان اولهما يتعلق بالغرض الذى من اجله يجرى التشريح . وثانيهما يتعلق بالحى الذى يشرح . اما الغرض فيجب أن يكون من الكفاية بحيث يتزن مع التضحية ويستأهل الآلام . جميل أن نصيح « أن العلم للعلم » ، ولكن هل نقبل هذه الجملة على أطلاقها أم لابد من الحذر الشديد عند تطبيقها ؟ أى المعارف يجب أن نقصد اليه ، وهل كل معرفة جديرة بالعرفان ؟ يفرق الاستاذ « وايتهد » بين الطلب يطلبه المرء فى سبيل العلم ، والطلب يطلبه حلا لقضية رخيصة أخطرها بالبال الخيال السائب اللاهى . أما فيما يتعلق بالحى الذى يشرح ، بالحيوان الأعجم الذى ينطق ، فأمره يتوقف على النظرة التى ينظرها به الانسان . وهنا نجد العلم الحديث نفسه سلّح أعداءه فى هذا الصدد بسلاح قاطع ماض . فان البيلجة الدروينية أزالت الحاجز الذى وضعته الفلسفة بين الانسان والحيوان ، واعتبرت الحياة العضوية ظاهرة فردة واحدة مهما اختلفت اوضاعها وتعددت مظاهرها ، وبهذا استوى الانسان بالحيوان أو قارب ، وبهذا جاز على الانسان ما يجوز على الحيوان ، والانسان يأبى تشريح الانسان حيا ، فلا بد أن يأبى تشريح الحيوان حيا . أم هو يجيز التشريح على إطلاقه ثم يتنصل منه باعتبار ان الانسان له « شخصية » تكسبه حقوقا لا تكون لغيره من الحيوانات لانعدام (الشخصية) فيها .

ان الغرض مهما طاب ومهما خطر لا يبرر التجربة التى تخل بمسلك الانسان الخلقى .

حكوا فيما يحكى عن الامبراطور فريدريك الثانى انه دعا رجلين الى الغذاء وأطعمهما حتى امتلآ ، وبعث بأحدهما لينام ، وبعث بالآخر ليصيد ، وفى المساء أمر فشق بطناهما ليعلم أيهما أسرع هضما ، آلذى نام فاستراح ، أم الذى ظل نهاره يجرى وراء الصيد ؟ وقضى أطباؤه بالفوز للذى نام . لا يقول أحد ان رغبة فريدريك فى المعرفة لم تكن مشروعة ، ولا أن اتجاهه الى تحقيقها بالتجربة العلمية لم تكن محمودة ، ولكن الذى يدم ان التجربة لم تخضع لشروط المسلك الخلقى العام

القسم الثالث

قرأت حديثاً مقالا افتتاحياً فى (مجلة تحسين النسل) Eugenics Review تناول فيها محررها موضوع الدعوى الحديثة فى استكشاف طريقة علمية جديدة يتعين بها النسل قبل ولادته . فبعد ان تشكك الكاتب فى المكتشف قال : .. ومهما يكن من الامر فلا بد ان تتهيأ لأن نسمع يوماً ما بأن قد انكشفت طريقة صحيحة مؤكدة للتنبؤ بالنسل أو التحكم فيه . فان وقع هذا ، وهو لا بد واقع وان تأخر يومه ، فقد وقعت اكبر ثورة فى تاريخ البشر . فعندئذ يتجه الناس لا محالة فى الانسال اتجاهاً يخل التوازن بين الذكر والانثى اختلالا لن تختلف فى نوعه وان اختلفنا فى مقداره . فيصبح عدد الذكور عشرة أضعاف الاناث أو خمسة عشر أو عشرين ضعفاً ، وعندئذ كيف تكون الحال ؟ لا أجسر ان أقول ، ولا يجسر ذو الخيال الرائع أن يقول ، وحسبنا أن نقدر أن أول ما يذهب من مُثُل الانسان عفة المرأة وحرمة الزوجية . فهل من الحكومات حكومة تنظر الى الغد فتعد لهذا الانقلاب عدته ؟ لعل أقرب من ذلك أن نرجو ان يتفق البيلجيون فيما بينهم ، أن يتفقوا من الآن ، على ان يحفظوا هذا السر عن الناس اذا هي تمخضت عنه الابحاث ، لانه حدث سيكون أوخم عاقبة على المجتمع مما عرف من الاحداث . بالطبع ما من سر الا افتضح على الايام ، ولكن سيكون قد انقضت مهلة قبل افتضاحه قد تمكن اولى الأمر وذوى السلطان من رفع الحواجز واقامة السدود فى وجه هذا السيل الداهم .

فلنفرض ان ما يقوله المحرر حق ، وان العلماء باتوا على مقربة من كشف هذا السر ، وأن هذا السر اذا انكشف للناس فعلوا كالذى خاله الكاتب ، فما يكون موقف العالم البيلجى عندئذ وما واجبه ؟ اينصرف عن ابحاثه خشية ما تجره نتائجها ؟ ايقف فى السبيل وقد قارب النهاية احتفاظاً بالعفاف الجنسى ، ام يقول ان المنشط العلمى من حقه ان يتحلل مما قد لا تستطيع أن تتحلل منه مناشط الحياة الاخرى ، وأنه رجل علم فهو معصم من المبدأ القائل بأن الرجال مسئولون عن اعمالهم وما يصدر عنها من شر تأكد أو ترجح .

ان التقدم الحديث فى العلم يتجه اتجاهات لم تكن قديماً فى الحسبان . حتى أن أكثر المفكرين تفاؤلا ، وأسرعهم اجابة اذا دعا العلم ، بدأوا يتشككون فى تفاؤلهم الكثير ، ويرتابون فى فرضهم القديم ، أن زيادة المعرفة لن يكون منها غير خدمة الانسانية ، والسيطرة على الطبيعة لن يكون منها غير خير المجتمع . قال السير الفريد يونج Sir Alfred Ewing :

« إئذنوا لى كدارس قديم للميكانيكا التطبيقية أن أعبر عن بعض خيبة أحس بها الآن ، وانا فى اعتزالى متنحياً مع النظارة جانباً من الطريق اتفرج على موكب العلم يسير فى عظم وفخامة ، وأتسلى مع المتسلين بركائب المخترعات تتعاقب فى أبهة وضخامة . الى أين يسير هذا الركب الكبير ؟ وما أثره الاخير فى مستقبل الاسرة الانسانية ؟ .. لاشك أنه يحمل للانسان هدايا تجعل حياته أملأ وأوسع وأصح وأغنى وأهنأ ، تلك الهناءة التى تجلبها المادة الجامدة ، ولكن كثيراً ما أهداه المهندس الباحث أسىء استخدامه ونُسىء ، وبعضه يحمل فى أحشائه مآسى لم تتمخض عنها الايام بعد . ان الانسان لم يتهيأ بعدُ أخلاقياً ليتقبل تلك المنح الكبرى » .

وجملة الامر ان العلم وبالى على الانسانية اذا هو اطلق من القيود الأخلاقية التى تضبط مسلك الانسان بقصد اسعاده فرداً ومجتمعاً .؟

العـــدد الاول

من الرسالة

انجزنا طبع العدد الأول للمرة الثالثة ، فمن كان فى حاجة اليه فليطلبه رأساً من الادارة بالثمن المعتاد

السنة الأولى للرسالة

بهذا العدد تنتهى السنة الأولى لمجلة الرسالة ، وقد كان فى نيتنا أن نختمه بفهرسين أبجديين لجميع أعدادها ، أحدهما للموضوعات وثانيهما للكتاب ولكن الوقت ضاق فأرجأناه الى العدد القادم وسيكون ملحقاً به منفصلا عنه ليسهل وضعه فى مكانه من المجموعة .

العالم النسائى

نظرة فى الحركة النسائية المصرية

للآنسة أسماء فهمى
درجة شرف فى الآداب

بدأت النهضة النسائية فى أوائل هذا القرن ، الا أنها لم تصبح « حركة » الا عند نشوب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ اذ نشطت المرأة نشاطا كبيرا وسرت اليها روح الحماس الفياض فلبت نداء الوطن ، وساهمت بنصيب وافر فى الحركة السياسية ، فاشتركت فى المظاهرات معرضة حياتها لما كان يتعرض له الرجل من مخاطر ، وألفت اللجان لبث الدعوة الوطنية وتنظيم حركة المقاطعة ، وظهرت فى الاجتماعات العامة . ولكم كانت لها مواقف مشهودة فى تلك النهضة المباركة !

ولما هبطت درجة الحماس القومى بسبب الانشقاق بين صفوف العاملين أخذت الحركة النسائية تتجه اتجاها جديداً فاهتمت العاملات بتحسين مركز المرأة الاجتماعى ، وعلى ذلك تألف الاتحاد النسائى سنة ١٩٢٣ تحت زعامة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى ، ووجه عناية كبيرة الى المشاكل الاجتماعية التى تمس المرأة كمسألة الطلاق وتعدد الزوجات وعدم تحديد سن الزواج للفتيات ، ونجح فى حمل البرلمان على الاهتمام بتلك المسائل . كذلك ظهر فى ذاك الوقت من بين النساء من تطالب باشراك المرأة فى التمثيل النيابى ـ

على أن تلك البداية الحسنة سرعان ما تعرضت للضعف بدورها وانكمشت فى دائرة محدودة لا تتناسب مع مطامع المرأة بدل أن تنمو وتتسع ويصبح لها فروع تهتم بمعالجة نواحى النقص كلها ، فلم نعد نسمع تلك الاصوات الجريئة الفتية التى تدافع عن قضية المرأة ، كما أفلس معظم الجمعيات النسائية التى كان ازدهارها قصير المدى ، وهكذا خلا الميدان مرة اخرى ولم يبق الا عدد قليل من المجاهدات يثابرن شأن الابطال متجاهلات المتاعب والنقد .

ولكن ذلك السكون فى ميدان النهضة لم يكن الا كسكون الطبيعة فى الشتاء الذى فيه تتجدد القوى برغم التجرد والعراء ، فقد دخلت الحركة النسائية على رغم ذلك السكون الظاهر فى طور خطير هو طور الانتقال الهام الذى فيه اتسع نطاق تعليم المرأة فانتشرت مدارس البنات ووحدت مناهج تعليم الذكور والاناث بعد اصلاحها وتوسيعها ، فأصبحت الفتاة التى كان تعليمها قاصرا على مبادىء القراءة والكتابة وقشور اللغات وبعض الفنون المنزلية تتعلم كما يتعلم الفتى ، بل وتفوقه فى الاقبال على العلم واستساغته . وفى سنة ١٩٢٨ سمح للبنات الحاصلات على شهادة اتمام الدراسة الثانوية بدخول الجامعة المصرية . بينما كثرت ارساليات البنات فى تلك الفترة الى الخارج للتخصص فى مختلف العلوم والفنون . ومازالت حركة تعليم البنات سائرة بنشاط رغم سوء الحالة الاقتصادية وما يوضع فى طريقها من عقبات ، وهذا لاشك أعظم انتصار اكتسبته المرأة ، واقوى سلاح فى يدها ، ولم يبق الا ان تستغله الى أبعد مدى ممكن .

والآن وقد تكاثر عدد المتعلمات وظهر من بينهن من يعتززن برغبتهن الحارة فى الاصلاح ، فستنتعش ولا شك الحركة النسائية . وان احتفاء زعيمة الاتحاد النسائى بأولى خريجات الجامعة المصرية والجامعات الاخرى فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٣ لمبشر بقرب الوصول الى هذه الغاية ، اذ لا يفيد الحركة النسائية أكثر من جمع تلك العناصر النشطة مبدئيا تحت سقف واحد واحداث التعارف بينهن وتشجيعهن وتذكيرهن بحقوقهن وواجباتهن نحو المجتمع ، وبنات جنسهن . وبالجملة أصبح لدى الحركة النسائية أهم العناصر الاساسية اللازمة للنجاح ، وهى الشعور بالنقص ، والرغبة فى الاصلاح ، وعدد لا بأس به من السيدات الناهضات ، كما ان لديها أيضا مؤازرة عدد كبير من افاضل الرجال .

على ان مجرد وجود تلك العناصر لايكفى لاحداث الاثر

المطلوب بل لا بد من اتحاد تلك العناصر واستغلال جهود الناهضات بان تصبح لهن جماعات منظمة ؛ فالحركات القوية الناضجة ذات الاثر الخالد والمشروعات العظيمة قامت بواسطة الجماعات والتعاون ، لا بمجهود الافراد.. والحركة النسائية في حالتها الراهنة الخاملة احوج ماتكون الى مثل تلك الجماعات المنظمة التي تدرس وجوه النقص في مركز المرأة ؛ وتبسط فيها الآمال والآراء ، وتكون نواة لظهور الخطيبات والباحثات اللاتي يوجهن أذهان الناشئات الى مكانتهن الهامة في الحياة ، والى اهمية عهد الانتقال الذي يجتزنه : والا أصبح تطور المرأة تطورا غير واع شبيه بتطور النبات والحيوان: يسير بمحرك التقليد لا بناء عن التفكير والانتخاب والتفضيل . والواقع أصبح يخشى طغيان عامل التقليد على الحركة النسائية بسبب قلة المرشدات والباحثات . فكثير من النساء اللاتي سفرن مثلا واختلطن بالرجال فعلن ذلك تحت مؤثرات (الموضة) وتقليد الغربيات لا بمقتضى مبادىء ثابتة ولا بناء عن تدبر وتفكير . والنهضة ان لم تبن على مبادىء متينة ويكن لها مثل أعلى يوجهها في اتجاه خاص فلا امل في بقائها ، لانها تصبح عرضة للتقلبات والاهواء كسحابة الصيف..

ثم أنه لا يمكن لغير تلك الجماعات المنظمة القوية القيام باعباء قضية المرأة والدفاع عن حقوقها أمام التقاليد الجائرة ؛ فالمرأة في مصر مازالت محرومة من حقوقها السياسية ، تلك الحقوق التي تمتعت بها المرأة المصرية في أقدم العصور ، وتستمتع بها المرأة في كثير من الأمم الراقية لخير المجتمع . ثم هناك التشريع الذي لم يتطور مع روح العصر ، والذي يعطي الرجل امتيازات يستعملها بمثابة سلاح يشهره في وجه المرأة كلما هزته شهواته ونزعاته ، وهناك أيضا القيود التي تغل تقدمها العقلي ، فلم تفتح امامها بعد جميع انواع التعليم والدراسات . هذا الحق الذي سلم به شيخ الفلاسفة سقراط الذي تعد تعاليمه لب النهى والحكمة . والذي نأخذ عنه وعن تلاميذه كثيرا من مبادىء السياسة والاجتماع والاخلاق .

كل هذه الأشياء التي تعدها المرأة حقا طبيعيا لها والتي لم تحصل عليها بعد ، تبين بجلاء مبلغ خطورة القضية ومبلغ الحاجة الى توحيد الصفوف وانهاض جميع الهمم ؛ فالمرأة في الواقع لم تقطع الا جزءاً يسيرا من مرحلة شاقة طويلة ؛ فالأمل معلق على تكوين تلك الجماعات القوية التي يبنيها مستقبل المرأة ؟

(بقيـــة المنشور على صفحة ٢٩)

وسأحاول بوجه الاجمال أن اعطيكم فكرة عن هذه الصعاب :

ذكرت لكم منذ هنيهة أن اللغة آلة وأداة . أو بالأحرى هي مجموعة ادوات وعمليات صاغها العمل وسخرها لخدمته . فهي وسيلة جافية غليظة لا محالة ، يستخدمها كل شخص . ويوفقها لحاجاته الراهنة ، ويمسخها بحسب الظروف . ويطابق تفصيلها على كيانه الجسماني وتاريخه النفساني .

وأنتم تعرفون ما تسلطه على اللغة أحيانا من التجاريب والمحن . فان المدلولات ومعاني الكلمات وقواعد تأليفها ومخارجها وتقييدها هي ألاعيب لنا وآلات تعذيب معا . ولا مشاحة أننا نراعي بشيء من الاعتبار مايقرره المجمع اللغوي ، ولا مشاحة أن رجال التعليم ونسق الامتحانات وعلى الأخص غرور الناس يقيم بعض الحوائل دون تصرف كل فرد في اللغة على هواه . فضلا عن أن الطباعة في العصور الأخيرة كانت عاملا قويا للمحافظة على أوضاع الكتابة . ومن ثم أبطأت الى حد ما تعديلات الافراد . إلا أن أهم مزايا اللغة عند الشاعر هي كما لا يخفى خواصها أو طاقتها الموسيقية من ناحية ، ومن الناحية الأخرى مدلولاتها المعنوية التي لا حصر لها (وهي القائمة على تكثير المعاني المشتقة من معنى واحد) . واللغة من هاتين الناحيتين أقل امتناعا على هوى الافراد وابتكاراتهم وتصرفاتهم ونزعاتهم ؛ وإن لهجة كل شخص وذخره الوجداني الخاص ليدخلان على تداول اللغة عنصر لبس ، ومظان وهم ، ومكامن بغتة ، كلها لا مناص منها ولا معدى عنها . وارجو أن تلقوا بالكم جيداً الى هذين الأمرين : أولهما أن اللغة فيما عدا استعمالها في أبسط لوازم العيش وأعمها ليست على الاطلاق اداة تحديد ، بل هي على النقيض من ذلك ، وثانيهما أنه فيما عدا بعض الاتفاقات التي لا تجيء إلا في النادر جدا وفيما عدا بعض تعابير ميمونة مفلحة أقترنت بقالب مفرغ محسوس . فليس في اللغة ما يجعلها وسيلة للشعر

وجملة القول أن حظ الشاعر العاثر المتناقض قد فرض عليه أداة شائعة الإستعمال ممتهنة ليستخدمها في أغراض غير اعتيادية وغير عملية . فلا مندوحة له من استعارة هذه الوسائل وهي نكرات أغفال كأرقام التعداد ، ليؤدي بها مطلبه من سمو بالنفس وتعبير عن أخص مافيها وأزكاه ؟

أم عربيـــة

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

مكة ارض الله المقدسة فى حصار. الكعبة بيت الله الحرام يروح فيها الجند ويجيئون. الوية هنا ورماح هناك. اسلحة وآلات وجنود داخل المدينة، قائدهم رجل فى السبعين هو عبد الله بن الزبير خليفة الحجاز. وجنود حول المدينة كفاهم قوة انهم جند الشام، وكفاهم رهبة ان قائدهم شاب فى الثلاثين هو الحجاج بن يوسف الثقفى. جو مكة كله هلع والتياع وكأنما كل شىء يوحى الى اهلها ان استسلموا فالحرب ضروس والموت على الابواب.

ما جت مكة بكثرة الوافدين عليها ليؤدوا فريضة الحج. ولكن جند الشام لم يترك مكانه، وجند مكة لم يبرح محاصراً لا يستطيع خروجاً. لم يستطع الحجاج ولا جنده الطواف بالبيت بل ظلوا محرمين مكانهم لا يسين الدروع فوق الأحرام ولم يستطع ابن الزبير الخروج الى عرفة فنحر هديه فى مكة. جاء جند الشام فافسد على الحجاز كل شىء، سلب الامن اهلها، وشوه شعائر الدين المقامة بها، وبشرها بافول مجدها السياسى بتحول مركز الخلافة عنها. الشام الفتية جاءت لتضطر الحجاز الهرمة الى ان تقنع بما يقنع به الهرم من الحياة.

هدأت الحركة فى مكة بعض الشىء منذ رجع الحاجون الى اوطانهم. ولكن نفوس اهلها فى حركة واى حركة: هلع وخوف وقلق. لقد طال بها الحصار وضاقت نفوس اهلها فلا يستطيعون احتمال المزيد، طال الحصار واشتد الضيق، وصعب الامتحان وكلما صعب الامتحان قل عدد الناجحين - كل يوم يسير فوج الى القائد الشاب طالبا الامان. التفت الزبير فاذا هو قليل الاعوان قليل العدة، شيخ تربطه بالحياة خيوط واهية. مامصيره؟ الموت. ومامصير آماله وهى آمال قطر واحلام شعب؟ الم يكد يتم له الامر لولا ظهور مروان فى الميدان؟ الم يكن العراق خاضعا له بالامس بعد ان قتل مصعب المختار؟ ولكن مصعبا قتل، وبقتله افلتت العراق من يد الزبيريين، وغدا سيقتل هو ويفلت الحجاز من يد الزبيريين بعد أن لم يبق بها الا هو.

« اما والله انا لانموت حتف انفنا كميتة آل ابى العاص: وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف »

هكذا خطب الناس بالامس لما نعى اليه أخوه مصعب. هو لايخاف الموت، وانما آمال لايمثلها الاهو، آمال كاد ان يصل اليها ومازال يأمل فى الوصول اليها، آمال قطر. آمال شيعة له فى جميع الاقطار العربية، من يقوم بها من بعده؟

خمسون ليلة واهل مكة يعانون من الحصار كل ضيق. لابد من انفجار. لابد من حدث حاسم. فلقد كادت ان تزهق الارواح. جند الشام لايضيرهم استمرار الحصار، ولكن اهل مكة، اهله وشيعته ورعيته يعانون من الاهوال. صمم ابن الزبير على القتال. ابناه حمزة وحبيب لا يزالان معه، فتيان من خيرة الفتيان احدهما يقود فريق، والآخر يقود الفريق الآخر. وخرج ابن الزبير من بيته فى الليلة الخمسين ليلقى على ابنيه تعاليم معركة الغد.

« حمزة!.. حمزة!.. حبيب!.. حبيب! »

ولكن احداً لم يجب. وبدأت الحقيقة تتكشف لناظره الحزين قليلا قليلا، فاذا هى ابشع مما كان يقدر. حمزة وحبيب ابناه تركاه فى هذا الضيق! والى اين؟ الى عدوه: الى من حاصره، وأذاقه هو واعوانه كل كرب وضيق. وتلاشت صورة القلة من الاعوان امام هذه الخيبة. اى الم؟ اى يأس؟ اى حسرة؟ لم يعد شىء يرجى.

بينما اليأس يحرق قلب الشيخ حرقا اذ بعروة بن الزبير يناديه. ماذا يريد منه عروة؟ عروة يناصر عبد الملك وهو فى امان من هذا الحصار وهذا الجند. ماذا يبغى عروة منه فى ساعة اليأس هذه.. عروة رسول امل جديد جاء ليعرض عليه الامان بشروط مرضية: هم يعطونه كل ماله: املاكه، سلامته، حريته التامة، كل شىء الا الخلافة. وفى ساعة اليأس يرى اليائس بصيص النور ضياء ساطعا وهاجا. ولكن السن املت عليه التدبر فليترو قليلا وليستشر. ولكن من يستشر؟

فى ركن من أركان بيت عبد الله بن الزبير قبعت عجوز فى المائة من سنها. عجوز لها من تجارب الحياة ذخر ثمين، ولها من الصحة ورجاحة العقل رغم هرمها ماشهرت به، ولكن لها فوق هذا كله منزلة فى نفس عبدالله لم يبلغها احد. هى أمه هى اسماء بنت ابى بكر الصديق. فليستشرها هى.

واقترب الابن من امه الوالهة التى جثم الحزن على قلبها طويلا. لقد فجعت حديثا فى ابنها مصعب بعد أن ملأ ذكره الآفاق. بعد ان استولى على قطر من أهم الاقطار العربية وهو العراق، بعد ان قاتل فقتل فى ميدان الجهاد كريما شريفا شهما شهيدا. ولكن حزنها لم يشفع لها لدى الدهر فما زال الدهر يلوح لها بين حين وآخر، يسلب ابنها عبد الله اعز اولادها واطيرهم ذكرا واكثرهم جهادا. دنا ابنها منها وسامها:

— كيف تجدينك يا اماه ؟

— انى لشاكية ؛

فقال لها وكأنه يحدث نفسه اليائسة :

— ان فى الموت راحة . فاجابته :

— لعلك تمنيه لى وما احب ان اموت حتى يأتى على احد طرفيك ؛ اما قتلت فاحتسبك ، واما ظفرت فقرت عيني بك .

صدمه جواب امه ، وكأنما كان جوابا عما اتى يستشيرها فيه . كيف يسألها ؟ ولكنها لا تعرف عما عرضوه عليه شيئا ، وفى صوت متهدج قال لها :

— اماه لقد خذلنى الناس حتى ولدى واهلى ولم يبق معى الا اليسير ، ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة . والقوم يعطوننى ما اردت من الدنيا ، فما رأيك ؟

وجاشت فى صدر الام عواطف ونوازع شتى كلها تتزاحم فلا يتاح لاحدها فرصة التغلب أو الظهور ، حنان ، شفقة ، خوف ، شجاعة ، حب لولدها ، حب لوطنها ، حب لربها وللحق ولرسول الحق ولتعاليم الحق . ظلت كل هذه تتصارع فى صدر العجوز صراعا عنيفا ، وظلت الام تعانى آلام هذا الصراع حينا وآلام الهزيمة لكل عاطفة تهزم منها . كل عاطفة جزء منها فصراعها يؤلمها وهزيمتها تكاد تقتلها .

ولكن حميتها العربية انتصرت اخيرا وتغلبت من كل هذه العواطف : العواطف الخلقية ، باسماء بنت ابى بكر الصديق .

وفى صوت ملؤه اليقين قالت لولدها :

— انت اعلم بنفسك ، ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه اصحابك ، ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى امية . وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد انت ، اهلكت نفسك ومن قتل معك ... كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل احسن .

القتل أحسن ولكن ماذا بعد القتل ؟ لن يتورع الجبار من ارتكاب شىء ، لن يردعه دين ولن يردعه خلق . فقال وكأنما الحقيقة تمثلت له قبل وقوعها .

— أماه ! انى اخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى

ورفعت ستر المستقبل المغيب عن عين الام فرأت ابنها مصلوبا ، وتمثلها ما سيلاقيه المصلوب من احتقار وتشهير وضحك واستهزاء ، ولكن الحق . الحق و خ من سفكت دماؤهم فى سبيله املت عليها الجواب

— الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ . فامض على بصيرتك واستعن بالله .

سرت روح الام الى ابنها فتقشعت من صدره كل يأس وكل خوف ، وظلت كلماتها تتردد فى نفسه كوجيب قلبه . القتل أحسن ، القتل احسن . حلت الشجاعة محل اليأس ، وحل جلال الحق محل الخوف من الموت والمثلة . لم يعد يألم لشىء الا لتلك الثكلى التى ستفقده بعد فقد اخيه بالامس .

— اماه انى مقتول يومى هذا ، فلا يشتد حزنك وسلمى الامر لله ، ان ابنك لم يتعمد ايثار كفر ولا عمل بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى امان ، ولم يتعمد ظلم مسلم او معاهد ، ولم يبلغنى ظلم من عمالى فرضيت به بل انكرته ، ولم يكن شىء عندى آثر من رضى ربى .

ثم رفع رأسه الى السماء قائلا :

— اللهم لا اقول هذا تزكية لنفسى ولكنى اقوله تعزية لامى حتى تسلو عنى

خيم الصمت على الام وولدها وقد احست انها ستراه لآخر مرة كما احس هو بذلك ، وترقرق الدمع حارا ملتهبا فى عين العجوز . الدمع الذى ظل محتبسا من اهوال الايام الاخيرة انفجر فى هذا الموقف الذى يحل عن كل دمع .

بدأ ابنها يخشى شيئا من الاحجام بعد ان صمم على القتال والاستشهاد ، وخاف ان يستولى عليه هذا الشعور ان لم يسرع بتنفيذ ماصمم عليه . وكأن الام مازالت بروحها تدفعه الى الاستشهاد كما حضته بقولها منذ قليل فاسرع نحو الباب بعد ان قبلها قائلا

— ياماه لا تدعى الدعاء لى .

— لا ادعه لك ابدا ، وكأنها تريد ان تذكره فقالت

— فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق .

خرج ابن الزبير من عند امه فاذا الفجر لاح والمؤذن يدعو الى الصلاة . فليذهب الى المسجد اذن ، عسى ان يبعث الله الى القلب طمأنينة يجتاز بها قلاقل اليوم

صلى ابن الزبير صلاة حارة ارسل بها الى ربه ماوسعه من الشكوى ، وما استطاع من الرجاء ، واحس بان روحا من العالم الاعلى حلت فى نفسه من جديد ، فلم يعد شيخا ضعيفا بل اصبح شابا مندفعا فى ميدان الاستشهاد .

ظل ابن الزبير بعد الصلاة فى المسجد طويلا ترن كلمات امه فى اذنه حينا ، ويصلى الى ربه حينا آخر فيقول :

يارب ان جنود الشام قد كثروا   وهتكوا من حجاب البيت استار

يارب انى ضعيف الركن مضطهد   فابعث الى جنوداً منك انصار

صديقها عشيقها

للكاتب الروائي الأستاذ محمد خورشيد

رواية مصرية عصرية في فصل واحد

— ٢ —

المنظر الثالث

احسان وحده

احسان — (يقف ويسير على المسرح ذهابا وإيابا وهو يقول) : صدق فايد لم تحبنى احدى الفتيات الراقيات مع انى أجيد مغازلتهن . كما انى لم أحب فتاة ابدا .. نعم لم احب حبا حقيقيا .. اريد أن أحب فتاة راقية وان تبادلنى الحب . نعم اريد ذلك ... اريد ان أتذوق الحب مرة ... مرة واحدة .. لأتذوق الاندماج والائتلاف والاتصال البديع و ... نعم يجب أن أحب ... لكن من ؟ ... من التى سيقع عليها اختيارى ؟

« يفتح الخادم الباب الذى فى الصدر ويقول لفتاة رشيقة تدخل منه الى المسرح » :

الخادم — تفضلى يا هانم ، سيدى البك سيحضر حالا .

« عندما يراها احسان يقف ويلتفت الى الجمهور ويقول » :

ها هى التى يجب أن أحبها وتحبنى . « ثم يسرع اليها »

المنظر الرابع

احسان وسميرة

احسان — أهلا . أهلا سميرة هانم . كنت مشتاقا الى رؤيتك

« ويقبل يدها »

سميرة — كيف حال احسان بك ؟ أين أنت ؟ لم انقطعت عن زيارتى ؟ لم ارك منذ زمن طويل . ما السبب ؟

احسان — انى أتألم

سميرة — مم ؟

احسان — من القسوة

سميرة — والحنان ؟

احسان — قد زال

سميرة — من اين ؟

احسان — من قلبك

سميرة — قلبى أنا ؟

احسان — نعم قلبك

سميرة — قلبى يحمل لك أخلص صداقة

احسان — الصداقة هى نصف الطلب

سميرة — آه له نصف آخر ؟

احسان — طبعا وهو النصف المهم

سميرة — لكن الصداقة اهم والأهم يفضل المهم

احسان — الصداقة أهم من الحب فى أى شرع ؟

سميرة — فى شرع العقلاء

احسان — وفى شرع المجانين ؟

سميرة — يتساويان

« وتشير باصبعين متلاصقين وتضحك »

احسان — ابدا فى كل شرع الفرق بين الحب والصداقة كالفرق بين الليل والنهار

سميرة — خصصت الليل بالحب والنهار بالصداقة ، يالك من حاذق ماهر !

احسان — ليس فى قولى مكر او حذق . صداقتك سوف تملأ نهارى ولكن ليلى سيبقى خاليا . وما اطول الليل الخالى من الحب !

سميرة — كفى مغازلة لا طائل تحتها يا احسان بك . انى احب زوجى كما تعلم

لم يطل الزمن بابن الزبير حتى هاجمه جند الشام من كل فوج . لاذ باستار الكعبة ملاذه وملاذ غيره من قبل ، ولكن الحجاج لا يردعه عن غايته رادع مهما عظم ، فرمى الكعبة بالمجانيق وحميت المعركة الفاصلة لا بين المؤمنين والمشركين وانما بين مؤمنين يمثل كل فريق منهم رأيا جديدا وسياسة جديدة . كانت معركة بين سياسة الشام الفتية ، وسياسة الحجاز الهرمة ، بين الخلافة كما كانت ، وبين الخلافة كما تكون ، بين النظم السياسية القديمة ، وبين النظم السياسية الحديثة ، هى معركة القديم والحديث يكررها التاريخ فلا يمل من تكرارها . معركة القديم والحديث هل يفوز بها الا الحديث ؟

احسان — لسلكتيك تحبينه منذ اربعة أعوام ياهانم .. هذا كثير .... كثير

سميرة — اربعة أعوام كثيرة ؟ والذين مضى على زواجهم عشرون عاما ؟....

احسان — على زواجهم لاعلى حبهم . . أما انت فقد تزوجت منذ اربعة أعوام ، وللآن لاتزالين تحبين زوجك . هذا شيء كثير ياهانم ، شيء غريب لا سابقة له .... الحياة الزوجية تصبح على مر الايام فاترة مملة محتاجة الى نجدة من الخارج تنعشها وتلهب حرارتها التى ضعفت

سميرة — لى صديقة تزوجت قبلى وللآن لم تضعف حرارة حبها لزوجها

احسان — هذا لا يمكن . حرارة الشمس نفسها قد ضعفت عما كانت عليه .

سميرة — من قال ذلك ؟

احسان — علم الفلك

سميرة — ضاحكة : دعنا منه ، انه كعلم الكلام لا أول له ولا آخر

(يدخل فايد من باب اليسار قائلا)

المنظر الرابع

فايد احسان سميرة

فايد — مساء الخير ياهانم . ارجوك المعذرة . كنت أتمم عملا مستعجلا ، والآن تجدينني تحت أمرك

سميرة — مساء الخير فايد بك . اريد محادثتك على انفراد

احسان — اسمح لى بالانصراف يافايد انى على ميعاد

سميرة — الى اللقاء ياصديقى .

احسان — سأحضر اليك غدا ياهانم ، لنتمم حديثنا وسوف اقنعك (يقبل يدها)

سميرة — انى قانعة بحبى لزوجى . ولا أستطيع ان اصدق نظرياتك

احسان — انا طويل البال ياهانم . والايام بيننا . الى اللقاء يافايد (يصافحه)

فايد — متى اراك ؟

احسان سأعود بعد ساعة (يخرج)

المنظر الخامس

فايد وسميرة

فايد — تفضلى اجلسى ياهانم (تجلس ويجلس هو قريبا منها)

سميرة — انى آتية من عند حكمت . أتعلم انها حزينة ؟

فايد — وأنا لست بفرحان

سميرة — انت تغضبها كثيراً ولا تشفق عليها

فايد — هى تغضب من لا شيء . دعيك من غضبها ماذا قالت لك ؟

سميرة — تخاصمتما أول أمس فخرجت غاضبا ولم تعد اليها حتى الآن .

فايد — نعم تخاصمنا ولكن هل تعلمين فيم كانت الخصومة ؟

سميرة — فيمه ؟

فايد — كانت فى أنى ذهبت الى الجزيرة الصغيرة .

سميرة — ولم ذلك ؟

فايد — الجزيرة الصغيرة من الأمكنة المحرمة على لأنه يحتمل ان اقابل فيها احدى الغانيات الجميلات فتفتننى رؤيتها ، أو احدى الهوانم المستهترات فاهيم بحبها .

سميرة — ومن قابلت بالجزيرة الصغيرة ؟

فايد — لم اقابل احدا . انما حدث بينما كنا أنا واحسان فى طريقنا بالسيارة الى فندق مينا هوس أن رجانى ان نعرج على صابر بك فى ذهبيته ونأخذه معنا ، وذهبية صابر راسية بالجزيرة الصغيرة . فخشيت ان انا صرحت لاحسان بأن حكمت تأبى على الذهاب الى الجزيرة الصغيرة أن يهزأ بي ويجعلنى مضغة فى الأفواه — لأنه كما تعلمين مستهزىء متهكم — لذلك اضطررت رغماً عنى أن أجيب رجاءه وأذهب معه . ولكن احدى صديقات حكمت كانت لسوء الحظ تتنزه هناك فى تلك اللحظة فرأتنى وأخبرتها . هذه كل جنايتى التى تخاصمنا من أجلها . عندما ذهبت اليها أول أمس أمطرتنى وابلا من الأسئلة فأخبرتها بالحقيقة كما ذكرتها لك . لكنها لم تصدقها وصممت على رأيها أنى انما كنت على موعد مع فتاة لى بها علاقة ، وطلبت منى أن أذكر اسمها ، فأقسمت أن لا علاقة لى بغيرها وأنى لا أحب سواها . أخذت ألاطفها وأهدىء روعها حتى خيل إلى أنى أفلحت فى إقناعها ، لكنها مالبثت أن عادت تلح على ان اذكر لها اسم الفتاة فعدت اقسم وأؤكد وهى مصرة لاتتحول حتى عيل صبرى ولم اتمالك نفسى فتخاصمنا وخرجت غاضبا . هذه حال لا تطاق . تغضب من لاشيء . لاتصدق لى كلاما ، ترتاب فى كل اعمالى . تشك فى جميع اقوالى .

سميرة — انها تحبك وهى ككل امرأة تحب ، مستبدة غيورة

فايد — لكن ياهانم للغيرة حدود

سميرة — آه لو رأيتنى مع زوجى فى مطعم أو فى دار تمثيل أراقب حركاته فى يقظة ، وأتتبع نظراته باهتمام ، حتى اذا ما أتى بحركة ، أشتبه فيها ، أو رمى ببصره جهة معينة يتحول فى الحال نظرى اليها ، والويل له لو كانت هناك امرأة ، أغمره بأسئلة لا تنتهى ، لا أصدق له كلاما ، وأستمر اسأل وأحقق وأقول وأعيد حتى أنغص عليه عيشه ، لكنه برغم كل ذلك الرجل الوحيد الذى أحببته والذى لا أزال أحبه ، أسبب له الحزن والكدر ثم أعود فاتودد اليه واسترضيه حتى اذا ما عانقنى ألجأ الى صدره وانا أسعد المخلوقات . كلنا هكذا عند ما نحب . صدقنى .

فايد — لا يجيب وانما يطرق برأسه الى الارض ،

سميرة — لا يجوز لعاشقين ان يفترقا من اجل نزاع غرامى

فايد — لا . يجب ان نفترق او تغير طبعها

سميرة — وكيف تغير طبعها وهى تحبك؟ انك لا تطلب من سيارة الاتسير ، فكيف تطلب من امرأة الا تغير؟ يجب ان تتساهل يافايد بك . يجب على الرجل ان يتحمل

فايد — تحملت كثيراً ياسميرة هانم

سميرة — تحمل هذه المرة ايضا

فايد — اهى التى ارسلتك ام حضرت من تلقاء نفسك ؟

سميرة — هى التى ارسلتنى ولكنها رجتنى ان اخفى عنك ذلك ، انها تحبك وتتألم لبعدك . لا تكن قاسيا

فايد — لست بقاس ياهانم

سميرة — حكمت لا مثيل لها ذكاء وظرفا وطيبة ووفاء

فايد — انى واثق من ذلك

سميرة — اذن . . . اذهب الليلة اليها وصالحها

فايد — ساسافر الليلة الى استامبول

سميرة — تسافر ؟ .. تسافر دون ان تقابلها وتودعها ؟

فايد — يجب ألا اقابلها الآن . أريد ان افكر على انفراد فى حبنا . . . فى مستقبلنا

سميرة — لكنها ستحزن . . . أيرضى قلبك ان تسافر وتتركها هكذا حزينة ؟

فايد — قلبى مطمئن عليها لأنى سأتركها معك . أخبريها أنى مازلت احبها وان غيبتى لن تطول

سميرة — لايمكننى . لتعلم بسفرك من غيرى . ولكن ماذا اقول لها ؟ انها فى انتظارى

فايد — (يفكر قليلا ثم يقول) قولى إنك لم تجديني

سميرة — حسن . افضل ان اكذب عن ان ابلغها مايحزنها ، مع السلامة يابك ، عد الينا سريعا (وتقف)

فايد — (ويقف ويقول) سلمت ياهانم ، وشكرا على جميل سعيك (يقبل يدها)

سميرة — حكمت صديقتى من عهد الدراسة ولها مكانة خاصة (تقول ذلك وهى خارجة مع فايد) .

المنظر السادس

فايد وحده .

(يعود فايد ويجلس الى المكتب ويرتب اوراقا فى ادراجه وهو يقول) ستحزن كما قالت سميرة ، ستحزن لأنها تحبنى ، أنى واثق من حبها .. وانا احبها .. آه لولم تكن غيورة .. تباللغيرة كم تعذب وكم تشقى !.. أنها الآن تتعذب ، وانا .. امصيب انا فى سفرى ام مخطىء ؟ هل فى استطاعتى البقاء شهرين بعيداً عنها محروماً من رؤية وجهها النضر وعينيها الناعستين وفمها العذب ؟ .... أخشى الا استطيع .. أشعر انى لااستطيع . . لقد منعتنى عزة نفسى عن العودة اليها فجنبتها فرصة ارسالها سميرة .. أصبحت ولابد لى من السفر .. نعم لابد .. مابالبد حيلة .. (هنا تدخل حكمت ؟)

المنظر السابع

فايد وحكمت

فايد (يقف ويسير الى حكمت قائلا (انت ؟ انت ؟)

حكمت — نعم أنا ، جئت لأنك رفضت المجىء عندى . جئت عندما علمت من سميرة بنبأ سفرك ، ولم تمنعنى عزة نفسى . احقا ستسافر الليلة ؟

فايد — نعم

حكمت لولم اجىء كنت سافرت دون ان ترانى ؟

فايد — كنت سأكتب اليك واشرح . . .

حكمت — (متهكمة) مادمنا قد تقابلنا تكلم . قل ما كنت ستكتب ، أشرح كما تشاء . كن مطمئنا . لانزاع ولا خصام . ولو ان النزاع قد اصبح من مستلزماتى . وانى اصبحت انغص عليك عيشك

فايد — لقد نقلو اليك الكلام محرفا كالعادة . عزمت على السفر دون ان احظى برؤيتك خوفا من نفى لامنك

التتمة فى العدد القادم

النفس والرقص

للكاتب الشاعر الفرنسي العظيم بول فاليرى
ترجمة الدكتور طه حسين

استكشف صديقي الدكتور محمد عوض محمد فى نقده القيم الظريف لكتابى على هامش السيرة أن وراء هذا الطلاء الرقيق الذى أظهره من الثقافة الغربية أزهريا قحاً. فحق على أن أهنئه بهذا الاستكشاف وأن اشكره له، فقد دلني على نفسى وأظهرنى على حقيقة أمري. ولعله يأذن لى فى أن أهدى اليه هذه الترجمة اعترافاً بفضله ومكافأة له على جهده الخصب العظيم

* * *

وأحب أن أقدم بين يدى هذه الترجمة ملاحظات لا بد منها

الاولى: أنى حرصت أشد الحرص على أن تكون الترجمة دقيقة تشبه الحرفية، لأنقل الى القراء صورة ان لم تكن مطابقة فهى مقاربة لما أراد الكاتب ان يقول

والكاتب نفسه غامض. فهذا النحو من الترجمة يزيده غموضا ولكنى ساجتهد فى توضيحه بتعليقات قصيرة تبين ما يريد

الثانية: أن الكاتب زعيم من زعماء الرمزيين فهو يطلب الاستعارة والمجاز والتشبيه والتمثيل، ويبعد فيها ويصل بهذا الابعاد الى إشراك القارىء معه فى لذة التفكير والاستنباط، فلا ينبغي اذن ان يضيق القارىء بما سيرى من غرابة، وانما يجب عليه أن يصبر على هذه الغرابة ويروض نفسه على مواجهتها حتى يألفها ويطمئن اليها فيصبح صديقا للكاتب ومحبا لآثاره

الثالثة: ان هذا الكتاب حوار بين سقراط واثنين من تلاميذه فى آخر وليمة من ولائم العشاء، فليلاحظ القارىء هذا وليلاحظ أن سقراط واصحابه كانوا وثنيين، فهم يتحدثون لغة الوثنيين، يذكرون آلهة عدة، لا إلاهاً واحداً

الرابعة: ان عنوان هذا الكتاب وموضوعه قد يؤذيان سمع المتحرجين من الشرقيين، ولكنهما لا يؤذيان سمع احد من الفرنسيين، ومن المحقق ان بول فاليرى لم يكتب كتابه لنا، ولو أنه فكر فينا وقدر أنا قد نترجم كتابه لكان من الممكن ان يتخذ لكتابه موضوعا وعنوانا غير الرقص. ومن يدرى لعله كان يحس ان الاسباب بينه وبيننا مقطوعة غير موصولة، وانه قد يعجز عن ان يكتب لنا، وقد نعجز نحن عن ان نقرأه.

وليس فى هذا الكتاب ما يسوء، وليس فيه ما يغضب المتحرجين، انما هو أثر من الآثار الفنية اراد صاحبه ان يصور فى وضوح وقوة ما بين النفس والجمال الخارجي من صلة. فهو الى ان يكون رسالة فى علم الجمال أدنى منه الى أى شىء آخر.

والآن نستطيع ان نأخذ فى الترجمة.

أركسيماك — أى سقراط انى اموت (١)!... أعطنى شيئا من الروح! صب لى الفكرة!.. قدم الى انى الغازك الحادة! هذا الطعام الذى لا رحمة فيه يتجاوز كل رغبة معقولة فى الطعام، وكل ظمأ جدير بالثقة!.. يا لها من حال، حال الذين يعيشون بعد جيد الألوان ويرثون عنها هضما!... لم تعد نفسي الا حلما تصنعه المادة التى تجاهد نفسها (٢)! ايتها الالوان الجيدة المسرفة فى الجودة انى آمرك ان تمضى!..

واحزناه! ما زلنا منذ وجبت الشمس فريسة لخير ما يوجد فى الأرض، هذا الخير الهائل يضاعفه (٣) امتداد الزمان، يثقل محضره على النفوس حتى انى لتهلكنى رغبة شاذة فى أشياء جافة، خالصة للعقل (٤)... إيذن أن اجىء فأجلس الى جانبك انت والى جانب فيدر، موليا ظهرى فى جرأة لهذه اللحوم التى تتجدد دائما، ولهذه الاقداح التى لا تنضب، دعنى أمد الكلماتك (٥)، هذه الكأس العليا كأس عقلى، ماذا كنتما تقولان؟

فيدر — لم نكن نقول شيئا بعد. انما كنا ننظر الى امثالنا يأكلون ويشربون.

اركسيماك — ولكن سقراط لا ينقطع عن التفكير فى شىء ما.... وهل استطاع قط ان يخلو الى نفسه وان يظل صامتا الى اعماق النفس! لقد كان يبسم فى حنان لشيطانه على الحافة المظلمة لهذه المأدبة. بم تغمغم شفتاك اى سقراط العزيز؟

سقراط — هما تقولان لى فى هدوء ان الرجل الذى يأكل هو اعدل الناس...

---

(١) يريد اركسياك ان يقول انه اسرف فى الاكل والشرب والعناية بجسمه حتى ضاقت نفسه بذلك فهى ميتة او كالميتة. وهو يطلب الى سقراط ان يرد اليها الحياة العقلية كما يرد الحياة الطبيعية الى الذين يأخذهم الاغماء.

(٢) يريد ما بين معدته وطعامه من الصراع للهضم

(٣) يريد ان الوان المأدبة جيدة وان مكثهم على المائدة طويل

(٤) يريد الحوار الفلسفي

(٥) يريد دعنى أستمع لحديثك

اركسياك ـ هذا هو اللغز (١) وهذه هى شهوة العقل التى خلق اللغز ليثيرها .

سقراط ـ تقولان ان الرجل الذى يأكل يغزى مافيه من خير وشر . كل لقمة يجدها تذوب وتتفرق فى جسمه تقدم قوة جديدة الى فضائله ، كما تقدم قوة جديدة الى رذائله دون تمييز . وتنقسم فى بعض الانحاء بين الشهوة والعقل ، وهى تقيم اود آلامه كما تنمى آماله . يحتاج اليها الحب كما يحتاج اليها البغض . وان فرحى وحزنى وذاكرتى وهمى لتقتسم كما يقتسم الاخوة ما فى اللقمة من غذاء . ما رأيك فى هذا يا ابن أكومين ؟

اركسياك ـ رأيى انى ارى ماترى

سقراط ـ يالك من طبيب ! لقد كنت أعجب فى صمت باعمال كل هذه الاجسام التى تتغذى . كل واحد منها يعطى على غير علم لما فيه من قدرة على الحياة ، او جرثومة للموت ، حظه العادل من الغذاء . هى لاتعرف ما تأتى ولكنها تأتيه كانها الآلهة . (٢)

اركسياك ـ لقد لاحظت منذ زمن بعيد ان كل ما يمتزج بجسم الانسان يمضى بعد ذلك بوقت قريب كما يريد القضاء . كأن برزخ الحلق عتبة للضرورات الجامحة والالغاز المنظمة . هنا تنقطع الارادة وينتهى الميدان المحقق للمعرفة . (٣) ولهذا اعرضت فى ممارسة فنى عن كل هذه الادوية المضطربة التى يفرضها عامة الاطباء على مرضاهم المختلفين واخذت نفسى فى غير تسامح بادوية بديهية مرتبة كل واحد منها بازاء الآخر

فيدر ـ ماهذه الادوية ؟

اركسياك ـ هى ثمانية : الحار والبارد ، الحية ونقيضها : الهواء والماء والسكون والحركة : هذه هى .

سقراط ـ اما النفس فليس لها الا دواءان يا اركسياك

فيدر ـ وما هما ؟

سقراط ـ الصدق والكذب .

فيدر ـ وكيف ذلك ؟

سقراط ـ أليست الصلة بينهما كالصلة بين اليقظة والنوم ؟ ألسنا نلتمس اليقظة وصراحة الضوء حين يؤذيك حلم ردىء ؟ أليست الشمس نفسها تبعثنا من مراقدنا ؟ أليس حضور الاجسام الصلبة (٤) يقوينا ؟ ثم على العكس من ذلك ألسنا نطلب الى النوم والى الاحلام ان تفرج همومنا وان تقف آلامنا التى تتبعنا فى عالم النهار ؟ واذن فنحن نهرب من احدهما الى الآخر وندعو النهار فى أثناء الليل ، ثم ندعو الظلمة حين نستمتع بالنور ، تشوقنا المعرفة ، ويسعدنا الجهل . نبحث فيما هو موجود عن دواء لغير الموجود ، ونلتمس فيما لا وجود له راحة مما يوجد ، يتلقانا الحق الواقع تارة ، ويتلقانا الوهم تارة اخرى . والنفس فى آخر الامر لا حيلة لها الا فى الصدق الذى هو سلاحها ، والكذب الذى هو وقاؤها .

أركسياك ـ حسن ! حسن !... ولكن ألا تظن أى سقراط العزيز ان لخاطرك هذا نتيجة

سقراط ـ اى نتيجة ؟

أركسياك ـ هذه : وهى ان الصدق والكذب يرميان الى غاية واحدة . . فشىء واحد يستطيع من طريقين مختلفين ان يجعلنا صادقين او كاذبين ، وكما ان الحر والبرد يهاجمان ناحينا ويحميان ناحينا آخر ، فان الصدق والكذب والارادات المختلفة التى تلائمهما ، تنفعنا حينا وتضرنا حينا

سقراط ـ ليس شىء اوكد من هذا ولا حيلة لى فيه . انما هى الحياة تريد هذا ، وانك لتعلم اكثر منى ان الحياة تستخدم كل شىء . كل شىء حسن عندها يا اركسياك ، ثم هى لا تنتهى بشىء الى غاية ما ، ومعنى ذلك انها لا تنتهى الا الى نفسها . أليست هى هذه الحركة الخفية التى تحولنى دائما الى نفسى بفضل كل هذه الحوادث التى تطرأ ثم تردنى سريعة الى شخص سقراط لألقى نفسى فيه ثم لأكونه لانى اتخيل انى ساعرفه من غير شك ـ انما هى امرأة ترقص ولو استطاعت أن تمضى فى وثبتها حتى تبلغ السحاب لتنزهت عن أن تكون امرأة ، وكما أننا لا نستطيع أن نمضى الى غير نهاية لا فى الحلم ولا فى اليقظة فهى ايضا تعود دائما الى نفسها وتخرج عن أن تكون ثلجا منثوراً او ان تكون طائراً ، او أن تكون فكرة ، او ان تكون اى شىء أراد المزمار (١) أن تكونه لأن الأرض التى بعثتها تدعوها وتردها متعبة الى طبيعتها الاولى طبيعة المرأة ، ثم الى صديقها .

فيدر ـ يا للمعجزة !.. يالك من رجل عجيب .. يكاد ما أرى ان يكون معجزة حقا ! لا تكاد تنطق حتى تخلق مالابد منه . . .. لا تستطيع الصور التى تحدثها ان تبقى صورا . . انظر محققا كأنما فمك الخالق

---

(١) يريد ان فى جواب سقراط من الغموض والغرابة ما يوقظ نفسه وينشطه للتفكير .

(٢) يريد انها تفعل ذلك فى نظام مضطرد لايختلف ولا يضطرب

(٣) يشير الى أن الهضم والتغذية وما اليهما ، امور آلية لا تتحكم فيها الارادة ولا المعرفة

(٤) يريد الكائنات التى يشهدها الانسان فى اليقظة

(١) يشير الى تنظيم الموسيقى للرقص ويتخذ ذلك رمزاً لتأثير الظروف المختلفة فى الحياة بحيث تذهب بها المذاهب المختلفة ثم ترتد الحياة الى نفسها .

قد انشأ النحلة والنحلة والنحلة (١) انظر الى الجوقة ذات الاجنحة تتألف من الراقصات الشهيرات!... ان الهواء ليدوى مرجعا ماسيتكشف عنه فن الرقص!.. كل المشاعل تستيقظ! وغمغمة النائمين تتحول، وعلى الجدران التي يهزها اللهب المضطرب تدهش وتشفق الظلال العريضة ظلال السكارى... انظر الى هذه الفرقة التي تجمع بين الخفة الظريفة والجد الحازم!.. هن يدخلن كأنهن الارواح

سقراط ـ الله ما أوضح هؤلاء الراقصات (٢)؟.. يالها مقدمة حية (٣) رشيقة لأفكار ادنى الى الكمال!.. ان ايديهن لتنطق وكأن اقدامهن تكتب ـ كم من دقة فى هذه الكائنات التي تجتهد فى ان تستخدم موفقة مالها من قوى ناعمة. كل مصاعبى تهجرنى، وليست هناك الآن مسألة تجهدنى، انما اطيع سعيدا حركة هذه الاشكال! انما اليقين هنا لعب، كأنما المعرفة قد وجدت نفسها، وكأنما العقل يستجيب فجاءة للجمال الظريف الذي لا تكلف فيه (٤) انظر الى هذه الفتاة أشدهن نحافة وأكثرهن فناء فى الاستقامة الخالصة.. من تكون؟ إنها لصلبة فى عذوبة، وان مرونتها لتعجز الواصفين (٥). انها لتسلم انها لتستعيدانها لتؤدى الوزن (٦) فى دقة حتى لو اغمضت عينى لرأيتها كما هى بسمعى. انى لأتبعها، انى لاجدها وليس الى ان افقدها من سبيل ولو قد سددت اذنى ونظرت اليها كما هى وزن وموسيقى لكان المستحيل الا اسمع القيثارة!.. (٧)

فيدر ـ هي رودوبيس هذه التي تخلبك

سقراط ـ إذن فما اجمل اتصال أذن رودوبيس بكعبها... (٨) ما ادقها.. انها لترد الى الزمن الشيخ شبابه

اركسيماك ـ كلا يافيدر!.... رودوبيس هي هذه الاخرى التي تلاطف بطرفها الى غير حد فى عذوبة وسهولة.

سقراط ـ وإذن فمن هذه النحيفة ذات المرونة الشاذة؟

اركسيماك ـ هي رودونيا

سقراط ـ ما اجمل اتصال أذن رودونيا بكعبها!

اركسيماك ـ على انى اعرفهن جميعا واحدة واحدة. واستطيع ان اسميهن لكما فاسماؤهن تنتظم انتظاما حسنا فى شعر قصير يسهل حفظه: نبس، نفوبه نيا ـ نكتريس، نبفيليه، نكتيس ـ رودوبيس، رودونيا، بتليه... اما هذا الراقص القصير الدميم فيسمى تاريون. ولكن ملكة الجوقة لم تدخل بعد.

فيدر ـ ومن تملك على هذه النحل؟

يتلى

طه حسنين

١ ـ يشير الى الراقصات اللاتى يقبلن متتابعات كأن سقراط قد دعاهن حين ذكر الرقص، وهذا تخلص من الكاتب الى موضوع الكتاب

٢ ـ يشير الى جمالهن الرقيق

٣ ـ يريد أن هذا النظر يجلو النفس ويرقى بها الى التفكير القريب من الكمال

٤ ـ يريد ان هذا المنظر الجميل قد رفعه عن طبيعة الانسان المادي وجلا لنفسه الحقائق، فهو يراها فى غير حاجة الى تفكير واستنباط

٥ ـ يريد ان جسمها مستمسك مرن فى وقت واحد

٦ ـ يشير الى ملائمة الرقص للموسيقى

٧ ـ يريد ان رقصها ملائم للموسيقى حتى انه ليسمع الموسيقى حين لا يري الا الرقص او ليري الرقص حين لا يسمع الا الموسيقى

٨ ـ يريد ان قدميها تحققان بالرقص ما تسمعه اذنها من التوقيع

أغلاط مطبعية فى قصيدة الشعر والشاعر المنشورة بالعدد ٢٤

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٤	١٠	يفيق	يضيق	٢٥	١٩	يه	وبصي
٢٤	١٨	البحر	الحجر	٢٥	٢٠	مدمر	صرصر
٢٤	٢٥	شمالا	شمال	٢٥	٢٢	هيضر	هصر
٢٥	[illegible]	سرا	سردا				

السطر رقم ٢١ يقدم على السطر ٢٠ فى ص ٢٥

تقويم الهلال

أصدرت دار الهلال تقويمها السنوي لعام ١٩٣٤ وهو يحتوى على حوادث العام المنصرم وطوالع العام القادم: وفيه فصول ممتعة عن كثير من المسائل السياسية والاجتماعية التى تشغل الاذهان فى الوقت الحاضر: مثل مشروعات الرى الكبرى ومسألة الدين المصرى: وعصبة الامم، والمؤتمرات الدولية، والنظارات والوزارات المصرية، وفيه نبذ فنية وعلمية وفكاهية كثيرة: وهو كجميع مطبوعات دار الهلال متقن الطبع تتخلله صور عديدة أنيقة. فنلفت اليه الانظار ونرجو ان يلاقى ما يستحق من التقدير والرواج

فن قراءة الافكار

وعلوم نفسية متنوعة

هذا كتاب أخرجه الاستاذ وليم سرجيوس المحامى، يبحث فى العقل الباطن من حيث اسلوبه وموطنه من الانسان، وقواه المختلفة. ويكفى أن يكون هذا مبحث الكتاب ليجتذب القراء الى تلاوته. وثمنه خمسة قروش

فهرس أبجدى عام لموضوعات السنـــة الأولى للرسالة

فهرس أبجدي للكتاب

(ملاحظة) : الأرقام الموضوعة أمام الأسماء هي أرقام المقالات التي كتبها الكاتب حسب ترتيبها في فهرس الموضوعات

(ب)

(ت)

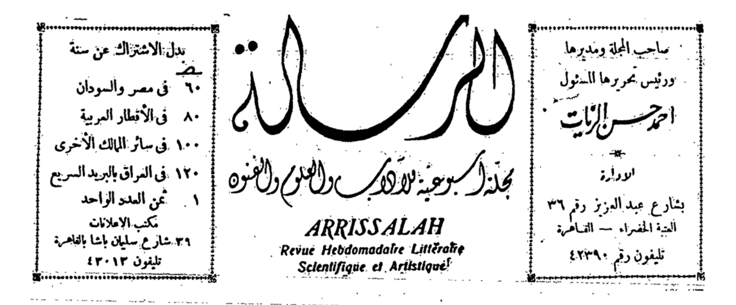
(ج)

(ح)

FIN

DU

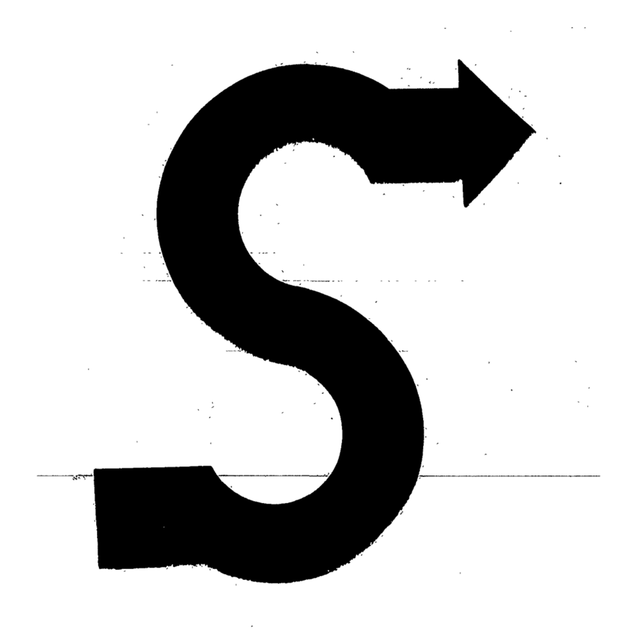
DOCUMENT



1933

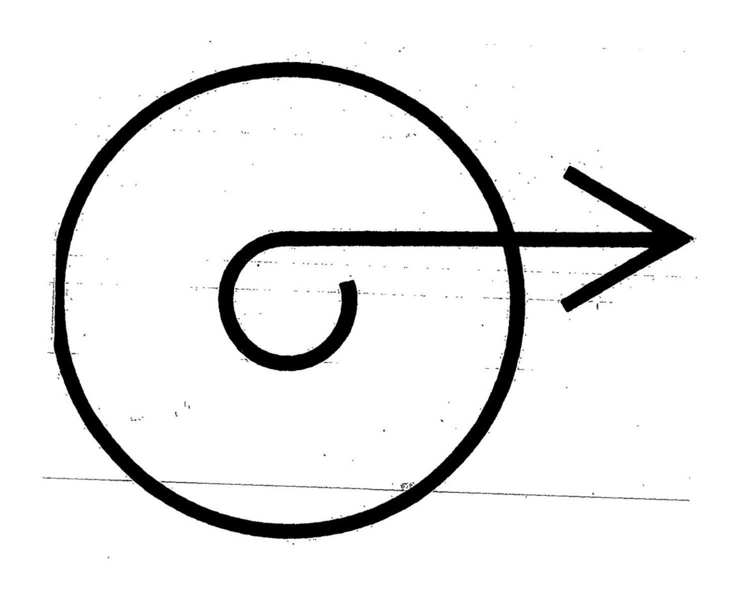
Janvier - 25 décembre

(s.n. - 25)



Suite sur une autre bobine

NF Z 43-120-6



Fin de bobine

NF Z 43 120 3